كلمتنا

◆

نتقدم

الى قراء العربية بهذه المجلة الجديدة « الاديب » في مطلع العام الجديد ، راجين ان يكون عام طمأنينة للعالم ، وسعادة للقراء ، ونجاح للمشروع الذي اخذنا على عاتقنا تحقيقه ، والسير به من حسن الى احسن . ونحن على مثل اليقين باننا ، رغم المصاعب الكثيرة الراهنة ، بالعون ان شاء الله الغاية التي نتوخاها ، بعون الملاء الصالح من اصدقائنا الادباء واهل الرأي وذوي الاختصاص في مختلف المعارف والفنون . فهذه المجلة مجلتهم ، يخرجونها في مستهل كل شهر وفقاً للخطة الرشيدة التي اختطوها ، سعياً نحو المقاصد الرفيعة التي جعلوها نصب اعينهم .

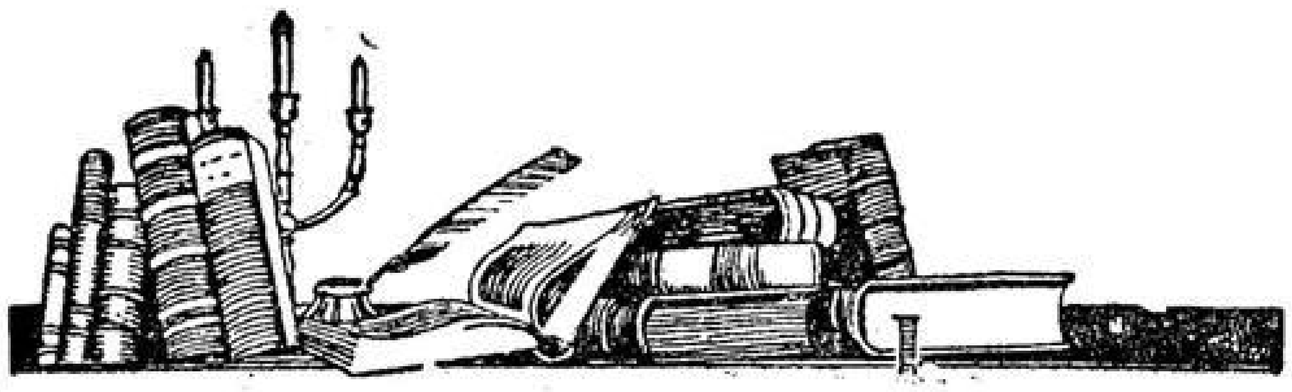
لقد رأينا الحاجة ماسة الى سدّ ما يحسب بحق فراغاً في مكتبة الاديب العربي ، فألهمنا ان نساهم في ذلك بمجلة تطمح الى ان تكون معرضاً للانتاج الفني والادبي والعلمي ، ومنبراً للرأي السياسي المنبثق من العقيدة الصادقة والايمان الخالص ، ثم لا تلبث ان تصير همزة الوصل بين اقطاب الفكر الحر في الاقطار العربية جمعاء .

اما الخطوط الاساسية لهذا المشروع فتتجلى بوضوح في موضوعات هذا الجزء من « الاديب » الذي يجمع — كما ترون — بين طرائف القديم ونفائس الحديث ، مما نشر او لم ينشر ، في شتى الفنون والشؤون .

واذا كان لنا ما نقوله ، ونحن في المرحلة الاولى من عملنا ، فهو ان نسأل جمهرة القراء مساعدتنا على انجاح هذا العمل ، كي تصبح « الاديب » مجلة القراء الذين يطالعونها كما هي مجلة الكتاب الذين ينشئونها ، والله من وراء القصد .

البير اديب

عزلة الاديب



بقلم عمر فاخوري

تالله ان شأن هذا « التاريخ » لعجيب .

لقد نقل التاريخ الينا كثيراً من الاسماء والاحداث وما زال هذا دأبه . لكن ما اغفله — عن عمد او سهو ، لا ادري — هو ، ولا مراء ، اكثر جداً مما نقله . التاريخ اذن مصلحة بريد غير منتظم .. والمصيبة ان يوكل الى هذه المصلحة ايضاً اختيار ما يجوز حمله من الرسائل ، او يصح نقله من الاخبار .

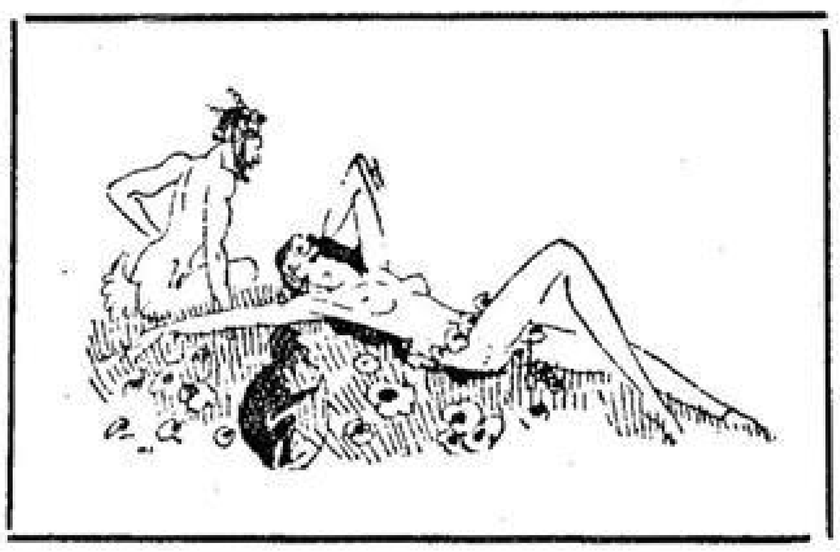
كان لي جارة عجوز تجيئني ، آخر كل شهر ، بكتاب جديد من ابنها المهاجر ، كي اتلوه عليها . ومن الالف الى الياء كما تقول . وكان ذلك الولد — البار بأمه الحنون لسوء حظي — مغرى بان يقص عليها بالتفصيل كل حوادث حياته اليومية في بيته وتجارته وما بينهما ؛ لا يدع شاردة ولا واردة ، ما يسوء منها وما يسر ، ما يبعث القلق او يفرغ الطمأنينة — بلهجة واحدة لا تتغير ، حتى انهمته في سري بقوة المخيلة وجودة الاختراع .. وكنت ، على الاغلب ، لا اقف عند اخبار السوء ، بل اقفز عنها بلباقة نادرة المثال ، واقرأ طويلا بين السطور . فلم يك في ذلك خسران على احد منا ، وطالما ربحت الدعاء .

هكذا التاريخ ، على الاقل كما يشتهيه نفر من المؤرخين وجمهرة القارئين . واذا قلت «التاريخ» فانا أعني بالبداهة تلك المصنفات التي لا تحصى عدداً ، الموروثة عن كل الازمنة في الامم كافة ، والمختلفة شكلا وحجماً ، او طريقة واسلوباً ، او نهجاً وغاية . فالتاريخ يتألف بالدرجة الاولى من هذه المؤلفات جميعاً على السواء ، رغم اختلاف ظواهرها وبواطنها ، ومنازعها ومقاصدها ، ومبادئها وغاياتها . ولا بأس بأن يناقض بعضه بعضاً في بعض الاحيان : اليست الحياة نفسها شبكة مختلطة من المتناقضات ؟

بل اليس لكل شأن من الشؤون الانسانية وجوه متفرقة تبدو وتغيب ، فلا يحيط بها كلها في آن ، الا الذي وسع علمه كل شيء ؟

ذلك هو التاريخ باحرف نورانية بارزة تلوح في غياهب الماضي ، كالاحرف التي تزين بها ليلا واجهات المخازن الكبرى ، يراها الرائي من بعيد ، وقد اخذت ترتسم حرفاً حرفاً ، ثم تمحي حرفاً حرفاً ، ثم اذا بها تعود دواليك . ولعلهم لهذا يقولون (اي الحكماء) ان التاريخ يعيد نفسه .

اجل ، لكن هذا التاريخ يتضمن كثيراً من السطور الدارسة والفصول الطامسة . كالمخطوطة القديمة أتت الارضة على صفحاتها ، او كالحافظة الهرمة غشّى النسيان على ذكرياتها .. بل ما لنا نبعد في التشبيه ونغرب في التمثيل ؟ لنقل ، وهو الاصح ، ان التاريخ كتاب مدرسي مزين بالرسوم تعاورته ايدي الصبية العابثين اعواماً بالتصحيف والتحريف ، والتعديل والتبديل . فثمة لطخة حبر غير متعمدة ، او جرة قلم مقصودة ، قد غطت على اسم من الاسماء العظام ، وحدث من الاحداث الجسام ، فلا الحادث كان ، ولا المسمى وجد .



كأن لم يكن بين الجحون الى الصفا
انيس ، ولم يسمر بمكة سامر !

وثمة اوراق برمتها انتزعت من دفتي الكتاب عنوة ، ثم شردت ايدي سبا ، ثم مزقت شر ممزق ، فهو عصر بكامله يضيع او امة عن بكرة ابيها تفقد ذاتها .. والصور ، ما ادراك ما الصور ؟ لهذه حساب خاص .. اية خسارة في ان يزاد عليها القليل ، بل اقل من القليل ؟ هنا مثلا شارب اعقف ، وهناك لحية جليلة .. من منا لم يعرف في صباه الماجن المرح ، اشباه هذا الكتاب ؟ عندي انا في متحف الذكريات نسخة فريدة من تاريخ « صحيح » تثبت بما لا يحتمل شكاً ولا تأويلا ، انه بين بكرة وضحاها من ليلة غير مقمرة ، قد

نبت لاحدى الملكات السعيدات لحية مستعارة وشارب مجلوب، وكانت اعجوبة الاعاجيب . واخال ان هذه المعجزة ظهرت في ذلك الزمن على يد صبي نابغ شغف بفن التصوير منذ نعومة اظفاره. فاصبح اليوم والحمد لله، حلاقاً من مهرة الحلاقين، كأني به آثر هذه المهنة التي يقضي على صاحبها، دون سائر الخلق، بالوقوف دوماً على رجليه، تكفيراً عما اجترمه من تزييف في هيئات التاريخ، اذ كان يخلع على ابطاله، دون حساب، لحى وشوارب ليست لهم كأنه يعدهم لحضور مرفع حافل في دنيا الخلود.

لو اخذنا بعض امهات كتب التاريخ التي دون فيها العرب اخبارهم واخبار سائر الامم، ما علم منها وما لم يعلم، لعثرنا في مواضع عدة على هذه العبارة الحكيمة «هنا بياض في الاصل». يعني بكلمة اوضح: هنا نقص في التاريخ، كخلل في الحافظة يعتري الاشخاص فيفقدون بفعل المرض او الشيخوخة، حلقة او حلقات من سلسلة ذكرياتهم.

ليس من غرضنا الان ان نحتج على ابن الاثير مثلا، فنأخذ عليه انه رغم البياض الذي ازدان به مؤلفه النفيس في التاريخ كرأس الاشيب، قد سماه «الكامل» فالكمال لله وحده. لكن الامر الذي يدعو الى العجب هو ان يكثر ترداد هذه العبارة الغراء: «بياض في الاصل» كلما تقدم الزمن من عصر الكاتب، كأن المؤرخين كانوا — والله اعلم — باخبار الخليقة والطوفان وما اشبه، اعرف منهم باخبار الازمنة القريبة من زمانهم. بل لا عجب، قد يكون هذا التاريخ مثل اولئك الاشخاص الذين وصفهم علم النفس بانهم كلما تقدموا في السن امسوا اشد تذكراً واستعادة لحوادث ماضيهم القصي، لاسيما عهد صباهم وشبيبتهم. ويذهب العلامة فرويد الى ابعد من هذا حينما ينوه بشتى التأثيرات التي تطبعها في نفس المرء حوادث طفولته، فتسيطر على حياته جميعاً، سواء ماظهر وما بطن، او ما وعاه وما لم يع، من تلك الذكريات العريقة. وعلى كل فان عبارة «بياض في الاصل» لمن العبارات التي يجب ان يغلب استعمالها او دسها كالتعاويذ، حتى يصبح اكثر التاريخ بياضاً. ولكل قارئ حينذاك ان يقرأ بين السطور ما شاء، كما هو شأني مع العجوز الطيبة التي تسألني، آخر كل شهر، ان اؤرخ لها سيرة ابنها البار في ديار الغربة.

قلنا: التاريخ، وعنينا بالدرجة الاولى مصنفاته، اي المادة «الخام» التي يمكن ان يتألف منها تاريخ كامل، لو قدر لهذا «الكامل» وجود او شبه وجود. نحن لم نعن اذن ذلك الشيء الرمزي الذي كاد يتمثل التاريخ فيه، يوم تجسد في نصف آله من آلهة يونان الاقدمين. زعموا انه كان لابولون، آله الموسيقى والشعر وسائر الفنون، تسع صواحب يدعين ربات الوحي. فكن يسرحن ويمرحن ويرقصن ويغنين حول الاله العظيم على هضاب البرناس وفي وديانه. واحدى تلك الكواعب الاتراب كليو، ربة التاريخ: قيل انها كانت لا تفتأ تشيد بامجاد الماضي وتتغنى بمآثر الابطال. لكن وجه التاريخ قد تبدل منذ ذلك العهد السعيد. فبعد ان كان يرقص ويغني في الوديان والهضاب، اصبح اليوم عابساً مقطب الجبين، لا تكاد تعرف الابتسامة محياه، قابعاً في زاوية مكتبة، وكأنه تقنع بقناع العلماء.

ستسألون الان: «ما شأننا والتاريخ؟ اهكذا يكون الكلام عن عزلة الاديب، في مهرجان من الحقائق والاباطيل، ومن الوقائع والاساطير؟ الم يك عن هذه المقدمة بدّ؟»

فانا اجيب: لا.. ذلك ان التاريخ الذي نقل الينا شتى الاسماء والاحداث، ما كان وما لم يكن، ما يهم وما لا يهم، وهو تارة يرقص ويغني وتارة يعبس ويقطب، قد اغفل فيما اغفله — عن عمد او سهو لا ادري — اسم اول اديب، شاعر او ناثر، عنّ لباله ذات يوم ان يعتزل. كان الاديب على اتصال حيّ يقظ مستمر بهؤلاء الخلق الذين يتحدث عنهم اليهم، فاذا به ينفض كفه من تراب هذه الدنيا التي نضطرب فيها من ساعة مولدنا الى ساعة مماتنا، ثم يبني لنفسه فوق السحاب ما يسميه الفرنجة «البرج العاجي» وهم يرمزون به عن عزلة الاديب بمعناها الشامل او المطلق.

لقد اخذنا نحن في ادبنا الحديث، هذا الاسم «البرج العاجي» على رجاء ان يكون لنا المسمى ايضاً، فيما بعد. وليست اول مرة يسمي فيها الطفل قبل مجيئه، تفاؤلا. اما الكلام عن ذلك المخلوق العجيب، حبيس البرج فوق السحاب، فوعدنا به آت، وكل آت قريب.

عمر فاخوري



لماذا نحن مع الديمقراطيات؟

بقلم: جبران تويني

البشر في هذه الحرب فريقان يصطرعان في سبيل فكرتين « الديمقراطية والدكتاتورية » او الشورى والطغيان . ولكل من هاتين الفكرتين تعاليم افاض فيها انصارها من الشراع والمؤلفين ، وفلسفة وضعوا لها قواعد واصولاً على اسس علمية ، ليبينوا افضليتها في حكم الشعوب .

وليس غرضي في هذه المقالة ان اقارن بين الفكرتين ، او افاضل بينهما . ولكنني اود ان ابحث في ايهما اقرب الى ذهنيتنا نحن العرب ، واكثر انطباقاً على مصلحتنا الان كأمة ناهضة تتوخى حقها في الحياة .

من تحصيل الحاصل ان نقول ان العربي مفطور على الشورى ، سواء اكان في بداوته ام في حضارته . واذا كان بعض الدول العربية قد جنح الى الطغيان في وقت من الاوقات ، فلأن الروح الاعجمية التي تغلغلت في الدولة ، ثم سيطرت عليها ، اخرجتها عن نزعتها الفطرية وساقتها في تيار كانت تتململ فيه وهي تحن الى عهد الشورى .

ولا حاجة الى سرد الشواهد على تمكن الشورى والديمقراطية من نفس العربي ، فان كتب الادب طافحة بها من عهد الجاهلية حتى صدر الاسلام ، حتى العهد الذي طغت فيه الاعجمية على روح القومية العربية ، وحاولت ان تسبغ عليها روحها ، فارسية كانت هذه الروح ام شعوبية .

فانا اترك ناحية الشواهد التاريخية ، وانظر الى الموضوع من ناحية المصلحة المجردة ، واتساءل اذا كانت مصلحة العرب تقضي عليهم ان يقفوا الى جانب الشورى ام الى جانب الطغيان .

ان الجواب على هذا السؤال يتبادر الى الشفاه من تلقاء نفسه ، فمصلحة العرب المجردة تقضي عليهم ان يقفوا الى جانب الشورى .

ذلك ان دول الطغيان جعلت العنصرية شعارها ، وهي تعتبر ابناءها عنصراً مختاراً ، له الامتياز على سائر العناصر ، وله ان يسخرها جميعاً لخدمته باعتباره متفوقاً عليها من حيث سلالته ، وباعتبارها منحطة عنه من حيث سلالاتها . وقد ابتكرت دول الطغيان نظرية « الساحة الحيوية » لتبرر بها توسعها على حساب الشعوب المستضعفة . فهل نطمئن نحن العرب الى الحصول على حقوقنا من قوم هذه تعاليمهم ؟

كلا ، فهم يعاملوننا معاملة السلالات المنحطة ، ويفرضون علينا الذل ، ويسدون في وجهنا باب الامل في الحصول على امانينا المشروعة ، لنظل عبيداً وعبيداً .

والعرب في هذه الحقبة من التاريخ امة مستضعفة . كانوا دولة واسعة الاطراف ثم تفرقوا الى دول ، واصابهم ما يصيب الامم في حالتي اليقظة والخمود . ولكنهم بدأوا منذ القرن الماضي يستفيقون من سباتهم ويشعرون بان لهم حقاً ، وان عليهم واجباً يؤدونه في ميادين النشاط الانساني .

وقد نتج عن هذا الشعور ان قامت فيهم دول ناشئة لم يزل بعضها في طور الحضانة ، والبعض الآخر في طور النمو . فكانت الدول الديمقراطية « قوامة » على هذه النهضة ، ثم تحولت القوامة في بعض ديارهم الى حلف ، فتزعزعت دولهم الناشئة في ظل الديمقراطيات وانطلقت في ميادين الحرية والاستقلال لتحتل مكانها تحت الشمس .

فهل كان في مقدور هذه الدول العربية ان تنمو وان تترعرع وان تمشي الى استقلالها لو ان دول الطغيان كانت هي القيمة على شؤونها ؟

كلا . فدول الطغيان تحطم الدول المستقلة وتهدم كيانها الموجود . فكيف تستطيع الامم الناشئة كالعرب ، وهي في نظرهم من سلالة منحطة ، ان تكون استقلالها في ظل نظام يقوم على تفوق العنصرية ويجعل البشر سلالات ؟

نحن لانقول ان الديمقراطية اعطت العرب كامل حقوقهم . ولكنها اعادت اليهم جانباً كبيراً من هذه الحقوق ، وافسحت امامهم مجال الحصول على كامل ما يطلبون .

فالعرب مع الديمقراطيات عن عاطفة وعن مصلحة . وهم يرقبون تحقيق امانيهم عن هذا الطريق ليقوموا بواجبهم ويزاولوا حقوقهم في ظل النظام الجديد : « نظام الشورى لا نظام الطغيان » .





« ديانا واندومين »

مقتبسة عن لوحة زيتية للرسام « واتس »

كم اقاسي في الوجد ما لا اطيق ... ويعاني الاسى فؤادي الرقيق
انا في البعد مثلما انا في القرب ... محب واهي الفؤاد مشوق
يا سميري العيون في وحشة الليل ... وخد الصباح حين افيق
حملتني الاسفار عنك ببعد ... وبيح قلبي طالت علي الطريق
كنت لي الخضرة التي انقياها ... وكأسي اذا ادير الرحيق

*

راودتني النوى باجمل ما يغري ... وأشهى ما يبدع التنميق
وجلت حسنها الطبيعة في جود ... وقالت لك المنال الطليق
قد زخرت الجمال دنيا فخذها ... وتر منشد وحسن انيق
وبساط من ارض اندلس الخضرا ... يشع السنا به والشروق
خذ مدى الحب في مفاتن ارض ... زحمت بالمنى فكادت تضيق
قلت للحسن لو علمت غرامي ... انه كالحياة شيء عميق
لا ارى في الجمال غير خيال ... لحبيب هو الجمال الدقيق
حسنه فوق كل حسن وطيب ... وهواه عهد علي وثيق

مبشال ابو شهلا



حق الشعوب بين مذهبين

في عام ١٨٧١ كتب العلامة الفيلسوف ارنست رنان رسالة قيمة خالدة يرد بها على عالم المالي يدعى «ستروس» قال رنان :

« لا تلم المذهب الفرنسي الحر الذي يرى ان حق الشعوب في ان لا تُنقل ، دون رضاها ، من حكم الى حكم او من سلطان الى سلطان ، هو حق الهي مقدس . . نحن لا نسلم لاية دولة بان تتنازل عن جماعة من الناس لدولة اخرى ، كما تباع السلع وتشرى . . لو كانت الاراضي او البلاد التي تُعطى قفاراً غير مأهولة السكان في المسألة نظر . لكن الاقوام الذين يسكنونها هم اناس احرار ، وعلينا واجب لا يسعنا اغفاله او اهماله ، هو واجب حفظهم ورعايتهم كي يظلوا محترمي الجانب . »

هذه نبذ مقتضبة من رسالة الحكيم الفرنسي تبين بوضوح وجلاء المذهب الفرنسي الحر القائل بحق الشعوب في ان تكون لها الكلمة العليا ، حيثما يراد تقرير مصيرها . . لقد وصفنا الرسالة التي يرد بها الفرنسي على الالماني ، بانها قيمة خالدة : اما قيمتها فلا حاجة للتدليل عليها ، لا سيما بالنسبة الى الامم الصغيرة او المستضعفة مثلنا التي انما تطمع الدول العظمى في التوسع على حسابها . ولا ازال اذكر ما احدث في نفوسنا ، بعيد الهدنة ، نبأ تنازل حكومة فيشي او امكان تنازلها عن سورية ولبنان لدول المحور ، من شعور الدهشة ، فالخيبة ، فالاستنكار . ثم جاء اعلان مندوب الفرنسيين الاحرار ، استقلال هذين البلدين الكريمين ، حدثاً خطيراً اقل ما يقال فيه انه اقرب الى افهامنا ، واندى على قلوبنا : انها فرنسة الحرة تعمل بالرأي الفرنسي الحر الذي نادى به «ارنست رنان» وكثيرون غيره من اهل الرأي ، فكأنها مهمة فرنسة الفكرية منذ قرن ونصف قرن الى العالم المتمدن .

هذا من حيث قيمة الرسالة التي نقلنا نبذاً منها ، دون ان نحتاج في التدليل على قيمتها الى زيادة شرح او فضل بيان . اما من حيث خلودها وبقاؤها على وجه الدهر ، فيكفي ايضاً لاثباته ان نقارنه بهذا النص الفرنسي نصاً آخر احدث عهداً ، لكنه الماني . قال هتلر في كتابه المشهور « كفاحي » ما ترجمته بالحرف : « نحن بحاجة الى اراض وبلدان ، حتى ولو كانت مأهولة من شعوب اخرى . . سوف نكيف مستقبل الشعوب وفقاً لحاجاتنا نحن . . . »

ارأيتم هذه الجملة القصيرة التي تبدأ بنحن ، وتنتهي بنحن ، ولا تدور الا على «محور» الحاجة ؟ « نحن بحاجة . . . وسنكيف مستقبل الشعوب وفقاً لحاجاتنا . . » اما حق الامم في تقرير مصيرها وكرامة الامم عند ذاتها ان لا تؤخذ او تعطى كالسلع ، بل احترام الانسان لاخيه الانسان ، فتلك اساطير واباطيل في نظر النازية لا وزن لها ، بازاء ما تعتبره او تتوهمه او تعلنه حاجة من حاجاتها .

يقول ارنست رنان : « لو كانت الاراضي او البلاد التي تعطى قفاراً غير مأهولة السكان في المسألة نظر . ويقول هتلر : « كلا . . بل لو كانت مأهولة من شعوب اخرى . . . » يقول ارنست رنان : « ان الاقوام الذين يسكنون تلك الاراضي هم اناس احرار ، وعلينا واجب حفظهم ورعايتهم كي يظلوا محترمي الجانب » فيرد هتلر عليه قائلا : « كلا ، نحن سنكيف مستقبل هذه الشعوب وفقا لحاجاتنا . . . » ولا اخاله يعني غير حاجة الامة الجرمانية الى السلب والنهب ، وشهوة الامة الجرمانية الى الفتح والتوسع . واني لاتحدى اياً كان ان يدلني على حاجة او شهوة ، غير تلك الحاجة وهذه الشهوة . وما يدرينا لعل حاجة الامة الالمانية ان تباد الامة المجاورة ليأخذوا هم محلها الذي يسمونه حينئذ مجالا حيوياً لهم ! »

لقد تساءلت خلال هذه الحرب ، بيني وبين نفسي ، عن امور مختلفة . لكن ثمة امراً ذا بال شغل فكري زمناً بنوع خاص ، وهو : اذا كان هتلر قد نوى - كما يظهر - تكييف مستقبل شعوب الارض جمعاء وفق هواه ومشتهاه ، فلا بد ان يكون قد فكر فينا نحن ايضاً ، اهل هذا الساحل اللبناني . ترى ، ماذا يكون حظنا من ذلك التكييف الآتي كقضاء الله وقدره ؟ !

خطر لبالي ، اول وهلة ، ان هتلر سوف يرجع في امرنا الى التاريخ يستوحيه ويستمد منه . ان اهل هذا الساحل اللبناني العريق قد اخترعوا الابجدية في الماضي ، ولا جدال . فما يمنع ان يكونوا في المستقبل ، معلمي الالفباء في كتاتيب العالم ؟

كلا ؛ ليمكن تكييف مستقبلنا على هذا الشكل او على

اي شكل آخر ، لا بد من ا نراض ان النازية ستنتصر ، وهي لن تنتصر • بل ما اقول ؟ انها خذت تنكسر •

لقد اخذت النازية تنكسر بصمود ما في العالم من قوى حرة لا تغلب ، في وجه الجهاز الحربي الجبار الذي اعده الالمان لتهديد ما في العالم من قيم مادية ومعنوية ، ثم بتحالف تلك القوى الحرة تحالفاً لا انفصام له قبل تجريد النازية من سلاحها الاثيم •

والى هذه القوى الحرة التي لا تحد ، اشار رئيس الفرنسيين الاحرار الجنرال دوغول في ندائه الاول مخاطباً « جميع الفرنسيين » حيث يقول اثر توقيع الهدنة : « كلا لم يضع شيء بعد ، لان هذه الحرب حرب عالمية • ان في العالم قوى حرة عظيمة لم تقاتل . وسيأتي يوم تسحق فيه هذه القوى العدو سحقاً . تنبأ الجنرال دوغول تلك النبوءة الصادقة قبل ان تخوض حكومات الاتحاد السوفياتي والولايات الاميركية المتحدة غمار هذه الحرب العالمية الكبرى ، وقبل ان تبدو بشائر سحق النازية في ساحات القتال . ولعل ابرز صفات الرجل العظيم واوضح مؤهلاته للزعامة الحقة ، بعد نظره في الامور مع سعة الاحاطة بوجوهها العديدة • لقد علم الجنرال دوغول ان هذه الحرب الكبرى لا تنتهي ولا يمكن ان تنتهي بتوقيع هدنة بين المانيا واية حكومة فرنسية ، حتى وان يكن على رأسها رجال ما كادوا يدخلون التاريخ من بابه الواسع حتى خرجوا من باب هو اضيق من سم الخياط . وقد علم الجنرال دوغول ان هذه الحرب ليست حربا بين المانيا وفرنسة فقط ، بل هي حرب عالمية بين ما في العالم من قوى الخير والعدل والحق جميعاً وبين ما فيه من قوى الاثم والظلم والاستعباد جميعاً •

ألا ان حزب الله هم الغالبون •

« منطوع »

الاحداث السياسية والحربية في عامين

عقيب العثرة التي فاجأت بها فرنسا العالم في شهر حزيران من العام ١٩٤٠ خيل الى اوربا ان جميع الشعوب ستسقط تحت الجزمة الالمانية وان هتلر سيحقق في الاشهر المقبلة سيطرته التي يحلم بها اذ لم يبق بينه وبين تحقيق هذا الحلم الا بقعة من الماء وبضع جزر . وما هي الا ستة اشهر حتى انقلب الموقف رأساً على عقب واذا هتلر ابعد ما يكون عن هدفه واذا بالشعوب الخاضعة تستعيد الشجاعة والثقة والبلدان الحيادية تتنفس الصعداء . وراح هتلر يبحث لنفسه عمن يعضده ويعينه على ما به ، ولكن روسيا بقيت على تحفظها بل تشبثت فيه ، وادركت الولايات المتحدة مغزى الضرورة التي توجب عليها مساعدة انكلترا فاعتمدت التدابير اللازمة لهذه المساعدة . وكان موسوليني قد تورط في المغامرة وراح يتلقى ما توجهه اليه اليونان وبريطانيا العظمى من الضربات . وهكذا بدأت رؤيا الانتصار اذا لم نقل اشكاله ، ترتسم في الافق •

بانتظار الغزوة

بين ٢١ حزيران ومطلع شهر آب ، اي بعد حملة فرنسا الصاعقة ، ساد الافق هدنة صرفها العالم الذاهل في الشخوص الى الخصمين المتجابهين : المانيا الضخمة والجزر البريطانية . وكانت اوربا قد مرت باشأم الاهوال فلم تكن تستغرب شيئاً بل كانت تتوقع كل شيء . وبدأ الشك يتسرب الى اميركا فلم تؤمن بالمقاومة البريطانية ، وراحت الدعاية الماهرة تمثل بريطانيا العظمى على وشك الانهيار والاستسلام . فقيل ان الارستوقراطية والحاضرة « ستي » تميلان الى الصلح . ولفظت اسماء الشخصيات التي يحتمل احلالها محل تشرشل وراجت سوق التكهنات فمن قائل ان هتلر سيكون في لندن في ١٥ آب ومن قائل انه سيكون فيها في ١٥ ايلول .

ومنذ ١٩ تموز اعلن الفوهرر « النظام الجديد » اي بسط السيطرة الالمانية على اوربا واتحاد جميع بلدان القارة الاوربية تحت ادارة المانيا ضد انكلترا . وفي الوقت نفسه تكهن هتلر بتخريب الامبراطورية البريطانية عارضاً عليها ان يبقي لها كيانها اذا قبلت لندن الامر الواقع . وسمى هتلر رفض هذه « نداءه الاخير الى التزام الرشد » •

— التتمة في صفحة ٥٩ —

ثقـــــــــــــافة الشعور

بقلم صلاح الاسير



هتفنا قبل هذه الكرة ، ان الفن حر ابداً لا يقيده خير ولا يقيده شر ، غايته امتاع الحواس وامتاع الشعور قبل كل شيء ، وبين يدي الان كتاب لهريو ، يحلل فيه فن بتهوفن ، وما يتركه هذا الفن من اثر في السمو الانساني . واني اشهد ان هريو وفق في كتابه هذا كل التوفيق . وقد اخذ علي مشاعري . شيء غامض لا يتعلمه الانسان في الكتب ، وانما ينمو فيه نمواً ، اجب ان اطلق عليه اسم « ثقافة الشعور » هذه الثقافة التي لا نجد لها اثراً عندنا ، والتي الهمت هريو — السياسي — تأليف مثل هذا الكتاب الشامل .

لا جرم ان هريو كان يرتاح لسماع الحان بتهوفن ارتياحاً عميقا ، مغموراً باللذة الفنية ، الدافقة الاشراق التي تشيع شعوراً وغبطة . فرأى — وهو من هو في عالم الادب — ان عليه واجباً نحو هذا النابغ الفريد ، وهو مسئول امام ضميره وامام فنه ، عن هذا الواجب ، فكتب هذه الفصول الماتعة ، انصافاً لشعوره وحمداً للفن . وكثيراً ما سائلت نفسي عن اثر رجال الفن في بناء مجد الجماعة ، وهم الذين يستحيلون في مشاعل الفن بخوراً يعطر الاجواء ، ويحرك النفوس الجامدة ...

رجال الفن واحات خضلة ، ترودها الانسانية عبر صحراء الحياة ، ينهلون من مائها الرقيق ما وراء السراب ، وهم هذا العزاء المتحتم ، والرحمة المعطاء ، والنعيم المظل ، ولا أرى دنيانا بدونهم في اطارها الاروع ، ورونقها البهيج ، فمن تلك الاظلال ، تكتسب النسمة لونَ الرجاء ، والعطفة لونَ الجرح ، والفكرة لون الاستحالة !...

والايام تكر مع دورة القرص الذهبي ... وبتهوفن وموزار ، ورفائل واويلد ، ورنبو وبودلير ، ما برحوا الينبوع الدفاق الذي يستقي منه الملهمون . ذلك ان الابتكار طريق المجد في الفن ، والتقليد طريق الفن الدنيء ، الذي يعيش امداً خاطفاً ويموت . ومن هنا كان ارتباط الفن بكل ما هو خيالي وغير موجود ، ارتباطاً ابديا . فالفن تصوري قبل كل شيء ، بهيمن عليه الابتكار ، يغمر الحياة ، ويدخلها في دائرته السحرية ويخلع عليها نماذج مثلى ، ويضع حجاباً من السحب الكثيفة الحمراء بين دائرته الواسعة الافق ، وبين دائرة الطبيعة المزدحمة بالمثل العليا ، التي لا تكاد تلمس الاثر الفني حتى تتركه مبتذلا عاديا ! ..

واحب هنا — على صفحات «الاديب» — ان اعزو — بجرأة — هذه الازمة الفنية ، الى انعدام الكذب في الاعمال الفنية . الكذب كلذة فنية رائعة . واقصد بالكذب ، الخيال الذي لا يعرف حدودا ، الخيال الذي يترك النور جرحاً على جبهة امرأة بارعة الجمال ، والذي يخلي الظل فجراً على ضفة الشمس . فقد تدنى الفن منذ ترك نفسه للحياة تحتضنه ، وتسخر منه وتضحك ، وهو الذي كان لها — حتى الامس — استاذاً روحياً ومهذبا : تدنى الفن لالتصاقه بالواقع ، بالحقائق الباردة . والمؤرخون القدماء — يرحمهم الله — كانوا ولا ريب مجيدين في اقاصيصهم ، لانها كانت بعيدة عن الحقيقة الرخيصة ، او لانهم بعبارة ادق ، كانوا يخلقون حقائق ، كما تخيلوها ، فخلدت اساطيرهم ، بينما اصحابنا اليوم ، يحرصون على سرد الواقع ، كأنهم يكتبون محضراً بوليسيا ، فيه شيء من التصرف . اقصد بذلك انهم جد بعيدين عن هذا الفن ، لان الفن لا يتدنى الا اذا عانقه الواقع ؛ وانا اخشى عليه هذا العناق الذي يفضي حتما الى خنقه ! ...

انا لا اتشاءم ، ولكن الرحمة في الفن اثم كبير ، فمن احب ان يكون صاحب رسالة في الناس ، عليه ان يقوم بما توجبه عليه الرسالة من واجبات واعباء ، ومن احس في نفسه العجز فليترك الطريق ، كي لا يكون وجوده عقبة ، فيكون انسحابه قدافاده مرتين ، الاولى انه اراحه من عناء لا قبل لمثله باحتماله ، والثانية انه كفى نفسه مغبة سيئة ، يوم تتفتح في غد العقول على الضياء فيمحى الزائف ، ويسلم ما ينبغي له ، وينتهي الامر !

صلاح الاسير



الناسكة

بقلم الياس ابو شبكه

حبيبي ، على هذه الرابيه ... احس خيالك يرقى بيه
فاغلق ، الا على ما تحب ... روحك ، قلبي واهدابيه
اتيت احبك في ما تحب ... ويضفي على وحيك العافيه
فما دفق الشعر من اصغريك ... تجمّع في هذه الناحيه
أراه على المنحنى والخليج ... وفي هذه الغابة الجاريه
وفي ما يفوت عروق الدوالي ... وما يضمر الكرم للخابيه
أراه على أمل الزارعين ... في موسم الحقل والماشيه
وفي كبر الدلب والسنديان ... يحنو على دعة الساقيه
أتيت احبك في ما تحب ... واوصد دون الورى بابيه
فما عالمي غير مغنى الجمال ... اهواك فيه وتهوانيه
بروحكِ مغمورة يقظتي ... ونشوى بسحرك احلاميه
وحلمي بحبك لا ينتهي ... وهل تنتهي الغفلة الواعيه
مصادر وحيك معقودة ... بقلبي رواها واجفانيه
ففي كل مطوى من الطير راوٍ ... وفي كل منعطف راويه
من الارض انشق اعراف شعرك ... ريانة كالندى صافيه
احس لها في صميمي غليلا ... يخب على وهج اعراقيه
واسمع صوتاً كهمس عميق ... فاصغي لتسمع اعماقيه
وابصر ما لا تراه العيون ... فاطويه كالله في ذاتيه
حبيبي ، على هذه الرابيه ... اقرّب للحب إيمانيه
اذا هجر الحب دنيا القلوب ... فما تنفع الحطم الباقيه

الياس ابو شبكه

أتعرف من هي ؟ ؟



الك ان تعرف تلك التي تهمس فيك همساً خافتاً يجتمع فيه حلو الكلام ومره، انسجام اللفظ وشذوذه ، وتخاله لدقته وعمقه آتياً من غور بعيدلا يبلغ مسمعك الا وقد حولته الأبعاد تمتمة ؟

أتعرفها من هي ؟ تلك التي تخدعك ، ثم تخيبك ، فتجعلك بين لفظة و لفظة ، انساناً تكادصفات الكمال تكتمل فيه، لكن تحولك بعد لحظة الى نقيضه ؟

أتعرفهاتلكالتي تبث فيك من سموم البغض والحقدوالتشاؤم ما يحيرك ويزهدك ، ثم تنشر فيك من اريج الحياة وطيوبها ،ومن شذا احلامها واوهامها ، ما ينقذك من شر تلك السموم ؟

أتعرفها من إن قال عقلك : لا ، قالت هي : لِمَ لا ؟ واخذت تنشر فيك عللاً ودلائل تنفي صوابها وتبين ضلال العقل في سلوكه سبيلها ؟

أتعرفها تلك التي إن جست خفقة القلب ، ولحظت منه افتة ، سلطت عليه من اشعتها اشعة تتفجرمن خلالها الغرائز ، فمرة ينبعث شعاع البصيرة والالهام ، ومرة شعاع الغيظ والكراهية ، ثم مرة شعاع السخط والشهوة وفرط الانانية ؟

أتعرفها تلك التي تلبس عند الاصباح حليها وحلاها ، وتتلون بشعشعة الوانها ، فاذا كان المساء وتأملت افقه وقد خلف الشفق عليه من الوانه اللون الازرق ، تحول بياض الصبح فيها الى زرقة لا تلبث على صفائها برهة ، ثم تكمد وتصير الى سواد يشيع فيها المرارة ؟

أتعرفها تلك التي ان استحسن المنطق فيك شيئاً استقبحته ، وان شاء عقلك تحديد الحدود انطلقت الى ما وراءها، وان ابى القلب الا رحمة ورضى ، ابت الا غضباً وقسوة ؟

أتعرفها تلك التي لا ترضى عن شيء ولو رصع باخوهروالدر، ولا يرضيها شيء بالغاً ما بلغ من الجودة والكمال ؟

أتعرفها من لا تغفل عن العيب مهما تفه وخفي ، ولا تتغاضى عن النقص مهما صغر ودق ؟

أتعرفها معذبتك ومفرحتك ، مهينتك ومعززتك ، مؤنستك ومؤلمتك ، ومبعث كل ما يتنازعك من الم ولذة ؟

أتعرف من هي التي تجعل من شخصك الفرد جملة اشخاص ، يختلفون فيما بينهم ، فيتنافرون ويتناقضون ، ويثور بعضهم على بعض ، حتى يقوم فيهم من يخمد لهب الثورة ، ويسوي النزاع بينهم ؟

أفلا تعرفها تلك التي ان عفوت عن شيء ، قالت : لِمَ عفوت؟ وان رغبت عن شيء ، رغبتك فيه بمختلف المغريات . فاذا طاوعتها وسعيت اليه وراءها ، انصرفت عنك وتركتك وحدك تتخبط وسط خضم من الهواجس واللواعج والالام، ولا ينقذك منه الا قوة المقاومة الطبيعية التي فيك ؟

أتعرفها تلك التي تخفق بين جنبيك ، وتتمشى بين اضلاعك واوصالك ، وترتعد وتهتز في جملة اعضائك ، وتنبض في كل عرق من عروقك ؟

هي جماع شخصيتك وكيانك، وحجةفرديتك وانانيتك

هي تلك التي لا تجدها ما لم تفقدها ، ولا تعرفها ما لم تجهلها ، وهل من سبيل ان تجد نفسك ان فقدت نفسك ، وان تعرفها ان جهلتها ؟

يا ويلك منها، ويا ويلها منك ! ويا ويلكما من الحياة ،وياويل الحياة منكما !!

ملك وشيطان، نبل وضعة، قوة وضعف ، طيبة وخبث ، ثم عبقرية وخمول : تلك هي العناصر التي يتكون منها ما يجيش مع الحياة فيك ويختلج ، وقد دعوه نفساً !!

دمشق

فلك طرزي

الداليـــــة العاقر

بقلم الياس خليل زخريا

هذه دالية عاقر، زرعها جار : منذ اعوام، تحت، في الجنينة بحافة الحوض فشبت عجلا وتطاولت عنقها ، واعترشت المسامير الخشبية المركزة فوق في فناء السطح ، ومرت علينا بجانب الشرفة الجنوبية ، مشمخرة لا تعطي ولا تأخذ .... تظنها وهي تحمل جذعها النحيل وانت لاترى عباب اغصانها، شجرة ثمرة مخصاباً تتهدل زهوا بعناقيدها على دوالي الحي من عقب السطوح العالية ..

ويضيفنا الموسم فنخرج نحن والجيران الى مشارف الدار ونتفيأ في عريش الدالية، ونفتش عن خصلة حصرم ، او حبة عنب، فلا نجد الا الورق العريض والمواعة المترقرقة .

غريب امرها فهي كما يقول جارنا لم تعقد يوما . موسمها نضارة وغنو، وشلح اغياء، وعصافير الدوري .

ونسأله بدهشة، لم لا يقطعها حطبا، ومن تراه يقتني كرمة عاقرا ذات اغياء ثقيلة، وهواء ثقيل وحشات ورق يملأ الحي غبارا . فيؤكد لك انه يسمدها بيده، ويسقيها بيده، وبنقيها بيده، ويركز، قبل الشتاء ، مساميرها، فهي أحب اشجار الجنينة عنده ... وتضحك بدهشة ، فيؤكد لك مرة ثانية ان احب الاغراس اليه غرسة لا تثمر ، لان المثمرة عنده اخت المنتحرة، وصاحبنا يكره الذوبان والتفاني وهو يتمنى لو غار خير نفسه كله في نفسه كما تغور احلام عناقيد تلك الدالية في عروقها خوفا من شفاه الفصول النهمة .

وعنده ان الخلق اغراء واغواء وضعف وحيلة فاشلة مع الموت وان العقر شجاعة قاسية وايمان عميق وبطولة جبارة .

الشجرة، الشجرة، هي التي تعزأ بالمنجل والمعول ، وان خبأت سرها في ضلعها وعاشت في الكتمان ، والعزلة والغيبة ، عيشة البحيرة او النجم الازرق . اما تلك التي شاع ثمرها وعرف طعمه الناس وتكنت بها الفصول والايام فقالوا مثلا : شهر التفاح ويوم الاجاص لنبتة قطعت من قلبها عرق الشوق والشهوة واللهفة السرمدية .

قلت هذا هو الانتحار ... قال سمه انتحارا او بعثا فالمهم ان ينال التراب في عمله، والاصول في مصها والساق في تمدده والاغصان في وعيها ، ودفعها، وان اظل انا وحدي اعتقد ان الخير نوع من انواع الشر ، وسر من اسرار لياليه ... وتصورها دنية عاقر تشرب وتمتد وتزهر وتاكل ثمرها ثم تجد في الناس واحدا مثلي يعتني بها ويقدس عرقها وينصب لها المسامير على الاعالي المطلة ويتمنى بالاحياء من هولاء البشر لو يبنون امنياتهم على غرار امنيتها فينامون خرسا على بذرهم ولا يساموها لايدي الشتاء

فوجوه الربيع . لتاخذ غرسة الدوالي كلها منذ قبيل يوم الطوفان ، منذ ابتدأ نوح يكون فلاحا يغرس الكروم ويشرب فيسكر فيتعري فيسرع ابنه الصغير بالخبر الى اخويه فياخذان الرداء على اكتافهما فيمشيان الى الوراء فيستران عورة ابن جدنا فيستيقظ نوح من خمره كما تقول التوراة ويلعن ابنه الصغير ويبارك ولديه الآخرين ....

لتاخذ الدوالي منذ ذلك اليوم ساعة كان المسافر اذا عطش مد يده وملأ طاسه من خوابي الكوثر وساعة كانت عورة الخمرة بنت اللعنة المقدسة تر ان الدالية نبع الشك والظن وان عصير العناقيد وبوح الادنان زيت النفس المجنحة الى العتمة .

... وترغبون بعد في كرمة غراء تفتح لكم ابواب وادي العقيق وتحدو اجنحة الاخيلة والطيوف، وتشق بؤبؤ البصيرة ثم تصحون الصحوة فاذا بالقافلة النفسية في سراب حلم ... ومن يشبع من السراب؟ ان الرمل نفسه وهو يلهث بينابيع الآل يتململ عطشا وحرا .

لا بد للنفس، هذه الغرفة المسمرة، التي غلقت طاقاتها جنيات الليل من كلابة تقتلع المسامير ولا قمها يد السقاء فبنت العنب مخدر الم لا مبرىء عياء ... يجب ان نفتش عن الطريق في غيراقبية الخوابي

قلت ... وبعد ... وهذه الدالية العاقر متى تقطعها ؟؟؟ احتطب يا صديقي فالانتحار، والتأسي عن الانتحار، وابداع الحجة الموهومة لا تشفي العطش، نحن عطاشى فاسقنا يسقك الله .. لعل هذه العاقر التي عرشت بوقاحة على السطوح تغار فتحبل بالعناقيد ....

.. ان من لا يعرف الحيرة ورعشة الضلة لا يعرف اللذة ...

... اثري ... اثري يا عاقر ...

وتناولت منجله وضربت ساقها بقساوة فضحك وضحكت طفاح فجوات الحي . وادركت لاول مرة ان العقل اخو التيه والضلال . ويل للدالية التي لا تعربد فتثمر وإن فجورا ....

اشرب يا جارنا اشرب .

لما نزلنا من فوق المشارف علم جارنا لاول مرة كيف تتمطى الادراج والجدران تحت القدم وكيف تزلق العين من بين الاجفان .

ترى !!! اين هي الدالية العاقر ومن اقتلع اصولها ؟؟؟

الياس خليل زخريا

«ثمالات» : كتاب بعد

الاكتشافات والصدف

بقلم امين الغريب



ولم يزل للعوارض الواقعة صدفة واتفاقاً فضل كبير على اكثر الاختراعات العجيبة والاكتشافات المهمة . بل ندر ان يكون احد الناس قد فكر عمداً في شيء يريد اختراعه او اكتشافه فتم له ذلك .

ان كولمبس نفسه قدّر ان ما كان معروفاً من اليابسة في عهده لم يكن كل اليابسة . بل لا بد من ارض تقع وراء بحر الظلمات . وبعدما افتتح بصحة نظريته بناء على المقاييسات العلمية عمد الى اقناع الملكة ايزابلا والملك فرديناند الاسبانيين . فاقتنعا ورهنت الملكة مجوهراتها لتمويل الحملة الاكتشافية التي ألفها كولمبس من ثلاثة مراكب .

لكنه لما اطال السير في المحيط الاطلنطي يئس من صدق فراسته . وما وطئت قدماه الارض حتى ظن ان هذه هي الجهة الشرقية من الهند الاسيوية . ولذلك دعيت البقاع الاولى التي طرقها في العالم الجديد « الهند الغربية » ودعي البشر الحمر الاصليون الذين رآهم في اميركا « هنوداً » .

فعلى هذا يمكننا عدّ اكتشاف اميركا من بعض الوجوه وليد الصدفة والاتفاق .

في عهد الفينيقيين كان بعض تجارهم المسافرين يحملون على طريق رملية كمية من الصودا . فاستعملوا منها قليلا لايقاد نار يصطلون بها في البرد . واذا بالصودا المشتعلة تمتزج بالرمل وتتألف منهما مادة شفافة لامعة . فكان ذلك مبدأ اختراع الزجاج .

وكان بعض الرحالين في اميركا يوقدون حطباً في غابة . فاشتعلت الارض منها وأطلقت ناراً حمراء شديدة . فكان ذلك مبدأ اكتشاف المناجم المعروفة بالفحم الحجري . وهذا الفحم انما يلقب بالحجري لانه متجمد كالحجر . وليس في الأصل الا نباتاً دفيناً في بطن الارض كرت عليه الدهور فتحوّل الى فحم شديد الصلابة .

وكان اسحق نيوتون العالم الانكليزي منطرحاً على ظهره تحت شجرة تفاح . فسقطت تفاحة منها على انفه . فرعف وقام مذعوراً متكدراً . لكنه لم يكتف بالكدر . ولا تلفظ كالسفهاء بكلمات غير لائقة للتفاح ومن زرعوه . بل اخذ يتساءل لماذا تسقط التفاحة على الارض ولا تذهب صعداً في الفضاء . وقاده التفكير الى اكتشاف ناموس الجاذبية في الكون فوسع بذلك معارف البشر توسيعا مهما .

وكان غليلو الايطالي يصلي في احد كنائس بيزا . فرأى القسم الاعلى من شمعدان يسيل منحرفاً قليلا الى جهة واحدة . فساقه التفكير فيه الى اكتشاف دوران الارض . وكان الناس الى ذلك الحين يحسبونها ثابتة . ولما حجة معارضوه بالقوة الغاشمة وارغموه على التصريح بانه اخطأ في زعمه وان الارض ثابتة صرح لهم بما يريدون . لكنه عند خروجه من بينهم واجتيازه عتبة الباب قال في نفسه « وهي مع ذلك تدور » .

ومشت دجاجة مرة على وحل . ثم مشت على خشبة نظيفة . فحاول صاحب الخشبة ان ينزع الطين عنها . واكتشف بهذا العمل نوعاً من الدهان للتلوين كان المصورون يبحثون عنه منذ زمن بعيد ولا يجدونه .

وكان فران يخبز لوناً من الاطعمة في اناء . فتولاه النعاس واحترقت الطبخة . ولما انتبه تكدر جداً للخسارة . وتكدرت زوجته اكثر واكثر . ولكن بذلك تمكن من اكتشاف نوع من السعوط هو افضل المعروف من هذا الصنف .

واحدث ولد شرير ثقبة في قرص قبعة قاسية . فكان ذلك سببا لايجاد القبعات الطرية للرجال والشيء بالشيء يذكر .

فان ملك الانكليز دخل قاعة عند مباشرة الحضور ترنيم «هللويا» فقاموا اجلالا له . ومن ذلك الحين ما زال الانكليز يقفون عند ابتداء هذه الترنيمة .

ورفع احد الفرسان في الزمن الماضي خوذته عن رأسه امام رجل كان يبارزه دلالة على التسليم فصار الافرنج من ذلك الحين يكشفون الرأس عند التحية .

وكتب عالم رسالة طويلة مثبتاً فيها بحجج كثيرة ان سفر الباخرة من اوروبا الى اميركا مستحيل لاستحالة ايجاد باخرة يتسع جوفها للفحم الذي تحتاج اليه في تلك الرحلة . فارسلت نسخة من هذه الرسالة مع اول باخرة قطعت الاطلنطي .

وحاول طبيب ان يثبت ان عضة الكلب لاتميت . وان الكلب ليس مريضاً . فمات ذلك المسكين بعضة الكلب .

وهكذا الصدف لا تزال عوامل مهمة في الحياة . وقاك الله شرها ايها القارئ . ومتعك بخيرها .

الذكرى السوداء

بقلم الياس ابو شبكة



٢٤ كانون الاول ١٩١١

— لم انم تلك الليلة، فالغبطة كانت تداعب قلبي الطفل وتغمره بوعود كثيرة . فغداً ، غداً يفاجئني المحافظ بان والدي ينتظرني في القاعة ليحملني الى البيت . وفي البيت اجد كل انواع الحلوى تنتظرني . وقد تقع عيناي على ثلاث مجديات او اربع ملقاة على السجادة بجانب المجلس وعلب الحلوى وعفاريت الغرب والشرق .

وغداً ، غداً مساء يصرف والدي الباسل سهرته في البيت تكريماً لطفله العائد من المدرسة ، فوالدي لم يكن يسهر في البيت الا في النادر القليل ، بل لم تكن النهارات والليالي تجده في بلدته الا في اويقات قليلة ، فقد كان من عشاق الابعاد ولا يقيم الا على سفر ، فاليوم في مصر وغداً في لبنان ، اليوم في لبنان وغداً في البرازيل او في استراليا او في الولايات المتحدة او في افريقيا او في السودان او في باريس او في لندن ، على ان ايام الميلاد ورأس السنة يجب ان تشرق عليه في بلدته ايان كان .

لم انم تلك الليلة بل صرفت الساعات انظر من النافذة القائمة بجانب سريري الى الطلة القائمة اتخيل في احشائها احراج الصنوبر



المنحدرة حتى مهوى بلدتي ، والصقيع المغطى دروبها الوادعة وسطوح البيوت والاديرة . وكثيراً ما انفذ الى البيت فاطوفه غرفة غرفة ، وانسل الى مرقدي امي وابي فابني في عينيها من الاحلام العذبة العشاش الذهبية القائمة في مخيلتي البريئة ، وانقل اليهم كل ما في هذه المخيلة من متاع الطفولة .

ولما انتصف الليل شاهدت شبح المحافظ ينسل من مقصورته البيضاء ويقف في قلب المرقد ويصفق ثلاثا ، فنهضنا جميعاً دفعة واحدة كأننا لم نكن راقدين ... ولما دخلنا الى الكنيسة المشتعلة خيّل اليّ اني داخل السماء . فقد كانت المذابح مزوّدة بالاطفال وكلها تمثل الطفل العظيم ، وعلى هذه الدمى المقدسة تتراءى سنابل من النور كأحلامي الذهبية .

كان الليل من ذهب والنهار من ثلج .

وفي الصباح جاء والدي مشرق الصورة فرأيت في ابتسامته البيضاء رمزاً للأب «نوئيل» . وهل كان « بابا نوئيل » غير والدي؟ فهذا الخروف، الخروف الملتف بفروته القطنية، المبطّن بالحلوى ، الناظر بعينيه البريئتين الى ما حوله من طرف الدمى في هذه الواجهة الضاحكة ، من يشتريه غير والدي ؟ وهذا الدب الملتحف صوفه الاشهب ، المحدق اليّ بنظراته العقربية المخيفة ، المحتل اظهر مكان في هذه الواجهة من يشتريه لي غير والدي ؟ والاب « نوئيل » نفسه ، هذا الشيخ السماوي الضاحك في لحيته البيضاء ، الحامل على ظهره كل ما ابدعته المخيلة من الدمى والحلوى ، من يشتريه لي غير والدي ، بابا نوئيل؟

المجد لله في العلى . وعلى الارض السلام ، وفي الناس المسرة .



٢٥ كانون الاول ١٩١٣ — في صباح ذلك اليوم دعيت الى غرفة كاهن جليل ، رحمه الله ، فقال لي وهو يبتسم ابتسامة كئيبة غامضة « سأحل اليوم محل والدك يا بني . » ولا ازال الى اليوم اشعر بتلك الرعشة الموجعة التي اشاعتها هذه الجملة في جسمي ، فقد أحسست في تلك اللحظة بان حياتي انتقلت من طور الى طور ، ولا اعلم اية فطرة ألهمتني الحقيقة فرأيت وجه والدي يتوارى الى الابد . على اني لم انبس بكلمة وتبعت الكاهن الجليل الى المركبة .



وفيما نحن في الطريق قال لي « والدك مريض » فلم اجب . وبعد هنيهة قال « اتحب والدك . » فبقيت صامتاً . وكأنه شعر بما في نفسي فقال متشجعاً « والدك في السماء . » فاجهشت في البكاء .

ومرت الايام وتلتهـا الايام . سواد حالك في البيت ، وسواد حالك في نفسي .

نحن اليوم في الخامس والعشرين من العام ١٩١٧ — لم يتبدل وجه الطبيعة ، فالسماء غائمة كعادتها ، والارض كعادتها عليهـا قشيرة بيضاء . على ان الحوانيت تجهم وجهها الضاحك ، فلا دمية فيها ولا حلوى .

والاطفال اصبحوا شيوخا بأعين بلهاء ، اجمل دمية فيهـا هي كسرة من الذرة ، واشهى حلوى ابتسامة من فم سعيد .

فقرت الحياة وغني الموت .

والمذود صار قبراً ، فالبؤس العظيم هدم الطفل العظيم ومحاه .

وهدايا العيد . . هذه الجيف البشرية سقطت في ساحة الجوع ، يحملها ابناء القنوط الى القبر ، ولا يرف عليها شرف ولا خيال .



والحب . . صار عاهراً : كانت القبلة تعقد على مذبح الخيال ، فصارت تشرى بما يصد عن الحياة ساعة من غارة الموت .

وبابا نوئيل . . صار هيكلاً من العظام ذا جناحين معضلين يحمل بيده منجلاً وعلى ظهره توابيت .

المجد لله في العلى ، وعلى الارض برك من الدم سوداء ،

وهبت من الغرب رياح نائرة بددت في الشرق اخيلة الجناح الرجيم ، فبرزت ازهار الامل تضحك في الاودية والربى ، وقهقهت الغبطة حتى في الكوخ ، واتلعت حتى البنفسجة الوديعة عنقها تحاول ان تخلع عنها الحياء القديم .

وكبر كان ملت احشاؤه ضغط الحمم انفجرت الحياة بكل ما في احشائها من المخزونات ، فذابت تقاليد العائلة وانسربت الى مهوى سحيق ، وخشي الناس وجه الماضي لهوله فمحوه ، وسئموا الالم فطلبوا اللذة وشقوا لها دروبا .

وجائت اللذة فرساً جموحا فبذلت الاعراض مواطىء لحوافرها وسخرت اصهلها الاذان ، وفي موكب هذه اللذة مشى حتى مذود الطفل وحتى بابا نوئيل .

فالمذود صار خمارة !

وبابا نوئيل . . تحول الى امرأة عارية الفخذين في فمها شهوة ، وفي عينيهـا نداء ، وعلى كتفيها فروة بيضاء تغطي نصف كتفيها .

والاطفال أصبحوا مسوخا ، ألعابهم دبابات ، واذرعهم قصبات معطوبة .

والآباء . . يحيون ذكرى مولد الحب العظيم في كهف الحب الفاجر !

نحن الان في ليل الرابع والعشرين من كانون الاول ١٩٤١ . الاجراس تقرع في مغارة الطفل ، والسماء صاحية ، ولكن نجمة المجوس منطفئة . .

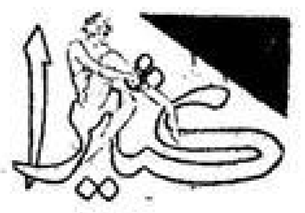
المجد لله في العلى ! . .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زهرة تتفتح

بقلم منير النصولي
استاذ التربية في كلية المقاصد الاسلامية



ما نتساءل : لو رجعنا الى السنة الاولى من عهد الطفولة ، هل يمكننا ان نعتقد انها خصصت فقط لاغناء القناة الهضمية عند الطفل ؟ . . كلا بل انا بالعكس ممن يؤمنون بلوحة الشهور الاولى الحاسمة ، تلك الالة المسجلة المدهشة التي تعدنا لسن الرشد .

انظروا الى طفل مرت عليه بضعة ايام وهو في سريره ، تراه يرتعش عندما يطبق الباب ، ويلتفت حينما يتكلم احد بالقرب منه . كم كنا نود ان تكون بذرة فكره صحيحة سليمة وان تهيء له العادات المنتظمة اعصاباً متينة ! وكم كنا نود ان ينام في غرفة يسودها السكون ، ويخيم عليها النظام ! وان يستنشق الهواء النقي ، وان يسمع الانغام الرخيمة ، وان ينظر الى الالوان اللطيفة ! .

نحن نكتفي بتفاسير ناقصة ، حينما نريد ان نجيب على الاسئلة التي تنتاب فكر صغارنا . ولكني متأكد من اننا لو سمعنا المثل التالي ، لاستنتجنا منه مغزى عظيم الفائدة :

كان لطفل صغير مرضعة الزامية ، وقد دامت هذه تخاطبه مدة سنتين بلهجتها المعروفة « تعال يا نونو » ، « كيف حالك يا نونو ؟ » . تأخر الطفل عن النطق ، فذهبت المرضعة وحل محلها واحدة من الاوفونيا ، وعندما بدأ الطفل بالتكلم ، كانت لهجته الزامية .

ارأيتم كل ما حصل ، دون ان يتمكن الوالدان من ادراك ذلك ؟ . كم من المرات تسمع الامهات تطرح هذا السؤال : « هل يتكلم صغيرك ؟ » – نعم ، هو لا يقول شيئاً ، لكنه يفهم كل شيء ، ويعرف كيف يفهم ما يفكره . »

كم من الاطفال يتأخرون سنة او سنتين ، وبعد ذلك يتكلمون فجاة بسرعة تدل على عمل التهيئة الذي تم في ادمغتهم الصغيرة . انتم لا تعلمون اذا كان الطفل يفكر في الشهر الثالث من عمره ، ولكنكم متأكدون من انه يفكر عند ما يدرك عامه الاول . متى حصل هذا الانتقال ؟ لم يشعر به احد .

ينكشف الطفل في كل يوم عن صورة جديدة ، لم نكن ننتظرها ، وذلك لان له منذ البدء شخصيته وطريقته في التفكير ، ولا اظنكم تضحكون اذا قلت لكم ان طفلا في الشهر الخامس من عمره ، بل اصغر سناً ، هو بحاجة الى امور روحية .

اعرف طفلة صغيرة سافرت كثيرا وهي في اشهرها الاولى ، ولم تتألم مطلقاً من اعصابها بفضل التحفظ الذى اتخذه اهلها ، اذ كانوا يعدونها دائماً في عربة مخططة بمربعات زرقاء وبيضاء ، بوسعهم ان ينصبوها في القطار وعلى الباخرة وفي كل مكان تكون فيه الطفلة . وهكذا كانت الصغيرة تجد نفسها في محيط الفته ، فلا تضام من التبدل الدائم في حياتها ، بل تتابع بهدوء عيشاً افقه ازرق وابيض .

ان العادة التي تقضي بعدم حمل الطفل بين الذراعين ، بل بتركه هادئاً في سريره لهي عادة ممتازة ، لكن من الضروري ان نشغل الطفل اذا اردنا ان ينموا نموا منسجماً .

لنضع ورقة ملونة في اعلى السرير ، ها هما عيناه تعلقان بهذا الشيء الجديد الذي يثير اهتمامه .

اما سمعتم بعضهم يقول : « لقد تأخر صغيري في نموه ، هو لا يقبض بيده على شيء .

ذلك لاننا لم نضع باكرا بعض الامتعة في متناول يده ليقوم بهذه العملية الصعبة – اولى الحركات التي تتطلب ذكاء – ويتناقل الاشياء من يد الى اخرى .

لعلكم تعجبون اذا قلت لكم ان والد الحكيم الفرنسي « مونتين » كان يوقظ ابنه على نغم الموسيقى : ولا داعي الى العجب فكلما كان الانسان صغيرا كلما كان لنوع ايقاظه اهميته : ان اليقظة المزعجة تفسد جزءاً كبيرا من مخ الانسان .

حقاً ان الفكر لا يصبح نهرا دفعة واحدة ، واغلبه ينابيع ، واذا ما اردنا ان نصارح انفسنا يسرنا مظهر هذه الينابيع .

لقد طبعنا على الخوف منذ نشأتنا : نخاف تلك الفظاظة التي ينتزعوننا بها من نومنا الهادىء واحلامنا اللذيذة ، نخاف تلك الفظاظة التي بها يدخلون الى آذاننا ضوضاء الاصوات ، والى اعيننا منظر الحركات ، والى ادمغتنا اختلال الجمل .

لاحظنا انه في البدء كان غيرنا يفكر من اجلنا ، لكنه لم يكن لبقاً في طريقته : اسمعه يقول :

« ان تلمس هذا يأكلك الغول : « هكذا تكون العناية بنا ! ان اول فكرة تمنحنا اياها البشرية هي الكذب – وعليك ان تتدبر ايها الطفل الصغير لتنشئة فكرك .

يلتقط الطفل كل هذا بذاكرته الجديدة ، فترسخ فيها .

تتكون شخصيتنا فيما بعد من كل ذلك : من هذه الفوضى ، وهذه الاشياء الكثيرة المختلفة . ان هذه الافكار العديدة التي تتسابق الينا ، وتعلن عن وجودها ، توقظ فينا افكارا غيرها لا صلة ظاهرة فيما بينها . يجب ان نتبنى هذه الافكار العديدة الحاضرة التي تضم الافكار المنتقلة الينا بواسطة الماضي ، ونكون بها ذاتيتنا .

لقد جرب المربون ، بواسطة اساليب حدائق الاطفال ، بصورة حكيمة ، تهيئة الغذاء الذي يقبل عليه الطفل ، انما المصيبة الكبرى هو عدم وجود « حدائق للوالدين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دعامة البعث في الادب العربي

بقلم كرم ملحم كرم

◆

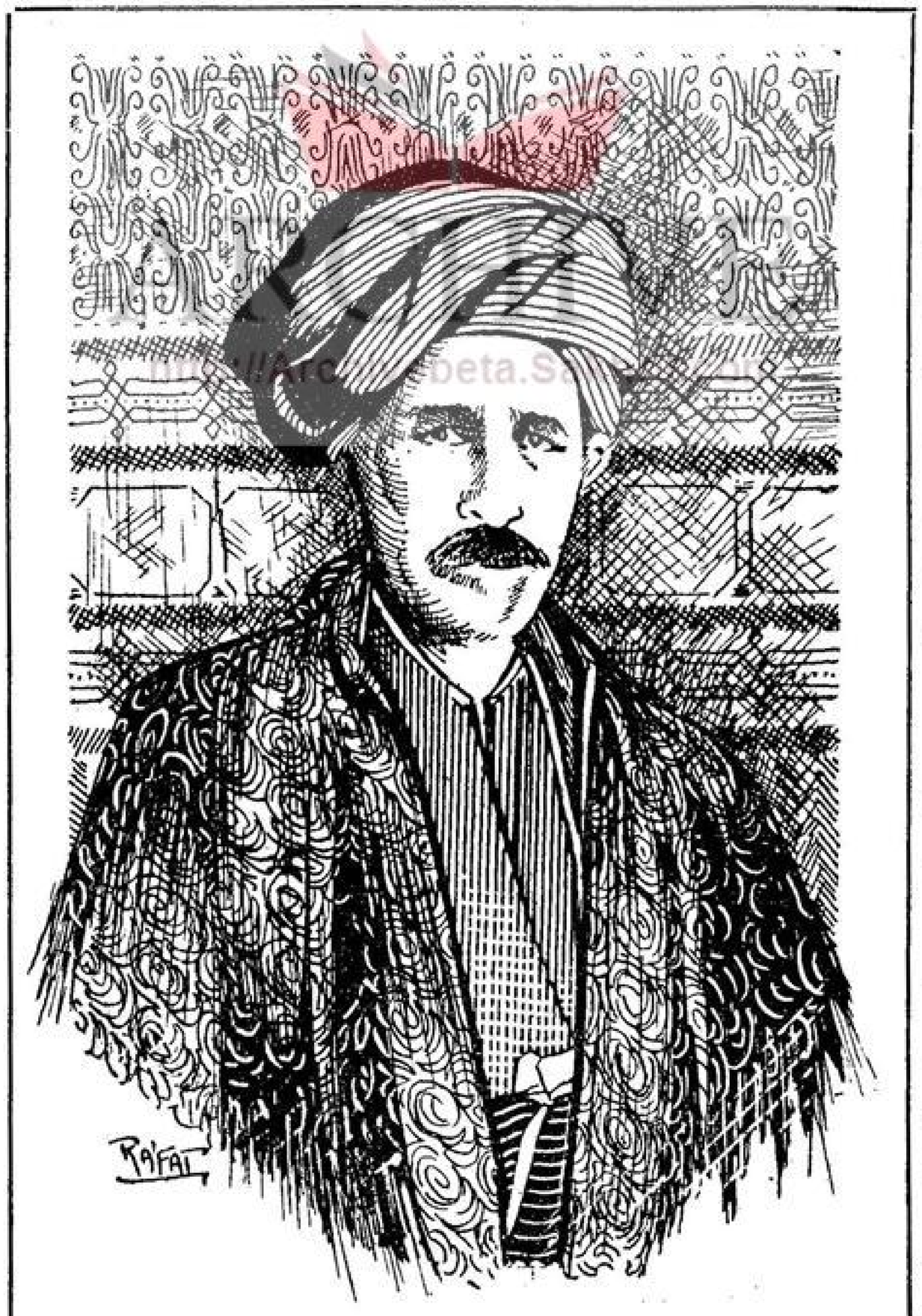
بطلع القرن التاسع عشر على الناس والثورة الفرنسيـة تعن في التثقيف والهداية . فتلتهب شعلة في باريس لتضيء الدنيا على رحبها ، فكأنها اضطرمت لتحرير الدنيا من الجهل والاسترقاق والمذلة .

ولقد استيقظت العقول على مهزة ، وأيقن ذوو الادراك انهم يملكون تفكيراً حراً ، وان للرأي ان يعلن دون ماخشية من فتكة طاغية ، ولا رهبة من عقاب زنيم .

وفي مطلع ذلك العهد ، عهد النور ، انبثقت اياضة في الوسعـة العربية كتب لها المقدور ان تظل على وهج كالمنارة . وهتفت القوابل في وكروديع في كفرشيما ، المنبطحـة في رمال الساحل اللبناني كدمية اتعبتها مكافحة الامواج ، ان الشيخ عبدالله اليازجي رزق غلاماً ميمون الطلعة . وسئل الاب عن اسم يخلعه على الوليد فتمتمت شفتـاه في نشوة الغبطة : نصيف ! »

ولم يكن القرن التاسع عشر قد حبا من عشه . فهو لا يزال حديث العهد بالانفاس يطلقها على مدى ، وبالنور ترف فيه اهدابه وتنغمس عيناه . فالتاريخ لا يـبرح يكتب مجاليه في الصفحـة الخامسة والعشرين من شهر اذار لسنة الف وثمانمائة من عهد المسيح .

وآل اليازجي من حمص يدينون بالمذهب الارثوذكسي . ويمّم في اواخر القرن السابع عشر فريق منهم لبنان ينعم بطيب هوائه وسيل مائه . والظافر في لبنان من يعصمه منصب ويحتمي في ظل الولاة . ولقد انتجع احد اليـازجيين في منتصف القرن الثامن عشر عمال الدولة العثمانية فوكلوا اليه امر المكاتبات في دواوينهم . ومن المأثور عن اليازجيين جمال الخط على وشي وتنميق ، مما خلع عليهم لقب « اليازجي » وهو في اللغة التركية الكاتب . وتوالوا في الدواوين ، الابن بعد ابيه ، وانتهى بهم المطاف الى كفرشيما وقد جهروا بمذهب الروم الكاثوليك .



الشيخ ناصيف اليازجي

وما استقروا في كفرشيما الا والقرن الثامن عشر على وشك الذبول . فمـال والد الشيخ نصيف ، وهو عبدالله بن نصيف بن جنبلاط اليازجي الى ممارسة الطب لكسب قوته وقوت عيلته . وفن الطب انتقل اليه من رهبان الشوير ، والبلاد العربية تخلو من معاهد للطب ينهل منهـا يومذاك الطلاب رشفات العلم ، فالممارسة مصدر كل فـن وحرفة . وبلغ عبدالله من حرفته مبلغ الحذق ، فشاقه ان يقتفي ابنه ناصيف خطاه ، وان ينصرف الى التطبيب يضمن به مقامه ومعاشه .

فالطبيب ، هذا العـالم باسرار الجسد ، المنكب على الاسقام يبريها ، ملك لدى الناس شأناً رفيعاً واحترامـاً

وازناً . وعبدالله اليازجي خبر الامر بنفسه وهو يحترف الفن، فلماذا لا يرث ابنه نصيف عنه حرفته ، فيعيش في وفر واجلال ؟ .

وجزم وأبرم . نصيف سيكون طبيبا يجتث الدا . ويشفي الآلام . واعده ابوه لعلم الادوا . بيد ان الفتى أدركته ، وهو يأخذ الطب عن ابيه ، حرفة الادب . ونشأ على غرار اسرته في جودة الخط وزخرفته . فنظم الشعر وهو يحمل المبضع . وجلس في حلقة الزجل يطرب المسامع فيما يداوي الاجساد .

وأبوه لم يكن غريباً عن الزجل والشعر . ومن هو الغريب في لبنان عن الادب ، متعة النفس ، وكل ما في لبنان يهيج الحس ويجنح العاطفة ؟ . . فالحارث في حقله ينشدك الشعر ويروي اخبار الزجالين ونوادرهم . والقروي في اعالي الصرود يغني ويعطيك ، وهو لا يدري معجزات البيان . والراعي فيما يقود مواشيه الى المروج والادغال يطالعك بانفس المعاني في اصح الاوزان . أفلا يكون نصيف اليازجي ، ابن لبنان ، وقد نشأ في بيت نبض بالعلم والادب ، شاعراً يتذوق ثمار الخيال وذوب الاحساس ؟ .

وتأدب الفتى على القس متى الشبابي . ولمس فيه مؤدبه الميل الى الادب وقرض الشعر فاضرم فيه الجذوة المتحفزة . وحدثه عن فحول الادب في ذلك الحين وما بلغوا من سؤدد ومجد . ولم تبرح قصائد القس حنانيا منير ومقاماته طرية المجس ، طنانة الصدى ، فهي حديث الناس . فأقبل عليها ابن الشيخ عبدالله اليازجي يحفظها ويرويها . وحفظ للقس حنانيا قصائد من الزجل وهي بضاعة ملأت يومذاك لبنان وقد تدفقت غزيرة كسيوله ، عذبة كمائه . ورأى الفتى مرأى العين الحظوة الناعم بها نقولا الترك وبطرس كرامه لدى الشهابي المقدام ، الامير بشير الثاني ، فحدثته النفس بان يكون في ديوان ابي سعدى يتمتع بمثل جاه الشاعرين ونفوذهما الوطيد الركن ، البعيد الاثر .

ولن يكون ذلك الاديب المرموق ان هو لم يتقن لغة قومه . فاتقنها بمطالعة خيرة المؤلفين . واذا مسته الحاجة الى كتاب ضاقت به يده بحث عنه في الاديار وجاء به ينسخه بخطه الجلي القسيم . فنسخ القرآن ، وديوان المتنبي ، ومقامات الحريري ، ومؤلفات القس حنانيا منير ، وقبيلا من نظم العهود المنسلخة والاخذة بالانسلاخ . وحفظ كل ما نسخ لا تفوته منه كلمة وهو الايد الحافظة ، النقي الذهن .

وما توانى في ما اراده عليه ابوه . دعاه الى التطبيب وهو ذلك الطبيب . الا انه طبيب شاعر وقد جمع اصول الطب في ارجوزة « الحجر الكريم في اصول الطب القديم » . ولم يكن بد من هذا السجع في العنوان وروح العصر يقتضيه .

وحفظ نصيف التواريخ وكاد يكون فيها حجة وقمة . وشاقته الموسيقى ، والشاعر يميل الى الطرب ، فزاولها وألم بها ، غير ان صوته خانه في ادائها فصدف عنها مكرهاً أسيفا .

وجرى فيه الشعر على سماحة الطبع وسلاسة الفطرة . فلم يكن متكلفاً ولا نحاتاً كأنه على ينبوع سلسال . ولقد تحفز للنظم وهو لا يعدو العاشرة . وران فيه الادب على الطب فطمع في ان يبلغ من زمنه ما بلغ الترك وكرامه . هذا هدفه . يريد ان يكون كاتباً في ديوان ! .

وتبسمت له هذه الامنية لدى البطريرك اغناطيوس راعي الروم الكاثوليك ، ولكن أين جاه البطريرك من جاه الامير بشير ؟ . .

فأقام لدى صاحب الغبطة سنتين ثم عاد الى كفرشيما يكتب وينظم . فالشعر الصافي بدأ يجيش في نفس الشاعر الرجيل .

وانطوت نفسه على حنين الى بيت الدين مثوى الشهابي الضخم وفي الرابعة والعشرين من عمره جنح به حنينه الى الاشادة بفضل الامير . وكان الشهابي قد ظفر بالشيخ بشير جنبلاط ولوى شكيمة الثورة المستفحلة في الشوف فأنشده اليازجي :

يهنيك يهنيك هذا النصر والظفر فانعم اذن انت بل فلتنعم البشر

فاطمأنت نفس الامير وسر بالفتى النجيب . على ان الامنية لم تنعم بالجاوة . فقعد نصيف على نارها اربع سنوات يصلى بحرقتها . ولم يصبر على طول الحرمان فطفر الى بيت الدين يحادث في امره الترك وكرامه . فشفعا فيه لدى الامير واحتل مقامه في ديوان سيد لبنان .

وبقي نصيف في خدمة الشهابي اثنتي عشرة سنة ، من ١٨٢٨ الى ١٨٤٠ يوم دعي الامير الى استانبول يلقى فيها مغبة نصرته لابراهيم باشا المصري على الدولة العثمانية . فانخلع الشيخ نصيف عن بيت الدين ولم تطب له السكنى في كفرشيما ، فاعتصم وعيلته ببيروت يبحث فيها عن موارد رزقه ويطلق في جوها مواهبه الفائرة .

واين موارد رزقه ؟ . . في التعليم . وكانت ريح العلم في مطلع هبوبها . فالمطبعة عرفت طريقها الى الشرق وراجت سوقها على مباراة وزحام . مصر تنافسنا بمطبعة بولاق وكتبها . والامير كان واليسوعيون ينافسون بعضهم بعضاً في طبع التوراة والاناجيل وكتب العلم . والى من تتجه الانظار في السبق ؟ . . الى فارس يجلي في المضمار . ولقد اتجهت الى الشيخ نصيف رجل الساعة . على ان

الشيخ تولى التعليم في المعهد الوطني لمنشئه المعلم بطرس البستاني صاحب « محيط المحيط » ، وفي المعهد البطريركي للروم الكاثوليك . ونهج نهج ابن مالك في ألفيته فجمع الصرف والنحو في ارجوزتين «الجمانة في شرح الخزانة » و « نار القرى في جوف الفرى » . وتمددت تآليفه في هذا المنحى فأنشأ ارجوزته «لمحة الطرف في اصول الصرف» ومختصراً نحوياً نثراً هو « طوق الحمامة » وارجوزة « الباب في اصول الاعراب » ، وانتهى الى كتابة « فصل الخطاب في اصول الاعراب» وقد جمعه نثراً ، وهو فصل الخطاب حقا في الصرف والنحو .

فتعاظمت مكانة الشيخ . ولم يجد الامير كيون لهم عنه غنية . فدلفوا اليه يستعينون بمواهبه على النهوض بمستوى اللغة العربية في معهدهم . وأصابوا من تفوقه اللغوي حاجتهم بان عرضوا عليه ترجمة الكتاب المقدس ينظر فيها ، مع ان ثلاثة تظاهروا عليها ، عالي سميث وفانديك وبطرس البستاني .

ولكن الشيخ ما اشتفى . ففي نفسه اشياء . لقد لجت به معجزة اللغوية في صوغها بمظهر اوفى لمعانٍ وأقرب ملمساً . وكيف يجلوها ؟ . بالمقامات . فلن يكون القس حنانيا منير ونقولا الترك أطول منه باعاً . وشمّر عن ساعديه . واهتدى بهدي الهمذاني والحريري . وما انثنى الا وهو يطوي ستين مقامة حفل بها « مجمع البحرين » .

بل ان للمقامات حكاية اوفر نضرة وطرافة . فالشيخ نصيف بانحداره الى بيروت ضمته الجمعية السورية اليها . وهي عصبة من رجال القلم والفكر والفضل تعوّدت ان تطلع على الناس بنشرات تختلج بالحكمة والادب والعلم . فنفحها اليازجي بمقامته «العقيقية» فلقيت الاعجاب والاستحسان ودعي كاتبها الى المضي في هذا الطريق الصعب المرتقى ، الريان الختام .

و « مجمع البشرين » — ولا جدال — كتاب القرن التاسع عشر في الادب العربي فكأنه عنوانه الاوحد وثمرته الاوفى نضجاً والاطيب عصيراً . انه لحجر الزاوية في البعث وليس من كتاب يضارعه في قوته وجدواه . فالبعث قام حقاً عليه . ولا عبرة بالقول ان الهمذاني والحريري بلغا المنتهى ، وان التابع يقصر عن اللحاق . فالهمذاني سبق الحريري في العهد ، فهل كسفه ؟ . . وابن دريد كاد يسبق الجميع ، فأي نجم أطفأ ؟ . . ثم ان اللغة في بعثها بحاجة الى قلم ثريّ بالالفاظ يشيد دعائمها ، فلم تجد غنى عن ساعد الشيخ نصيف تستند اليه وهي تمزق عنها الكفن ، وتتشوق الى التمتع بالنضارة وطيب الحياة .

واحتفى علماء اللغة والادب وجبل الشعراء امام الموهبة المتلألئة . فأحسوا منها الفتح والابداع . واستوى الشيخ نصيف على اريكة الامامة وبات نظيمه ونثيره قبلة وهدفاً . فكاتبه العلماء من كل فج وصقع ، وساجله الشعراء . وسمع به المستشرقون فتبادلوا واياه الكتب ، وطلبوا اليه موافاتهم بارائه ومقالاته . فأجابهم بهمة من اوتي رحابة الجلد وسعة العرفان . وفي رسالته الى المستشرق « ده ساسي » دليل ناصع على بسطة علمه ونفاذ بصيرته .

وأضحى قطب اللغة والادب في زمنه . هو المصدر والمرجع . وهام بالبيان فادناه من الفهم في عقد « الجمان » ولف « الجامعة » على علم القوافي والعروض . وطبع ثلاثة دواوين من الشعر هي : « نفحة الريحان » و « ثالث القمرين » و « فاكهة الندماء » . والديوان الاخير عرض فيه اليازجي مساجلاته وادباء العصر .

ومنزلة الرجل في ايامه تنبيء بها السطور النابضة في هذه الصفحات . وانطباعه على الشعر جعل احياناً من القريض رؤيا ترتسم في اجفانه المغمضة وهو ضجيع السرير فيهب من نومته ويكتب في الورق ما انزل في عينيه الوحي من رصائع المعاني والالفاظ .

فالشيخ نصيف خاض بحور الادب على انوائها وغوارب امواجها وأمن الغرق . والربان الماهر لا يحفل بالخضم في ازباده او سكونه . فانه ليدفع السفينة الى محجة الامان على طمأنينة رحبة وثقة غلابة . واليازجي علا في نثره وشعره وعلمه . فشبب ، ووصف ، ومدح ، ورثى ، وهدى بشعر جارى فيه ابا الطيب . وهو وان لم يبلغ سمو ابي الطيب فلم يتقهقر عن مراكز المبدعين . ولقد تلاعب بهذا الشعر كأنه ملكه . وماشاه القريض كأنه طوع يمينه . فأقامه الشيخ وأقعده ، ولواه وطواه . ونزع منه عيونه فأبصر . وجاد عليه بها فاضاء ، وقد تقاذفه بين مهمل ومعجم . فان تقرأ هذا الشعر شطراً شطراً وقعت في كل شطر على تاريخ . واذا جمعت اوائله حرفاً حرفاً وقفت امام ابيات من الشعر . واذا انشدته من اوله قرأت شعراً . وان تبدأ انشاده من ذيله راعك الشعر . فالصنعة فسحت لها طريقا الى منظوم اليازجي . ولكنها صنعة دعا اليها حب التفوق ، لا جفاء الطبع السميح . ومع محاولتها لم يخرج شعر الشيخ نصيف عن سلاسته ، الا انه جهد مهدور قضت به روح العصر السائد ، ونزوة الغلبة المستعره بها انفاس الموهوبين .

***

لم ترفق الايام بالشيخ نصيف في زمنه الاخير . فأقعده الفالج نحواً من سنتين في السرير وكان قد بلغ التاسعة والستين . وقبل

موته باسابيع شاهد حبيباً ابنه البكر في قبضة الموت · فانطفأ في ٨ شباط ١٨٧١ لوعة على «حبيبه» وهو يبكيه بمرثاة لم يتمها وقد عصب جبينها بقوله :

ذهب الحبيب فيا حشاشة ذوبي أسفاً عليه ويا دموع أجيبي

ورفاته يستظل افياء مقبرة الروم الكاثوليك في محلة الزيتونة في بيروت · ونقش في رخام الضريح تاريخ وفاته ابنه الشيخ ابراهيم · على ان الدولة العثمانية أبت في البدء نقش التاريخ وقد نعت الابن اباه بعلم الهدى · ثم رضيت بعد سنة عن النعت واجازت النقش والحفر ·

وابناء الشيخ نصيف ثلاثة : حبيب وخليل وابراهيم ، كلهم ساهم في النهضة الحامل مشعلها ابوه ، حتى ان ابنته ورده استنارت بقبس الاب ودرجت في رحاب أدبه النضيد · وابنه ابراهيم خلفه في امامة الادب ، فلم يكن يجيز ان تقال في ابيه كلمة تند عن الطبع السوي · وتعصبه لهذا الادب مال به الى اصلاح كل هفوة منه ، وان سهوا ، تؤخذ عليه · فأعاد النظر في تآليفه ، وشرح بعضها واختصر بعضها · وأتم شرح ديوان المتنبي ، وكان قد بدأه ابوه ، وعزاه الى ابيه ·

وشدة غيرته على ولي نعمته اهابت به ذات مرة الى الطعن على صديق له روى في مقال كتبه عن عظمة الشيخ نصيف ان اليازجي هام بامرأته ام حبيب · فرمى الشيخ ابراهيم المجتري على هذه الرمية براجم القول · فان اماً ارضعته لبنها لا يتناولها فم حتى بديح · فهي كامرأة القيصر ، بعيدة عن الظن ، ارفع من ان تجيز للسان ان يتفكه بامرها في مقال او حديث !··

وعن نصيف اليازجي اخذ المتأدبون · وسار البعث اشواطاً في الطريق وهو يذكر قطب الدائرة من ارباب الفضل عليه باعجاب الكريم ، واحترام الوفي !··

كرم ملحم كرم

من شعر
للشيخ ناصيف اليازجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اخاف اذا أشار براحتيه لعلمي ان روحي في يديه
ويخفق عند نظرته فؤادي لان سواده من مقلتيه

***

قف بين ريحان العقيق وضاله وقل السلام على العقيق وآله
وقل السلام على المنازل من فتى لم يعمد غير سلامه وسؤآله
ربع وقفت مناديا اطلاله فبليت حتى صرت من اطلاله
قد كان لي صبر كبعض سهوله واليوم لي شوق كبعض جباله

***

حواك وقد حلات بكل قلب فؤآد لم يحل به سواكا
نزلت به على طلل تنـانى ولست بين على طلل تباكى
اطعت العاذلين بقتـل صب يريد القتل لكن عن رضاكا
تعز كرامة ويهون ذلا فتأنف ان يقول دمي فداكا

***

كلنا يبتغي من العيش ضربا وسرور الفتى بما يبتغيه
انما نحن في اختلاف عقول مثلما نحن في اختلاف وجوه
ربما طاب للفتى ما كرهنا وهو منا ، وعاف ما نشتهيه
لو تساوى المذاق لم يك في الد — نيا خسيس ، ولم تقم بالنبيه

الحقيقة الفنية

وحدة المدرسة الانطباعية

توطئة – ترجع النهضة الفنية المعاصرة في العالم الى نسب فرنسي من حيث الفكرة والاخراج اذ تفتحت انوارها على بزوغ فجر القرن العشرين ، وسميت بالمدرسة « السيزانية » نسبة الى مبتدعها الفنان العبقري « بول سيزان » . فقد ولدت في « موغارتر » وترعرعت في عاصمة النور ، وشمل خيرها البشر عامة ، فتهافت الكثيرون من الفنانين غير الفرنسيين على الاخذ بها ، بل ان الكثيرين من هؤلاء الفنانين تركوا بلادهم وضربوا بشهرتهم عرض الحائط ونزلوا في « موغارتر » يلتمسون درس هذا المذهب الجديد في التصوير .



المذهب : كان بول سيزان سنة ١٨٧٠ لا يزال ينتمي الى المدرسة « الانطباعية » وكانت لوحاته المعروضة في مجموعة « كايابوت » في معرض لوكسنبورغ لا تزال معلقة على جدران الجناح الخاص بهذه المدرسة . واننا ملخصون فيما يلي ماينطوي عليه المذهب الانطباعي من المدلولات والاوضاع . فان مقامه من الادب كمقامه من الفن ، ونقصد بالفن ناحيته التصويرية ، ونقصد بالناحية التصويرية فكرتها وطريقة اخراجها « Traitement » وبكلمة واحدة الغرض الفني المعبر عنه على القماش بالالوان والخطوط وانسجامها .

الاركان : ان الفكرة المعبر عنها بالالوان والخطوط ترتكز بمدلولها ، في نظر المذهب الانطباعي ، على ثلاثة اركان . الاول هو الغرض الفني ، ويتناول الفكرة الفنية المجردة عن الالوان والخطوط .



ويلخص تحديد هذا الركن الاساسي بان للفنان كل الحق في ان يصور مادة الجمال كما تبدو له وكما تنطبع في مشاعره دون ان يقيده العقل او يحصره المنطق . فالعقل في رأي الانطباعيين لا يجب ان يتخذ اساساً للوعي الفني ، وانما هي المشاعر والعواطف التي يجب ان تقرر نسبة الجمال في التكوين . لذلك خرجت لوحاتهم وكلها ملأى بالارداف العارية والمشاهد المغرية ، والعيون الجذابة ، تسيل فيها زيوت الشهوات المتنوعة . وكانت هذه البدائع الفنية الشاذة نتيجة حتمية لازمة للجهود التي كان يبذلها المصورون الانطباعيون ، وقد عرفنا ان الوان الجمال في مذهبهم انما ترتكز في حقيقتها على الحس والشعور . وهل كان في ميسورهم ان يفعلوا غير ذلك وهم الذين يدينون بالحس والمشاعر ويخضعون لها ، دون ضابط المنطق ؟

لا عجب والحالة هذه اذا ما ظهرت معروضاتهم الفنية وهي تهمل الناحية الروحية في الجمال ، الا من ناحية واحدة ، هي الناحية التي تستثير الغرائز من اعماقها .

اذن ، فالركن الاول في المذهب الانطباعي هي الفكرة الفنية التي تتناول في مدلولها ، الجمال الحسي والمتعة به ، كأن ليس هناك صبابة روحية في الجمال تستهوينا ، فنقف امام قدسها ومنارة روعتها ، مكبلي الايدي طليقي الارواح ! .

اما الركن الثاني فهو يتناول الخطوط والتصاميم ، ويندمج والفكرة الفنية اندماجاً لا يقبل التجزؤ الا من الوجهة النظرية ، ذلك ان الخطوط والتصاميم انما هي الفكرة الفنية المعبر عنها بالهياكل المجوفة . وما يقال عن الفكرة الفنية يقال ايضاً في الخطوط والتصاميم . ونأخذ مثلا على ذلك الفنان « رنوار » فقد كان هذا المصور ولعاً جداً بالصدور النافرة ، وبالارداف الثقيلة حتى انه لم يختر معشوقاته الا طبقاً لذوقه الخاص هذا . ولذلك نرى ان الكثير من لوحاته العارية قد فقدت انسجام التكوين والسكب بما كان يحرفه ويطويه ويكوزه من الخطوط في الصدور والارداف . فالجمال كما كان يفهمه « رنوار » ويصوره على طريقته كان جمالا متأثراً بانطباعاته الجنسية .

بقي الركن الثالث وهو الالوان او التلوين ، وفي هذا ما يبدو خطل المدرسة الانطباعية في اجلى مظاهره . فانصار هذه المدرسة

يقولون ان اللون امر يرجع فيه الى الذوق الخاص ، وقد عبروا عنه في اصطلاحهم بالذوق الذاتي ، اي عدم التقيد بشرائع النور والانعكاسات والاخيلة وتأثيرها على ابراز الالوان ، فخرجت صورهم صارخة مدللة بالوانها ، او باهتة ناشفة ، او قاتمة دكناء . فبينا نرى لوحاتهم تعكس وجوه الحسان المشرقة ويتفجر الاحساس ينابيع من عيونهن ، اذا بنا نكاد لا نصل في تصفحنا الى ما دون الصدر حتى ندرك النقص المنطقي . فالوجه بجدقتيه يمثل الحرارة الجنسية بالوانها الصارخة ، في حين ان النهدين يتوسدان الصدر كأنهما في ذهول عميق عما ترسله العينان من شرر جنسي . فكأن هذا الوجه لا يمت بقرابة الى الصدر والثديين .

ولقد قصرنا البحث في تحليلنا للمذهب الانطباعي على المرأة فقط ، رغم ان ثمة كثيراً من اللوحات التي تمثل الاحراج والاودية والانهار وغيرها . ذلك ان الانطباعيين استمدوا نظريتهم لا من جسم المرأة فحسب بل من الاحساسات الجنسية التي يبعثها عري المرأة في مخيلة الرجل ، ومتى كان الرجل فناناً فالعياذ بالله ! . .

وهنالك حقيقة اخرى وهي ان النساء الفنانات اللائي اعتنقن المذهب الانطباعي قليلات جداً ، فلم تستطع الا واحدة منهن ان تجعل لاسمها شأناً يذكر واظنها مدام « لافروف » المعروفة بالنمساوية .

اما من بقين فلم يفلحن في مجهودهن الانطباعي وذلك ما يؤيد نظرية « فرويد » القائلة بان المرأة لا يمكنها ان تتخيل اللذة ، لان العرف والعادة جعلاها مقيدة برغبة الرجل التي يفرضها عليها ، فهي ابداً عبدة حاجته وان تكن حرة طليقة في خيالها .

ولهذا يقول « فرويد » ان المرأة تتفهم الجمال الروحي اكثر من الرجل ، وقد جاءت المدرسة السيزانية مؤيدة لرأيه ، اذ ان النساء اللواتي نبغن في ظل هذه المدرسة يفوق عددهن عدد جميع الفنانات اللائي عرفهن التاريخ حتى الحرب الحاضرة .

المدرسة السيزانية : اما المدرسة « السيزانية » فترتكز على اظهار الجمال كما تتفهمه الروح . ولعلنا لا نغالي اذا قلنا ان المذهب الانطباعي هو الاصل الذي تفرعت عنه وتشعبت المذاهب الحديثة في التصوير من حيث الطريقة والاسلوب .

ان المحاولات الفنية التي قام بها الفنان الافرنسي بول سيزان حوالي سنة ١٨٨٠ وبعدها كانت مخالفة في فكرتها الفنية وغرضها التصويري للنظريات الانطباعية التي كانت تسود الاندية الفنية الاوروبية في ذلك الوقت فاستقبحت الاوساط الفنية شذوذه وخروجه عن المألوف ، وعدته مناقضاً لروح الفن . فاضطر اخيراً ان يترك « موغارتر » ويلجأ الى قرية « ايكس ان بروفنس » مسقط رأسه حيث اقام مدة طويلة ولم تزل حياته هناك مجهولة غامضة حتى الان .

وفي ليلة رأس السنة ١٩٠٠ — وكان ذلك قبل موته بست سنوات — ظهر بول سيزان فجأة في الاوساط الفنية الباريزية . فقد قدم يومذاك الى باريز ليعرض في متحفها الفني ما انتجه دماغه وقلبه من الروائع الفنية الحية طيلة انزوائه في قريته .

وهذه الروائع الفنية الخالدة المعلقة على جدران « اللوفر » والتي اخرجها سيزان في « ايكس ان بروفنس » القرية الهادئة الوديعة انما هي القبس الذي ينير سبل الفنانين اليوم في العالم باسره ، بل شمس النهضة الفنية المعاصرة . قال سيزان « انه يريد ان يخرج من اوضاع المدرسة الانطباعية فناً صارخا قويا خالداً يليق بالمتاحف » . وقد وفق بما بذله من الجهود الى تحقيق امنيته هذه .



فالمدرسة السيزانية ترتكز قواعدها على العقل والمنطق اكثر منها على العاطفة او الذوق الشخصي . فهي تقول وتعلم ان ليس ثمة بشاعة مطلقة ولا جمال مطلق وكل ما في الامر ان هناك مظهراً من مظاهر الكمال النسبي او عدمه . فالكمال النسبي من حيث الفكرة انما هو الفكرة الجميلة ، والكمال النسبي من حيث السكب والمقارنة انما هو التكوين الجميل ، والكمال النسبي من حيث الوقع والتأثير انما هو الصوت الجميل . اما العكس فالبشاعة بذاتها .

فالجمال ، على رأيه ، ليس التناسب في التكوين والبناء فقط ، اذ لو صح ذلك لكان التشويه العام الشامل لكل الاعضاء ضرباً من ضروب الجمال ، ولكان عدم التناسب في الهياكل بشاعة وهذا مناقض للمنطق ، فانه في الحالة التي يكون فيها عدم التناسب مفقوداً — اذا صح ان هنالك « عدم تناسب » يعد عدم التناسب هذا نوعا جديداً للتناسب المطلوب . فالجمال اذاً انما يرتكز على شيء فرضي ، فقد حتمت فلسفة الجمال وجوده في باطن النفس البشرية ، وهذا ما نعبر عنه « بالطموح الى الكمال » والكمال والجمال هذان انما هما مترادفان لمعنى واحد يتضمنه كلاهما .

ولما كان الكمال نسبياً من حيث تقريره فان الجمال نسبي ايضاً ، على ان ثمة قاعدة واحدة نستطيع بواسطتها ان نقرر مواطن الجمال ونعينه وهي « قيام الاعضاء بوظائفها الفيسيولوجية » .

فالعضو الجميل جميل لانه كامل في تكوينه ، والكامل في تكوينه من الاعضاء هو القائم بوظيفته الطبيعية منها . فالانف في وجه الزنجي جميل كما انه جميل في وجه الفيل وان اختلفا في النسبة والشكل ، ما دام كل منها يؤدي وظيفة التنفس ويفيها حقها . قد لا يكون الزنجي او الفيل جميلا في نظرك ، ولكن رأيك شخصي ومحدود يتناول دائرتك الصغيرة فقط ولن يتعداها الى الفن، على ان الانثى من الزنوج ترى زنجيها جميلا وكذا الفيلة .

وقد تكون الساق المنسجمة البضة جميلة من حيث ملمسها وسبك بضاضتها ، اذا كان الانسجام والبضاضة يقومان بوظيفتها الفيسيولوجية والبسيكولوجية، ويستثيران في الذكر كوامن الاحساس الجنسي لبقاء النسل واضطراد التنوع في مظاهر الحياة . وهل الجمال الا في طليعة هذه المظاهر ؟



على ان البضاضة والانسجام وحدهما لا يقران الكمال في الساق ، اذ قد تعوق البضاضة الساق في التوائها ، وقد تثقل عليها حركتها الطبيعية اثناء السير او العدو او الرقص . فاذا ما ازدوج العصب والعضل ،ودقة العظم وجودة حبكه ، والبضاضة والانسجام في الساق ، تعين مأخذ النقص فيها ، او موطن الكمال .

وبكلمة موجزة ، ان الناحية الواحدة او الجزء الواحد ، مهما يكن جميلا بذاته من حيث تأدية وظيفته، يظل غير كامل من حيث اغراضه الاخرى ، ولهذا فهو غير جميل . لان الجمال وحدة لا تتجزأ ، ولا تتماثل الواحها في الكائنات الحية وغير الحية ، لا باطناً ولا ظاهراً .

وكل جمال لا تطوف به هالة مشعة من الفكرة التي تفهمنا مضمونه ليس بجمال ، وانما هو لون من الوان الجاذب الجنسي الذي لا يلبث ان يزول بزوال سببه .

فالقيام بالوظائف الفيسيولوجية والبسيكولوجية مع اعتبار البيئة الطبيعية ، والوسط الاجتماعي وما يحدثانه من التطور في تأدية هذه الوظائف تقرر جميعها الجمال .

والجمال على رأي سيزان نوعان : المادي وهو الذي عالجناه في هذا الدرس ، والروحي وهو الذي سنستطرد الكلام عنه . وما قيل في الاول يقال في الثاني ، فالقماشة التي يحاول الفنان ان يحيك عليها بخطوطه والوانه صورة خيالية « روحية » تعبر عن الطهارة العذرية والعفاف لا تكون كاملة (اي جميلة) الا اذا قامت الفتاة العذراء المصورة على القماشة بوظيفتها ، ونعني بذلك ابراز العفة لا الحشمة والطهارة ،ولا تصنعها ، مع عدم اغفال ما يحيط بها من المظاهر وما يكتنفها من الاجواء . فاذا ما وفق هذا الفنان الى ان ينسينا الصدر والردف ونحن نتصفح عرى عذرائه ـ اي انه اذا تمكن من تغليب المتعة العلوية التي نتمثلها في اعماق سريرتنا ، فاستمرت الغريزة الجنسية في اعصابنا وارتفعنا الى مستوى من الخيال والغيبوبة تغشي باصرتنا فتنسينا المادة ، وامسينا سكارى امام صورة عذرائه هذه لا نرى في عريها سوى الطهر والعفة ـ يكون هذا الفنان قد وفق الى ابراز فكرته وفاز بغرضه الفني . لقد كان غرضه الفني اظهار ناحية من نواحي الجمال الروحي ،وهي الظاهرة العذرية في شخصية المرأة الروحية ، فاستخدم جسد المرأة العاري كواسطة فقط لاظهار غرضه، وانسانا ان الفتاة العذراء « شخص تناسلي » ورجع بنا الى الاثر العميق الذي خلدته « العذراء » في ادمغة الفنانين والادباء الموهوبين .

هذا ما نقوله في المدرسة السيزانية من حيث اغراضها الفنية ، وفكرها التصويرية . اما من حيث تحقيق هذه الفكرة واخراجها على الالواح ، فالطريقة لديهم واحدة ، وهي ترتكز على الواقع ، وتتناول الخطوط والتصاميم ، وتحرم على الفنانين تصميم صورهم وتخطيطها دون ان يستقوا خطوطهم وتصاميمهم هذه من انموذج Modèle واقعي ينصبونه امامهم ويتخذون من مجموعه خطوطاً وتصاميم تتفق والغرض الفني الذي يحاولون تحقيقه على الالواح .

فالشجرة العراة المنتصبة فوق الثلوج لا تصلح انموذجاً يتخذه الفنان لتصميم هيكل شجرة اذا كانت غايته من تصويرها تخليد نضارة الربيع، حتى ولو استطاع ان يكسو اطرافها العارية حلة سندسية خضراء ، لان البيئة – وهي الشتاء – قد اثرت في سلسلة تفكيره المنطقية . فانه مهما حاول التجرد عما يحيط بالشجرة من الثلوج، فهو غير قادر على تجاهل الصقيع الماثل مع الشجرة امامه او الغيوم المكفهرة التي تغمرها بل عن منع الالوان من ان تتجمد بين اصابعه . فالواقع بكل ما في الكلمة من معنى ومدلول يجب ان يكون الاساس لكل محاولة فنية . وبعد ، فالفنان حر مطلق الاجنحة ، مطلق الارادة ان يقترح بريشته على الطبيعة ما يراه مفقوداً في الكون من روائع الجمال ومناحي الكمال .

فالفن على رأي سيزان ليس ألهية حقيرة للتسلية، تتلاعب بها الاهواء والامزجة ، وانما هو دراسة منطقية لها غرضها الاسمى ، وهو اظهار ما في الوجود من الروعة والجمال، وافهامه لمن يحس او يعقل من البشر، باسلوب كامل فيه جدة وطرافة وابتداع، لكن فيه ايضاً عبق من مخلفات الماضي .

رأفت

جامعة كمبردج في عام ١٩٤١

« لا تزال الدراسة العالية في البلدان الديمقراطية مستمرة ، رغم ازمة الحرب التي ساخت كثيرا من الطلاب والاساتذة عن حضن الحياة العلمية المطمئنة المنتجة . ومن الطبيعي ان يتشوق قراء « الاديب » الى احاديث طريفة عن تلك الحياة ، كهذا المقال الذي كتبه شاهد عيان عن جامعة كمبردج الانكليزية ، على رجاء ان يتبعه ما يتصل بنا من وصف للحياة المدرسية العالية في غيرها من الجامعات . »

●



ارسلت الشمس خيوطها الناعمة على تلك البقعة العجيبة التي هي حاضرة كمبردج ، فيا للتلاعب والسحر في الوان الاشجار والازهار في حدائقها وعلى جدرانها ! ثم ما لبثت المدينة ان استفاقت فضجت وامتلأت وعاد الطلاب من الحقول وائر الشمس في وجوههم ، فهم آتون لتلقي الدروس بعد ان قاموا في الحقول بما تنتفع به سواعدهم الفتية . ان ستين في المائة من هؤلاء الطلاب في صفوف الجيش ولولا عدد كبير من المدارس اللندنية التي ألحقت بكمبردج لظل كثير من مقاعدها خالياً .

والذى يعجب له من لم يعرف في عهد تلمذته غير « الحي اللاتيني » هو اهتمام المديرين هنا لتوفير راحة الطالب الجسدية والمعنوية ، ثم على هامش الدروس ، ذلك النشاط الغريب في حياة الجامعة .

ولا ينقص شيء من شروط السكن والطعام واللهو ، فلا داعي لان يهتم لها الطالب مطلقاً ، وهـذا يكفل له جوا صالحاً للدرس .

واني اذكر الذين يجهلون كيفية التدريس في انكلترا بأنه يجب على من اراد ان يتبع دروس الجامعة ان يكون قد تخرج من مدرسة قد طلب منه قبل ان يدخلها امتحان القبول .

ويشرف على حياة الجامعة ما هو شبيه بالمجلس الاعلى ، تحت سلطة محافظ ، ويتولى نائب المحافظ الادارة العملية .

وبعد ان يختار الطالب مواده لا يقتصر على تلقي الدروس عن اقدر الاساتذة ، بل يجد في المدرسة اناساً يسدونه النصائح ويرشدونه في دراسته وينعم بمكتبة يمكنه ان يقلب كتبها ، وله من وسائل الراحة المتوفرة في غرفته مساعد كبير على الدرس . فهو في مثل هذا الاستقلال التام يعمل كما شاء بعيدا عن كل ما قد يعوقـه في مهمته .

وفي التدريس توزع العنايات حسب الاختصاص . فالذين يتوجهون شطر العلوم تكون العناية بهم من الناحية العملية ، فتتكرر الاختبارات والارشادات على يد احسن المختبرين الذين يدربون تلامذتهم على كيفية استعمال احدث الالات وادقها .

سألت معـاون المحافظ المستر « بنيانس » عن تأثير حالة الحرب على الدروس فاجاب : « لقد اتخذنا التدابير اللازمة كي لا تتوقف الدروس في بحر السنة . واذا كان يجب ثـلاث سنوات للحصول على رتبة دراسية فقد مهدنا السبيل الى الفحوص للذين يدعوهم واجب الجندية بعد سنتين . ثم ان الاساتذة والموجهين بالمحاضرات لا ينقلون من مناصبهم اذا كانوا قد تجاوزوا سن الثلاثين .

وفي الجيش يلحق ابناء الدور العلمية بوظائف تتناسب ومعارفهم . فان قلم الاستخبارات والجاسوسية تلائم من كانت دراسته ادبية ، ويلحق ذوو الدراسة العلمية بالدوائر الفنية .

ذهبت بعد ذلك الى مدير الدروس الفرنسية في « ترينتي كولج » « هوغ فرازر ستوارت » وسألته عما آلت اليه الدروس الفرنسيـة في هذه الاوقات الصعبة ، فاجابني :

هنالك هم واحد هو ازمة الكتب . فقد اضطررنا الى تنظيم قسم من براجنا حسب الكتب المتوفرة لدينا ، واستعضنا عن النسر الصغير بسبرانو دي برجراك وعن رينان بقصص بورجيه او فوغويه الفلسفية .

وقد افل في هذا الخريف نجم من سماء كمبردج هو العلامة تومسون الذي مات في الثلاثين من آب ، فانه احد الذين وضعوا النظريـات الحديثة في تكوين الذرة وهو المعروف بابي الالكترون ، وان خلفه هو ج . ج . تريفليان استاذ التاريخ الحديث ، حفيد المؤرخ الشهير ماكولي ، وان مؤلفاته عن القرن الثامن عشر وكتابه في سيرة غاريبالدي غنيـة عن التعريف .

ولاول مرة في تاريخ اوكسفورد وكمبردج تعين امرأة استـاذة في الجامعة ، وهذه السيدة هي مس غارود التي اشتهرت باعمالها التنقيبية في فلسطين وسوريا . فقد اسند اليها في الجامعة منبر الاركيولوجيـا او علم الاثار والانتروبولوجيا او علم الانسان . واننا بهذه المناسبـة نتمنى للنساء المديدات اللواتي عهد اليهن اعطاء الدروس او القاء المحاضرات ان يحصل كثير منهن على مثل هذا المنصب الرفيـع .

ولا اختم كلمتي عن كمبردج قبل ان اذكر شيئاً عن الحفاوة التي لقيتها في نيونهام ، وقد قدم لي احسن ما كان يلزمني لاشفالي ، واني اقدر قيمة ذلك الاتصال الذي طالما حصل لي بشبيبة انكلترا الناهضة والمجتهدة ، وبالذين يسهرون على تعزيز شأنها .

اجل ان في كمبردج احسن اسباب التفاؤل لمستقبل افضل يكون فيـه للعقل اهميته ووزنه .





اصل الموسيقى العربية

من آثار الموسيقار النابغة المرحوم اسكندر شلفون

◆

ليس في صحائف التاريخ العربي اخبار يمكن الاعتماد عليها في هذا الموضوع . ففي زمن الجاهلية كانت الامية في العرب بالغة النهاية . وكانت القراءة حتى في صدر الاسلام خاصة بطبقة من الناس جلهم من حفظة القرآن . وقد ظل كثير من الشعراء لا يقرأون .

فالفرزدق، رغم ما كان له من الشهرة والتقدم، كان اميـاً . وليس في تواريخ الامم ما هو اشد غموضاً من تاريخ العرب قبل الاسلام ، لا سيما ما كان منه خاصاً باخبار الموسيقى . وعند ظهور الاسلام لم يكن في العرب مؤرخون لتدوين الاخبار . وكل ما كان لديهم من الوسائل في هذا الباب هو النقل عن ألسنة الرواة . على ان اكثر هؤلاء الرواة ذهبوا شهداء في الجهاد عند ظهور الاسلام واشتغال العرب بالحروب والفتح . فلما انتهت الحروب وعادوا الى تدوين التاريخ لم يجدوا من رواتهم الا النادر ومن الاخبار الا التافه . يؤيد ذلك تاريخ بعض الشعراء . فبينا نقرأ عن شاعر من شعرائهم الفحول وعن شهرة له تطبق الآفاق ، لا نجد له في باب الشعر قدراً كافياً يؤيد تلك الشهرة . فطرفة بن العبد وعبيد بن الابرص مع ما لهما من الشهرة الكبيرة في مملكة القريض لا نجد لهما في صحائف تلك المملكة الا اثراً قليلا . على ان حبي للموسيقى ورغبتي في كشف اسرارها وتعريف اصولها ، ولو من ناحية الترجيح ، كل ذلك هيأ لي اسباب اقتحام الموضوع .

ولأؤيد ما كان يحيط بتاريخ الموسيقى العربية من الغموض في عصر الجاهلية اسرد هنا بعض المزاعم التي وردت في بعض كتب التاريخ مما لا يجوز الاخذ به عندما يكون الغرض استخراج حقائق تاريخية .

يقول المسعودي صاحب مروج الذهب : سأل الخليفة المعتمد يوماً الشاعر عبيد الله بن خرداذبه عن اصل الموسيقى فقال :

« قد قيل في ذلك يا امير المؤمنين اقاويل كثيرة . ان اول من استعمل العود هو لامك بن متوشالخ بن محويـل . . وكان للامك ولد يحبه حباً شديداً ، فاختطفته يد الموت ، فعلق جثته بشجرة ، فتقطعت اوصاله ولم يبق الا الفخذ والساق والقدم والاصابع ، فاخذ لامك قطعة من الخشب هذبها وصقلها وصنع منها عوداً ، جاعلا صدره بشكل الفخذ وعنقه بشكل الساق ورأسه بشكل القدم وملاويه بشكل الاصابع . وقد مثل العروق بالاوتار ، ثم عزف عليه وانشد نشيداً محزناً على صوته الخ » .

ويقول عبد القادر بن غيبي : « لما خلق الله آدم امر الروح ان تدخل الى الجسد ، فبدأ نبض آدم بتأدية وظيفته . ولما كان الخالق قد منح آدم موهبة الصوت ولما كان لنبضه ايضاً حركة متساوية منتظمة فقد اجتمع في الموسيقى والميزان واتيح له حينئذ ان يسبح الخالق باجمل الاناشيد » .

وهناك طائفة كبيرة من المؤلفين وعلماء الدين يقولون ان الله في البدء خلق الوجود ، ثم خلق الارواح لاجساد البشر ، ثم امر الكواكب السبع والابراج بالمسير فسارت ، وسمعت جميع الارواح عند ذلك انغاماً شجية احدثتها الكواكب بحركتها المنتظمة . فانقسمت الارواح الى ثلاث جماعات : الاولى امتازت بحاسة اللذة الموسيقية العظمى ، والثانية كانت اقل من الاولى شعوراً باللذة ، والثالثة وهي الاقلية كانت فاقدة لتلك الحاسة . ومن هنا جاء الشعور العام باللذة الموسيقية . اما الذين تجردوا من تلك الحاسة ، فينظر اليهم كما ينظر الى مخلوقات ناقصة ذات عاهة .

وقد جاء في بعض الكتب ان الله هو الذي اخترع الموسيقى ، ثم تراءى له ان يعلمها للملائكة ليسبحوه ، فتفوق بعضهم فيها ومنها الملاك حارث الذي دبر فيما بعد مؤامرة العصيان وثار على الخالق العظيم . فلما طرد الخالق تلك الارواح الشريرة والقى بها الى هاوية الظلمات ، نسي انه اطلعها على اسرار الموسيقى . اما هي فاخذت تستفيد من الموسيقى في غواية الناس ، فصمم الخالق على ان يجرد تلك الابالسة من الذاكرة ، ولكنها سبقت فعلمت الناس تلك الموسيقى الالهية الخ .

تلك هي خلاصة بعض ما ورد في كتب التاريخ عن اصل

الموسيقى العربية وجميعه عرضة للمآخذ والطعن .

بعد ذلك اتفقت جميع المصادر على ان الحداء عند العرب سبق كل غناء . فيقال في ذلك ان مضر بن نزار بن معد كان في سفر ، فسقط عن البعير وانكسرت يده ، فحملوه على ظهر جمل واستأنفوا المسير ، فجعل يصيح من الالم قائلا : « يا يداه يا يداه » وكان من احسن الناس صوتا . فطربت الابل وجدت في سيرها . فوضعت العرب في ذلك شعراً سموه الرجز وجعلوه للحداء وهو كما يأتي :

يا هاديا يا هاديا ويا يداه يا يداه

اما نحن فنظن ان هذا الخبر من نوع الاخبار التي دونت من اصل الموسيقى . والامر الذي لا شك فيه هو ان الموسيقى سجية من السجايا ، والميزان غريزة من الغرائز .

الشعر والغناء نشأآ معاً عند جميع الامم ، ويقول اليونان والرومان حتى اليوم : « غنى شعراً » والعرب يقولون منذ القدم : « انشد شعراً » . اي غنى شعراً . وكان اليونان مدة اجيال طويلة لا يقولون الشعر الا انشاداً . والمرجح ان العرب كانوا كذلك والادلة كثيرة . فالاعشى قبيل الاسلام كان ينظم الشعر ويغنيه . وقد سئل مرة يونس النحوي : من اشعر الناس قال : امرؤ القيس اذا غضب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب . والاعشى اذا طرب .

ومن الامور المحققة ان العرب اقوى الامم شاعرية . فالعربي شديد الاحساس سريع الطرب سريع الغضب ، طبع على الاريحية والانفة وفطر على البديهة والارتجال ، ومن كانت هذه صفاته نطق بالشعر بلا تعب وارسل اللحن بلا عناء .

والمرجح لدينا ان الموسيقى العربية لم تكن قبل الاسلام ملكاً للحداة فقط بل لجميع الناس . ولو كنت انا مكان المسعودي او سواه ممن ذكرنا ، وكان لا بد لي من ان ابحث في الموسيقى واقول كلمتي في اصلها ولم اكن ادري عن ذلك الاصل شيئاً ، لتوخيت باب الاستنتاج ووجوه المعقول ، بدلا من ان استنبط اسطورة كاسطورة لامك بن متوشالح او ان اخترع حكاية الخالق وابليس وامثال ذلك من الروايات التي ليس لها كرامة تاريخية . بدلا من جميع ذلك اقول ان غناء الام لطفلها سبق كل غناء . اذن فعاطفة المحبة هي مصدر الموسيقى . وهذا من حيث تقرير المصدر اذا عجزنا عن ان نهتدي الى مصدر .

اما التاريخ الحقيقي فغامض مبهم . ففي القرن الثاني للهجرة الف الخليل بن احمد الفراهيدي كتاباً في الموازين الموسيقية وكتاباً في النغمات ، لكنه لم يذكر شيئاً عن تاريخ الموسيقى واصلها . وفي القرن الثالث وضع ابن العوراء مجموعة للاغاني ، ووضع اسحق بن ابراهيم الموصلي كتاباً في الاصوات والموازين بالارقام التي تفسرها ، وكتاباً في مغنيات وراقصات الحجاز ، وكتاباً اسمه الكتاب الكبير للاغاني . ثم يعقوب بن اسحق الكندي وله ستة مؤلفات في التلحين وترتيب الابعاد الصوتية والعناصر الموسيقية والميزان الموسيقي والآلات الموسيقية واتحاد الموسيقى والشعر . ثم احمد بن محمد بن مروان الصرخدي وله ثلاثة مؤلفات في الموسيقى : الكتاب الكبير والكتاب الصغير والدخول الى علم الموسيقى . ثم موسى بن شاكر وثابت بن قره ويحي بن علي بن يحي المسجم وعبيد الله بن عبدالله بن ظاهر المعروف بابن احمد وقسطا بن لوقا . ثم في القرن الرابع للهجرة : ابو الفرج ابن الحسين الاصبهاني مؤلف كتاب الاغاني المشهور ومحمد بن زكريا الرازي وابو النصر محمد ابن طرخان الفارابي . وغير هؤلاء كثيرون في القرون التالية الفوا في الموسيقى وجميع فروعها وبحثوا في علومها ، ولكن لم يحدثنا واحد منهم اقل الحديث عن اصل الموسيقى . على انني لم اترك لليأس سبيلا الى فكري ولم اتردد برهة في ان اقتحم الموضوع معتمداً على الاخبار والحوادث والتطورات الاجتماعية مما يحدثنا عن الفكرة العربية من حيث الكماليات وحاجة العواطف ويمثل لنا نفسية ذلك العربي امام المؤثرات وغير ذلك مما ذكر عرضاً في شعر العرب عن سائر احوالهم سواء في السلم ام في الغزوات ام في الحروب ام في الحب . فاقول :

الشعر في الامم اكبر دليل على الشعور والفكر والعواطف . وعلى نسبة رقي الشعر او انحطاطه تكون نسبة رقي الشعور والفكر والعواطف وانحطاطها . فالعرب امة قديمة وربما كانت قديمة جداً ، لكن لا اثر لهم في التاريخ الا منذ القرن السابع والعشرين قبل المسيح .

« للبحث صلة »



نقوط !

بقلم ميشال طراد



لو فيي ، لغمرلك ، لو فيّي
الدني بفرد غمرا
وفرفطها غنّي غنّي
عجربكي يا سمرا
بكدسلك من الورد قفورا ،
شي فتح ، وشي زرار ،
من جهاز الصيف تنورا ،
مباريم من نوار .
بخلي الكنار الجار شباكي ،
يغزلك شريطا ،
شو لون خيطان ، شو حياكي ،
من الفجر مشموطا .
بوعّي الزنابق عانغم رعيان ،
يرقصو بعيدك ،
يقيمو التلال ، يقيمدو نيسان ،
ويغفو على زنودك .
بفرّع الآس ، بخدّر النسمي ،
وبدرّي من جسمك .
عراس ، وليالي ، وسوسحة نجمي ،
وبسكرهن باسمك .
بنده لنجمة صبح مشلوحا ،
من طاقة الجني ،
تنصبلك من النور مرجوحا ،
طيري فيا وغنّي .
والقمر هادا الخلف صنّين ،
متشاوف بحالو ،
بدآو عليكي ، بسألو تخمين ،
عمتطلعي ببالو ؟!

ميشال طراد

صراع



قصة : بقلم رضوان الشرهال

لم يكن خطار شبلي وحده سيد الشباب في الضيعة . لان الضيعة كان لها ابن اخر كخطار، قرم عنيد، ذو عنفوان يختال على شنب ابيّ شامخ وساعد ترفع رحى الطاحون ، وفراعة تقل جذع السنديان ، ومسدس يدرك الهدف ولما تلمحه العين .

ولقد كان مثله موضع الفخر يوم تقوم للفخر سوق ، فاذا ما هتف في ادنى الضيعة هاتف بحياة خطار شبلي رد عليه من اقصاها هاتف بحياة قاسم العياد .

كذلك كان الصراع الطويل العنيف مستمراً بين ادنى الضيعة واقصاها حيث دارت في الزمن القديم رحى حرب شعواء ضروس كحرب البسوس، اقدم عهدا من سنديان تلك الارض. حرب كان ابطالها اجداداً لقاسم واجداداً لخطار، فانصاراً لاولئك وهؤلاء . فلما مر الزمان وطوى الاجداد، مرّ ولم يطو ذكراهم . بل ظلت الضغينة حية غنية بالحياة تنفذ في السنين والايام جيلا بعد جيل . وراحت على مر الزمن تتخذ لنفسها شكلا اخر غير الحرب الهائلة المخضبة بالنجيع واللهب .

جل ما كان من امر هذه الضغينة انها كانت تتجلى في احساس بالجبروت والعنفوان . احساس صامت جموح ينفث دخان النخوة احياناً في حلقات الفتوة ويتجسد في عصب كالفولاذ وعضل ياتي بالخوارق، كأن ترتفع رحى الطاحون في فضاء الضيعة او تخر السنديانة تحت بطش الساعد المجنون . فثور نمرود يصرع ارضاً ودبوس يغيبه الرصاص في جذع شجرة ثم بصر فخور يجول في وجوه الحاضرين يسال: من سيد الشباب ؟

ولربما خرج الاحساس الصامت عن صمته احياناً ليندلع على لسان هجاء نهاش كالسنة الافاعي او من حنجرة خشنة تتغنى بملاحم الاولين تغنية يخشع لها الليل وتنتشر لها اشباح الابطال الغوابر فوق الربى والسهول .

لكن الامر لم يكن ليخلو من ظروف نوادر تطفح فيها النفوس ويتقد جمر الاحداق فتطيش العصي وتشهر الخناجر وينطق المسدس بافصح ما يجيد من الكلام .

صراع كان لا بد منه في ذلك الاقليم القاسي العنيف حيث الحياة لا تحس وجودها الا في التحام الصراع الدائم . . صراع بين الفلاح والارض ، بين الحطاب والذئب، بين الوحش والطير، بين الطير والزوبعة، بين الزوبعة والغاب.

لذلك طالما فشل المصلحون .

* * *

كان لقاسم ثأر على خطار قديم يحمل ذكراه على جبينه ويلمح اثاره كلما راح يسرح بصره في عنفوان شنبه امام المرآة ، جرح مندمل ينحدر ملتوياً من منبت الشعر حتى يشق اطراف الحاجب الايسر ، خاطاً على عزة الجبين الابي ذكرى هزيمة شنعاء .

حدث ذلك في يوم بعيد، جد بعيد من ايام اليفاع الاولى ،اذ زحف الفتى خطار على رأس عصبة من صبيان الحي مدججة بكل سمهري من القضبان، فاجتاز بهم احياء الضيعة حتى تخوم حارة العياد. فما ان احس قاسم بالامر حتى طرح الصوت فاجتمعت له من عصبته شرذمة وشنها على الغرماء حملة منكرة لعلع فيها صفير القضبان وزعيق الغيظ كاشد ما يكون .

واستبسل يومئذ قاسم واستماتت خطار وبحث احدهما عن الآخر وسط الزحام فالتقيا وتساجلا ضرباً عنيفاً موجعا حتى حانت لقاسم من

خطار فرصة فباغته بضربة من عصاه كادت تكون ختام المعركة لولا ان تلقاها خطار بقضيب فانكسر وعندئذ اندفع على خصمه اندفاع الاعزل المستميت . واستطاع بعد جهد ان يصرعه ارضا ويسجل ظفره بحجر فجر الدم من جبين قاسم .

حادث صبياني جد قديم . الا ان قاسما ما كان قط ليقوى على نسيانه وفي بيته مرآة خائنة ساخرة وفي الضيعة اعين خفيـة اللؤم تتريث على جبينه . وبكفه اصابع تعثر بالجرح القديم كلما راحت تمسح العرق .

بل ان قاسماً كان احرص على هذه الذكرى منه على اي شيء اخر . فلطالما اشعلت في نفسه الحقد وبعثت كوامن قوتـه في حلقات الفتوة وعلاته بلقاء مع خطار يمضي حديث الضيعة الى يوم ينفخ في الصور . وانما كانت اعز امانيه ان يسجل على جبين غريمه وصمة كالتي على جبينه .

ولقد كانت الايام بينهما كما يقولون وما كان قاسم بالذي يشك في كرم الزمان وقد جاد عليه آخر الامر باليوم الذي انتظره طيلة سنوات عشر .

فقد خرجت ريحانـة ذات مساء الى العين تمـلأ جرتها . ولنقل لك الآن من هي ريحانة واي شأن كان لها في الامر . ولقد صدق الذي سماها كذلك فقد كانت ريحانة الضيعة العبيق بل اجمل واعذب من خطر على طريق العين من بناتها الفواتن .

اما شانها في الامر فهو انها كانت تحمل على كفيها قلبين دون ان يكون في وسعها ان تختار احدهما او ترمي بالاخر ولعلها لم تبح بحبها لقاسم الا خوفا عليه من نقمة خطار وقد طالما ردد على مسمعها ليقتلنه يوم تقبل به حبيبا او زوجا .

في ذلك المساء كان قاسم عند العين وقد خلا له الجو فانطلق يطارح ريحانة الغرام ناثرا في مسمعها كلام الشوق والعتاب حتى قطع عليه الحديث شبح قادم على الطريق لم يكن من العسير ان يتبينه في دغش المساء .

— هوذا خطار .

قال قاسم في شيء كثير من السخرية وعدم الاهتمام فاجفلت ريحانة وتوسلت اليه ان يدعها تنصرف فردعها وفي صوته هدوء الواثق :

— دعي الجرة تمتلىء . ولسوف تشهد عينك ما يسرها .

وما هي الا وهلة حتى صار خطار بصدد العين واذا هو قـد وقف كمن يحمل شرا مستطيرا :

— ريحانة ؟ ما تفعلين هنا يا ريحانة ؟

فاجابه قاسم ساخرا :

— اولا تراها تملأ الجرة ؟

— اخشى ان يكون في الامر اكثر من ملء جرة .

— هو كذلك — قال قاسم باسما — الحق اننا كنا نتحدث عن عرسنا القريب .

— خسئت .

— على كل حال انت مدعو منذ الان .

— اراك تستعجل حتفك يا قاسم فوالله لاجعلن عرسك مأتما ان صح ماتقول .

في تلك اللحظة امتلأت الجرة فحاولت ريحانة ان تنصرف بها وهي ترتجف كالقصبة فمنعها قاسم للمرة الثانية فانتهره خطار عندئذ قائلا :

— دعها تنصرف .

— اني احب لها ان تبقى .

— قلت لك دعها والا . .

وانتضى خطـار من وسطه خنجرا لمع كالبرق في دغش ذلك المساء .

— ارم هذا الخنجر اخشى ان يعود وبالا عليك .

— بل انتض خنجرك يا جبان وكفى ثرثرة .

— بل ألقاك أعزل .

— خذها اذن .

وهجم خطار بخنجره لكن قاسما كان على حذر فما اسرع ما رفع رجله ودفعها في بطن غريمه فارتد هذا على اعقابه وقد زعزعته الصدمة ثم هوى الى الارض . فاطبق عليه قاسم مجهزا وراحت قبضتا البطلين تتنازعان الخنجر وقد بات كأنه قطعة من قبضة خطار لا تنتزع . الا ان الغيظ لم يلبث ان بلغ من قاسم حده الاقصى وغشى عينيه دخان الضيعة فاذا هو يذكر ثأره القديم . . . واذا بيسراه تنقض على حجر كان هناك . . . واذا بريحانة قد راحت تصيح :

قاسم — اياك ان تفعل . . اياك !

لكن الحجر كان قد ارتفع ثم انهوى وفجر دم الهزيمة من جبين الغريم القديم .

ونهض قاسم وهو يلهث فاصلح من شانه ومضى نشوان من الظفر تاركا صاحبه يصارع الغيبوبة .

* * *

ضجت الضيعة لحادث ذلك المساء حتى توقع بعضهم احدى



المجازر . وقد كانت العادة ان تقفر دروب الضيعة منذ الغروب ، اما في ذلك المساء فقد غصت بالرجال المدججين بالسلاح يغدون زرافات ووحدانا بعضهم الى حارة العياد وبعضهم الى بيت خطار . ولولا ان خطاراً رأى من الجبن ان ينتقم له رجاله لوقعت الواقعة لامحالة . غير انه كان احرص ما يكون على ان ينقذ شرفه الموصوم بيمينه . . . وبيمينه فحسب ، ولقد قضى اياما هائلة وليالي اشد هولا ما كان ليغمض له فيها جفن او تخمد ثورة .

ولقد جاش الحقد في صدره مرة كأعنف ما يكون . فتناول بندقيته فحشاها بالرصاص وخرج هائما في طريق عين الديب وقد هبط الليل .

ذلك ان بعضا من رجاله كانوا قد اخبروه بذهاب قاسم الى عين الديب ليتفقد املاكه هناك وانه ربما رجع ليلا فعسى ان لا يفلت من يديه .

وعلى ذلك انطلق خطار يقطع الطريق سيرا حثيثا وهواجس الضغينة تعصف في خاطره ودخان الحقد يتعقد امام عينيه ويتداخل في السواد المنهمر على معالم الارض شيئا فشيئا . وما هو ان خرج من تخوم الضيعة وقد غابت وراءه اضواؤها حتى طرق مسمعه صوت بعيد كالغناء . فوقف برهة يرهف السمع ثم هز راسه ودخل في حقل على جانب الطريق تنبت على اطرافه اجمام من العليق . فاختار اقربها الى الطريق وكمن وراءها ثم « خرطش » البندقية وأستعد

واخذ الصوت البعيد يقترب شيئا فشيئا . وما هي الا وهلة حتى اندفع عاليا في وضوح وقد برز عند عطفة الطريق شبح كالعملاق واسع الخطى يضرب الحصى عن الجانبين بعصاه

— هوذا

همس خطار في نفسه . ثم رفع البندقية فركز اسفلها على كتفه وامتدت سبابته اليمنى الى الزناد . اما الشبح فما يفعل الا اقترابا كأنه غير عابىء بالموت الكامن على مقربة وصوته ماينفك يردد مواله الشجي . . . موالا كان ينبعث منه اسم ريحانة في غنة شجية حنون

لقد مر اخيراً امام الحقل واجام العليق . . . ثم اجتازها . . . ثم اخذ يبتعد ويبتعد . . . ويبتعد حتى اختفى وراء العطفة الاخرى من الطريق ساحبا وراءه اصداء مواله

اما طلق البندقية فلم يعكر صفو السكون تلك الليلة . فبعد حين كان خطار يسير ببندقيته المنكسة مطرقا متثاقل الخطى وقد

خيل اليه ان افواها في جوفه تضج غضبى وتزمجر :

— يا للعار يا للعار

ولما ولج الدار شعر كأنه هزم مرة ثانية .

* * *

كان قد مضت على هذا الحادث ايام بضعة عندما جاء غنام يوقظ خطار مرة عند الفجر وفي صوته رعشة النبأ العظيم

— ما وراءك يا غنام ؟

— او لم يأتك الخبر ؟

— اي خبر ؟

— قاسم .. قاسم العياد .

فانتبه خطار عندئذ طاردا فاول الكرى وقال :

ماذا ؟ هل خطب ريحانة

— كلا .. بل .. مات

— مات .. قاسم .. مات ؟ ثم هب قائما على قدميه كالمذعور :

— ويلك ماذا تقول ؟

لكأنما انبأه ان الزوبعة قد نسفت رواسخ الجبال او كأنما دكت الارض ومادت عمد السماء

لكن غنام لم يجبه بل تقدم من النافذة المغلقة ودفع مصراعيها فهبت على الغرفة مع ريح الفجر ولولة متفجعة عاتية كعويل الرياح آتية من بعيد

ولمح خطار زمراً من الناس يغدون على الطريق البعيدة الصاعدة نحو حارة العياد . فأطرق وادركه الذهول . واخذ غنام يقص عليه حادث الوفاة ويعجب لجرح بسيط في كف يبعث بصاحبها الى القبر . ويتسائل عن اسم الداء الذي ذكره الطبيب وزعم انه لا يمهل اكثر من يوم وليلة

لكن خطاراً كان غارقا في ذهوله العميق لا يسمع ولا يعي . ولقد ظل كذلك زمنا حتى استفاق على نفسه وهو بالطريق الصاعدة نحو حارة العياد وقد طوف الدنيا ضياء الشمس فراح يتلكأ في سيره كمن يستأخر ساعة عصيبة هائلة لا بد آتية وهزيم العويل يعصف في سمعه باعثاً في جسده رعشات تشل منه العصب وتنفخ في قلبه الصقيع

وكان لا بد له ان يصل اخيراً الى حيث قامت وليمة الموت وقد احاط بالبيت المفجوع جموع من الناس اخرستهم المصيبة وانتثروا هنا وهناك في الساحة وعلى جدر الحقل وكأنهم في جمودهم الصخري تماثيل الفاجعة

فاجتاز الساحة وارتقى الدرجات الثلاث ودخل وهو يتردد في الدخول .

والمرة الاولى في حياته وقف خطار شبلي امام قاسم العياد كالعبد خاضعاً ذليلا خاشعاً محطم الكبرياء . وقف شارد البصر امام خصمه الذي خذلته الحياة . يالله الساعد الجبار الذي لن يرفع بعد اليوم رحى الطاحون ، ولن تخرّ تحت بطشه السنديانة ويا للمشنب الأبي ، فلسوف يطوي عنفوانه التراب .

ولما تريث بصر خطار على الجبين عند اطلال الجرح القديم سرت فيه هزة وقد خنقته دمعة عاصية فاشاح بوجهه وتقدم من الام المفجوعة الثكلى وحاول ان يقول لها :

— انا ابنك الثاني يا ام قاسم .

لكنه لم يستطع فارتد على اعقابه وخرج هائما في الطريق تسربله اصداء العويل .

* * *

عند الاصيل سارت الضيعة كلها وراء ابنها الحبيب فوارته التراب ورفات اجداده ونثرت عليه كل رياحين الربيع وكل دموع مآقيها . ثم انفضت من حوله في المساء وراحت تتبعثر فلولها بين الدروب والمساكن والاحياء .

— البقية في عمرك يا خطار .

فالتفت خطار فاذا هو غنام الذي يتمنى له البقية فلم تفته مرامي ثعلب القرية ، فاشاح بوجهه في انفة الرجل النبيل دون ان يجيب ثم ولج عتبة داره واغلق على نفسه .

ويمم ساحة البيت فجلس على السدة تحت السنديانة وغاص في تأملات حزينة فاجعة .

وليل حزين فاجع اخذ يوشح معالم الضيعة بالسواد وكلاب ترسل من حارة العياد عواء مكاوماً كنعيب البوم واضواء حمر كأنها الجمر او عيون القرية قرّحها النحيب .

من رأى في حياته دمعة في مقلة خطار ؟ الا فليشهد الان كيف ينتحب اذ يغمره فيض الاسى فينهمر من عينيه جداول او يندلع من حنجرته نشيج خافت مكبوت يحاذر ان تسمعه آذان الليل .

انما هو يبكي قطعة منه دفنت منذ حين وشيئاً ثميناً من حياته التي لا تحس وجودها الا في التحام الصراع الدائم .

عبثاً يحمل بعد اليوم هذا الساعد الفولاذي الجبار وهذه القبضة الصوانية وهذا القلب الذي قدّ من جلمود . وعبثاً ينادون به غداً سيد الشباب او يزفون اليه ريحانة بعد غد ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما حاول في أواخر الليـــل ان يأوي الى فراشه لم يغمض له جفن فعاد ادراجه الى سدة السنديانة حائراً برما لا يرتاح الى شيء. فما ان طلع الفجر ووضحت زرقة السماء حتى حمل معوله والرفش ومضى الى حقوله .

وراحت الايام تمر بعد ذلك سراعـاً وراحت ذكرى قاسم تتقلص من جو الضيعة شيئاً فشيئاً ماضية الى اقاليم النسيان وراحت الحياة تجري في سوق الضيعة واكواخها ودروبها وحقولها والاحياء كما كانت تجري من قبل غير امر واحد كان يطرح في الضيعـة العجب . ففي السوق جماعة يتحدثون همساً عن خطار وفي الحقـل فلاح يفكر في خطار ، وفي الاكواخ عجائز يتسائلن عن خطار وعلى العين صبايا يتهامسن عن خطار وعلى الطريق وفي كل مكان كان معظم الحديث يدور حول خطار .

ذلك ان خطاراً كان قد امسى رجلا غير الذي كانوا يعهدون. فلطالما رأوه يعمل في حقوله صامتاً وقد انهال على الارض يمزقهـا بمعوله كأنه ينتقم من عدو خفي . ولطالما رأوه يمر بريحانة صدفة في طريق العين فيمضي غير عابىء بريحانة كأنه لم يرها .

ولطالما رأوه يمر بهم وهم الانصار المخلصون فلا شيء غير السلام المقتضب ثم يمضي بهيكله العملاق كأنه الصنم يسير .

لذلك كان الناس في عجب من امره . غير ان عجبهم بلـغ الذروة ذات يوم، يوم اخبر بعضهم بعضاً ان خطاراً هجر الضيعة على ان لا يعود اليها ابداً .

وفي الواقع كان خطار يركب البحر يومئذ ماضيـاً الى حيث تغرب الشمس ليصارع الحياة هناك . . . ليصارع . . .

رضوان الشهال

المرأة في عهد الفراعنة

كانت المرأة المصرية حرة محترمة متمتعة بحقوقها الاجتماعية حتى كانت تتزوج بمحض ارادتها متى بلغت سن الرشد وتتعلم العلوم التي تجعلها كفؤاً لان تكون ربـة بيتها لانها احرزت التربية الصحيحة التي أهلتها لحسن الاختيار .

ولقد ميزت الشرائع والقوانين المرأة المصرية حتى جعلتها مساوية للرجل في جميع الحقوق الدينية ، فقد تولت اهم الوظائف الدينية فلم تكتف بضرب الناي وتلحين الاناشيد المقدسة للمعبودات بل كانت كاهنة للالهة (هاتور) بمدينـة (منعنيس) وكان (يسلم العجل ابيس) للسيدات مدة اربعين يوماً قبل وضعه في الهيكل .

وفي عهد (الرعامة) بلغ نفوذ النساء الديني غاية عظيمة حتى كانت المرأة تتولى رئاسة الكهنة للمعبود آمون .

وفي عهد البطالسة كانت الكاهنات يشاطرن الكهنة خدمة المعابد ورئاستها ، وبلغ مقام المرأة غاية قصوى حتى ان (اسيس) وهي الام الالهية والالهة السرمديه ، كانت عندهم اسمى مقاماً من زوجها (اسوريس) والسبب انه من عنصر بشري وان كان آلهاً اما هي فمن عنصر اللاهوت المحض حتى ان ابنها (حورس) كان ينسب اليها لا الى ابيه .

وكانت (نوت) الهه السماء ارقى مقاماً من الاله (اسيس) لانهـا اصل النسل البشري وشاغل افق السماء وسميت ملكة المعبودات .

وكان عندهم كثير من المعبودات غير (اسيس) و (نوت) مثل (معت) الهة الحق والعدل ، و (هاتور) الهة السماء و (نفيتش) الهة الموت و (سافخ) سيـدة الكتابة وامينة دور الكتب المصريه .



ذكرى "مي"



مقتبسة عن المثال يوسف الحويك

.. ان الادب اللبناني كان وحده في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحاضر مظهر الحياة والجد والتنوع في الادب العربي الحديث . فبينما كان الادب المصري يصدر عن الازهر، والادب العراقي يصدر عن النجف ، والادب السوري يجري على اسلوب هذين الادبين ، كان الادب اللبناني يصدر عن مدارس تتسم بسمة الدين ، ولكنها تعترف بوجود الدنيا ، فهي تعلم العلوم الحديثة ، وتلقن اللغات الحية ، وتعتمد في ادب القلب على الانجيل ، وفي ادب اللسان على القرآن، فبيضت الكتب الصفراء، ورتبت المعاجم المشوشة، ونشرت الكتب المقبورة، ولقحت الاداب العربية بالاداب الاوربية،وكان من اثر هذا اللقاح النقد والترجمة والصحافة والتمثيل والقصص ، وكان من ثمر هذا اللقاح طلائع هذه النهضة من آل اليازجي والبستاني والشرتوني وزيدان وصروف وشميل والريحاني وجبران ومطران،وكان لا بد (للماري) العربية ان تجني ثمر الثقافة مما غرس الفرنسيسكان والاميركان والمارون وان تقبس نور العروبة من الضياء والهلال والمقتطف ، وان تناجي عنادلنا الغردة في رياض مصر وخمائل لبنان ومنازه الدنيا الجديدة ، وان يحملها الاعتداد بجنسها ولغتها على ان تقتصر عن اسمها الاعجمي على طرفيه ليكون منها اسمها العربي : « مي » . .

احمد عبد الغفار

في الرابع من كانون الاول احتفلت مصر الشقيقة لانقضاء اربعين يوما على وفاة نابغة الادب العربي « مي » فتبارى الخطباء والشعراء في ذكر فجيعة العالم العربي بكاتبته الفذة . وقد شاءت مجلة « الاديب » ان تخص ذكرى الفقيدة العزيزة التي انبتها لبنان واحتضنتها مصر ببضع صفحات من هذا الجزء ، جامعة لقرائها شذرات مما قيل شعراً او نثراً في هذا المهرجان العظيم ، بادئة بوصف الحفلة كما رويتها جريدة « الاهرام » كبرى الصحف العربية .

« الاديب »

يوم « مي »

كان امس يوم « مي » .

قال الناس – هذا يوم تأبينها .

وقالت السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي :

هذا يوم عرسها .

وكان حقاً كذلك .

وفود ، وشهود ، وخطباء وشعراء ، وزهور وموسيقى .

وصورة العروس ، تشرف على الحفل الرائع ، مجللة بالسواد .

اما « مي » نفسها ، « مي » الانسانة فقد غابت . . . رقدت تحت اطباق الثرى ، في ثيابها البيضاء .

كانت دعوة كريمة .

وجهتها سيدة نبيلة ، كبيرة القلب ، جمة النشاط ، هي السيدة هدى هانم شعراوي ، زعيمة



النهضة النسائية في مصر والشرق .

وجهتها للاحتفال بيوم « مي » .

فلباها جمع حاشد من مختلف الطوائف ، والاجناس ، والاديان .

لباها الوزراء ، ورجال الدين ، والعلم والادب ، والطلاب .

شيوخ وشبان ، سادة وسيدات ، راحوا جميعاً يحتفلون بمأتم « مي » او بعرس « مي » .

وحمل البرق اعتذار من قعدت بهم الظروف عن الاشتراك في الحفل الجليل .

وتحدث الخطباء والادباء .

وعزفت الموسيقي .

روح « مي » تشهد .

والادب يتكلم .

والشرق العربي يتسمع .

* * *

الساعة الرابعة تماماً .

قاعة الاحتفال تضيق بالجموع والاصوات تتراءى من مدخل الدار ، حيث وقف الكثيرون يناضلون ، ويطلبون الدخول .

والمسرح خال .

لا خطيب ولا شاعر .

لا شيء الا صورة « مي » تشرف على الجمع ، ووجهها يتألق بشرا ونورا . . في وسط السواد .

ومضت لحظة .

ثم دخل موكب خطباء الحفل ، تتقدمهم السيدة الجليلة « هدى هانم شعراوي » .

وفي صوت مفعم بالحنان والوقار والتأثر ، توجهت الى الجمع قائلة :

« ارجوكم ايها السادة والسيدات ، ان تقفوا حدادا على فقيدتنا العظيمة دقيقة من الزمن » .

فوقف الجميع .

وبان عليهم الحزن والاسى .

وتجلى - في هذه الدقيقة الرهيبة - جلال الحزن ، ونبل الوفاء ، ورهبة الموت وروعة الذكرى .

ثم القت السيدة الجليلة كلمتها الجامعة عن « مي » فقيدة العروبة النابغة .

وتتابع الخطباء واحدا بعد واحد ، يبكون « مي » ويذكرونها ، ويحيونها .

تحدث معالي الدكتور حسين هيكل باشا عن « مي » والسياسة .

وقام على اثره الاستاذ انطون الجميل بك ، فالقى تحية من اعتذروا عن الحضور للحفل ، ومنهم حضرات دولة رئيس الوزراء ، ورفعت علي ماهر باشا ، واصحاب المعالي والسعادة وزير الدفاع ووزير الشؤون الاجتماعية وتوفيق رفعت باشا واحمد حسنين باشا ومحمد بهى الدين بركات باشا ، ومحمد علوبه باشا وقايني فهمي باشا والدكتور واطسون ومريت بطرس غالي بك . الخ .

ثم تحدث معالي الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ، عن « ذكريات لمي » .

وتحدثت الانسة « ابنة الشاطىء » عن « مي الانسانية » .

وتحدث الدكتور منصور فهمي بك عن « مي والعروبة ، والامومة » .

والقى الاستاذ عباس محمود العقاد قصيدته ، ثم تحدث الاستاذ الدكتور طه حسين بك عن « مي والادب العربي » .

وتحدثت الاستاذة عزيزة عباس عصفور عن « رسالة مي » .

والقى الاستاذ خليل بك مطران ، قصيدة الشاعر « احمد محرم » ثم قصيدته .

وتحدثت الدكتورة نعيمة الايوبي عن « مي والابوة » .

وتحدث الاستاذ مجد الدين ناصف عن « مي وباحثة البادية » .

ثم قام الاستاذ انطون الجميل بك فوجه الشكر الخالص ، عن اسرة الفقيدة واسرة الادب ، الى كل من تفضلوا بالاشتراك في حفل « مي » .

وعلى اثره نهض امير الكلمان ، الاستاذ « سامي الشوا » فانطلقت النغمات من « كمانه » ناعمة ، باكية ، موجعة ، عالية الانين .

ثم كان الختام الرائع ، للحفلة الرائعة ، سمع الناس صوت « مي » .
الفته الانسة « اعتماد عبد الغفار » الطالبة بمدرسة الاتحاد النسائي .
تحدثت بصوت « مي » .
الفت على الناس نشيد « مي » في « رثاء الكنارى » .
ذرفت امام الناس ، دمعة « مي » على « الطائر الغريد » .
فكأنما كانت « مي » تتحدث .
وكأنما كانت « مي » ترثي نفسها .
وكأنما كان بعضها يبكي على بعضها وانفض الجمع ، بعد نحو ثلاث ساعات امضوها مع «مي» التي ملأت الوادي من قبل ، شجوا وغناء وضياء .
احتفلوا بيوم « مي » .
يوم عرسها . . .
وصورة العروس ، تشرف على الحفل الرائع مجللة بالسواد . . .
اما « مي » نفسها . . . « مي » الانسانة ، فقد غابت عن الحفل . . .
رقدت هناك . . . بعيدا . . .
تحت اطباق الثرى ، في ثيابها البيضاء .

●

مى فقيدة العروبة

للسيدة هدى هانم شعراوي

. . . في شهر ابريل من سنة ١٩١٤ نظمنا سلسلة محاضرات للسيدات في الجامعة القديمة . وبينما كنت اغادر القاعة عقب القاء المحاضرة ، القيت فتاة لفتت نظري برشاقة حركتها وخفة روحها وبريق عينين سوداوين تنبعث منها اشعة الذكاء الحاد والفطنة النادرة . يزين هذا كله وجه صبوح تتألق في اساريره ابتسامة كابتسامة الزهر في فصل الربيع . استوقفتني تلك الفتاة قائلة : « سيدتي هدى . انا معجبة بمشروعك ، مقدرة لمجهودك . لذلك اضع نفسي تحت تصرفك . لا تظني انني صغيرة لا استطيع معاونتك . انا كاتبة وشاعرة . انا اكتب في الصحف والمجلات . انا (مي) لا بد لك انك قرأت لي شيئاً ألا تعرفينني ؟ » .

لم اتمالك نفسي اذ ذاك من ضمها وتقبيلها وابداء اعجابي بها وسروري بمعرفتها واغتباطي باشتراكها في حركتنا . لقد رأيت فيها انساناً غير عادي . كانت ذات عقل كبير وقلب اكبر ونفس عالية وتفكير واسع وادراك بعيد . وكانت تعرف قدر نفسها في تواضع وبساطة . ولم تكن ذات جمال خلقي بالمعنى الصحيح ، الا انها بين الجميلات كانت لا تبدو اقل منهن فتنة وجاذبية ، بشيء مستبهم يكسبها هذا الجمال . ولعل ذلك الشيء هو الذي حار في كنهه الشاعر فقال :

شيء به فتن الورى غير الذي يدعى الجمال ولست ادري ما هو

الا انني ادري ان الذي كان يكسبها تلك الفتنة انما هو جمال روحها ذلك الجمال المعنوي الذي يتضاءل امامه كل جمال . . .

●

مى والسياسة

للدكتور محمد هيكل

. . . وانما اقصد بالتفكير السياسي «مي» ناحية منهم يكن لها بد من ان تكون صاحبة رأي فيها . تلك الناحية المركز السياسي للمرأة في المجتمع . اتراها تنزل الى الميدان السياسي تنافس الرجل وتطلب مساواتها به في الحقوق ، ام تراها تزور عن هذا الميدان وتتركه للرجال .

. . . دهشت لاول ما سمعت ميّاً تقول : انها تخالف الذين يدعون الى مساواة الرجل

والمرأة في الحقوق ، وانها ترى هذه المساواة عدواناً على المرأة وعلى الرجال جميعاً . ودهشت حين رأيتها تنفر من الحديث في حق الانتخاب للمرأة وتذهب في نفورها الى حد بعيد . فلما سمعت تعليلها لرأيها طفقت افكر ، ثم انتبهت من تفكيري الى انها قد تكون على حق . وقد يكون مخالفوها في الرأي على حق كذلك .

... فهي تقول ان اكبر فخر للرجل ، واعظم عنوان لمجده انما هو كمال رجولته . الرجل الناقص الرجولة لا يغني عنه علمه ولا ماله ، بل يظل ناقصاً ابدا ، فاما من كملت رجولته فقدير على ان يستكمل بفضلها ما ينقصه في الناحية التي يبتغي الكمال فيها . ذلك حق نقره جميعاً . فانا لا نقر الحق الذي يقابله ، فنقول ان اكبر فخر للمرأة ، واعظم عنوان لمجدها ، انما هو كمال انوثتها ، وانها بكمال انوثتها تستطيع ان تكمل ما ينقصها في الناحية التي تبتغي الكمال فيها ، وكما ان الرجولة قوة ونضال وحرص على الظفر ، فالانوثة عطف وحنان ومحبة . محبة للكون ولكل جميل ولكل كامل فيه ، وحنان على المخلوق الصغير الناشيء ، زهرة كان هذا المخلوق او نباتا او حيوانا او طفلا ، وعطف على بؤس البائس ، وضعف الضعيف وانة المريض وشكاية العاني وكل ذي ضراء .

... اما النساء اللواتي اثبت التاريخ لهن مجدا باقيا فهن القديسات المضحيات لله وللانسانية ومن الامهات اللواتي انجبن الابطال ومن الرحيات اللواتي آسين وواسين ومن الملهمات اللواتي اوحين للشاعر شعره ولرب الفن فنه . لم تكن واحدة من اولئك تتخذ النضال صناعة او سبيلا الى المجد بل كانت تؤدي واجبها في هدوء وبلا ضجة او جلبة شأنها في ذلك شأن النحلة اذ تدأب في جمع العسل او شأن الزهرة اذ تتضوع في الوجود جمالا وشذى .

وعلى ما كان من هدوئهن لم ينكر التاريخ فضلهن بل اثبت لهن في صحفه مجدا باقيا على الدهر .

من ذكرياتي

لمصطفى عبد الرازق

... كتبت في بعض مذكراتي في مساء الجمعة ٢٨ ابريل سنة ١٩١٦ : « حضرت حفلة في فندق الكونتنتال اقيمت لمطبعة المعارف التي مضى على انشائها خمسة وعشرون عاما . كانت الانسة مي في من خطب وتلك اول مرة سمعتها فيها خطيبة وملأت عيني منها ولم اكن نظرتها من قبل الا لمحا : فتاة رشيقة ذات وجه فيه حلاوة وفيه حياة ولها طريقة في الالقاء معجبة ولهجة عذبة ولئن تكلفت احيانا في الحركة والاداء فان في رشاقتها ومهارتها ما يجعل في هذا التكلف نفسه نوعا من الفن الجميل . تمتاز الانسة بالذكاء متقدا في عينيها الصافيتين وبفصاحتها واطلاعها وحساسيتها يلوح في اساريرها صبا تكاد الفتاة تمثله طفولة في غرارتها » .

ومنذ اشهر معدودة كنت اشهد حفلة في قاعة الجامعة الاميركية وانتهى الاحتفال واخذ الناس يتبادرون الى الانصراف متزاحمين بالمناكب واذا سيدة في سمت ووقار تأبى الزحام فتتأنى .

هذه « مي » ولم اكن رأيتها منذ سنين : اشتعل رأس « مي » شيباً وبدت تجاعيد وهن والم في وجهها السمح يكاد ابتسامها يخفيها ويكاد يخفيها الشعاع المنبعث من نظراتها .

وفارقت مياً بعد ما حييتها وتحدثت اليها حديثا قصيرا ثم اتاني نعيها غير بعيد .

كانت (مي) اديبة جيل وكانت صديقة كريمة .

سلام على مي !

نزعات مي في حياتها

للدكتور منصور فهمي

... ان مي برغم شرقيتها ووطنيتها وعلمها الغزير ظلت محتفظة بخير ما في المرأة وهو نزعات الامومة والانوثة . (وقرأ لهذه المناسبة من كتابات مي قطعة رائعة لها عن بكاء الطفل تضمنت كيف كانت الفقيدة تحنو بالملاءة على السيدات اللواتي لم يجملن غرضهن الاسمى

في الامومة، والعمل اصغارهن، اذ ان المرأة خلقت لتكون أماً قبل ان تكون حسناء او زائرة او كثيرة التردد على المجالس وغير ذلك مما يخرج المرأة عن بيتها وعما توديه فيه من اسعاد الزوج والبنين) .

وانتهى الخطيب من ذلك بان اورد كلمة كانت الفقيدة الراحلة قد كتبتها وهي على قيد الحياة ، تلك الكلمة هي :

« هذا قبر فتاة لم ير الناس منها غير اللطف والبسمات ، وفي قلبها الآلام والغصات . لقد عاشت ، وأحبت وتعذبت وجاهدت ثم قضت » .

◆

اثر مي في الادب

للدكتور طه حسين

.. لقد عرفت مي في سنة قبل الحرب الكبرى وعرفتها في الجامعة المصرية القديمة في حفل كان يقام لصديقنا الاستاذ خليل مطران وكانت تتحدث فيه الى الجماعات لاول مرة فيما اظن وسمعنا نحن طلاب الجامعة لاول مرة في تاريخنا ايضاً صوت فتاة تتحدث الى الجماهير وكان صوتاً عذباً لا يكاد يبلغ الاذن حتى يصل الى القلب ، وتعلقت النفس بهذا الصوت وامتلأت القلوب باعجابه في احاديث اولئك الشبان عندما كانوا يتحدثون بعد ان انصرفنا عن الحفل .

(ثم تكلم الدكتور طه حسين بك عن الصالون الادبي الذي كان يعقد في دار الفقيدة ، قال) :

هذا الصالون الذي استؤنفت فيه الحياة الادبية المشتركة بين الرجال والنساء بعد ان انقضت عصور بغداد والاندلس . وهي بانشائها هذا النادي الذي لم يكن ضيقاً ولا ارستقراطياً ولكن كان واسعاً ديمقراطياً .. وحسبكم اني استطعت ان اصل اليه حين لم اكن اكثر من طالب بالجامعة القديمة — هذا النادي الذي انشأته بغاية السذاجة والذي يلتقي فيه المثقفون على اختلاف ثقافتهم فيتحدثون بالعربية وبغيرها من اللغات المختلفة ويسمعون فيه شعراً ونثراً وغناء وموسيقى ، هذا النادي اثار في نفوس المصريين الواناً من الشعور وضروباً من العواطف لم تنقض آثارها ولن تنقضي .

... فاذا ذكر تأثير هذه الاندية التي يشترك فيها الرجال والنساء في احاديث العلم والفلسفة والفن فستذكرون انتم في تاريخ ادبنا الحديث «مي» كاولئك اللاتي كان لهن ابعد الاثار في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر في فرنسا وانكلترا وغيرهما .

... والشيء الثاني الذي اسجله هو ان مي قد تأثرت كما تأثرنا نحن في شبابنا بحادث بسيط في نفسه كل البساطه ولكنه كان بعيد الاثر في حياة كثير من جيلنا . هذا الحادث هو محاضرة القاها استاذنا احمد لطفي السيد باشا في نادي المدارس العليا عن ابي العلاء . ما اكثر الذين سمعوا هذه المحاضرة وما اكثر الذين فكروا فيها . ولكن هناك قوماً سمعوها وسمعوا الحديث عنها فلم ينقض تفكيرهم فيها حتى اخذو ابا العلاء على انه موضوع يصح ان يفكر فيه . من هؤلاء مي . فقد اخذت ابا العلاء الذي اظهره لطفي باشا لجيلنا على انه شيء يجب ان يفكر فيه . فكرت فيه وعلقت على تتبع ما كان يكتب عن ابي العلاء . وما لفيتها الا تتحدث في فلسفته وفي تشاؤمه ثم في عزلته .

... وكذلك كانت حياة مي . فمنذ عرفت ابا العلاء تتبعت حياته ولكنها شاركت الناس في حياتهم باسمة مظهرة للرضا مضمرة لعبوس شديد وسخط متضل . ثم توفي ابوها فازداد حزنها وتشاؤمها . ثم توفيت امها فانقطعت الصلة بينها وبين الناس . واذا هي العزلة المرة التي لا يتخطاها الانسان الا بالجهد الشديد والالحاح المستمر .

سافرت مي الى الشام وانقطعت اخبارها ثم اتصلت مؤلمة ثم عادت مي فسعيت اليها واستأذنتها فتأبى علي وتنبئني بان ليس بينها وبين غيرها من الناس اتصال ولا خطاب ولا حديث الا من طريق الكتابة فان كانت لك كتب لم اقرأها فارسلها الي واما شخصك فلا اراه ولا يراني .

واسمع نعي مي فلا ازيد على ان اعيد في نفسي هذه الابيات التي كنت انشدها كلما لفيتها :

الا بي قبل ان تطرح النوى ... بنا مطرحاً او قبل بين يزيلها

فان لا يكن إلا تعلل ساعة ... قليلاً، فاني نافع لي قليلها ! .



رسالة مي

للانسة عزيزة عباس عصفور

اشارت الخطيبة الى جهاد مي في سبيل المراة فقالت : (كانت مي معتزة بكرامتها معتدة بنفسها مؤمنة برسالتها ايماناً تجلت فيه شخصيتها الرائعة فتصدت لهذه الرسالة لا كمصلحة اجتماعية فحسب بل كاديبة انسانية ترسل اناشيد الحرية والجمال وتشع انوار الايمان العميق بالحب : حب الام لطفلها .

لقد كان حتماً ان تؤمن مثل هذه الفتاة بالوطن المعتد بآماله واحلامه فتحولت مي من الذات الفردية المحصورة الى العالم الرحيب تقدم اليه من قلبها وقلمها قرباناً وكان هـذا القربان احاسيس قلب كبير ونفثات قلم ثائر) .

وبعد ان نوهت الخطيبة بجهود الفقيدة الكريمة في خدمة الشرق اختتمت كلامها بقولها : (لقد انتهت حياة مي، ولكن ثورتها ما زالت عبقرية وانتصارا) .

اذين العود

من قصيدة الاستاذ خليل مكارم

◆

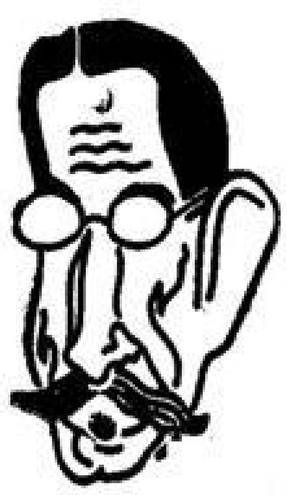
قـد تولى رفاقنا وبقينا ... يعلم الله بعدهم مـا لقينا
هل من الصاب في كؤوسك سؤر ... قد سقينا يا دهر حتى روينـا
اوداع يتلو وداعـاً وتأبين ... على الاثر معقب تأبينـا
ايها الشاعر الذي كان حيناً ... يتغنى وكان ينحب حينـاً
حطم العود ان كر الليالي ... لم يغـادر في العود الا الانينا
أن يلم الردى بمي وان يطـ ... ـفيء مصباحها اليس غبينـا

* * *

اقفر البيت اين ناديك يا مـ ... ـي اليه الوفود يختلفونـا
صفوة المشرقين نبلاً وفضلا ... في ذراك الرحيب يعتمرونا
فتساق البحوث فيه ضروباً ... ويدار الحديث فيه شجونا
وتصيب القلوب وهي غراث ... من غمار العقول مـا يشتهينا
في مجال الاقلام آل اليك السـ ... ـبق في المنشئات والمنشئينا

* * *

وحي قلب يفيض بالحب للخير ... ويهدي اليه من يهتدونا
ويود الحياة عزاً وجهدا ... لا يود الحياة خسفاً ولينا
فهو آنـا يثور ثورة حر ... عاصفا عصفة تـدك الحصونا
ينصر العقل يكشف الجهل يوحي ... العدل يرعى الضعيف والمسكينا
اين ذاك الصوت الذي يملك الاسـ ... ـماع في كل موقف تفقينا
فجع الشرق في خطيبته الفصحى ... ومـا كان خطبها ليهونا
ابلغ الناطقات بالضاد عيت ... بعد ان ادت البلاغ المبينا
اطربته وهذبته وحثتـه ... على الصالحات دنيا ودينا
بكلام مفصـل زانت الحكمة ... فيه البيان والتبيينا
قدرته لفظاً ولحظاً وايماء ... بمـا ودت المنى ان يكونـا
ذاك في العيش ما شغلت بـه ... والغيد تاهو وانت لا تاهينـا



صحف مطوية

بين الدكتور شميل والانسة « مي »

زار المرحوم الدكتور شبلي شميل منذ سنوات الكاتبة النابغة الانسة « مي » في منزل والديها لاول مرة فجرت بينهما محاورة جميلة فريدة في نوعها . فقد دخل الفيلسوف خدر الانسة فما نفرت من جلال حكمته ولا فزعت من هيبة طلعته ولكنها قرأت في كتاباته عداءه للجنس اللطيف فأبى عليها وفاؤها لنفسها وبنات جنسها ان تبتسم لخصم لا يعرف الابتسام . ولكنه اخذ يخفف من روعها فقال : « منذ زمن طويل اتشوق للتعرف بك » . فاجابته وهي واجفة : « هذا التشوق متبادل بلا شك غير اني اخاف منك ». قال : « تخافين مني لماذا ؟» قالت : « لاسباب متعددة اهمها انك تكره السيدات وانك عالم مادي وانا شاعرة روحية الميول » . فاحس الحكيم هول التهمة الملقاة عليه وانبرى لاثبات احترامه للجنس اللطيف ففرحت اذ رأت الرجل العظيم من حزبها لا من اعاديها ووجدته شاعرا بقدر ما كان عالماً .

وفي الغد ارسل اليها قصيدة بليغة فاجابت بقصيدة كستها من اللغة الفرنسية اجمل حلة واننا ننشر هنا تلك المحاورة مبقين ما نظمته الانسة « مي » باللغة الفرنسية بتوقيع «ايزيس كوبيا» كما هو حرصاً على ذكرى ذلك العصر الذي لم تكن تجيد فيه الا الفرنسية . وفيه دليل جديد على مقدرة هذه الاديبة وعبقريتها .

رعب « مي » وطمأنتي لها

◆

أيا من رابها مني مقالي ... فجاءت وهي تنفر كالغزال
تقول : « اخاف منك على خيال ... ارى في آيه كل الجمال »
كأن حقائقي ليست جمالا ... وانّ خيالها منها لخال
اذا قلنا الرياض اليس نعني ... الشباب الغض في ابهى المجالي
اما هذي الثريا في سماها ... عناقيد تشع على الدوالي
وما معنى العيون اذا تجلت ... وقلنا انها الشهب الصوالي
وما هذي الثنايا ان تبدّت ... وقلنا دونها الدرر الغوالي
ومن انباك عن اني عدوّ ... لجنس كان مرآة الرجال
واني ليس لي فيه خيال ... وثوب في الاداني والاعالي
كأني ليس لي قلب خفوق ... محط الوحي او هدف النبال
اما اوحيت لي «هذا» و« هذا » ... وما انا شاعر والجسم بالي
اذا ما قمت اطري الحبّ يوماً ... الا تدرين انك في خيالي
خيالات مخيلها ذوات ... كوائن عندنا في كل حال
فعلمك بالحقائق غير مزر ... عسى يوقي الخيال من الضلال
دعيها مهبطاً للوحي كيلا ... تكون به كما في ذا المقال
« نصيبك في حياتك من حبيب ... نصيبك في منامك من خيال »

شميل



RECONCILIATION

Qu'elle (1) ait d'abord germé dans les grottes liquides.
Où la Muse a placé son Neptune puissant,
Ou, qu'en feux endormis au fond de corps solides,
Elle ait franchi les airs, sur les vagues rapides,
Pour enrichir la terre et de sève et de sang;

●◆●

Que ce qui vous est doux me paraisse tragique,
Que vous citiez Darwin; moi, Shelley et Daphnis;
Que vous placiez le BEAU dans un monde pratique;
Et que mon rêve à moi, câlin et nostalgique,
Saigne en dérobant leur sercet aux myosotis;

●◆●

Que vous toisiez le TOUT et que moi je délire,
Que mon sourire soit triste et le vôtre si fin,
Que je pleure en touchant les cordes de ma lyre ;
Et que le bistouri puisse encor vous séduire;
Qu'étant tellement vous, me fassiez peur, enfin.

●◆●

Au fond de tout cela qu'y a-t-il, ô Science,
Sinon la douloureuse et belle Humanité?
Divisés par l'orgueil, l'intérêt, la souffrance,
Ne sommes-nous pas tous frères par l'espérance,
Ne sommes-nous pas tous chercheurs de Vérité ?

Isis COPIA





الى الساحرة ايزيس

◆

تقولين اني اسير الثرى ... وانت تحومين حول السهى
وانك في ذا المحيط ترين ... النفوس واني اريك الصدى (١)
فراعك مني تصاب ... فانشدت فينا اختلاف الهوى
تظنين اني فتنت بباد ... وليس افتتاني بهذى النهى
كأني نظرت بعينك فيك ... وانت نظرت بعيني انا (٢)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

A Monsieur le Dr. SCHEMEIL

Echange, dites-vous, échange de nos yeux?
Docteur, vous oubliez que cela ne peut être;
La fleur qui sent la brise effeuiller tout son être
Peut-elle donc rentrer dans le sol soucieux?

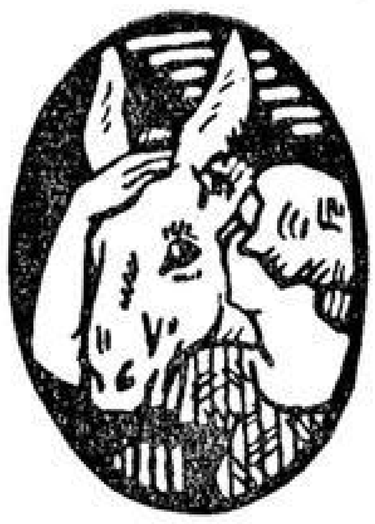
●◆●

Votre œil qui connaît tant de misères humaines
Ignore du chagrin le trouble caresseur :
Rien n'affecte ses eaux quelquefois si lointaines.
... Un rien baigne mon œil d'ivresse ou de langueur.

●◆●

Et si vous avez pu vous pencher sur mon âme
Pour y déchiffrer mon rêve angoissant et pur,
Si vous avez sondé ces profondeurs en flammes,
C'est qu'en votre œil demeure une larme d'azur.

"Isis"



---

(1) La Vie.

(١) الجسد بعد الموت وهنا يراد به المادة (الصدى)
(٢) اي اني نظرت اليك بعين روحانيتك وانت نظرت الي بعين مادتي .

[١]

الخضرة والماء « وعفريت العمران »



هذه بغداد العظيمة بجمالها المشتت ونضارتها المشعثة وكبريائها العتيدة ، تزدحم فيها حادثات التاريخ في جلباب من الغبار والنسيان ، اكثر من ازدحام اهلها في « الدرابين » اللولبية الضيقة ؛ وتزخر فيها ذكر الماضي اكثر من زخور دجلتها . وذلك الجسر العائم الذي يجدد ذكرى اولئك الذين بنوا المدينة ، في كل صوت يئن به ، وفي كل نحيب يتعالى منه وهو يرزح تحت اثقال الماضي والحاضر : الماضي في سكان بغداد ، والحاضر في من اتوا الى بغداد .

لله بغداد ! . . ما يستقر بها فكر زائرها حتى يحلق في ارجاء العصور ، او يدب في ثنايا التاريخ امداً بعيداً ، فما يفتأ البصر يترامى بين الرصافة والكرخ في طلب موكب من مواكب الخلفاء ، او مجلس من مجالس الشعراء ، او حفل للادباء والشعراء . في كل التفاتة ذكرى خليفة ، وذكرى ليلة . . والف ليلة ، وفي كل سانحة حديث فيلسوف او تحقيق عالم ، او اثر مهندس او وحي شاعر —

والنواسي والندامى ؛ أمنهم ساهر يملأ الدجى او ناد ؟؟

ثم يقع الفكر وقوع الطائر بعد طول التحليق ، فيستريح من بغداد التي كانت — وقد تعرفت اليها منذ عشر سنوات — الى بغداد الحاضرة ، حيث ثوى الهاشمي الكبير فيصل ، بل الى امة اخذت المجد اهبتها ، واعدت للعظائم عدتها وعرفت بين الامم غايتها ، وشقت وسط الخطوب الدوامي طريقها الشاقة ، فسارت في مواكب من همة قعساء ، وعزة متناهية ، وانفة بدوية ، وسطوة عربية ، وكبرياء خاصة ببغداد ، وقد آلت على نفسها ان تسير سيرتها حتى النهاية .

ذلكم حاضر مجيد تمتد اصوله الى ماضي مجيد .

ذلكم حاضر يتدفق من شواهق المجد في مجرى العزمات الماضية الى المستقبل الوضاء .

تلكم نهضة تبعث في النفس الامل .

تلكم نهضة تشيد معالم الحضارة والعمران ، مستحلة في سبيل ذلك عصمة النخيل وسكون الماء ، غير متورعة من ان تعكر زرقة السماء .

فماذا عساني ارى في « عروس الخلفاء » بعد طول الفراق ؟؟؟

النخيل !! . ويا لسحر النخيل . فهو يغذي هذا البلد الامين ، ويمنّ عليه بالبحبوحة وبالراح وبالسعادة . ان في كل باسقة صرخة تدوي في الفضاء ، هتافاً لبغداد في عرسها الغابر ، وعرسها الحاضر .

ان النخيل يفر اليوم امام فأس العمران على الضفتين ، ويتراجع الى الوراء الا بعضه ، وقد جاور الحدائق الغناء . وأظلّ الدور المبعثرة في واحاته هنا وهناك ، واسدلت بواسقه الضفائر على جنبات القصور .

شوارع عريضة مستقيمة شقت طريقها كالانهر المتدفقة في غابات النخيل ، تتسارع الارصفة الرحبة على ضفتيها ، مراتع نزهة لعشاق المرح من اهل الحبور .

وبين الفينة والفينة يطل عليك قصر ناصع كأنه ماسة على بساط من السندس ، وقد ضمته عناقيد الزمرد المتدلية ، ثم يشرف عليك ما انتظم من قلائد الدور المتواضعة وكأنها المخدرات انحسر النخيل عن بعض اطرافها ، فتدلت الى صفحة الماء ، وسالت اخيلتها في امواج ناعمة من مرصوف الفسيفساء . بينما الشمس تتكشف عن نواحيها المتوردة ، وكأنها ابراج كسرى معلقة ما بين الماء والسماء .

وبين الفينة والفينة تعترض طريقك الحدائق العامة الضاحكة ، وقد اسدل العمران عليها بهاء ما بعده من بهاء . وكستها الطبيعة حلة متجددة الوشي من الوان قوس قزح . بينما الماء يسترق سيره المتعارج ما بين الورود والزنبق والنرجس والريحان ، ويروي غلتها طوراً ويغرقها بفيض من دفقه تارة ، حتى تكاد تنتفض لفرط سرورها وقد غمرتها رعشة الحياة .

في هذه الجنة الارضية يلعب صغار البغداديين ويتنسمون في لهوهم ومرحهم الصحة والنشاط والجمال ، فبينهم من اعتلى الارجوحة الحمراء ، وبينهم من امتطت صهوة شقيقها في سباق مع ابنة الجيران ، وهنالك جلست على المقعد الخشبي شقيقتهم البكر تحيك بصنارتها جواربا صوفيا لخطيبها الذي ربما كان يحوم في طيارته فوقها الان . الا تراها كيف تتلفت بشوق الى عنان السماء ؟ .

ها هي الشوارع قد استطالت امام خطانا ، وان مزارنا لبعيد . فلنعمد الى عربة تقلنا الى الضفة اليسرى من النهر ، فنعبر احد جسري بغداد الثابتين الى الكرخ ، فلقد جرف العمران الحديث جسر بغداد التاريخي العائم ، ذاك الجسر الذي سارت عليه زحوف الامم والشعوب في مدها وجزرها ، نحو الشرق تارة ونحو الغرب طوراً .

لقد خفت انين الجسر الى الابد ، وخفتت معه الضجة البابلية المتواصلة ، وصفا الجو لامواج دجلة الناعسة ، فلاهبوط في عوامات الجسر تعترض سلامة مسيرها ، ولا سلاسل حديدية تقطع في اوصالها ، امواج رقراقة وسنى تنسل ، متسارّة بعضها لبعض ، عن مصيرها في الخضم المالح العظيم .

« ابو مروان »



الغواصات

وكيف نشأت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يرجع تاريخ الغواصات الى ٣٠٠ سنة خلت غير ان الدول لم تبدأ اهتمامها بها الا في اواخر القرن التاسع عشر اي حوالي عام ١٨٨٠ ميلادية تقريبا .

صنعت اول غواصة كاملة العدة في سنة ١٧٧٥ والذي صنعها هو احد المهندسين الاميركيين ويدعى « بشنل » صنعها كلها من الخشب وكانت آلاتها تدار باليد ، لها صمام يفتح فيدخل فيها الماء لتغوص تحته . واذا اريد تعويمها تزع الماء منها .

ولم تكن هذه الغواصة تتسع الا لشخص واحد ، وكانت كمية الهواء فيها صغيرة بحيث لا تكفي الا رجلا واحداً مدة نصف ساعة .

وفي عام ١٨٠١ صنع المخترع فلتن المشهور ثلاث غواصات ، اثنتان منها في فرنسا ، والثالثة في اميركا . وكان يستعمل الهواء المضغوط لنفسه ومن معه في هذه الغواصات ، وقد افلح في ان يهبط باحدى غواصاته الى ٢٥ قدماً تحت الماء وان يظل غائصا زهاء اربع ساعات .

وكانت غواصات هذا المخترع تدار كذلك باليد ، غير انها امتازت على غيرها بانها تغلق من الخارج بطبقة من النحاس الرقيق .

واول من استعمل الآلات في ادارة الغواصات هو المخترع شارل براون وكان ذلك في عام ١٨٦٢ .



اين حوريات الشعر ؟!

يتساءل الكثيرون من نقاد الادب كيف ان الشعر لم يتأثر بفواجع هذا العصر الهائج المحموم . فكأننا شعراء هذا الجيل في هجمة ذاهلة لا يستشعرون الاحداث التي تقوض اركان عالم يتململ في اربطة الالم وعصائب العذاب .

ولعل ذكرى النهضة الشعرية الفياضة التي تفجرت في القرن التاسع عشر وانطفأت لدى اشتعال الحرب الكبرى الماضية هي التي تحمل مراقبي التطور الشعري على التخوف من هذا الجمود في انتاج الشعراء .

ففي فرنسا مثلا قام في الجيل المنصرم عصبتان من اكابر الشعراء . فالاولى ضمت في حلقتها فيكتور هيغو ولامارتين وموسيه وفينيي والثانية بودلير وفرلين ورنبو ومالارمه وغيرهم .

ولاح عقيب الحرب الكبرى بارق وهاج في دنيا الشعر ، لكنه كان ومضة سانحة ، فقد حصدت تلك الحرب نبوغ «ابولينير وبيكي» ولم يقم بعد هذين الشاعرين ملهم كتب له الخلود .

غير ان هذا الجمود الطويل لا يعني ان الحس الشعري قد مات او تحجر ، فالظروف والعوادي التي تطغى على مقدرات الناس وتلعب بمصيرهم والاحداث الهائجة التي تتأرجح بينها حياتهم في اعصار هذا المراك المجنون تحرمهم وسائل اخراج شعرهم ونشره .

تقول الاساطير ان للشعر الاهة تلهم الشعراء وان لكل شاعر حورية تبعث في اعماق نفسه الوحي ، فهل اصبحت هذه الحوريات العابثات في جنة الشعر مدافع ومصفحات ، وهل قضت عليها حرب الطغاة ؟ لا هذا ولا ذاك ، فالشاعر يخلق ربة شعره من خياله ويستوحيها من جمال بنات جنسه . وربة الخيال هي للشاعر اسمى من التي يعثر عليها بين قافلة البشر . فالاولى يخلقها الشاعر على مثال حسه وصورة الهامه ، اما الثانية فان قبلة واحدة من ثغرها تطفيء الخيال وتمسخ العاطفة فيصبح الوحي شهوة دنيوية .

الشعر العاطفي وليد الالم وربيب الشقاء . والشاعر الذي يغني السعادة شعره فاغا يطلق هذا النغم في فترة من عزلته وساعة من ذكرياته . اما الالم فانه يوقظ في النفس الحساسة لدى كل نعرة صورة بكرا وعاطفة سمحاء .

اي امريء نال شيئا من الثقافة ولم يقل الشعر ولو مرة في ربيع شبابه عندما يتفتق القلب عن زهرة الحب ويشعر بالم الصبابة وعذاب الجفاء ودلال الحبيب ؟ وكثيرا ما يفلت المرء من هذه الطفرة الشعرية وهو لا يدري كيف مر به الخيال مرور الظل . واذا هو عاد يوما الى قيثارته فانه يجدها مقطعة الاوتار . وهذا ما لا يؤسف عليه لان هؤلاء القوم ليسوا بشعراء .



وهنالك فريق وقف مشاعره على الحب فهو يستهدف المحبة في كل شيء ، فيحب قريبه الانسان ، ويحب الانسانية والمثل العليا والكائنات من كل حي وجماد ، ومن امثال هذه العصبة ينشأ الشعراء الخالدون . وقد نجد احيانا في شعر هذه الطبقة الملهمة مظاهر اسفاف مريض لا يتفق وما يبدو لنا من عبقريتهم ، لان احساسهم المرهف يصورلهم شوكة الوردة مخلبا مسنونا وناباً مصقولا ، فيبالغون في الشكوى من علة جسدية بسيطة . ولو كان هؤلاء الشعراء على مستوى سائر البشر لتحملوا عاهاتهم بشيء من الصبر وتعودوا عليها وتناسوها ، لكن شعورهم اليقظان جعلهم يبالغون في احساسهم بهذه العاهات فيفكرون بها دائما ويتكلمون عنها ويتعلقون بها تعلقاً مؤلماً يحملهم على الزهد في الحياة والانصراف الى تعزية النفس بالشعر .

فلو لم يكن « كيتس » قزمة « وشللي » ذا عاهة في منجرته وبيرون اعرج لكانوا انصرفوا الى نواحي حياتهم العادية ، فكان بيرون مثلاً لوردا عظيما يقيم حفلات الصيد والمآدب ، لكن العاهات البسيطة التي يتحملها ويتعودها سائر الناس ايقظت فيهم ألم الكبرياء وجنحت بهم الى التذمر والشكوى فتجلت شاعريتهم من خلال شقوق الالم .

لست من دعاة النسك والتقشف ولا من المبشرين بضرورة الالم والعذاب لاستخراج كوامن العاطفة كما ينتزع الجلاد اسرار الضحية من اعماق الضمير او كما يضرب الفارس الحصان لتثور اعصابه فيمضي في العدو شوطاً بعيدا ، ولكني ارمي الى نتيجة كان اهمالها وبالاً على ادب هذا الجيل . فالرخاء والبحبوحة وسعة العيش والانغماس في ملاهي الحاضر ، دون النظر ولو بطرفة عين الى المستقبل تقود حتما الى ما نحن فيه اليوم من ويل وشقاء وجمود في جميع مناحي هذه الحياة المادية والمعنوية والروحية .

فاذا كانت ثورة المادة وسيطرة القوة قد سطتا على شعور المفكر وغلبتا احساس الشاعر فما ذلك الا عارض يزول . فالقوى النفسية كامنة محبوسة في مضغط تتجمع فيه الخبرات كمياه النبع الحزين وتزيد نار الالم في صهرها وتطهيرها حتى تأتي الساعة التي ينفجر فيها هذا الينبوع العميم بفيضه وخيره فيكون للعالم عهد يحسبه جديدا على حين انه وليد الم تتململ منه النفس ويعانيه الجسد

ولنا من تاريخ الاداب ما يثبت ان انكماش الفكر وانطواء الشعر على نفسه يهبطان بها الى مستوى المادة ولكن الى حين محدود ، وينقضي هذا الحين المحدود فتنكشف في وجه التاريخ تلك الكنوز الموؤدة .

« شاعر »

طبيب العائلة

بقلم الدكتور عيسى سري الديه

لقد درج الناس على الاعتماد بعضهم على بعض ، وعلى تولية الثقة اشخاصاً معينين يضعون بين ايديهم مصالحهم ، فيستأنسون بآرائهم ويعتمدون على معارفهم ويرضون بالنتائج التي تجنيها لهم جهودهم، مثال ذلك ان يكون لاصحاب المصالح محام خاص يستشيرونه في كل مهامهم ، ويعملون بآرائه التي لها صلة بالقانون ، ويولونه حق الدفاع عنهم في المحاكم ، ولا يرضون عنه بديلا ، لانهم لا يثقون الا فيه او في من يثق هو فيه .

وقد تتوطد بينهم وبينه روابط الالفة والاخلاص ، فيحتل مركز القريب او الصديق الحميم من العائلة، ويصبح خبيراً باحوالهم الخاصة مطلعاً على خفاياهم ، يفهم بكلمة او بنظرة ما يعجز غيره عن فهمه بعد الدرس الدقيق . ويتولد من ثقتهم به مسؤولية تدفعه الى بذل اقصى جهوده لصيانة حقوقهم مع المحافظة على مصالحه وارضاء ضميره الحيّ . ومثال ذلك ايضاً ان يقتني احد الناس سيارة ويسلم قيادتها الى احد السواقين ، يعتمد عليه في سوقها وفي الاشراف عليها والسهر على آلاتها وعلى جميع حاجاتها من زيوت ووقود ، لحفظها سائرة واذا عرض ما يدعو الى تغييره واستبداله بسواه ، يقف متردداً قبل الاقدام على هذا التبديل ، باعتبار ان السائق قد اعتاد على تلك السيارة وصار ملماً بحركاتها ، عليماً بخفاياها عارفاً مواطن الضعف فيها يقودها على نسق خاص جعل الآلات الصماء في جوفها معتادة عليه . فصاحب السيارة واثق بان تغيير الايدي وتبديل الاشخاص يعود بالضرر على سيارته وعلى آلاتها ، فهو والحالة هذه يتمسك به متحملا شذوذه وغير المألوف من طباعه وعاداته طمعاً في حفظ سيارته سليمة ، وفي صيانتها من العطب . وهكذا في سائر الاعمال والعلاقات بين الناس التي ترتكز جميعاً على اساس تبادل الثقة بين الافراد بعد التحقق من اهليتهم ، ومن خالف ذلك وسار على التنقل من شخص الى آخر لا يكاد يولي احدهم ثقته حتى ينزعها منه ويسعى الى غيره ، كان نصيبه الفشل التام في كل ما يقوم به من الاعمال .

ولما كان الجسم البشري الذي تتدفق منه الحياة وينبع النبوغ وتتولد العبقرية وتصدر الاعمال الجبارة هو نحيف التركيب دقيق الصنع سريع التأثر بعوامل الطبيعة فبينما تراه يدك الجبال بقوة اختراعه ويفل الحديد بعزم دماغه ، لاتلبث ان تشاهده يخر صريعا تحت وطأة جرثومة حقيرة يدوس الملايين منها كل يوم بقدميه غير شاعر بوجودها —ان هذا الجسم الانساني الذي تطور مع الايام واكتسب من اختبارات الاجيال وتقدم مع العصور ، الذي يسبح في صباحه في حوض من المياه المعطرة ويعود في مسائه مخضباً بنقيع من التراب، يعيش تحت الارض فيتنفس الهواء الدفين، وعليها فيملأ رئتيه بالهواء الموبوء، وفوقها فينتعش بالهواء النقي؛ الذي يعيش عند خط الاستواء فيعرض جلده لحرارة الشمس المحرقة؛ ويعيش في القطب فيكسر الجليد عن منخريه ليفسح طريق الهواء الى رئتيه ، الذي يلتهم اللحوم ويقضم البقول، ويشرب الماء القراح ويحتسي الكحول والسموم ليبني منها حياته وقواه ، الذي يرتدي ناعم الحرير ويتجلبب بالصلب من الحديد ليقي جسمه من عوامل الطبيعة وشرورها . اجل ان ذلك الجسم الذي يستهلك في مختلف الاعمال ويثبت تجاه كل المتناقضات ، حري بان تلقى مقدراته في يد حكيمة وتحت عين يقظة تسهر على رعايته ، اسوة بالاعمال والمصالح المادية التي يؤتمن عليها محام واحد هو موضوع الثقة ، واسوة بالسيارة المؤلفة من الحديد التي يوكل امر العناية بها الى سائق واحد لا يبدل بغيره بسهولة . وما ذلك المعتمد الامين والوكيل الموثوق به الذي يحمل على منكبيه مسؤولية الصحة ، وتلقى بين يديه آلام الحياة ومتاعبها وامراضها؛ سوى طبيب العائلة ذلك المفروض فيه ان يحمل بين طيات دماغه العلم والحكمة ؛ وداخل صمامات قلبه الحنو والشفقة ، وعلى لسانه عبارات التنشيط والتعزية، وبين يديه بلسم الشفاء والتقوية . ذلك الذي يجود بنفسه في سبيل حياة وصحة من يؤتمن على العناية بهم والسهر على راحتهم ، ذلك الذي يعرض بسمعته وكرامته؛ اذا اقتضى الامر، في سبيل كرامة مريضه وصيانة سر مهنته، ذلك اذا حضر تهتك عند قدومه الستور، واذا سأل تختلج لدى اسئلته الصدور ، فلا تخفض العذراء بصرها في حضرته حياء ، ولا تقفل المحبة باب خدرها في وجهه تحصناً .

اجل ذلكم هو الجدير بهذه الثقة وبهذا الائتمان ، والذي لا تقوم مصلحة العائلة ولا تتمتع بنعيم

الصحة الا بالقاء اعبائها بين يديه . وتجاه هذه الثقة وهذا الاعتماد يفرض عليه كثير من الواجبات التي لا يقوى على احتمالها الا الاخلاص والوفاء اللذين يفرضهما عليه الضمير والتضحية . واهم هذه الواجبات ما يأتي :

اولا — السهر على صحة المنزل — من حيث موقعه وتقسيمه واستعمال اجزائه وفرشه وتهوئته ونظافته ، وتعريضه لحرارة الشمس ولتأثير ما يحيط به من حدائق او يربى حوله من حيوانات او طيور او لما يزين به من رياحين وزهور . ذلك ان المنزل هو مملكة الزوجة ونعيم الاولاد والملجأ الامين الذي يأوي اليه رب العائلة بعد جهاد النهار واتعابه . ولما كان احتشاد المنازل يزداد مع الايام ومقتضيات المدينة تطلب وفرة المفروشات والرياش والاواني المنزلية ، اصبح الاعتناء بهذه الاشياء من الوجهة الصحية واجباً كي لا تتحول الى اداة لنقل الجراثيم والامراض .

ثانياً — فحص الافراد في حالة الصحة — ان الرقابة الصحية تقضي على طبيب العائلة ان يكون لديه سجل صحي يخص صفحاته بافرادها . ويعمد بين الفترة والاخرى او عندما يشعر باي تغيير في مزاج احدهم الى اجراء الكشف الصحي التام عليه ، مع الاستعانة بالسجل لاجراء الفحوص اللازمة وذلك لتدوينها في ذلك السجل ولارشاده الى ما يجب الاقدام عليه من عناية صحية او معالجة ، وبهذا يتوصل في كثير من المرات الى اكتشاف امراض لم تزل في بدايتها حيث يسهل معالجتها واتقاء شر استفحالها . وغير خاف ان اخطر الامراض وفي مقدمتها التدرن الرئوي يبتدئ بصورة خفيفة لدرجة تجعل شفاءه مؤكداً في ذلك الحين ، اما اذا تأصل فيصبح الخلاص منه مستحيلا . وامراض كثيرة غيره اذا تمكن الطبيب من الوقوف عليها في بداية امرها وفر عن اصحابها كثيراً من البلايا . ولهذا يقال في الداء : « داء العلة قبل تمكنها » .

وكثيراً ما تكشف له تحاليل المختبر عن اداء دفينة ما كان المريض يعلم بها او يشعر بوجودها كالداء السكري مثلا . فان المصاب به يسلخ اعواماً من عمره يعد فيها كثرة الاكل شهية وكثرة الشرب نتيجة كثرة الاكل وكثرة البول نتيجة كثرة الشرب ، ولهذا لا يلجأ الى حمية او الى معالجة الا بعد ان تسوقه الصدف الى طبيب يستشيره في امر آخر ، او بعد ان يستفحل امر الداء ويصبح في حالة خطر على الحياة . . . ولو كان هذا المريض يخضع لرقابة طبيب العائلة ويمتزج به كثير الاحيان ويلاحظ عليه افراطا في الاكل والشرب وكثرة تبوله او يحلل له بوله في اوقات معينة من السنة عند اجراء الفحص الكامل عليه كما مر بنا ، لادرك حدوث الداء في بدايته ووضعه تحت الحمية اللازمة والمعالجة المقتضاة ولوفر عليه كثيراً من الويلات والمفاجئات الخطرة ، اذ كثيراً ما يبقى هذا الداء خفياً الى ان يفاجأ المصاب بتسمم الدم ، فغفوة موت لا يقظة بعدها . وتزيد على ذلك ان طبيب العائلة الذي يلم بتاريخ اجدادها الطبي على قدر ما يمكن ان يتصل به ، يعرف الامراض المتأصلة فيها والتي ادت الى وفاة الاباء والاجداد منهم كما يتمكن من تدارك وقوع هذا الداء وغيره فهو ينهي الشخص الذي يلاحظ عنده استعداداً لوراثة الداء عما يعرضه للوقوع فيه كالاقلاع عن بعض المآكل وعدم الاكثار من الاكل وتوقيت النوم والعمل والتقيد بشروط صحية جمة يمليها عليه . وهنا يمتاز ايضاً طبيب العائلة عن غيره من الاطباء المستشارين بانه بما يفرض من حمية او من شروط صحية يتمكن من السهر على تنفيذها بسبب احتكاكه بالعائلة وامتزاجه بافرادها . فهو والحالة هذه يمثل القوة التشريعية والقوة التنفيذية في وقت واحد اذ كثيراً ما يكون عجز التنفيذ من العوامل التي تجعل قوة التشريع ، مهما تكن محكمة وحكيمة ، عديمة النفع والفائدة .

الدكتور سري الدبه

فائدة المشي

◆

الالعاب الرياضية مع الاستمرار على قواعدها المتبعة ضرورية جدا لحفظ الصحة جيدة . وانفع الالعاب واكثرها فائدة ما كانت في الهواء الطلق ، واصح السيدات جسما هن اللواتي يمارسن الالعاب الرياضية .

والرياضة البدنية انواعها كثيرة ، وافضلها المشي اذ ان كل سيدة وكل فتاة يجب ان تمشي خمسة اميال يومياً على الاقل . لكن قليلا من السيدات والانسات يمشين هذا المقدار لركوبهن السيارات والمركبات الكهربائية .

والمشي واجب للسيدات اللواتي يمضين اكثر اوقاتهن جلوسا ، وذلك بان يخرجن من منازلهن على الاقدام ويسرن في طريقهن ، حتى يصلن الى منتزه او حديقة او غير ذلك من الجهات التي يكثر فيها الهواء الجاف النقي ، ثم بعد قضاء الوقت المناسب يعدن ثانيا الى منازلهن سيرا على الاقدام . بهذا يجدن صحتهن في تقدم وعضلاتهن في نمو .

والسيدة التي لا يمكنها الخروج يوميا للتروض واستنشاق الهواء يمكنها ان تمشي يوميا داخل غرفتها مدة عشر دقائق تقريبا ذهاباً واياباً بشرط ان تضع فوق رأسها كتاباً تكون متزناً على قمة الرأس ، فان هذا النوع من التمرين مفيد جدا . واحسن الاوقات للرياضة البدنية هو الصباح في البكور ، وفي المساء قبل العشاء .



صور من البادية

بقلم جبرائيل جبور

الوقت سحر وقد عقد الطل سرادق من سحبه انتشرت فرقاً فوق اديم الاودية والسهول، فعبقت الارض باريج القيصوم والشيح، واختلطت انفاس الابل وهي تتحرك من مرابضها بقطرات الندى المتعلقة باهداب الرند والبان، فتململت المضارب بعد سكونها في هدأة ذلك الليل الندي، وحان من الحي هبوب فهبوا، ونادى مناد: أن ارحلوا! فحلت الاطناب واقتلعت الاوتاد وقوضت الخيام ثم حملت الجمال وسارت الظعون. ويكفي ان نقول: الرولا، عرب الشعلان، حتى ترى بادية الشام تضج مرحبة بمن سيحل رحابها.

اجمعوا امرهم عشاء فلما اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء من مناد ومن مجيب ومن تصهال خيل خلال ذاك رغاء البشائر قد وردت تترى في ان الحماد (اي بادية الشام) قد أمطر الوسمي. وقد طلع سهيل فيجب ان يشرق البدو. وسهيل نجم يسود في السماء اربعين ليلة، والسماء كلها سماوءه والنوء نوءه، فاذا نزل الغيث فهو غيثه، وحبّ بغيث سهيل فهو الذي يجعل الارض تخرج شطئها وتظهر وسمها وتكوّن كمأها وتملأ غدرانها. ثم يدال من سهيل الى الثريا فتملك خمساً وعشرين ليلة تليها الجوزاء مثلها وتلك تسعون يوما هي ايام الخريف عندنا، ثم تطلع الشعرى فتملك مدة سهيل، يليها السماك فيأخذ دور الثريا والجوزاء وهذه تسعون اخرى، ثم يأتي فصلا الصيف والقيظ. فالبدوي يقسم سنته الى خمسة فصول: الصغيري ٩٠ يوماً حكم سهيل والثريا، ثم الشتاء ٤٠ يوماً حكم الشعرى ثم السماك خمسون يوماً ثم الصيف وهو شهران والقيظ وهو اربعة شهور، وتسمى الامطار باسماء الفصول فهو وسمي في الخريف يليه شتوي يليه سماكي يليه صيفي، وقلما عرفت البادية المطر في القيظ.

فلنعد الى الرولا فقد شرقت وقد ملأت الحماد إبلا تسعى. ساقة تتلوها ساقة، وظعن يعقبه ظعن، وقد سارت امام هذه الخليقة المتحركة طلائع من الفرسان تشق لها طريقها الى الصحراء. وتخلفت وراءها مواكب اخرى تحفظ مؤخرتها من طوارق الحدثان، وسار في القلب ظعن ابن الشعلان شيخ الرولا وزعيمها الاكبر ويعرفونه بظعن الشيوخ.

واستقر البدو بالحماد وانتشروا في رقعتها الواسعة، وضربوا الخيام في بطحائها على اكتاف الاودية متجنبين مجاري السيول «ليا طلعت سهيل لا تأمن السيل».

وانقطعت عن الحواضر اخبارهم الا ما كان يرد بين الشهر والشهر على فم رسول اتى في حاجة خاصة او تاجر من العقيدات قد نفقت بضاعته فعاد يلتمس غيرها او بدوي سرقت فرسه فأتى يطلبها.

وكان لي صديق لم ادرما الذي دفع به الى جوف البادية وكان يألف بي ميلا الى درس احوال البدو فكان يبعث اليّ باخبارهم في رسائل لا ازال احتفظ بها واشعر كلما تلوتها بنفحة من عبق الصحراء وحنين الى ايام حلوة قضيتها على ضفافها.

عن الحماد في غرة اذار ٣٦

... وبعد فاني اكتب اليك والحماد جنة، والبدو مستبشرون فالغيث كثير والخير كثير، والابل تكاد اسنمتها تتقصف فوق ظهورها من السمنة، وواحات الحماد تكاد لاخضرارها تشبه الجنات الغناء، فما كنت ادري قبل اليوم ان انواعا من الزهر تنبت فيها، فهنا فصائل من الزنبق البري بالوان ارجوانية وصفراء وبنفسجية وبيضاء، وهناك بقعة من الخزامى تتلألأ تحت وهج الشمس فما ان تداعبها ريح الصبا حتى يعبق الفضاء بأريجها فتحمله الريح معها الى كل مكان، وهنا الشقائق تتموج كغدران من دماء وهنا الحوذان بنوره الاصفر الفاقع يذكرني بابن الفارض في بيائيته بل بقيس بن الملوح حين يقول:

الا ليتنا كنا غزالين نرتعي ... رياضا من الحوذان في مهمه قفر

لقد رأيت العشب في بعض مفاضات الاودية خميلة تكاد تطاول السدر والضال ورأيت الرعابيب من بنات البدو يأتين مبكرات يغرفن الندى عنه ليملأن قربهن منه، أسمعت قبلها بواردات يردن الندى مستعيضات بمائه عن ماء الغدران.

ولقد تشققت الارض عن نبت فطري يسمونه الكمأة وانتشر صبية البدو ونساؤهم مد نظرك يبحثون عنه ثم يقتلعونه بعصي لها اسنة حديدية فلا يعود واحدهم آخر النهار الا نائيا بحمله. والغريب ان هذا النبت ليس له ورق، ولولا الشقوق



نشرت بأذن من السيدة « كلافيل »



التي يحدثها فوقه في سطح الارض لما امكن الاهتداء اليه . انه يكاد يقوم مقام اللحم عندنا فترانا نكتفي الآن باللبن والعيش والكمأة الا في العشيات في حفلات الاعراس وهي كثيرة ، ففي كل عرس تذبح الذبائح وتنحر الجزر ثم يدعى كل اهل الفريق او القبيل حتى اذا فرغوا من الطعام اقاموا معفا للرقص والدبكة لساعة متأخرة من الليل ، ويا لها من ليال في الصحراء. سماء صافية على خلاف ما يعتقد اصحابك في لبنان ونجوم تتلألأ في عرصات السماء فترى عينك منها ما لا تألفه من قبل . ماذا اقول ؟ لقد استعنت منذ ليال بمنظار اعارنيه الشيخ نوري الشعلان فرأيت بعض السيارات بحجم القمر واولا قليل لقلت كما كان يرينا اياها مرصدكم في الجامعة . وسكون يخيم في الليل تجلله الروعة والبهاء . انه ليل الصحراء ، ليل الشعراء ، بل ليل الانبياء ، انه ليدنو الان ، وحبّ به ، ولم يبق في الشمس غير ذماء صعدتها انفاساً ملتهبة صبغت الافق الغربي بلون عندمي ناري كالعصفر او الزعفران وانعكست هذه الالوان على الغيوم الريشية المنتثرة في السماء فاذا بها صور من سحر الطبيعة تعز على الرسامين .

ها ساقات الابل تعود الى مراحها واصوات الرعيان تتردد من بعيد وهي تحدو لها فتتجاوب اصداء الحداء مع دقات اجران البن في الخيام ، وها البدويات يهيئن الوقود للنار ، بل ها هي النيران تشب صفاً في كل خيمة من خيام الفريق الذي انزل فيه ، يقابلها مثلها في خيام الفريق الآخر . قد عاد مضيفي الى خيمتنا فاعذرني اذا تركتك الان والى اللقاء ..

صديقك . ج .

رسالة مهملة التاريخ وصلت في غلاف واحد مع الرسالة السابقة :

لقد تركتك منذ ليال حين اتاني مضيفي في تلك العشية يستصحبني معه الى وليمة عشاء دعينا اليها ولعلك تعذرني الان اذا تجاوزت ذكر كرم هؤلاء البدو وجودهم فانت تعرف ذاك اذ قد لفت نظري شيء اهم واجدى ، كان القمر بدراً وقد مد السماط امام الخيمة وتحلق المدعوون حوله نوبات خمساً ، تبعاً لمكانتهم ومقامهم ثم انصرفنا الى الحديث والسمر وكان يدور حول الغزو والحروب تتخلله اخبار عن عجائب العرب من هذه الدراجة التي يسمونها فرس ابليس الى هذه الطيارة التي لا يفقه البدوي كيف يجرؤ مخلوق على اعتلاء متنها او الجثوم في جوفها ، الى اخبار فتاة خطبها خاطب فلم يشأ ابن عمها تزويجها منه وهو صاحب الحق في امرها فخطفها خاطف ارتحل بها الى قبيل آخر ، الى التحدث عن فرس لاحدهم والتحفظ بابداء آرائهم فيها كأنهم في الحديث عن اعراض الناس . وما كدنا نفرغ من هذا السمر حتى حدث ما لم يكن عندهم بالحسبان ، لقد سكن الجو بغتة واخذت السماء تظلم شيئاً فشيئاً فذعر الناس وهب البدو من شتى الخيام ونفروا خفافاً من هول الفزع ، ترى ماذا جرى؟ ابيت عدوّ ؟ لا انما هو البدر يخسف او قل يبلعه الحوت ، ولا تسل عن قلقهم وجزعهم على البدر ، فهو عندهم رمز الخير ينير الليل ويقطر الظل ويسحب الغيوم وينمي النبت ويمكن البدوي الظاعن من النوم آمناً في ظعنه . اما الشمس فهي مخلوقة للشر تجفف الارض وتبخر الرطوبة من النبت والتراب ، بل من الحيوان والانسان وتنزع الحياة من الاجساد ، ثم تفسد الاجساد فتنتن وتنشر سمومها في الفضاء .

القمر شاب غض طري وهي عجوز متسترة عاقر رآها فغره منظرها من بعيد فأحبها ، حتى اذا زوج منها اختبرها فكرهها ، وكانت غضوباً شرسة فكرهته وكرهت معه الحياة فسلطت نفسها عليها تنتزعها انى وجدتها . تخاصما فخدشها بوجهها فادماها فخدشته بوجهه فاقتلعت عينه وهي لا تزال تترصد لتوقع به الاذى ، فهو يخشى شرها . تقترب منه فيجزع ويقلق وينحل من الخوف ويضعف حتى يصبح هلالا ، ثم تبتعد عنه فيطمئن ويعود الى صحته ، ويصبح بدراً . ولكليهما عدو هو الحوت قد سلط عليهما منذ الازل يحاول نهشهما او ابتلاعهما فاذا عرض للشمس هللت الرولا له وتمنت لو يبتلعها وينقذها من كيدها ، واذا عرض للبدر فهناك الهلع الاكبر. انهم يفزعون لنصرة البدر ، الصبية تصفق بايديها وتقعقع بشنانها والنساء تنقر بالعصي على الصحون اوما يرن من الاواني ، والرجال هذا يلوح بسيفه في الهواء وذاك يركض فرسه في الفضاء ، بل قد تعمد النساء الى الهوادج فيركبنها ، والجميع بصوت واحد ينجدون صاحبهم صارخين : يا حوت اطلق القمر ، يا حوت اطلق القمر ! ولقد افلحوا بالامس كما

افلحوا من قبل ، وكان خسوفاً كليـاً ، واطلق القمر من فم الحوت بعد ان ابتلعه كله ، وعادوا الى خيامهم ساكنين . غداً سنرحل الى مكان بعيد ولست ادري متى اعود اليك فالى اللقاء .

صديقك . ج .

عن الحماد في ٢٠ نيسان

. . . قطعة من رسالة

لقد اتاني كتابك مع هاجم بن فراج وانا في رغد من العيش في هذه البادية ، عجباً ان ست ساعات من الليل تكفي حاجتي للنوم . فهل هو الهواء ام هي تربة الصحراء ؟ لست ادري ، انما اشعر اني انهض (على طول السهر) عند فجر كل يوم ناشطاً لأي عمل . ولا اكتمك اني تعلقت بحب هؤلاء الناس ، فلت الى كثير من اخلاقهم وعاداتهم ، فانا في امن وهناء ؛ ويكفي ان تكون في جوار احدهم لتنعم بالامن والهناء ولا تظنن ان حب الغزو يقسي من قلوبهم ، فليس البدوي محبـاً للقتل او سفك الدماء ؛ انما هو يرغب في مالك اذا كـنت عدواً ، لا في نفسك الا اذا ناله منك ضرر فقتلت احداً من ذويه ، فهو منتقم لامحالة وثائر حتى ينال ثأره ، او يستعطف فيرضى بديته . وهو لهـذا يحتقر الحضر ، وذل الحضري وخنوعه .

ولا يزال للاعتبارات الروحية والاخلاقية في نفسه مكانة كبرى على قلة المامه بامور الدين . ولكنهم على ذاك لا يزالون متمسكين بهذه الأخلاق العربية الـكريمة من نخوة واباء وشجاعة وكرم ووفاء وبأس وعزة نفس . قويهم زعيمهم ، وللقوة اعتبارات ، وليس من المحتم ان تورث الزعامة للاكبر من الابناء ، بل هي في الغالب تعود الى القوي بينهم . فالنوري شعلان لم يكن اكبر اخوته بل اقواهم ، وكذلك حفيده فواز الان . ولقد سألت النوري كـيف يكون فواز شيخاً بعدك وله اخ اكبر منه ؟ فقال . « خويه ما له نجم » .

قطعة من كتاب اخر . . مهملة التاريخ :

اتريد ان تفهم حياة العرب القدماء ؟ فتعال التمسها هنا ، وحسبك عصبيتهم الحادة للقبيلة وغيرتهم على شرفها ومكانتها حتى تلك القبة التي كانت لبعض القبائل في الجاهلية ، فان عند الشعلان ما يماثلها ، وكذلك قل في امور حكمهم وقضائهم اما الادب الجاهلي فليس ادب يماثله كادب البدو ، لا من حيث الاوزان وقواعد اللغة بل من حيث المفردات والاسلوب وطرق التعبير والمعاني والصور الشعرية . او قل من حيث الحياة التي يمثلها .

ولقد حاولت جمع بعض اشعارهم وقصصهم فلاقيت ما لاقى الرواة الاقدمين حين حاولوا تدوين الادب القديم : اختلاف في الرواية وضعف في الاسنـاد واضطراب في الذاكـرة ، حتى الشعراء انفسهم فانهم لا يحفظون كل اشعارهم ، وان حفظوهـا فليس بصورتها الاصلية ، ولقد انشدني احدهم قصيداً وكنت قد سمعته من غيره ودونته ، فلما عارضت انشاده على مـا بين يدي رأيت الاختـلاف ، فذكرت له الامر فقـال : والله مـا ادري ، « اثنيهم زين » .

ايها القارىء الـكريم لقد خدعني صاحبي وخدعك معي لقد عرفته ملماً باخبار البوادي ولـكني لم اعهد له اقامة طويلة في الصحراء ، ولست اكـتمك اني لم اعرف حتى الان اديبـاً عربياً خالط البدو في سوريا وعاشرهم ودرس احوالهم وبحث عن عاداتهم وادبهم بشيء من التفصيل . ان الفخر في هـذا يعود الى عالم تشيكوسلوفاكي هجر براغ ومدنيتها واوروبا وحضارتها — طلقها تطليقة دامت اربع سنوات لم يرجع بعدها الا بدويـاً خالصاً يعرفه الروله بالشيـخ موسى الرويلي ويصدق فيه :

ومن تكن الحضارة اعجبته فاي رجـال باديـة ترانا

Alois Musil الرائد التشيكوسلوفاكي يستبدل بالقبعـة الـكوفية والعقال ، بالبدلة الثوب والعباءة . ترك طعام الاوروبي ليأكل طعام البدوي ، ويعاف الماء المصفى النقي ليشرب من ماء الغدران الاجن . خلف وراءه حياة القصور ليستقبل شظف العيش . هجر ركوب السيارة ليضرب آباط الابل واكبادهـا متردداً من مخيم الى مخيم ، متنقلا من قبيل الى قبيل ، من ابن الشعلان الى ابن سمير الى ابن معجل الى ابن جندل ، ونحن نيام . ثم لا يعود الى اهله الا متأبطاً كتاباً ضخماً عن احوال الروله وعاداتهم . (١)

فمن لي بالعربي الذي ينهض لمثل ما نهض اليه الشيخ موسى الرويلي ؟ من لي بالعربي الذي يقف نفسه لدرس هذه النواحي المهملة من حياتنا ؟ اني اليه أهدي هذه الكلمة .

جامعة بيروت الاميركية — جبرائيل جبور

(1) The Manners and customs of the Rewala Bedouins - New-York 1928.



الادب
ما بين الارض والسماء

◆

بقلم « سعيد »

في قاموس الادب الحديث عبارات جاهزة اشبه شيء بالقوالب الخشبية التي يستعملها صناع الاحذية . وهي غالبا ما تختلس مظهر الحقيقة التي لا شك فيها فلا يحاول العقل ان يتريث عندها قليلا ولا كثيرا . بل غالباً ما يمر بها مر الكرام كما يقولون وهي كثيرة لا تحضرني كلها . وحسبي الان ان اتكلم عن اكثرها شيوعا واختلاساً لمظهر الحقيقه الراسخة

فأدباؤنا – حفظهم الله – اذا ما ارادوا ان يمتدحوا اديباً او فيلسوفاً او فناناً قالوا انه يحلق في سماء الادب او سماء الفلسفة او سماء الفن ، الى غير ذلك من الافلاك الموهومة التي صنعها الانسان . وهم اذا ما ارادوا ان يبدعوا صنعوا لانفسهم اجنحة بلا ريش وهموا نحو الفلك .؟

واكثر خوفي على الاديب الذي يحب التحليق ان ينتهي به تحليقه الى طبقات الجو الاعلى حيث لا هواء يصلح للحياة فيما نعلم ، واكثر خوفي عليه ان يصير الى ابعد من تخوم الجاذبية الارضية فينهوى على ام رأسه صعدا حتى ينحطم لا سمح الله على جلامد المريخ او يغرق في قيعان نهر المجرة او يسقط نهم الفريسة في اشداق الدب الاكبر الامر الذي لا نستحبه له ولا هو يستحبه لنفسه .

فلنعد الى الجد اذن او فلنعد الى الارض والارض والجد في حديثنا هذا مترادفان فما قولك فيمن يخاطب من المريخ اهل الارض لو ان للمريخ اهلا؟ الا ان يكون كلامه لغوا من القول . وما كنت انا لاتحدث اليك الان عن التحليق في الادب لو لم اكن انا على الارض فعلا ولو لم تكن انت كذلك على الارض فعلا ولو لم نكن كلينا من الارض في بقعة واحدة معينة مشتركة اسمها لبنان فيها جماعة من الادباء لهم ولع بالتحليق فما يهمني في شيء ان اذيع هذا الحديث على سكان القطب الشمالي مثلا . وما جم سكان القطب الشمالي في شيء ان يستمعوا الى حديثي هذا فيما اعتقد .

واذن فلنعد الى الارض مرة ثانية لنتكلم عن طبيعة النسر الذي قد يكون اول من لفت وجه الانسان نحو السماء . وما يجدينا ان نعلم ان كان ذلك النسر او الذبابة . لكن الذي يجدينا ان نعلمه هو ان الدين كان العامل الاساسي الاول في تقرير العلاقات بين الارض والخيمة الزرقاء العجيبة ذات القناديل .

فلما كان آدم و كانت حواء، فغضب الله من بعد ذلك والهبوط من خمائل الفردوس الى جرداء الارض ، كان في الخلية الادمية التي خرجت من صلب آدم حنين غامض مبهم . . . حنين الى السماء ، وكان في الخلية الادمية كذلك كره غامض مبهم كره الارض . وبين هذا الكره وذلك الحنين نشأت في سلالات آدم فكرة صورية راسخة هي ان العلو مما ينبغي للشيء الجيد والمستحب والغالي وان الانحطاط مما يلزم الشيء الرديء والمكروه والرخيص ومن هنا كان طموح الانسان ونزوعه الى الانسلاخ من الارض فكرا وجسدا والتحليق ابدا في اجواز الفضاء .

وان تاريخ الانسانية لحافل بهذا الطموح . او لم تأتك اخبار الانبياء والمرسلين ؟ وحكماء الاغريق السبعة وافلاطون وارسطو ؟ والفارابي وابن سينا والغزالي ؟ ومغامرات العقل في مجاهل ما وراء الطبيعة ؟ .

اولا تنظر اليوم الى الانسان كيف صنع نسراً من خشب وحديد ليهتك به اسرار السماء المرصودة الابواب ؟

فانت ترى ان هذا الطموح عريق راسخ من الصعب استئصاله ان لم يكن من المستحيل، وما يجدينا في الواقع ان نستأصله ؟ بل ما يضيرنا ان يكون الناس قد اصطلحوا في حوارهم اليومي على نعت فلان بالرفيع القدر وفلان آخر بالوضيع ؟ او في معاملات البيع والشراء على جعل الاشياء ذات قيم مالية تتراوح حسب الجودة والرداءة والعرض والطلب بين علو السعر وانخفاضه ؟ .

بل ما يضيرنا ان يطير العلماء الى طبقات الجو الاعلى او يحاولوا ان يتصلوا بالمريخ او بالقمر ؟

ربما كان في ذلك خير للارض وابناء الارض .

وانما سقت لك كل هـذا الحديث لننتهي منه الى الادب، والادب غير العلم كما تعلم . هذا وضعي بحت لا يتأثر باقليم وذاك شخصي بحت لا يستطيع ان يتملص من طابع الاقليم الا ان يكون كالادب الدخاني الحائر يخلق من الوهم بين الارض والسماء على جناحين بلا ريش .

والعالم دماغ فحسب دماغ مطلق ينشد المعرفة . والاديب مزاج قبل اي شيء آخر يتكيف بتكيف الطبيعة الارضية .

الا ان التحليق لترعة سخيفة جد سخيفة وهي على سخافتها تكون خطرا على ادبنـا الناشيء وحسبك ان تعلم انها تستلزم الانسلاخ من الارض والتملص من الطبيعة الانسانيـة . والانصراف عن كل ما خلفته مواكب البشر على سطح الكرة من اثار الجسد واثار الفكر . وهي اذا دلت على ظاهرة من ظواهر ادبنا فانمـا تدل على ضعف التفكير العلمي . فليس في استعارة شكل السماء للادب ذرة من المنطق . فالمفروض في السماء علمياً انها فضاء غير محدود لا شكل له ولا لون (فما الاحديداب والزرقة التي تتراءى لنا غير نوع من الوهم البصري) .

فلست ادري كيف يجوز لنا اذن ان نستعير شكلا وهمياً لا وجود له لنسبغه على عـالم معنوي موجود ذي هوية محسوسة كالأدب .

انما يجوز لنا ان نستعير للادب شكل الكرة الارضية مثلا بل اني لاذهب الى ابعد من ذلك فاقول ان ليس من شكل نستطيع ان نستعيره له غير شكل الكرة . لان حياتنا الفكرية كما يؤكد العلامة « برجسون » انما هي مطبوعة على شكل العالم المـادي الذي يحتويها . كالهواء او الماء الذي يتخذ شكل المكان الذي يحتويه .

فاذا صح ذلك وهو صحيح كما اعتقد واعتبرنا عالم الادب كرة كالارض كان لنـا ان نقول بوجود جاذبية من شأنها ان تجذب الذي من طبيعته الانجذاب اليهـا . سمها الجاذبية الادبية اذا شئت .

وهكذا ينقلب التحليق رأساً على عقب . فالمرحلة التي يريدها بعض ادباء لبنان ان تبدأ من الارض وتنتهي (اولا تنتهي) في مجاهل الفضاء اراها انا تبدأ من سطح الارض هابطة . . . غائرة (لا صاعدة) حتى تنتهي في مغناطيس هذه الجاذبية حيث تلاقت وتتلاقى ابـدا اقلام العباقرة من كتاب الانسانية .

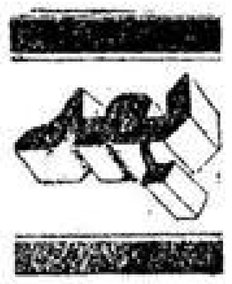
ها انذا اراني على باب موضوع جديد طالما رغبت في طرقه . فهو احـدى المشاكل في حياتنا الادبية الحاضرة .

ولعلك قد سمعت فيما مضي بنغمة الادب العالمي والادب الاقليمي او قرأت عنها شيئاً فإلى مرة قادمة احدثك فيها ان شاء الله عن الاقليمية والعالمية .



حديث الامهات

بقلم الدكتور سري الديهم



ان تبدأ الطبيعة عملها في اعداد كل انثى للامومة منذ تتكون جنيناً في الرحم نراها تمضي في عملها هذا حتى يصل المخلوق الى سن البلوغ . وكل انثى لا تحمل يوماً ثمرة في احشائها تكون قد شذت عن نواميس الطبيعة وعن الغاية التي خلقت لاجلها .

ومهما بلغت المرأة من الرقي ونالت من النبوغ في جميع مناحي الحياة فانها تبقى — ان هي لم تصبح اماً — بعيدة عن الناحية التي خلقتها الطبيعة لاجلها .

وفي عالم الحيوان يتولد في الام غريزة وفطرة تكفلان التناسل وتربية المخلوقات حتى اذا أتم الحيوان هذا الواجب الطبيعي انقطعت كل صلة بينه وبين مواليده وأصبحت الام والوليد غريبان كأن لم يكن بينهما صلة رحم وحليب وتربية .

اما لدى الانسان فان الغريزة والفطرة لا تكفيان لتربية الطفل واعداده للمستقبل خصوصاً وان تطور المدنية واستطراد الحضارة في طريق الرقي المتواصل تخلق لدى الام مطامع واطماع تدفعها الى الاعتناء بطفلها عناية بالغة وتعهده بتربية بدنية صحيحة وتعليم واسع وتهذيب راسخ في صميم الاخلاق وثقافة مكينة عريقة ليكون منه في المستقبل رجلا شديد المراس صلب الجانب يقوى على مغالبة صعاب الحياة ومكافحة الشدائد وليتمكن من ان يقطع له في هذا الجيل المتلجلج اوفر نصيب من الجاه العريض والبحبوحة الواسعة التي تشتهيها كل ام لولدها ويحلم بها كل اب لابنه .

فعلى كل أم رشيدة ان تستعمل الحكمة والدراية لصقل المواهب الطبيعية في ولدها وانمائها الى اقصى حد ممكن مستعينة بحنوها وحبها مقرونين الى العلم وبارشادات ذوي الخبرة والاختصاص في اصول تربية النفس والعقل والجسم وان تماشي عصرها وتراعي تطورات الايام فلا تقف جامدة جافة متكمشة بعادات واعتبارات تتنافى وظروف الحياة كأنما هي تربي ولدها لجيل عبر .

وقد شاءت مجلة « الاديب » ان تفسح بين صفحاتها حقلا خاصاً بهذا الموضوع ترشد فيه الامهات اللواتي سيحملن بين ايديهن سعادة الناشئة ومستقبل الامة ، الى السبيل السوي ، ويساعدهن على انجاز اقدس واجب خلقن لاجله ، وذلك على اسس العلم الحديث وضوء الاختبارات الصحيحة ، فتكون قد ساهمت في اعداد فتاة اليوم وام الغد للقيام بواجبها الاول في هذه الحياة ، واستبقت الاخطاء التي تتعرض لها الام الفتاة في مستهل حياتها العائلية .

فالطفل ثمرة الام وعصارة حياتها وينبوع حنانها ومنتهى آمالها ، تلك الوديعة الثمينة المقدسة البريئة التي القتها الطبيعة في احضانها بعد ان ملأتها بالحياة وبقوة المناعة وقابلية النمو ، لا يجوز ان تحول الى بؤرة جراثيم ومستودع امراض واسقام ، فتصبح النضارة هدفاً معرضاً لفساد المعيشة ولاخطار الحياة وجور الايام والسنين . فالولد كالازاهير والاشجار والطيور والحيوانات الاليفة ، يقتضي تربيته وغوه اصولا محكمة اذا سير عليها اصبح تعرضه للاسقام والامراض قليلا جداً بالنسبة لما يتعرض له البالغون ، ويأتي الامر معكوساً اذا اسيء فهم اصول تلك التربية ، وسير بها على اهواء شاذة واراء عقيمة غير خاضعة للاصول الطبية والاختبارات العلمية . وتخطيء الامهات اللواتي لا يأبهن لهذه الاصول ويصغين لآراء المسنات من الامهات اللواتي يدعين انهن انجبن اولاداً اصحاء اقوياء دون ان يكون لهن علم باصول التربية العلمية الحديثة التي لا تؤدي في عرفهن الى نفس النتائج الحسنة التي يجنينها بفضل السير على طريقهن القديمة ، لان ما بقي لهؤلاء الامهات من اولاد اشداء هم فضلة عزرائيل الذي اجتاح اضعافاً من اخوتهم محت الايام ذكرهم من مخيلاتهن ، ولو بقي شيء من تلك الذكرى الاليمة لعزونه الى القضاء والقدر . وليس الى الجهل والاهمال .

واليوم بعد ان سار العلم هذا الشوط الواسع في سائر نواحيه نرى ان كثيراً من الادمغة المفكرة تذاب ، ومن ملايين الدراهم تنفق ، ومن السنين الطويلة تسلخ من اعمار نوابغ الرجال ، في سبيل فهم اصول التربية الصحيحة عند الاطفال ، وتجري بعد ذلك الاحصاآت الدقيقة المسجلة فتجيء مثبتة نتائج تلك الجهود المحمودة . فهذه الخلاصة الثمينة المستندة الى العلم والتجارب هي ما يجب ان تستنير به الام الراقية في سبيل تربية بنيها وهذا ما سأجتهد ان اوافيها به في كل شهر على صفحات هذه المجلة الزاهرة .

الدكتور عدنان سري الديهم

انت وجـــــارك

بقلم فريد نجار

الانسان اجتماعي بالطبع . ان حياة المرء هي حياة انسان بين اناس آخرين ، والعالم الذي يعيش فيه هو عالم حيوانات حية واشياء لا حياة لها . يولد الانسان طفلا فيوضع في المهد ويرضع ويعتنى به ، ويكون في دور الطفولة والشباب مصدر قلق واضطراب لاهله وذويه على نموه ومصيره ، ومصدر سرور ومحبة وعطف ايضاً ، كما يكون عرضة لمعاملة رفاقه الخيرة او معاملتهم السيئة . وتلقى عليه بعد سن البلوغ ، مسؤوليات وواجبات نحو افراد محيطه ، افراد عائلته اولا ثم زملائه في العمل او المهنة ، وابناء بلده وحكومته ، فهو محوط دائماً بمحيط اجتماعي وظروف اجتماعية ، تقرر الى حد بعيد ، رغباته وميوله ، وينشأ كثير من مشاكله ومصاعبه في الحياة عن عدم تمكنه من تكييف نفسه حسب الاشخاص الآخرين الذين يتصلون به ، كما ينشأ كثير من ملاذ حياته ونعمها عن اتصاله بهم ايضاً . فلبس رضاه بتقدير الناس له او غبطتهم اياه على نعمة هو فيها او خوفهم منه واحترامهم اياه وطلبهم وده الا مظهراً من مظاهر حياته الاجتماعية ، كما انه ينعم ايضاً بمساعدته الاخرين وجلب السعادة والهناء لهم

ومن اهم قابليات البشر اقتدار المرء على رؤية خفايا الوضعيات الاجتماعية وادراك رموزها واصطلاحاتها ؛ واعني بالوضعيات الاجتماعية الاعمال التي يشترك فيها افراد آخرون وتكون ذات تأثير متبادل في سلوك الفريقين ، وبعبارة اوضح القابلية لمعرفة ماذا يجب ان يصنع كي يكيف نفسه حسب الجمهور . ومن كان ناقصاً في ادراك هذه الرموز استرعى انتباه الجميع وكان بنظرهم ناقصاً وغير محبوب من رفاقه فاذا كان المرء ابله اثار سخرية الناس دون ان يشعر بذلك ، واذا كان عديم اللباقة اتى اعمالا وتفوه باقوال تجلب الضرر والاذى لرفاقه دون ان يشعر بما صنع . واذا كان ممثلا الكمن لايدرك لحظات السخرية التي يتبادلها سامعوه او مشاهدوه ، او السكون والبرود اللذين يقابله بهما مستمعوه ، ولا يتأثر بما يحدثونه من اصوات وهمسات ، فانه بلا ريب قليل الادراك والتمييز . فما هي الاشارات التي يجب ان يلاحظها كي يدرك بها موقف الاخرين الحقيقي تجاهه ؟ ما هي علامات الادراك الاجتماعي ؟ او بعبارة اوضح ما هي المنبهات التي يكيف سلوكه على حسبها عندما يكون سلوكه صحيحاً؟

ان اول هذه العلامات والرموز هي حركات الوجه او الانفعالات التي تظهر على وجوه الاخرين اثناء محادثتهم او قيامنا بعمل امامهم . اذا خاطبت احدهم بالتلفون مثلا فانك لا تستطيع ان تدرك معنى حديثه بسرعة كما لو كنت تخاطبه وجهاً لوجه ، لانك لا تستطيع ان ترى الانفعالات الوجهية التي هي جزء من حديثه ، اي جزء من تعبيره عما يجول في نفسه ويريد ان يقوله لك ، من عاطفة او من فكرة . وان الحركات والاشارات التي تظهر على وجوه الممثلين تساعدنا كثيراً في تفهم ما يعبرون عنه ، ويتوقف نجاح الممثل الى حد بعيد على التغيرات الدقيقة في حركات وجهه التي تناسب المقام

والشائع في تفسير هذه الحركات هو ان العينين تغمضان قليلاً في حالتي الحزن والفرح ، وتفتحان كثيراً عند التعب او الخوف او الغضب كما انهما تلمعان في الغضب ايضاً ، وان الشفتين ترتجفان عند الحزن وتفتحان عند التعب او الخوف وتعوجان قليلاً عند الاشمئزاز ، وتقفلان عند الغضب الدلالة على العزم والتصميم ، او قد تمتدان الى الامام او ترجعان الى الوراء كما هي الحال في اغلب الاحيان ، فتظهر الاسنان مطبوقة على بعضها ، ويحمر الوجه عند الغضب او الخجل الخ .

وهذه الرموز لا يلاحظها الكبار البالغون فقط بل يلحظها كذلك الاطفال الصغار ، واظن ان كثيرين من الذين لهم اطفال صغار يعرفون باختبارهم الخاص ان الطفل يدرك بسرعة ما اذا كان الوالدون غاضبين عليه او فرحين به ، وذلك من تلاميح وجوههم او نبرات اصواتهم .

ضرورة درس سيكولوجية الجماعة : ان اكتشافات الانسان في الحقول العلمية المختلفة في درس الطبيعة قد فاقت كثيراً اكتشافاته في موضوع نفسه . ومن العيوب التي يرمي بها البعض المدنية الغربية انها مدنية ميكانيكية انصرفت الى الاختراعات الآلية فقطعت فيها شوطاً بعيداً واهملت درس البشر . وقد سأل بعض الكتاب هل تعتبر مدنية اوربا ناجحة او فاشلة ؟ وكان الجواب على سؤاله بنعم ولا ، في آن واحد . فهي ناجحة اذا قيست بالتقدم في العالم المادي اي العلمي ، وفاشلة اذا قيست بالتقدم الاجتماعي ، اي الناحية السياسية والاقتصادية . ولذا اهتم العلماء مؤخراً بدرس الناحية السيكولوجية والناحية الاجتماعية في حياة البشر واعمالهم ، لا درساً نظريا فحسب ، بل درساً علمياً تجريبياً ، مستعينين بما توصلوا اليه في حقول العلم الاخرى واستخدموا لذلك الطريقة العلمية ، وطريقة الملاحظة والتجربة

قد يعجب القارئ كيف يمكن ان يدرس المجتمع درساً علمياً ، ولكن اننا نعني بالمجتمع ، الانسان ، وانما نقصد بالانسان سلوكه ، ويتكوّن السلوك من منبه او دافع الى العمل ومن رجع او جواب لذلك المنبه .

ولو حللنا سلوك الانسان لوجدناه يتكوّن من عنصرين رئيسين : العنصر الاول هو المنبه او الدافع الذي يبعثنا الى القيام بالعمل ، والعنصر الثاني هو الرجع او الجواب للمنبه . ويختلف سلوك المرء حين يكون في حضرة اناس آخرين ، عن سلوكه حين يكون منفرداً ، او في محيط مادي ، اختلافاً بيناً ، ففي الحالة الاولى يصبح اكثر تعقداً ، لان الانسان في الحالة الثانية ، اي حين يكون منفرداً ، يكيف نفسه حسب محيطه المادي ويكيف محيطه له فقط ، اما في الحالة الاولى فانه يجد نفسه امام اناس آخرين ، فعليه ان يكيف نفسه عليهم ، وان يكيفوا أنفسهم عليه ، وعلى الجميع ان يكيفوا انفسهم حسب محيطهم ايضا .

فما هي المنبهات او المؤثرات التي تؤثر على سلوك المرء في المجتمع وتقرره لدرجة كبيرة ؟

اولا : تأثير المشاهدين او المستمعين في سلوك المرء : يستطيع كل منا ان يلاحظ بسهولة ان الارتباك والاضطراب يظهران احيانا في اعمال المرء حين يقوم بها امام الآخرين ، ويمنعانه من اجادتها ، كما نلاحظ ايضا ان الحماس والنشاط يظهران في اعماله في احيان اخرى . وهنالك بعض الناس الذين لا يستطيعون ان يجيدوا اعمالهم الا اذا كان ثمة من يشاهدهم او يسمعهم .

يحكى ان خطيبا مشهورا دعي لالقاء حديث للمرة الاولى من احدى محطات الاذاعة ، فلما دخل غرفة الاذاعة لم يتمكن من الالقاء لانه لم يجد من يراه او يسمعه . وقد دلت التجارب التي قام بها علماء النفس على ان بعض الناس تقل دقتهم في العمل وتزداد سرعتهم فيه اذا كان هنالك من يشاهدهم ، وان البعض الآخر تزداد دقتهم وتقل سرعتهم ، وهنالك ايضاً من يزداد حماسهم ونشاطهم مدفوعين بدافع اثبات الذات وحب الظهور امام الناس واحرازاعجابهم اذا كانوا يسمعون اقوالهم او يشاهدون اعمالهم .

ثانيا : تأثير المشتركين بالعمل الواحد بعضهم على بعض : انه لمن المؤكد ان اشتراك جماعة من الناس في القيام بعمل واحد يبعث الحماس والنشاط في الافراد القائمين به ، حتى ان لم تكن بينهم مباراة ، بشرط ان لا يعوق احدهم الآخر . وقد قام المشتغلون بهذا الحقل بتجارب كثيرة على جماعات من الناس والطلاب في المدارس ، فجعلوا البعض منهم يعملون منفردين في غرفة واحدة بعد ان اكدوا لهم انهم لا ينوون البتة ان يقارنوا بين نتائج اعمالهم فيما بعد . فكانت النتائج في جميع الاعمال التي قام بها الافراد مجتمعين اكثر دقة واعظم سرعة وسهولة من الاعمال التي قام بها الافراد منفردين ، اي كل واحد في غرفته ، مما دل على ان للاشتراك في القيام بالعمل الواحد تأثيراً كبيراً في اثارة نشاط العاملين ودفعهم الى العمل ، بشرط ان لا يعوق بعضهم بعضا .

جامعة بيروت الاميركية — فريد نجار

الموقف الحربي في شهر

تميز الموقف الحربي خلال شهر كانون الاول من العام ١٩٤١ بثلاثة احداث هامة :

١ – الهجوم السوفياتي المضاد على مجمل الجبهة

٢ – الهجوم البريطاني على ليبيا

٣ – تدخل اليابان والولايات المتحدة الاميركية في النزاع

الهجوم السوفياتي المضاد

كان الالمان قد طبقوا في روسيا خطة الهجوم الخاطف او الحرب الصاعقة ، فهاجموا الجيوش السوفياتية في نقاط اللحمة اي حيثما يتصل بعضها ببعض وتمكنوا من الفصل بينها بطريقة التسلل المسماة « اصابع القفاز » .

وقد استخدم الالمان في هجومهم الخاطف الوف الوحدات المصفحة والطائرات ، ونجحوا في حصر كتلة جيوش المارشال فوروشيلوف في لينغراد وفي مطاردة جيش المارشال تيموشنكو حتى ابواب موسكو (توات هذه العملية قوات الجنرال غودريان المصفحة) . اما جيش المارشال بوديني الذي وكل اليه الدفاع عن القسم الجنوبي من الجبهة فقد اضطر الى التراجع حتى روستوف والتخلي عن مراكزه الهامة على ساحل البحر الاسود .

وخلافاً لما زعمه الالمان فقد انكفأ معظم الجيوش الروسية بنظام مخلفة وراءها الخراب والفراغ .

وقد بدأ الهجوم الروسي المضاد بطرد الالمان من روستوف في وقت كان الضغط الالماني على موسكو آخذاً بالازدياد . وقد وضع خطة الهجوم على روستوف المارشال تيموشنكو الذي عهد اليه اعادة تنظيم الجيش الاحمر في الجنوب .

استردت روستوف بعمل سريع حاسم ، ومنها والى جيش تيموشنكو زحفه باتجاه حوض نهر دوناتز حيث باشر انتزاع المراكز ذات الاهمية الستراتجية من الالمان والطليان .

وباسترداد روستوف ابتعد الخطر عن بترول القوقاس الذي اصبح الالمان بامس الحاجة اليه نظراً لاستخدامهم الوحدات الآلية بكثرة ، كما ابتعد عن بلدان الشرق الاوسط التي كان الالمان يرمون من وراء احتلالها الى الحؤول دون وصول العتاد الاميركي الى روسيا بطريق ايران .

واضطرت القيادة الالمانية امام الكرة الناجحة التي قام بها جيش تيموشنكو الى سحب قوات كبيرة من المناطق الوسطى والشمالية لتعزيز جيش الجنرال فون كليست في الجنوب ، فانتهز الروس الفرصة فشنوا هجوماً عاماً على جبهة طولها ٢٠٠٠ كيلومتر ، ناهكين قوات الخصم حائلين بينها وبين التجمع بقصد التخفيف من حدة الهجوم المضاد .

الهجوم البريطاني في ليبيا

في ليبيا حشد الالمان قوات كبيرة استعداداً للقيام بعمل حاسم ضد قناة السويس . وفي الوقت نفسه كانت استعداداتهم ناشطة في البلقان ، وهو قطب الدائرة في مشاريع هتلر الحربية فعملوا على تحسين المواصلات وتوسيع القواعد البحرية والجوية وقاموا في بحر ايجه بعدة مناورات وتجارب كان الغرض منها التحقق من نجاح انزال الجيوش بحراً وجواً عندما يحين الوقت المناسب لعملية من هذا النوع .

لكن القيادة البريطانية في الشرق الاوسط افسدت على الالمان خطتهم بان سبقتهم الى العمل . فهاجمت ليبيا قوات انكليزية وامبراطورية وفصائل فرنسية وبولونية بقيادة الجنرال كننغهام اولاً ، ثم بقيادة الجنرال ريتشي .

لم تسلك القوات المهاجمة الطريق الساحلي ولم تتعرض للسلوم بل تركت امامها عدداً من الفصائل المصفحة لتشغل قوات المحور ، بينما اتجهت الطوابير المصفحة جنوباً ثم التفت حول الالمان والطليان وحصرتهم ضمن المثلث الذي يتألف من السلوم – طبرق – حصن كابوتزو .

ولم يكن الغرض من هذه الخطة احتلال القيروان وطرابلس الغرب فحسب ، بل كان ايضاً تحطيم مصفحات الخصم بارغامه على القتال ، وازالة الخطر الذي يهدد الجناح الايسر لجيش الحلفاء في الشرق الاوسط .

وقد فطن الجنرال رومل الى ما يراد بجيشه ، فنجح في الافلات من التطويق وفي الابتعاد ببقايا قواته نحو طرابلس الغرب حيث سيحاول انشاء جبهة جديدة تقف في وجه القوات المتحالفة .

وقد وصلت الدوريات البريطانية خلال الاسبوع الاخير من

كانون الاول الى ساحل خليج سرته غربي بنغازي ، وانصرفت فصائل انكليزية وامبراطورية الى تنظيف القيروان من جيوب المقاومة المحورية المبعثرة هنا وهناك .

والجدير بالذكر ان القوات البريطانية والحليفة احرزت هذه النتائج الباهرة في اربعين يوما فقط .

الاعتداء الياباني

في ليل ٧ — ٨ كانون الاول ، بينما كانت المفاوضات اليابانية الاميركية دائرة ، اقدم الطيران والبحرية اليابانيان على مهاجمة جزر هاواي الاميركية واغرقا وحدتين بحريتين في قاعدة « بيرل هاربور » .

وفي الوقت نفسه كانت قوات يابانية تهاجم ماليزيا البريطانية من البحر والجو ، وقوات اخرى تدخل سيام التي ما لبثت ان القت السلاح وسمحت لليابانيين باستخدام قواعدها ضد الحلفاء .

وهاجم اليابانيون صباح الثامن من كانون الاول جزيرة هونغ كونغ التي اضطرت الى القاء السلاح بعد مقاومة استمرت ١٧ يوما وانزلت بحريتهم وطائراتهم قوات في جزر الفلبين وفي جزيرتي غوام وداق الاميركيتين .

وقد دل تطور الهجوم الياباني بالشكل المتقدم على ان المهاجمين يسعون الى ازالة الخطر الذي يهدد مشاريعهم في البحار الجنوبية تعني بها الممتلكات الانكليزية والاميركية في بحر الصين ، حتى اذا تم لهم ذلك قاموا بعمل حاسم ضد جزر الهند الهولندية طمعا بالاستيلاء على ثرواتها الطبيعية التي تتيح لهم مواصلة النضال

ويتعين على اليابانيين ان يتوصلوا الى تحقيق اغراضهم المتقدمة قبل ان يحزم الحلفاء امرهم ويقوموا بالعمل المشترك الذي رسمت خطوطه الكبرى في واشنطن .

والمجمع عليه في اوساط الخبراء العسكريين ان هجوماً روسياً على اليابان محتمل الحصول بين الساعة والاخرى وان في وسع الطيران السوفياتي ان يشل الصناعة اليابانية ويزرع الدمار في المدن المكتظة بالسكان .

واذا اتفق ان تصادم الاسطولان الاميركي والياباني في المحيط الهادي، فلن تقوى اليابان مهما يكن من نتيجة الاصطدام ، على تضميد جراحها لانها لا تملك الوسائل اللازمة لذلك

*

ومجمل القول ان مركز الحلفاء في مطلع العام ١٩٤٢ يبدو مرضياً جداً بالرغم من دخول اليابان الحرب . فالتقدم الروسي يبعد الخطر الالماني عن القوقاس وبالتالي عن بلدان الشرق الاوسط . اما احتلال القيروان فانه يجعل ايطاليا عرضة لغزوة تستهدف سواحلها الجنوبية وتقوم من طرابلس الغرب وقد بدأ موسوليني يوجس خيفة من هذا الاحتمال وقام « فرجينيو غايدا » يحذر الشعب الايطالي وينبهه الى الخطر نفسه . ويلوح ان الغرض من حشد مئات الطائرات والدبابات وآلاف الجنود والمظليين في صقليه ليس ارسال النجدات الى الجنرال رومل بل هو يرمي الى تأمين الدفاع عن جنوبي ايطاليا .

في الشرق الاقصى يصرح الحلفاء بانهم واثقون من مقدرتهم على حماية جزر الهند الهولندية — وهي صلة الوصل بين ماليزيا واوستراليا . وذلك بالرغم من خسارة هونغ كونغ ومن تقدم اليابانيين في ماليزيا والفلبين ، ومن انزالهم الجيوش في بورنيو . ولا شك في ان التهديد الذي يوجهه الجيش الصيني الى جناح الجيش الياباني ، والسيف الذي يسلطه الروس فوق رؤوس اليابانيين على حدود منشوريا بالاضافة الى تفوق الاساطيل المتحالفة، لا شك في ان هذه العناصر مجتمعة لن تلبث ان تظهر اساسة طوكيو الغلطة التي وقعوا فيها بهاجمتهم الديموقراطيات .

اما المانيا فان سيفها لم يفل بعد ، فهي قادرة بالرغم من خروج حليفتها ايطاليا عملياً من الساحة ، على القيام بهجمات جديدة في الربيع الآتي ، وهي هجمات لا يجوز اسقاطها من الحساب وان يكن الحلفاء مستعدين لها اتم الاستعداد .

وقد يهاجم الالمان في الربيع جبل طارق مارين باسبانيا ليخرجوا الانكليز من الحوض الغربي للبحر المتوسط واستباق المشاريع الاميركية في المحيط الاطلسي، وقد يهاجمون جزيرة ايسلندا ليقتربوا من الشواطئ الاميركية

وليس مستبعداً ان يقوم الالمان بعمل ما ضد تركيا . وتدل التعبئة البلغارية والنجدات الالمانية التي تفد تباعاً الى تراقيا ورومانيا على ان شيئاً يعد في البلقان . .

ولكن لا ننس ان الحلفاء ساهرون هنا ايضا ، فلن يؤخذوا على حين غرة . ولا يجهل الالمان ان الاتراك لن يكونوا وحدهم في الميدان فهناك ايضا البريطانيون وحلفاؤهم وان كل مغامرة يقومون بها باتجاه الشرق الاوسط ستكلفهم غاليا جداً حتى لو التوا بوسائلهم كلها في الميزان بما فيها القيادة العامة التي يتولاها فوهررهم .

بالحديد والنـــار

بهذا العنوان القى السر روبرت فانزيتارت سلسلة احاديث في لندن نلخصها للقراء فيما يلي :

اذا كان القدر قد شاء ان يبتلي ابناء هـذا العصر بحربين موجعين فما ذلك الا لانهم لم يتفهموا طبـاع الشعب الالماني وغرائزه الكامنة ونزعاته الخفية . وحكمة السلم التي ستعقب هذه الحرب يجب ان تستخرج من الحرب الماضية ، ليعمل العالم ساعة النصر على اتقـاء اخطاء الماضي واتخاذ التدابير الحازمة الرشيدة التي تقضي على جرثومة الشر في نواتها فينجو البشر من حرب ثالثة تكون القاضية على ما سيبقى بعد هذه المجزرة القائمة اليوم ، من معالم المدنية .

واذا اثبت بعد هذا النضال دولة تدعى المانيا فيجب ، على الاقل ، ان تكون مختلفة عن المانيا التي عرفناها وعرفها التاريخ من قبلنا .

ويحسن بنا ان نذكر للقراء في سطور قليلة بعض احـداث تاريخية مطوية تتجلى فيها النزعات الالمانية الحقيقية التي كانت وما تزال خطراً على السلم العالمي . فالالماني كان حتى اليوم خميرة الشر والحرب والخراب في اوروبا . واوروبا هي القتيل اللاهب الذي ينقل النار الى المشرقين والمغربين . فاذا اراد العـالم سلماً طويلة وهنيئة في المستقبل القريب والبعيد ، فلا بـدَّ له بعد النصر من تكييف الغريزة الالمانية ونفخ روح الانسانية والحب في هـذا الشعب المغير او تقليم مخالبه وتحطيم انيابه حتى يصبح عاجزاً عن النهش والافتراس .

وليس هتلر في تاريخ الشعب الالمـاني بالحدث العـارض او الشخصية الشاذة الجامحة . فهو مثال رمزي لنتاج التفكير الجرماني والروح التوتوني اللذين كانا منذ دون التاريخ لهما عملا ، لا يعرفان سوى الغزو والسلب والاصوصية .

وقد استغلت المانيا دائماً تساهل خصومها وحلمهم ، فكانت كلما صرعها الخصم مرة وعفَّ عن ان يسحقهـا ، تعود خلسة الى شحذ سيوف الغدر وسن خناجر الاغتيـال . فالانكليز هم الذين انقذوا فردريك الثاني من الهزيمة والافلاس ، ولولا روسيا لما قام لالمانيا قائمة بعد معركة « ايانا » .

وعندما انتهت الحرب الكبرى سنة ١٩١٨ قام نفر من ذوي القلوب الطيبة والشعور المرهف الساذج يشفقون عليها ويقرضونها المال اللازم لانعاشها فكان ان استخدمت هذا المـال اصنع السلاح وتخزين آلات البطش والتدمير .

والالماني اذا نظر اليه كفرد قد يتساوى مع سائر البشر في العقل والعاطفة والعلم والفن ، لكنه متى اصبح امة مجموعة يصبح خطراً هداماً كقطرات الغيث تروي الحقول اذا تساقطت رزازاً مبعثراً ، وتصبح سيلا جارفاً ، وشلالا ثائراً اذا تجمعت على ثدي اكمة او في جوف واد سحيق .

فلو تمكن الالماني من ان يشعل كل سنة حرباً جديدة لما تردد ، واذا احجم فلعـدم وجود فريسة سانحة ينقض عليها . وقـد استيقظت سجيتـه الشريرة وغريزتـه الداميـة سنة ١٩١٤ فامعن في النهب والتقتيل والتخريب اثناء احتلال بلجيكا وشمالي فرنسا . وانتفضت غريزة الشر في عروقه مؤخراً عند غزوه بولونيا ويوغوسلافيا وبلاد السكندينافي وفرنسا واليونان وروسيا فأمعن في الاجرام والبطش امعاناً اثيماً فاجراً .

فاذا اراد العالم في المستقبل ان يتذوق لذة الحيـاة في السلام والطمأنينة ، فعليه ان يعمل بجميع الوسائل لتطهير العقلية الالمانية من جرثومة الحرب ووباء النهب والسلب .

قال تاسيت : « ان الجرمانيين يكرهون السلم ويمقتون السلام ويعتبرون السعي وراء الرزق بالكد والعمل امراً شائناً لا يليق بشعب قوي مثلهم . فعلى سائر الشعوب الاشتغال بالانتاج ولهم اعمال القرصنة والنهب والسلب حقا مباحا شرعيا . »

من لا يذكر دستور بسمرك مؤسس الاتحاد الجرماني وقـد لخصه بعبارة وجيزة فقال : « دواء واحد يشفي جميع الامراض ويحسم كل خلاف ونزاع ؟ » وهذا معناه ان السياسة والمفاوضات والحقوق الدولية خرافات يجب ان تداس وتمحى بالنار والحديد .

قال فروسار : ان الشعب الالماني لا يعرف معنى الاحساس والعاطفة فهو يبطش بكل ما يقع بين مخالبه : بالسجين ، باسير الحرب ، بالرهينة ، بعابر الطريق ..

فالتاريخ ، تاريخ هذا الشعب القرصان يعيد نفسه اليوم ويثبت للعالم ان المانيا كانت وما تزال تدين بـدين القوة وان بقاءها في خريطة العالم كدولة كبرى خطر دائم على السلم العالمي .

والجرائم التي ارتكبها فردريك الاول وفردريك الثاني نحو شعوب اوروبا الوسطى المستضعفة يعيدها هتلر في العالم قاطبة .

الاحداث السياسية والحربية في عامين (تتمة)

البلقان والشرق الاقصى

وكان الانكسار الفرنسي والتخوف من الاستسلام الانكليزي فاجأ ستالين فراح يتحوط للامر . وفي ٢٧ حزيران وجه انذاراً الى الملك كارول الروماني الذي كان قد ارتمى بين ذراعي الحرس الحديدي وعدل عن الضمان البريطاني . وبعد ايام احتل بيسارابيا وبوكوفين . وفي آخر تموز احتل الدول البلطيقية ضمن النطاق الروسي . وفي اول آب لفظ لوتوف خطاباً اكد فيه حياد موسكو ضمن حدود « المصالح الروسية » .

وراح كل يسعى لنفسه تحوطاً لنسوية ما تنال منها المانيا حصة الاسد . وكان هتلر يرغب بصيانة الهدوء في البلقان وحوض المتوسط . على ان الجنرال فرانكو اعلن مطالبه من جبل طارق ومراكش الفرنسية ، ورؤيت الحجر ورومانيا وبلغاريا كأن بعضها يهم بالانقضاض على بعض ، فجمعها هتلر في مونيخ وعدأ خواطرها موقتاً .

وفي الوقت نفسه بدأ الشرق الاقصى كأنه مهدد بالحريق . فقد شنت اليابان حملة عنيفة على انكلترا واعلنت حكومتها تعاونها مع المحور ورغبتها في التقرب من موسكو واعلنت ايضاً عزمها على انشاء « نظام جديد » في الشرق الاقصى يشمل الهند الصينية والهند الهولاندية وجزر الفيليبين . فتحركت حكومة الولايات المتحدة في الحال ووضعت منذ مطلع آب الحظر على صادرات البترول . وتمكن كوردل هول في هافانا من جمع الجمهوريات اللاتينية الاميركانية لتقرير القيام بعمل تضامني في حال وقوع تهديد على سلامة جميع اراضي القارة الاميركانية بما فيها ممتلكات فرنسا وانكلترا في اميركا . وكان ان اتفاقية شيكاغو عينت روزفلت مرشحاً للحزب الديموقراطي في الانتخابات الرئيسية . فوجه اليه الرئيس رسالة شكر قال فيها ان العالم يجابه اليوم اعظم معضلة عرفها التاريخ وانه اختار لنفسه الطريق الملائم وهو « حماية الحضارة من الديكتاتوريين والحرية من الاستعباد » .

وفي اثناء ذلك كانت بريطانيا المنكمشة على نفسها تحصر انتباهها وقوتها في النقاط الحيوية وفي السويس وجبل طارق وسوريا .

معركة لندن

كسبت انكلترا ستة اسابيع صرفتها في تعزيز مراكزها الدفاعية البرية والبحرية والجوية . وجرب هتلر من جهته عدته الحربية ودرب رجاله وقرر خطته . وفي ١٨ ايلول بدأت معركة لندن ، وبقيت عدة اسابيع تستمر ليل نهار توطئة للغزوة . وكانت خطة هتلر ترمي الى ارهاب الشعب الانكليزي ولا سيما شعب العاصمة وقطع مواصلاته ومؤنه . وقد افسحت هذه الخطة السبيل الى نشوب اكبر معارك جوية عرفها تاريخ العالم وانتهت بفشل كلف الطيران الالماني كثيراً من الرجال والعتاد . فقد قطع سلاح الطيران الملكي الدليل على تفوقه وحافظ على قوته الهجومية التي ظهرت باجلى مظاهرها في ضرب المطارات ومرافىء الغزوة وطرق المواصلات في بلاد العدو وفي البلدان المحتلة .

انكلترا تنصر

وبقيت المعنويات البريطانية سليمة بالرغم من الاضرار والخسائر الجسيمة التي مني بها الشعب البريطاني . اما الغزوة التي هيئت لها جميع الاسباب والتي حاولها الالمان ، على ما قيل ، فلم تقع . وقد قال سكان دوفر : « ان هتلر اخطأ الباخرة » . والواقع ان الاعجوبة البريطانية قد تمت فهنأ تشرشل تلك القبضة من رجال سلاح الطيران الملكي ، التي انقذت جموعاً غفيرة .

وفي ذلك الحين عقدت الولايات المتحدة المتحمسة للمقاومة البريطانية والشاعرة بالخطر الذي يهددها اتفاقاً مع الحكومة البريطانية تخلت لها بموجبه عن خمسين مدمرة مقابل تأجيرها قواعد بحرية وجوية على طول الاطلنطيكي . وفي الوقت نفسه الفت مع كندا لجنة دفاع مختلطة . وفي اواخر آب اتخذ مجلس الشيوخ الاميركاني تدبيراً يعد بمثابة ثورة حقيقية في آداب البلاد وفي انظمتها ، وهذا التدبير هو

تقرير الخدمة العسكرية الاجبارية .

وسرعان ما اصبحت لندن ، تحت القنابل وفي وسط النار ، رمز المقاومة وجبهتها . وتحفل التشيك والبولونيون والنروجيون والهولانديون والبلجيكيون حول بريطانيا يستعيدون قواهم . وانضمت التشاد والكامرون وغابون وافريقيا الاستوائية الفرنسية الى الجنرال ده غول الذي اعترفت به الحكومة البريطانية كرئيس للقوات الفرنسية الحرة .

ميثاق برلين

ومنذ ذلك الحين راح هتلر يقوم بنشاط ديبلوماسي كبير وانطلق في مشروع دعاية واسع النطاق . ولا يعني ذلك انه عدل عن كل امل في قهر انكلترا او عن خطط غزوته ، بل اراد ان يخفي فشله وقلق اوربا وان يخيف الولايات المتحدة ويحتفظ بروسيا ويجزىء القوى البريطانية . ففي آخر آب شرع بتقسيم رومانيا فاعطى دبروجه للبلغار وثلثي ترانسيلفانيا للمجر ، وطرد الملك كارول باسلوب شنيع فيما ايطاليا تهدد اليونان ومصر بعد ان استولت على الصومال البريطاني . وفي ذلك الوقت اصبح القسم المحتل من بولونيا جزءاً من الارض الالمانية . واتخذت جميع التدابير لادخال بوهيميا وموراڤيا في اتحاد جمركي مع الريخ . واخذ القادة النازيون في نروج وبلجيكا وهولندا وفرنسا يلوحون بالفوائد الاقتصادية التي تجنيها هذه البلدان من خضوعها لالمانيا .

ولكي يزيل هتلر شكوك من بقي في نفسه فضل للشك من جراء الفشل الالماني في معركة انكلترا عمد الى عقد محالفة ثلاثية انضمت فيها اليابان الى المحور . وغاية هذه المحالفة اقتسام العالم فتحتفظ المانيا وايطاليا باوربا وتنال اليابان الشرق الاقصى .

اهداف المحالفة

انقادت اليابان الى هذه السياسة الهتلرية التي كانت تحلو للمتطرفين في طوكيو ، وهؤلاء المتطرفون ما برحوا منذ انهيار فرنسا يبثون اسياستهم الدعوة في البلاد وفي الخارج حتى قدر لهم ان يقيموا في طوكيو نفسها نظاماً ديكتاتورياً لا يحتفظ للسلطة الامبراطورية بسوى المظهر . وفرضوا على حكومة فيشي اتفاق ٢٢ ايلول الذي دفع اليهم بالهند الصينية ، واخذوا يضغطون على سيام ويتبجحون بقولهم انهم سيحملون شنغ كاي شك على عقد معاهدة تضع حداً للحرب الصينية ، ولكن موقف الولايات المتحدة كان يقلق خواطرهم كموقف روسيا .

وصفوة القول ان المحالفة كانت مصوبة على الولايات المتحدة وروسيا معا . وكان هتلر يأمل من وجود اليابان في هذه المحالفة ان يخيف الولايات المتحدة ويؤخر تسلحها ويوقف تموين انكلترا تحت وطأة التهديد بامتداد الحرب الى المحيط الهادىء . وكان الى ذلك يريد استخدام اليابان لقمع الروس خوفاً من قيام حرب في جبهتين . ومنذ عقد المعاهدة الجرمانية الروسية توغلت روسيا في اوربا الوسطى والشرقية واستعادت نفوذها الى جانب الشعوب السلافية . وبديهي ان لهتلر مطامحه في اوربا الوسطى ولا سيما في رومانيا (التي دفع جيوشه الى احتلالها في مطلع تشرين الاول) وفي البحر الاسود . على ان هتلر وستالين اللذين لم يكن لاي منهما اية ثقة بالآخر كانا يؤخران ما امكن يوم « التفاهم النهائي » وتصفية الحساب .

اميركا تجاه الخطر

قابلت واشنطون ميثاق برلين الثلاثي برد فعل هادىء وقوي معا ، وعلى تهديد اليابان ردت بقولها انها متأهبة لجميع الطوارىء وانها تشجب زعم اليابان اقامة « نظام جديد » في الشرق الاقصى . ومنعت بيع الطيارات وتصدير الحديد والفولاذ وواصلت المباحثات مع انكلترا واوستراليا حول تنظيم الدفاع المشترك في الباسيفيكي . وقد صرح الرئيس روزفلت بقوله : « ان الولايات المتحدة عازمة على الا تنحرف عن الطريق التي اختارتها وانها مستعدة لمجابهة الاعتداء الديكتاتوري بكل ما تملكه القارة الاميركانية من وسائل الدفاع

وهكذا فشلت مناورة هتلر لتخويف اميركا . وفي ١٨ من تشرين الاول قررت الحكومة البريطانية بالاتفاق التام مع الحكومة الاميركانية اعادة فتح طريق برمانيا واعطت الحكومة الاميركانية شانغ كاي شك قرضاً ما لبثت الحكومة البريطانية ان اعطته مثله .

النظام الجديد

وانصرف هتلر الى اقامة النظام الجديد في اوربا . وهذا النظام لا يختلف عن سائر خططه فهو اداة صلح واداة حرب في آن واحد . وقد قيل للشعوب الاوربية المستعبدة ان المانيا لا تشخص الى سوى هدف واحد هو تحريرها من ربقة السيطرة الانكليزية والرأسمالية اليهودية وجمعها في نظام اتحادي واسع النطاق . وحاولت الدعاية اقناع هذه الشعوب بان الوطنية الاشتراكية هي ثورة بروليتارية . ولم تكف هذه الدعاية عن القول للانكليز وللاميركان بان اوربا متحدة وراء المانيا ولم يبق لانكلترا الا ان تستسلم . ومن اقوال هذه الدعاية « ان قارة بكاملها تحارب جزيرة » وان الفوهرر سينجح حيث فشل نابوليون . وفي هذه الحرب الجديدة على انكلترا راح هتلر يسعى لحمل اوربا الغربية واوربا الشرقية على خوضها . ولاجل ذلك اجتمع الديكتاتوران على البرينر (تشرين الاول .) وعلى الاثر استولى الفوهرر على رومانيا بحجة تدريب جيشها وحمايتها من اي اعتداء . واخذ « السياح » والخبيرون الالمان يتقاطرون على المدن الكبرى في بلغاريا ، وعمد هتلر الى تدعيم بعض الاتجاهات الانفصالية في يوغسلافيا ، وفرض على الحكومة معاهدة تجارية حولت يوغسلافيا الى اقطاعة اقتصادية . وما فرضته على يوغسلافيا فرضته على المجر .

هتلر وفرنسا

وتحول هتلر شطر الغرب فشوهد في باريس وفي مونتوار وفي هنداي . وفي آخر تشرين الاول اجتمع بلافال وفرانكو والمرشال بيتان . وكان مسيو بودوان يوصي فيشي بالتعاون الولائي مع المنتصر ، وبعد اجتماع الفوهرر والمرشال وافق مجلس الوزراء بالاجماع على مبدأ التعاون الفرنسي الالماني . وشاعت انباء صلح يسفر عنها ترك فرنسا قسماً من ممتلكاتها في افريقيا اذ كان الديكتاتوران قد قررا ان تدخل افريقيا بصفتها تمديداً لاوربا في « نظامها الجديد . » ولا يجهل احد المطامع الايطالية والاسبانية بالممتلكات الفرنسية في هذا الشطر من العالم . وفي فلورنسا اوقف هتلر شريكه على مباحثاته مع الاسبان والفرنسيين . وفي ذلك الحين اسندت وزارة الشؤون الخارجية الى لافال في فرنسا ، وسيرانو سوز في اسبانيا . وعقب اجتماع فلورنسا اذاعت كل من برلين وروما مذكرة تقول فيها ان فرنسا قد خسرت الحرب فيجب عليها ان تدفع . وفي ١٠ من تشرين الاول اوضح المرشال بيتان للشعب الفرنسي انه قبل سلوك طريق التعاون والنظام الاوربي الجديد .

المغامرة الايطالية وعواقبها

وفي اليوم الذي اجتمع فيه الديكتاتوران في فلورنسا هاجم موسوليني اليونان (٢٨ تشرين الاول .) وقد اعتمد في هذه العملية تطبيق الكلابة التي قد تسمح بتهديد تركيا وقنال السويس في آن واحد . وكان منتظراً ان يقوم المرشال غرازياني بهجوم في ليبيا . فبعد ان عجز هتلر عن الوصول الى جزيرة انكلترا راح يسعى الى ضربها في مرافقها الحيوية ، في الطرف الاقصى الشرقي من حوض المتوسط وربما في الطرف الغربي الاقصى اذ شوهد بين بوردو وبايون احتشادات عسكرية هامة ترمي ولا شك الى القيام بعمل ضد جبل طارق ومراكش .

ولكن اليونان احسنت المقاومة بمساعدة بريطانيا التي تحتل القواعد البحرية والجوية اللازمة فصدت المجتاح وطردته من ارضها، وبعد معارك باهرة نقلت الحرب الى الارض الالبانية التي يحتلها الجيش الايطالي . وكانت تركيا — مع حيادها — تحمي الضلع الايمن من اليونان بتمركزها القوي في تراقيا .

مصاعب في اوربا

وفي ١٢ من تشرين الثاني وصل مولوتوف الى عاصمة الريخ يصحبه خمسون خبيراً اقتصاديا وعاد الى موسكو من غير ان ينضم الى المحالفة

الثلاثية او الى النظام الجديد . وقبل ذهابه الى موسكو ولدى عودته منها نوهت الصحف الروسية من جديد بحياد الاتحاد السوفيتي . وانتقل هتلر الى فيينا وحمل ابواقه على اعلان انضمام دول جديدة الى المحالفة الثلاثية . ولكن لم ينضم من هذه الدول الا المجر ورومانيا وسلوفاكيا، في حين كانت اسبانيا تفاوض انكلترا في عقد اتفاق مالي واقتصادي . اما المرشال بيتان الذي احل فلاندان محل لافال فقد صرح بلسان عملائه الديبلوماسيين وسواهم انه لن يقبل اعطاء اي امتياز ينافي الشرف . ذلك ان انكلترا كانت في تلك الاثناء قد احرزت انتصاراً جديداً على الدوتشي فقد طرد جيش غرازياني من مصر كما طرد جيش سودو من اليونان . وهكذا فشلت خطة الكلابة نهائياً وابتعد الخطر عن السويس وعن المضايق واستقال المرشال بادوليو في ايطاليا

تجديد انتخاب روزفلت — والمساعدة الاميركانية

كان هتلر في جميع مساعيه واعماله دائم التخوف من الولايات المتحدة اذ لم يقرب عنه انه سيخسر الحرب حتما اذا نالت انكلترا من الولايات المتحدة المساعدة المادية التي تحتاج اليها . او بكلمة اذا اضيف المصنع الاميركاني الى المصنع الانكليزي . ولا يجهل هتلر واعوانه ان الظفر في هذه الحرب عائد حتما الى الذين يملكون القسط الاكبر من العتاد والمواد الاولية ويشرفون على حرية البحار . وهكذا رأينا الدعاية الالمانية تبذل قصاراها لتحويل الولايات المتحدة عن تأدية مساعدتها الى بريطانيا .

وفي ٥ من تشرين الثاني وجه انتخاب روزفلت ضربة قاضية الى الخطة الالمانية هذه . فروزفلت يمثل في نظر مواطنيه والعالم فكرة حرية الشعوب والديموقراطية . وقد انتهى الرئيس الاميركاني الى اقناع الاكثرية الكبرى من مواطنيه بان بريطانيا تدافع في جهادها ضد المانيا عن سلامة الولايات المتحدة وعن مثلها العليا وتصون قضية الحضارة من عبث الطغيان النازي والوحشية النازية .

ولما طرحت الحكومة البريطانية امام الرأي العام الاميركاني والحكومة الاميركانية قضية المساعدة التي تنتظرها من الولايات المتحدة اجاب روزفلت بانه سيقدم الى الكونغرس في اوائل كانون الثاني خطة تفضي الى تأدية المساعدة الكليه ضد الحرب الكلية ، فكل ما تحتاج اليه انكلترا من العتاد الحربي في المستقبل تسلمه اليها الولايات المتحدة بطريق القرض والتأجير .

كتب مستر والتر ليبمان : « ان الانسانية مدينة لبريطانيا العظمى بردها الى البشر الثقة بالنفس التي فقدوها . » ففي النصف الثاني من العام ١٩٤٠ انقذت بريطانيا بانقاذها نفسها العالم والحرية والحضارة . وقد قال مستر تشرشل : «ستعود الحياة جميلة اذا لم نهن ونضعف»

والواقع ان انكلترا صمدت صموداً باهراً : ففي الميدان العسكري صدت بريطانيا الهجوم على الجزر البريطانية ، وربحت معركة لندن وحالت دون الغزوة ، وأحرزت مع حليفتها اليونان اولى الانتصارات البرية في اوربا وافريقيا ، واحتفظت — بالرغم من حرب الغواصات — بتفوقها البحري ودمرت القسم الاكبر من الاسطول الحربي الايطالي ، وأفنت انتاجها من العتاد والمؤن

وفي الميدان الديبلوماسي والسياسي هدمت بريطانيا ، لمجرد مقاومتها وانتصاراتها ، النظام الاوربي الذى كان يحلم به هتلر ووطأت للشعوب المستعبدة سبيل العصيان والانتقام . وبالرغم من اليابان دافعت عن مصالحها في الشرق الاقصى ودعمت الصين وحملت الاتحاد السوفييتي على العدول عن الايمان بنجاح الجيش الالماني وحصلت على المساعدة الكلية من الولايات المتحدة التي عرفت كيف تحمل القارة الاوربية بكاملها على الانضمام الى قضية الحرية والديموقراطية . وقد قال الملك جورج السادس في الرسالة التي اذاعها عشية عيد الميلاد : « نحن على طريق النصر . »

١٩٤١

كانت هذه السنة فاتحة خير للحلفاء . فقد استهلتها الجيوش البريطانية بفتوحات باهرة على يد الجنرال ويفل ، قائد الجيوش البريطانية في افريقيا . ففي ٢ من كانون الثاني احتلت جيوش ويفل المظفرة مدينة طبرق في ليبيا بعد أن كانت احتلت سيدي براني . وفي ٣٠ من كانون الثاني استولت على درنة وما عتم الامر ان احتلت بنغازي . وواصلت القتال في الحبشة فاحتلتها باشهر قليلة وقضت على الامبراطورية الوهمية التي بناها موسوليني بسبعة اشهر استنفد خلالها ثروة ايطاليا حتى اضطر الازواج الطليان الى بيع حتى محابسهم الذهبية لتغذية تلك الحملة .

وفيما الحرب دائرة الرحى في نجاد الحبشة وسهول ليبيا لم يجد الجيش الالماني بدأ من نجدة الطليان الذين كانوا يتعثرون في الحرب الغادرة التي شنوها على اليونان الصغيرة . ففي ٢٨ من تشرين الاول عام ١٩٤٠ أقدمت جيوش موسوليني على غزو اليونان لاحتلال المواقع القوية في خوض المتوسط . فهبت القوات اليونانية لصدّ الغزوة بما اوتيت من قوة الايمان بالحق والعدالة ، وما هو الا وقت قصير حتى قلب الله للطليان ظهر المجن واذا بسهول اليونان ونجادها تستحيل مقابر لجنود موسوليني ومصاهر لعتاده ، واذا باصلاب بركليس تطرد المغتصب المجتاح من وطنها وتنقل مسارح الحرب الى البانيا ، الى عقر دار الطليان . وعندئذ رأى الجيش الالماني أن الكارثة الطليانية يتفاقم أمرها فهب لنجدة حليفته ، وفي السادس من شهر نيسان عام ١٩٤١ دخلت الجيوش الالمانية حدود اليونان ويوغسلافيا معاً ، فصمدت يوغسلافيا صمود المؤمن بعدالة قضيته وثابرت اليونان على القتال مستعينة روح الله على نصرة الحق وازهاق الباطل .

وكانت القيادة الامبراطورية البريطانية قد نقلت قسما من قواتها المحاربة في ليبيا الى اليونان لنجدة الحليفة الصغيرة . فضعفت الجبهة البريطانية في هذه المناطق مما اضطر الجيش البريطاني الى الجلاء عن بنغازي وعن كثير من النقاط الواقعة على ساحل ليبيا . ولكنه استعاض عن ذلك باحتلال الصومال الايطالي في ١٦ آذار ١٩٤١ ، ثم كيرين واسمره ومصوع في الاريتره ، والعاصمة الحبشية في ٥ من نيسان .

وفي ٢٠ من نوار ١٩٤١ بدأت معركة كريت التي خسرها الانكليز بداعي تفوق العدو في العدد والعدد . ولكن البريطانيين اباوا في هذه المعركة بلاء حسناً بالرغم من ان الالمان استخدموا فيها ألفاً ومئتي طائرة وسبع فرق منها ثلاث مصفحة واثنتان جبليتان وواحدة من فرق هتلر يبلغ مجموعها كلها مئة واربعين الف رجل مقابل خمسين الفاً من البريطانيين .

حملة العراق

وكان رشيد عالي الكيلاني ، رئيس الحكومة العراقية ، قد أوقع الواقعة في العراق بدافع من الالمان ولكن الانكليز وضعوا بسرعة حداً لهذه الفتنة المؤسفة وهرب رشيد عالي الى المانيا واستعاد العرش العراقي حقه السليب . ولم تستغرق الثورة في العراق الا ٢٨ يوماً من ٢ نوار الى ٣٠ منه .

حملة سوريا

وعلى الاثر أعلن الجنرال كاترو ، قائد حملة سوريا ولبنان ، عزم الحلفاء على انقاذ سوريا ولبنان من المطامع الالمانية . وفي ٨ حزيران دخلت قوات الحلفاء بقيادة الجنرال كاترو الى لبنان وسوريا واستغرقت مقاومة فيشي ٣٥ يوماً انتهت باحتلال الحلفاء بيروت عشية عيد الحرية الفرنسية .

حملة ايران

وبعد اسابيع قليلة دخلت الجيوش الانكليزية الروسية الى ايران بعد ان انذرت مرتين بضرورة اخراج العملاء والجواسيس الالمان ولم تذعن . على ان الجيوش الايرانية ابدت مقاومة رمزية انتهت بوقف القتال الذي لم يتجاوز اسبوعاً . وقد أسفرت هذه الحملة عن سفر الشاه بهلوي واعلان ابنه ولي العهد شاهاً باسم علي رضا واستيلاء الحليفتين انكلترا وروسيا على آبار البترول والمرافق الحيوية في ايران .

حملة روسيا

ولا نزاع في ان التحالف الروسي الالماني كان قائماً على دغل ، فلا هتلر يؤمن بصداقة ستالين ولا ستالين بصداقة هتلر . وبديهي ان المانيا حالفت روسيا على امل ان تعرف من مواردها ، فلما امسكت عنها روسيا تلك الموارد لم يبق امام الجيش الالماني الا ان يلقي السلاح او ان يهاجم البقاع الروسية الغنية وفي ٢٢ حزيران من العام ١٩٤١ هاجم الجيش الالماني روسيا في جبهة تمتد من المحيط المتجمد

حتى البحر الاسود ، فأخذت القوات الروسية تقاوم منسحبة الى نقاط مقررة . وقد سلكت الجيوش الالمانية طريق الجيوش النابوليونية وبقيت تتنقل من فوز الى فوز دافعة اثمان انتصاراتها غالياً جداً حتى اليوم السابع من شهر كانون الاول ١٩٤١ . في ذاك اليوم باشرت الجيوش الروسية الهجوم ، فطردت الالمان من روستوف وواصلت تقدمها الظافر فاسترجعت تكفين وكالينين وكرش وكالوغا ومئات من القرى والمدن الاخرى .

في ليبيا

وفي هذه الاثناء كانت الجيوش الامبراطورية تبلي بلاء حسناً في بقاع ليبيا . وكانت قد باشرت هجومها في ١٨ من تشرين الثاني عام ١٩٤١ فاحتلت عدة مدن ومرافىء ومواقع ستراتيجية هامة . ولم يكن هدف الجيوش الامبراطورية احتلال مواقع في ليبيا بل كان هدفها تحطيم العدة الميكانيكية العدوة . وقد تمكنت في اسابيع قليلة من القضاء على الجانب الاكبر من جيش الجنرال روميل ، قائد القوات الميكانيكية الالمانية في ليبيا ، واحتلت فوق ذلك البردية ودرنه وبنغازي وارغمت جيش روميل على الانسحاب شطر طرابلس الغرب .

في الشرق الاقصى

وكانت اليابان اثمانية اشهر خلت شرعت تفاوض الولايات المتحدة لاجل الحصول على امتيازات في الشرق الاقصى . وفي اليابان نزعتان احداهما تميل الى الاتفاق مع الحلفاء ، وهي نزعة المعتدلين ، والاخرى تميل الى الحرب لبسط السيطرة المطلقة على الشرق الاقصى وطرد الاوربيين منه ، وهي نزعة المتطرفين التي يمثلها الحزب العسكري . وطال البحث والجدل بين الطرفين من غير ان يصلا الى نتيجة . وفي اثناء ذلك ، عندما اشتد الجدل والتشبث ، تبوأ الحزب العسكري السلطة فتولى الجنرال توجو رئاسة الحكومة ، وراح يستخدم كل انواع الحيل الديبلوماسية رجاء ان يخيف الولايات المتحدة فتذعن الى المطالب اليابانية . ولكن حكومة واشنطن حافظت على رباطة جأشها وافهمت الحكومة اليابانية انها لن تنال شيئاً بالتهديد والوعيد .

ويظهر ان الحكومة اليابانية لقحت بلقاح النازية الهتلرية فقر رأيها على ان تلجأ الى الخداع والمكر فانتدبت السيد كوروسو كسفير خارق العادة ليعاون الاميرال نومورا ، سفير اليابان في الولايات المتحدة ، في المفاوضات الجارية بين البلدين . فخيل الى العالم ان طوكيو عدلت عن السياسة الحربية التي سلكتها من زمن ، وانقسمت الآراء فمن قائل ان المفاوضات الاميركانية اليابانية ستسفر عن التسوية المنشودة ، ومن قائل ان الحرب واقعة حتماً في منطقة المحيط الهادىء .

والواقع ان اليابان ما لجأت الى هذه الحيلة الماكرة الا لتصرف الولايات المتحدة عن التأهب للهجوم المفاجىء الذي كانت تتهيأ له . ففيما المفاوضات مستمرة في واشنطن بشيء من القطيعة اقدمت القوات اليابانية على مهاجمة هونولولو ، عاصمة جزر هاواي ، ومانيلا ، عاصمة جزر الفيليبين . ثم اعلنت الحرب على الولايات المتحدة وانكلترا .

سياسة روزفلت

وكانت سياسة الرئيس روزفلت قد حملت قسماً كبيراً من اشياع العزلة الاميركان على الانضمام اليها ، فما كادت اليابان ترتكب عملها الغادر حتى انضم القسم الباقي من اشياع العزلة الى سياسة روزفلت وهبت جميع البلدان الاميركانية الى اعلان تكاتفها مع الولايات المتحدة فأعلنت تسع جمهوريات منها الحرب على المحور وقررت خمس منها الاعتراف بحقوق اللامحارب لجميع الجمهوريات الاميركانية التي تخوض الحرب . وبموجب المادة السابعة عشرة من اتفاق هافانا قررت جميع الدول الاميركانية ان تعقد مؤتمراً في شهر كانون الثاني الجاري اما في ريو ده جانيرو او في سانتياغو التشيلي لتدرس معاً ما يجب اتخاذه من التدابير المشتركة بحق اليابان .

وهكذا صهر الاعتداء الياباني جميع العناصر الاميركانية في اتحاد متراص لمقاتلة الباغي وانقاذ الحرية البشرية من مخالب الطغيان .

خواطر

اشباح من الناس

اولئك الذين لفظتهم الكرامات
اولئك الذين يقدسون الباطل
ويزهقون الحق
ويقيمون من المآتم اعراساً
اولئك الذين يزحفون على بطونهم
ويمرغون وجوههم بالاوحال
ويتلون كالافاعي
حتى تستقر جباههم على الاقدام
وشفاههم على النعال
فيسترسلوا في تقبيلها
ويمعنوا
هؤلاء الناس
اشباح من الناس

من تقاهم

لم ارَ اثنين يفهم احدهما ما يقوله الآخر
الا قيل انهما ابكمان
ولم ارَ احداً بين جماعة تتحدث
بقي محافظاً على بريق عينيه
الا قيل انه اصم
ولم ارَ احداً بقي محافظاً على اسارير وجهه
امام شتى المرئيات
الا قيل انه اعمى
ولم ارَ احداً يفهم جيداً ما يريد ويسعى اليه
الا قيل انه مجنون

طفل كبير

حياة المرء اربعة فصول .
تمثل الطفولة البريئة
والشباب الضاحك
والرجولة العاملة العابسة
والكهولة الهادئة
ويسدل الستار بعد كل فصل
ثم يرفع
الا في الفصل الاخير
وقد لا يرفع بعد الفصل الاول
او الثاني
او الثالث
وقد يرفع مرة
في الفصل الاول
فلا يسدل الا في الاخير

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التوازن الاجتماعي

بقلم فدري فلفجي
رئيس تحرير مجلة « الطريق »

التوازن الاجتماعي حلم من احلام الانسان ، هجس في خاطره ونزع الى تحقيقه في الازمان السحيقة منذ نشأ التفاوت بين فرد وفرد وفئة وفئة ، ومنذ شرع اناس ينكرون هذا التفاوت ويريدون ان يحيا الناس كلهم حياة مليئة متطورة .

فأفلاطون الذي شاهد اضطراب التوازن في المجتمع الأثيني واشتداد الخلاف بين طبقاته ، حاول ان يسن في كتاب «الجمهورية» وفي كتاب « القوانين » نظاماً جديداً للدولة تصبح الامة فيه كتلة متماسكة . والمسيحية التي نشأت في ظل الاستعمار الروماني واستبداد الحكام والكهنة ، بشرت بالحب والمساواة . والاسلام الذي اشرق في ظلمة الجاهلية وعصبيتها وتفاوت طبقاتها ، نادى باخوة البشر .

ثم تتابع المصلحون في الشرق والغرب وكلهم يحلم بالتوازن الاجتماعي ، ويطمح الى مجتمع ارقى من المجتمع الذي عاش فيه . من هؤلاء توماس موروس الذي تخيل في كتابه « الطوبية » انه من الممكن ان يزول النزاع بين البشر ويتم التوازن بين الطبقات عن طريق التربية . وقامبانيلا الراهب الايطالي الذي وضع في كتابه « دولة الشمس » نظاماً جديداً على اساس شيوعي خيالي . وروسو الذي قال في رسالته « منشأ التفاوت بين البشر » ان عدم المساواة في شروط المعيشة هو من صنع الحضارة وان البشر متساوون في الاصل ومفطورون على الخير . ومنهم ايضاً الفارابي صاحب « المدينة الفاضلة » الذي حاول ان يصور لابناء عصره كيف يكون المجتمع الامثل .

وهناك غيرهم كثيرون ، اشهرهم روبرت اوين في انكلترا ، وسان سيمون وفوريه ولوي بلان في فرنسا ، دعوا الى اصلاح المجتمع بتوحيد الثقافة والتربية والاعتراف بتساوي البشر في الحقوق .

ويلاحظ ان هؤلاء المصلحين ، ومن سبقهم ، وكثيرين ممن جاء بعدهم ، كانوا يجعلون الاخلاق اساساً للتوازن الاجتماعي ، ويعالجون معضلات الحياة المادية بطريقة مجردة لا تكاد تختلف عن طريقة البحث في ما وراء الطبيعة ، فلم يؤثروا كثيراً ولا قليلاً في سير التاريخ . وظل هذا التاريخ ينهج نهجه الاول : ظل تطور الفرد او تطور الجماعة يقف حائلاً دون تطور فرد آخر او جماعة اخرى ، لان تقدمها مادياً وفكرياً لا يتم الا على حساب فرد آخر وجماعة اخرى .

ولكن ثمة امراً بدا جلياً في سير التاريخ . ظهر ان هذا التاريخ يتألف من مراحل مختلفة ، وان سنة التطور تقضي بان ينتقل المجتمع من مرحلة الى اخرى . كما ظهر ان كل مرحلة من مراحل التقدم الانساني كانت تتميز عن سابقتها بانها تيسر تناول النتاج المادي والفكري بحيث تستمتع بفئة جديدة من الفئات الاجتماعية التي لم تكن تستمتع به من قبل .

ومن الواجب ان ننوه هنا بان المرحلة الاخيرة التي بلغها التقدم الانساني بصعود البورجوازية وانهيار الاقطاعية في اوربا واميركا ، كانت اعظم هذه المراحل ، لانها افسحت مجال التطور امام عدد اكبر من الناس ، وأعلنت حقوق الانسان الطبيعية ، وجعلت الامة مصدر السلطات ، ومارست النظم الديموقراطية واعترفت بان الفروق الاجتماعية ، لا يصح ان تقوم الا على اساس المنفعة العامة .

الا ان هذه الاصلاحات كلها لم تستطع ان تحقق التوازن الاجتماعي المنشود . وانقسم الناس في شأن هذا التوازن الى فريقين : فريق يقول باستحالته وفريق يقول بانه اذا كان مستحيلاً في الماضي فقد أصبح اليوم ممكناً نظراً لتوفر الشروط المادية اللازمة لتحقيقه . ففي تطور الصناعة ، ورقي اساليب الانتاج ، وتقدم وسائل النقل والمواصلات ، اسباب تكفي اذا تنظمت تنظيماً عادلا ، لكي يتم التوازن الاجتماعي : اي لكي ينعم كل فرد من افراد المجتمع باوفى ما تؤهله اليه كفاءاته من نعم الحياة ، في

راجع مجلة الاديب العدد التاسع شهر ايلول ١٩٤٢ صفحة ٣

نظام لا يكتفي بحرية العمل والثقافة والتمثيل النيابي ، بل يمنح الناس الشروط المادية اللازمة لممارسة هذه الحقوق والحريات .

امام هذه الفكرة المنبثقة من صميم التطور التاريخي المحتوم ، وقف قوم يزعمون ان التوازن الاجتماعي لا يتم الا بفناء الفرد او الافراد على مذبح الطبقة الحاكمة . هؤلاء هم دعاة الفاشيستية والنازية في ايطاليا والمانيا وغيرهما ، هالهم سير التطور القاضي باتساع الديموقراطية اتساعاً يحطم امتيازاتهم ويعطي الحياة لمن يستحقونها ويحرمون اليوم منها ، فأرادوا ان يعودوا بالعالم الى الوراء ، ولجأوا في تحقيق ذلك الى النظم التعسفية وهمجية القرون الاولى ، حتى حسب الناس ان اسس الديموقراطية زلزلت وان مصيرها قد غدا في كفتي ميزان .

لكن النظم الديموقراطية المنشودة لا بد من ان تسود كما سادت النظم الديموقراطية الحديثة والناس لن يتخلوا عن حرياتهم بعد ان جاهدوا طويلاً لنيلها ، بل سيبلغون بها غايتها . وليس من الممكن ان تنقطع وتخفق حركة تطورت خلال اجيال التاريخ ، وخلقتها خبرة الجماعات التي تعاقبت منذ آلاف السنين في كل ناحية من نواحي العالم ، بل ستواصل هذه الحركة سيرتها وتزداد قواعدها رسوخاً .

وهذا التوازن الاجتماعي الذي كان حلماً بعيداً من احلام الانسان ، يكاد يصبح اليوم حقيقة ملموسة ليس بينه وبينها الا خطوات لا تعيا بها قدرة الانسان الذي آمن بان التفاوت قد اصبح عائقاً يحول دون تطوره ، وبان التوازن قد اصبح مستطاعاً لان الشروط اللازمة لتحقيقه قد توافرت .

ونحن العرب الذين ننزع الى نظام ارحب من نظامنا يتاح لنا فيه من الفرص اللازمة للتمتع بحقوقنا والقيام بواجباتنا اكثر مما اتيح لنا في اي وقت ، لا يسعنا الا ان نكون الى جانب الديموقراطية التي تفتح ميدان السعي الى ديموقراطية اعلى فأعلى ، والسير بالنتاج المادي والفكري الى اوج أرقى فأرقى ، وافساح مجال التطور امام عدد من الناس اكبر فأكبر .

ولا يسعنا ، ونحن نضع نصب اعيننا هدفاً عظيماً هو بناء امتنا والسير بها الى الامام ، الا ان نحارب تلك الردة النازية التي تحاول ان ترجع بالانسانية الى الوراء في ميادين العلم والاقتصاد وانظمة الحكم ، اينما ظهرت هذه الردة وكيفما ظهرت ، ولا يسعنا الا ان نحارب في بلادنا النظم الرجعية التي تحول دون صعودنا الى مرحلة ارقى من المرحلة التي بلغناها .

واول الاهداف التي يفرضها علينا التطور التاريخي ان نترسم خطى القافلة التي سبقتنا فنتجند جميعاً لمحاربة النظم الرجعية التي تفرض على الشعب لوناً من الحياة جائراً عتيقاً يقيد تفكيره ويحد طموحه ويفدح الفلاحين ، وهم الفئة الكبيرة من فئات المجتمع ، بنير الجهل والبؤس والحرمان .

الامم الصناعية تحكم الامم الزراعية . هذه حقيقة يجب ان نعرفها ، وان نعرف معها انه لا سبيل لنا الى الحرية الصحيحة ، ولا رجاء لنا حتى في تعميم التعليم وتحرير المرأة ، الا اذا دخلنا ميدان الصناعة .

ان الفرد الاميركي يملك بحساب القوة نحو ستة وثلاثين حصاناً ، في حين ان الفرد السوري لا يملك سوى حصان او حصانين ، لان الاول يستخدم الآلة ، ولا يستخدم الثاني سوى يديه ، فيجب ان نحرر ابن وطننا من عبودية العمل ، وبدلا من ان يكون عبداً للمادة كما هو اليوم نجعله سيداً لها .

ان بلادنا العربية التي تؤلف اليوم وحدات اقتصادية صغيرة ضعيفة فقيرة ، يمكن ان تصبح كتلة اقتصادية كبيرة قوية تكفي اكثر حاجاتها بنفسها اذا تحققت فيها مشاريع الاحياء ، وسادت الاساليب العملية الحديثة شؤون الزراعة ، ونبشت بطن الارض عما فيها من كنوز دفينة ، وانشئت في شتى المدن مصانع محلية تفيد من خامات البلاد وتحولها الى نتاج راق يغنينا عن استجداء الامم الصناعية .

فيا ايها الشباب ، يا اخواني ، ان اول ما يفرضه علينا وطننا من واجبات ، هو ان لا ندع للرجعيات مهما كان لونها ومصدرها ، سبيل الوقوف امام تطورنا ، وان لا نعيش جماعات متفاوتة بينها من البعد ما بين الغنى والفقر ، والعلم والجهل ، والنور والظلمة ، والانسان والبهيمة .

ان العالم المتمدن يسير الى الامام ، ويقضي شيئاً فشيئاً على التفاوت بين افراده وطبقاته ، ونحن لا نزال نلوي باعناقنا الى الوراء ، ونتمسك بانماط بائدة من العلاقات الاجتماعية وبنظم متحجرة فقدت مرونتها وبطلت صلاحيتها ونعيش طبقات بعضها فوق بعض في عصر اصبح فيه الشرط الاساسي لبناء امة متماسكة جديرة بالحياة هو التقريب بأقصى ما يستطاع بين افرادها وطبقاتها بالقضاء على علاقات العبودية بين اولئك الافراد وتلك الطبقات .

فدري فلعجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعاون الاجتماعي

بقلم البرت بدر
احد اساتذة جامعة بيروت الاميركية

◆

حديثي اليكم هذا المساء عن التعاون الاجتماعي كعنصر فعال في بناء الامة وعما يترتب على الشباب المسؤول من واجبات وما يعود عليهم من امتيازات بشأن ذلك العامل المدني الانشائي .

ولا يفهم التعاون الاجتماعي فهما صائباً او تدرك جسامته ادراكاً حقاً الا في احضان تلك العملية الخلقية الكبرى التي ندعوها بناء الامة . والبناء على نوعين فبنا جسم جامد لا روح له كبناء البيت مثلاً وبناء جسم حي كجسم الانسان الطبيعي او كجسمه الاكبر المعروف بالمجتمع . وتختلف عملية البناء في الحالتين اختلافاً جلياً .

اما بناء البيت فيستوجب خطة موحدة يرسمها العقل المنير فما ان يفرغ من وضعها حتى ينتهي القسم الاكبر من العملية الخلقية فيبيت حفر الاساس وشقع الحجارة وتركيب النوافذ عملا تطبيقياً صرفاً واسمى ما تصل اليه تلك العملية البنائية هو ان يجيء المبني طبقاً للخطة المرسومة له دون ان يترك لاي جزء من اجزائه حرية نموه بحسب مرماه الطبيعي او نظامه الخاص . لذلك نلحظ ان بناء الجسم الجامد قائم في اساسه على ارادة موحدة تنفي حرية اجزائه نفياً باتا .

وقد يساق البعض الى اقتباس هذه المقارنة دون اي تعديل عند تفكيرهم في بناء الجسم الحي . وهذا لعمري خطاء قد يقع فيه الكثيرون دون ان يدروا ان الجسم الحي يبنى من الداخل بنمو مختلف اعضائه نمواً مطابقاً لانظمة تلك الاعضاء الخاصة وليس بموجب خطة غريبة تفرض عليه من الخارج فرضاً . فالمجتمع مؤلف من اعضاء شتى كالحكومة والشعب وطبقات الزراع والتجار والموظفين والاحزاب السياسية والمذاهب الدينية والعائلة والرجل والمرأة . ولكل من هذه الاعضاء نظام نموه الخاص . ويفرض علينا بناء المجتمع ان نطلق الحرية لهذه الاعضاء لاتباع انظمتها الخاصة في نموها .

وهنا يجب ان نقف هنيهة ونتأمل ، اذ يجب ان لا يغيب عن ذهننا اخطر الجسيم الناجم عن اعطاء مثل هذه الحرية لاعضاء المجتمع متناقضة مراميها متعارضة مقاصدها متخالفة مصالحها . فقد يندر التمادي في اطلاق حريتها بانحدار المجتمع الى حالة فوضى ذريعة . فبينما نرى في بناء الجسم الجامد وحدة صلبة يقوم حولها البيت مثلاً نجد في بناء المجتمع تنوعاً غريبا لو قضينا عليه لقضينا على نمو المجتمع ولو تركنا له اللجام لجمح بنا الى الفوضى . وهذا ما يجعلنا نقول ان مشكلة المجتمع الكبرى هي مشكلة ايجاد وحدة اساسية تستنبط من تنوعه وتربط ذلك التنوع بها ، وهذه العملية اعني عملية استخلاص الوحدة من التنوع المجمعي لا تجيء الا بالتعاون الاجتماعي .

والتعاون الاجتماعي على ثلاثة انواع : فالنوع الاول هو تعاون بين افراد فئة متجانسة متحدة المصلحة كالتعاون بين المزارعين او التجار او الاساتذة او المحامين والنوع الثاني هو التعاون بين فئتين مكملة احداها للاخرى كالتعاون بين الحكومة والشعب او العامل وصاحب المصنع او المزارع والملاك او الرجل والمرأة . والنوع الثالث هو التعاون بين فئتين متعارضتين كالاحزاب السياسية والمذاهب الدينية .

ولو تفحصنا مجتمعنا العربي وقابلناه بالغرب لادهشنا افتقارنا الى التعاون الاجتماعي فنحن من هذه الناحية لانزال اطفالا رضعاً . اني لا انكر ان هنالك بعض الدلائل على وجود النوع الاول من التعاون في مجتمعنا اي التعاون بين افراد فئة متجانسة . فهناك مثلاً غرف تجارية للسهر على مصلحة التجار ونقابات محامين واطباء ومحاولة نبيلة للبدء في جمعيات تعاونية بين بعض الفلاحين ولكن اذا قابلنا هذه المؤسسات هنا بما يشابهها في الغرب الفيناها هياكل فاقدة الروح

عديمة الحيوية والفعالية .

واما النوع الثاني اي التعاون بين فئتين متكاملتين فهو اقل انتشاراً وتأثيراً عندنا حتى من النوع الاول . فلم اسمع قط بصاحب مصنع في بلادنا ينظم برنامجاً تهذيبياً لعمال مصنعه ، او بملاك يبذل الجهد والمال في سبيل رقي وراحة الفلاحين العاملين في املاكه ، ولا عثرت بعد على بلد تنظم لجانها من تلقاء نفسها طوعاً واختياراً لمناصرة مجلسها البلدي في اعماله .

واما اذا جئنا على النوع الثالث من التعاون بين عنصرين متضادين كالاحزاب السياسية فهناك المأساة الكبرى . فليس التعاون بين حزبين متعارضين مفقوداً عندنا فقداً كلياً فحسب بل التفكير في امكانية وجوده ناهيك عن ضرورته منفي نفياً جازماً حتى من مخيلتنا . فهدف الحزب السياسي في نظرنا هو القضاء على الحزب الاخر باية وسيلة ممكنة ولو كلفه الامر القضاء على نفسه . ففهمنا للتعاون الاجتماعي معكوس التركيب اذ انه لايزال يرتكز على الفلسفة الفنائية القائلة علي وعلى اعدائي يارب بدلا من لي ولاعدائي يارب .

فاذا شئنا ان نشيد مجتمعنا صرحاً متيناً فلا بد لنا من تعميم التعاون الاجتماعي على مختلف انواعه . وهنا تتجلى لنا وظيفة الشباب المسؤول في هذا المضمار . فللشباب ميزات خاصة لا ينعم بها سواهم تمكنهم من العمل بنجاح في هذه القضية الحيوية . فالشباب اولا ان بنى فهو يبني لنفسه اذ بناء المجتمع لا يقوم بين عشية وضحاها . فاذا شرع الشباب في بناء المجتمع اليوم فقد يحصدون بعض ثمار جهودهم في مجتمع الغد ، ومجتمع الغد في قبضة شباب اليوم يهيئونه لانفسهم ولاولادهم . ثانياً الشباب لم يقع بعد فريسة للتعصب والرجعية الفتاكة فيسهل عليهم اذاً اقتباس الجديد في طرق التعاون دون وجل او تردد . والشباب ايضاً مخاطر مغامر وبناء الامة والتعاون الاجتماعي لا يجيء عن يد قوم متحفظين خائري القلوب . ومن ثم شبابنا اليوم اكثر تثقيفاً من اسلافهم فهم اذاً اقوى على ادراك هذه الحقائق المجتمعية واشد تأثراً بها ولذا فهم اكفأ من ابائهم على مجابهتها .

ولكن اذا كانت هذه ميزات الشباب فمن الحمق ان تغيب عن ذهننا نقائصهم وهي عديدة اذكر لكم بعضها . فالشباب متسرع والتعاون الاجتماعي يتطلب في كثير من الاحيان حنكة وروية وصبراً وقد يسوق الشباب اندفاعه لهدم ما يريد بناءه . والشباب ايضاً سريع اليأس فهو غير رابض على خبرة عميقة عتيقة تنفث في نفسه روح المثابرة امام المصاعب فقد تقوده العقبات الاولى في ميدان العمل الاجتماعي الى الانسحاب والتعاون الاجتماعي يحتاج الى مثابرة غريبة . اضف الى ذلك ان الشباب قصير النظر فهو يميل الى التعلق بالقضايا ذات النتيجة السريعة دون القضايا ذات الاسس المتينة التي تعطي ثمرها ولكن بعد زمن طويل . ومن ثم الشباب طائش يسعى وراء الملذات وبتصلف يستهزئ بالامور الجديدة ففلما تجده يحيا هذه المشاكل الاجتماعية بعنف وتمزق في فؤاده ولست ادري كيف يولد مجتمعنا الجديد دون اوجاع الولادة .

اذا ادرك الشباب بعد فحصه لنفسه ميزاته ونقائصه هذه فعليه بعد ذاك ان يقوم باعباء المسؤولية الاجتماعية الملقاة على عاتقه . والقيام بهذه المسؤولية الخطيرة يستوجب استعداداً روحياً نظرياً مقروناً بعمل تطبيقي اجتماعي فيجب على الشباب اولا ان يفهم اهمية نمو الفئة الاخرى فهماً عميقاً . فالمجتمع مؤلف من عناصر وفئات متجانسة ومتكاملة ومتعارضة وكلها تشترك نهائياً في بناء الامة . فنمو كل منها شرط لازم لنمو المجتمع ، ولو شل احدها لضعف البناء . وفهم هذه الحقيقة يقود الشباب للتسامح بنمو الفئة المعارضة وان لم يشترك فعلاً في انمائها ، وللعمل الدائب على انماء الفئة المكملة وتقويتها لكي تتقوى بها الفئة المكملة ، ولتحمل التضحية الناتجة عن نمو الفئة الاخرى . فالمجتمع مجموعة من التضحيات الشخصية والطبقية والحزبية يبررها ثمر البناء الكامل .

ومتى اطمأن الشباب الى هذا الاستعداد الروحي في نفسه استطاع اذ ذاك ان يلج ميدان العمل التطبيقي الاجتماعي بقدم ثابت مشتركاً بحرارة ورزانة وفهم وعمق في التخصص العلمي العملي والتهذيب المدني والتنظيم الطبقي والحزبي والمجتمعي . فانا اذا ناشدنا امة تقوم على اسس قوية تحتم على الشباب فيها ان يدرك ان بناء تلك الامة انما هو بناء جسم حي لا يتم نموه الا بالتعاون الاجتماعي ، وان هذا التعاون بين مختلف عناصر الامة المتجانسة والمتعارضة على السواء لا يجيء الا ببذل جهود حكيمة يقوم بها الشباب لان للشباب ميزات فريدة تخوله رغم نقائصه الكثيرة تحمل هذه المسؤولية الجسيمة ولكن ليس الا بعد ان يعد الشباب نفسه روحياً نظرياً ويستخدم فتوته ونشاطه في الاعمال الاجتماعية الانشائية .

البرت بدر

اساس الدولة الاقتصادي في الداخل

بقلم جورج حكيم
استاذ الاقتصاد بجامعة بيروت الاميركية

◆

عندما كتب ادم سميث مؤسس علم الاقتصاد السياسي كتابه المشهور وضع له العنوان الآتي «بحث في ماهية واسباب ثروة الامم». ومنذ ذلك الحين اي منذ اكثر من مئة وستين سنة يعنى علماء الاقتصاد بدرس المبادىء التي بموجبها تنشأ الثروة الاجتماعية وتتوزع بين افراد المجتمع، وايجاد الطرق التي تمكن الامم من زيادة ثروتها وبناء حياتها الاقتصادية على اساس متين. ومهما تظهر لنا مبادىء علم الاقتصاد نظرية بعيدة عن الواقع فان هدفها النهائي هدف عملي واضح وهو منفعة الانسان بتحسين معيشته وتأمين راحته ورفاهيته.

اننا في محاولتنا بحث «اساس الدولة الاقتصادي في الداخل» انما نتوخى معرفة البناء الاقتصادي الاساسي للدولة، ذلك البناء الذي يساعد الدولة على تأمين الثروة والرفاهية لافرادها. لذلك كان السؤال الاول الذي يجدر بنا الاجابة عليه: ما هو هدف الدولة الاقتصادي وما هي الثروة الاجتماعية التي تسعى لانمائها؟

ان هدف الدولة لا يختلف عن اهداف افرادها. فما الدولة الا مجموع الافراد منظمين تنظيماً سياسياً يجعلهم وحدة مستقلة عن باقي الدولة. وهذه المنظمة السياسية التي نسميها الدولة لها سلطتها ومقدرتها على توحيد اهداف الافراد في هدف اجتماعي واحد. ولما كان هدف الفرد ان يحيا حياة سعيدة مثلى كذلك كان هدف الدولة ان تؤمن لافرادها تلك الحياة السعيدة المثلى، على حد قول احد الفلاسفة ان الانسان يسعى اولاً الى تأمين الحياة ومن ثم الى الوصول الى الحياة الفضلى. فاذا اخذنا هذا القول كتعريف عام لهدف الفرد الانساني نجد انه يحتاج لكي يحقق هذا الهدف الى اشياء مادية مختلفة: يحتاج اولا الى مختلف المأكولات والملبوسات وادوات السكن الضرورية لتأمين الحياة. وكذلك يحتاج الى اشياء مادية كثيرة لكي يجعل حياته حياة فضلى كأدوات العلم والفن والادب. ففي سعيه نحو المعرفة والحب والخير والجمال لا بد له ان يستعمل مواد مختلفة نذكر منها على سبيل المثال: الكتب وادوات الموسيقى والتصوير وادوات المختبرات العلمية. وما مجموع هذه الاشياء المادية ان كانت ضرورية للحياة او كانت مساعدة للوصول الى الحياة الفضلى، الا ما نسميه في علم الاقتصاد: الثروة. فالثروة هي اشياء مادية يطلبها الانسان لسد حاجاته والوصول لى امانيه ولكنها تحتاج الى جهد للحصول عليها لانها محدودة الكمية بالنسبة الى الحاجة اليها. وهذه الصفة الاخيرة للثروة اي كونها محدودة الكمية تضطرنا الى الاقتصاد بها، فتنشأ المعضلة الاقتصادية العامة للانسانية اذ لو كانت جميع الاشياء المادية كثيرة كالهواء والماء لما كانت هناك حاجة للاقتصاد ولما كان هنالك مبرر لعلم الاقتصاد.

ولما كان الفرد يسعى الى الثروة لتحقيق اهدافه النهائية مهما كان نوعها، كان هدفه الاقتصادي هو الهدف الاول والاساسي اذ بدونه لا يمكنه تحقيق اي هدف آخر. وهكذا الدولة تسعى لتأمين الثروة لافرادها وانماء ثروة مجتمعها متخذة هذا الهدف الاقتصادي اساساً لجميع الاهداف الاجتماعية الاخرى.

ولكن الثروة شيء نسبي والدولة تكون ذات ثروة كبيرة او صغيرة بالنسبة الى كمية الثروة التي يتمتع بها شعبها والى عدد ذلك الشعب. فكثير من الدول الصغيرة اغنى من دول اخرى كبيرة لان نسبة ثروتها الى عدد السكان اعظم. ولكن كل دولة يمكنها ان تزيد ثروتها باستعمال مواردها وقواها الانتاجية حسب المبادىء الاقتصادية. ولو نظرنا الى المسألة من وجهة اخرى نرى ان الثروة معناها عدم الفقر. فلا تكون الدولة قد حققت هدفها الاقتصادي اذا بقي قسم من شعبها فقيراً. فالقضاء على الفقر اذاً غرض اساسي من اغراض الدولة. وليس الفقر شيئاً يأمر به الله او تحتمه قوانين الطبيعة انما هو على رأي العالم الاقتصادي مارشال المعضلة الاقتصادية الاساسية التي يجابهها المجتمع. وليس حلها بالمستحيل في عصرنا الحاضر عصر العلم والاختراع. فعلى الدولة تقع مسؤولية ازالة الفقر من المجتمع وبالتالي انماء الثروة العامة الى

اقصى حد ممكن .

في سبيل الوصول الى هذا الهدف تشيد الدولة بناء المجتمع الاقتصادي . وقد اختلفت المدارس الفكرية الاقتصادية في النظام الذي يؤمن للشعب اكبر ثروة ممكنة . ففي بدء القرن التاسع عشر اعتقد اكثر علماء الاقتصاد ان نظام الحرية الاقتصادية او كما سموه نظام « عدم تدخل الدولة » في الشؤون الاقتصادية هو الذي يؤدي الى اكبر انتاج ممكن للثروة . وربما كان ذلك الرأي صحيحاً بالنسبة الى درجة التطور الاقتصادي في ذلك العصر . انما في وقتنا الحاضر فقد اصبح اكثر المفكرين يعتقدون ان تدخل الدولة في الاعمال الاقتصادية واشرافها على الانتاج ضروريان لانماء الثروة العامة ولحل المشاكل الاقتصادية المتعددة التي نشأت في ظل نظام الحرية الاقتصادية . ويذهب بعضهم الى القول ان عمل الدولة يجب ان يتعدى التدخل في الحياة الاقتصادية الى تملك وسائل الانتاج وادارتها في نظام اشتراكي لمصلحة عامة الشعب . فعلى الدولة ان تختار بين هذه الانظمة الثلاث : نظام الحرية الاقتصادية ونظام التدخل والنظام الاشتراكي فتشيد بناءها الاقتصادي حسب المبادىء التي تؤمن اكبر ثروة ممكنة لشعبها مع اعتبار تطورها الاقتصادي وثروتها الطبيعية .

كل نظام اقتصادي يحتوي على تنظيمين : تنظيم لانتاج الثروة وتنظيم لتوزيع المنتوج بين افراد الشعب . فلنبحث هذين التنظيمين باختصار .

ان انتاج الثروة يتم ضمن النظام الاقتصادي العام حسب مبادىء ذلك النظام . ففي النظام الرأسمالي الحر كل شخص له الحرية في اختيار العمل الذي يريده وانتاج البضائع التي تعطيه اعظم ربح ممكن بالكميات التي يقررها بدون تدخل من الدولة . اما في النظام الاشتراكي فيخضع الانتاج للخطة العامة التي ترسمها الدولة . وليس لدينا مجال هنا للبحث في تنظيم الانتاج في الانظمة الاقتصادية المختلفة . انما نلاحظ ان مشكلة الانتاج واحدة في كل الانظمة وهو كيفية استعمال عوامل الانتاج بحيث تعطي اعظم نتيجة ممكنة .

كل دولة لها شعب ولها ارض . فالشعب يؤلف العامل الاول من عوامل الانتاج وهو العمل العنصر الحي والفعال في الانتاج والارض تعطي العامل الثاني وهو الثروة الطبيعية المؤلفة من ارض صالحة للزرع ومعادن واحراش ومياه وغير ذلك . ومن هذين العاملين يخرج عامل ثالث وهو الرأسمال ويتألف من جميع المنتوجات التي تستعمل في الانتاج مثل المواد الاولية والادوات والماكنات والبضائع نصف المصنوعة . وهذه العوامل الثلاث العمل والارض والرأسمال تشترك في عملية الانتاج بطرق مختلفة في كل الوحدات الانتاجية زراعية كانت ام صناعية ام تجارية .

ان المشكلة الاولى في تنظيم الانتاج هي معرفة نوع البضائع التي يجب انتاجها وتحديد كميتها . فان عوامل الانتاج محدودة ، ولذلك يجب ان نختار البضائع التي تستعمل هذه العوامل المحدودة في سبيلها ولكن اختيار البضائع يجري في النهاية حسب طلب الافراد كما يظهر من شرائهم البضائع في الاسواق . وكل اختلاف بين البضائع المطلوبة والبضائع المنتجة يؤدي الى تحويل الانتاج لكي يتفق مع الطلب . ففي نهاية الامر يرجع امر تعيين البضائع التي يجب انتاجها الى رغبات الشعب ولكن الدولة يمكنها ان تهذب الشعب الى ما هو خير له وتشجع انتاج ما هو نافع ومرغوب فيه من وجهة نظر المصلحة العامة .

ان نجاح النظام الاقتصادي في انتاج اكبر ثروة ممكنة يتوقف على حل ثلاث مشاكل اساسية :

اولا — استعمال جميع عوامل الانتاج الموجودة من عمل وثروة طبيعية ورأسمال .

ثانياً — توزيع هذه العوامل بين حقول الانتاج المختلفة وبين الوحدات الانتاجية في كل من هذه الحقول لكي يحصل الشعب على البضائع التي يحتاجها بالكميات اللازمة .

ثالثاً — جمع عوامل الانتاج مع بعضها البعض بالشكل الذي به تعطي اكبر نتيجة ممكنة من البضائع المطلوبة . وهذا هو معنى الاقتصاد . الاقتصاد ليس التقتير او البخل في استعمال الوسائل الموجودة لدينا . بل هو استعمال كل ما عندنا من موارد وقوة انتاجية بالطريقة التي تعطينا اكبر نتيجة ممكنة .

عندما ننظر الى انتاج بلادنا من هذه الوجهة نرى اننا فشلنا فشلاً فاضحاً في حل المشاكل الانتاجية التي ذكرناها . وذلك يرجع للاسباب الآتية : ان قسماً هاماً من ثروتنا الطبيعية متروك بدون استثمار . ان عدداً كبيراً من رجال مدننا يضيعون اوقاتهم في المقاهي بدلاً من ان يعملوا عملاً منتجاً واكثرية الفلاحين في قرانا يصرفون فصل الشتاء بدون عمل مجد . ان اصحاب رؤوس الاموال في بلادنا يخزنون اموالهم او يوظفونها في شركات اجنبية بدلاً من ان يستعملوها في اعمال انتاجية مثمرة واخيراً ان الوحدات الانتاجية تستعمل الطرق القديمة العقيمة بدلاً من استعمال الوسائل الفنية الحديثة . فلا شك اذن ان قسماً كبيراً من قوانا الانتاجية يهدر هدراً بينما نرى القسم

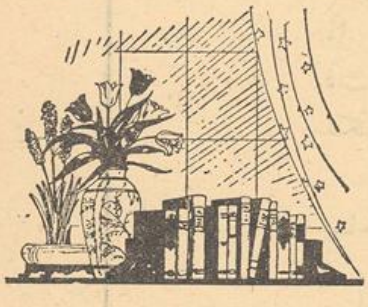
الذي يستثمر يساء استعماله فلا يأتي بالنتيجة المرغوبة . والسبب الاساسي في ذلك ان نظامنا الانتاجي متروك لان يدير نفسه بنفسه فيتخبط في فوضى عمياء بدون اي اشراف او ارشاد من الدولة . فتكون النتيجة ان القسم الاكبر من شعبنا يعيش في حالة فقر مدقع مع ان بلادنا غنية في امكانياتها بالنسبة الى قلة عدد سكانها .

وهنا ننتقل من انتاج الثروة الى توزيعها بين افراد الشعب ولا نعني هنا بالتوزيع نقل البضائع من المنتجين الى المستهلكين فذلك عمل متمم للانتاج ويمكن ان يعتبر فرعاً منه . انما نعني بالتوزيع قسمة الثروة المنتجة بين افراد الشعب الذين اشتركوا في انتاجها . والتوزيع له اهمية كبرى لان الثروة ربما كانت كبيرة انما توزيعها قد يجعل بعض افراد الشعب يحيون في بحبوحة وترف لا يحلم بهما وآخرون يعيشون في فقر مشين . فالتوزيع العادل اذاً ضروري لتحقيق هدف الدولة الاقتصادي الا وهو تأمين الثروة والرفاهية لافرادها . ولا يسعنا هنا بحث موضوع العدالة في توزيع الثروة . انما نكتفي بالقول ان الانظمة الاقتصادية المختلفة لها انظمة خاصة للتوزيع . ففي النظام الرأسمالي الحر يحصل كل من العامل والرأسمالي وصاحب الارض على حصة من المنتوج حسب المبدأ الاقتصادي المعروف بقانون العرض والطلب . اما في النظام الاشتراكي حيث الدولة تمتلك الارض والرأسمال فتوزع الثروة المنتجة بين العمال كل حسب مقدرته واهمية عمله . ولكن الدولة تحتفظ بقسم من المنتوج السنوي لاجل زيادة الرأسمال العام وانماء انتاج الثروة في المستقبل .

ان البناء الاقتصادي الذي رسمنا خطوطه العمومية باختصار اصبح في عصرنا الحاضر عصر العلوم والاختبارات معقداً ومتماسك الاطراف . وقد سار التطور الاقتصادي شوطاً بعيداً واصبحت المشاكل الاقتصادية اعوص المشاكل التي يجابهها المجتمع الانساني . وهذا ما يجعل الامم المتمدنة الواعية تهتم لتنظيم حياتها الاقتصادية على اساس علمي صحيح . ولا شك ان الامة التي تنجح في هذا العمل الخطير ليس يمكنها فقط ان تؤمن الثروة والرفاهية لشعبها بل ايضاً ان تقوم باعمال عظيمة في سبيل تقدم العلم والفن وزيادة الخير في العالم فتؤدي بذلك رسالتها الى الانسانية في وقت احوج ما تكون فيه الانسانية الى الارشاد والهداية .

وانما تقع مسؤلية القيام بهذا العمل الجبار على الشبيبة الناهضة التي يجب ان تنفض عنها غبار الامس المتهدم وتعمل لبناء عالم الغد على اساس العلم الصحيح . فهل تستفيق شبيبتنا من سباتها الطويل فتعي مسؤولياتها تجاه امتها وتسعى الى فهم مشاكلنا الاجتماعية الاساسية فهماً عميقاً فتستعد لبناء مجتمع المستقبل بعقول عارفة وقلوب كبيرة وسواعد قوية . فتحيا بذلك الحياة الفضلى وتقوم بالعمل العظيم الذي ينتظرها . وما الحياة الفضلى الا معرفة صحيحة واعمال عظيمة .

جورج حكيم



من الادارة

١ ــ ابتداء من الجزء الرابع رفع ثمن الجزء الى ٥٠ غ . ل . عوضاً عن ٤٠

٢ ــ يبقى بدل الاشتراك على حاله . ولا يقبل الا عن سنة كاملة بدؤها شهر كانون الثاني غير ان الادارة لا تتعهد بارسال الجزء الاول عن السنة الحالية لنفاد نسخه .

٣ ــ الاشتراك في الخارج على نوعين :

(١) جنيه مصري للخارج عموماً . ويعطي هذا الاشتراك صاحبه الحق في الحصول مجاناً على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة

(٢) ٧٥ قرشاً في فلسطين والولايات المتحدة ــ و٦٠ قرشاً لباقي الجهات ــ وهذا الاشتراك لا يعطي صاحبه الحق في منشورات الاديب

٤ ــ يدفع بدل الاشتراك مقدماً ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل .

٥ ــ كل المقالات والابحاث التي ترسل الى « الاديب » لا ترد الى اصحابها سواء انشرت أم لم تنشر

٦ ــ تكون جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة « الاديب » صندوق البريد ٨٧٨ بيروت ــ لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العذاب الهي

يا حبّ عذّب عذّب فؤادي
ألهب عروقي أطفئ رشادي
وهات سُهدي وخذ رقادي
يا حبّ عذّب عذّب فؤادي

سقيتُ روحي من الألَمْ
فمن جروحي هذا النغم
وكلّ ما بي من العذابِ
يذوب حباً على كتابي
يفيضُ نور من الشعور
على مدادي

يا حبّ عذّب عذّب فؤادي

أهوى غزال من الحضر
ملء الخيالْ ملء الفِكَر
لمّا أتينا في الحب آيه
ثمّت علينا عينُ الوشايه
لكنّ حبي دمي وقلبي
خمري وزادي

يا حب عذّبْ عذّب فؤادي

يا حبّ عذّبْ عذّبْ فؤادي
رأيتُ نوري عليك بادي
وسوف يبقى على رمادي
يا حبّ عذّبْ عذّبِ فؤادي

الياس ابو شبكة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موضوع الادب

بقلم امين نخلة

●

صدمة

اقاصيص الكاتب الانكليزي المطبّق الصيت (اوسكار ويلد) على موضوع الادب هذه القصة — وهي نادرة النوادر في باب تعريف الادب ، وما ينبغي له :

« كان في قرية من قرى الريف رجل آسِن ، احبه القرويون للحكايات التي يركبها لهم في العشايا . وكان كسائر اهل القرية ، يخرج على وجهه في الصبح ، فلا يعود من المروح ، وهاتيك الغيطان ، الا وقد امسى مجهداً ، مندلق النفس . فاذا جلس القوم في محضرهم على العشية ، قالوا له : يا فلان هات ِ فيقول ، مثلا :

« رأيت في الغيضة حورية تنفخ في شبابّة . ورأيت طائفة من صغار بنات الماء يرقصن حولها في حلقة !

« فيهتف الجماعة عالياً : ايه لك في هذه الحكاية الحلوة . فارو لنا من حوادثها وأطلْ ، يحفظك الله !

« فيستأنف مضيّه :

« ورأيت عند ملاعب الموج ثلاث خيلانات يسرحّن شعرهّن الاخضر بامشاط من ذهب .

قال (ويلد) :

« ففي احد الايام خرج صاحبنا من القرية ، في عنفوان الصبح ، على غير عادته . (فتراءى) له ، حقاً ، هذه المرة ، على الشاطيء ، خيلانات ثلاث يسرحّن شعرهّن ويمشطنه ، ولمح قرب الدغل حورية تنفخ في شبابة لبنات الماء ... ففزع كثيراً ، وامسك على ما في صدره ! . ولما تجمّع اهل القرية في محضرهم تلك الليلة ، قال لهم : « اما اليوم فاني لم ار شيئاً ... » .

والقصة رواها (ويلد) (لاندريه جيد) يوم نزل (ويلد) باريس ، وكان يسأل صاحبه ان يروي له عما صنع في يومه المنصرم ، فيسوق (جيد) ما وقع له من جلٍّ ودقّ في الامور . فيقول (ويلد) : « ويحك ! تحدثني بهذه التوافه ، فهل تراها جديرة بتحريك الشفة !! » ثم يقول : « نحن في دنياوين .. واحدة قائمة ، لا حاجة الى الحديث عنها ، وهي هذه الدنيا الماثلة ، واخرى يجب الحديث عليها كثيراً لتقف على قدميها ! وهي دنيا الفن » . ثم افرغ قصة الفلاح اللسن والحورية والخيلانات وبنات الماء على مغزى ذلك .

*

من العجب ان يكون الادب مرآة الحياة — كما يقال — يراوح فيه جميع احوالها ، من الالف الى الياء ، وان يكون ثمة صعيداً منقطعاً عنها ، ينبغي له ما لا ينبغي لها ، حتى ليستطاع القول ان اخذ الادب ، مثلاً ، بالحادثة اليومية ، التي تقع في الحياة ، ليس في شيء من موضوع الادب . كأن الصنيع الفني والحياة ، كالزهرة والتراب ، سواء بسواء : تنبت الزهرة في التراب ولا تكون منه في اللون والشكل والشيمة ، على كونها من محصله .

فالعمل الفني الذي يقام على الحقائق الماثلة نصب العيون ، ابداً ، ليس بالمكين المخلد . اذ الاخذ بالحادثة اليومية ، والجريان المعتاد يفضي الى ادب دنيء ، ولا ريب . وليس ادل في ذلك من قيام النوع (البطولي) وارتفاع قبته . فالذين صنعوا فيه ، وجاؤوا بالبدائع ، لم يجعلوا وكدهم في الحقائق المكررة على نهج واحد ، بل صرفوا اقلامهم الى حقائق فذة ، لا تقع كل يوم على رصفات الشوارع ولا على ادراج الفنادق .. وتناولوا تلك الحقائق من (فوق) وجعلوها في اتّان عادل بين طبع الحياة وطبع الفن .

وحين يقال ان على الادب ان ينزل ساحة الحياة ، يضرب في جهاتها الاربع ، فلا يكون المعنى ان على الادب ان يأخذ بالحقيقة الوسط ، او (بالبشرية) اليومية — اذا جاز ان يسمى هكذا سياق الحياة واتصال سردها !

ولقد فطن (ستاندال) في قصة (الاحمر والاسود) لهذه الدقيقة في الفن : فتناول الموضوع ، هناك ، من أحد انباء الصحف ، وخلع عنه الاعتياد ، وافرغ عليه من دواته ألوان الفن ، حتى عادت القصة وهي من الاوابد الباقية .

والذي يقال في (ستاندال) (بالاحمر والاسود) يقال في (الجاحظ) بكتاب (البخلاء) . (فالجاحظ) لم (يخلق) تلك الطائفة من اهل الشح خلق حواء وآدم ، بل نقل الجماعة من الحياة الى الصحيفة ، نقل فنان قادر ، يعرف كيف يحمل اليك الاشياء ، وكأنها قد خلقت من جديد ! بخلاف ما وقع ، مثلاً ، (لابي هلال العسكري) في كتاب (الكرماء) . فلقد فشل صاحبنا هذا ، حيث وفّق (الجاحظ) واتى بالعجب .

قال الكاتب الفرنسي المعروف (جاك ده لاكروتيل) ، في كتابه الجديد (Aveux Etudiés) الذي لم يخرج ادب الفرنسيين ، قبل اليوم ، صنواً له في الموضوع :

« في انباء الهند (النيوزلاندية) ان البحارة في بعض البوارج قد ثاروا على الضباط ، فاحتبسوهم في الغرف ، واطلقوا البارجة في البحار الى غير ما وجهة .. وان جماعة الحكومة يجدون وراءهم عبثاً . فقلت في نفسي : سيقاتل الكتّاب على الموضوع ، ولا ريب ! فتحوّم القرائح طويلاً على جزائر (سيماتره) ، تتخيل الهرج والمرج في عرض البحر ، وتتمثل الطيارات وهي ترمي البارجة بالنار والشواظ ، الى آخر ما هنالك . غير اني ارجو ان لا يقع واحد من الكتاب في الفخ ! فالقصة على ندورتها ، وغرابة حوادثها من اتفه المواضيع » .

فاذا قيل ان الحادثة الشاذّة ليست من موضوع الادب ، أفليس بالاجدر ان يقال كذلك في الحادثة المبتذلة ؟!

*

في غرّة الحداثة ، اذ مطفرة الماء في البركة ، جانب البيت ، هي شلال (نياغره) ، في الاعين الجديدة ، واذ باب الحديقة البعيد هو باب الدنيا ، واذ الخادم الهرمة سندبادة بحرية .. كنت كثيراً ما اجلس الى السندبادة ، في اخريات السهرة ، واشجار السنديان تضج تحت العاصفة ، والمطر ، والليل المدلهم ، فتقص عليّ الخادم قصص البحر — وكنت لم ار البحر بعيني ، بعد — : فمركب ينزل الموج ، يمخر مئة شهر وشهر ، ثم لا يرجع .. وراية عليها الغبار من ارض بعيدة . ونوتية صفر وحمر . وبنات ماء ، نصفهن انسان ونصفهن سمك ، يرقصن على الشطئان . ورياح تهب في آخر الارض ، وتأتي على وجه الماء ، الى آخر ما في باب القصص على البحر العجيب . حتى اذا افرغت الخادم البحر في مخيلتي ، وطالت الساعات ، غفوت على وجه الماء بين آلاف المراكب والرايات ، والنوتية ، وبنات البحر . فاذا طلعت تباشير النهار ، وخرجت بي السندبادة الى الحديقة ، وأقبلنا على البركة ، قلت لمولاتي :

— مسكين بحرنا هذا ! لا مركب فيه ، ولا نوتي ، ولا بنت ماء ..

فتضحك الخادم عن مثل فوهة الجرة ، ثم تقول :

— البحر !؟ انه ارحب من الدنيا ، فاين منه بركة بيتنا !

فأقول ، وقد بهتّ ، وزمّ فمي كحديدة المطفرة :

— من الدنيا ؟!!

— نعم ، ارحب من الدنيا !

فأقول : انا ، اذن ، احبك قدر البحر ، فلو تقولين لي ما لونه ؟

فتقول : لون الحمام الازرق ، وتغرق فيه الشمس فيحمومر .. ويزلق القمر في بعض الليالي ، من منحدر الشمال ، فيمسي البحر بركة فضة ..

وهكذا ظل البحر يشغل خاطري في الطفولة ، حتى اذا اوفيت على الشباب ، وهبطت من بلاد الادب ، اول مرة ، تلقتني ، خلف الشطوط ، زرقة عريضة ، تبلغ السماء ، وتجيش قبالة البيوت ، وترتمي على الرمل ، فعرفت ان ذا البحر !

ولقد ملأت الزرقة صدري ، ذلك اليوم ، وهدرت في ضميري . فكنت اذا تحولت عنها الى بعض المشاغل ، فكأنما عيني اليها كيفما انظر ، ويدي في لجها الى الابط ... او كأنما هي عين زرقاء (طبعاً) تلحق بي في المدينة وتراعيني .

كذلك استولى علي البحر ، يوم وفدت عليه ، اول مرة . فلما قضيت طائفة من ايامي على مقربة منه ، طفق يتراجع عني الى سجنه ، وراء الشاطيء .. وأصبح كل شأني معه انه حين يزبد ، ويرغي ، ويلطم الصخر ، امرّ عيني عليه فكأني امرّ يدي على لبدة الليث ، اربّته ، واهدّىء من جأشه !

*

والادب — الذي لم يُنتهَ فيه بعد ، الى تعريف او حدّ ، هو اعجب من الحياة نفسها ! وأعجب ما فيه ان موضوعه ليس من سياقها المعتاد ، ولا من حوادثها المتشاكلة — على انه مرآتها الصافية ، التي تتراءى فيه ، وتراوح !

امين نخلة

الرسام دوميه ونحن

بقلم ج. لوسين

◆

قيل ان حياة دوميه « Daumier » (١) لا تاريخ لهـا ، ولكن أي تاريخ اجمل من الذي يختلط بعمل عظيم ؟ فنحن كثيراً ما نهتم لحياة مضطربة تفنى بدون جدوى في تتبع افكار او اعمال لا تحظى بكفل من النجاح أو لا تخلص الى غاية ومما لا شك فيه انه ليس ثمة عمل مجد لا نشعر فيه بوجود عامله . ولكن هذا العامل و كل ما ينطوي عليه من الاهداف والمطامح ، يحيان بكلمة تترك للخلود . وما كان دوميه الآمن اولئك الذين سكبوا قلوبهم في ما انتجوه بصراحة واخلاص ما بعدهمـا اخلاص ولا صراحة .

كان دوميه وادعاً ، عفيفاً ، رقيق الحاشية بأنفة و كبر . في اواخر عهد الامبراطورية الثانية عرض عليه وعلى كوربه « Courbet » وسام جوقة الشرف ، فرفضه دوميه معتذراً ورفضه كوربه كذلك ولكنه أثار حول رفضه ضجة كبيرة . وكان ان لقي كوربه صديقه دوميه في احدى النزهات فأهوى عليه يقبله قائلاً : « لقد أحببتك فوق ما كنت احبك عندما اتصل بي انك رفضت وسام جوقة الشرف كما رفضته انا . ولكنك اخطأت في رفضك اياه بدون ضجة . فقد كان يجدر بك أن تثيرها حول رفضك » . فهز دوميه رأسه وقال غامساً عينيه في عيني صديقه : « ولم ؟ لقد عملت ما يجدر بي ان اعمل . واراني مسروراً ... فالذي صدر عني لا علاقة للناس به .. »

قال دوميه ذلك بكبر من لم يألف استثمار عمل كوسيلة من وسائل الدعاية .

والواقع ان دوميه صرف حياته في نشدان الاعمال المفيدة ، الاعمال الباقية على الزمن . وبديهي ان للمرء حالتين احداهما تمليها المصلحة ، وكثيراً ما تكون شرعية ، والاخرى يمليها أحسن ما في طبيعته . وهذه الحالة الاخيرة كثيراً ما توحي الدهشة والاستغراب وينفر منها الكثيرون ، ولكنها لا تعتم ان تلبس ثوبهـا الابدي الذي لا يبلى . اما الاولى فلا تلبث ان تغور في هوة النسيان .

بقي دوميه زمناً طويلاً علماً خفاقاً في سماء السياسة المستقيمة ، وكان الناس يحترمون فيه فكرة ومبدأ ، تلك الفكرة الجمهورية التي حفرها حفراً في مكافحته لوي فيليب أو في مكافحته الامبراطورية الناشئة ، وذلك المبدأ الديموقراطي الذي كان ينتقل الى حيز التنفيذ .

قال تيودور ده بانفيل « Théodore de Banville » :

« كان دوميه جمهورياً بفطرته . كان الشعب وكان يحب الشعبيين من صميم قلبه » . وكانت الجمهورية جميلة في عهد الامبراطورية .. أو في عهد ملكية تموز ... وأي جمهوري نبيل هو هـذا الذي يعيش في ظل نظام غليظ ، جاهل ، مادي مستثمر ؟ فالجمهوري في ظل هذا النظام هو الذي يبني في نفسه نظام العدل والحرية ، هو الذي لايشعر في نفسه بأية قوة ترغمه على الاذعان الى ميول الناس وشهواتهم . وقـد لاحظ فرنسوي فوسكا ان دوميه ليس وحشاً بل النتيجة هي الوحشيـة ... فهو لا يضمر أي حقد ... »

ولا نزاع في ان لوحة « الجمهورية » المعروضة في متحف اللوفر تنطوي على قوة خارقة ، فقد رسمها دوميه بكل ما في ريشته من الكرامة والنبل . وقـد شعر المؤرخ ميشليه « Michelet » بكل هذا حين كتب اليه في مطلع الامبراطورية الثانية يقول : « وعندما كان يدعمك الالهـام السياسي كنت أفهم قوتك في الانتاج اكثر مما افهمها اليوم ، فاليوم ينقصك كل شيء . ولكنك ما تزال أنت نفسك تقطع الدليل على ان العبقرية عـالم في حد ذاته » .

والواقع ان اسلحة دوميه وهي الضحك والغضب والمنطق السليم انما هي ابسط الاسلحة واقواها وأرهبها . فقد جرؤ على الهزء بسخافات الذين كان يتفق لهم احياناً ان يدافعوا عن القضايا نفسها التي يدافع عنها هو . ذلك ان دوميه كان أبعد الناس عن روح التحزب وكان يمضي تواً الى أعمق الحقايق مدفوعاً بقوة فطرية لا تخدعه .

وكان دوميه وبودلير صديقين متشابهين ، وقد كتب بودلير

صفحات خالدة عن صديقه الرسام . ففي العام ١٨٦٠ عقد بودلير مقالا طويلاً عن دوميه ودفع به الى احدى الصحف ، على ان الصحيفة أبت نشر المقال لان دوميه كان « خطراً » في ذلك العهد، فاسترجع الشاعر مقاله بالكلمة التالية : « بما انك تعتقد انه لا يستطاع نشر مقالي في عهد نابليون الثالث وفالفسكي الاول فالافضل الغاؤه وكن على ثقة بأني احفظ لك اخلاصاً صادقاً ولكني لا أستطيع التقيد بالظروف والخضوع لها ... اما اعتقادك فخاطىء وهو نتيجة خوف لا مبرر له ... » وقد بقي مقال بودلير هاجعاً الى العام ١٨٦٨ .

*

ومما يدهشنا من دوميه اننا لا نعرف شيئاً عن تكوينه الفني سوى انه كان وهو بعد حدث يتردد على قاعات اللوفر ويعمد الى تقليد القدماء . ولا نعرف شيئاً عن اذواقه وعمن يؤثر من المصورين والرسامين . وكل ما نعرفه انه ما كاد يقتحم الكاريكاتور السياسي حتى ملك زمام هذا الفن وارتفع به الى القمة .

وبعد مرور بضع سنوات، عندما حظر عليه المضي في مهازله السياسية ، ابدع نوعاً جديداً من الكاريكاتور بمثل السهولة التي اعتمدها في ابداع الكاريكاتور السياسي ، واذا به يعطينا رسوماً طريفة عن الآداب والعادات . وما عتم الامر ان اهتدى الى اوجع خطوط يطعن بها الامبراطورية المنهارة واهوال الحرب والانكسار واحتلال العدو .

وقد قيل ان دوميه كان آخر الفنانين الرومانطيقيين او بالاحرى الفنان الرومانطيقي الوحيد . على انه لا يستطاع ادراجه في عداد المتأثرين بطريقة ١٨٣٠ ، فهو اصدق وأعمق رومانطيقية من هؤلاء . والواقع ان الرومانطيقية ما وصلت الى قمتها الحقيقية الا عندما اهتدت الى لونها التقليدي للاعراب عن افكار جديدة واتصلت بالكلاسيكية التي تجاوزتها واكملتها على نحو ما فعل بلزاك وبودلير .

ولا نزاع في ان بودلير هو الذي عبر عن القرن التاسع عشر لاموسه وهو الذي خلق في فرنسا اتجاه الشعر الحديث . ولا نزاع ايضاً في ان دوميه هو الذي أظهر المتناقضات البشرية وعبر عن مكافحة الضمائر لمظالم الانسان لا فيكتور هوغو .

واذا نظرنا الى لوحات دوميه يخيل الينا انها مرسومة في زمننا هذا . وقد قيل ان غامبيتا « Gambetta » نظر يوماً الى احدى لوحات الرسام العظيم فصور له انه يرى عليها صور اشخاص مشهورين لم يخطروا في بال المصور . وقد ذكر مسيو ده مونزي نادرة غامبيتا هذه في المقدمة التي وضعها لمجموعة متحف ١٩٣٤ وقال انه لايصعب علينا ، بعد مرور ست وخمسين سنة ، ان نرى ما رآه غامبيتا . والواقع ان العادات والاساليب تتبدل اما الناس فلا يتبدلون . فشخصيات اليوم اشبه ما تكون بشخصيات دوميه اذا استثنينا الملامح واللباس . ذلك ان الانسان الادبي يبقى هو نفسه .

وانه ليسهل جداً علينا ان نزين مجلة من مجلات اليوم برسوم من ريشة دوميه . (في « رجال التعاون » الحاليون كبيرو الشبه برجال ١٨٧٠) على ان الشعب الفرنسي عرف بالرغم من هفواته ونقائصه ان يحتفظ بمواجهته للحقايق وبفضائل جنسه . فالجو الذي يحيط به والاطار الذي يكتنف حياته ، والمدينة التي نشأ فيها بقيت هي نفسها بالرغم مما انتابها من التشويه وما لحق بها من التجزي . ولأن يكون دوميه قد اعطاها الشكل الذي تخيله لها فقد يكفيها ذلك للتأمين على بقائها ولو زالت من عالم الوجود .

وبديهي ان الفنان يخلع على الصور معانيها الخفية ، وقد كان دوميه يملك هذه المقدرة الى حدها الاعلى . وبما انه كان يعرف ان يلبس زمنه وخلائف الله في زمنه لون الاسطورة الذي هو لون الحياة الحقيقية فقد عاش لنا عصره بكل ما كان فيه من دقائق الامور وغوامض الاشياء .

ومما لا شك فيه ان الطريقة الباسلة التي سلكها هذا المصور العظيم في رسومه تدهش بعض الدهشة زمناً كهذا جففته السخرية وغذته الفصاحة الكاذبة ، فلدوميه في اية لوحة من لوحاته ذلك النفس الخالد الذي يخيف البلهاء والحمقى ... ودوميه حي اليوم، بل هو اليوم اكثر حياة منه في أي زمن مضى . فلم يشخ أي شيء من عمله ، وهو ابلغ بألف مرة من اولي النظريات ورجال الاقلام . وليست لوحاته سوى صورة خالدة عن الحقيقة والمثل الاعلى ، عن هاتين الفضيلتين اللتين سخر منهما عصره وعصرنا لانهما أجمل الفضائل على الاطلاق .

ج. لاسين

---

(١) مقتبسة عن كتاب

Actualité de Daumier par Jacques Lassaigne « Problèmes Français »
2me Série N° 6. Beyrouth 1942

اوثيليـــــا

في قلب المدينة كنيسة . وعلى مقربة من الباب لوحة . وسراج . العتمة تنسجم ، والجدران الصفراء مطينة بالكلس .

العذراء مريم ذات الوجه النقيّ واللون « الفـتيّ » والنظر الطفولي تتأمل ابنها المحتضر المثقوب البدن المرتعش الاعضاء، وهي منحنية على صدره المكشوف يجري منه خيط طويل من الدم .

وكأن العذراء مريم ذات الوجه الصافي اكثر فتاء من ابنهـا يسوع ، لان الابن هو ابو الارض ، ابو الاحياء ، ولان الام هي ابنة الاله يسوع ، ابنها .

كانت الظلال الصافية قد نفذت الى قلب مريم ، فعينا العذراء شبيهتان بعيني الله ، ولكن جسدها شبيه بجسد المرأة .

ولئن يكن نظرها الطافي على الجراح المفتوحة احتفظ بنعومة الحرير كظلّ غيم على السهل فلأن مريم العذراء القديسة اكثر فتاء من ابنها يسوع .

*

يا مريم القديسة ، يا ام الرب ، ايتها المرأة الغريبة بين النساء ، ايتها العذراء التي تسكر عذوبتها الحواس كخمرة صافية ، اسمعي هذه الكلمات البسيطة الطافح بها قلبي :

كما ان النساء التقيات يحببن ابنك الذي سيبقى حبيبهن الوحيد على الارض ، احبك يا مريم ذلك الحب الالهي الذي يستنزف دم الجسد ، فهلا أحببتني انت كذلك ؟

بما انه يبذر في القلوب المظلومة بذور حنانه المحتوية عـلى طمأنينة المساء فهلا وضعت يا مريم يـدك على كتفي لتسكّني نفساً عذّبتها الحياة .

هلاّ خرجت هذا المساء من اطارك القديم فجئت اليّ كأخت معذّبة ، انت التي يخفي وجهك الهادىء قلباً هائجاً . انت التي لا تزالين تحبين الصليب والحجارة ، انت الـتي تعرفين آلام الذين يظهرون بمظهر السعداء .

هلاّ نزلت من اطارك الصوفي ما دام لا يستطيع الصعود اليك الا كلماتي . وهلاّ اتيت تقولين لي وانت تبتسمين : « الالم ثقيل يرسب في قعر القلب . والالم الحقيقي ما جهّم قط وجهـاً . »

فأصغي اليك ، وربما مبتسماً ... وتأتي اليّ رأفتك كالنسمة التي تلاطف وهي عابرة سكون النخيل . واعلم ان قلبي يذوق عندئذ الطراوة والطمأنينة اللتين تطفوان في كنائسك ، وبيـاض الثلج المستريح على الاكواخ ، وغبطة الفقير الجالس الى موقد نار ، والعاطفة الوالدية الحارّة التي اجهلها .. وقد يذوق قلبي عذاب اللذة الحاد .

*

على ان اعجوبة مخيّبة تمت هذه المرة : فالعذراء ذات النظر الليلكي واللون « الفتي » والوجه اللاّعاج لم تترك اطارها الريفي .. وخرج الشاعر وحده من الكنيسة القديمة وسلك الطريق المشرق المؤدي الى مأواه .

ولكنه شعر بشيء كالنظر ينحط عليه : فالسماء كانت زرقاء .

*

على مقربة من الكنيسة حانة منحوتة بدقة كضريح . خزانة ، اقداح ، صحون « كافيار » وعلى الجدران غربان مصوّرة . كانت عذراء سوداء المقلتين ، كامدة اللون ، ذات قبضتين كقبضتي الولد تدير بيديها العاجيتين آلة نحيفة ا « كسبريسو » ضخمة . وتعلن الثقب الجامد تجري منه قهوة لذّة .

وكان الغضب السماوي يضرم حدقتيها .

فهل عرف جسدها الظلال الصافية ؟

وكان هدير اعمق من هدير البحار ينطلق من الالة الضخمة ، هدير زفرات شبيهة بالهدير والزفرات التي تعطيها اللذة . ولكن المقلتين السوداوين الطافحتين بالتواءات منسجمة كانتا تضحكان بشكل يثير القلق . وهكذا كان النظر يشبه الله ولكن الجسد يشبه المرأة . وكان طيب من المناطق الحارة يفوح من « الاكسبريسو » التي تتطاير حولها يداها ، يداها المختمتان الشبيهتان بحمامتين قلقتي النظر .

*

ولكن اعجوبة مدهشة تمت هذه المرة : فما لبثت العذراء السوداء المقلتين ان تركت اطارها المعدني لتسلك الطريق المظلم المؤدي الى مأواها . ولم يكن احد ينتظر في زاوية الشارع . فأحست من بعيد بأن شيئاً كالنظر ينحط عليها . كانت السماء زرقاء . اعرف ان الشاعر سيكتب كتاباً لكي يصل الى الازمنة المقبلة اسم اوثيليا الخادمة ، المرأة التي يشبه نظرها نظر « محرمة » العذراء ذات اللون « الفتي » ذات الوجه الصريح كالحقد .

السويس — احمد راسم

من سلسلة ذكريات الطفولة

نشوة تخبـــــو

بقلم الانسة فلك طرزي

◆

كانت الفتاة لا تطمئن الى شيء قدر اطمئنانها الى غرفتها والى ما تحتوي غرفتها من اشياء ، اصبحت مع الايام أليفة لها ، ففيها كان ينحصر العالم الذي جعلت منه مأوى لاحلامها واوهامها ، ومكمناً لافراحها واكدارها تخفيها فيها . كانت تختلف عن بقية الفتيات ، بانها تؤثر العزلة وتخشى الضوضاء اذ هي منذ الصغر لا تجد نفسها ، بل لا تلمس هذه النفس ، ما لم تلذ بالوحدة وتسكن اليها . وكثيراً ما كانت تعرض عن اساليب اللعب التي تجد رفيقاتها فيها لذة وسلوى لانها لا تستسيغها . وكانت احياناً تشاركهن على سبيل المسايرة تلك الاساليب ، فتلعب كما يلعبن ، وتشترك مع فريق منهن في مخاصمة او التآمر على فريق آخر . ولكنها كانت في كل ذلك ، لا تهتدي الى السبيل الذي يخرج نفسها من نفسها ، ويهيء لها جواً تنطلق فيه ذاتها الى حيث لا قيود تقيدها ، ولا حواجز تحد من حدودها . انما سلوتها بل لذتها كانت تجدها في التأمل الطويل ، تأمل مشاكل الدنيا المعقدة على تفكيرها الساذج الذي لم يتوصل على رغم الجهد الذي يبذله الى حلها . فلم يفرق الناس بين هذه الفتاة التي ترفل ابداً بافخر الثياب ، ولا تأتي المدرسة او تغادرها الا في سيارة ، وتتمتع باعجاب الفتيات ومعظم المدرسات ، مع انها عادية المواهب ، سطحية الفهم ، وبين تلك التي يكاد الجميع يسخر منها ، على رغم توقد الذكاء فيها ، ووفرة مواهبها ، لان المظهر فيها كان اقرب الى الفقر منه الى الغنى ، ويندر ان يتغير ثوبها ؟ بل لمَ الناس متفقون على القواعد غير الصحيحة ، لاقامة الفوارق بين الافراد ؟ وهل الثروة وحدها شرط اساسي من شروط التمييز بينهم ؟ ام هنالك عوامل جوهرية اخرى ، هي اصدق مقياساً للقيم الصحيحة ؟ الان والد تلك هو الثري الغني ذو الشأن والنفوذ ، ووالد هذه ليس الا نجاراً ؟ لقد عجز ادراكها حينذاك عن حل اللغز الدقيق الذي يبني الحواجز بين مختلف الطبقات . لكنها ادركت منذ ذلك الحين ان للمظاهر شأناً واي شأن في طبع عقلية الانسان في مختلف اطوار حياته . ولعل ميل الفتاة الى العزلة ، كان مبعثه طبع الخجل فيها ، والذي جعل معظم من يحيطون بها يخطئون في تقدير حقيقتها ويحكمون غالب الاحيان ظلماً عليها . ولعل مصدر هذا الطبع فيها ، كان اعتلال صحتها ، وتوالي الامراض عليها ، التي لم يرد شرها عنها ، غير متانة تركيبها الطبيعي الذي جعلها تتغلب عليها جميعاً ، وتخرج منها سليمة الجسم قد اكسبته الامراض مناعة كانت له في المستقبل خير وقاية . وكانت تتحمل من جراء هذا الطبع ، عذاباً يرهقها عبئه ويثقل عليها ، اذ كان يحملها على كتمان ما يجول فيها من نزعات شتى ، وكبتها جميعاً في اعمق اعماقها . فما سبب ذلك يا ترى ؟ هل لتكوينها النفسي دخل في ذلك ؟ ام هل للتربية التي تلقتها الفتاة ثم البيئة التي تعيش في وسطها اثر فيه ؟ قد يكون مبعث ذلك النفور والحذر ناجماً عن النقص الشائع في اساليب التربية المتبعة في معظم البيوت الشرقية ، وخلوها من الاستعدادات الحسنة التي تهيء الطفل الى حياة قوية من مختلف النواحي : من الناحية الخلقية والنفسية والاجتماعية والفسيولوجية . اكان هنالك ملاعب خاصة بالاطفال ، تتفتح فيها مداركهم وابصارهم على عالم صغير ثم على عالم اكبر ، وتظهر بوادر من مواهبهم سواء كانت هذه الملاعب غرفاً تخصص لهم في البيوت ام حدائق موزعة في اطراف المدينة ؟ كلا ! لم يكن في البيوت ولا في المدينة ملاعب من هذا النوع ، ولا تذكر انها سمعت قبل ان تقرأ عنها وتتعرفها من خلال الكتب والابحاث الغربية التي ترشد الامهات الى اقوم اساليب التربية وتوجه انظارهن الى الخطر الذي قد يهدد الحياة الاجتماعية من جراء سوء التربية او نقصها . فعزوفها عن اللهو واللعب ليس مبعثه تكوينها النفسي الى الوحدة فحسب ، بل هذا الميل ايضاً

نتيجة للسبب الرئيسي الناشيء عن حرمان هذه النفس من الاسباب التي تفسح امامها مجالا يمهد لها السبيل الطبيعي لاجتياز كل مرحلة من مراحل العمر . فما لا يستطيع الناس ادراكه في البيئة التي نشئت فيها، هو ان كلا من هذه المراحل بحاجة لان تهيأ لها هذه الاسباب لكي تأخذ مداها في النفس ، والا فان بعض الخلل والشذوذ يأخذان في التسرب الى حياة الفرد ومنه الى حياة الجماعة .

هي تتأمل ابداً ملامح الشابات والشبان الذين في سنها ، وتدقق النظر في معانيها ، فلا تلمس من خلالها الا نفوساً مغلقة تتوق الى الانطلاق ، وعواطف مكبوتة ، اورغبات حبيسة صارخة تحاول عبثاً التحرر من محبسها . كل هذا لان الاهل شاؤا ان يضيقوا النطاق على الابناء وان يجعلوا من ابن العاشرة ابن ثلاثين ، ومن ابن العشرين كهلاً قبل الاوان ، وكل هذا لانهم يأبون الخضوع للاعتبارات الكثيرة التي تقيم الفوارق بين زمنهم وزمن ابنائهم ، ومن هنا تنشأ امور كثيرة بينهم : ينشأ الشقاق وسوء التفاهم ، وينشأ الانقسام وينشأ التباعد .

خجولة وكتومة ! ههنا مصدر اختلافها عن بقية الفتيات . وههنا الباعث على حذرها وارتيابها من الناس ، وخطأ هؤلاء والمقربين منهم في ادراك حقيقتها ، اذ كانوا يقدرونها من خلال المظهر ، والنفس التي يطبعها الخجل لا تكشف الحقائق التي تكمن خلفه .

وكأن الفتاة كانت تدرك ما يظن بها ، وتسمع من بعضهم كلاماً يثبت لها هذا الظن ، فكانت تبلع الكلام المر بلعاً بينما هم يحسبونه قد تبعثر في الريح . وكان اثره يستقر في اعمق اعماقها، بينما هم يحسبونه قد زال بزوال ساعته . تذكر انه خطر لها يوماً ان ترسم على الورق صورة فتاة قد انتحت مكاناً منفرداً قصياً عن رفيقاتها ، وجلست تسند رأسها براحتها ، بينما مرفقها يعتمد على الركبة . واخذت قلماً وقرطاساً وشرعت تصور ما اوحى لها الشعور ان تصور : فتاة ارتسم على محياها مزيج من المشاعر وجالت في عينيها رغبة صامتة كأنها تقول بل تتساءل : « لم لا يعرفونني ؟ بل لم لا يحاولون معرفة ما يتضمن هذا الجسم الصغير من اشياء ومعاني ؟ » فرسمت خطوطاً توزعت في عرض الورقة وطولها ، واودعت في كل من هذه الخطوط جزءاً من نفسها دون ان تدري ، فاذا تكونت لديها صورة مضطربة لهذه الفتاة التي جلست جلسة تأمل وتساؤل ، امسكت بها وانطلقت لا تملك نفسها من شدة الفرح، تلوح بها وتملأ المنزل ضحكاً وغناء ، واخذت تبحث فيه عمن يقاسمها ذلك الفرح الذي يكاد لشدة فيضه يطفح منها ! لكنها لم تجد في البيت سوى قريبة لها مسنة ، كانت تخيط حاجة في ركن من اركان احدى الغرف . وقفت الفتاة ، خلف الباب، تتردد بين عاملين : فنشوة الظفر التي تملكتها ، كانت تدفعها دفعاً الى اشراك سواها فيها ، لتخفيف عبئها عنها ، وارتيابها من الناس كان يحول بينها وبين هذه الرغبة ، ويمنعها من اشراك اي كان من الناس في الدفين من خواطرها واحساسها .

صراع عنيف قام في نفسها تتنازع فيه رغبتان ، متناقضتان ، ونقاش دار بينها وبين ذاتها ، كانت تتردد خلاله ، هذه الاسئلة والردود : « أهي تستطيع فهم ما اريد من هذه الصورة ؟ » كلا . . يجيبها صوت آخر ، هي لن تفهمها ولن تدرك المعنى الذي ترمي اليه ولم لن تفهمها ؟ ان سيماء الوداعة التي تلوح على وجهها ، تحببها الي وتبعث في الثقة نحوها . وكأن الفتاة ارتاحت الى هذا التعليل ، اذ وجدت فيه الحجة التي تؤيد رغبتها ، فاندفعت نحو الغرفة ، واقتربت من قريبتها ، ونادتها بصوت رن فيه الفرح : « انظري ياعمة » فاذا سمعت القريبة النداء ، اجابت الفتاة دون ان تلتفت اليها ، او تلقي الحاجة من يدها ، بلهجة اللامبالاة : « ماذا معك؟» فلوحت الفتاة بالصورة في الهواء ، ثم دفعتها اليها ، وقالت باعتزاز : هذه ، كأن الرقعة التي بيدها تساوي وحدها ثمن الدنيا باجمعها ، فرفعت القريبة نظرها عن الثوب واخذت تحدق بها ، فاذا رأت خطوطاً مضطربة مشوشة، اختطفتها ومزقتها قطعة بعد قطعة ، ثم القت بها على الارض وعادت الى الحاجة تخيطها وتنظر فيها .

*

شعرت الفتاة حيال هذه الخيبة ، كأن يداً عنيفة امسكت بصدرها ، وهبطت بها من علياء الى منخفض ، من فوق الى تحت، فوقفت تجس بصمت ووجوم الرضوض التي اصابت كبرياءها من جراء هذه الصدمة . لكنها احست على رغم ما حز فيها من ألم « بالفردية » تتحرك في ذاتها ، وتولد فيها شعور باختلاف هذه « الذات » عن ذاتية بقية الناس التي يشابه بعضها بعضاً !

دمشق — فلك طرزي

حرقة

◆

امضِ عن شأنيَ الطريح على مسلكٍ زلِقْ
لا تسل عن شكاته سرّ تطبيبهِ سُرِق
لا تظنّن ما به شرقَ اللهو بالحُمُقْ
انّ سكرا سما بقلبي الفتى خدّر النزَق
صبّ في كوبي الغرير حُميّا الصبا القلِق
سئم التوقُ ضجّةَ الحسّ فاستشرفَ الأفُق
بادرته الشموسُ باغيةَ الشوق تعتنق
الهبته الضحى فأوْدى به الفَوْتُ في الشفَق
الغوايات ولْدُ انفاسِ عذراء تحترِق

القاهرة — بشر فارس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعر الرمزي

بقلم
الدكتور نقولا فياض

تحدثت في العدد الماضي عن بودلير زعيم الرمزيين وعن مذهبه الشعري والاثر الذي تركه في معاصريه ومن جاءوا بعده . واتيت بموجز عن حياة ثلاثة من الذين كان له فيهم ابعد اثر وهم فرلين وملارمه ورمبو وذكرت لكم طريقة كل من هؤلاء ومميزات الواحد عن الآخر في النظم والالهام . واتابع اليوم هذا البحث بعرض ما تبقى من الشؤون التي رافقت هذه الحركة الفكرية الى ان آذنت شمسها بالافول اي الى مطلع القرن العشرين .

تقدم لنا ان فرلين وملارمه ورمبو خرجوا على تقاليد « البرناس » كما خرج بودلير من قبلهم لاسباب واحدة هي ما كان يرمي الى تحقيقه المذهب الوضعي Positvisme سواء في الادب او الفن او الاجتماع . فقد ظن دعاة الوضعية انهم يستطيعون بها تفسير العالم وتصويره وتدبيره فما اقتنع اولئك ولا وجدوا سبيلا الى حل اللغز الذي يكتنفهم ، واماطة اللثام عن السر الماثل امامهم ، كيفما اداروا نظرهم ، والافلات من كابوس القلق النفساني الضارب عليهم بظلماته . ولم تقف الثورة على الوضعية عند الادب والشعر بل تناولت كل جهاز السياسة والاجتماع والفن فاصبح كل ما فيها عتيقاً يجب التخلص منه : الجيش والنظام الادبي والصيغة الفنية والانشاء الروائي والقصص ولم يبق للانسان الا ان يكون فوضوياً ، او رجعياً ، وفي الحالتين انكار لمزايا المجتمع في حالته الحاضرة واحتجاج على حاجاته .

فالشعر الرمزي كان صورة من صور هذا الانكار وهذا الاحتجاج . ولا يعرف بالتدقيق من السابق الى هذه التسمية ولكن ما لا ريب فيه ان جان موريا كان اول من تبناها وعمم استعمالها ودافع عنها . فقد قامت قيامة النقاد عليها منذ بدء ظهورها في كثير من الجرائد المشهورة كالطان والفيغارو والعدل وغيرها . حتى ان اناتول فرانس كتب في الطان يقول : « الظاهر ان الانسانية ملت الفهم وكلت منه ، وطال عليها الزمن الذي كان فيه للالفاظ معنى . »

ولم يسكت الرمزيون فانشأوا اندية ومجلات للدفاع عن نظريتهم كالمجلة المستقلة وبقع الحبر والعصر التاسع عشر وسواها يحرر فيها مع جان موريا س لافورج وبول آدم وغوستاف كان ، وعدد كبير من شباب ذلك العهد وقد اشترك في الدفاع عنهم جول لومتر ، وامل برونتيار خيراً بهم ، وعاد اناتول فرانس عن سخريته سنة ١٨٩١ .

وكانت الفيغارو قد سألت الرمزيين بياناً عن مذهبهم فاجاب موريا س راجعاً بنسبهم الى الفرد ده فيني وشكسبير وقال ان بودلير زعيم الحركة وان ملارمه بعد جيرار ده نرفال هو الذي مهر الشعر الحديث بمعاني السر وهذا الشيء الذي لا يوصف وان فرلين حطم القيود الذي يرسف بها الشعر وقال ان الغاية من الرمزية الهدم اكثر من البناء فهي عدو لتفخيم الالفاظ والوصف الخارجي للاشياء . وانشاءها خاص بها يقوم على التفهم والرمز اولا ثم الموسيقى بعد ذلك . غير ان البعض رأى نقصاً في هذا التعريف لانه لا يعطي الموسيقى حقها فقام رنه جيل وانشاء مدرسته المشهورة يعود بها الى فكرة رمبو بتجريد الكلمات عن قدرتها على التعبير عن افكار بحتة فهي قبل كل شيء الحان ذات جهارة تعبر عن احساسات سمعية يقابلها احساسات لونية فانت اذا كتبت كلمة فانما تخرج اصواتاً وتنشر الواناً .

واحتدمت المعركة الرمزية واخذت جرائد جديدة تظهر واخرى تختفي وامتدت الحركة الى باجكا فنشرت مجلاتها نفثات اقلام موريا س وملارمه ورنيه ومترلنك وفرهارن .

وفي الخمس سنوات التي اشرق فيها فجر الرمزية ظهرت طلائع الشعر الطليق فاحدث صدمة في عادات الجمهور واثار حوله كثيراً من الجدل ورأى الناس فيه جرأة كبرى دهش لها حتى اصحابها فصار كل يدعي الاولية فيها .

وسرعان ما تعب موريا س من الرمزية وهو الذي احتضنها يوم ختانها ومن اجلها ودع فخفخة الشعر الرومانتيكي والبارناسي والمدرسي . ربما هاله كثرة ما كتب على اثر رسالته ومنافسة رينه جيل له . فان الشعر الطليق هدم السدود التي كانت تعترض القرائح والاقلام واندفع سيل من الشعر قلما يستحق ان يسمى شعراً يغرق كل منظوم في طوفانه ، وصار يكفي الواحد ان يلتقط كلمة من هنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكلمة من هنـاك ليؤلف شعراً ، فاشفق على الشعر الفرنسي ان يذهب رواؤه ونشر بياناً في الفيغارو يعارض فيه هـذا الانشاء الخارج عن النظام ، ويطلب العودة الى المصادر اليونانية واللاتينية التي هي اسـاس الاداب الفرنسية والتي كانت منبع الوحي في العصور الوسطى ايام التروبادور وعلى عهد رونسار في القرن السادس عشر وراسين ولافونتين في القرن السابع عشر الى ان جاء الرومانتيسم وما وراءه من بارناسي وطبيعي ورمزي فقطع السلسلة وحول المجرى .

ومن معاصري موريـاس هنري ده رينيه الذي تأثر بملارمه وجيل الا انه مـا عتم ان خلع الصبغة الرمزية وعاد كموريـاس الى اساتذته الاقدمين اومـير وفرجيل ودانتي ورونسار واندره شينيه الخ . على ان بعضهم ينظر اليه كاعظم شاعر للمدرسة الرمزية .

ومن الشعراء الذين لاتزال رمزيتهم موضع الخلف بين النقاد البرسامان وشارل غرن وفرهارون ومترلنك وسنعود الى الكلام عنهم في غير هذا المكان .

الخلاصة

ان الرمزية لم تفلح كمدرسة او بالاحرى لم تتخذ ابداً طابع مدرسة بل بالعكس . فانك لاتجد جمهرة ادبية فيها الحرية الفكرية الكاملة مثلها . والصفات الجامعة بين اتباعهـا هي كراهة المادة والابتعاد عن صور الواقع والرغبة في توسيع نطاق الفن للتعبير عن السر الذي يغمر الحياة العامة (وتجافي المألوف والعادي والمبتذل) . وكانوا يسعون في التقرب من الطبيعة ولكن لا يكتفون بان يلمكوا مظاهرها السطحية ويقبضوا على الرعشة الخارجية بل يطمعون بان يستلوا من اعماق كل شيء وصميم كل فكرة ما هو اهل لان يحدث هزة في نفس القارىء ولم يختلفوا الا على الطرق المؤدية الى هذه الاهداف فكل يفهم رسالته كما يريد وينفق في سبيلها قواه العقلية والروحية .

واذا نحن القينـا نظرة مجملة على المذاهب التي تعاقبت على الادب الفرنسي في العصر التاسع عشر وجدناها قصيرة الاجل . فقد عاش الرومانتيسم ثلاثين سنة والبارناسي عشرين والرمزية خمسة عشر ذلك لان منافسة الاحزاب كانت شديدة ومطالب الجمهور تزيد في الالحاح كلما تقدم الزمن فكان يسرع اليها الملل وكانت الرمزية معرضة اكثر من سواها للانحلال لانفراج المسافة بين ما تطمع به وما تستطيع تحقيقه . فقدارادت الفن للفن في اقصى معناه ورامت فتح نافذة جديدة لرؤية الكون وفهمه وخلق لغة شعرية لم يسبق بها عهد ، فقصرت دون الغاية واكثر الذين حملوا لواءهـا تخلوا عنها واحداً بعد واحد . وبين سنة ٩١ وتسعمئة بعد الالف تعاقبت عليهـا عاديات الزمان فهجرها موريـاس وكثر النقاد على ملارمه واخذت جريدة القلم وهي رمزية النشأة تتهكم بها ونعاها الى عالم الادب موكار الرمزي وكتب رومان رولان يقول ان عهد الرمزية كان عهـد تعب روحاني واضطراب عصبي وانعقد مؤتمر للشعراء حملت فيه الولايات على العاصمة واظهر السواد الاعظم انهم لا يريدون هذا الشعر الطليق وفي عام ١٩٠٢ استفتت جريدة الصومعة شعراء العصر عن احبهم اليهم فنـال هيكو اغلب الاصوات ولم يأت ملارمه الا بعد لامارتين وموسه والكونت دليل .

هذا بعض من كثير من الحوادث التي كانت تنذر بتداعي الرمزية وانهيارها واهم منها تعدد المذاهب الشعرية وطمع كل واحد بالزعامة فقد قامت احزاب تتطاحن وتتحاسد وتنشر الرسائل في انتقاد هذا المذهب والدعوة الى مذهب آخر وبلغ درجـة الجنون سنة ١٩٠٠ اذ ظهر الواحد تلو الاخر : الناتوريسم ، والاومانسم ، والسومبتيارسم والبارناسيم ، والسنسيتسم ، والانتكرالسيم ، والسملتـانسم والسنسريسم ، والفوتوريسم ، والاوينانسم وكثير غيرهـا على هذه القافية ...

وعاد بعضهم الى تمجيد زولا واوغست كونت وداروين وتين وكتب فرنانـد غريك زعيم الاومانيسم يقول : « نحن لا نحكم على الرمزية بالاعدام ولكن نطالب منها الاقـلاع عن الغموض والابهام فالرمز الجميل الغامض كالصندوق الجميل الضائع مفتاحه وهذا فيني في شعره كثير من الرموز ولكنها مفهومة . اكـثروا من الرموز ما شئتم على شرط ان نشعر ان وراءها قلباً ينبض ورأساً يفكر . »

على ان كل هذا لا يمنع ان يظل من الشعراء من يحب الرمزية وكم من شعراء اليوم من لا يزال يحمل آثارها . وهذا بول كلودل وهذا فاليري يعتبران نفسيهما مكملين عمل رمبو وملارمه على ما بينهما وبين الرمزيين من التفاوت ، واندرة جيد الذي كان رمزياً ثم انكر لا يزال في كتبه اثار الرمزية .

فالجيل الذي نشأ ونما في عهد الرمزية لم تطوه يد الفناء وحتى اليوم لا يزال باب الجدل مفتوحاً والناس يتساءلون : هـل قالت الرمزية كلمتها الاخيرة ام لا ؟

نقولا فياض

العلماء والكتاب والفنانون في المانية النازية

بقلم رئيف خوري

●

لقد سمعنا الكثير عن اضطهاد النازي للعلماء والكتّاب والفنانين، في المانيا وفي كل بلاد بسطوا عليها ظلهم، ولقد ذهب اهل النظر المذاهب في تعليل هذه العداوة التي يبدو انها اصيلة بين النازي من جهة، والعلماء والكتّاب والفنانين من جهة اخرى. وهذا شيء لن ندخل في بحثه الان. ولكن كثيرين قد وقفوا موقف التردد من قبول هذه الاحاديث عن اضطهاد العلماء والكتاب والفنانين في المانيا وفي كل مكان، امتدت اليه يد النازي. اجل ان كثيرين لم يصدقوا ان جماعة النازي يشرفون على دولة قوية، ويتصرفون بمقدرات امة كبيرة، وينهدون الى الفتوح الواسعة، ويطبلون ويزمرون «بنظام جديد» لاوروبا — بل للعالم — لم يصدق هؤلاء الكثيرون ان النازي يفسدون هذا الفساد، ويعيثون هذا العوث، في علماء بلادهم وكتابها وفنانيها وفي العلماء والكتّاب والفنانين حيثما كان لهم عليهم سلطان.

ولكن تلك هي الحقيقة، لا جدال فيها. وخير ما نفعل في مقالنا هذا ان نقتصر على وقائع مجردة، فان الوقائع من ذاتها تتكلم، وما ابلغ ما تقول...

في السنة ١٩٣٣، لما تسلم ادولف هتلر زمام الامر في المانيا، رأى الناس ذات يوم في برلين في الساحة (اونتردن لندن) مشهداً غريباً. رأوا حطباً يكوّم في شبه دكة عالية. فلبثوا يتساءلون ويتقولون الى ان زحفت طلائع الظلام، وزحف معها فريق من الشباب النازي يحملون المشاعل، ويحدون امامهم عربات محملة شيئاً لم يتبينه الناس اولا. ولكنهم بعد لمحة رأوا النار تنتقل من مشاعل الشباب النازي الى الحطب المكوّم في الساحة العامة، وسمعوا هتافاً ولغطاً، وابصروا حمولة العربات تنقذف الى النار، فتلتهمها، وتندلع ألسنتها طالبة المزيد، كأنها استحلت هذا الطعام الذي تطعمه.

وكيف لا تستحلّه وهو نتاج ادمغة نيرة وقلوب كبيرة؟ لقد كان الشباب النازي يحرقون الكتب!

هذه واقعة وقعت ولا سبيل فيها الى طويل الاخذ والرد. فالنازي انفسهم كانوا يتبجحون بها حتى ادركوا انها دعاية تدمغهم بالعار في رأي العالم المتمدن، فحاولوا ان يخمدوا خبرها، على انهم لم يفلحوا والمثل الفرنجي يقول: من السهل ايقاد النار، اما اطفاؤها فأمر آخر. والنار التي التهمت الكتب في (اونتردن لندن) كان سهلا ايقادها، ولكنها الى اليوم ماتزال تشتعل في اذهان المتمدنين من اي جنس او مذهب كانوا، كنار هولاكو التتري، نار الحماميم التي اطعمها مكاتب بغداد يوم فتحها فتحة المشؤوم لم ينسها العرب واهل المدنية الى الان.

ان جريمة احراق الكتاب، بهذا العمد والاصرار والتبجح، لمن اشد الجرائم التي تهتز لها اعصاب الانسان — كل انسان، الا ان يكون نصف بهيمة في غاب. ولذلك كان المثقفون العرب عظيمي الشكر للمستشرق البريطاني (بطلر) حين برأ بالبرهان ساحة العرب من احراق مكتبة الاسكندرية لما استولوا على وادي النيل.

والوقائع الاخرى التي تؤكد فظاعة اضطهاد النازي للعلماء والكتّاب والفنانين، كثيرة جداً. وما على السامع الا ان يتابعنا ونحن نتلو هذه السلسلة الطويلة، سلسلة اسماء الذين شردهم النازي من علماء وكتاب وفنانين. عفواً، قلت سلسلة اسماء الذين شردهم النازي وانا اقصد اسماء بعضهم فقط، لانهم اكثر من ان يسمح لنا المجال بذكرهم جميعاً.

نبدأ بالعلماء:

البرت اينشتين، صاحب نظرية النسبية، ومن اعظم علماء العصر. وهو الان في الولايات المتحدة يعيش مكرماً في ظل الديموقراطيات بعد ان ضيقت عليه النازية الخناق.

سغموند فرويد، صاحب الابحاث النفسية الجنسية، ومن

اعظم علماء العصر ايضا . طرده الفتح النازي من وطنه النمسا ، فأوى الى بريطانيا حيث ادركته الوفاة .

الاستاذ جيمس فرانك عالم الطبيعيات الشهير . نال جائزة (نوبل) وحاز وسام الصليب الحديدي من الدرجة الاولى ، وهو من اعظم الاوسمة ، في المانيا . كان الاستاذ فرانك رئيس معهد الاختبارات الطبيعية في كيتنجن قأقاله النازي وشردوه .

الاستاذ ريتشارد فلشتيتر عالم الكيمياء الشهير . حاز جائزة نوبل وكان مدير (معهد القيصر فلهلم) .

الاستاذ اوتو فاربورغ من الذين جردوا حياتهم للبحث الطبي . نال جائزة نوبل . وله ابحاث نفيسة في السرطان . هو الان في الولايات المتحدة الاميركية .

الاستاذ ارفين شرويد نجد . حاز جائزة نوبل للطبيعيات . وله ابحاث قيمة في (الاتوم) الجوهر الفرد . هو الان في ايرلندة .

الاستاذ كاهلي ، عالم المشرقيات ومدرسها في جامعة (بون) هو الان في لندن .

الاستاذ اويفن متفوخ ، عالم اللغات الشرقية ومدير معهد برلين المختص بهذه اللغات . والاستاذ اويفن ثقة في مسائل الفن العربي والاسلامي .

هذا عدد قليل من كثيرين من العلماء الذين وقعوا فريسة اضطهاد النازي . فلننتقل الى الكتاب .

ليون فوبختانغر ، من اشهر الروائيين الالمان . عاش مدة قبل الحرب في جنوبي فرنسا واضطر الى تغيير منزله بعد الهدنة بين بيتان والالمان .

ستيفان زوج من كبار المؤلفين النمسويين . وهو كاتب سير ماري انطوانيت وماري ستيوارت ومجلان . مات منتحراً في اميركا الجنوبية هو وامرأته لما شهده من فظاعة الحرب وجموح النازي في اوربا .

اريك ماريا ريمارك صاحب المؤلف الشهير « كل شيء هادىء في الجبهة الغربية » نقم عليه النازي لايمانه بالسلام . هو الان في الولايات المتحدة الاميركية .

هنريك مان ، كان رئيس اكاديمية الفنون البروسية : غادر المانيا بعد مجيء النازي الى الحكم ويعد من اعلام الحركة الالمانية المعادية للنازية .

توماس مان الحائز على جائزة نوبل الادبية . مؤلف (الجبل السحري) و (نصر الديموقراطية المقبل) . كانت كتبه من جملة ما احرق في الساحة (اونتردن لندن) .

اميل لودفيج ، كاتب التراجم الشهير ، مؤلف سير يسوع ونابليون ، وغوته ، وبسمارك ولنكولن ، ونهر النيل .

ولنكتف بهؤلاء من كثيرين ، ولننتقل الى الفنانين :

بدروفسكي العازف الشهير على البيان . كان اول رئيس وزارة بولونية بعد الحرب العظمى الماضية . هرب من وطنه امام الفتح النازي .

ماكس راينهاردت المخرج الخصب العظيم . كان مدير المسرح الالماني في برلين ثم فر من النازي الى (هوليوود) .

فريتز بوش مدير اوبرا درون الشهيرة . هو الان في بريطانيا .

اليزابيت برغنر الممثلة المسرحية الشهيرة . حازت مرتين اكبر جوائز هوليوود تقديراً لها على نجاحها في تمثيل (الارض الطيبة) ودزغفيلد العظيم .

ريتشارد توبار المغني الشهير .

اريك مندلزون المهندس البناني الكبير .

ولتر غروبيوس مؤسس مدرسة من مدارس فن البناء الحديث تعرف بمدرسة (بوهوس) .

اوسكار كوكوشا ، رسام معروف ، ومن شعراء العصر المشار اليهم . حشره النازي في جملة مذيعي « الثقافة البلشفية » (الكولتور بولشفيك) فصادروا رسومه من المتاحف والبيوت وحاربوا شعره . اما (الكولتور بولشفيك) عند النازي فكلمة يدمغون بها كل ما ليس نازيا اي : كل ما هو انساني . فالرحمة من (الكولتور بولشفيك) وحب السلام من (الكولتور بولشفيك) وهلم .

والان ، لا بد من قطع هذه السلسلة الطويلة ، ولا بد لنا كذلك من قطع الحديث والسكوت عن التعليق . وحقاً ما قيمة التعليق امام هذه الوقائع التي تتكلم من ذاتها .

طرطوس — رئيف خوري

سحر المرأة

بقلم السيدة وداد سكاكيني

السحر

سلاح انفذ من السهام وامضي من الحسام ، انه اختراع الله ، ابدعه من روحه ونفخه في المرأة الاولى ، فتوارثه عنها بناتها . رف على العيون فكان محبة وهياماً ، وطوف في القلوب فخفقت حناناً ووئاماً . طلعت ازاهيره في شقرة الشعر وسواده وسمرة الوجوه وبياضها ، وتدلت ثمراته في مجاني النساء فكانت وداعة الرقة وعذوبة الانوثة ، لم يسكبه الله على كل امرأة ولا آتاه بنات حواء بغير حساب ، فمن مسح به الباري على وجهها فهي المحظوظة السعيدة والمرموقة المحسودة ، انه لا يرى بالعينين ولا يمسك باليدين . هو كالكهرباء يرى اثرها ولا يعرف سرها . ضل من طلبه في اتساع العيون الفواتر وصفحات الخدود السواجي وعلى المباسم الكامدة ، وجار على الصواب وحلم فيه بالمقياس او اقره بالبرهان . انه روح خفي لا تدركه الا الارواح الشفافة والانفس الحساسة .

رب راء لامرأة يعرفها او يصادفها ، وكأنها قد صبت في القالب او نحتت مثل دمية او تمثال ، لكن تنقصها الروح والحياة ، ولو جالت في عروقها الدماء لما سكبت عليها من السحر قطرة ، ولقد يكون السحر ساكناً كما نراه في الصورة الفاتنة . وكأي من صورة يخيل اليك ان السحر يترقرق في خطوطها وملامحها ، فلما نطقت وتحركت عريت من الصناعة فاذا هي موهة مزورة كالدينار الزائف . ولقد يكمن هذا السحر في المرأة كمونه بين الزند والحجر ، فلا يتراءى حتى يقدحه قادح . كذلك شأن المرأة من الغيد الملاح لا من الجميلات الحسان ، تقع العيون عليها وهي صامتة ساكنة ، فتحسبها جامدة هامدة ما لها في السحر نصيب ، فاذا هي تحور وتمور وتتدفق الحياة في انباضها وقسماتها بالسحر المبين ، وهذا ما يسميه الناس جاذبا . هذا الجاذب الخاب هو الذي يلعب بالالباب ويعبث بالقلوب ، واحسبه كقاعدة في العلوم الطبيعية عندما يجري تيار الكهرباء في الفولاذ يكون المغناطيس ، هكذا يكون الجذب في الملمحات الفاتنات حين يدب فيهن تيار الحياة ، وانه كشأن الغناء والرنم حين ترجعه المغنيات في اصواتهن الندية الرخيمة فيكن من المثيرات الساحرات .

ما احيلى السحر حين تصرفه صاحباته في سبيل الحق والخير والجمال فيكن فيه كالملائكة ! وما اقبحه عندما يتوسلن به الى الشر والشقاء . والاذى فيكن فيه كالشياطين ! ويل لكل ساحرة جائرة ، ان لصنعها الخبيث وقعاً اشد من الوقيعة وافدح اصابة من المصيبة ، ان السحر الرهيب يحرف كريح السموم ، هو مس الافاعي وطعم العسل المسموم . بكلمات من هذا السحر الاخاذ قالت حواء لآدم : كل من هذه الثمرة ... وكانت محرمة عليهما فهويا الى الارض ، وافسدا الخلود الاول على بني الانسان فارتموا فوق التراب مكبين على الوجوه يسعى ناس منهم للخلود الآخر في جنات النعيم وناس يسحبون سحباً لتكوى جباههم على نار الجحيم ، هكذا فعلت بملات سحر من حواء في الاغراء فجرت على الدنيا البلاء والشقاء .. وها هنا تتفتح امامي ابواب التاريخ فألج في بيوته واجول في حجراته ، فأرى لسحر النساء سجلاً منشوراً وكان مطويا دفيناً ، واذا بالاحداث الجسام تخرج من هذه البيوت وتطل من تلك الاسفار فترتدي الاعمار وتكشف الستار وتهب بين عيني جاثمات قائمات ، فارى فيها كليوباطرا قد اهلكت انطونيو بهذا السحر العميق ، وجوديت تتسلل بهذا السلاح نحو هولوفيرن فتدخل عليه الخيمة ، وهو في حصار بيت المقدس ، فتغريه ثم بالمدية تفريه ، وبومبادور قد اخذت المطرقة واشعلت الكير فهي تصنع المقصلة قبل ان يخترعها السفاح « غيوتين » وماري انطوانيت تأخذ الشفار فتشحذها لتمضي في جذ الرؤوس وضرب الاعناق ولويس السادس عشر يبتسم ضاحكاً امام تلألؤ ناظريها وتثني قدها الميادبالسحر النفاذ ، ثم ارنو الى صحائفنا واحادنا فاراها حافلة بسحر بنات حواء ، وتخطر في خيالي ملاحة زبيدة وحلاوتها فاقتلها بارعة مفتاناً ، نفاثة سحر انوثتها في وجه الرشيد ليجعل الخلافة بعده لابنها الامين ، واذا بعد حين تدك جيوش المأمون بالفارسيين صروح العباسيين ، ويسفك الاخ دم اخيه ، فتروعني هذه الرؤى الحمراء واستعيذ بالله من كيد الساحرات .

ولقد تفقد المرأة سحر الخالق فتعمد الى سحر المخلوق ، تغلو في الزينة والتبرج لعلها تملك السلاح الذي به تلهو وتلعب وتحكم وتسيطر ،

فلا يجديها الحسن المجلوب نفعاً ، اما قال لها الشاعر « ليس التكحل في العينين كالكحل » ؟ وثمة سحر آخر يعلو في جوه الدخان ويعبق البخور وقد جلس في المخدع رجل قد يكون عبداً زنجياً او زميتاً رئيا ، او انه بسط على قارعة الطريق منديلاً عليه الرمل الاحمر ، فرسم باصابعه فوقه النجوم المسدسة واخذ من جعبته قلماً من قصب فغمسه في الزعفران وجعل يكتب اسماء حنطوئيل وجرموئيل وانطش وارقش .. ثم رسم شباكاً وحشاها حروفاً ، وجعلها ورقة مستطيلة كالزنار ، ثم طواها واحكم بقماش من الشمع غطاها ودفعها الى اللبيفة او السخيفة مشترية السحر بثمن غير بخس من وفرها او مما اخذته من الزوج وحرمته العيال ، فتعود الى البيت تحمل التعاويذ او تحل الورق المكتوب في الماء المشروب ، او تحرق على النار العود والحصلبان لترد الزوج البعيد او الولد الشريد ، وربما فعلت ذلك لكي تطلق الضرة فتصفو معها العشرة ، انه سحر عتيق في الدهر عرفته بنات جنسي من عهود بابل يوم كان فيها هاروت وماروت ، وعاينه في قصر فرعون حين همّ السحرة الكهان بموسى عليه السلام ، عاش مع المصريات فهو الى اليوم عند طبقة منهن يسمى « الزار » وله لديهن اخطار تجري بها الاخبار ، وحذقه معشر نساء في بلادنا حتى صار فيهن المنجمات والناظرات في الفالك وفي المندل ، والحاسبات القارئات في الكف وفي فنجان القهوة والساكبات الرصاص والمحليات برش الماء على مواقع الداء ، وفيهن التي تزعم ان الجني يدخل اهابها فتنتج منها الاوداج وتحمر العينان ويرغو الزبد على الشدقين واذا بصوتها الناعم يخشوشن ويتهدج وتلفظ الكلام بصوت اجش وكأنه متدفق من افواه الرجال ، ثم تخاطب الملك الاحمر او الاصفر وتتناول النذور والاجور بالخديعة والتدليس .

*

هذا بنات حواء : روح وريحان وبهجة وجمال او ملاحة وجه وفتون قد ، وعذوبة لسان وصفاء نفس وثقافة ذوق وهو السحر الحلال ، او بخور وتمائم ونفثات وطلاسم للكيد والضر والحسد وهو السحر الحرام . سحر مطبوع وسحر مصنوع : هما قوام عرش المرأة في مملكة الملاحة والجمال .

دمشق — وداد سكاكيني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كأس

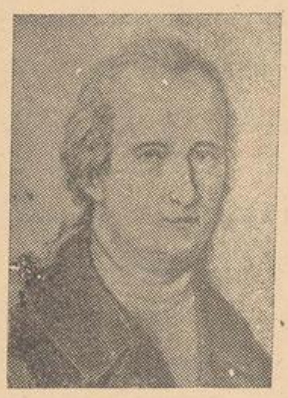
لوصفي فرنقلي

•

محص

يا نفحةً من السماء ، هفهفت على قدح
شقت عمود الليل ، فانشقّ ، وهمّت ، فانطرح
وانسربت اسرارُه ، عن شبحٍ اثر شبح
في برعم الكأس رؤى عذراء تطفو ، ولَمح
والحلمُ مجهودٌ ، سرى على الحفافي ، وسرح
يا ليلُ عدْ بالحب والاحلام ، واخفق يا مرح
هزّت دمائي نشوةٌ ، وغمغمت ، أين القدح

الحركة الفكرية في يوغوسلافيا

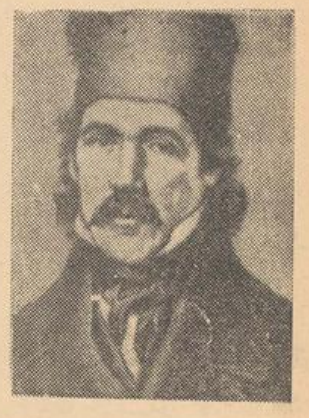


اوبرادوفيتش

وجه اليوغوسلافيون انفسهم ، منذ مستهل تاريخهم ، خاضعين لمؤثرات الفاتحين من الشرق او من الغرب . على ان الجهاد الشاق الذي قاموا به طوال قرون اثمان كيانهم لم يصرفهم عن العمل على صيانة استقلالهم الروحي . ومما لا شك فيه ان الكلام عن الحركة الفكرية في يوغوسلافيا كلام عن شعر وقصة ومسرحية تكاد تكون مجهولة ، وهي صورة عن عواطف شعب عاش حتى ١٩١٨ كما يعيش اليوم خاضعاً لسيطرات مختلفة . هذا الى ان اختلاف الدين — الارثوذوكسي والكاثوليكي والاسلامي — دمغ بطابعه هذه الحركة التي توحي القلق للوهلة الاولى . ففي بوسنيا مثلاً نجد ادباً شعبياً مكتوباً باحرف عربية ، وادباً آخر مكتوباً بلغة المانية . سوى ان هذه الظواهر خدّاعة في الواقع فالروح الوطني يجري فيها من منبع واحد . ومن يمعن النظر في الحركة الفكرية اليوغوسلافية يتضح له ان ثلاثة عوامل سادت تطور الادب اليوغوسلافي بعد الحرب الكبرى الماضية ، هي العامل الاجتماعي ، والعامل الوطني ، وتأثير الاتجاهات الادبية الاجنبية .

فبعيد الحرب ، عندما اصاب اليوغوسلافيون من مطامحهم الوطنية حتى اكتفوا ، راح الانتاج الادبي يستوحي الحماسة الوطنية على الخصوص ، وكان الادباء ، شرتيتش وفوانوفيتش ونازور ، لوب هذه الحركة . وسرعان ما ظهرت بوادر شعر غنائي مدموغ بطابع برناسي ورمزي جاء في مطلع القرن من فرنسا ومن سائر الاوساط الادبية الكبرى . وهذا الاقتران للمؤثرات الخارجية بالتقاليد الوطنية برز بروزه الجلي في مؤلفات دورسيتش وبراكيتش ، كما برز في صيغ ايفوفوانوفيتش ونازور وزوبانسيتش ، زعماء حركة اتّسمت بالتحمس الشديد في كرواتيا ، وسلوفينيا واعطيت اسم « الحركة الحديثة » .

على ان هذه الوثبة لم يطل امدها ، فما لبثت المسائل الاجتماعية التي احدثت يقظة في جميع النفوس من جراء العراقيل والمصاعب التي اصطدمت بها الحياة اليومية بعد الحرب ان احدثت في الادب اليوغوسلافي الذي عملت الثورة الروسية عملها فيه رجعة ضد الروح الوطنية غذتها المنازعات الاقليمية التي بلغت حدها الاقصى خلال سنتي ١٩٢٦ و١٩٢٧ .. فشهدنا عندئذ انقلاباً خطيراً لجميع القيم اسفر عن اعراض القسم الاكبر عن ممثلي الفكرة الوطنية كبيرادوفيتش وفوانوفيتش ونازور .



كاراجيتش

وهكذا فتح عهد الاتجاهات الاجتماعية في الادب ، واذا بامتداح الاخاء الانساني والاشادة به يسحق اطارات الوطنية « الضيقة » وتحل الفكرة الدولية محل الفكرة الوطنية . فكرليزا ودراغويزا فازيتش اشد تحمساً لآلام الانسانية الشهيدة منها للشعور بالعزة الوطنية . فالقصص الاجتماعية والانتقادات المرّة القاسية المصوبة على مجتمع يميل الى الانحطاط والتحليل الجري، لبورجوازية « فاسدة الدم » ذلك هو المتاع الادبي الذي اعطاه كرليزا ، هذا الاديب الكرواتي الذي يستطاع ادراجه في رأس الادباء وهو شاعر وقصاص ومؤلف مسرحي ونقّاد في آن واحد ، حوّلته الحرب الماضية من وطني متحمس الى دولي وثوري . ومن اشهر مؤلفاته : « غلمباي » وهي قصة عائلة بورجوازية كرواتية ملأها الكاتب بالتهكم ، و « الاله الكرواتي » وهي قصة حرب ، و « عود فيليب لاتينوتي » .

وعلى هامش الجهود التي يبذلها ادباء كرليزا وسيزار تزوبوراستانكوفيتش — وهذا

الاخير نسيج وحده في القصة اليوغوسلافية الحديثة — تظهر مؤثرات مختلف الاتجاهات الادبية الاجنبية ، فيعرض من جديد عن التقاليد ، ويتراخى الانشاء ، ويعتنق الشعراء الشعر المطلق من الوزن والقافية ، وينقاد الجيل الجديد انقياداً اعمى للمدارس الاجنبية .

سوى ان هذا النزق الصادر عن الشباب ما لبث ان زال ورأينا الادباء الاجتماعيين ينطلقون في موجة من الادب الطبيعي يمثله بوراستانكوفيتش الذي ألمعنا اليه الى جنب كرليزا . وبوراستانكوفيتش من ادباء العزلة الذين يصفون الحياة اليومية بكل ما فيها من مرارة العيش . وقد كتب قصته « الدم الفاسد » ليصور لنا فتاة زفت بالرغم منها الى رجل يهملها فتكبح شكيمة مشتهياتها النسائية ، لتعيش في وسط تمقته .

وقد قلنا ان ستانكوفيتش نسيج وحده في القصة اليوغوسلافية الحديثة . والى جنب مؤلفات هذا الكاتب الخطير تقوم مؤلفات كتّاب يتعمدون الغموض في الانشاء رغبة منهم في الخروج عن المألوف فلا يلقون من اقبال المتأدبين ما يأملون .



بتروفيتش نجيغوش

وثمة جملة مجلات ادبية تعمد الى مقاومة الاتجاهات الحديثة ، وقد قدر لبعضها ان يصمد في وجه موجة الشباب الطاغية ، وفي عداد هذه المجلات « الفكرة » التي يحررها نخبة من الكتاب السربيين مستهدفين ارجاع الادب اليوغوسلافي المزعزع الى سابق عهده . ويتسم الادب اليوغسلافي الحديث بالمسحة الغنائية . والغنائية اليوغسلافية متسمة في اقلام « الشيوخ » والشباب معاً بعودة الى الحياة الداخلية المموهة بالتصوف . ومن الشعراء الجدد الذين يمثلون هذا التطور حق التمثيل كرنجانسكي وكرليزا ومازوكاودورزتيش واوجيفيتش وايفواندريتش وديزانكا مكسيموفيتش . فكرنجانسكي شاعر حتى في قصصه . واوجيفيتش يسير على غرار فيلون وجيرار ده نرفال وفرلين . وهو بعد ان كان عضواً نافذاً في جمعية الشباب الوطني الكرواتي غادر زغرب الى بلغراد ليدرس في جامعتها ولكنه لم يجد الوقت الكافي للحصول على شهادات اوانه لم يعبأ بالشهادات وبقي « آخر عظيم في بوهيميا » . وصفوة القول ان اوجيفيتش من امراء الفكر ومن الشعراء بل من كبار الشعراء الذين يخلعون على شعرهم الطراوة والصدق في التعبير الذي لاغنى عنه للشاعر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما دوزتيش ففي طليعة كبار الشعراء اليوغوسلافيين المعاصرين ، فبعد ان تأثر بالبارناسيين والرمزيين الفرنسيين تطور نحو الشعر المتحير بين الضوء والظل . وراح يسعى لتثقيف الحب وتحويل العاطفة الى المعنى الروحي . ويمتاز هذا الشاعر باطرائه عظمة الماضي والحث على الايمان بالمستقبل . وهو الى ذلك ناثر من الطبقة الاولى وله مؤلف « كنز القيصر رادوفان » الذي يحتوي على اجمل صفحات في اللغة الكرواتية .



ماجورانيتش

وبالرغم من الفوز الذي ادركه بعض القصاصين ما يزال للقصة القصيرة قصب السبق بفضل مواهب فلجكو بتروفيتش وزيغادينوفيتش وكاشانين وسيب ميليتشيتش وشوازيتش وهنزا اومو ، وهو قصاص مسلم يعيش في سراجيفو .

وقد يكون اوبراد وفيتش (١٧٤٢ — ١٨١١) وفوك كاراجيتش (١٧٨٧—١٨٦٤) في الرعيل الاول من الادباء الذين صدر عنهم الادب اليوغسلافي الحديث . اما الشعر اليوغسلافي فما لاشك فيه انه صادر عن بريراد وفيتش وفراز ومرتيش ومجورانيتش ، مؤلف « موت اسماعيل آغا » الذي يجري في حلبة واحدة مع « اكليل الجبل » للامير الاسقف بيتار بتروفيتش نجيغوش .

ومجمل القول ان الادب اليوغسلافي الحديث لم يتخل عن شيء من طابعه الوطني المستمد من مصادره الخصبة ، من ذلك الشعر الشعبي وتلك الاغاني اليوغسلافية التي ينعكس عليها ماضي الشعب وآلامه ومطامحه .

مادلين بروهان في دور ماريان

جميع الذين عرفوا مادلين بروهان من بول ده سان فيكتور الى جول جانين الى ارسين هوسي الى روجيه ده بوفوار الى تيوفيل غوتيه انشدوا جمال « عينيها السوداوين الكبيرتين » . والواقع ان عيني هذه الممثلة الكبيرة لم تكونا سوداوين ولا زرقاوين ولا كستنائيتين بل كانتا كل ذلك في آن واحد، او بالاحرى كانتا تتبدلان بتبدل شعورها وتتخذان الواناً غريبة مرهقة .


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مادلين بروهان

في ١٥ تشرين الاول ١٨٥٠ عندما استهلت مادلين بروهان عهدها المسرحي كانت في دون السابعة عشرة من عمرها ، ولم تخرج دور ماريان للشاعر الفرد ده موسه الا في العام ١٨٥١ بعد ان ادركت فوزاً كبيراً في دور سليمين بمسرحية « الميزانتروب » لموليير .

كانت مادلين بروهان جميلة كتمثال من الرخام ، وكتمثال من اللحم والعظم كانت تتفتح لجميع انغام الشباب والذكاء . وكانت تتبسم كآلهة فتشرق النجوم في عينيها .. السوداوين ... وينبعث السحر من جملة وجهها الجذاب .

كان دور ماريان الدور السابع الذي مثلته مادلين بروهان على مسرح موليير (الكوميدي فرانسيز) . وتلخص مسرحية ده موسه : « اهواء ماريان » Les Caprices de Marianne في ان ماريان تضمر الانتقام من زوجها كلوديو الشديد الغيرة عليها . ويأتيها ابن عمها اوكتاف ليكاشفها حب صديق له يدعى كوليو ، فتقول له : « تكلم باسمك انت ! . » فيرفض اوكتاف هذه المطارحة، ويضرب للحب موعد تحت شرفة ماريان .. في الليل . على ان اوكتاف يرسل كوليو مكانه فيدهمه الزوج بخنجره ويرديه قتيلاً . اما ماريان فلا تأسف على كوليو وتواصل حبها لاوكتاف . سوى ان هذه المسرحية التي كتبها الشاعر بدون خطة لم تلاق نجاحاً كبيراً بالرغم من شهرة الممثلين الذين اخرجوها . وقد قالت مادلين بروهان فيما بعد : « لقد اصاب الجمهور في انه لم يبالغ في غمره اياي بالبخور عندما ظهرت للمرة الاولى في دور ماريان ، هذا الدور الاصطناعي المعقّد . فمن لمس فيّ شيئاً من المهارة و « الكياسة » وجمالا فجاً كثمرة لم تنضج . وكنت يومئذ كثيرة الحركات — شأن كل مبتدىء . »

وقالت ايضاً تحدث عن ده موسه في ذلك العهد : « كان الشاعر الكبير يأتي كل مساء يعلن فيه تمثيل « اهواء ماريان » الى المسرح ليمسك بنفسه السلم التي كنت اضطر الى تسلقها لدى ظهوري على شرفة بيتي في الفصل الثاني من المسرحية . وكان لا بد من ايد قوية تقبض على السلم لاستطيع حفظ توازنها . واذ كان ده موسه يدعي لنفسه القوة الكافية للقيام بهذه المهمة فقد كان يأبى القيام بها على احد سواه . على ان قوة ده موسه لم تكن توحي اليّ الطمأنينة التامة،

هذا الى ان رائحة الابسنت التي بقيت تفوح من فم الشاعر حتى توفاه الله كانت تزعجني مقدار ما كان يخيفني رجفان يديه . »

وقصت مادلين بروهان هذه القصة الثانية : « كثيراً ما كنا نرى شاعر « الليالي » يطوف اروقة مقاصير الممثلين والممثلات منشداً اغنيات خفيفة قارعاً جميع الابواب وهو يتلفظ بكلمات « بذيئة » بحق الممثلة السيدة اللان التي كان يمقتها ، وكثيراً ما اضطر الخدم الى اخراجه بشيء من الرقة والقساوة .

« وفي مساء يوم قرأ ده موسه نقداً قاسياً لبريفو Briffaut فأخذ بيده خمسين فرنكاً وراح يطوف الاروقة ، وكلما التقى ممثلا او ممثلة صرخ قائلاً : « السيد بريفو خسيس . كان بحاجة الى خمسين فرنكاً فهذه هي . خذوها له ثمناً لنثره ولا تنسوا انه خسيس .. »

كانت مادلين بروهان مشهورة بذكائها وسلامة منطقها . وكثيراً ما ألهمت الشعراء .. وكثيراً كثيراً ما تغنى الشعراء بها . قالت : جاءني يوماً شاعر وسط .. او دون الوسط وراح يحدثني عن عيني امي . قال : « آه يا سيدتي الانسة لو تعلمين كم كنت احب امك !. كنت اصرف جميع سهراتي في المسارح التي تمثل عليها . يا لعينيها ! يا لسحرها ! يا لروحها ! آه يا سيدتي الانسة !.. آه !.. » فقلت له بلهجة رصينة : « اتراك والدي ؟.. »

وكانت حكيمة تعرف مقدارها فلا تدعي لنفسها ما ليس لها . في العام ١٨٨٥ عندما صح عزمها على ترك المسرح نهائياً قالت للذين جاؤوها يحتجون على هذا العزم : لا يا اخواني لن اعود الى المسرح . فقد تركت ادوار « الحظيات » في الوقت الملائم . وها انذا اترك ادوار « الامهات » التي نلت بها كل ما كنت ارغب فيه من النجاح . فقد آن لي ان اذهب من تلقائي قبل ان يسأمني الجمهور . واريد ان اذهب بدون قرقعة .. وقد ذكرت في وصيتي انني احب ان ادفن ببساطة وان لا تلفظ اية خطبة على قبري ، فالمسرح وفّر لي جميع الملذات التي يستطيع توفيرها . اما مذكراتي .. فلن اكتبها اذ يجب علينا ، نحن ابناء موليير ، ان لا نفشي سر المهنة ... فالذي يعيش عهداً طويلاً بين رفاق شاطرهم افراحهم واحزانهم لا يحق له ان يذيع نقائصهم الطفيفة . واما حياتي فأرى انها لا تهم سواي . »



الشاعر الفرد ده موسه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا استحقت هذه الممثلة الكبيرة الطيبة القلب ابيات ديماس الاب :

Reine de l'éventail, elle a de Célimène
Les grands airs et l'esprit sans la méchanceté;
Mais oubliant les traits aigus de l'inhumaine
S'il eût connu son cœur, Alceste fut resté.

واستحقت ايضاً ابيات تيوفيل غوتيه :

Type charmant et pur dont le ciel est avare
Et que d'un fin crayon l'artiste copia,
Scribe salue en vous la Reine de Navarre
Musset, sa Marianne et de Belloy, sa Pia !

حديث عن الهنـــــد

بقلم امين الغريب

◆

في هذه الايام والهند قبلة انظار العالم ، لا بأس في القاء بعض المعلومات الدقيقة عن الحياة فيها ، تنويراً لاذهان المطالعين والباحثين :

الهند بلاد واسعة مساحتها ٣ ملايين كيلومتر مربع . وعدد سكانها نحو اربعمئة مليون . يتكلمون بمئتي لغة مختلفة . وقد احتلها الانكليز منذ عام ١٧٥٣ لكنهم لم يحاولوا نشر لغتهم فيها . بل تعلموا هم لغات الهنود . ولما عقد هؤلاء الهنود مؤتمراً منذ بضعة عشر عاماً واردوا وضع دستور للهند على ان يسعوا لتحقيق استقلالها خافوا التحاسد ما بينهم على اللسان الذي يوضع به . فعمدوا الى التفادي باختيار لغة يقرها الجميع . أفتدري اية لغة اختاروا ؟ — الانكليزية !

موظفو الانكليز في الهند

اما الانكليز فقد انشأوا مدرسة عليا في بلادهم لتعليم الذين يهيئونهم للذهاب الى الهند وتقلد وظائف في حكومتها . وفضلوا حصر الوظائف في ابناء الموظفين لتشبع الجو الذي نشأوا فيه والهواء الذي تنفسوه من روح الهند . فيدرس التلاميذ تاريخها المسهب ، وجغرافيتها المفصلة ، واصول دياناتها الوثنية والاسلامية ، وقوانينها الدينية والزمنية . كما يدرسون المنطقة التي سيستوطنونها . ويخضعون لامتحان صارم قبل الابحار اليها . حتى نساء الموظفين اللواتي لا شأن لهن في الادارة ترغبهن الحكومة في درس الامور الضرورية لهن هناك . وتجزي الناجحات بضروب من المكافآت . ولا يتناول الموظفون الانكليز في الهند مرتبات عالية . ففي عام ١٩٣٠ كان مرتب القاضي الانكليزي او الوطني على السواء ٢٦ جنيهاً في الشهر .

اقسام الهند الادارية

والهند قسمان احدهما يحكمه الانكليز مباشرة ويبلغ ثلثي مساحتها . والثلث الباقي يحكمه الملوك والامراء حكماً وراثياً . ولكي تتصور اتساع الهند نقول ان هذا الثلث الاخير يقسم الى ٧٠٠ مقاطعة مستقلة في ادارتها . بعضها كبير كحيدر آباد التي تساوي حجم انكلترا ووايلس . وبعضها صغير لا يزيد عن بضعة اميال . وألقاب الامراء مختلفة كنظام حيدر آباد ، ومهرجاه كشمير ، ومهرجاه اوديبور ، (وهؤلاء يملكون حق الحياة والموت) ونواب بهوبال ، وجام صاحب توانجار . وكل هؤلاء ملوك . ثم امراء يدعون راجاه وبونياه او تاغور او جاجردار وهلم جرا . ثم تقسم هذه المقاطعات في دورها الى قسمين : ذات التحية ، وهي التي يحيا ملوكها باطلاق المدافع بعدد يتناسب مع اهميتها . وغير ذات التحية ، وهي المحرومة من هذه المزية . وحاكم هذه الاخيرة يدعى في الغالب زعيما .

من هذه الممالك خمسون تربطها بانكلترا معاهدات دفاعية هجومية . ومنها ما يحتاج حكامها الى سند خطي انكليزي يؤيدهم (كالفرمان العثماني) . وبعضهم ينضوي عدة منهم بسند واحد . وبعضهم ينتمون الى مقاطعات كبرى . والحكام مختلفون في طبقاتهم الاجتماعية واديانهم ، وعناصرهم ، ولغاتهم . وقد تنتمي الى حاكم واحد عناصر متعددة ولغات كثيرة . فحيدر آباد ، وبهوبال ، وبالنبور اسلامية . وبوربندار ، واوديبور وغيرهما تعود في التاريخ الى ابعد من ٥ آلاف سنة . وبعضها حديث كطوبنك وبنارس ألفه الانكليز تبعاً لمقتضيات الحال . وقد يكون الحاكم غنياً كبيراً نظير مهرجاه اندورا . لكن ذلك لا يعليه في شرف الاصل والفصل الى طبقة امراء راجبوت الصغار فهؤلاء لا يصاهرونه . كما ان اكابر الامراء لا يقترنون بالاوربيات كيلا يحول ذلك بين ابنائهم وبين العرش . اما المسلمون فيقترنون احياناً باوربيات . اما امراء راجبوت الصغار فيعدون بمولدهم ومنظرهم واخلاقهم ازهار الهند الناضرة . لكن عددهم لسوء الحظ يتناقص . ومن مفاخرنا الخاصة ان كتاب الانكليز عند الكلام عنهم لا يجدون لهم اشباهاً في الفروسية والشهامة الا العرب . وهم يفخرون بمولدهم . وقوانينهم في الزواج صارمة حتى ليعسر غالباً ان يجدوا لهم اصهاراً اكفياء . فلذلك شاع بينهم قتل الاناث من اطفالهم شيوعاً كاد يستأصلهم قبل ان استأصل الانكليز هذه العادة منهم .

طبقات الهنود

اول ما تصطدم به عين الاجنبي في الهند بروز الفوارق والمميزات بين الطبقات . فالبرهمي اهم من البنغالي . والبرهمي المقيم في البنغال يفقد بعض مزاياه بالنسبة الى براهمة كشمير . ولا تقتصر الفوارق على المتقدمين في الهيئة الاجتماعية . بل يذر قرنها في كل مكان حتى بين الخدم والحشم . فالطاهي في المطبخ يأنف من غسل القصاع . وغاسل الصحون لا يخدم على المائدة . وخادم المائدة لايكنس الارض . واي من قام بعمل غير مقرر له يفقد شيئاً من مكانته في نظر الباقين . وهكذا الحال بين الجنسين . فالذكر اوجه من الانثى . واذا جيء بردائين ثقيل وخفيف كان افضلهما للصبي . وعن هذا الاهمال للبنات تزايدت وفياتهن حتما . وزاد عدد الرجال، فلم يبق للعوانس من اثر . ثم جاء هم الانكليز حكاماً وفيهم ميل فطري الى التجنب والامتناع . فدعاهم الهنود « البراهمة البيض » واعلوا مقامهم على براهمة الهند السمر النحاسيين . واعلى رجال الهند على الاطلاق « السادو » Saddhu الذين زهدوا في الامور الدنيوية . يقابلهم عند المسلمين « الفقيرون » فالسادو يعدون بالالوف . لكن اخصهم وارفعهم مكانة البوجيون . وهؤلاء لا يزيدون عن عدد اصابع اليد . ولا يميزون عن سواهم لان تمييزهم يقتضي بعض الرقي الروحي في من يحاوله . اما الذين يأتون الينا احياناً بصفة سادو وفقيرين فمقلدون كذبة . لان الحقيقيين المخلصين منهم لا يتجاوزون حدود الهند . وطرائقهم تنتقل من المعلم الى التلميذ شفاهاً . والسادو يطوف البلاد مكتفياً بثوبه الواحد وما يقدم له المتعبدون من طعام وشراب . فيتقاطر الناس اليه مستلهمين مسترشدين . ويأتيه الملوك مستشيرين متبركين . وهو قليل الكلام ، حكيم ، واسع الاطلاع . لا يتقاضى عن تعاليمه اجراً ويجتنب التظاهر ، ويرفض التكريم لانهما يضران بروحه .

الفوارق بين طبقات الهنود

وقد ذكرنا المميزات الفارقة في الهند . ولكي تدرك اهميتها نسر اليك همساً عدد الطبقات المتفاوتة في الهيئة الاجتماعية . فليست هناك طبقات ثلاث نبيلة ، ومتوسطة ، ووضيعة . لا لعمري . بل ثلاثة آلاف طبقة مختلفة ، تبدأ بالبراهمة ، وتنتهي الى الباریاه وهم المنبوذون . وليس هؤلاء المنبوذون قلالا . بل يبلغ عددهم ستين مليوناً من البشر الادميين الذين يعدهم مواطنوهم مدنسين ويستنكفون من النظر اليهم ويستفظعون ملامستهم . وفي امثالهم السائرة : « لا يعقل الباریاه ما لم يضرب » . ولا يعلم احد كم وكم تعاقب من الاجيال والباریاه يتحملون هذا الاضطهاد حتى الفوه . وصار عندهم طبيعياً لا يستنكرونه ولا يعجبون مثلنا له . عندنا المال يتوصل احياناً الى طلى سحنة صاحبه بصباغ من النبل يزيل الفوارق الاجتماعية . اما في الهند فاموال قارون لا تمكن « منبوذاً » من يد فتاة برهمية . والفوارق الاجتماعية في الهند كالعادة في البدن لا يزيلها غير الكفن . لان ولادتك في طبقة منحطة عقوبة سماوية لك على شرور اقترفتها ايها الشقي في حياة سابقة . فكيف ترقى من هذه الطبقة الى سواها بوسائل ارضية . وكيف تعفي نفسك من العقاب رغم انف الآلهة الذين قضوا به عليك ! اما البنات في سوق الزواج فسلعة لا رأي لها . قد تخطب الواحدة لعريسها قبل ان تولد ، وبعد نموها لا تنقض كلاماً ابرمه ابوها . وتعدد الزوجات مباح . اما ان يكون في صدر الفتاة الهندية قلب يحب ويهوى فهذا غير معقول هناك . والسيدات الفاضلات ينحصرن في منازلهن لا يغادرنها طول العمر . ويعدل بسبعة عشر مليوناً عدد المخدرات المحبوسات هكذا لمزيد افتخار رجالهن الكرام . هذه الطريقة تدعى « البودرة » ولا تقتصر على الهندوكيين بل تتناول غيرهم ايضاً .

على ان اهم عادة تتعلق بالنساء المتزوجات في الهند فتدعى « سوتي » اي وأد الارملة مع جثة زوجها .

اين تموت المرأة لموت زوجها

حقاً ان الرجال مهمون في كل مكان — على ما تعتقد النساء . لكنهم في الهند اهم واعلى في نظر زوجاتهم منهم في غير اماكن . لان المرأة هناك اذا مات زوجها لم تتخل عن زخارف الدنيا ومبهجاتها حزناً وحداداً عليه . بل تخلت عن الدنيا جمعاء ورافقته الى الابدية رأساً . وفي شمال الهند يحرقون موتاهم . فكانت الزوجة الشابة الممتلئة صحة ونضارة تدخل النار مع جثة رجلها مختارة . فيطيران في الجو دخاناً قاتماً كريه الرائحة .

ومما يستحق الذكر ان امبراطرة المغول الذين حكموا الهند بذلوا جهوداً جبارة لمنع الرعايا من هذا العمل البربري . ولما دخل الانكليز البلاد استنّوا لانفسهم عدم التدخل في العادات الجارية والتقاليد المأثورة . لكن تذمر الاجانب من هذه الامور اثار الرأي

العام في لندن سنة ١٨٠٥ فظلت الحكومة البريطانية ٢٤ سنة حائرة في امرها . واخذت تكلف المأمورين ليمنعوها دون قانون . على ان الحوادث تتابعت وتزايدت في بنغال خصوصاً واخذ المرسلون المسيحيون يبذرون بين الهنود بذور الاشمئزاز منهـا . فاصدر الانكليز قراراً بمنعها في ٤ كانون الاول ١٩٢٩ وخشوا من شبوب ثورة في الجيش الهندي وهياج بين الاهالي . فاحتاطوا لذلك بتدابير شديدة . لكن الامر انقضى بعريضة احتجاج امضاها ثمانمئة من اعيان البلاد .

على ان الاهالي خالفوا القرار مراراً . ولا يزالون يخالفونه كلما تيسر لهم ذلك . فدفن الارامل مع رجالهن معدود هنـاك من ادلة الشهامة وعزة النفس في النساء . ومنع الارملة منه يعادل مراودتها عن نفسها وشرفها . وفي التاريخ ان الوطنيين في شيتو كانوا يدافعون دفاع اليائسين عن حصن راجبوت . وازفت الساعة لخروج الرجال من القلعة بهجوم على موت مقرر . فاوقدت نساؤهم ناراً وولجنها بطيبة خاطر تاركات للهند تذكاراً رائعاً . والى يومنا هذا لا يزال الطريق الموءدي الى تلك المدينة الخربة مزروعاً قبوراً نقشت على كل منها يد امرأة للدلالة على ان هناك بقايا مهجة من مهج الجنس اللطيف حملها اخلاصها لزوجهـا على مرافقته ، بل على سَبقه وقتئذ ، الى الديار الابدية . وهذه الاثار الخالدة لاتزال وافرة في اواسط الهند .

اما الكبراء فكانوا يتنافسون في كثرة عدد النساء اللواتي يمتن مع زوجهن الواحد . ورب حاكم او زعيم مات معه سبعون زوجة . وفي فيجايانجار من الهند الجنوبية ملوك مات مع كل منهم ثلاثة آلاف امرأة في شرخ الشباب . ولا تزال محفوظة تقارير الشهود الاوربيين عياناً كيف كان امام كل ملكة رجل يمشي الى خلفه حاملاً لها مرآة كبيرة تنظر فيها الى سحنتها كيلا يغيرها خاطر من الجزع قد يخطر لها وهي سائرة الهوينا الى الضريح .

في تشرين الثاني ١٩٢٧ (منذ ١٥ عاماً) قاوم جمهور الاهالي في بيهار فرقة كاملة من البوليس وحالوا بينها وبين امرأة كان البوليس يريد منعها من الصعود الى الاالة المنصوبة لاحراق جثة بعلها . لكنها عندما لذعها اللهيب فرت من الحريق وارتمت في نهر قريب . على انها وقد نجت من النار ، لم تجد طبيباً يرضى بمعالجتها في اليومين اللذين قضتهما قبـل ان ادركتها المنية . ولما حكم بالسجن على الشيوخ المتهمين بتحريضها على الاحتراق ، احدث الحكم نفرة عظيمة بين الاهالي . والمفهوم من تعليل هذه العقلية ان الهندي اذا مات تعست ارملته جداً بين اهله واهلها على السواء ، وضويقت في عيشها مضايقة تفضل عليها الموت واياه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخلافات الطائفية

وهنالك الثيران والابقار المقدسة سبب خلاف دائم بين الهندوكيين الذين يعبدونها ، والمسلمين الذين يذبحونها ويأكلونها . تتجول في شوارع كلكوتا مثلاً حرة طليقة ناثرة على الارصفة والابواب اقذاراً مقدسة يعج فيهـا ذباب مقدس ناشراً مكروبات مقدسة بين مليون ونصف من سكانها المقدسين ! . وقد يتأتى لثورين ان ينسيا هنيهة جلال الالوهية ويتصادما في عراك مستطيل فيستوقفا حركة الشارع . او ينطرح احدهما ناعساً على مدخل المصرف فيمتنع الناس من دخوله حرصاً على راحة الاله النائم ، وتفاديا من ازعاجه .

تطهير النفس والجسد

وفي الهند طقس آخر عظيم الشأن يدعى كمباهيلا . وهو الاغتسال في مياه تريباني اي ملتقى الانهر الثـلاثة لتطهير النفس من خطاياها والجسد من عاهاته . يقال ان مياه سارسواتي النهر الخفي تنبثق من تحت الارض مرة كل ١٤ عاماً . فتلتقي بمياه نهري الكنج وجوما في مدينة « الله اباد » . وفي الاسبوع كله الذي يكتمل فيه بدر كانون الثاني من تلك السنة يجتمع في النهر نحو ١٧ مليوناً من رجال متشحين بالبياض الناصع ونساء رافلات في ثياب بنفسجية يتقدمهم امراء وملوك ساحبين ذيول الخز والديباج والبرفير والارجوان . وتزعم الاساطير الهندية ان ثلاث بنات للملك حملايا سيد الجبال المعدودة سطح الارض ، ترمز هذه الانهر بأسمائها اليهن ، ذهبن منفردات الى الله اباد وتكلمن عن ابيهن وجبروته ، وكل فتاة بابيها معجبة . وبعـد ذلك اصبحت سارسواتي تنبثق من الارض كل ١٤ سنة مرة لتجتمع بشقيقتيها . والمستحمون يسمعون حبابها فائراً من الاعماق . ولا يبالون بالبرد القارص في شهر الصقيع والزمهرير وكل هندي يتعذر عليه حضور هذه الحفلة في موعدها البعيد يستعيض عنها بالاستحمام ايان شاء في مياه الكنج وحدها في مدينة بنـارس لينظف جسده ونفسه من الامراض والخطايا . وكلهم يكرعون الماء بلذة اثناء الاستحمام مع انه ليس في الدنيا نهر اقل نظـافة من الكنج . اذ ليس على ضفافه من مراحيض لعشرات الوف المستحمين كل يوم فضلاً عن مئات المرضى المدنفين المحمولين الى بنـارس

ليلفظوا انفاسهم الاخيرة فيها ، فيأمنوا مشقة الرجوع الى هذا العالم وشقائه . فالهندوكي لا ينقضي دوره على الارض حتى يموت في بنارس ويذرى رماده في الكنج المقدس . وبنارس اقدم عهداً من رومية بستة قرون . ولا دين في الهند الا له معبد فيها . وكل سطوحهامواطيء لاقدام الآلهة . لكنها ليست ذات تاريخ . فالحياة في عرف اهلها حلم لا يستحق الحفظ والتدوين . واذا تعذر على الهندوكي الاستحمام في بنارس فني دلهي او نيزاك .

مدافن بمباي

في بمباي رابية تدعى ملابار على قمتها روضة تحيط بابراج الصمت الخمسة يدفن فيها البارسيون موتاهم . محيط اكبرها ٢٧٦ قدماً وعلوه ٢٥ وهي مسقوفة تحيط ببئر مجهولة القرار مدار فوهتها ٥ اقدام . وفي الجدار المحيط بها رتاج حديدي يفتح على المدافن الخمسة . وفوق هذه الابراج الصامتة تحوم اسراب من الرخم (اي الشوح) الجوارح تبلغ المئتين عداً فينظم البارسيون جثث موتاهم على افاريز في الابراج عارية كما خلقها الرب ، الاول للرجال والثاني للنساء والثالث للاطفال . وتنتظر الرخمات الضارية ان يغلق الباب الحديدي فتنقض على الجثة وتنشب مناسرها في لحمها حتى تأتي عليها ثم يأتي الحراس فيزجون العظام في البئر . ومعدل ما تنال الرخم ٤ ولائم كل يوم .

وهنالك طقوس كثيرة غير هذه ينفر الذوق الاجنبي منها ويتمنى نابهو الهنود لو يقضي الانكليز عليها لعجزهم هم عن معالجتها ومكافحة التيار الاهلي في شأنها . لكن الانكليز يأبون التدخل في ما لا يعنيهم . ولا يمنعون الا اموراً حيوية كاحراق الارامل وما شاكله من ضروب التعدي على الحياة .

غاندي

ولد غاندي في بيئة راقية واسرة غنية من البراهمة في ٢ تشرين الاول ١٨٦٩ واسمه الكامل موهنداس كرمشند غاندي . اما مهاتما فكلمة هندية تعني « الصالح » . ولا يزيد وزنه عن ٤٥ كيلوغراماً . ولا يأكل الا لبن المعز والتمر . كان والده وزيراً ، وامه تقية صالحة ، وقد تزوج يافعاً ، ورزق ولداً هو الان في سن الشباب . وتلقى علومه في جامعة لندن . واخذت امه عليه المواثيق باجتناب الخمر واللحم والنساء . فحافظ على هذه الوصايا . وعاد الى الهند سنة ١٨٩٣ ومنها ذهب الى افريقيا الجنوبية حيث اشتغل في المحاماة . وعكف على درس العلوم الهندية القديمة واقتبس منها الحكمة .

وكانت في جنوب افريقيا جالية هندية عددها ٥٠ الفاً يسامون انواع الاضطهاد فوقف جهوده على الدفاع المعقول عنهم وتحسين حالتهم ورفع مستواهم العقلي والخلقي . وفي بداية الحرب العظمى اعتقل واعيد الى الهند بعد ما قضى في ناتال وجوارها زهاء ٢٠ عاما .

وكان يحب الانكليز بعد رشفه من مناهل ثقافتهم العالية ، وآزرهم في الحرب مؤلفاً فرقة من نقالة الجرحى . وبعد ذلك اخذ ينشر في بلاده افكاره الاجتماعية ويحث قومه على تحسين احوالهم الاقتصادية بصنع البضائع بدلا من جلبها من الخارج . وكان يغزل القطن لثيابه بيديه . وتمادى في ميادين السياسة بالاعتراض على ضريبة الملح وحمله الهنود على صنع ملحهم لانفسهم . وهذا ما دعي بالمقاومة السلمية . وكان في شبابه يتقن منظر ثيابه . اما الاسمال التي يظهر بها الان فقد قصد بلبسها ، وهو برهمي نبيل ، التشبه بجماعة البارياه المنبوذين توسلاً الى جمع الطبقات الحقيرة حوله واستمالة الجميع اليه . على ان دعوته الى العصيان باللين والتؤدة لم تكن تتحقق دائماً فيلجأ قومه الى العنف . ولهذا حكم عليه بالسجن ٦ سنوات في عام ١٩٢٢ واجريت له عملية الزائدة المعوية ايام السجن سنة ١٩٢٣ وفي اوائل العام التالي عفي عنه . ولم يلبث ان عاد الى تسبيب المشاغبات بدعوته فاعتقل ثانية عام ١٩٣٠ واخليت سبيله في شباط ١٩٣١

وقد تساهل الانكليز معه كثيراً فدعوه الى مفاوضتهم في لندن مع بعض زعماء الهند ، فاجتمعوا وتباحثوا . ولكن اختلاف شجر بينه وبين اغا خان زعيم المسلمين على حقوق الاقليات . فطلب غاندي تأجيل جلسات المؤتمر الى وقت آخر . وعند ذلك نصح مكدونلد رئيس الوزارة البريطانية مندوبي الهند بالاتفاق ما بينهم او تحل انكلترا المشكل بمعزل عن آرائهم المتضاربة . وهم لا يجهلون طبعاً كم يضر اختلافهم بهم . ولكن احقاد العناصر الساذجة ، تحتاج كي تبرد ، الى زمن طويل .

ابن الغرب

الشاعر

كفّن اليقظة بالرؤيا وتاهْ ... شاعرٌ كل المنى بعض مناهْ
تنزف البرهة من ايامه ... ألماً يعصر للناس جناه
ايّ فجرٍ لم يشيّع مرتجى ... صاغ في الليل مفاتيح دناه
ايهِ كم مدّ الى النعمى يداً ... وتمناها ، فمالت عن مناه
هو في دنياهُ كالوهم فلا ... فكرةٌ ضمّته او قلبٌ وعاه
جرح القلب هواه فانثنى ... شاكياً يفضح للغير هواه
ظنّ مسكيناً عرته جنّةٌ ... فمضى يرجم في التيه خطاه
ليتهم يدرون كم من جنةٍ ... اشعلت للكون مصباح هداه

ايها الشاعر ، غنّ نغماً ... أسكر النفس ، ولم يبرح صداه..
غنه اياذة من هومر ... امرعت والدهر لم يدرك صباه
غنّه ما شئت ... كم قيثارة ... ابدعت في عالم الفكر الآه
سائل الاولمب من لبنان، من ... ملعب الاغريق عن امس بناه
تتحدّى العبقرياتُ به ... صولة الدهر وتُملي ما رواه ...
صوراً للفتح لم يحلم بها ... قائدٌ كرّز في النصر لواه
هوذا الشاعر رمز الحق في ... عالم ضلّ عن الحق وتاه
يصلب النفس ليفدي انفساً ... مرغت في شهوة الحسّ الجباه

بوسف الخال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهي طفولة

الخفقة الاولى

بقلم صلاح الاسير

الصداقة

في عرف الناس ، هؤلاء السذج ، صلات يشترط فيها التبادل . ولا تنس كلمة « يشترط » فالدنيا عندهم قائمة على قرني الكلمة هذه ، وانا لا اعرف اننا كنا في العهد الذي جمعتنا فيه يد الفكرة ، على تبادل ، فانا اقبلت على تلك الدنيا من النافذة وظللت انت على سيف الشاطىء تحارين في تعليل دنياي التي شارفتها انت ، وظل شوقي يدنيك من جدرها العالية — ودنياى لها حيطان — واذا بك تغرقك النسمة ، وتدمي خديك الكلمة ، وتذهل عينيك دنيوات تروح وتجيء ، وكنت بعد في الثالثة عشر من عمرك في منطق الناس ، وكنت عندي تطأين وصيد شهرك الاول ، ابارك لك النقلة من يوم الى يوم ، وعيناك السوداوان ذاتا الالوان المجنحة ، تدفعان بي اليك ، وكنت تنوئين بجو لا عهد لك به من قبل ، فتفتحين النافذة وتتلاشين كسائر الناس ...

حتى اذا آذن الفضول بعودتك ، رجعت وفي نفسك اسفاف الجماعة ، يتخذ على وجهك غشاوة لا ظلال لها ، فكأن السويعات تفعل بك ما تفعله السنون بسواك ، فتجلسين الي وينبشق فمك عن سؤال او سؤالين ، لا تعرفين كيف ترسلينها على لسانك ، ولعلك بعد في غربة النفس تهذين ، فاستوضحك ، واذا ايضاحك يعتم ما كان نيراً في سؤاليك وتنسين انك سألت منذ هنيهة ، في الاونة التي قرعت كأسك بكأسي ، واذا كأسك فراغ موحش يودلو يحتضن من جديد خمرة جديدة ، وكأسي يحلو فراغه ، وانا في السكرة البعيدة ، في زاوية ذلك المربع الذي كنا نرتاده في كل يوم ، اذهب بك الى دنياي ، اعريك من برود رآك فيها الناس ، واحسبهم احبوك في ثيابك ، وعلى شاطىء الكأس تتلألأ عريتك ، واطوف عبر الهواجس ، وتوقظني كلمتك المرنة . « لم يعد ثمة وقت ! » وتتركين دنياي من جديد ..

*

في كتاب الذاكرة صفحة عادية ، اود ان اطلعك عليها فاعرض بذلك هنيهة بعيدة الاثر في حياتي انا على الاقل .

في امسية حلوة ، من امسيات ربيع عام ١٩٣٥ ، شاقني الجو فدخلت دار « الروكسي » واخذت اجيل نظراً حائراً في جمهور القاعة ويتقلب النظر ، ذات اليمين وذات الشمال ، واذا فتاة تصرح عيناها في وجهها تدخن في لا مبالاة ، عند الزاوية الشمالية الشرقية ، وما كانت لترى حرجاً وهي بعد في فترة القلق بين طفولة وفتوة ، في التدخين على مرأى من الناس وانا في العادة مولع بالذين يعرفون كيف يظهرون مساوئهم على وجهها الخالص ، فلا يتكلفون مسايرة البيئة او مصانعة الباصرة ، وقد يعجبني فيهم حبهم للظهور على المألوف ، فهم ابداً في الطريق الى امور غامضة توضحها ايامهم المتعاقبة ، ويسلمون ابداً في لجة الزمن .. كانت صاحبتي تدخن ، وتتخذ هالات الدخان حول وجهك الحمري اشكالا بارعة ، توحي اندفاعاً ويقظة ووعياً ، وتوحي فوق ذلك كلفاً بالفضول والتفكير ومثارات الالوان النفيسة ، فاخذت اعنى بك واحدق فيك ، وارسل النظرة غب النظرة حتى اذا غمرت العتمة القاعة ظل وجهك يتلألأ ملء الظلمة على سحر وفتنة غير كمينين .

وتعلمين ياصاحبتي انه لا بد من وقت تستريح فيه العيون على الضوء ، في دنيا الخيالات ، والصور الرافلة المتحركة الناطقة ، فلما كان ذلك الوقت خرجت تاركا لنفسي حرية السير في السبيل الذي تهوى على غير هدى ، واذا بي على مقربة من تلك الفتاة .. تمثال لأبولون .. تكاد تكون اكثر روعة ، لون الشروق .. فيها ما يوحي وما .. التعريف يذهب بكل ما فيها .. حتى اذا غمرت العتمة القاعة الفيتني مسمراً الى جانب مقعدها اشهد ولادة فكرة كان مخاضها عسيراً .. واني لاذكر ان فلماً شهدته في تلك العشية خالد ابداً في حياتي خلوده في كل ما كتبت ولم يكن لدى اي شيء اقول ، وكنت فراغاً من كل هم ، حقاً ان مخاض فكرتي كان غريباً ، ولكن نضوجها كان اكثر غرابة وغربة في نفسي . وخيل الي انني عرفتها ولم تلق شفتاي اسمها ولكن صدى اسمها يرف في اضلعي حلواً عذباً ، احار في وصل ما انقطع بين عقلي الواعي وعقلي الباطن . وتتردد في نفسي اصداء مختلفة الاختلاف كله ، وعيناي بعد اطبقتا عليها مخافة انفلات عوامل ممتازة انيقة ، توفرت جميعها لتسهيل ولادة .. ماذا .. لا كن مبالغاً ياصديقتي .. ولادة عبقرية جديدة .

سوف يضحكك التعبير ، ولكن في ذلك عزاء لك من حيث لا تعلمين وانا اكره لك هذا الجهل ، فني رفلة الفراش على فم الزهر تيه عرفان النفس وما يرخي الفراش على الزهر من جمال وفكرة ، ولهو بريء ، الى غير ذلك من فضول الفراش ونزقه .. انه يعرف انه

شيء ، وشيء رائع معطاء يرنح الزهرة ، ويهدهد فكراً ، ويموت على فم المصباح ضحية ادعاء جديد في دنيا اللذة .. فلما انتهى عرض « الفلم » اخذت اتمهل في الخروج مرافقاً كل حركة تبدو منك ، فأخذت انت الحافلة في الطريق الى منزلك ، وتركت لقدماي صعودها الحافلة ، يواجه مقعدي مقعدك ، وعلى شفتيك اصيل وشفق يؤلفان معاً بسمة خفرة ، وفي يدك علبة انيقة للسكائر ، ترقص بين انامل وتزهو ، وتنشق عن لفافة تشعلينها بمهارة التجريب والخبرة ، ولم يكن ثمة ثالث في الحافلة ، فهؤلاء الذين يروحون في شوارع العيش ويجيئون ، لا يستطيعون ان ينالوا شرف احصائهم في نسق ممتاز ، يعرف رونقه وما آتيه ، اذن فلا ثالث في الحافلة .

مدرسة القرية

ويقول لي سعيد « الا تزور الشيخ » فاضحك واتمنى عليه ذلك ، ويعود بي الحنين الى عشرة اعوام مسح عليها الفناء ، ايام كنا نأتي في الصباح الى مدرسة الشيخ ، واستفيق على صوت السعيد وهو يثب وثبة العصفور الظامىء الذي هبط العش ! . دونك مدرسة شيخنا .. وهاك الشيخ .. وكأن قول غانم اثار في نفسي اضطراباً لا عهد لي به من قبل ، فأضحك ، واحاول ان لا اظهر سعيد على حقيقة ما في نفسي ، فيضحك هو الاخر ، ولعله فقه لضحكي سبباً ، ووقفت انظر الشيخ وهو يسير قرب « كتّابه » متمتماً عابساً كعادته يعلو صوته آناً ويخفت آناً ، وهو فخور بما منّ الله عليه من علم وافر ، وصوت ماتع يهدر آناء الليل واطراف النهار ، وكأنه يخاف ان هو اراح نفسه ان يذهب الله بصوته ويبدله صوتاً آخر ، فهو كلف به حريص عليه ، ثم يرانا فيعتدل في قامته ويحاول ان يخفي ما به من عناء وعجز ظاهر ، وشيخوخة بادية .. واتقدم من ذلك الشيخ الصالح اقبل يده ، في احترام وشوق ، واذكر انني في يوم من الايام كان الشيخ لي « بوماً » وجعلت احدق فيه فأراه صورة مجسمة رائعة للماضي ، وينشق السوءال عن فمي قسراً فأسأله عن حاله فيقول لي ، انها هي نفسها لم تتبدل ، فهو ما برح كلفاً بتهذيب اطفال القرية محباً لهم عطوفاً عليهم .. وجعلت القي نظرة على الاشياء الموجودة في غرفة الشيخ ، فاذا هي قطعة من التاريخ لا تزال حافظة لعهدها القديم ، فالطاولة واحدة والحصير واحدة ، والقصبة والدواة وسجادة الصلاة ، هذه كلها ثابتة على الزمن ليس يعروها فناء او استحالة .. وهنالك تحت « اشجار الزيتون » الدائمة الخضرة ، مسرح احلامنا في الامس ، كنا نجلس للتآمر على معلمنا الطاهر ، وعندما يبتلع البحر الشمس وتسقط العتمة ، وتفوح العطور والاندام ، ويعرو الفضاء سكون رهيب لا يعكره غير طنين الصراصير وصلصلة الاجراس الخافتة ، ونفيق الضفادع من قمة الجبل ، كنا نقترب من حجرة الشيخ نقذفها بالحجارة ، فيخرج شيخنا فنضحك منه ، لانه لم يكن يرى لنا مكاناً فبعضنا يتسلق شجرة الزيتون القائمة فوق حجرة الشيخ ، وبعضنا يدور حول منزل الشيخ القديم ويقف على اطلاله الدارسة ، وبعضنا يدخل حجرة الشيخ عند خروج الشيخ منها في البحث عن هؤلاء الذين يقلقون امنه ويعكرون عليه صحو ليله الذي كان يقضيه بترتيل ما تيسر من «الكتاب» . وكنا نعود بعد ذلك الى المنزل فوجاً غب فوج ، فنسير بخطى متثاقلة ، وقد افعمت قلوبنا حبوراً وهناء ، نفكر في سذاجة بالشيخ الذي كان صورة كاملة لجيل آن له ان يهم بالرحيل ، ونفكر في اخلاقه ، وهو مع ذلك صابر على ما يناله في غير اكراه ولا مقت !.. اراه الان وقد اشتعل رأسه شيباً ، فاذكر ايامي تلك وكيف كنت اعبث بهذا الشيخ الهرم الخرف ، وانظره يستلقي بقامته الطويلة في اهمال وفي غير اكتراث ، على الحصير العتيقة ، وهو يمعن النظر في الاغنام العائدة الى حظائرها يحدوها سلطان الكرى ، وتوقظها عصا الراعي الدائمة اليقظة !! ويقص علينا الشيخ بعد ذلك ، ما علق بذاكرته من اعمالنا ، فارتاح الى حديثه ، وأرهف اذني الى سماع كل كلمة تخرج من فيه لانني ارى في حديثه هذا شيئاً مني طواه الزمن فينشره امامي الشيخ نشراً ، ويسألني عن المدينة ومدارسها ، وعن طرائق المعايشة فيها فأضطرب واجيبه : — لو انني خيّرت بين البقاء في « كتّابك » على الذهاب الى جامعات المدينة لفضلت « كتّابك » فلقد طعمت من هذا الغذاء الدسم عشرة اعوام كاملة ، فما افادني شيئاً ، واراني احترم هذه الحجرة ، التي تعلمت بين جدرانها ان الارض مسطحة لا تدور ، منها الحياة واليها الرجعة ، وما عدا ذلك من الآراء هراء لا محصول وراءه !. ويلفح نسيم المساء وجهي ، فاشعر بقشعريرة تهزني هزاً ، فأودع الشيخ ، وأعود وسعيد ، وانا غارق في بحر التأملات ، يخلع عليه خيالي بهاء الطفولة ، وعواطفي سارت في الطريق الى القلب البعيد ، اننا كنا في دنيا الطفولة كالوردة الندية فوق الغصن المخضل في رونق الربيع الصاحي ، نرى الحياة لهواً ومرحاً ، وخفق جناح ، ونحسب الكون يبدأ بحجرة الشيخ وينتهي ما وراء الحقول حيث تخضوضر اشجار الزيتون الى الابد .. ولكن سقطت الوردة ويبس الغصن وزال البهاء ، ولقد عصرت الشمس غصناً حتى بات يابساً لا رطب فيه ، فليتنا اطفأنا نور الشمس بأكفنا من على سطح شجرة الشيخ وليتنا بقينا على قمم شجرات الزيتون اطفالا حتى آخر الابد ..

صلاح الاسير

ديوجينيس

بقلم راجي الراعي

◆

ذلك الفيلسوف اليوناني الكبير الحكيم الماجن الوقح الهازئ، المستهتر ما زال اسمه يدوي في انحاء المعمور وتتجاوب باصدائه عوالم الفلسفة والادب والحكمة والخيال، ومن لا يعرف ديوجينيس الحامل مصباحه عند الظهيرة يفتش عن رجل والمتدحرج ببرميله غير عابئ بالنظام ولا مكترث لاوضاع البشر وتقاليدهم ..

قام في اليونان وقبل اليونان وبعدها وما زال يقوم — والحمد لله — فلاسفة عديدون ولكن لديوجينيس وجهاً يختلف عن وجوههم واسلاكاً تتصل بذروة الشهرة وقلوب الناس وبعد الفلسفة وقة الخيال فهو ذو شعبية عالمية لم تتوفر لغيره من زملائه وهو ابرزهم اثراً وابرعهم تمثيلاً واخفهم روحاً واقربهم الى روح الجماعات وخيالها وكأن اسمه قرن حاد قاطع من قرون الفلسفة يشق كثافة الاجيال غير حاسب لتوالي الزمن حساباً وكأنه ولد امس فها هو اراه امامي وهو مصباحه، مصباح الظهيرة ما زال مضيئاً في وسط هذه الكهرباء ..



ديوجين

ولد ديوجينيس في سينوب، والقرن الرابع قبل المسيح تغرب شمسه ومات في قورنثيه في السنة ٣٢٣ في اليوم الذي مات فيه الاسكندر في بابل. ومن سخرية الاقدار ان تقبض يد الموت في لحظة واحدة على الاسكندر وديوجينيس وهما الماء والجمر، والطمع والزهد، والهول والهزء ..

وكان ابوه هيسياس صرافاً لم يقف عند حد الصرف، فجاوزه الى تزييف النقود. وقد شارك اباه وهو بعد في سن الشباب في جناية التزييف واضطر الى الفرار من وجه القضاء .. واقبل ديوجينيس على ينابيع الفلسفة والعلم في اثينا. وكانت يومذاك منارة الدنيا، يعب منها ما يروي به ظمأ روحه، ذلك الظمأ الذي لا يعبأ بصرف النقود وتزييفها، فاذا هناك الفيلسوف العظيم انتشينه يتلو آياته على الخلق. فأراد ديوجينيس ان يتتلمذ له ولكن ذلك الفيلسوف رده عنه اول الامر ويقال انه ضربه فقال له ديوجينيس: «لن تجد العصا التي تردني عنك مهما غلظت ما دمت تتكلم». فلم يجد انتشينه بداً من التسليم، فرضي بديوجينيس طالباً غير ان هذا الطلب لم يطل به الامر حتى فاق معلمه في المجون ..

قضى ديوجينيس معظم ايامه بين اثينا وقورنثيه وقد يكون انه تنقل بين مدن اليونان مبشراً بمبادئه، متسولا رثيث الثياب، يقنع باغلظ الطعام ويبيت ليله في ساحات الهياكل. وكان يشتم من يصادفه ويعضه كالكلب كما كان يقول عن نفسه، مؤنباً الناس لرخاوتهم ونقائصهم وفارضاً عليهم مذهبه بوقاحة غريبة .. وكان ينظر الى سواد الناس نظره الى مرضى او مجانين ويرى ان الله خلقه ليكون طبيبهم المداوي، لا يعرف غير نفسه ويهزأ بالقدر ويقول عنه:

« انني اراه واسمعه يقول مشيراً اليّ : هذا المخلوق الوحيد الذي لا يد لي عليه ، هذا الكلب الكلبي . »

ولد يوجينيس مواقف وكلمات وحركات شاذة ولكنها رائعة في شذوذها وما زال الناس يتحدثون عنها واليك بعضها :

كان الاسكندر ذو القرنين في احدى غزواته فقيل له : ان ديوجينيس الفيلسوف يضطجع هناك على العشب ويستحم في نور الشمس فعرج الاسكندر لساعته حتى اذا واجه ديوجنيس وقف يتأمله يحوطه القواد ووراءهم الجنود تملأ السهل والجبل ، وكان ديوجينيس يطلب الشمس فاذا بتلك الفخفخة اللجبة تحجبها عنه ، والاسكندر واقف ينتظر من فيلسوفنا كلمة كتلك التي اعتاد وهو ابن فيليب وفاتح الارض ان يسمعها والبخور يتصاعد منها . ولكن أتدري ما شعر به ديوجينيس في ذلك الموقف وما قاله للاسكندر ؟ قال له في حركة انزعاج وتململ : (حد عن شمسي .) فبهت القواد امام تلك الوقاحة واحمرت عيونهم ولكن الاسكندر تلميذ ارسطاطاليس التفت اليهم قائلا : (لو لم اكن الاسكندر لوددت ان اكون ديوجينيس .) فتأمل ما اعلى ذلك الحظ الذي سما فوق سمو الاسكندر ؟ وما اعظم تلك النفس التي لم تكترث لذلك الفاتح وقرنيه ومجاده وطبوله وجيوشه الجرارة ! لقد كان ديوجينيس في عريه على العشب اعظم في ذلك الموقف التاريخي من ابن فيليب وهو على عرشه وقد كسته امجاد الارض .. اجل اجل ، ان كلمة ديوجينيس تلك التي قالها هي اشد مضاء في التاريخ من سيف الاسكندر .. واتفق لديوجينيس انه كان يسير يوماً في الطريق وبيده قصعة لشرب الماء فالتفت فرأى ولداً يشرب الماء من يديه وقد جوفهما فحطم لساعته القصعة التي كان يحملها وراح يشرب الماء من قعر يديه .



اريسطاطاليس

وقيل انه قبض عليه القرصان يوماً وهو في احدى رحلاته وباعوه عبداً في كريت فلما سئل عن مهنته وعمله اجاب : أسوق الناس بعصا السيادة والامر . ثم قال لسائله مشيراً الى القورنثي كسينياد : بعني من هذا الرجل فهو في حاجة الى معلم . فلما اشتراه كسينياد قال له ديوجينس : « اسهر جيداً على ان تعمل ما سآمرك به . » ومع ذلك عهد اليه كسينياد بتربية ولديه ولم يستطع الا ان يطري فيلسوفه العبقري الحكيم ...

واغرب الغرائب في ديوجينس برميله الذي كان يأوي اليه متدحرجاً على الصخور والاعشاب هازئاً بالارض ومن عليها ، محتقراً صغائر الدنيا وزخارفها ومصاحه الذي كان يضيئه في الظهيرة ويسير به في الشوارع مفتشاً عن رجل ، وهل أجمل واجرأ من ذلك المصباح الملحاح الذي ما ينفك يكد ويجد متنقلا بين السهول والبطاح يفتش عن رجله الحجاج لا يكترث للكهرباء ولا تطفئه الرياح .

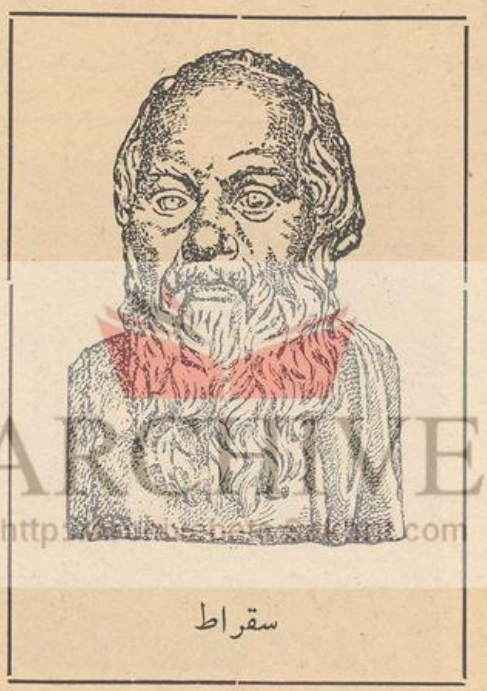
كان ديوجينيس سريع الجواب ذا ذهن حاد وثاب وكان له لسان قاطع جريء بلغ به اقصى الوقاحة فاذا اضفت الى ذلك ما روي عنه من الاقوال والنوادر الغريبة والطريقة الشاذة التي عاش بها ادركت سبب الشهرة العريضة التي نالها ... ويقال انه كتب عدة مؤلفات فيها من الحوار الشيء الكثير ولكن ما ذكر من عناوينها لا يؤمن بصحته ولا يركن اليه .

ما هو المذهب الذي كان يعتنقه ديوجينس ؟

هو مذهب المدرسة الفلسفية اليونانية المعروفة بمدرسة الكلبيين Cyniques وقد اسسها انتشينه في القرن الرابع قبل المسيح آخذاً بتعاليم سقراط وحمل لواءها ديوجنس وكراتيس وزوجته واخوها . وخلاصة هذا المذهب ان العلم النظري لا معنى لوجوده فالعلم العلمي هو وحده الذي يصح ان يؤمن به وهدف هذا العلم ان يسلح الانسان بالفضيلة التي تؤدي الى السعادة هي غاية

الحياة لا تنفصل عن الفضيلة والفضيلة هي الخير الوحيد كما ان الرذيلة هي الشر الوحيد ، والخير الوحيد الذي يمكن اقتناؤه هو ما ملكه الانسان بحيث يبقى لصاحبه ولا تستطيع اية قوة ان تنتزعه من اليد وهو النشاط العقلي والروحي وما خرج عن ذلك كالغنى والشرف والعار والموت انما هو من مقاليد القدر لا من مواليد البشر فما هو بالملك نقتنيه لانه ليس لنا، وان احط الامور واوفرها ضرراً واشدها فساداً في الدنيا هو التنعم واللذة وكان انتشينه يردد دائماً انه يؤثر ان يكون فريسة الجنون على ان تنشب فيه مخالب اللذات . اما العمل فهو خير يرجى لان الانسان يتعلم ان يسيطر به على نفسه ويملك عنانها ولذا كان الكلبيون يضعون انفسهم تحت حماية هرقل حاملين مثله الرداء وعصا من السنديان . والفضيلة قائمة بالحكمة التي تدلنا على ما تطلبه الطبيعة منا وهي لا تطلب الا ان نبقى كما نحن ، مستقلين عن اية سيادة خارجية وبعبارة اخرى الفضيلة هي قبل كل شيء السعي الحازم المستقيم في سبيل امتلاك الانسان فهي تكفي نفسها بنفسها . فالفاضل الحكيم يتجرد من الثروة اذا كان من اصحابها ولا يسعى وراءها اذا لم تكن في يده ويعيش عيشة المتسول ويشرب الماء من قعر يديه ويأكل الخبز الذي يعطاه ويكتفي بالبرميل مسكناً وبالخرقة المثقوبة لباساً ولا يقضي الا الحاجات الطبيعية التي لا غنى عنها ، بابسط الطرق واسهلها ولا يسلم بالزواج والعيلة والحياة العامة الاجتماعية لان ذلك من المزعجات وينكر العبودية لان الانسان لا يحتاج الى انسان آخر ليضبط نفسه ويبقى على حاله التي خلق لها ، وهو يحتقر رأى الناس فيه ويبقى على حاله التي خلق لها ، وهو يحتقر رأي الناس فيه ولا يلتفت اليه البتة وما يهمه ان ينعت بالجنون وهو يعرف نفسه عاقلاً وان من ينعته بالجنون هو المجنون .

هل كان ديوجينس مخلصاً حقاً في تلك المظاهر التي كان يبرز بها امام الناس ؟



سقراط

يقول الفيلسوف بلاتو انه كان في حركات ديوجينس كثير من الكبرياء والزهو والفخفخة والرغبة في ادهاش معاصريه وكان يدعوه سقراط المجنون غير انه لا يسع المنصف الا الاعتراف بعظمته الروحية التي كانت كامنة وراء ثيابه الرثة وبرميله ومصباحه ولسانه ومجونه وغرائب اطواره وقوة ارادته الفولاذية الخارقة التي ملك بها قياد نفسه فنسي جسده وروّض نفسه ما شاء واستطاع ان يتحرر من جميع القيود .

لقد اضحك الناس واخافهم وادهشهم ولذعهم بلسانه وعضهم ولكنهم كانوا يقفون منه اذا ما عادوا الى نفوسهم متأملين مفكرين مخلصين ، موقف الاكبار والاعجاب فان القورنثيين رفعوا له بعد موته عموداً تذكاريا يعلوه كلب من المرمر من بازوس، وكذلك ابناء سينوب ، مسقط رأسه ، اقاموا له تمثالا ..

راجي الراعي

في حديث الشعر

بقلم الياس ابو شبكة

الشعر كائن حي تحتشد فيه الطبيعة والحياة فلا يقاس ولا يوزن ، والنظريات مذاهب واغراض لا تعيش الا على هامش الادب كما يعيش العرض على هامش الجوهر او كما يعيش الديكتاتور الزائل على هامش الامة الازلية . وقد تصح النظريات او المذاهب في كتاب سياسي او وصية سياسية موجهة الى شعب له اوضاعه الخاصة ، وحدوده المقررة ، وثقافته ، وجنسيته ، ولا تصح في شعر يعبر عن الحياة ، فالحياة لا جنسية لها ولا اوضاع ولا حدود ، وهي اوسع من ان نضع لها حدوداً ومقاييس ، والدائرة غير المحدودة لا تنحصر في الحدقة الضيقة .

ليس للفكر حد ولا تخوم فكيف نضع للحياة حداً وهي هدف الفكر ؟ كيف نحدد هذه القوة المتحولة في اللانهاية ، هذه القوة المجهولة ؟ .

ورب قائل ان الانسان دائم الشوق الى معرفة المجهول . وهذا صحيح . على ان الشوق الى معرفة المجهول لا يلزم العقل البشري الا عندما يقتنع الانسان بان ادراكه الحسي للعالم الخارجي لا يكشف له حقايق الاشياء التي يراها ويلمسها ، ويضطر الى الاعتراف بان ادراكاته الذاتية ليست سوى تأثيرات لسبب خارجي يجهل حقيقته . ولكن الجاهل لا تمر في خاطره اية شبهة بشهادة حواسه الذاتية ويعتقد كل الاعتقاد ان الاشياء التي يراها ويلمسها هي الحقائق بعينها . ولا يمكن تحويله عن هذا الاعتقاد لان نظريته في مبحث المعرفة تمثل احط درکة من المادية التافهة . ولانه يصر على ادراكه ما لا يدرك — بل يحس — على ادراكه الحقيقة المطلقة ورؤيته اياها من وراء المظهر المتحول في الحياة .

كيف نستطيع ادراك ما لا يدرك بل يحس لنقيده في دائرة ضيقة من اصطلاحاتنا البيانية ثم نوزعه مذاهب وطبقات هي سياسة الشعر لا طبيعته ؟ أليس من الخرق ان نحاول بلغة وضعية تحديد لغة المجاز والكناية ، لغة الروح ، لغة الحس الوجداني العميق ؟ .

وقد يعمد بعض هواة النظريات الى تحديد الشعر بالطريقة الفلسفية . وفي هذا دليل على شك اولئك الهواة في الشعر نفسه : في جوهر الحياة . فالمرء لا يلزم جانب التفلسف الا عندما يخالجه الشك ، مزعزع الاعتقاد بطابعة المدارك الحسية لحقيقة الاشياء المدركة . وهذا الشك الفلسفي ينم في حد ذاته على الاعتراف بعجز الوسائل العلمية وقصورها . وهذا الاعتراف يرغمنا في نهاية الامر على التسليم باننا لن نتمكن من معرفة حقائق الاشياء بوسائلنا المحدودة ، وان ضعف وسائلنا ناجم عن طبيعة تكويننا الناقص .. وعندئذ يصبح المجهول في نظرنا السر الغامض اي الحد الاخير يقف الذي عنده الذكاء البشري .

هذا هو الشوط الذي تجتازه الفكرة الفلسفية عندما تصدر عن الشك لتخلص الى الشوق لمعرفة المجهول . واذا اضفنا الى هذه البينات التأثير المخيب لتقلب الحياة في هذا العالم ندرك في الحال انه من العبث والجهل الضائع التشبث في البحث عن الحقيقة المطلقة الثابتة وراء مظهر الوجود المتقلب ، وعندئذ يغمرنا هذا الادراك بكآبة عميقة فنفهم السبب الحقيقي لذلك التشاؤم العميق الذي يستولي عادة على الشعراء .

اذن ثمة حقيقة غامضة من العبث البحث عنها لتحديدها ، هي الوحي . واذا كان الوحي حالة من حالات النفس عند تأثرها المباشر بقدرة خارقة وشئنا ان ننكر هذه الحالة انكرنا جوهر النفس ذاته — انكرنا مبدأ الحياة . واية غضاضة على الشاعر ان يكون وسيطاً لهذه القدرة الخارقة ؟ فالانبياء كانوا يتسقطون كلام الله . والقدرة الخارقة ليست منفصلة عن الانسان ، فهي جوهر نفسه . فاذا ارسل الشاعر نظره في معرض الطبيعة واجترت عيناه مشهداً من مشاهد هذا المعرض ثم خبزه على نار هذا الجوهر فيكون قد اعطانا من نفسه ، والنفس هي المصهر الداخلي الخفي لكل ما يحيط بالانسان . فاذا كانت النفس مفطورة على الصفاء وتهيأت لها العوامل الثقافية المكملة تنتج الشعور من ادرانه وتقوم بهذا العمل من تلقائها فلا تكلفنا اجهاداً ولا تعملا ...

قلت ان القدرة الخارقة ليست منفصلة عن الانسان فهي جوهر نفسه ، فعلى هذا الجوهر تنصهر المرئيات وتشترك في هذا العمل جميع الحواس . اذن فالقدرة الخارقة التي يتأثر بها الشاعر هي نفسه ، والنفس قوة لم يدرك كنهها لتحد ، فكيف نثني الوحي الشعري ما دامت

النفس مصهر الشعور ؟ .

وانه لمن الخطل القول بان الشاعر من يستطيع النظم ساعة يشاء وليس الشاعر وقفاً للمصادفة . كأني بهذا القول يريد ان يتزل الشاعر منزلة النجار او الحداد ،يقبل على عمله ساعة يحين موعد العمل او ساعة يريد العمل . وهذا ابعد حدود الخطل وامتهان فاضح لجوهر الشعر .وايان هو هذا الشاعر الذي يصطنع العاطفة اصطناعاً ليعطيك كل ساعة انتاجاً كالنجار يعطيك الخزانة في الوقت المتفق عليه ؟ ايان هو هذا الشاعر الذي لا يتأثر بما حوله ومن حوله ،فلا هجر حبيب يؤثر فيه فيحرك شعوره ، ولا موت صديق او صديقة ، ولا نكبة عزيز ولا كارثة امة ولا فرح شعب ، لا الظفر ولا الانكسار ، لا الذل ولا الكرامة ، لا ربيع الطبيعة ولا شتاؤها ، لا صيفها ولا خريفها ؟ .

واية غضاضة على قريحة الشاعر اذا هي مرت بساعات خدر ؟ افيكون الشاعر ملتزم اشغال في يده مقياس الزمن لانجاز عمله ؟ الايتفق للقريحة ان تمر في ساعات خدر فلا ترى ما تراه في ساعات اليقظة الروحية ، ولا تحس ما تحسه في ساعات التأثر والانفعال؟ والا ففيم لايترك الشعراء من الروائع الا ثلاثاً او اربعاً لا تسلخ من العمر الا قليلاً ؟ .

قال المسعودي : « ان الوحي يتولد على صفاء المزاج الطبيعي وقوة مادة النور في النفس » ولم يقل ما قاله العرب القدماء من ان الوحي يلقن من فم شيطان وان الشياطين تسترق السمع وتلقيه على الالسنة . واضرب مثلاً على ذلك هذا الغدير الصافي لا تشقى العين في رؤية السماء وغيومها وسحبها ونجومها ماثلة في قعره كأن هذه السماء وما عليها هاتف في اعماق نفس الغدير . وللطبيعة الحكم المطلق في تصريف النفس البشرية واثرها الكامل في الحس، وليس في المبرؤات النفسية والجسدية ما لا تحكمه الطبيعة .وفي الطبيعة اسرار لطيفة لا يدركها الحس مهما دق بل يشعر بها اذا قويت النفس ، والنفس مهما قويت لا تستطيع قهر الطبيعة لاقتناص سرها اللطيف الا اذا تجردت من ادران هذا العالم . وهذا مستحيل . فاذا تجردت النفس من هذه الادران بلغت النسبة النورانية الكاملة ، بلغت مستوى الطبيعة ، بلغت ذات الله . والنفس النقية هي الله . على ان للنفس هنيهات تصفو فيها فينعكس عليها من الطبيعة جمال محجوب ، وهذا الجمال يهتف في النفس اسراراً تنطق لسان الشاعر الثقيف بمعان شريفة . وعبثاً نحاول معرفة هذه الاسرار فهي من الغموض واللطف بحيث تدق على ادق حس ، ويكفي ان نسمع من هذه الاسرار ما ينطق ألسنتنا ويفتح اذهاننا لمشاهد نراها بأم العين .

ورب قائل انه لا حاجة لفهم معنى الشعر فالسحر المنبعث عن موسيقاه يؤثر في النفس تأثيراً مباشراً . وربما اراد هذا القائل بقوله هذا ان يعبر عن تأثر النفس بانعكاس الجمال المحجوب في الطبيعة عليها ، ويظهر ان هذا الجمال الغامض انما هو موسيقى الطبيعة تعزف على اوتار النفس معزوفات غامضة من نوع هذا الجمال . غير ان هذا وان يكن حقيقياً لا ينبغي جعله اساساً للشعر ، فالموسيقى هي عنصر من الشعر لا كله ، وهذا العنصر غامض ككل شيء يسمع ولا يرى ، ومن الخرق الفاضح ان نكتفي من الشعر بموسيقاه ونقدم فيه وصف ما لا يوصف على سائر عناصره،فللشعر عناصر متساوية يجب ان تجري كلها في حلبة واحدة فلا تنحط الفكرة عن الموسيقى او الصورة عن الفكرة .

ولا بد هنا من القول ان الشعر يرافق جميع وجوه التفكير ، فالشاعر قد يطرق باب الفلسفة ولا ينحط عن الشعر ، بشرط ان لا يقتحم الفلسفة اقتحاماً فيناقش فيها كالمعلم العالم بل ان يلزم المزاج الفني فيلمع الى الفكرة التي تبدو له بتعبير يستخدم فيه جميع انواع المجازات والاستعارة والرموز بحيث يحدث التأثير النفساني المنشود . وقد يطرق ايضاً باب الزراعة ولا ينحط عن الشعر بشرط ان يهتدي السبيل الى اكتشاف كنوز الطبيعة والحياة ، فالطبيعة هي قيثارة الشاعر ، وعبثاً يحاول الشاعر البحث عن اوتاره في غير هذه القيثارة . والشاعر الحقيقي هو تاريخ عصره ملحناً ، فلولا الشعر ما عرف تاريخ العرب في الجاهلية . ولولاه ما عرف تاريخ الفروسية والكرامات في الرومان ، ولولاه ما عرف تاريخ الاغريق .

منذ اليوم الذي تأزمت فيه المشادة بين ادباء الغرب وطلعت وحوش النظريات من اوجارها يكشر بعضها في وجه بعض ، التوى الشعر عن قصده واصبح زياً يتلون بتلون الاهواء . ولكن النفس لا تخطىء لانها معكس ومصهر لحقايق ابدية هي الطبيعة والحياة ، ففيما المدارس الشعرية منصرفة الى التطاحن اذا بطائفة من مبدعي هذه المدارس ترتفع عن الغرضيات الزائلة الى المصدر الابدي . فالمدارس الشعرية سجون ونظرياتها قيود ، والشاعر لا يعيش في جو العبودية هذا ، فالطبيعة هي جوه الفسيح تتكيف احساساته بتكيف المظاهر المتقلبة فيه ، واذا خرج الشاعر من هذا الجو خرج من نفسه وكذب على نفسه .

الياس ابو شبكة

ذكرى مولد شكسبير



وليم شكسبير

احتفلت انكلترا في هذه السنة كألوف عادتها في كل سنة بذكرى مولد شاعرها العظيم وليم شكسبير اكبر مؤلف مسرحي عرفه الانكليز .

كانت مدينة ستراتفورد، مسقط رأس الشاعر ، تغص بالزائرين من جميع انحاء انكلترا ، ولم يقتصر هؤلاء على رجال الفن وسائر طلاب الغذاء الروحي بل امتلأت الفنادق بجميع طبقات الناس في هذا الصيف الثالث للحرب ومثلت في مسرح « ميموريال » ثماني مسرحيات شكسبيرية في ست ليال وصبيحتين .

ومما يستحق الذكر ان ستراتفورد كانت تغص بالعرسان الجدد الذين حلا لهم ان يصرفوا شهر العسل في مسقط رأس شكسبير

الذي سمّى مدينته « عش الحب » . وبديهي انه عندما تنتهي الحرب تصبح ستراتفورد مركزاً عظيماً من مراكز السياحة .

اما المسرحيات التي اختيرت لمهرجان هذه السنة فكانت من اشهر ما ولدته عبقرية شكسبير ، وقد قام بتمثيل ادوار ابطالها الفتيان رهط من الممثلين الشيوخ لان الممثلين الشبان في الجبهة .

وكانت العادة ان يعمد في هذه المناسبة الى اخراج طائفة غير مشهورة من مسرحيات شكسبير وفقاً لرغبة رجال الفن . واذ لم يكن مفيض للشك في ان معظم الجمهور سيتألف هذه السنة من جنود ونساء من المصالح الاضافية ومن عمّال المناطق الصناعية في الميدلاند فقد رؤي من الحكمة ان يقع الاختيار على المسرحيات المعروفة . لذلك مثلت « هملت ومكبث» و«حلم ليلة في منتصف الصيف » و « كما يحلو لك » و« تاجر البندقية» و « العاصفة » .


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com
المنزل الذي ولد فيه شكسبير بمدينة ستراتفورد

هملت ـ استعار سكسبير موضوع مسرحيته هذه من اسطورة اوردها ساكسو غراماتيكوس . وتلخص هذه الاسطورة في ان هملت يرى خيال والده ملك الدانمرك فيخبره ان شقيقه كلوديوس دسّ له السم بالاتفاق مع زوجته واختلس منه التاج وزوجته معاً . ويطلب منه ان ينتقم على ان لا يسيء الى امه . فيتصنع هملت الجنون امام عمه المختلس وامه وامام اوفيليا التي يحبها . وفي نهاية الامر يشير هملت الى بعض الممثلين ان يخرجوا امام عمه وامه والبلاط مسرحية تمثل مقتل والده . فتنجح التجربة اذ يظهر الاضطراب الشديد على سيماء الملك الجديد وزوجته ، وعندئذ تصحّ عزيمة هملت على قتل عمه . وفي احد الايام يفاجيء والد اوفيليا وراء ستارة ظناً منه انه عمه ويطعنه بالسيف فيقتله . ولا يعتم الامر ان تجنّ اوفيليا من شدة الحزن على والدها وعلى حبيبها الذي فقد عقله وننبي الى انكلترا ولا تلبث ان تغرق في نهر وهي تقطف ازهاراً . ويهرب هملت من انكلترا فيطلبه شقيق اوفيليا للبراز ويطعنه بشفرة سقاها الملك سماً . واذ يقف هملت على هذه النذالة يهوي على شقيق حبيبته فيقتله وعلى عمه فيرديه بطعنة نجلاء . وتشرب الملكة قدحاً صبّ فيه شراب سام لهملت فتموت .

حلم ليلة في منتصف الصيف — كتب شكسبير هذه المسرحية في العام ١٥٩٤ . وهي « حلم » طافح بالظرف والشعر ولكن يصعب تحليله .. يقع الحادث باثينا في اثناء زواج الدوق تيزه والفارسة هيبوليت . وهو خليط معقّد من الغراميات يحل ليلاً في غابة احلام يقطنها رهط من الجن . وفي هذه الغابة السحرية تلتقي هرميا وليزاندر وكل منهما يحب الآخر . ويلتقي ديمتريوس بهرميا التي يحبها وهلينا بديمتريوس التي تحبه ولا يحبها . وفي هذه الغابة ايضاً يتخاصم الملك اوبيرن والملكة تيتانيا بسبب حاجب صغير يريده اوبيرن ولا تريد تيتانيا التخلي عنه . ولكي يسعد اوبيرون هلينا ويعاقب تيتانيا يعهد الى رسوله بوك ان يسكب في اعين المحبين النائمين وعلى عيني الملكة عصير زهرة عجيبة توقظ الى الحب اول شخص تصادفه . وكانت هلينا اول امرأة ستقع عليها عينا ديمتريوس . ولكن بوك يخطيء واذا بليزاندر يحب هلينا وتواصل هلينا حبها

لديمتريوس . وتقع تيتانيا في حب ابله من الحياكين في اثينا . ولا يعتم الامر ان يسوّى كل شيء ، فتعود تيتانيا الى اوبيرون ، وليزاندر الى هرميا .

العاصفة — تلخص هذه المسرحية السحرية في ان انطونيو يطرد اخاه بروسبيرو ، دوق ميلانو ، من ولاياته ، ويساعده في ذلك الونزو ، ملك نابولي . فيهيم بروسبيرو وابنته ميراندا على نفسهما في جزيرة قفراء ، ولا يعتم الامر ان يتمكن بالعلوم السحرية التي كان يجيدها من استدراج الارواح الى خدمته وبينها اريال ، وهو روح الاثير اللطيف ، وكاليبان وهو روح الارض الثقيل .

وبأمر من بروسبيرو ينفخ اريال في الجو فتهب عاصفة هائلة تقذف الى الجزيرة الونزو وافراد حاشيته العائدين من تونس . ولكي ينتقم الدوق بروسبيرو يوقع اعداءه في جملة تجارب ويحبط المؤامرة التي دبرها شقيقه انطونيو وسيباستيان ، شقيق ملك نابولي ، ضد هذا الاخير ، ويحملهما على التكفير ويبارك زواج فرديناند ، ابن الملك ، من ابنته ميراندا . ثم يغفر لجميع من اساء اليه ويعود الى ولاياته .


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com
مسرح ميموريال بمدينة ستراتفورد

تاجر البندقية — تلخص هذه المسرحية التي تدرج في عداد روائع شكسبير ، في ان شيلوخ يكتسب بأساليبه في الربا حقد التاجر انطونيو . ويحتاج باسانيو ، صديق هذا الاخير ، الى ثلاثة آلاف دوكا ليتمكن من طلب يد وارثة غنية تدعى بورثيا رآها قبلاً في بلمونت فيذهب انطونيو الى شيلوخ ويطلب منه المبلغ ، فيتظاهر شيلوخ بالرأفة وينقده اياه بدون فائدة ولكن بشرط ان يتعهد له ، اذا لم يرجع المال في الوقت المعين ، بان يعطيه أوقية من لحمه . فيقبل انطونيو ويمضي باسانيو بالمال . على ان بورثيا لم تكن ولية امرها . وكان والدها قد صنع ثلاثة صناديق احدها من الذهب والاخر من الفضة والثالث من الرصاص ، ووضع في احدها صورة ابنته وأوجب على ابنته ان تقترن بالطالب الذي يعرف مكان الصورة . واذ يخرج باسانيو من هذه التجربة ظافراً تعطيه بورثيا خاتم العهد . ويحين موعد ارجاع المال ، واذ لا يستطيع انطونيو تأديته يطالبه شيلوخ بتنفيذ تعهده ، فيوكل أنطونيو محامياً يعترف لشيلوخ بحق اخذه اوقية لحم من جسم انطونيو بشرط ان لا يهرق نقطة دم . فيقع شيلوخ في حيرة مرة تنتهي به الى الفشل . ولشدة فرح باسانيو يعطي المحامي خاتم بورثيا ، وهو الهدية الوحيدة التي يقبل المحامي ان يتناولها . واذ يعود الى بلمونت مع انطونيو توبخه بورثيا على اعطائه خاتمها لرجل مجهول ولكنها لا تلبث ان تغفر له هذه الهفوة ، لانها انقذت صديقه .

كما يحلو لك — استعار شكسبير موضوع هذه المسرحية من مسرحية « روزالند » للودج . وتلخص في ان الاميرة روزالند وهي ابنة شريف نفي الى غابات الاردين ، تترك بلاط عمها فردريك ، مختلس العرش ، برفقة نسيبتها سليا وتذهب الى ابيها متنكرة بثياب رجل . ولا يعتم الامر حتى يلحق بها عشيقها اورلندو . ثم يتزوج العاشقان ويسترجع الدوق عرشه الشرعي .

استعطاف

ما اجدر العتب بان ينجلي ... ويضحك الحب بعينيك لي
يانعمة النفس كفتْ نعمة ... ان أسأل الشيء وان تبخلي
هل كان قبلي ظامىء يرتوي ... باللفتة العجلى الى الجدول ؟
عاودتُ فيك النفس عذرية ... وذقت من طيب الهوى الاول
طال تشاكينا الهوى مثلما ... طال تشاكي الورد والبلبل

*

وكنت والصبح على موعد ... فاقبل الصبح ولم تقبلي
الله من ظلم الضياء الذي ... زج الدجى في قلبي المقفل !
تهت الى الروض فلم يلقني ... الا بوجه الشجر المعول
وروعتني شهقات الاسى ... تحز في حنجرة البلبل !.

طرطوس — رئيف خوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاستاذ روحي

بقلم محمد حاج حسين
استاذ الادب العربي في تجهيز اللاذقية

◆

رف الغروب على مدينة اللاذقية ، وهبت نسائم وانية تداعب الوجوه بلذعتها القارسة ، فالشتاء على الابواب ، والخريف الضحيان يالم اذياله ، ويسحب كآبته الرانية على النفوس .

وشعرت بانقباض ، وكربت نفسي ، من العتمة التي اوشكت ان تدجي الكون ... وانحدرت اوفض في سيري نحو منزلي ، لأجد الراحة من كدح النهار .

وفجأة رنّ صوت في اذني ، لم يلبث طويلا حتى اتضحت نبراته ، فخفق قلبي بشدة وتراكضت انفاسي مبهورة ، واسرعت نحو مصدر الصوت ، اضم صديقي الاستاذ روحي ..

وهتفت : يا للسعادة انت هنا ...

فأجاب بصوته الفاتن : كنت افتش عنك .. حتى التقيت بك صدفة .

وطرت على سبح من الاحلام المجنحة ، وراودتني الايام الغابرة ، في الجامعة ، حيث وثقتنا الغربة الكزة ، ووشجت بيننا ألفة روحية ، جعلتنا روحا واحدة تخفق في جسدين متباينين . وخطفت الذكريات تترى ، كلها حبيبة الوقع ، شيقة الأثر ..

واستطعت اقول بلهجة مؤثرة : منذ ثلاث سنوات لم ارك يا روحي ، وكلما حاولت الاتصال بك ، دفعتني الاقدار ، وارسلت لك رسالتين ولم اتلق أي جواب ، وكلما سئلت عنك قيل لي انك في القرية ، تساير الفلاحين وتعاطيهم الحب والعطف ، هجرت المدينة والعمل ، وكل شيء ، لتنيء الى قريتك ، تعمل في الارض كالفلاحين ، فاجاب : هذا الصحيح .

— والدراسة التي عملناها بصبر وسهر الليالي ، في تفلية الكتب ، كلها تداعت .

— ان اللذة التي اجتنيتها في قريتي لا تعادلها لذة ، والارض بحاجة الى العمل الدائب والجهد العسير .

وخيم صمت شامل ، في خلاله تأبطت ذراع صديقي روحي ، واتجهنا نحو المنزل .. وتركت نفسي ، تسترسل في غابرها ، وجناه اليانع ، يوم كان روحي ، الانسة التي تموج فيها ...

وادركنا الليل بعتمته الداجية ، ونحن جلوس ، نتجاذب شتى الاحاديث ، ونهيم في كل واد . اصغي بجوارحي الى حديثه المستفيض ، متنعما قريراً ...

وقال روحي : اتدري لم جئت اليك ؟

— كلا !.

— لتحضر زواجي ، وسأستأنف حياة جديدة تفيض بالعمل المثمر . سأودّع القرية واصدقائي الفلاحين .

واطرقت هنيهة ، وقد تجلت على وجهي سمات الاستغراب لفكرته . فأنا اعلم ان صريمته الزواج معهودة ، فهو ثائر ، ينزع نحو الفوضى ويمج كل قيد .

واستطرد : تستغرب لفعلتي هذه ...

واخذ ينكت الارض بعصا قصيرة ، كانت تضطرب في يده .

وزفر مستطرداً : وسأتزوج من مطلقة .

وحملقت فيه مدهوشاً : روحي ... ماذا تقول ؟ ان العذارى يملأن الدنيا .

وقاطعني : الحب . الحب ...

وسكت ... واكتنهت ان مأساة تجثم في اعماقه ، وهو العاطفي الحساس المندفع مع عواطفه ، المنساق مع نزواته ...

وبعد فينة ، اخذ صوته يعلو ، في نبرات رزينة : انت تعلم اني كنت في فجر حياتي ، عندما انهيت دراستي العالية ، وكان المستقبل البسام ينتظرني ، غير ان ريح الرخاء التي هبّت بادىء ذي بدء ، ما عتمت ان تحولت الى سموم لافحة ... عانيت مضض الحب ، وشجوه الوجيع . ووأدت نفسي ثلاث سنوات في القرية ، اعاني ما اعاني ...

وجذب سيكارة واشعلها ، ودفع اليّ اخرى ، وأخذ الدخان ينعقد في سحب تتلبد في الحجرة المغلقة النوافذ ...

وقلت : لماذا لم تتابع وظيفتك يا روحي ؟ أمضيت بها شهراً

واستقلت منها ، ولم يدر احد السر .

— السر الذي سمّم حياتي ، واحالها الى فحمة ... كان ذلك يا صديقي في الخريف ، عندما عينت استاذاً للأدب في المدرسة الثانوية ، واستغرب التلامذة ، لاول وهلة ، مجيء استاذ يلقنهم العلم والثقافة ، وهو في مثل سنهم ، في سحرة الشباب ، لم يبلغ الثانية والعشرين ... ولم تمض ردحة قصيرة ، حتى استحال دهشهم الى تقدير واعجاب وحب ، فقد رأوا في احاديثي الصدى لما كان يضطرب في افئدتهم الظمئة الى النور والجمال ، ينضر حياتهم ، ويجمل الوجود امامهم .

افرغت في قلوبهم المتطلعة ثقافتي وتجاربي ، وحبوتهم بعطفي وحبي ، واخلصت في سبيل تعبيد الطرق امامهم ، ليخرجوا الى الدنيا ممتلئين حكمة ومعرفة ...

وكنت احثهم على العمل والمطالعة والتزود من الكتب ، التي احرق اصحابها فيها ، صحائف انفسهم ، واجزاء روحهم .. واني لاذكر ان الحديث الاول الذي كنت اكرره فيما بعد ، كان يدور على الفائدة التي ينالونها اذا اعتمدوا على عملهم الخاص واستشهدت لهم ، بحديث نير ، للكاتب العبقري برنارد شو ، حيث قال مرة ان اساتذة المدارس لا يفيدون شيئاً .. ولا يحشون الاذهان الا بالسخافات . ولم ينقذه من السخافة ، الا افلاته منهم . فان عقله نجا من الخطل ، وعصم من الزلل ، لابتعاده عنهم ، بمثل هذا كنت احثهم مخلصاً على العمل والقراءة ، ليكون لنا الشباب الريان في المستقبل .

ونفض رماد سيجارته . وعصر جبهته ، كأنه يتذكر .. وومضت عيناه ... وارتفع صوته يقول : الى ان حدث ما قسرني على تركهم .. لم يكن بوسعي ، ان افعل غير هذا ... أتعلم .. اني احببت .. ذلك الغرام الجارف اكتسحني ، واستبد بي ، فعنوت له صاغراً واستعصى علي الداء ، وعزّ الدواء ... فلزمتني الحسرات وكوتني العبرات ...

وصمت ... وقد علقت عيناه برؤى بعيدة ...

وتابع : كان ذلك اليوم لماحاً في ذهني ، لن يبرحه ما حييت ، عندما دخلت المدسة في صبيحة خريفية مشرقة ، تتوهج بكآبتها ، وقد اخذت اشجار الحديقة ، تتعرى متجردة من بردها القشب ، واوراقها تتساقط ذليلة في هبات النسيم . فتفتحت نفسي ، وسرت في عروقي نشوة غريبة ، كأن عوالم جديدة تأخذ مجراها نحوي .

وولجت صفي ، لاحدث تلامذتي ، واردت ان اسألهم عن دروسهم التي حفظوها ، لأرى بليغ استفادتهم . وما كنت لاعرف اسماءهم ، حتى هيأتهم كانت تغيب عني ، فعندما ادخل عليهم ، اتناسى وجودي ، وألاشي احساسي في غيبوبة بعيدة . وقرأت عفواً ، في دفتر الدوام ، اسماً حوّل حياتي ، وبدّل نهجي : ناديت بصوت خفيض : هيام ..

وغلغلت نظراتي في الانسة الصغيرة التي انتصبت بحياء امامي ، وقد ارتدت فستاناً ازرق ، ذاهب الورود ، يتجلّى فيه جسدها النحيل ، وكأني لاول مرة ارى هذه الفتنة المرتسمة على وجه هيام ، الكاعب . وطفقت اصعد نظراتي فيها ، وبسرعة خفق قلبي ، وحلت في عيوني الالوان الجمّة التي برقت على محياها النضير .. كانت جمالا لا يتناهى ، وجاذبية تلحّ بعينيها وقد تقوست اهدابها ، ترسم ظلاً مائجاً على خدها الرفيف ، وفمها القاني ، وقد رقت شفتاها ، وترآتا ، كزنبقة ارجة تعطر الارجاء بعبيرها ..

وتكلمت هيام ، متلعثمة ، تتدحرج العبارات من فمها ، متقطعة ، بخجل شديد .. واذا اصخنا سمعنا الى بنت الفيلسوف ارسطو ، حين تقول ، ان اجمل شيء في العذراء ، ذلك الخجل الطبعي الذي يورد وجنتيها ، علمت اية حلاوة سرمد كنت ارشف منها .. كانت اجفانها الوسنانة ، تضرب بشدة كلما صوبت اليها نظراتي الحاطمة ..

ولم تجاوب هيام ، فحاولت ان اعلق على كلامها ، فخانني النطق ، وندت الالفاظ مني ، وشمست المعاني ، فحاولت ان اسد عجزي ، فتصنعت الغضب ، وقلت بلهجة مقنعة بالحزم : كان يجب ان تدرسي اكثر من هذا ..

ولم انبس بغير هذه الجملة التي ندمت عليها كثيراً ، فرأيت الدموع تندي مقلتيها ، وتنحدر برفق على وجنتيها المضرجتين ، وتجأر ببكاء قطع نياط قلبي ، وتراءت لي كتمثال ينبض بالحياة للجمال الحزين ، فحاولت عبثاً ان اهدىء من روعها ، وكم تمنيت لو استطيع ان ادفنها في طيات صدري ، واهفو بانامل على وجنتيها ، امسح الدموع النادية التي تتلألأ على وجهها المبلج .

وخرجت ذلك اليوم ، وعاصفة الحب تجتاحني .. لقد احببتها ، وتمنيت ان تكون دوماً بقربي ، ترقني الحب ، واهمي عليها النشاوى . رغبت ان نندمج في كيان واحد ، وتلاحقت ايام بطيئة ، ثقيلة ، في خلالها تغيرت سيرتي في الحياة ، وبهت لوني ، وبدا على جبهتي بعض الغضون من سهري المتراصل .. فانا اخشاها ، ارهب نيرانها المتقدة ان تحرقني ، اراها تضطرب في وجودي ،

كل يوم ، كنور يلمع في ظلمة طـاخية .. واشعر كل لحظة ، بتجدد الحب في كياني يزهو وينمو ويغزر ..

كيف الخلاص من هذه الورطة ؟ .. فلا اجد الحل الموفق والعلاج الشافي .عولت على مكاشفتها بحبي الطاغي ، وماذا يضيرها حبي ؟ فانا ابغيها نبيلة ، لتأسيس عائلة مشتركة ، للزواج الذي كنت فيما مضى اتقزز منه ..

ولكني ، في كل مرة ، ارهبها واخشاها . اصغي الى حديثها ، والتهم كلماتها ، ولكن ارادتي تخونني ، وعزمتي تموت .. ويتلاشى كل شيء .. لأوب الى داري محطم القوى ، يهوم علي الكرى في آخر الليل ، ولا استجيب له ، فلا اريد ان اذود صورتهـا الشعيفة عني ابداً ..

كانت حياتي على هـذا النمط جحيما لا يطاق ، ويكاد ان يضحي ظلي ، وخصوصاً انيلا ادري كنه عاطفتها نحوي ، اتجاذبني ام تطغى عليها كراهية نحوي ؟ فلا اجد الجواب الموفق لهذه الازمة التي تهيمن علي بوزرها .

واخيراً اطمأنت نفسي بعض الشيء الى فكرة « التليباتي » في علم النفس ، تلك النظرية الزاعمة ان الارواح تتألف ، وتتصهر في بوتقة واحدة ، فاذا احب شخص آخر احس كلاهما بعـاطفة واحدة ، وهذا العزاء لم يدم طويلا حتى خاب ظني ، وطاش سهمي . ففي احدى العشايا الذائبة ، قالت لي رفيقة هيام في المدرسة قوله جهمت حياتي : انت تعطف كثيراً على هيام ، ولقد حدثتني انها تكرهك ولا تستطيع ان تتصور رؤيتك ..

وفر الدم من وجهي ، عقيب كلامها ، ولجـأت الى غرفتي ، تتقاذفني لجج الهموم العاتية ، ولما ذهبت الى المدرسة ، ورأيتها ، في مشيتها المغناج ، تتكسر بفتنة اخاذة ، عراني لون من الرثاء على شبابي الذبيل .

وحاولت ساعتئذ البكاء ، فكان الدمع عصيا ، لا يسعفني ، كيلا ارفه بعض الشيء عني ، ووقر في ذهني كراهيتها التي تضطرم بين جوانحها نحوي ، فماجت امامي الصور الربداء ... وشعرت ان حياتي اصبحت فارغة تافهة ، لا نضرة فيهـا ... ولأتخلص من الكابوس المزعج الذي يرنو علي ، عولت على الهرب ... الى ارض قاصية لا تملأها هيام ، بسحرها ورقتها .

وكان ان قدمت استقالتي بعد شهر من عملي . وحاول رؤسائي وتلامـذتي ردعي ، بكل وسيلة ، ولكني خرجت لانساق الى قريتي الهاجعة في حضن الوادي ، يكلأها الجبل الاشم ، عساي اقر وانسى اوصابي ، وادفن حبي الوليد .

وفي القرية ، كانت هيام تبدو لي دائماً بوجهها الزاهي وجمالها الوهاب ، وروحها السخية ، الساكنة جسدها الخصيب : فاحاول ان اطرد عن طيفها الذي يعذبني ، ولكنه اقوى مني ، يطل ضاحكاً ومرة هازئاً لاوياً طرفه .

وكتبت لأهلي ليخبروا اصدقائي ، اذا ما رغبوا في مقابلتي بالقرية ، بانني لا اريد مقابلة انسان . وانصرفت الى اعمال مضنية في القرية ، فرحت احرث الارض بيدي ، واغرس الاشجـار بعنايتي ، واتشحت بلباس الفلاحين ، واطلقت لحيتي ، وشعر رأسي فكأني احد متصوفة القرون الخالية ...

فرضت على نفسي العمل الراهق ، لاتلمس السلوى ، ولم افز بشيء ، فهيام تتراقص امامي ، اراها في الخريف نغمة نائحة ، وفي الشتاء دمعة منهمرة ، وفي الربيع زهرة فواحة ، وفي الصيف سنبلة خضراء .

مكثت ثلاث سنوات على حالتي هذه ، وفي خلالهـا كنت المرشد الهادي للفلاحين ، اعلمهم قواعـد الصحة ، وارشدهم الى الخير ، فأحبوني ولعل احاديثهم الساذجة وسمرهم البريء ، ونكاتهم الصافية كانت الملاذ الذي اعوذ به من الجحيم الذي يدمي حياتي .

وفي هـذا الصيف ، شعرت بقواي تنهد ، واعصابي المجهدة تنكسر ، فعزمت على الهبوط الى المدينة ، لأدخل المستشفى ، امضي فيه بضعة ايام ، اجدد قواي ، لاستأنف عملي الجاهد .

ولما دخلت المستشفى ، ووطئت بهوه ، رأيت طيف هيـام يتطلع اليّ ، فخلت ان الخيال جسّم لي صورتها . ولكني لم البث طويلاً حتى بدت الحقيقة عارية ، فكانت هيام بلحمها ودمهـا في بهو المستشفى ، تخطر بمشيتها البديعة ، وتدل بقامتها الفخمة .

وعضضت على شفتي ، فعل من يحاول ان يكتم صرخة توشك ان تفلت ، فحيرتي لا حد لها ، وبلبلتي عارمة .. أعنـد ما أهبط لأعالج في المستشفى ، يقع نظري عليهـا ، لتزيد آلامي ، وتنحر حياتي . وتقدمت نحوي بحياء ممض ومدت يدها تصافحني وقد احمرت حتى اطرافها ، وقالت بلهجة منكسرة فيها خجل : كيف صحتك يا استاذ روحي ؟ واطرقت ... واستطعت ان اتخلص منهـا بيسر كيلا انغص حياتي ، واترعها بالافاعي ، ورقدت على سريري في المستشفى ، يعالجني الطبيب ، وصورة هيام تغمرني : ترى ، ما جاء بها الى المستشفى ؟ وعذبتني هذه الفكرة ، فسألت الطبيب ، فأجابني انها كانت مريضة وجاءت تستشفي ، وهي الان في دور النقاهة ..

وعانقتني الوساوس ، واخذت صحتي تنتكس : ولا اقدر على ضمها ومحادثتها . ولاعتني الاشجان ، وضربت في اودية الحدس والتخمين ..

وعند الاصيل ، وقد هبت نسماته المسكرة ، جاءت اليّ الممرضة ، وقالت ان هيام تود مقابلتي . وكدت اقول : لا اريدها ، وكتمت نفرتي من رؤيتها ، وطلبت اليها ان تدخل ..

وجلست هيام على مقعد بازائي ، وانا ممدد على السرير .. ومرت فترة صمت ، خيم فيها الهول ، واحسست اننا متقاربان بالروح في هذه اللحظة ، وتذكرت فجأة حديث رفيقتها ، فصعدت زفرة مكبوتة رغماً مني .. وقالت هيام : اتشكو وجعاً يا استاذ؟

— كلا .. صداع خفيف يزول ..

— لي قرابة شهر في المستشفى .. والصدف السعيدة شاءت ان اجتمع بك قبل مغادرتي ..

— اشكرك ..

وكان جوابي المقتضب دليلاً على رغبتي في انهاء المقابلة ، لافيء الى آلامي ، فهيام تفعمني حياة ، وتدفع الدم حاراً يزور في عروقي ، فخشيت ان انتفض ، واضمها الى صدري التواق الى صدرها الناهد ..

وقالت بعد هنيهة : ولم تركت المدرسة يا استاذ ؟.

وسؤالها هذا صفعة لسعتني : أأصارحها بالحقيقة ؟ أقول لها انها السبب الذي حوّل حياتي ؟ أأحدثها عن حبها الذي عانقني ، ولازمني ؟ وحبست انفاسي المتراكضة ، ، وتجلدت مجاوباً : القرية بحاجة الى اخلاصي وعملي ..

— لم تخلق للقرية ؟ يا استاذ ، فبنيتك الضاوية لاتتحمل المشاق ..

— اتصارحينني ياهيام ؟ ما السبب الذي حدا بك الى كراهيتي ؟.

وندمت على سؤالي ، فقذفته بحالة اللاوعي ..

وخطفت حمرة هفهافة على وجهها الموشع بصفرة العاج ، واهتزت منفعلة واجابت : كلا لم اكرهك ... ابداً .. بالعكس

— زميلتك هند حدثتني بكراهيتك لي ..

وتغشت عينيها الصافيتين ، حمرة الغضب وقالت : انها كاذبة ، تختلق الاباطيل ، تريد ان تشوه سمعتي ، لانها تحسدني وتمقتني ، ويشهدالله ان عاطفتي نحوك ، كانت مشبوبة العنفوان .. كنت احبك ، واصبو لتكون زوجي ، وعاطفتي ظلت دفينة ، لم اتفوه بها حتى الان .

ووثبت من فراشي كالمجنون ، واخذت يديها اداعبهما وادللهما واقول : هيام ماذا تقولين ؟ أتعلمين اني تركت المدرسة لاجلك؟ فحبك سد علي المنافذ وحرمني المنـام ، وخلت انك تمقتينني ، فهجرت الدنيا الى القرية ..

— استاذ روحي ، لم يكن لي يد في عملي هذا .. ولو علمت بعاطفتك نحوي لترامیت على اقدامك ..

— لِمَ لم تخبرني بحبك لي ؟؟

— انت الاستاذ المثقف ، احجمت .. أتريد من الفتاة ان تنتني عريسها ، ولربما صدّها من تختاره .. ان حياءها يمنعها ..

— كانت عباراتها متكسرة ، متنهدة .. فيها الالم الدفين ، والحب الناثم .. ولمع ظل فرحة كبيرة في عيوني فقلت :

لنذر الماضي .. لنا الحاضر .. ماذا يمنعنا من الزواج ؟

ولمحت في عينيها لوناً من الاسى وهزت رأسها واجابت : أتتزوج من مطلقة ؟ ونفرت صائحاً : ماذا تقولين ؟

— في الصيف الماضي ، زوجني والدي رغماً مني ، من شاب ثري ، حاولت جهدي ان ادفع هذه الزيجة المقيتة ، واصر والدي بتهمني بالجنون ، وعدم معرفتي لمصلحتي .. كنت اعيش على حبك ، فهو زادي ومائي .. وانت قد طرت ، وليس لي ملجأ ، فأفضيت الى والدتي بعدم رغبتي في الزواج ، ولكن الفتاة الشرقيـة ، لا رأي لها .. فانسقت اتخبط في زيجة كانت الكفن الذي فصّل لي ، واصبحت حياتي مع زوجي لاتطاق .. ولا اريد ان اتذكرها الان .. وخلاصتها عذاب في عذاب .. فهو سكير .. يدمن الخمر والميسر ، ويرتوي من اللهو الخليع .. واخيراً بعد اربعة اشهر من زواجنا تم الطلاق ، الذي لم ار مناصاً منه ، لتقر حياتي في هدأة ابتغيها .. ولو لم تنته حياتي معه ، لنحرت نفسي ..

وسكتت ، وقد رشحت جبهتها الملساء بالعرق ..

وقفزت من سريري ، لتلتئم شفاهنا بقبلة فيها الحنين واللوعة .. وقلت بلهجة حازمة : سأتزوج منك يا هيام .. تهيأي يا حمامتي .. لتسجعي في وكرنا العائلي الهنيء ..

وصمت صديقي الاستاذ روحي ، وحدق فيّ .. طويلاً .. وكنت مرهف السمع .. وقال : الا تحضر زواجي القريب يا صديقي ؟. فأجبت بالتأكيد ..

— اني اهيىء الاثاث الجديد لحياتي المقبلة ..

— وستكون حياة مليئة مخضلة ..

طرطوس — محمد حاج حسين

ليـــل

•

ينهمرُ البـدرُ خـلالَ الغصونْ
منـابعٌ شقراءُ فوقَ السـديرْ
وفي مساري الحورِ والزيزفونْ
يدورُ والأنسامُ لحنُ الغـديرْ

لا شيءَ في الليلِ يريقُ السكونْ
على زهورِ الحُلمِ المرهقـةْ
لا شيءَ ، حتى الوحـدة المفرقـةْ
تنحلّ من حولي كظلٍ حنونْ

دعني أيا بـدرُ... يذيبُ الخشوعْ
خيوطَك الصفرَ على مفرقي ،
تَسبرُ عينـاكَ حنـايا الضلوعْ ..

دعني اسرّح في السوادِ الرغيـدْ
روحي... اخافُ النورَ ان يستقي
منهـا ، فتستجدي الصياح البعيدْ...

دعني احسّ الليلَ ، هـذا الخـدينْ
ينيرُ في نفسي شموعَ الحنين ...

العلويين ــ مصياف ــ كمال فوزي

الحب العذري

بقلم شفيق طبارة

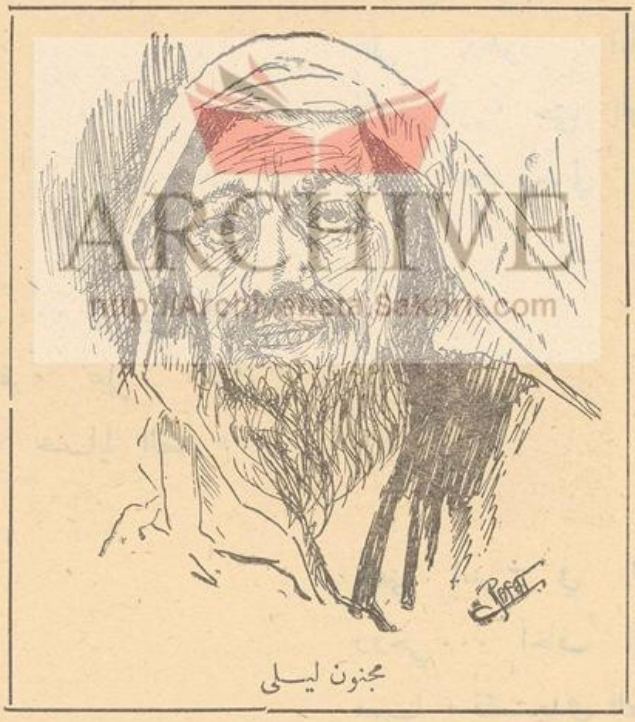
الحب غريزة فطرية في الانسان وهو ايضاً في كل نبات وحيوان فلا غرو اذن ان يستوعب (ادب الحب) جانباً وافراً من آداب الامم وان يحرص الرواة على جمع اخبار المحبين وتدوينها . انما الغريب اختلاف الناس في الحب ففريق رأى فيه الشقاء فذمّه وعدّه مفتاح النقائص والسرور وفريق رأى فيه السعادة فمدحه وعده مفتاح العواطف الطيبة والفضائل القويمة .

واختلف الفلاسفة والعلماء في تعريفه وبيان ماهيته فمنهم من عرّفه بأنه مرض وسواسي يشبه (الماليخوليا) يسيطر على النفس من شدة استحسانها الصور الجميلة ومنهم من جعله قضاء من الله وقارنه بمرض (الزكام) يصاب به المرء على جبر واضطرار ولو خيّر لاختار السلامة وآثر النجاة . ومنهم من حسبه نوعاً من الجنون والجنون فنون . ومنهم من رده الى الغريزة الجنسية قائلاً انه ظمأ وجوع واستمتاع لا يستفيد منه المجتمع الا اذا انتهى الى الزواج والامومة وعرّفه ارسطو بانه اتفاق اخلاق وتشاكل صفات وشوق كل نفس الى مماثلها وذهب محمد بن حزم الى انه استحسان روحاني وامتزاج نفساني بين اجواء النفوس في اصل عنصرها الوضيع . وقائل : انه ائتلاف ارواح وتجانس في الطباع وانه كلما كثر التشابه زادت المودة وتأكدت واستشهد بما ورد في الحديث (الارواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) وذهب الباحثون في الحب الى ابعد من هذا الحد فاستقصوا مركزه . فمن قائل بانه في القلب وقائل بانه في الكبد وقال اهل الصبابة : يدخل سلطان الحب في الاحشاء من العينين كما قال الشاعر :

رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا فسام صبراً فأعيا نيله فقضى

وقال بشار بن يرد : من الاذنيين

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والاذن تعشق قبل العين احياناً
قالوا لمن لا ترى تهوى فقلت لهم الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

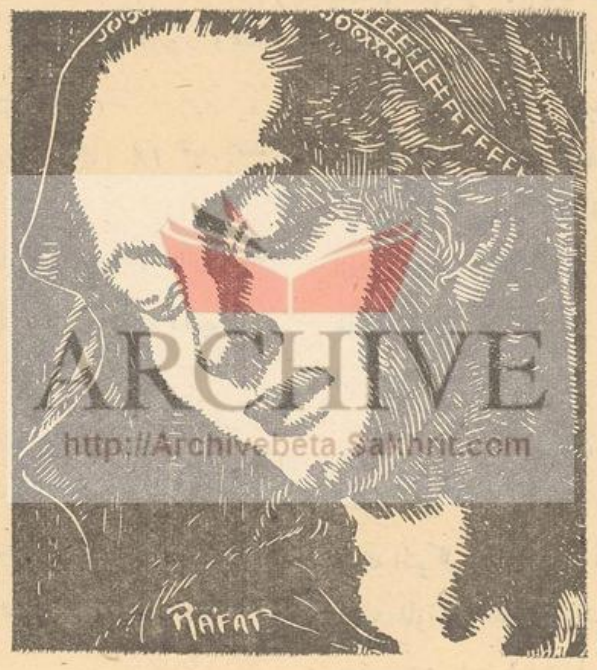


مجنون ليلى

واجمل مذاهب الحب عندي ان المحب مضطر غير مختار ، وان مركز الحب في النفس يتغلغل في سراديبها عن طريق الحواس وان عاطفة الحب تنوعت بتنوع العواطف البشرية فكل زمن وجنس وشعب جلب الى الحب طابعاً جديداً واضفى عليه لوناً خاصاً . على ان الحب بالرغم من كل ذلك ظل غريزة جنسية يلطف حدتها الخيال ويزينها الجمال وتفرّعت عن عاطفة الحب عواطف اخرى احدثت ابلغ الاثر في حياة الناس ، تفرّعت عنه عاطفة الحنان والتضحية والحياء والانانية والغيرة والعفة وعاطفة التسامي بالغريزة البهيمية والرغبة في كبحها والارادة الصادقة في الاتجاه بالحب نحو عالم انقى واطهر من هذا العالم . ولا ريب ان الحب بفروعه الرائعة قد ساعد الانسان على التحضر وساهم في تهذيب النفوس وحملها على نسيان اصله الحيواني الوضيع وتسامى الى الدرجة الروحية التي لا صلة لها بالبدن . وعلى هذا النحو اصبح للحب تاريخ . وتاريخه عند اسلافنا الاقدمين ينحصر في ثلاثة اشكال : الحب الذي سرت

فيه روح الفروسية ومثله الاعلى عنترة بن شداد العبسي فبعث القوة والاعتداد بالنفس والرجولة والانفة والحمية وجعل الشرف فوق الحب والذود عنه فوق الحياة ، والحب الطاهر النبيل تجلّى بين قيس المجنون وليلاه و كثير وعزة وبين جميل وبثينة وهو مثل للوداد والوفاء والاخلاص والثبات . والحب الماجن المستهتر الممزوج باللهو والعبث والخلاعة والنزوة الجثمانية تمثّل في عمر بن ابي ربيعة وبشار وامرىء القيس وابي نواس وصريع الغواني وامثالهم .

وانما يهمنا من اشكال الحب الثلاثة : الحب الطاهر النبيل لانه اسمى درجات الحب واعلاها وسمي عذرياً نسبة الى عذرة بطن من قضاعه ، وقضاعه من القبائل اليمنية التي نزحت من اليمن بعد سيل العرم فنزلت شمالي الجزيرة العربية الى بلاد الشام وقد اختص بنو عذره بين قبائل العرب بكثرة عشاقهم واشتهروا بانهم اعشق العرب وفاخروا بطهارة عشقهم وامتازوا على غيرهم باستسلامهم الى الحب واستسهالهم الموت في حال الصد والاعراض . وكان العذري يهيم بفتاة واحدة لا يعشق سواها فتصبح مثله الاعلى في المحاسن ويكتفي بها عن بقية افراد جنسها وسواء لديه ان صدت او هجرت وان تزوجت من غيره او ماتت وان هرمت او ادركها الكبر فان حبه لها لا يتغير ويهب لها كل شيء وان لم يفز منها باي شيء . وكان بنو عذرة يفتخرون بعشاقهم افتخار غيرهم بفرسانهم واجوادهم ويرون عشقهم مزية شرف ونبل ودليلاً على رقة القلب وصفاء النفس وطهارة الوجدان . وقد كان من جمال نساء بني عذرة باعث قوي على الحب لان الحب في الغالب يجري وراء الجمال كما ان الجمال يورث القلب رقة ، والنفس صفاء ، فتستهويها النظرة ، وتسترقها الابتسامة ، وكما اشتهرت عذرة بالحب الى حده الاقصى اشتهرت بالعفة ايضاً . روي عن سعيد بن عقبه العمداني انه قال لاعرابي حضر مجلسه : ممن الرجل ؟ قال : من قوم اذا عشقوا ماتوا . . فقال : انت من عذرة ورب الكعبة . ثم سأله عن علة ذلك فقال : لان في نسائنا صباحة وفي فتياتنا عفة . وما احسن قول بعض بني عذرة وقد قال له بعض العرب : ما لاحدكم يموت عشقاً في هوى امرأة يألفها ؟ انما ذلك ضعف نفسي ورقة وحذر تجدونه فيكم يا بني عذرة . فقال : اما والله لو رأيتم الحواجب الزج فوق النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى .



ليلى

وفتن الناس بالحب العذري ونظروا الى اهله نظرة العطف والحنان واعجبوا بصدقهم وعفتهم وحسبوا من الشهداء من مات في سبيله . ومما يروى في ذلك عن النبي « صلعم » انه قال : من عشق فعف مات شهيداً . وعن المهدي انه قال : اشتهي ان اصلي على جنازة عاشق مات في الحب . وكأن ابن منظور عناه عندما عرّف الحب في لسان العرب بقوله (الحب الوداد والعشق عجب المحب بمحبوبه او افراط الحب وسمي العاشق عاشقاً لانه يذبل من شدة الهوى كما تذبل العشقة اذا قطعت والعشقة شجرة تخضر ثم تذبل ثم تدق) .

وهكذا كان الحب العذري محنة للنفس والروح يشقى بها المحب ويموت دون الوصول الى من يهوى ولكن هذا الشقاء كان عذباً شهياً الى نفوس العشاق « واحب شيء الى الانسان ما منعا » ومن الامثلة على ذلك ما قيل عن نصب الشاعر انه دخل على العزيز بن مروان فقال عبد العزيز وقد طال الحديث بينهما : هل عشقت قط يا نصيب ؟ قال نعم امة لبني مدلج دعجاء ممشوقة القد و جهها كالبدر وعيناها تنفثان الفتنة . قال فكنت تصنع ماذا ؟ قال نصيب : كان اهلها يحرسونها فكنت اقنع ان اراها في الطريق وفيها اقول :

وقفت لها كيما تمر لعلني ... اخلها التسليم ان لم تسلم

ولما رأتني والوشاة تحدرت مدامعها خوفاً ولم تتكلم
مساكين اهل العشق لست بمشتر حياة جميع العاشقين بدرهم

فقال عبد العزيز : وماذا فعلت هذه الجارية ؟ قال : بيعت وتزوجها سيدها . قال : فهل في نفسك منها شيء ؟ قال : نعم ذكريات واحزان وبقية من شجون . فقال عبد العزيز : هذا هو الحب العذري .

وحدث الاصمعي انه كان يسير ذات يوم في البادية فمر بحجر قد كتب عليه هذا البيت .

ايا معشر العشاق بالله خبروا اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتب تحته :

يداري هواه ثم يكتم سره ويصبر في كل الامور ويخضع

وعاد في اليوم الثاني فوجد مكتوباً :

وكيف يداري والهوى قاتل الفتى وفي كل يوم قلبه يتقطع

فكتب تحته :

اذا لم يجد صبراً لكتمان سره فليس له شيء سوى الموت ينفع

ثم عاد في اليوم الثالث فوجد شاباً ميتاً تحت ذلك الحجر وقد كتب عليه قبل موته :

سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا سلاماً على من كان للوصل يمنع
هنيئاً لارباب البيوت بيوتهم من العاشق الولهان ما يتوجع

وحدث الجاحظ قال : كان محمد بن حبيب الطوسي جالساً مع ندمائه وقد اخذ الشراب برؤوسهم اذ غنت جارية له من وراء الستار :

يا قمر القصر متى تطلع اشقى وغيري بك يستمتع
ان كان ربي قد قضى كل ذا منك على رأسي فما اصنع

وعلى رأس محمد غلام على احسن ما يكون من الجمال وبيده قدح فوضع القدح من يده وقال : تصنعين مثل ذا — ورمى بنفسه من الدار الى دجلة — فلما رأت الجارية ذلك هتكت الستارة ورمت بنفسها على اثره فغرقا معاً . قال الجاحظ : فهجر محمد الشراب بعد ذلك شهراً .

وحدث الاصمعي انه بينما هو قائم في بعض مقابر البصرة اذ بجارية على قبر تندب :

بروحي فتى اوفى البرية كلها واقواهم في الحب صبراً على الحب

فقال لها : ياجارية بم كان اوفى البرية وبم كان اقواها قالت : انه ابن عمي هويني فهويته فكان ان باح عنفوه وان كتم لاموه فانشد بيتي شعر وما زال يكررهما الى ان مات والله لاندبنه حتى اصير مثله في قبر الى جانبه . فقال لها : ياجارية ما البيتان ؟ قالت :

يقولون لي ان بحت قد غرك الهوى وان لم ابح بالحب قالوا تصبرا
فما لامرىء يهوى ويكتم امره من الحب الا ان يموت فيعذرا

ثم شهقت شهقة فارقت بها روحها الدنيا .

وحكي ان امة بثينة وشت بها الى ابيها واخيها وقالت لهما ان جميلاً عندها الليلة فاتيا ومعهما سيفان فرأياه جالساً بالقرب منها يشكو اليها غرامه ثم قال لها : يابثينة أرأيت ودّي اياك وشغفي بك ألا تجزينني عليه ؟ قالت : بماذا . قال : بما يكون بين المتحابين فقالت له : ياجميل او هذا تبغي فقد كنت بعيداً منه ولئن عاودت تعريضاً بريبة لا رأيت وجهي ابداً . فضحك وقال لها : ماقلت لك هذا الا لاعلم ما عندك فيه ولو علمت انك تجيبينني اليه لعلمت انك تحبين غيري ولو رأيت منك مساعدة عليه لضربتك بسيفي هذا . فقال ابوها لاخيها قم بنا فما ينبغي لنا بعد اليوم ان نمنع هذا الرجل من لقائها فانصرفا . .

وكما ان للحب العذري معجبين كذلك لم يعدم منكرين قد سخروا من اهله . فمن ذلك ما نقل عن ابي العبر ان مات له حمار . فسأله المتوكل ما الذي كان من شأن حمارك يا ابا معاذ فقال : كان يا امير المؤمنين أعقل من الناس ليس له هفوة ولا زلة فاعتلّ على حين غفلة فمات فرأيته في النوم فقلت له : أو لم انقّ لك الشعير وأبرّد لك الماء فما سبب موتك فقال : اتذكر اذ وقفت على باب الصيد لاني قلت : نعم قال : مرّت اذ ذاك اتان فافتتنت بها ومت . فقلت : وهل قلت شيا في ذلك . فقال نعم وانشد :

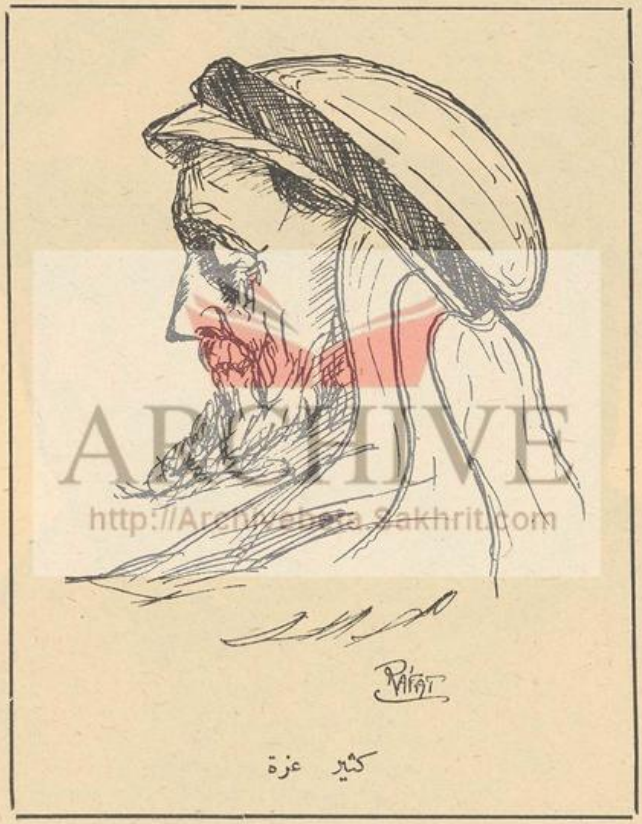
هام قلبي بأتان عند باب الصيدلاني
تيمتني يوم رحنا بثنايا ها الحسان
وبغنج ودلال سلّ جسمي وبراني
ولها خد اسيل مثل خد الشيقراني
فبها مت ولو عشت اذاً طال هواني

فقال له : يا ابا معاذ وما الشيقراني ؟ قال : انا مشغول بما انا فيه من حزن عليه وهذا كلام تعرفه الحمير فاذا رأيتم حماراً او من

كان اولا حماراً فاسألوه ... فضحك المتوكل حتى استلقى على قفاه .

وتروي لنا كتب الادب حوادث كثيرة من هذا النوع واني اقتصرت على هذه الطرائف لأعود الى القول ان الاغريق قد عرفوا الهوى العذري وسموه الحب الافلاطوني نسبة الى الفيلسوف افلاطون الذي احبّ حباً روحانياً ولم يتسفّل . ولا يختلف الحب الافلاطوني عن الهوى العذري الا بان الاول تتغلب فيه الارادة على العاطفة بينما الثاني تقف في سبيله عقبات خارجية كالتقاليد والفروق الاجتماعية الموروثة بين الطبقات . ولما نشأت المسيحية قدّست العاطفة ومجّدت البكارة وكرمت الطهر وجعلت العفة مثلها الاعلى في شخص العذراء واتخذت شعارها المحبة وفي كتابها « الله محبه » . ورأى رجال الدين المسلمون بالحب العذري لوناً من العبادة فأنشأ فريق منهم مذهب (الصوفية) من هذا الحب الذي ازدهر اول الامر في قلوب العاشقين الاطهار ثم تطوّر من الافعال الى الصفات وارتقى من الصفات الى الذات وتعلق بالمنعم لا بالنعمة وتطلع الى الحب الاعلى، الى حب الله . ومن كلامهم « شرط المحبة ان تكون ميلا بلا ميل وشرطاً بلا جزاء، لئلا تزول عند زوال العرض ويظهر ذلك في احياء الله عزّ وجلّ والحبيب عندهم هو الله . وعندهم اذا علم الله صدق المحب في محبته رفع بينه وبينه حجاب وكشف له عن الحقائق العليا واطلعه على الاسرار المحجوبة .

قال العلامة عماد الدين الاموي : علاقة المحب بالله انه اذا نزل به بلاء أو محنة لا يتغير ولا يضطرب فان كان كذلك فهو لله محب والا فهو كاذب على المحبة . وقال بعض المتصوفين اذا قال لك احد انا احبك فخذ علامته فاذا ثبت، صدق حبه، وان اضطرب وتغير، فاعلم انه كاذب . وقيل لبعض العارفين بالله : من أين أقبلت ؟ قال : من عند الحبيب . قيل له : والى اين تريد ؟ قال : الى قرب الحبيب . قيل له : وما تشتهي ؟ قال لقاء الحبيب . قيل له : وما قوتك ؟ قال ذكر الحبيب . قيل له : وما شرابك ؟ قال : الشوق الى الحبيب . قيل : وما تلبس ؟ قال : ستر الحبيب . قيل له : فلِمَ اصفرّ وجهك ؟ قال : من فراق الحبيب . قيل له : حتى متى تقول الحبيب الحبيب ؟ قال : حتى ارى وجه الحبيب .



كثير عزة

ذلك هو الحب العذري الحب النبيل حب الاخيار الطاهرين الذين قدسوا العاطفة وعدّوا المرأة زنبقة من زنابق الفردوس ومالوا اليها بالروح لا بالجسد وحده فاستنكروا الدعارة ونشدوا الثبات واستمسكوا بعرى الفضيلة والعفة وجعلوا الحب ضمن اطار خيالي خلعوا عليه الحلل الشعرية الجميلة . ومن انباء اهل هذا الحب في كتب الادب ما يملك المشاعر . انه لماثل منها في كل كلمة وسطر كما هو ماثل في كل قلب وصدر وغفر الله لاهل العشق ورحم قيساً حيث قال :

ولا خير في الدنيا اذا انت لم تزر حبيباً ولم يطرب اليك حبيب

شفيق طباره

كوخ جبلي

بقلم سهيل ادريس

كنت ضائقاً ببيروت ذرعاً . فقد كان حرها المذيب ينصب على الاجساد انصباباً ، فيحيلها لهباً محرقاً لا يجد الماء ولا الابتراد من سورته او شبوبه . وطالت بي الحيرة حتى كدت لا اجد متنفساً ، الى ان وردني كتاب من صديق لي عزيز ، يستنزلني في مصيفه الجميل الهادىء « عارون » لبضعة ايام . فوقعت الدعوة من نفسي موقع الندى المطلول من اكمام الزهرة الحرى ، وداخلتني نشوة حملتني الى اجواء من الغبطة والمرح ، وحبت نفسي ردحاً طويلاً . ولم يتقاعدني اي شغل عن الاسراع وكنت أحس — ما ابتعدت عن بيروت — نفحة البرد تسري في كياني . واستقبلني صديقي عزيز على خير ما يستقبل صديق صديقه ولم تكن نعمة الهواء الطلق ، والنسيم البارد هي وحدها التي وافتني ، بل ان نعمة اوفر حظاً كانت مقرونة بها ، انها هي نعمة الصداقة الحلوة الغضة .. ولعمري ان ساعة تسلخ في كنف صديق صدوق ، لهي احب الي من اية ساعة تقضى في اي عمل آخر ...

أخذنا نزجي وقتنا ، حيناً بالمطالعة ، وحيناً آخر بالنزهة والتفريج عن النفس ، ونتداول في كل ذلك ما يلم بنا من فكر وتأملات ، ولا شك في ان الذي اوثق رباط المودة بين قلبينا ، وعرى الصداقة بين روحينا ، انما هو هذا التفاهم المتبادل في الفكر ، والنظر ، والتأمل .

وكنا اغلب ما نقضي الوقت في المطالعة على شرفة يتجلى منها البحر . ولست اكتم احداً ان هذا البحر كان له اوفر النظر واكبر التأمل . وحقاً ان للبحر معاني عظيمة الشأن هي صورة صادقة لما يجري في الدنيا ولما يمور في الصدر . فما اضطرابه وجيشانه الا صورة الدنيا في اضطراب مجراها ، وما هدوؤه وسكينته الا رسم العيش الخضيل والنعمة الترفة التي يتقلب الاثرياء والاشراف على فراشها الوثير ، وما ترقرقه حين يلم به النسيم الا لوعة الحب في سكون العزلة ، او ألم الفقر في ظلمة الكوخ ، وما اكثرها معاني ، تلك التي يوحيها البحر ، وتلك التي يستدعيها الزبد والموج .

ولكن ، ما شأن البحر في هذه القصة ؟

لولا ان تلك المعاني ذكريات وعتها تلك الايام ، لما ملأت هذه الاسطر ! . اقبل عزيز ذات يوم راغباً الي ان نقوم بنزهة في الجبل ، فقبلت من غير تردد ، وانطلقنا نعلوه بنشوة ومرح ، على الرغم من ان تسلقه انصب اجسادنا .. ومع ذلك فلم نفتر عن السير .

ولاحظت ان صديقي يقودني بين غابات وادغال ، فعجبت لامره ، وكان — حين احاول ان استفسره — يأمرني بالسير ، وطيف بسمة ، يتخايل على شفتيه . فلججت في السؤال عن وكده من كل ذلك ، فكان يجرني جراً وهو لا ينبس ، واخيراً اجتزأ بقوله : « سترى » .

ودلف بي الى غابات كثيفة تتوشج اغصانها وترسل ظلمة رهيبة ، وصديقي في كل ذلك يغذ السير ما ينصب ، حتى اذا اشرفنا على غاب صغير شرعت شفتا عزيز تفترانعن بسمة عريضة . واستأنفنا السير حتى بلغنا آخر الغاب .. ونظرت ، فاذا بكوخ صغير يقوم على سوق الشجر يشعر الوحدة والاعتزال ، وما كدنا ننتهي اليه حتى ألم بنا شبح غريب اثار حركة قوية تشبه هبوب ريح جفول تأخذ الشجر على حين غرة .. ولن اكتم ان مارأيت فجر الرعب من صدري تفجيراً . وحانت مني التفاتة الى عزيز ، فاذا هو مغرق في الضحك حتى يوشك ان ينقلب على قفاه .. وانا لم اجد الا ان ادعه يستكمل ضحكه ، وانطلق بين الشجر ابغي الفرار من ذلك المكان المخيف ، وزففت في سيري ما اكاد اعي . وما راعني الا ان اسمع قهقهة صديقي يدنو مني ما ضاعفت عدوي . وكنت اخشى ان التفت الى ورائي ، واذا بعزيز يدركني بعد هنيهة ويقسرني على الجلوس وهو ما يزال يضحك . وبعد ان استعاد هدوءه ورزانته التفت الي وقال :

— سأروي لك القصة !

— اية قصة ؟؟

— قصة الشبح الذي الم بنا منطلقاً من الكوخ في سرعة عظيمة ..

— دعني .. دعني .. يا عزيز ، فوالله ان هذا الرعب وحده لقصة واكثر !! .

فارسل ضحكة طويلة ، ثم شرع يروي لي القصة دون ان يكترث لما قلت .

انه سعيد فرناس .. ولئن كان هذا الاسم نكرة لديك ، فهو اعرف المعارف عند سكان « عارون » وحسبك ان تذكر هذا الاسم لترى على وجوه آل فرناس مسحة الفخر والتعاظم والاستعلاء ، ولكن لا تلبث مسحة اخرى — هي مسحة الحزن — ترين على وجوههم لما آل اليه سعيد فرناس من حال مخيف ..

كان زعيم آل فرناس غير مدافع ، يفخرون به ويتخذونه سيدهم ومولاهم في كل مجلس ، واعجب ما كان يعجبهم منه ، احاديثه اللذة عن هجرته الطويلة الى العالم الجديد . فكان يروي لهم قصصه الغريبة الشيقة ، وحوادثه الكثيرة ، وهم يزدادون به كلفاً ، ويجلونه ابلغ الاجلال . وكان بينه وبين اعدائه مواقع كان فيها المنتصر لم يشق له غبار ، مما كان سبباً في استبعاث احترام اعدائه انفسهم واكبارهم اياه .

وكان ذات مساء يروي احدى قصصه الطريفة ، والقوم مرهفون آذانهم ما ينبسون ، اذ برجل عظيم الجثة ، عبل الذراعين يقترب منه ويهدد بقبضة يده . وقليل هم الذين عرفوا فيه « امين الجبلي » الذي لم يهنأ قدر لحظة في حياته كلها اذ كان منغمساً بالجرائم يرتكبها ، والآثام يقترفها ، فيطارد من مكان الى آخر لا يستقر ساعة من زمن يستجم فيها ليفكر في امره فينيب مستغفراً اسفاً .

« تقدم امين من سعيد وادعى ان له قبله حقاً — وهو مال — اتى الان يسترجعه ، فأنكر سعيد عليه ذلك ، فألح امين الحاحاً منكراً ، وانشأ يتوعده ويتهدده بالقتل الم يفه اياه . فانتصب سعيد وقد اضطرب فيه شعور العزة والانفة يود ان يجبه امينا ، غير ان تلك الرفسة القوية التي قابله بها عدوه كانت كافية لان تطرحه ارضاً يكاد لا يعي من الالم والرهبة .. والقوم في كل هذا واجمون مشفقون . وما لبث امين ان نظر الى عدوه نظرة متسخط حانق ، ثم لتأ القوم بعين حديدية قاسية وانعطف الى الوادي .

واضمر سعيد في نفسه انتقاماً مراً تتحدث به قرى لبنان جميعاً ، وازمع ان « يسحب روح امين » — كما كان يقول — . ومما زاده عزماً تلك الاقاويل تتقول عن ضعفه ، وهذه الاراجيف تذاع عن وهنه وخوره . وكان يعرف موقع الدار التي نزل فيها امين .. وآثر سعيد ان يقترف جريمته ليلاً ..

وسار في ذلك الليل ، يحمل في وسطه خنجراً ، وفي يده هراوة ، يقصد دار عدوه المهين .. ولكنه كان يعجب احياناً ، لم كان شعور غريب مبهم يعروه الفينة بعد الفينة .. وكان يرجو ان يجدد فيه وقع الهراوة الغليظة روح العزم والاقدام .. ولكن ذلك الليل الصامت يرخي ذوائبه كثيفة صفيقة كان يبعث فيه بعض الفزع ، ويفت في عزمه .. وشرع يحس بأن تلك الهراوة كانت تثقل بين يديه حتى ليكاد ينوء بحملها ، وبأن وقعها الرتيب يهز مشاعره هزاً عنيفاً .. بيد انه — مع ذلك كله — لم يكف عن السير ، بل تابعه بأسرع مما كان ، راجياً ان يكبت هذه العواطف الضعيفة الخائرة تتردد في صدره فتوهنه .

وما كان الليل الا ليتكاثف فيغمره في حلكة رهيبة تتسلل الى قلبه فتطويه في جزع الوحدة .. واحس بركبتيه تصطكان حتى يكاد ينكب على وجهه ، وأيقن انه لن يتماسك نفسه من السقوط ..

واذ ذاك فحسب ، اشرف على بيت امين .. بيت امين .. بيت صغير ، اسمر اللون ..

انشأ سعيد يهتز هزات عنيفة .. لم يدر ما سبب ذلك !. كيف يسمح لمثل هذا الشعور ان يسيطر عليه ؟ هو الذي كان يغرق عدوه في بحر من الرعب والخوف ! وكأن هذه الفكرة البعيدة نفخت فيه روح الشجاعة ، فاستطاع ان يتقدم من البيت خطوتين ..

وفجأة ، سقطت يده عفواً على وسطه ، فلامست الخنجر ، فتفجر الرعب من صدره تفجراً ، وجحظت عيناه وهو يتطلع الى شجرة قريبة ، وظل الارتعاش يهد كيانه هداً .. ثم

تراخت مفاصله ، ووهنت قواه ، واخذ يبغم كالطفل ويتمتم ، وانه لفي هذا ، اذ بنور ضئيل ينبعث من نافـذة البيت الذي يواجهه .. بيت امين .. ثم يتجلى رويداً حتى يبرز واضحاً منيراً .. وفي هدأة ذلك الليل الاخرس ، ينبعث صوت اجش منكر بنغمة مستطيلة فيمزق ستار السكون .

« من هنا ؟؟ . »

فانفتل سعيد جزعاً ، وانشأ يعدو .. كان يركض لا يلوي على شيء ..

وخيل اليه ان الصوت ما زال يتبعه ، فضاعف سرعته .. وكان غريباً حقاً ان يركض رجل ركضة طفل .. كان لا يألو جهداً في الاسراع ، وعلى الرغم من انه قد رمى الهراوة ، فان وقعها مـا يزال يرن في اذنيه ، وكأنه هو الاخر كان يردد « — من هنا ؟ » .. وعاودته صورة الرجل يحمل مصباحه ويطل من النافذة .. وسمع ثانية صوت الليل والنجوم المرنقة في السماء يعيد سؤاله الرهيب .. اذ ذاك فحسب ، استطار رعباً ، واستجن عقله .. واذا هو بعد حين امام داره ..

ولجه باضطراب ، غير ان الخوف الذي عراه في الطريق بدأ يسكن ويهدأ . ولم يوقظ سعيد زوجته خشية ان تلحظ عليه اضطرابه .. وانار مصباحه بيد ترتجف ، ثم توقف هنيهة ، فاحس برد العرق يتصبب من جسده فيبلل ثوبه .

كان يريد ان يتكلم فلا يتأتى له ذلك .. ومكث في ذلك وقتاً غير يسير ، ثم حمل مصباحه ، ووضعه على نافذته فوق فراشه ، ثم تمدد على مهل وقد خال ان قد ذهب ما به .. وفجأة تذكر ان النافذة ما زالت مفتوحة وها هوذا نسيم الليل يلم بها فيومض المصباح ويخفت ضوؤه .. ولكنه عزم الا يغلقها .

وعلى رغم منه اخـذ يفكر . وكان كل تفكيره وكل تخيلاته محصورة برسم الطريق التي تفضي الى داره .. طريق برز في منعطفها الاول شبح عظيم الجثة ينشر حوله الرعب والخوف ، يندفع اندفاعاً بسورة الغضب وسعر الحنق ..

وظلت مخيلته ترسم له الشبح يقترب رويداً رويداً من داره ، فعاد العرق البارد يتصبب من جبينه .

وفجأة سمع خلف النافذة وقع اقدام ، ولكنه وقع خافت الصوت ، على اوراق شجر يابسة .. وهـذا لم يكن الا ليزيد ارتعاشه واهتزازه .. وسمع حركة على النافذة ، فلم يشك في ان يد الشبح قد وقعت على النافذة ، فاستغشى الغطاء كله ثم سمع صوت المصباح يسقط على مقربة من فراشه ، فينكسر وتتطاير شظاياه فتصيب يده ، ولم يشك في هذه المرة ايضاً بانهـا رصاصة اطلقها الشبح عليه وعلى هذه الفكرة ، هب من فراشه مذعوراً وانشأ يصيح ويصرخ :

— « ها .. ها .. اتى . لقد جاء امين » .

وطفق يرددها بجنون وبصوت كأنه الرعد .

وهبت امرأته من الركن الآخر من الغرفة جزعة مضطربة ، فرأت زوجها يعالج الباب ليخرج ، فما يتأتى له ذلك ، فاسرعت اليه تستفسره وتريد ان تطمئنه ، وما كادت تلمس كتفه لتسأله عما دهاه حتى انتفض منها وانفات يدور في الغرفة ويصيح بصوت متقطع وجل :

— دعني دعني والا قتلتك ..

فروعت امرأته ، واخذتها حيرة شديدة ، ومكثت مذعورة مشفقة ، واذ بهـا تبصر شبحاً صغيراً اسود يعدو في الغرفة يلتمس مخرجاً هو الاخر وسرعان ما عرفت فيه القط الاسود الذي اعتاد ان يرود حول البيت ويلج الغرفة من النافذة التي يرقد سعيد تحتها . ثم نظرت الى زوجهـا خائبة الظن ، فالفته يتمكن من فتح الباب ، ويخرج ، منطلقاً الى الجبل ولغير عودة ولقد ..

*

وما كاد صديقي عزيز يبلغ هذا المبلغ من قصته حتى الم بنا شبح غريب اثار حركة قوية تشبه هبوب ريح جفول تأخذ الشجر على حين غرة وحين حانت منه الينا التفاتة ، هب يضاعف الخطو ويزف في السير وهو يصيح ويصرخ

— ها . ها . اتى لقد جاء أ

فالفيتني انهض على رغم مني ، دالفاً الى الغابات ، منطلقاً عبر الاحراج كأنما تدفعني الارض دفعاً ومكثت اهبط الجبل كأنني قذيفة .

واذ كنت وشيكاً ان ابلغ الدار ، سمعت قهقهة صديقي عزيز عظيمة مرتفعة ، تصدى بها الغابات

سرحيل الدريس

العطش

الى الظمآنة « طرفة البير اديب » (١)

انا يا رمالُ ، وددتُ لو ... كنتُ السرابَ على الرمالِ
بي من دجى المجهولِ حلمكِ انتِ بالماءِ الزلالِ
وتفلّتُ من عالمٍ ... جهمٍ تخضّبَ بالسؤالِ
الماءُ فيه على هدىً ... وانا نجيّكِ في ضلالِ
انا يا رمالُ امرّ باليَنبوع ، بالعطشِ الحلالِ
انكرتُ خطوي في ثراه ... فرقّ لي وهفا لحالي
وتراقصتْ قطراتُه ... حرّى ، فقلتُ لها : « تعالي
لي موعدٌ فوق السحابِ ... وادّعيكِ غدَ الخيالِ
عودي الى اليَنبوع رو ... ي الارضِ بالخضرِ الدوالي
فيضي حياةَ الوجدِ في ... الآفاقِ في غورِ الزوالِ
وتسللي عبرَ الشقوق ... ورطّبي صدر الجبال
فاذا تراودكِ السفوحُ ... سألتُ خيركِ لا تبالي
نهلتْ بواكيرُ الاقاحِ ... نداكِ في غمر الليالي
فتبرّجتْ حورٌ لها ... وخطرْنَ ما بين اللئالي

*

انا يا غريبةُ ، ههنا ... مازلتُ ألهثُ في الأعالي ...

صلاح الاسير

---

(١) راجع ص ٥٢ – عدد آب – الجزء الثامن – الاديب –

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بنك سوريا ولبنان

◆

يجري امتحان لقبول موظفين متدرجين في بنك سوريا ولبنان في يومي الاربعاء ٩ والخميس ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٤٢ . مكان الامتحان الخطي : دمشق حلب ، اللاذقية وبيروت . مكان الامتحان الشفهي : دمشق وبيروت . يجب ان يكون طلب التسجيل مرفوقاً بنسخة مصدقة عن تذكرة الهوية ونسخة مصدقة عن الشهادات المدرسية . ان آخر موعد لقبول تسجيل الطالبين هو ٥ تشرين الاول يجوز تقديم طلبات التسجيل بواسطة المراسلة . ان مصاريف انتقال الطالبين لتقديم الامتحانات الخطية هي على عاتق الطالب .

شروط القبول لتقديم الامتحان هي :

ان يكون الطالب من الجنسية اللبنانية اوالسورية . ان يكون عمره ١٨ سنة على الاقل او ٢٥ سنة على الاكثر . ان يكون حائزاً على احدى الشهادات التي يمنح حاملها نقط على الشكل الاتي :

شهادة الدروس الابتدائية .	١
الشهادة التكميلية (Brevet élémentaire) .	٥
الشهادة التكميلية العالية (Brevet supérieur)	١٠
ديبلوم الدروس لغاية الصف الثاني	٣
ديبلوم الدروس لغاية الصف الاول	٥
بكالوريا القسم الاول	٧
بكالوريا القسم الثاني	١٢
الديبلوم الرسمي للدروس التجارية العليا	٥
ديبلوم الدروس العليا لليسه الافرنسية (Lycée Français)	٣
شهادة مسك الدفاتر (من شركة المحاسبة الفرنسية)	٢
شهادة التخرج في الحقوق او الاداب او العلوم	١٥

يجوز جمع هذه النقط على ان لا يزيد مجموعها على العشرين . يجب تقديم الشهادات المذكورة اعلاه في اليوم الاول من الامتحان . يحتوي برنامج الامتحان الخطي على المواضيع الاتية : انشاء باللغة الافرنسية (ساعة واحدة) ٢٠ نقطة . انشاء باللغة العربية (ساعة واحدة) ٢٠ نقطة . عمليتان حسابيتان (ساعة واحدة) ٢٠ نقطة . حساب سريع (عشر دقائق) ١٠ نقط . تاريخ وجغرافيا (ساعة واحدة) ١٠ نقط . يحق للطالبين ان يقدموا امتحاناً بلغة اجنبية تخولهم الحصول على عشر نقط ويجب عليهم ان يذكروا هذه اللغة عند تسجيل اسمائهم . توضع مواضيع الامتحان التي يقررها مدير فروع سوريا ولبنان بمساعدة لجنة في ظروف مختومة لا تفتح الا عند اجراء الامتحانات بحضور الطالبين . ان الاحتياطات التي ستتخذ لابقاء اسم الطالب مجهولا من فاحصيه هي ذات الاحتياطات التي تتخذ في الامتحانات الرسمية . يجب على الطالبين ان يحصلوا على ٦٠ نقطة على الاقل في الامتحان الخطي لكي يجوز قبولهم لتقديم الامتحان الشفهي ما عدا النقط التي يستحقها بشهاداته وديبلوماته . وكل علامة اقل من خمس نقط على احدى مواد البرنامج يجعل الطالب ساقطاً في الامتحان . تحتوي الامتحانات الشفهية على ما يأتي : سوألات عن اللغة الافرنسية ١٠ (نقط) سوألات عن اللغة العربية ١٠ (نقط) سوألات عن لغة اجنبية اختيارية ١٠ (نقط) . كل علامة تنقص عن خمس نقط في الامتحانات الشفهية تجعل الطالب ساقطاً في الامتحان . قد حدد عدد المتدرجين الممكن قبولهم ١٠ في لبنان و١٠ في سوريه شرط ان يحوز الطالب على ٦٠ نقطة على الاقل من مجموع الامتحانات الخطية والشفهية ويدخل في هذا العدد النقط المخصصة للشهادات والديبلومات . يرأس اللجنة التي تفصل في نتيجة الامتحانات في بيروت مدير فروع لبنان بالوكالة . وفي دمشق مدير فروع سورية تنشر في الصحف اسماء الطلاب الذين يمكن قبولهم للتدرج .

شروط التدرج

يدعى الطالبون الناجحون للقيام بالتدرج حسب درجة نجاحهم بالامتحان . ان مدة التدرج ستة اشهر . وعند انتهائها فالمتدرج اما يقبل في سلك البنك واما يخرج منه من دون ان يكون له ادنى حق باي تعويض . يقبض المتدرج في مدة تدرجه راتباً شهرياً قدره ١٥ ليرة لبنانية يضاف اليها بدلات غلاء المعيشة وغيرها المعمول بها في البنك . ان البيانات التي بموجبها يتقرر تثبيت المتدرج في البنك او عدم تثبيته يعطيها رؤساء الاقلام التي يكون المتدرج قد وجد فيها . وهذا القرار يأخذه مدير فروع سوريا ولبنان في جلسة يعقدها مجلس المأمورين وذلك بعد ان يسمع رأي مدير شعبة البنك التي يكون المأمور قد قام بتدرجه فيها . ان التواصي مهما كان نوعها لا ينتج منها للطالب الا الضرر . ان مجلس مأموري البنك هو مجلس البنك العادي ويتألف من : مدير فروع سوريا ولبنان . امين السر العام . مدير فروع سوريا . مدير فروع لبنان .

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

لندن ٢٦ آب — اعلن رسمياً ان الدوق ده كنت شقيق ملك انكلترا لقي حتفه في حادثة طيارة بينما كان قاصداً الى جزيرة ايسلندا .

بيروت — وافق مجلس الوزراء اللبناني على التعديل الخاص باجور مستخدمي التجارة باعتبار مرتب عام ١٩٣٩ اساساً لزيادة غلاء المعيشة بدلا من العام ١٩٣٦ . انقره — القى رئيس الجمهورية التركية خطبة في صمصون اكد فيها حياد تركيا واستعدادها التام لمواجهة الطوارىء .

لندن — قرر المستر تشرشل دعوة النواب لاطلاعهم في جلسة خاصة على نتائج رحلته الى روسيا والشرق .

القاهرة ٢٧ — استؤنفت المعارك في منطقة العلمين وقامت القوات الحليفة بهجوم موفق ، على ان السكون لم يلبث ان ساد من جديد .

لندن — قتل القائد الالماني فون غابز في حادثة جوية في الميدان الروسي ، وقد وصل الروس في زحفهم الى سكة حديد رجيف وحشد فون بوك مليوناً من الجنود لمهاجمة ستالينغراد . القاهرة — احتفلت الامة المصرية بالذكرى السادسة لتوقيع المعاهدة البريطانية المصرية .

بيروت ٢٨ — خطب فخامة الجنرال ديغول فقال ان فرنسا تعطف على استقلال سوريا ولبنان ، وان ايمان فرنسا بالنصر وفوز الحلفاء في هذه الحرب اقوى منه في كل ساعة . موسكو — عين القائد الروسي جاكوف مفوضاً معاوناً في لجنة الدفاع الوطني .

بيروت ٢٩ — عرض فخامة الجنرال دي غول زعيم فرنسا المحاربة الجنود في ساحة الشهداء وعلق عدداً من الاوسمة على صدور الضباط وصف الضباط والجنود .

ريودي جانيرو ٣٠ — اعلن رئيس جمهورية البرازيل حالة الحصار في جميع انحاء البرازيل . طوكيو — اعلن نبأ استقالة وزير خارجية اليابان السيد توغو لاسباب شخصية . انقره — احتفلت تركيا بعيدها الوطني وقد قام رئيس الوزارة بعرض فرق من الجيش في ارزنجان ، وخطب القائد كلكتس معربا عن استعداد الجيش التركي للدفاع عن مصالح بلاده . بيروت — تلقى فخامة الجنرال ديغول برقيتا تأييد من حاكم افريقيا الاستوائية وحاكم الكاميرون بمناسبة الذكرى الثانية لحركة الفرنسيين المحاربين .

القاهرة — اول ايلول — اذيع ان قوات المانية مصفحة تقدمت باتجاه مراكز الجيش الثامن في منطقة العلمين فصدت بعد ان كابدت خسائر كبيرة . بيروت — احتفل بعيد الاستقلال اللبناني وقد خطب رئيس الجمهورية . برلين — وجه هتلر نداء الى الشعب الالماني كي يساعد وطنه في حرب الشتاء المقبل ويبدو من هذا النداء خيبة امله من حوادث العام ١٩٤١ .

لندن ٢ — عرضت اليوم لاول مرة في شوارع لندن القوات الاميركية وخطب الميجر جنرال لي فقال « جئنا الى هنا لنظل خلال الحرب ولنتعاون مع اخواننا وسنعمل المستحيل لكسب الحرب » . القاهرة — تشرف المستر وندل ويلكي ممثل الرئيس روزفلت الخاص بمقابلة جلالة الملك فاروق الاول وسلمه رسالة خاصة من الرئيس الاميركي الاول ثم زار المستر ويلكي القوات الاميركية المرابطة في صحراء مصر الغربية . طهران — بوشر بتنفيذ الاتفاقية المعقودة بين ايران وروسيا بشأن تبادل المواد الغذائية .

الاسكندرية ٤ — اعلن ان خسائر المحور بلغت في البحر الابيض المتوسط منذ ابتداء الحرب مليونين و٢٥٠ الف طن ، وفقد اربع مدرعات كبيرة وخمسة طرادات متوسطة وخمسين مدمرة ونسافة عدا الغواصات العديدة .

دلهي الجديدة ٥ — خاطب القائد ويفل الشعب الهندي فاشار الى ان مؤتمر موسكو ومؤتمر القاهرة اعادا الثقة بمصير الحرب النهائي وتكلم امير البنجاب وناشد الشعب الهندي بان يظل على تقاليده . لندن — اصدرت الحكومة الالمانية قراراً دعت بموجبه سكان الالزاس واللورين ولوكسمبورغ الى التجند في صفوف الجيش .

فيشي ٦ — اجتمع المسيو لافال بالمكلف القيام بالشؤون الاميركية في فيشي وسلمه احتجاجاً على ضرب الطائرات الاميركية للمدن الفرنسية . برلين — وجه الماريشال غورنغ نداء دعا فيه الى التقليل من استهلاك البترول والكهرباء كيلا تتعرقل صناعة التسليح .

ريو دي جانيرو ٧ — احتفلت الجمهورية البرازيلية بالذكرى المائة والعشرين على استقلالها . واشنطون — عقدت حكومة واشنطون اتفاقاً عسكرياً بينها وبين جمهورية كوبا ينص على تعاون متبادل .

انقره ٨ — وصل المستر وندل ويلكي الى انقره وصرح بانه يحمل رسالة خاصة الى الرئيس اينونو من الرئيس روزفلت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واشنطون ٩ — اعلم سفير دوقية لوكسمبورج في واشنطون السيد كوردل هل ان دوقية لوكسمبورج انضمت الى المانيا وانه يعترض على ذلك لدى ٢٨ دولة من دول الحلفاء ولدى الدول الحيادية . لندن — اكد راديو روما مصرع القائد الالماني بسمرك في ميدان القتال في صحراء مصر الغربية .

واشنطون ١٠ — صرح كوردل هل بان اميركا احتلت جزر « غالاباغوس » على اثر اتفاق عقدته مع جمهورية الاكواتور صاحبة الحق في هذه الجزر . برن — وقعت ازمة وزارية في بلغاريا وباشر الملك بوريس استقبال الزعماء لحل الازمة الناشبة منذ شهر تموز الماضي . لندن — صرح المستر تشترشل في مجلس العموم ان الموقف في الهند تحسن كثيراً وهو يدعو الى الطمأنينة .

موسكو ١١ — هاجمت اسراب كثيرة من الطائرات الروسية بودابست وبرلين وكونكسبورغ ومدناً سواها في المانيا . لندن — ألقت الطائرات الانكليزية مائة الف قنبلة على مدينة دوسلدورف الالمانية في ليلة واحدة .

موسكو ١٢ — وصلت لجنة علمية روسية الى جبال الاورال لانشاء مصانع جديدة للاسلحة وتوسيع حلقة الصناعات الحربية في تلك المناطق الغنية بالمعادن والمواد الاولية .

لندن ١٣ — نزلت قوات انكليزية جديدة في غربي مدغسكر في جزيرة نوزي وفي مرفأ ماجونكا ، فلقيت مقاومة ضئيلة .

لندن ١٤ — اكد المستر ايمري في مجلس العموم بان الحكومة تستقبل بارتياح كل محاولة ترمي الى توحيد الهند توحيداً وطنياً .

برازفيل ١٥ — وصل فخامة الجنرال دي غول الى افريقيا الاستوائية الفرنسية قادماً من سوريا .

لندن ١٦ — اعترض جميع رجال الدين في فرنسا على اضطهاد اليهود وبنوع خاص اليهود غير الفرنسيين القاطنين في المنطقتين المحتلة وغير المحتلة . موسكو — اعلن ان معركة بالسلاح الابيض دائرة اليوم امام ستالينغراد بين القوات الروسية والالمانية .

فيشي ١٧ — حمل راديو فيشي حملة قوية على المسيو ادوار هريو لانه اعاد وسام جوقة الشرف الذي يحمله احتجاجاً على تسليم مثل هذا الوسام لمتطوعين حاربا في الجبهة الروسية . واشنطون — انذر كوردل هل سفير فيشي في واشنطن بان القرار الذي اتخذه لافال بتجنيد اليد العاملة في فرنسا لخدمة المانيا مساعدة فعالة لاعداء الاميركية المتحدة . بونس ايرس — صدقت لجنة الشؤون الخارجية في المجلس النيابي على قطع العلاقات السياسية بين الجمهورية الفضية وبين دول المحور .

انقره ١٨ — اندلعت نار الثورة في بلغاريا وتدخل الجيش لتوطيد الامن والنظام . صوفيا — دعي جميع البلغاريين المولودين بين سنتي ١٩٢٢ و١٩٢٤ الى حمل السلاح .

القدس ١٩ — وصل الى القدس السيد كاسي وزير الدولة البريطاني في الشرق الاوسط . دمشق — احتفل في حوران بعيد القمح وحضر الاحتفال الجنرال كوله وزير الدعاية والشباب السوري .

لندن ٢٠ — يقول المقر العام للجيش الاميركي المرابط في انكلترا ان بعض المظليين الاميركيين انضموا الى هذا الجيش لتعزيز جنوده المعدين لغزو القارة الاوربية . موسكو — ضربت الطائرات الروسية بنجاح سواحل بحر البلطيك وضاعف الالمان غاراتهم على لينغراد .

موسكو ٢١ — قابل السيد وندل ويلكي السيد مولوتوف روما — قررت الحكومة الايطالية اقفال المدارس طوال اشهر الشتاء .

بيروت ٢٢ — وضع القائد العام الجنرال كاترو تحت تصرف الحكومة اللبنانية مبلغ ٨٠٠ الف ليرة لبنانية تؤخذ من اموال المصالح المشتركة لتنفق في سبيل الاعمال الزراعية والري .

واشنطون ٢٣ — بلغ عدد البوارج الحربية اليابانية التي اغرقت او عطلت في مياه جزر سليمان ٢٢ بارجة . ستوكهلم — اعلن ان هتلر عزل القائد فون بوك من قيادة الجيش الالماني الذي يقاتل في ستالينغراد وذلك منذ اسبوعين .

برن ٢٤ — قررت حكومة سويسرا تطبيق قانون الهجرة ، بكل شدة ، والمعتقد ان مائة الف شخص يحاولون الهرب من فرنسا الى سويسرا ويستحيل على الحكومة السويسرية قبول مثل هذا العدد الى جانب ٩٦ الف لاجيء اجنبي الى سويسرا . استمبول — طلبت الحكومة الايطالية ١٢ طبقة من رعاياها القاطنين في تركيا لحمل السلاح وطلبت منهم السفر فوراً الى ايطاليا . لندن — اوقفت السلطات الالمانية خمسة الاف فرنسي في باريس بتهمة قيامهم باعمال العنف ضد السلطات المحتلة .

موسكو ٢٥ — بعد مرور شهر ونيف على القتال في ستالينغراد لم يقترب الالمان من الفولغا اكثر مما كانوا عليه منذ اسابيع

الانسان الصحيح

◆

كان في الربيع السادس عشر حين عرفته في بيت ابيه وعمه ، واذكر انه كان ينتبذ من دروسه ويأتي فيجلس الينا مصغياً الى حديثنا في الادب والادباء او في احوال الناس . لقيته لايام وفاقاً على الطريق فاذا هو يكاد يشيخ ، فالخريف الرابع الذي انصرم بين عهدي به في بيت ابيه وعمه واجتماعي به في الشارع حوله من فتى طريّ ناعم ، ساذج المقلتين ، وادع اهوج ، الى غلام منكمش ، هزيل ، منجرد على سيمائه رماد الليالي وفي عينيه ابتسامة صفراء تتقاسمها تكشيرة السخرية المتصنعة وعجرفة الغرور الابله . وكأن بُعد مشقّة بين البيت والشارع انساه مفروض الاحترام لبُعد ما بين السنين ، فقال لي متعمداً رفع الكلفة بما يحبّه ذوق الاديب : « هل حوّلتك الحرب من شاعر الى تاجر ؟ » فقلت : « وما يحملك على هذا السؤال ؟ » فقال وهو يهمّ بأخذ ذقني بيده : « لم اقرأ لك شعراً منذ دهر طويل . » فقلت مستعيناً على الصبر بما احفظ لعمّه ، رحمه الله ، من المحبة والجميل : « لو كنت تقرأ المجلة الفلانية لقرأت لي شعراً ونثراً ورفعت عني كأس التجارة في هذه السنة الازمة . » فانتفض انتفاضة المكبود الممعود ، ثم كشّر تكشيرة بشعة وقال بلهجة كأنها « سنوبسم » : « انا لا احب السنوبسم !.. » فقلت مستغرباً ان يكون في الناس مثل هذا الغلام ، وكأني اكتشفت جنساً جديداً من من الخلق : « وما علاقة السنوبسم بهذه المجلة ؟ » فقال كمن يريد ان يتهرب : « لا ، لا احب شكلها ، ولا تبويبها ، ولا طريقتها في اختيار الكتّاب .. » ثم رفع كتفيه المقوستين الى اذنيه الرقيقتين كأنفه وشفتيه وقال : لا ، لا احب السنوبسم !.. » فقلت : « وماذا تحب ؟ » فقال : « احب الفن !.. » ورفع حاجبيه تنويهاً بخطورة الكلمة .

ولما انصرف اخذت احدث نفسي في شأنه . من اين جاء هذا الولد ، وقيم لم ينشأ كما نشأ عمه ، مع انه ربي في ظله وفي ... بيته . ثم تذكرت قول مفكر حكيم ان الرقي لا يقوم الا على التقاليد ، فخارج التقاليد لا نبني الا في الهواء ولا نشيد الا ابنية وهمية خدّاعة باطلة . والواقع اننا اذا لم نتقيّد بالمأثور الحسن من عاداتنا وتقاليدنا في التفكير والسلوك نشأنا مضطربين مضعضعين ، اشخاصاً لا شخصية لهم ، نلتقط ما هبّ ودبّ من بضائع الغير ونتمسك به عوناً لنا على الظهور في الناس بمظهر الفاهمين مخارج الامور ومداخلها .. ويكون مثلنا مثل هذا الغلام « السنوب » الذي يمثل في محيطة طائفة من اولئك الغلمان المضطربين المضعضعين الذين يخيّل اليهم ان من شروط الرقي الخروج على ما استغرق اجيالا من التفكير والعلم والاختبار .

وفي كل جيل نشهد غزوة للبرابرة في قلب الحضارة ، وفي كل جيل نتأهب لصدّ هذه الغزوة او للقضاء عليها . وهؤلاء البرابرة لا يأتون دائماً من صحارى سكاندينافيا او من شواطىء النهر الاصفر ، بل يأتون احياناً من اعماق الشرور الاصلية . فابناء الناس كما اوجدتهم الطبيعة ليسوا سوى برابرة ، وفي ذمة المستنيرين تحضيرهم . في ذمة المستنيرين مساعدتهم على التخلص من افاعي الجهل التي تشد على خناقهم . ويقيني ان غلامنا هذا لو ربي على المحمود من منقول الاباء والجدود لما بقي بربرياً كما اوجدته الطبيعة . وكما انه ليس ثمة الا فن واحد ، هو الفن الصحيح وهو الفن الذي يجب ان يُحبّ دون سواه — لا فن الدهماء الذي يرضي شهوة العقول العادية ، ولا الفن الذي يوائم مزاج هذا وذاك او يستوي مع قدرتهما على الفهم — لا ينبغي ان يكون ثمة الا انسان واحد هو الانسان الصحيح .

الياس ابو شبكه

اساس الدولة الاقتصادي في النظام العالمي

لحنى الصوّاف

استاذ علم التجارة في جامعة بيروت الاميركية

لا اريد ان ابدأ حديثي اليكم هذا المساء بالمقارنة بين اهمية الاقتصاد من جهة والسياسة من جهة اخرى ، في بنـاء الامم . ولكني لا ارى بدأ من الاشارة الى ان القائمين بتغذية النهضـة القومية في بلاد الشرق العربي قد حصروا جهودهم ، او كادوا ، في العمل السياسي الصرف ولم يشملوا العمل الاقتصادي الا بالقليل من اهتمامهم ونشاطهم . والواقع ان نشاط النهضة السياسية نفسه يتوقف الى مدى كبير على نهضة مماثلة في الاقتصاد والاجتماع ، فلا يمكن ان يقوم في هذه البلاد اي كيان سياسي متين البنيان راسخ الاركان الا اذا دعمه كيان اقتصادي ينمي الثروة الوطنية ويقوم بتوزيعها بعدل بين مختلف طبقات المنتجين . وبناء هذا الكيان الاقتصادي هو هدف السياسة الاقتصادية للدولة . وتجب الاشارة هنا الى ان السياسة الاقتصادية للدولة هي جزء من سياسة الدولة العامة التي يمكن تلخيصها بعبارة وجيزة . هي توطيـد السلم في الداخل والدفاع عن البلاد في حالة عدوان خارجي ، ومن ثم توفير الخير المادي للرعية تأميناً لتطور الامة الى حياة فكرية ثقافيـة اجتماعية مثلى . فمهمة السياسة الاقتصادية ، اذن ، تنحصر في العمل على توفير الخير المادي للامة اي في العمل على انماء الثروة الوطنية وتوجيه موارد البلاد من ثروات طبيعية وايد عاملة في السبل التي تؤدي الى تقوية الدفاع عن البلاد ورفع مستوى المعيشة عند كثرة الشعب .

ولعل اهم وسيلة لتحقيق هذه المهمة اي لانماء الثروة الوطنيـة ورفع مستوى المعيشة عند القسم الاكبر من الشعب هي اتباع مبدأ توزيع العمل وتطبيق هذا المبدأ في مختلف نواحي الحياة الاقتصادية . فقد انقضى الزمن الذي كان يعتمد فيه الفرد على نفسه لانتاج ما يحتاج اليه من مأكل وملبس وغير ذلك من مقومات حياته المادية ووجد بعد الاختبار ان جهوده في الانتاج تأتي بثمار اوفر ان هي اقتصرت على انتاج شيء واحد او عدد محدود من الاشياء ، فبادر الى التخصص والى مبادلة ما يفيض عن انتاجه بما يفيض عن انتاج الآخرين . وقد توسع تطبيق هذا المبدأ بالتدريج فلم يعد يقتصر على الافراد القاطنين في بلاد واحدة بل اصبح في الاحوال العادية شاملاً افراد الدول المختلفة ، وخرج عن حدوده المحلية الضيقة ، خصوصاً منذ الثورة الصناعية في اواخر القرن الثامن عشر ، فاصبح عالمياً بكل معنى الكلمة . وصرت لا تجد اليوم دولة مهما اتسعت مساحتها ومهما بلغ شأنها من العلم والتقدم الا وهي تعتمد في سد كثير من حاجاتها على انتاج غيرها من الدول . وليس ادل على ذلك مما نشعر به اليوم من النقص في كثير من حاجياتنا ومما نعرفه من المصاعب التي تلاقيها الامم ، كبيرتها وصغيرتها ، في سبيـل الحصول على ما كانت من قبل تعتمد في الحصول عليه من البلدان الاخرى التي فصلتها عنها الان الحرب او اخطارها .

وقد نتج عن اتساع نطاق هذا التبادل التجاري زيادة في ارتباط العلاقات الاقتصادية بين مختلف الدول وفي اتكالها المتبادل بعضها على البعض الآخر ، واصبح استمرار الرخاء الاقتصادي في كل منها متوقفاً الى درجة كبيرة على استمراره لدى جيرانها . فاذا لم يتمكن المنتجون في اميركا مثلا من تصريف منتوجاتهم من القطن في الاسواق الاجنبية اصبحوا هم انفسهم غير قادرين على شراء كثير من الحاجيات التي كانوا قد اعتادوا على شرائها ، الامر الذي يسبب كساداً لدى هؤلاء الآخرين وتنتقل العدوى الى غيرهم فيعم الكساد وينتشر البؤس . واضح اذن ان هذا التشابك الاقتصادي بين الدول يجعل من العسير على اية منها ان تمضي في سياستها الاقتصادية دون ان تأخذ بعين الاعتبار تأثير تلك السياسة ، حتى المحلية منها ، في علاقاتها الاقتصادية والسياسية بالدول الاخرى . اذ ان اهمال ذلك الاعتبار كثيراً ما يؤدي الى الخلاف ، وكثيراً ما ادى هذا الخلاف الى النزاع المسلح . نخرج مما تقدم بان تطبيق مبدأ توزيع العمل او التخصص على نطاق دولي واسع ، ذلك المبدأ الذي وجدنا فيه اهم وسيلة لتنمية الثروة الوطنية ، يخلق بين الدول كثيراً من المشاكل المعقدة التي لابد من معالجتها وحلها حلا مرضياً اذا اريد جنى ثمار التخصص الى اوسع مدى . ومعالجة هذه المشاكل هي اهم ما تعنى به السياسة الاقتصادية الخارجية . ولما كان ليس في الوقت متسع لشرح هذه المشاكل جميعها نكتفي باثنتين منها على سبيل التمثيل .

ونبدأ بمشكلة اطلاق حرية التجارة او تقييدها : هل الافضل للدولة ان تبيح حرية التجارة فتسمح للتجار بالاستيراد والاصدار دون ما قيد او شرط ، تاركة سير الامور الى ما تقرره المزاحمة بين التجار وما تفرضه مصلحة المستوردين او المصدرين ؟ ام هل الافضل

للدولة ان تقيد التجارة الخارجية ببعض القيود العامة كاخضاعها لضريبة كمركية ؟ وهل تكون هذه الضريبة عامة شاملة جميع السلع مهما كان مصدرها ، ام تقع بثقل متفاوت على مختلف السلع والدول ؟ ام هل الافضل للدولة ان تتبع سياسة الاكتفاء الذاتي فلا تسمح بالاستيراد او الاصدار الا بالقدر الذي تتطلبه تلك السياسة ؟ ليس من السهل الاجابة على هذه الاسئلة ولكن من المقرر لدى علماء الاقتصاد ان اطلاق الحرية التجارية من شأنه ان يسهل مهمة التخصص الجغرافي ، مما يسبب فائدة للمستهلكين في كل البلاد في حين ان تقييد الحرية التجارية يسبب انخفاضاً في مستوى المعيشة عندهم . ومع ان هذه النظرة لا شائبة فيها اذا اعتبرنا مصلحة العالم المادية على وجه الاجمال فان تقييد حرية التجارة قد يعود ببعض النفع على البلاد التي تتبع سياسة التقييد . على ان هذا النفع يبقى محصوراً اما بتلك البلاد او — كما هو الاغلب — بفئة معينة من اصحاب المصالح فيها . وكثيراً ما الحق الضرر بالفئات الاخرى . ولو اقتصر الامر على نفع محدود تجنيه فئة معينة لما كان في الامر كبير شر ، ولكن هذه السياسة — اي سياسة التقييد — لا بد ان تعني الحاق الضرر بالبلاد الاخرى . فلو فرضت انكلترا مثلا ضريبة كمركية على البضائع الواردة من البلاد الاجنبية فمعنى ذلك ان المصدرين في تلك البلاد لن يتمكنوا بعد هذه الضريبة من تصريف منتوجاتهم التي اعتادوا تصريفها من قبل في انكلترا — الامر الذي لا شك يعود بالخسارة عليهم — على الاقل الى ان يتمكنوا من ايجاد اسواق يستعيضون بها عن الاسواق التي فقدوها او ان يحولوا انتاجهم الى اصناف اخرى لا تخضع للضريبة . ويجب ان نلاحظ هنا ان انكلترا قد تكون قد فرضت الضريبة لمصلحة داخلية خاصة ، كالحصول على المال مثلا ، لا قصد ايقاع الضرر بالمنتجين في البلاد الاجنبية . ولكن مهما كانت البواعث فان فرض تلك الضريبة يوقع الضرر بالمنتجين في البلاد الاخرى . ويتضاعف الضرر على المستهلكين في البلدين اذا حدث ان البلاد التي اصابها الضرر من الضريبة ردت هي الاخرى بضريبة انتقامية على البضائع التي تستوردها من انكلترا .

وتأتي بعد ذلك مشكلة النقد او القطع . فان التبادل الاقتصادي بين الامم لا يمكن ان يقوم على شكل مرضٍ الا اذا رافقه نظام نقدي ومصرفي يمكن التجار في مختلف البلدان من مقابلة الاسعار وعقد الصفقات وتصفية الحسابات بطريقة ثابتة غير متقلقلة . ولكن الواقع ان كل دولة تعتبر ان استقلالها وسيادتها يحتمان عليها ان تتخذ لنفسها نقداً مستقلا يختص بها وسياسة نقدية ومصرفية تتبعها لتسهيل علاقاتها الاقتصادية مع الخارج . وكثيراً ما تستهدف هذه السياسات اهدافاً محلية ضيقة دون ان تراعي الاثر الذي لا بد ان تحدثه في الاحوال الاقتصادية في البلدان الاخرى . فاذا خفضت احدى الدول نقدها مثلا فان المصدرين في البلدان الاخرى يجدون انفسهم فجأة امام مزاحمة شديدة تسبب لهم الكساد وقد يكونون من القوة بحيث يتمكنون من حمل حكوماتهم على اتخاذ تدابير مماثلة فتتعرقل الحركة التجارية ويشمل الضرر المستهلكين في البلدان جميعها على السواء .

لقد حاولت فيما تقدم ان ابين ان انماء الثروة الوطنية وتزويد الامة باعلى مستوى للمعيشة يتوقف الى مدى بعيد على اتباع مبدأ توزيع العمل ، لا ضمن حدود الدولة الواحدة فحسب بل ضمن نطاق العالم كله . ثم حاولت ان اظهر التشابك الاقتصادي الذي نتج عن اتباع هذا المبدأ والمشاكل التي احدثها . كذلك حاولت ، حين سردت على سبيل التمثيل مشكلتي حرية التجارة والنقد ، ان المح الى السياسة التي يحسن اتباعها في معالجة هذه المشاكل . واود الان ان اخرج من التلميح الى التصريح فاقول ان هناك مدرستين فيما يختص بالنظر الى هذه المشاكل : الاولى تقول بوجوب النظر الى هذه المشاكل على ضوء المصلحة الوطنية الخاصة دون النظر الى غيرها من الاعتبارات ، وهذه السياسة هي في نظري سياسة ضيقة مضرة لا بتبيعها فحسب بل بالعالم كله ، اذ نتيجتها الحتمة انخفاض في مستوى المعيشة وحرب اقتصادية لا بد منتهية بحرب دموية . والمدرسة الثانية تقول بوجوب التعاون مع الدول الاخرى في سبيل الخير العام ولو ادى ذلك الى التنازل عن شيء من استقلال كل دولة وسيادتها . وليس من شك عندي في ان نظرة المدرسة الثانية هي النظرة الاصح والنظرة التي تقود العالم في طريق التقدم والرقي والسلام فكما ان تآلف العائلة الواحدة لا يتم الا اذا تنازل كل فرد منها عن انانيته الضيقة ونظر الى الامور لا بمنظار مصالحه الشخصية بل بمنظار مصلحة العائلة بكاملها ، كذلك لا خلاص للعالم الا اذا اقتنعت الامم المختلفة ان من مصلحتها جميعاً ان تعيش بعضها مع بعض في عائلة اممية يحترم افرادها بعضهم بعضاً ويضحي كل منهم بقسط من سيادته في سبيل تأمين الخير الاكثر للعدد الاكبر . فعلى شباب الشرق العربي ، وبلادهم مازالت على عتبة الاستقلال ، ان يسعوا لتفهم الحقائق الاقتصادية على وجهها الصحيح ليتمكنوا من جعل كيانهم الاقتصادي سليما معافى وبالتالي ليجعلوه ركناً قوياً من اركان التعاون الاقتصادي العالمي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النشاط العقلي والروحي واثره في بناء الامة

للدكتور قسطنطين زريق
استاذ في التاريخ العربي بجامعة بيروت الاميركية

سبقني في معالجة مواضيع هذه السلسلة من احاديث الشباب نفر من رجال الفكر وقادة الرأي تناولوا البحث الخطير الذي تدور عليه هذه السلسلة — الا وهو بناء الامة — من نواحيه السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فعرضوا المشاكل التي تواجهها الامة الناشئة في كل من هذه النواحي ، ووصفوا لها الادوية والحلول . وكان قسطي من هذا البحث المشترك ان ابسط الناحية العقلية والروحية من حياة الامة ، فاظهر مكانها في تلك الحياة والاثر الذي لها في بناء النهضة القومية . وقد انتهيت من معالجتي لهذا الموضوع الى نتيجة اود ان اواجه بها المستمعين الكرام في بدء هذا الحديث كي يتضح خطة البحث ويبين منهجه ومنحاه . هذه النتيجة هي ان الانتاج العقلي والروحي لامة ما ليس مجرد ناحية من حياتها تقابل النواحي الاخرى وتوازيها ، وانما هو من كيان الامة في الصميم ، ومن بنائها في الاساس ، لا يقوم مقامه في النهضة القومية الصحيحة اي عامل او سبب آخر .

فاذا نظرنا اول الامر الى عملية بناء الامة وجدنا النشاط العقلي والروحي شرطاً لازماً لاي جهد من الجهود المؤدية الى ذلك . فاقامة الدولة على اساس صحيح يوازن سلطاتها الثلاث موازنة دقيقة ويصلها بالشعب صلة فعالة باعثة على النمو السياسي والتقدم القومي — هذه العملية البنائية لا تتم ما لم يكن للعقل والتفكير حظهما الوافي فيها ، وما لم يسدها جو روحي تتجلى فيه اسمى الصفات البشرية والفضائل الانسانية . وكذا شأن الجهود الموجهة الى خلق جسم اجتماعي سليم منسجم متوازن الطبقات يتعاون افراده وجماعاته تعاوناً مفيداً في سبيل الخير العام ، فان كانت هذه الجهود مبنية على العاطفة الهائجة او الهوى الجامح فلن يقدر لها حظ من النجاح او امل في الاثمار . وقل الشيء نفسه عن التنظيم الاقتصادي في داخل الامة او في علاقتها بالامم الاخرى ، فلقد اظهر التقدم البشري الحديث ان العلاقات الاقتصادية على غاية من الدقة والترابط وان حسن تسييرها يقتضي علما صحيحا واسعا ، وتكونا عقليا وروحيا خاصاً لا يأتي عفواً او اعتباطاً ، بل يستوجب ان تؤخذ له الاهبة وتعد له العدة الكافية . وهكذا الحال في كل ناحية اخرى من نواحي النهضة القومية ، لا تبلغ غايتها او تؤتي ثمارها الا اذا استوفت الشرط الاول اللازم لها ، الا وهو : نضج العقل المفكر وتدفق القوى الروحية الانسانية وصفاؤها .

ونحن اليوم ، في بدء نهضتنا القومية وفي الخطى الاولى من نشوئنا الاجتماعي الجديد ، خليقون بان نتبين لانفسنا هذه الحقيقة وبان نحلها محلها في الجهاد الذي نقوم به لانشاء حياة قومية صحيحة . غير ان الناظر في حالنا الحاضرة ليلاحظ ان هذه الحقيقة لاتزال خافية علينا وانا بعيدون عن تقدير العقل والروح تقديراً صحيحاً ومقصرون في توفيرنا لهما اسباب النمو ووسائل الانتاج . وعلة ذلك في رأيي ان نظرنا الى الغرب الناهض الذي نسعى الى تأثر خطاه نظر ضعيف خاطىء . نرى امم تتصارع في ميدان القوة والبطش ، فنعتقد ان القوة كافية وحدها للنشوء القومي ، غير مدركين ان كل قوة لا ترتكز على عقل منظم مظهر فارغ لا بد من ان تبدده عوادي الزمان ، وان كل بطش يزدري المعاني الروحية ويدوسها ، وان ساد يوماً ، آيل حتما الى الفشل والاندثار لانه معاكس لتيار الحياة الانسانية المتقدمة ابداً في جوهرها الى الامام . وننظر الى الغنى المتدفق من الامم العظمى فتدهشنا المظاهر المادية والموارد الاقتصادية الغزيرة فيخيل الينا ان هذه الموارد هي التي تتحكم في مصير العالم ، وننسى انها لم تكن لتتيسر لتلك الامم لولا العقل المبدع الذي تسلط على الطبيعة الصماء ففجرها عيوناً وينابيع تفيض بالثروة والغنى ولولا الصفات الانسانية السامية التي تجسمت في علماء تلك الامم وقادة السياسة والاجتماع فيها فابلغتها ما هي عليه اليوم من عزة ومنعة وتقدم . الامم التي تثبت آخر الامر في المعترك البشري هي تلك التي تكونت تكوناً قومياً صحيحاً واذا تفحصنا حالها وجدنا انها قد احترمت العقل اعظم احترام وفسحت له اوسع مجال وانها قامت على اكتاف افراد وجماعات توفرت لهم الصفات الروحية الممتازة . وكل ما لا يرتكز الى هذا وذاك — الى الروح المشرقة والعقل المبدع ، الى القوتين الناهضتين بالبشر عن مرتبة الحيوان — سائر لا محال الى الزوال والهلاك .

فلننظر اذن في حالنا ولنتفحص مقدار احترامنا للعقل والروح وتسهيلنا لهما سبل النمو والانتاج . اين المختبرات التي انشأناها لنخضع فيها مظاهر الطبيعة للدرس والبحث كي نتوصل الى السيطرة عليها ، بدلا من ان نبقى عبيداً اذلاء لها او للذين سبقونا بعقلهم وروحهم الى ضبطها وتسييرها ؟ اين المكاتب التي اقمناها حرماً مقدساً للعلم المستكشف المستنبط الساعي ابداً الى الحقيقة؟ اين الجمعيات العلمية التي تربط جهود العالمين في البحث والدراسة فتعزز قواهم وتزيد انتاجها وتمكن اثرها ؟ بل اين العلماء الذين انبتناهم ، واين اثارهم العلمية التي تصح ان تقارن بما ولدته الامم الغربية الناهضة، او الادباء والفنانون الذين يستحقون ان يوضعوا في مقام المبدعين؟ اين، بقول واحد، الهياكل التي بنيناها لتأمل العقل والروح وخدمتهما خدمة خالصة تشرق بها نفوسنا وتتأهب لمعالجة معضلات حياتنا ؟؟ الحق اننا ما لم نولد هذه الوسائل كلها — ما لم نرفع العقل والروح الى مقامهما الاعلى في سلم حياتنا — فعبثاً نسعى لبناء امتنا ، لان هذا البناء يظل فاسداً ما دامت هاتان القوتان لا تؤديان عملهما الحر النشيط المبدع .

على ان النشاط العقلي والروحي لا يهم كوسيلة لبناء الامة فحسب ، وانما له مقام اسمى من ذلك وارفع . فهو يعلو عن مجرد الوسيلة ليصبح الغاية التي من اجلها تبنى الامة وتعزز البلاد . اذ ما الفائدة من الاستقلال السياسي والازدهار الاقتصادي ، وسواهما من مظاهر الحياة القومية، الا ان يكونا سبلا الى الانتاج العقلي والاثمار الروحي . ليس الاستقلال غاية في نفسه ، وليس من امة سجلت لذاتها ذكراً في التاريخ لمجرد انها كانت مستقلة ، وانما يتوقف مكانها على كيفية استعمالها لذلك الاستقلال وعلى المدى الذي بلغته في احياء قوى العقل والروح واستخراج كنوزهما الثمينة . وكذلك الغنى المادي : ليس خيراً في نفسه وانما هو اداة عظيمة الخطر قد تؤدي الى الخير او الى الشر تبعاً لما يحركها من الصفات او الغرائز البشرية . فاذا جئنا اذن نحكم على مدنية من المدنيات لم نتخذ اساساً لحكمنا مقدار ما وفرته لنفسها من وسائل الحكم والسلطة والثروة المادية ، بل نظرنا في نوع استخدامها لهذه الوسائل في سبيل الغاية التي يسعى اليها التقدم البشري على الاطلاق : الا وهي رقي العقل وانطلاق الروح . ما شأن مدنيتنا العربية مثلاً لو ان اجدادنا اقتصروا على فتح البلاد وحكم الامصار ، ولم يتموا بخدمة العلم عقولهم وعقول من اتصل بهم من الشعوب ، واي خطر يكون لتلك الحضارة في مجرى التاريخ لو انها كانت خالية من المعاني الروحية السامية التي تجلت في سير الممتازين من حكامها وعلمائها وادبائها — بل من بعض عوامها الذين حفظ لنا التاريخ لهم ذكراً . ان جوهر المدنية العربية الذي يبقى بعد ان تنتقى من جميع اعراضها وما تعلق بها على ممر الزمن انما هو نوع نشاطها العقلي والروحي وقيمة نتائجه واثره في التقدم البشري الصحيح — ذلك التقدم الذي يقاس برقي الميزات الخاصة بالانسان كانسان : اي بصفاته العقلية والروحية دون سواها .

هذا هو ، في نظري ، مقام النشاط العقلي والروحي من حياة الامة وموضعه من بنائها : انه الشرط اللازم لتلك الحياة لا يمكن ان تقوم او تثبت بدونه ، بل الغاية التي من اجلها تبنى الامة وتصنع حياتها . وانا ، اذ اقول هذا ، اشعر انني لا ارضي فريقاً من مفكرينا وحملة الاقلام بيننا — اولئك الذين لا يؤمنون الا بمظاهر القوة الجسدية والصراع الدموي ولا يقيمون وزنا لغير المادة في تقدم البشرية . فالمادة عندهم اساس الكون ، ومصدر الفكر ، ولب الحياة والتاريخ ، واليها مرد كل شيء . فكل كلام عن الروح هو في رأيهم نوع من الهذر والوعظ الفارغ بل ضرب من التضليل لانه ينقل الناس من واقع الحياة الى عالم الغيب حيث الضياع والميعان بدلا من الحقيقة الثابتة والامر الراهن . وكل ذكر للعقل مجرد عن المادة التي يصدر في رأيهم عنها ويخضع لها يقلب الاوضاع رأساً على عقب ويبدل بصحيح الاشياء باطلها . ان موقف اصحاب هذا الرأي هو في نظري موقف خاطىء مبطل للحقيقة . فالمادة بنفسها خرساء صماء لا تتحرك الا اذا اشرقت عليها اشعة العقل فاحيتها ونبتت فيها بذور الروح فازهرتها . فهي الاداة التي يستخدمها العقل والروح في سبيل تقدمها ، لا مصدرهما الاول وغايتهما الاخيرة كما يتوهمون .

فعلى الذين يضعون انفسهم في مقام المفكرين ويتميزون عن غيرهم بهذا اللقب — على هؤلاء على الاقل — ان يعرفوا للفكر مقامه المتقدم ويقدروا القيم الروحية قدرها وان يتبينوا لانفسهم اولا ثم لابناء الامة ان الغرب الحديث لم ينهض الا على هذين الاساسين ، وانه اذا كان يفوقنا وامثالنا من الشعوب الاخرى فبهذين العاملين ، وان كل ما عداهما مظهر لهما ونتيجة عنهما ، اننا اذا اردنا لانفسنا نهوضاً صحيحاً ومن ثم مقاماً محترماً بين الامم او ذكرا في التاريخ ، فلن يتأتى لنا هذا الا اذا نشطنا في ميادين العقل والروح نشاطاً حياً مبدعاً مجدداً لقوانا في جميع النواحي الاخرى من حياتنا .

قسطنطين زريق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التربية القومية

للدكتور جميل صليبا
رئيس التعليم الثانوي بوزارة
المعارف السورية

الموضوع الذي اريد ان اتحدث اليكم به في هذا المساء هو التربية القومية ، وهو من الموضوعات القديمة التي بحث فيها الفلاسفة ورجال الدولة منذ زمن بعيد ، فلست اطمع اذن بابتكار شيء جديد فيه او اقول شيئاً لم يقله غيري من قبل . وما اغراني بانتخاب هذا الموضوع للتحدث به اليكم الا ما نشاهده في ايامنا هذه من النزعات التي تريد ان تصوغ الانسان في قالب الجماعة ، وتصهر الفرد في بوتقة الامة ، وتجعل القومية غاية التربية .

فالدول الديموقراطية تريد ان يكون الكمال الفردي غاية التربيـة والحضارة ، والدول الديكتاتورية تريد ان تكون الجماعة محور الثقافة والتعليم ، ولكل من هذه النظم مبادئه ووسائله ، واهدافه وغاياته ، ومعابده وعباده . فالمدرسة عند الديموقراطيات تريد ان تكون مستقلة عن السياسة غايتها تنشيء الفرد على مبادىء الحرية والمساواة والاخاء ، واعداده للحياة الانسانية الكاملة وتعويده البحث الحر ، والمناقشة والانتقاد . والمدرسة عند الديكتاتوريات تابعة للحزب السياسي ، والطالب جندي متمرن ، والامـة جيش مسلح ، والبندقية وسيلة من وسائل التعليم كاللوح والقـلم والكتاب وغيرها ، والوحدة التربوية هي الجماعة السياسية ، وجوهر الجماعة هو العرق ، ومادة العرق هي الدم .

فمن المغالاة اذن ان نقول ان هذا الموضوع هو موضوع هام جداً ، وان معرفة الغاية التي يجب ان نرمي اليها في تربيتنا القومية هي من المسائل الحيوية التي يجب ان نفكر فيها في كل وقت لنتمكن من بناء صرح استقلالنا الجديد على اسس ثابتة .

هناك امر لا شك فيه ، وهو اننا شرقيون نعيش على سواحل البحر المتوسط ، في جو له من السعة والجمال ما لنور الشمس المشرقة من الصفاء ، وما لنسمات الصحراء من العذوبة ، وما لمياه البحر من الحياة ، فنحن شرقيون اولا بلغتنا وماضينا ، ونحن شرقيون ثانياً بدياناتنا وحضاراتنا وتاريخنا . ولا نستطيع ان نقطع الصلة بين ماضينا وحاضرنا ، وبمقدار ما نقيم مستقبل استقلالنا على اساس الحاضر والماضي نجنب انفسنا كثيراً من الاخطار .

وهناك امر اخر لا ريب فيه وهو اننا غربيون بالنسبة لبلاد الشرق الاخرى ، لاننا كما قلت ، نقيم على ساحل البحر الابيض المتوسط ، ونحن متوجهون بانفسنا الى الغرب لاقتباس ما يمكننا اقتباسه من علومه ونظمه وصور حياته . وليس بيننا وبين الغرب اختـلاف عظيم كالاختلاف الذي نشاهده بين الياباني والاميركي او بين الصيني والانكليزي ، بل نحن امة اقتبست علومها في الماضي عن اليونان ، واتصلت بالغرب ، كما قبس الغرب عنها علومه في القرون الوسطى ، وكما اخذنا اليوم ننقل علوم الغرب وآدابه الى لغتنا وحضارتنا . فليس بين الشرقي والغربي عندنا اختلاف عميق ولا صراع مخيف ، بل ان تمازج الثقافات في تاريخنا يجعلنـا قادرين على الجمع بين الشرقي والغربي من النظم والقوانين ، ويساعدنا على اقتباس العلوم والاداب مهما بعدنا بحسب الظاهر عن حياتنا الحاضرة . انا من اشد الناس اعتقاداً ان هذا الاختلاف بين الشرقي والغربي من الثقافات انما هو وهم باطل . وانا امتنع كل الامتناع بان الثقافة الصحيحة ليست شرقية ولا غربية ، بل هي واحدة مهما اختلف الزمان والمكان . فالشعب الواحد يستطيع ان يتلقى ثقافات مختلفة . كما ان الثقـافة الواحدة يمكن ان تزدهر عند شعوب مختلفة ، ولا صحة لما تدعيه الديكتاتوريات من الاوهام الجنسية والعرقية ، بل الامر في ذلك يجب ان يرد الى التاريخ ، وما ينفجر عنه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من ينابيع الثقافة والنور والحضارة . ولو كان تاريخ الامم كلها واحداً ، لكانت ثقافاتهم كلها واحدة ، فالثقافات لا تختلف اذاً الاباختلاف التاريخ ، ولكل جماعة من الجماعات قوانين طبيعية ، فاذا كان اختلاف ثقافتها عن غيرها من الامم يرجع الى اختلاف تاريخها فان اشتراكها كلها في عناصر ثقافية واحدة يرجع ايضاً الى طبائع الاشياء ، ويبنى على وحدة الطبيعة البشرية . وفي كل ثقافة من هذه الثقافات سواء أكانت صينية يابانية ، ام هندية فارسية ، ام يونانية عربية ، ام لاتينية اوروبية ، عناصر انسانية واحدة تستطيع ان تجعلها كل امة من الامم محور تربيتها وغاية تعليمها .

فنحن اذن متصلون بتاريخنا من جهة ، ومدفوعون الى الحياة الاوروبية الحديثة دفعاً عنيفاً ، من جهة اخرى ، ولكننا نستطيع بين هذا وذاك ان نجعل غاية تربيتنا القومية انسانية خالصة ، مبنية على مبادىء الحرية والكمال الفردي ، وهذا المثل الاعلى الانساني كان ولا يزال جوهر العرب والاسلام . فالعرب فرديون الى ابعد درجات الفردية ، وديموقراطيون الى اقصى حدود الديموقراطية ، والاسلام لم يفرق بين العربي والاعجمي الا بالتقوى ، ولا وضع حداً لطالب العلم ، ولا قيد حرية البحث ، بل امر بالمعروف ونهى عن المنكر ، حتى جمع بين لذة العقل والروح والقلب ، « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابهاً » .

فالديموقراطية والانسانية والحرية هي المبادىء العامة التي يجب ان تبنى عليها تربيتنا القومية ، وكل تربية قومية عربية لا تعمل بهذه المبادىء تصير الى الزوال ، لانها لا تتفق مع عبقرية الامة العربية ولا مع ماضيها وتاريخها . ان احسن دليل على ذلك التجربة التي قام بها اخواننا العراقيون في مدارسهم ، فقد جعلوا نظام الفتوة اشبه شيء بنظام الجندية السياسي الذي تريد بعض الديكتاتوريات ان تسير عليه في مدارسها . فلم يمض على هذه التجربة الا القليل حتى اخفقت ورجع العراق الى مبادىء التربية الديموقراطية الحرة والانسانية العامة . كل ذلك يدل على ان تربيتنا القومية يجب ان تبنى على المبادىء الآتية :

١ — يجب ان تكون تربيتنا القومية عربية ، ونقصد بذلك تعليم الطلاب لغة عربية صحيحة ، واطلاعهم على تاريخ الامة العربية وآدابها ، وجغرافية البلاد العربية ومعرفة آثارها الخالدة وتطور الامة في نهضتها العلمية والادبية والصناعية والتجارية ، ودراسة عاداتها واخلاقها وتطور عمرانها وما بيان علاقاتها بالامم المجاورة .

٢ — يجب ان تكون تربيتنا القومية مبنية على الاتحاد الوطني ، اي يجب على الطلاب ان يعرفوا واجباتهم الوطنية والمدنية ، وان تنزع من قلوبهم روح التعصب والاقليمية والطائفية .

٣ — يجب ان تبنى تربيتنا على انماء شخصية الطالب وتعليمه مبادىء الحرية والمساواة ، وتعويده التفكير الحر والعمل الشخصي ، ويجب ايضاً ان يقوى جسمه وارادته واخلاقه وان تحترم شخصيته وان يألف روح المحبة والاحسان والاعتماد على النفس وان يتعود شظف العيش وغير ذلك من المقومات الاخلاقية العامة .

٤ — يجب ان تؤدي تربيتنا القومية الى استثمار موارد البلاد الطبيعية ، وان يكون للناحية العملية فيها اثر عظيم .

٥ — يجب ان تكون لتربيتنا القومية غاية اجتماعية واسعة فلا يكون اهتمام الدولة بتعليم ابناء القرى اقل من اهتمامها بتعليم ابناء المدن ولا تكون عنايتها بالبدو اقل من عنايتها بالحضر .

٦ — ويجب اخيراً ان تكون غاية تربيتنا القومية الجمع بين الماضي والحاضر وبين الشرقي والغربي ، وان يؤدى تمازج هذه العناصر المختلفة الى خلق روح انسانية عامة ، محيطة بالروح الوطنية .

هذا حلم لذيذ تتذوق فيه النفس حب وطنها وحب الشرق ، وترغب في ان ينتصر وطنها على الخطوب وان يثبت للاحداث ، وان يظفر بحقه في الحياة في هدوء واناة وثقة بالنفس وايمان بالحق والكمال الانساني .

جميل صليبا — دمشق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واجب المثقفين في بناء الامة

نشرت « الاديب » نص المحاضرات العشر التي اذيعت من محطة راديو الشرق ، مساء كل خميس في موضوع « بناء الامة » وقد ختم هذه السلسلة معالي وزير التربية الوطنية الاستاذ جورج كفوري بالحديث التالي :

ما برح العلماء والفلاسفة من اقدم ازمنة التاريخ الى هذا العهد يبحثون عن المثل العليا للمجتمع الانساني ويضعون النظم التي يخيل اليهم انها اصلح لسياسة الامم واضمن لتحقيق خيرهم وسعادتهم . فمنذ ثلاثة وعشرين قرناً ونيف تخيل افلاطون مدينته الفاضلة تتألف من ثلاث طبقات وتتولى الحكم فيها الطبقة الاولى : طبقة الفلاسفة والمفكرين لانهم وحدهم يستطيعون تصور الخير وتحقيقه . ولذلك فهم وحدهم يستطيعون تدبير الحياة الفردية والاجتماعية . ومهما قيل في مدينته هذه من انها خيال محض وانها حلم لايمكن تحقيقه فاننا لا نخالف صاحبها في ان طبقة الفلاسفة والعلماء هي من سائر الطبقات بمنزلة العقل من الفرد ، وان مفكري الامة ومثقفيها يتزلون منها بحكم ثقافتهم منزلة الرأس من الاعضاء ويلزمهم بذلك ان يتولوا قيادتها في سبيل الحياة وتسديد خطاها نحو المثل العليا . واذا كانت هذه الطبقة لا تتولى بوجه الاجمال حكم الامم مباشرة فهي التي ترسم الخطط للحكام وتضع لهم المناهج القويمة التي يحكمون بها الامم ويحققون آمالها الاجتماعية والقومية . واول ما ينبغي للمثقفين الذين يساهمون في اقامة بناء الامة القومي ان يبلغوا من الرقي العقلي والخلقي مرتبة تؤهلهم لان يتزلوا من الامة منزلة المعلم من المتعلم وان يقدروا اهمية الرسالة التي اخذوا على انفسهم الاضطلاع بها ليمكنهم ان يؤدوها حق ادائها . فاذا ما تم لهم هذا الاستعداد العقلي والخلقي كان عليهم ان ينظروا في حال امتهم نظرة تفصيلية دقيقة يتفحصون بها تكوينها المادي والروحي ليتبينوا فيه مواطن العلة ومواطن العافية ويتعرفوا وجوه الضعف ووجوه القوة . ان عليهم ان يحددوا حقيقة الامة المطلقة ، حقيقتها الجغرافية والاقتصادية والتاريخية والروحية والعقلية . وانما حقيقتها المطلقة مرسومة في مجموعة العناصر التي تكونها . جاء في كتاب « مبدأ القوميات » لرنه جوهانه تعريفات كثيرة للامة في جملتها هذا التحديد : « الامة جماعة من الناس لهم اصل واحد ولغة واحدة ودين واحد ولهم عادات واحدة وتاريخ واحد وقوانين واحدة وتجمعهم الارادة لان يعيشوا بعضهم مع بعض » . والذي يلفت النظر في هذا التحديد ان واضعه قد جعل لارادة الاشتراك في الحياة القومية مكانها من الاهمية ، بل جعلها شرطاً من شروطها ، فأصبح من واجب المثقفين الذين يعنون باقامة بناء الامة ان يقيموا لهذه الارادة وزنها ويراعوها المراعاة التي تستحقها ، وهي لا تتم بالقوة ولا بالاكراه بل باقتناع الجماعات الذين يعيشون معاً ، بان من الخير لهم ان يعيشوا جماعة واحدة . وأصبح من اهم ما يجب ان تتجه اليه جهودهم خلق تلك الارادة الجامعة واقناع الجماعات التي توفرت لهم عناصر القومية المختلفة ان مصلحتهم انما هي في ان يعيشوا بعضهم مع بعض امة واحدة . بل من اهم الواجبات التي يلزمهم القيام بها ان يعدوا الناشئة اعداداً يؤهلها لان تريد العيش مجتمعة وترغب فيه . ولا ريب ان اول ما يبدو للناظر في حاضر هذه الامة انها قد انتهت الى حالة من الانقسام وتفكك الاوصال والانصراف عن العمل التعاوني الجامع الى العمل الفردي المفرق تزيد مشكلتها الاجتماعية والقومية صعوبة وتعقيداً وتكاد تبعث اليأس في نفوس المفكرين الذين يرومون اصلاحها ويلتمسون العلاج الناجع للحؤول دون انحلالها وانهيارها .

نعم ، يحق للناظر ان يقول في نفسه ان الامة التي تعاونت على تمزيق شملها ، اساليب تربيتها البيتية ومناهج تعليمها المدرسية وتعدد مذاهبها الدينية وتباين تقاليدها الاجتماعية ومنازعها القومية وتضارب السياسات التي تعاقبت عليها من اقدم الازمنة الى هذا العهد يعسر جداً ان يجمع اشتاتها ويوجهها نحو هدف قومي واحد مقال ينشر في صحيفة او خطاب يلقى عليها من المذياع في فوائد التضامن القومي . يهول المفكر انه لا يواجه في هذا معضلة عصر واحد فحسب ، بل معضلة عصور تعاقبت وتجمعت عللها ونقائصها حتى انتهت الى العصر الذي يعيش فيه . ولعل اعظم ما يتهيبه جماعة المثقفين الان ويساورهم فيه الشكوك ان يقدموا على بناء امتهم الضعيفة الناشئة في زمن عصفت فيه اعاصير الحرب وطغت القوة المادية المخربة على كل شيء حتى لم يقف امام سيلها الجارف كثير من الامم الكبيرة ذات السعادة والمنعة والحول والطول .

ولكن قليلاً من التفكير يرينا انه قد يكون للحرب الهدامة حسنات لا تقل عما لها من السيئات . فان كثيراً من الثورات الفكرية والنهضات الاجتماعية التي يحدثنا عنها تاريخ الامم لم تكن الا اثراً من الاثار التي تخلفها الحروب وراءها بعد ان تخمد نارها ويهدأ اعصارها .

ان الحرب اقوى عامل يوقظ الامم من غفلاتها اذ انها تبعث في نفوس ابنائها الشك في صلاح النظم القديمة التي ألفوها والتقاليد الجامدة التي ورثوها وتكون اقوى حافز لهم على التماس نظم ومبادىء حديثة قد توفر لهم من الخير والسعادة ماعجزت عنه النظم والمبادىء القديمة .

في مثل هذه الحال المؤاتية يجب ان ينشط العاملون في مضمار البناء القومي الى القاء تعاليمهم مادامت الاذهان اشد ماتكون تأهباً لقبولها واحتياجاً الى الاهتداء بنورها . ولكي يستطيع معشر المثقفين ان يقيموا لهذه الامة بناء قوميتها على الوجه الاتم يجب ان يرسموا لهذا البناء خطة كالخطة التي يرسمها المهندسون لكل بناء، ثم ينبغي ان يتعاونوا في العمل تعاوناً منظماً حتى اذا عمل كل منهم في ناحيته كانت نتيجة اعمالهم وحدة كاملة لا اكواماً من الحجارة مرصوفة من غير نظام . وقد رأينا في هذه السلسلة من الاحاديث التي وجهها الى الشباب من هذه المحطة نخبة من المفكرين والتي اشرف باختتامها اليوم مثالاحياً على التعاون الذي يجب ان يتعاونه المثقفون في بناء الامة . فقد حدثنا الاديب والقانوني والصحفي والاقتصادي والكاتب الاجتماعي والمؤرخ المفكر والمربي الحكيم عن نواح متعددة من اسباب حياة الامة ومقومات بنائها ودلنا كل من هؤلاء العاملين على مواطن الضعف وهدانا سبيل الاصلاح . لقد سلك كل منهم سبيلا ولكنهم التقوا جميعاً عند هدف واحد هو خدمة هذه الامة واقامة بنائها القومي . فاذا ما شفع الباحث من امثالهم قوله بالعمل الذي يستطيع ادى الواجب عليه في بناء الامة خير اداء .

هكذا يجدر بالعالم في ما ينتجه من آثار علمه والشاعر في ما يتغنى به من رقيق شعره والصحفي في ما يدبجه من شائق فصوله والمعلم في ما يلقيه من بليغ دروسه يجدر بهؤلاء جميعاً ان يجعلوا الفكرة القومية رائدهم وخلق الارادة الجامعة غايتهم في كل ما ينتجون ومايكتبون ويعلمون، يجمع بينهم في كل ذلك شعور شامل توجده فيهم الاحداث والمحن التي يشتركون في تحمل اثقالها ومقاساة اهوالها على السواء .

ان لكل مثقف طريقين في بناء الامة : الاول انشائي والثاني توجيهي . اما الانشائي فهو في اتقان العمل الذي يتولاه فاذا ما اخلص كل فرد في عمله وتوخى فيه التحسين والاتقان فكأنما هو قد رصف حجراً جيداً محكم القطع والوضع في صرح بنائها . واما التوجيهي فهو الذي يقوم على ارشاد الاخرين من افراد الامة الى الخير الذي دل عليه العلم والثقافة في كل ناحية من نواحي الحياة المادية والروحية .

فالزارع المثقف يستطيع ان يوجه الفلاح الجاهل توجيهاً فنياً يحسن نوع ما تنتجه ارض الوطن ويكثر كميته .

كذلك يستطيع المعلم ان يوجه التلميذ توجيهاً فكرياً فيه صلاحه وصلاح المجتمع . وفي معاهد التعليم خاصة تتجلى خطورة الرسالة التي يؤديها المعلم اللبناني لامته اذ يعلم ناشئتها انهم اخوان في الوطنية مهما تعددت مذاهبهم الدينية ولا يبرح يتعهد شعورهم القومي بعناية واخلاص ويعمل على احيائه وانمائه وتغذيته بتعليم لغة الوطن وتاريخه وبسير اعلامه ومشاهير رجاله فيخرجون بعد قليل الى العالم وقد تمكن حب الوطن من نفوسهم وحل بينهم التفاهم والوئام محل التباغض والانقسام . المعلم في المدرسة يعلمهم ان التباغض بين ابناء الامة الواحدة باسم الدين ليس من الدين في شيء، لان الدين الخالص كما قال احد العلماء « يتسع صدره لكل شيء حتى لمخالفيه ومحاربيه » .

ويعلمهم ان التباغض والوطنية لا يجتمعان لان الوطنية كما قال احد كبار الادباء « لا تولد بغضاً الا في العقول المحدودة والقلوب الضيقة التي لا تتسع لفهم التضامن الانساني فلا تدرك ان مصير طائفة من الناس متصل في هذه الدنيا بمصير الناس اجمعين » .

ان بناء الامة عمل خطير شاق ينبغي ان يتم في نظام وروية لانه ان لم يكن منظماً ذهبت الفوضى بنتائجه، وان فاتته الروية فانه يخشى ان تلتوي على العاملين السبل، فيفرقون من حيث يظنون انهم يجمعون، ويهدمون من حيث يتوهمون انهم يبنون .

وبناء الامة يحتاج فوق العلم الى كثير من العزيمة والصبر والاخلاص والتضحية واحترام النفس والثقة بها، هذه الخلال التي اجتمعت لذلك الفيلسوف الذي يحدثنا عنه كتاب كليلة ودمنة : لقد بلغ من احترامه لنفسه وايثاره لخير شعبه انه قال : « ولقد كرهت ان يموت الملك او اموت وما يبقى على وجه الارض الا من يقول انه كان بيدبا الفيلسوف في زمان دبشليم الطاغي فلم يرده عما كان عليه ، فرأيت ان اجود بحياتي فاكون قد اتيت فيما بيني وبين الحكماء بعدي عذرا . »

فاذا بلغ الشعور بالواجب من نفس امرىء هذا المبلغ حتى صار يرى انه يلزمه من القيام به والحرص عليه فوق ما يلزم سائر الناس، وانه من الغضاضة عليه ان يترك بامته ضيم في عهده او يصيبها وهن في اركانها او تصدع في بنيانها ويقول الناس من بعده : « كان ذلك في عهد فلان، ولم يجد بحياته في سبيل انقاذها » متى بلغ الشعور بالواجب من نفس امرىء هذا المبلغ فقل : هذا الرجل قد وصل الى المرتبة العالية التي يتبوأها كبار المفكرين والمصلحين الذين ترسلهم العناية هداة للامم يهدونها سبيل خيرها وسعادتها، وبناة يقيمون حريتها وسعادتها .

جورج كفوري

عتاب

•

شجينا ساهرين على عتابٍ تُشق له وتلتئم الجراحُ
تقول : أظنّ حبكَ غير حقٍ ، اراكَ ضحكتَ والشعراء ناحوا
سلي الشعراء هل وجدوا كوجدي؟ ولكني صبرتُ له وباحوا
اراقوا دمعهم ، وخنقت دمعي ، شقيت بكبريائي واستراحوا !.

*

وعاد الليل في الوادي حواشي تلملم عنه ، او حجباً تزاحُ
وكنّا في ضمير الليل سراً فأوشك ان يبوح بنا الصباحُ...

رئيف خوري — طرطوس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بلاد دينها في فمها

لميخائيل نعيمه

ما عرفتُ بلاداً أمرعَ الدين في فمها وأجدبَ في قلبها الى حدّ ما هي الحال في هذه البلاد . فآذنها الباسقة ، واجراسها الصداحة ، وعيدان منابرها ، وحجارة معابدها ، ومقاعد مدارسها تتجاوب في كل يوم بذكر الواحد العليّ العظيم ، وبمجده وبحمده . فهو أرحم من رحم ، وأعدل من حكم . وهو القدير العليم ، والسميع المجيب ، والوهّاب الكريم . وهو مقسّم الارزاق والاعمار ، ومسيّر الاكوان والاقدار ، وهو خالق الكلّ وابو الكل . منه الثواب واليه المآب وعليه الاعتماد والاتكال .

وما اكثر الآيات المنزلة والامثال السائرة التي خلقتها الفطرة الدينية في هذه البلاد ، والتي تلوكها بغير انقطاع ألسُن الكبار والصغار من عامة وخاصّة ، ومن معمّمين ومقلنسين ، سواء في ذلك السهل والصحراء ، والجبل والساحل ، والمدينة الكبيرة والمزرعة الحقيرة . فللولادة آيات وامثال ، وللزيجة آيات وامثال ، وللموت آيات وامثال . ومثلها لكل عمل يعمله الناس ، ولكل نيّة ينوونها ، ولكل وقفة وقعدة من وقفات الحياة وقعداتها ، ولكل بسمة وعبسة من بسمات الايام وعبساتها .

ان بلاداً آمنت بالله وباليوم الاخير ، ثم اشركت الله في كل احوالها ، وجعلته القيّم على افكارها واعمالها . فلا وجود لها الاّ في وجوده ، ولا مشيئة الاّ من علمه ، ولا قدرة الاّ من قدرته .

ان بلاداً ذاك شأنها مع الله لبلاد اقلّ صفاتها شجاعة روحية لا ينال الخوف منها مأرباً ولا يأخذ الشك منها مأخذاً . تقابل الموت بمثل الرضى الذي تقابل به الحياة . ولا تطمع من حطام الارض باكثر من خبزها الجوهري ، وكسائها الضروري ، وبمأوى يقيها عاديات العناصر . تسخر بالحزن والفرح على السواء . وتكبر على الذل والكبرياء . وتأنف الشقاق والخصام ، ولا تتدنس بالبغض والحقد والنميمة ، بل تحمل في قلبها لكل ابناء الله محبة الشقيق للشقيق ، واخلاص الرفيق للرفيق .

ولكن أين تلك الشجاعة من هذي البلاد ؟ بل أين هذي البلاد من تلك الشجاعة ؟

ألعلّ بين ألسنة الناس هنا وبين آذانهم وقلوبهم مسافات كالتي تفصل الارض عن زحل ، فلا يسمعون ما يقولون ، وان سمعوا فلا تنبض قلوبهم بما يسمعون ؟ والاّ فمن أين للخوف والموت ، والشقاق ، والبغض ، والتكالب على حطام الارض هذا السلطان الذي لها في هذه البلاد ؟

ما اخال ان تحت القبة الزرقاء بلاداً عشش الخوف في جماجمها ، ومشى الهم في مفاصلها ، وتحصّن الحقد في قلوبها ، وخيّم الحزن في احشائها نظير بلادكم وبلادي . فهي ترتعد فرائصها لاقلّ غمامة تعدو ، وريح تنفخ ، ورعد يقرقر ، وشبح يطل ولو على الافق البعيد . واما خيال الموت فيسحقها سحقاً وهي التي تشهد في كل يوم من الاسبوع ، وفي كل اسبوع من الشهر ، وفي كل شهر من السنة بانها « تترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر العتيد » . وهي التي تردد من على منابرها « وكنتم مواتاً فاحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ، ثم اليه ترجعون » . وهي التي يطيب لها التمثل بايوب « الرب اعطى والرب اخذ . فليكن اسم الرب مباركا »

يمر بها الموت فيصرع ايمانها ، ويقطع نياط رجائها ، ويقوض حصونها على رأسها ويتركها في ظلمة دامسة من الحداد ، تشرق بالدمع ، وتشهق بالتفجع ، وتبح بالنوح والعويل . فلا عزاء ، ولا رجاء . بل عتب على الخالق لماذا خلق . حتى وتأنيب له لانه اعطى ثم ندم فاسترد .

ليت شعري ، لماذا يضن ابناء هذه البلاد بحياتهم ، وبماذا عساهم يضنون اذ يضنون بها على الموت ؟

انهم ليضنون برجل يسعى ان تكف عن السعي وبماذا تسعى — ألى الهاوية ام الى القمة ، وبالخلاص لها وللناس ام بالهلاك لهم ولها — فامر لا يشغل بالهم على الاطلاق .

وانهم ليضنون بعين تبصر ان يفارقها البصر . اما ماذا تبصر — أحسناتها وسيئات الغير ، ام سيئاتها وحسنات الغير . أجمال الحكمة السرمدية ام قباحة الجهل الذميم — فلا عبرة في ذلك البتة .

وانهم ليضنون برئة تتنفس ان تصبح عديمة النفس . اما ماذا

تتنفس — أبلسما للناس ام سما زعافاً — فلا فرق عندهم ولا تمييز .

وانهم ليضنون بقلب ينبض ان يغدو عديم النبض . اما بماذا ينبض — أبهجة الايمان المطمئن أم بلدغات الحيرة المذعورة — فالوجهان عندهم سيان .

وانهم ليضنون بلحمة ناطقة في الفم ان تمسي عاجزة عن النطق . اما بماذا تنطق — أبالبركات ام باللعنات، أبالمكر ام بالوفاء ، أبالبغض ام بالمحبة — فما ذاك من الاهمية في شيء .

انهم يضنون لا بالحياة بل بعيشة تربع الموت في كبدها وقلبها، وسيطر الخوف على مداخلها ومخارجها . اما الحياة التي هي اكثر من معيشة والتي هي السلك السري الواصل الخالق بمخلوقاته، والتي لا غاية منها الا الوصول بالانسان الى ربه فما يعرفون لها قيمة ولا هم بها ضنينون .

اسني على هذه البلاد — بلادكم وبلادي — تؤثر بقاء فيه موتها على موت فيه حياتها . فتسعى وراء رزقها لا لغاية الا ليبقى لها النفس في صدرها . وتحافظ على النفس في صدرها لا لقصد الا لتبقى في مفاصلها حركة . وتحترس على الحركة في مفاصلها لا لمرمى أبعد من ان تسعى وراء رزقها .

الا ليت ما في فمها من ايمان كان في قلبها ، اذن لما سيطر الموت على افكارها ومشاعرها الى مثل هذا الحد ولما ناح الى شاعر مثل هذا الحزن ، ومثل هذا الانسحاق في ناظريها ، وفي صوتها، وفي كل حركة من حركاتها وسكنة من سكناتها . فما تمها ضروب من اليأس الظافر والحزن المعتز بذاته . واعراسها ماتم وزغاريدها ولولة، وتهليلها اعوال، وضحكها بكاء جموح ، وخمرتها دم مسفوح .

لو كان في قلبها مثل ما في فمها من الايمان لما كان هذا التكالب الذي نشهده فيها على الدرهم والدينار ، ولما كان ابناؤها كالذئاب يفترس الاخ اخاه ، ولا كالذباب يعيشون من قروح الناس واوجاعهم . فلا يأنف من عنده الف رغيف من ان يتشل اللقمة من فم من ليس عنده ولا رغيف . ولا من عنده الف ثوب من ان ينتزع الاسمال عن بدن المقرور ، ولا من يملك داراً بعد دار من ان يرفع السقف من فوق رأس ضرير فقير . فكأن لا قيمة للدماء المتفجرة من عروق البشرية شرقاً وغرباً ، ولا معنى الزفرات المتصاعدة من صدورها ، ولا مغزى للعبرات المنهمرة من مآقيها الا على قدر ما تتمكن هذه البلاد من تحويلها الى دنانير ودراهم . وكأن ما من وجه يلوح لها من خلال ما هو جار في الارض سوى وجه الفلس الصبوح العزيز . فيا ويلها من وجه ربها !

افما كان الاليق بها ان تقول : توكلت على الفلس كيفما جاء ومن اينما جاء ، بدلا من ان تقول : توكلت على الله ؟

ومن ثم فلو انها كانت مع الفلس في خير لكانت بعض المصيبة . ولكنها والفلس في عراك لا هدنة فيه ولا رحمة . فاما ان يصبح اسيرها حتى تصبح اسيرة له . واما ان تنفقه حتى ينفقها . فهو ابداً الغالب وهي المغلوبة . وهو السيد وهي العبدة .

اقول ثانية — الا ليت الدين الذي في فم بلادكم وبلادي كان في قلبها . لان ديناً تزرعونه في الفم دون القلب لدين لا يزهر ولا يثمر . وان ازهر فرياء فيه الف وباء . وان اثمر فثمارها تعافها الملائكة ولا تستلذها الا الشياطين . وثماره تعصب يعمي البصيرة والبصر ، وحقد ينهش شغاف القلب ، ومرارة تتغشى في جوانب النفس فتقلب حقها باطلاً ونورها ظلاماً .

من كان دينه في فمه دون قلبه كان قيما على ربه لا ربه قيما عليه . فكأنه يقول لله : لقد آمنت بك يا الله وبعلمك وعدلك وقدرتك . لكنني اعرف منك بسياسة عبادك . فسأجعل كل الناس يعرفونك مثلما عرفتك ويعبدونك مثلما اعبدك . ومن شذ منهم فقلته ان لم يكن بساعدي فبغضي وانتقامي . ولكنني اعدل منك . وعدلي في ان أرحم من جاراني في عبادتك واقتص ممن عاندني وناوأني . ولكنني اقدر منك . وقدرتي في ان اسلب من لا يشهد بك شهادتي الحياة التي اعطيته اياها كيما يعرفك ويشهد انك ابوه وابي وابو الخلق اجمعين .

ان امة دينها في فمها دون قلبها لامة لا تعرف التعاون وامة لا تعرف التعاون لا تعرف الاخاء . وامة لا تعرف الاخاء لا تعرف المحبة . وامة لا تعرف المحبة لا تعرف الله . وامة لا تعرف الله لا حياة لها .

الا انني لست بيائس من امتي وحياتها . فالخميرة الصالحة المخزونة في قلبها منذ فجر الزمان لخميرة لا تفسدها تقلبات الزمان فهي وان لفها الجهل بالف خمار لا بد من ان تمزق لفائفها عند ما يأتي الاوان — وهو آت من غير شك — فتمتد في القلب وتمتد الى ان يختمر بها كل ما في القلب من شهوات ونزعات فلا يبقى فيه غير ايمان لا يتزعزع بابوة الله واخوة الناس في الله . واذ ذاك فلسان امتي سيتكلم من فضلة قلبها ، لا قلبها من فضلة لسانها ، وستكون امتي رسول خلاص وبشير حياة لنفسها وللناس اجمعين .

ميخائيل نعيمه

بقايا الاعجمية في لغة لبنان العامية

لنفيس طباره

اجمع فقهاء اللغة على ان الكلمات تنتقل من لغة امة الى غيرها بحسب العلائق التي تنشأ وتتوثق بينهما . فالعلاقات التجارية مثلاً قد تؤدي الى انتقال اسماء السلع ، والنفوذ العلمي يسبب انتقال الاراء والمعلومات ، والسيطرة السياسية تفضي الى انتشار الكلمات المستعملة في الانظمة الحكومية . ونحن اذا نظرنا الى المصطلحات المستعملة في لغتنا العامة — وجدنا الاثار التي تركتها التركية في لبنان ولاسيما في لغة الدواوين الرسمية من ابرز الامثلة واقربها الى ما قدمنا ذلك لان معظم النعوت والالقاب المستعملة بيننا هي من بقايا ذلك العهد . فان كلمات (افندي . وبك . وباشا . وهانم) تركية الاصل . وكذلك الالقاب الرسمية التي نستعملها عند ذكر اصحاب الرتب مثل صاحب العزة وصاحب السعادة ايضاً . فهذه تمت بقرابة الى العهد التركي بالرغم من مظهرها العربي فقد اقتبس الاتراك من العربية كلمات (عزة . رفعة . عظمة . عناية . سيادة . سماحة . فضيلة . فخامة . دولة . عطوفة . سعادة) واضافوا الى آخر كل واحدة منها حرف (لو) الذي هو في قواعد التركية اداة المصاحبة فقالوا : عزتلو . سعادتلو . دولتلو . فخامتلو ثم استبدلت منها اداة المصاحبة التركية بتعبير (صاحب) العربية فتحولت بذلك هذه الالقاب الى المعنى الاصطلاحي الذي نعرفه الان . واما اسماء الرتب العسكرية فقد بقي معظمها تركياً بحتاً مثل (شاويش) وباشاويش فان اللفظة الثانية تعني رئيس الشاويشية وهي مركبة من كلمة (باش) اي الاول وتأتي ايضاً (باش كاتب) و (حاخامباشي) وسلسلة غير قصيرة من التعبيرات التي تحتوي على اداة (جي) التركية بوسطه جي . قهوجي . عربجي . مكوجي . احزاجي وغيرها . وتسربت الى لغة لبنان العامة الفاظ فارسية في كل مرفق من مرافق الحياة منها . الخيار . الوزير . السراي . الشنكل . النيشان . البنفسج . الكوز . البرنامج . الفهرس (فهرست) الجرة . الجوهر . الابريق . الطست . الجوز . الطبق . النارکیله . القصعه . الفيروز . جهنم . الياقوت . التربيج . الكعك . البلور . الزنجبيل . النرجس . النسرين . السوسن . العنبر . الكافور . الصندل . القرنفل . زنديق . الستان . التنور . التنوره . السكر . الميزان . اللوز . الباشق . الجاموس . المغنطيس . المرستان . الدولاب . الصك . الفرسخ . الزمرد . الزئبق . الشروال (كرديه فارسيتها سروال من (سر) فوق و (بال) قامة الرجل والبنديره (فارسية معربة من بند وهو العلم الكبير) وكذلك الطربوش من سر اعلى الرأس واعلى كل شيء وبوش غطاء) . وتذكر العامة واكثر الخاصة اعداد لعبة النرد بالفارسية ويقولون (يك . دوسي . جهار . شاش بيش) واخيراً (خانه) وهي كثيرة الدوران في الكلام مثل اجزخانه . بطركخانه . والى غير ذلك من الاسماء . على ان اكثر المصطلحات الاعجمية شيوعاً في لبنان هي من بقايا ما تركته اللغة السريانية الارامية فمن قولنا في احاديثنا العامة (فلان وجهه مبجبج) اي ظهر فيه ورم والبجبجة في السريانية النفاخة . وتقول (شوها الشلهوبة) عن الرياح اللافحة والشلهوبة اللاهبة والحرارة . وتقول عند تصعب الامور (شو هالشربوكة) ومعناها المغالطة بالحساب وتأتي ايضاً بمعنى نصب في سبيله العراقيل . وعن ضعيف العقل والرأي (عقله مفتول) والفتال الاعوجاج . وعند ما يصاب احدنا بداهية يقول (شوها البلشه) والبلشه الاذى والبلية فكأنه يقول ما هذه المصيبة .. و (تعا نتكتك سوا) وتكتك اذا تكلم المرء كثيراً على الهدوء او ثرثر وهذر و (يخرب كوشتك) والكوشه الكدسة من الحنطة وغيرها اي خرب الله جماعتك ومريديك . و (جهجه الضوء) بمعنى لاح انبلج الصبح واضاء . ويسمون الحر (شوب) وبطيء الفهم (عبيط) والبرد الشديد (دنيق) وقد دنق الرجل ارتعش من البرد و (ركش الارض) اي فلحها والمركوش من هذه المادة الفأس التي يشق بها الارض و (نجش الارض) حفرها و (شاحت عيني عليه) ذابت ومعنى الكلام انه بسبب طول وطموح البصر او امتداد القلب اليه . كادت عيني تذوب . و (يرا وجوا) فالاولى معناها بالسريانية خارجا والثانية داخلا . و (الزركة) ضد الوسعة والفسحه (ونقشه كف لقحه على الارض) ونقش بمعنى قرع وضرب و (لقحه على الارض) القاه عليها وتلقح اي استلقى على قفاه ومنها (اللقحة) وهي المستوى من الارض و (لحش له لحشة) اسر اليه بعض الكلام . و (فشكل) الامتعة جعلها بدون ترتيب . و (الدم يفلفلك) وفلفل لوث ومرغ وضرج فكأنهم يقولون قتلك الله وضرجك بدمك . و (تنيح) مات واستراح . ومنها اتخذت (النياحة) بمعنى الراحة . و (القلعوط) من الرجال الرذل ، الساقط النفس والهمة . وفي الاصل الشديد البخل . و (تلقص) ابطأ و (نتش) خطف . و (عم يهدس فيه) وهدس فكر في الامر و (عيونه معمصه) اذا اصابها العمص والعمص مرض تتقرح منه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاجفـان . و (حمل اغراضك ولبش) ولبش البغل او الدابة بالسريانية البسهما عدتهما استعداداً للسفر واتخذت من البلش وهي ما يحمل على ظهر الدابة من الاكياس ونحوها . و (جرجره) سحبه . و (حركش) بين القوم اذا عمل ما يهيج الشر بينهم وربما يقال حركش النار اي حركها لتستعر . ونقول (فرم اللحم والتبغ) بمعنى هبر وقطع . و (طلس) دهن ووسخ و (نوى البسين) وهو المواء . و (نوص القنديل) خف ضوءه و (معس) هرس . و (عرم التراب) كومه وكبسه . و (غف على الطعام) اقبل عليه بلهفة او اكله كله . ويسمون الوكن (قن الدجاج) وكل حافة (شرار) والحداد (القرداحي) ويقولون (دلف السقف) اي رشح وقطر و (فاش على وجه الماء) طفا وعام و (طرطش) لوث ولطخ . و (طرش البيت) بمعنى كلس ورش ونضح و (زغل الحنطة) غشها والزغل الغش في البيع والاشياء . و (رص الزيتون) رضه و (فراطة) صغار الدراهم اصلها بالسريانية (فرفوطه) اى فتات الخبز . و (حبشه) ادركه بعد جهد . و (بكير) قبل اوانه و (تغندر الشاب) اذا بطر وتغطرس ومشى مرحا ومنه الغندور والغندورة ويسمون المشتري (زبون) والعتبة (برطاش) ويقولون (انا بفرجيك » وفرج فلان فلانا على الشيء اراه اياه . وبالسريانية الهاه به وتلهى بالشيء و (شو هالعدان) والعدان الوقت والزمان واحوال الجو وما يطرأ عليه من التغيير ومنه قولهم (اليوم العدان مليح) اي الطقس جيد و (شمط) اقتلع النصب من مكانه و (شحطه) طرده و (تزفر) اكل اللحم في الصوم و (سكر الباب) اقفله واغلقه و (الاشبين) كافل الطفل في العماد وشاهد الزواج ويقولون (ما ابدقه) والبدق بالسريانية الفطنة وتأتي ايضاً بمعنى الدهاء والمكر و (شو حوكه) من حوك اذا تبينه بنظره فادرك ماهيته مع الجهد و (شحل الكوم) اذا اقتضب من اغصانه من سحل الحديد وبرده و (بلعط) اكثر من الحركة و (برعط) تحرك ومنه على ما يرى سميت (بلعط) الحيوانات التي تتولد في المياه الاسنة وفي المستنقعات و (بعق له بطنه) بعجه وركله فرماه على الارض . و (ياشجاري) تستعمل بمعنى ياويلي وشحار او شحتار ما يعلق بالقدور والمداخن والسقوف من سواد الدخان واشتقوا (المشحرة) من ذلك . و (حربوقه) من حربق اي عقد الخيوط والامور . و (باخ) الثوب اذا ذهب لونه و (الرشته) طبخة معروفة تؤلف من عدس وفطير مفتول يقطع قطعاً صغيرة ثم يطبخ ويؤدم و (زاغ) الطفل اذا ابدى حركات واصواتا جوابا على مناغاة والدته وفي السريانية صرخ وهتف و (تشركل) اشكل الامر والبس و (سفط) الاحجار اقامها صفاً واحداً ومنها قولهم « كلام مسفط » اي موزون . وقد وصلت الينا من قديم الدهر بقية قليلة من ألفاظ اليونانية والرومية منها : اللوبيا . الترمس . البطريق . الزبرجد . المزيكى « الموسيقى » Mosica الزمرد . الياقوت . الاوقية . البلغم . والاقنوم وغيرها .

ومن بقايا المصرية القديمة (امبو) تقولها الام اطفلها الرضيع اذا عطش و (امبو) كلمة قبطية اخذت عن المصرية القديمة بمعنى اشرب . واذا شعر الولد بألم اشار الى مكان الوجع وقال (واوا) وهي هيروغليفية ومعناها الم وجع او ورم . واذا ارادت الام ان تنهر طفلها عن فعل شيء كريه تقول له (كخه) او (كخ) وكلمة كخ معناها قذارة . واذا شاءت تخويفه قالت له (بعبع) وهي محرفة من الكلمة القبطية (بوبو) وهو اسم عفريت مصري استعمل في العزائم السحرية واتخذوه لتخويف الاطفال وصوروه بهيئة قبيحة وكذلك تقول العامة (مثل زخ المطر) وزخ محرفة من رخ ومعناها نزل او سقط ويقال (سخم وجهه) بمعنى نجس او غطى بالوحل . و (جبنه حلوم) وحالوم الجبنه وهي كلمة قبطية وترجمت الكلمة باللغة العربية ويقولون (يا ما) في معنى التكثير وهي كلمة مصرية مشتقة من (اما) ومعناها كثير . ومثل (العتير) واصلها انتوري اي غليظ الجسم القوي الشديد . (وتعبي كله طلع بوش) وبوش من بوش اي عرى وسلب ونهب واستعملت منذ العصور القديمة مجازاً بمعنى فارغ خالٍ عديم . و (كاني ماني) لفظتان قبطيتان قل ان تفترقا واصل معناهما سمن وعسل ويضيف ناس من عوام المصريين على الكاني ماني دكان (الزنبلاني) فكلمة زنبلاني اضافة تفسير معنى للكاني ماني اذ يوجد في مثل هذا الدكان السمن والعسل وما شاكلها من الفطائر التي في صناعتها السمن والعسل و (كايش على الدنيا) تقال للشحيح اذا كان مع بخله حريصاً واخيراً زعموا ان كلمة (ماري) مأخوذة من اللغة المصرية القديمة (مريت) اى المحبوبة والله اعلم .

هذا ما اهتديت اليه من الالفاظ الدخيلة المنحدرة الينا من الامم البائدة والتي ما زالت متغلغلة في يومنا بين جماهير العامة بالرغم من الاحقاب الطويلة التي اتت عليها ولعل في هذا القدر الذي تيسر لي عرضه ما يهيب بالباحثين ان يتصدوا الى احصاء ما فاتني منها ويردوها الى اصلها الغريب في مؤلف خاص لا يخلو من قيمة تاريخية وبذلك خدمة للعلم والادب ومجلبة للذة والحبور .

سفيق طباره

استغراق

•

ألقيهِ مخموراً على صدري وانسي الزمانْ
فكلّ ما اذكر من عمري هذي الثوانْ

الطيرْ يبني عشّه النديانْ في الغار، في الشربين، في الريحان
والحب يبني عشّه فينا

وغابنا ما انبت الوزّال الاّ ليخفينا
عن أعين العذّالْ

لا حسّ في الدنيا لانسانِ فالناس كالأرواح قد راحوا
ولم يزلْ الاّ خيالان حيّين ، والباقون اشباحُ
ألقيه مخموراً على صدري فكلّنا الاّ الهوى فانِ
وكلّ ما اذكر من عمري هذي الثواني

الياس ابو شبكه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

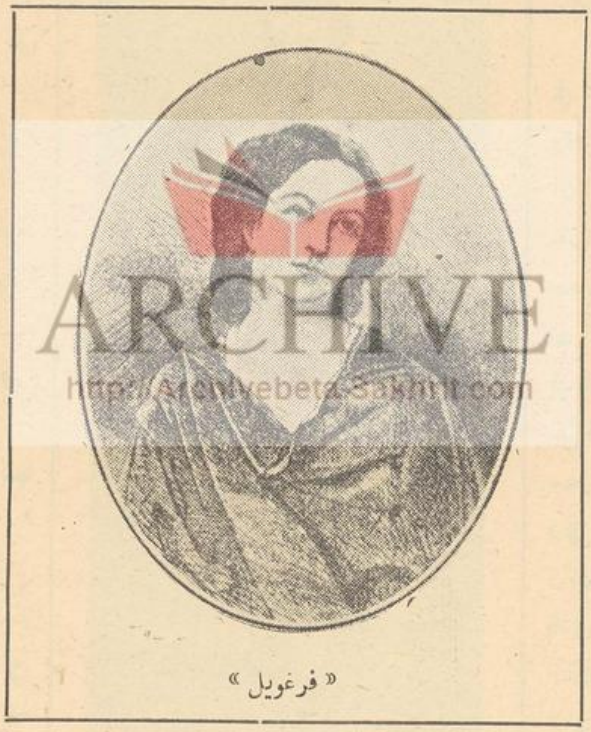
انائيس فرغويل في « البنات الرخام »

◆

استهلت انائيس فرغويل حياتها المسرحية بالغناء. كوالدها المغني الشهير فرغويل (Fargueil) ثم انصرفت الى التمثيل ففشلت في بادىء الامر وكادت تقنط لو لا الصدفة التي تبدل مصائر الناس. ففي العام ١٨٥٢ عهدت اليها لجنة التمثيل في مسرح « الفودفيل » باخراج دور مرغريت غوتيه في « ذات الكماليا » على ان تشبثها في بعض المواقف احرج المؤلف « اسكندر ديماس الصغير » . وفيما الخلاف قائم بين المؤلف والممثلة مرضت هذه الاخيرة واضطرت الى التخلي عن دورها للسيدة دوش(١).

وكانت فرغويل على وشك الانصراف عن المسرح حين اختيرت لاخراج دور ماركو في مسرحية « البنات الرخام » التي احرزت من النجاح ما احرزته « ذات الكماليا » . ويقول الكاتب المسرحي جول تروفيه ان انائيس فرغويل خلقت من العام ١٨٥٣ الى ١٨٨٠ ثمانية وثلاثين دوراً يدرج معظمها في عداد احسن الادوار التي عرفها آخر القرن التاسع عشر .

اما « البنات الرخام » (Filles de Marbre) فقد استوحاها واضعاها تيودور باربير Théodore Barrière ولامبير تيبو Lambert Thiboust من « اعترافات فتى العصر » La Confession d'un Enfant du Siècle لالفرد ده موسه . ويؤثر عن هذين الكاتبين انهما كانا يحبان امرأة واحدة على شاكلة اوكتاف وديجنه في « اعترافات فتى العصر . » واشتدت بينهما المزاحمة الى درجة لم يجدا معها بداً من البراز . ولكن قبيل التحام السيفين اتصل بالمتبارزين ان عاشقاً ثالثاً حل محلهما في قلب المرأة ، فضحكا من موقفهما ومضيا معاً الى فندق يتناولان طعام الظهر . وفيما هما يأكلان اخذا يستعيدان الى الذاكرة مواقف اوكتاف وماركو وديجنه في قصة شاعر « رولا » وما عتم الامران كتبا فصولها الخمسة بدون ان يستأذنا الشاعر . ويقول بول ده موسه ، شقيق الفرد ، ان هذا الاخير حضر تمثيل المسرحية بنفسه ولكنه اكتفى بهز كتفيه ولم يعترض .



« فرغويل »

وصفوة القول ان الشهرة التي نالتها مسرحية « البنات الرخام » كانت من الذيوع بحيث عمد بعض النقاد الى لوم الكوميدي فرانسيز على تركها مثل هذه « الرائعة » تعطى على مسرح من الدرجة الثانية كالفودفيل . سوى ان الكوميدي فرانسيز كانت مصيبة في صرف النظر عن « البنات الرخام » لان هذه الاخيرة كانت ضعيفة من الوجهة الادبية او من الوجهة الانشائية على الاصح . واليكم موضوع هذه المسرحية :

يجري مدخل « بنات الرخام » في محترف فيدياس بائينا في زمن بركليس . ويرى في المحترف تماثيل اسبازيا ولائيس وفرينه التي اوصى عليها المثري العظيم جرجياس ، ويرى كذلك الفيلسوف ديوجينوس يعظ وهو يسرح « مصباحه » باحثاً عن « الرجل » الذي يجرؤ على قول الحقيقة للجنس البشري حاضراً ومستقبلاً . ويرى النحات فيدياس ، صاحب المحترف ، وهو شديد التمسك

(١) مراجعة شارل فيشتر في « ذات الكماليا » في الجزء السابع من « الاديب »

بتمثيله يأبى بيعها ليقينه ان عبقريته ستبث فيها الحياة يوماً ، وقد غرب عن باله انها ليست سوى بنات من رخام لا تستطيع ان تحب ولا يصلح الا بيعها .

وينقلنا الفصل الثاني الى غابة بولونيا في العام ١٨٥٣ فنرى جميع الاثينيين المتحولين الى باريسيين يشربون ويتعاشقون ويغنون . والواقع ان فيدياس تحول فيما بعد الى رفائيل ديديه ، وديوجينوس الى ديجنه ، وجورجياس الى ده فرين ، والسبيادس الى جوليان ، واسبازيا الى ماركو ، وتيا الى ماري ، ولائيس الى جوزيتا ، وفرينه الى جولييت وهلم جرا . وفي غابة بولونيا يجتمع رفائيل ديديه ، المثال الشاب ، بصديقه الصحفي ديجنه الذي يقدمه الى رفاقه ، وسرعان ما يقع اسير ماركو ، ذات الجمال الساحر . وفي هذه الآونة تهب عاصفة هوجاء تعقبها امطار شديدة . وتظهر على باب الفندق فتاة في السادسة عشرة من عمرها مبللة الثياب بالمطر ، وقد جاءت كالهة « الطهر » تطلب ملجأ .

وفي الفصل الثالث نرى رفائيل في محترفه بين امه التي يحبها وماري الطاهرة النقية ، وهي الفتاة التي هربت من المطر وقد ادخلت وصيفة لوالدة رفائيل ، الشاب المستقيم ، الذي لا يلبث ان يقع في غرام ماركو .. المرأة الشيطان ، فتفهمه هذه الاخيرة انها تفضل ذهب ده فرين على « ازهار الحقول .. » التي يقدمها لها . وهكذا لا يلبث رفائيل المسكين ان يرى نفسه بين هزء العشيقة التي تؤثر الازهار « الضاحكة الرنانة » على الازهار « الفواحة » ، وعظات صديقه ديجنه الكثير الكلام والنصائح .

رفائيل — اني احب هذه المرأة يا ديجنه .. وسأظل احبها مهما فعلت هي ومهما قلت انت .

ديجنه — ولكن ماذا ترجو من حب هذه اللبوة ؟ ألديك ثروة ده فرين انت ؟

رفائيل — ديجنه ... ديجنه ...

ديجنه — لم ابق ديجنه كما كنت بل صرت العقل .. فهؤلاء النساء شياطين لمن كان مثلك .. ولهن قرون لا ترى ولا تنظر ...



الممثل فيشتر

وتلك الاظافير الصغيرة الوردية ليست في الواقع سوى مخالب تغرز في قلبك ... رفائيل — ديجنه !...

ديجنه — تعال نتكلم بوحي العقل لا بوحي الهوى . كم انفقت من المال منذ معرفتك بماركو ؟

رفائيل — عشرة الاف فرنك .

ديجنه — المبلغ الذي كان لديك . ومنذ ذلك الحين لم تشتغل ، ولقد مضى عليك ستة اسابيع لم تعانق خلالها امك ، امك المسكينة التي تنتظرك واذا رأتك تكاد لا تعرفك . فقد تبدلت كثيراً يا رفائيل كانك شخت .

رفائيل — أتعرف لماذا ؟ لان ماركو اصبحت لا تحبني . ومنذ شهر وانا فاقد الراحة لا يغمض لي جفن . الحمى تلهب دماغي وتمزق قلبي .

ويرينا الفصل الخامس رفائيل ديديه في محترفه الى جانب امه وماري الوصيفة ، وقد بدت عليه دلائل التعب والجهد . على ان الحمى لم تفارقه منذ ما اخذ يحاول نسيان ماركو . وفي نهاية الامر يقع ميتاً بين يدي صديقه ديجنه . ومما لاشك فيه ان الفوز الذي ادركته الممثلة انائيس فرغويل يعود الفضل فيه الى السيماء المضطربة التي عرفت ان تخلقها على وجه ماركو . فقد كان في نظراتها سحر افعواني يجذب ويدفع في وقت واحد . وعلى فمها ابتسامة تتحدى الاحتقار والمسبة . وكان زيها شيطانياً مغوياً ، لا سيما السوط الذي كانت تضرب به القطع الذهبية في الكيس المتدلي على خصرها وهي تنشد « اغنية الذهب . » اما الفصل الرابع الذي لم نأت على ذكره فيستنشق موت القلب في ماركو الساحرة التي كثيراً ما ضارعت الممثلة العظيمة راشيل في اروع ادوارها الفاجعة . وقد قال احد النقاد المسرحيين : « لقد اجادت فرغويل في تشخيصها سكرة الشبق . فهي رائعة ، مخيفة ، هائلة . » اما فيشتر الذي كاد يحتكر النفوس الممزقة فكان في هذه المسرحية التي مثل فيها دوري فيدياس ورفائيل احسن منه في مسرحية « ذات الكاميليا » التي مثل فيها دور ارمان ديفال .

لا تصافح احدا

لأمين الغريب

ان هذا العنوان قاس تكتبه اليد اليمنى فتشعر بوخزة من اليسرى القريبة من القلب . كانها تقول باية عين جافة يقبض المهذب يده عن اليد الكريمة الممدودة اليه بلطف وبشاشة . ولا شك ان هذه الملحوظة التي تمليها تقاليد مأثورة وعادات قديمة تستحق القدر والاعتبار . فلا نهملها ولا ندعها بل نضعها جانباً ريثما نعالج الموضوع من ناحية اخرى .

سنة ١٩٢٦ امتنع رئيس الولايات المتحدة لاول مرة في تاريخها عن مصافحة زائريه يوم عيد الفصح . فلم يدهشوا الا ن الجرائد ، وهي هناك مرآة الحياة الصافية الامينة ، هيأت الافكار لاجتناب ما في هذه العادة من الاضرار .

فالمصافحة في اميركا خلة مأثورة عن رؤسائها خصوصاً ، وعن كبار رجالها جملة في الاعياد العامة . فاذا خطب خطيب بلسان في حشد عظيم اصر هذا الحشد على مصافحته . واذا زار البيت الابيض الوف من الناس كان حقاً لكل منهم ان يصافح الرئيس . في ليلة الميلاد تبقى جماهير من الخلق ساعات تحت الثلج المنهمر انتظاراً لفتح الباب صباحاً وظهور رئيس الجمهورية لكي يحيوه ويصافحوه دون ان يعرفهم او يعرفوه . ولكن ليس الرئيس هناك الا اداة من ادوات حزبه الساعي لتعزيز مبادىء معينة في حكم البلاد . وعلى كل اداة ان تتوسع في الوسائل الآيلة الى تكثير اتباع هذا الحزب . وقد رأوا ان المصافحة من خير تلك الوسائل .

والرئيس يلبي رغبة الفريقين بطيبة خاطر ، تأميناً لاغراض حزبه ودلالة على ميوله الشعبية ، واستهتاره بمظاهر السلطة . فينتحي ناحية الباب ويبسط يديه الاثنتين للمارين ليضغط كل منهم الواحدة منهما ، ويعود الى بيته مبتهج القلب ، منشرح الخاطر بالاهمية التي ظن انه اكتسبها من مصافحة الرئيس . هكذا يشعر من كان صغيراً ممتلئاً حماقة وغروراً .

على ان هذه العادة المألوفة في لبنان ايضاً مع كل تحية ، والتي انكرها الاتراك ما بينهم ورفضوها ، قانعين من التحية برفع اليد الى الجبين ، قد كلفت الاميركيين غالياً ريثما انتبهوا اخيراً الى اضرارها ، وقامت جرائدهم تحتج عليها ، وباشر احد رؤسائهم في تلك السنة الاستغناء عنها .

لكن مباشرة كلفن كوليدج لم تغن فتيلا على ما يظهر . فقد عاد خلفه الشديد الحياء هربرت هوفر اليها ، وثابر عليها ، حتى هرست يداه ودميت اصابعه مراراً بفضل المعجبين به . واخيراً رفعت السيدة اليانور روزفلت عقيلة الرئيس الحالي ، صوتها في نيسان ١٩٣٨ احتجاجاً على متابعة تلك العادة (الذميمة) . هذه المرأة التي تحمل اليوم لقب « اول سيدة في البلاد » ممتازة بحد ذاتها وليست كالنساء ولا اللواتي ... على ما يقول المتنبي ، بل لها خبرة واسعة في الموضوع ، اذ تصافح من اعضاء جمعيات النساء واولاد المدارس اكثر كثيراً من زوجها الذي تضطره صحته غالباً الى احالة المصافحين عليها . وقد دعتها الحاجة ، وهي ام الاختراع ، الى ابتكار اسلوب خاص في المصافحة . فهي تسبق المصافح باخذ انامله بيدها وجذبه بلطف الى جانب قبل ان يتمكن هو من القيام باقل ضغط . وهكذا تتخلص من شدة احترامه على اهون سبيل . ولها شهرة في عالم الادب فهي تكتب في الصحف وتخطب على المنابر . وتكسب من المال بذلك مثل مكسب زوجها من منصب الرئاسة ، ولكنها تحول كل ايرادها الى الاعمال الخيرية . وبناء على ذلك « اذا قالت حزام فصدقوها » .

اما لماذا تعد المصافحة (ذميمة) وما هي الاضرار التي سببتها للاميركيين ، فان الرئيس هنري هاريسون كان شيخاً هرماً لما تولى (سنة ١٨٤١) اعلى منصب في تلك الجمهورية . ولم يشفق عليه الوف مصافحيه . فانهكه ضغطهم ليديه كلتيهما في حفلة نصبه الراقصة . فمرض من جراء ذلك ومات شهيداً لحماسة محبيه الثقلاء .

ولما انتخب وليم مكنلي للرئاسة سنة ١٨٩٦ كان احد المعجبين به يهرس له يمناه من شدة الضغط عند مصافحته حتى اضطر الى تعليقها بعنقه بضعة ايام . وقد كان ذلك نذير شؤم لمكنلي ، رحمه

الله : ففي سنة ١٩٠١ (وقد كنت في نيويورك وقتئذ) زار الرئيس معرض بفلو في ولاية نيويورك ، واخذ الالوف يصافحونه فاندس ما بينهم رجل بولندي الاصل فوضوي النزعة يدعى شولكوش وقد علّق يسراه بمنديل في عنقه كأنها معتلة . ولما اقترب من الرئيس الباسم صافحه باليمنى واطلق عليه من اليسرى المستترة رصاصة من مسدس خفي ، فقتله . ولا ازال اذكر من بين برقيات التعزية الواردة على ارملته واحدة ارسلتها ارملة همبرت ملك ايطاليا الذي كان احد الفوضويين قد قتله قبل ذلك بقليل . قالت : « نحن اختان في الاسى . » ولا ازال اذكر مرة خطب فيها في لوزفيل كنتكي المرحوم وليم جننز برايان الملقب بذي اللسان الفضي والذي رشحه الحزب الديمقراطي مرتين لرئاسة الجمهورية فكانت الدنيا تصفق له ولا اكثرية يوم الانتخاب تعرض عنه . وقد كان لي يومئذ حظ استماعه في لوزفيل وشرف مصافحته مع الجماهير البالغة خمسة عشر الفاً . فكان بعضهم يشدون على يديه المبسوطتين ما شاءت ثقالتهم وهو يتصنع البشاشة تاركاً امره لله . وكانت النتيجة ان المسكين قضى عشرة ايام في بيته يعالج تينك اليدين الحزينتين بالادوية والمراهم .

مع ان عادة المصافحة بقية من عهد قديم اذ كان الرجل يبسط يمناه للتحية ، دالا بذلك على خلوها من السلاح . فاذا اخذها بيده اطمأن واستراح .

على ان العلم الحديث افسد هذا الرأي ، وقوى حجة الناقمين في الولايات المتحدة وغيرها على المصافحة . فعلاوة على استخدام الاشرار لوسيلة الاطمئنان عينها وسيلة للغدر والايقاع صرنا اليوم نعرف ان في كل يد بشرية عدداً لا يحصى من الادوات للفتك افعل واثقل من تلك التي اخفاها شولكوش تحت منديله في يسراه . اذ ما من يد تركت وقتاً يسيراً بدون غسل الا آوت ملايين من الجراثيم والمكروبات المكتسبة من ملامسة اليد لاشياء ممتلئة منها .

انت تدري ، اذا كنت متمدناً ، اية معركة حربية يقيمها الصابون اذ تغسل يديك دائماً قبل الاكل . ولهذا يطهر طبيب الاسنان الماهر يديه قبل زج اصابعه في فمك . ولهذا ايضاً يكتفي الجراح بتطهير يديه قبل اجراء العملية ، بل يحافظ عليهما وعليك بلبس قفاز من المطاط المطهر . هذه ادلة ثابتة بالامتحان على ما تحمل اليد المجردة من ادوات الهلاك . ومن يطهر يده بالغسيل يعيد اليها الجراثيم حالما يصافح يداً غير مغسولة . والاطباء يؤكدون ان المصافحة تنشر من الامراض بين الناس ما تنشره دور السينما بواسطة السعال في ايام الشتاء .

في الولايات المتحدة تألفت جمعيات بعناية نظارات الصحة في كل ولاية لابطال عادة المصافحة المضرة ، فلا تنتظر انت في هذه الديار تأليف الجمعيات لهذا الغرض ، بل كلما رأيت يداً ممدودة لك فاحتل على قبض يدك عنها وانج بنفسك منها .

امين الغريب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



من الادارة

١ ــ ابتداء من الجزء الرابع رفع ثمن الجزء الى ٥٠ غ. ل. عوضاً عن ٤٠

٢ ــ يبقى بدل الاشتراك على حاله . ولا يقبل الا عن سنة كاملة بدؤها شهر كانون الثاني غير ان الادارة لا تتعهد بارسال الجزء الاول والثاني عن السنة الحالية لنفاد نسخهما .

٣ ــ الاشتراك في الخارج على نوعين :

(١) جنيه مصري للخارج عموماً . ويعطي هذا الاشتراك صاحبه الحق في الحصول مجاناً على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة

(٢) ٧٥ قرشاً في فلسطين والولايات المتحدة ــ و٦٠ قرشاً لباقي الجهات ــ وهذا الاشتراك لا يعطي صاحبه الحق في منشورات الاديب

٤ ــ يدفع بدل الاشتراك مقدماً ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل .

٥ ــ كل المقالات والابحاث التي ترسل الى « الاديب » لا ترد الى اصحابها سواء انشرت أم لم تنشر

٦ ــ تكون جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة « الاديب » صندوق البريد ٨٧٨ بيروت ــ لبنان

اغنيـــة حزينة

•

لأحمد راسم

« اعرف ابنة صغيرة ذات عينين كبيرتين سوداوين ويدين مغريتـين ، صغيرتين ناعمتين .

« اتى غلام صغير يحب الابنة الصغيرة ، ذو عينين كبيرتين سوداوين ويدين مغريتين صغيرتين ناعمتين .

« وفي احد الايام اتى عجوز صغير من عائلة نبيلة ولكن طاهرة ، فعكر سعادة الغلام الصغير الذي يحب الابنة الصغيرة ، الغلام ذي العينين الكبيرتين السوداوين واليدين المغريتين ، الصغيرتين الناعمتين .

« وحلم الولد ليلة ان ملاكاً جميلاً ، عجيباً طاهراً ، جاء يحمل روح العجوز الذي عكر سعادة الغلام الصغير الذي يحب الابنة الصغيرة ذات العينين الكبيرتين السوداوين واليدين المغريتين الصغيرتين الناعمتين .

« وخيّل الى الصغير المسكين ان العجوز الطاهر قد مات ، وانه سيكون له بعد اليوم السعادة التي يستحقها ، سيكون له الابنة الصغيرة ذات العينين الكبيرتـين السوداوين ، و« الربوتين » الصغيرتين واليدين المغريتين ، الصغيرتين الناعمتين .

« ولكن الحلم لم يكن الا حلماً . فبكى الصغير وظل يبكي حالماً بالمعبودة ذات العجوز الصغير واليدين المغريتين ، الصغيرتين الناعمتين ..

حتى مات من البكاء ... »

لما انشدت هذه الاغنية لـ« نيسان » قالت : « انا لا احب العجائز الصغار ، واؤثر خبزاً وملحاً وانت في فندق ذي لطعمة شهية مع آخر . »

ووضعت « نيسان » قبلة على عيني .

ثم اردفت قائلة :

« ولا احب تلك القصور الكبيرة الفخمة . »

وما قالته « نيسان » كان حقاً !.

ولكن ان تكن « نيسان » اكتفت يوماً بان تقيم بقصر كبير فليس الذنب عليها . ففي ذلك الزمن الذي ارتفعت فيه اسعار المعيشة ، كنا عاجزين عن الاهتداء الى خبز وملح وفندق ..

فالحلم لم يكن الا حلماً بله المصير .

ولئن يشق احمد احياناً حالماً بـ« نيسان » فلأن احمد ما يزال يحمل في حلقة مفاتيحه خاتماً محفوراً عليه تاريخ عزيز : فعلى مكتبه ساعة تشير الى الوقت !.

اما انت الذي يجهل حقيقة قصتها ففيم تبكي حين تعيد قراءة هذه الاغنية ؟

احمد راسم — السويس

قصصي وقصة

لسريل الدربس

لعلَّ من صفاتي — ان اعجبت بشيء — ان اعجب به الى حدّ بعيد ، وان اغلو احياناً واسرف في الاعجاب ، فأطري وازكي اطراء وتزكية قد يفوقان الحد الحقيق بهما ، واللازم لهما . على انني اروم ان ابتعد وانسلخ من هذه الصفة ، وأرجو ان اوفق في تقديمي — لقراء « الاديب » الغراء — كاتباً قصصياً ، وقصة فريدة لهذا الكاتب .

اما القصصي فهو « ألن فورنيه Alain Fournier » ، واما قصته « مولن الكبير Le Grand Meaulnes » وكان خليقاً بي ان اجعل للكاتب مقالاً ، ولقصته مقالاً آخر ، لولا ان الكاتب وقصته شيئان متلازمان ، يتمّم اولهما الآخر ، وللأول بالآخر ، صلة الحياة بالحيّ ، ورابطة الروح بالجسد ..

وسيرى القراء ان لحياة ألن فورنيه ، بقصته « مولن الكبير » صلة وثيقة محكمة . واود ان اذكر قبل ذلك ان هذا الكاتب ليس مشهوراً لدى القراء الشرقيين شهرة غيره من قصصي الادب الفرنسي الحديث ، مع انه لا ينقصه اية اثارة من الفن القصصي ، ولا يفوقه زملاؤه بشيء ، بل هو قد يفوقهم باشياء .

وُلد « ألن فورنيه » عام ١٨٨٦ في « Chapelle d'Angillon » ولقد نشأ مفعماً بروح الاستقلال والحرية الذي يتجلى في قصته « مولن الكبير » . وليس من شيء يصور هذا الروح تصويرا احسن من تسجيل الحادث الكبير الذي كان سبباً في ظهور قصة مولن ، والذي يدل دلالة واضحة على صدق ادب الكاتب . وقد بلغ هذا الحادث من الرقة والعذوبة بحيث يصعب تلمسه بالكلمات !! .

« في يوم هادىء من ايام نوّار ، التقى الن فورنيه بفتاة رائعة الجمال فارهة الحسن ، في « Cour La Reine » فاقتص اثرها . وتوجهت الفتاة اليه بكلمات تنم عن انها لم تحتقره ولم تزدره ... على ان الن ما لبث ان بلّغ انها تزوجت ، وانه لا يخطر لها على بال ... فشغله يأس بالغ غايته . »

هي ذي المأساة الصغيرة ... العظيمة التي وعتها حياة فورنيه ، فتمخضت عن معان كثيرة حواها كتاب « مولن الكبير » . اما اثر هذه الحادثة في نفس الكاتب وفي حياته ، فيتجلى في اقواله (عام ١٩٠٨) : « لم تقع عيني على اجمل منها او آنق ... انها « روح » ولكنها روح مرئية ، ممثلة بوجه ، حية بمشية . انها على جمال ليس من الممكن التعبير عنه ! مائة جملة تعرض لي لهذه الغاية .. ولكن اية واحدة لا تمثل الحقيقة .. « اما التقاؤنا فكان مبهما .. كنا نتململ بالقول « ان احدنا ليعرف الآخر . اكثر من علمه من هو » ! .

« وهذا القول على حظ من الصحة كبير ... ذلك انه يمثل الواقع بحذافيره ، واما الحب الذي ترعرع بغرابة اية غرابة ، ونما باخلاص مامثله اخلاص ، فقد كان من الطهارة بحيث صعب علينا تحمله ..

« واخيراً ، رغبت الي ذات يوم ، الا اصحبها الى ابعد مما نود .. فرضخت ، واتكأت الى عماد جسر انظر اليها ذاهبة ... ثم ... رأيتها تنفتل لتنظر الي — للمرة الاولى منذ تعارفنا — ، فاذا انا اخطو بضع خطوات الى العماد التالي ، اكاد اذوب شوقاً ، واثاث حنيناً الى اللحاق بها ... ولكنها تابعت سيرها .. واخيراً ، قبل ان تختفي — والى الابد — انفتلت الي نزلة اخرى ، ورنت الي ردحا ... هل كان ذلك بثابة امر : الا اتقدم اكثر مما فعلت ، او كان ليتاح لي مرة اخيرة ، النظر اليها وجهاً لوجه ؟؟!.. ذلك ما بقي سراً ، استحال علي تفسيره »

وهكذا ... فقد كانت مغامرة الفؤاد هذه كافية لان تقلق حياة الن فورنيه ، وتنغص مضجعه ، وترمض نفسه ، وتترع حياته بالحمية والحرارة ، والاسى والانذهال . ولكن ما اثر ذلك كله ، وعم تمخض ؟ ذلك ما يجيب عليه المؤلف حين كتب بعد سنتين من هذا التاريخ الى صديقه الودود « Rivière » :

« انا اعمل ، اعني انا اؤلف ... وقد يلم بي يأس لا حد له ، فيلجئني الى التراجع عن المحال ... وانا منهمك في القسم الخيالي من كتابي ، وفي القسم الانساني في آن واحد ... ولا شك في ان احدهما يعينني على الآخر ... على انني مع ذلك اضطررت الى التراجع عن القسم الاول . وان توفيقي في القسم الآخر لكبير . وسأفرغ عما قليل من « يوم العرس » (هو فصل في القصة) . وكتب بعد ذلك :

« اشتغل بحمية في كتابي . ولقد اندفعت مدة خمسة عشر يوماً ابني هذا الكتاب عوداً على بدء ، فلم افد من ذلك شيئاً ، وها انذا اهمله ... واخيراً ، ارشدت في امسية اضحوانة الى طريق احلامي ... فشرعت اكتب ببساطة وسهولة — كما احبر احدى رسالاتي — فصولا صغيرة مشبوبة ... هادئة ... انما هي قصتي . ومنذ ذاك سار كل شيء طوع الهوى »

ولكن ، ان « سار كل شيء طوع الهوى » فليس ذلك يخفف شيئاً من لوعة الين ... بل لعله يزيده اسى فوق اسى .. ولقد ظل ذلك الشجو الذي قدر عليه ، يضطرم بين جوانحه فيحيل حياته عذاباً لائعاً ، والماً مريرا . وهذا ما دعا الين الى القول عام ١٩١٠ — اذ كان الكلام يكثر عن الحرب — « انا موقن انني لن

اعود قط من الساحة » . وفي الواقع ، انطلق فورنيه مع صديقه ريفيار الى الساحة في ٤ آب ١٩١٤ . وبعد ايام قليلة ، بلغ احد اصدقائه انه قتل ، ولم يعثر على جثته .

تلك هي حياة ألن فورنيه : مغامرة صغيرة ، فعذاب مؤنس ، فموت في ساحة القتال .. ولكن الاثر الخالد الذي تركه ألن هو الرواية الفذة « مولن الكبير Le Grand Meaulnes » انها قصة الحياة السرمدية .. انها القصة التي تملأ الفؤاد هوى وحباً ، وتفيض على الروح لهفة وحنيناً ، وتريح على النفس وحياً من الروعة ، والهاماً من الجمال ، ووشياً من العذوبة .. سذاجة طاهرة تسير البطل مولن : وهذه من اظهر ميزات القصة . اتل منها فصلا اولا ، فستسري في كيانك نشوة يتلوها — ان ما استعدت في خاطرك هذا الفصل — اضطراب واسى يرينان على القلب ، ثم تحس منه اثر هذا كله لوعة الشباب المعذب تفيض في حنايا الفؤاد ، ولهفته الحائرة تشيع بين طيات الضلوع ، فاذا انت اسوان محزون لهذه الحداثة الفتية ، ولذلك الصبا الغض ، يبرمها الالم ، ويعذبها الاسى ، ويؤنسها الاخفاق ..

واتل منها فصلا آخر يستنشي حواسك ، ويوقظ عواطفك ، ويهيج مشاعرك ، فاذا انت تأنس منه أمل الشباب الحلو الحنان يملأ الحياة ، وامانى القلب الرفافة تسبغ على الشباب فيضا من الفرحة والجذل ، وتضفي عليه الوانا من السرور الضاحك ، فاذا انت منتعش النفس ، طلق الفؤاد ، تستروح لهذا الشباب الغض سعادة ودعة وامنا ..

ان قصة « مولن الكبير » عميقة كل العمق ، متمعن فيها كل التمعن .. ذلك انها عمدت الى قلب الشباب فراحت تدرسه ، وتشرح طواياه ، وتحسر عن سرائره ، وتعلل اسباب تقلباته . وليست الافكار هي التي تظهرنا على كل ذلك ، بل الحوادث وحدها . ولعل ذلك يكون اجلى واظهر لمعرفة الافكار الفلسفية ، واللفتات الرمزية ، التي يرمي المؤلف الى تسجيلها . اما « الرمزية » فقد احتلت مكاناً واسعاً من تفكير ألن فورنيه . ولقد لاحظ هو نفسه ان اثر الرمزية في مؤلفاته قد عقل الهامه النفسي ، اكثر مما اتاحه الظهور . ولعل ملاحظته هذه ، هي التي دعته الى القول « انه ينبغي القيام في وجه مدرسة (ويعني بها مدرسة الرمزية) تعرض تعاليمها للفنان « مصنعاً » من الطرائق التفكيرية المحضة ، الممعنة في التفكير : وقد قال في رسالة له (١٩١٠) .

« من هذا ، اي الرمزية ، وددت ان اصنف كتابي .. وكان ذلك جنوناً هوجنون .. الرمزية ! وهذا يخجل من كتابي مثلما يخجل من حياتي ... « انما هي عاطفة عارية في منعطف شارع » .

وسأعرض الآن بعض الآراء التي ارتآها النقاد عن « مولن الكبير » . فقد صرح « Gustave Lanson » « ان هذه اللعبة الخيالية » لم تؤثر في الا اثراً ضئيلا . ذلك انها فاقت — من حيث الاستحالة ، وبعد التصديق — تلك « القصة الزرقاء » التي وقعت في برج من ابراج الاحلام ، وعلى هامش الزمن ، والتي ترغب في ان تدرج في الحياة الحقيقية الواقعة !! » .

بيد ان « Claude Aveline » قرظ بعد سبع سنين قصة « مولن » فقال وكأنه يرد على لانسون « ان كل شيء في هذه القصة حقيقي ، ولكن دون ان يظهر ... وايا ما كان ، فقد بلغت الغاية المقصودة : ادراج العجيبة في الحقيقة ! » فعم تكشف هذه الاراء المتناقضة : اعن تضاد شعورين ، ام عن تطور في الاذواق الادبية ؟

كلا ! وانما يبدو جلياً ان لانسون قد خدع عن نفسه ، وان الابداع الجوهري في القصة قد عزب عن ذهنه . ذلك انه توهم — اذ نعتها « بقصة زرقاء » — ان رواية من هذا النوع انما « تصنع اختياريا » من مجموعة اهواء واشكال ! .. لقد ظن لانسون ان بحسب المرء ان يكتب كي يخرج مثل هذه القصة .. اما تأمل اعترافات الن فورنيه في احدى « رسائل الى « B » الصغير » بتاريخ ايلول ١٩٠٦ : حينما تتوفر لدي الصور ، اعني حينما احظى بالفراغ وبالقوة على عدم النظر الا الى هذه الصور — حيث ارى واشعر بالعالم الميت الحي ، المنسوب بجيوبة فؤادي — اذ ذاك اعبر عما لا يعبر عنه .. وسيكون ذلك قصيدتي في العالم .. سأحقق قصة تحييها حركة سرمدية لا شعورية بين الحلم والحقيقة »

وقصة « مولن الكبير » كانت التعبير عما لا يعبر عنه ، والقصة تحييها حركة لا شعورية بين الحلم والحقيقة ... ان هي الا جملة احلام وتجارب ذلك الفتى القروي : ذكريات حية حتى في اصدائها السحرية . لقد اصبح ألن فورنيه — حين قص بصبر عواطفه واحساساته — الشاهد العجيب ، لا على جيل وحسب ، ولكن على الحداثة عموماً .. انه الكاتب الذي وفق في تصوير الشباب والصبا التصوير . ومهما اقل بصدد قصته فلن اعبر تعبيراً احسن من انني احس — كلما تلوتها — بأمس الحاجة الى تلاوتها مرة أخرى !! . لا ادري لم ذلك ؟ ! . فقد يكون الشباب الذي يعتلج فيها هو نفس الشباب الذي يعتلج في فؤادي .. وقد يكون املي في بلوغ الغاية التي اصبو اليها امل « مولن الكبير » ، وقد لا يكون هذا ولا ذاك وانما يكون شيئاً آخر .. سراً مكنوناً على الايام تحسر عن طويته !! ..

سهيل ادريس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحركة الفكرية في بلجيكا

لا يمكننا ان نكوّن لانفسنا فكرة صحيحة عن حالة الادب في بلجيكا وعن تطور الافكار فيها من غير ان نعيد النظر بادىء الامر في ما تواضع عليه القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين من الاراء والافكار . فبلجيكا لم تبق بلاداً موحدة اللغة كما كانت ، فهي فلمنكية في مقاطعات الشمال وذات ثقافة هولندية ، وفالونية في مقاطعات الجنوب وذات ثقافة فرنسية . ومنذ عشرة قرون لم يطرأ اي تبدل على الحدود اللغوية فيها . ففي القرن التاسع عشر كانت الصفوة المختارة من المفكرين ذات ثقافة فرنسية ، على انه حصلت في المقاطعات الشمالية حركة سياسية واجتماعية كبيرة اسفرت عن ارجاع الثقافة الفلمنكية الى سابق ازدهارها . ففي بلجيكا اليوم ثقافتان احداهما فرنسية والاخرى هولندية ، ويبلغ عدد المساهمين في كلتا الثقافتين اربعة ملايين ، اي نصف سكان بلجيكا . فالبلجيكيون اولو الثقافة الفرنسية يشخصون الى باريس ، واولو الثقافة الفلمنكية يشخصون الى هولندا .

الاداب الفرنسية

قلنا ان ميدان الاداب الفرنسية ينحصر ببلجيكا في مقاطعات الجنوب ، اي في فالونيا وبروكسل . وهذا يؤثر وسيؤثر دائماً في توجيه الادباء الذين يكتبون باللغة الفرنسية في هذه البلاد . فليس في هذه الاخيرة ادب وطني بالمعنى الذي تشتمل عليه هذه الكلمة . ولئن تكن الاقليمية ما تزال بارزة في كثير من تآليف الكتاب البلجيكيين فالجيل الجديد يزداد تحرراً من الروح الاقليمي ، وفي تآليفه ما يقطع الدليل على ذلك . ويمتاز الادباء البلجيكيون الذين يكتبون باللغة الفرنسية عن سائر الادباء الذين يكتبون بهذه اللغة بانهم يحسبون انفسهم ادباء فرنسيين ، وقد اكتسب بعضهم الجنسية الفرنسية واحتفظ بجنسيته ، ولكنهم جميعاً ينظرون الى فرنسا نظرتهم الى رمز لغتهم ورمز الثقافة التي هي ثقافة اجدادهم منذ قرون . وفي بلجيكا جيلان من الادباء جيل قبل الحرب الذي يمثله كرنس Krains مؤلف « الخبز الاسود » وغليسنر Glesener الذي كتب « قلب كونستان ريمي » والبر موكيل Albert MOckel ، وفاليرجيل Valère Gille ، وغوستاف فان زيب Gustave Van Zype وجورج مارلو Georges Marlow ، وايزي كولين Izi Colin ، وغيرهم . وجيل بعد الحرب الذي يمثله فرانس هلنس Frans Hellens ، والبر سرستفنس Albert t'Serstevens ، وهوراس فان اوفيل Horace Van Offel ، واندره بايون André Baillon ، وغيرهم . وهناك طائفة اخرى من الادباء الذين تجاوزت شهرتهم حدود بلجيكا كالشاعرين نوئيل روه Noël Ruet ، وموريس كاريم Maurice Karèm ، والكاتبين المسرحيين ميشال ده غلدرود Michel de Gelderode وسومان Saumagne . ويجدر بنا ان نفرد مكاناً خاصاً لشارل بليسنيه Charles Plisnier القصاص العظيم الذي اصدر قصة « الجوازات المزيفة » Faux Passeports بعد « قصة الزواج » Mariages التي اثارت مناقشات عنيفة حال صدورها . ولا نزاع في انه لم تحصل منذ الحرب الكبرى الماضية اية حركة تجديدية كبرى في الادب البلجيكي . سوى ان ادباء الجيل الجديد وبعضاً من اسلافهم اصدروا لسنوات خلت منشوراً اكدوا فيه انهم لا يريدون ان يكونوا سوى خدام امناء للادب الفرنسي بمعزل عن اي روح اقليمي . وهؤلاء الادباء هم في طليعة الشعراء والقصاصين والمؤلفين المسرحيين والنقاد من الجيل الحالي ، وقد وقّعوا منشورهم باسم « كتلة الاثنين » .

كتلة الاثنين

جاء في هذا المنشور ما يلي : ثمة رأي ينسب الى مجموع المؤلفات الادبية الصادرة في بلجيكا طابع ادب وطني مستقلاً . ويحاول اصحاب هذا الرأي القول بان الكتاب البلجيكيين الذين يكتبون باللغة الفرنسية يعملون على تأليف كتلة روحية مستقلة عن مجموع الكتاب الفرنسيين بحجة ان جامعة اللغة لا تقيم بين هؤلاء الا علائق صرف خارجية .

« وهذا غير صحيح . فجامعة اللغة لا تكتفي بان تخلق بين ادبنا الفرنسي وادب الفرنسيين صلة تشابه اهم بكثير من التباعد الناشىء عن الجغرافيا المادية والسياسية بل هي تخلق اكثر من ذلك ، فاحداث التاريخ وتجاور العلايق الروحية والطابع الكوني والجاذبي للثقافة الفرنسية اختصرت فوارق الشعور بين آداب بلجيكا وآداب فرنسا بحيث اصبحت بلجيكة مترلنك Mœterlinck وبايون Baillon

وفرهيرن Verhœren جزءاً من تلك الوحدة التي لا حدود لها وهي فرنسا الادبية . »

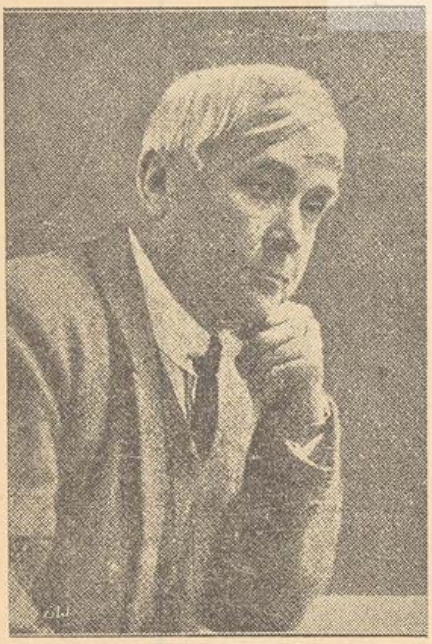
وهكذا نرى الادباء البلجيكيين المثقفين بالثقافة الفرنسية يزدادون شعوراً بانهم لن يرتفعوا الى القمة الا في ظل العبقرية الفرنسية . ومما لا شك فيه ان جول ديستري Juees Destrée ادرك هذه الحقيقة قبل ان ادركتها ، « كتلة الاثنين » من ادباء الشباب حين اسس اكاديمية اللغة والادب الفرنسيين في العام ١٩٢٠ . وهو لم يقرر ادخال عشرين اديباً اجنبياً في هذه المؤسسة المشتملة على اربعين عضواً الا ليوسع آفاق الادب البلجيكي ويجمع بين الذين يعملون لمجد الادب الفرنسي خارج حدود فرنسا وفي فرنسا نفسها . فالى جانب مترلنك يجلس العالم الهولندي سلفيرا ده غريف ، والكندي مونبتي ، والاسوجي فالبرغ ، والبرتغالي كاسترو ، والسويسراني فالوتون ، والشاعر فييله غريفن والسيدة كوليت الفرنسية . ومعلوم ان هذه الاخيرة خلفت الشاعرة الكونتس آنا ده نوايل .

الادب الفالوني

ولا يجمل بنا السكوت على الادب الفالوني الشبيه بالادب البروفانسي الذي انجب جاسمان وميسترال وغيرهما من الخالدين . ففي فالونيا عدد من الجمعيات التمثيلية التي تقوم بنشاط كبير ، وللغة الفالونية شعراؤها وكتابها كما للغة البروفانسية . وتتمركز الاوساط الادبية الفالونية في تورني وشارلروى ونامور وفرفيه وفي ليبج على الخصوص . اما احسن الادباء الفالونيين فهم نيقولا ديفريشو Nicolas Defrêcheux وادوار ريموشان Edouard Remouchamps ، وهنري بارون Henri Baron ، وادولف تلكين Adolphe Tilkin والشاعر جوزيف فرنت Joseph Vrindt ، وجوزيف مينيوله Joseph Mignolet ، وبوفي ، مؤلف « نشيد الفالونيين » ووالد السيدة برت بوفي من « الكوميدي فرانسيز » . ويمتاز الادب الفالوني بطابعه الانتقادي المر في تصوير الحياة اليومية . على ان هذا الادب ما يبرح اصلياً لان الحياة الداخلية في فالونيا قوية وغنية » .

الادب الفلمنكي

ترافق يقظة الادب في الفلاندر ، هذه اليقظة التي اتسمت في اواخر القرن التاسع عشر بازدهار تلك الحركة التحريرية التي قام بها شعب اهتدى الى تقاليده وثقافته ، اسم اديب عظيم هو هنري كونسيانس Henri Conscience . فنفوذ هذا الاديب كان عظيما رافقه نفوذ الشاعر بول ده مون Pol De Mont ، والكاهن غيدو جزيل Guido Gezelle .



مترلنك

ومنذ الحرب الكبرى الماضية واصل ادباء الشباب الفلمنكيون جهودهم على منوال اسلافهم . فكما كان المصورون في العصر الفلمنكي الكبير يحبون تصوير مناظر الحياة الشعبية هكذا كتاب اليوم فهم يصورون حياة الفلاحين او العمال بما فيها من البؤوس والاتعاب ، من الاطماع والزهد بالنفس ، من الحب والبغض . ويطمع اسياد الحركة الادبية الفلمنكية في مجاراة الادباء الهولنديين كما يطمع الادباء البلجيكيون الذين يكتبون باللغة الفرنسية في مجاراة الادباء الفرنسيين .

وفي السنوات الاخيرة ظهر اديبان فلمنكيان فتحا في فن القصة فتحاً كبيراً هما موريس رويلان Maurice Roelants وجيرار والشاب Gérard Walschap على ان النفوذ الفرنسي ظاهر جلي في ما اصدره هذان الاديبان كما ان تأثير الشاعر الفرنسي رنبو Rimbaud ظاهر في « جرمينال » للشاعر الفلمنكي برت ديكورت Bert Decorte . ويحتل المسرح مكاناً لامعاً في حركة النهضة الادبية الفلمنكية . وفي طليعة الكتاب المسرحيين هرمان تيرلنك Herman Teirlinck الذي كتب « الشريط البطيء » ويدور موضوع هذا المؤلف حول رجل ينتحر غرقاً وفي بضع ثوان يستعيد الى ذاكرته جميع ما مر به في حياته . وصفوة القول ان النمو الثقافي وجهود الصفوة الادبية في مقاطعات الشمال تساهم في غنى تراث الفكر الهولندي في بلجيكا .

روحي ابتلاهـا النزاع ، روحي
لا تسـألي عن نزاع روحي

حلم هفا ، واختفى
من بعد ان رفرفا
مغلفـاً بالصفـا

هوى ، كثغر الصباح
لاح خفيفاً وراح
مثقـلا بالجراح

روحي

يا نزعتي في الحيـاة ، روحي
لا تسـألي عن نزاع روحي

لفولا بسّرس

لك الهوى والهنا
ولي الضنا والفنـا
اي شقي انـا
كانت ، ولما تزل
تغزل روحي الغزل
على سراج الامل

الامل الحـلو راح ، روحي
لا تسـألي عن نزاع روحي

عللتني بالوعـود
فماج حولي الوجود
مغرورقـاً بالورود

ما كان الا خداع
نزعت عنه القناع
فلا تطيلي الوداع

روحي ابتلاهـا النزاع ، روحي
لا تسـألي عن نزاع روحي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كوشوك هانم

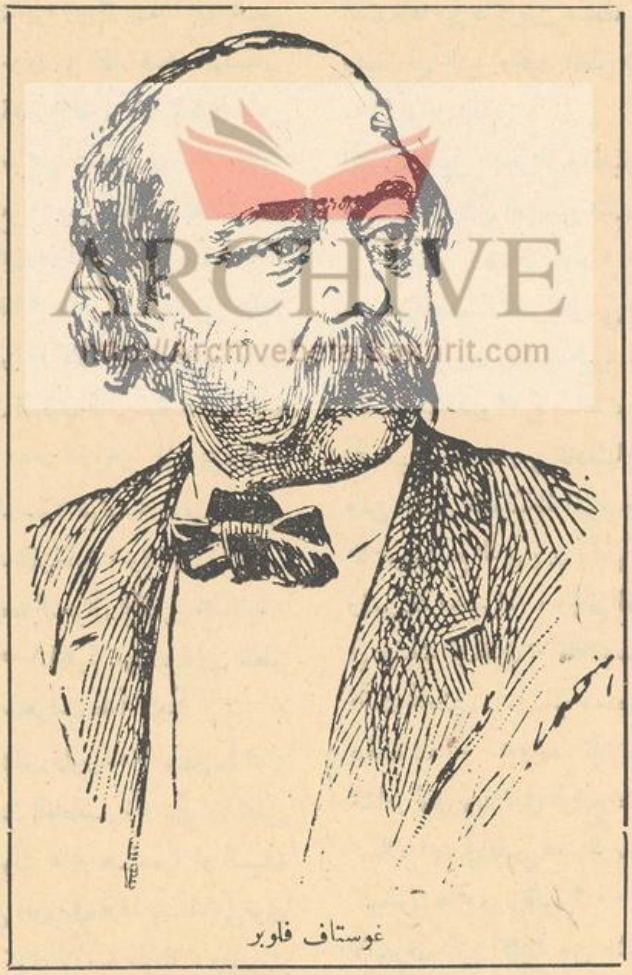
او

غوستاف فلوبر في الشرق

لعمر فاخوري

ان ائمة الادب الفرنسي الذين زاروا الشرق العربي ، واستوحوا طبيعته وآثاره واحوال اهله ، كثيرون جداً ، تواصل حبل الرحلة فيهم من عهد فولني الذي زار بلادنا قبل الثورة الفرنسية الكبرى ، ونشر سنة ١٧٨٧ كتاباً سماه « رحلة الى مصر وسوريا » اودعه مشاهداته وخاطراته وتأملاته . وتبعه لامرتين الذي نزل بيروت في السادس من تشرين الاول سنة ١٨٣٢ ، فجاس خلال هذه الديار ، نحو ثمانية اشهر ، اخرج بعدها كتابه المشهور « رحلة الى الشرق » . ويليهما ارنست رنان المؤرخ العلامة الذي اوفده الامبراطور نابليون الثالث في بعثة اثرية عام ١٨٦٠ فرجع بعد اقامة طويلة بكتابه « سيرة المسيح » وبالخطوط الاساسية لسلسلة مؤلفاته في « اصول النصرانية » . ولعل آخر هؤلاء الائمة عهداً موريس بارس الذي لم تستغرق رحلته عام ١٩١٤ الا زهاء ثلاثة اشهر ، لكن الادب الفرنسي افاد منها القصة الساحرة « جنينة على العاصي » والكتاب الممتع « تحقيق في بلدان الشرق الادنى » .

هؤلاء الاربعة من ائمة الادب الفرنسي ، عرفوا بلادنا واهلها ، ودونوا في كتب معروفة متداولة ما شهدوه وخبروه بانفسهم ، قد ذكرناهم باسمائهم ، وهم — اذا ما ذكر هذا الشرق العربي — على كل لسان . لكن عشرات غيرهم من العلماء والشعراء ، والمنشئين والمؤرخين ، تقدموهم او ترسموا خطاهم ، حتى لم يكد يبقى ، بين الحربين ، اديب او مفكر او صحفي من الفرنسيس ، الا القى دلوه في الدلاء . وبالطبع ، لقد كان الاثر او رد الفعل الذي احدثته في الزائرين ، طبيعة بلادنا وطبائع اهلها ، مختلفاً باختلاف الامزجة ، بين كاتب وكاتب ، او بين شاعر وشاعر ، او بين عالم وعالم . وهكذا اصبح لشرقنا العربي في الادب الفرنسي ، مجموعة قيمة من شتى الصور ، كل واحدة تكمل الاخرى ، وان كنا لا نجزم بانها جميعاً تؤلف الصورة الاصلية . ولكن هل الى هذه الصورة الاصلية من سبيل ؟ فكأيّ من زائر بلدٍ يجيئه باكثر مما يأخذ منه .



غوستاف فلوبر

ومن ائمة الادب الفرنسي الذين عرفوا بلادنا واقاموا فيها ، لكن لم يقسط لرحلتهم المشرقية ، من الشهرة والذيوع ، مايقترن به اسم لامرتين ورنان مثلاً : الشاعر جيرارده نرفال ، والقصصي غوستاف فلوبر ، رغم ان رحلتي هذين الاديبين لم تكونا عرضة لان يزينهما العلم ، او تشينهما السياسة ، وانما كانتا الأدب والفن

ومتعة النفس — خالصتين . ولعلها لهذه العلة بعينها ، لم تشهرا بين الناطقين بالضاد ، الذين عرفوا لامرتين بقصصه المعربة كرافايل وغرازيلا ، وهي ليست من جياد مؤلفاته ، وعرفوا رنان بالضجة التي اثيرت حول كتابه في « سيرة المسيح » وقد كان هو افضل جداً من تلك الضجة .

ويتناول حديثنا اليوم ، غوستاف فلوبر المنشىء النابغة الذي خلف في صميم القرنين التاسع عشر والعشرين الفرنسيين ، سواء أبطرفه القصصية ، ام بمدرسته او بمذهبه الادبي ، اثراً من ابقى الاثار . اما جيرارده نرفال ، فنحن واياه على موعد لقاء آخر .

في الرابع من تشرين الاول سنة ١٨٤٩ انجر غوستاف فلوبر وصديقه الاديب مكسيم ده كان من مرسيليا ، على ظهر باخرة تدعى « النيل » . فبلغا الاسكندرية في الخامس عشر منه . وبعد ان اقاما في القاهرة ستة أسابيع ، استأجرا زورقاً صعدا به النيل حتى الشلال الثاني . وفي الثاني والعشرين من اذار هبط الصديقان وادي حلفا ، وهناك بين الاطلال الرائعة صرخ فلوبر بغتة ، كارخميدس في الحمام : « وجدتها . وجدتها . . سأسميها ايما بوفاري . » وطفق يعيد هذا الاسم مجرباً غنته على السمع — يعني بطلة قصته المشهورة التي كانت تشغل ذهنه منذ ذلك الحين ، ولم تشهر الا سنة ١٨٥٦ اي بعد سبع سنين . ومن قرية « قنا » سافر صاحبانا على جملين الى القصير ، على شاطىء البحر الاحمر ، وكانا في الطريق يهلكان عطشاً : فلوبر يتلمظ بذكر مرطبات تورتوني الباريسية ، وده كان يهم بقتله . . ثم عاد الرحالتان الى مصر ، وابحرا الى بيروت ، حيث تعرفا الى رسام مغمور من مدرسة « غوتيه » يدعى كميل روجيه ، وكان موظفاً في دائرة البريد الفرنسية . وقد زارا القدس والناصرة ودمشق وبعلبك ، وضربا عصا التجوال في القرى اللبنانية . واخيراً في تشرين الاول من عام ١٨٥٠ ابحرا من بيروت شطر القسطنطينية . فتكون الرحلة قد استغرقت عاماً كاملاً .

لامر ما يقول مؤرخو سيرة غوستاف فلوبر . « لا مندوحة لنا ، اذا ما تكلمنا على حياة هذا الكاتب العاطفية ، عن ان نخص كوشوك هانم بالذكر » . فمن كوشوك هانم هذه ، او السيدة الصغيرة ؟ . هي راقصة حظية قضى فلوبر في منزلها باسنا ، من قرى مصر العليا ، ليلة واحدة . لكن الذكرى لازمته طويلا ، وظهرت آثارها في ادبه وكتاباته اكثر من مرة . الى حد ان صديقته المتشاعرة لويز كوله غارت منها غيرة شديدة ، حتى اضطر فلوبر الى مخادعتها تنصلاً وتبرئة لنفسه . فلما رحلت لويز كوله بدورها الى الشرق ، بعد ردح من الزمن طويل ، لم تتمالك عن ان تقصد الى قرية اسنا ، على شاطىء النيل ، لعلها تعرف شيئاً من امر تلك المخلوقة ، وسر فتنتها العجيبة . ويزعم بعض المؤرخين ان كوشوك هانم ، هذه الحسناء ، تدعى صفية . وكانت قبلة انظار باشوات القاهرة وبكواتها ، ومهوى افئدتهم . لعبت بعقول الكثيرين ، احدهم سري انكليزي رغب في التزوج منها . ثم اصبحت حظية لعباس باشا حفيد محمد علي الكبير ، ومن هنا لقبت بالسيدة او الاميرة الصغيرة . لكن عباس باشا غضب عليها ذات يوم ، فنفاها الى قرية اسنا . وظل يفد عليها بمنزلها الجميل ، على شاطىء النيل ، الكبراء والمترفون وعلية الرحالين ، فاثرت . . وبعد مقتل عباس رجعت الى القاهرة ، وفيها توفيت . .

كان لفلوبر صديق حميم هو الشاعر لوي بويه نظم قصيدة استوحاها من ذكريات صديقه المدونة ، وكأنه يتكلم بلسانه ، وصف فيها النيل وتخيله المظل ، والتمساح الذي سبقه الى «التغزل» به ابو نواس القائل .

اخمرت للنيل هجراناً ومقلية ... مذ قيل لي انما التمساح في النيل
فمن رأى النيل رأي العين عن كثب ... فما أرى النيل الا في البواقيل . .

يريد : « في الاكواز » .

ويخاطب الشاعر الفرنسي الاميرة الصغيرة قائلا : « في منزلك باسنا ، ترى اتطمئين اليوم ، اي كوشوك هانم السمراء ، اذ انت جالسة عند النهر ؟ » ثم يسألها عن خروفها الذي كان يرافقها في نزهها ، المخضب بالحناء ، وعن خادمتها النوبية القاعدة القرفصاء بين قدميها ، وعن ضارب الدربكة المهوم على آلته الخرساء . ويصف طربوشها الاحمر الواسع الذي يزين رأسها بشرابته المرسلة ، وقرصه الذهبي ، وزمردته الخضراء . . ويختم القصيدة قائلا . « لكن ظلا يغيم الان في عينيك البراقتين ، كأنما تحسين في سويدائك بمثل حزن الثكلى ، فأنت تخفضين رأسك ، منصتة الى صوت الزوارق البعيد ، على صفحة الماء . . » ولقد كان غوستاف فلوبر في رسالة الى صديقه الشاعر لوي بويه ، في الرابع عشر من تشرين الاول سنة ١٨٥٠ قال « علام اجد في نفسي هذه الرغبة الحزينة بان اعود الى مصر فاشاهد كوشوك هانم مرة ثانية ؟ . . قل ما تشاء ، فاني قضيت ثمة سهرة لا يعرف المرء كثيراً من مثيلاتها . . » وانا لنتساءل مع فلوبر ايضاً . « اجل ، علام هذه الرغبة ؟ . » لكن من يدري ؟ فلعل كوشوك هانم تلك ، رمز عن سحر المرأة وفتنتها .

عمر فاخوري

حديث البترول

للدكتور نقولا فياض

◆

لقد سيطر الذهب على العالم طوال آلاف السنين، اما اليوم بعد ظهور البترول فان كثيراً من الناس لا ينظرون الى الثمانمئة مليون طن التي تخرجها الارض منه كل عام نظرهم الاول وقد حولوا بعضاً من حبهم واعجابهم الى هذا المنافس الجديد . فالبترول ذهب سائل بل هو اوسع من الذهب سلطاناً وأبعد اثراً . وعلى الرغم من تزايد المستخرج منه الى ما يقرب من مئتي مليون طن في السنة مما ادى الى رخص سعره فان اهميته في حياة الافراد والشعوب لا تزال تتعالى بفضل الرقي واتساع الحاجة اليه في اكثر الصناعات من الآلات الصغيرة التي تستخدم في المنازل الى المحركات الضخمة التي يعتمد عليها في النقل وجر الاثقال جواً وبحراً .

ولم يكد يمضي قرن على دخول البترول في حياة العالم الاقتصادية حتى صار كالدم في عروقها ، وأصبح النزاع من حوله شديداً كما كان حول الذهب من قبل .

ولا تجد بين العناصر والقوى التي تقوم عليها حياة الانسان ما تنعكس في مرآته عظمة العصر الحاضر ، كما تنعكس في البترول . فهو المداد الذي يسطر به تاريخ هذا العصر بما ينسج في اعماق الارض وعلى سطحها من شبكة واسعة النطاق بين آبار ومصافٍ واحواض وشركات استثمار وما يثير حوله من تزاحم الاطماع وتصادم المصالح حتى صار الحب والبغض والسلم والحرب جنوداً تعمل تحت امرته وتسير في خدمته .

فالبترول كالساحر الماهر الذي يحرك الدمى دون ان تراه فتبصر الاشخاص تروح وتجيء وتعلو وتهبط وتختفي وتشعر باليد التي تديرها والقوة الخفية التي تسيطر عليها ولكن مفتاح السر لا تهتدي اليه ان لم تدرك حقيقة المحرك واسراره .

ان سائق السيارة عندما يأخذ مؤونته من البنزين وينطلق بسرعة خمسين ميلاً او مئة ينهب الارض نهباً لا يدور في خلده ان البترول الذي بين يديه يقطع مرحلته الاخيرة وان هذا السائل المتفجر من قلب الارض قد اجتاز قبل ان يصل اليه ويصير صالحاً لخدمته طريقاً طويلة شاقة ، هذه الطريق هي حياته الغريبة بل تاريخه العجيب الذي اردت ان اعطيكم لمحة عنه .

على شواطىء البحار الواسعة في المكسيك والقوقاز والهند وبلاد العجم تمتد منذ الاف السنين مفاوز شاسعة قاحلة تبدو للمسافر الذي تسوقه اليها الاقدار منتهى اليأس . تربة جافة نخيلة تحرقها شمس الهجير بلا شفقة فلا ماء فيها ولا حياة وقلما يقع فيها على بقعة معشبة او مشجرة . هذه المفاوز كانت تجوبها القبائل الرحّل في العصر السابق بينما يعيش الفلاح على عتبتها او بجوارها يحرث ارضاً ضئيلة خفيفة الانتاج وعلى ضفاف البحار والاوقيانوس والخليج الفارسي وبحر قزوين تقوم المدن التجارية والقلاع والحصون وكانت القوافل والجمال التي تطأ هذه البيد تجدّ في سيرها نحو المدينة ما استطاعت تخلصاً من هذه السهول التي لا ينتظر فيها غير البلاء والفناء .

ان القفار القائمة على جوانب البحار تختلف عن غيرها من قفار الارض . فالصحراء في بلاد العرب وسواها فيافٍ مترامية الاطراف من حجارة ورمال لا شيء يقلق سكونها السامي العميق ، اما القفار المنبسطة من الشواطىء فلها خفوق واختلاج والارض اليابسة تنتفض احياناً كما ينتفض الحيوان الجريح فترى بين عشية وضحاها تلالاً ترتفع ومن هذه التلال يخرج ضرب من الوحل قاتم اللون كريه الرائحة ينشر في السهل ثم ينشق ويقسو ثم يتحول الى تراب .

هذا السائل الدهني اللزج الذي تنشق عنه قشرة الارض السطحية عندما تأخذ احشاء الارض بالارتعاش يسيل سيلاً بطيئاً فيغمر التربة ويحولها الى طين ولكن عندما تتنفس الارض تنفساً عميقاً وتهتز اهتزازاً عنيفاً فانه يتدفق كالينبوع بغزارة وقوة حاملاً معه غازات الارض مقتلعاً في طريقه الحصى والحجارة فاذا القفر كالبحيرة واذا القبائل الرحّل تحمل خيامها هاربة مما ترى مذعورة مما تسمع من صفير الغازات

ودوي الارض او انينها .

ويقع غالباً ان شرارة تنبعث فجأة فتتحول البحيرة الى نار في اسرع من لمح البصر ويظل النبع يقذف بنفطه من الاعماق فلا يبلغ سطح الارض حتى يغوص في اللهب وهكذا تمضي الايام والشهور والاعوام وعمود النار منتصب في السماء .

ان اقدم منابع البترول هي شبه جزيرة ايشرون في بحر قزوين . هناك منذ آلاف السنين عندما كانت الارض لا تزال في شبابها وكان البترول لا يزال في طبقات كثيفة تحت قشرة الارض الرقيقة كانت مئات من الينابيع المشتعلة قريباً بعضها من بعض تخرق بلهيبها عنان السماء فكان لهذه المصابيح المستطيرة على الشاطىء وخصوصاً عندما يعتكر الليل منظر ساحر . وهي التي كانت تبعث الخوف في قلب الانسان القديم فيخر لها ساجداً ويعبدها كآله .

وقبل المسيح بعصور كان النبي زارازوسترا يجتاز السهول الخضراء في ايران بين اتباعه ومريديه حتى اذا انتهى به الطواف الى شبه جزيرة ايشرون ابصر النار الخالدة فملأته خشوعاً ووقف امامها سابحاً في تأملاته واحلامه الى ان تجلت له الحقيقة الكبرى .

هذه الحقيقة الكبرى طلعت على الناس بديانة النار المقدسة ديانة الاله « اهور مازدا » التي عاشت الفي سنة في البلاد الايرانية ولا يزال اثرها باقياً حتى الان .

ولقد خبت النار منذ ازمان وبنيت فوقها الصروح ولا يزال الناس يحجون الى منابع البترول لا ليأخذوا من هذا السائل المعدني بل ليسجدوا بخشوع لدى انقاض آخر هيكل للنار المقدسة .

اذن ما تعرّف الانسان الى البترول للمرة الاولى الا ليخلق ديناً ، على ان الدين تلاشى ولم تتلاش النار التي اوجدته . وبعد زارازوسترا بمئات السنين قصد الاسكندر المكدوني الى ايشرون وكحّل عينيه برأى اعجوبة الشرق . وبعد الاسكندر بمئات السنين أقبل بومبه الكبير مع جيوشه في حلق الحديد ورأى هذا المشهد الرائع فدهش له . وكثير من الغزاة والفاتحين الذين اخضعوا لسلطانهم مناطق البترول مروا من بعدهم في هذا السبيل دون ان يدركوا قيمة الكنز الذي تضمه هذه الارض الحقيرة البخيلة .

وكان النفط يذهب سدى فيتبدد في الارض ويتجمع بحيرات في طبقات كثيفة فتمر قبائل الهندوس وهنود فنزويلا وكهان الفرس وبدو اسيا الوسطى وغيرهم من مختلف السلالات الشرية امام هذا الوحل او التراب القذر وتلمس ايديهم السائل الدهني اللزج ويسمعون باسطورة اله النار فيلعنون النفط الذي كان السبب في قحط تلك البلاد .

وهكذا كانت بداية تاريخ البترول بركة ولعنة : بركة الاله اهور امازدا ولعنة الفلاحين .

ومن الغريب ان احداً من تلك الجماهير المختلفة لم يفكر لحظة بتجربة هذا السائل بل كانوا جميعاً يعتقدون انه عديم الفائدة . واول من نظر اليه نظرة جديدة هو الشعب الصيني فقد كان النفط مجهولاً عنده وهذا ما لفت انظار علمائه اليه وجعلهم يتلمسون حقيقته حتى ادركوها وانشأوا لاستخراجه طرقاً اصبحت اليوم مهجورة .

كان ذلك سنة ٢٢٠ قبل المسيح اذ امر امبراطور من اسرة الشنس في مملكة الصين الوسطى بصنع قساطل للحفر والتنقيب عن الملح فهبّ المهندسون الى العمل وصنعوا ستمئة واربعين قسطلاً وتوصلوا الى طريقة للحفر لا تقل دقة عن الطرق الحديثة .

وكان الوقت كفيلاً لهم بما وجدوا فيه من متسع فقد يدوم الحفر سبع سنوات ويبلغ احياناً من العمق ثلاثة آلاف قدم . وكان الصينيون يعملون في الستمئة والاربعين بئراً ليل نهار مستخدمين من الادوات مثل ما يستخدم اليوم ، وكانت فرق العمال تتبدل كل عشر دقائق والثيران تدير الدولاب الكبير والناظر عليهم يهز لهم السوط كلما اقتضى ذلك .

لقد طلبوا الملح فوجدوا البترول ولم يكن دهش المهندسين قليلاً عندما ظهر لهم في آبار يانغ كيانغ وغانزي سائل مجهول الهوية لم يحسبوا له حساباً في خططهم واخذوا يتذمرون لهذا الحادث الذي اعترض لهم دون العمل ثم امعنوا نظرهم في هذا النفط الجديد وعمدوا الى الانتفاع منه فوجدوا بالاختبار انه يحترق بسهولة ويعطي نوراً جميلاً وقادهم ذلك الى صنع مصابيح له فكان امبراطور الصين اول من اضاء قصره بالبترول .

ان الصينيين لم يتعلموا تقطير النفط وترشيحه الا انهم عرفوا ان يستفيدوا منه طبياً فاستعملوه في الامراض الجلدية دهناً والرئوية تنفساً ولا يزال الاستعمال منتشراً في بعض بقاع الشرق .

والتربة الصينية فقيرة بالنفط وحتى اليوم تكاد هذه البلاد الجبارة لا تخرج منه ما يربو على ثلاثمئة برميل في اليوم ولما كان ابناء السماء يجهلون قديماً وجود امكنة على سطح الكرة يسيل منها النفط بغزارة فقد اهملت صناعتهم واسرع اليها الفناء .

على ان ذلك لا يمنع ان يكون ثمت صلة بين الماضي والحاضر فليس بمستبعد ان يكون الشرق اخذ عن الصينيين طرقهم في الكشف والتنقيب عن الملح والماء وعن الشرق اخذت اوربا في القرون الوسطى وعن اوربا اخذت اميركا فطاف اختراع الصينيين العالم وتركت عبقريتهم اثراً في كل بلاد .

ملحمة البترول

اتى على اكتشاف الصينيين للبترول حين من الدهر قبل ان يتبين الشرق ما وراءه من المنافع ، وكانت اول بقعة اقيمت فيها صناعة له هي شبه جزيرة ايشرون المحاطة بهالة من الاساطير . فقد ظلت طوال هذا الزمن المكان المقدس للنار الابدية فشيدت فيها الهياكل لزرازوسترا وعكف الكهنة على عبادتهم يملأون سماءها باناشيدهم الحارة ويفرضون الرسوم على الحجاج ويتدخلون في سياسة البلاد وسياسة الشرق عامة .

ولما فتحها العرب عفت الهياكل وخبت النيران ، ثم نصبوا عليها رئيساً يقال له الخان ، وتابعوا طريق فتوحاتهم تاركين وراءهم قبائل متوحشة ومدينة باكو الجديدة ومنابع البترول .

ووجد الرئيس الجديد نفسه في بلاد فقيرة تجارتها ضيقة النطاق ومواردها ضئيلة وارضها قليلة الانتاج ، فدفعته الحاجة ، والحاجة ام الاختراع ، الى البحث عن وسائل تفتح له ابواب الرزق ، ورأى البترول الراكد في ارضه فباحث في امره شيوخ البلاد وعقلاءها فتفتقت لهم فكرة الاستفادة منه بعدما رأوا فيه من خاصة الاحتراق والانارة فما كان من الخان الا ان انشأ له مصنعاً خصيصاً في قصره وراح يختلف اليه كل يوم ويشرف على الاعمال بنفسه والمهندسون يتخبطون في الاوحال والاوساخ وهم جادون في عملهم يستخدمون ادوات اولية حتى اهتدوا الى طريقة بسيطة لتقطيره . فاستبشر الخان خيراً وما زال حتى وفق الى صنع مصابيح له وحينئذ نظر الى المستقبل نظرة الظافر الواثق المطمئن ، لان تجارة واسعة قد انفتحت له ابوابها تلك التجارة التي يمكن القول انه كان فيها الاب الروحي لمن جاء بعده من تجار النفط وملوكه امثال نوبل ودريك وروكفلر .

ويقص الرواة انه ارسل واحداً من هذه المصابيح الى شاه العجم فاعجب به كل الاعجاب واذن لمخترعه بان يبيع البترول في انحاء المملكة الفارسية على شرط ان يكون للشاه وحده الحق في صنع المصابيح والمتاجرة بها فلبى الخان طلب مليكه وارسل له بياناً اطلعه فيه على سر صناعة المصابيح قانعاً بما ترك له من امتياز المبيع ، وكانت الصفقة رابحة فاستطاع ان ينفق على بلاطه بلا حساب وان يبني له قصراً فخماً ويشتري خولا وعبيداً . واتسعت تجارة البترول فكان يرسل الى فارس على ظهور الجمال في زقاق من الجلد فيتهافت الكبراء والاغنياء على ابتياعه لينيروا به قصورهم بعد ان يدفعوا ثمن المصابيح الى الخزينة .

ولم يعدم الخان وسيلة لتصريف بضاعته بين الفقراء الذين لا يستطيعون استعماله لغلاء اسعاره فكان يبيعه لهم خاماً بغير تقطير فيستضيئون به على نحو ما كان يستضيء الصينيون قديماً . وعلى هذا الوجه اصبح الخان غنياً في ذلك البلد الصغير وانقاض قصره الباقية الى اليوم تدل على فداحة الارباح التي كانت تدرها عليه تجارة النفط في ذلك العهد .

ولكن لكل شيء نهاية على هذه الارض وصفاء الحال لا يدوم لمخلوق ، فاقبل ذات يوم جنرال روسي يطلب من الخان باسم القيصر ضم باخو الى الممتلكات الروسية فتظاهر بالطاعة ودعاه الى زيارة القصر وهناك اغتاله بضربة سيف وحز عنقه وارسل رأسه هدية الى الشاه فلم يمر العام الا والجيوش الروسية على ابواب المدينة فاضطر حسن خولي خان الى الفرار على مركب شراعي حاملاً معه سر صناعة البترول .

واستولى الروس على باخو دون ان يهتموا بالهارب وما حمل . غير ان دولاب الاعمال وقفت حركته وبارت صناعة البترول وتجارته

وعادت الناس الى الاستضاءة بالشموع ، والروس لا يأبهون بما يرون لانهم كانوا يجهلون قيمة النفط وما كان الخان يستفيد منه .

وبعد ثلاث سنوات على الحادث جاء المدينة رجل عينه القيصر والياً عليها وكان هذا التعيين بمثابة نفي لا ترقية لان باخو كانت بين الممتلكات الروسية من ابعدها شقة واكثرها مشقة واقلها جمالا ومالا ولكن الوالي كان ذكياً فعمد الى استمالة مولاه باخلاص الخدمة وحسن التدبير وارسل الى بطرسبرج بياناً ضافياً عن حالة البلاد الاقتصادية والسياسية ذكر فيه الى جانب اخلاق الاهالين وما يمكن لري الاراضي واصلاحها وجود زيت معدني غريب الصفات يستحق اهتمام المجمع العلمي الامبراطوري .

فاطلع الوزير سيده على هذا البيان فامر بارسال بعثة علمية لدرس هذه الاعجوبة . وجاءت البعثة وقضت اسابيع في الدرس والتنقيب واصدرت حكمها المبرم على اغنى منطقة بترولية في العالم واعلى جوهرة في تاج القياصرة كما يلي : « البترول سائل معدني لزج خبيث الرائحة لا يرجى منه نفع ولا يصلح لعمل ما خلا تزييت دواليب المركبات للتخفيف من صريرها . »

وما كان هذا الحكم ليفت في ساعد الوالي او يثبط من عزيمته فسعى الى ايجاز المنطقة الزيتية لرجل ارمني ببضعة الاف روبل وانبأ الوزير بذلك فاثنى على مهارته الفائقة لانه استطاع الحصول على هذا القدر من المال من ارض حكم اشهر العلماء بخلوها من الفائدة ورقاه الى منصب ارفع .

وبقي البترول يتدفق كالعادة ويضيع سدى في السهول الواسعة حول باخو ، كما كان ضائعاً في سهول اميركا الوسطى وبراري بنسلفانيا وصحاري بغداد وجبال القوقاز حتى منتصف القرن التاسع عشر حيث انتشر استعماله انتشار البرق وسطع نوره في كل مكان فالتقت الحلقة الاخيرة من سلسلة حوادثه بالحلقة الاولى وعاد الهاً يعبد وكما حج اليه الناس في عهد زارازوسترا يحجون اليه اليوم ويكبرون فيه عصا السحر التي تفجر الغنى وتبعث القوة .

مرحلتان من تاريخ البترول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في ذلك الزمان كانت امواج البحار الفتية تتدفق هادرة على اراض في بدء تكونها . وكانت شواطىء اليابسة تمتد في الافاق البعيدة والجبال تتعالى نحو السماء والبراكين تقذف نيرانها والرياح تعصف بالامواج وترفعها والبروق تختلج في جو مدلهم والعصور تتساقط حباتها على مهل في لجة الكون الازلي .

وكانت الارض خاوية خالية والكائنات لم تستقر بعد على حال من اشكالها ولا حياة الا في اعماق الاوقيانوس . هناك في ظلمة القدم كانت الخليقة الاولى تلوي تحت الم المخاض وكان البحر مملوءاً بحويوينات صغيرة من الحازون واشباه الحلزون تولد وتموت في اصدافها وكان الماء يقذفها في سرعة جريئة الى بعد الاف الاميال نحو خلجان جديدة فتنتهي سفرتها وتنام في تلك الاعماق الهادئة نومة الابد وتظل الامواج تقذف بالمليارات من هذه الكائنات الحقيرة فتتجمع طبقات بعضها فوق بعض حتى تصير لقاع البحر غطاء كثيفاً من الطين اللزج .

وتمر ملايين من السنين تشهد فيها اعماق البحر حوادث غريبة كان الماء يضغط على طبقات الحلزون المتجمع بثقل الاف الامتار فيتحول الحلزون تحت هذا الضغط الشديد شيئاً فشيئاً الى ان يصير كتلة سوداء سائلة دهنية .

ثم تأخذ المياه بالانسحاب فتتسع اليابسة وتنمو فيها الحياة وتغطي رواسب الاملاح والكلس طبقات الحلزون . وكانت الهزات الارضية تتعاقب والمياه تحسر عن اراض جديدة فترتفع الجبال وتمتد السهول وتنبسط المروج لكن في احشاء الارض غليانا مستديماً تجيش به بحيرات الحلزون الدهنية السوداء .

ومن حين الى حين يجد السائل منفذاً الى سطح الارض فاذا ينابيع تتفجر وتشتعل فتنير ظلمة الاجواء .

قد عرفتم ولا ريب ان هذه الينابيع هي النفط بعينه فرأيتم الى اي اصل حقير ينتمي اليه هذا المعدن الكلي القدرة الذي يسيطر

اليوم على العالم وكيف انبثقت من مليارات الحازون ملايين الاطنان من البترول .

وقد مر بنا في مطلع هذا المقال ان الصينيين وكهان باخو تعرفوا الى هذه القوة المخزونة في اعماق الارض وحاولوا استخدامها لكن المؤرخين القدماء يذكرون لنا ايضاً ناساً غيرهم فهيرودوتوس ابو التاريخ يشير الى اعمال الفرس في ابارسوزا « وبلين » يقص حكاية مدينة ساموزانا في سوريا وكيف ان الجيش الروماني هاجمها باسطوله لستين سنة قبل المسيح بقيادة لوكوليس . ولم يكن لهذه المدينة من العدة والعدد ما ترد به جنود القيصر ولكن كان لها النفط فسكبه الاهلون على سطح الماء واشعلوه .

فاستولى الذعر على الرومان لانهم لم يشهدوا عمرهم البحر يحترق . وذهبت سفنهم طعم النار وكل من حاول التقدم منهم نحو الشاطىء كان النفط يسكب عليه من الدلاء فيحترق الدروع وزرد الحديد فاضطر لوكوليس الى الانسحاب ونجت المدينة من الغزاة بفضل البترول ويذكر هذا المؤرخ كذلك ان اهل بابل كانوا يستعملونه في تزفيت الطرق وان بلداناً مختلفة في ازمنة مختلفة ادركت ايضاً وجود هذا السائل المعدني وعرفت شيئاً من مزاياه .

وصلت هنا الى المرحلة الثانية من تاريخ البترول . ماذا اكتب عن هذه المرحلة ، ملحمة كبرى تتضاءل امامها ملحمة اوميروس وتقصر عنها معارك ابطاله وجبابرته . منذ اليوم الذي اظهر فيه النابغة الفرنسي سليغ في منتصف القرن الفائت منافع البترول وما يستطاع استخراجه منه من غاز وزيوت ومواد ملونة وبرافين وعقاقير طبية الى تهافت الافاقين والمخاطرين وطلاب الكنوز وتزاحمهم بالمناكب للتنقيب عنه الى تأسيس شركات استثماره ، روكفلر في اميركا ودتردينك في الجزر النرلاندية ونوبل في القوقاز، نوبل مخترع افظع آلة جهنمية للحرب هي الديناميت وواضع اكبر جائزة عالمية من اجل السلم ، الى هذه الايام التي تحصد الحرب فيها الملايين من البشر ولاجله .

لا اذكر المتاعب والاخطار التي يعانيها من يسعى وراء هذا الكنز الوسخ الخبيث الرائحة وكيف يقضي عمره بين اليأس والرجاء ، والشك والحذر ضارباً في مضارب الارض ، تائياً عن الاهل منفياً يذيبه حر الهجير وتضنيه حمى الجهاد وحمى الدفاع ضد اللصوص والعصابات المسلحة ، وعراك مستديم بين المرأة والحفرة . ولا ما تثير مطامع الافراد والحكومات من دسائس السياسة والجاسوسية وما يرافقها من تقتيل ويعقبها من تخريب . ذلك شرح يطول ، تاريخ الصخر المكتوب بالبترول والمكتوب بالدم . حسبكم ان تعرفوا ان النفط محور السياسة العالمية ، يدير المعاهدات والمؤتمرات ويصرف كيف شاء احوال السلم والحرب والغنى والفقر والحرية والاستعباد . في الهند وروسيا واميركا والعجم ورومانيا وما بين النهرين وسائر البلدان التي اصبحت بنعمة البترول مطمعاً للغزاة او ميداناً للحروب، الكلمة الاخيرة هي لهذه القبور التي ترقد فيها حويوينات صغيرة ، طال عليها القدم في ظلمات الدهور .

هنا يحق لنا ان نتساءل ما يكون مصير الحضارة والعالم اذا نضبت منابع البترول يوماً ؟ ان كثيراً من العلماء يعتقدون امكان ذلك ويقدرون الموجود منه بثمانين مليار برميل اي ما تكفي ستون سنة لانفاقه . فما يحل بالابراج والاحواض التي شيدت له والمصانع التي يدور فيها العمل بواسطته ، وهل تقف حركة النقل السريع فلا سيارات تنهب الارض ولا سفن تجوب البحار ولا طيارات تطوي الاجواء وتعود الحياة الى ما كانت عليه في العصور الماضية . وتصبح مباني النفط كآثار الاقدمين يحج اليها المسافر كما يحج الى الاهرام وحرائق تدمر او بومباي فيسمع من الترجمان حكاية هذه الانقاض الناطقة بما كانت عليه شركات البترول من العظمة، وتتمثل له ستاندرد اويل والشل كما تتمثل بابل واشور ؟ ان هذه الفكرة تشغل رجال السياسة والعلم والاقتصاد ولعلهم يهتدون الى معالجتها باختراع النفط الصناعي او التحليلي فتقوم بدلا مما كان معامل نظيفة صامتة يحضر فيها اكثير آخر للحياة العالمية لا ترافقه اخطار ولا تهرق في سبيله الدماء . على كل حال فموعد هذا اليوم بعيد وغير اكيد والى ان تدق ساعته فالحرب على الارض لا تزال حامية الوطيس من اجل دمها الاسود وفي شتى الانحاء لا تزال الانابيب تغرز في قشرة الارض وصراخ المجازفين والطامعين والمجاهدين تدوي اصداؤه في ارجاء العالم مرددة في كل زمان ومكان : البترول .. البترول .. البترول ..

نقولا فياض

حركة الاستشراق في فرنسا

◆

بحثنا هذا في حركة الاستشراق التي ارتسمت في اوربا يصح ان يكون مقدمة لابحاث اخرى في هذا الصدد . اما هذه الحركة فيرجع عهدها على ما هو معروف لاتساع الفتوحات الاسلامية العربية التي جعلت الشرق والغرب وجهاً لوجه ودفعت الغربيين الى استطلاع عادات اهل الشرق ولغاتهم واساليب حياتهم ثم امتدت واسعة النطاق مستحكمة الحلقات من القرن الثاني عشر – على الغالب – الى القرن العشرين فكان لهذه الحركة اعلامها وامجادها ممن تركوا في اللغة العربية خاصة وفي اللغات الشرقية عامة آثاراً تذكر فتشكر .

لا اتحدث اليكم الان بمسألة درس اللغات الشرقية التي اسميها مسألة الاستشراق من وجهتها الاوربية العامة بل من الوجهة الفرنسية لان هذه المسألة قد اتخذت في فرنسا شكلاً جدياً خاصاً واستقرت هناك على اسس العلم والبحث والتنقيب ولا ذلك لا مبالغة في القول ان فرنسا حمات مشعل الاستشراق في الغرب بفضل ما اسست لدرس اللغات الشرقية من معاهد وما اخرجت لها من علماء وبحاثين مهدوا لمستشرقي اوربا سبل التعرف الى لغات الشرق .

لقد ادركت فرنسا انها بحاجة الى علماء يعرفون اللغات الشرقية وبخاصة منها العربية ولذلك تأسست في باريس في ٢٩ نيسان من سنة ١٧٩٥ مدرسة اطلقوا عليها بمدرسة اللغات الشرقية وهدفها تعليم لغات الشرق الحية كالعربية والفارسية والتركية فأخرجت طائفة كبيرة من المستشرقين الفرنسيين بل الاوربيين من المان وطليان وسويسرانيين وغيرهم . وجدير بالذكر ان هذه المدرسة نفسها اصبحت فيما بعد مثالاً انشئت على هيئته المدارس الشرقية في مختلف عواصم اوربا . كان من نتيجة ذلك النجاح الذي صادفته مدرسة باريس هذه ان اتسع نطاق برنامجها حتى شمل بالاضافة الى اللغات المتقدم ذكرها ، اهم لغات الشرق الاقصى كالصينية واليابانية والانامية ثم الارمنية والهندستانية . ولم تكن مرجعاً لطلاب اللغات الشرقية فحسب بل انها كانت في الوقت نفسه مرجع الذين يتهيأون للمناصب القنصلية في الشرق . ولا بد من ان نذكر هنا ما كان لسلفستر ده ساسي المستشرق الفرنسي العظيم من يد بيضاء في تأسيسها بل في توجيه حركة الاستشراق في اوربا عامة . وقد تخرج عليه طائفة من علماء اللغات الشرقية نختص منهم بالذكر فلجانس فرنسل الفرنسي الذي عينته حكومة بلاده قنصلاً لها في جده حوالي سنة ١٨٣٧ حيث كان يتصرف كقنصل ويدرس كمستشرق حتى عرض له ان التحق ببعثة علمية للبحث بخرائب بابل وشاء القدر ان يموت في العراق تاركاً رسائل واسعة في تاريخ العرب وآدابهم وآراء قيمة في المتابات الحميرية .

ولم تنقض فترة قصيرة حتى اخذت دول اوربا تهتم اهتماماً متزايداً بمسألة اللغات الشرقية الحية وظلت فرنسا في اثناء القرن الثامن عشر مطمح انظار المستشرقين بفضل مدرستها اولاً ثم بفضل او لئك الذين تخرجوا على العلامة سلفستر ده ساسي وظلوا سائرين على اثره في طليعة مستشرقي اوربا . ومن تلامذته الذين يستحقون الذكر اتيان كاترمير الاشهر الذي ألف ما يزيد عن مائة كتاب في جميع اللغات السامية وترجم تاريخ الممالك في مصر للمقريزي مع تعاليق حواشيه وعني بنشر مقدمة ابن خلدون في ثلاثة اقسام وترك مؤلفات عديدة في آثار القبط والبابليين والسامريين والافريقيين والعبرانيين وغيرهم .

ولم تنحصر مجهودات المستشرقين الفرنسيين بهذه النواحي من حياة الشرق العربي بل تخطتها الى شؤون الزراعة عند العرب فترجم المستشرق الفرنسي كليمان موله للفرنسية كتاب الفلاحة من وضع الشيخ زكريا الاشبيلي المعروف بابن العوام واستوعب نقله مجلدين مع التعليق عليه . وقد توفي موله في سنة ١٨٧٠ حيث اعترض حركة الاستشراق في فرنسا فترة جمود يرجع سببها للحرب السبعينية الشهيرة وما جرته عليه من صعوبات وخسائر . وفي اثناء هذه الفترة ذاتها توفي المستشرق الفرنسي كوسان ده برسفال الذي خدم كترجمان في الاستانة ثم جال بعدذلك ثلاث سنوات في بلاد الشام وتوغل في باديتها وخالط سكانها من البدو وقيل انه اشترى جياداً اصيلة نقلها معه الى فرنسا ومن الثابت انه اتقن اللهجات العربية على اختلاف ألواانها وقضى حياته في درس اثار العرب وتاريخهم وله في هذا الصدد كتاب يقع في ثلاثة مجلدات وتراجم قيمة للموسيقيين العرب وتآليف ومقالات في آداب الشرق . وهناك مستشرق فرنسي يستوقف ذكره انتباه ادباء العربية اليوم كما استوقف انتباههم من قبل وهولويس سيديلو الذي وضع تاريخاً للرياضيات عند اليونان وعند العرب . ووصف مجهودات العرب في العلوم الفلكية وصفاً مستفيضاً لم يتردد معه في تعظيم اكتشافاتهم حتى بخس اليونان حقهم . ومن اجل ذلك قام بينه وبين علماء عصره جدال عنيف حول عبقرية العرب وعبقرية اليونان في الاكتشافات الفلكية وسواها . وكذلك في كتابه تاريخ العرب قد خصهم بايات الشكر والتعظيم وقد نقل هذا الكتاب الى العربية احد ادباء مصر . واذا ألقينا نظرة على المغرب نجد ان لهجات البرابرة هناك كانت موضع عناية بعض كبار المستشرقين الذين صرفوا لدرس هذه اللهجات وتمحيصها وألفوا فيها كتباً قيمة كما انهم ألفوا في تاريخ البرابرة وعاداتهم واخلاقهم كتباً ألقت كثيراً من النور على عصور المغرب المظلمة . وقد تقصى المستشرق الفرنسي كيسان ده سلان اخبار البربر ودرس عن قرب اشكال حياتهم فوضع في هذا الصدد تاريخاً جزيل النفع والقيمة يقع في ست مجلدات ثم انعكف على درس مقدمة ابن خلدون فأنجز مهمة بدأ بها المستشرق الاشهر كترمير وهي ترجمة هذه المقدمة وكان له الفضل في طبعها في ست مجلدات ثلاثة منها عربية وثلاثة فرنسية . هذه نظرة عامة في موضوعنا تمتد على التقريب من سنة ١٧٩٥ السنة التي تأسست فيها مدرسة اللغات الشرقية في باريس حتى مطلع القرن التاسع عشر حيث اخذت حركة الاستشراق تنتظم وتنتشر في اوربا بوسائل البحث والتنقيب الحديثة . ولا بد من القول في النهاية ان هذه الحركة كان لها تأثيرات بالغة في تحول اللغة العربية والمعارف العربية الى النهضة والاصلاح والتجديد . فالجانب الاوفر من ابحاث المستشرقين اصبح مراجع اهل الفكر والقلم عندنا في غير ناحية من نواحي العلم لان هذه الابحاث هي نتيجة الاختصاص المتقن والاستكشاف العلمي المتواصل . فبالاختصاص والاستكشاف العلمي توطدت حركة الاستشراق وكانت عاملاً من عوامل توثيق الصلات بين الشرق والغرب وكان لمدرسة اللغات الشرقية في باريس ولاولئك الذين تخرجوا منها يد بيضاء في التقريب بين البلاد العربية واوربا في هذا المنحى .

نسيم يزبك

عودة ..

على مفرق الطريق بين النور والظلمة

هو — نحن الساعة في ضباب .. ليته يمطر .. فينجلي الجو ..

هي — وماذا علينا ، لن يطول الهزيع ، ضع يدك على الحجر ، فتغرق في بحر الندى ..

هو — اتحمل النسائم اعراف الغد ؟ . ان طيباً يوشوش في اذني .

هي — يهمهم بمثل البوح ؟ .

هو — اكثر وضوحاً .

هي — لنصمت اذن ، هات يدك ، ودعني احسّ خفق العرق قبل انهيار الدجى ، واستمع للطيب غب ذلك .

هو — اتسمعين رجع نغم موجع ، يقبل من بعيد .. من اغوار ليل لم يولد بعد ؟ .

هي — مخاض فجر جديد ..

هو — تطفئه شمس الفضول ،

هي — ويظل النغم حيّاً ، يعلو آناً ، ويخفت آناً . ويهزأ بالشمس .

هو — ليسترح لسانك الان .. هوذا النغم يحمل الى الاغوار دفء النعيم . انه يغرق في الضلوع . اني احسه بي على ضفة النفس .

هي — ليت لي منه ،

هو — الاجيال ودّت .. وتسمعين ! .

هي — نسائم مقبلة تحمل اليّ طيباً ..

هو — يوم ارتواء .

هي — عجباً ، ايتكلم الطيب ؟ .

هو — ينهل الطيب الذات . ينهل ما لا يحدّه زمان ومكان .

هي — عراني النغم .. ليت الهزيع لا ينقضي ..

هو — تلاقينا في الرجع ، في الصدى ،

هي — في النجوى .

◆

ضباب في طريق الشروق — الشمس في الكوة

هي — من لآذار ، للربيع ، لليل ؟ .

هو — عفو الجراح في اوراق الورد .

هي — اشلاء الماضي ..

هو — حدقي الان .. في مدى الزرقة ، في دروب الرواء ، طيفان .

هي — لم ار شيئاً ..

هو — عند شطّ الضياء .

هي — صغار في خيلائي .. لم ار شيئاً .. واراه الصباح يعتم في عيني ..

هو — والفراشات على كل اقحوانة تصلي للعبير .

هي — انت من انت ؟

هو — حفنة من تراب ، واحلم ابداً بجمال وخير وخيال ، بجمال ..

هي — بجمال معطاء ، بلحم يتضوّع رغبة ، بالهوى ، باللذة .. انت وحش واشتهيك ..

هو — جدّفت على النغم ..

هي — ربيعك ذيل ردائي هذا .. انظر .. وما دون الرداء ..

هو — انا في ذهول ..

هي — ملتهب الطرف طبعاً .

هو — ان دمعة حمراء ارجو ان تدركها الشمس .. اخشى سقوطها اذا اسرفت ..

هي — وطيوف ترف في الافق .. حدق ..

هو — عند شط الضياء ،

هي — عبر الضياء .

هو — لم ار شيئاً ! ..

هي — حدق الان .. في مدى الزرقة ، في دروب الرواء ، طيفان .

هو — النغم .. طيفان .. قالها الطيب لنا .

هي — طيفان حدّق .

هو — في حلل الضباب ،

هي — خضيبان بالرؤى العذراء ..

هو — من هما ؟ .

هي — نحن ..

هو — ليت لي منك ،

هي — والاجيال ودّت .

هو — يوم ارتواء ..

هي — نحن غريقا نغم ،

هو — نغم فرد ،

هي — لن تطفئه الشمس ،

هو — ليكن رجعه افتراء الضباب عن اسنان الضياء ! .

صلاح الاسير

الحكيم شهاب الدين السهروردي

سامي الكيالي
صاحب مجلة الحديث

◆

بلصق دار البريد بحلب ، حجرة صغيرة تضم رفات مفكر اسلامي حر ، اشتغل بالفقه وراض نفسه على التصوف ، نظم الشعر ، وحاول السحر ، امعن في الفلسفة ودون في العلم ، طوف في البلدان وهو شاب في ريعان العمر ، وما زال حتى قذفت به الاقدار الى حلب فاندمج بالبيئات العلمية ، يناظر فقهاءها ويجادل علماءها فيبزهم ويتفوق عليهم تفوقاً اثار حفيظتهم فكادوا له ودسوا عليه ، وما زالوا يكيدون ويدسون حتى امر السلطان بهدر دمه فذهب ضحية الوشاية والحسد وسوء الخلق — هذا المفكر الاسلامي الحر الذي يثوي في غرفة باردة لا ترى النور هو يحي بن حبش السهروردي صاحب القصيدة المتداولة في اروقة الصوفيين والتي مطلعها :

ابداً تحن اليكم الارواح ووصالكم ريحانها والراح

فما قصة هذا العالم الشهيد ؟ وفي عهد من من الملوك عاش ؟ وما هي الحياة السياسية في عهده ؟ وما لون الآراء والعقائد في زمنه ؟ هذا ما نريد ان نبحثه في مقالنا هذا :

*

الذين عرفوا ، في تاريخ العقلية الاسلامية ، بالسهروردي اكثر من مفكر واحد ، وجميعهم اشتهر بالفضل والعلم والادب ، ولكن الذي يعنينا من هذا البحث ، السهروردي الذي قتل في حلب لاتهامه بالتعطيل والزندقة بعد ان سجل الفقهاء وثيقة كفره .

ولا شك ان حياته تتميز بما تتميز به قصص شهداء الفكر ، فهو ذكي حاد الذكاء وهو عالم مفكر ، وهو حر النزعة كفيلسوف متصوف ، وهو شاعر دقيق الشاعرية ، ازدرى الناس وازدرى العلماء والامراء والملوك وقنع بكفاف العيش ، ازدرى نفسه كانسان ، فلم يهتم لما يهتم له الناس من مظاهر ، فكان زري الثياب ، زري الهيئة على قول من ارخوا له . نعم ، لم يكن يهتم الا بشؤون الفكر وقضايا النفس — وهذه سمة ظاهرة للمفكرين العلماء بل المتصوفين الذين يعروهم الذهول في كثير من الحالات فينسون انفسهم ولا يهتمون للمظاهر العرضية بقدر اهتمامهم بما هم مشغولون به من جواهر الامور وحقائقها العليا . وهكذا كان السهروردي ، فقد اتفق جميع من ارخ له الى وصفه بهذه الصفات البارزة .

ولن نسهب في هذه الاستطرادات التي ستأتي في صلب قصته ، فحسبنا هذه التوطئة لندخل صميم الموضوع ، مؤرخين حياته كما اوردها ابن خلكان ، وابن شداد ، والذهبي ، والآمدي ، والحنبلي وغيرهم ممن كتبوا عنه كياقوت الرومي الذي يترجمه بالفقرات الآتية :

« شهاب الدين ابو الفتوح السهروردي ، كان فقيهاً ، شافعي المذهب ، اصولياً ، اديباً ، شاعراً ، حكيماً ، متفنناً ، نظاراً لم يناظره مناظر الا خصمه وافحمه ، قرأ بالمراغة على الشيخ الامام مجد الدين الجيلي ، الفقيه الاصولي المتكلم ، ولازمه مدة ، ثم تنقل في البلاد على قدم التجرد ، ولقي بماردين الشيخ فخر الدين الماردیني وصحبه ، وكان يثني عليه كثيراً ، ويقول لم ار في زماني احداً مثله ، ولكني اخشى عليه من شدة حدته وقلة تحفظه ، ثم رحل ابو الفتوح الى حلب فدخلها في زمن الظاهر غازي بن ايوب سنة ٥٧٩ هـ ونزل في المدرسة الحلاوية وحضر درس شيخها الشريف افتخار الدين ، وبحث مع الفقهاء من تلاميذه وغيرهم ، وناظرهم في عدة مسائل فلم يجاره احد منهم وظهر عليهم ، وظهر فضله للشيخ افتخار الدين فقرب مجلسه وادناه ، وعرف مكانه في الناس ، ومن ذلك الحين تألب عليه الفقهاء وكثر تشنيعهم عليه .

وفي النجوم الزاهرة « ان السهروردي كان يعاني علوم الاوائل والمنطق ، والسيمياء ، وابواب النيرنجيات ، فاستمال بذلك خلقاً كثيراً ، وتبعوه ، وله تصانيف في هذه العلوم . »

وقال ابو العباس احمد ابن ابي اصيبعة الخزرجي الحكيم في كتابه « طبقات الاطباء » : كان السهروردي اوحد اهل زمانه في العلوم الحكمية ، جامعاً للعلوم الفلسفية ، بارعاً في الاصول الفقهية ، مفرط الذكاء ، فصيح العبارة ، وكان علمه اكثر من عقله .

وقال ابن خلكان : « كان السهروردي من علماء عصره ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قرأ الحكمة واصول الفقه على الشيخ مجد الدين الجيلي بمدينة المراغة من اعمال اذربيجان الى ان برع فيهما ، وهذا مجدالدين الجيلي هو شيخ فخر الدين الرازي وعليه تخرج وبصحبته انتفع ، وكان اماماً في فنونه » .

وفي العبر : « السهروردي احد اذكياء بني آدم ، كان رأساً في معرفة علوم الاوائل ، بارعاً في علوم الكلام ، مناظراً محجاجاً ، متزهداً مزدرياً للعلماء ، مستهزئاً ، رقيق الدين » .

هذه هي آراء معاصريه ومن اليهم من المؤرخين . فماذا نخرج من هذه النصوص ؟ نخرج منها بنتيجة واضحة ، وهي ان جل العلماء قد اتفقوا على الاطراء الى فرط ذكائه ، وقوة علمه ، وعلى انه قوي الحجة ، ذرب اللسان في مناظرته ، وانه من افذاذ عصره الموهوبين في العلم والفقه والحكمة والفلسفة .

قدم حلب ، في عهد الملك الظاهر ابي منصور غازي ابن السلطان صلاح الدين الايوبي . وحلب اذ ذاك ، تغص بالعلماء والفقهاء ، وبافاضل الرجال من مختلف الطبقات ، وكانت الى هذا في مصطرع من المذاهب والتيارات الدينية والسياسية . كانت تعيش في حياة قلقة مضطربة ، فقد اشتبك الغرب مع الشرق في حروب دينية دامية في هذه الاصقاع التي تمتد من مصر الى بيت المقدس ، الى اقصى حدود سوريا الشمالية .. واية حروب ؟ حروب كر وافناء .. فحروب العقائد لا تقل في عنفها ، رغم اختلاف وسائل

مشهد البرج الشرقي لقلعة حلب


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القتال ، عن بقية الحروب . انها تستهدف الدفاع عن الدين والدفاع عن ارض الوطن معاً . وكلاهما حافز قويّ لان يثير نيران القتال بشدة ويدفع المحاربين للقتال بعنف وهوس وجنون . وبديهي في هذه الحالة ان تكون الفكرة الدينية هي التي تطبع ذلك العصر بطابعها .

لست هنا في معرض وصف الحروب الصليبية وقد كتب حولها عشرات المجلدات ومئاتها في مختلف اللغات ولكني اردت وانا اتكلم عن السهروردي الفيلسوف الحكيم الذي ذهب ضحية معتقده وتفكيره الحر — ان ألمع الى طابع العصر حيث له اثره القوي في توجيه النفوس نحو الفكرة التي يعيش في صميمها الكاتب الاديب او العالم الفيلسوف . فأنت لا تستطيع ان تتكلم عن الحرية في عصور الاستبداد ، ولا عن الديموقراطية في عهود الديكتاتوريات ، وهذا الذي يعرّض الفكر والحرية ويعرّض المفكرين الاحرار الى العنت والظلم والاسى والاضطهاد . وهذا الذي حفز الفقهاء — وطابع العصر على ما هو عليه من اللون الديني القاتم — ان يستغلوا هذا الشعور الهائج فيصوّروا السهروردي المفكر بانه من الملحدين على الله ، المنكرين لنبوة رسوله انتقاماً لشهوات انفسهم بعد ان افحمهم بردوده وجعلهم انصاف علماء او في حكم الجهلاء .

كانت حلب كأكثر المدن الاسلامية ، تجتاز هذه الفترة من الحياة العقلية والسياسية في عهد الايوبيين ، وكان صلاح الدين هو سيد هذه المناطق التي تمتد من اقصى مصر الى اقصى حلب ، وكان لا بد له وقد انتهى من حروبه او كاد ، من ان يوطد ملكه في الاطراف ، فما دخلت سنة ٥٨٢ هـ حتى كانت فكرة تقسيم البلاد بين آله وابنائه قد اختمرت في ذهنه فأعطى مصر لولده العزيز عثمان ، والشام لولده الافضل وحلب لولده الظاهر ، وأعطى اخاه العادل ابا بكر اقطاعات كثيرة بمصر . فلماذا خص ولده الظاهر بحلب ؟

يذكر المؤرخون ان صلاح الدين كان يحب ابنه الظاهر حباً جماً ، ومع ان عدد ابنائه سبعة عشر بينهم ابنة واحدة فقد كان الظاهر احبهم اليه لما فيه من الخلال الحسنة .. فهل كانت حلب اثمن مدينة في الرقعة الاسلامية حتى اهداها الى احب اولاده اليه؟

لذلك قصة طويلة لا بأس من الالماع اليها طالما انتقلنا من الحديث عن السهروردي الى الملك الظاهر .

في النجوم الزاهرة : ان علم الدين سليمان بن جندر احد امراء حلب قال لصلاح الدين — وكانت بينهما مؤانسة — : بأي رأي كنت تظن ان وصيتك تنفذ ! — يشير بهذا الى وصيته بتقسيم البلاد بين آله وابنائه — كأنك كنت خارجاً الى الصيد ثم تعود فلا يخالفونك ! اما تستحي ان يكون الطائر اهدى منك الى المصلحة ؟

قال صلاح الدين : وكيف ذلك ؟ وهو يضحك . قال : اذا اراد الطائر ان يعمل عشاً لفراخه قصد الى اعالي الشجر ليحمي فراخه ، وانت سلمت الحصون الى اهلك وجعلت اولادك على الارض . هذه حلب — وهي ام البلاد — بيد اخيك — وكانت بيد الملك العادل — وحماة بيد ابن اخيك ، وحمص بيد ابن عمك اسد الدين وابنك الافضل مع تقي الدين يخرجه متى شاء ، وابنك الآخر مع اخيك في خيمة يفعل به ما اراد . فقال له صلاح الدين صدقت ، فاكتم هذا الامر . ثم اخذ حلب من اخيه العادل وأعادها الى ابنه الملك الظاهر ، وأعطى العادل بعد ذلك حرّان والرها وميافارقين ليخرجه من الشام ، وفرق الشام على اولاده ، فكان ما كان ، وزوّج صلاح الدين ولده الملك الظاهر بغازية خاتون ابنة اخيه الملك العادل المذكور .

وكان يرى صلاح الدين — كما يقول القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد : ان حلب هي اصل الملك وجرثومته وقاعدته وهذا الذي جعله يختار لها احب اولاده اليه .

اتراه اعتبر مدينة حلب ، الواقعة في منتهى التخوم الاسلامية ، تخوم مملكته — اصل الملك وجرثومته وقاعدته فاختار لها احب ابنائه اليه ؟

وقد نشأ الملك الظاهر الذي ولد بالقاهرة سنة ثمان وستين وخمسمائة نشأة ابيه ، فكان ملكاً مهيباً وله سياسة وفطنة ودولة معمورة بالعلماء والامراء والفضلاء ، وكان محسناً للرعية والوافدين عليه ، حضر معظم غزوات والده ، وكان في دولته من الامراء ميمون القصري ، والقارز بن يوسف ، وسنقر الحلبي وغيرهم من الصلاحية . ومن ارباب العمائم القاضي بهاء الدين بن شداد والشريف الافتخاري الهاشمي والشريف النسابة والقيسراني وبنو الخشاب وغيرهم . وكان ملجأ للغرباء وكهفاً للفقراء ، يزور الصالحين ويتفقدهم ، ودام على ذلك الى ان توفي ليلة الثلاثاء في العشرين من جمادي الآخرة بعلة الذرب ، ودفن بقلعة حلب ثم نقل بعد ذلك الى مدرسته التي انشأها .

تميزت حياة السلطان الظاهر بهذه الخصائص وبكثير غيرها ،

وكثيراً ما انجد صاحب حمص حين هوجم من الافرنج فأنقذه وطرد اعداءه حتى طرابلس ، كما قضى على اعمال النهب التي كان يقوم بها في اطراف حلب ابن لاون — او ليون الارمني — على رواية البعض .

وبينما كان اخوه الافضل صاحب دمشق منغمساً باللعب واللهو كان الظاهر مثال الرزانة والسداد والحزم ، مقتفياً اثر والده في الحدب على الرعية وصون مملكته سيما وقد كان يعلم ان اقل نكسة تكني لانهيار الملك وضياع التراث الضخم الذي اعاد بناءه صلاح الدين . فقد كان الاعداء على الابواب يتحفزون لأقل بادرة بل كانوا يرتقبون اقل فرصة للانقضاض واسترجاع هذه البلاد التي صبغت جوانبها بالنجيع الاحمر وذهبت في سبيلها مهج النفوس .

حياة الظاهر هذه التي تميزت بأنبل الخصائص ، وكانت دولته معمورة بالعلماء واولي الفضل قد شاءت الاقدار ان تلطخ بتلك الوصمة التي قضت بهدر نفس بريئة — نفس عالم شاب من اذكى العلماء وارفع الحكماء قدراً . ولا نسترسل بتاريخ حياة الظاهر اكثر من هذا ، فحسبنا منها هذه اللمحة السريعة لتنير جانباً من حياة السهروردي ، واظن ان في وسعنا بعد ان جلونا العصر الذي عاش فيه بعض الجلاء — ان نلم بسيرة السهروردي كمفكر ، واحب ان اعتقد ان القارىء الكريم في شوق الى قراءة قصته وسيرته اكثر من سيرة صاحب حلب ولكن ارتباط تاريخهما برباط وثيق من جهة وكون مأساة مصرعه قد مثلت في عهد السلطان الظاهر من جهة اخرى هو الذي جعلنا ان نلم بتاريخه هذه الالمامة السريعة .. ولنعد الان الى السهروردي المفكر ، والى مناظرته فقهاء حلب ، وكيف اهاجوا الخواطر عليه وألبوا الرأي العام ضده ، وكيف شكوا امره الى السلطان وأردفوا الشكوى بوثيقة كفره . وكيف امر السلطان صلاح الدين بهدر دمه ، ثم كيف نفذ الظاهر الحكم ؟ وكيف ندم بعد قتله على فعلته فأنزل بطشه بالمحرضين وانتقم منهم ابشع انتقام ؟

*

كان الامام شهاب الدين يعيش في بلده « سهرورد » لا يعنى الا بما يشغل المفكرين عادة من الغوص على المذاهب يناقشها مناقشة الباحث المفكر ، والعالم المجتهد . وكأني به قد ضاق ببلده فتزح الى اقرب المدن الاسلامية التي تخفق عليها رايات صلاح الدين . نعم ، جاء السهروردي الى حلب بعد ان استفاضت انباء ملكها الظاهر وطرقت انتصارات ابيه مسمعه وهو في بلده « سهرورد » وسهرورد بلدة في العراق العجمي ، قريبة من زنجان من اعمال ازربيجان ، واذا علمنا ان السلطان صلاح الدين من « دوين » وهي قرية من اعمال ازربيجان ادركنا الصلة التي تربطه بهذه الاسرة التي مثلت اكبر دور في تاريخ الاسلام السياسي في القرن السادس الهجري . فهما من منطقة واحدة ، وهو كعالم مفكر يفيض قلبه بالحكمة والايمان كان اكثر زهواً واشد سروراً من غيره لهذه الانباء . وقد اجتذبته هذه البقاع العربية التي كانت اوسع مسرح للحروب العنيفة التي اثارها الافرنج على صلاح الدين . نعم ، اجتذبته هذه البقاع بعد ان ضاقت به بيئته او ضاق بموطنه ، فشد الرحال الى سورية بعد ان اخذ بقسط وافر من العلوم الاسلامية والعلوم الفلسفية . انتقل من بلد الى بلد ومن منطقة الى اخرى يجتمع بعلمائها ويأخذ عن حكمائها وما زال حتى وصل حلب يحمل في وفاضه الحكمة والعلم والمعرفة ، وما ذاع نبأ وصوله حتى التف حوله العلماء يناقشونه في شتى فروع العلم ، وكأنما شهرته قد سبقته قبل ان تطأ قدماه ارض الشهباء .. وخيل اليه انه رحل الى بيئة تنعم بحرية اكثر مما تنعم بها بيئته — الى موطن الفكر ليبدع في التفكير الاسلامي اراء ومذاهب جديدة ، وليكتب ويؤلف اكثر مما كتبه والفه ، فقد بلغت مؤلفاته وهو شاب ، اكثر من ثمانية كتب ، وكأنه كان يشعر انه لم يكتب شيئاً ، وان حياته العقلية ستبدأ بعد هذه الفترة من سني الشباب ولكن امانيه يا للاسف ذهبت بدداً .

لقد دخل حلب في عام ٥٧٩ هـ ، واذا علمنا ان ولادته كانت سنة ٥٤٩ هـ ادركنا اي فذ هذا الشاب الذي بز العلماء وفاق عليهم وهو في الثلاثين من عمره — اي في هذه السن المبكرة من النبوغ — لقد كان فقيهاً وكان فيلسوفاً ، وكان زاهداً ، وكان اكثر من هذا .. فما هذا العبقري الموهوب الذي هابته ائمة العلماء حتى خافت على عقيدة الملك وعقائد الناس فطلبت الحكم عليه بالقتل ؟ لا شك انه ذو مواهب فذة وانه لم يكن معطلاً ولا ملحداً ولا زنديقاً بالحد الذي صوروه بل كان متصوفاً قد ازدرى البشر وجاهر بالحقائق العليا التي يدين بها كفيلسوف وكمفكر وكمتصوف معاً . وهذا الذي جعل انصاف العلماء ينسبون اليه الزندقة والتعطيل .

*

لقد ذكرنا فيما تقدم ان السهروردي نزل المدرسة الحلاوية وحضر درس شيخها الشريف افتخار الدين وبحث معه الفقهاء من

تلاميذه وغيرهم . وناظر جميعهم في عدة مسائل فلم يجاره احد منهم ، بل ظهر عليهم وظهر فضله للشيخ افتخار الدين فقرب مجلسه ، وادناه ، وعرف مكانه في الناس ، ومن ذلك الحين تألب عليه الفقهاء وكثر تشنيعهم عليه . فماذا نفهم من هذا النص ؟ نفهم ان شيخ المدرسة الحلاوية كان على جانب كبير من الدراية والعلم فقد عرف فضل هذا الشاب الغريب وما ينطوي عليه صدره من علم ، وما يتميز به من ادب وحكمة وفلسفة فادناه من مجلسه وسرعان ما نقل امره الى السلطان فاحب ان يعرفه ، ولكن السهروردي لم يكن في هذا المظهر الذي يليق به ان يقابل به الملوك والوزراء . فقد وصفه المؤرخون وصفاً زرياً منكراً . كان على حد قولهم : زري الخلقة ، دنس الثياب ، وسخ البدن ، لايغسل له ثوباً ولا جسماً ولا يداً ، ولا يقص ظفراً ولا شعراً ، ولم يكتفوا بان حملوه كل هذه الاقذار الدنيوية بل زادوا عليها بقولهم : وكان القمل يتناثر على وجهه ، ويسعى على ثيابه وكل من يراه يهرب منه . وما اظن انه كان في هذه الحالة الزرية وهو على ما هو عليه من سمو الحكمة وفرط الذكاء . نعم ، ربما تغلبت صوفيته على مظهره وهندامه ، ويبدو لي ان خصومه قد صوروه بهذه الصورة الكريهة البشعة ليحولوا بينه وبين السلطان . . ولكننا وقد عرفنا بعض الشيء عن خصائص الملك الظاهر وميله الى العلماء والحكماء مهما كان مظهرهم نستطيع ان نجزم بانه لم يلتفت الى اقوال بطانته وحاسديه بل اخذ برأي الشيخ افتخار الدين فاستقبله في قصره ورحب به اجمل ترحيب وما كاد يفيض السهروردي بالحديث حتى لمح فيه سمو الحكمة واشراق الذهن « فقربه واقبل عليه وتخصص به » كما يقول المؤرخون مما ادى الى ازدياد غيظ المناظرين عليه ورميه بالالحاد والزندقة ولكن صاحبه لم يلتفت الى دسائسهم ولا الى حيلهم ومؤامرتهم لانه تحدث اليه في ادق الشؤون العقلية والدينية فعرف صفاء عقيدته ونقاء طويته فازداد عطفه عليه واحسانه اليه مما جعل حاسديه يزدادون غيظاً وتثور ثائرتهم عليه وعلى الملك معاً .

كيف العمل وقد اصبح هذا الزنديق الدخيل ضني السلطان ؟ تساءل الفقهاء هذا السؤال فيما بينهم ؟ ثم قر رأيهم ان لا بد من مكيدة تودي بحياته ويا ويل العلم اذا تألبت عليه جموع الجهل .

ويالمصيبة الفكر اذا تآمر عليه الجامدون .

ويالمصرع الحرية اذا حوربت بجبروت الطغاة المستبدين .

وقد تنادى فقهاء حلب للقضاء على السهروردي العالم المفكر الحر .

ولا شك انهم خطبوا على المنابر ، واثاروا ثائرة الجمهور ، واستفزوا شعوره الديني ، اي استفزوا ادق ناحية حساسة عنده . . نعم تنادى فقهاء حلب لانقاذ الدين من زنديق متمرد على الدين — هكذا صوروه للناس — وبهذا الشعور العام راجعوا السلطان في امره . . ولكن الملك الظاهر بعد ان عرفه وعرف رأيه في الدين وفي الخالق لم يلتفت الى خزعبلاتهم ولا الى دسائسهم . . وكأني به قد اعتز ان يكون بين علماء مملكته امثال هذا الحكيم الفيلسوف الشاب . . فازداد عطفاً عليه وحباً له وآثره على الكثيرين من المقربين اليه ولما اعيت الفقهاء الحيلة وايقنوا ان صاحب حلب لم يصغ اليهم لجأوا الى ابيه يستفزون عاطفته الدينية . وسيرة صلاح الدين مشهورة بالورع والتقى وببغضه كتب الفلاسفة وارباب المنطق وكل من يعاند الشريعة ، وياويل من يجسر ان يعاند الشريعة . والسهروردي فيلسوف ، وحكيم ومن رجالات المنطق ، وقد صوروه من معاندي الشريعة ، ويا ويل من يعاند الشريعة اويثير نزعات الحادية في ذلك العصر الذي يتميز بالطابع الديني القاتم . . ان اقل جزاء له الاعدام . نعم ، لما باءت جهود الفقهاء عند صاحب حلب بالفشل كتبوا الى ابيه محذرين ابنه من فساد عقيدته . قالوا : ان صحبته — اي صحبة الملك الظاهر — للسهروردي لم تقتصر على فساد عقيدته بل ستفسد عقائد الناس . .

فما هذا البلاء الذي صبه الله على حلب بنزول هذا الزنديق المعطل ارضها ؟

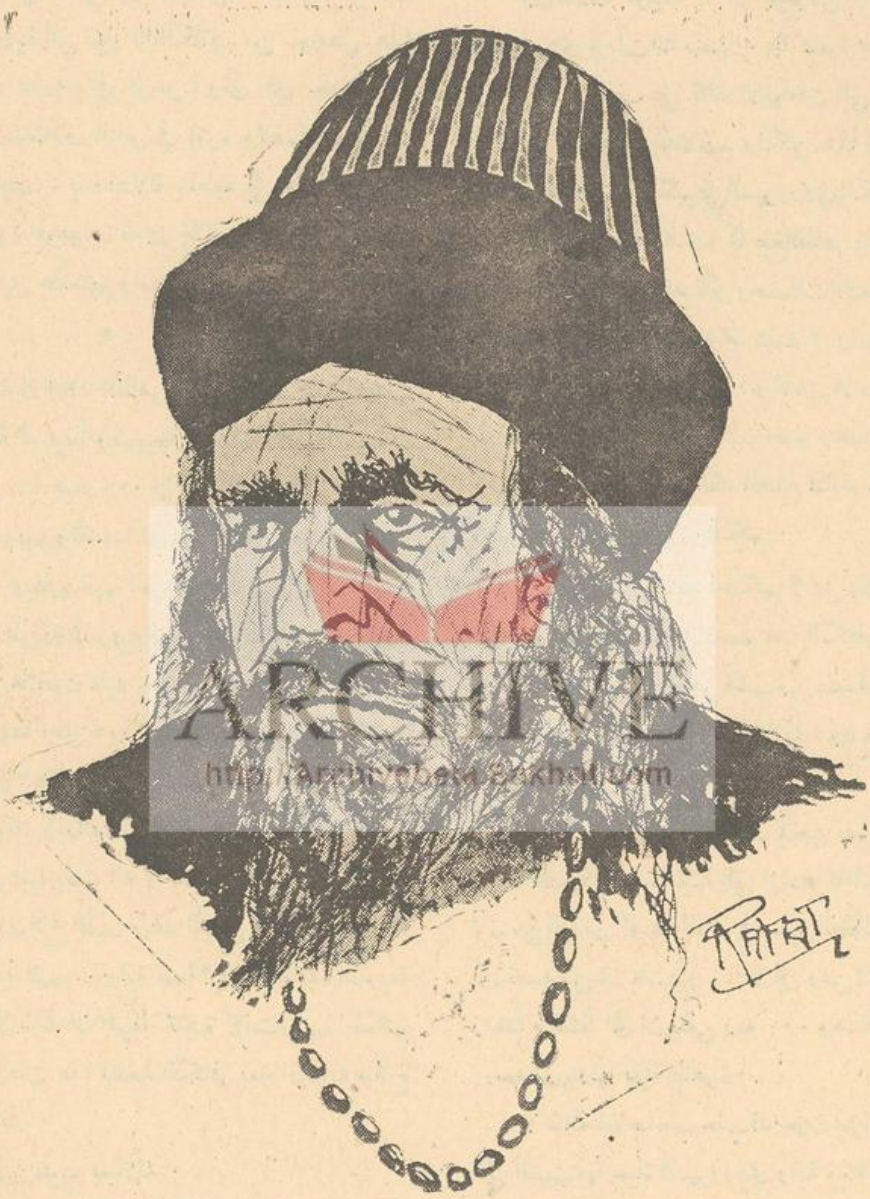
بذلك صرح الفقهاء . . ومما جاء في رسالتهم الى صلاح الدين هذه الجملة المثمرة :

« ادرك ولدك والا تتلف عقيدته » . . . فما كان من صلاح الدين الا ان كتب الى ابنه بابعاده عنه اي بنفيه ولكن الملك الظاهر ، وهو عليم باسرار هذه المأساة التي اجادوا تمثيلها ، لم ينفذ امر ابيه ، فلم يبعده ، وبقي في حلب ، يحيط به الشباب ويحنو عليه الملك ، وكأنه قد خلق في حلب حزبين : حزباً يؤيده وحزباً يناوئه .

كان الشباب وعلى رأسهم الملك الظاهر من انصاره وكان الشيوخ وعلى رأسهم السلطان صلاح الدين من خصومه فلمن كانت الغلبة ؟

انقسم الناس قسمين حول هذا الرجل ، قسم معه وقسم عليه وهذا ما رواه القاضي بن شداد ، وهو ثقة في هذا الموضوع لانه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الحكيم شهاب الدين السهروردي

عاصر الرجل وشهد مأساة هذا الصراع الفكري العنيف قال : اقمت بحلب فرأيت اهلها مختلفين فيه ، منهم من يصدقه ، ومنهم من يزندقه ، والله اعلم .

ومن المؤسف ان يمر القاضي ابن شداد بهذا الصراع ويدون مثل هذه الحقيقة التاريخية التي تنير لنا الكثير من غوامض هذا الصراع دون ان يقول لنا رأيه في الرجل ، والى اي جانب كان يميل .. وعلى كل فان اختلاف الناس في امره وانقسامهم فريقين ثم حمايته من صاحب حلب ، يدلنا دلالة ساطعة على ان السهروردي كالكثيرين من العباقرة الموهوبين الذين يختلف الناس في امرهم ، ويعتبر هذا الخلاف دليل عظمتهم ونبوغهم .

*

ضج العلماء من سلوك الملك الظاهر وتحيزه للرجل الذي كشف عن جهلهم ، وكان اكثرهم غيظاً وضجيجاً ، واشدهم نقمة الشيخان زين الدين ومجد الدين ابنا حميد ... فما كان منهما الا ان اثارا ثائرة العلماء فجمعوا جموعهم وتقدموا الى الظاهر يطلبون بالحاح انفاذ وصية ابيه ... ويظهر انهم احرجوه عند ابيه وعند العامة معاً .. ورأى ان خير طريقة للخروج من هذا الاحراج ان يعقد مجلساً للمناظرة فيما هم مختلفون عليه ، واستمهلهم ان يكتب الى ابيه بذلك ، فرضوا بهذا الحل ، وكتب الى ابيه ، ولا شك انهم كتبوا الى صلاح الدين ايضاً ، ومن المؤسف ان لا نحفظ لنا كتب التاريخ نص هذه الرسائل لانها وثائق ثمينة في حرية الفكر .

كتب الظاهر الى ابيه يقول انه لا بد من مجلس يعقد للمناظرة قبل ان ينفيه ، فوافق صلاح الدين وعقد المجلس واحتشد العلماء ، وكان السهروردي اشبه بمتهم .. واية تهمة ؟ تهمة معاندة الشريعة وافساد العقائد .. ولا شك ان جموعاً كثيرة كانت ترقب الحكم عليه لينقذ الدين من نزعات هذا الملحد الكافر بعد ان صانه صلاح الدين من نزعات الكفار .

وناظره العلماء فظهر عليهم بعبارته .

« قالوا : انك قلت في بعض تصانيفك : ان الله قادر على ان يخلق نبياً .. وهذا مستحيل .

قال : ما وجه استحالته ؟ فان الله القادر هو الذي لا يمتنع عليه شيء . .. »

وتقف كتب التاريخ عند هذا النص . وما نظن ان المناظرة دارت حول هذه الفقرة فقط . ولكن من ارخوا له اكتفوا بهذا ، وهي كافية لان يدينوه وهكذا ... فقد تداولوا فيما بينهم ، وبعد جدال غير طويل حكموا عليه بالكفر وجردوه من الايمان !

وكتبوا وثيقة كفره . وما هي لحظات حتى اذيعت على الناس وهي تفتي بقتله .

اين هذه الوثيقة ؟ ان جميع من ارخ للملك الظاهر او للسهروردي لم يأت لنا بنصها . واكتفوا جميعهم بالالماع اليها . وكنا نود ان نقف على تلك الاتهامات التي صاغها الفقهاء تطميناً لشهوات حسدهم وخذلانهم ولكن مالنا ولتلك الحيثيات . فقد نجحت المؤامرة وحكم على السهروردي بالكفر والتعطيل ، وحكم عليه بالموت ، وبلغه ذلك ، كما بلغ الظاهر نتيجة انتصار العلماء عليه ، ولا شك ان الظاهر قد تأثر وجالت الدموع في عيونه ، وايقن الفيلسوف الشاب ان منيته قد دنت ، وان خصومه قد انتصروا عليه بدسائسهم لا بحججهم . وشاءت ارادة الله الذي لا يمتنع عليه شيء . حتى خلق النبوات ان يكون مصرع هذا الحكيم على من اصطفاه وفضله على الكثيرين . فقد انصاع الملك الظاهر الى فتوى العلماء وصدرت ارادته بتنفيذ الحكم .

ولكن كيف ينفذ الحكم ؟ هل يقتل ام يصاب ام يسلم الى عباد الله المؤمنين يقطعون جسم هذا الكافر الزنديق ارباً ارباً ؟ . يخيل الينا ان الملك الظاهر طلب من صديقه الفيلسوف ان يختار ميتته فطلب ان يحبس في مكان ما ، ويمنع من الاكل والشرب الى ان يموت .

وكأنما اراد السهروردي ان يمتحن نفسه على الصبر وان يحقق نزعاته الصوفية بهذه الميتة التي ارادها له المتنطعون . فحياة الصوفيين لون من العذاب او هو الفناء في سبيل الحقائق العليا . وليس احب الى نفسه من ان يمتنع عن الاكل وعن الشرب اياماً وان يعيش زاهداً متقشفاً الى ان يلقى ربه ... وهكذا كان الى ان فاضت روحه الى بارئها نقية طاهرة .

لا شك ان صاحب حلب قد حزن حزناً عميقاً لهذه النهاية المحزنة التي انتهت بها حياة السهروردي واية ميتة ماتها ... في رواية ان الملك الظاهر حبسه ثم خنقه في سجنه بقلعة حلب . وفي رواية اخرى ان السلطان امر بقتله وصلبه اياماً . وعن سبط الجوزي في تاريخه عن ابن شداد انه قال : لما كان يوم الجمعة بعد الصلاة سلخ ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة اخرج الشهاب السهروردي ميتاً من الحبس بحلب فتفرق عنه اصحابه . «نعم ، تفرق اصحابه عنه وقبعوا في دورهم ينكرون هذا الطغيان الذي مس حرية الفكر ، وانتصر القدماء على المحدثين ، او قل انتصر الشيوخ على الشباب .. ولا شك

ان كثيراً من اشياع السهروردي قد بكوه بدموع غزار ورثوه بقصائد تفيض بالحرقة والانين .. ولكن اين تلك القصائد الصادقة ؟

لقد ذهبت كما ذهب السهروردي ولم يجسر احد ان يدونها او يحتفظ بها .

وكان الملك الظاهر في طليعة من بكاه فقد ندم على فعلته وحقد كثيراً على من جروه الى هذا المأزق الحرج الذي اودى بحياة شاب من انبه الشباب واذكاهم فكراً ودراية وعلماً وتجرداً عن الدنيويات ، وشعر بالفراغ الكبير الذي تركه مصرع هذا الفيلسوف الحكيم .. لقد ندم الملك ولكن ما عساه يفعل انتقاماً لذكرى فيلسوف حكيم ؟ يقول المؤرخون انه نقم على جميع من افتوا بقتله فقبض عليهم ونكبهم وصادر جماعة منهم باموال عظيمة .. فهل ارضى بفعلته هذه انصار السهروردي ومريديه ؟ . ربما .. ولكن هيهات ان يكون انتقم للفكر بعمله هذا ، وستظل ميتة السهروردي لطخة سوداء في تاريخ الظاهر الايوبي على ما امتاز به حكمه من حسنات .

*

قبل ان ننهي مقالنا عن عالمنا الفيلسوف الشاب نريد ان نتساءل هل الدسائس التي تأخذ صبغة الدفاع عن قدسية الدين قادرة على اطفاء شعلة الفكر ؟ لقد مرّ ثمانمائة سنة على مصرع السهروردي ولكن ذكره في عالم الفكر لا يزال حياً . ان غير واحد من المفكرين المسلمين قد واجهوا في عصور التاريخ مثل هذه الدسائس والمؤامرات التي اصطبغت بصبغة الدفاع عن قدسية الدين ، فاذا ذكرنا السهروردي فيجب ان لا ننسى النسيمي ، الذي يضم رفاته تراب حلب ايضاً . فان قصة مصرعه لا تقل في بشاعتها عن مصرع السهروردي . فهذا العالم المتصوف الذي يرقد في الزاوية النسيمية بالقرب من دار بلدية حلب كان كثير الجدل مع فقهاء زمنه ، وكثيراً ما كتبوا سورة من سور القرآن في ورقة ورشوا من يخيط النعال ان يدسها في اطباق النعل ، موهمينه انها ورقة محبة وقبول ، فانصاع لهم الرجل ، ووضع الورقة وفق طلبهم ، وما ان سلمها لهم حتى اخذوا ذلك النعل واهدوه الى الشيخ من طريق بعيدة ، فلبسه ، وهو لا يشعر بالكيد الذي دبر له لانه مشغول عن ذلك بما هو اسمى ، ثم طلعوا لنائب حلب وقالوا له : قد بلغنا من طريق صحيحة ان النسيمي كتب « قل هو الله احد » وجعلها في اطباق نعله ، وان لم تصدقنا ارسل وراءه وانظر ذلك ، ففعل ، فاستخرجوا الورقة وادرك الشيخ الحيلة التي لجأ اليها خصومه ، عندئذ سلم امره لله تعالى ولم يجب عن نفسه ، وعلم انه لا بد ان يقتل ، وكان الامر كما تصوره .

قال الشعراني : واخبرني بعض تلامذة تلامذته انه صار ينشى موشحات في التوحيد وهم يسلخونه حتى عمل خمسمائة بيت ، وكان ينظر الى الذين يسلخونه وهو يبتسم .

وما لاقاه السهروردي والنسيمي قد لاقاه كثير من المفكرين بوشايات زملائهم من العلماء .

فقد نفي ابو زيد البسطامي سبع مرات من بسطام بواسطة جماعة من علمائها .

وأخرجوا سهل بن عبدالله التستري من بلده الى البصرة ونسبوه الى قبائح ، وكفروه مع امامته وجلالته .

وشهدوا على الجنيد بالكفر مراراً حين كان يتكلم في علم التوحيد على رؤوس الاشهاد فصار يقرره في عقر بيته الى ان مات .

وشهدوا على الشبلي بالكفر مراراً مع تمام عقله وكثرة مجاهداته وادخله اصحابه البيمارستان ليرجع الناس عنه مدة طويلة .

واخرجوا ابا بكر النابلسي مع فضله واستقامته في طريقته من المغرب الى مصر ، وشهدوا عليه بالزندقة عند السلطان فأمر بسلخه منكوساً فصار يقرأ القرآن وهم يسلخونه بتدبر وخشوع حتى قطع قلوب الناس وكادوا يفتتنون به .

ورموا ابا مدين بالزندقة واخرجوه من بجاية الى تلمسان .

واخرجوا ابا الحسن الشاذلي من مصر وشهدوا عليه بالزندقة .

ورموا عز الدين بن عبد السلام بالكفر وعقدوا له مجلساً في كلمة قالها في عقيدته وحرشوا السلطان عليه .

ورموا تاج الدين السبكي بالكفر وشهدوا عليه انه يقول باباحة الخمر والفاحشة ، وانه يلبس في الليل الغيار والزنار . واتوا به مغلولا مقيداً من الشام الى مصر وخرج جمال الدين الاسيوني فتلقاه من الطريق وحكم بحقن دمه .

وهناك كثيرون اغفلنا الالماع الى ذكرهم لان هذا لا يدخل في بحثنا الذي نريد ان نختمه بالالماع الى تراث السهروردي الفكري وما تركه من رسائل وكتب . بل مررنا بذكر اولئك الشهداء مروراً سريعاً لعلاقة ذلك بقصة من ذهب ضحية الدسائس والمؤامرات في سبيل الحقائق العليا وقداسة التفكير الحر .

ترك السهروردي مؤلفات ورسائل متعددة ، ومع انه لم يصل لهذه السن التي تمكنه من التأليف وكتابة آرائه الحكيمة وميوله الفلسفية كما كتبها غيره من الحكماء والفلاسفة فقد ذكر له المؤرخون عدة رسائل وكتب في اغراض شتى ، ولولا مصرعه وهو شاب ، لكان ترك للاجيال تراثاً فكرياً ضخماً . ومع ذلك ، فان وفرة كتبه الكثيرة المنازع تدل على مواهبه الفذة . فمن مؤلفاته : التلويحات في الحكمة ، والتنقيحات في اصول الفقه ، وحكمة الاشراق ، والغربة الغربية ، وهياكل النور ، والالواح العمادية ، والمعارج ، واللمحة ، والمطارحات ، والمقامات وغيرها وغيرها . فأين تلك الكتب ؟ لم يطبع منها غير هياكل النور وهو كتاب يضم مباحث قصيرة في تعريف الجسم والصورة ، وفي جوهر النفس وتجردها وقواها واشارة الى ضلال الماديين والرد عليهم وما هناك من فروق بين الروح الحيواني والروح الانساني ، ثم ردود صريحة على من يتوهم ان النفس هي الباري او جزء منه ، وبحث عن وحدانية الواجب وازلية العالم وغيرذلك من الاراء التي ختمها بفصل عن النبوات . والاراء بمجموعها هي صدى للفكرات التي عالجها غير واحد من مفكري العرب وفلاسفة المسلمين ، وليس موضوعنا مناقشة ما جاء في هذه الرسالة بل ألمعنا اليها لأنها الاثر الوحيد الذي وصل الينا من مؤلفاته ، اذ من الصعب جداً ان نتخذ رسالة صغيرة من مؤلفاته اساساً للبحث دون ان نقف على اكثر كتبه .. فأين هي ؟ هل هي في الخزانات ام في المكاتب العامة ؟ وهل يطلع علينا مستشرق او باحث بنشر كتاب من كتبه ام ان خصومه وقد ظفروا بهدر دمه قد احرقوا رسائله ؟

لا ندري .. على ان ما رشح الينا من كلماته يدل على انه عانى الفلسفة وكتب فيها المطولات فرسالة « الغربة الغريبة » مثلاً .. كتبها على نسق رسالة الطير لابي علي بن سينا ورسالة حي بن يقظان ، وفيها على ما يذكر المؤرخون ، بلاغة تامة اشار فيها الى حديث النفس وما يتعلق بها على اصطلاح الحكماء . فمن كلماته مثلاً :

« نواحي القدس ، دار لا يطؤها القوم الجاهلون .

« وحد الله ، وانت بتعظيمه ملآن واذكره وانت من ملابس الاكوان عريان ولو كان في الوجود شمسان ، لانطمست الاركان وأبى النظام ان يكون غير ما كان .

«اللهم خلص لطيفتي من هذا العالم الكثيف . »

وهو في هذا الاتجاه يذهب مذهب الاشراقيين من حكماء الاسلام ومتصوفيهم ، وهو منهم في الطليعة ومن الصعب ان نأخذ كلمة من كلماته اساساً لبحث ارائه في الفلسفة والاشراق والتصوف وله فيها المصنفات — ولم نقصد من بحثنا هذا ان نكتب دراسة واسعة عن السهروردي بقدر رغبتنا بتدوين هذه الخطوط السريعة من حياته المليئة بالاحداث .

واذا وقفنا عند هذا الحد من الاشارة الى مؤلفاته ، ما بقي منها وما اندثر ، فحسبنا ان نختم مقالنا بالالماع الى قصيدته « الحائية » التي بقيت كوثيقة توضح لنا نفسية هذا الصوفي العاشق والتي تدل كل كلمة من كلماتها الى معنى من تصوفه وروحانيته .

ابداً نحن اليكم الارواح ... ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب اهل وداد كم تشتاقكم ... والى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمنا للعاشقين تكلفوا ... ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم ... وكذا دماء العاشقين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم ... عند الوشاة المدمع السحاح
وبدت شواهد للسقام عليهم ... فيها لمشكل امرهم ايضاح
خفض الجناح لكم وليس عليكم ... للصب في خفض الجناح جناح
فالى لقاكم نفسه مشتاقة ... والى رضاكم طرفه طماح
عودوا بنور الوصل في غسق الجفا ... فالهجر ليل والوصال صباح
صافاهم فصفوا له فقلوبهم ... في نورها المشكاة والمصباح
فتمتعوا والوقت طاب بقربهم ... راق الشراب ورقت الاقداح
ياصاح ليس على المحب ملامة ... ان لاح في افق الوصال صباح
لا ذنب للعشاق ان غلب الهوى ... كتمانهم ، فنمى الغرام ، فباحوا
سمحوا بانفسهم وما بخلوا بها ... لما دروا ان السماح رياح
ودعاهم داعي الحقائق دعوة ... فغدوا بها مستأنسين وراحوا
ركبوا على سنن الوفاء ودمعهم ... بحر وحادي شوقهم ملاح
والله ما طلبوا الوقوف ببابه ... حتى دعوا واتاهم المفتاح
لا يطربون لغير ذكر حبيبهم ... ابداً فكل زمانهم افراح
حضروا فغابوا عن شهود ذواتهم ... وتمتكوا لما راؤه وصاحوا
افناهم عنهم وقد كشفت لهم ... حجب البقا فتلاشت الارواح
فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ... ان التشبه بالكرام فلاح
قم يا نديم الى المدام وهاتها ... فبحانها قد دارت الاقداح
من كرم اكرام بدنّ ديانة ... لا خمرة قد داسها الفلاح

ونجزم ان للسهروردي ديواناً فقد كما فقدت مؤلفاته ، لان من يكون له هذا النفس العالي في الشعر لا بد ان يكون له اكثر

من قصيدة واحدة ، وكتب الادب لا تحفظ لنا غير هذه القصيدة وبعض مقطوعات تفيض بالرقة واللوعة والحنين ، في قصيدة النفس التي جارى فيها (عينية) ابن سينا الوان زاخرة من الحرمان والشوق .

خلعت عليها بجرعاء الحمى ... وصبت لمغناها القديم تشوقا
وتلفتت نحو الديار فشاقها ... ربع عفت اطلاله فتمزقا
وقفت تسائله فرد جوابها ... رجع الصدى ان لا سبيل الى اللقا
فكأنما برق تألق بالحمى ... ثم انطوى فكأنه ما ابرقا

وفي قصيدته الرائية حيث يبتعد عن البشر ويأنس بوحدته الوان زاخرة بالتشائم والسآم .

اقول لجارتي والدمع جاري ... ولي عزم الرحيل عن الديار
ذريني ان اسير ولا تنوحي ... فان الشهب اشرفها السواري
واني في الظلام رأيت ضوءاً ... كأن الليل بدل بالنهار
الى كم اجعل الحيات صحبي ... الى كم اجعل التنين جاري
وارضى بالاقامة في فلاة ... وفي ظلم العناصر اين داري
ويبدو لي من الزوراء برق ... يذكرني بها قرب المزار
اذا ابصرت ذاك النور افنى ... فما ادري يميني من يساري

نعم ، ان من يكون له هذا الشعر لا بد ان يكون له اكثر من قصيدة واحدة وهي تفسر نزعاته كصوفي متجرد ينشد الحقائق العليا ـ هذه الحقائق التي قادته الى الهلاك على يد فئة من من الحشويين رأوا في هدر دمه ارواء لشهوات دسائسهم .. وكم من مفكر ذهب ضحية الدس والجهل والتآمر — جهل الدساسين وتآمر المتنطعين .وفي قصة مصرعه عبرة واي عبرة وصورة واضحة مما لاقته حرية الفكر في القرن السادس الهجري من عنت وارهاب ـ نتيجة هذا الصراع الذي قام بين الفقهاء والمتصوفة . وهو صراع يرجع الى فجر القرن الرابع حين مرّ علم الكلام الاسلامي او علم العقائد في اهم ادوار حياته — وهو دور تحرره من الفقه .ونحن نعلم ان التشادّ كان قوياً في ذلك العصر بين الصوفيين والفقهاء ، وكثيراً ما عبر الصوفيون عن احتقارهم لعلم الفقه الذي يسمونه علم الدنيا ، ورأينا الامام الغزالي في القرن الخامس يجاهر امام جمهور المسلمين بان علم الفقه علم دنيوي لاديني وما زالت هذه الآراء في جذب ودفع بين الفقهاء والصوفيين الى ان كانت الغلبة للفقهاء في القرن السادس — وطابع العصر طابع ديني كما اسلفنا . فكان ضحية هذا التنطع الحكيم شهاب الدين السهروردي الذي قضى شهيد الفكر وهو في ريعان العمر ، فخسرت الفلسفة الاسلامية مفكراً فذاً من اعظم مفكريها الشباب(١)

سامي كيالي — حلب

(١) اعتمد الكاتب في بحثه هذا على المصادر الاتية : النجوم الزاهرة ، معجم الادباء ، النوادر السلطانية ، تاريخ حلب لابن الشحنة ، تاريخ حلب للعزي ، التصوف الاسلامي لزكي مبارك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعر

الى سعيد عقل

◆

في كوّة الفجر نشيدٌ عميقْ
يفلّه التقليد منذ القدمْ
نام على نايٍ خضيب النغم
في جنةٍ انهارها من بريق

زنابق الليل وعته خيالْ
مُشربةٌ زرقته بالصورْ
وحلّ من الرمز حس الجمالْ
وعُتقت فيه خمور الفكرْ...

يضوع منه الشجوُ، والمبخرهْ
تُحب فيه اغنياتِ الرياحْ
والفرحُ المعبودُ رقص الملاحْ
في منظرٍ اغوارُه مزهرهْ.

في كوّة الفجر ضياءٌ أسيرْ
ناداك ياروحي، فهيّا نسير
فأنتِ في أجواهُ صحو الاثير

كمال فوزي ـ مصباف

ربيع امرأة

محمد حاج حسين
ليسانسيه آداب من جامعة فؤاد الاول

◆

كل شيء تغير في منزل سميح فايد ، المزارع الكبير . فنظام الاسرة الماضي ، طوحت به امرأة جديدة ، حسناء ، كالضحوة الساطعة ، ولجت البيت ، واحتلت به المقام الاول ، فاصبحت قرينة سميح فايد ، تأمر وتنهي وتفعل ما تريد .

هصرت المنون ، ربة البيت السابقة ، في الاربعين من عمرها ، وهي لا تزال تحتفظ بنضرة الشباب ، وروقة الجمال ، فبكاها اولادها بدموع مستفيضة . فبذهابها ، قد خسروا الحنان الذي كانت تغدقه عليهم ، وذلك الحب الكبير الذي كانت تنفحهم به .

ولم يكن تأثر زوجها باقل من جزع اولاده ، فحرقته لاذعة في الصميم ، ولم كان يتمنى لو يستطيع افتداءها بالغالي ، لتظل دوماً بقربه ، ترقه العطف وتجاذبه المودة .

واجتاح الاسرة ، ذلك الفراغ العميق ، الذي يصيب الانسان عندما ترزأه الحياة وتفجعه المنية بعزيز . ففي الاماسي يلتئم شمل الاسرة الممزقة ، يتحدثون بالم عن الفقيدة ، ويستعيدون الغابر السعيد ، يجوسون خلاله حيث كانت المرحومة ، تملأ الدنيا زهواً وحياة ، وتتوقد بنشاط والمعية ، حولت البيت الى مأوى عرج به النعيم . وخلفت بعدها ، طفلتين تلذعهما مرارة اليتم الكاوية ، وشاب ينهد الى العشرين ، فارع القامة وضاء الملامح ، اصاب حظاً من الثقافة العامة ، لا بأس به ، واخذ يساعد والده في ادارة املاكهم الواسعة بهمة الشباب الوثاب وكد العامل المجد ، فكان نهبة الانظار ترمقه بالثناء والاحترام .

ولم تفدح الرزية احداً مثل ما فدحت به ولدها عدنان : فامه المرحومة كانت اكثر من امه ، يلجأ اليها ، ليفضي لها باشجانه ، ويبثها همومه ، فتمسح عليها ، بيدها الطاهرة ، وتملأه ثقة بالمستقبل والحياة ، فقد خسر فيها الام ، والرفيقة الصديقة ، والاخاء المتين .

كان سميح فايد ، في الخامسة والثلاثين ، عند ما تزوج امرأته المتوفاة ، التي كانت في فجر عمرها ، تمتاز بخصال حميدة ، وجمال ساحر ، واحبتها جوارحه ، فهي العزاء اذا عز العزاء : غير ان الدهر ابى عليه النعمة الرضية التي يستمتع بها ، فماتت ارملته فجأة ، فان السكتة القلبية اخمدت انفاسها ، وصعدت روحها الى مقرها الابدي ، لتذر التعاسة تطل برأسها الكليح ، على بنيها وزوجها .

ومضت اشهر ثلاثة على وفاتها ، عند ما سرى نبأ في المدينة ان المزارع الكبير سميح فايد ، سيتزوج قريباً ، ومع انه في حدود الستين ، تزوج ، كأن امرأته وذكرياتها لم تكن ..

واحتلت فاطمة الصافي ، مكان الزوجة المتوفاة ، ورضيت بسميح فايد زوجاً لها ، رغم هوة السن الهائلة ، التي تفغر فاها ، بينهما ، هازئة ، مقهقهة .

خطبها المزارع الكبير من ابيها ، فوافق فوراً دون ان يستشيرها في الامر ، وشفتاه تتلمظ للاحلام المشعشعة ، والتي داعبته ، لهذه الثروة الضخمة ، التي ستنعم بها ابنته ..

ولما حدثت فاطمة في الامر ، وافقت ، وتراقصت الاماني الحسان امامها : ستتخلص من حياة الفقر ، الذي يقص جناحيها ، وستسكن القصر الضخم ، وستركب السيارة الفارهة ، فتفتحت امامها الدنيا تتبسم .. وتغمز بعينيها تدعوها الى مائدتها الحافلة بالمتع .. لم ترفي زواجها ، غير هذه الناحية الضاحكة ، ولم تتراءى لها هذه الوجهة المستبشرة . اما زوجها ، الكهل المهدوم ، واولاده فلم يخطروا في بالها ، ففي اعماقها ظمأ الى الحياة الرفيهة ، والعيش الخضيل ، ووجدت في زوجها ما ينقع غلها الى الترف ، الذي حرمت منه ، ولقد وهبها الله جمالا خلوباً ، يصبي المشاعر ويحرك رواقد الاحاسيس ، فبشرتها البيضاء ، الرقراقة ، وشعرها الاشقر الفينان يتدلى بفوضى حبيبة ، على جبهتها ، وتانك العينان الزرقاوان ، كغيمة زرقاء ، تائهة في السماء ، كل شيء فيها يغزو ويصرخ بالفتنة انها في الخامسة والعشرين من عمرها الغض ، تغفو على الاماني ، وتنام على المستقبل الريان ، حين خطبها الثري الكبير سميح فايد ..

واحس عدنان بلون من الامتعاض ، لفعلة ابيه هذه ، ولكنه كظم ما في نفسه على مضض فان الغريبة التي ستحتل مكان امه تترعه اشمئزازاً ونفوراً ... ولكن القدر لا يؤاتي كل انسان وفق ما يروم . ومضت ايام واعقبتها ايام واصبحت فاطمة الصافي ربة البيت السيدة المطلقة تنفذ رغباتها . بدقة فزوجها الكهل رأى فيها الواحة المليئة التي يتفيأ ظلها الظليل .. فاحبها وتدله بهواها .

ويبدو على فاطمة لون من الذهول لم ينشب ان تحول الى كآبة خرساء وحزن صامت : واحست بذلك الشوق الذي لا ينطفىء الى

المجهول الذي حرمته ... فعدنان كان ملء نظرها يتحدر الى قلبها المحروم وروحها الحبيسة .

وذات يوم ، ذهبت الى غرفته ، وكان يقرأ فاستقبلها وعبوسة طفيفة تزوي ما بين عينيه ، فلم يعودها ان يختلط بها ، فهو يفر منها كأنها شبح مروّع خنق والدته .. جلست على مقعد ، برشاقة وبدت في ثوبها الابيض ، كدفقة نور ، ورنت الى عدنان بشوق ، فاذا به كما عهدته دائماً ذلك الشاب العبل الذراعين ، القوي البنية الطافح بالحياة .. وتشقق الحديث ، يهيم في كل واد . واخيراً قالت فاطمة : خدعت في زواجي .. فرفع عدنان حاجبيه بدهشة وقال : ماذا تعنين؟

— كنت احسب ان المال يوفر السعادة ، فاذا به سراب خداع ..

— انت التي اخترت نصيبك ..

— صحيح .. ان الحرمان الذي كنت اكابد غصصه ، زيّن لي ان قوام السعادة في الحياة : المال وملاكها : الترف ..

ومرّت فترة صمت ، فيها ابلغ التعبير عما يحسه كل منهما للآخر .. وحدّق عدنان نظراته فيها ، فألفى في عينيها ، ظلاً قاتماً فيه اغبرار .. ويأس .. فرقّ لها ، وتلك الثورة التي تجتاحه من جراء حنقه عليها ، هدمت بعض الشيء ، فرأى بها الضحية ..

واستطردت فاطمة تقول بعد ان تنهدت : ابوك اخطأ في زواجه ، انه في خريف العمر ، فكان عليه ان ينتظر الشتاء ، يدرجه في كفن الموت .. ولكنه تزوج من الربيع ، وهل الخريف والربيع يتلاقيان ؟

— خفضي عنك .. فوالدي يهيأ لك كل بلهنية في الحياة ..

وهزت رأسها ساخرة : اكاد اجنّ .. ان اعصابي تتوقد وترهف وتستبد بي هزات عصبية ، تهلكني ..

— يجب ان تعملي جهدك لتزجي الهناءة لوالدي .. فواجبك يدعوك الى هذا ..

— واجب ابيك ، ان يعزف عن الزواج .. ولو زوّجك انت يا عدنان ، واستمتع باطفالك ..

— ولكني لا اريد الزواج ..

ولم تسمع جوابه ، فأغمضت عينيها ، متلذذة بالخيال الحلو الذي طاف في رأسها الموقر . فلو تزوجها عدنان ، لكان الربيع زفّ الى الربيع ، ولأصبحت سعادتها حديث الناس .. ما اجمل عدنان واقواه ، وسحنته توحي اليها اجمل الرؤى واعذب الالحان .. ونهضت متثاقلة ، تودعه ، فشيعها بنظراته التي كانت تحرقها ، وتقيمها وتقعدها ..

ولما آوت الى حجرتها ، بكت وتناثرت دموعها ترطب وجهها المحموم .. وكلما تراخت المدة ، واخذ الزمن يدور في عجلته ، تزداد فاطمة كآبة ووجمة .. وتحتدم اعصابها ، تتفزز لاقل حادثة ، حتى ان زوجها لاحظ عليها عصبيتها وحزنها ، فطفق ينشد لها انواع اللذائذ ، ولكنها ترى فيها الاتهام القاسي ، الذي يقرعها ، بجفوة متحدية .. ولا تزيدها الا اواراً واشتعالا وكان عزاؤها الوحيد في هذه الحياة الحاطمة ، عدنان ابن زوجها ، الشاب اليقظ الجياش بالحياة .. وصحت عزيمتها على شيء ترددت فيه اولا ، ثم ماعتم ان استقر وتركز حتى اضحى لديها ، حقاً لها ، تبغيه وتعمل على تحقيقه ، والا عرتها لوثة ، ادتبها الى الجنة ، تطرح بشبابها ، وتئد حياتها .. وهبت نسائم الخريف ناعشة ، تلامس اعضاءها ، فمشت فيها نشوة وكان البيت مقفراً من كل انسان فزوجها ذهب الى القرية ، والطفلتان بنات زوجها ، في المدرسة ، والخدم صرفتهم لامور .. كان البيت خالياً ، ولا يضطرب فيه الاهاو عدنان ، املها الذي تتغنى على هدهدته .. ومشت بخطى ماهلة ، بطيئة حذرة ، حتى انسابت الى غرفته ، فهرع اليها يستقبلها بمجاملة يتكلفها احتراماً لابيه ..

وخيم السكون المزعج ، الذي يسبق هبوب العاصفة ..

ورشقت فاطمة المرآة بنظرة سريعة ، فاطمأنت لجمالها الذي قنعه شحوب ، اضفى عليه فتنة رائعة ..

وقالت فجأة : عدنان .. احبك ..

واجاب عدنان باقتضاب : اشكرك ..

فذهنه لم ير في حبها جريمة ، فاعتقد لاول وهلة انه ذلك الحب البريء النابع من الامومة .. اما هي ، فاطمأنت الى جوابه ، ورأت فيه مقدمة معبدة ، لغايتها التي تهدف اليها ..

ونجركة لا شعورية ، نهضت من مقعدها ، حتى لاصقته ، وهبت انفاسه تحرقها ، فما استطاعت الا الانصياع لخفقة قلبها التي تهيب بها الى ضم املها .. وحياتها .. وافاق عدنان ذاهلا لا يصدق كأن غشية كانت عليه ، وفرك عينيه ، ولكن السائل الناري ، لا يزال عالقاً مترجرجاً على ضفتيه .. وتجلت له الحقيقة الوخازة .. لقد تجرأت وقبلته ، وهو لا يدري كيف اجترحت هذه الفعلة .. وانقذه من ذهله صوت فاطمة المنتشي يقول : عدنان .. احبك .. وتراءى له الان نوع هذا الحب الآثم الذي تدعيه ، فكاد يتميز غيظاً ، ونزا الدم حاراً يوتر عروقه بلهجة داوية : ماذا فعلت ايتها الافعوان ؟

— احبك ياعدنان .. هيا بنا نسكر من مائدة الهوى ..

— ايتها الافعى ، يجب ان اسحق رأسك ..

— عدنان احبك .. ارحمني ..

— اخرجي من هنا ..

واشار الى الباب ، وهو يرعش، وتصطك ركبتاه ، ولكنها لم تتزحزح من مكانها .. وخفق صوتها حزيناً يقول : الا اروقك ياعدنان .. ان جمالي شهي داني القطوف . وصرخ عدنان : يا مجنونة ، انت امرأة والدي أأدنس عرض والدي، الذي احرص عليه اكثر من حياتي ؟.

— عدنان : . ارحمني ..

— اخرجي .. اخرجي ..

واستدارت على عقبيها ترميه بنظرات حمراء .. وخرجت ، حسيرة ذليلة ، لاتلوي على شيء تجتاحها اعاصير ، وتتلاعب بها الارزاء .. ولكنها لم تيأس من تذليله واخضاعه لجمالها .. فراحت تتبرج وتبرز فتنتها الراقدة امامه وهي تأمل ان يستجيب لنداء الشباب، وخفق الجمال . واخذت تهتبل الفرص ، لتحدثه عن غرامها .. ولكنه يحتقرها كحشرة قذرة ، ويراها جحيماً يتلظى ، ليحرقه ويدق حياته ، فكان يتجنبها ، ويتهرب من طريقها ، ولما هددها بسوء المصير ، وبفضحها عند ابيه ، اذا لم ترعو عن غيها ، اجتاحتها نقمة ثورة هائلة ، وتحول حبها اليائس ، الى رغبة في الانتقام من عدنان الذي داس كرامتها .. ستبلبل حياته ، وتترعها بالمآسي ، فالمرأة اذا انتقمت لا تعرف حداً لانتقامها وثورتها لعزتها الطعينة ، لاتعرف الا العنفوان .. واتت ، ذات مساء ، داكن العتمة ، الى زوجها، تبكي ، فمال اليها ، يربت على كتفها، يدللها، ويسائلها عن علة بكائها. ولكنها اعتصمت بالسكوت وانسالت دموعها دافقة .. كأنها في مأتم . وطبع سميح فايد قبلة كهلة على وجنتيها المنديتين بالدموع ، كانت كقبلة الموتى وقال : ماذا ينقصك يافطمة ، ايتها النور الذي ابصر به ؟ ألم اوفر لك كل لذائذ الدنيا ؟

وقالت اخيراً وهي تتصنع الهدوء : سأقول لك شيئاً فظيعاً ..

— قولي يافاطمة ..

— اخشى ان تنهد حياتك من جرائه .

— لا تخشي عليّ شيئاً .. كلي آذان صاغية .

— اؤثر ان ترسلني الى بيت والدي ..

— أمجنونة انت ، انى يطيب لي العيش بدونك .

والقت القنبلة : اذن خلصني من ولدك عدنان ..

— ماذا فعل ولدي عدنان ؟

— لقد راودني عن نفسي ..

وتطلع سميح فايد اليها مذعوراً ممروراً .. فالضربة سفعته فانكمشت هيئته ، وانقبضت سحنته ، وكاد يغشى عليه . أفلذته عدنان ، يفجعه باقدس شيء عنده ؟ . وراح يجأر كثور جريح .

وقال بصوت متهدج : فاطمة .. ياامرأتي الطاهرة .. سيرى المجرم مصيره .. ووثب بهمة الشباب حتى دخل غرفة ولده عدنان، ورفع هذا عينيه ، فوجد اباه في هيئة غير عادية ، تطفو على وجهه سحابة سوداء .. فدلته غريزته ، على حدوث امر جلل .

قال ابوه وهو يرتجف : ايها العاق اخرج من هذا البيت الكريم الذي ضمك وآواك ، حتى اشتد ساعدك، حاولت ان تلوثه .. ايها المجرم ، اني العنك ، واستنزل عليك صواعق السماء ، فتنقض عليك فتمزقك . وبصق بوجهه ، وصوته يتهدج قائلاً : اغرب عن وجهي لن تطأ هذا المنزل مرة اخرى . أتحاول ان تذبح عرضي؟ . أتحدث امرأتي بالمنكر .. وتهم نفسك بها .. ايها القذر .. اخرج . وانسالت من فمه اللعنات والتجديفات ، فقام عدنان ، متثاقلاً ورمى اباه بنظرة يائسة وتمتم : الله يعلم انني بري .. وانساب من البيت الذي رأى فيه مراتع حياته ، مهدود القوى . مضى على هذا الحادث شهر ، عندما تناول عدنان رسالة رأى على غلافها خط ابيه ، وكان بعد ان طرده ابوه ، ذهب الى خالته في حلب .. وفض عدنان الرسالة بيد راجفة وقرأ : « ولدي الاحب

«ارجع الى البيت الذي خرجت منه، مجرماً ، وانت بري، طاهر الذيل . لقد عرفت براءتك في المجرمة ، حتى طردت احب الناس لديّ .. وشاء الله ان لا تبقى هذه المأساة طويلا فجلاها على حقيقتها .

«لقد عدت ذات يوم الى البيت في غير ميعاد عودتي ولما دخلت مخدع زوجتي فاطمة الصافي وجدتها في حالة مريبة مع قريب لها وخدثتني نفسي بشر مستطير فعزمت على الهاب رأسيهما بالنار .. ولكني تريثت لان هذه الحشرة الدنيئة لاتستحق الموت .. وطردتها من بيتي .. واجابتني بوقاحة انها تذهب سعيدة لتتزوج قريبها .. الذي تحبه ويحبها . وانها لجذلة قريرة بهذه النتيجة واخيراً قالت ان ضميرها ونجا وسمم حياتها على فعلتها معك .. اخبرتني انها هي التي همت بك .. ورفضت باباء وشمم ..

«لننس الماضي البشع يا ولدي وعد الى البيت الذي ينتظرك بفارغ الصبر فان اختيك تسألان دوماً عنك وتبكيان لاجلك .

« وبانتظارك يا ولدي الحبيب اغفر لي هفوتي ..»

وصباح الغد كان عدنان يتهيأ للذهاب الى ابيه ..

محمد حاج حسين — طرطوس

الى المتسولة السمراء

شارل بودلير

●

ايتها الغادة الشقراء ذات الشعر الاحمر الضارب الى السمرة !.
انت ايتها التي تبين اردیتها الرثة من خلال ثقوبها الممزقة ،
وتظهر ان الفقر والجمال جزءان منك لا يتجزءان .

*

اما انا ، انا هذا الشاعر المتواضع المتأسف ، فان جمالك الفتي ،
بنحوله وطراوته ،
وبنمش الصيف المنتشر بين ارجائه هنا وهناك ،
يبدو لي عذبا رائعاً .

*

ان احذيتك الخشبية تلج سبل الحظ والتعاسة والصدفة
وليس ثمة ملكة واحدة من ملكات الخيال القديم
مشت باحذيتها المخملية وشرائطها ببعض رشاقتك .

*

دعي البسة البلاط الفاخرة ذات البهاء تتدلى بطياتها وتكسراتها
ذات الحفيف المستعذب حول قدميك
بدلا من هذه الاسمال والاطمار القصيرة الممزقة
وبدلا من هذه الجوارب البالية القديمة
تمنطقي بخنجر ذهبي
يلتمع امام اعين المتهتكين الذين يدعون الحكمة والعقل .

*

ودعي الاشرطة المحلونة باهمال تكشف لنا عن الكبرياء
الساطعة في صدرك الابيض الناصع
الذي هو انقى وازهى بكثير من اية نجمة متألقة ،

*

ودعي ذراعيك البيضاوين تلتمعان عاريتين ،
تينك الذراعين المصقولتين الناعمتين اللتين هما في نظري شبه
مقدستين ،
ودعي انامل الصغيرة
تبحث برشاقة هائمة —
عن انقى اللآلىء التي تشع بهدوء ،
واعذب القصائد التي نظمها « بيللو » ،
تلك التي يقدمها الشجعان قبل المعركة
من اجل سعادتك ،

*

وكثيرون من الشعراء المتملقين
الذين يكتبون اول كتاب صغير لهم من اجلك .
سوف يفكرون متأملين
في الخطوة التي تخطوها قدماك ،

*

وكثيرون من الفرسان المولعين بلعب الورق ،
وعدد كبير من النبلاء والاشراف ،
سوف يرقبون سيرك ، ويتحرقون لعودتك ،

*

وسوف تعدين امام مرآتك قبلا اكثر مما تحصل عليها اجمل
زهرة من زهرات السوسن ،
واكثر من راهب مجهول واحد سوف يتحسر عندما تمرين
بالقرب منه .

*

لكنك الان ترحلين على الاقدام ،
وتحصلين على رزق عن طريق التسول والاستجداء ،
تجوبين في الشوارع الحقيرة والازقة الضيقة وتتقدمين من باب
الى باب ، واذا ما سمعت صوت درهم يسقط في حانوت ،
وقفت مشدوهة بعينين متلهفتين مشتاقتين ،
وانا ، واأسفاه لا املك الا فلساً واحداً لاعطيك اياه .

*

اذن فاذهبي ، وانت لا تملكين حلياً ، ولا لؤلؤاً ، ولا ماساً ،
ولا عطوراً ثابتة ، لا يزول شذاها .
اذهبي وانت لا تملكين غير رشاقتك العارية السريعة العطب .
ووجهك المحبوب الفتان .

صفاء خلوصي — بغداد

الصحافة في العاصمة البريطانية

كيف يساهم الصحفيون الاجانب في المجهود الحربي

معلوم انه ليس من السهولة في شيء الحصول على الاخبار حتى في زمن السلم فكيف في زمن الحرب . وقد يتساءل بعضنا في هذه الايام السوداء عن كيفية حصول الصحف الحليفة او صحف البلدان المحايدة على اخبار الاقطار الاخرى ولا سيما الاقطار الواقعة تحت السيطرة الالمانية .

ففي لندن هيئة مركزية للصحفيين الاجانب . وقد انشأ هؤلاء الصحفيون نقابة برئاسة جوتفرد كيلر الذي يعمل كمراسل لاحدى وكالات الانباء السويسرانية . والى جوتفرد كيلر يرجع الفضل في استقاء المعلومات التي سيطالعها القراء في هذا المقال .

يقول هذا المراسل ان جميع رجال الصحافة ومراسليها الاجانب في لندن سواء اكانوا من من الحلفاء او من المحايدين او من غير المحاربين هم اعضاء في هذه النقابة التي تأسست عام ١٨٨٨ ، ويبلغ عدد اعضائها — وهي في عامها الرابع والخمسين — نحواً من ١٤٢ يمثلون ستة وثلاثين قطراً مختلفاً . ومنذ ان فرضت هذه الحرب على العالم من جراء الاعتداءات الفاحشة النكراء فقد ثلثا هؤلاء الاعضاء — اي ما يقرب من نحو مئة عضو — بلادهم وصحفهم واعمالهم ، ولكنهم لا يتوانون في مواصلة جهودهم وتأدية اكبر خدمة ممكنة لأوطانهم وللقضية التي يناضل في سبيلها الحلفاء . اما المركز الرئيسي لهذه النقابة فهو وزارة الاستخبارات الانكليزية . ففي هذا المركز يتصل اعضاء النقابة بجميع الصحف المحلية والاسبوعية والمجلات الاخرى ، ولهم فيه مكتبة خاصة توافرت لهم فيها جميع المراجع اللازمة ، وجهاز للراديو وآلة خاصة لتسجيل الاخبار العالمية ، وغير ذلك مما يتوافر لمحرري الصحف في العالم .

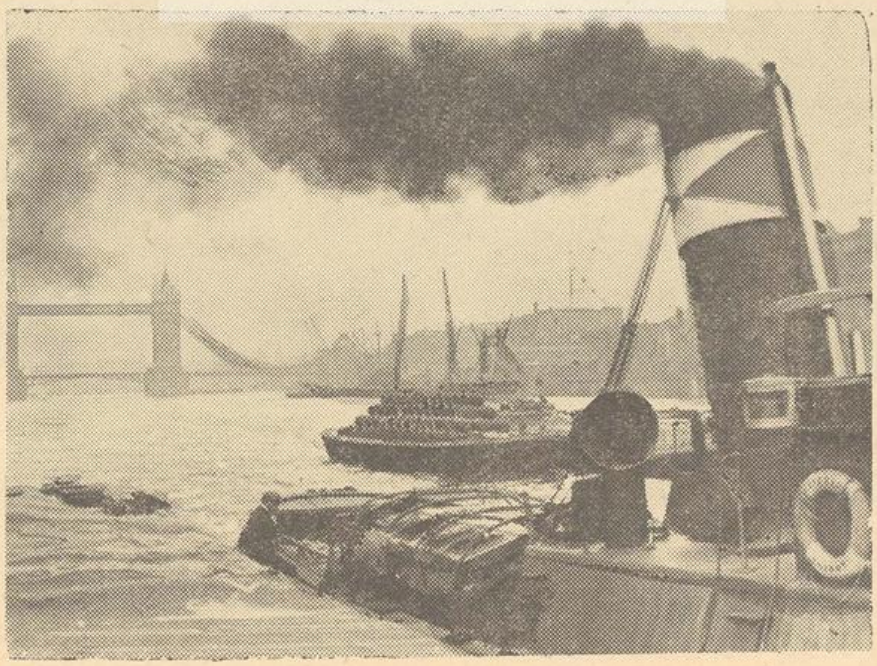
لكن لما اعلنت الحرب واجه اولئك الصحفيون كثيراً من الصعوبات والمشاق في الحصول على ما يسهم من المعلومات . فالامر كان على جانب من السهولة قبل الحرب اذ لم يكن يحتاج مراسل الصحف الا الى رفع سماعة تلفونه ليتصل بصحيفته في القارة الاوربية ويملي عليها رسالته . بيد انه لما سقطت فرنسا توقفت عملية الاتصال التلفوني نهائياً ولم يبق للصحفيين الا طريقة الاتصال التلغرافي فكان ذلك سبباً في تأخير ورود الانباء .

على ان الجهود التي بذلها قسم المواصلات في وزارة الاستخبارات ساعد الى حد كبير على تلافي هذا التأخير . وفي جملة التسهيلات التي اوجدتها وزارة الاستخبارات تقديم البرقيات الخاصة على البرقيات الديبلوماسية العادية . ويوثر عن اعضاء نقابة الصحفيين الاجانب في لندن انهم نالوا قسطهم من اهوال الغارات الجوية ، فقد ضربت منازل بعضهم بالقنابل وتهدم كثير منها ، ولكن نجت ملفات النقابة في المرة الاولى عندما ضربت دار الرئيس السابق لهذه النقابة ، وفي المرة الثانية عندما ضربت دار الرئيس الحالي . ومعلوم ان هذه الملفات تحفظ عادة في منزل الرئيس . ولقد لقي ثلاثة من اعضاء النقابة حتفهم ، الاول «سيتي اوف بنارس» الاطلنطيقي ، والثاني مع زوجته من جراء اصابة مباشرة ، الغارات الجوية التي ويقول رئيس النقابة النقابة بالمصالح ما يرام كعلاقتهم وسائر الزملاء في البريطانية .

ويضيف الى ذلك الصحف الاجانب الاخبار بعد نهار رسمي فالنشرات الرسمية الوزارات وهي اما الذين يعملون في وزارة الاستخبارات مطبوعة . وثمة رجال الصحافة اما في او في وزارة البحرية غرق في الباخرة التي غرقت في المحيط وهو اسوجي قتل اصابتها بقنابل العدو والثالث توفي بسبب اثرت بجهازه العصبي .

ان علاقة اعضاء الحكومية على احسن بزملائهم البريطانيين انحاء الامبراطورية

ان لدى مراسلي جملة مصادر لاستيراد وبعضها غير رسمي ، تصدرها جميع تتلى على الصحفيين حجرة الصحافة بدار واما تسلم اليهم اجتماعات تعقد لمصلحة وزارة الاستخبارات او الاقتصاد .



وجه من وجوه لندن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وثمة ايضاً اجتماعات يعقدها المراسلون فيما بينهم للاستماع الى كلمات يلقيها بعض الزملاء عن اقطارهم او عن رحلات طريفة قاموا بها او عن غير ذلك من الشؤون . وهناك مصادر اخرى لاستقاء الاخبار كالبلاغات الرسمية الخاصة ، بالمناقشات البريطانية وغيرها . كما ان الصحافة البرلمانية نفسها تمثل دوراً هاماً جداً في المجهود الحربي الذي يساهم فيه الصحفيون الاجانب بقسط وافر .

ويري رئيس النقابة ان اهم مصادر استقاء الاخبار انما هو الاتصال الشخصي بالرجال الديبلوماسيين واعضاء البرلمان ورجال الحكومة من بريطانيين وحلفاء . ويسمى بعض اعضاء نقابة الصحفيين الاجانب بـ « رجال اخبار » وبعضهم بـ « رجال آراء وتعليقات » والفرق بين هؤلاء واولئك كبير فرجل الاخبار هو النبراس في البحث الذي يتحرى الحقائق ويتصيد الاخبار وله ملكة خاصة في التقصي وهو بلا شك الممثل النموذجي لوكالة انباء يشعر



وهاكم ... وجهاً من وجوهها الحديثة

بغبطة كبيرة اذا تمكن من الحصول على خبر قبل كل شخص آخر ولو بخمس دقايق .

اما رجل « الآراء والتعليقات » فيختلف عنه اختلافاً بيناً ، فكل ما يهمه ان يكون لنفسه رأياً خاصاً في التطورات التي يمكن ان تصحب حالة سياسية او حربية معينة ، وذلك بعد مقارنته بين الحقايق والاخبار المختلفة ، وهو يلخص الموقف كل مساء قبل ان يأوي الى فراشه . ولكلا النوعين من رجال الصحافة أهمية ، وليس لاحدهما غنى عن الاخر . فرجل الاخبار يقوم بجمع الاخبار المختلفة بينما رجل الاراء يتولى ايضاح هذه الاخبار .

وصفوة القول ان الصحافة قوة هائلة ، ففي وسعها العمل على ترسيخ قدم الخدمات كما في وسعها العمل على اسقاطها ، ومساعدة الشعب على فهم الامور ،



الـ B. B. C. بلندن

واحياء القوة المعنوية في الجمهور ، وتثقيف القراء واجبار ولاة الشأن على القيام بامور معينة او عدم القيام بها ، وعلى الصحافة واجب هام لا بد لها من أدائه . وهذا الواجب تتضاعف اهميته في زمن الحرب .

قبلة

« هدية للقصيدة السوداء » للشاعر امين نخلة »

عالمُ بكرٍ ، وألوانُ عذارى يتراءينَ على الهدبِ حيارى
زقّهن الحلمُ . اغواهنّ . فانسقن للحلم ، وهفهفن سكارى
وتعرّين على ضفّته ، وتعرّى . وتطايرن ، وطارا
غمْنَ في رفرفه . في زرقةٍ حلوةٍ ، لمّت جناحيها اطارا
زورقٌ عبر الرؤى مستسلمٌ غمس المجذاف في النور وسارا
هالةٌ . مبهمةٌ ، هائمةٌ عقد الطيبُ حواليها ومارا
تمّ الثغرُ فزافتْ . ودعا فاستدارت في الحفافي ، واستدارا
هزّها فانسربتْ في حضنهِ توقظُ الشهدَ ، وتغري الجلّنارا
دغدغتْ برعمَه ، فاستيقظ البرعمُ الاحمرُ . وانشقّ ، ونارا
مدّ للأحلامِ في نشوتهِ شفةً حيرى واشواقاً حيارى
قبلةُ بكرٍ . قد التفّتْ على شفةٍ بكرٍ ، واهدابٍ عذارى
شفقٌ ساجٍ . ولحنٌ ناعم ايقظا في غفوةِ الليلِ النهارا

وصفي قرنفلي — حمص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاهداف الناحية الجسمية في التربية اللبنانية

لنبر النصولي
استاذ علم النفس والتربية بدار المعلمين الرسمية

ان اهتمام الامم منذ العهد القديم حتى يومنا هذا بالتربية البدنية، اهتماماً كلياً يجعل افرادها يزدادون قوة ونشاطاً من الناحية الجسمية، والخلقية والعقلية، يدفعنا للتفكير ملياً في مثل هذا الموضوع الجليل الذي ما زال مدار بحث الفلاسفة والعلماء. فمنهم من يتخذه واسطة في سبيل ادراك غاية، ومنهم من يقرر تأثيره في الفرد الكائن، وما ينتج عنه من مسببات في تكوين الهيئة الاجتماعية. فلقد كان قدماء اليونانيين يمرنون ابناءهم على العاب القوى حتى يصبح الفرد جديراً بان يكون مواطناً. فغاية التربيه البدنية عندهم تنحصر في تكوين افراد اشداء يعملون على اسعاد الامة. ولم ينظر الرومان وهم في اوج عظمتهم الى تلك الناحية المادية الا في سبيل خدمة فكرة روحية سامية، الى ان تبدل معنى السعادة في نظرهم، فانقلبت قيمهم الاجتماعية وتدهورت حضارتهم واذا بانحطاطهم الشامل يصبح في تاريخ الامم عبرة لمن يعتبر. فالعلماء في دراستهم لعلم وظائف الاعضاء، وعلم التشريح الانساني يتوخون من الرياضة البدنية تطبيقاً لقوانين علم الجسم، فبذلك يحافظون على صحة الاعضاء، وغوها، حتى ان التربية البدنية اصبحت اداة يتوصل العالم بواسطتها الى مداواة الاعضاء في حال اعتلالها. واذا ما تكلمنا عن العلماء فلا بد ان نشير الى علماء النفس الذين يرجون عن طريق التربية البدنية تحسيناً في المنطقتين الخلقية والعقلية ويبتغون تكوين الفرد المثالي، المتناسق القوى في مواهبه. بينما يرى علماء الاجتماع في التربية البدنية وسيلة لتكييف الفرد حسبما يقتضيه المجتمع. فلو طاب لنا ان نستعرض بعض المذاهب في التربية البدنية لرأينا « Yahn يهن » يتخذ التربية البدنية سبيلاً لتكوين الرجل الجندي في جسمه وخلقه، بينما يحلم « Ling لنج » وهو مبتدع الطريقة السويدية في تكوين صحة جيدة تقوم على تناسق في نمو الاعضاء الجسمية وقد انشأ سنة ١٨١٤ معهداً في ستوكهولم، فلعب دوراً هاماً في عالم الرياضة وانتشرت طريقته في جميع انحاء العالم. وكانت سنة ١٨١٨ حينما اهتم « امروس Amoros » بتنظيم « الجمنستيكية » في فرنسا، فنظمها تنظيماً يستهدف تلك التربية السامية في تنمية الحواس والذكاء والخلق، وقد كان لبستالوزي وروسو الاثر البين في هذه الطريقة.

ثم عقبه (دمني Demny) مستنداً الى اسس علمية، فاستقى ما طاب له من اصول التربية السويدية والاموروسية والعاب القوى، غير مكترث بذلك الهدف الذي نسعى اليه الا وهو اعداد النشء للحياة. واقد كان لدلكروز Dalcroze في العصر ذاته شأن عظيم في الرياضة التوقيعية، فتتخذ الحركات شيئاً من رشاقة الرقص في مرافقتها للانغام الموسيقية. الى ان اتى مؤخراً « جورج هيبير Hébert » ينشر على العالم طريقته الطبيعية، فضم اليه اتباعاً كثيرين. وهذه الطريقة المثلى في نظر اتباعها تعد الانسان اعداداً جسمياً واجتماعياً في وقت واحد. فتربي في نفوس المتدربين الحس الاجتماعي الذي يدفعهم الى الالفة والمعاضدة، والاخلاص والتضحية. فهي لا تطلب منك ان تتمرن فقط على حمل الاثقال، او على السباحة لمسافات طويلة، بل تريدك ان تتدرب ايضاً على نقل جريح، وانقاذ غريق، فني نقل الجريح وانقاذ الغريق سرور لا يعادله اي سرور من الوجهة التعاونية. ان هذه الطريقة تدربك ايضاً على مجابهة الصعاب التي تعترض سبيلك في هذه الحياة. فهي تطابق في مبادئها ما تمشت عليه الكشفية، فكان لها صدى تجاوب في نفوس قادة الكشاف فاعتمدت هذه الطريقة رسمياً لتدريب الكشافين في جميع انحاء العالم. واما مدرسة « Des Roches » في باريس فهي منار يهتدي بها علماء التربية البدنية، ليطلعوا على محاسن هذه الطريقة، فيشروا بها في الاوساط التربوية. ويعتقد الملازم الاول هيبر بان طريقته الطبيعية هي احسن طريقة وضعت لتكوين جسم صحيح متين وهو يستشهد بتلك القبائل المتوحشة التي نرى افرادها — وهم في حضن الطبيعة يقرمون بتمارين عديدة، كتسلقهم الاشجار، وجريهم وراء الحيوانات وغير ذلك — يتمتعون بصحة جيدة، وباجسام قوية. بعد ان استعرضنا هذه الطرق العديدة التي لم تخل من انتقادات علمية، سواء أكان ذلك من الوجهة الفزيولوجية، ام من الوجهتين النفسية والاجتماعية، يجدر بنا ان نستعرض سريعاً الحركة الرياضية في لبنان، كيما نستفيد من خاصة هذه البيئة واستعداد مواطنينا فنضع هدفاً لهذه التربية الجسمية التي نحن بصددها. فلبنان، هذا الوطن العزيز، الخصب برجاله، قد لوحت حرارة شمسه بشرة شباب جباله ووهاده، سهوله، وهضابه، ففتلت منهم السواعد، واذا بهم في فسحة القرية يلتفون حول «جرن»

ويتبارون على رفعه ، فيفاخرون بما وهبتهم طبيعة لبنان من قوة البدن ، ولطالما كان لهم القدح المعلى في هذا المضمار ايفار حلوا وايفا حلوا . لقد اشتهر المهاجر اللبناني في اميركا بقوة جسمه ، وتحمله الصعاب فكان ان ميزته هذه الصفات عن سواه ، فاذا هي مصدر ثروته .

واما الرياضة المنظمة عندنا فتنحصر في الرياضة المدرسية ورياضة النوادي . قامت المدارس الرسمية والخاصة تشجع الرياضة البدنية وتنشر لواءها في جميع انحاء لبنان ، والفضل في تدريب النشء على الطريقة السويدية يعود الى المدارس اللاتينية التي اظهرت مقدرة فائقة في ترتيب الحفلات الرياضية السنوية ، ترتيباً متناسقاً ، تتماوج فيه حركات الاعضاء بنظام ورشاقة . وكانت هذه المدارس من جهة اخرى تعتمد الطريقة الاموروسية فتمرن البعض من طلابها على الالعاب « الجمنستيكية » ، الى ان جاء مؤخراً الى هذه البلاد الاستاذ « روش » يحض على اتباع مبادىء « Hébert » بينما الجامعة الاميركية كانت وما زالت المركز الرئيسي لالعاب القوى فهي التي شجعت كلاً من الافراد على اظهار استعداده فاذا بابطال السباحة ، والجري ، والقفز ، والكرة يلمعون في مضمار يسر الناظرين . ولا بد لنا في هذه المناسبة من ان نشير الى كرة المضرب « التنس » التي لاقت اهتمام الجامعة الاميركية ايضاً ، فافسحت لها ، وراحت تعزز مكانتها لما هي عليه من فوائد جمة يجنيها الجنسان : الخشن واللطيف .

ولقد دعت الجامعة الاميركية الى اشراك المدارس في مباريات عامة تقوم على ملاعبها في كل سنة ، حباً في جعل الرابطة الاجتماعية وثيقة بين طلاب المدارس مهما كان لونها . واننا لن ننس ميزات لبناننا الطبيعية . في الشتاء ، عندما تعلو الثلوج تلك المرتفعات ، وترى المتزلجين منتشرين عليها يخيل اليك انك في الجبال السويسرية التي طالما تغنى بها الكثيرون . ان هذا النوع من الرياضة الشتوية غزت بلادنا فوجدت ارضاً خصبة ، فتألفت بعض النوادي واذا الهواة يتوافدون من كل حدب وصوب .

تجاه هذه الحركات العديدة ، التي تستقي من شتى المذاهب ، وترتدي طابعاً مختلف الالوان ، نرى لزاماً علينا ان نسعى الى توحيدها في سبيل هدف واحد الا وهو اعداد اللبناني المواطن الصالح للحياة . فالاستاذ كوفلنكو ، خريج اشهر جامعات اوروبا في الرياضة البدنية والقائم على الحركات الرياضية في بعض المدارس الخاصة عندنا منذ عدة سنوات ، يقول عن اختبار ، اننا نندفع في حقل الرياضة اندفاعاً هائلاً ، دون ان نهتم بالقواعد العلمية الصحيحة .

وهذا قد يؤدي بنا الى شذوذ مع انه يقتضي على الجماعة كما يقتضي على الفرد ، كيما تحافظ على كيانها ووحدتها ، ان تقاوم الاسباب التي من شأنها ان تشذ بالنوع وتؤدي به الى الهلاك .

فنحن في عصر تكتنفه متاعب المدنية ، فتتوتر الاعصاب وقد تنتهك ان لم يبادر الى اراحتها عن طريق الرياضة ، وذلك بالسيطرة عليها بواسطة ارادة قوية . فعلى الرياضة ان تستهدف تكوين ذلك الشخص المتناسق بقواه الجسمية والعقلية والخلقية .

فالاستاذ كوفلنكو من جهة اخرى ينتقد طريقة هيبر لانها تطلق الحرية الى المتدربين ، مع انه في ضبط الحركات ضبطاً فنياً نجد سيطرة داخلية تساعدنا مساعدة كلية على توجيه سلوكنا .

فاننا بعد ان عرضنا اهداف مذاهب كثيرة ، وبعض آراء الاساتذة يمكننا ان نجزم باننا بحاجة الى رياضة تتفق وطبيعتنا ، وقد يجدر بنا ان نتبصر فيما يقوله « سبنسر » .

«ان الشرط الاول للنجاح في هذه الحياة هو ان يكون الانسان حيواناً قوياً . وان الشرط الاول للسعادة القومية هو ان يكون القوم مؤلفاً من حيوانات قوية صالحة ، وكما ان الظفر في الحرب يرجع في الاغلب الى قوة الجند وشجاعتهم ، كذلك الفوز في النزاع الاقتصادي ايضاً يعزى الى تفوق المنتجين في قواهم البدنية » .

فالرياضة البدنية اذاً يجب ان تستهدف فكرة روحية سامية ، فعلى كل لبناني ان يسعى جهده في سبيل اسعاد مجتمعه .

فاذا ما استهدفت بلوغ تلك الروح القومية اللبنانية ، عملت على ايجاد مواطنين اصحاء جديرين بقوميتهم ، ففي المصانع وفي الحقول تراهم يعملون بهمة ونشاط غير مبالين بالصعاب .

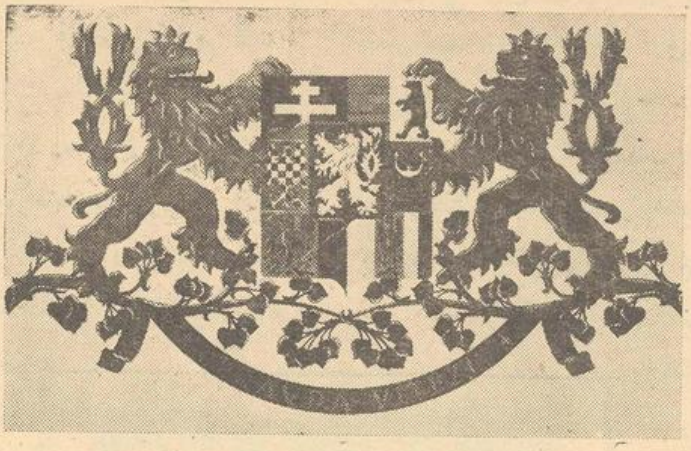
وهكذا تصبح الرياضة العامل الاكبر في مساعدة التوجيه المهني في المجتمع على ان لا تقع في الخطأ الذي وقع فيه بطرس يوماً في ان الاجدر بالنوتية ان يعتادوا شرب الماء المالح ، فاصدر امراً يقضي على تلامذة البحرية بان لا يشربوا غير ماء البحر ، فكانت نتيجة هذه التجربة موت التلامذة جميعهم ، لأن للاجسام قوانين خاصة بها ، يقتضي مراعاتها ، والاّ فيلحق بها الضرر .

فلنا ان نضع منهاجاً يوحد الانظمة الرياضية في جميع المدارس ، وتجعل الرياضيين خاضعين لامتحانات رسمية ، وان ندرب من يقوم على النوادي الاهلية تدريباً فنياً .

لقد قررت وزارة التربية الوطنية ان تعهد الى اخصائي قدير في هذا الموضوع ليقوم بوظيفة مفتش الرياضة ، فعسى ان يكون هذا فاتحة خير .

منير النصولي

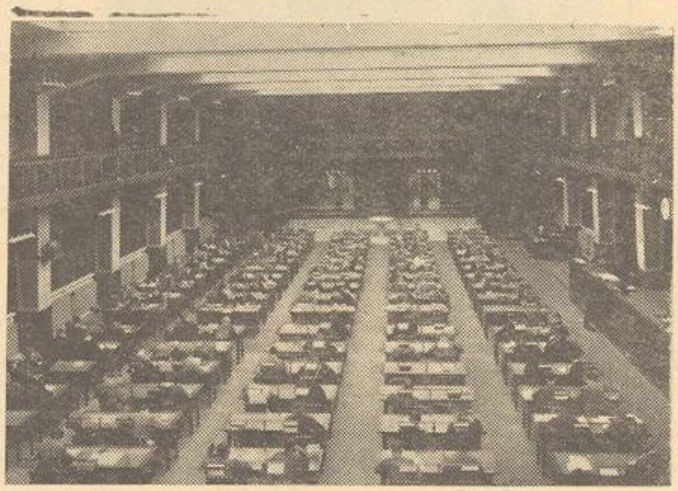
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



القوى الروحية في تشيكوسلوفاكيا

كان عهد الملك كارلس الرابع ذهبياً في بوهيميا . وبوهيميا هي الدولة التي كانت نواة في الاجيال الوسطى وما قبلها للدولة الكبرى التي اسسها بنوها بعد الحرب العالمية الاولى ودعوها تشيكوسلوفاكيا . اما كارلس الرابع فجعل بوهيميا مركزاً عليا للامبراطورية الرومانية المقدسة . وأوجد في التشيكيين شعوراً بعلو مقامهم في العالم لم ينسوه بعد ذلك قط . وكان المركز الذي احرزوه في السياسة والقوة العسكرية والثقافة والثروة المادية دافعاً لهم الى شعور جديد بما اجتمع لهم من المقدرة . فتهذبت اخلاقهم من نواح متعددة وتوفرت لهم مزايا وسجايا لا تولدها الا الحرية والطمأنينة .

ولما هبّت في فرنسا نار الثورة الفرنسية لم يلبث تأثيرها ان ظهر في تشيكوسلوفاكيا فأعلن شاعرها السلوفاكي جان كلر ان رسالة كل سلافي في هذه الحياة مؤسسة على ايمانه بالانسانية . ولهذا قال : « كلما دعوت سلافياً وجب على احد ابناء الانسانية ان يلبي » . وكان الفيلسوف ليبيتز الالماني ينسب فضيلة خاصة الى جميع السلاف . والشاعر الالماني هرور يعتقد « ان العنصر السلافي انما وجد ليملأ العالم محبة حقيقية ويدرك مثال الحب الاعلى بين البشر على الارض » .



ردهة المكتبة الكبرى في جامعة شارلز في براغ

وجاء عهد نبوليون الاول . وهو عهد اختمر في جميع اوربا فأحيا في بوهيميا روح القومية الوطنية . لكنه احدث رد فعل شديداً في صدور ملوكها الهبسبرجيين ضد الحرية والمساواة التي اطلقتها الثورة الفرنسية من عقالها وسرحتها بين الناس فزالت الامبراطورية الرومانية المقدسة سنة ١٨٠٤ وحلت الامبراطورية النمسوية محلها . وأدمجت تشيكو — سلوفاكيا . فيها . لكن جهود التشيك لحمل الحكومة الملكية على الاعتراف بقوميتهم لم تمت . اجل انها كانت ادبية في مظهرها .

فلم تتعد المنشورات والكتب . فاعاد الاستاذ بالاكي وغيره من اعلام الكتاب الى التشيك رغبتهم في درس تاريخهم المجيد . وجعلوا للغتهم قيمة عملية مستقلة . ونشأ رجال من الطبقتين الوسطى والسفلى تطوعوا لخدمة الثقافة وصاروا رسلاً للعلم يبثونه مجاناً في جميع المدن والقرى . على ان آمالهم اصطدمت بثورة عام ١٨٤٨ وتحطمت . ثم نشبت الحرب بين النمسويين والبروسيين فانهزم الاولون وهبت كل العناصر الخاضعة لحكم النمسا تطلب الاعتراف لانفسها بما لها من حقوق . هكذا صرح المجر والسلاف والتشيك والكروات والبولنديون . لكنهم لم يتفقوا مابينهم بل كان كل عنصر يطلب لنفسه احتياجاتها غير مبال بالآخرين . ولذلك امكن الحكام النمسويين ان يظلو قابضين على اعناق الجميع . وذابت تلك العناصر ظاهراً في ما دعي من ذلك الحين امبراطورية النمسا وهنغاريا .

على ان التشيك لم يتخلوا عن ميدان الجهاد . وكانوا يرون في السلوفاك دائماً اعواناً لهم في مطالبهم الادبية . وظل نواب الفريقين في مجلس الريخسرات يستخدمون نفوذهم السياسي لاحراز امتيازات لشعبهم المزدوج بطريقة دستورية . وكان نفوذهم السياسي يتزايد بالقوة الاقتصادية النامية في بلادهم بين سكان بوهيميا وموراڤيا . فقد كان الفلاحون منهم يعالجون الاراضي الخصبة ويستغلون خيراتها الزراعية . واندفعت الطبقة الوسطى التشيكية القوية في ميادين التجارة والصناعة والمالية .

وقد عرفوا جيداً اثر الثقافة العامة في حياة الشعوب . فانشأوا المدارس في كل مكان وجعلوها سلالم موصلة الى جامعة براغ الشهيرة التي كانت تعد من افضل جامعات اوربا ، كما هي من اقدمها عهداً واعجدها تاريخاً . وهي الجامعة التي كيفت الخلق التشيكوسلوفاكي واحسنت توجيه الروح القومية الهادئة المطمئنة . وجعلت هذا الشعب المقيم في قلب اوربا يجتنب الاشواك والادغال التي تخبطت في آجامها الشعوب المحيطة به من كل جانب . وظل على بكرة ابيه ديموقراطياً حراً رغم الادوار المختلفة التي تقلبت عليه . وجاهد ابناؤه في الحرب العالمية جهاد المستميت حتى نالوا من الحلفاء تأييداً لاستقلالهم الذي اعلنوه بانفسهم قبل انهيار المانيا والنمسا باسبوعين . وحفظوه نقياً من كل وصمة خلال العشرين عاماً التي قاسى فيها جيرانهم ضروب الويلات والمحن .



تمثال ديانا وبسيشي وهو قائم في احد اروقة جامعة شارلز

*

اجل ان حكم النازي في المانيا غدر بهم واعتدى فجأة عليهم .

لكن كل دارس للتاريخ يرى هذه النكبة على حرية تشيكوسلوفاكيا سحابة صيف لا بد ان تنقشع . لان الحرية الراقية المتأصلة في اعماق عروق هذه الامة النبيلة لا يمكن ان تؤثر فيها العوامل الهتلرية السطحية ولا تمس جوهرها بسوء .

ان النار تصهر الذهب لكنها لا تذيبه بل تزيده لمعاناً .

ا . غ .

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

موسكو في ٢٦ ايلول – عاد المستر وندل ويلكي من زيارته لمناطق القتال ، وقد اشاد بعظمة الدفاع في مختلف الميادين الروسية التي زارها .

لندن ٢٦ – تم احتلال تاناناريف عاصمة مدغسكر من قبل القوات البريطانية .

القاهرة ٢٧ – ينتظر وصول الدكتور اورا مورجان رئيس القسم الاقتصادي في جامعة كولومبيا لدراسة الوسائل التي تساعد على زيادة الانتاج في البلدان العربية .

انقرة ٢٨ – ارسلت جمعية الهلال الاحمر التركي الف طن من الدقيق الى الشعب اليوناني الذي يعاني آلام الجوع ، وتفيد انباء اليونان ان حالة الطعام فيها ما تزال خطيرة .

مكة المكرمة ٢٨ – اعلن رسمياً ان جلالة الملك عبد العزيز آل السعود امر بانشاء مطاعم شعبية في جميع انحاء المملكة العربية السعودية على ان تكون هذه المؤسسات دائمة طول ايام الحرب .

القاهرة ٢٩ – انشأت شركة الطيران الامبراطورية خطاً جوياً منتظماً كل اسبوعين بين جدة والقاهرة ماراً ببور سودان .

بونوس ايرس ٣٠ – وافق مجلس النواب الارجنتيني بالاكثرية على قطع العلاقات الدبلوماسية بين الارجنتين ودول المحور وفاقاً لمقررات مؤتمر الدول الاميركية المنعقد في ريو دي جانيرو في شهر كانون الثاني الماضي .

بغداد – تقرر ربط العراق بايران بخط جوي منظم .

لندن – في انباء فيشي ان المسيو هريو رئيس مجلس نواب فرنسا سابقاً ورئيس بلدية ليون اعتقل وفي نباء آخر ان جميع الموظفين العدليين في حكومة فيشي من ابناء الالزاس واللورين استقالوا احتجاجاً على معاملة الالمان لابناء وطنهم .

نيويورك – القى اللورد هاليفاكس سفير انكلترا في الولايات المتحدة الاميركية خطاباً قال فيه « باستطاعتنا ان نقول مع التأكيد ان انتاج بريطانيا الحربي يفوق اية دولة اخرى مع مراعاة نسبة عدد السكان فان بريطانيا وعدد سكانها ٤٧ مليون تنتج من الطائرات بقدر ما تنتجه المانيا وعدد سكانها ٨٠ مليون . وقال لقد بلغ انتاجنا بالدبابات ثلاثة اضعاف ما كان عليه منذ ثمانية اشهر . ونسبة انتاجنا في السفن يزيد ٢٣ بالماية عما انتجناه في الحرب الماضية .

واشنطن – جاء من شونغ كونغ ان المستر وندل ويلكي مندوب الرئيس روزفلت كان ضيف شرف في مأدبة اقامها الماريشال شان كاي شك، وقد خطب الماريشال مظهراً اعمال التخريب والتدمير التي حصلت في الصين على يد الجيوش اليابانية ، وختم كلامه فوز الصين في النهاية على المعتدين الغادرين .

عمان ٥ ت١ – اجتمع في مركبة سكة حديدية في معان اعضاء مؤتمر درس الطريق البري للحج الذي يصل سوريا بالحجاز ، وكان في المؤتمر وفود سوريا وشرقي الاردن والمملكة العربية السعودية .

لندن ٦ ت١ – عهد الجنرال ديغول الى الكابتان فالين نائب رئيس الحزب الاشتراكي الفرنسي السابق والذي وصل اخيراً الى لندن بمهمة خاصة الى الجنود الفرنسيين على حدود تشاد – ليبيا .

واشنطن ٧ – اعلنت وزارة الحربية الاميركية انها اخذت على عاتقها نقل الاعتدة والذخائر والجنود الى الشرق الاوسط بالطائرات .

لندن – لاول مرة قذف الالمان بقوات بروسية من نوع الكتائب الفدائية في معمعة القتال في ستالينغراد وبعد اربع وعشرين ساعة ردت هذه الكتائب بعد ان كبدت خسائر فادحة .

بغداد – اعلن ان فخامة نوري باشا السعيد الف الوزارة العراقية الجديدة وهي تتضمن ستة اعضاء من الوزارة السابقة المستقيلة وثلاثة وزراء جدد .

لندن ١٠ – اقر مجلس النواب البريطاني سياسة الحكومة في الهند باغلبية ٣٦٠ صوتاً ضد ١٦

لندن – وجهت الحكومة الالمانية انذاراً الى حكومة الدانمارك يتضمن وجوب تسليح جميع السفن التجارية الدانماركية وارسال مواد غذائية اكثر الى المانيا وان تعلن الحرب على روسيا ، وان ترسل العمال الى المانيا وان يكون للغستابو حق التعاون مع البوليس الوطني في اقتفاء اثار الذين يرتكبون اعمال التخريب والتدمير .

لندن ١١ – وجه الماريشال بتان نداء آخر الى العمال الفرنسيين يدعوهم فيه للسفر الى المانيا للعمل في معاملها الحربية كما ان لافال وجه نداء مماثلاً بالراديو .

بيروت – انتهت المفاوضات بين الحكومة اللبنانية وبين ادارة مصرف سوريا ولبنان على اتفاق بين الجانبين على رصد مبلغ خمسة ملايين ليرة لبنانية مصرف زراعي في لبنان .

القاهرة – اصبحت القاهرة متصلة رأساً بنيويورك بخط جوي طوله احد احد عشر الف ميل ويستغرق قطعة ٨٤ ساعة ، يخصص هذا الخط لنقل المعدات والمؤمن من اميركا الى مصر وسائر انحاء الشرق الاوسط .

لندن – في انباء فرنسا ان الالمان منحوا لافال مهلة جديدة تنتهي في آخر الشهر الحالي لايجاد المئة والخمسين الف عامل المطلوبة من حكومة فيشي .

واشنطن ١٣ – طلب وزير الحربية الاميركية من رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ ان يوافق الكونغرس على مشروع قانون يقضي

بتجنيد الشبان البالغ عمرهم ١٨ عاماً ، وقد صرح المستر روزفلت في مؤتمر الصحفيين بان اللجنة الخارجية والعسكرية في مجلس النواب ستوافق على المشروع .

نيودلهي – قررت حكومة الهند ايفاد بعثة من العمال الى روسيا وربما بعثت روسيا بوفد من العمال السوفيات الى الهند .

لندن – وصل لندن الماريشال سمطس رئيس حكومة جنوبي افريقيا وصرح بانه جاء ليتباحث مع المستر تشرشل في شؤون الحرب العامة ، وقال بصدد الجبهة الثانية ان الحلفاء اصبح بامكانهم الانتقال الى الهجوم في اي وقت ارادوا .

واشنطن – عاد المستر وندل ويلكي من رحلته في العالم وقابل المستر روزفلت

استمبول ١٥ – وقع خلاف بين الالمان والطليان بصدد احتلال البترول الجنوبي ، ويبدو ان الالمان يرغبون في انشاء منطقة توغل نحو البحر الابيض عبر الاراضي التي يحتلها الطليان ، ولا تخفي الشخصيات الالمانية نفاد صبرها من الايطاليين كما انهم لا يكتمون المعارضة القائمة في ايطاليا بشأن التحالف الايطالي الالماني وبات كثير من الايطاليين يتحدثون بصلح منفرد بين الحلفاء وايطاليا .

استمبول – اعلن ان ثلاثماية الف يوناني ماتوا من الجوع منذ الاحتلال الالماني حتى اول الشهر الحالي .

دمشق ١٦ – وصل الى العاصمة السورية المستر مورغان استاذ الزراعة والاقتصاد في جامعة كولومبيا وقد قابل رئيس الوزارة ، والمستر مورغان يقوم برحلة في البلدان العربية لدرس الطرق التي تؤدي الى زيادة الانتاج الزراعي .

واشنطن – اعلنت نظارة البحرية ان فصيلة من الضباط والجنود التابعين لفرنسا المحاربة وصلت الى بعض المرافيء الاميركية في طريقهم الى قاعدة جوية اميركية وهو اول فوج من طياري فرنسا المحاربة يصل الى الولايات المتحدة عملا بالاتفاقية المعقودة بين اميركا وبين فرنسا المحاربة .

استمبول ١٧ – يقال ان الجنرال غودريان قائد المصفحات الالماني في الجبهة الروسية الوسطى قد قتل في معارك الصيف الماضي .

برن – تدل الانباء الواردة من ايطاليا ان ثمة حركة تمرد وعصيان خطيرة في الجيش الايطالي ونشرت جريدة لاسويس نبأ جاء فيه ان فريقاً من اعضاء الفاشيست وضباط الجيش الناقمين على الحالة الحاضرة عقد اجتماعاً في ميلانو .

موسكو ١٨ – اذاع راديو موسكو ان الموقف في ستالينغراد قد تحسن كثيراً ، وقال ان الالمان اعتمدوا اساليب جديدة في الاعمال الحربية .

انقره – احتفلت تركيا احتفالا كبيراً بمناسبة الذكرى الثالثة على توقيع التحالف الثلاثي بين انكلترا وفرنسا .

مانشستر ٢٠ – صرح الكولونيل نوكس وزير البحرية انه سيكون لهذه البلاد عام ١٩٤٣ اكبر اسطول عرفه العالم سواء بالعدد او بالنوع .

واشنطن – تلح الصحف الروسية في المطالبة بمحاكمة الهر « هس » بصفة كونه احد المسؤولين الالمان عن فظائع هذه الحرب .

بيروت – بات من المرجح ان يتم الاتفاق بين الحكومة وبين التجار على ان يقدم التجار للحكومة ضريبة مقطوعة عن ارباح الحرب الاستثنائية قدرها اربعة ملايين ليرة لبنانية يجمعها التجار من الذين استفادوا من ارباح الحرب على ان تنظر الحكومة فيما بعد بفرض ضريبة على الدخل .

واشنطن – رحب الرئيس روزفلت بدخول الحبشة في مصاف الامم المتحدة فاصبح عدد الامم التي تقاتل المحور ٢٩ امة .

بيونس ايرس – اعلن الدكتور كارلس لاباث انه تمكن من اكتشاف طريقة لنقل الدم من شخص الى آخر في مدة ثلاث دقائق و٢٠ ثانية ، وقد ابدت السلطات العسكرية الارجنتينية اهتماماً لهذا النبأ وقررت ادخال هذا الاكتشاف في القسم الطبي للجيش .

عمان – تمت انتخابات المجلس التشريعي في شرقي الاردن بهدوء لم يسبق له مثيل وقد اسفرت الانتخابات عن بقاء نصف الاعضاء في مناصبهم .

انقره – بالنظر للحاجة الى الاقتصاد بالوقود قررت الحكومة تطبيق قرار وقف الاضاءة في المحلات العامة بعد الساعة العاشرة ليلا .

واشنطن – ٢٢ – صرح ناطق بلسان الاستعلامات الاميركية ان لدى الالمان ٦٨٣ الف اسير روسي بخلاف ما يدعيه الالمان في تصريحاتهم بان لديهم عدداً يتراوح بين ثلاثة وخمسة ملايين اسير روسي .

لندن – صرح الجنرال سمطس رئيس الوزراء في جنوب افريقيا في خطاب القاه اليوم امام اعضاء البرلمان بقوله انه حان وقت الهجوم ومن العبث التأخر لزيادة الاستعداد فقد تضيع الفرصة .

موسكو – اذاع راديو موسكو نص الرسالة التي بعث بها الرئيس روزفلت الى الشعب السوفياتي جاء فيها ان مقاومتكم الجريئة اعطتنا الوقت الكافي لاخراج سلاحنا بحيث نستطيع في الوقت المعين ان نشترك في انتصاركم ونحن الاميركيون فخورون بان نكون حلفاءكم »

موسكو – مضى اليوم شهران على ابتداء القتال في ضواحي ستالينغراد قام الالمان خلالها بهجمات صاعقة كثيرة ولكنها فشلت كما فشلت الخطط التي كانت ترمي الى شطر المدينة .

لندن – اعدم الالمان ٢٢ طالباً في صوفيا بتهمة القيام بالحركات الشيوعية وحكمت الحكومة على عشرة بالسجن .

نيويورك – اعلن عن فيشي ان السلطات الالمانية في باريس ستعمد الى اخذ العمال الفرنسيين الى المصانع الالمانية بالقوة .

القاهرة – شن الجيش الثامن هجوماً جديداً كبيراً على مواقع العدو في صحراء مصر الغربية ، وقد اخترقت القوات الحليفة مراكز الدفاع الالمانية الايطالية ، بعد ان مهد طيران الحليف بسلسلة غارات متواصلة منذ ايام على مراكز العدو الامامية وعلى قواعد تموينه واحتشاد جيوشه .

برلين ٢٥ – وجه غوبلز نداء الى الشبيبة الهتلرية جاء فيها « لا يمكن لاحد ان يعلم اية تجارب قاسية يخبئها لنا ايضاً هذا النضال من احل كياننا ، اننا اليوم نجابه عالماً كبيرا يريد محونا وليس ثمة سوى قوة واحدة كفيلة بضبط هذه التجارب هي قوة المبادىء » ثم اشار الى الهوة العميقة التي تفصل المانيا القديمة عن الشباب النازي .

قبر طولون

اوحت فاجعة الاسطول الفرنسي في طولون ، التي تجلت فيها البطولة الفرنسية باروع مظهر وابعد مدى ، الى الشاعر الكبير الاستاذ الياس ابو شبكة ، ابياتاً بليغة اعرب فيها عن عاطفته الصادقة وفي الوقت نفسه عن اعجاب العالم قاطبة . وقد آثرنا ان نزين بها صدر هذا الجزء من « الاديب » .

يا فرنسا ، لكِ هذي الاحرُفُ : فقد المالُ وعاش الشرفُ
منذ « بافي » (١) وهي في كلِّ فم وعلى كلِّ حسام هدفُ
حِطَمُ الدنيا لحينٍ تقتنى والى حينٍ يعاش الترَفُ
يؤخذ الحظّ ويشرى مثلما تؤخذ البهمُ ويشرى العَلَفُ
انما الاخلاقُ حالٌ ثابتٌ وهي امّا ذهبٌ أو خزَفُ
ان تَهُنْ ما ارتفع اليسرُ بها أو تَسُدْ ما أسقطتها الكَلَفُ
نسلك الباسل في آدابهِ من سما الحقِّ ظِلَّ مورِف
تَرِكةُ الاجداد في أعراقهِ ما بأبنائكِ عُقَّ السَّلَف
روحُ دوغي ترتمي في كلِّ فتى من بنيك الصيد صوتٌ يهتف
يا فرنسا ، للوفا أنتِ يدٌ وعلى العدل دمٌ لا ينشف
جنَّ فيكِ اليوم حُبٌّ رائعٌ أندى في يدهِ أم سَرَف
أنكرَ الباغي ، وما أجهلهُ ، أنَّ للمظلوم يوماً يأزَف
واذا مستشهدٌ في طَرَف واذا في طَرَف معترف
منذرٌ بالويل في استشهاده نقمة الاسلافِ هذا الخَلَف
ما بطولون ضحايا غيّبت انَّ في طولونَ قبراً يزحف
دمُكِ الثائر في جدرانهِ فكرةٌ تشهى وروحٌ تعصف
يا لها ملحمة فجرتِها فهي في كل سماء طُرَف
كل مرسيلياز ما أنشدها عبقريٌّ منكِ ليست تعزَف
يا فرنسا ، ما رأت عين الوفا مثل ما أعطى بنوكِ الانف
عشتِ للمجد وعاشت للعلى شيمةٌ تبنيك في ما تتلف
ليست القوّة جيشاً باذخاً انما القوّة هذا الشرف

الياس ابو شبكه

« ١ » Pavie مدينة ايطالية غلب فيها شرلكان ، ملك اسبانيا ، فرنسيس الاول ، ملك فرنسا ، عام ١٥٢٥ ، فكتب هذا الاخير الى امه يقول : « لقد خسرنا كل شيء الا الشرف . »

بارك الله في عمر

●

اهدى الاستاذ عمر فاخوري نسخة من كتابه (لا هوادة) – منشورات « الاديب » – الى شاعر العصر خليل بك مطران فكان من ذلك فرصة موفقة لاتحاف الشعر العربي برائعة من روائع المنظوم . وشفع شاعرنا الجليل قصيدته العصماء بكتاب رقيق الى المؤلف قال حفظه الله :

« بعد التحية والشوق والاكرام – لا أدري ما أبقى الدهر مني غير النية الصادقة والوفاء . وهذه النية وهذا الوفاء قد اوحيا اليّ ابياتاً امليتها على كاتبي ، وابعث بها على استحياء ، ولا ارجو لها قبولاً الا بقدر ما تغتفر للضعف . اثابك الله اكبر اثابة فانت بها جدير ، ومدّ في ايامك لتزداد بك مناهل الضاد واهلها . »

القاهرة في ٨ نوفمبر ١٩٤٢

خليل مطران

حقّ لبنان ان فخر   بارك الله في عمر
هو والوحي ساهر   والدجى تبعث الفكر
جلّ ما يبتغيه من   طول نجواه والسهر
ايّ سر به يضيء   من الليل ما اعتكر
فيرى الرأي حينما   خفي الورد والصدر

*

فطنة دون سؤلها   ليس للغيب مدخر
وضمير مثقف   ينصر الحق ما قدر
بأسه يصدع الجمود   ويقضي على الخور
وبيان لسحره   في النهى بالغ الأثر
فيه ما فيه من حلى   باهرات ومن غرر
ويسوق العظات في   فكهات من السير
آية تلو آية   في لطاف من السور
ان غناها لبنان لم   تتنكر لها مضر

*

ايها الكاتب الذي   ينفس الشعر ما نثر
المبين البليغ في   وصف ما بان واستتر
نحن واحسرتا جهلنا   وفي جهلنا الغرر
فقل الفصل في الامـ   ـور ودع لغو من هذر
علّه ان يكون في   هذه الحرب مزدجر
علم الشرق ما الحياة   وقوّم على قدر
فيم اعيى وفيم شا   خ وما مسه الكبر

*

ما لقوم ، وهمهم   بلغة العيش ، من خطر
اي شعب اصاب عزاً   ولم يركب الخطر
اي شأن لامة   وليت امرها أخر
ان حرية الحياة   لاسمى منى البشر

*

لك شكري وما انطوى   منه اضعاف ما انتشر
لو جلا اللفظ ما احتوى   نبع الود وانفجر
وبدت في مسيله   روضة كلها زهر

خليل مطران

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مناجـــــــاة

بقلم مخائيل نعيمه

●

ليل بهيم ، وسماء غضبى ، وارض في وجوم .

وفي الرأس سباق افكار لا تنام ،

وفي القلب حفيف اشواق وارفة ، نديّة ،

وفي العين رسوم اشباح تتساوم على بني الانسان وتتصافق ،

وفي الاذن جلبة من صلوات وعربدات ، وزفرات وقهقهات ، وانين شيوخ ، وانتحاب اطفال ، ودمدمة براكين ، وهدير بحور كثيرة ،

وعلى الشفاه دبيب حروف ومقاطع وكلمات تنتظم وتنتثر تسابيح خافتة حيّة لاسمك القدوس يا من تعالى عن الاسماء والتسبيح .

يا ناشر الليل من كبد النهار ، ومضرم النهار من محاجر الليل ،

طال ليلٌ نشرته فوق ارض حسيرة عشواء ، طال وادلهمّ وتغضّن وترهّل ، ولكنه ما شاخ بعد ولا ابيض فوداه . وبنو الارض يدأبون في غضونه ويكدحون كما تدأب المناجذ وتكدح في غياهب التراب .

يكدحون ويدأبون الا انهم حيث يبدأون ينتهون .

يزرعون ويحصدون وفي الاهراء يخزنون ، ولكنهم ابداً جياع وابداً معوزون .

من خشاشة الارض يأكلون ، ومن مآقي المزن يشربون ، ولكنهم في غصة دائمة بما يأكلون وبما يشربون .

يتزاوجون ويتناسلون وابداً عن سندٍ وعونٍ يبحثون .

يتخاطبون ويتكاتبون فما يتعارفون ولا يتفاهمون .

يتنازعون على اردان الليل واذياله ، فيمزقون لحومهم باظفارهم ، ويسحنون عظامهم باضراسهم ، وبغير نتفٍ من جلابيب ليلهم لا يظفرون .

من اين للارض هذا القرمز في وجنتيها ؟

اهو الدم المسفوح من نحر هابيل ؟ ام شهوة الدم المشبوبة في قلب قايين ؟

اما يزال دم هابيل سائحاً في عروق الارض وصارخاً : « انا الدم المهراق لا لذنب الا لانني رضيت فارتضيت » ؟

وشهوة قايين التي لا ترضي ولا ترتضي ، ويؤلمها اذا ما غيرها ارضي فارتضى ، اما تنفك تستعر في احشاء الارض ؟

احتوم على الحبالى الاّ يحبلن بهابيل دون قايين ؟ وعلى الوالدات والمرضعات الاّ يلدن ويرضعن سوى الذبائح والذبّاحين ؟

فيا ويل الحبالى والوالدات والمرضعات ! يا ويلهن يغسلن اوزار ابنائهن الذابحين بدماء ابنائهن المذبوحين ، فلا الاوزار بمغسولة ، ولا الدماء بمحقونة .

حتى م تحترق الارض بشهوة قايين فلا يطفئها دم يتفجر من اوداجها ، ودمع ينهل من احداقها ؟

والى م هذا الليل يغشي على ابصار بني الارض فيلتقي في طياته الاخ اخاه فينكره ويبغضه ويرديه ثم يغسل يديه من دمه ويقول : « ما انا بحارس لأخي » ؟

ومتى تنحسر الظلمة عن ابصار بني الارض فيعرف الاخ اخاه ، ويعرف انه حارس لاخيه ومطالب براحته وسلامته وحياته اذا ما شاء هو الآخر ان يتذوق الراحة والسلامة والحياة ؟

متى يتهلهل ليلٌ كثيف نشرته فوق ارض حسيرة عشواء فيرفع اليك كل ابن انثى قلبه المفوح ويهتف عالياً :

« اهمِلني يا مالك النهار والليل ان اعرف اخي واكون له حارساً نشيطاً ، يقظاً ، اميناً ومحباً كيما يكفّ دمه في اذني عن الصراخ ، ودمي عن الغليان والفوران » ؟

الى م ، الى م هذا الليل ، يا ناشر الليل من كبد النهار ، ومضرم النهار من محاجر الليل ؟

يا واحداً لا يُعدّ ، ويا ألفاً لا تمثّل ، ويا لا تصوّر ،

هاهم الذين برأتهم صورة الك ومثالا ، فنفخت في صدورهم نفساً من صدرك ، واودعتهم روحاً من روحك ، لا يغريهم من عيشهم شيء مثلما يغريهم اللهو بالاعداد وتمثيل البدايات ، وتصوير النهايات . فهم ابداً يجمعون اعداداً الى اعداد ، ويطرحون اعداداً من اعداد ، ويضربون اعداداً في اعداد ، ويقسمون اعداداً على اعداد . ونتيجة ما يجمعون ويطرحون ، وما يضربون ويقسمون اعداد فوق اعداد فوق اعداد ، تبرى بترديدها ألسنتهم ، وتضيق بها خلايا ادمغتهم ، وتتورم من الحملقة اليها اجفانهم ، وتتكسر على ركامها اقلامهم ، وتنشقّ من ضغطها سجلاتهم .

يعدّون الثواني والساعات ، والسنين والقرون ، ويحصون من ولد ومن مات .

يعدّون اجرام السماء ، ويحصون كل دورة من دوراتها ولفتة

لفتاتها ، ويحسبون اوزانها وابعادها .

يعدّون نبات الارض وحيوانها ،وطيرها وحشراتها ،ومعادنها وطبقاتها ، وما فيها من جبال وبحار ، وجداول وانهار ، وسهول وما على سطحها من مدن ودساكر ومزارع ،ومافي المدن والدساكر والمزارع من بشر وبهائم ومن ايدٍ تعمل ولا تنعم ، وايد تنعم ولا تعمل .يعدّون في الصوت نبراته ، وفي القلب انباضه ، وفي الجسم عظامه وعضلاته .

يعدّون ارزاقهم من ثابت ومنقول ، ولهم دفاتر يقيّدون فيها ما يملكون من مال وما يدينون ويستدينون . وهم عليها احرص من غلة على حبّة ، ومن عنكبوت على ذبابة . تلك هي دفاتر الخزائن والجيوب . اما ان تكون لهم دفاتر للارواح والقلوب يحاسبون فيها نفوسهم عن كل كلمة جارحة ، ونية غدّارة ، وفكرة قتالة ،ومحبة حبسوها ، ويد امسكوها ، ونعمة حجبوها عمن هم في حاجة اليها. فما فكّروا في ذلك ولا يفكرون .

يعدّون ، ويعدّون ، ويعدّون ،واليك يا واحداً لا يعدّ لا يهتدون .ها هم الذين لفظتهم حروفاً حية في اسمك الحيّ الذي لا يلفظ .ما يفتأون يصلون الحروف بالحروف ، والمقاطع بالمقاطع ، ويزوجون الكلمات من الكلمات ويؤلفون منها الاحاديث والاساطير والاسفار . فلا تكلّ لهم شفاه ، ولا تحرن لهم اقلام ، ولا تتخدر منهم انامل . وكلماتهم اكثر ما تكون دخاناً لابصارهم ،وفخاخاً لاقدامهم ، وسموماً لدمائهم ،ومناخز تقض عليهم مضاجعهم وتعبث باحلامهم . والبريء منها ما كان كاليعسوب : لا عسل في فمه ولا ابرة في دبره .

اما الكلمة التي تضمد جرحا ، وتفك قيداً ، وتمزق غشاوة ، والكلمة التي تجمع ولا تفرق ، وتجبر ولا تكسر ، وتفتح ولا تغلق ، والكلمة التي تشفع ولا تصفع ، وتصفح ولا تنبح ، وتعين ولا تدين فما اندرها ! وأندر منها كلمة في يائها الف وفي الفها ياء — طليقة من احابيل البدايات والنهايات حيث بنوك يتخبطون وعنك يا الفاً هي الياء ، وياء هي الالف يصدفون .

اعداد فوق اعداد ، وحروف ومقاطع وكلمات بعد حروف ومقاطع وكلماتٍ . وكلها سواد في سواد ، وظلمات طي ظلمات .

فالى مَ ، الى م هذا الليل يا واحداً لا يعد ، ويا الفاً لا تمثل ، وياء لا تصور ؟

يا قلباً يضيف ولا يضاف ، ويا روحاً ينير ولا ينار ،

ما للضيوف المتألبين حول موائدك يتدافعون ويتلاطمون ويتناهشون ؟ وموائدك فسيحة الارجاء ، مثقلة باعجب الخيرات واثمن البركات من كل ما يؤكل ويشرب . اصنافها لا تعرف العد ولا النفاد . وقد ضمختها السماء باطيب العطور ، وزينتها الارض بابهج الالوان والاشكال .

ما للشباع من ضيوفك يتجشأون ، وتخماً في امعائهم يشكون ، ولكنهم لا ينصرفون لحظة عن المائدة ولحظة لا يقيأون ، وللجياع مجالا لا يفسحون ؟ ألعلهم يخشون على كنوز خيراتك النفاد ، وعلى فوّارات نعمك النضوب ، وعلى يدك المبسوطة الانقباض ؟ لذلك يخزنون من يومهم السمين لغدهم الاعجف ؟

واذا ما خيرك يوماً نفد ، ونعمتك نضبت ، ويدك انقبضت فما ينفعهم كل ما يخزنون ؟ وهل من غد ليوم تحبس فيه قرانك عن المقترين ؟.ما للجياع من ضيوفك يقدمون رجلاً ويؤخرون اخرى ، ويلاوصون ، ويتغامزون ، وبلعابهم يتلمظون ؟

ما لهم كالغرباء ، او كالبرص ، بين ضيوفك ، يدورون من حول موائدك وبغير الكسارة والسقاطة لا يظفرون؟

ما للبياض في عيونهم يصطبغ بحمرة الشفق ، وللدماء في عروقهم تنحمّ ، وللعضلات في سواعدهم تتكمش ؟

ما للضيوف ، شباعهم وجياعهم ، لا يعرفون للضيافة حشمة ، ولا المضيف وقاراً ، فيتقاتلون على قصاعه المليئة ابداً بكل خير واياه بالخير لا يذكرون ؟

متى يشبع الجياع من جودك ويتلىء الشباع من وجودك فلا يتدافعون ولا يتلاطمون ولا يتناهشون ؟

الى م ، الى م هذا الليل يا قلباً يضيف ولا يضاف ، ويا روحا ينير ولا ينار ؟

ليل ، وسماء غضبى ، وارض في وجوم .
وفي الرأس بريق فكر واحد وهاج ،
وفي القلب بشارة فجر يولد ،
وفي العين خيالات مجلببة بالنور ،
وفي الاذن اجواق من عوالم لاتبصر ترنم صامتة ترنيمة الانعتاق ،
وعلى الشفاه تسابيح عالية لاسمك القدوس يا ناشر الليل من كبد النهار ، ومضرم النهار من محاجر الليل ،
يا واحداً لا يعدّ ، ويا ألفاً لا تمثل ، وياء لا تصوّر ،
يا قلباً يضيف ولا يضاف ، ويا روحاً ينير ولا ينار .

صيحائيل نعيمه

الا ليالينا

◆

يا حلو ما في العيون حلو كهذا الجنى
يضفي عليك الفتون ملء المنى
سحّت عليك السما من سحرها كل ما
فات جمال البشر
فالناس يا ملهمي سفر وأنت السور

يا ملهمي يا خير ما في دمي
لولاك مات الخيال ومات حتى الجمال
على فمي
يهفو من اسمك أريج جسمك
ولا يشم البشر
فالناس يا مسكري عشب وأنت الزهر

يا مسكري أبعد هواك الطري
تعال نمضي ، فهل في الناس الا الدوي
فالناس اما غبي أو عابث مفتر
قوتي على مرشفيك والنور في مقلتيك
ولا يفيق البشر
فالناس يا مرشدي ليل وأنت القمر

ألغاب ، واقينا حي ينادينا
أنوارك لم تزل سكرانة فينا
لنا الهوى والامل والشعر خمر وقوت
يا حب كل يموت الا ليالينا
ما نحن في العاشقين كسيرة الاولين
يا خير ما في السير
الغاس ماء وطين وانت روح البشر

الياس ابو شبكه

الى متسولة صرباء الشعر

« لبودلير »

نشرت مجلة « الاديب » في الجزء الماضي ترجمة لقصيدة « بودلير » هذه فما كاد الشاعر يوسف غصوب يطلع عليها حتى اتحفنا بالترجمة الجديدة التالية :

من خلال ثوبك الممزق
ايتها الفتاة البيضاء الصهباء
يبدو الفقر
والجمال

يجسمك الفتي الضني
على ما انتشر فيه من كآب وغش
عذوبة وطراوة
في عيني
انا الشاعر المسكين

حذاؤك الخشبي الثقيل
تخطرين به
امرح وارشق
من ربه من ربات الاقاصيص
في خفها المخملي

فلو انك
بدلاً من هذه الاسمال القصيرة
ترتدين من خلع البلاط
خلعةً فاخرة
تجرّر بخشخشة وحفيف
من وراء قدميك
ذيولها السابغة

ولو انك
بدلاً من هذه الجوارب المثقبة
تحملين على ساقك
خنجراً من الذهب
يلتمع في اعين المتهتكين

ولو ان رباط الرداء
تتراخى عقدها
فتكشف لا غرائنا
عن ناهديك الجميلين
المتألقين
تألق العيون

ولو ان ذراعيك
اذا أريد خلع ثيابك
تمانعان بدل
وتدفعان بفنج
الاصابع الوقاح

لتهافتت عليك
وتوالت
اللآلي الكريمة
والقصائد الرائعة
من العشاق الذين تأسرين

وتسابق المتشاعرون
لاهدائك
البواكير من نظمهم
وازدحموا تحت السلالم
لرؤية خفك

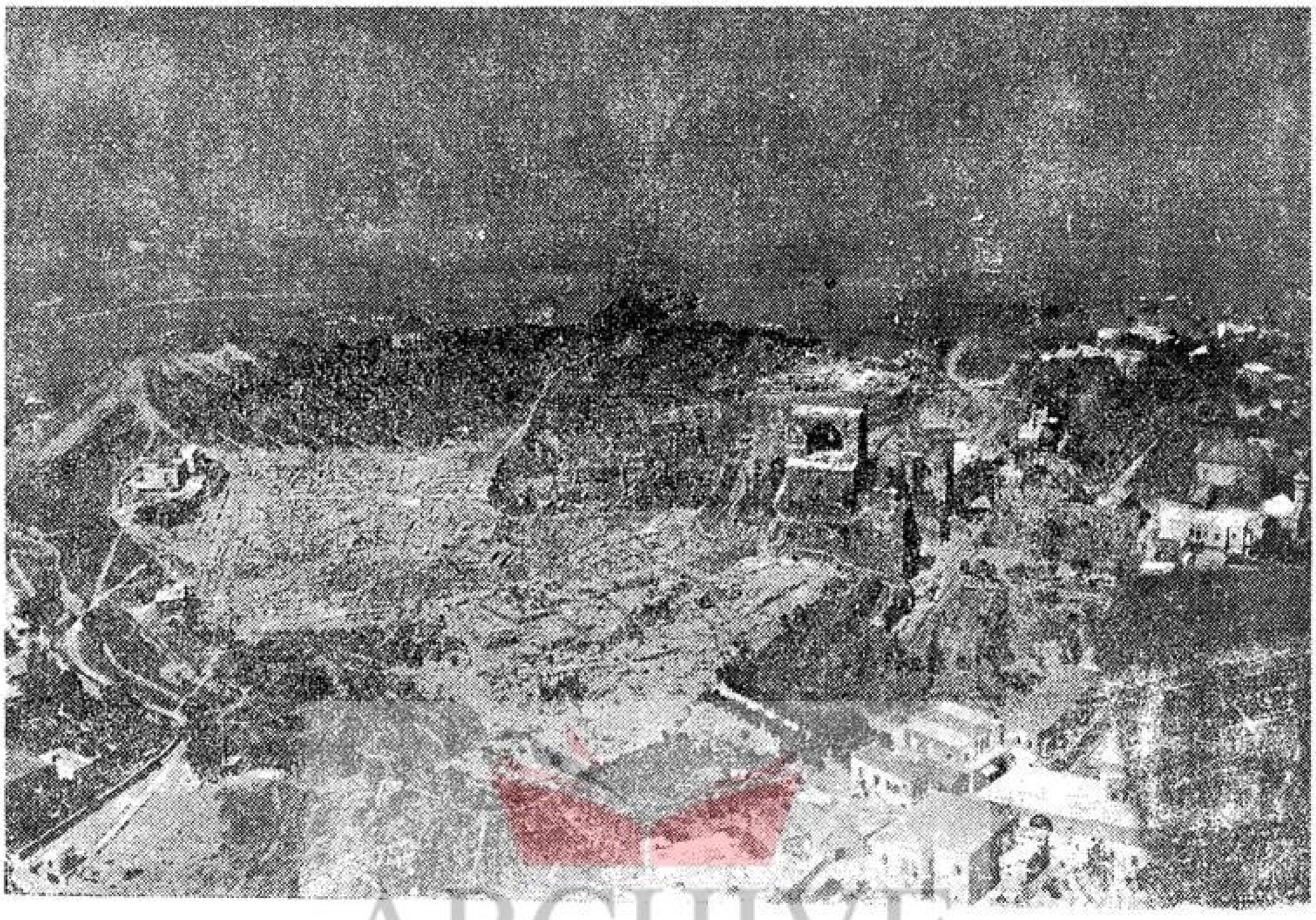
وتربص الكثيرون من فتيان الامراء
المولعين باغتنام الفرص
والعديدون من العظماء والشعراء
للتمتع
باستراق النظر
الى خدرك الغري

اذن لكنت تحصين من القبل
في مضاجعك
اكثر مما تحصين فيها من الزنابق
ولكنت تخضعين لسلطانك
غير واحد من الملوك
على انك
تروحين الآن
مفتشة عن مسن هرم
يتوسد عتبة حانة
من الحانات
في بعض ملتقى الطرق

وترمقين من طرف خفي
الخسيس من الحلى
غير اني
على خساستها
لا استطيع وا آسفاه
اهداءك شيئاً منها

فاذهبي اذن
لا زينة ولا طيب
لا ماس ولا لآلى
ألا عريك النحيل
يا جميلتي !

يوسف غصوب



قسم من مدينة جبيل التقطت صورتها من الجو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لبنـــــــان

بقلم فرنك اي. برونه

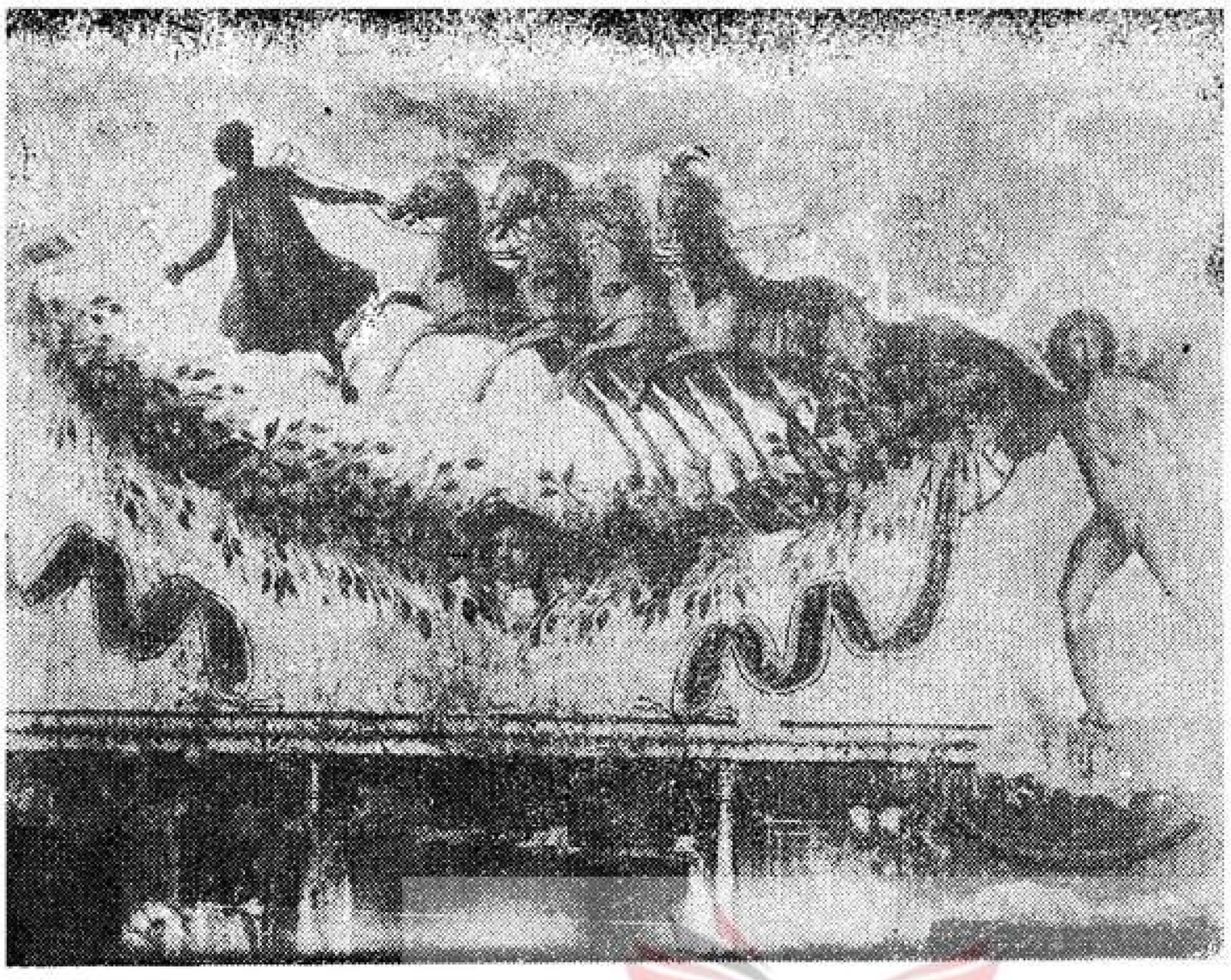
عالم اثري اميركي واستاذ في جامعة اميركية كبرى ، قضى سنين عديدة في سوريا ثم عاد اليها بعد غياب خمس سنوات في بعثة رسمية ، وها هو يبين ما شاهده من التقدم في غضون غيابه في هذا المقال المترجم عن اللغة الانكليزية .

●

في يوم من ايام صيف ١٩٣٧ كان فلاح يشتغل في حقله بالقرب من صور فرأى فجوة في الارض ، فدخل فيهـا فاذا هو في وسط غرفة منحوتة في قلب الصخر ، جدرانها مغطاة برسوم ما زالت على جدتها . ولم تكن هذه الغرفة سوى مـدفن قديم لاحدى الاسر اللبنانية في عهد الرومان اي منذ ١٨٠٠ سنة ، زخرفتـه يد فنان ورسمت فيه صوراً عن الحياة بعد الموت كما تخيلها اللبناني في ذلك العهد . وفي اليوم السابع والعشرين من ايار (مايو) ١٩٤٢ كان هذا المدفن بتمامه ، كما اكتشف ، معروضاً لمن يريد ان يشاهده من ابناء لبنان الحديث في المتحف الجديد الذي تم تشييده في هذه الحرب واحتفل بافتتاحه في ذلك اليوم .

وفي السنة ١٩٤١ بينما كان احد الجنود يشتغل في تحصين احد الاماكن عثر على بلاطـة من الرخام عليها اشكال منقوشة فابلغ السلطة المختصة خبرها فارسلت السلطة عمالها فنقبوا حولها ورفعوها من الارض فاذا هي ناووس قديم لاحد الرجال العظـام في العصور الخوالي ، وقد نقشت جوانبه بصور النائحين ونحت غطاؤه على شكل مضجع لميت ، واليوم يمكن اي زائر كان ان يقف امام هذا الناووس نفسه ويراه في المتحف اللبناني .

ان كاتب هذا المقال غادر الشرق الادنى في السنة ١٩٣٩ ولم يتمكن الا حديثاً من العودة اليه . ومع ان هذه السنوات الخمس لم يسبق لها نظير في تاريخ هذه البلاد بما انطوى فيها من شدائد ، فقد تمكن اللبنانيون خلالهـا من تشييد متحف فخم ومن اطراد اعمال التنقيب عن آثار السلف وجمعها لدرسها والاحتفاظ بها ، وتمت حفريات جبيـل وصيدا ودرست آثار صور ، وأجريت الترميمات اللازمة لصيانة خرائب بعلبك وقلعة الشقيف وقصر بيت الدين .



« فطيسة » بروسبرية

●

وهي من اللوحات الآرية التي عثر عليها في مدافن صور وهي معروضة الآن في القسم الروماني من متحف بيروت الاثري .

ورب سائل يقول : وما معنى كل هذا النشاط في ايام عصيبة كايامنا هذه ، فلمثل هذا نقول ، ان شعب لبنان مدرك تمام الادراك اهمية ماضيه وهو عازم ان لا يألو جهداً في تفهم ذلك الماضي ، ان لبنان غني في آثاره العريقة في القدم وهي تمتد الى نحو ستة آلاف سنة .

ان حفريات جبيل قد اظهرت خرائب تلك المدينة الفينيقيه الشهيرة بحصونها القوية وبهيا كلها ودورها ومرفأها المزدحم . بيد ان اعمال الحفر في السنوات الخمس الاخيرة قداظهرت ان تحت جبيل القديمة خرائب مدينة اقدم ، كانت محاطة بسور قوي وكان لها



هكتور بنخبل الجزيء

●

لوحة اخرى من اللوحات الاثرية الثمينة المعروضة في القسم الروماني من متحف بيروت الاثري .

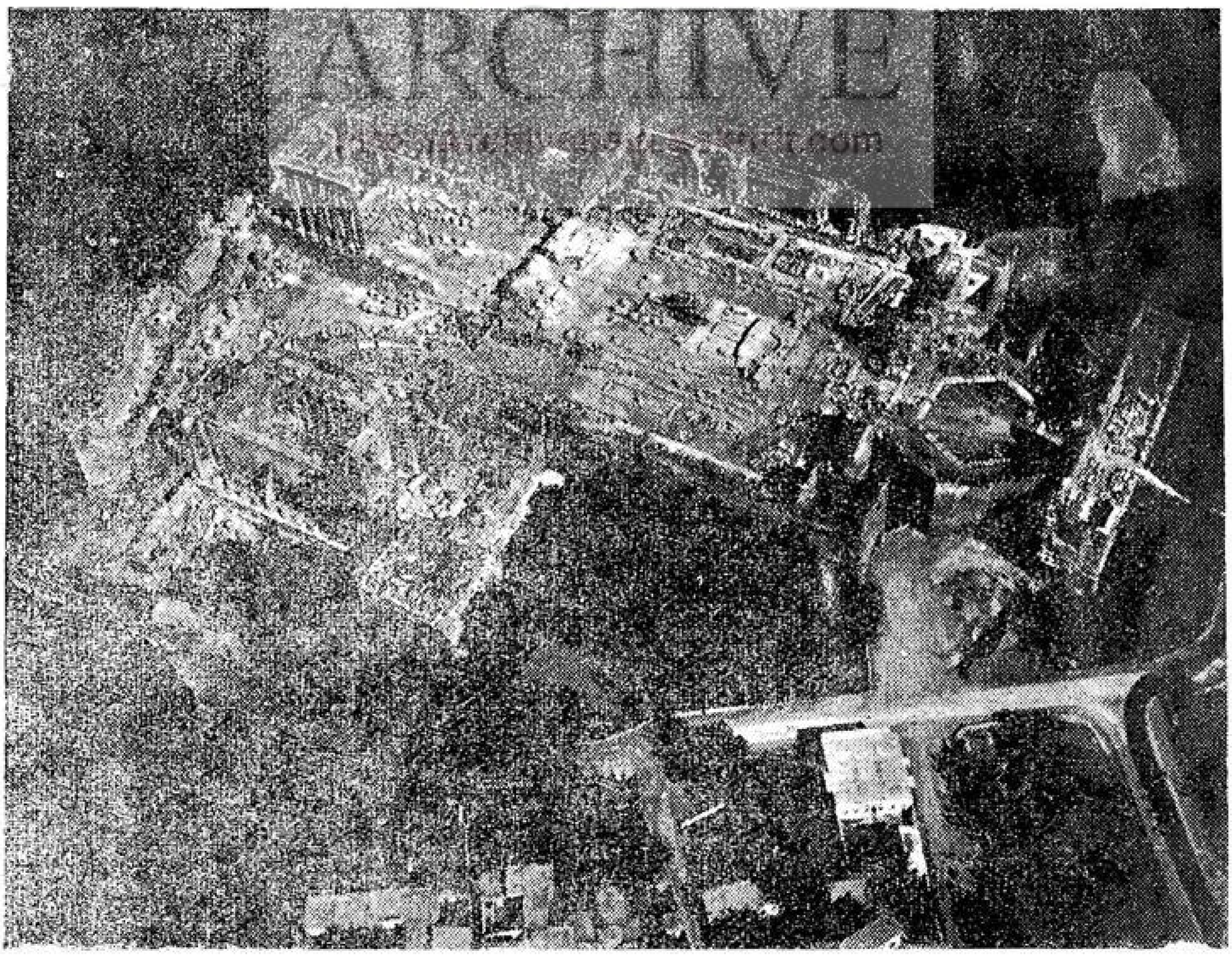
ايضاً مرفأ حافل بحركة التجارة . ولقد تبين من آثار الهياكل ان جبيل كانت في السنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد مدينة مقدسة يحج اليها المصريون . وفي المتحف اللبناني يرى الزائر بعض التحف التي كان يقدمها الفراعنة الى تلك الهياكل . ومما اظهره التعمق في حفريات جبيل ان سكان الساحل الفينيقي الاقدمين — الاسلاف الاولين لسكان لبنان الحديث — كانوا من الطبقة البسيطة يصطادون الاسماك ويزرعون الحبوب ويعصرون زيت الزيتون بادوات حجرية .

هكذا كان عصر الطفولة للشعب اللبناني . والواقع ان للشعب كما للفرد ادواراً يجتازها . فماضيه كناية عن طفولته وفتوته . فاذا ما بلغ اشده كان عليه كما على الفرد ان يتذكر ذلك الماضي ويتفهمه لكيما يتعرف الى نفسه . ان بعض الشعوب كبعض الافراد تظل في عهد الطفولة لان ماضيها لم يخلف لها علماً او اختباراً يخرجها من تلك الطفولة . اما البعض الاخر فقد بلغ اشده واصبح ماضيه حقيقة حية عنده يعتز بآثاره ويتخذوها وسيلة للتعرف الى نفسه . وان الشعب اللبناني كواحد من هذه الشعوب .

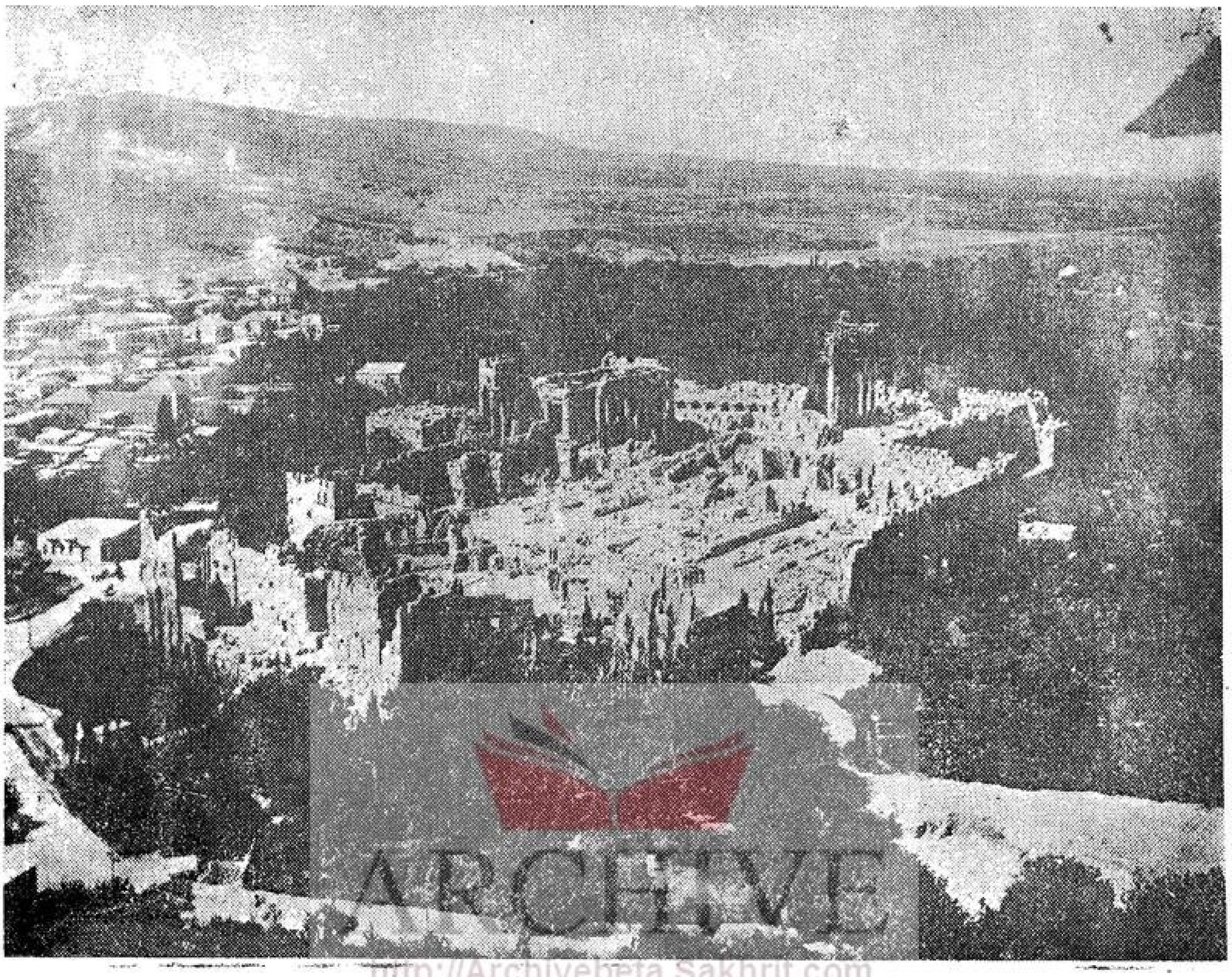
لقد حمل الصناع والتجار والبحارة الفينيقيون شهرة صيدا وصور الى اقاصي المعمور . وها هم ابناؤهم في السنة ١٩٣٩ يشرعون في التنقيب عن موقع صيدا القديمة .

ان ما تركته لنا تلك المدينة من التراث الثمين في الفن والبناء نراه يستخرج في هذه الايام العصيبة . وهكذا يقال عن المدينة الجزيرة صور فقد تمكن العلم من درسها مؤخراً مستعيناً باحدث الادوات ، بالتصوير الجوي الذي اظهر اكثر جداً مما تستطيع العين المجردة ان ترى ، فقد اظهر تحت ماء البحر انقاض الارصفة والمرافىء والسدود المائية التي استعملها الفينيقيون والاغريق والرومان .

ان العصر الروماني الذي كان فيه لبنان كما هو اليوم مساهماً بمدنية عالمية ، قد ترك اثره البالغ في ماضي سكان هذه البلاد . فان اعماله الهندسية لا تزال قائمة وقد تمّ تثبيتها وصيانتها . من ذلك ما تمّ منذ ثلاث سنوات في قناة نهر ابرهيم العظيمة فانها بفضل ما ادخل عليها من الترميم قد سلمت من الاندثار واصبحت اثراً تذكارياً باقياً . على ان ازهى ما يتمثل فيه العصر الروماني انما



صورة جوية لقلعة بعلبك


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صورة لقسم من مدينة بعلبك وقلعتها اخذت من الجو

هو في المركز الديني الفخم في البقاع — اي بعلبك — التي اطلق عليها الرومان اسم مدينة الشمس ٠فان هياكلها الشامخة طالما جذبت اليها المسافرين والمؤرخين وعلماء الاثار قرناً بعد قرن ٠ ان صيانة هذه الآثار وتحريرها مما ادخل عليها ، وجعل الدخول اليها سهلاً لجميع الناس ، قد توالت عملياتها سنة بعد سنة بدون انقطاع حتى تحققت اليوم جميعها بحيث ان الزائر يشعر وهو في بهو المدخل العريض او امام الهيكل العظيم او في المعابد الصغرى ان « بقاع » القرن الثالث بعد الميلاد قد انتفضت وعادت الى الحياة في هذه الايام ٠ والحقبة التالية التي اتصل فيها لبنان بالمدنية الغربية قد تركت لها اثاراً لا تقل عظمة عن سابقتها ٠ان تأثير الممالك الصليبية في الاخلاق القومية لا يزال يرمز اليه ببقايا المدن والكنائس والقلاع العظيمة التي لم يسدل عليها ستار النسيان ولا تنكرت على السكان ٠ وها هي قلعة الشقيف على قمة الجبل تطل على نهر الليطاني كما تطل قلعة صيدا وكلتاهما تذكرنا بالماضي ٠

ان تشكيل لبنان الحديث مرتبط بالاسرتين الشريفتين معن وشهاب وبالاميرين العظيمين فخر الدين وبشير وقد خلفا في قصبة دير القمر وفي قصر بيت الدين آثاراً نفيسة ناطقة بعظمتها وبما كانت عليه مدنية لبنان في القرنين السابع عشر والثامن عشر ٠ولقد كانت عناية اللبنانيين تحوط هذه الاثار حتى انها لم تنس ولا امتدت اليها ايدي التشويه ٠ وهوذا سراي دير القمر وقصر بيت الدين قداعيدا الى شكلهما الاول مع كل ما فيه من زخرف وجمال ٠

ان ما في متحف بيروت من الاثار ، وما تبقى من المدن والابنية القديمة ان هو الا سجل الماضي غير المكتوب ٠ وما هذا السجل الا ما انتجته ايدي الناس وعبروا به عما في نفوسهم مما اتصل بهم من حياة السلف ٠ وان في اطراد اعمال الكشف عن هذه الاثار والحيطة لصيانته لدليلاً على ان في سوريا ولبنان شعباً قد بلغ اشده ، وان هذا الشعب مدرك لاهمية ماضيه وضرورة هذا الماضي لكيما يتعرف الى نفسه ، وهذا خير ضامن للمستقبل ٠

البارون سيلفستر ده ساسي

بقلم نسيم يزبك

◆

في قلب بيروت على مقربة من ساحة البرج والى جانب طريق الشام يمتد شارع صغير في اتجاه كلية القديس يوسف لكنه يحمل اسما كبيراً : اسم سيلفستر ده ساسي . وقد يكون موضع تساؤل وموضع اعجاب في بلد كهذا الذي نعيش فيه ، توثقت بينه وبين الغرب صلاة الفكر والثقافة ، فلا غرابة ان نجعل من هذا المستشرق الفرنسي موضوع هذا المقال .

ان لحركة الاستشراق مدرستها القديمة والحديثة واسنا الان في معرض المقارنة بين اساليب المدرستين وما اخرجت كل منهما لخدمة اداب الشرق وآثاره من علماء وبحاثين . غير ان هناك عالماً فذاً يتجه اليه الفكر بداهة عند ما نتحدث بمسألة الاستشراق ، الا وهو البارون سيلفستر ده ساسي المستشرق الفرنسي الذي اظهر منذ حداثته استعداداً مدهشا لدرس اللغات ، فتعلم العبرية والسريانية والكلدانية واحاط بالعربية والفارسية والتركية وادرك لغات الانكليز والالمان والطليان . وقد استمر ينفح فرنسا بل اوروبا جميعاً بروائح انجاته ومؤلفاته الجامعة في آداب الشرق ولغاته وآثاره خلال النصف الاخير من القرن الثامن عشر وخلال النصف الاول من القرن التاسع عشر حتى سنة الف وثمانمائة وثلاثين حيث شاء القضاء المحتوم ان تنتهي رسالته .

وقد جاءت مؤلفات البارون ده ساسي فتحاً من الفتوحات الباهرة في درس لغات الشرق الحية فالقت كثيراً من النور على غير مشكلة من مشاكل الادب والعلم والتاريخ في الشرق ، فانتقلت المدرسة القديمة مع هذا كله من طور الى طور بحيث انفتحت امامها ابواب كانت موصدة من قبل ودخلت في افاق منفسحة انفساح لغات الشرق المنتشرة من اليابان الى افريقيا الشمالية . وجدير بالذكر ان هذه المؤلفات التي اودعها ثمرات مجهوده الفكري الطويل تنقسم الى اجزاء ومجلدات ضخمة في مواضيع مختلفة ولغات متباينة يصح ان تكون على الجملة مرجع اهل العلم والفكر في الشرق فضلاً عن مقالات وابحاث تكاد لا تحصى ارسلها في اوقات مختلفة على صفحات جرائد ومجلات عديدة نذكر منها جريدة العلماء والجريدة الاسيوية ومجلة العالمين وقد كان لها اثر بعيد في الاوساط الاوربية التي تهتم بشؤون الشرق فاخذت دول اوروبا تشجع حركات الاستشراق فيها واخذ العلماء يتهافتون على اقتباس لغات الشرق الحية .

ومما يجدر بالذكر في سياق هذا الحديث ان سيلفستر ده ساسي بعد ان نال شهادته في علم الحقوق تقلد مهمة مستشار في ديوان المسكوكات فاتجهت افكاره للحال الى بحث هذه الناحية في تاريخ العرب فترجم كتابا الى الفرنسية للمقريزي في المسكوكات الاسلامية مع بعض تفاسير وحواش . وما كان دخوله عضواً في اكاديمية النقوش ليحول دون متابعة البحث والتقصي والاستطلاع فاخرج في تلك الفترة كتابه المعروف بتاريخ العرب قبل محمد وكتابه الاخر في مصادر الادب العربي . وفي سنة الف وسبعمائة واحدى وتسعين حملته اسباب سياسية على ان يستقيل من وظيفته كمراقب لصك العملة فانزوى في مقاطعة لوبريه وانعكف على الدرس والتنقيب فوضع ابحاثاً مستفيضة في اصول الدين الدرزي وجمعها في كتاب استغرق على ما يقال اربعين سنة من الجهد والتدقيق . وهناك كتاب آخر وضعه في قواعد اللغة العربية بعنوان غرامطيق عربي وهو من الاهمية بمكان وقد كلفه من البحث والمراجعة مدة تزيد عن خمس عشرة سنة وانصرف الى ترجمة كليلة ودمنة من العربية الى الفرنسية وكذلك ترجم مقامات الحريري مع بعض شروح وتعاليق وعني بتدقيق الفية بن مالك الشهيرة .

وبالواقع ، لا يستطيع احد ان ينتهي الى هذه النتائج الا اذا كان متصفاً بمزايا كبيرة كالثبات في العمل وقوة الارادة والاخلاص للعلم وما الى هذا كله من دقة الملاحظة وحدة الذهن . فاذا صح قول القائل ولعله كليمنصو : العبقرية هي صبر لا يلتوي ، فلا شك ان

سيلفستر ده ساسي يأتي في الدرجة الاولى بين عباقرة المستشرقين. لست ادري عند اي حد اقف بكم في مقالي عن هذا المستشرق الفرنسي العظيم الذي امتد تفكيره الى الشرق الاقصى فتناول سير اهل الصين واخبارهم واتجه الى آثار الفرس فعالجها واودعها اربع مجلدات وعمد الى تتويجها بتاريخ بني ساسان وانعكف على اداب الشرق عامة وآثاره فاستنطق الرموز والنقوش والكتابات القديمة وخلص منها الى حقائق لامعة وضعها تحت انظار علماء اوربا وحكامها فحملهم على مضاعفة الاهتمام بلغات الشرق وعلى الاستزادة من معرفة احواله. وظل سيلفستر ده ساسي في عزلته الهادئة الخصيبة في جهة لوبري حتى قرر مجلس كونفاسيون وهو احد مجالس الثورة الفرنسية تأسيس مدرسة للغات الشرقية بباريس في سنة ١٧٩٥. والواقع ان البارون سيلفستر ده ساسي كان الداعية لتأسيسها فتولى منبر اللغة العربية فيها واخذ يساهم في تحرير مجلة العلماء بابحاث لفتت اليه انظار المفكرين وجعلته في طليعة المستشرقين كمرجع بل كمنار يهتدون به. ولم يلبث ان جمع بين يديه منبر الفارسية الى العربية في المدرسة ذاتها واصبح في الوقت نفسه نائب باريس في المجلس التشريعي وقد نال في سنة ١٨١٣ لقب بارون. ولما تولى ادارة كولاج ده فرنس وادارة مدرسة اللغات الشرقية عمد الى توسيع برنامج هذه اللغات حتى شمل بالاضافة الى المواد الموضوعة اهم لغات الشرق الاقصى كالصينية واليابانية والانامية وشمل ايضاً الارمنية والهندستانية. وكان على البارون سيلفستر الى جانب مهامه الفكرية والادارية والسياسية ان يقوم بوظيفة مراقب للنماذج الشرقية في المطبعة الملوكية وبمهمة الحافظ للمخطوطات الشرقية في المكتبة الملوكية. وقد كانت موضع اهتمامه الخاص فسافر الى «جنوى» في ايطاليا للكشف عن بعض مخطوطات شرقية ذات قيمة

ولا بد من ان نذكر له في جملة خدماته الخالدة انه اسس بالاشتراك مع ابل ديسيا الجمعية الاسيوية الشهيرة التي اهتمت بشؤون الشرق عامة والعرب خاصة وكانت الجريدة الاسيوية واسطة النشر لابحاث المستكشفين وآراء العلماء والمستشرقين في نواحي حياتنا الفكرية والاجتماعية والاخلاقية. ومن الثابت انه عند ما توفي البارون ده ساسي كان يحمل لقب عضو في جميع المجامع العلمية باوربا على الغالب مما يدل دلالة واضحة على مبلغ الاحترام والتقدير الذي كان يتمتع به كمستشرق له يد بيضاء على توجيه حركة الاستشراق توجيهاً علمياً عاماً. فالمهمة الفكرية التي اخذها على عاتقه وجاهد في سبيلها لم تنته بانتهاء اجله لانه ترك تلامذة وحواريين في فرنسا بل في مختلف انحاء اوربا تخرجوا عليه في درس لغات الشرق الحية وحملوا المشعل الذي كان في يده ساطعاً وظلوا سائرين على اثره على رأس حركة الاستشراق في الغرب نخص منهم بالذكر اتيان كاترمار الاشهر الذي وضع ما يزيد عن مائة كتاب في جميع اللغات السامية وكوسان ده بارسا فال الذي كتب رسائل مستفيضة في تاريخ العرب وآدابهم وآراء قيمة في كتابات الحميرية وتوفي في العراق ملتحقاً ببعثة استكشاف علمية للنظر في خرائب بابل.

ولا بد من القول في النهاية ان البارون سلفستر ده ساسي هو حلقة متينة في سلسلة كبار المستشرقين العالميين يمثل المدرسة القديمة خير تمثيل وهو من اولئك العلماء المدققين الذين يستخرجون عبقريات الشعوب من كتبها وآثارها في ابرع صورة واجمل شكل ويصح ان يكون على الغالب مرجع اهل الفكر والعلم عندنا في ما كتبه من ابحاث وتراجم ومؤلفات كما كان من قبل مرجعاً لمعاصريه.

نسيم بزبك

ليلى وعودي

أي معنى للوجودِ
دون ليلاي وعودي
كسرت عودي ليلى
وتناهت في الصدود
أيّ عود كسرته
كان فردوس وعود
ينشر الحب على
الدنيا بالوان الورود

•

نسيت ليلى زماناً
سل من جفن الخلود
ننهلُ الحب ونذري
الجمر في عين الحسود
نقرات العود، اعرافُ
شفاه وخدود
واغانينا تماويج
خصورٍ وزنود
وبقايا قارب الاحلام
في الشط البعيد

•

لنقولا بسترس

•

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موائد الادباء على موائد الاغنياء

بقلم البيرة وداد سكاكيني

الادباء ليست كموائد الاغنياء حافلة بالشهي من طعام وشراب، تطوف عليها احلام الفقراء في لياليهم السود ويتلهفون اليها قبل ان يلتهموا كسيرات الخبز وفضلات الاكول ، وانما هي موائد للعقول والارواح فيها ثقافة للذوق ورهافة للشعور ومشحذة للاذهان واستجمامة للنفوس وعليها بدائع الشعر وطرف البيان ، وسحر اللحون وروعة التلاوين، وهي بساط الريح الذي حمل على جناح الابد اساطير الاغريق وبطولة الرومان وفتوح العرب ما عرف الانسان عليها رياً ولا شبعا ، يعب من شرابها المعسول ويأكل من اطايبها اللذة ويقوم عنها وفي نفسه حنين اليها ونهم وفي عينيه لهفة وشغف .

هذه الموائد مبسوطة للاغنياء والفقراء على السواء ، ينالها المتقلب على اعطاف النعيم ويقبل عليها المسكين والمحروم ، ولموائد الطعام وموائد الادب خير وشر ، وهدى وضلال ، ولها اصحاب موهوبون وفضوليون واغلون ، وفي احاديث هؤلاء الذين يقتحمون الولائم ويغشون المجالس والمجامع دون دعوة اليها اخبار ونوادر فيها مرارة النكتة وحلاوة الافكوهة وسحر البديهة ، وقد حفل بها الندامى والمسامرون ورواها الظرفاء والمتندرون ، على ان بعض الطفيليين خفاف الظل لطاف الروح، اذا دمر احدهم على قوم سلاهم وانساهم بذكائه سماجة التطفل فقد دخل طفيلي على جماعة يأكلون فشاركهم في طعامهم دون ان يحييهم وقد عجبوا منه فسألوه :

— من عرفت منا ؟

فاشار بيده الى الطعام وقال :

— عرفت هذا وكفى ...

فضحكوا وقهقهوا وبسطوا له الراحة في مجلسه والكرم في طعامه .

وبعضهم غلاظ ثقلاء يحاون كالوباء حيثما كانوا ، ولقد يبتلي الطمع والنهم واغل الاكول بالزراية والعذاب كما روي عن طفيل رأى نفراً من الكبراء يمضي بهم الشرط فاندس فيهم وهو يحسبهم انهم يسيرون في موكب الى وليمة احد الامراء ، ولما ادخلوا على الامير حاسبهم على خطيئات اقترفوها وطرحهم الجلاد ارضاً واحداً تلو آخر، حتى جاء دور الطفيلي، فلما سئل عن ذنبه بكى واستشفع وقال للامير :

— مولاي فديتك ! حسبت القوم يولم لهم فجئت معهم ، فامر الامير بجلده تأديباً له ولامثاله ، اما موائد الادب فلها طفيليون اشد خطراً وابعد ضرراً ، ان واغل الطعام اذا نفض يده من المائدة ونهض عنها شبعان انقلب دون ان يعبأ به احد او يترك لغواً وعراماً ، اما طفيلي الادب — وياويح الادب — فانه يصدر عن موائده وما في الارض شر منه ولا اشقى وما نغص على اهل الادب بشاشة الفن وعزة الابداع مثل المقلدين والمتطفلين، وهل خلا دهر منهم في كل امة وفي كل بلد ؟

ففي القرن الرابع للهجرة شهد العرب عهداً للتطفل حافلاً بطائفة من اهله ، كان لهم ادب خاص اشتمل على حيلهم واحابيلهم ونوادرهم واخبارهم وفي المقامات التي أنشئت ذاك العهد وصف لبعض احوالهم وتطاولهم على اصحاب الموائد والولائم .

ولما تنفس هذا العصر وأطل على دنيا العرب بيقظته العقلية ونهضته الادبية استفاضت للناس في شرقنا العزيز اسباب المعرفة والثقافة فأبدع بعض المواهب طرائف الفن وأخرجت عقول المفكرين وقرائح الشعراء ثمرات مختلف ألوانها ومذاقها ، وهب الكتاب الى اسفار الادب وذخائره الدفينة ، يبعثونها ويتدارسونها ويجددون فيها ، وشاعت ثقافة الغرب في اقطار العرب فتمازجت لدى الادباء أساليب الانشاء وشغفت طائفة منهم باحتذاء الفرنجة فيما يكتبون ويقولون فكان منهم المبدعون المجددون والمتبعون المقلدون ، وأخذ الشعر يتطور بتطور الفن والثقافة ، فكان من شعرائنا وكتابنا فريقان يمثلان القديم والحديث والادب المطبوع والادب المصنوع ، وعاش على هامش هؤلاء نقاد متخرصون مضللون ونقاد هداة اكفياء وقليل ما هم ... وقد طلع في سماء العرب يومئذ كوكبان من كواكب الشعر هما احمد شوقي وحافظ ابراهيم واعتزت دولة النثر بكاتبين موهوبين هما مصطفى صادق الرافعي ومصطفى لطفي المنفلوطي ، هؤلاء الادباء وغيرهم كثير في بلاد العرب كانت لهم موائد غنية بسحر البيان وبراعة التفكير ورونق الاسلوب ، فاعجب بها المتنورون وتهجم عليها بعض الواغلين والمتطفلين فنالوا من الوانها الطريفة ونقدوها نقداً عنيفاً غير عفيف كان ينضح بالغل والحسد ولكن اهل الحقيقة لم يبالوا بنقد المتهجمين ولم يحفلوا بكيد الناقمين ، لقد ذهبت مطاعنهم ونقداتهم بين سمع الارض وبصرها وبقيت موائد الادباء شاهدة على عبقرية اصحابها مرددة قول الله عزوجل « واما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » .

ما احب للادباء ان يبسطوا موائدهم لمن يقدرهم قدرهم او لمن يمشي على هداهم ويتفيأ ظلالهم باخلاص ! ، انهم ليبذلون لهؤلاء عصارة ارواحهم ومنتوج قرائحهم بايثار ، وكم بيض الله وجوه الضيفان الذين يعرفون الفضل ولا يضيعون العرف بينهم وبين الادباء بل ينوهون بآثارهم ويدعون الى تكريمهم وتخليد ذكراهم ! . وما امر على الادباء ان يبذلوا اعز ما لديهم لمن يتنكر لهم ويغضي على حسناتهم ويريد ان يطفئ نورهم ! ويأبى الله الا ان يسطع هذا النور ولو كره الطفيليون والزائفون .

والواقع ان كثيراً من الادباء هم المفرطون في جنب انفسهم وفي جنب ادبهم ، فقد يخطئون السبيل الى حماية موائدهم من سطو الفضوليين ولغو الواغلين ، وكثيراً ما اخذوا بايدي فئة من هؤلاء الذين ينشدون التأدب في ظل رعايتهم وعنايتهم فيرفعون من ليس جديراً بالرفعة ويشجعون من ليس خليقاً بالتشجيع وربما انقلب من عندهم جاحداً ناقداً لمن القى عليه الضياء واحاطه بالثناء والولاء ، فكان من جراء هذا الصنع الباطل ان راجت بضاعة ادب رخيص طنطن له بعض الصحف بالالقاب الضخام والاعجاب المزور فدب الغرور في نفوس اصحابه الذين اغاروا على موائد الادباء ينالون منها ما طاب لهم وينسخون ويمسخون ما هان نسخه ومسخه ، على ان بضاعة المتطفلين تقوم كما اسلفت على ثقافة هزيلة مرتجلة او متخطفة عجفاء ، فيتهافتون على الشهرة ويريدون ان يبلغوا بالحيلة والخديعة ما بلغه الادباء بطول المحاولة والمران والتمرس بالدراسة والاطلاع ، وهكذا يتعجلون الظهور بالتقليد والترديد ، والغض من اقدار السابقين والموهوبين والتطاول عليهم باللجاجة والدسيسة لعل مجداً ولو زائفاً يبنونه على انقاض غيرهم وليخدعوا الناس عن انفسهم — والفضل لا يخفى — فيقابلهم القوم وفيهم ذوو الفضل العارفون بابتسام ساخر ونظرات هزء وتفكير وان عند هؤلاء الاعلام الاقرام الخبر المكنون عن زيوف الادب وعارية الفن وسخافة المعرفة وفيهم الرواة الثقات لقصة سيرانو دوبرجراك حين كان يناجي روكسان من وراء انسان كالصنم كانت تحسب فيه الروح ويعجبها منه البيان ..

وبعد فلئن بقيت موائد الادباء عرضة للطفيليين يعيثون فيها فساداً فلسوف ينفض من حولها كل مطبوع وموهوب ويتجافى عنها الابداع والتجويد ، وما أرى حماية لهذه الموائد الغالية الا بتضامن الادباء وتعاونهم على حفظ آثارهم وتوجيه محصولهم الى اهدافه العليا ، وان يرعى اولو الامر عندنا قضية الادب حق الرعاية ، فليس للحكومات الرشيدة ان تقتصر عنايتها على غذاء الجسوم فحسب وانما عليها ان تعنى ذلك بغذاء العقول والنفوس ، وان يرفدها النقاد الهداة والصحافيون المخلصون بالتعزيز والتأييد ودفع ما ينسل الى موائد الادباء من الآفات والطفيليات وحينئذ تزداد هذه الموائد غناء وطرافة وتزدهر بمباهج الفن ولباب الحياة ، ويأمن ضيوفها الكرام لؤم الضيافة وسماجة المتطفلين والمتطفلات فينقلبون بعد شبع وري وهم حامدون لاريحية الادب وعبقرية الادباء .

ورد سطاكبي — دمشق

شاب لا كالشباب ...

بقلم جبرائيل جبور
استاذ في الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

قال لي محدثي : قد عرفته . قلت من يكون ؟ قال : شاب انكليزي نقلت قصته منذ ايام موجات الاثير من محطة لندن . هو ابن خمس عشرة سنة يعمل في احدى قواعد الطيران في انكلترا . وانه افي عمله ذات يوم مع نفر من لداته ، واذا بطائرة طراد بريطانية تحط في قاعدتها ، ثم يترجل سائقها ويدخل مهرولا الى مكتب المطار . وهنا ينتهز صبينا الفرصة فيعرض على زملائه الصغار خاطراً بدا له وهو ان يطير لاول مرة مستقلاً بنفسه هذه الطائرة . فابتسموا ساخرين ثم تحدوه جادين . فما كان منه الا ان وثب الى مقعدها وادار محركها فارتفعت به في الفضاء وهنا أبلغ زملاؤه الامر الى رئيسهم ، فاخذ موظفو المطار ينسلون من مكاتبهم الى ساحة المطار ليشاهدوا مغامرة هذا الصبي الجريء وهم يعلمون انها اول مرة يركب فيها طائرة . وطاف الصبي بطائرته سماء البلد ، ثم عاد فوق المطار واراد الهبوط فلم يستطع لسرعة الطائرة فعاد وحلق ثانية وتجمهر الموظفون والطيارون ليروه وهم واجمون . وجال صبينا في الفضاء جولة اخرى استطاع فيها ان يقصر من سرعة الطائرة . ثم عاد نحو المطار وهبط بطائرته اليه فحطت به سالمة كما لو كان يسوقها امهر طيار . وما هي الا ايام حتى رفعت عليه قضية وقدم الى المحاكمة فحكم عليه بغرامة نقدية وعلى كل من زملائه بمثلها ، ونهض الحاكم فلفظ الحكم ثم عقب عليه بقوله : وددت لو كان بانكلترا مئتا الف من طراز هذا الشاب .

قلت لمحدثي : اعظم بصاحبك ! ولكن صاحبي غير هذا ! صاحبي عربي . قال : عرفته ! هو عبد الرحمن الداخل ، صقر قريش ، الشاب الاموي الذي نجا من سيوف بني العباس ، فخلف الشام وراءه ، وهام يضرب في الآفاق وحيداً شريداً ، ثم حمل وهو في الثامنة والعشرين على الاندلس فعبر البحر وقطع القفر ودخل بلداً اعجمياً منفرداً فحصر الامصار وجند الاجناد ودون الدواوين واقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن سياسته وتدبيره ! قلت : ما صنعت شيئاً ! قال : عجزت عن معرفته فمن يكون ؟ قلت : شاب لا كالشباب !

ساس البلاد لسبع عشرة حجة ولداته عن ذاك في اشغال

انه محمد بن القاسم الثقفي حاكم البصرة وفاتح الهند وقاهر ملوكها وناصب الاعلام العربية خفاقة في سفوح جبال حملايا مستذرية بظلال قنانها . انه القائد الصغير بعمره ، الكبير باثره ، الجنرال الذي لم يكن في تاريخ الحروب فيما اعلم جنرال بمثل حنكته وبأسه في مثل سنه . قال : زدني ! قلت : انه العصر الاموي والشام في ابان عزها يختال عرشها تحت الوليد بن عبد الملك ، تمد ذراعيها للفتح ، فكانتا موسى بن نصير في افريقيا والحجاج بن يوسف في العراق . ونادى موسى : من للاندلس ؟ فلباه طارق مولاه . ونادى الحجاج : من للهند ؟ فقال محمد بن القاسم : انا لها ! هذا يضرب في فتحه شرقاً ، وذاك يضرب غرباً . وتخايل عزاً يا عرش الوليد وتيهي فخراً يا عاصمة الامويين .

لم يكن الشاب الثقفي بالمغامر الزق الطائش او بالمتهور الذي يجهل عاقبة الامور . فقد ادرك هول ما هو مقبل عليه وفهم خطورة المحنة التي سيمر بها ، ويكفي ان يكون في طريقه احدى عقبتين : نهر الاندلس او مدينة قندهار

وقندهار ومن تكتب منيته بقندهار يرجّم دونه الخبر

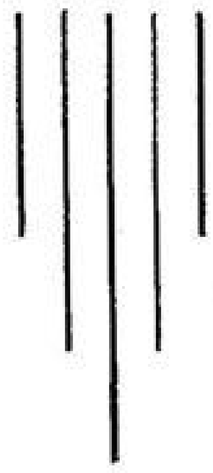
انه يعد لحملته العدة . قالوا فجهزها بكل ما احتاج اليه حتى الخيوط والمسالّ وحتى الخل للجند وسار الى شيراز فاقام بها حتى تتام اليه اصحابه ووافاه اليها ما أعد له ثم اندفع في مغامرته الفذة يقتحم الهند . ارأيتم الى همة شاب يترك نعيم الحياة مع لداته على ارض الرافدين بقرب حميه امير العراقين ونسيبه الوليد ابن عبد الملك ملك الخافقين ليضرب مع ستة آلاف من الجند في مجاهل الهند مواجهاً شتى المحن والاخطار؟

انه يقتحم ارضاً لم يقتحمها قائد عربي قبله . لقد بعث ابن عفان في خلافته من يخبر خبرها فاتاه الرائد يقول : قد عرفتها يا امير المؤمنين وتنحرتها . قال : فصفها لي ! قال : ماؤها وشل وثمرها دقل وصلها بطل ان قل الجيش فيها ضاعوا وان كثروا جاعوا فلم يغزها احد . اما محمد بن القاسم فليس هناك شيء يثني عزيمته . انه يقتحم على الهنود ثغورهم وحصونهم فيفتحها ثغراً ثغراً ويدكها حصناً حصناً ، يسير من مكران الى فنزبور الى ارمائيل حتى يأتي الديبل وهو في فتحه شأن القائد المحنك يحكم الصلة بينه وبين قواعده . يكتب الى الحجاج وترد اليه كتب الحجاج . والحجاج لا يضن بشيء في سبيل انجاح الحملة حتى زعموا انها كلفت الخزينة ستين الف الف درهم والوليد قلق يخشى ضياع هذا المبلغ على بيت المال . ولكن الشاب الثقفي قد اعد للامر عدته انه يخندق حول الديبل ويتركز الرماح على الخنادق

الجار الفقير

بقلم

احمد راسم



كان ينظر من نافذته الى الاشجار كأنه يراها المرة الاولى . وكانت حضرات غير منظورة تحوّم حوله .

أتعرف لون الاوراق في الصباح ولونها عند الغسق ؟

أتعرف شكل الاغصان التي تحمل الاوراق المشرقة ، وشكل الاغصان التي تحمل الاوراق المشربة الالوان ؟

وهل رأيت ، عند المغيب ، أشجاراً حمراء محملة اوراقاً شبيهة بتلك القلوب المسنة التي تدمى فيها الذكريات ؟

أتعرف ما هو التذكار ؟

فجميع الاوراق ، الاوراق المشرقة والاوراق المشربة الالوان ستتكمد يومياً .

ثم تصفرّ ، ليس لانها ماتت بل حباً للجمال .

ذلك ان الاوراق االصفراء تنبض على الخضرة باكثر طراوة ، ولا تبدو كانها آخر دموع السنة بل كانها تذكار ابتسامة مجنح .

واذا كانت الاوراق الصفراء في شحوب رزين فلانها تريد كذلك ان تكون انا ذكرى الماضي التي لا يمكن تمييزها . أتعرف ما هو التذكار ؟ .

هل عرفت السر الذي يغفي في الكلمات ؟ . فاسمع .

فكما أن الشجرة وأوراقها ، أغصانها المغمورة بالبراعم ، وظلها ولونها كامنة في البذرة ، في البذرة الصغيرة ، فشمة يا صاح ، كلمات تحتوي في ذاتها ظل النارنج المزهر .

وان كنت تستطيع — ولكن يجب أن تقوى على سماعها — فشمة كلمات تغرقك في حدائق الماضي . وقد تتذكر عندئذ عيوناً بقيت فيك كلحن موسيقي قديم .

كان الرجل الشاحب ينظر الى الاوراق الخضراء ، ولكنه كان يفكر في الاوراق الصفراء . ويفكر في الاشجان التي بقيت فيه ، وكاوراق الطريق سقطت يوماً من شجرة قلبه .

هل اتفق الك يا صاح أن رأيت في عيني جارك الفقير انعكاس،صورتك حين يرتعش نظره المتردد كورقة لدى سقوطها ، كورقة تسقط بعد ان كانت الورقة التي عطفها النسيم على زهرة الورد الوحيدة ؟ .

فان يكن نظره بقي ممسوحا بصبغة الحلم بعد ان ابتلع المقدور الصارم جميع كلماته ، وان تكن نفسه لا تزال تلمع كزجاج الجوامع القديمة التي تحرقها الشمس ، فلانه احتفظ تحت اهدابه بصورة الحديقة القديمة مشرقة وزاهية ، الحديقة القديمة التي كان يرى على مقعد حجري فيها جارة له نسجت خصلة من شعورها جانباً من صدغها ، تبتسم بعذوبة حين تراه .

وهكذا في سكون الاشياء ، سيبقى بعد طويلاً يبتسم في الليل .

احمد راسم — السويس

الصداقة في الامثال اللبنانية

بقلم شفيق طباره

◆

اهتم اللبنانيون بالصداقة ونشدوها وسعوا اليها وتهالكوا في سبيلها ، وامثالهم فيها تدل على فهمهم اداب المودة وادراكهم حقائق الاخاء . وليس بي حاجة الى بيان اهمية الصداقة في الحياة الاجتماعية فنحن نقضي من العمر سعياً وراء الصداقة اكثر مما نقضي سعياً وراء الحب . فاذا عشقنا امرأة وغدرت بنا وجدنا العزاء الاكبر في الشكوى الى صديق، واذا فجعنا بعزيز لدينا لطف من حسرتنا وجود صديق، واذا عصفت الكوارث باعمالنا التمسنا النصح من لدن صديق ، واذا ضاقت بنا الدنيا وعضنا الفقر بنابه فملاذنا الاعلى وملجأنا الوحيد بعد الله هو الصديق . فالصداقة والحالة هذه اثمن من الحب لانها تتصل بمختلف الاحداث التي يمكن ان تصيبنا بها الحياة . فمن الصديق في عرف اللبنانيين ؟ . . الصديق هو الوفي المؤاسي . ولا وفي الا من لا تغيره الحوادث ولا مؤاسي الا من كان عدة للنائبات . وجاء في امثالهم (الصديق عند الضيق) و (يا ربي تشردقني بريقي لاعرف عدوي من صديقي) و (صديق اللي ما بينفع مثل عدو اللي ما بيضر) و (الصديق الموقّع ياتيشفع ياتينفع) . من اجل ذلك نرى اللبنانيين موالين لاصحابهم محافظين على المودة . وما اكثر ما اسمعنا المتقدمون من ضروب الوفاء بين الاصدقاء في ايام البلايا والمحن التي اصابت طوائفهم واحزابهم ، لا يغدر احدهم بالاخر بل يرعى صديقه ويحافظ عليه محافظته على نفسه . ذلك مما يدل على طيب الاعراق وكرم الاصل وشهامة النفس فاذا تآخى اثنان او اكثر ولو من طوائف مختلفة توارث اولادهم تلك المودة باقين على عهد اسلافهم مهما حدث بينهم من الضغائن . وفي ذلك قالوا (صداقة الاباء متصلة بالبنين) وكثيراً ما ينادي الواحد منهم الاخر : يا اخ ويا عم ويا ابن العم مع تباين النسب .

واعجب ما تنبهت له من قصص الوفاء والمؤاخاة بيننا مايرويه المتقدمون عن رجلين كانت تربطهما قديماً رابطة الاخوة الصحيحة والمودة الصادقة فحكم على احدهما بالقتل فاستأذن لتوديع اهله وكفله صديقه على ان يرجع في اجل معين . ولما كان الموعد ولم يأت جاء الكفيل وسلم نفسه بدلا منه عن طيب خاطر . فلامه الناس على عمله وبينما القوم يعدون آلة القتل اقبل المحكوم عليه مهرولا وقامت المشادة بين الصديقين كل يعرض نفسه للموت عن الاخر ولما راى الحاكم هذا المظهر الاخوي الرائع عفا عن الاثنين .

ذاك هو الصديق اللبناني . فهو اولا رجل وفيّ وهو ثانياً رجل مؤاسٍ ، فأوصوا به وقالوا (بعد نفسك عز صديقك) و (انفع صديقك بشي، لا يضرك) و (حافظ على الصديق ولو في الحريق) و (صاحبك اللي بدك تماسيه وتغاديه كيف بدك تعاديه) .

واللبنانيون من اشد الناس تشاطراً في السراء والضراء والصداقة عندهم توجب التزاور والكرم وحسن الضيافة وفي امثالهم (بيت الضيق بيسع الف صديق) و (ان ما ساعتك البيوت بنحطك بالقلوب) و (زاد واحد بيكفي اثنين وزاد اثنين يكفي عشرة) ومن تقاليدهم اذا قدم احدهم على قوم يأكلون دعوه للطعام قائلين (مالحنا) ويقصدون بالمالحة الصداقة فيقولون (بيني وبين فلان خبز وملح) اي ميثاق ملح او صداقة . وتذكرنا هذه العادة بالسامريين الذين ارادوا ان يثبتوا امانهم لدى (يختشا) الملك فقالوا في رسالتهم اليه : لن ننسى ابداً الملح الذي اكلناه في قصرك . وهم يحلفون بالملح اي بالصحبة وما زال اللبنانيون في بعض انحائهم عندما يريدون ان يعقدوا محالفة او عهداً يأخذ كل من المتعاقدين لقمة خبز ويغمسها في الملح ويتبادلان اكلها وهذا الاتفاق المتبادل هو في نظرهما غير قابل الانفصام . فالذي لا يرعى حرمته يعد خائناً ويقولون عنه (ملحه على ديله) من باب النقد والاحتقار او التقريع . والظاهر ان فكرة الامانة المقرونة بالملح في مثل هذه العهود متأتية من ان الملح يحفظ الصداقة كما يحفظ المواد الحيوانية والنباتية من الفساد . ومن شروط الصداقة في عرف اللبنانيين ترك الخلاف وموافقة الاحباب بعضهم بعضاً في الصحبة والمعاشرة والخلاف اصل كل فرقة . ومما ورد في امثالهم (شرط المرافقة الموافقة) و (اللي ما بيجي معك تعا معو) و (كل كره واشرب كره ولا تعاشر كره) ولا يكتفي اللبنانيون بتقبيح الخلاف بل يوصون بترك الكلفة ويقولون (شرط الالفه ترك الكلفه) ويعتزون بالصحبة قائلين (انا وفلان خوش بوش) ويميلون الى مراعاة الاداب العامة فيقولون (حط راسك بين الروس وقول يا قطّاع الروس) و (اذا دخلت ضيعة ولقيت اهلها عم يعبدوا العجل حش واطعمه) عملاً بالقول المأثور : (دارهم ما دمت في دارهم وارضهم مادمت في ارضهم) . وهم يوصون بالقصد من المودة ويدعون الى الحرص على الصديق واستبقائه ما استطعنا اذ من الوفاء به ان يراعى ولا يهمل فيقولون (صديق المنقى لا تفوته من اول دقه) و (نحن

تعرفه ولا جيد تتعرف عليه) و (احفظ عتيقك جديدك ما يدوم الك) و (اللي ما له عتيق ما له جديد) و (عشير الصبا ومال الخبا) ويدعون الى تحكيم العقل في اختيار الصديق كما يجب تحكيم العقل في اختيار المرأة عندما تفكر في الزواج لان الصداقة نوع من الزواج ولكن في دائرة الفكر والروح . وفي امثالهم (ان كان بدك تلبس ألبس حرير وان كان بدك تعاشر عاشر امير) و(ياشي يصلح يا تركه اصلح) .

وعلى الصديق ان يحاسب صديقه على هفواته في عبارة سمحة وعتاب رقيق فاذا اهمل احدهم صديقه غمزوه وقالوا له في معرض التهكم والملام (اللي يشوف احبابه بينسى اصحابه) و (كل جديد وله لذة وكل قديم وعليه السلام) ويلومون المتغيب بقولهم مصر مش بعيدي على عاشقها) و (مكة ما بعيدي على اللي بيزورها) . ويقولون للمتباهي عليهم (لا بد ما الذهب بيعتاز النخاله) و (لولا قش الحصيرة ما طلعت الحريره) ويقولون لمن كان نصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد (ما بتعرف خيري تتجرب غيري) و (عشرتك متل ليمون الحاو اولها حلاوة واخرتها عداوة) و (صحبتك متل عشب السطوح ما بتلحق تطلع حتى تروح) وخبروا ان المعاملات في الغالب تفسد الصداقات فقالوا (صاحبك بدك يدوم حاسبه كل يوم) و (صديقك بدك تبقيه لا تأخذ منه ولا تعطيه) .

واساس اختيار الصديق عندهم هو تشابه الميول والعواطف فيقولون (ما توافقوا تاتوافقوا) و (كما حنا كما حنين) و (الحسن اخو الحسين) و (قدري ولقيت غطاها) و (فوله وانقسمت) و (كما التنور كما الكاره كما ام انطون الورواره) . ومن آداب الصداقة عندهم الوداعة والبشاشة . واوصوا بان نعود انفسنا طلاقة الوجه ودماثة الخلق ورقة الطبع وحلو الكلام لنصل الى قلوب الناس ونجلب البهجة والطرافة الى الحياة فقالوا (روح حلو وتعا حلو بتخل) و (بشاشة الوجه نعمة من الله) و (اللسان الحلو بيخبر الحيه من وكرها) و (ان كان بدك الناس تحبك وانت فقير احكي لهم شي يبسطهم) و (البشاشة رشوة والمودة نشوة) ومن مظاهر فرحة الصديق بالصديق قولهم عند ملاقاته (وجهك والا ضوء القمر) و (من زمان هالقمر ما بان) و (من حضر ما غاب) و (الصدفه خير من الميعاد) و (جبل على جبل ما بيلتقى وعين على عين بتلتقى) . ويقولون للمتغيب عن داره (الناس بدارك والمفتاح بزنارك) ولهم في مزاحهم كنايات من ذلك قولهم للقادم عليهم (كانت القدري ناقصه بتنجانه صارت طافحه وملانه) و (كمل النقل بالزعرور) و (اذكر الديب وهيء القضيب) و (ابن الحلال عند ذكره يبان) واذا تهيأ بعضهم للذهاب عند قدوم احدهم يقولون (لمن بتحضر الملائكة بتهرب الشياطين) و (اذا حضرت الخيالة بتقعد الحمارة على جنب) وعند الذهاب يقولون (استوت العلة وحلت الفلة) و (الروحه باليد والمجيه ما باليد) و (الغايب الكم والهدية الما) ولهم نظرة حكيمة في تأثير العشرة ففي امثالهم (من عاشر القوم اربعين يوم يا بيصير منهم يا بيرحل عنهم) و (قال له بتعرفه ؟ ... قال نعم . قال له عاشرته ؟ .. قال لا . قال له اذاً ما بتعرفه) و(عاشر المصلي بتصلي وعاشر المغني بتغني) . وينهون عن صحبة الفجار لما في ذلك من تعرض للمكروه فيقولون (من كان الديك دالوله صار القن مأواه) و (الحق الديك وشوف اوين بوديك) وينصحون باتقاء صحبة العنيد فيقولون (عاشر كردي ولا تعاشر جردي) و(من عاشر الجيد منو بيكتسب وينال ومن عاشر النذل صار مثله وانذل) و (ملازمة النذل للحر ضيم) و (فهيم يعاشر بهيم داء دفين) وهم يدعون الى اجتناب صحبة اهل المنافع فيقولون (الصاحب المخسر عدو مفسر) .

وعلى الصديق ان لا يعتمد على صديقه الا بعد ان يمتحنه حتى يلمس فيه الخصال الكريمة وعندئذ يستطيع ان يقربه ويخلع عليه لقب الصديق الوفي وقالوا (ما الك صديق الا بعد قتله) اي بعد العداوة وفي نظرهم ان النعم تجلب الاصدقاء وان المحن خير امتحان للصداقات فقالوا (يا كثرة اصحابي لما كان كرمي دبس ويا قلة اصحابي لما صار كرمي يبس) وامتحنوا الحياة وخبروا اصناف الناس فقالوا (اصابعك بايدك ما هم سوا) وباوا لؤم البشر وتأففوا منهم ومن كلامهم (الناس اجناس واكثرهم انجاس) و (وعند الضيق لا اخ ولا صديق)

ذلك ما خبروه في الحياة وهو كلام نفيس يدل على بصر اللبنانين باسرار النفوس واخلاق الناس وما كنت لابسط القول بوصف الصداقة في عرف اللبنانيين من خلال امثالهم لولا ما فيها من الحكم التي تستحق العناية لانها تفسر لنا جانباً مهما من خصائص النفس اللبنانية وتعرّف القراء بشمائل اللبنانين في مسالكهم الخلقية والمعاشية وتعطي صورة صادقة عن المجتمع اللبناني في هذا الحين .

شفيق طباره

ساريـة الاحـلام ..

على الشّطّ سنـاً يبْدُو مِنَ الآمـال يُغْرِينَا
وفي البحْرِ رُوىً تَرْنُو عَليْها السّحرُ يُسْبِينا
تعـالي نُسكرِ الليـلَ على لحن اغانينـا
ونُطفي حرقـةَ القلبِ بدمـعٍ من مآقينـا
ونايُ الحبّ في رفقٍ تُناغِيه ايادينـا
ونَنْسَى العـالَمَ الماضي على رِشْفِ اَمانينـا
تعـالي فالهوى بِكْرٌ تَهادَى في مغانِينـا
يُذيبُ العطر في كأسٍ من الشوقِ ويسقِينا
وانْ باحَ الدّجى سِرّاً ففي الفَجرِ تلاقِينـا
لنـا الاحلامُ ساريةً ونارُ الوجد تهدينـا
وقوسُ الغيم لمـاحٌ بوجـه الافق يُشْجينا
وللمجهولِ مسْرانـا ووادي الغيب وادينا
سنفني العمر في دهرٍ من الامواج تطوينـا
وانْ دارَت بنـا الدّنيا ففي الذكرى تعازينا...

احمد عبد الجبار

الحركة الفكرية في سويسرا واسوج



رينولد

فى سويسرا

أخذ سنت بوف على جاك نيكر ، في الدرس الذي خصصه له ، اسرافه في اشتغال الجملة حتى ليكاد ينفر منها التكليف والاتباع ، وما اخذه النقادة الفرنسي على الكاتب السويسراني اخذه على سائر الكتاب السويسرانيين باللغة الفرنسية . والواقع ان الكاتب الحقيقي يجب ان يكون من بلده بشيء من الحب ان لم يكن بكثير منه . وقد وجه سنت بوف هذا التنبيه اذ كان يدرس اللغة الفرنسية باوزان في وقت كان الاديب السويسراني يفتش فيه عن طريقه معتقداً انه سيهتدي الى هذا



برنار باربي

الطريق بتزيده في اتقان الجملة ومبالغته في زخرفتها . ولو ان سنت بوف عاد اليوم الى ضفاف بحيرة ليمان لاتضح له ان دروسه قد أعطت ثمارها . فشينفير ، وروبر ده تراز ، والسيدة دوريت برتود ، وليون سافاري ، والبر رينوالد ، وفردين ، ومارتو ، وشابل ، وبوشه ، وبيتركان ، وبرستر وغيرهم كثيرون طبعوا مؤلفاتهم بطابع بلادهم ، وكما شرفوا وطنهم بمواهبهم شرفوا الثقافة الفرنسية التي يرجع اليها الفضل في ما اكتسبوه من الوضوح في التعبير ، والرشاقة في الانشاء ، وتذوق الافكار العامة . وقد لا نستطيع في هذا الفصل القصير ذكر جميع الموهوبين الذين مهروا المكتبة الفرنسية بروائع خالدة كالسيدة نوئيل روجه ، والسيدة مونيك سنتيلير ، والفيلسوف ليون بوب ، ودانيال بودبوفي ، وبرنار ده ويك ، وبرنار باربي وبرنار بوفيه ، ومرسيل ريون ، الدكتور في الصوربون ، وبول شابونيير ، صاحب الدروس القيمة في فولتير وبيرون . كان الادب الفرنسي في القرن التاسع عشر ينظر الى الاديب الروماندي ، أي الاديب السويسراني الذي يكتب باللغة الفرنسية ، نظرته الى نسيب فقير جاء من أطراف مقاطعة بعيدة . اما اليوم فقد تبدلت نظرة الادب الفرنسي تبدلا تاماً . والواقع ان ادباء سويسرا الروماندية يستوون مع الادباء الفرنسيين في مرتبة واحدة ، وقد لا يقل راموز مثلاً قيمة عن أي اديب باريسي . اما الشعراء فلا يحصى لهم عدد وفي طليعتهم شينفير ، ورينولد وهنري سبيس ، ورنه لوي بياشو ، وفرانسوى فرانزوني ، وبيير جيرار ، وجان فيوليت ، وماتي ، والسيدة كوشه الباره وغيرهم . وهؤلاء الشعراء العذاب اللغة ، العميقو التفكير والحس ، المشربو الروح بالحب والحنان اذا كانوا يهيمون على انفسهم في البقاع المشرفة على البحيرات الصافية ، في قلوبهم المحبة وعلى شفاههم الشبابة ، فهم يدخلون الى نفوسهم قبل ان يطلقوا مقاطعهم على مجرى الرياح العابرة .

وتختلف سويسرا عن سائر الامم بانها تتكلم اربع لغات رسمية عدا اللهجات التي تختلف باختلاف المناطق بل باختلاف الاودية . سوى ان التقاليد الديموقراطية تجمع بين السويسرانيين على اطلاقهم وتؤلف منهم وحدة سياسية لا تتجزأ . والشعب السويسراني يوجب على ادبائه ان يكونوا حملة علمه الوطني ، فهو كبير اليقين ان الروائي والشاعر والمؤرخ والفيلسوف يصبحون خطراً على الامة اذا لزموا ابراجهم ولم ينزلوا منها الى ساحة الشعب . فالاديب في نظر الشعب السويسراني يحمل اعظم تبعة وطنية .



ماريكا ستيرنستد



سلمى لاجرلوف

في اسوج

كان آخر القرن التاسع عشر امجد عهد مر به الادب الاسوجي ، وهذا العهد الذي اتسم برجعة قوية ضد واقعية الاديب الاسوجي ستريندبرغ والفرنسي زولا دخل اليوم في التاريخ ، سوى انه ما يزال ممثلاً باسمين عظيمين، بفرنز ده هيدنستام الذي رأى فيه جيله زعيماً لرومنطيقية مجددة ، وهو شاعر وقصاص من الطبقة الاولى ، وسلمي لاجرلوف التي توفيت لسنتين خلتا ، وهي اعظم

ادباء اسوج على الاطلاق وفي الطليعة من ادباء العالم قاطبة . على ان القسم الاكبر من اعضاء الجامعة الادبية الاسوجية الحاليين ، يوجه نشاطه الى النقد ، فينشر وجهات نظره في الصحف اليومية الكبرى المفضلة على المجلات . وفي عداده فردريك بووك واندره استرلنغ ، وهذا الاخير شاعر ونقاد ، وكلاهما من الاكاديمية الاسوجية ، وبو برغمان وستن سكلندر وكجل ستروم برغ ، صاحب المؤلفين المشهورين باريس وفرنسا العذبة . وقد يختلف الادباء الاسوجيون عن زملائهم في الاقطار الاخرى من اوربا بانهم لا يتخاصمون الا في النادر القليل . فالادب الاسوجي متسم في مجموعه بالاعتدال والانسجام .

ولا نزاع في ان اقوى عناصر الادب الاسوجي الحديث نما في القرية الاسوجية ذات الجذور الديموقراطية . ولا نزاع ايضاً في ان الكتاب الاسوجيين مدينون لفرنسا ، لموباسان وفلوبير وزولا وبودلير وبروست . وليستطاع تمييز اتجاهين في الادب الاسوجي المعاصر ، احدهما متحول نحو اليمين الاقصى والآخر نحو الشمال الاقصى ، سوى ان روح التضامن يسود هذين الاتجاهين . ولكن بين هذا وذاك مكان فسيح يقطنه بضعة من المنعزلين بينهم اكبر ادباء اسوج كالشاعرين الخطيرين فيلهلم اكيلوند وبير لاجركنيست . ولد اكيلوند في العام ١٨٨٠ وتأثر في شبابه باتباع الرومنطيقية الاوربية في القرن الماضي ، وتبدو على شعره مسحة قوية من الروح اليوناني . وبما ان هذا الشاعر ما عاشر عظماء الكتاب الاقدمين فهو اعظم ناسك في الادب الاسوجي الحديث . اما بير لاجركنيست الذي ولد في العام ١٨٩١ فيختلف عن اكيلوند بعدة نواح ، فهو قصاص من الطبقة الاولى تسوده مسحة من التصوف ، وهو يذهب الى ان الحب ديانة ، بل سلاح يتقي به الانسان اخطار الفوضى . والروح الاسوجية غنائية قبل كل شي ، وقد لا يوائم شكل القصة مزاج الشعب الاسوجي . والاسوجي بوجه عام لا يعبأ كثيراً بالتحليل النفساني ، وربما يرجع السبب في ذلك الى ان الاسوجيين شعب صغير في فسحة عريضة من الارض ذات غابات ممتدة الاطراف وطبيعة ما تزال عذراء ، وشتاء كالح مظلم يباعد بين الناس اشهراً عديدة من السنة . ولذلك نرى النثر الاسوجي يؤثر اختيار الاساطير الغنائية ، ويفلح في تصوير النساك البعيدين عن الناس . على ان هذه القاعدة لا تشمل جميع الادباء الاسوجيين ، فمن بين القصاصين من يشبه الادباء الاوربيين كالسيدة ماريكا ستيرنستد ، وهي من اصل بولوني وحفيدة الكونتس المشهورة هانسكا ، صديقة بلزاك ، وقد استهلت حياتها الادبية بقصص يغلب عليها نفوذ بول بورجه .

وما يقال عن النثر الموسيقي يقال عن الشعر ، فالشعر في اسوج غزير وغني ويدل على ثقافة عميقة ، وقد تكون كارين بوي اشعر من في اسوج اليوم . وفي عداد الشعراء اولي الشخصية يلمار غولبرغ ، ويوهنس ادفلت وغونار اكيلوف . اما غوستاف فرودنغ فينتسب بعبقريته الى اعظم الخالدين في كل زمن ، سوى ان الاجانب لا يستطيعون ادراك جمال شاعريته الا بصعوبة كبيرة ، وذلك دليل على ان القوام الموسيقي في الشعر لا يعبر حدود اللغة الا بجهد كبير .

المناظرة

بقلم محمد انقاش

ليس في تاريخ البشر ، من مظاهر الحياة الاجتماعية ما هو اقدم ولا ابرز من خلاف وجهات النظر ، الذي يقود الى المناظرة ، بل ان اسطورة النوع البشري قائمة على مناظرة . فما اختلف آدم وحواء في النظر الى التفاحة ، حتى بدأت المناقشة بينهما ، هو يحمل على التفاحة ويقدح بما تكتنه من سم وشقاء ، وهي تشيد بها وتتغنى بما فيها من لذة واغراء . الى ان كانت النتيجة التي تعلمون ، فانتصرت حواء في المناظرة بقوة حججها او رجاحة شخصيتها . وانخذل آدم لوهاء براهينه او ضعف شخصيته ، وكان ان طردا من الجنة الى هذه الارض اللعينة ، يملآنها بنسل على شاكلتها وصورتها ، همه التناظر والتساجل والتكافح . من قابيل وهابيل الى اصغر كائنين ولدا الساعة .

وزاد المشكلة حرجاً والطين بلة مناظرة ثانية ، سبقت تلك المناظرة الاولى في النوع البشري بين آدم وحواء . وربما كانت الاساس الاول ونقطة الانطلاق دون منازع . جرت بين المولى عز وجل ، وبين ابليس الملاك الطاهر سابقاً . فالمولى عز وجل يطلب الى هذا ان يسجد لآدم . وابليس يعصي ويتمرد . اذ كيف يريده ان يؤدي هذا الاكبار والتعظيم لمن يعتبره ادنى منه مكانة وعنصراً . فهو — اي ابليس — قد خلق من نار ، وآدم من طين ، وهل يجوز للنار المتوهجة رمز القوة والنور ان تسجد للطين الباهت الحقير ؟ وانتهت المناظرة على الشكل الذي تعلمون ، فانتصرت حجة الاقوى ، كما لا تزال تنتصر احياناً كثيرة ، واخرج ابليس من الجنة وهو لعين .. ولا يزال هذا الخناس ، يوسوس داغاً في صدور الناس ، ويدفعهم الى الخلاف والمناظرة ، مقسماً ان يثأر لنفسه من ابناء آدم الذي كان السبب في اخفاقه ومسخه من ملك كريم ، الى شيطان رجيم ..

وهكذا نستطيع ان نجمل التاريخ البشري ، فنقول انه سلسلة مناظرات . مناظرات تبدأ في الفكر ، وتخرج الى حيز الظاهر كلاماً او كتابة ، وقد تنتهي بالضرب او الجرح او القتل . وان كانت المناظرة بين جماعتين اتسع نطاق الضرب والجرح والقتل ، وكان ما يسمونه حرباً .

وكما انطلقت المناظرتان الاوليان عن كبر وشهوة ورغبة في الغلبة كذلك شهد ولا يزال يشهد مناظرات دافعها الاصلي الكبر والشهوة والرغبة في الغلبة . فهذه الغرائز النامية في الافراد والجماعات على السواء ، تهيب بهم الى مناوأة امثالهم ومناهضة القريب .

على ان هذا الصراع الدائم الذي سقطت في ميادينه ملايين القتلى بل مئات الملايين لم يكن شراً كله . فمن تناحر الشهوات ونضال العقائد . واشتباك المطامع ، وقتال المنافع ، حدث تفاعل في الآراء والاجتهادات ، تفاعل مهره الدم بخالقه القاني ، فأدى الامر الى هذا التطور ، والى هذا الرقي الذي عرفته البشرية . وكان من جراء هذا كله ، ان ارتقت اساليب المناظرة نفسها ، برقي العلم ونمو الحقيقة نمواً نسبياً ، وقهر الاهواء والنزوات قهراً محدوداً ، وتقريب وجهات النظر بعض الشيء . فلم يبق الخلاف كلياً مطلقاً بين الافراد والجماعات بل اصبحت هناك نقاط او بقاع تصالح للتفاهم ، بقاع مدينة لوجودها لصراح الاجيال السابقة .

ولا نستطيع بالطبع ان نغرق في التفاؤل ونعتقد ان المناظرة الدموية ، المناظرة الناشئة عن المكابرة في طريق الزوال . فربما اقتضت لها اجيال وعصور طويلة ايضاً . ولكننا اذا ما قارنا بين الحاضر والغابر ، وجدنا ان حرية الرأي قد سجلت بعض النقط في العالم ، وان المناقشة السلمية المعتمدة على الحجة والحقيقة النسبية قد قطعت شوطاً بفضل تقدم الروح العلمي ، وان المساجلة الحرة البعيدة عن الضغط الظاهر لم تبق عديمة الوجود . ونستطيع ان نحس نوعاً من الابتهاج ، باننا صرنا في كثير من الحالات المعمور ، قادرين على ابداء ارائنا ، والدفاع عنها ، والطعن على اراء الغير

وبالعكس ، دون ان تهوي على رؤوسنا يد بصولجانها او بصورتها ، ودون ان يأخذ احدنا بتلابيب الاخر ، ليقنعه بواسطة لكمة او رفسة ، بصحة وجهة نظره ! وان كان السيف لا يزال اصدق انباء من الكتب ، بين جماعة ، فان حده لم يبق الحدالوحيد في الجماعة الواحدة كلما ذر قرنا خلاف فيها ، بل انه قد اختفى تماماً عند بعض الجماعات الراقية ، وحلت محله « الكتب » في اشكال شتى ، صحفاً وخطباً وما شاكل ومهما حوت الكتب والصحف والخطب مع ما تعتمد عليه في قهر الخصم من قوة الحجة وخاوص النية ، مهما حوت من اساليب ملتوية يشوبها احياناً كثير من الخداع والمغالطه فهي اسلحة مفتوحة لا تميت داءً . وللذكاء ان يفند مزاعمها ، ويشل سمها ، او ان يكيل لها بمثل كيلها . وفي كل الاحوال تبقى الفرصة سانحة للخصمين في ان يستنفدا كل ما عندهما . وفي هذا العرض الطويل مجال لتنوير الاذهان التابعة لهما ، او المتفرجة عليهما ، بينما السيف قاتله الله يحسم الجدل دفعة واحدة ، ويسد كل طريق الى تبادل الاراء وتفاعلها .

قلنا ان المناقشة الحرة قد دقت اسفيناً عند بعض الجماعات او القت مرساها عند البعض كما لا يزال السيف هو المسيطر عند البعض الاخر فمن اية هذه الجماعات نحن ؟ اننا لا نزال بين بين ، فلا حق المناظرة بممنوع ، ولا السيف بمقطوع . ذلك اننا لما نبلغ من الرقي ما يؤهلنا لفتح باب المناقشة على مصراعيه ولا تزال هناك اعتبارات شتى في رأسها الجهل مهيمنة على عقلياتنا . على ان وجه الطرافة والغرابة في الامر اننا رغم هذا الوضع او بسبب هذا الوضع نفسه احوج ما نكون الى فوائد المناظرة لتتناعل اراؤنا وتخلق عدة بقاع للتفاهم فيما بيننا . فكيف يتاح . لنا ان نتناقش مخاطبة وكتابة دون ان نؤذي بعضنا بعضاً ودون ان نخطر الى تحكيم السيف ؟

انها لمهمة عسيرة وايم الحق . فنحن نسكن موطناً من الارض طالما كان ملعباً لتيارات التاريخ ونحن وليدو اجيال متنافرة ، ونحن ابناء ثقافات دينية ودنيوية متباينة ، ونحن عرضة لميول شتى ، ونحن سفينة تحطمت دفتها وسط اوقيانوس بلا نهاية ، وحرنا اي الاتجاهات نعتمد ، واي طريق نسلك فمن الضروري ان نتناظر ونتساجل بغية الاتفاق على الطريق الاحسن ، قبل ان يفوتنا الاهتداء ودون ان تعم الفوضى على ظهر السفينة وننتهي بالاقتتال فلا يصل الى الشاطىء الامين — ان وصلت السفينة — منا احد .

ولبلوغ هذا يجب ان نرقي اساليب مناقشاتنا وان كنا بمجموعنا نستطيع التملص من شهواتنا ومعمياتنا فلاشك ان نخبة منا تستطيع للتخلص قدر الامكان . واذن فخير لنا ان نترك هذه النخبة وشأنها ، وان تفسح لها السبيل غير متدخلين لعرقلة مساعيها والتغول عليها بشتى التأثيرات واذا كان من واجب السواد الاعظم ترك الصفوة تعالج شؤوننا وتتجادل فيما يكون لنا فيه قسم من الخير فعلى الصفوة من جهة ثانية ان لا تتوخى ارضاء الجهل والرجعية وان تعتمد الاساليب العلمية والمنطقية في جدلها ، منزهة نفسها عن كل غرض وعن كل نزوة قدر المستطاع . ويجب ان تسود مناظراتها روح التسامح والتساهل لا في العقائد والمبادىء بل نحو الاشخاص . فتتعلم درساً بليغاً من الاخصام في البلدان الحرة هؤلاء الاخصام الذين يحسنون التفريق غالباً بين الفكرة والشخص ، فلا يحاربون فلاناً لانه فلان بل لانه رمز لفكرة معينة .

ولعلنا بعد مناظرات طويلة ، نلقي في سوقها بكل سلعنا العتيقة والجديدة ، وما انتجناه واستوردناه مستعرضين محاسنها ومساوئها ، مغربلين منها ما يستحق الغربلة ، متلفين ما يستحق الاتلاف ، نستطيع ان نحتفظ لانفسنا والاجيال المقبلة بصفوة الغربال . واذا كان لا بد لنا من أن نحتدم في هذه السوق ، وان تهب علينا من حين الى حين عاصفة ، تخلط بين ما فوق الغربال وما تحته ، فاي بأس ؟ او ليس خيراً لنا ان نلتقط جزءاً مهما يسر من الحبات الدسام ، بدلا من ان نبقى دون حراك ، يطمرنا الخبيث والطيب ، وكثيراً ما يطغي الخبيث على الطيب ، ونحن قانعون لاهون ؟

نعم ، لعلنا بعد مناظرات تتلوها بناظرات ، نتوق الى اشادة صرح مكين واحد للتفاهم ، في جو نقي صحي ، نركن اليه ، ونصمد لغدرات الزمان .

محمد التابعي

مونه سوللي في دور اورست باندروماك

●

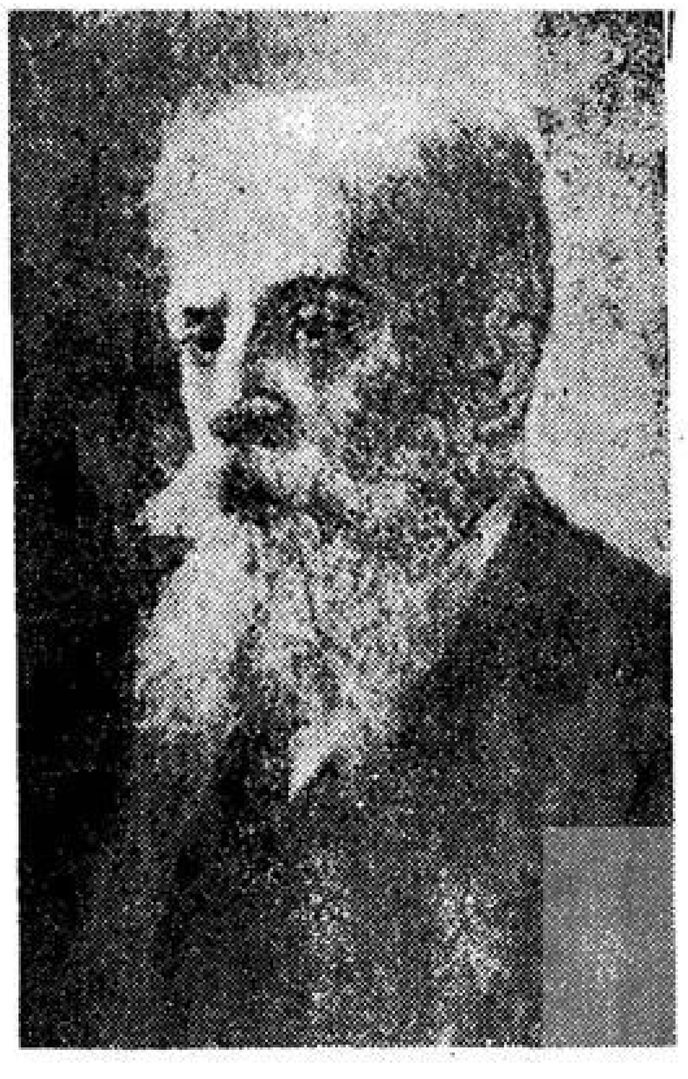
قال مونه سوللي قبل وفاته باربع سنوات يتحدث الى الاديب الفرنسي بول رينال : وكنت في نحو العشرين من عمري ، وكنت اقطن برجراك مسقط رأسي ، عندما الهمت ان انخرط في سلك المشخصين ظناً مني ان هذه الحرفة هي اجمل الحرف على الاطلاق . وما كدت افاتح والدتي بالامر حتى رأيت الذعر يرتسم على وجهها وكادت تختنق من الالم . فعدلت وتعاطيت امراً لم يلائم مزاجي . وبعد سنتين قالت لي والدتي اذهب الى باريس اذا شئت واسلك الطريق الذي تحب فلا حق لي في ان احوّلك عما تدعى اليه . ولكن تذكر دائماً انك تحمل اسماً شريفاً فحافظ عليه . » فقامت لامي في نزوة بالغة من الفرح : «اني اعدك بان اصبح مليونيراً وانال اوسمة

ودخل مونه سوللي الى الكونسرفاتوار وخرج منه بشهادة لا بأس بها . وبهذه الشهادة تعاقد مع ادارة مسرح الاوديون . وكان في السابعة والعشرين من عمره . ومنذذلك الحين بدأت صاحب الحياة ومظالم القدر . فما كاد مونه سوللي ينخرط في سلك الممثلين في الاوديون حتى خلق دوراً عقد عليه املاً كبيراً . ولكن سوء البخت حالفه في تلك المسرحية حتى اوشك على اليأس .

وجاءت حرب السبعين فأدى واجبه كجندي ولما استتب السلام عاد الى حياته المضطربة وحاول ان يعود الى الاوديون ، ولكنه لم ينجح قال : « كانت امي مصيبة فقد ضلت الطريق حين تركت برجراك الى باريس . »

كان مونه سوللي على وشك ان يقنط من النجاح ، عندما دخل على استاذه بريسان في مقصورته بالكوميدي فرانسيز ، فقال ، له هذا الاخير : ولقد جئت في وقتك يا مونه . كان بودي انا اكتب اليك ولكني اجهل عنوانك . فنحن بحاجة الى ممثل فهل لك ان تبدأ عندنا؟» . فصمت مونه مدهوشاً لا يصدق ما يسمع . وصفوة القول رضي مونه الاشتغال في الكوميدي فرانسيز .. ووقع الاتفاق . وفي الرابع من تموز ١٨٧٢ استهل مونه سوللي حياته الجديدة بتمثيل دور اورست في اندروماك لراسين واحرز فوزاً لا عهد بمثله . وكان اسمه مجهولا . حالما ظهر مونه في الفصل الاول عاين النظارة الجمال والعذوبة على وجهه ، وحالما تكلم نفذ الى القلوب بروعة صوته . سوى ان التشخيص كان يشكو من بعض المبالغة في الايماء ، ولكن النظارة قابلوا هذه المبالغة بعطف فلم يسكوا عن التصفيق وعن الهتاف احياناً .

اما في الفصل الثالث فكان امر مونه غيره في الفصلين السابقين . فلما اخذ اورست يعرب لبيلاد عن عذابه وغضبه وحقده بعد اهمال هرميون له وهزء بيروس به سكب مونه سوللي في هذه الابيات المشبعة بالالم من القوة ما قامت له القاعة وقعدت . وكانت



مونه سوللي

فترة من الزمن لن ينساها التاريخ المسرحي . وبعد مرور اربعين سنة ، اي في الرابع من تموز عام ١٩١٢ ، شاءت الكوميدي فرانسيز ان تحتفل بهذه الذكرى ليعيد مونه سوللي تمثيل دور اورست في اندروماك فنهضت القاعة حتى امتلأت الاروقة بالواقفين . ولما رفع الستار وظهر مونه سوللي عليه مساحيق الشباب ، وهمّ بان يتكلم توقف فجأة في عاصفة من التصفيق والهتاف . وطال الهتاف حتى انطفأت الابتسامة على وجهه وحتى بلغ به التأثر مبلغاً تمددت له قسمات وجهه وانخفضت اهدابه وتهدلت زاويتا شفتيه . وبالرغم من زين الشباب المستعارة بدت عليه شيخوخة السبعين سنة النبيلة . والواقع ان مونه سوللي كان نسيج وحده في فنه ، وقد طاف روسيا واميركا واحرز من الشهرة وذيوع الصيت ما لم يحرزه احد قبله ولا بعده . ففي احدى الليالي خيل اليه انه حقاً اوديب الملك فتجاوز قدرته نفسها شيئاً يتمزق وانه يوشك على الموت . والحقيقة انه تمنى في تلك الاونة ان يموت ... ليس في رجال المسرح من اوتي كمونه سوللي القدرة على نسيان نفسه . وقد قال هو نفسه انه يتفق له في حياته المسرحية ان ينسى شخصيته الا سبع مرات او ثماني وانه كلما صعد الى الخشبة سعى جهده لان ينسي نفسه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فردريك نيتشه ودين القوة

بقلم
الدكتور نقولا فياض

●

لقد شبّه بعضهم المذاهب الفلسفية بالازياء العصرية ، وهذا التشبيه على ما فيه من قلة الاحترام اذا قابلنا بين الهدف الاسمى الذي ترمي اليه الفلسفة وهي الحقائق الخالدة ، وما تمثل الازياء من اباطيل العالم الزائلة ، لا يخلو من الحقيقة لاننا نرى الفلسفة تتبدل كالثياب والقبعات وربطات العنق . ذلك لان الانسان مطبوع على حب الجديد والرغبة في التنقل . فترى كل جيل يسعى الى معارضة الجيل السابق و كل فرد يحاول ان يتخذ مكانه تحت الشمس فينكر اقوال من تقدمه ويثور على افكار السلف وعاداته واذواقه منزلا عن العروش الهتها ليقيم بدلا منها هياكل اخرى .

بالامس جاء شوبنهور فصور الحياة في اسوء مظاهرها واشدها ظلاماً وأبعدها يأساً . وطلع علينا تولستوي يحمل غصن الزيتون ويبشر بديانة الانسانية المتألمة وهي كلمات كانت لها روعتها عندما قيلت للمرة الاولى، صادرة عن ضميرحي واحترام صادق . اما اليوم فقد اصبحت تردد على كل لسان بحكم العادة دون اخلاص او اقتناع . وبعد شوبنهور وتولستوي لفت انظار الناس في العالم القديم والجديد تعاليم سترنز ونيتشه وهي تناقض كل المناقضة ما ألِفوه ولقد كان المعروف عن الفلسفة انها محبة الحكمة فجاء سترنز ونيتشه يجردان الحكمة من الاداب والاخلاق ، وبينما الناس تردد مع الشاعر العربي :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت　　فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

نسمع صوتاً جديداً يقول : « ان الآداب فكرة حمقاء ، وان الشعب المتعلق باخلاقه قاصر العقل قليل الابداع عاجز عن الرقي . وان الشهوات وحب التمتع بالملاذ دون الرجوع الى نداء الضمير او الشعور بوخزاته هي التربة الصالحة التي تنمو فيها انصع زهرات الفكر » وقد جاءت هذه الفلسفة مطابقة لاميال الكثيرين فصادفت مرعى خصباً في نفوسهم وسرت حركة جديدة ضد الدين وضد الآداب وضد الاجتماع . لكي نفهم حقيقة فلسفة نيتشه علينا ان نتكلم اولا عن سترنز ، وسترنز يرجع بنا الى فيلسوف الماني آخر سبقه في هذه الطريق هو هجل . كان هجل يقول : لا يوجد دين بل اديان ، لا يوجد مبادىء بل وقائع ، لا يوجد آداب بل عادات . فتلقى تلاميذه هذا الكلام كسيف ذي حدين وتمادوا في استعماله هادمين التقاليد الكنسية والعقائد الدينية ، وبعد ان كان الانسان ظل الله على الارض صار الله ظل الانسان في السماء . حينئذ ظهر سترنز فحطم صنم الانسانية وبدل منه عبادة الانانية المطلقة في كتابه « الوحيد وملكه » ثم جاء نتشه فحصر هذه الانانية في الانسان الاسمى أي السوبرمان .

وقد حاول سترنز بمنطق لا يخلو من الاناقة في التعبير ان يبرهن ان ما نسميه انسانية ،غير موجود وانه ليس على المرء ان يخضع لما هو خارج عنه سواء أكان الهياً أم بشرياً ، وانه لا حقوق الاّ حقوق الفرد ، وان ما ألِفناه واتخذناه كآيات منزلة مثل الادب والفضيلة وعظمة الشعب وما شاكل،فكرة فرضت علينا واشربتها نفوسنا فصارت شغلنا الشاغل كالفكرة الراسخة في ذهن المجانين . وأي فرق بين مجنون يظن نفسه امبراطوراً او الهاً ورجل من الناس يتصور انه وجد على الارض ليلبي دعوة ربه فيكون مؤمناً او وطنياً او ذا فضيلة . هذه الفكرة الراسخة التي تحمل الانسان على احترام الحكومة او المعبد أو المجتمع هي في نظر سترنز عفريت يمتص دم الحياة، ولا يكون الانسان حراً الا اذا انكرها وطردها من رأسه وأبى الخضوع لها . وحريته لا تكون حقيقية الاّ اذا استخدمها من اجل ذاته وجعل من انا ، الالف والياء أي بداية كل شيء ونهايته . حتى اذا ما قطع كل الصلات الاجتماعية أمكنه ان يقول كما قالت احدى بطلات كورنيل عندما سئلت بعد قتلها اولادها ماذا يبقى لك فاجابت يبقى انا ، انا وحسبي .

« انا » أي محبة الذات في اقصى حدودها وأسمى ذرواتها، وكل عوامل الاداب والأخلاق التي شغلت البشرية وضغطت عليها طوال العصور ليست الا اوهاماً ، وباسم هذه الاوهام كان الحكام والزعماء والمربون يسيطرون على العقول ويصرفون امور الناس كما يفعل مروضو الدببة فيرقصونها ويقفزونها على نغم المزمار . فاذا تحرر « انا » فقد تخلص من القفز والرقص .

ان سترنز لا ينكر الشعائر الانسانية ولكنه يجردهـا من صفة الواجب . اسمعوه يقول : « انا لا اعرف قانوناً . احب الانسان لان ذلك يروق لي ، اما ان اضحي نفسي له فتلك فكرة لا تخطر في رأسي ابداً . احبه لاني بالحب استطيع الوصول الى ما اريد . والعشق نفسه اذا قبلت بحكمه وتركت لسهام الاحاظ سبيلاً الى قلبي فلان ذلك ضرب من حب الذات . اني اشفق على كل ذي احساس فاتألم لالمه وافرح لسروره ، فانا قادر على قتله براحة ضمير ولكن لا على تعذيبه . انا لا اتعلق بشيء وغاية ما اطلب ان اعيش لنفسي واتمتع بما اريد كما اريد . كل ما يمكنني الاستيلاء عليه هو ملكي وكل الوسائل حلال في هذه السبيل : الاقناع الرجاء والاكرام والكذب والخداع والرياء . القوة وحدها تخلق الحق . ماذا يهمني مصلحة الآخرين ، فمصلحتي اريد . والحرية لا تكون الا بمحبة الذات . » اسمعوه يقول ايضاً : « اذا رأى الكلب كلباً آخر يتلهى بعظمة ولم يهجم عليه لينتزعها منه فلانه شاعر بعجزه عن ذلك . اما الانسان فيحترم حق سواه بعظمة . وهذا ما يقال له الانسانية ، واذا اعتدي عليه نسبوه الى التوحش وحب الذات . دعوني من حديث العدالة والخير العـام . ان حب الذات وحده قائدي ودليلي وهو يقول لي استولي على ما انت في حاجة اليه . »

هكذا ينكر سترنز الواجبات الاجتماعية ولا يعترف الا بالمصلحة الذاتية . واليوم كم من الذين ينفرون من هذه التعاليم ويستفظعونها في الظاهر ، واذا خلوا الى انفسهم قالوا : انا معك يا سترنز . وهل كان اكثر المحتكرين والمضاربين الذين يمتصون دماء الفقير الآ من هذه الطبقة ؟ لقد اقام سترنز سلطان الانانية على انقاض كل سلطة الهية او بشرية . وما نيرون عند حرقه روما بتلذذ ، ومـا لويس الرابع عشر عندما صاح « المملكة انا » الآ كالبعوض ازاء هذا المعلم في احدى مدارس برلين الذي ينادي من كوخه الحقير : الكون انا .

لا حاجة بي الى نقد مزاعم هذا الفيلسوف ، فاذا كان اساسها حب الذات فلا احد ينكر ان حب الذات اساس الاجتماع . وما خرج الانسان من ظلمة الوحشية وارتقى في سلم العمران الآ على ضوء هذه العاطفة . فحب الذات شرعة طبيعية بل هي الشرعة الاولى . وجودها واجب ونافع على شرط ان لا تتجاوز حدود الاعتدال والحكمة فتفسد وينقلب نفعهـا الى ضرر لانه كما يقول برونيتيار لا حق لاحد ان يدعي السلطة الكاملة على ما يعمله او يفتكر به لانه لاحد يختص بنفسه دون المجتمع فهو مدين له في الماضي ومحتاج اليه في الحاضر . ينسى سترنز ان لحياة البشر شرائع طبيعية وان الممالك لم تقم على فكرة راسخة كما يدعي بل على غريزة البقاء . فالانسان حيوان اجتماعي لا يستطيع ان يعيش وحيداً بل عليه ان يرضي محبة ذاته ويرضي محبة ذات الاخرين . ولو اراد الواحد منا ان يحقق ادعاءات سترنز لعارضته الوقائع ووقفت الحقائق سداً في وجهه ولو اراد سترنز نفسه الذي كان رجلاً هادئاً مسالماً ان يجرب بالعمل مـا يقول لمنعته شرطة برلين واعادته الى الحقيقة والواقع ، فتعاليم سترنز ليست شيئاً في نظر الفيلسوف ولكن لها اهميتها في نظر المؤرخ ، لانه لم يكن بين الذين حاولوا هدم العرش والهيكل من اتباع هجل من استطاع مثله ان يحتج ابلغ احتجاج على النظام القهري الخانق الذي كانت عليه بروسيـا في منتصف القرن الماضي . وما ذكرت لكم آراءه الا لانها كما قلت تساعدنا على فهم نيتشه وتفسير مذهبه .

لم اجد كاتباً حطم بمعمول فلسفته اصنام العقائد وانزل الالهة عن عروشها لينتصب مكانها الهاً في عقول الناس مثل نيتشه . ولا ادري اكان الجنون الذي انتهى اليه فأوقف حركة عقله قبل ان تقف حركة جسده نتيجة هذا الاجهاد والجهاد مع ما عرف عنه من افراطه في استعمال المخدرات وغرامه الشديد بالموسيقى ، ام هي ضربة لازب لما بين العبقرية والجنون من النسب المزعوم ؟ على كل حال فان غرابة اطواره وميله الى الوحدة وغضبه الدائم على معاصريه من حملة الاقلام وكبرياءه الفائقة الحد امور تحمل على الشك في انه كان موفور الصحة خالياً من شائبة المرض .

فضلاً عن ذلك فهناك تناقض تام بين الرجل والمؤلف ، فان دعة اخلاقه ولطف معشره وتعلق تلاميذه به وحب النساء له على الرغم مما كان يكيل لهن من الشتائم في كتاباته ، لا يتفق مع ثورة الفكر والقلم التي صفع بها جميع المبادىء القائم عليها نظام الاجتماع . لقد كان نيتشه اعدى عدو لهذا الاجتماع المملوء نفاقاً كما كان جان جاك روسو من قبـله ، وكما نادى روسو بالعودة الى الطبيعة والسليقة نادى بها هو ايضاً ، مع هذا الفرق بين الاثنين ان روسو كان من عامة الشعب في عالم ارستوقراطي ونيتشه ارستوقراطي اروح الى ابعد حد في عالم اخذت الديموقراطية التي تنبأ عنها روسو تتحقق فيه .

لقد استولى على عرش كبريائه ، ومن ذروة هذا العرش ارسل حكمه على البشر فقسم الناس الى فئتين وجعل بينهما هاوية سحيقة . فئة النبلاء وهم القلة — ولا يعني بالنبلاء تلك الطبقة المعروفة بقدم العهد او الالقاب او غير ذلك من الامتيازات بل اصحـاب الارادة

والعمل والاطماع الذين خلقوا الامارة والحكم والابداع ــ وفئة القطيع البشرى الكثير العدد امير العبودية ، عبودية التقاليد والحقد والحسد ، والبغضاء لكل سابق او متفوق . كل ما هو سام وعظيم في العلم لا يصدر في اعتقاده الا عن هذه الفئة القليلة من الاشراف . وبالعكس اذا كان السلطان للعبيد فان اعمالهم لا تأتي بغير السافل والدنيء كما في الديموقراطيات حيث تغلب الكمية على الكيفية ويتحكم النعاج بالاسود .

فالمذهب الارستوقراطي، مذهب نيتشه، يزعم ان الرقي يقوم على تنازع الطبقات اكثر منه على تنازع البقاء، اي بفوز الرجال العظام قادة الشعوب الذين يسكبون في عروق الامم دماً جديداً واذا فتكون غاية الانسانية انتاج رجال عظام وتضحية الجماهير في سبيلهم . والمذهب الديموقراطي وهو مذهب تولستوي ايضاً يقول ان الذي يكتب التاريخ هم الجماعات واما تلك القلة التي تدعي الزعامة فضررها اكثر من نفعها ، وعليه فغاية الانسانية تضحية الفرد للجماعة لا الجماعة للفرد ، ومعنى ذلك سلطة الشعب والتصويت العام فالاشتراكية . وبما ان الرقي عمل اجتماعي فلا يجوز حصر فوائده في الاقلية بل يجب ان يتمتع بها جميع الناس .

ان نيتشه لا يعترف بشرعة ادبية واحدة للبشر بل عنده ادبان ، ادب للجبابرة وادب الاقزام ، ادب للسادة وادب للعبيد . فالرحمة والاحسان والامر بالمعروف وحب القريب وسائر الفضائل التي تتغنى بها الجماعات شر في عرفه ، ولا صلاح ولا فضيلة الا في القوة والشدة والتحكم ، تلك هي صفات الاشراف او علية القوم التي لا تعرف من الواجبات الا اطلاق العنان لغرائزها فتكون حليتها حب الذات والتجرد عن كل ما يسميه عامة الناس ادباً .

اسمعوه يقول : « محبة الذات لا تختص الا بمن كان شريف الروح اي ذاك الذي عنده ايمان لا يتزعزع بانه فوق الناس وله يجب ان تخضع وتضحي سائر الناس فهو خارج عن نطاق الخير والشر .

فالرجل الاسمى او السوبرمان هو الذي لا دين له ولا وطن ولا اسرة . ولا قيمة للشرائع الادبية عنده الا بقدر ما تسمح له ان يكون السيد المطاع .

هذه المبادىء الغريبة التي تمتاز بها تعاليم نيتشه تكاد تكون فطرية فيه ، فقد شهر الحرب على العرش والهيكل وهو في الثالثة عشرة من عمره فلم يجد في النصرانية الا دين رق واستعباد لانها بتعظيمها الزهد والرحمة والوداعة ونكران الذات قد جزت اشرف غرائز الانسان وبدلت منها فضائل كاذبة ، وحولت العالم الى مستشفى كبير ليس فيه سوى مرضى وممرضين مع ان الواجب الاول على الانسان ان يكون صحيح الجسم .

ولم يكن عدوانه للحكم الديموقراطي باقل من عدوانه للكنيسة ، فهو يرى في الحكومات ويلا على المدنية الا اذا استلم مقاليدها رجل ظالم وبسط دكتاتوريته عليها .

ولا يكفي الانعتاق من نير الدين والحكم ليستحق الرجل الاسمي هذا اللقب ، بل عليه التخلص من نير المرأة ايضاً . ان دليلة المحتالة تقلق بال نيتشه ولهذا فهو يحتقر الزواج ويفضل ان تعامل المرأة على الطريقة الشرقية ــ كذا يقول ــ فلا يطلب من هذا الجنس الخائن الذي يخفي براثنه تحت قفاز مخملي سوى اللذة والنسل الجميل . وابغض النساء اليه المترجلات اللاتي يطمعن بالتصدر في المجالس ويدعين البطولة كمدام تيل ومدام رولاند وجورج ساند .

وهو لا يحترم من المفكرين والكتبة الا من عرف ان يصور حياة عصره ، مثل مكيافيلي وستاندل ودوستيويفسكي اما الفلاسفة وعلماء النظريات فلا مقام لهم عنده فينسب الخمول لدارون والرياء الى « كانت » والتسمم الى « سبينوزا » .

ويعجب بعصر الوحشية والقوة . ومن هذا الاعجاب يستقي كرهه للعصر الحاضر عصر الكسل والرفاهة وعصر التقهقر الادبي والفسيولوجي الذي يسمح للضعفاء بالحياة والتوالد مما يؤدي الى اضعاف النسل الانكليزي .

اما ناموس القوة الذي بشر به فقد قدمه الى الناس في كتاب جعله انجيل او توراة الجبابرة . هكذا زرازوسترا .

فهذا الكتاب الغريب الذي هو شبه توراة للجبابرة استعار فيه الاله زرازوسترا ليلقننا شرعة الاقوياء ويقربنا من حقيقة الانسان المتفوق على الانسانية . ولا احاول الا جولة صغيرة في هذا الكتاب الضخم المتشعب المسالك الغامض الابحاث الكثير الرموز لتلخيص ما يرمي اليه من تحقيق هذه الفكرة الهائلة السامية التي ترفع الانانية الى درجة التقديس فيبز فيها ستيرنر ومن كتب قبل ستيرنر هذا في

الموضوع هادمـاً من اجلها المبادىء الادبية ، محطماً الواح الوصايا التي تدير نظام الاجتماع جاعلاً الخير غير الخير والشر غير الشر ، مبيحاً السرقة ، مشجعاً على القسوة ، منكراً صحة كل شيء ، معترفاً بجواز كل شيء ، ما خلا الضعف مهما يكن في هذا الضعف من بوادر الصلاح او الطلاح .

على انه اذا جردنا زارازوسترا من حلته الشرقية واخرجناه من جمال الاطار الذي يخلعه عليه البحر والجبل وذلك الخيال الشعري البعيد المدى لم نجد في هذه التعاليم ما يبدو للوهلة الاولى من جدتها وغرابتها بل ظهرت لنا في حلة مستعارة وسمعنا من خلالها صدى اصوات فلاسفة اخرين من افلاطون الذي كان يريـد في جمهوريته طبقة من الاشراف ابطال الحروب الى مكيافيلي الذي يرى في الديانة الوثنية تمجيداً للعظمة والهيبة والقوة ، الى دى ميستر الذي ينادي بالدم وضرورة الحروب للاتيان بعظيم الاعمال . وقديماً قال الشاعر العربي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

وهذه القسوة الفائقة التي يبشر بها نيتشه وهذه الثورة على العادات والتقاليد والآداب الاجتماعية التي ينادي بهـا نجدها تحت اقلام الكثيرين من الكتبة والشعراء كشلر وبيرون وبازاك وستاندال ، ولكن احق الناس بان يكون مصدر وحيه هو شوبنهور . غير ان شوبنهور يتفوق عنه عند الاستنتاج ، اذ يلجأ الى الزهد ملقياً نفسه في احضان الزقانا نظير بوذا ، وما الزقانا سوى الغيبوبة عن هذا العالم في سبيل الخلاص الابدي .

ان ما يمتاز به كتاب نيتشه هو جمعه بين النقيض ليجذب اليه الناس ويبعدهم عنه في آن واحد يجذبهم اليه بما فيه من كراهة الكذب والنفاق ومحاربة ضعفاء العزيمة والارادة والالحاح في استعمال الشدة والقسوة نحو ذاتنا ونحو سوانا ، فهو يتطلب جيلاً قوياً ونسلاً جميلاً ولا يرى للحياة معنى ان لم يتفجر من صخرتها العمل العظيم والابداع فيخال لنا في حالة الوهن والاضطراب التي تتخبط فيها الانسانية اليوم ، ان نيتشه يحمل في نفسه الام الحاضر كما يحمل امال المستقبل وهذا ما حببه الى الناشئة الطماحة وجعله عظيما في عيونها . ويدفعنـا عنه بما يحاول من فصل الانسان عن الانسان وتقديسه الكبرياء والشر واحتقار الاخرين وحب الذات في اقصى حدوده . ولقد شبهوا فلسفة نيتشه بالسم الذي يفيد اذا اخذ جرعات صغيرة فقد يكون فيها علاج لداء العصر المتفشي من يأس وسوداء وملل من الحياة . اليس هو القائل : « يجب ان نستيقظ كل صباح وفينا من الارادة فوق ما لنا بالامس ، علينا ان نعرف العالم كي نحاربه ، فلنحب الحقيقة وما فيها من شناعة وخبث رائحة ومصاعب واخطار ولنخلع عنا اليأس ولنقصر الشكوى والانين ولنقو على اخفاء الالم ولنهرب من الشفقة كما نهرب من العار ، ولنجعل قلوبنا قاسية قساوة الماس . غير ان هذا العلاج لم يشف داء العصر المستحكم بل بدل مركز الثقل فيه وحول ضعف الشبيبة وبأسها الى صلف وغرور وربما دفع البعض الى ارتكاب الاثام . على ان نيتشه ينكر هؤلاء التـلاميذ في ضلالهم ، بل يأبى ان يكون له اتباع ، لان الاتباع يدخلون في عداد القطيع اي العبيد ، وعلى كل فرد ان يستقل في نظره وخبرته فيفهم العالم كما يريد .

لقد اراد نيتشه ان ينظم قصيدة الشدة والبطولة فجاءت ابياتها ملأى بالنقائض ، ومن خلال آياته وحكمه واناشيده وصوره كانت طريقة كثيرة الالتواء والمنعرجات فهو ينهي عن الرحمة ويأمر بها . ويمنع الالم ويمتدح مزاياه . لا يكره التوراة والانجيل لما فيها من العطف على الضعفاء ويعجب بها لما فيها من حب الانتقام : « عين بعين وسن بسن » هذا من آداب السادة . واما من يلطمك على خدك الايمن فادر له الايسر فهو من ادب العبيد . وينكر الصداقة على المرأة ويشبهها بالهر ويتخذها صديقة له . ويوصي بالحب لتحسين النسل ويطلب جلد المرأة بالسياط ، ينهي عن الواجب ويأمر بالطاعة فيحمل على الحكومات حملة شعواء لانها تخدم الفضوليين الدخلاء على الحياة ثم يقول اكرم السلطة ولو كانت عرجاء الى آخر ما هنالك من الوصايا المتناقضة الجائرة بين معناها الظاهر ومعناها الخفي . وجملة القول ان نيتشه يحملنا على اجهاد الفكر ويمشي بنا على شفير الهاوية او فوق قمم خطرة فلا يطبق القاري كتابه الا وقد اصابه دوار وصـار كمن يتلمس طريقه للهبوط من هذا العلو الشاهق الى صعيد الحياة .

هذا هو نيتشه رسول القوة لقد كان في حياته شاعراً مغرماً بالموسيقى وبنات الافكار والاناقه الارستوقراطية وكان لطيف المعشر محبوباً رقيق الشعور شديد الاحساس ولكنه كثير الاحلام فجاءت فلسفته نتيجة لاحلامه وخياله اكثر مما لاخـلاقه حتى انتهت به الى الجنون . والغريب ان جنونه كان مبنياً على هذيان الاضطهاد والعظمة فظن نفسه لازرازوسترا بل المسيح على الجلجلة . هذا الاله الذي حاربه لانه اله المستعبدين اصبح غاية مناه واقصى مشتهاه وربما كان ذلك يقظة الغيبوبة بالعودة الى ايمانه القديم لان والد نيتشه كان قسيساً .

نقولا فياض

يا صوتها

◆

ياصوتها ، يا زغردات الجدول
وهمـة العصفور بالتنقـل
تطوف في الخاطر بي اصداؤه
كذكريات القبـلات الاول
تحنانه الدمعة في انسكابهـا
ووقعه رجع اغـاني البلبل

●

يا صوتها ، نفديك من ايامنا
بالامس ، بالحاضر ، بالمستقبل
غن بنا الدنيا ، فيا طيب ما
نغنم من غناك ، او ما نجتلي
غن فتنهلّ المنى عوالماً
يغيب فيهـا ازلٌ في ازل
وتغرس الحلم ، رضيّ المجتنى ،
على جبين المرتجى المؤمـل

●

غنّ . نودّ العمر الاّ ينقضي
وسكرة الغنـاء الاّ تنجلي

يوسف الخال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الادب التركي الحديث

بقلم غطوس الرامي

قد يوحي الادب التركي الحديث منهلين اثنين : فهو شرقي بالفطرة ، وغربي بالروح والخيال والثقافة والفن . وادباء الجيل الجاري ، الترك ، انعتقوا تماماً ، في ما ينتجون من كل زخارف الادب الشرقي ، على جلالها وجمالها ، واصبحت حساسيتهم تتلمس كل ما هو غربي .

والادباء المحدثون الترك ولجوا ابوابا ، كانت الى نصف قرن ، محكمة الاقفال علي الادب التركي ، كالقصة والمسرحية ، « والمحاولات » .

ولقد درجت القصة الى الادب التركي، في اواسط القرن التاسع عشر ، بخطى متعثرة ، على اقلام كتاب كان يشك كثيراً في قدرتهم على سلوك طريق القصة الكثيرة الملتويات .

وكذلك كان حال المسرحية مع الادباء الاتراك في عهد كان الادب الغربي نفسه ينفج الادب العالمي بأهزل المسرحيات . اما « المحاولات » فلم يتعرف اليها الادب التركي ، الا حديثاً مع فالح رفقي الذي حلق بهذا النوع من الادب العذب انخصب الى مرتبة كان يتطلع اليها اناطول فرانس بعين الاثرة . والشعر في الادب التركي كان اداة الانتقال بين العهدين القديم والحديث . ولاغرابة، والشعر ، في كل ادب ، عنصر فعال في كل توجيه وانتقال . اما النثر فلم يكن فيه ، لاقلام الكتاب الترك جولات تذكر ، حتى الربع الاول من القرن التاسع عشر . فالمؤرخون والمدونون واصحاب المذكرات والبحوث العلمية والفلسفية كانوا يجدون في الادب المنثور نوعاً جافاً مستقلا لا تمسحه اية مسحة جميلة مما هو ممسوح به الشعر . واذا كانت تجول في بال اديب فكرة طريفة كان يأبى الا التعبير عنها شعراً . وهكذا كان الادب التركي ، الى قرن فات ، خلياً من ناثرين مرموقين ، ازاء ما كان يتمتع به شعراؤه من سعة انطلاق .

وانبلج فجر النهضة الادبية الحقيقية الملموسة عند الترك، سنة ١٩٠٨ ، مع صفوة كتاب عرفوا باسم « فجر الغد » . ودشنت هذه الصفوة حركتها المبروكة بالشعر والقصة . وبالشعر والقصة طلق ادباء « فجر الغد » الترك المحدثون، تقاليد الادب التركي السالف . وطلع عليهم احمد هاشم بالرمزية ضاربا على وتر هنري رينيه . وكان تأثير احمد هاشم في الادب الطالع بليغاً . فقد نشأت معه وبعده حركة رمزية حلوة شاملة . على ان هاشما ظل بعيداً عن ان يجارى . وهو برفيع ثقافته وفريد اسلوبه ودقة احساسه يبقى المتفرد بارو ع صفحات التاريخ الادبي التركي الحديث ... وبعد هذه اللمحة الخاطفة عن الادب التركي الحديث وبلوغ باب الموضوع الذي ساحاول ولوجه مع القارىء — وهو الشعر التركي الحديث دون سواه — سوف لا انتحي في هذا الصدد منحى التحليل او النقد ، او دراسة تطورات الشعر التركي على مدى اجيال غابرة ، بل اكتفي بفتح كتيب ضمت دفتاه اروع ما طاله الخيال التركي ، شعراً . وبنقل بعض المنظومات التركية الى العربية ، تاركا للقارىء موضوع تذوق وتحليل ونقد الشعر التركي .

لنفتح اولا صفحة :

احمد هاشم

توفي احمد هاشم في حزيران ١٩٣٣ عن ٤٧ عاماً . وقد كان افضل واحب وانعم شعراء تركيا في الثلث الاول من القرن العشرين . وقد كانت اولى منظوماته مصبوغة صبغة كلاسيكية . ولكن سرعان ما حوّل وجهه شطر درب ادت به الى اصفى ينابيع الرمزيه واعذبها .

اسمعه يقول في مقطوعته « **الساعة الاخيرة** »

« عند حلول الليل تشع المدن في الافق .
« تعصب الكآبة جبين الفرح ، دونما سبب .
« تخفت الاصوات . ويضطجع الحلم في القلب .
« وتعصف ريح الغضب هناك في الاعالي .
« يسعى الطير الى الدجنة .
« ويسري الليل بتؤدة فيضطرب وجه المياه المكفهر .
« الاشجار تبدو في غفوة . وموسيقى القلب تنفلت بميوعة

من اعماق القلب ، كاشفة عن اكتئاب واسى .

« ووجه الحياة يصفو صفاء السماء .

« وينفذ سرب الذكريات الى النفس المحتجبة خلف الفستار .

« والشباب الذاهب يبكي الغد الفاجع .

« ويمتد جناح ساحر فوق الاشياء .

« بينا يهبط ، مع كآبة الشط ،

« ليل وداع في موكب نجوم . »

*

وفي مقطوعة « السلّم »

« ستصعدين في هذا السلم .

« تجررين وراءك نثار اوراق بلون الشمس .

« وتنظرين الى السماء من خلال دموعك .

« لقد اصفرت المياه . واصفر وجهك ايضاً .

« انظري الى الفلك المحمر . هوذا المساء يعود .

« الورود الحانية على الارض تقطر دماً ..

« هي لغة ساحرة تفهم القلب . لغة الاشياء .

« انظري الى الفلك المحمر . هو المساء يعود .

*

ومن مقطوعة « هذه المدينة »

« خلّي النسيم العليل

« الجاري من البحار يداعب شعرك .

« لو تعلمين

« كم انت جميلة في اكتئابك . وهذه العيون

« العالقة بالافق الداغش تندى اكتئاباً وحنين منفى

« لا انت ولا انا

« ولا هذا المساء المنهمر على جمالات جسمك ،

« ولا هذا البحر الازرق ،

« مرفأ آلام الروح ،

« اصدقاء قوم لا يحسون الكآبة .

« لستِ بنظر رجل اليوم

« سوى امرأة فتية

« ولستُ بعرفه سوى احمق ،

« فهذه الشهوة البائسة وهذه النظرة القذرة

« لا تستطيعان فهمنا ، لا انت ولا انا

« ولا ادراك معنى هذه الكآبة اللينة عند الغروب ،

« ولا انتفاضات البحر الراكد .

« انت وانا

« والبحر

« وهذا المساء الساكن الصامت ،

« الذي يتقبل بخور نفسك ،

« نحن جميعاً مبعدون عن مدينة خيالاتها زرق

« وباعدة

« محكوم علينا بالنفي الابدي الى هذا المكان

« هذه المدينة ،

« الممدودة في مطارح الحلم البكر ،

« مساء ازرق

« يغشاها

« والبحر عند قدميها

« يسكب هدأة النوم في النفوس .

« والنساء هنا . جميلات ، بهيات ، نقيات ، يعشقن الليل ،

« والالم يكسر اهداب عيونهن جميعاً ،

« وهن شقيقات او حبيبات .

« ان قبلاتهن الممزوجة بالدموع

« وهذا الاستفهام الازرق الذي يطوق بالسؤال عيونهن

« كل هذه تعرف كيف تهدهد عذابات القلب لتغفو في اعماقه ..

« هذه المدينة

« في اية بقعة تنطرح ؟

« واي نهر يطوّقها ؟

« اهي حقيقة ام خيال ،

« ام هي ملجأ الحلم الشارد ؟

« لا اعلم ولكن

« جل ما اعرف ، ان ، انتِ وانا والبحر الازرق ،

« وهذا المساء الذي يحّرك فيّ

« اوتار الالهام الكئيبة ،

« المبعدين عن مدينة خيالاتها زرق

« وباعدة ،

« محكوم علينا بالنفي الابدي الى هذا المكان . »

غطوس الرامي

الاطعمة والاخلاق

بقلم لأمين الغريب

في مثل هذه الايام من خريف ١٩٤٠ اتيح لي البحث في عدة امور تهم النساء . والامور التي تهم النساء متشعبة كثيرة الفروع لا ينضب معينها ما دام في الدنيا نساء ورجال وألسنة ومسامع .

وقد راقبت في هذه الايام ، ما تحب السيدات من الكلام . فاذا باقرب موضوع الى القلب وادناه من الحشاشة موضوع الاعاشة . على ان ما يريد الناس من الاعاشة ليس كلاماً ، بل طعاماً . فياليت لي خردلة من الايمان ، الذي ينقل الجبل من مكان الى مكان ، اذن لحولت بطيبة خاطر هذا الكلام الى طحين ، وارسلته الى المحتاجين . لكن ايماني ، استغفر الله ، قليل على ما يظهر . وفي الهند يقولون ان للطعام علاقة بالايمان من حيث الضعف والقوة . غير ان الاطباء الكرام ، جزاهم الله خيراً ، يؤكدون ان خير الطعام ، كخير الكلام ، ما قلّ ودلّ .

يؤثر عن المطران الكبير بطرس البستاني قوله لمحدثيه : « لو اكلتم قليلاً لأكلتم كثيراً » اي لطالت اعماركم وكثر مجموع ما تأكلون . والمطران بستاني رحمه الله ، كان خبيراً في الموضوع . فهو قد عاش ثمانين عاماً .

وفي الاحصاءات الشائعة ان التقشف لا يميت احداً . بعكس الشراهة . فهي ماهدة السبيل لمعظم الامراض ، ونافحة المقابر بسبعين في المئة من سكانها .

لكن الطعام ان ضرّنا الاكثار منه فلا بأس علينا في الكتابة عنه . وهو على كل حال موضوع شهي لا تكبر عليه مجالس السيدات ، ولا تبرم به نفوسهن . لان السيدات على ما زانهن الله به من تقشف ، وتعفف ، مستقلات في بلادنا بالطبخ وألوانه ، مستأثرات باتقانه ، قديرات بتنويع اشكاله ، على صحة الوطن ورجاله . فالطعام وسيلة العيش ، وهن مهيئاته . والطعام وحي الذوق ، وهن آياته . وكل امرأة كالملك الحارس في دارها . ساهرة على كبارها وصغارها ، يحافظ على سلامة ذويها ، وتبث فيهم النشاط والقوة . وبمقتضى بيانات العلم الحديث تستمد من الطعام الذي تهيئه لهم ثلاث مرات في اليوم ، قوة كيماوية تكيف طباعهم واخلاقهم وميولهم واهواءهم .

اما السيدة التي تظن ان مالها يغنيها عن دخول المطبخ وتفتخر بجهل اصول المطبخ فمسكينة بين النساء لانها تحرم نفسها ذلك التأثير العظيم في بيتها . ولن يلبث قرينها ان يعرض عنها ، متضجراً متأففاً منها . فقلوب الرجال مربوطة بمعدهم على ما يقال . ولا بد لجاهلة الطبخ ان تندم . ولات ساعة مندم .

في المنزل ثلاثة اماكن تحتلها المرأة بثلاث مزايا . فهي احق ما تكون في غرفة الزينة ، تحافظ على جمالها ، وهو رأس مالها . والبق ما تكون في الصالون ، تنشر على اصحابها ، عطر آدابها . وافضل ما تكون في المطبخ ، تؤدي اهم واجب عليها ، وهو اعاشة ذويها .

على ان المطبخ وحده عاصمة مملكتها ، والملكة التي تبعد عن عاصمتها ، تسقط عن اريكتها . ولها يقول الشاعر :

اعطيت ملكاً فلم تحسن سياسته وكل من لا يسوس الملك يخلعه

قال الفرنسيون في امثالهم : قل لي من تعاشر اقل لك من انت . ولو قالوا : « قل لي ما تأكل اقل لك من انت » . لكانوا ايضاً صادقين . فقد اجمع العلماء الباحثون على ان اخلاق الناس وطباعهم تعود الى عوامل اهمها عصير مادي يمتصه الجسم من طعامه اليومي . وبناء على هذا ، اذا التقيت غداً بشخصين وحييتهما فرد الاول بلطافة ، والاخر بخشونة ، كان اختلافهما نتيجة الاطعمة التي تناولاها امس .

وللدلالة على تأثير الطعام في الحالة النفسية ، يكفي ان نذكر الضنى الذي نشعر به بعد وقعة كبيرة من الطعام . فهو ينجلي عن توتر في الاعصاب ، وضيق في الصدر ، وانقباض في النفس . بينما الاكل الخفيف يدع الذهن صافياً والذاكرة مرهفة والنفس منشرحة .

يقول اساطين العلم الصحي ان الجسم يعرق في العمل الشاق فيخسر كثيراً من املاحه . وخسارة الاملاح تهد الحيل . فاذا شرب ماء مضافاً اليه قليل من ملح الطعام عوض خسارته واشتد حيله . وبعض الدول المحاربة اذا قطع جنودها مسافات مضنية ناولتهم مادة كيماوية تدعى تيوفوسفات الصوديوم فذهب التعب في الحال عنهم . والسمك البحري غذاء جيد للدماغ . لان فيه حامضاً فوصفورياً لا وجود له في السمك النهري . او تعلمون لماذا اختيرت شجرة التفاح في الفردوس الارضي لمعرفة الخير والشر ؟ لان الله سبحانه ، وهو رب الكيماويين ، وضع فيها الحامض الفوصفوري الذي يفيد الادمغة .

وجرب بعض الباحثين في مختبرات باريس انواعاً من الاطعمة في الفئران . فجعلوا الفأرة الام بعد تغذيتها بطعام خاص تفقد عاطفة الامومة والحنان على صغارها بالكلية . ثم اطعموها غذاء آخر فعاد حنانها الاول اليها .

قال احد العلماء المتخصصين في درس علاقة الاكل بالاخلاق ان الناس يولدون متساوين في الاستعدادات النفسية والجسدية . وانما يبدأ التفريق بينهم مع غذاء الطفولية . اما لماذا ينجح ابناء الفقر غالباً اكثر من ابناء الغنى فلان سوء التغذية ليس دائماً بلية الفقراء . بل يغلب ان يجني الاغنياء على اجسادهم واولادهم باشراههم في الولائم ، دون تمييز بين ما يلائم ولا يلائم . ورب مائدة فقيرة ذات اصناف يسيرة موفقة التنسيق جوهرية العناصر ، تفضل مائدة غنية بمواد غالية الثمن ولكن فقيرة الجوهر .

ان الطبيعة احتاطت لكل شيء ، فجعلت عناصر الصحة ميسورة للفقير كما للغني . ان الحظ الذي نشكو غالباً تهربه منا قد يوجد المال في الايدي . اما العقل في الرؤوس فليس الحظ يوجده بل هو في متناول الجميع .

اقول هذا مع ايماني الذي لا يتزعزع بان الفقر طبيعي في الحياة بل هو مرض اجتماعي في جسم الانسانية مكروبه الجهل والكسل . ان في الفقر شقاء لا يريده الله للناس ولا يقرهم عليه لذلك اوصاهم بان يتداركوه .

ان الذكاء موهبة سماوية ، لكن الله لم يفاضل فيها بل يسرها للجميع . اما لماذا هذا يكون ذكياً وذاك ابله . فاسمعوا الجواب على ذلك من لجنة من علماء منيسوتا احدى الولايات المتحدة ، قامت بامتحانات دقيقة بين اولاد المدارس خلال اربع سنوات ، فقالت : « ان العوامل المؤثرة في الذكاء ثلاثة : الوراثة والتغذية والمحيط .

اشتهر متشنيكوف استاذ معهد بستور في باريس باكتشافاته العلمية ونظرياته الجديدة ، وبحث كثيراً في الشيخوخة والهرم واستنتج ان اكل السكر يحفظ الشباب بل يعيده الى فاقديه ولو دب فيهم الخرف . فيجدر اذن بكل سيدة ، اكل الدهر عليها وشرب ، ان تلجأ فوراً الى السكر . فدرهم منه في الفم خير من عشرة دراهم ابيض واحمر على الوجنتين . بل يجدر بجمعيات السيدات ان تطالب بالتشديد على محتكري السكر مراعاة لما لهن فيه من مصلحة جوهرية

ولعمري ايس في هذه الاكتشافات العلمية عن تأثير الطعام في النفوس الا تأييد لعقائد قديمة شائعة عند بعض الشعوب . فعلماء الهند يؤكدون ان لبعض الاطعمة اثراً بالغاً في الصلاح والتقوى . وقد ذهب مرة امير جهالوار الهندي الى لندن فألقى وزيره العالم محاضرة على جمهور من ايمة الانكليز ، قال فيها ان وجود طبقات متفاوتة في الهند يعود الى اختلاف الاطعمة التي يأكلونها . فاللحوم هناك للمحاربين فقط . والنبات لمن يريدون ان تكون نفوسهم طاهرة نقية . اما المنبوذون فلا تبيح لهم تقاليد الهند الا المآكل التي لا خير فيها . ومما قال ايضاً ان اكل البصل ينشر على النفس غشاء قاتماً .

جاء في الامثال الانكليزية : ان ما فيه دسم لواحد قد يكون فيه سم لآخر . فجدا لو تقتني مدارس البنات ، خصوصاً لتعليم امهات ، الغد ما بين فن الطبخ وعلم الكيمياء ، من علاقة متينة ، فتصير سيدة المطبخ عالمة بالعناصر الجوهرية التي تنطوي المأكولات عليها واحتياجات الجسوم المختلفة منها . فلا تكتفي بتهيئة اللذيذ من الطعام ، بل تنظر الى الجواهر الضرورية لئلا تطعم ذويها عشرة ألوان في الاسبوع مختلفة شكلاً ومتساوية جوهراً . فيبقى الجسم جائعاً الى بعض العناصر المفقودة ومتخماً بعناصر لا يحتاج الى هذا القدر منها .

ان الاصل في الطعام ليس لذته ، بل فائدته . وانما اللذة وسيلة لترغيب الفم فيه كي يبعثه الى الاحشاء فتستفيد من تحليله . فراقبي ايتها السيدة العاقلة تأثير طبخك في طباع اسرتك . لان الطباع السيئة دليل سوء التغذية ، وهي غالباً اعراض لاختلالات وامراض ناتجة كما قلنا ، عما اكلنا . ولو باحثت طبيب العائلة المخلص في مزايا الاطعمة المألوفة لأحسنت الى الاخلاق لما اتقنت مراعاة الاذواق .

امين الغريب

ارنست رينان

بقلم الياس ابو شبكه



ارنست رينان

في الشرق لم تولد الديانات فحسب بل ولد الشعر أيضاً ، فالشرق هو موطن موسى وهوميروس والفردوسي ، وهو ملعب جميع الملاحم الكبرى التي شرفت القلب والعقل ، فالشرق هو مسرح الالياذة وملاحم التوراة وكتاب الملوك كما هو مسرح الفردوس المفقود واورشليم المنقذة واللوزيادة . وللشرق

متنة خفية من برحت تجذب اليه الشعراء والفلاسفة والمستنيرين من مختلف بقاع الارض . وقد يكون القرن التاسع عشر اشهر العصور التي جذبت شعراء اوربا وفلاسفتها الى الشرق . ولقد كان شاتوبريان اول من افتتح زحف العباقرة الى مهبط الانبياء ، ومن رحلته الى اليونان وفلسطين ومصر جاء برائعتين هما « الرحلة » و «الشهداء» . وعقبه لامرتين فزار آسيا الصغرى وسوريا ولبنان وفلسطين ، ومن هذه الرحلة المشهورة جاء بملحمة « سقوط ملاك » او « آلهة لبنان » وبكتابه الثمين « رحلة الى الشرق » . اما فيكتور هوغو فقد تغنى بالشرق كما يتغنى المهاجر بوطنه البعيد ، ففي ديوانه « الشرقيات » روائع حب وحنين ، وعطور وألوان . ولم يكتف الشاعر الانكليزي بيرون بان تغنى باليونان بل حارب من اجلها ومات . وكثيرون هم الذين غرفوا من منابع الشرق واشهرهم بعد شاتوبريان وبيرون ولامرتين ، فوانى وجيرارده نرفال وفلوبير وبيير لوتي وموريس باريس ورينان .

وكان احرى بي ان اذكر اسم رينان قبل لوتي وباريس لانه اقدم عهداً منهما ، على اني ما اخرته الا ليسهل عليّ تناوله بمناسبة الذكرى الخمسين لوفاته . وكان احرى بي ايضاً ان اتكلم عن اقامة رينان بالشرق لا سيما اني اقيم انا بدوري بجوار نهر ادونيس ، على مقربة من عمشيت ، البلدة الوادعة التي آثرها الفيلسوف على سواها من بقاع لبنان والتي خيّل يوماً الى الرئيس هريو انه لا يزال رينان وشقيقته هنريت ينحدران منها في ضوء القمر ويتسلقان جبل غزير تملأهما غمرة من السحر تبخر من بقعة هي من اروع مفاتن العالم .

سوى اني رأيت ان ارجىء حديثي في زيارة رينان للشرق الى العام ١٩٦٠ . فبعد ثماني عشرة سنة — والف عام في نظرك يا رب كامس الذي عبر — تمر مئة سنة على اقامة رينان بين ظهرانينا .

ولا شك في ان لبنان سيحتفل بهذه الذكرى واكون في عداد المساهمين فيها ، فاحدثكم عن المهمة الاثرية التي جاء الينا لاتمامها ، وعن الفلسفة التي استوحاها من تربتنا وسمائها ، وعن صلته ببعض وجوه هذا البلد ، وعن وفائه لاصدقائه اللبنانيين الذين احبوه واحبهم وبقي يراسلهم ويهاديهم الى آخر ايامه . وفي جملة هداياه النفيسة نسخة ممتازة من كتابه « مصادر النصرانية » اهداها الى صديقه رزق الله خضرا من قرية صربا . وقد بيعت هذه النسخة بثلاثة الاف فرنك واهديت الى السيد بيو ، المفوض السامي الاسبق ، قبيل عودته الى فرنسا .

اما اليوم فسأحدثكم عن رينان كفيلسوف سياسي تأثر في بادىء الامر بالفلاسفة الالمان واعجب بالفكرة الالمانية الى حد عظيم ثم انهارت احلامه عقب اعلان المانيا الحرب على فرنسا في العام ١٨٧٠ وتحول من مادح الى منتقد ، ومن قائل بسيادة بروسيا الثقافية الى متكهن بانقراضها .

دخل رينان الى الفردوس الثقافي الجرماني من طريق درسه الفلاسفة الالمان ، امثال كنت وفيشت وهيجل وهردر ، وقراءته الشعراء الالمان كغوتي الذي بهره وسحره . ولم يكتف رينان باطرائه المستنيرين من الالمان بل تجاوز ذلك الى احترامه الفضائل البروسيانية الاقطاعية في السياسة والاجتماع ، ذلك ان جهده التفكيري كان منحصراً في تأمل الماضي اكثر منه في تأمل المستقبل . سوى ان اعجاب رينان بالمانيا لم يكن عبودية فما لبثت فكرته الفلسفية ان تحررت تدريجاً من النفوذ الجرماني . ولما صار الى مرحلة النضج من حياته لم يبق في نفسه من اولئك الفلاسفة والشعراء الذين احبهم الا اثنان هما هردر وغوتي .

وفي الخامس عشر من ايلول ١٨٧٠ عقد في « مجلة العالمين » مقالا جاء فيه : « ان اكبر شرور بروسيا هي العجرفة والكبرياء ... وان يكن غوتي يمثل اسمى فضائل المانيا المستنيرة فلأنه ليس بروسيانياً . »

ويعطف رينان على الديموقراطية التي كان يشك فيها فيقول : « ان الديموقراطية لا تريد الحرب وسيكون رقيّ الديموقراطية خاتمة سلطان اولئك الرجال الحديديين الذين شهدهم زماننا ينبثقون من من احشاء العالم الجرماني القديم . ولقد سبق لي ان نبهت الى بعض الاخطاء التي ارتكبتها الديموقراطية ، ولكن اذا كانت الديموقراطية تعمل على انقاذ الجنس البشري من اولئك الذين يقتاتون ملايين الناس لاجل اطماعهم الباطلة واحقادهم الدنيئة فسيكون لها مل، رضاي وشكري .. »

ويقول رينان شاجبا مذهب العنصرية الذي لا يرجع عهده الى هتلر : « ان سياستنا هي سياسة حقوق الشعوب ، اما السياسة الالمانية فهي سياسة العناصر . »

ومنذ ذلك الحين تجرد للدفاع عن حقوق الفكر وصيانتها من وباء العنصرية . وتطورت عقيدة رينان وظلت تتطور حتى استحال الى ديموقراطي صرف . ولكنه لم ينحط بديموقراطيته بل رفعها الى مستوى الارستوقراطية الصحيحة ، اريستوقراطية القلب والفكر . وفي جملة الروائع التي وضعها هذا الفيلسوف لتأييد حقوق الشعوب واظهار فضائل الديموقراطية ، مسرحية « كاليبان » التي استوحاها من مسرحية « العاصفة » للشاعر الانكليزي شكسبير . وقبل ان اعرض لمسرحية رينان لا اجد بداً من التحدث قليلاً عن مسرحية شكسبير .

تلخص هذه المسرحية السحرية في ان انطونيو يطرد اخاه بروسبيرو دوق ميلانو ، من ولاياته ، ويساعده في ذلك الوتزو ، ملك نابولي . فيهيم بروسبيرو وابنته ميراندا على نفسها في جزيرة قفراء . ولا يعتم الامر ان يتمكن بروسبيرو ، بالعلوم السحرية التي يجيدها ، من استدراج الارواح الى خدمته ، وبينها « اريال » وهو روح الاثير اللطيف ، و « كاليبان » وهو روح الارض الثقيل . وبأمر من بروسبيرو ، ينفخ اريال في الجو فتهب عاصفة هائلة تقذف الى الجزيرة الوتزو وافراد حاشيته العائدين من تونس ، فيغتبط بروسبيرو بهذا الصنيع الجميل ويثني كثيراً على اريال . سوى ان اريال الذي لا يعبأ كثيراً بعالم البشر لا يتمنى الا امراً واحداً وهو ان يطلق سراحه ، ان تعاد اليه حريته . ولكن اريال لا يستطيع استرجاع حريته ما لم يقم بالمهمة التي كلفه اياها بروسبيرو ، وهي ان يخضر الى الجزيرة فرديناند ابن الملك الوتزو . وكان بروسبيرو يريد ان يزوجه من ابنته ميراندا .

واذ يذهب اريال يدخل كاليبان على بروسبيرو ساخطاً مجدفاً . فقد اوجب عليه بروسبيرو ان يجمع حطباً للتدفئة وان يقوم بعمل شاق . قال : « هذه الجزيرة التي استوليت عليها هي ملكي ورثتها عن امي سيكوراكس . ففي الايام الاولى لقدومك كنت تلاطفني وتكرمني ، حتى اذا هديتك الى جميع موارد الجزيرة ، الى الينابيع العذبة وشقوق الماء المالح ، الى البقاع الخصبة والبقاع القاحلة ، نبذتني وقضيت علي ان اقيم بشق من هذا الصخر . الا

فلتسقط عليك جميع الضفادع والخفافيش والخنافس والصراصير ، وليتخبأ فيك كل ما في الجزيرة من البراغيث . »

وقد شاء بعضهم ان يرى في كاليبان صورة الشعب الذي ينتزع منه ارباب الحيل والاغنياء والحاذقون من الناس الحقوق التي اكتسبها بقوته وجهده . والواقع ان كاليبان في مسرحية شكسبير غيره في مسرحية رينان ، فهو يمثل الغرائز الغليظة التي يستطيع الروح ان يلطف حدتها بتهاويله وما اوتيه من ضروب الرقي والسحر .

واذ ينصرف كاليبان الى عمله ، يعود اريال وقد اتم مهمته وجاء بفرديناند . فلا تكاد تراه ميراندا حتى تحبه . ولا يكاد يراها حتى يحبها . سوى ان بروسبيرو يخفي فرحه وغبطته حيال هذا الحب الذي تمناه في قلبه . ويقضي على فرديناند ان يجمع الحطب ككاليبان وان يشقى مثله . فتنسل ميراندا الى الغاب وتتوسل الى فرديناند ان يسمح لها بجمع الحطب مكانه . ثم تقول له كما قالت جولييت لروميو انها تريد ان تكون زوجة له ، واذا ابى فخادمة . ولا يعتم الامر ان يتحقق حلم الحبيبة فيتم الاتحاد كما شاء بروسبيرو . ثم يغفر هذا الاخير لجميع من اساء اليه ويعود الى ولاياته .

وقد اراد شكسبير بهذا الغفران ان يفهم الناس ان العفو وكبر النفس هما انجع وسائل التربية الدولية وان الحكيم لا يقنط من بذر الحكمة في الناس .

اما « كاليبان » رينان فمأساة سياسية تختلف عن مأساة شكسبير . فبروسبيرو عند رينان يمثل الحكومة الارستوقراطية ، ولكن الاريستوقراطية ليست بما تواضع عليه العرف بل هي ارستوقراطية العلماء والمستنيرين . اما كاليبان فيمثل الشعب . فقد تصور رينان ان بروسبيرو يعود بالعاصفة الى عرشه صاحباً معه اريال وكاليبان . واذ يحاول اريال ان يثبت لكاليبان ان كل الفضل يعود الى بروسبيرو وان بروسبيرو هو الذي خلق الحضارة ولولاه لبقي كاليبان وحشاً مفترساً ، يعترض هذا الاخير بقوله : « ولكن بروسبيرو يستثمرني . افلا ترى انه من الظلم ان يقدم امرؤ على استثمار امرئ آخر ؟ » .

ويأخذ كاليبان على بروسبيرو انه سطا عليه بضروب من السحر اي بتصاوير خاطئة . قال : « لقد خدعنا ، وليس آلم في النفس من الخداع . »

ويمثل الفصل الثاني من مأساة « كاليبان » مهرجاناً اقامه بروسبيرو في حديقة قصر ميلانو ولم يدع اليه طبقة الشعب ، فيقول كاليبان في نفسه : « فيم لم ادع الى هذه الحفلة ؟ اليست الحقوق متساوية بين جميع الناس . ؟ » ثم يحث الشعب على الثورة قائلاً له انه يذهب ضحية الاستثمار . فيقول احد سامعيه : « انه بشع ولكنه ينطق حقاً . . » ويقول آخر : « ان كاليبان هذا حسن المنطق ، فمن اين جاء ؟ انه يحب الشعب . »

ويهتف الجميع : ليحي كاليبان ! ويهاجمون القصر ويستولون عليه . ولا يكاد كاليبان يقبض على زمام السلطة حتى ترتفع اصوات المتذمرين مطالبة برفع الضرائب والقضاء على ارباب الرساميل . فيدرك كاليبان عندئذ مقدار المصاعب التي كان يقاسيها سلفه ، فيقول للمتذمرين : « ضعوا مصالحكم بين ايدينا فالحكومة لا تنظر الا لما فيه خير الشعب ، منكم ولكم . ولكن النظام ضروري فأخلدوا اليه . . » فتهتف له الجماهير وتنصرف راضية .

واذ يختلي كاليبان بنفسه ويتمدد على فراشه يستغرب في الدهشة لكونه قد تحول بسرعة هائلة من متهوس الى معتدل قال : « الحق ان الانسان ينضج بسرعة حين يتولى زمام الحكم . . »

وماذا يقع بعد كل ثورة ظافرة ؟ عندما يعتدل الزعماء وينتهي الى بروسبيرو ان رجاله واحظياءه انفسهم بدأوا يلقبون كاليبان بـ « المواطن الكبير » و « منقذ المجتمع » فيسخط سخطاً عظيماً ويحاول المقاومة فيعهد الى اريال بان يعالج الوحش بالطلاسم وضروب السحر . ولكن لا يعتم الامر ان يعود اليه اريال مغلوباً ويقول له : « لم يبق لفننا اية قدرة يا مولاي ، فالشعب صار يفهم كل شيء . وحيثما يستطيع كاليبان كل شيء لا نستطيع نحن شيئاً » فيستغرق بروسبيرو في التفكير ثم يخلص هو ايضاً الى الاعتراف بكاليبان . .

وهكذا رفع الكاتب كاليبان الذي يمثل الشعب الى مستوى بروسبيرو الذي يمثل الاريستوقراطية ، اريستوقراطية العلماء والمستنيرين . ولا ريب في ان قصد رينان من مأساته هو ان واجب المفكرين وهم الطبقة الاريستوقراطية الصحيحة — ان يهذبوا المجتمع ، حتى اذا اصبح المجتمع في المستوى المرموق من الرقي حق له الحكم ، وعندئذ لا يبقى للاقلية المستنيرة الا ان تنضم الى الاكثرية المستنيرة كما انضم بروسبيرو الى كاليبان !

الياس ابو شبكه

قضاها لغيري

بقلم محمد حاج حسين
ليسانسيه آداب من جامعة فؤاد الاول

◆

ضجر مني الضجر ، وعافتني الكآبة ، وحتى الشقاء مجني وازورّ عني : الشقاء الذي استعذبه ، وافزع اليه ، ليصهرني في بوتقته ، واصبحت كالصخرة الصماء ، لا حسّ ولا وعي ، لا غاية اهدف اليها ، ولا بصيص أمل يلوح في الافق القصي ، فيبدد الحلكات التي تجهم حياتي ، وتمزق كياني .

الناس فرحون ، يستمتعون بمباهج الصيف ، في انضر بقعة حالمة ، في رأس البر ، المستلقية بفتور واطمئنان ، فوق دمياط ، المدينة المصرية الصناعية النشطة ، يحضنها النيل السعيد ، ويمد ذراعيه يداعبها في بهجة وحنان ، ويرمقها البحر بعينيه المترعتين ، فيرسل على شطآنها امواجه الباسمة ، تهدد لها اغاريد تنفجر بالروعة يمتطيها الحسان السابحات ، يقفزن على متنها برشاقة ودلال .. فكأنها شبه جزيرة ، تطوقها المياه من جهاتها الثلاث ، وتفتح لها دمياط حضنها الرخي ، من الجهة الرابعة ، تلثمها وتباركها .. وتهب نسمات ناعشات ، جافة ، تستروح لعبقها النفس ، وتجد فيها لذة مجنحة .. تدفع بها الى دنيا تتوهج بالشعر والحب والضياء ..

الناس في فرحتهم وهزجهم ، يغدون ويروحون ، من عششهم الى البحر ، يمرحون وينعمون ، وانا في اسى دامٍ ، وتعاسة كاوية اتهالك على جسمي النحيل ، واتداعى على روحي الذبيحة ، لا ادري ما ذا اريد ، وما سر حالتي البائسة ..

كنت في العشرين من عمري ، لا اتطلع كغيري ، الى الدنيا من ناحيتها المشرقة ، ولا تجول في صدري الامال التي تخفق في امثالي من الشباب الذين يخالون الطريق معبدة ، مفروشة بالورد بل كان اليأس الكليح يعمر فؤادي ، اليأس من الحياة ذاتها ، والتشوف الى الرسول المنقذ : الموت .. ولم يتضح لي السبب في بؤسي ، الذي نجم بدون سبب ، ألم مرنح ، ليس له دواء ، ولعل قراءتي الدائبة لبيرون وغيره ممن جرى على نمطه ، زاد في توتر اعصابي وارهاف احساسي ، فاصبحت متفززة ، تحطم حياتي ..

وفي ضحوة سلطت عليها الشمس أشعتها المحرقة ، تهالكت في سيري ، من العشة التي كنت لا أبرحها الا بالندرة ، ووجهتي البحر اسبح على شاطئه ، وانعم بمائه .. والهب جدتي ، على الشاطيء ، مرأى السابحات من الحسان ، يصرخن ويقفزن ويصخبن باغراء ، وهن يتطين الامواج ، التي تتزلق على اجسادهن الضامرات ، الموشعة باشعة الشمس ، وقد صبغتها بلون قرمزي ، بهي الفتنة .

وحاولت النكوص على عقبي ، فقد شعرت بخجل ، عند ما رأيت اجساد الفتيان الاماليد . والصحة الفياضة التي تترقرق بها ، ان اعرض جسمي الهزيل ، الذي ضوي ، وانكمش منطوياً على نفسه ، حتى انه يكاد لايرى ، ولكن بعض اصدقائي عزموا علي بالسباحة ، فانصعت لرغبتهم متردداً ، واجماً ، وما احسست برودة الماء حتى رحت اداعب الموج ، واسبح بحذاقة ، وعربدت في نفسي الحان مسلوى ، التي كنت اتلمسها فتفر مني .

وفي غمرة الجذل التي تكتنفني ، ترامى الى مسمعي صوت ذاعر ، فاحصر نظراتي واصبها ، فأرى فتاة تصرخ وتندب ، وتشير الى نقطة معينة في البحر ، وتزعق : اختي .. ميمي .. غرقت . واندفعت حتى صاقبت المكان ، وطفقت انساب بخفة ، تحت الموج ، وانتفضت على ظهر الماء برشاقة ، وقد استقرت علي الطفلة الوديعة ، اضمها ككنز ثمين ، احرص عليه ، وخرجت الى الشاطئ . مع مظاهر الاعجاب والهتاف ..

وتقدمت نحوي الفتاة ، ومدت يدها تصافحني وتربت يدي ، وتتلعثم في شكرها ، وتتدحرج الالفاظ عذبة متقطعه من فمها الصغير ، وقد توردت وجنتاها . واصعد فيها نظراتي : لقد كانت بلباسها البحري البنفسجي ، آية غلابة ، وفي سمرتها التي لفحتها الشمس الضحوك ، روعة موحاة ، وقد تدلى شعرها الفاحم على اكتافها ، بفوضى ، وتتناثر خصله المبللة على جبهتها الوضيئة .

واعادت هذه القولة مرات : اشكرك .. يا منقذ اختي ..

وتمتمت : عفواً .. ويرتج علي : لقد وهبها الله عينين واسعتين سوداوين ، تبعثان اشعاعاً فاتكاً ، وليس في الدنيا اروع من العيون المصرية ، المراضى .. فهي تلهب الجوانح ، وتدفع نحو السماء .. ولما ابت الى عشتي ، شعرت بالوان حلوة تنتظم في نفسي وبدبيب يقظة ، جديدة ، تتناهبني ، وخفق فؤادي يضرب بشدة ، وحاولت ان اجعله يتئد فلم افلح ، فان حيرتها وخجلها وحزنها الذي شابه الفرح ، تنتصب لماحة امامي ، تساورني ، يا الهي ، أحتى هذا الحب يسد عليّ المسالك ؟ .

واحتواني ليل رهيب ، ضرير النجم ، كان طيفها لا يبارحني ، وخيالها نصب عيوني ، وكلما حاولت صده ، كان يتسرب بأيد ودفع الى اعماقي . أهي العصفورة التي تصدح في قلبي المصوح ؟ اتكون

المنية التي اسعى اليها ؟ أاحبها ؟ هذه الاسئلة ، واضرابها ، كانت تخزني ولا اجد لها الجواب الشافي .. ولما انفجر عمود الصباح ، خرجت اتنشق نسمات رأس البر ، المشرقات ، التي تبعث الحنين في الروح والاحساس ، واتجهت صوب الكازينو وجلست على نضد لوحدي ، وطلبت الخمر وشرعت احسوها ، علني اجد في سائلها السحري ، الغيبوبة ، واذود طيفها عني فارتاح . ودبت النشوة في رأسي ، ولكنها لا تزال عالقة في ذهني اتمثلها واتخيلها .. ورحت اترشف الخمر بكثرة عساي اتوصل الى مبتغاي ، فانساها .. والصدف دائما تنسج خيوطها في الغيب لتحكم الامور وفق ما تروم ، فقد لمحتها بثوب ابيض شفاف ، ينسجم على جسدها المشيق ، تخطر في المقهى وتجلس بين رفيقات لها ، ولما لمحتني رأيتها تخطر نحوي فوجف قلبي .

ووقفت اجلالا لها حين دنت مني ، وافقدتني الخمرة كل وعي فصافحتها بحرارة وانا اقول : اهلا وسهلا .. كيف انت يا درية ، ونطقت باسمها مجرداً فلم اعقبه بكلمة آنسة ، فقد رفعت الكلفة وتلاشت وعيي ، فتمتمت عفواً ، يا آنسة ..

وكأنها شعرت بارتباكي ، فتبسمت عن اسنان نضيدة واجابت

— لا تزعج نفسك ، نحن اصدقاء ..

— اشكرك .

وبعد هنيهة ارتفع صوتها العذب يقول : حياة اختي ميمي مدينة لك يا منير ، فكم وفرت علينا من الفواجع ، ولو ابتلعها اليم في جوفه ، لتحولت حياتنا الى ظلام دامس ..

وكرعت الكأس ، ولذاذة تميد بي وهززت رأسي قائلا : عفواً يا آنسة لم اقم باي عمل يستحق الاطراء ، فسعادتي لا حد لها بمعرفتك .. وهتفت بلهجة آمرة : ولم تسرف في شرب الخمرة ؟

— لأنسى اوصابي ، والاشي وجودي .

— وما هي اوصابك ؟ — لا اعلم .

— الخمرة تهصر شبابك ، وتكسر جسمك الضاوي ، الاثري ، كيف تدق وتنحل حتى تكاد تذوب ، وفجأة ، سحبت الكأس من يدي ، ونحته ناحية اخرى ، وزوت ما بين حاجبيها ، وتراءت لي في غضبتها ، شعاع هادىء ، ينير ايامي المظلمة وقالت بصوتها التياه الناهي : لا اريد ان تشرب . وصعقت ، وهمهمت : كما تشائين يا درية .. وتشقق الحديث ، وتشعبت ألوانه ، ولما اخذت عيناي رؤية خاتم ماسي ثمين ، يتوهج في انملتها ، سألتها ما هذا الخاتم يا درية ؟ . فأجابت باقتضاب : خاتم الخطبة .. وخطفت صفرة شاحبة على وجنتيها ذات الغمازتين البديعتين ، اللتين ترتسمان كلما بسمت .. وشعرت بضيق يجثم علي وقلت : او مخطوبة انت ؟

— اجل ، لابن خالي .. وتناثرت الآمال التي داعبتني ، اتكون درية لغيري ؟ كان الظمأ الذي لا يرتوي يستبد بي ، وعند مرآها ، بدت لي انها الينبوع الذي ارتوي منه .

ولما قابلت درية على الشاطىء ، للمرة الثانية ، جلسنا تحت مظلتها ، وهبت انفاسها الشاذية ، تهيم على وجهي رأيت اصبعها عارية من الخاتم الذي قض مضجعي ، وتجرأت على سؤالها : اين الخاتم ؟ فحدقت الي طويلا واجابت : نزعته ..

— ولم ؟ — لاني لا احب خطيبي الذي فرض علي ..

وساد صمت قصير ، قلت بعده : الزواج بلا حب كالزرع بلا ماء . وأحسست بفرحة قريرة لنفرتها من خطيبها ، واوشكت ان افاتحها بحديث الخافق الملتاح ، الذي لا يني عن حبها ، ولكني لم استطع ، فتخاذلت وتهاويت . وتتابعت مواعدنا وتلاحقت لقاآتنا الى ان خرجنا في ليل تراقصت في سمائه السافرة النجوم الزاهرة ، وغمر القمر بطاح رأس البر بنوره البنفسجي ، وهبت نسمات مخدرات ، فمشينا الهوينى ننعم بسكينة الكون حتى جلسنا على الرمال الوعثاء ، ينام علينا ضوء القمر وقالت درية : منير ، حقا ان الليلة فاتنة . فأجبت : درية يا نفحة الله على اهابي ، كتمت حبي .. واصارحك اني اعبدك .. ولمعت عيناها ، والتقت شفاهنا بقبلة لاهبة ، استفقت بعدها على عالم من الحب والنور وقلت : درية اني لاسعد مخلوق على البسيطة . وأجابت بسذاجة : منذ اللحظة الاولى ، مال قلبي اليك يا منير .. — ليوفقنا الله في زيجة سعيدة . ليسعدنا الله يا منير .. وختم الحب على نفسينا الواهتين ، ورحنا نقفز على الشاطىء مراحين ، ننعم بحديث طلي عن الغد الزاهي .. وتعرفت على اسرتها ، التي كانت تصطاف في رأس البر ، وتكررت مقابلاتنا نبث فيها النجوى اللاعجة والحنين الذائب والحب الدفين ، واخبرتني بعزمها على التخلص من خطيبها ، لنتزوج فوراً ونحيا حياة الحب .

ولد حبنا في آخر الصيف ، وولدت معه من جديد ، فالضجر واليأس والعوامل الغريبة التي تنتابني ، تطايرت هباء منثوراً ، واصبحت حياتي ذات معنى مليئة بالامل . ولما آذن الصيف بالذهاب ، وعزمت اسرة درية على الذهاب الى القاهرة ، اعطتني درية ، عنوانها في شبرا لنلتقي .. ونتقاسم الهوى ، ولم أستطع البقاء بعدها طويلا في رأس البر وقفلت عائداً الى القاهرة نشيطاً شديد المراس . ورأتنا القاهرة في حدائقها الحادرة ، ننعم بالطلاقة

والحب بلا رقيب او عذول ، والنيل الاغن ، بارك نزهاتنا المسائية على شواطئه وكلما التقينا طلبت من درية ان تعجل في التخلص من خطيبها لتتزوج بسرعة ، فتقاطعني وتطلب ان اتريث ، وندع المسألة حتى يأتي حينها ، ومرة وقد استلقت بغفوة هنيئة بين ذراعي ، هززتها برفق وقلت : درية يجب ان تنتهي هذا الاسبوع من خطيبك ؟ . وجحظت عيناها لكلماتي ونفرت ورنت الي تقول : واذا لم اتخلص هذا الاسبوع من خطيبي ... فدمدمت في لهجة ملؤها الحزم : اجل ، يجب ان تنتهي ، لتعقد خطوبتنا ويتم زواجنا ..

— اوتخال ان الامر يسير . — ايس فيه شيء من الصعوبة .

— حاولت كثيراً ان اتخلص منه ، ولكنه يتشبث . — كيف هذا ؟ — منذ ايام رأس البر ، صارحت والدتي بعزيمتي واخبرتها انه من المستحيل زواجي من خطيبي وتنمرت امي وصاحت بل ستتزوجينه ، ولما عدنا الى القاهرة صارحته اني اكرهه ولا استطيع الحياة معه ، فضحك ببلادة واجابني ، ولكنه يستطيع الحياة معي ويتدله في حبي ، وعبثاً توسلت اليه ان يقلع عن حبي ويذرني وشأني ولم يرعو فكأنه قد من جلمود .. ومسحت بمنديلها الحريري العرق الذي تصبب من جبهتها ، واعتمدت رأسها بين يديها ، وشرعت تنشج وتبكي .. وحرت في امرها وضممتها الى صدري ، اوزع عليها قبلاتي ، واخذت اضرع اليها ان تكف عن البكاء .

ودقت روحي دقة بالغة لجمالها الحزين ، فرحت امسح بكفي دموعها ، واحاول تهدئة روعها ، وقلت : درية ، انت حرة ، تزوجيه اذا شئت .. فرشقتني بنظرة قرأت فيها الغضب والازدراء ، واجابت : هل مللتني ، وألقيت بغيري ، فسبت لبك واحببتها .. فصحت . أاقدر على جحود معبودي ، أانسى التي الهمتني ودفعتني الى الاوج ، واترعتني بالحياة الجياشة : انت يا درية النور الذي ابصر به ، والامل الذي احدو له .. ووضعت على ثغرها الاحوى بسمة مرة ولم تحر جواباً .. فاطرقت صامتاً حائراً .. وعقدتنا لحظات رهيبات ، حلقت فيها ارواحنا الى مدى بعيد ، تطفر في اجواء حية ، تجيش بشتى الرؤى غير المنظورة . ووثبت درية تتكسر في مشيتها البارعة ، وودعتني بعد ان وعدتني أنها ستتخلص من خطيبها ، وستصارحه بحبها لي ، ووثقت وعدها بقبلة طهورة ، شغفتني حباً .. وانتظرت مجيئها تتوزعني التخمينات ، وشعرت بنذير يخبرني ، يصرخ ان الهول ينتظرها ، ليقضي على هنائي .. ولم يكذبني حدسي ، فبعد يومين ، رأيت والدتها ، وكانت امرأة كريمة الاحساس فاضلة اؤثرها بالاحترام والتجلة : وقالت الام بلا مقدمة : اترغب يا منير في الزواج من ابنتي ؟ — هي مبتغاي وحلمي . — ولم تريد الزواج منها ؟ — لاني أحبها .. — وماذا يعني انك تحبها ؟؟ الا تعلم انها مخطوبة لابن اخي ..

— نعم اعرف . — اذن يجب ان تدعها وشأنها . — ولكني لا استطيع الحياة بدونها . — انت حر .. ولا يخالجك شك اني اؤثر ابن اخي عليك ، وهو ايضاً يحبها ، اتريدني ان امرمر حياته لاجلك .. — وماذا تريدين الان ؟ . — ان تنساها وتتركها ، وتخبرها انك لا تهواها ! . — اتريدين هذا ؟ — نعم اتوسل اليك باسمى شيء لديك ان تنزعها من تفكيرك وتريحنا من هوستها ، فهي قد تجرأت على مصارحتنا بانها تحبك وتريد الزواج منك . انت فتى شهم كريم ، والعذارى كثيرات فاختر لك منهن ماتريد .

— لتكن مشيئتك يا سيدتي . وتراءت لي حياة الذهول والشرود في الليالي من وكر الى اخر ، فتألمت وطابت نفسي اخيراً لها ، فعولت على دفعها عني لتكون لخطيبها ، وهتفت بمرارة : قضاها لغيري .. ولما التقيت بدرية اخبرتني انها على استعداد للهرب معي الى افق آخر ، نتزوج ونحيا الحياة اللذيذة ... وأطلقت ضحكة عريضة تملأ فمي وانا اقول : المجنونة انت يا درية ؟

واتسعت حدقتاها وهي تزعق : لماذا ؟ الا يروقك الحب .. والزواج ؟ . — اوتخالين يا درية اني احبك .. وصرخت بدهشة : ماذا تقول ؟ . وتعالى ضحكي : ما احببتك ابداً .. كنت اهزأ منك ، ولست الا ألهية ازجي بها فراغي .. — اسكت يا مجرم .

— هي الحقيقة بعينها . امعتوه انا لاتزوج ، واضع السلاسل الشائكة تصفدني ..

— منير .. منير ! ورأيت الرعب يجول في عينيها ، والصفرة تتمشى في وجهها ، واغمضت عينيها ، وصرت باسنانها ، واردفت : درية ، تزوجي من خطيبك ، فلقد مججتك ، وعلقت غيرك ، الهو بها ، حتى اذا مللتها ، بحثت عن اخرى .. وانتصبت واقفة ، ورشقتني بنظرة فيها التأنيب والاحتقار .. واستدارت وقالت : نذل .. وخرجت ، لا تلوي على شيء .. وشيعتها بعبرات انبجست من قلبي الطعين ، المفجوع بها .. لقد تزوجت من خطيبها بعد اسبوع .. لتخلف بي حسرات تلازمني مدى الحياة ، وحسبت ان في حياة التشرد ساوى ومتاعاً ، لتنبثق منها الف لذة ، تسليني اياها . ولكني كنت مخدوعاً واهماً ..

محمد عاج حسين — الازقب

● ينابيع الادب ●

بقلم رئيف خوري

قال لي احد الاصدقاء : ارى كأن الادب قد انقطعت مصادره وجفت ينابيعه فما رأيك ؟ فقلت له : وما دليلك على ان الادب أفلس هذا الافلاس ؟ ألعلك تقصد ان كثيرين من الادباء الذين تقرأهم لا تتمالك ان تحس منهم فراغاً ، ولا تستطيع الا ان تشعر بانقطاع الصلة بينك وبينهم ؟ انك ان كنت تعني ذلك فانت على صواب لا ينكر .

ثم قلت لنفسي : ليس هذا الرأي الذي بدر من صديقي رأياً خاصاً به مقصوراً عليه ولكنه مذهب كثيرين ممن يتتبعون الادب واحواله ، فقد وجب اذن ان نقف عند هذا الرأي ولو وقفة معجلة . اما الادب اطلاقاً فلم يفلس ولن يفلس . هذا امر بدهي . ولكن افلس الادباء — الادباء المقلدون المجترون لما لاكه غيرهم مرة ومرة ، الذين ليس لهم احساس باي العصور هم يعيشون ويكتبون وينظمون . الادب لم يفلس ولن يفلس لان الحياة التي هي امة عظيمة الثروة لم تفلس ولن تفلس ، لان الحياة ابداً ثديها درارة ، واعماقها متجددة ، وسطوحها متشربة مصطبغة بشتى الالوان . هي كالنهر الجاري . وقد قال حكيم : لا يمكنك ان تنظر الى النهر ذاته مرتين على التوالي . وهو قول صادق ، ما دامت مياه النهر في كر عاجل مستمر يسبق الطرف في تغيره وتجدده . ولكن (وهنا السر) قد تكون حياة اخصب واغنى من حياة ، فليست الحياة كلها على قدر واحد من الخصب والغنى ، فاي حياة تلك التي نستوحي منها ؟ هنالك حياة قاصرة على فرد ، حياة صرف انانية ، تلك لنفسها لا يمكنها ان تكون عظيمة الثروة . فالاديب الذي يعيش لذاته فقط ، الذي يغلق ابواب برجه العاجي ونوافذه دون حياة الآخرين ، لا تستطيع حياته ان تكون خصبة غنية بما تعارس وتحس وتعقل . سرعان ما يجد هذا الاديب ذاته وليس لديه شيء يقوله من نفسه اوعن نفسه ، اذا كانت نفسه منعزلة منسلخة عن نفوس الناس، واذا لم يكن بينها وبين حياة الناس شرايين تصب فيها دماً جديداً ونشاطاً وحرارة . كم يستطيع انسان ان يتكلم عن نفسه — عن نفسه وحدها ؟ يقول : انا كئيب . يقول : انا مغتبط . يقول: انا عاشق! ثم ماذا؟يشعر بالكلل والملل من هذا اللف والدوران الدائم حول نفسه، ويستهدف لكل ما يستهدف له الذين يحصرون همهم في نفوسهم ، من ضروب الشذوذات الفكرية والامزجة السوداوية .

يجب ان لا نحقر من قيمة الدور الذي تمثله نفس الاديب في خلق ادبه . ولكن بئس صورة الاديب : الرتيلاء في زاوية مظلمة،تنج لعابها ، وتنسج خيوطها الواهية ! ان الاديب لمقضي عليه بالفقر ان لم يجعل الصلة بين نفسه ونفوس الناس قوية متينة . حتى الناس ينبغي له ان يميز بايهم يجعل صلته قوية وثيقة . فالناس جماعات يختلف بعضهم عن بعض،وتختلف افكارهم وعواطفهم،وتختلف حيواتهم (اذا صح هذا لجمع الحياة) . هنالك جماعات شبعى متخمة . جماعات اصبحت لاهثة لمستقبل توانس فيه خلاصاً ، واصبحت لا تحلم احلاماً انسانية نيرة جميلة رحبة . وان كان لها من شهوة تشتهيها فدوام حالتها المتنعمة في النعمة والرفاهية . فهذه الجماعات اذا انبثق من خميرة حياتها ادب يخلص لها مثير لاعجابها ، فيكون على جملته ادباً مائعاً رخو الاعصاب ان قدر على شيء فعلى التسلية لا اقل ولا اكثر . ونحن نعرف نموذجاً من هذا الادب مشهوراً في العالم كله : ادب الجنسيات الاباحي ، ادب استفزاز الشهوات .

ولكن هنالك جماعات من الناس بعيدة عن الشبع والتخمة كل البعد . هي جماعات جائعة متعطشة ،في قلبها آمال ومطامح وثابة لم تخمدها اقذار القهر والبؤس . جماعات هي كتلة الشعب ! . وانها لجماعات تستطيع حياتها ان تكون مصدر ادب غض مشرق نابض بالاماني المرفرفة في الصدور ، مبشر بالمرفأ الجديد الذي سترسو فيه سفينة الحياة بعد ان رثت الحبال التي كانت تمسك بها في مرفأها القديم وانقطعت او كادت . اذن فبهذه الجماعات ينبغي الاديب ان يربط نفسه ربطاً عضوياً حيوياً . اذ ان هذه الجماعات وحدها لديها الاشواق التي يتغذى بها ، الاشواق التي لا تموت ولو تحققت، بل تتولد معها اشواق اخرى في سلسلة مستمرة من الطي والنشر — مستمرة ما استمرت الحياة . وكثيرون من ادباء العالم قد ادركوا ان الافلاس نصيبهم المحقق ما لم يصلوا بين انفسهم ونفوس جماعاتهم الشعبية . وهؤلاء هم الادباء المنتصرون على الافلاس الذي نزل بغيرهم . ولا شك ان الاقطار العربية بدأت تشاهد طلائع ادباء الشعب فيها ، على انها طلائع مرتبكة الخطى . ويبدو أن اهم ما يعوز أدب هذه الفئة قدرة على التغيير الصحيح القوي ، وخروج على صيغ وقوالب يتقارضونها ويرددونها ترديداً متعباً مملاً . ولئن كان الهدف الذي اليه يتجهون ويوجهون واحداً ، فينبغي لهم ان يعلموا ان السبل الفنية اليه تتعدد وتتشعب فضروري اذن التفنن والابتكار في الصيغ والقوالب التي ان لم تكن الادب كله فهي جسده الذي به يتمثل ورونق طلعته ! واديب الشعب العربي المستحق لهذا الاسم يحمل في عنقه الواجبات العظمى في الفترة الانقلابية الحاضرة في العالم كله . ينبغي له ان يكون خالق الوعي القومي الصحيح ، محارب الاستعباد، مناوىء الاستثمار ، حافز روح الامل والنشاط ، مبلسم الجراح ، رابطة بلاده بالعالم ، حارس ضمير شعبه وتربيته الاجتماعية والسياسية من فساد المفسدين.

ولكن لا يزال في الاقطار العربية ادباء كثيرون متقاصون على انفسهم ، يشعرون بكزازة في قرائحهم وبافلاس يستولي عليهم ، وهم لا ينتبهون الى ان الشعب وحياته ومقتضيات العصر هي وحدها المصادر والينابيع الخليقة برد الغنى والخصب والغزارة الى اقلامهم . ولعلهم كاولئك المسافرين الذين فرغت موءونتهم من الماء العذب وسفينتهم تائهة ،في عرض البحر ، في عباب الماء الملح . ثم دخلت السفينة جم في نهر الامازون وهم لا يعلمون ،لعظم النهر ومداه فلبثوا يجاهدون العطش المحرق الى ان دنوا من الشاطىء ورأوا خلقاً فارسلوا اشارة بطلب الماء العذب وهم على حلاوة الروح والرمق الاخير . فجاءهم الجواب: القوا دلوكم حيث انتم فالماء عذب ! . ان ادباءنا المتقاصين على انفسهم،الشاعرين بالكزازة والافلاس ،والشعب وحياته والعصر ومقتضياته زواخر تزخر بالوحي القوي انما يحسنون صنعاً اذا القوا دلوهم حيث هم . فالماء عذب وغزير ! . كلا ، ان الادب لم يفلس ولن يفلس لان الحياة التي هي امة عظيمة الثروة لم تفلس ولن تفلس ! فالى الحياة ! الى الحياة ايها الادباء . وكم تعجبني كلمة قرأتها في موشح المرزباني لزهير بن ابي سلمى وقد استنجد به شاعر على شيء من الشعر فلم يسلس لهما عنان القريض ولا اسعدتها القوافي، فقال لصاحبه : اخرج بنا الى البرية فان الشعر بري ! والبرية في الجاهلية ،كانت هي الميزان الذي تنطلق فيه الحياة فكأن زهيراً قال لصاحبه : اخرج بنا نتنسم الحياة ونستأنس بها في المدى الطبيعي الذي تتهادى فيه ! والحق ان هذه القوة التي لا تزال نحسها في ادب الجاهليين على رغم العوامل التي تبعدنا عنه انما تنشأ من حقيقة اساسية هي : ان الادب الجاهلي كان ابناً للحياة . وقد يكون هذا الابن فظاً خشناً كما ان الام التي ولدته فظة خشنة ، ولكنه على كل حال ابن صادق البنوة لام صادقة الامومة ...

رئيف خوري — طرطوس

من ذكريات الحرب الماضية

رأت « الاديب » في هذا المعمعان العالمي ان تنشر للذكرى والتاريخ قصيدتين اوحتها الحرب الكبرى الماضية الى شاعرين من كبار شعراء الحقبتين هما الاستاذ بشاره الخوري والدكتور نقولا فياض فعسى ان يجد فيهما القراء بعض العزاء عن احتجاب شعر الملاحم في هذه الايام . ه

قصيدة بشاره الخوري

◆

طلت يا ليلي او لم تطل
ايها الليل استطل مهما تشا
ما يفيد النور في اشراقه
انا مهما تطرد الشمس الدجى
اعشق الليل ومالي والضحى
انسدل تحجب عن الطرف الشقا
لا يرى اذ تطلع الشمس سوى
عصف الفقر بهم فانتشروا
يلهمون العشب من جوعهم
بجسوم هزل تحملها
ووجوه كتب الموت على
صدق الموت بما قد قاله

ذلك الفجر الذي سوف يلي
وتحكم يا كرى في المقل
ان يكن اطفيء نور الامل
لا تزل نفسي بليل أليل
عشت يا ليل ألا فانسدل
يا لطرف بالشقا مكتحل
سائل او عاجز او وكل
كانتشار الوابيء المستفحل
ويحهم ما تركوا للهمل
بعياء واهيات الارجل
صفحتيها - هذه الاوجه لي
ما ترى اشلاءهم في السبل؟

هرب الهواء

ليتنا في الكهف حتى ينقضي
سعروها لو اصابت جبلا
او اصابت جحفلا ما تركت
نارة وجه الثرى حرجمها
تقذف النار مناطيدهم
يتجارون على الافق كما
تسبق الطير اذا سابقها
واذا ما سعروها في الدجى
وتراموا باللظى واشتعلوا
خلت ان النجم في عالمه
سعر الحرب فنادى (المشتري)
وبدا (الليث) على انيابه
بدعة لو لم تشاهد حسبت

- لاشفاه الله - جهل الدول
راسخاً لاهد ركن الجبل
رجلاً حياً بذاك الجحفل
واحايين تراها من علِ
كانقذاف النيزك المشتعل
يتجارى النسر اثر الاجدل
ويجي الطير وأنا ترل
وترقوا للسماك الاعزل
وتهاووا كالقضاء المقبل
بات في كارثة لا تنجلي
يا لثارات العلى من (زحل)
قطرات من دماء (الحمل)
من اساطير الشعوب الاول

هرب الغازات

ورموا بالغاز قتالا فان
تحسب الجيش وقد نشقه
يأخذ الغيلق اذ يبكمه
ولقد ينساب في انفاسه
ولقد يتركه ذا صمم
عدد كانت لتشفي علا

ينتشر ينشر حبال الاجل
اخضر السنبل تحت الشمأل
ولقد يأخذه بالخبل
مثلما انساب دم في مفصل
ولقد يتركه ذا شلل
صبروها لاختلاق العلل

هرب الخنادق

ولجوا بطن الثرى فهو بهم
بل عرين يبعث الهول بما
تركوا ضرب الظبى كي يضربوا
واذا ما خندق الاعدا بدا
فهنا قد زلزلت زلزالها
فاذا الترب لمن كانوا به
واذا الخندق امسى منزلاً

جبهة الليث وحد المنصل
ضم من ليث وليث مشبل
في جلاميد الصفا بالمعول
نسفوه واثنوا في عجل
ورمت بالجلمد المشتعل
كفن بالدمع لم يغتسل
ابدياً يا له من منزل

هرب الغواصات

يا لعينيك ترى غواصة
ولقد تلمح في الماء كما
عجباً للحوت في احشائه
حوت يونان حواه رجلاً
وجدت كي تصل السبل وقد

نزلت من قعره في الاسفل
يلمح المعنى خلال الجمل
بشر ما يأمروا يمتثل
وبحوت اليوم كم من رجل
صارت اليوم لقطع السبل

ايها العصر

ايها العصر الذي اياته
سامتت آي الكتاب المنزل

كم تنقصت عصوراً اسلفت ... ويلنا من عصرك المكتمل
جرت في الحكم عليها فانتقد ... انما العدل جميل فاعدل
قسماً لو بعثت واتهمت ... بالذي جئت ارتدت بالخجل
عصر نيرون ونيرون معاً ... رفضا لو خيرا بالبدل
ضحك الجهل من العلم وقد ... فاخر الجد بماضي الكسل
قدك يا عصر اختراعاً انه ... مكمن الويل ولكن قدطلي
كالمرائي لابساً شفافة ... للتفى فوق فوءاد دغل
او كصمصام بحديه الردى ... كامن والغمد زاهي الخلل
تعمر الكون لكي تهدمه ... ليت ذياك البنا لم يكهل
وتربي الطفل كي تقتله ... ليت احشاء النسا لم تحمل
يا لها من حكمة باهرة ... من يرم ادراكها ينخذل

خطب العلم بابنائه

يا لخطب العلم في ابنائه ... انه منهم بداء معضل
قوسوا من ظهره فيما جنوا ... فهو قد شاب ولم يكتهل
نعم عفت له في جيدهم ... فهي من كفراتها في عطل

ويلات الحرب

يا لهول الحرب في ويلاتها ... رمت الكون بخطب جلل
تلهم المليون لا يشبعها ... ومتى تطعم اخاه تأكل
كم شموس في سما الماضي وكم ... من نجوم في سما المستقبل
ويتيمات فنون جمة ... حسبت من معجزات الاول
فاذا تلك انطفت شعلتها ... واذا هذه كبالي طلل
ولكم روضة بيت ذبلت ... وهي لولا حرها لم تذبل
وفتاة طفلة قد سألت ... امها — اين ابي لم يقبل
فلقد طالت بنا غيبته ... وانا اشتقت لتلك القبل
ولكم عذراء كالبدر على ... قامة كالغصن المعتدل
تلمس النجمة في مبسمها ... ويرى ذوب الدجى في المقل
سامها الفقر وكانت قبله ... تتغذى بخيوط المغزل
فاباحت ثغرها مرغمة ... وهي لولا جوعها لم تفعل
ولكم كهل سقى ابناءه ... دم احشاه ولما يأتلي
راجياً ان يطعموا والدهم ... وهو شيخ من غمار العمل
فاذا الابناء في الحرب قضوا ... واذا الشيخ من البلوى بلي
ان هذا ما يرى لكن ما ... لا يرى يقتلنا في خجل
انا مهما قلت في ويلاتها ... كنت ممن قنعوا بالوشل

مؤتمر ولاهاي المؤتمرات

ادوات الحرب عنها اضربت ... والتقوا كلهم في محفل
وقف الفولاذ فيهم خاطباً ... بكلام كالرحيق السلسل
قال: لو انصفت ما كنت سوى ... سكة او معول او منجل
اسعف الانسان في الحرث ولا ... اتواني عند حصد السنبل
مؤثر لو كنت مسماراً — ولا ... خجل — في نعل طفل مخول

امنع الاشواك ان تجرحه ... وأقي أرجله من بلل
مؤثر هذا ولا يستلني ... ظالم سيفاً فذاً افضل لي

*

عند هذا الخشب اهتز وقد ... قال — فلنقطع يمين الرجل
حبذا اليوم الذي كنت به ... غصناً عند ضفاف الجدول
لي من الاوراق ابهى حلل ... ومن الزهر نفيسات الحلي
وتثنيني نسمات الصبا ... ويسليني غناء البلبل
احمل الاثمار يجنيها بنو ... آدم سائغة كالعسل
فاذا بي تارة مركبة ... تحمل المدفع ثقل الجبل
واذا بي تارة في سابح ... واذا بي تارة في معقل
انا لو انصفني المرء لما ... كنت الا منزلاً في معمل
انسج الصوف فاكسوه ولا ... اشتكي من تعب او ملل
مؤثر هذا ولا يجملني ... قبضة السيف فذا افضل لي

*

عند هذا الكهربا قالت وقد ... لمعت انوارها للمجتلي
قوتل الانسان كم دمر بي ... وانا روح النظام الامثل
احفظ الاجرام في افلاكها ... واقيها عاديات الخلل
انا ملء الكون ما فيه سوى ... خدمي او خولي او رسلي
قسماً لو كنت ادري انه ... بسوى الآثام لم يشتمل
لتحجبت فلم اظهر له ... ولما دنس يوماً هيكلي
ولما جسمي اثقاله ... ولما فارق ظهر الجمل
انا لو خيرت لاخترت الحفا ... ورجوعي للخمول الاول
مؤثر هذا ولا يجعلني ... شبح الهول — فذا اشرف لي

*

فابرى البارود في حدته ... وهو يغلي غليان المرجل
قال — لم ينكب بهم مثلي ولم ... يحتمل منكم به محتملي
قوتلوا من بشر افضلهم ... ان يفاضل اي وحش يفضل
اقذف المدفع في احشائه ... للمنايا زمزمات الهول
حمم ظمأى متى ما انطلقت ... قدم الانسان اروى منهل
تصدم الحصن فتذريه وقد ... قهقهت من شائديه الجهل
فكأي من صفيح مقفل ... تركته وهو سهل المدخل
انا لو انصفني الناس لما ... كنت في الناس رسول الاجل
ألهب الكون وفي ملحي شفا ... لو ارادوا لالتهاب العضل
انا لو خيرت لاخترت البقا ... في يد الآسي و(بنك) الصيدلي
انقذ الانسان من آلامه ... ولقد ادرأ بعض العلل
مؤثر هذا ولا يجعاني ... رائد الموت فذا اشرف لي

*

هذه وهي جماد انفت ... ان ترى الانسان يهوي من عل
يدّعي العقل ولكن حربه ... انبأتنا انه لم يعقل

بشاره الخوري

قصيدة الدكتور نقولا فياض

•

لاهاي ، هل صوت بجوك يسمع ... هيهات ما لاهاي الا بلقع
لم ينفع القصر الذي شيدته ... وكذا الرمال قصورها لا تنفع
جمعتهم الاطماع فيك فذ نأوا ... قالت لهم اطماعهم لن يجمعوا
ما ابدع السلم الذي حلموه لو ... وقفوا على تحقيقه ما ابدعوا
زرعوا الكلام فما حصدت واصبحوا
السيف يحصد فيهم والمدفع
هي يقظة طاحت بها اعمارهم ... فكأنهم فتحوا العيون ليهجعوا
علقت بهم نار الجحيم فاصبحوا ... سجارها لا يشبعون وتشبع

*

في ذمة الرحمن كل سميذع ... يمشي اليه من العدو سميذع
جهلوا القتال فعلموه ولم يكن ... من طبعهم سفك الدماء فطبعوا
النازلون من الخنادق حيث لا ... نسم تهب ولا شعاع يسطع
يحمي حماها كل أروع باسل ... ويظل من بغتاتها يتفزع
الراكبون الجو فوق سوابح ... تجري بامرها الرياح الاربع
من كل ثابتة الجناح ازيزها ... متواصل وبريقها متقطع
الخائضون على الافاعي لجها ... لا من يرى فيها ولا من يسمع
النافضون جبالها وثلوجها ... لا يطمئن بهم عليها مضجع
الذاهبون ولا رجاء ، العائدون ولا شفاء ، السابقون التبع

*

يا للهجوم وقد دعا داعي الردى ... فشوا اليه والاسنة شرع
بجحافل تزجى وراء جحافل ... وفيالق اثر الفيالق تدفع
مادت بهم انجادها فكأنهم ... سرب من العقبان سود جوّع
رصدتهم قلل السعير تصبها ... قلل الحديد فلا تقيهم ادرع
بغتتهم من خلفهم وامامهم ... نيرانها فتفرقوا وتجمعوا
متسابقين وليس منهم سابق ... متراجعين وليس عنها مرجع
في مأزق للموت اسكرهم به ... رهج الخميس والرؤس تقطع
حتى اذا سكن العجاج ولم يعد ... الاصدى ذاك الضجيج يرجع
طلع الهلال عليهم فاذا هم ... عدم فظيع او وجود افظع
الارض نافضة البطون تزاحم ... الموتى بها فهم وقوف ركع
فكأنه يوم القيامة قيام ... او اهم قبل القيامة قد دعوا

*

يا ارض اي رواية مثلتها ... علمت فيها الناس ان يتوجعوا
هذي كنوزك اصبحت حمماً بها ... بركان صدرك ثائر يتصدع
املت حمل الساكنيك فقلت ... افنيهم كفى ما بالوجود تمتعوا
ام شاقك الثوب القديم جررته ... لهباً فقلت الى قديمي ارجع
ناراً يسيل بي الفضاء وليس لي ... مهج تسيل ولا عيون تدمع

*

هل تبعثين مع الربيع معزياً ... الناس ينسى ما به قد روعوا
فيعود ثغرك ضاحكاً متهللاً ... ويعود زهرك في الربى يتضوع
ويعود للاغصان طيرك آمناً ... يتلو مراحمه عليك ويسجع
ام تبعثين قذائفاً وقنابلاً ... لا تقنعين بها ولا هي تقنع
فيظل صدرك بالنجيع مخضباً ... ويظل وجهك بالحداد يقنع
انا سقيناك الدماء زكية ... واتى الربيع فما كفتك الادمع

*

يا ايها الانسان ماذا تصنع ... قدك اتئد اريت فيما تطمع
هدمت يداك اعز ما شيدته ... ماذا الذي من هدمه تتوقع
عالجت بالعلم الحياة وانه ... سيف على الحدين ماض يقطع
اعطاك ما اعطى سواك فصارع ... يوماً او يوماً مثل غيرك تصرع
انا لا اصدق ان مجدك زائل ... انا لا اصدق ان ملكك يخلع
ان كنت ذا جهل فعلمك واسع
او كنت ذا بغض فحبك اوسع
الحب نورك في الوجود فان نأى
عن مطلع ادناك منه مطلع
كم ضيعتك الحادثات بليلها ... ثم اهتديت به فلست تضيع
ارفع حجاب البغض عنك وبعده ... علم السلام على ربوعك يرفع
ان تمنع الاطماع عنك دوامها ... فشرائع العمران ليست تمنع
الحب حق للوجود وواجب ... تتنزعزع الدنيا ولا يتزعزع

نقولا فياض

تسامح العظماء

بقلم الدكتور عمر فروخ

الحقائق المشاهدة في الحياة ان عظماء الرجال من اصحاب المذاهب الفلسفية والدينية والاجتماعيه هم اكثر مرونة وتسامحاً من عوام الناس الذين يتبعونهم ويأخذون بآرائهم . ذلك لان التسامح ينتج من صفتين متلازمتين . القوة والحق ، وان التشدد الذميم ينتج ايضاً من صفتين متلازمتين : الضعف والباطل او عن الضعف والجهل على الاصح .

اذا اعدنا النظر في الفلاسفة الاقدمين واخترنا منهم الافلاطون مثلاً ثم رجعنا الى آرائه السياسية في الدولة ، او الاجتماعية في المرأة وجدناها اكثر مرونة وتسامحاً وملاءمة من آراء بعض الذين سموا انفسهم فيما بعد افلاطونيين . لقد قال افلاطون مثلاً ان المرأة اذا اعدت للحياة كما يعد الرجل اصبحت مثله ، واستطاعت ان تقوم بما يقوم هو به عادة ، مع الاعتراف بوجود فروق اساسية مشهورة . ولكننا لو انحدرنا الى ايامنا هذه ورأينا الذين نسميهم انصار المرأة واطلعنا على آرائهم وعلى حياتهم وعلى حياة المرأة في ايامهم لرأينا منهم جميعاً عجباً .

ولقد اخترت في هذا المقام ان استشهد على تسامح العظماء بثلاثة رجال لا يثير الاستشهاد باقوالهم ثائرة ولا نائرة . واقتصرت على ثلاثة فقط لعلي أفي الموضوع بعض حقه . هؤلاء الثلاثة هم حجة الاسلام الغزالي والفيلسوف ابن رشد والمصلح الديني الشيخ محمد عبده .

اما الغزالي فكان حجة الاسلام غير منازع ، وكان في كل ما كتب يرمي الى غاية واحدة هي ان يحفظ على السواد الاعظم من المسلمين ايمانهم واطمئنانهم . لقد كان الغزالي يعلم ان الوصول الى الحقيقة الكبرى يمكن ان يكون من سبل مختلفة ولكنه كان يعتقد ان العامة من الناس لا يحتملون ذلك ، وان الطريقة الوحيدة التي تحفظ عليهم دينهم هي ان يتبعوا ما يقول لهم الدين من غير ان يفكروا في امكان وجود سبيل آخر . لقد كان في ذلك صريح الرأي ، صريحاً في التعبير عنه .

واعتقد الغزالي بان الفلاسفة الاولين قد جاءوا بكثير من الحق وان علومهم الرياضية والطبيعية والطبية والسياسية والاخلاقية كانت صحيحة . ولكنه كان يقول : ان العامة اذا رأوا بعض هؤلاء الفلاسفة متهاونين في امر الدين ، بعد ان رأوهم مصيبين في الرياضيات والطب ظنوا انهم مصيبون ايضاً في تهاونهم في الدين . فيجب اذن ان نحول بين العامة وبين الكتب الفلسفية ، وان نحسن للسواد الاعظم من الناس شأن الدين بكل وسيلة وسبيل .

هذا هو الغزالي . لقد كان منصفاً فاعطى كل ذي حق حقه ، اعترف للفلاسفة بما لهم وقال عن العامة ما يجب ان يقول عنهم ، وكان واضحاً في بسط وجهة نظره . على ان تسامحه كان عظيماً ، فلقد درس الفلسفة كلها وذكر شيئاً كثيراً عنها في كتبه . وكان وهو يدافع عن الاسلام ويحث على التمسك به يستشهد باقوال الانبياء كلهم وباقوال الحكماء والمتصوفة وربما ذكر شيئاً من التوراة والانجيل وقصص الرهبان ، حتى ان الفيلسوف ابن رشد لامه على ذلك وقال عنه انه كان يضر بالدين من حيث يريد ان ينفعه . ولكن تسامحه هو الذي حمله على ان يقول في كتابه الصغير القيم (المنقذ من الضلال) : « وعادة ضعيفي العقول » انهم يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق » .

والعاقل يقتدي بسيد العقلاء علي رضي الله عنه حيث قال : «لاتعرف الحق بالرجال ، بل اعرف الحق تعرف اهله . فالعاقل يعرف الحق ثم ينظر في القول نفسه، فان كان حقاً قبله ، سواء اكان قائله مبطلا ام محقاً ، بل ربما يحرص على انتزاع الحق من اقاويل اهل الضلال .» أفتظن ان الذين يدعون انهم يأخذون بآراء الغزالي يتسامحون مثل تسامحه وينصفون انفسهم وغيرها كانصافه هو لنفسه ولغيره ؟

وهذا الذي فعله الغزالي في الدين فعله ابن رشد في الفلسفة . ليس ابن رشد اكبر فلاسفة الاسلام فحسب بل هو من اكبر الفلاسفة على الاطلاق . ولقد احدثت فلسفته في اوربا دويا هائلا ونشأ من بعده في اوروبا المسيحية حركتان : الرشدية وهم انصار فلسفته ، ثم خصوم الرشدية مما لا مجال هنا لبسطه .

هذا الفيلسوف العظيم الذي كان اول من فهم فلسفة ارسطو في العصور الوسطى في الشرق والغرب معاً ، فهما صحيحاً او قريباً من الصحيح، كان عظيم التسامح والانصاف فقال : يجب علينا اذا الفينا لمن تقدمنا من الامم السالفة نظراً في الموجودات واعتباراً لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان ان ننظر في الذي قالوه من ذلك وما اثبتوه في كتبهم . فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه . وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم» .

تفهم هذا جيداً ثم انظر في الفلاسفة الذين جاؤا بعده ، واعلم ان واحداً من هؤلاء قرأ فلسفة ابن رشد فلم تعجبه — حقاً او باطلاً — فقال : «ابن رشد كاب كاب» . اعتبر قول ابن رشد ثم اعتبر قول خصمه وانظر الى ذلك التسامح العظيم الذي لا تجده الا عند اعاظم الرجال .

وننتقل الان الى الشيخ محمد عبده . ذاك المصلح الديني الذي هز الشرق الاسلامي في العصر الحديث . وعلى الرغم من كل ما لقيه الشيخ محمد عبده من السجن والاضطهاد ومن تحامل خصومه عليه وتعرضه لنقمة رجال كبار ذوي نفوذ فانه لم يرد على احد منهم بكلمة سوء ولا انتقم من احد حينما اصبح عضواً في ادارة الجامع الازهر وحمل لقب مفتي الديار المصرية . لقد تلقى الغمز واللمز والنقد بصدر رحب واحتمل العذاب والاضطهاد ثم هو لم يفسد هدفه الاسمي بالتعصب ولا شانه بالجهل حتى قاد كثيرين من خصومه الى الاذعان له بهذا التسامح الذي كان يتصف به .

ليس معنى التسامح ان يفرط الانسان بحقه او بحق عهد به اليه، ولكنه هنا الانصاف لنفسك ولغيرك بألا تدعي لنفسك اكثر من الذي هو لها ولا ان تصم اذنيك عن سماع حجة مناظرك . والذي لا يعرف التسامح لا يستطيع ان يرى الحق في مواضعه . وهذا الذي حمل الشيخ الامام محمد عبده على ان يقول : «ليس في العلم امير الا العلم نفسه .»

ان للتسامح فيما ارى فلسفة واحدة لا بأس في ان اختم بها هذا المقال : يجب الا يهتم العظيم باقوال الناس بالاخذ منهم وبالرد عليهم ، بل عليه ان يتسامى فوق هذا كله وان يقف جميع وقته وجهوده وعبقريته لبلوغ هدفه الاسمى ، ويتساهل بجميع ما دون ذلك . اما الذي يحكم بينه وبين خصومه فهو الزمن وحده . ويومئذ تبيض وجوه وتسود وجوه .

عمر فروخ

مهنتي واثرها في بناء الامة

المهندس

بقلم المهندس انطون تابت
سكرتير عصبة مكافحة النازية والفاشستية في سوريا ولبنان

لما طلب مني ان اتحدث اليكم هذه الليلة عن مهنتي واثرها في بناء الامة ، خطر لي ان استوحي جوابي من السؤال نفسه . لم لا وقد استعمل السائل ذاته كلمة البناء ، بناء الامة ، للتعبير عن نواحي الحياة كلها بما فيها من امل وعمل ، من تناقض واتلاف ؟ لِم لا والبناء الهندسي كالبناء الوطني بتشعب نواحيه وكثرة عناصره وهو يتقدم بتقدم الحياة العلمية والادبية والصناعية ويتوقف بتوقفها .

البناء الهندسي يأخذ دوماً من التراث القديم او من التراث الاجنبي ما هو بحاجة اليه من اساليب العمل ومواده ، فيطبعه بطابعه الوطني والاقليمي اذ لكل قطر طابع خاص يختلف عن غيره باختلاف وسائل العيش والعادات ، واختلاف الطقس كشدة الحر ورطوبة الجو وكمية المطر ، واختلاف مواد البناء ومدى تقدم الصناعة والزراعة ومقدرة العمال وتطور عقليتهم ، الى ما هنالك من اسباب .

كان الاصح اذن ، ان يقال : بناء الامة واثره في مهنتي ، لان المهندس لا يستطيع ، مهما سمت عبقريته ، ان ينعتق من قيود الزمان والمكان ، فيملي ارادته املاء ويتصرف بنفسه على هواه ، وكيف يستطيع ذلك ، والفن اولا وآخراً مرآة الحياة الوطنية والاجتماعية والاقتصادية في كل بلد من البلدان وزمن من الازمان .

ان المهندس ليستطيع ان يبدع في نطاق الحياة الاجتماعية التي يلابسها ما شاء الابداع وما واتاه على الخلق الفني ذوقه ومحيطه ، لكنه لا يستطيع بحال من الاحوال ان يتجاهل ساعة عمله ومواد عمله ، ولا ان ينكر الاوضاع والمؤثرات التي يعمل في نطاقها ولا يستطيع ابداً ان يعمل بمعزل عنها .

ونحن اذا اتخذنا مثلاً ناطحات السحاب في حضر موت ، وهي بنايات يتألف بعضها من ستة عشر طابقاً وتتحصن كل عائلة في بناية او طابق منها تحصيناً منيعاً لحماية نفسها من عدوان القبائل المجاورة وقارنا هذه البنايات بقصر الحمراء في الاندلس او بقصور بغداد وآثار دمشق وحلب او بالبيت اللبناني العربي في العهد نفسه تبين لنا بوضوح كيف تأثر كل من تلك الاساليب الهندسية بمؤثرات محلية خاصة ، واختلف عن غيره تبعاً لاختلاف الطقس ووسائل العيش ، وتقدم الصناعة وتكتل الجماعات ، فضلاً عن تفاوت البنائين والمهندسين انفسهم .

لما تحضرت القبائل العربية شرعت في البناء : والبناء العمراني والبناء الاجتماعي ، للذين يسيران دائماً جنباً الى جنب ، وجدت آثاراً خلفها الفرس والرومان والتدمريون والبيزنطيون فاخذت منهم ما استطاعت اخذه من مواد ونقوش وصهرتها بطابعها الخاص فجاء الفن العربي جديداً وقديماً في الوقت نفسه ، له بعض مزايا الفنون الفارسية والرومانية لكنه يختلف عنها تمام الاختلاف .

ثم لقح الفن العربي بدوره الفن الغربي وكان لابناء المغرب نموذجاً مثالياً من نماذج التنظيم والعمران .

وبعد ان بلغت الصناعة العربية والفنون العربية اوج عظمتها ، وابتدأ تقدم الغرب وتطور صناعته وثقافته ، شاء الامبراطور شارلمان ان يستوحي آثار الرومان لتوجيه البناء في عصره او توجيه البناء الرسمي على الاقل ، فلم يتمكن من التأثير في سير الفن والصناعة . وبدلا من ان يتأثر البناء والزخرف بالاساليب الروماني كما اراد ، جاء متأثراً بالصناعة والفنون الاندلسية العربية ، ولم يستطع ان يحقق مطلبه الا بواسطة العمال والفنانين الذين استقدمهم من سوريا والقسطنطينية والمغرب . ويعود اخفاق شارلمان في محاولته الاولى الى ان الفن الروماني بعد انهيار دولته وتفكك امته وبعد العهد به لم يبق ملائماً لاوضاع الحياة الاجتماعية وحاجاتها المستحدثة .

ولما تقدمت صناعة الغرب وازهرت ثقافته واصبح قابلا للتقدم الفني ، اخذ من العرب ما يلائم تطوره الصناعي والاقتصادي والاجتماعي وشاد من ذاك فناً جديداً لم يكن عربياً ولا رومانيا وان كان متأثراً بهذين الفنين رغم ما بينهما من الفروق ، مثله كمثل العربي اذ قام على اسس متفرقة ومختلفة انصهرت بالطابع العربي فادت للعالم رسالة فنية جديدة تقدمية لا اثر فيها للابتزال .

اما الاوضاع السياسية والدينية والفلسفية فلها ايضاً اثرها الكبير في تطور فن الهندسة ويكفي ان نرجع البصر الى هندسة المدن المحصنة في القرون الوسطى والى الهياكل اليونانية والرومانية ونقارنها بالمدن الحديثة والكنائس والجوامع ليتبين لنا الفرق الشاسع بين عهدين كانت منافع المدينة والثقافة والدين منحصرة في اولها بنفر من الخاصة فاصبحت في العهد الثاني ميسورة التناول لجميع افراد الامة .

يمكن القول اذن ان للعامل الفلسفي والديني عمله في تغيير شكل البناء تغييراً كاملا وفلسفياً اذا جاز هذا التعبير .

ونحن اذا رجعنا الى مقارنتنا السابقة بين الهياكل الوثنية والمعابد المسيحية والاسلامية نرى كيف ان هندسة المعابد الوثنية كانت اشبه بصندوق مظلم لا يكاد يستوعب سوى تماثيل الالهة ، وكيف ان المعابد الحديثة قد اتسعت باتساع الفكرة الدينية واشرقت باشراقها ، واصبحت تستوعب عدداً اكبر من المصلين لان هذه الشرائع لم تشرع لفئة معينة من الناس بل للناس اجمعين . ومن ثم بدت في الجوامع الاسلامية ظاهرة فريدة هي ان الجامع الواحد من الجوامع الكبيرة تكون في الغالب اربعة ابواب شرقي وعربي وشمالي وجنوبي ، فكان في ذلك رمزاً الى ان هذا الدين عام لا خاص وكان هذه الابواب الاربعة تدعو اليها الناس من كل صوب وتسهل لكل فرد سبيل الوصول الى الجامع من اقرب مكان الى بيته ومحل عمله .

وثمة ظاهرة اخرى امتازت بها المعابد الحديثة من سابقاتها ، فضلا عن الاتساع والاشراف هي القباب والمآذن التي تمعن في الجو صعوداً ما استطاعت الامعان ، كأن اصحابها يرمزون بها الى ارتفاع الفكر البشري عن المستوى المادي السابق وتطلعه الى منزلة اعلى مما كان الفكر عليه في ايام الجاهلية .

هذه لمحة موجزة عن تأثير الاسس العامة لحياة الامة في فن الهندسة وتطوره ، ولكنها ليست سوى وجه من وجوه المسألة . فكما يؤثر المحيط والاوضاع المختلفة في فن الهندسة ، يؤثر الفن نفسه في الاوضاع الاجتماعية والعلمية والثقافية . فالتكتل الاجتماعي الذي اشرنا اليه في مطلع هذا الحديث لم يصبح ممكناً الا بعد ان تنظمت هندسة البناء وهندسة الري وهندسة الطرق والمعابر ، أي بعد ان قطع العلم والفن مرحلة طويلة من مراحل التقدم الصناعي والعلمي .

كانت القبائل والكتل البشرية الاولية تتبع مجاري الانهار والاراضي او سواحل البحار وتعيش هناك على الصيد والقنص والثمار والاعشاب وليس بين افرادها من اواصر القربى سوى مصلحة الدفاع عن حياتهم ضد الوحوش المفترسة او ضد الغزاة الطامعين باخيرات الطبيعية التي تستمتع بها .

وكانت القبائل تهاجر اذ ذاك سعياً وراء تلك الموارد الطبيعية وتحط رحالها في الاراضي الخصبة حتى تستنفد ما هنالك من خيرات ثم ترحل الى موضع آخر طلباً لرزق آخر . اما حر الصيف وبرد الشتاء فكانت تتقيهما بتنقلات فصلية مستمرة بين السهول والجبال .

ولما تقدمت الفنون ولا سيما الفنون الهندسية وفتحت طرق المواصلات وبنيت الاسوار ، وتعمم الري ، اصبح بالامكان زيادة ذلك التكتل وتوسيعه . وهكذا اجتمعت قبائل مختلفة ذات منافع مشتركة ، لاستثمار الارض والتعاون على اخضاع العوامل الطبيعية والحيوانات واصبح التعاون ممكناً لاعلاء مستوى الحياة وخلق الصناعة الحرفية التي زادت في الوقت نفسه امكانيات الاستثمار الزراعي بما اوجدته من ادوات ولباس وتنظيم .

ولما زادت تلك الكتل قوة ، وتوافرت طرق مواصلاتها مع غيرها ، ابتدأ تبادل المحصولات الزراعية والصناعية بين بلدين وبين كتلتين ، فادى ذلك الى تبادل الاراء الثقافية والاكتشافات العلمية بين كتلتين تتكلمان بلغة واحدة على ارض واحدة . وهذا اول شرط في بناء الامة .

ولما توافر نشوء هذه الجماعات ونموها ، صار على العلم والفن ان يحلا مشكلة ايواء تلك الجماعات وتنظيمها بطريقة علمية صحية ، فاكتشفا مزايا جديدة للمواد المعروفة من قبل ، واكتشفا مواد جديدة لم تكن معروفة قبلا كالحديد والاسمنت والطين والخزف والزجاج وغيرها ، فادت تلك الاكتشافات الى تطور فن الهندسة والبناء الى ابعد حد .

ونحن لا نعني بالاكتشافات العلمية : المادي منها فحسب بل النظري ايضاً . اذ ان حل المسائل بطريقة الجبر والتخطيط الهندسي

على اسس نظرية بحتة ، ساعد مساعدة كبيرة في اكتشاف مقاييس جديدة للمواد المعروفة ، كما ان علم الكيمياء النظري ادى الى اكتشاف مواد جديدة خدمت الفن وسارت به نحو الكمال .

والاكتشافات الطبية ايضاً اثر كبير في تطور فن الهندسة ادى الى تنظيم القواعد الصحية للوقاية باخذ الاحتياطات الصحية في بناء المنازل وتهويتها وتدفئتها ، وجر المياه وتصريفها الى ما هنالك من وسائل صحية تتطور مع تطور الاكتشافات الطبية والعلمية .

ولما تحول الفكر على اثر تبادل العلوم والنتائج ، من عهده الانعزالي الى عهده الشعبي ولم يبق منحصراً بفئة صغيرة معينة من فئات الامة ، تطور فن البناء ايضاً اذ جنح الى انشاء المعاهد والمكاتب والمسارح على اسس اوسع ومقاييس جديدة يزداد حجمها بازدهار العلوم وتزايد عدد المثقفين . وقد ادت هذه الاسس والمقاييس بدورها الى رفع مستوى الفكر الهندسي اذ انها اضطرته الى اكتشاف مواد وطرق جديدة لحل المشاكل الجديدة التي طلب منه حلها .

واذا انتقلنا الى هندسة تنظيم المدن وهي الهندسة الاجتماعية الشاملة ، رأينا كيف تتحور وتتغير مع مظاهر الحياة الجديدة .

فمن المدن المحصنة باسوار منيعة تعيش على نفسها مع ضيق شوارعها وكثافة جدرانها ، انتقل العالم الى المدن الفسيحة التي تفتح معاهدها وجنائنها وحدائقها ومخازنها لغيرها من المدن ، وتبادلها ما هي بحاجة اليه وتأخذ منها ما ينقصها . وشتان بين تينك المدنيتين والطريقتين المتباينتين في فهم الحياة .

لقد بينا فيما تقدم كيف تؤثر بعض العوامل في فن الهندسة وكيف ان فن الهندسة نفسه يساعد على تطور تلك العوامل ، فما هي اذن وظيفة المهندس في تلك التغييرات وتلك التطورات ؟ .

هنا يظهر جلياً تأثير الصفات الشخصية التي يتمتع بها المهندس ومدى ثقافته ، فاذا كان يتمتع بمزايا علمية وعملية اكيدة فهو قادر بتنظيم خططه واعماله على توجيه فنه وبنائه توجيهاً جديداً سواء باكتشاف طرق عمل جديدة او باستعمال مواد جديدة لم تكن صفاتها وطرق صنعها معروفة قبلاً ، او بزيادة سبل الراحة ورغد العيش وغيرها . وهذه الطرق والوسائل الجديدة تؤثر بدورها في عقلية المهندس كما تؤثر في الاوضاع الهندسية نفسها ، وفي تقدم الصناعات المرتبطة بالصناعات التي تساهم في صناعة البناء ، بل انها لتؤثر ايضاً في عقلية ساكني ومستعملي تلك البنايات ، اذ ان الحياة في محيط فني عال تؤثر حتماً في العقلية السائدة ، وتوحي افكاراً وآمالاً جديدة ، وتخلق حاجات جديدة يطلب من العلم ومن الفن توفيرها من جديد .

وجملة القول في شأن الفنان والمجتمع ان الاول يستخدم الاساليب الفنية والمستنبطات العلمية لتحقيق الاغراض التي يفرضها الثاني عليه ، ويفرض هو بدوره على المجتمع اغراضاً اخرى . وتبلغ عبقرية الفنان اوجها اذ تعبر عن النزعات والمطالب التي تجيش في ضمير المجتمع ولا تجد الى الظهور سبيلاً ، لكن الفنان يظل في هذه الحالة ايضاً ، وهي ارقى حالاته ، متأثراً بالمجتمع الذي يعيش فيه .

واذا انتقلنا من بيوت السكنى البسيطة الى البنايات الجامعة كالمدارس والمتاحف والمسارح نرى تأثير الفن الهندسي على مقياس اوسع وارحب : نراه يؤثر في جماعات اكثر عدداً وفي الغالب اقل انعزالا واكثر ثقافة . فيصبح الفن اذ ذاك شعبياً ، والفن الشعبي هو دائماً اقرب الى خصائص الامة من الفن الرسمي التقليدي ، لان الاول يأخذ جزوعه من الارض والتربة والمواد المحيطة به ، اما الثاني فيبقى في الاغلب دخيلاً يستوحي افكاره واعماله من بعض الصفات الشخصية التي كثيراً ما تكون منفصلة عن محيطها وموارد حياتها .

واذا جمعنا كل ما سبق الى هندسة وتنظيم المدن والطرق والمعابر والمرافق الوطنية يصبح التأثير الهندسي اوسع وارحب ، لانه يتصل اذ ذاك اتصالا وثيقاً بمجموع الامة فيغير وضعها الصناعي وامكانياتها وحتى عقليتها .

فبناء الامة اذن متصل اتصالا وثيقاً ببنائها الصناعي والفني ، كما ان البناء او التنظيم الفني يؤثر دائماً في بناء الامة . وهذا التأثير المتبادل مستمر دائماً بين الفن والحياة والفن ، وبين عقلية المهندس والمادة وعقلية المهندس ، يكون احدهما فاعلاً فيصبح منفعلاً . وليس لهذا التفاعل المستمر نهاية اذ لن يكون بين عنصريه توازن حاسم لان التوازن الكامل المطلق هو الجمود والموت .

انطون نابت

---

(١) اذيعت هذه المحاضرة من محطة « راديو الشرق » وهي اول السلسلة الجديدة في احاديث الشباب التي تذاع مساء كل خميس وموضوع هذه السلسلة « مهنتي واثرها في بناء الامة » يتحدث فيها المهندس والصحافي والمعلم والطبيب الخ .. عما لهم من اثر في بناء الامة ، وسننشر هذه المحاضرات بالتسلسل في « الاديب » .

الصحفي

بقلم منا غصن
مدير جريدة « الديار »

●

كان الراسخ في اذهان الناس عندنا ان الصحفي رجل يعيش او يحاول ان يعيش على هامش المجتمع السياسي والاقتصادي، او عالة عليه، وانه شخص سدت في وجهه منافذ الرزق وابوابه فتلفت الى قلمه يتهش ويثلم او يمدح ويسترضي فيدفع اليه الاول بما يسكته او يتصدق عليه الثاني بما يلهي، وقد يبرز ثالث يطعم ليبعد شبح الاذى عن نفسه . ولم يكن هذا التعريف يصدق على محرر الجريدة فحسب بل هو تعريف متعد يتناول رئيس التحرير وصاحب الجريدة واكثر ما يكونان واحداً، ويشمل حتى الجريدة نفسها، فهي في عرف الناس فريضة، شأنها شأن ضريبة الاعناق : هذه تجبى عن طريق القوة المنظمة المسلحة، واشتراك تلك — يجبى بالنهش والثلم والمدح والاسترضاء .

وتمر بي الان وانا اتحدث اليكم من غير ان أرى او أرى حوادث وحكايات هي سلسلة من الفواجع الواقعة، جابهتني في مستهل عهدي بمهنتي، فاوشكت تجاهها ان اجبن : حكايات غريبة ولكنها تتحدث عن ذهنية اوجدتها عوامل اجتماعية مختلفة .

منها : دعاني رجل يحتل بالاضافة الى وظيفته ما اصطلح مجتمعنا على تسميته بالمركز الادبي، الى تناول الطعام في منزله، وانا اطل على الحياة في هذه المدينة من كوتي المحاماة والصحافة وهو يعرف الاولى منهما . ولم يطل بيننا المقام حتى حملت اليه بطاقة زائر فاذا به يتناول من محفظته كمية بائسة من النقود دفع بها الى الخادمة : قولي انني لست هنا وادفعي له هذا ... ثم تلفت ناحيتي واستطرد : شحاذ ... قلت : طريقة مبتكرة، شحاذ ببطاقة زيارة، انه ولا شك فنان . قال : لا ... صحافي . وشفع التعريف بنعوت مقتضبة موجزة انتقل بعدها الى الترحيب بي، انا، صاحب المهنة الشريفة، انا المحامي .

عرفت صديقاً عزيزاً اصدر في يوم ما أكبر جريدة في هذا البلد فانفق عليها من ماله رأسمالا كبيراً . وقد ازدهرت صحيفته واشتهرت في لبنان وجميع الاقطار العربية حتى اصبحت مثلا . ولكنه لاسباب قرر اقفال الجريدة ثم طلق الصحافة طلاقاً ابديا . جلست اليه ذات يوم اعاتبه على هجره الصحافة واسأله الاسباب فتبسم بالم وقال : أقفلت جريدتي الى الابد معتنقاً نظرية الشاعر الاكبر الاستاذ خليل مطران . قلت : وما هي نظريته هذه ؟ قال : اصدر الاستاذ مطران جريدة ثم اقفلها فلما سئل عن السبب اجاب ان كل صاحب جريدة في الشرق العربي، يحمل نفسه مشقة الجهاد طوال السنة ويوزع على المشتركين يومياً نسخ صحيفة يبذل ماله ودماء قلبه وعصارة فكره في سبيل تحريرها فاذا ارسل جابي الاشتراكات الى اي مشترك عاد اليه بالاهانات والشتائم .. واحياناً ببدل الاشتراك الزهيد .

قال صديقي : كنت احسب الاستاذ مطران مغالياً فلما خبرت الصحافة سنوات رأيت ان نظريته هي الحقيقة بعينها .

منذ اعوام كنت عرفت خلالها بالانتساب الى الصحافة دون غيرها، عرض لي ان ازور الجامعة مدرستي القديمة، فالتقيت صدفة باحد اساتذتي فاسرعت اليه مسلماً وصافحني هو بحرارة ثم ابتدرني قائلا : ما تزال في الصحافة ؟ قلت : بلى . قال : اما حان لك ان تختار عملا شريفاً او مهنة محترمة ! ..

قلت : ما تزال في الجامعة ؟ قال : بلى . قلت : اما حان لك ان تتقاعد ! .

يعرف كل منكم الشيء الكثير من امثال ما رويت وقد يكون بينكم من شهد او اشترك في احدى هذه الروايات . وليس الذنب ذنب الصحافة ولا هو ذنب الناس، فهي حالة شاذة اشتركت في تكوينها عناصر مختلفة كانت في ذلك الحين اسس حياتنا السياسية والادبية والاقتصادية، والعناصر الاهم في

تكوين اية امة .

كل صحفي يحمل السلم بالعرض .. ولكن لا ليزعج المارة ويعرقل حركة السير بل لغاية اسمى وهدف اعلى : لينظف الشارع من المخلوقات الرديئة التي تحاول الوقوف في وجه عربة التقدم والعمران . هذه جمل رمزية ولا شك ، لكنها حقائق راهنة تلتصق بالعمليات وتلاحقها . فالصحفي مهما كان لونه ووضعه قد يسكت عن عمل لا يعتقده صالحاً كل الصلاح ولكنه لا يدعو له ، واذا مرت بالصحفي ظروف اسكتته وهي حوادث نادرة بالنسبة ، فهو في كل يوم يقرع العبد ويدل على اماكن الفساد في الدولة ويدافع عن حقوق المجتمع من غير ان يكلف ، لانه يشعر من تلقاء نفسه بانه محام عام بمجرد احترافه الصحافة . فاذا اخطأ الحاكم انتقده واذا استمر في الخطأ هاجمه وقسى الى ان يرجع الى الصواب . هذا طبعاً في بلد يعتنق حرية القول والكتابة والا فان الحاكم يستمر ويسكت الصحفي مرغماً . وللصحفي رهبة خاصة تلاحق الحاكم او القيم على الشؤون العامة فهي له مثل ضمير الرجل الواقف على ابواب الاجرام . وكم من الحكام من لا يجسر على انفاذ عمل فيه ضرر عام خشية اقلام الصحفيين . وكم بينهم من يرده قلم جريء الى طريق الحق فيصدق تشريعاً او يرفضه مخافة ذاك القلم الذي يحرك الشعور ويخلق التيار وما يزال به حتى يدفعه في مجاري تحرف الحاكم والتشريع معاً .

والصحفي يصف طبيعة الاشياء سابراً غورها فاذا نصبت للامة مكيدة مجلببة بثوب مقبول لائق نفذت عينه الى الحقيقة فعمل على ابرازها بثوبها الصحيح ودل امته على الشرك المنصوب لها فهداها سواء السبيل . وكم يتألم الصحفي عند ما يلاحظ ان امته ناقصة التكوين تبحث في ظلمة النقص عن شعاع تهتدي به ، فتمد انامله تتلمس هدفها الاعلى الذي تعيش له وتسعى اليه فيلهب نفسه رغبة في تبديد الظلمة ويذيب عصارة دماغه ليحولها الى اشعاع ينير طريق الامة السائرة الى الهدف . واذا وجد ان الهدف لا يتفق مع ميول امته ورغباتها ومصلحتها وانه يتعارض مع تقاليدها وعاداتها ، اذا وجد ان الهدف مصطنع لها وانها على ضعفها ووهنها فقدت ارادتها عمل على تحريك حيويتها الكامنة وصور بقلمه صفحات تاريخها وسكب نفسه في روحها . فاذا لم يوفق في قصده وكانت اعصاب امته تعبة منهوكة او كانت امته بلغت في ضعفها درجة تكفيها الادوية الروحية وحدها ، تحول عن تقوية امته الى مهاجمة ما اصطنعوه لها وقذف بنفسه بلا هوادة ، حتى اذا تكسرت اضلاعه او تحطم رأسه ام اذا نزفت دماء قلبه اغمض عينيه متناسياً المه وشبابه غارقاً في جنة من لذة القيام بالواجب . واذا لم يكن لامته من هدف على الاطلاق وكانت عرضة للعواطف والاهواء لا تعرف اين الاستقرار وما ذا يعد لها استعرض الامم الراقية في العالم منتقياً هدف الامة الارقى والاقوى ثم عاد الى امته يصارع في سبيل اكمال تكوينها فاما ان يصبح لها هدف او ان يسقط هو صريعاً .

وتشترك في تكوين الصحافة والصحفي عوامل متعددة ، فلا يمكن ان تقد الامة يدها ساعة تشاء وانى تشاء لمتناول اول بشري تقع عليه وتقول : كن صحفياً فيكون . فهناك الاستعداد الثقافي والمستوى والعلمي والشعور بالمسؤوليات والتهيؤ لتأدية الرسالة المنبثقة من المبادىء القومية القويمة ، وحاجة البيئة ، وهناك عنصر الاحساس والتجسس : الاحساس بالدور الملقى على عاتقه وما يتضمنه من تضحيات والتجسس بما وراء غيوم الحاضر المعلوم والتغلغل في اجواء المقبل المجهول فاذا كانت الامة تحس وجودها كامنة ، وتعرف ماذا تريد ، توقفت واوجدت ضحيفة وصار لها صحفي حقيقي والا فانها توجدة جريدة تختلف عن اي عامل من عوامل الهدم الاخرى فيضاف معول جديد وقوي الى معاول التدمير ، ويظهر صحفي مثله مثل بائع متجول عادي يبيع الكلام والكتابة ويساوم على قلمه مساومة البائع الصغير على متر الخام او كيلو البندروه .

والصحافة ترافق الامة في النشوء والتطور فتعاونها وتهديها والامة ترافق نشوء الصحافة وتطورها فتوحي اليها وتساندها ، فيعيشا متساندين متعاونين يكمل واحدهما رسالة الثاني . ولنا في الصحافة الانكليزية التي تعتبر ارقى صحافة العالم مثل حي . فلا تزعم بريطانيا انها خلقت صحافتها ولا تدعي الصحف الانكليزية انها اوجدت بريطانيا ، فقد انبثقت الصحافة من حيوية الديموقراطية البريطانية ثم اخذت ترافق ارتقاء ما انبثقت منه ، فاذا كبت مدت الامة يدها اليها واذا اعوج شيء في الدولة البريطانية رأت الصحافة فيه نتوءاً قبيحاً في حياة الامة عملت على ازالته بما اوتيت من الوسائل . فتعاونت المؤسستان تعاوناً صحيحاً مستمراً انتج امة من اقوى الامم وارقاها وصحافة من اقوى الصحافة وارقاها .

في بلادنا ظاهرة ممتازة هي ظاهرة التحفز للوثوب ، تمهد الصحافة سبيل الوثبة المقبلة ، امل الوصول الى عتبة الحياة الوطنية السليمة ، في بناء الامة المشيد .

منا غصن

تفاهم

◆

مرّتْ ضحى تتهادى في دربها ومرَرْتُ
ولم تكن قد رأتني من قبل ذا أو رأيتُ
تقابلتْ نظرتانا فاثبتتْ ، وثبتّ
واطرقتْ ، ثم سارت لما تريد وسرتُ
يا نظرةً كشفتْ لي عن سرّها ، وكشفتُ
كأنها قرأتْ ما أضمرْتُهُ وقرأتُ
كأنما هي قالت — في صمتها — واجبتُ
قالت : فهمتُ . وانت ؟ فقلتُ : ايضاً فهمتُ
تفاهمٌ في صموتٍ وابلغُ القولِ صمتُ

*

... وكان بُعْدٌ ، فلما عاد الزمانُ وعدتُ
كان اللقاء ، وكان الشيء الذي قد حزرتُ

وصفي قرنفلي — حمص

في مفرق الطريق

نتقل هذا المقال عن مجلة « الصباح » الدمشقية ، وهو رسالة كان منشيء « الاديب » قد وجهها الى صديق له ، على اثر زواجه ، فعثرت عليها مجلة « الصباح » بين اوراق هـذا الصديق ، وآثرت ان تجعل من هـذا الاثر الخاص اثراً عاماً ، فلما رأى صاحب الرسالة ان سرها قد ذاع أراد أن يزيده ذيوعاً . . .

●

اخي لم أشأ ان أكتب قبل الآن وأنا بعد في غفوة الاغماء من تأثير الحدث الجديد ، الذي قلب حياتي رأساً على عقب . أما وقد بدأ الصحو يدب بعض الشيء الي فتجدني ابادر بالكتابة اليك عن بعض هذا الحدث الجديد .

رأيت كثيراً ، و « عشت » كثيراً ، وانغمست في صميم الحياة فخبرتها علي أشكالهـا وألوانها المتعددة ، وتذوقت حلوها ، وذقت مرها ، فاكتفيت .

وكنت قبل الاكتفاء في ضجر ، كثير الملل ، أركض وأسعى دون هدف ، أبحث عن شيء لا أعرفه . فكان يضنيني البحث والتنقيب ، فأبيت على نشوة الامل في الغد ، دون انتاج او استقرار . حتى اذا كان الغد عدت الى حياتي العادية ، حياة صاخبة تارة وهادئة اخرى ، كثيرة المجون وكثيرة الجد ، بطيئة سريعة ، متناقضة بين ساعة وساعة ، يغلب فيها الاستهلاك النفساني أي استنزاف القوى الروحية ، فكنت أشعر بان نفسي تشح ، ويصيب تفكيري شيء كانه الطمس يغمره . فاذا كان الجزر ، لمحت بعض اضواء لا تلبث ان تخبو .

وكنت أفهم علتي على الرغم من استكانتي واستسلامي الى ما انا فيه !

ثم أصبحت وانا في شخصيتين : واحدة لنفسي وأخرى للناس . فأعطيت للناس شخصية تتقاذفها الاقدار وتسير على غير هدى ، في كثير من الزهو ، واحتفظت بشخصية خاصة تختبيء في النور وتظهر في الظلمة لتنيرها ، ألجأ اليها في وحدتي وأنام على كفيها لاحلم بكل ربيع أخضر .

غموض وابهام وايام تمضي ووقت يضيع ، وزهد بالحياة وكل ما فيهـا « وليد الشخصية الثانية » يغشى نفسي ، فيفسد علي مستقبلي ولا يجعلني اقيم حساباً لامر مهما عظم .

واخيراً فكرت في حالتي قليلاً ، وانا على ابواب الثلاثين وكان علي تقرير المصير ، فاما زدت الشيء اشياء وضربت الصخب بالصخب ، واما محوت كل شيء وغيرت النهج الى طريق جديد لعل فيه هدفاً وسواء سبيل .

قلت ان الحياة اكسبتني من تجاربها مقداراً . فلا تستغرب سرعة التقرير ولا كيف اخترت « كامي » وانا لا اعرفها . قل ان للقدر نصيباً في حياتنا يفعل مـا يشاء يهدم فيما نحن نبني ويبني حين يكون المعول في اليد .

شعوري الجديد غريب كحياتي الغريبة الاطوار فانا لا آسف على ما مر واعتقد بأني تذوقت اشياء موجودة لو لم اكن تذوقتها لكانت تنقصني الآن . ولم آسف على ما أقدمت عليه لاني اشعر براحة الاطمئنان والاستقرار وان لي في الحياة هدفاً . . . وقد استطيع التأكيد فاقول سوف اعمل ليومي وغدي ، ولجسدي وعقلي ، وللناس ولنفسي في كثير من الاتزان وعلى ضوء الهدف ونور المرمى وصبوة الغاية .

زوجتي مثلي وكانها عملت لان تكون لي وصنعت لان اكون لها .

فعسى ان تجيء الايام محققة لآمال اليوم فاردد الك في الغد ما اقوله الساعة !

١٥ آب ١٩٣٧

البير اديب



مختارات دهغول «١»

اخرجت مكتبة « فرنسا الشرق » في بيروت كتاباً جديداً للسيد جان غوليه « Jean Gaulmier » يشتمل على مختارات بليغة من ادب الجنرال دهغول وطأها الجامع بمقدمة من النثر الحلال ألم فيها ببعض المزايا التي اتصف بها زعيم فرنسا المحاربة من الوجهتين الانسانية والادبية . فالجنرال دهغول الذي عرفه العالم في اشد الكوارث التي تألبت على فرنسا مثالا حياً لذلك الجندي الفرنسي الذي لا يعرف الا واجباً واحداً هو التفاني في حب وطنه والدفاع عن تراث آبائه واجداده ليس جندياً فحسب بل أديب من الطراز الاول جمع الى بصيرة الفيلسوف عاطفة الشاعر وسكب احسن افكاره في احسن قوالب البيان .

وقد بحث السيد غوليه في مقدمته الفكرة الانسانية التي صدر عنها الجنرال دهغول في كل ما خطه قلمه سواء في الكتب التي اصدرها اوفي الفصول التي عقدها في الصحف ، وجال جولة وافية على اختصارها حول الفلسفة العسكرية التي ابدعها وحاول بدون جدوى ان ينزل اقطاب الجندية الفرنسية ورجال البرلمان على الاعتراف بها واعتناقها ثم اثبت الاختبار فيما بعد انه هو المصيب وانهم هم المخطئون . قال : « انه لمن الامور الفاجعة ان يرى هذا الرجل الذي اهتدى في قلبه وفي ذكائه الى السر الذي يتوقف عليه خلاص فرنسا ومنه خلاص اوربا يصطدم في كل مكان بدعوى هؤلاء ولا مبالاة اولئك . فروح من هذا المعدن تنعزل في زمن يسوده انحطاط الذكاء والعقل ، ولكن هذه الروح لا تلبث في اوقات الشدة وحين تخور قوى الجميع وتتلاشى ان تجد نفسها هي وحدها في مستوى الظروف واحداث الزمان . »

ثم يتكلم السيد غوليه عن مزية انشاء دهغول هذا الانشاء الذي « لا تستنشق فيه رائحة الحبر مع انه لكاتب كبير » فيقول ان ادب دهغول يقوم على هذا الاتحاد التام بين الفكر والتعبير ، وهو سمة الاستقامة الادبية ، اي سمة النفوذ الحقيقي . فالتأليف والاتزان والاحكام هي في البينات كما هي في الجمل . انشاء بسيط قوي لا تكليف فيه ولا اتباع ، دائم الاتسام باستخدام الكلمة الخاصة بالمعنى . انشاء مسلكي اكثر منه انشاء مصور ويبلغ مع هذا حد التأثير في النفس لما فيه من قوة الحياة .

وسنفرد لهذه المختارات بحثاً وافياً في الجزء المقبل من «الاديب»

حديث الاذاعة

اصدر القسم العربي في دار الاذاعة الفلسطينية الجليلة كتاباً في نحو من ثلاثماية صفحة يحتوي على طائفة بليغة من متخير ما اذاعه منها رجال العلم والادب في مختلف الاقطار العربية . ولا نزاع في ان القسم العربي في دار الاذاعة الفلسطينية يساهم مساهمة مجدية في تنشيط الحركة الفكرية في هذه البقعة الطيبة من الشرق . ففي كل سانحة من الدهر يدعو اعلام الفكر من العرب الى اسماع الامة العربية اصواتهم في مختلف مناحي العلم والادب وفي شتى منازع التفكير احياء للتراث العربي القديم وبثاً للجديد الطيب من مخزون العقول في هذا العالم العصيب الذي تضيق فيه احجام الصحف عن استيعاب ما تضطرب به العقول وتنفرج عنه البصائر .

ويكفينا ان نذكر موضوعات هذا الكتاب ، وقد صدر منه الجزء الاول ، ليتضح لنا اي اثر خطير سيكون له في النهضة التوجيهية التي ستسفر حتماً عن هذه الحرب سواء في الميدان الادبي او الاجتماعي . والى القراء مواضيع الجزء الاول : الجيش في الاسلام والتربية والتعليم في العصور الاسلامية للاستاذ عبد اللطيف الطباع . ديار العرب والاسلام للاستاذ محمد عبد السلام البرغوثي . احاديث اسلامية في الاخلاق والآداب للاستاذ الشيخ سليمان الجعبري . الحرب بعد اثني عشر شهراً وستة اسابيع للاستاذ عباس العقاد . العرب وموقفهم من الحرب الحاضرة ، والعرب وموقفهم من النازية والفاشستية للاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني . الدولة الاموية للاستاذ عبد العزيز البشري . هل تمدنا للاستاذ محمد كرد علي . ليل الانحطاط وفجر النهضة للاستاذ خليل تقي الدين . نظرة في مستقبل العرب للاستاذ نسيم يزبك . الى

1 — Jean Gaulmier : Anthologie du Général de Gaulle.

الام العربية للسيدة اسمى طوبي • التربية في الاسرة العربية للسيدة ماري صروف شحاده • شخصية المرأة للآنسة قدسية خورشيد • الى فتياتنا والطلبة للاستاذ خليل بيدس • ويحتوي الكتاب ايضاً على « تحية فلسطين » للاستاذ بشاره اخوري وعلى مقدمة بليغة للاستاذ عجاج نويهض، مراقب البرامج العربية والنشر في دار الاذاعة الفلسطينية •

فنوجه الى الحكومة الفلسطينية الجليلة ، والى دار الاذاعة الكريمة ، جزيل الشكر على ماتبذلانه لنشر الثقافة العربية والادب العربي ، اخذ الله بيدهما الى ما فيه خير الامة والعرب •

روسيا السوفياتية

في العالم اليوم اتجاه قوي لمعرفة البلاد السوفياتية وانظمتها الاجتماعية معرفة صحيحة ، بعد ان تبين خلال هذه الحرب التي قامت الشعوب السوفياتية فيها بنصيب وافر من اعباء الجهاد، ان اكثر ما تناهى الينا عن ذلك القطر الكبير كان بعيداً عن الحقيقة • وقد رأت جريدة « صوت الشعب » وهي اول صحيفة عربية خصت شؤون الاتحاد السوفياتي بجانب من نشاطها المحمود في معالجة القضايا المحلية والعالمية — ان تروي ظمأ القراء العرب الى معرفة الاتحاد السوفياتي معرفة وافية ، فاصدرت كتاب «روسيا السوفياتية» الذي سد فراغاً كبيراً في المكتبة العربية • ففي هذا الكتاب مقدمة موجزة عن حوادث ١٩١٧ وما سبقها وتبعها من الاحداث الخطيرة في روسيا والبلاد التي كانت تابعة لها ثم انضمت اليها وألفت معها اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية • وفيه عرض واف للانظمة الاجتماعية التي يعيش في ظلها ١٨٠ مليون نفس يؤلفون ما يقرب من مائتي قومية مختلفة الالوان والاديان واللغات والاجناس • وقد لفت نظرنا في ابحاث الكتاب امران خطيران هما قضية المساواة وقضية القومية • فقد كان الشائع ان مواطني الاتحاد السوفياتي يعيشون في مساواة مطلقة لاتميز عالماً من جاهل ولا تفرق بين نشيط وخامل فاذا الامر على نقيض ذلك تماماً ، اذ ان الشريعة المتبعة هناك : من كل حسب كفاءته لكل حسب وعمله • وكان يظن ايضاً ان الجمهوريات المرتبطة بروسيا خاضعة لحكمها كما كانت في عهد الحكم القيصري، فاذا بهذه الجمهوريات مستقلة استقلالا تاماً ، واذا بنا نرى ان ستالين الذي كان مفوض الشعب للقوميات قد بذل جهوداً جبارة لاحياء القوميات المتأخرة وأصر على ان يضع في صلب الدستور السوفياتي مادة تخولها حق الانفصال عن الوطن الام متى شاءت • وثمة فصول مختلفة بينت بالارقام المدى الذي بلغه تطور الاتحاد السوفياتي في ميادين الثقافة والصناعة والزراعة وغير ذلك من الشؤون التي يرغب في معرفتها كل قارىء عربي ، فنشكر للزميلة « صوت الشعب » ما تبذله من جهد لتوسيع المدى الثقافي في البلاد العربية •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مؤلفات جبران خليل جبران

التآليف العربية المطبوعة	طبع	سنة
نبذة في فن الموسيقى	المهاجر — نيويورك	١٩٠٥
عرائس المروج	» »	١٩٠٧
الارواح المتمردة	» »	١٩٠٨
الاجنحة المتكسرة	مرآة الغرب — نيويورك	١٩١١
دمعة وابتسامة	مطبعة الفنون — نيويورك	١٩١٣
المواكب	مرآة الغرب — نيويورك	١٩١٨
العواصف	الهلال — القاهرة	١٩٢٢
البدائع والطرائف	يوسف توما البستاني — القاهرة	١٩٢٨
كلمات	» »	١٩٢٩

التآليف الانكليزية		الناشر	سنة
المجنون	The Madman	Alfred A. Knopf N. Y.	١٩١٩
الرسوم العشرون	Twenty Drawings	»	١٩١٩
السابق	The Forerunner	»	١٩٢١
النبي	The Prophet	»	١٩٢٣
رمل وزبد	Sand and Foams	»	١٩٢٦
يسوع ابن الانسان	Jesus the son of Man	»	١٩٢٨
آلهة الارض	The Earth Gods	»	١٩٣٠
حديقة النبي	The Garden of the Prophet	»	١٩٣٢
الدرويش	The Wanderer	»	١٩٣٢

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

واشنطن – ٢٦ تشرين اول – اعلنت وزارة الحربية الاميركية افساح المجال لتسجيل المتطوعين البالغين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة من عمرهم في خدمة وحدات المصفحات . القاهرة – فشلت جميع المحاولات التي قام بها جيش المحور لوقف زحف الجيش الثامن المستمر في قطاعات العلمين ، وقد اصيب المحور بخسائر جسيمة في العتاد والرجال . حيفا – وصلت بعثة تركية عسكرية مؤلفة من كبار الضباط يرأسها الزير اميرال ارغوت اولمان وقد حلوا ضيوفاً على رجال البحرية البريطانية ، ويتفقد رجال البعثة المؤسسات المختلفة في قاعدة حيفا . نيويورك – اشترك المواطنون الايطاليون في كاليفورنيا في شراء طائرة من نوع القلاع الطائرة سيتقدمون بها الى الجيش الاميركي .

موسكو – ٢٧ – بلغت خسائر الالمان في الاسبوعين الاخيرين في محاولاتهم الفاشلة للاستيلاء على ستالينغراد اكثر من ثلاثين الف رجل وخمسمائة دبابة وعدة مئات من الطائرات . فيشي – اعتقل الالمان ٣٠ رهينة جديدة على اثر الاعتداء على ثلاثة من الالمان. لندن – اعدم الالمان ثماني عشرة رهينة تشكوسلوفاكية .

واشنطن – ٢٨ – اعلن الكولونيل نوكس للمرة الاولى ان عدد ضباط الاسطول الاميركي ورجاله يبلغ الآن نحو مليون وثلاثماية الف منهم مليون في قطعات الاسطول و ٢٠٠ الف في فيالق المشاة البحريين ومائة في فرق حرس السواحل .

انقره – ٢٩ – احتفلت الامة التركية بعيد الجمهورية التركية وهو العيد التاسع عشر لاعلان الجمهورية وذكرى انتخاب مصطفى كمال رئيساً لها .

مكسيكو – ٢٩ – اعلن استئناف العلاقات الدبلوماسية بين جمهورية المكسيك والاتحاد السوفياتي بعد ان انقطعت لمدة عشر سنوات . ديترويت – اعلن ان مصانع فورد ستنشىء طائرات بدون محركات تستخدم في الهجوم والغزو، وفي كل طائرة منها ١٥ جندياً مجهزين تجهيزاً كاملاً .

موسكو – اول تشرين الثاني – اخذت بوادر الفتور تظهر مرة اخرى على هجمات الالمان في منطقة المصانع في ستالينغراد ، واخذت القوات السوفياتية توجه كرات هائلة وتمكنت من استرجاع عدد من المساكن والشوارع واحد المصانع .

ملبورن – ٢ – اعلن البلاغ الحربي الصادر من مقر قيادة الجنرال ماك ارثر ان القوات الاسترالية احتلت مدينة كوكودا بعد ان ظلت ثلاثة اشهر في ايدي الاعداء . موسكو – ٣ – الفت الحكومة السوفياتية لجنة للقيام بالتحري عن الفظائع التي ارتكبها الالمان ضد النساء والاطفال والاضرار التي الحقت بالكنائس والممتلكات الفردية والغرامات التي فرضت على الناس. الخرطوم – اذيع ان الحكومة السودانية تعتني اعتناء خاصاً بزراعة شجر البطاطا في اقاليم السودان الجنوبية . أديس أبابا – ٤ – افتتح الامبراطور هيلاسلاسي البرلمان الحبشي بحضور ستين عضوا من الاعيان علاوة على الامراء والرجال الدبلوماسيين والحاشية الملكية . لندن – اعدم الالمان في الشهر الماضي في مارسونا (يوغوسلافيا) ١٥٠ رهينة و٢٧ رهينة في منطقة كاوجي في سلوفينا انتقاماً لنسف قطار عسكري الماني. واشنطن – ٥ – بعث الرئيس روزفلت برسالة حيا فيها روسيا قائلا « للمرة الثانية في جيل واحد تجاهد امتانا في مقدمة مجموعة الامم المتكتلة ضد العدو المشترك . ان التضامن في المهمات العسكرية يجب أن يكون مقدمة للتضامن في مهمة خلق عالم في سلم وهي مهمة اعظم . لندن – ٦ – علقت المحافل الفرنسية في لندن اهمية كبرى على انجاز احتلال جميع انحاء جزيرة مدغسكر أذ أن ذلك يطلق يد الحلفاء في تنظيم وسائل الدفاع وايجاد موانىء صالحة فيها لايواء قطعات كبيرة من الاسطولين الاميركي والبريطاني وبذلك يبعد الخطر الذي يهدد مواصلات الحلفاء . لندن ٨ – اعلن اليوم نزول قوات اميركية عظيمة في افريقيا الشمالية ، بقيادة الجنرال الاميركي ايزنهاور ، ونزلت معها قوات بريطانية هامة . نيويورك ٩ – نشرت الصحف الاميركية انباء الترحيب الذي قوبل به الجيش الاميركي في افريقيا وصرح المستر وندل ويلكي بان انزال القوات الاميركية في شمالي افريقيا بمثابة فاتحة الهجوم على القارة الاوربية . لندن – وجه الجنرال ديغول بالراديو رسالة الى الشعب الفرنسي يقول فيها لقد حانت الفرصة فان حلفاءنا قد اختاروا الوقت المناسب فقد رد العدو على اعقابه في مصر وبدأت الحرب التحريرية في افريقيا الشمالية وحلفاؤنا الروس قد قضوا على جميع الجهود التي بذلها العدو وختم رسالته مطالباً القوات الفرنسية والقوات المحاربة في افريقيا ان تنضم الى الحلفاء لكي يتحقق النصر المبين العاجل . لندن ١٠ – قطعت العلاقات الدبلوماسية الفرنسية الاميركية رسمياً . تأكد ان الاميرال دارلان نائب الماريشال بيتان والقائد العام لقوات فيشي هو في ضيافة قائد اميركي في شمال افريقيا . سقط ميناء وهران بايدي الاميركيين ، اندلعت النيران في الدارعة الفرنسية « جان بار » في ميناء الدار البيضاء . اصبحت الموانىء التالية في ايدي الحلفاء ، الجزائر وهران صافي المهدية وليوتي . لندن ١١ – اعلن الاميرال دارلان باسم الماريشال بيتان وقف القتال في افريقيا الشمالية . لندن – اذاع الجنرال ديغول نداء للشعب الفرنسي يقول فيه ان النصر محقق فهلموا الى الانضمام والاشتراك فيه اغتنموا الفرصة الساعات القليلة ، ايها الجنود والبحارة والطيارون سارعوا بسفنكم واسلحتكم للانضمام الى الفرنسيين المحاربين ولا تتركوا اسلحتكم في يد العدو. واشنطن – صرح الرئيس روزفلت بان الولايات المتحدة سيكون لديها في ١٩٤٣ سبعة ملايين وسبعماية الف جندي . اوتاوا ١٢ – اعلن الراديو الكندي قطع العلاقات الدبلوماسية بين حكومة فيشي وحكومة كندا . مدريد – اعلنت حكومة الجنرال فرانكو انها ستحافظ على حيادها التام ازاء ما يحدث في افريقيا الشمالية . واشنطن – اعلن رسميا ان جميع السفن الفرنسية الموجودة في موانىء اميركية قد صودرت . برلين – وجه هتلر رسالة الى الماريشال بتان يعلمه فيها ان شروط الهدنة الفرنسية – الالمانية قد الغيت وانه امر جنوده بالزحف على فرنسا غير المحتلة وبعد ١٢ ساعة دخلت القوات الالمانية الى المراكز المعينة في فرنسا غير المحتلة . لندن ١٣ – وجه الاميرال دارلان نداء بالراديو دعا فيه وحدات الاسطول الفرنسي في طولون الى القيام بوحداتهم الى افريقيا الشمالية للانضمام للحلفاء . لندن – جاء في بلاغ مقر القيادة الحليفة في شمالي افريقيا ان القوات الفرنسية في تونس

أخذت تقاتل الى جانب الحلفاء ضد المحوريين . نيويورك ١٤ ـ صرح ستالين بان حملة افريقيا الشمالية عكست الموقف العسكري والسياسي وبات الموقف في اوربا بجانب الحلفاء . نيويورك ـ صرح رئيس اللجنة البحرية الامريكية بانه تم تسليم ما يقارب ستة ملايين طن من البواخر من مجموع ثمانية ملايين طن التي وضع المستر روزفلت برنامجها للعام ١٩٤٢ . استمبول ١٥ ـ عقد الرعايا الفرنسيون في تركيا اجتماعاً قرروا فيه الانضمام الى حركة الجنرال ديغول .

انقره ١٥ ـ يؤخذ من المصادر الدبلوماسية في انقره ان الجنرال فرانكو رفض منح المانيا قواعد بحرية وجوية في اسبانيا . ستوكهولم ـ يسري قرار التعبئة في اسبانيا على ثمانية صفوف اي على المقترعين من عام ١٩١٨ الى عام ١٩٢٦ ، وحين تتم هذه التعبئة الجزئية يبلغ عدد المجندين نحو مليون جندي .

فيشي ١٦ – اعلن رسمياً ان الاميرال اوفان وزير البحرية ومسيو جيرا وزير المواصلات استقالا من وزارة فيشي . وعين الاميرال ابريال خلفاً للاميرال اوفان . القاهرة – جاء في خطاب العرش ما يلي : وقد خطت حكومتي خطوات واسعة في تسيير مهمة الصحافة فقررت لها امتيازات صحفية كثيرة كما قررت لنقابة الصحافة اعانة سنوية قدرها الفا جنيه .

استمبول – سجلت هزات ارضية عنيفة في منطقتي استمبول والقسم الغربي من الاناضول . لندن ١٩ – يؤخذ من الانباء الواردة من ايطاليا ان الشعب الايطالي هتف منادياً بالصلح عند ما وصل الملك عمانوئيل الى جنوى عقيب غارات الطيران البريطاني عليها وسمع الملك مثل هذه الهتافات في المدن الايطالية الاخرى التي زارها .

واشنطن ٢٠ – اعلن ان الحرب الحاضرة كلفت الولايات الاميركية المتحدة حتى الان ٦٠ الف مليون دولار اي ضعف مجموع تكاليف الحرب الماضية ، وتزداد نفقات الحرب بمعدل خمسة آلاف وخمسماية مليون كل شهر .

لندن ٢٠ – اعلن الراديو الالماني ان ٤٥ موظفاً من موظفي وزارة الخارجية الفرنسية عزلوا من وظائفهم لانهم كانوا يعملون لمصلحة بريطانيا واميركا .

انقره ٢١ – علم من مصدر موثوق به ان هتلر استنجد باليابان بعد ان ظهر بوضوح ان مركز المحور في افريقيا يدعو الى اليأس وقد طلب من اليابان القيام بعمل حربي ضد جنوب افريقيا ومدغسكر الا ان اليابان ردت بانها لا تملك السفن والبوارج الكافية للقيام بهذه الاعمال لمساعدة حليفتها . الرباط – تلقى عظمة سلطان مراكش رسالة من الرئيس روزفلت وقد جاء فيها « سرني ما بلغني عن العلاقات الطيبة بين شعبكم والادارة الفرنسية وجنود بلادي فبلاد المحور اليوم عدوة بلدينا وهي تريد فرض سيطرتها السياسية والاقتصادية على افريقيا ، واني لاشعر بسرور اذ اجد اننا متحدان في مجهود واحد مشترك يرمي الى تدمير المحور .

موسكو ٢٢ – تواصل قوات الجيش الاحمر تقدمها في ميادين ستالينغراد وقد تمكنت من قطع الخط الرئيسي لتموين المحور وهو يمتد بين ستالينغراد وخركوف . واصبح السوفيات يسيطرون على جميع المواصلات في نهر الفولغا رغم حلول فصل الثلوج .

القاهرة – احتل الجيش الثامن اجدابيا وانسحبت فلول جيش المحور المنهزمة الى ما وراء العقيلة .

لندن – صرح الماجور اتلي بقوله ليس فقط اننا نظفنا البحر المتوسط من العدو بل اننا على قريب نذهب الى ابعد من ذلك اذا نبدأ الهجوم الكبير .

لندن ٢٤ – اعلن تعديل في اعضاء الوزارة البريطانية .

لندن – اجتمعت اللجنة الوطنية لفرنسا المحاربة برئاسة الجنرال ديغول وحضور الجنرال كاترو المفوض الوطني في الشرق الادنى لبحث الحوادث الجارية في افريقيا الشمالية والغربية .

نيويورك ٢٥ – قال الاميرال فيكدي وكيل اللجنة البحرية للولايات المتحدة في حديث ألقاه في نيويورك « ان اعظم تجريدة حشدت في العالم ستشن الزحف النهائي الكبير في قارة اوربا وهذا الزحف لا يقف الا في برلين ، وقال ايضاً حين يبدأ الزحف على طوكيو ستتأكدون ان انتاج مصانع الحلفاء لبناء السفن سيكون من العناصر الرئيسية لتحديد وقت غروب « الشمس المشرقة » . موسكو – اذاع الراديو الالماني ان الروسيين اخترقوا مراكز الالمان في جبهة رجيف غربي موسكو . فيشي – اعلن راديو فيشي ان القائد العام للقوات البحرية الفرنسية في جزر الهند الغربية وهو الاميرال روبرت ضم سفنه الى الاسطول الاميركي والبريطاني وذلك بدون استشارة حكومة فيشي .

لندن ٢٧ – اعلن هتلر مرة اخرى الاخلال بالوعود وحاول الاستيلاء على طولون فسارت المصفحات الالمانية نحو هذا الميناء الحصين وحلقت الطائرات المحورية فوق سمائه ، رامية صواريخ مضيئة والغاماً ممغنطة بينما قذفت طائرات المانية اخرى قنابل متفجرة على ادوات الدفاع في المرفأ ، وقد اطلق بحارة الاسطول الفرنسي النيران على المعتدين في سبيل كسب الوقت ثم دوت انفجارات هائلة وانتهى الامر بتدمير الاسطول الفرنسي المرابط في ميناء طولون وفي الساعة العاشرة من ذلك النهار لم تبق ولا وحدة على وجه المياه ، وقد استشهد اغلب القواد والبحارة مع سفنهم ويقدر عدد السفن التي انتحرت بخمسين قطعة حربية .

استنبول – ٢٨ – يستفاد من انباء وردت من صوفيا ان الالمان هددوا البلغار بتجريدهم من الاراضي التي احتلوها اذا هم لم يقدموا معونة كافية للقوات الالمانية في جبهات القتال بروسيا .

لندن ٢٩ ـ خطب الجنرال ديغول بعد اغراق اسطول طولون فقال بعد ان وصف عظم الكارثة : لقد سمعت فرنسا مدافع طولون وطلقات المقاومة اليائسة فسرت فيها كلها هزة الم وشفقة وحنق ، ان هذه المصيبة التي اضيفت الى الام فرنسا ستنهض بها وتجمع كامتها في الارادة التامة كي تمحو بالنصر جميع نتائج الخيبة ، فليس هناك من سبيل سوى التغلب والانتصار ولن يكون هناك سواه .

موسكو ٣٠ ـ اعلن ان الجيش الاحمر طوق ٢٥٠ الف الماني وتقدم ٢٥٠ كيلو متراً في خطوط الدفاع الالمانية ، واستولى على عشرات المدن ومئات القرى اما الغنائم التي احصيت فبلغت في مدى عشرة ايام ٦٦ الف اسير و ٢٠٠٠ مدفع و ٣٦٥٣ رشاشاً ١٧٤٩ دبابة ١٠٦٧٧ كميوناً ومركبة و ١٠٧٠٠ حصان وغيرها من الذخائر والمؤن .

المعلم الاول

◆

اذا ألقينا نظرة شاملة على حركة الاتجاهات الادبية والاجتماعية في التاريخ ، فرأينا كيف تنشأ هذه الاتجاهات التي تقلب وجه الفن وتبدّل المعتقدات ، وعاينا اضطراب المذاهب واختلاط الجهود في فوضى المجالسات والمعاكسات ، اتضح لنا ان الاخطاء التي نمر بها اليوم هي اخطاء كل عصر ، والفوضى التي نشهدها هي فوضى كل جيل وعلى الرغم من ان الشعوب لم تفتقر في اي عصر الى مصلحين يقودون خطاها ، وينيرون سبيلها ، فهي لم تتأثر بتعاليم اولئك المصلحين الا بمقدار ما وافقت هذه التعاليم اغراضها ومنازعها . ومن هنا نشأت الفوضى في التفكير والعمل على تباين مناحيها وتباعد مقاصدهما ، فاختلط الصالح بالطالح ، واختل الشعور بالواجب الانساني ، فبدلاً من ان نشهد نظاماً اجتماعياً يقوم على الآداب الفاضلة والعقل السليم ، شهدنا انظمة سياسية تقوم على الاغراض الزائلة والمزاعم الباطلة، وبدلاً من ان نسمع آراء « انسانية » سمعنا آراء « حزبية » وبدلا من ان نشهد النظام شهدنا الفوضى .

جاء المصلحون فقالوا لنا « أحبوا الحقيقة » فأحببنا اغراضنا . ولكي نجد مبرراً لهذه الانانية ارتجلنا مصلحين جدداً استوحوا مصالحنا وغاياتنا ، فأقمنا بذلك شريعة المنفعة الذاتية مقام شريعة الحق الكوني .

لسنا نعني بهذا ان يضحّى بالشعور الوطني على مذبح الشعور الكوني الشامل ، لكن مصلحة الامة اذا ارتكزت على الحق لم تتعارض ومصالح الامم الاخرى ، كما ان مصلحة الفرد اذا ارتكزت على العدل لا تتعارض ومصلحة المجموع . على ان الشعور بالحق والعدل لا يصدر الا عن الشعور بالمحبة ، فالمحبة هي رأس المال الذي يجب ان يتزود به افراد المجتمع على تباين عناصرهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قلنا ان مصلحة الامة اذا ارتكزت على الحق لا تتعارض ومصالح الامم الاخرى ، ذلك ان الحق واحد في كل مكان، فلا يمكنه ان يكون حقاً هنا وباطلا هناك . فمتى أدركت امة هذه الحقيقة ، أدركت واجبها ، وعندئذ يمتزج الشعور الوطني بالشعور الكوني ، ويصبح شعوراً انسانياً ، وعندئذ ايضاً يسود النظام وتزول الفوضى ، ويحل السلام محل البغضاء والخصام . على انه ، لا يمكن امة ان تصل الى هذا الادراك الا عن طريق المحبة كما تقدم .

بيد ان المحبة بحاجة الى من يبثها ، بل الى من يعلمها . وهذا المعلم ليس بالفيلسوف الذي يعي حكمة الايام والليالي ، ولا بالعالم الذي يخزن في دماغه معارف العصور ، ولا بالشاعر الذي تعزف الطبيعة في منظومه موسيقى الحياة ، ليس هذا المعلم هؤلاء الفريق من الناس فحسب ، بل هو الحاكم والقاضي والتاجر والصانع ايضاً ، هو كل طبقات الناس على الاطلاق. فالحاكم يعلم المحبة بنزاهته ، والقاضي بعدله ، والتاجر باستقامته ، والصانع بفنه واخلاصه وتجويده .

على ان هؤلاء جميعاً : « الفيلسوف والعالم والشاعر والحاكم والقاضي والتاجر والصانع » هؤلاء الاقانيم السبعة، المجموعة في اقنوم واحد هو « مربي المجتمع » لا يستطيعون ان يؤدوا رسالتهم على وجهها الاكمل ، الا في ظل الحرية السليمة ، ابنة المحبة البكر . ولعمري ، أفي ميسور المرء ان يصدر حكماً عادلا ويفكر تفكيراً سليماً ، ام يتحاشى تحريف الاعمال والمقاصد عن وجهها الصحيح او يسمو الى احقاق الحق الا اذا كان حراً ؟

كادت الحرية تكون كل شيء . . .

البير اديب

تلفونه — مرأب — تطرنج — بلياردو — وتوابعها ...

◆

بقلم

جبرائيل نوبلي

. . . وسألت المستخدم ، فور عودتي الى المكتب ، هل تلفن احد يسأل عني ؟

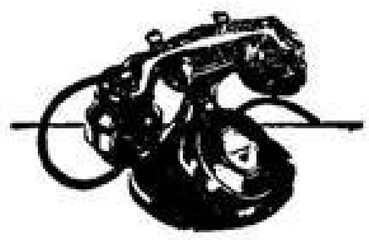
فابتسم رفيقي ، وهو من المخضرمين ، وقال لي بلهجة فيها عتاب ، وفيها سخرية ، وفيها استنكار : ألا يكفيك ان تجري كلمة تلفون على لسانك ، وعلى يراعك احياناً ، حتى تنحت منها فعلاً وتصرّفه ؟ وهممت ان اجيبه بـ « يصرف الشاعر ما لا ينصرف » ولكنني ادركت ان المجال ليس مجال اعراب . وأدركت على الاخص انني لست بشاعر ، وان المثل بالتالي لا ينطبق عليّ .

بيد انني قبضت على الفرصة ، وقد سنحت ، لأساجل صديقي المخضرم في قضية يثيرها بعض المحافظين كلما جرت كلمة اعجمية على يراع كاتب .

ورحنا نتجاذب اطراف الحديث ، والحديث ذو شجون كما يقولون .

فقلت لصديقي :

احلف يميناً غموساً انني أغار على لغتي العربية غيرتك عليها . وغيرتي هذه هي التي تحملني على استنكار ما تريدونه لها من جمود ، يقف بها عن مجاراة العصر الذي نعيش فيه ، ويجعلها لغة متحجرة . فقال لي والابتسامة الساخرة لم تبرح عالقة باطراف شفتيه :



هذه شعوبية في اللغة يا أبا غسان ! . . .

ودفعت عني هذه التهمة بما تيسر ، وظللت أضيق عليها الخناق حتى تقلصت السخرية عن ابتسامة صديقي ، ثم اختفت عن شفتيه بتاتاً ، ثم غشيت سحنته مظاهر الاهتمام ، ثم افترقنا بعد ان ادخلت على قناعته جانباً من قناعتي ، فوعد بأن يهضم هذه الكلمات الدخيلة ، ولكنه تحفظ ووعد بأن يكون الهضم في مناسبات خاصة لا في لغة الكلام .

ولست ادري في الواقع لماذا يصرّ بعض «المحافظين» على التنكر لاقحام الكلمات الاعجمية في سياق الكلام العربي ، فتراهم ينحتون رؤوسهم لينحتوا الفاظاً عربية النجار ، يعبرون بها عن الالفاظ التي اضطرت اللغات الاعجمية نفسها الى نحتها ، بدورها ، من معدن اللغتين الاغريقية واللاتينية ! .

ان التشدد في استعمال كلمة هاتف بدلاً من « تلفون » وكلمة « مرأب » بدلا من كلمة « كاراج » و « صور متحركة » بدلا من « سينما » ، وهلم جرا — ان هذا التشدد انما هو غيرة على اللغة في غير محلها . لان اللغة كائن حيّ اذا هي لم تتلقح بلقاح جديد ظلت تشتر نفسها ، وانتهت الى الجمود والتحجر .



وليست محافظتنا على لغتنا ، بالغة ما بلغت ، بأشد من محافظة اجدادنا ومن سبقونا فيها في ميدان الكتابة ، سواء أكانوا من العرب العاربة ام من العرب المستعربة . خذ اخوان الصفاء مثلا ، وقد تصدوا لبحث العلوم التي عاصرتهم ، فانهم لم يتحرجوا من تسمية علم الحساب بعلم « الارثماطيقي » وعلم الفلك بعلم « الاسترونوميا » . . . انا اذكر اني درست المنطق بالعربية في كتاب اسمه « ايساغوجي » . . . فهل طعنت هذه الالفاظ الاعجمية في عروبة اخوان الصفاء ،



وصاحب « ايساغوجي » ؟ .. وهل حالت بين طلبة العلم وبين الفائدة التي أفادوها من نشر تلك العلوم بالعربية ، على ما فيها من الفاظ اعجمية دخيلة ؟

لا اريد الآن ان اضرب الامثلة على شيوع الالفاظ الاعجمية ، من فارسية ويونانية وحبشية وسواها ، في كتابات القدماء ، فذلك امر مفروغ منه كما يقولون . ولكنني اردت الى القول ان عروبتنا ، قومية ولغة ، لن تصاب بمكروه — أبعد الله عن المحافظين كل مكروه — اذا قلنا تلفن يتلفن ، بدلا من هتف يهتف ، او كتبنا تلفون بدلا من « ارزيز » او « مسرة » واذا سمينا السينما « سينما » بدلا من صور متحركة او مشبحة . . . الى آخر الموال . كما اني لم افهم حكمة من استعمال كلمة « مرأب » بدلا من كاراج فأن كانت مشتقة من رأب الشق ، فلماذا لا يسمى المستشفى مثلا « مرأباً » ، وفيه يرأبون كثيراً من الشقوق ؟ .

وكأني بمعترض يقول : وهل تريد اطلاق هذه القاعدة على كل المصطلحات التي لم تكن معروفة عند العرب ، فنأخذ ألفاظها الاعجمية ، كما وردت ؟

كلا ليس هذا غرضي ، فالاطلاق هنا غير وارد . وانما هناك مصطلحات اصبحت « دولية » بعد ان جرت على اقلام الكتاب في كل اللغات . وهذه المصطلحات تكاد ان تعرض لنا في حياتنا الخاصة والعامة كل يوم . وهي تدل على اشياء لم تكن معروفة عند اجدادنا ، فلماذا نتعب انفسنا في نحت الفاظ جديدة لها ، وهذه الالفاظ نفهمها تحتاج الى تعريب ، بدلا من مجاراة العصر وشعوبه ولغاته في استعمالها ، بعد سبكها في صيغة عربية جهد الطاقة ؟ لنفرض ان لاعب « بلياردو » مثلا اراد ان يكتب الى صديقه ، او ان يخاطبه عن مهارة احد اللاعبين . فماذا يسمي « البلياردو » ؟ وهل ينتظر من احد المحافظين الجامدين ان ينحت له اسماً « للبلياردو » من خوان ، او مائدة ، او مسطح تجري عليه الأكر ؟ . . . ولماذا يقولون « شطرنج » وهي كلمة فارسية ، ولا يتحرجون ، ثم يتحرجون من كلمة تلفون ، وهي كلمة دولية ؟

وبعد فليست لغتنا هي اللغة الوحيدة التي تستقي من منابع اللغات الاخرى . فان اللغة الفرنسية ، لغة العلم والسياسة الدولية ، لم تتحرج من اقحام كلمات انكليزية فيها ، كان في وسع كلمات فرنسوية قاموسية ان تؤدي معانيها . فهم يقولون مثلا عن المحادثة الصحفية Interview وهي لفظة انكليزية تستطيع لفظة Entrevue الافرنسية ان تؤدي معناها تماماً . ولكن « انترفيو » اصبحت في الاصطلاح كلمة معروفة تعبر خاصة عن معنى الحديث الصحافي . فلم يتحرج الكتاب الفرنسيون من استقراض هذه الكلمة عن الانكليز .

هذا مثل من مئات نستطيع التدليل بها على ان اية لغة لا تستغني عن اقتراض كلمات من لغات اخرى . وقد اخذت اللغات الاجنبية كثيراً من الالفاظ عن لغتنا ولم تتحرج .

فاذا كان اسيادنا المحافظون يصرون على ان لا تستقرض لغتنا اية كلمة دخيلة ، فنحن نستغفر لهم الله ، ونطبق عليهم قانون الاعارة والتأجير ، لننقذ اللغة من عواقب التشدد الذي ما زالوا يعترضون به طريق النشوء والارتقاء .



جبر الله نوبلي

الايمان عنصر الحياة في الامة الروسية

بقلم ميشال ابو شرهل

ان روح الامة حينما تفقدها في ميادين الحياة لتتبين مزاياها وتستكشف اعماقها ، تجدها ماثلة لعينيك بحقيقتها التي لا يشوبها خداع ولا يحجبها قناع . فهي ترتكز الى اسس واحدة لا يمكن ان تتباين في جوهرها وان اوهمتك الظاهر . ولست تصيب اذا حاولت ان تجزأها او ان تمزج بها عناصر من غير معدنها . ولا عبرة فيما يبدو لك من اختلاف الاوصاف وتفاوت الاعماق وتعدد الالوان التي ترد على لسان هذا او ذاك من اهل العلم والفن والتخصص ، فكثيراً ما يحار الفكر بين اشكال اللفظ ووجوه النظر ، والوان الفن ، لتنتهي حيرته عند معاني قول واحد وصورة واحدة . وكثيراً ما تلبس الحقيقة الواحدة ابراداً متعددة من صنع الخيال والاسلوب او من موحيات السليقة والتخصص، ولكنك اذا عريتها برزت لك واحدة في كل موضع وتحت كل دثار .

فالأمة القاسية بروحها تجدها قاسية في اخلاقها ، خشنة في سمتها وحركاتها وترى اثر العنف والقوة في كل مظهر من مظاهر حياتها ، فهي تميل الى البطش ونزعة الى الالحاد ، وطموح الى السيطرة وغطرسة موروثة . ويبرز كل هذا معاً في شعورها وتفكيرها، وفي ادبها وفنها .

والامة الماثلة بروحها يتمثل لك فيها الانقياد والخنوع والتفكك والانانية والاخذ بالخرافات والاستسلام الى الخيال ، وينطبع ادبها بالطابع الشعوري السقيم الذي يشيع فيه اليأس والشكوى والدمع والتوسل . والانواع عديدة، لو شئت ان استعرض مزايا الامم لأصور روح كل منها على ضوء تاريخها ومجتمعها وآدابها . على انني اكتفي بواحدة من هذه الامم تمثل اليوم على مسرح الحرب الاوربية دوراً لفت العالم اليه وراح الناس حياله يتساءلون عن مزايا هذه الروح التي تتغلغل في الامة الروسية . فأية روح هي تلك التي لا تهن في الشدة ، ولا تجبن امام الموت، ولا تقنط في الخذلان ، ولا تندحر في وجه الخطر ، ولا تبالي بأسباب التهلكة ، ولا تعرف معنى للتعب واليأس والخوف ؟

ذلك ما عن لي ان اعالجه في هذه الصفحة الوحيدة التي ابقاها لي كتاب « الاديب » وشعراؤه . فالامة الروسية كما يصورها لنا تاريخها وفنها وادبها تستقر على روحية، عنصرها « الايمان » وينبوعها « القلب » فهي والحالة هذه في الطرف النقيض لامم « العقل » والحساب « وهي » اذا نظمتها « الارادة » وغمرتها « قدسية العجائب » رأيت امامك أمة متحدة كالبنيان المرصوص ، لا يفت في عضدها خطر مداهم ولا تنال من عزيمتها وجلدها المتاعب والمكاره .



وانى ادعوك ان تتمثل امة وهبت نفسها للدفاع عن قضية والفناء من اجلها ، تسير الى هدفها كالسيول المتدفقة دون ارتداد ، لتقرر ان هذا العمل انما هو ثورة من ثورات «الايمان» وفرض من فروض « القلب » وهما عنصر الروح الروسية وينبوعها . وما كانت التضحية بالحياة مرة من مقررات « العقل » او من نتائج الحساب .

وليس الذي اقوله عن الروح الروسية هو من وحي الساعة بل هو حقيقة راسخة في تاريخها وفنها وأدبها . فقد سمعت واحداً يقول : ان في روسيا ابنية وكنائس يعجز ضعاف الماضي ان يصرفوا السنوات الطويلة لتشييدها . انها في الوان الادب الروسي ، فتراه يحاول في ان يدعو الانسان الى ترك حياة الكذب والاضطهاد وتشجيع العنف مما يسمم النفس البشرية ويغذي حيوانيتها ، بدلاً من ان يرتفع بها الى علي فتتجلى في هذا الادب قوة الايمان بالعجائب والثقة اللامحدودة في الرجل : في ارادته وفي ضميره .

ومن المدهش حقاً ان نسمع صوتاً ارضياً يؤمن مثل هذا الايمان القوي بالرجل وشجاعته ويرى في ارادة الانسان قدرة على ان يرفس الحياة التي يعيش، ويقلبها ويتملص منها ومن اكوام الوف السنين، ليبدأ حياة جديدة وحرة بكليتها .

ان هذه المدرسة الروحية التي يرأسها تولستوي وبوشكين ويعلم فيها معظم ادباء الروس الذين قادوا حركة الفكر في روسيا انما هي صورة ماثلة من روح الامة الروسية التي تدفع بالملايين من رجالها وشبانها في معترك هذه الحرب وكلهم ايمان بحقهم في الحياة ، واندفاع الى التضحية بأرواحهم دون حساب، وملء أبرادهم شجاعة لا توصف، وصبر لا ينفد ، وثقة لا يعتورها ضعف .

ومن خصائص هذه الروحية الشائعة في المدينة والقرية في صدور الرجال والنساء ، في الشبان والعجائز، ان تكتل صفوف ابنائها ساعة يستيقظ الايمان القومي ، وساعة تستصرخهم الامة مهيبة بهم الى الجهاد . ولعلي لا اخطيء اذا قلت ان في هذه الروحية شيئاً من الشرق، مهد الانبياء والرسل ومبعث الايمان والاحلام والشعر ، ما تزال في الامة الروسية حية يغذيها ادب له رسالته السامية ومدرسته الراسخة القواعد .

وخلاصة القول ان الامة التي تحلم وتبتسم وتندفع وتضحي وتثق بقلب مؤمن تنبثق منها ابداً اجيال من الشباب الخالد هي خير ضمانة للحياة .

ميشال ابو شرهل

اصلاح النقد

◆

بقلم ج . لاسين

تقدم « الاديب » الى قرائها تعريب هذا الفصل في « اصلاح النقـد » وهو مقتطف من مؤلف كتب بعض فصوله المستعة السيد جاك لاسين Jaques Lassaigne رئيس دوائر النشر والصحافة في المندوبية العامة للجنة الفرنسيين الاحرار، وكتب فصوله الاخرى السيد اوجينيو دورس Eugenio d'Ors عضو الاكاديمية الاسبانية. وعنوان الكتاب : تقويم الفنون Almanach des Arts اصدره الناشر Fayard في باريس عام ١٩٣٧ .

وانه ليسر « الاديب » ان تظهر قراءها على هذه الناحية من حياة السيد لاسين الخصبة ، الذي لا تنسيه مشاغله السياسية والادارية انه كان ولم يزل من المبرزين في علم الاستاطيقي وفي النقد والتوجيه الفنيين ، تشهـد بذلك مؤلفاته عن مشاهير المصورين Daumier و Toulouse-Lautrec و Tintoret المطبوعة في باريس ، وترجماتها في الانكليزية والالمانيـة . وقد نشرت لـه مباحث قيمة في الصحف والمجـلات الفنية التاليـة : Amour de l'Art و Prométhée و Beaux-Arts و La Renaissance و L'Art Sacré . وسبق له ان قام بتنظيم قسم « الفن والعلم » بمعرض ١٩٣٧ في الـ Grand-Palais بباريس . وكان معتمد الحكومة الفرنسية في المعرض الدولي للفن الديني في فيتوريو (اسبانيا) . وساهم فيما عدا ذلك ، مع فريق من النقاد الفنيين ، في تنظيم عدد غير قليل من المعارض التي ظهرت فيها آثار الشباب من ارباب الفن . ولعل اخر ما اضطلع بـه في هذا الباب تدريسه عام ١٩٤٠ في معهد « الدروس الفرنسية العليا » ببخارست الذي عينه استاذاً لتاريخ الفن الفرنسي والمدنية الفرنسية ، وهناك الف كتاباً في تاريخ الفن في رومانيا .

◆

لم يتعود نقدة الفن ان يعطوا في ختام كل سنة ، كالتلاميـذ على مقاعد الدرس ، مختصراً ممـا شاهدوه وتعلموه . فليس يهم تلخيص ظاهرات الفن الغابرة بمقدار ما يهم تعيين الغاية التي اوصلتنا اليها تلك الظاهرات . بيد ان هذا الحساب الذي يفرضه الضمير على ذاته لن يذهب باطلا ، بل هو ضروري حينما نكون ، كما نحن اليوم ، على وشك ان نخوض معركة طويلة الأمد طخياء ، لكن قد تطلع من ظلماتها صورة انسان الغد . ليس الفن من النوافل ، ولن يسعه ان يظل محلقاً فوق منازعاتنا . فلا نكتم انفسنا ان ما نجاهد لاجله ليس اسباب معيشتنا المادية فقط ، بـل اسباب حياتنا الروحية ايضاً . وان خوفنا نتائج قوة غاشمة منطلقة من كل قيد، لأيسر من خوفنا طغياناً فكرياً يريدوننا ان ننوء بعبئه . فلا طغيان في الواقع الا طغيان الفكر . وانه لم يأت علينا زمن كهذا الزمن، يحتم علينا ان نجمع شعث قوانا، وان نلقي نظراً صحيحاً على موقفنا وعلى مختلف السبل الممتدة امامنا، ثم نختار سبيلا واحدة، هي السبيل التي لا يضحى فيها من الذات الانسانية شيء ، حتى وان أكرهنا على ان نسلك وحدنا ، هذه السبيل ، في حرب جائرة .

●

حينما نمارس فن النقد ، اي بعبارة اخرى ، حينما نتناول حقيقة المادة الحية وقد استحالت خلقاً بشرياً بمجهود رجـل الفن، يساور نفوسنا في الغالب ضرب من القلق : ترى، ما هذا الذي نأتي به ؟ ماذا نعطي من ذاتنا وما قيمة هذه العطية ؟ وكثيراً ما نكتفي بتحديد المسألة التي تطرح علينا ، باسطين مناقضاتنا الشخصية . وليست تعوزنا الحجج للتهرب من التبعات ، فنقول مثلا : « يجب ان نوفر لكل امرىء وسائل الاختيار، وان نترك له حرية الخيار . » فما قولكم اذا ضل القاريء طريقه بين شتى الشروح ، فأصبح لا يكلف نفسه مؤنة الاختيار ؟

نقول ايضاً : « يجب ان نتحاشى اضافة اي شيء الى العمـل الابداعي ، مخافة ان يتنكر بما نضيفه اليه . » كأننا لا نشهد كل يوم، الاسطورة تزاد على التاريخ، او لا نرى انه من قيمة للحوادث الا بقدر ما تتبلور فيها امكانات الابداع الموزعة في الجمهور .

او : « يجب ان نقول كل شيء ، حتى ما يبدو غير مهم ، فقد يهم هذا اناساً آخرين . . يجب ان نكون منصفين . » لكنني اؤثر وحدة فكري .

إن يكن هنالك ازمنة اجدت فيها نفعاً طرق التفكير البطيئة، كتلك الخاتمة البورجوازية للقرن التاسع عشر ، التي بدت مؤاتيـة للنقاش المتبذل في ظلال الامن والدعة، فأن ثمة أزمنة كزماننا، تفرض علينا مجهوداً لا هوادة فيه، لاقامة الدليل القاطع والاتيان بالقول الفصل . .

أتكون الطريقة المثلى لخدمة النبوغ ، ان يحاط بهذا الكثير الاكثر من الاجلال والرعاية ، وبهـذا القليل الاقل من الحرارة والحماسة ؟ اذا ألحق كل نقد بالخلق او العمل الابداعي بحجة انه ليس للنقد دائرة خاصة به ، بل هو مظهر طفيلي للعمـل الابداعي نفسه ، ثم اذا سُخر النقد فقط لتبيان ما هو مدرك من العمـل الابداعي مباشرة ، فقـد نستطيع اذن ان ننزل الابداع الى مستوى الجمهور الادنى (لكن هل يظل خلقاً او ابداعاً ؟) إن لم نستطع جعله في متناول ذلك الجمهور . وقد نعطي شروحاً دقيقة تارة ، وظريفة تارة اخرى (لكن أهذا هو النقد ؟)

على كل ، كاد هذا يكون جماع ما صنع منذ قرن كامـل أحيل النقد خلاله من تأويل تركيبي الى تحليل متوزع لا يفتـأ يزداد توزعاً ، نعني شرحاً للعالم في كل تفاصيله الخسيسة . لقـد اصبح النقد وهو يفسر كل شيء ، محيطاً بجميع المصادر والتأثيرات ، حتى اذا بلغ ما ليس يفسر في العبقرية ، انزلها من رفعتهـا ، او كان لها جاحداً ، بحيث لا يبقى من العمل الابداعي سوى مظهره السطحي الذي يسع كل انسان ان يدركه ويعيه بقليل من الاعتياد واللباقة . فما كان معزولاً في الهوامش تتألف اليوم منه المتون . وما اكثر من عرفنـا من البحاثين الذين يحسبون انهم مؤرخون لغزارة ما جمعوه من ارقام ، ومن خريجات مدرسة « اللوفر » اللواتي ارتجلن انفسهن نقدة ، لانهن يعرفن تراجم كل المصورين . امـا مدار فخر هذه الفئة ففي الوصف ، اي فيما يسع الناس جميعاً ان يروه دون الاستعانة بنظارتي الناقد .

والذي يخدع عن حقيقة هذا النوع من الكلام نسبتـه الى نقاد نابغة . فلا مندوحة لنا عن التسليم بسوء مـا اعقبته أبوة « سنت بوف » ونظريته في الصلة الوثيقة بين الكاتب وكتابته ، من نسل غير ميمون النقيبة . فأن من طريقـة « سنت بوف » في النقد ، على سطوع نجمه فيها ، نشأت هذه المتعة الدنيئة التي نحسها في الحـط من شأن العظماء ، وفي التنقير عن أخفى اسرارهم ، وفي تدنيس أنبل الصور وأسماها . وعن «سنت بوف» اخـذنا التخليط على انواعه ، من التذرع باللاوعي الى التحاليل العلمية . كأن ندّعي مثلا معرفة آل روغون — ما كان جميعاً من فحصنـا الفسيولوجي للراوية زولا ، وان نفسر لوحات « غريكو » التصويرية بعاهـة في بصره . (قد تؤدي هذه الاساليب في النقد الادبي او الفني بعض الخدم ، لكن اذا وضعت في موضعها . ولسنا نخاف لومـة لائم بالشطط او الغلو اذا اطنبنا في تقريظ تاريخ الادب الفرنسي الذي وضعه الفاضل « لانسون » وقـد اقتصر المؤلف من تراجم الادباء على بضعة اسطر القاها في هامش الصفحات) .

●

يقولون لنا : لا بد من معرفة سيرة المؤلف لاكتناه «الاشخاص» الذين قد يكون أعار وجوههم سماته وسماء من يعايشونه . لكن أثقة كتاب لم يودعه الكاتب طرفاً منه ؟ لا سبيل الى التفريق بين الحقيقة والخيال ، وان في امتزاج هذين العنصرين اهمية الخلق الادبي . كذلك المصوّر ، فهو يكشف عن ذاته ، بطريقته في التصوير ، اكثر مما تكشف اية حكاية حال يبث فيها مكنونات فؤاده . ولنضرب المثل الاقصى : في وسعنا ان نعرف « دلاكروا » اجود معرفة لو لم توجد مذكراته ورسائله على كبر شأنها ، لكن ليس في وسعنا ان نعرفه مطلقاً لولا رسومه . وعلى كل ، فمن الحسن ان نضبط معاني الالفاظ التي نستعملها . فاذا قيل ان لا قيمة لأثر من الآثار الفنية ، الا بما يكشفه لنا من دخيلة صاحبه ، كنا على اتفاق . بيد انه ما من قيمة الا لهذا الكشف الذي يوفق الى صورته الباقية في العمل الفني . ومالا يعبّر عنه لا قدرة لنا على احيائه ، مهما اصطنعنا لذلك من اساليب ، ولن يكون لاكتشافاتنا وشروحنا جميعاً سوى قيمة عارضة . وليس ادلّ على هذا من ان هنالك آثاراً فنية رائعة ، من بقايا مدنيات دارسة ، ما زالت ملء الابصار ، لم تخسر من عظمتها ولا من قيمتها شيئاً ، بحيث لو لم نكن على علم بكل ما يكتنف نشأتها من اعراض مادية ، لكانت الصورة الثابتة التي تمثل فيها ، كافية لان تلج بنا الى قلب تلك المدنية في مجموعها وان تظهرنا ، من الانسان الذي استنبطها ، على افضل مزاياه .

●

ان الاساس الوحيد الذي يصح ان يبنى عليه النقد هو ان يتذرع برأي في الصيغة او الشكل لا يدع مجالا لعنت المذهب الانطباعي ولا لنسبية المعلومات التاريخية ، نعني : دستوراً مرتبطاً بفلسفة عامة يُفرّق فيها بين نظريتي الشكل الباقي والعرض الزائل . لا يصح ان يكون النقد شيئاً غير فلسفة الأدب والفنون الجميلة .

●

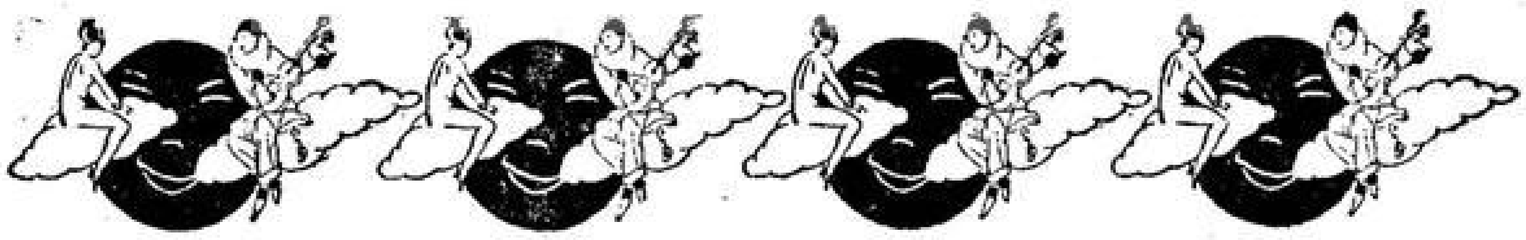
لو شئنا ان نعطي من الحادث الفني صورة مختزلة قريبة الى الصحة ، لوجب ان نمثله على هذا الشكل (وهو يصدق على جميع مظاهر الفن : التصويري والادبي وهلمجرا) ان رجال الفن المبدعين هم كقمم الجبال المنعزلة . فعلى النقد ان يخط بين الفجوات طريقاً توصل الى المرتفعات ، وتصل القمم بعضها ببعض . فالمبدع يفتح فتحاً ، والناقد يستعمر

اعذب الشعر

◆

ايا قبلة مرّت على ضفتَي فمي ... كطيفِ حبيبٍ مرّ في الحلم وانطلق
فأجرت به نهراً من الحب والجوى ... تدفّق ناراً في عروقي الى الرمق
ملكتِ شعوري اذ ملأتِ جوارحي ... لكِ الله اني في ذهولٍ وفي غرق
اقضّي نهاري في انقباضٍ وريبةٍ ... ويشتدّ بي وجدي اذا اقبل الغسق
اذا قدمت خفّ اللهيب بهجتي ... وان غادرتني عاودت مُهجتي الحُرق
اقول لقلبي انها الصدق في الهوى ... وفي قلبها حبّ لغيرك ما خفق
فآمن بها ، آمن بما في عيونها ... الم ترها ارغى بها الماءُ واحترق
ويا بصري حد مرة عن طريقها ... كأنك ممدود بخيطٍ من القلق
ويا شعراء الارض ما أصدق الندى ... اذا ابتسمت ليلى وما اكذب الورق
وان نظرت ما ابلغ الشعر صامتاً ... وان نطقت ما أعذب الشعر ان نطق
مررتُ بألوانِ الكلام ووهجهِ ... فما جاز عيني ثم مات على الحدق
كغيم خفيف يمسحُ النورُ وجهه ... لأولى رياحِ الليل ينحلّ في الشفق
فيا أذنُ لا تخدعكِ في القول بهجة ... ويا قلبُ علّمِ اعذبُ الشعر ما صدق

الياس ابو شبكه



استعاراً. لكن لا ينبغي للناقد كي يهون عمله، ان يجهد لتمهيد القمم او توطئتها، بل على الضد، لا سبيل الى السمو بانفسنا وتشييد مدنية تذهب صعداً، الا اذا قبسنا كل بارق من عبقرية ينير بشعاعه الساطع احدى مشاكل الانسان. ان ما يهمنا ، بالدرجة الاولى، هي تلك البرهة من الزمن التي يعرج فيها رجل الفن الى سماء الخلق او الابداع، وليس ما يشارك فيه سائر الناس .

لقد ضقنا ذرعاً بأولئك النقدة المسفين الذين لا يحيكون نسيجهم على مقياس النابغة، بل على مقياس اجسامهم، فيحطون الى مستواهم كل ما هو سام وشريف .. اولئك النقدة الذين يقفون مشدوهين، ثم يسترسلون في ترداد ما قيل وشرح وعُلم الف مرة، لكن افئدتهم تظل مقفلة دون ما في الحاضر من عظيم وجليل . وهكذا ، فان عصرنا الذي لا هم له الا ترميم الماضي، اصبح وهو يحوط ذاته بهذا الماضي كحرس يحتمي به من نفسه ، طالباً الدفء في هذه الحرارة الفاترة، غير نائل من الماضي ومن الحاضر، الا ما تخلفه النار من رمادها .

ينبغي ان نختار الآن بين نقد حي وهذا النقد الميت الذي يقضي على كل صنيع فني ، ولا يستبقي منه سوى غلافه الزائل الشائع في الآثار الفنية جميعاً . فالمهمة الاولى هي ان نبعث النقد حياً ، لا ان نسترقه . كذلك نحيي الكون ونعيد اليه روح الابداع ونظام الفكرة على السواء .

ج . لوسين

حبال الهواء

بقلم
الدكتور نقولا فياض

وما حبال الهواء ؟ وهل اخف مادة وألطف جوهراً وأوهى هبولى من هذه المخبوط الوهمية ؟ ومع ذلك فكم لها من فضل على الانسان ؟

من امثال العوام « الغريق يتعلق بحبال الهواء » وكلنا في هذا الوجود ذلك الغريق، من الباحث المجد الى الطبيب المجاهد، الى الجندي المقاتل، الى العاشق المتيم، الى التاجر والزارع، الى المسافر، الى كل ذي عمل في الحياة .

يقول « اناتول فرانس » ان احسن ما في الحياة هو هذا الشيء الذي ليس من الحياة والذي يفتح لنا آفاق الامال والاحلام .

ما هو هذا الشيء الغريب عن الحياة اللازم لها والذي لا يمكن العلم ان يعطينا اياه ؟

هو الايمان، لانه وحده يمد الى الناس حبال الامل يتعلقون بها كلما ساورهم الضعف ، على رجاء ان يبدل مجرى الامور ويفرج الكرب عن الصدور . وقد قال تولستوي « اذا عاش الانسان فلأنه يؤمن بشيء » .

قد يتبادر الى الذهن ان العلم والايمان ضدان لا يتفقان لما بينهما من الخلاف في الظاهر. فالعلم يقول للمرء : المس بيديك وانظر بعينيك وزن وقس واحسب وقارع الحجة بالحجة ولا تقبل رأياً بلا برهان . والايمان يقول : لا تبحث ولا تعلل ولا تجهد الفكر فتنزع السلام من قلبك دون ان تجلب الراحة لعقلك :

وبين هذين الصوتين المتناقضين مشى الباحث المفكر يلتفت تارة يميناً وطوراً شمالاً، وهو يتمنى لو اتيح له الجمع بينهما .

على ان الجمع بينهما غير مستحيل لان كل فتح للعلم من شأنه اعلاء الانسانية هو نتيجة جهود طويلة قامت على الامل والصبر والتضحية . والامل والصبر والتضحية هي جنود الايمان ولولاها لما حمل الفاتحون اكاليل الغار .

هنا يحق لنا ان نتساءل : هل من وسائل اخرى غير الاختبار للوصول الى الحقيقة او بعبارة ثانية هل يكون العقل النافذة الوحيدة التي تلج منها الحقيقة الى الانسان ؟ وهل الانسان كله عقل ؟ ولو فرضنا انه اتم طوافه حول الاشياء التي يمكنه التعرف اليها فهل يكفيه ان يعيش بما يعرف ؟

لا ريب ان الانسان مشى خطى واسعة في سبيل الارتقاء ورائده العلم، فافتتح قسما كبيرا من المجهول، وكثيراً ما اراق الدم في سبيله . ولكن على الرغم من اكتشاف المكروب والدورة الدموية والبخار والكهربائية وما اليها لا تزال الحياة سراً غامضاً حتى حياة النبات الادنى . هناك مظلم يزيد ظلاماً كلما ارتقت الحياة، فالجهاز العصبي والافعال المنتكسة لا تزال مطمح انظار حثين . الخلية النباتية سر، والخلية العصبية سر اكبر . . والدماغ ؟ قد نعرف ماهي المعادن الموجودة شمس لكننا لا نعرف ما في الدماغ . فبين الدرس الفيسيولوجي اي الوضعي والبسيكولوجي الروحاني هاوية . ولو اكتفينا بالعلوم الوضعية لما استطعنا معرفة شيء .



للانسان ادوات لمعرفة العالم الخارجي . فالعين ترى والاذن تسمع وكل حاسة تختلف عن اها وتشعر بما لا تشعر به الحاسة الاخرى . كذلك للانسان وسائل لا نعرفها يشرف بها على الروح او العقل . فلو اردنا الاكتفاء بالعلم لحرمناه معونة هذه الوسائل الخفية كما لو قلعنا ن وسددنا الاذن وقلنا للمس كن انت قائدنا الوحيد

لا تجوز المبالغة في شيء فالافراط مضر كالتفريط . ولنا دليل على ذلك في تقشف الهنود فقد كانت الغاية منه تطهير الطبيعة البشرية ، فانتهوا الى افسادها ، وايجاد حياة زائلة طليقة من النظام ، اسيرة للامراض . فاذا اكتفينا بالمعارف العلمية بدلاً من سائر الينابيع التي يمكن ارتياد الحقيقة منها فقد خلقنا نوعا من التقشف الهندي وافسدنا الطبيعة وجرنا عن قصد السبيل .

ومن ينكر ان بنا منذ اليوم بعضاً من نتائج هذا الجور والخلل في النظام ؟ فقد اصبح الكفر وكره العمل والبعد عن الملذات اللطيفة التي اباحتها الطبيعة والبحث عن تأثيرات مرضية مجهولة داء الطبقات الراقية، ولم يبق للاخرين الا التشبه بهم، فاضاعوا الامل واصبحوا يعيشون ليومهم ومن غدهم طمعا بالتمتع ، مطلقين لشهواتهم العنان .

والكفر ما هو ؟ هو ان تجرد القلب من شعوره ، والضمير من مخاوفه ، وتعري الفكر من الخيال ، وتخلع عنه الشعر الذي يكسب الاشياء جمالا وعطرا . فلا يبقى حاكما الا (العقل) ويصير العلم كاطار فارغ . وعلى الازهار اليابسة والامال الضائعة ، وكل ما هو حب وخيال، يرف اسف الجمود . وقد يتحول الاسف الى تمرد وثورة فيلعن الانسان (العقل) ويتمنى لو يعود الى سابق جهله وظلمة ماضيه .

اجل لم يكن العلم ليشبع الانسان لان العقل يطلب اكثر من ذلك . الانسان لا يعيش بما يعرف ولا يمكنه ان يعيش لان فيه شيئا آخر غير المعرفة . خذ مثلا الخير والحب والاخلاص والصداقة فهي في نظر العلم لا شيء ومع ذلك فالانسان يحيا بها مع انكاره ما ينكر العلم . كذلك العناية بالضعيف والمسكين المطروحين كبقايا السفن على شاطيء الحياة فان العلم لا يقبل بها ولا يفهم معنى للرحمة .

نحن اذن امام امر واقع نجد فيه كل شرائعنا وتقاليدنا واذواقنا العصرية في تناقض مع العلم . والعلم يحسب هذه الاعمال جنوناً وهو مع ذلك يساعد بكل ما لديه لخدمة هذا الجنون .

ذلك لان في النفس البشرية حقائق غير التي ابدها العلم ، والسليقة التي لا تخدع تدفعنا الى اسعاد الضعيف والشقي كأن شيئاً يقول لنا : ان اشقى الناس مقدس بشقائه ، لحمه من لحمنا ودمه من دمنا . كلنا نتألم لجراح هذه الاعضاء، ولهذا السبب جعلنا الاخرين اولين وكان اضطهاد الضعيف والقسوة مع المسكين وضرب الولد القاصر جرائم لا تغتفر .

ما هو الواجب ؟ لا تطلب من العلم ان يجيبك على هذا السؤال فهو لا يعرفه وجل ما نصل اليه بعد التحليل هو الادب النفعي . واذا بلغ الواجب مراتب التضحية زاد غموضاً فكان الشهيد في نظر العلم رجلاً مختل الشعور . وهكذا تهبط اجمل الاعمال الى درجة الاعراض المرضية حتى الاستشهاد في سبيل العلم نفسه . فهذا العلم الذي مات ويموت الناس من اجله لا يرى في شهدائه غير الجنون . وحسبنا ذلك دليلا على اننا لا نعيش بالمعرفة فقط . وان القوى التي تصرف العالم خارجة عن العلم، فهي داخلة في منطقة الايمان . واذا نحن ذكرنا (الايمان) فلا نقصد الايمان الاجباري الذي يضع امام الانسان نظاماً ويأمره باتباعه مغمض العينين . ان عالم الايمان ليس بغريب ولا ببعيد عنا فهو في الحق والعدل والجمال وهو في خبرة الايام والاجيال وهو الذي يقول لنا : سيروا الى ابعد ما تصلون واسموا الى اعلى ما تستطيعون ! هذا الايمان لا يقلص من نال العلم ولا العلم يقلص من ناله . ولو كان العلم عدواً له لقلنا للعلماء : دعونا وشأننا . اعيدوا لنا الظلال الشعرية التي عاش فيها اباؤنا يضحكون ويطربون . اعيدوا السماء القريبة من رؤوسنا ، اعيدوا ارواح اجدادنا وفضائلهم وآمالهم وخذوا علماً ليس وراءه الا العدم .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

ولكن الواقع هو لحسن حظ البشر غير هذا . فقد خلق (الايمان) للانسان كما خلق الغناء للعصفور والعطر للزهور . وهذه حبال الهواء لا تزال ماثلة لديه ، ماثلة عينيه، تمنيه بأجمل الوعود وتفتح له الباب المرصود .



نقولا فياض

مدنية وبربرية

بعد الحرب العظمى الماضية عاش العالم ، خلال عشرة اعوام ونيف، في جو من التفاؤل لاتكاد تشوبه سحابة من تلك السحب السوداء التي تنذر بالويل ، ثم تقطر دماً . كانت تجتازه احياناً سحب صيفية ، لكنها لا تلبث ان تنقشع وتزول . ولقد خيل للناس في تلك الفترة التي لم يطل زمنها ، ان العلاقات بين الامم والحكومات آخذة في الاستقرار على اسس راسخة من التضامن والتعاون ، او على الاقل من حسن الجوار . ولعل هذا التفاؤل الذي أثبتت خطأه الاحداث القريبة،احد العوامل المسؤولةبالواسطة ان لم يكن مباشرة ، عن الصدام المدمر الدامي الذي يعاني الخلق من بأسائه ما يعانون ، ولا ندري في أية مرحلة نحن اليوم ، من مراحله الصعبة الكؤود .

بينما كانت الالسنة ، خلال تلك الاعوام الرغدة ، لاهجةبالحق الدولي وبعصبة الامم ، والضمائر مطمئنة الى الرأي القائل بان كل حرب ، مهما تكن أسبابها ونتائجها ، هي صفقة خاسرة للغالب والمغلوب على السواء ، وبينما كانت الديمقراطيات الغربية تنفق مواردها عن سعةفي مطالب الحياةالسلميةومرافقها، كانت الحكومات النازية ، ليل نهار ، سراً او علانية ، تعد عدتها وتأخذ أهبتها ،كي تطلع على العالم في الوقت الذي تختاره ،بجهازها الحربي العظيموشره المستطير . وليس أدلّ على هذه الحقيقة الرائعة من البون الشاسع من حيث الاستعداد الحربي ، بين الديمقراطيات وخصومها المعتدين المغيرين — ذلك البون الشاسع الذي ظهرت آثاره منذ معارك سنة ١٩٣٩ وما تلاها . ترى ، أتكون الديمقراطيات قد ارادت حرباً كهذه الحرب التي يتوقف على نتيجتها الحاسمة مستقبل العالم اجيالا متطاولة ، وهي لم تعد لها العدة ، ولم تأخذ الاهبة ، في حين ان الحكومات النازية قد أدخلت مسوقة مرغمة في غمار هذه الحرب الضروس وهي التي قضت أعواماً في اعدادها والتأهب لها ، جاعلة المانيا من اقصاها الى اقصاها،معملا لصنع السلاح ، وثكنةلتجييش الجيوش ؟ اللهم لا .. الا ان يقال مثلا ان على كاهل الديمقراطية تقع تبعة هذه الحرب العالمية ، ولماذا ؟لان الديمقراطية لم تضعف ولم تهن عزيمتها ، فصمدت في وجه الجهاز الحربي الجبار الذي أعدته النازية لاجتياح البلدان المطمئنة بحجة المجال الحيوي ، وللسيطرة على الشعوب المستضعفة بحجة الافضلية الجنسية ، ثم لا تلبث ان تبسط على الدنيا ومن فيها سلطنة جرمانية مستمدة من حق القوة ، وحق المادة ، وحق الاثرة ، وحقوق اخرى من هذا الطراز ، لاظل للحق فيها ، ولا للخير ، ولا للعدل ، ولا لمبدأ من المبادي، التي تجعل للحياة قيمة . ان اوربة تختبر ، منذ نحو عامين ، اختباراً موجعاً ، بوادر ذلك النظام الجديد الذي تمني النازية العالم بتحقيقه ، والذي كان يخشى تحقيقه فعلاً لولا صمود الامم الانكلوسكسونية في الغرب ، واستبسال الشعب الروسي في الشرق ، ونشاط القوى الحرة في البلدان الاوربية وفي طليعتها فرنسة ، كما تنشط القوى الكامنة في احشاء الارض منذرة بانفجار البركان . وهكذا أثبتت الاحداث المتوالية منذ بدء هذه الحرب انه لم يزل في العالم حماة للمدنية وانصار للترقي الانساني ، يضحون بكل غال ونفيس لصيانة المثل العليا التي تستهدفها البشرية من اقدم ازمنة التاريخ ، وفي رأس هذه المثل العليا العدل والحرية والرفاه للامم والافراد جميعاً ، اكثر ما يمكن من العدل والحرية والرفاه .

والواقع ان الخلاف بين الديمقراطية والنازية ليس خلافاً موقتاً عارضاً بين اسلوب في الحكم واسلوب ، او بين مذهب في السياسة ومذهب . انما هو خلاف اساسي يتناول اصل المدنية وعلاقة الانسان بالانسان مجتمعاً ومنفرداً . ما هو الموقف الذي يقفه كل من هذين المبدأين او النظامين بازاء ما يسمونه : الطبيعة —الطبيعة بقواها الخفية والظاهرة ، ولا سيما بنواميسها المعروفة والمجهولة ؟ واذا قلنا : المجهولة، فنحن نعني بالبداهة،تلك الدائرة التي كانت في مستهل التاريخ شاملة كل شيء ، مستسرّة في كل شيء ، كالظلمة التي غمرت الخليقة في البدء ، قبل ان يقول الله للنور : « كن!» فكان . ثم اخذت الدائرة اللامتناهية تبرز حدودها ومعالمها ، وتضيق وتتضاءل بتقدم المعارف الانسانية ، وبسيطرة البشر على قوى الطبيعة وتسخيرها لمرافقهم وحاجاتهم .

ولايضاح هذه الحقيقة، لا بد من ان نذكر القراء بان فلاسفة الالمان ودعاة الجرمانية الذين تبعوهم ، يصرحون بوجوب احلال الشرع البيولوجي اوالطبيعي محل الشرع الدولي او المدني . فالحق الطبيعي على حد قولهم سابق لكل مدنية ، وهو مبني على القوة ،

ولا تعرف الطبيعة حقاً سواه . ان الذئب يفترس النعجة، والطاهية تذبح الارنب ، عملا باحكام تلك الشريعة . ولما كان الالمان يعتقدون في انفسهم افضلية على سائر البشر كأفضلية الذئب على النعجة ، او كأفضلية الطاهية على الارنب ، فلا بدع ان يكون لهم بازاء سائر الامم تلك الحقوق ، وعلى سائر الامم نحوهم ما يقابلها من الواجبات . وان شعباً هذا شأنه يؤمن بافضليته الجنسية على شعوب الارض ، ويعزز هذه الافضلية بما يزعم من رسالة الهية ، لا يمكن ان يسلم بمبدأ من مبادىء الحق والخير والعدل ، وان يكون مرتبطاً بعهد او ذمة او ميثاق . ومن الخطأ الفاحش ان يكتفى بالاحتجاج على ذهنية اثيمة كهذه ، كما انه من العبث استنكار العمل الوحشي الذي يأتيه الذئب نحو اخيه الخروف، او الاحتجاج عليه . . يجب ان تعرف تلك الذهنية حق معرفتها ، وان يتوسل العالم المتمدن بما في ميسوره من الوسائل ، لدفع غائلتها ومنع اذيتها ، لا ان يعيش في جو من التفاؤل الآفن ، والطمأنينة الخادعة .

منذ قال تاسيت : « ان الجرمان يكرهون السلام » مرت قرون واجيال . فماذا يقول هتلر اليوم ؟

يقول ما نصه . « ان الحرب شيء طبيعي . ان الحرب هي مادة كل يوم . ان الحرب ازلية سرمدية . ان الحرب هي الحياة . » وليثبت هتلر للملأ عامة ان الخلاف ، كل الخلاف بين الديمقراطية والنازية ، انما يرجع الى الموقف الذي يقفه اولا واخيراً ، كل من هذين المبدأين او النظامين ، بازاء ما نسميه المدنية ، يقول الطاغية لشعبه : « يجب ان نكون برابرة ! . . » ولكن هل يحتاج الجرمان الى ان يغلبوا طبعهم كثيراً كي يصبحوا برابرة ؟

تلك حرب البربرية على المدنية ، لم تعلن ولا يمكن ان تعلن بابلغ من هذه الصراحة الوقاح . .

« مناوع »

في التصوير الفوتوغرافي

تقوم دائرة المطبوعات في دمشق بتنظيم مسابقة فوتوغرافية مهورة بعدة جوائز . وتشتمل هذه المسابقة على الانواع الخمسة التالية : ١ — مناظر سوريا . ٢ — الآثار . ٣ — الاعمال الاجتماعية (كالاسعاف والمستشفيات والمستوصفات وغيرها) ٤ — الزراعة (كالاشغال المائية، ومنتجات التربة والازهار ، والثمار، وغيرها) ٥ — الصناعات المحلية (كالاشغال اليدوية والاجهزة الصناعية) .

وفي كل من هذه تمنح جائزة اولى وجائزة ثانية وجائزتان اخريان . وتقبل مباراة المحترفين والهواة معاً ، ولم يحدد عدد المسابقات التي يستطيع المتباري ان يقدمها .

وستتألف لجنة برئاسة الجنرال كوله ، ممثل المندوب العام ومفوض رئيس الفرنسيين الاحرار لدى حكومة سوريا ، ومن مختلف الشخصيات ورجال الفن الذين ستنشر اسماؤهم فيما بعد . ويجب ان يكون قياس الصور الفوتوغرافية المقدمة مقدار ١٨ — ٢٤ على الاقل ، ولكن يجب ان يبقى لهذه الصور مجال لتكبيرها حتى قياس ٣٦ — ٤٨ .

ويجب على المتبارين ان يقدموا الى اللجنة نسختين من كل مسابقة، بالقياس الذي يعتمدونه، ويكون لهذه اللجنة الحق في استعمال الصورة كما يروق لها، كنشرها في كتاب مخصص لبث الدعاية لاجل سوريا، او عرضها في سوريا وفي الخارج، ولكن لا يكون للجنة اي حق في بيعها او استثمارها لربحها .

وسيصير ارجاع النسخة السلبية الى المتباري اذا شاء . وسيكتب اسم المصور تحت كل نسخة .

ويجب على المتبارين ان يسلموا صورهم مع النسخ السلبية الى مكتب المطبوعات ، وان يذكروا على ظهر كل نسخة وعلى الغلاف الذي يحتوي النسخة السلبية ما يلي :

ا — النوع : مثلا « آثار » . . « مناظر » وغير ذلك .

ب — موضوع الصورة : مثلا « مستوصف المصورين في دمشق » . . « منظر هيكل باخوس » الخ .

ج — التاريخ التقريبي للصورة .

وستجتمع اللجنة لمنح الجوائز . وسيفسح هذا الاجتماع السبيل الى احياء حفلة صغيرة . وقبل الاجتماع تستطيع الغاء بعض صور لا تراها اهلا للظهور في معرض عمومي .

يأس

الى يومكِ الاولِ
مددت يدي
ودغدغت حلم الغدِ
فـلم يهف لي

•

ترى كان ذاك النوال
غداة السماح
وعبر الليالي الملاح
رؤى وخيـال !

•

وفي الموعد المرهَفِ
لنـا كل شيء
غيوب وآفاق في
وقلب وفي

•

ايزع عمرَ الورود
ربيـع سخيّ
وفي الزعزع العبقريّ
يزوغ الوجود

•

ويغني النديَّ الاغنّ
وفـاء الديم
ومن كوة في العدم
يفيض الزمن

ارى في اللقاء السحيق
عصوراً تغيب
وتخفق في كل طيب
رجـاء عميق

•

فافري بكلتا يديّ
سجوف العشيّ
لعل المساء الحيي
يطل عليّ

•

انـا يوم انت معي
وطئت الغيوم
وعمرت بين النجوم
قصوراً تعي

•

ومن حفنة في يدي
جبلت الضياء
واولت مني مساء
فكان غدي . . .

•

غدي، يا غداً ليس لي
اتمضي وفيك
حيـاة لمن يدعيك
وللاولِ . . . .

رشدي معلوف



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر لورو دي بوسيس

في الساعة الثالثة من صبيحة الغد سألتقي بالصديقة « بيغاسوس » في احد حقول « الكوت دازور » .

و « بيغاسوس » هي الطائرة الجميلة ، ذات القد المعدني الرشيق والاجنحة الظليلة البيضاء ، دقيقة الصنع منسجمة الهيكل كالسنونو ، الا انها تضمر في مراجلها المتكهربة بأس ثمانين ام عرقوب ونيف، ولسوف تكرع البترول كالفيلة لتتوارى بنا وراء الغيوم ، وتشمل حتى تسري في ظلمة الليل كالطيف .

اني برفقتها الى روما الكئيبة . . نعم الى عاصمة الارهاق ، فألقي من سمائها على الايطاليين كلمة الحق والحرية ، تلك التي حرمت عليهم منذ اعوجت قضبان « الفاشيو » كأنما الحرية خطيئة عظمى او ذنب ممیت .

أليست الزمرة الفاشستية مصيبة في هذا التحريم ؟

نعم ! اذ لو اتيح للحرية الموؤدة ان تبعث من ديامیس روما كي تقول كلمتها لفوضت تلك الكلمة اركان الفاشستية ودكتها من اساسها، ولحطمت سلاسل الرق في اقل من بضع ساعات .

فالطغيان وحده، دون جميع النظم القائمة ، يرى نفسه مجبراً في سبيل حفظ الكيان والدفاع عن النفس ، على سحق حرية الفكر وافنائها . ولا لوم على الطغاة اذا ما عاقبوا الاحرار على ايمانهم المطلق بالحرية وتعلقهم بكلمة الحق ، باشد وافظع من عقوبات القتلة والسفاحين ، اذ ان هذا هو طريقهم الاوحد الى استطراد البقاء .

وكيف يعقل ان يظل الطغيان قائما ، ومستأثراً بمصير الشعب الايطالي وحرياته دون ارهاب او ارهاق ، ودون ان يعول في تنفيذ ذلك على جيوش المرتزقة الخمسماية بعد الالف ؟

فخطة الفاشستية واحدة، واذا ماسلكها المرء وجب عليه ان يهتف متشدقاً مع موسوليني بأعلى صوته :

« الحرية جيفة نتنة » !

وسبيل الفاشستية واحدة، اذا ما سار فيها المرء وجب عليه ان يحبذ مقتل الشهيد « ماتيوتي » ويضفر الغار على رؤوس قاتليه السفلة .

ووجب عليه ايضا ، ان يصفق طرباً لهلاك الروح الصحفية في ايطاليا، ولتشريد الوف المواطنين خارج الحدود دون اي محاكمة، وقتل الاخرين او زجهم في غياهب السجون . ووجب عليه ان يفاخر بالملايين المرصدة لمصلحة التجسس واعمال التحريض . بل وجب عليه المفاخرة ايضاً بسيف « دیموكليس » المعلق فوق رأسه ورأس كل واحد من الايطاليين ، حتى فوق رأس موسوليني نفسه .

لقد ادرك القائمون على النظام الفاشستي ان بقاء هذا النظام متوقف بالدرجة الاولى والاخيرة على توسيع نطاق الارهاب وتعميمه وتسليطه على الرؤوس فورا . لذلك فالظنين السياسي يؤخذ من سجنه الى غرفة التعذيب ، فاما ان يخرج منها وقد ازهقت روحه وسره معاً ، واما احدهما ، فيذهب الى القبر ، او ينجو بجلده ويبوح بكل شيء ، وينتهي على الفور كل شيء . وهكذا فقد تحولت ايطاليا في خلال هذه السنوات الجاثمة الى سجن فسيح حيث يتدرج الاولاد في معاقل الرق مقدسين سلاسلهم ممجدين قيودهم، فهم يقبلون السياط ويزدرون زملاءهم الاحرار . ولقد اجبروهم في سن الثامنة على ارتداء بزة الجلادين ومنحوهم تهذيباً بربرياً مقتبساً من فضائل « اتيلا » وسجايا هولاكو وجنكيز خان .

اسمع وصايا الدوتشي للاحداث :

« اعشق البارودة . اعبد المترااليوز . اياك ونسيان الخنجر . »

لقد لقنوهم ايضاً ان الانسان لا يملك حقاً من الحقوق ولن يملك منها سوى ماتتفضل به النظم الفاشستية عليه وتمنحه اياه حسب ما يتراءى لها .

ولكن على الرغم من كل ذلك فالامة الايطالية بأكثريتها الساحقة ليست راضية . والبرهان على ذلك تجده في الخوف الشامل من كل « وشوشة » او حركة ، وفي العقاب الصارم الذي تلقاه الشفاه حينما تهمس بمنتوجات فكر متوقد طليق . فالنظام الذي يعرف اين ترتكز قواه وتتوطد دعائمه ليس بحاجة الى هذا النوع من الارهاب ، ولا الى هذه الجيوش من الجواسيس والمرتزقة .

كنت في الخامسة والعشرين من عمري عندما عولت على ان انشر في الاوساط الايطالية سلسلة من الرسائل السرية نصف الشهرية . وكانت تتضمن دعوة صريحة الى التضامن الفعال لاسقاط الكيان الفاشستي وانقاذ الوطن الايطالي من قبضة الطغاة . واخذت هذه الرسائل السرية تنتشر بين الالوف حتى وصلت واحدة منها الى الدوتشي نفسه ، فأرعد وأزبد وراح يبث الارصاد ، لكن دون جدوى .

وكنت أقوم بهذه المهمة وحدي مدة خمسة اشهر ، فكنت احرر الرسائل واذيلها بكلمة « العمل القومي » وقد بلغت ستماية رسالة كل نصف شهر ، فأضعها بنفسي في البريد ، وكنت اطلب الى القاريء ان ينسخ عنها ستة رسائل اخرى ويبعث بها بدوره الى ستة اشخاص يعتقد فيهم حب الديمقراطية الحقة والاخلاص الاكيد لايطاليا .

ولاسباب خصوصية لا محل لذكرها الان اضطررت مرة الى السفر خارج ايطاليا فتطوع صديقي «ماريو فانسنجيرا » من المع الكتاب الذين عرفتهم ايطاليا وصديقاً له للقيام بالمهمة . وقد اخذا على عاتقهما كتابة الرسائل ووضعها في البريد . ولسوء الحظ داهمها البوليس في الجرم المشهود . فادخلا غرفة التعذيب ، حيث جرد الاديب الكبير من ثيابه جميعا ، وسيط كما تساط العبيد ، ثم اخرج في ليلة باردة من ليالي كانون الاول وصلب على السطح حتى مطلع الشمس . اما رفيقه بنيتو دي غاما الموسيقي النادر فلم يعلم عنه شيء ، ولعلهم احرقوه حياً في الاتون ، كما جمدوا اوردة زميله في الصقيع على السطح .

— البقية على الصفحة ٥٢ —

عزلة الاديب

بقلم عمر فاخوري

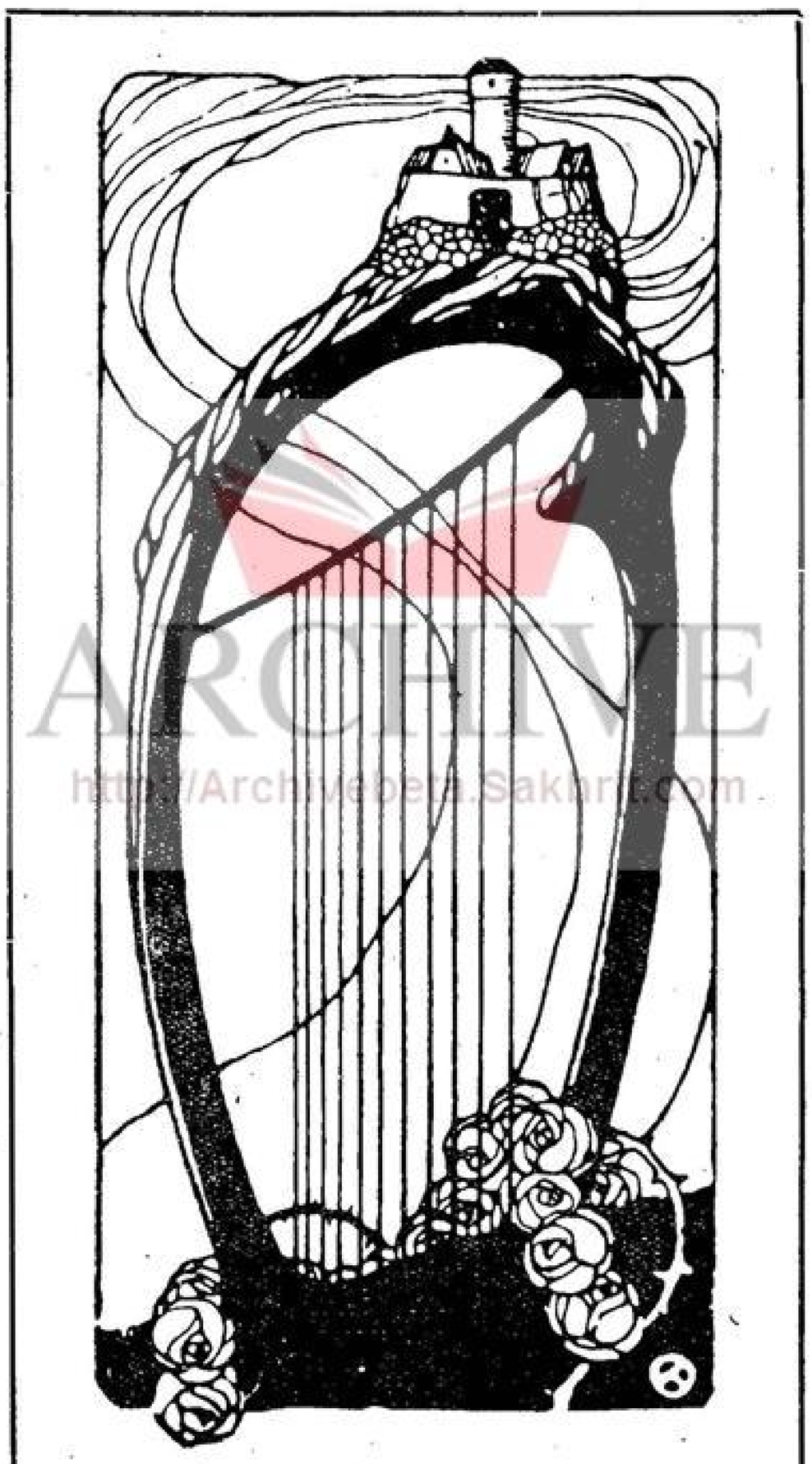
- ٢ -

أحب ان استأنف هنا حديثي عن ذلك الاديب الاول الذي سولت له نفسه ، في ساعة من ساعات الشيطان ، بعد ان كان على اتصال حي يقظ مستمر ، بهؤلاء الخلق الذين طالما تحدث عنهم اليهم ، ان يقطع هذه الصلة وكل صلة ، فينفض كفه من تراب الدنيا طائعاً مختاراً ، ويترك الناس وهم يضطربون من فسيح ارجائها ، في مثل سم الخياط ، بين الملذات والآلام ، والهناء والشقاء ، والامل واليأس ، ما يبالي من امرهم شيئاً : لا لفرحهم يفرح ، ولا لحزنهم يحزن ، وليس لأي هم من همومهم الوقتية او الدائمة ، في صدره صدى . ولقد غادرناه يومذاك ، وهو يهم ان يعتزل في برجه العاجي القائم في عل ، فوق السحاب ، حيث لا يرى ولا يسمع الا بعض ما يسمع ويرى العملاق من دبيب النمل في مدارجها .

وليست العزلة التي نعنيها ، كعزلة الشعراء والفلاسفة وعامة اهل الفكر ، يحسون حاجة لا تدفع الى الفرار من ضوضاء العالم ومشاغله اليومية ، فيعتزلون اشهراً او اعواماً ، ليطلعوا علينا بعدها بروائع الفن والحكمة . . لا ، ان العزلة لهؤلاء واجبة لا مناص منها : واجبة نحو انفسهم ، ونحو عملهم ، وبالنتيجة نحو الناس الذين من اجلهم ينظم الشاعر ويفكر الحكيم . . لقد عنينا في مقالنا المقتضب عن الادب او الفن الاعتزالي ، ضرباً من العزلة هو كالقطيعة ، بل القطيعة بعينها ، في اوضح مظاهرها .

والواقع اني لم اتكلم عن هذا الآدمي في برجه العاجي طويلا ، لسبب بسيط غاية في البساطة ، هو ان التاريخ لم ينقل الينا من انبائه قليلاً او كثيراً ، حتى كدنا لا نصدق بوجوده لولا ذرية له صالحة يعرفون باسمائهم وآثارهم ، في كل جيل وقبيل . ولنقل ، حسماً للخلاف ، انه كان فيما وراء التاريخ ، رمزاً ليس غير . أليست الرموز كالعقائد والاساطير ، وكالحقائق والاباطيل ، ذات وجود حق لا يضاهيه وجود ؟ وليس يعيبها أن كانت لا توصف طولاً وعرضاً وعمقاً كسائر الموجودات ، فكم من الاحياء من ليس لوجوده معنى الا دخوله في بعض التعاريف . . والرموز كذلك ولود ، بل لا تكاد تجد فيها عاقراً : الم تر الى العقائد والاساطير والاراء والمعاني ، كيف يتحدر ، في مدار التاريخ ، بعضها من بعض ، فتتألف اسراً وقبائل وامما ؟

وليؤذن لي ان اقطع سياق الحديث هنيهة كي انوه بهذه الكلمة : « السحاب » . هي هنا في موضعها ، لم تجر على قلمي اعتباطاً ولا اتفاقاً . ففوق السحاب بنى صاحب البرج العاجي برجه . ولو نحن اردنا ان نمثل الوحدة او البعد فحسب ، لكان لنا بالافق اللازوردي — وفيه من الفتنة ما فيه — غنى عن السحاب . كلا ، لقد اسأنا الى التاريخ من قبل ، فلا ينبغي لنا ان نسيء الى الجغرافية الآن ، وان كانا في برامج التعليم كثورين شدا في قرن ، لا يفترقان . ولكن يظهر ان الثورين ضاقا ذرعاً بهذه الصحبة التي قضي عليهما بها من عهد بعيد ، وسئماها ، فلما جاء هذا الوقت الذي نعيش فيه ، فشهدا ما لم يكن يخطر ببال ، من سرعة توالي الاحداث وتبدل المعالم وتنقل الحدود ، انتهزاها فرصة يضن الدهر بمثلها ، فكل ثور يشد الى ناحيته ، او يعمل على شاكلته .



فاذن ، لا بد في جغرافية البرج العاجي من السحاب . ولنسمه دفعة : « الضباب » الذي يذكره جبران ، احد متصوفة الشعراء كثيراً ، لا سيما في رسائله الخاصة ، اذ كان يرسل النفس على سجيتها

وكـأن الضباب مصدر وحيه ومادة خلقه . قـال في احدى رسائله الى مي : « انا ضباب يا مي . انا ضباب يغمر الاشياء ولكن لا يتحد واياها . انا ضباب لم ينعقد قطراً . انا ضباب وفي الضباب وحدتي ، وفيه انفرادي ووحشتي ، وفيه جوعي وعطشي . ومصيبتي هي ان الضباب ، وهو حقيقتي ، يتشوق الى لقاء ضباب آخر في الفضاء ، ويتشوق الى استماع قائل يقول : لست وحدك . نحن اثنان . انا اعرف من انت ! . اخبريني يا مي . أفي ربوعكم من يقدر ويريد ان يقول لي : انا ضباب آخر ايها الضباب ، فتعال نحيم على الجبال وفي الاودية ، تعال نسير بين الاشجار وفوقها ، تعال نغمر الصخور المتعالية ، تعال نطوف في تلك الاماكن البعيدة غير المعروفة . » الخ . ذلك ما قاله جبران . فهل رأيتم اكثف من هذا الضباب ؟

ولعزلة الاديب في برجه العاجي علاقة ملحوظة وثيقة بنظرية « الفن للفن » من النظريات المحدثة في اوربة ، تسرب الينا طرف منها ، مع ما راج عندنا من السلع المتنوعة التي تخلق هي الحاجة اليها اكثر مما تسد حاجة نحسها فعلا . بل ليس ذلك « البرج العاجي » الا رمزاً يمثل الغرب فيه ما تنطوي عليه هذه النظرية من آراء واحكام في الآداب والفنون : الفن للفن وحده ، لا لشيء آخر ، حتى ولا ليفهم .

وفي قصة (استللو) للشاعر الفرد ده فيني وصفة حكيمة يمن بها الدكتور نوار على الشعراء والمفتنين ، زاعماً ان فيها الشفاء التام والعافية الشاملة ، هذه ترجمتها : « قم بالمهمة الملقاة على عاتقك حراً طليقاً ، بمعزل عن العالم اجمع . اتبع ما يقضي به كيانك ، بالاستقلال عن كل المشاركات مهما تكن جميلة ، فالعزلة مصدر الالهام . ان الشعراء وارباب الفنون قد خصوا وحدهم بهذه المنحة العظيمة وهي القدرة على انجاز مهمتهم في معزل عن الناس . » فاذا اضفنا الى هذا العلاج الناجع ، ذلك الرأي الشائع وهو ان العامة بطبعهم اعداء كل جديد ، وكل نبوغ ، وكل سمو ، اجتمع لدينا ما فيه الكفاية لتفسير الموقف الذي يقفه صاحب البرج العاجي ، من فنه ومن الجمهور على السواء .

وقبل ان نتساءل عن هذا الموقف ، أطبيعي هو ام اصطناعي ، وفي حيز الامكان ام ضرب من المستحيل ، وقبل ان نعلم أمن المتيسر تحقيقه ، فاستمراره في المجتمع الذي نعيش فيه ام يعترض ذلك مصاعب لا تغلب ، وقبل بحث النتائج الحسنة او السيئة التي يمكن حصولها فيما لو صار هذا الرأي خطة لا يشذ عنها اديب او مفتن . . قبل ان نتساءل عن ذلك كله ، لا نجد مندوحة عن التذكير بان اشد الادباء والمفتنين تشيعاً لمذهب العزلة او لنظرية « الفن للفن » واعلاهم صوتاً في الجهر بها والدعوة اليها ، كالاخوين غونكور مثلا ومن لف لفهما ، كانوا يعلنون على رؤوس الاشهاد ، انهم لا ينظمون ولا ينثرون ولا يصورون ولا يلحنون من اجل هذا الجمهور المسكين الذي كتب عليه ان يعايشهم ويعاصرهم ، دون ان يقدر له ان يفهمهم او يعجب بروائعهم ، ثم لا يلبثون حتى يعلقوا الآمال العريضة على الاجيال الآتية . فهم اذن يستبدلون جمهوراً بجمهور ، او قراء سيأتون بقراء ذاهبين ، وكأنها حوالة يسحبونها على المستقبل . واذن ، لا غنى للفرد ، مهما تفرد ، عن المجتمع باية حال ، او بعبارة ابسط : لاغنى لكاتب عن قاريء ، ولا للضباب الذي سمي في دنيانا هذه جيراناً عن ضباب آخر يضرب له موعداً في مجاهل الفضاء .



— ٣ —

لم يشهد عصر من العصور كهذا الصدام . ستقولون ان الامم في مشارق الارض ومغاربها ، وفي منعطفات التاريخ القديم والحديث ، قد زعمت ايضاً كهذا الزعم ، فكأن كل زمن مفتون بنفسه ، محمول على الغلو في تقدير ما يتصل به وينسب اليه ، حتى وان لم يكن فيه ما يدعو الى التزيد والتمدح . . ان الحرب مصيبة وبلاء ، هذا ما لا شك فيه ، وليس فيها ما يبعث على الفخر او التحدث بالنعمة . لكن الانسان مفطور ايضاً على الاطناب في وصف ما ينزل به من النوازل ، كي يكون صبره اعظم ، والثواب على قدر المشقة .

هذا حق لا مراء فيه . فنحن المخضرمين الذين قدر لهم ان يشهدوا الحربين ، قد سمعنا مثل هذا الكلام ، خلال الحرب الكبرى التي سميت منذ عشرين عاماً ونيف « الاخيرة » . سميت الاخيرة خطأ في الحساب على ما يظهر ، او من قبيل التمني ، او على سبيل الزجر والتفاؤل حذر الاصابة بالعين ، بل ربما لهذه الاسباب جميعاً على السواء ، ولاسباب اخرى ابلغ اثراً ، لعل اجدرها بالذكر تسلية الخلق عما كانوا فيه من البلاء ، وتشجيعهم على المضي في القتل والاستقتال الى النهاية . فاذا كان الناس يزعمون كل مرة ان هذه الحرب ، لا حرب قبلها ولا حرب بعدها ،

فكل حرب وانتم بخير !

والواقع ان العالم لم يشهد صداماً كهذا الصدام في شدته وعظمته ، وهو يوماً بعد يوم ، يتعاظم ويزداد شدة ، حتى كأن الحرب الكبرى الماضية لم تكن سوى صورة مصغرة عنه ، كعنوان الكتاب ليس يدل ، خلافاً للمثل المشهور ، الا على طرف منه يسير ، كما انه في اكثر الاحيان قد لا يدل على شيء مطلقاً . ينبغي ان يكون الكتاب اقل من لا شيء كي يعرف من عنوانه ، او حينما يكون عنوانه مغنياً عن قراءته .

ذلك ان الصدام الذي نشهده او نرى آثاره ليس قتالاً تدور رحاه بين جيش وجيش ، بينما اغلبية الامتين المتحاربتين في معزل ، لا تكاد تعلم ان ثمة في ميادين قريبة او بعيدة ، آلافاً من الخلق يتفانون ، وبينما سائر الامم المتحايدة متحايدة بالفعل ، قلباً وقالباً ، مادة وروحاً .

فأولا : لم يعد من امم متحايدة بالمعنى الصحيح . ان هذه الحرب الشاملة قد طغت على كل شيء ، حتى امسى المتحايدون فيها اشد حذراً واهتماماً ، واكثر دخولا في الحرب او مساهمة فيها من بعض المتحاربين . ثم ان هذه الحرب قد ملكت على الناس في اقطار العالم جميعاً ، اهواءهم ومشاعرهم وافكارهم ، وداخلت النيات ، واندست في الضمائر ، فليس لاحد من خلق الله وفيه مسكة من عقل ، ان يزعم انه في معزل عنها ، او في مأمن من غوائلها .

وانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع!

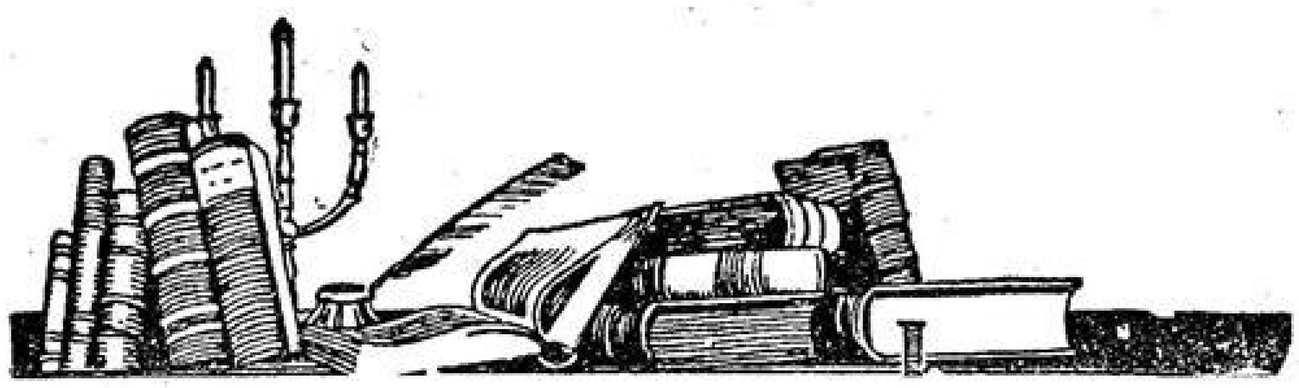
هذا اولا . وثانياً : ان الحرب التي نشهدها هي حرب كلية او جماعية كما يدعونها ، وهم يعنون بذلك حرباً شاملة مطلقة يتضافر فيها لاحراز النصر النهائي ، افراد الامة جميعاً ، شباباً وشيوخاً ، ذكوراً واناثاً ، سواء في الجبهة ام وراء الجبهة ، في ميادين العمل كما في ميادين القتال ، بكل ما اوتوا من قوى وعزائم ، وامكانات وموارد ، لا يتخلف من الافراد فرد ، ولا يوفر من الاشياء شيء . نقول في ميادين العمل كما في ميادين القتال . ولقد اصبح في حكم الثابت المقرر ان الكلمة الاخيرة في هذه الحرب الضروس ستكون للذين يجدّون ويعملون ليل نهار ، ويثبتون ويصمدون فيما وراء الجبهة ، او على الاقل ان نصيب هؤلاء من النصر والغلبة ، ليس دون نصيب اولئك الجنود الذين يقذف بهم في حومة المعارك ، فيلقاً بعد فيلق .

هذا ثانياً . وثالثاً : ليس هذا الصدام المشهود حرباً مقصورة على القوى المادية بمختلف انواعها ، تتلاحم وتتطاحن في البر والجو والبحر . ليست حرب اساطيل وطائرات ودبابات فحسب . بل هي ايضاً ، وبالدرجة الاولى ، حرب معنوية فكرية : حرب بين مذهب ومذهب ، بين عقيدة وعقيدة ، يتوقف على نتيجتها الحاسمة مصير العالم اجيالا متطاولة : ترى ، هل يستمر العالم على مسيره المضطرد ، نحو اكثر ما يمكن من الخير والعدل والحق والحرية ، للافراد والجماعات ، ام تقف اليوم في سبيله ، كي تعوقه عن السير ، او ترجعه الى وراء ، قوة غاشمة ، عاتية آثمة ، قوة شعب جبار يعصف برأسه ، حيناً بعد حين ، جنون العظمة بل التعاظم ، وحمى الاثرة بل الفتك ، فاذا الغبراء ومن عليها مدججة بالحديد ، مضرجة بالدم؟



هذا هو الزمن الذي كتب لنا ان نعيش فيه . هذا هو بهموم الملحة واخطاره المباشرة ، بآلامه الموجعة وآماله المغرية . . ولسنا نخشى لومة لائم ، او تهمة متهم بالشطط او المبالغة ، اذا ما قلنا انه لا متحايد اليوم . لا متحايد ، حتى ولا الاديب صاحب البرج العاجي ، في عزلته فوق السحاب ، او وسط الضباب ، حيث يقضي عمره منهمكاً في تافيق المباني ، وترويق المعاني . لقد آن ان يهبط الى الساحة ، بين بني آدم المعذبين ، ليشاركهم الآلام والآمال ، والهموم والمخاطر ، والافراح والاتراح . ولعل كل هذا يساوي عنده تلك القافية الشرود التي لا يفتأ يعدو خلفها ، كما يتصيد الاولاد فراشات الربيع .

عمر فاخوري



اللوحة الحساسة

بقلم منير النصولي

اما سمعتم طفلا صغيراً ينتحب، فتأثرتم لتأثره وحاولتم تهدئة اعصابه ، فذهبت جهودكم عبثاً ؟هلا بحثتم عن السبب؟ ازاء حالة كهذه ، اما انكم تعزون ذلك الى عناد ، فتضغطون على الصغير ظناً منكم ان الله جعل في قوة البالغ سلطاناً يسيطر على ضعف الطفل ، واما انكم تدعون الطبيب . فهناك شذوذ يتولد ، وجيل يشقى ، وكل ذلك دلالة على جهل يطغى .

هاكم قصة طفلة لم تتجاوز بعد الشهر السادس من عمرها :

بينما كانت ذات يوم في سريرها ، هادئة ناعمة البال ، دخلت عليها زائرة فوضعت مظلتها على منضدة في وسط الغرفة ، فأخذت الطفلة تبكي بكاء مراً وتتخبط في سريرها ،الامر الذي حيّر الزائرة والأم المسكينة . انما لاحظت زائرتنا ان نظر الطفلة متجه نحو المظلة ، فسارعت لتقدمها اليها مع ابتسامة مصطنعة اعتدنا ان نجود بها على اطفالنا ، ولكن ذلك لم يجد نفعاً، بل بالعكس لقد ازدادت الطفلة بكاء . فتيقظت الام بغتة ، وهي تلم بمعلومات نفسية ، الى ان الامر ربما كان سببه تغييراً غير منتظر في عالم صغيرتنا ، فبادرت حالا الى اخفاء المظلة في غرفة ثانية، واذا بالطفلة تهدأ وتعود الى سيرتها الاولى .

الى م نعزو ذلك ؟ألى خوف من هذا الشيء الجديد الذي تجهله صغيرتنا ام الى خلق غريب في عدم قبولها عنصراً دخيلا على عالمها ؟

لقد أعربت عن ذلك (ماريا مونتسوري) في شرح ضاف وألحقت تلك الحادثة ببراهينها التي تثبت وجود اطوار حساسة عند الصغير .

فالطفل يمر على زعمها في طور نظام وترتيب مابين اشهره الاولى والسنة الثانية . وهكذا كالفنان اذا مارسم لوحة اراد الاحتفاظ بخطوطها فهو مبتدعها ولا يرضى عنها بديلا . فالاشياء في نظره تسارعت لاخذ مكانها ، وقد عرفها محتلة مراكزها ،فاذا مارآها في غير موضعها بادر الى ارجاعها اليه كي لايحدث ذلك تشويشاً في تلك الصورة التي انطبعت عنده .

ولكنني اعتقد شخصياً ان المظلة شيء جديد غريب دخل بغتة على مجموعة الاشياء المحفوظة في لوحة صغيرتنا ، فادخل الرعب عليها ، فحدث ما حدث ، كما ان الطفل يجهش بالبكاء عند سماعه بغتة القهقهة ، من غير ان يتمكن من فهم الامر حسب ادراكه .

وكل هذا مما يثبت طور حساسية الترتيب داخلياً وخارجياً .

وقد ذكرت مدام مونتسوري مؤكدة ان الطفلة اذا مارأت صابونة على « المغسلة »خارج موضعها لاحظت ذلك واعادتها الى مكانها .

وتزيد مونتسوري على ذلك،ان الاطفال في المدارس المونتسورية، يحافظون على هذه الدقة في ترتيب عالمهم ، حتى ولو تخطوا السن المحددة لهذا الطور . ويسرني ، ان أذكر بهذه المناسبة ، مشاهدة شخصية لاحظتها بعيني ، حينما زرت مدرسة مونتسورية « Ecole de la jonchère » في ضاحية من ضواحي باريس : طفلة كانت في الرابعة من عمرها تغسل يديها فتأخذ الصابونة من موضعها وتعيدها الى مكان آخر، وبذلك تعاكس ماقالت مدام مونتسوري.

ولكنني فكرت انه لربما كان عالم طفلتنا ، في طور حساسية الترتيب، مخالفاً للنظام المألوف . وهي رغم تدريب المربيات كما اخبرتني المديرة ، ما زالت محافظة على لوحتها الاولى .

على كل ، فمن المؤكد اننا نحمل عدة لوحات لالتقاط الصور، تبدأ حساسية كل منها في وقت معين ، واذا ما مر ذلك الظرف تفوت الفرصة وتخف فاعليتها .

لقد لاحظت Mlle. Descœeres وغيرها من علماء نفسية الطفل ان الصغير يمر في دور يزداد اهتمامه بشكل الاشياء ، في الوانها كما اثبتت التجارب . فحكم Toby ان طور الاشكال يبدأ في الثانية، وينتهي في الثالثة من سني طفلنا، وبعده يحل طور الالوان محله، فيشغل طفلنا الى السنة الخامسة ،وبعدها يرجع صغيرنا الى الاشكال، انما بصورة نفسية جديدة. ان اهتمام الطفل اولا بشكل الاشياء يدل على حاجته الملحة الى الاحتكاك بالعالم الخارجي . نحن في تبدل مستمر.

ان اظرف قصة يمكن ان نستشهد بها هي قصة دارون :

لقد تأثر صاحبنا كثيراً لعدم استفادته من طور يذكر انه مر فيه ، فشعر في حينه بذوق وميول موسيقية عظيمة ، وهو يحكم بأن ذلك نال من شخصيته وحظه في السعادة .

نحن في قطار يسير فيقف في محطات تحوي اشياء مختلفة نافعة . فاذا ما مررنا ولم نستفد من الوقت المحدد اضعنا علينا،فلا يبقى منها الا الذكرى . ان صغارنا يعلنون عن وصولهم الى تلك المحطات، فعلينا ان لا نقف حاجزاً في وجههم . ولكن من اين لنا معرفة ذلك ان لم ندرك نفسيتهم ، فنهيء لهم عالماً يتلائم ونموهم الطبيعي ؟

دار المعلمين الرسمية

منير النصولي

الممثل تالما في « مدرسة الشيوخ »

◆

مرض في الادباء « المجددين » ان يسخروا من متقدميهم، فالجيل الحاضر لا يحترم الجيل الماضي ويخلق لنفسه شتى الذرائع لدعم حجته . وكما ان ادباءنا الناشئين يبتسمون ابتسامة الهزء كلما ذكر اليازجي ناصيف او نجيب الحداد مثلا، هكذا الادباء الناشئون الفرنسيون في الثلث الثالث من القرن الفائت فقد كانوا يبتسمون كلما ذكر « كازيميرده لافيني » او « بيرانجه » او « لامرتين » او « سكريب » . وكانت عبارة خبيثة يرميها ناقد خبيث تكفي ليعتنقها الناشئون على انها حجة الحجج والحكم الحاسم الذي لامردّ له . فقول « دينوايه » الناقد: « ان من الاموات من يجب قتلهم » عاش مع جيل الناقد حجة له حتى شبّ هذا الجيل عن الطوق وعقل .

ومن اولئك « الاموات » الذين اوصى « دينوايه » بقتلهم الشاعر « كازيميرده لافيني » الذي عرف في قصائده الوطنية Les Messeniennes ان يعزي فرنسا بعد نكبتها بالامبراطورية الاولى، والذي ساهم في نهضة الوطن وجمع كلمة الفرنسيين . والغريب ان بضعة من الناشئين انطلقوا في التحيف من شعر « كازيميرده لافيني » عقب النكبة الثانية التي حلت بفرنسا وكلفتها الالزاس واللورين . ولكننا على اكبر من اليقين ان الناشئة الفرنسية في هذا العصر اعرف بتاريخها الادبي ممن تقدمها فلا ترسل الرأي على عواهنه ولا تنطلق في السخرية السهلة، شأن المبتدئين الذين يتكلفون المعرفة ولا يجدون كرامتهم الا في تحقير الاخرين .

كان « كازيميرده لافيني » قمة الشعراء في عصره، وكان ما يزال في مطلع العقد الثالث من عمره عندما رفضت « الكوميدي فرانسيز » اخراج احدى مسرحياته، فغضب لكرامته وآلى على نفسه ان يمنع (مآسيه) عن المسرح . وما عتم الامر ان وضع مسرحية جديدة باسم « مدرسة الشيوخ » واتصل خبرها باللجنة القراءة في « الكوميدي فرانسيز » فطلبتها من الشاعر معتذرة اليه عما بدر منها في الماضي . سوى ان الشاعر رفض تقديم مسرحيته الا اذا قرئت على الممثلين رأساً من غير ان تنال موافقة اللجنة . وبعد اخذ ورد اضطرت اللجنة الى الاذعان لمشيئة الشاعر .



الممثل تالما في دور « دانفيل »

وكان الممثل العظيم « تالما » حاضراً القراءة فرأى نفسه في دور « دانفيل » وما كاد الشاعر يفرغ من قراءة مسرحيته حتى اهوى عليه الممثل فاخذ كلتا يديه صارخاً : « دانفيل . هذا هو انا بعيني . فلا يحق لاحد غيري ان يخرجه . واني لاطلبه من الشاعر ومن زملائي . »

وكان « ده لافيني » قد وعد به الممثل « باتيست الاب » فحار في امره . وفي تلك الآونة حصل هياج كبير في القاعة فقدم الممثل « داماس » المعهود اليه بالادوار الاولى استقالته، وتفاقم امر الاحتجاجات حتى لم يجد « تالما » بداً من التهديد بالاستقالة . وفي نهاية الامر لم يكن بد من الاذعان فاخذ تالما دور (دانفيل) والمدموازيل مارس دور (هورتانس) واحرزت المسرحية فوزاً عظيماً على مضض من اعضاء لجنة الكوميدي فرانسيز .

ويلخص موضوع هذه المسرحية في ان « دانفيل » الارمل المثري المذرّف على الستين، وقع في هوى (هورتانس) سنكلر

وله من زوجته الاولى ولد ، وتزوجها . وكانت هورتانس ابنة مستقيمة ، على انها اخذت عن امها المؤسفة خصلة الاغترار بالوظائف العالية . فطلبت لزوجها من وزير المالية وظيفة عالية جداً في الوزارة وما عتم الامر ان اخذ مسلك الزوجة (الوصولية) الشابة يثير غيرة الزوج . وكان (لدانفيل) صديق قديم اعزب يكره الزواج ، فجاء الى باريس وزار صديقه متظاهراً بجهله امر زواجه ، وطلب منه ان يقرضه عشرين الف فرنك لينقذ بها من الافلاس شاباً كتم اسمه عنه .. ولم يكن في الواقع سوى ابنه من زوجته الاولى .. فقبل (دانفيل) ان يقرضه المبلغ ولكنه اعتذر في الاونة الحاضرة بداعي النفقات الفاحشة التي تبذلها (هورتانس) .

وما عتم الامر ان حل الزوجان ضيفين على (الدوق ديلمار) في قصره الواسع الارجاء . وراح الدوق يغازل (هورتانس) ظاناً انها ابنة ضيفه القروي لا زوجته . وكان (دانفيل) قد حرم على زوجته الذهاب الى المراقص. وفي احد الايام لم تجد (هورتانس) على الحاح امها والدوق ، بدأ من مرافقتها الى حفلة راقصة . وكأن وخز الضمير ادركها في ابان الحفلة فغادرتها فجأة الى البيت . وبعد هنيهة لحقها الدوق ليعاتبها . وفي هذه الاثناء وصل (دانفيل) فخبأت الزوجة الدوق في احدى الغرف . وكأن قلق الزوجة أثار كوامن الزوج فصرف امرأته بهدوء ودخل الغرفة وطلب الدوق الى البراز . ومن غير ان تشعر (هورتانس) بشيء خرج الخصمان بدون شهود وتبارزا فانتصر الدوق وعاد دانفيل الى البيت .

وفي الصباح انطلق الزوج في توبيخ زوجته البريئة . ولكنه وجد في يدها رسالة موجهة الى الدوق تأمره فيها بان يكف عن مناوراته والا طردته . وهكذا آمن (دانفيل) باستقامة امرأته وعادا الى قريتهما مطمئنين .

هذا موضوع (مدرسة الشيوخ) التي احرزت نجاحاً كبيراً وضاعفت شهرة (تالما) . وقد قال (ارنست ليكوفه) ، بعد مرور ستين سنة ، انه ما يزال الى الان يسمع هذه العبارة : (اني انألم) خارجة من فم (تالما) .

وكان (تالما) يقول : (اعتقد ان العباقرة يحتفظون دائماً بشيء من الطفولة ، فالعبقرية تصدر عن الروح والروح لا تشيخ. واذكر ان احد الطليان قال لي يوماً انه كلما نظر الى الملائكة التي رسمتها ريشة (رافائيل) خيل اليه انه يرى روحنا عالقة في السماء باجنحتها الصغيرة وفي الارض بوجه طفل.)

صرف (تالما) شطراً من شبابه في لندن وكان والده طبيب اسنان فيها ، واذ سئل يوماً عن مدى تأثير الممثلين الانكليز في نفسه اجاب : (لم انأثر بسوى زعماء حزب (الجيروندان) . ففي مساء يوم حضرت احدى جلسات هذا الحزب وسمعت خطباءه ، سمعت (ميرابو) و (دانتون) و(فرنيو) ، وشهدت وجوههم الكالحة ... وفي تلك الساعة خيل الي اني احضر احدى جلسات مجلس الشيوخ الروماني .


كازيمير ده لافيني

وكان تالما يقول للمحامين في زمنه: (تعالوا اسمعونا في الكوميدي فرانسيز اذا شئتم ان تلتذوا وتستفيدوا وان تتعلموا كيف يجب على المحامي ان يكون .)

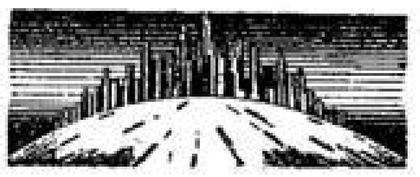
وكان يقول ايضاً : (قد لا يكون ما يسميه بعض الناس (موهبتي) سوى السهولة التي تمكنني من الشعور باحاسيس ليست احاسيسي بل ابنتاها بالخيال فبوسعي ان احيا ساعات حياة الاخرين ، واذا لم يقدر لي ان ابعث الاشخاص باغلفتهم الترابية فيقدر لي على الاقل ان احيي عواطفهم وما كانوا يحسونه . وكثيراً ما استعين بالمشاهير من الرجال والمثقفين منهم فاستثير ذكريات رفاقي الذين عرفوا امجاد (المسرح الفرنسي) القديم .

وكان تالما صديق نابوليون الاول فقد رافق حداثته في ظل الثورة الكبرى وظل وفياً له الى آخر ايامه. وكثيراً ما كان نابوليون عقب عودته من معركة ظافرة ، يخف الى المسرح ليشهد صديقه ويصفق له

ولم تسقط رعاية تالما في عيني لويس الثامن عشر ، بل كان هذا الاخير يحب تالما كما احبه نابوليون حتى انه لم يتمالك يوماً من ان يقول له : (لم يسبق لي ان شهدت ممثلا اكمل منك .)

الاقليمية والعالمية
في الادب

●



تحدثت في الجزء الماضي عن نزعة التحليق . وقلت فيما قلت انها نزعة باطلة لا تستند الى اساس . وانها على ذلك ، تكوّن خطراً على ادبنا الناشىء . وليس ادل على هذا الخطر من الاتجاه المنحرف الذي يتجهه الادب عندنا ، ومن الحيرة التي يتأرجح فيها بين ما يسمونه الاقليمية وما يسمونه العالمية .

ولقد انتهيت يومئذ الى ان الادب لا يمكنه ان يتخذ شكلا غير شكل الكرة وان علينا عندئذ ان نقول بوجود جاذبية ادبية من شأنها ان تجذب الذي من طبيعته الانجذاب اليها ، وان المرحلة التي يريدها دعاة التحليق ان تبدأ من سطح الارض وتنتهي — او لاتنتهي — في مجاهل الفضاء ، انما هي على عكس ذلك تبدأ من سطح الكرة وتنتهي في مغناطيس الجاذبية حيث تلاقت وتتلاقى ابداً اقلام العباقرة من كتاب الانسانية .

ولقد وجدتني بعد ذلك على باب موضوع جديد كان في نيتي ان اطرقه لولا ضيق المجال . وكان جد منطقي ان اصل الى النزعة العالمية في الادب بعد نزعة التحليق ، فالاثنتان متصلتان تكمل احداهما الاخرى . ودعاة الادب العالمي في لبنان هم انفسهم الذين يصنعون الاجنحة التي بلا ريش ويهيمون بالفلك ليكتبوا على بطاح السحب « ادباً عالمياً » . فمن حق لبنان ان يشكرهم شكراً جزيلا على الجهود التي يبذلونها فوق ما تبذله لجنة السياحة والاصطياف في سبيل تعريفه الى العالم !.

لو انك سألت مرة احد هؤلاء عما يقصد ، بالضبط ، بالادب العالمي ، لما كان جوابه غير العبارة التي طالما سمعناها : التحرر من قيود الاقليمية .

ولو انك رحت تستقصي ما خفي وراء هذه العبارة من معنى ومقصد لظفرت منه بشيء كثير ، جله او كله خارج عن معنى الادب ومقصده . فما اشهى على قلب الاديب « العالمي » في لبنان ان تترجم طرفته الرائعة الى اكبر عدد ممكن من اللغات الاعجمية كما ترجم الخيام وطاغور — مع حفظ النسبة . وما أحب الى قلبه ان يكون له قراء كثر يقرؤنه في غير لبنان . ومن اجل ذلك تراه يحرص على ان يتجاهل الزمان والمكان ما استطاع ، فتكون آثاره صالحة ، على زعمه ، لان تقرأ وتستساغ في اية بقعة من الارض وفي اي عصر من العصور . وهذا في اعتقاده معناه الخلود .

اما ان يحلم بترجمة كتبه الى لغات اعجمية فامر نتجاوزه عن طيبة خاطر . فكلنا يتمنى بل يشتهي ذلك . ولست اعرف اديباً يشيح بوجهه معرضاً عن شهرة عالمية ذائعة الا ان يكون ممن يصطنعون التواضع .

ولقد نتجاوز كذلك ، عن طيبة خاطر ، ضيقه بالبقعة التي يعيش فيها وسعيه وراء قراء اكثر عدداً . فمن حق الاديب ان يكون غنياً ، وغير جدير به ان يهمل الناحية التجارية من الادب . فالمال ضروري له يكيف به حياته اليومية على ما يستحب ، ويهيء له الانصراف الى حرفته انصرافاً مجدياً . اما ان يتجاهل الزمان والمكان في سبيل خلود موهوم ، فأمر لا نقره عليه ، وليس في امكان الضمير الادبي تجاوزه .

يقولون لك ان في الطبيعة الانسانية عواطف واحاسيس وافكاراً وطبائع واحوالا راسخة مشتركة تنبت في كل الاقاليم ، وتشيع في كل الاعصر كالحب والبغض والخوف والطمأنينة واللذه والالم والشقاء والسعادة والحقد والتسامح والفقر والغنى والحق والباطل والصحيح والفاسد ، والى غير ذلك . ويقولون لك ان الاديب العالمي انما يبحث هذه الامور الراسخة المشتركة ، معرضاً عن الخصائص الاقليمية والظروف الطارئة ، وان تلك الامور اوتاد الخلود الادبي .

قول يبدو معقولا لاول وهلة ، لا غبار عليه . قد يقبله كثير من الادباء ، وقد ينخدع به كثير من الناس . على ان الحقيقة غير ذلك ، فالخصائص الاقليمية والظروف الطارئة ، هي في العمل الادبي كل شيء . وما العواطف والاحاسيس والافكار والطبائع والاحوال الراسخة المشتركة الا « مواد خام » اذا جاز لنا هذا التعبير الصناعي . اجل ، مواد خام مبذولة للجميع ، لا تأخذ قيمتها الا تحت طابع

الخصائص الاقليمية والظروف الطارئة .

فما قيمة الحب ، لعمري ، في مسرحية شكسبير الخالدة « روميو وجوليت » لو لم يطبعه اقليم البحر المتوسط بالعاطفية الحادة الجامحة ، ولو لم تكسبه الظروف الطارئة ذاك العنف الذي كانت عليه عداوة بيت « المونتيغو » وبيت « الكابولات » ؟

بل ما قيمة الحب في اسطورة « قيس وليلى » ، الخالدة كذلك ، لو لم تسبغ عليه الصحراء من رمضائها لهباً ، ومن ابعادها النائية يأساً ، ومن جفافها حرماناً ، ومن سرابها املا بلا رجاء ، ولو لم تكسبه تقاليد الحياة العربية الصارمة العازمة ، صرامة وعزماً ؟

بل ان لدينا من روائع الادب العالمي في القرنين الماضي والحاضر ، لشواهد على ذلك كثيرة . فاذا قرأت دستويفسكي فانك واجد فيه ، اول ما تجد ، الروسي الاقليمي الصميم ، بل روسيا نفسها بثلوجها وابعادها وضبابها ودهمائها وما كان يختلج في قرارات نفوسهم من حنين ويأس وحرمان وسويداء والم صامت ونوازع نفسية غامضة معقدة .

تجد كل ذلك في دستويفسكي الذي يصبح بعد مماته مرجعاً لعلماء النفس يدرسون في ابطاله عوارض الامراض النفسية ، ويمسي في نظر النقاد اديباً عالمياً بلغ من مجاهل النفس الانسانية ما لم يبلغه اديب غيره .

وتقرأ « توماس مان » الاديب العالمي المعروف في قصة « تونيو كروجر » مثلا ، فاذا القصة كلها قصة امزجة واقاليم . فحيرة تستبد بتونيو كروجر ، تجرفه تارة نحو طبيعة امه اللاتينية الحارة العواطف والجسد ، فيحب حباً عنيفاً خطراً مزدوج الغاية ، فاشلاً . ثم تجرفه تارة اخرى نحو طبيعة ابيه الجرماني ، فيستيقظ في خلاياه الحنين الى الشمال ومتعة الاحساس بالبرد ، البرد الذي يوصد على النفس دون الحياة اليومية المألوفة ، ويحول دون الجسد والحركة المسرفة ، فاذا تونيو يهجر حياته الاولى ليعيش في صقيع الدانمرك ويمسي اديباً : اجل ، اديباً خالقاً . تلك هي القصة كما تراها ، اقليمية بحتة . وهي كما تعلم ، جزء من العمل الادبي القيم الذي استحق عليه توماس مان جائزة نوبل وتقدير العالم .

كنت اود ، لولا ضيق المجال ، ان اورد من الشواهد اكثر مما فعلت ، كأن اتحدث قليلاً عن « سنكلار لويس » الاميركي و « بلاسكوايبانيز » الاسباني و « بلزاك » و « ايفان تورجنيف » وغير هؤلاء ممن اتيح لي ان اقرأهم واراى في آثارهم كيف يمكن للاديب ان يكون اقليمياً وانسانياً في آن واحد . بل اني وجدت ان الاديب الجدير بهذا الاسم لا يمكن الا ان يكون كذلك . فهو جزء من الانسانية شاء اوابى ، وهو جزء من الاقليم الذي يعيش فيه رضي او سخط . ولا بد ان يجمع العنصرين معاً . اما كيف يتاح ذلك ، فلست ارى اليه سبيلا ، الاّ ان يظل الاديب اميناً على شخصيته ، مخلصاً لها .

ولعل هذه الامانة وذاك الاخلاص هما ما يفتقر اليه الاديب اللبناني على الاجمال ، فهو في معظم ما يكتب من نثر وشعر ، لا يستوحي بيئته وطبيعة اقليمه والحياة التي من حوله الا قليلا . واحسب لو ان مؤرخاً جاء بعد زمن ، يؤرخ الحياة اللبنانية في هذه الوهلة ، على ضوء ما يكتب الادباء اللبنانيون اليوم ، لما ظفر من هذه الحياة بشيء كثير . ذلك ان معظم الانتاج الادبي الحاضر مستوحى من الكتب التي تأتينا من الغرب . فأكثر القصص عندنا تقليد لموباسان وفلوبير وبلزاك وتورغانيف ودوستويفسكي وغوركي ، واكثر الشعر عندنا تقليد لفاليري وبودلير وفرلين وسامان ومقلديهم .

اذكر اني كنت اقرأ مرة مقدمة الترجمة الفرنسية لقصة « بابيت » التي كتبها الاديب الاميركي سنكلير لويس . فاذا صاحب المقدمة ، وهو احد كبار الكتاب في فرنسا ، يمتدح زميله الاميركي بقوله انه لم يكن قط من « الهاربين » .

والمقصود « بالهاربين » جماعة من الكتاب الاميركيين يعيشون في كل اقليم وفي كل بيئة ، الا الاقليم الاميركي والبيئة الاميركية ، وهم يبحثون كل شيء الا الذي يهم الرجل الاميركي . فبينما هم في احدى جزر المحيط الهادي يحيكون قصة غرام بين ابيض وسمراء ، اذا هم في بؤرة من بؤر شنغاي ، او قصر من قصور الهند ، او مضرب في اقصى الشرق لاحدى قبائل التيبت ، او على متن سفينة دولية تذرع بهم البحار ، لا يتركونها الاّ الى اعماق اليم او ظلمات اليابسة .

قرأت كلمة « الهاربين » ولست ادري لم ذكرت يومذاك ادباء لبنان . ولعل الحديث قد طال اليوم اكثر مما يحق لي ان افعل ، فلنرجيء هذا الى بعد .

« سعيد »

هواء نقي ونبات بري منفرط
كعقد من الزمرد انقطع خيطه . . .
ولا غاب يزين هذه الجبال الزاهية .
فالطاقة مغرية كيدٍ بدون خاتم .
وقال المترهد ايضا :
بما انك تدرك معنى الصور المغتسلة في اشعة النعاس الحية فاسمع :
كنت اسبح معها في المدى الفضي
راساً محدبات كمحدبات الاوقيانوس
حتى اهتديت الى البيت العائلي
في الجزيرة ذات الحدائق الاهلة بالشواعل .
وفي طرف كل رواق من الشجر
كانت تقوم خلائق حبيبة
كأنها رسوم محاها الزمن
فهي – ليست كما كانت تماماً ولا غيرها تماماً .
وكان جسدي محتفظاً بعادته المعدنية . اما وقد اضاع كل وقاره فلم يكن يحلم بسوى لمسات نقية
وكان البيت يدور بهدوء على نفسه في سكون اسود تخنقه الريح .
لم يكن هذا السكون لا الايقاع البعيد للاوراق المتساقطة
ولا صوت شبابة اتياً من الصحراء .
بل كان سكوناً يريد الافصاح عما في نفسه ، فالكلام العذب يحطم الغضب دائماً .
كان ثمة اجفان ونظرات مبللة تعيد الى الذاكرة شفاها معذبة .
فعبرت عندئذ جدران البيت مكتفياً بلون السماء .
وكان الماء كثيفاً كماء البحر ، فانسللت في الهواء
باحثا عن الحوض الموحش
الذي احب الاغتسال فيه . . .
فلم اجد في قعر الماء الا غيوماً في سمائها المشرقة .
وكان غراب جاثماً على غصن
ورخام الحوض في لون وردي متباعد
الى حد لم يبق من وردي مثله
الا في باطن الايدي
وعلى اصداع العذارى المصريات .
واذ مر في الماء غيوم اخرى مع هلال محدب كالسيف خرج صوت رزين من الشجرة الموحشة ،
ولكن الشجرة الموحشة كانت صديقتي .
فمن لم ير الليل على ادم « سلومة »
لا يعرف نبرة الانسجامات الغسقية الناعمة . فعلى شفتيها الرطبتين كانت تمر موجة اثيرية ،
وعلى جبينها تمر وعلى عينيها الذاهلتين، حاملة اريجاً تذريه ظلا لطيفا . . .
وهذا الظل كان ينشر عرف الزهر ، والاوراق الفضية لب الثمار .
فنشقت طويلاً هذا الظل المشرق العذب الخفي .
ثم مرت امرأة وراء الغيوم . فعرفت جبينها الشبيه بجبيني . وكان جبينها شاحباً كجباه
المجوس . ولكن فيم كانت تفكر وهي لم تخاطر بشيء ؟
فالذى يقترب من الحداد لا يحترق حتماً بناره .
اما الانسجة الحريرية التي مارست صناعتها فكانت تباع هي ايضاً في قعر الحوض مع مرج
واقراص نعنع .
اجل في قعر الحوض . تحت الماء الشفاف .
ايتساءل السباح المنهوك القوى الذي يجد خشبة في متناوله من اين جاءت هذه الخشبة
وكيف جاءت ؟ يجب ان يعرف من اين تجيء الثمار الملاى عصيرا ، ولماذا تضحك «سلومة»



على كثب مني ؟
اجل . في قعر الحوض تحت الماء الشفاف وجدت لؤلؤتي الوحيدة التي لم تثقب تسبح بمثل ما تتحلى به جنبات المياه من الدلال الكريم ...
وكالشاطئ الذي خبطته العاصفة كانت طراوتها عذبة وصمتها مجنحا :
كانت سلومة عارية بالقرب مني .
وكانت اعضاؤها الملتفة بغزل من الالوان كأنها تتنفس عن نغم موجع ...
والمسارج المشتعلة كانت ترعش الليل .
فدخلت جميع الاشياء الى عيني باشباحها المتحركة ، ولم اتبين الاهمسات راقصة واخيلة تنساب
لقد احببت قوامها الذي جعلت فيه الاغصان لينها والياسمين عطره ...
كانت ذراعاها المحبرتان باسورة من الزجاج تغنيان كثريا من البلور تلاطفها الريح ..
وقد احتفظ جسدها بجلال تلك الاشرعة التي يركبها الغراصنة ...
وكانت اوراكها تتموج باختيال على نحو ما تفعل الرمال المتحركة ...
وهكذا كان الجوع يهدر كالعاصفة على كثب منا ...
وجوع الصبايا يبكين في السهل الفسيح ...
جميع الاعضاء مستديرة
وجميع الاصلاب جوفاء ...
واني لاحزر بدون عناء الالام
التي تنفخ جميع هذه الاجساد الحريرية ...
وقال المترهد ايضا :
لا ابدي الا السماء التي ستحتجب فيها الغيوم .
لم يبق في قلبي اي وهم
حتى ولا اسم امرأة ،
فالذكرى الوحيدة لوجدي الفريد
هي وردة من الورق لا لون لها ولا روح ...
ثم قال :
ولكن صورة تلك المرأة ما تزال تتردد على احلامي :
وكأنغام موقعة صامتة ترود حولي مع خفقات الغسق الملونة...
وهل استطيع ان لا تعذبني حرارة جسدها التي تنفذ اليه جميع اشكال الحس والعنف شفاراً من النار ؟
فاني من هنا انشق رائحة شعورها التي تهيجني .
أصغ الى الريح ...
وقال المجنون ايضاً :
هي حزينة كحجر ابيض ...
عيناها تنان على الم الاحلام المحطمة ...
واهدابها الشبيهة بالاجنحة تنبئ ان الشيطان الراقد فيها سينطلق هما قريب ...
ولكن ماذا يهم ؟ فجحيم حبها افضل ولا ريب من نعيم الله .
فم ترتعش فيه الشهوة ...
وأنامل تنفر لي العود على قلبي ...
أصغ الى الريح ...
فكر في سعادتي ...
أصغ الى النجوم ...
واسكت اذا فهمت .



احمد راسم

لماذا يشقى الاديب ؟؟

●



بقلم « ابو ناصيف »

لانه يريد الايمان بالخير ويرى الواقع لا يؤمن بسوى الشر ، بسوى الالم الذي يعذب العالم كالسرطان يعضّ الثدي الجميل .

لانه مجموع شقاء البشر .

لان الطبيعة جعلت فيه مميزات تحسّ ادقّ ما في الحياة .

لان روحه ترفعه الى حيث لا ترتفع الحقيقة المبتذلة ، ولان جسده يشد به الى اسفل دركات الناس . وأي شقاء عظيم هو هذا الذي يقود الانسان في دائرة تغمرها الوحول والاقذار فيضطر الى القفز كالبلهوان لينجو بنفسه من هذه الاقذار وتلك الوحول .

لانه يرى الانانية تبث دعوة مكيافيلي فتنصح بنبذ الرحمة وتجريد السياسة من الخير والاصلاح ، وتتخذ الصوفيّات حجة لها ومطايا ، وتنهب اموال الايتام او الضعفاء باسم صوفيّتها تارة والشعب اخرى ، وتلجأ في الشدة الى الدساتير تفسرها على هواها .

ولانه ... لانه يرى عبّاد الشر في وجوه واحدة كأنهم مجبولون من صعيد واحد ، ايديهم ملوثة بالدم واضراسهم محشوة بالقذر . على محاجرهم صموغ رقدة موصولة اليقظة بالموبقات . يراهم يكشرون عن انياب كأن كلا منها موصول بغرغرة افعى ، ويصعدون على سلالم مرصوفة بالجماجم والقلوب .

ويسمع عبّاد الشر يقفون خطباء في الناس ، ثم يلتفت فيرى سلب البائسين في بيوت الغير . وأي ألم أشد على قلب الاديب من ان يسمع الحكمة في منطق المنافقين .

لماذا يشقى الاديب ؟

لانه يريد الايمان بالحب ويرى الكذب يسيل على شفاه المحبين .

لانه يرى النفاق في الدموع ، والرياء على الشفة التي تقول : « أحب ! » .

ولانه ... لانه يريد ان يؤمن بأن الجمال لم يحتجب وان القلوب لم تيبس .

لانه يرى الشمس ، والزهرة ، والغصن ، والثمرة ، فيؤمن من الشمس بالنور النقيّ ، ومن الزهرة بالعطر الندي ، ومن الغصن بالنسيم العليل ، ومن الثمرة بالطعام المحيي . ولانه يريد ان يرى هذه الفضائل في قلوب الناس .

لانه يحاول ان يخلق حياة غير الحياة التي يعيشها ، حياة خيالية ، حياة روىً واحلام وجمال ، حياة حب ورحمة وغفران . ولكن هذه الحياة لا تخلق بسوى عناصر الحياة العاديّة فيلتفت فيرى الخبث والرياء والبغض والحقد والنميمة والزلفى والجهل ، وكلّ ما في الحياة من السحن البشعة الممقوتة .

ان الاديب لأكثر من رجل لانه يشقى اكثر من رجل .

●

الصناعة والتجارة

بقلم عيسى اسكندر المعلوف

بامارة وتجارة وصناعـة وزراعة تجد البلاد نجاحـا
اركان عمران فشيد صرحها وخذ العلوم لنيلهـا مفتاحا

لا خفاء ان اركان العمران تنوطد عليها صروح الحضـارة وارتقاء البلدان والتبسط في المعاش ، ومن اهمها التجارة والصناعة لانهما بعد الزراعة المورد الذي يجني الثراء ويوفر السعـادة والنجاح للسكان .

ولقد ولعت الامم القديمة فيهما فارسلت السفن والقوافل في البحر والبر للاتجار في صناعات البلدان وجلب مـا ينفع السكان منها ، كما فعل الفينيقيون والمصريون والكلدانيون والاشوريون والبابليون والفرس واليونان والعرب ومن جاء بعدهم .

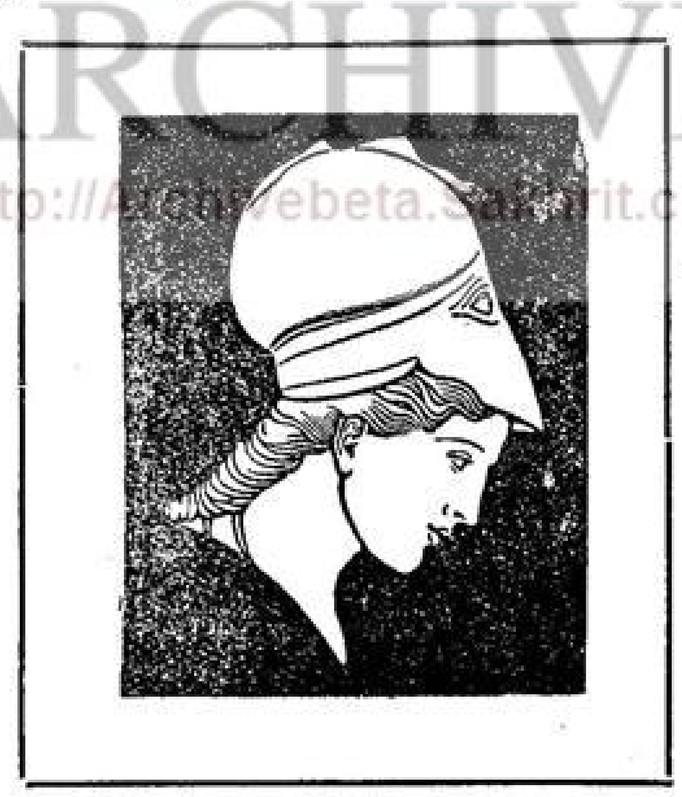
ولقد القيت محاضرات كثيرة في مجمع دمشق العلمي والجمعيات والمدارس في فوائد هذين الركنين مما نشر في المجلات والجرائد وعلى حدة برسائل خاصة مطبوعة ومنها اقتطف هذه المقالة الآن .

(١) التجارة

في شرائع حمورابي المشترع الشرقي الشهير قبل الميلاد بكثير ما يدل على نظام التجارة والصناعة وروابطهما وعقد المعاهدات وانشاء اللجان لرفع منارهما . ولا تزال آثار عناية الامم فيهما تـدل على منزلتها السامية مثل ابنية تدمر وبعلبك وقلعة المضيق (افاميه) ودمشق وحلب وصيدا وصور وبيروت وطرابلس وغيرها فانها كانت مواقف للقوافل البرية التجارية ومرافىء للسفن البحرية التجاريـة تتبادل التجارة والصناعة مع الامم الاخرى حتى راجت اسواقهـا وعمرت حوانيتها وكثرت مخازنها وكان لبلادنا الشرقية النصيب الوافر منها والاشتراك بمنافعها والميل الى اتقان العمل وحب الاسفار وكنى بما كان للفينيقيين وغيرهم من سكان الشواطىء تلك الشهرة الواسعة في التجارة والصناعة ونشرها في الاقطار السحيقة كما حققت ذلك الآثار .

ولقد تبودلت المعاهدات التجارية والصناعية بين الدول القديمة في الشرق والغرب وتبادل السكان بينها توسعاً في العمران وادراراً للرزق واكتساباً للمال ، واقدمها ما كان في القرن السابع قبـل الميلاد وما زال ذلك يتجدد الى ايامنا .

فأسست الشركات الشرقية عندنا منها شركة الانكليز سنـة ١٥٨١ م التي كان لها قناصل ومعتمدون لادارتها ومراقبتها وذلك في حلب وغيرها ، وكثرت المحلات التجارية لبقية الدول الافرنجية مثل الفرنسيين والايطاليين وغيرهما فكانت شعوب تلـك الدول تقصد بلادنا وتتديرها ، كما كانت بعض اسرنا الوطنية تقصـد البلاد الافرنجية وتتخذها موطناً .



وعقدت قبل ذلك معاهدات تجارية بين صلاح الدين الايوبي ، سلطان العرب ، وسكان « بيزا » في ايطاليا وعندي نسخة منها تـدل على ما كان بينهما من الترابط والتبادل لترويج الاعمال واكتساب الاموال .

ثم كانت معاهدات الدولة العثمانية وملوك الافرنـج ولا سيما الفرنسيين والفلمنكيين (الهولنديين) وغيرهم .

ومن ذلك معاهدات الامير فخر الدين المعني الثاني في اواخر القرن السادس عشر واوائل السابع عشر للميلاد فراجعها في تاريخ المعني المطبوع .

وفي القرن السابع قبل ميلاد المسيح كانت المبادلات التجارية بين الشرق والغرب يتناقلون فيها الاشياء ، فتدر عليهم ارباحاً طائلة ، حتى قدر بعضهم ثمن البضائع التي كان يتّجر بها العرب في قوافلهم كل سنة بنحو مائة وسبعين الف ليرة استرلينية من نقودنا الحاضرة ، وما كان ينفقه التجار سنوياً على القوافل بنحو ثلاثة واربعين الف ليرة .

وامتدت تجارة العرب في ايامها الاولى الى نواحي الهند والصين وبلاد فارس وما يتصل بهـا براً وبحراً ، متبادلين الحاصلات والمصنوعات ونحوها ، ومقتبسين من الاعمال والعادات والاخلاق ما يدل على امتزاج بعضهم ببعض وانتفاع الفريقين .

فاقيمت المعارض لذلك منذ القديم مثل (سوق عكاظ) في بلاد العرب ، واسواق العراق وغيرها . وهكذا حدث بعد ذلك وانتقل هذا الى الافرنج فاقاموا المعارض الى ان عدنا نحن الى مثل ذلك في الاقطار المصرية والسورية واللبنانية ، ولكن عهدهـا لم يطل ، فاهمل لقلة عنايتنا باسباب العمران وعوامل الترقي ممـا نحن بامس حاجة اليه في هذا العصر الذي درسنا فيـه شؤون الامم الراقية ووقفنا على مؤلفاتهم العمرانية وشاهدنا بام العين ارتقاءهم في سلم النجاح . واذا راجعنا اخبار العرب او سكان بلادنا الآخرين على اختلاف مناشئهم ومذاهبهم رأيناهم يعتمدون على التجـارة مبرهنين في اشعارهم واقوالهم وامثالهم على شغفهم بهـا وولعهم بالاستثمار منها حتى قال عنترة العبسي :

اقمنا بالذوابل سوق حرب ... وصيرنا النفوس لها متاعا
حصاني كان دلال المنايا ... فخاض غبارها وشرى وباعا
وسيفي كان في الهيجا طبيباً ... يداوي رأس من يشكو الصداعا

وقال ابن الرومي :

رب اطلق يدي في كل شيخ ... ذي رياء بسمته وسكونه
تاجر فاجر جموع منوع ... يرهق الناس باقتضاء ديونه

وقال فرنسيس المراشي الحلبي العصري :

قلت شعرا وقال غيري شعرا ... فكلانا في دارج القول شاعر
واذا كان تاجر الدر يدعى ... تاجرا كان تاجر الفحم تاجر

وفي القرآن الشريف ما يدل على ذلك مثل قوله : « يا ايهـا الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم » ومن احاديث النبي (ص) قوله :

« ما أملق تاجر صدوق وما أفقر بيت فيه خل » و « أطيب ما يأكل الرجل من كسبه » اي من تجارته . و « التاجر الصدوق مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا » . و « تسعة اعشار الرزق في التجارة » . و « ان أطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا واذا اؤتمنوا لم يخونوا واذا وعدوا لم يخلفوا واذا اشتروا لم يذموا واذا باعوا لم يمدحوا واذا كان عليهم لم يمطلوا واذا كان لهم لم يعسروا » وهذا افضل مايقال وأصدقه في آداب التجار والتجارة .

وهكذا كانت أقوال الخلفاء والملوك والعظماء في التجارة وآدابها مثل قول الامام عمر بن الخطاب (رضه) : « لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني ، فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » وقول الامام علي بن ابي طالب (رضه) « تفقه ثم اتجر وان التاجر فاجر الا من أخذ الحق وأعطاه . »

وكثيراً ما كان يطوف في سوق الكوفة ويقول : « معاشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا . لا تردوا قليـل الربح فتحرموا كثيره » وهكذا أقوال من بعدهم الى يومنا .

وقد ألفت كتب كثيرة في التجارة منها « كتاب الاشارة الى محاسن التجارة » لابن علي الدمشقي قال فيه : « وأصل التجارة في البيع والشراء ان يشتري من زاهد او مضطر الى اخذ الثمن ويبيع من راغب او محتاج الى الشراء ، لان ذلك من اوكد الاسباب الى مكان الاستصلاح في المشترى وتوفر الربح » .

وكانت التجارة اولاً بمبادلة الحاجيات فصكت لها النقود بعد ذلك عند الامم الى يومنا .

وهكذا تفنن ارباب الحل والعقد في التجارة وأنظمتها حتى حفظت فيها حقوق البائعين والمشترين ونظمت المعاملات واشتهرت فعرف كل ما له وما عليه .

ولقد جلا هذه الحقائق علم التجارة وممارستهـا والاحتكاك بكبار التجار وامتثال اوامر الحكومة والعمل بها مما وكل امره الى ارباب الحل والعقد من الموظفين البارعين والعمال الصادقين بتحري التحقيق عن كل دقيقة من الاعمال بعيون النزاهة .

(٢) الصناعة

اما الصناعة فانها ما يشتغل به الانسان ويمارسه حتى ينبغ فيه فيظهر الملأ من آثار اعماله تفننات بديعة وآلات رائعة مفيدة للوطن وسكانه فتكون هذه الصناعات ركناً من اركان التجارة الـتي يبادل بها الناس بعضهم بعضاً منذ القديم فيستفيدون الاموال ولله در الشاعر العربي القائل :

وليس على عبد تقي نقيصة ... اذا صح التقوى وان حاك او حجم

ومن الغريب ان القدماء ألهوا الصناعات معتقدين انها هبطت عليهم من العالم العلوي . فألهه المصريون الحرائة وعبدوا العجل ابيس واليونانيون عدوها موهبة من اثينـة او منرفة ربة الحكمة . وبعضهم من غير هؤلاء ألهتهم الحروب والمنازعات عن الصناعات فأهملوها .

فاشتهرت امم كثيرة بالنقش وعمل الزجاج والتعدين والادوات الخزفية والزجاجية والمعدنية الى غير ذلك من جر الاثقال والنسج والتطريز والصياغة وعمل الطنافس ونسج الحرير فضلا عما تفوق به بعضهم في تشييد الابنية العظيمة التي لم تستطع عوادي الدهر ان تمحو آثارها وان كانت قد هدمت بعضها مثل الاهرام في مصر وقصور الاقصر وغيرها وبعلبك وتدمر وجرش ووادي موسى التي لا تزال اطلالها الضخمة تدل على عظمتها كما قال الشاعر :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الاثار

فلما احتك العرب وسكان بلادنا من الامم الاخرى بغيرهم في اسفارهم وتجارتهم تبادلوا الصناعات فاقتبس كل فريق ما يحتاج اليه منها او ما مالت اليه أذواقه . فاشتهرت بلادنا في صناعاتها لا سيما دمشق وحلب ومدن لبنان القديمة مثل صيدا وصور وبيروت وجبيل وطرابلس وبعض المدن الداخلية ، فانتشرت فيها الصناعات الوطنية فكانت دمشق مقراً لصناعات السيوف والقواطع كالشفار والانصال والسهام والحراب والمدى والقيانة والحدادة والصياغة والمنسوجات المختلفة وآنية النحاس المنقوش والقاشاني والمينا والفسيفساء وتزويق البيوت في الجدران والسقوف وترصيع المعدن والخشب بقطع ملونة بديعة وعمل الزجاج وصناعة النحت والبناء وعمل الالات الفلكية والنقود والورق وآلات الطرب الى غير ذلك مما شاع في انحاء سوريا وفلسطين ولبنان ومصر ودونته الصحف والكتب عندنا وعند الافرنج ولقد انتقلت صناعات كثيرة من بلادنا الى غيرها ففي الحروب الصليبية أخذ الافرنج بعضها الى بلادهم وتفوقوا بها .

وكذلك كانت صناعات بلادهم منتشرة في بلاد الاندلس وما اليها في عهد فتح العرب لها حتى نقل كثير منها الى الانحاء الاوربية .

وكان الفاتحون لبلداننا ينقلون الصناع المشهورين بصناعاتهم الى اوطانهم كما فعل كثير منهم ولا سيما تيمورلنك في اول القرن الخامس عشر للميلاد فانه أخذ الوفاً من الاسر الصناعية الى بلاده فانتشرت الصناعات عندهم وتفوقوا بها واهمل كثير منها عندنا الى ان استعيد بعضها بعد ذلك .

وفي زمن الفينيقيين راجت التجارة والصناعة رواجاً مذكوراً فانهم حملوا كثيراً من حاصلات بلادنا وصناعاتها الى البلاد السحيقة وجلبوا منها ما تحتاج اليه البلاد منهما حتى وصلوا الى البرازيل على حد قول أحد المؤرخين الذي اكتشف آثارهم فيها، فاشتهرت صور وصيداء بعمل الزجاج والمنسوجات الفاخرة لا سيما صبغ الارجوان .

وهكذا كان الرومان واليونان والعرب مشهورين بهذه الاعمال العائدة على البلاد بالاثراء .

وجاء بعدهم كثير من الحكام ولاسيما الامراء المعنيون العرب وأعظمهم الامير فخر الدين الثاني المعني الذي رأى عمران ايطاليا بسفره اليها وبمكثه خمس سنوات فيها فجلب منها التجار والصناع وعزز عمران البلاد التي أسند اليه حكمها من سورية ولبنان وما اليهما فراجت سوق التجارة وتوفرت حاصلات البلاد وترقت الصناعة ولا سيما في تشييد الابنية والقلاع التي لا تزال آثارها في بيروت وصيداء ودير القمر وبعض انحاء لبنان حتى تدمر . ومن ذلك الجوامع والقصور والابراج، منها ساحة البرج في بيروت المعروفة اليوم بساحة الشهداء الذين قتلوا في الحرب الماضية فيها فكانت أشبه بحدائق الحيوانات في العواصم الاوربية ووضعت فيها القواعد لرفع التماثيل المشهورة وكان أعظمها برج الكشاف في شرقيها فدرست بعد وفاته وهدمت الابنية التي كانت حول الساحة وعلى شاطيء البحر مما ظهرت آثار أعمدته وجدرانه عند الحفر في انحاء المدينة . وقد وصفت ذلك بتطويل في « تاريخ المعني » المطبوع فراجعه في الصفحة ٣٣٢ وهو المدون بقلمي في مجلد يشتمل على ٤٤٦ صفحة بقطع الربع وبحرف دقيق طبع سنة ١٩٣٤ .

وجاء بعده الامير بشير الشهابي الكبير حاكم لبنان فعززالتجارة والصناعة ولا تزال آثار أعماله مشهورة بيننا ومنها قصر بيت الدين والمقصف وغيرهما وفيهما جمال الهندسة وبديع النقوش .

ثم راجت بعد ذلك وقبله التجارة والصناعة فاشتهرت بلدان كثيرة في العمران ولا سيما الصناعة من ذلك (بيت شباب) في متن لبنان فانها أول ما عرفت صناعة (سبك الاجراس) الكبيرة للكنائس عندنا والتفنن بالقيانة (القردحة) وعمل الاسلحة والنجارة والحدادة والنسج .

وانتشرت هذه الصناعات عدا عمل الاجراس في قرى لبنان مثل بكفيا ودوما البترون وغيرها .

فاشتهرت جزين بعمل الجوارح كالسكاكين والالات القاطعة والحدادة .

وامتازت بلدة (الزوق) في كسروان بالنسج والتطريز باتقان فائق حتى كانت اعمالها الفاخرة الثمينة تهدى الى الملوك والامراء في بلادنا واوربة واميركة .

وعرفت مدينة زحلة بصناعات نفيسة منها سبك الحديد والنحاس والقيانة (القردحة) وعمل الاسلحة والنسج وعمل الاجراس الصغيرة

(الجلاجل) التي تعلق على الحيوانات والصباغةوالبناء وعصر الخمور واستقطار العرق ونسج البسط والعباآت وعمل اللباد وسروج الخيل والدباغة .

واشتهرت قصبة الشوير بالصياغة والقيانة والبناء .

وكثرت معامل استقطار الخمورفي شتورهوديري تعنايل وكساره للآباء اليسوعيين فيجوار زحلة . واشتهرت مشغرة في بقاع العزيز بصناعات متقنة كالحدادة والقيانة وأعظمها الان الدباغة فان فيها معامل كثيرة تشغل جميع شبانها .

وكذلك كفرعقاب في قضاء المتن عرفت الدباغة المتقنة وبعض الصناعات .

وقصبة بسكنتا اللبنانية فيها صناعات متقنة مثل الحدادة والقيانة والنسج .

اما مدن بيروت وطرابلس وصيداء وصور وما يجاورها ففيها الصناعات الفاخرة والمعامل الكثيرة للنسج وعمل البلاط على انواعه ومن ذلك معامل صنع الورق في بيروت التي عرفت بحسن اعمالها ودقتها وان كان لم يطل عهدها مع غيرها من معامل النسج وصنع الادوات واشباهها الى كثير من الاماكن التي لا محل لتعدادها بهذه العجالة .

وكانت الصناعة اول ما حملت بعض سكان بلادنا ولا سيما لبنان على المهاجرة الى مصر واوربا واميركا ففتحت ابواب الهجرة وتقاطر الناس زرافات زرافات الى ديار الغربة فاشتهروا هناك بتجارتهم الواسعة وارتفعت منزلتهم في عيون الاجانب فنالوا المراكز السامية والوظائف المختلفة وجمعوا الثروات الطائلةواكتسبوا الصيت الحسن الذي رفع بلادهم واسرهم الى اوج الفخار ولا يزالون في مقدمة المهاجرين من الامم الاخرى بآدابهم واخلاقهم واجتهادهم وحسن معاملتهم زادهم الله ترقياً ووفق اعمالهم المجيدة .

كيف نرقي صناعتنا وتجارتنا ؟

كل من درس شؤون العمران عند الامم الراقية قديماً وحديثاً وسبر غور تقدمها وانتشارها يقف على افضل الذرائع المتخذة لرفع شأنها وتعزيزهاوتوطيد دعائمها في رقي البلدان وادرار الخيرات على سكانها .

فانفع ما نلمع اليه بهذه العجالة الآن الملحوظات الآتية لعلها تفيد، فذكر ان نفعت الذكرى .

١ — يقوم العمران ولا سيما في ركنيه المذكورين بمعاضدة الحكومة ومراقبتها لكل انواع التجارة والصناعة مثل غيرها من اركان العمران والسهر على تفقد شؤونها ومايفيدها او يضرهاوذلك بالوقوف على معايبها او اهمالها او تشويشها ونحوهواصلاح ذلك عاجلا لئلا يفسد مبادئها بالتأجيل فتعم الفوضى ويسود الاهمال وهو آفة الاعمال .

٢ — فرض الغرامة والعقاب على كل ما يقف في طريق ارتقائها او يؤخر انتشارها وتعميمها والانتفاع منها مما يعد خسارة عامة وان كان فيه منافع خاصة ، لان المصالح العامة يجب تقديمها على المصالح الخاصة افادة للمجموع لا افادة للافراد .

٣ — انشاء المعامل على احدث الطرق وأنفعها في تعزيز نجاحها ورفع منارها اسوة بالامم المتمدنة اليوم وبالحضارة العمرانيةالراقية وذلك بتعيين لجان خاصة لكل فرع واكثر من ذوي الخبرة الذين يدرسون اصولها باتقان وينالون شهادات المدارس التي تلقنوا فيها مبادئها وتخرجوا بفنونها وعالجوا اسباب تقدمها والتجافي عما يحط من منزلتها او يشوش اعمالها فتقل الثقة بها وتتأخر .

٤ — اقامة جمعيات لانشاء معارض لفنونها تشتمل على المسابقات والمنافسات في تجويد الاعمال كل سنة او كل نصف سنة يوكل الى مؤلفيها البحوث في ما يتعلق بادرار الخير على متقنيها والقائمين على توطيد مبادئها الاولية ورفع اركانها باخلاص وصدق نية وحسن مكافأة وتنشيط الذين يقومون بهذه الواجبات مخلدين ذكرى هذا التقدم في نشر تقاويم وكتب مطبوعة عنها توزع على الناس والصحف فتتناقل الالسنة بنجاح هذه الذرائع وتخلد ذكرى الفائزين بين دفات الكتب وعلى صفحات الجرائد والمجلات .

٥ — الاطلاع ببعثات خاصة على ما عند الامم الاخرى الراقية من الذرائع الفعالة لتوثيق عراها وتوطيد اركانها واقتباسها مما فيه فائدة لاوطاننا بانشاء المعامل والمصانع على اقوم الطرق العملية العصرية وانفعها .

٦ — منح الجوائز والشهادات للذين يتفوقون على غيرهم في معالجتها وممارستها وتنشيطهم في احراز قصب السبق ونيل الامتيازات .

٧ — تعميم الاستفادة وتعزيز الرغبات لمن يتقن العمل ويجوده ويتفنن فيه ومنع احتكار التجارة وحصر الصناعة كأنها سر من الاسرار المكتومة وذلك في فئة طماعة مستأثرة بنفسها محبة لنفع ذاتها فقط مبغضة لانتفاع غيرها بنشر ما يفيده .

هذا الى غير ذلك من الذرائع الفعالة التي هي من واجبات الحكومة الساهرة على نجاح بلادها وسكانها وافضلها اليقظات والانتباهات التي تسدد الاعمال وتحقق الامال .

عيسى اسكندر المعلوف



هدأ الليل

●

هدأ الليل لنا
اسكريني واسكري
يسكر الليل بنا
اي ظل مقمر
انت فيه، وانـا

☆

تنبت الارض، متى
نطأ الارض ، منى
فهنا ذوب الندى
وشذا الورد هنا
وعلى الارض، على
رحبها ، حلم هنا

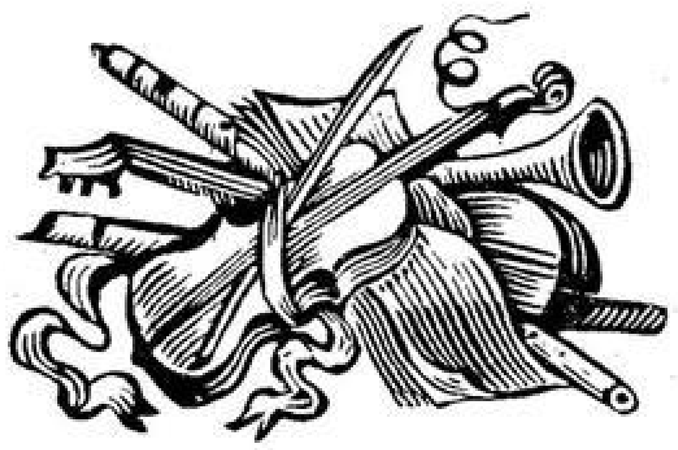
☆

هدأ الليل، فلا
نحسي الليل ونى
ملّ انات الهوى
ورآنا فرنـا
نحن ، انىّ نلتقي
نبعث الفقر غنى
نحبك الزهو على
راحة الوهم سنا
نحن حب ورضى
وارتقاص وغنا
ننثر الاحلام في
مجهل الليل دنى
وتلم الشعربا —
— لجفن، طيباً وجنى.

نقولا بسترس



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



اصل الموسيقى العربية

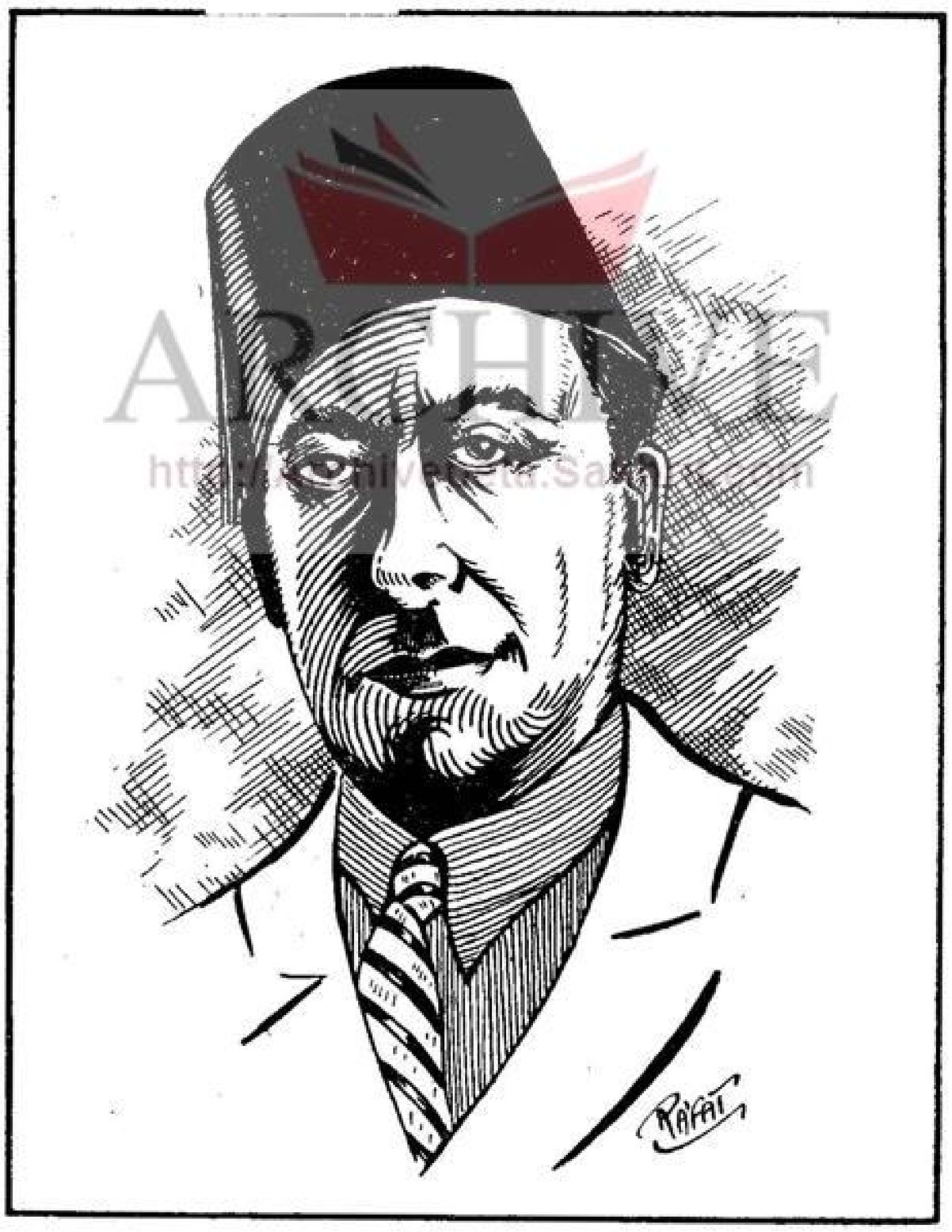
من آثار الموسيقار النابغة المرحوم اسكندر شلفون

« تتمة »

كان العرب الاولون على الفطرة شأن كل امة عند نشأتها ، لا يعرفون الشعر ، ثم ارتقت افكارهم وارتقى معها الكلام فكان السجع . والسجع هو اول فن الكلام . واول من استعمله الكهان وقد كانوا يغنونه . وكان العرب يتساجعون ويتذاكرون بالسجع ويغنونه . ونرجح ان تاريخ الغناء يبدأ من هنا . ثم ارتقت الافكار ايضاً ونطق العربي بالشعر ونشأ الدور الفني في حياته ، وكان عصر الجمال الاول .

اما الموسيقى فقد كان مكانها قبل تلك العصور مكان الكلام قبل ان يخلق الشعر ، اي لم تكن فناً بعد . حتى اذا ما خلق الشعر وامتزج بالموسيقى نشأ الدور الموسيقي الفني وابتدأت الالحان ، وكان عصر الجمال الثاني .

وقد اتفقت الروايات ، ولا ندري أهي من مصدر واحد ام من جملة مصادر ، على ان وزن الشعر في الاصل مأخوذ من سير الجمل في الصحراء ، والميزان المسمى بالرجز يوافق من حيث



المرحوم اسكندر شلفون

المفاصل خطوات الجمل ، ولذلك استعمله العرب في حث الابل على المسير وسموا ما يتغنى به الحادي من الشعر المصنوع على الميزان المذكور « حداء » وهذا هو اول ميزان عرف عند العرب .

ولما كان الشعر والموسيقى توأمين ولا يمكن ان يكون الشعر في مكان لا تكون فيه الموسيقى والعكس بالعكس ، ولما كان العرب قد نظموا الشعر قبل الاسلام بزمن بعيد ، اذن فقد غنوا ايضاً قبل الاسلام بزمن بعيد . والرجز هو اول ميزان للشعر عند العرب . وعند القوم ضربان من الرجز : المشطور والمنهوك . وهذا مثال من الرجز المشطور :

دع المطايا تنسم الجنوبا ... ان لها لنبأ عجيبا
حنينها وما اشتكت لغوبا ... يشهد ان قد فارقت حبيبا
ما حملت الا فتى كئيبا ... يسر ما اعلنت نصيبا
لو ترك الشوق لناقلوبا
اذن لاثرن بهن النيبا
ان الغريب يسعد الغريبا

فاذا ما ركبنا ناقة وسرنا بها الهوينا وتغنينا بهذا الشعر بطريقة يرسل فيها على طبيعة لفظه ومقاطعه ، اتضح لنا ان مفاصله ومقاطعه في الكلام والغناء تتفق مع خطواتها وتنطبق عليها . وهذا مثال من الرجز المنهوك :

اعطيته ما سألا
حكمه لو عدلا
قلبي به في شغل
لا مل ذاك الشغلا

وهذا الضرب الاخير يستعمل عندما تسير الابل بسرعة .

ويقابل ميزاني الرجز في سير الابل ميزان الخبب في سير الفرس اذا ركض خبباً وهو على وزن « فعلن فعلن فعلن فعلن » وهذا مثال منه :

ابكيت على طال طربا ... فشجاك واحزنك الطلل

وكان اكثر العرب قبل الاسلام من اهل البادية متفرقين قبائل وعشائر وافخاذاً وبطوناً في الحجاز ونجد واليمن وتهامة وحضرموت وعمان والاحساء والبحرين ومشارف الشام والعراق . اما المتحضرون فكانوا اقلية يسكنون المدن . ولم يكن يومئذ من المدن العامرة في جزيرة العرب غير مكة والمدينة والطائف في الحجاز وصنعاء في اليمن وبعض المزارات في اواسط الجزيرة وبعض الموانيء على الشواطيء . وكان اكثر سكان اواسط جزيرة العرب من قبائل مضر واعظمها يومئذ تميم في شرقي نجد وشماليها ، وقبائل غطفان وسليم وغيرها في نجد . وارقاها قريش في مكة . وكان من القبائل القحطانية هناك طي في نجد ، ومذحج في اطراف الحجاز ، واكثر سكانها في الشمال من بني ربيعة ومنهم بكر وتغلب في بادية العراق والجزيرة . فلغات هذه القبائل



كانت تختلف فيما بينها باختلاف اصولها ومساكنها ولهجاتها ، ويزداد الفرق بينها بازدياد البعد بينها وباختلاف ما يجاورها من غير العرب .

ويستنتج من ذلك ان الغناء عند اولئك الاقوام لم يكن جميعه بشعر من اللغة العربية الفصحى ، اي لغة قريش والقرآن الكريم ، بل كان احياناً بلغات كثيرة ولهجات عربية تختلف عنها باختلاف القبائل . على ان ذلك النوع من الشعر رغم مخالفته لقواعد اللغة الفصحى ولهجتها المعروفة قد امتاز بسذاجة رقيقة جميلة وخيال عجيب ومعنى قوي وعواطف ملتهبة تكاد تضطرم واستطيع ان اقدم المثال الآتي كأنموذج :

اللي عيونا بالدجى مقرونا في الليل لسود خاطفه لعمار
واللي خدودا شمعتين موقودا في قصر عالي طالقه النوار(١)

(١) القاف الواردة في « مقرونا » و « موقودا » و « طالقة » تلفظ همزة اي كما تلفظ الجيم العامية في مصر .

ومن اقدم انواع الغناء عند العرب الهجاء ، فكان الشاعر اذا ما هجا غنى شعره امام اهل القبيلة المجتمعين حوله . وهذا مثال :

لعمرك ما عمرو بن عمرو بماجد ولكنه كز اليدين بخيل
ينام على التقوى ويوقظه الخنا فيخبط اثناء الظلام فسول
مواعيد عمرو ترهات ووجهه على كل ما قد قلت فيه دليل

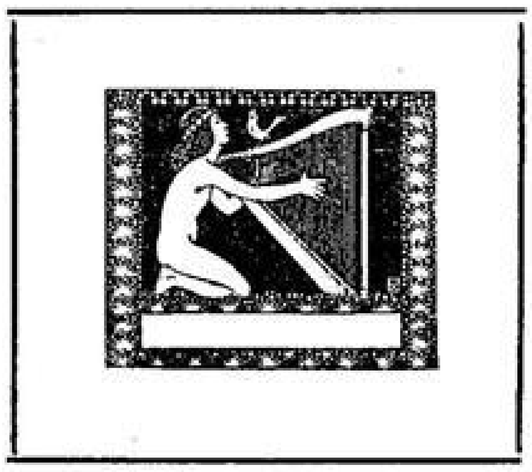
وكانت العادة عند العرب رواية الشعر ، وكان القوم كانوا يعتقدون ان لا فائدة لشعر بلا راوية . ففي الجاهلية كان الشاعر اذا نبغ استصحب رجلاً ممن امتازوا بقوة الحافظة ليعي اشعاره اولا ، ويستعين به على استظهارها اذا ما خانته الذاكرة ، ثم ليرويها له امام الناس في المفاضلات والمقارعات والمفاخرات ، ثم ليروي له اشعار غيره من الشعراء لاقامة الدليل او الشاهد . وكان الشعراء يختارون هؤلاء الرواة من الذين يتوسمون فيهم الاستعداد للشعر او ممن يكونون مرجين للشاعرية ، فكأنهم كانوا تلامذة الشعراء يتدربون على ايديهم ويأخذون عنهم .

ولما كان العرب في الجاهلية لا يكتبون فقد كان للرواة اهمية عظمى في حفظ الاشعار اذ كان الشعر في ذلك الزمن كأنه تاريخ للحوادث . وكلما كثرت محفوظات الراوية عظم شأنه . وكان اكثر الرواة ينشدون الشعر بطريقة الانشاد . وهذه الطريقة لا نظنها تختلف عن الطريقة التي ننشد بها قصائدنا اليوم ، فتكون قد وصلت الينا الطريقة المذكورة بالنقل والوراثة . ومما اسوقه تعزيزاً لنظريتي في هذا المعنى الدليل الآتي :

ان لكل لغة من لغات الامم احكاماً على موسيقاها وتأثيرات فيها . ومما لا شك فيه ان مخارج الالفاظ ونبرات المقاطع وروح اللهجة في كل لغة لها تأثيرات بليغة على نبرات الموسيقى ولهجتها . واذا كنا نرى فرقاً كبيراً بين موسيقات الامم من حيث لهجاتها ، فذلك يرجع الى الفرق الكبير في بعض الاحيان بين لهجاتها وطبيعة الفاظها . فالموسيقات الافرنجية مثلا تختلف فيما بينها من حيث اللهجة والنسيج والانشاء والتكوين . وكلما تقاربت اللغات تقاربت الموسيقات في الشرق ، فالموسيقى عند العرب والترك والفرس لا يختلف بعضها عن بعض الا بقدر اختلاف اللهجة والنسيج والصورة اللفظية ، فيما بين لغاتها .

والذي ننبه اليه بصفة خاصة هو ان الفضل في التلحين لا يرجع جميعه الى الملحن وحده بل تشاركه اللغة من طرف خفي في قسم

كبير من ذلك الفضل . والكلام له حصة كبرى في مهمة التلحين . وطبيعة الالفاظ اللفظية لها تأثير كبير في طبيعة الموسيقى والملحن الماهر من عرف كيف يستفيد من اللهجة



اللفظية ويتمشى مع الالفاظ فيعطيها ويسوقها في اللحن على طبائعها .

ابتغيت بما تقدم شرحه ان اقرر انه لا يمكن ان يكون هناك فرق بين طريقة الانشاد في العصور الجاهلية وطريقة الانشاد في العصر الحالي ، طالما ان لغتنا اليوم هي تلك اللغة الفصحى التي كان يتكلم بها أهل الجاهلية ، فلهجتنا ولهجتهم في الموسيقى واحدة ، وروح موسيقانا هي روح موسيقاهم ، وطريقة الانشاد عندهم هي طريقة الانشاد عندنا .

ومن انواع الاغاني التي اشتهرت في الجاهلية اناشيد المراثي . ولقد اختص بها جماعة كبيرة من النساء تسمى النائحات . وكان الرجال احياناً يزاحمون النساء في مهنة الندب في المناحات .

وكان ايضاً لنساء العرب في تلك العصور نوع من الاناشيد الحماسية ينشدنه في الحروب والمواقع . فقد كن يأخذن الدفوف يضربن عليها خلف الرجال ويحرضنهم على الثبات والهجوم . وهذا انموذج من تلك الاناشيد يلقى بلحن حماسي شديد :

نحن بنات طارق ... نمشي على النارق
الدر في المخانق ... والمسك في المفارق
ان تقبلوا نعانق ... او تدبروا نفارق
فراق غير وامق

ومن يقابل بين ما كانت تغنيه نساء العرب في تلك العصور البعيدة وما تتغنى به نساؤنا وبناتنا اليوم من الاغاني (الطقاطيق) الساقطة القذرة لا يلبث ان تدمع عينه حزناً وغماً .

وقد كان العرب صنفين : البدو والحضر . فالبدو وان كانوا ينشدون ويغنون في جميع الانواع ، الا ان حالتهم وانظمتهم الاجتماعية لم تكن في عصر من العصور مما يجعل للموسيقى شأناً . لذلك لم تكن عندهم من المهن التي يقبل عليها الافراد .

اما في الحضر فقد كان للعرب انظمة وتقاليد اجتماعية خاصة بهم . لذلك كان للموسيقى عندهم بعض الشأن ، مما جعل الناس يتهنونها ويتداولون الآلات الموسيقية .

وفي آخر زمن الجاهلية كانت الموسيقى في ايدي اقلية من الرجال واكثرية من النساء . فمن الرجال فريق كانت مهنته الندب في المناحات ، وفريق مهنته العزف على الآلات . وكان الفريق الاكبر فريق المغنين ، يغنون أنواع الشعر في الفخر والحماسة والمدح والهجو والرثاء والعتاب والغزل والنسيب وغير ذلك من الاغراض ، كأشعار عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة اليشكري وطرفة بن العبد وعنترة بن شداد وعبيد بن الابرص الاسدي والمهلهل بن ربيعة وزهير بن جناب والسموأل وحاتم وسواهم .

اما النساء فكانت الاكثرية منهن تمتهن الرقص والضرب على الآلات والغناء . وقد كان العرب يسمون الجارية التي تغني أمة ، والجارية التي تعزف قينة . واول من غنى من قيان العرب قينتان يقال لهما الجرادتان كانتا لمعاوية بن بكر العلقمي على عهد عاد ، لكن هذا الخبر يحتاج الى اثبات .

وهكذا استمر الحال عند العرب حتى جاء الاسلام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[٢]

الحمّام



في عاصمة « العجاج » الحمام من اشد الضروريات ولعله من بقايا الجنة المولية التي كانت هناك . وهو في بغداد القديمة عالم منفصل عن العوالم البغدادية الاخرى « كالشاي خانه » مثلا او المقهى ، واني لسوف اذهب بك الى الحمام من غير بابه الشرعي ، من باب الاتون حيث تتضطرم النيران على انواعها .

. . . وهذا سعيد تناول فأسه وتقدم على عادته في كل صبيحة، من احدى حزم الحطب وراح عبثاً يراود عقدة الحبال الحرون عن نفسها . فلما أبت الاستسلام دق عنقها بفراعته ، ومن ثم عمد الى مكنونها وانشأ يفرق بين الجزوع والاطراف ، جاعلا لكل منها مكاناً على حدة . وهكذا كان شأن بقية الحزم وبعض عقد حبالها . فتارة يعمل فأسه في الجزوع الكبيرة وطوراً يلجأ الى منجله ، فيشذب الاغصان كيما تجتاز كوة الاتون دون اي عناء او مقاومة .

وهكذا دواليك حتى منتصف الليل ، وصاحبنا يقضي العمر في « توضيب » محطب الحمام . ويزف ذخيرته الى الغرفة المجاورة حيث يتناولها عثمان بدوره ويزفها الى بيت النار .

وقد الهم الله سعيداً الصبر على مضض هذا العيش المتواتر بين حزم الحطب ووقع الفراعة وعقد الحبال وانه ليهد من عزمه ويشل في ساعده ويطفئ شعلة الحماس في سريرته ، في سبيل الحصول على اللقمة الحمراء المضرجة . اما الآمال العذاب التي كانت ، وهـذا المستقبل المتغامض فسر لا يعلم كنه الا الله .

وفي الغرفة المجاورة على بعد خطوة من كوة الاتون يربض عثمان وقد كست هيكله حمرة اللهيب واخذت ألسنة النار المتراقصة توشح سحنته بضياء سحري وهاج منير، وكأنه قد استحال صنماً متجمراً تمثلت في عضل هيكله ظلال قانية وبطاح قرمزية « نفود » هي اشبه بالبراكين . فهو ككل سكان الحمام لا يستر جسده سوى مئزر يطوف بوسطه ويعتلي اسفل بطنه ويسترسل الى ركبتيه . وكأن خطوط مئزره الحمراء قد زادت في احزام هيكله ، وقد اتم ذلك وشاح رأسه المخطط ايضاً حتى بدا صاحبنا وكأنه قد بعث من جهنم « ابي العلاء » ليؤدي في هذه الدنيا « رسالة الغفران » .

بيد ان عثمان وقد نشط الى الحركة الان ، لم يكتف بما امده به زميله سعيد من جزوع بتراء ، واغصان شحلاء فكان يعمد الى رفشه بين الآونة والاخرى ويتقدم من هرم عجرم الزيتون ويغترف من بطاحه حفنات يلقيها متوالية في جحيم الاتون .

وكأن الله قد الهم عثماناً الصبر ايضاً على مضض هذا العيش المتعاقب في سلسلة متواصلة من كوة جهنم ، والحطب حتى عجرم الزيتون فهو يهد كذلك من عزمه ويفت في ساعده ويطفئ شعلة الحماس من سريرته ، في سبيل الحصول على اللقمة المضرجة ، اما الامال العذاب التي كانت ، وهذا المستقبل المتغامض فسر لا يعلم كنه الا الله . .

في الهزيع الاخير من الليل قبل ان ينشر المؤذن عبير الايمان في سماء الفجر ، ينسل الحاج عبود من وكره الدفيء الذي كان قد اصطنعه والده خصيصاً لنفسه ، على مقربة من القاعة المتوسطة وراء « الحلة » الكبيرة التي اخذ السعير يسترجع دبيبه في مراجلها منذ برهة ببطش فأس سعيد وعراك ساعد عثمان .

وبعد ان يجلس الحاج عبود على مصطبة القاعة الوسطى ويلتحف عباءته « البصراوية » ويعمد الى سبحته وينشأ في تسبيح الله وشكره على نعمة الحياة ودوامها . يعطف على ذكر الرسول الكريم ، ويعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويتمتم قائلا : «اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ، آمين» . ومن ثم يصفق للقهوة والنرجيلة ، وينادي الغلام في طلبها :

— رشيد . . . يا ولدي رشيد . . .

رشدو . . . يا رشدو . . .

فيجيبه الغلام لفوره من داخل الحمام بصوت تفوح منه الغتة والبهجة والحبور .

— حاضر يا « عمي » حاضر . . .

وحقاً لم يكن رشيد على مقربة قط فها هوقد حضر،وانه قد تخطى الرواق يحمل الى سيده وجهه الامرد الصبوح ذا العينين الكستناتية الدعجاء والغرة المسترسلة . . ويقبض بيمناه على عنق زجيلة طهازية هيفاء من بنات الجنان، قد عبق بخورها وشع جمرها ، وصفا في قارورتها الماء . وتناول بيسراه طبق القهوة النحاسي وقد احتوى ركوة لماعة تظل كأسين لسامرين . . ها هو رشيد قد اجتاز عتبة الرواق واشاح السجف برأسه واقبل على سيده مصبحاً بشفتيه ومبتسماً بعينه . وانحنى امامه واضعاً « كل شيء » في موضعه .

لنسدل الستار هنيهة على زجيلة الحاج ولندعه يقطع شوطاً في نعيم صبيحته هذه الدافئة اللذيذ ولنعد الى الرواق المتشعب حيث يواصل فرج العبد « توضيب » المناشف والالياف والاكياس ، واضعاً بعضها على الحبال ، وطاوياً بعضها او مصنفاً بعضها الآخر في المحارب السماقية والقمار الخشبية .

ولما لم تكن هناك عين تراقبه او ترعاه فهو يسرع في حل مئزره الازرق ويستبدله بمنشفة شامية حمراء طالما استرعت اهتمامه ووقعت من قلبه موقع الرضى والامل ، وقد حانت التفاتة الى رف الفاكهة فجحظت عيناه وسال لعابه وامتد ساعده الابانوسي فاذا هو يقبض على تفاحة حمراء ايضاً وسرعان ما نهشها فحلت في معدته محل الحبور والرضى ، وسرعان ما طمس على اثرها خشية لمحة من اعين الرقباء .

وعلى بعد سبع خطوات من مناشف صاحبنا العبد ينفرج الرواق عن قاعة الحمام المستديرة الكبرى حيث ينهمك هذه الساعة ، ابو جلال في ترويج القبايب فيجمع شملها ويوحد صفوفها ويستعرضها زوجاً زوجاً كما تستعرض فيالق السلاطين ، بادئاً بالجبابرة منها العظماء ذوي الكعاب الرفيعة حتى ينتهي الى الاقزام الحفاة وقد رصفها جميعاً في الرواق « حاظ دور » غب الطلب .

ومن ثم يعمد الى الزناطيس والاباريق والحنفيات فيعالجها بالرماد وعصير الليمون فتخرج من بين يديه براقة لماعة وكأنها صيغت من ذهب الابريز . فيحمل الزناطيس ويوزعها على الاجران الرخامية الراقدة حتى اذا ما لامسها النحاس استفاقت من غفلتها ودوت اصداؤها النهوندية المتقطعة وتجاوبت في انحاء القاعة المستديرة الخالية الرطبة .

ولما لم تكن للرقيب عين هناك فقد طاف صاحبنا على الاجران ثانية يتفقد في جوارها بقايا صابون الامس ويجمعه في حفرة سرية تحت رخامة من ارض القاعة . وبعد ان يغسل اثار الجريمة بحفنة ماء يعمد الى حنفية الحلة ليستوثق من استطراد غليان الماء .

وانه لكذلك اذا بزميله ابي ظهير « الدلاك » يدخل القاعة وقد استهل الصباح بتحياته وسلاماته المزمنة فيجيبه ابو جلال باحسن منها على عادته ايضاً . ويستأنف ابو ظهير خطواته بعد ان يمكن « سير » القبقاب الجلدي من اصابعه ويتجه نحو قريبة المحطب فينحني فوقها وينادي بصوته الجهوري الخشن سعيدا وعثمان ليبثهما اشواقه وينفحهما بسلامه ويتمنى لهما صباح الخير .

ويدخل القاعة بشير الاخرس الملقب « بالحمامجي » وقد انصف الله الصدق والقول بان اقتطع من لسان بشير بعض السنتيمترات لذلك فالمسكين مرغم على ان يكتفي باشارات السلام ورموزه البكماء دون اي موسيقية او تنغيم . فينحو نحوه ابو ظهير ، وينهج نهجه ابو جلال لكن ابا ظهير لا يستطيع كبح جماح المداعبة الغليظة فسرعان ما يمتد ساعده المرماح حتى تصل كفه الغليظة الى لبدة بشير فينقر عليها «جلاقة» واحدة تتجاوب رناتها واصداؤها في قاعات الحمام وأروقته ومقاصيره وعلى الاثر يقهقه فرج كمن مسته جنة وقد أخذ منه المرح الافريقي مأخذه حتى انه ليكاد يرقص وينقلب على قفاه .

واذا بصوت سيدهم الحاج عبود يلعلع غاضباً صاخباً :

« يا فتاح يا عليم ، يا رزاق يا كريم ، اتقوا الله ! اتتصحبون بالمولدنات والمشاحنات ؟ اتقوا الله ! انا لم نستفتح بعد . »

« ابو مروان »

بقلم حليم دموس

حكم سيوفك ! ...

« عنترة »

يا جارة الوادي ! ...

« شوقي »

◆



ذلك في اواخر ايلول من عام ١٨٩٨ .

اي منذ ٤٤ سنة !

وكنت في العاشرة من عمري . في حي الميدان . في مسقط رأسي (زحلة) . وكان بيتنا الوالدي المجاور للكنيسة مبنياً من الحجر الغير المقصوب، ومن اللبن المجفف بالشمس ، وسقفه من جسور خشبية قديمة . وهواليوم على الطراز الجديد . وعلى مدخله هذا البيت :

بنوا فهدمنا كي نجدد ما بنوا وغاية هذا الكون ان يتجددا

وكان حيناً خالياً من الطرقات الحديثة فهو مجموعة ازقة ضيقة متعارضة صعبة المسالك وموحلة في فصل الشتاء . وقسم منها مرصوف بالحجارة الصغيرة الناتئة .

وكان الناس يمرون من امام بيتنا اما الى الكنيسة للصلاة، واما الى الطريق المؤدية الى الكروم وكنت تراهم عند مطالع الفجر يحملون سلال العنب والتين . وتسمعهم يتحدثون عن شؤونهم الخاصة او عن بعض المصطافين او المهاجرين القادمين من مصر او اميركا .

وكان والدي عائداً من المهجر في تلك السنة . وهو من المغرمين بنظم الزجل اللبناني يرتجله على السليقة . وله فيه جولات وعدة مقاطع يرددها بين الاهل والصحب المذة الفنية فقط . وقد نظم بعضها في الوطن . وبعضها الآخر في المهجر .

وكان كلما اراد اسماعنا قطعة من منظوماته الزجلية استهلها بابيات لعنترة العبسي مطلعها :

حكم سيوفك في رقاب العزل واذا نزلت بدار ذل فارحل

ورأى ذات يوم انني انهيت دروسي الابتدائية في مدرسة الحي فعزم على ان يدخلني (المدرسة الشرقية) المجاورة لدير مار الياس ، في اعالي (حي الراسية) .

والمرة الاولى وطئت قدماي تلك الانحاء مع والدي . وبلغنا ذلك المعهد الوطني الجديد القائم على رابية مرتفعة . وهناك قيدت اسمي . وكان رئيس (الشرقية) يومئذ المصلح العلامة بولس الكفوري .

وبعد ان ودعناه شاء والدي ان نسير من جهة الدير الى (الضفة) فوادي العرائش . ثم نعود عند العشية الى البيت سائرين على ضفاف (البردوني) الذي يخرج من جوار (قاع الريم) متكسراً بين الصخور كالسيل ، متحدراً كالجلمود ، صاخباً كالموج ، متلوياً كالحية ، ثم يشق وادي العرائش هابطاً الى غياص زحلة والمعلقة وحوش الامراء ، غاسلا دموعه بدموع (نهر الليطاني) المنساب في سهول البقاع . المتغلغل بين البساتين والمزارع والكروم ، لينصب في بحر الروم .

ولم يكن في زحلة يومئذ قهوات كبيرة متقنة كقهوات اليوم ، ولا دراجات او سيارات تكتظ بها المسالك والشوارع ، بل كان في الوادي قهوات بسيطة ، متفرقة هنا وهناك ، وهنالك . . .

وعلى الطرقات : عربات خيل قديمة وجديدة ، تسمع لدواليبها قرقعة وهديراً ، وتمر بنا يميناً ويساراً ، والغبار يعلو جانبيها وينتشر على دواليبها ، وعلى السائق ، وعلى الركاب والمارة ، فيعقد في الفضاء قباباً ، وتحسبه اعصاراً او ضباباً بل سحاباً . . .

ودخلنا (الوادي) فاذا نحن بين هبة النسيم ، وهدير النهر ، وشعشعة السواقي ، وصدى اجران الكبة يرن في جوانب الوادي بين الحور والصفصاف المتدلية اغصانه الخضراء ، كأنها تقبل عيون الماء . .

والناس حائمون حول موائد عليها العرق في اقداح وقنان وبطحات بين صحون الفاكهة وبزور النقل (الماظة) ، على كراس صغيرة مختلفة الالوان من زرقاء وحمراء وسمراء . والى جانبهم عناقيد العنب البيضاء والسوداء ، راسية في قلب الماء ، وحولها رؤوس البطيخ من حمراء وصفراء .

وهناك جماعة تسير في اطراف الوادي ذهاباً وايابا ، وجماعة تتغنى بالميجانا والعتابا ، وفتيان مفتولو السواعد ، واسعو الصدور ، عريضو الاكتاف ، يرددون بلهجتهم الزحلية وأصواتهم القوية المتهدجة نشيدهم الوطني :

(زحلة عروس مزينة . . . ومزينة برجالها ! . . .)

وما كدنا نقطع المرحلة الاخيرة ونعود أدراجنا من فم الوادي

حتى اقتربنا من مطحنة (مراد) وكانت مزدحمة بجماعة المكارين القادمين من انحاء (المتن) لمشترى الحنطة والبرغل وبعض الحبوب استعداداً للمؤنة في فصل الشتاء .

وفجأة رن في مسمعنا صوت رجل في الضفة الثانية من النهر ينشد قائلا :

حكم سيوفك في رقاب العذل ! . .

وحانت من والدي التفاتة الى جهة الصوت . فاذا المنشد صديق له حميم عاد حديثا من دار الغربة . وقد حفظ عن والدي تلك النغمة يوم كنا معاً في (بونس ايرس) عروس اميركا الجنوبية وعاصمة الجمهورية الفضية .

وكان لقاء وعناق ، وذكريات واشواق ، ووداع وفراق ! .

ومنذ تلك اللحظة ، بل في تلك الدقيقة وانا بين (الماء والخضرة والشكل الحسن) شعرت بلذة تلك النغمة العذبة ، وأحسست بميل عميق الى الشعر ، والى ترديد اغاني والدي من (معنى وزجل) ، واستظهار ابيات عنترة من (حماسة وغزل) ! .

ودخلت (الشرقية) في اوائل تشرين ١٨٩٨ وكان من اساتذتنا البحاثة المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف ، والعلامة الرياضي المعلم جرجس همام .

ووزعت عمدة المدرسة علينا عدة كتب للقراءة والاستظهار . فكان نصيبي نسخة من (مجاني الادب) للاب لويس شيخو اليسوعي .

ومن غريب الاتفاق ان قصيدة عنترة نفسها كانت من برنامج الاستظهار . فسررت بها . وتلوتها في الصف باتقان وسهولة وارتياح وبفضلها نلت جائزة النجاح .

واول ابيات حاولت نظمها وانا على مقعد المدرسة كانت على البحر (الكامل) وهو البحر الذي منه لامية عنترة (حكم سيوفك . .) ولا يزال هذا البحر اسهل الاوزان الشعرية عندي .

وكان في خزانة المرحوم حبيب غنطوس (والد صهري) عدة كراريس متسلسلة من قصة (عنترة) يحتفظ بها احتفاظه بانفس واثمن كتب عربية عنده . فطلبتها منه لمطالعتها تباعا . فحقق رغبتي واول جزء فتحته اتفاقاً لمحت فيه قصيدة (حكم سيوفك . .) مع تغيير قليل في بعض ابياتها وقوافيها ، فضلا عن وجود عدة اغلاط مطبعية فيها

وأول كتاب اشتريته من نفقاتي المدرسية الخاصة كان ديوان (عنترة) . وهو صغير الحجم مطبوع في بيروت . وعليه بيتان من الشعر للشيخ نصيف اليازجي يقول فيها :

ديوان عنترة العبسي نابغة ... في كل عصر يفوق البدو والحضرا
ان لم يكن افرس الفرسان عن ثقة ... فانه دون شك اشعر الشعرا

فسرتني هذه الشهادة الشعرية بشاعر قديم حببه الي والدي فاحببته لبطولته ورقة شعره . فهرعت الى الديوان بلهفة وشوق وفتحت باب (حرف اللام) لتكتحل عيني باول قصيدة عرفتها لبطل بني عبس وشاعرها (حكم سيوفك ! . . .)

وكم كان يخفق قلبي سروراً كلما سمعت الرواة يرددون قصة عنترة ، وكلما قرأت انها نقلت الى اشهر اللغات الحية في الشرق والغرب ، وان الشاعر اللبناني شكري غانم وضعها في باريس رواية تمثيلية بشعره الافرنسي العالي ، وامير الشعراء (شوقي) نظمها بشعره العربي الخالد ، وامير الزجل (رشيد نخله) بشعره اللبناني الرائع .

وعلمت من صاحب لي ان بعض الشركات السينمائية العربية تفكر في اخراج رواية عنترة فلماً عربياً فافرنجياً . ولا شك في انها ستختار تلك الابيات اللامية الخالدة التي لا ازال اردده بيتاً بيتاً كأنها من محفوظات اليوم .

تلك ذكريات جميلة وواقعية جرت لي وانا في العاشرة من عمري وهي لا تزال ماثلة في الخاطر ، كأنها من ذكريات امس الدابر .

ومنذ ذلك الحين بدأت انظم الشعر على السليقة قبل ان درست فن القريض . وتلقنت ابواب العروض والقوافي في (الكلية الشرقية) التي نظمت فيها اول اوزاني واوتاري ، ونظمت اول الحاني واشعاري . مر على ذلك العهد ٤٤ سنة . ولا ازال استعرض هذه الذكريات على لوحة الفكر صورة كأنها ادوار سينمائية متتابعة الحوادث متسلسلة المشاهد .

وكلما زرت مسقط رأسي (زحلة) ، سرت منزهاً الخاطر على ضفاف (البردوني) في شهر ايلول التفت بعيني وقلبي الى (الشرقية) التي نشأت فيها وترعرعت .

وكلما حانت مني التفاتة الى طريق الدير ، ثم دخلت (وادي العرائش) في عهده الجديد ومظهره العصري الحديث شعرت بحنين عميق الى وقفتي الاولى هناك مع والدي ، وتذكرت زمن الطفولة ، وعهد التلمذة الطاهر كنسيم الوادي ، الحر كطائره الشادي ، الصافي كمياه نهره ، اللذيذة كعنبه وخمره . .

وكلما سمعت على ضفاف النهر (زحلة يا دار السلام ! . .) تذكرت تلك الانشودة القديمة الاولى (زحلة عروس مزينة . .)

وكلما ترددت لشرقي اسطوانة (يا جارة الوادي) وهي من الكامل ، خفق قلبي لنغماتها ، وتذكرت اول قصيدة عربية سمعتها على ضفاف النهر في جنبات ذلك الوادي : (حكم سيوفك في رقاب ! . .)

انها القصيدة الجاهلية الاولى التي دب دبيبها في مكمن الصدر ، وأيقظت روحي لنظم الشعر ! . .

علبم دموس



الهوى الاول

بقلم صلاح الاسير

. . . ما برحت اذكر ذلك اليوم الذي لقيتها فيه للمرة الاولى وكنت بعد غلاماً لم اتجاوز الخامسة عشر ربيعا . وكنا اذ ذاك نقضي ايام الصيف في « بكفيا » ولقد حلا لي ذات يوم القيام بنزهة في الضاحية ، حيث تنعس غابات الصنوبر وتنام ، وتحلم وتورق ، فخرجت من منزلي احمل بيدي كتاب « الاساطير الاغريقية » وسرت في طريق كثير الوعورة ، تحف بي غابات الصنوبر ، الدائمة الخضرة ، حتى بلغت عين الماء ، التي يدعونها النعص وبعد ان شربت من هذه العين المباركة أخذت اجيل نظراً حائراً في هذه العوالم وأخذت أتعرف الى هذه الوجوه الكثيرة المبعثرة هنا وهنا في حديقة المقهى لعلي اجد بينها وجهاً آنس به فلم افلح وانتحيت غب ذلك زاوية هادئة وطلبت كرسيًا وطاولة وأخذت أقرأ في الكتاب الذي أحمل وقد علت وجهي حمرة باهتة، حمرة الحيرة لوجودي وحيداً في هذا الجمع اللاغط وكان عزائي الوحيد كتابي الذي كنت اصطنع القراءة فيه ، اذ لاحظت واحداً يرمقني بعينين مستفهمتين. وفجأة لمعت في خاطري فكرة ارتحت اليها فقمت وجعلت اسير بخطى متثاقلة الاعب هذا وذاك من الاطفال الذين التقيهم في طريقي مستأنساً بوجودهم وبينما انا في غمرة الحيرة التي خلقتها في نفسي هذه النزهة دون ان اصطحب معي صديقاً رأيت فتاة يدفق من وجهها بريق سحري لم اعرف له مثيلا جالسة على الارض في شيء من عدم المبالاة او كأنما هي لم تكن لتحسب ان واحداً سيعكر عليها هدوءها فأحسست انها برمت بي فغيرت وجهة سبيلي وقد عراني شعور غريب أحسه الان في نفسي، احسه في هذا الحنين الذي يسربلني اذا مرت في خاطري تلك الذكرى وجعلت اتحسس مكان قلبي لانني قرأت فيما قرأت ان لكل واحد في البشر قلباً تحت ثديه الايسر، ولمست ذلك المكان الذي كنت أعهده هادئاً وأخذت الهث وكأن صدري لم يعد بوسعه ان يسع هذا القلب الذي ما برح يخفق في شدة وعدت الى منزلي بعد ان تعثرت كثيراً اثناء سيري وبعد ان اصابتني هذه الاغصان التي تركت لنفسها حرية النمو في وجهة معاكسة بخدوش بسيطة ولم اكد اصل الى داري حتى أخذت اسئلة اخوتي تنهال علي :



— ما هذا ؟ . . عهدتك هادئاً . . . أتشاجرت مع احد ؟ . .

ما هذه الغبرة التي تعلو ركبتيك ؟ . . أخدوش ! . .

لم أجب على هذه الاسئلة ودخلت على امي وأخذت أتهادى في مشيتي وقهقهة اخوتي تجرح خاطري ولم اكد أجدها حتى ارتميت في حضنها وقلت لها اني عثرت في الطريق وكدت أسقط في الوادي فأخذت تخفف عني الخوف الذي زعمت وجوده ، وبعد ان بدلت ملابسي دخلت غرفتي وأحكمت اغلاق بابها وأحسست للمرة الاولى اضطرام نار الفتوة في دمي وذكرت كل ما وقع لي في ذلك اليوم ومر في خاطري فصل قرأته في « الاساطير

الاغريقية» فيهقصة كوبيدون الاله الجميل الذي يحمل قوساً مشدودة وسهاماً ذهبية حادة تنفذ الى قلب الكائن السعيد الذي يختاره. كوبيدون من دون الناس جميعاً ليضعه فوق البشر شعوراً وقلبا . وأشرفت على الدنيا من النافـذة ، وخطر لي وانا احدق الى السواد الذي غمر الوجود ان أعود الى الكتاب كي أقرأ فيه تلك الاسطورة ولكني فقـدت ذلك الكتاب وقبعت في سريري مصطنعاً المرض. بعدانشارفت نفسي هذا الحنان الغريب الذي تمتزج فيه الشهوة بالطهر والعطف ، هذا الحنان المبهم العميق الذي اثارته في نفسي تلك الفتاة الملائكية التي كانت فيما أحسب مماثلة لي في العمر !..

واستفقت في اليوم التالي والسواد لم ينجل بعد، مغموراً بغبطة سحرية وقلق تشيع فيه العذوبة وابست ثيابي وسرت في طريق البارحة باحثاً عن الكتاب الذي أضعته لاقرأ فيه قصة كوبيدون والشمس لم تستفق بعد من نومها العميق بعد ان ابتلعها البحر ليلاً كاملا، وشعرت ببرودة الصباح وكان النسيم المندى العابق بفوح الارض والصنوبر يلفح وجهي وهذا الجلال الهادىء لا يجرحه غير ثغاء الغنم السائرة في الشعاف



نشيطـة متوثبة يحدوها الراعي بلحن شجي ينفخه في شبابته الواسنة والاودية يغمرها ضباب رقيق محموم وكأنه قطع من الارجوان الخافق والقرى المجـاورة تستفيق خالعة مـع الطبيعة رداء الحلم والاخضرار المائج تموج عليـه الاضواء الرخية فيتبادى في ظن العين كأنـه مواكب اعراس. وهنـاك في المنحنى سرب من الفلاحات يهبطن العين في شيء كثير من الدلال الحلو وينشدن الاغاني القروية وقد خلع الصباح على وجوههن غشاوة من النشوة وغمسهن الطهر في الكوثر الرضواني الطاهر . ولقـد عراني ذهول وأخذت تتفتح لقلبي آفاق جديدة لم يكن لي بها عهد من قبل وجلست عند العين احدق الى هذه وتلك من حاملات الجرار الحمراء. ولم استفق من تلـك السكرة الحلوة الساذجة الا في الساعة التي خلت فيها العين من الصبايا فاذا هي عين مـاء فقط وما بي ظمأ الى الماء ساعتئذ .

ولست أدري اي دافع دفعني للسير في تلك الغابة متلمساً المكان الذي رأيتها



فيـه البارحـة ألبحث عن الكتاب ام للبحث عن شيء آخر هو عندي اجل من الكتاب . ومـا زلت اسير حتى بلغت المكان ولم يكن خالياً كما كان عهدنا به امس وانما كانت فيه عائلة تأكل طعام الصباح و كدت اعود من حيث اتيت لو لم أرهـا هي بنفسها مع تلك العـائلة . لم تكن تأكل وانما كانت تقرأ في كتابي انا وما زالت على جمالها بل اني رأيت فيها جمـالاً جديداً وأخذت ادور حول المكان محاولا ان لا يبصرني احـد من اهلها او من الذين عرفت انهم اهلها فيما بعد ، ورفعت عينيها وحدقت الي . اما انا فـأرسلت بصري الى السماء وسرت لا ألوي على شيء . ومـا كدت أخطو بضع خطوات حتى سمعت صوتاً ناعماً يحسر عن نغم بارع يناديني باسمي ، فوجمت وحسبت نفسي واهماً وتلفت يمنة ويسرة فألفيتها تعـدو نحوي والهواء الجري، الوقح يعبث بردائها فيعلو به الى ما فوق ركبتيها الناعمتين ويلهو بشعرها الكستناوي الفاتن واؤكد انـني في تلك اللحظـة كنت اشتري قبلة واحدة طاهرة ، من يدها ، من خدها ، من ركبتها ، بحياتي جميعها . وما كادت تصل حتى قالت لي بلهجة عذبة مرنة : « اظن ان هذا الكتاب كتابك ، فلقد رأيتك تحمله البارحة

ولقد وجدته انا عند عودتي الى البيت مطروحاً عند جذع صفصافة هرمة ، بالقرب من هذا الكوخ ، ولقد امتعني هـذا الكتاب وأراني شاكرة لك ما اوليتني دون قصد ! . »

لم أجب ، وبشيء من البداهة تقدمت منها وأخذت الكتاب وقبضت بكلتـا يدي على يدها الناعمة وسرقت من تلك اليـد قبلة ، بعد ان حاولت كثيراً التملص ، وأصبحنا بعدها صديقين لا يفترقان الا اذا سقطت العتمة وران الليل ، بل كثيراً ما كانت تجيء العتمة ونحن في الغابة ما نزال نقرأ اخبار كوبيدون مستسلمين لهواجس ساذجة .

نعمنا في ذلك الصيف بحياة جميلة وعندما حان موعد نزولنا ودعتني وداعاً حارا بعد ان وعدتني باللقاء في المدرسة وكنا قد اتفقنا على الالتحاق بمدرسة واحدة في بيروت .

هبطت بيروت وانا احسب هذه الايام الخمسة اعواماً خمسة فقصدت والدي في مكتبه وجعلت اطرى له المدرسة التي اخترتها وابي لم يكن من المؤمنين باختلاط الجنسين في المدرسة ويرى في ذلك غلواً كثيراً ولقد لاقيت صعوبة كبيرة في اقناعة وكان يؤكد لي انـني على خطأ وكاد يسألني عن الباعث الذي حدا بي الى الانتقال من اكبر جامعة في بيروت الى تلك المدرسة التي يجلس فيها الفتى بجانب الفتاة على مقاعد الدرس واخيراً ترك لي الخيار ، دخلت المعهـد فوجدت « ناديا » فيـه وكان اللقاء جميلا ، وشاءت الظروف ان اكون ونادیا في صف واحد .

مرت اعوام ثلاثة لم نفترق فيها قط ، ولقد رافق كل منا نمو الاخر واتساع عقليته ، فكنا نقضي الصيف معاً في بكفيا ونقضي بقية الفصول معاً في المدرسة ، ولكن تلك الغمرة ما برحت ان قادتنا الى تفكير صريح جري. وهذا التفكير هوالذي جعلنا نتساءل عن التدابير الواجب اتخاذها لتدوم هذه الصداقة حتى نهاية حياتنا وكان الخجل يمنع كلامنا عن الافضاء بأي شيء من هذا القبيل وكان اهلي يعلمون اني اصادق تلك الفتاة صداقة بريئة . ولهذا اخذت افكر في التحايل على هذه القيود المفروضة . وكان التفكير كثيراً ما يقودني الى اليأس واحسبها كانت تفكر مثلي وكان تفكيرها ولا ريب لا يقودها الى نتيجة مرضية نضمن بها لانفسنا حياة رغدة .



وفجأة مرضت مرضاً شديداً كاد يودي بحياتي وكانت ناديا لا تنفك عن زيارتي في كل يوم حاملة الي باقات الزهر وكانت ترمقني وانا اتلوى في السرير وفي عينيها دمعة حائرة تمنعها عن السقوط تارة باغماض عينها فيتفلت منها وتسقط ، وتارة تمسحها بمنديل ابيض كقلبها . وخطر لي اثناءها ان استثمر هذا الجو ، لخيرنا معاً وذلك في ان اعرض عليها فكرة قد ترتاح اليها هي فينتهي كل شيء . ولكن الممرضة اللعينة لم تكن لتتركنا دقيقة واحدة منفردين واخيراً ضقت ذرعاً بهذا القلق وطلبت من الممرضة الانصراف وأخذت أتحدث الى ناديا في لهجة جادة ويدها تعبث برفق بشعري المشوش .

يجب ان نفكر جدياً في امرنا سنتخرج من المدرسة بعد مروز شهرين وسأشتغل في محل ابي . يجب ان تكوني صريحة وجريئة في آن واحد . الحب نوع من الايمان يا ناديا بل الحب نفسه من اسمى درجات الايمان اعني بالحب الاستمتاع بالجمال بذاته استمتاعاً دائماً غير مشوب بغاية او بشهوة ، الاستمتاع الخالص تتصل فيه يا ناديا النفس بالشيء الجميل الذي تقدس وتتمثله ليصبح جزءاً منها وبعضها او لتصبح هي بعضه وجزءاً منه . لكل منا الحق كل الحق في ان يقرر مصيره . انا اقدر موقفك ولك ان تقدري موقفي امامنا شيء واحد . . . الزواج الزواج . . .

أصاخت ناديا لحديثي في اشفاق ورحمة وانا اندفع ثائراً وتمتمت بصوت حنون :

« سأفكر وسأجيبك غداً بجواب ترتاح نفسك اليه » .

ولقد نمت في تلك الليلة على الليل نوماً عميقاً فيه اضطراب وفيه طمأنينة منتظراً جواب ناديا ولقد أصبح الصباح وحان موعد قدومها ولكنها لم تأت ، واخذ القلق مني كل مأخذ :

يظهر انها مريضة . . .

يظهر انها لم ترتح الى الحل الذي عرضته عليها . . . ومر ثلاثة ايام ، ولم تعدني فيها ناديا والمرض يشتد علي والاطباء يطلبون مني ان أقلع عن التفكير في اي شيء . وأخذ المرض يصور لي ناديا في بهو المستشفى والاطباء يمنعونها من الدخول علي وعراني هذيان وبعد ان امضيت شهرين في المستشفى خرجت منه لاقضي في الجبل دور النقاهة .

غب مرور عامين على تلك المأساة التي انتهت غامضة ، كنت اتنزه في المكان نفسه الذي لقيت فيه ناديا للمرة الاولى وكنت احمل طعام الصباح في صحيفة بالية عتيقة وجلست في تلك الناحية ووضعت ما احمل على الارض وأخذت ألهو بقراءة هذه الصحيفة القديمة العهد بعد ان اكلت طعامي وكان في زاوية مهملة من تلك الصحيفة الخبر البسيط :

« ان فريد بك . . . غادر الثغر نهائياً الى اميركا تصحبه عقيلته وكريمته المريضة منذ اشهر ، ولقد اشار عليه الاطباء بالسفر لانه اندواء الوحيد الذي يرجى فيه الشفاء لكريمته الوحيدة » .

وبحركة عصبية أخرجت علبة الكبريت من جيبي وأشعلت الصحيفة وأخذت احدق في اللهب الاحمر الباهت وابتسمت وأخذت اقهقه كالمجنون في هدأة عاقلة ! . . .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معلومات

غريبة عن

◆ اليـابان

بقلم ابن الغرب



تروي الاساطير الشائعة عن اصل اليابانيين ان امبراطوراً صينياً اسمه سينو سكيفو استشار يوماً احد اطبائه في طريقة اكيدة لاطالة الحياة. وكانت للطبيب مطامح بعيدة فاجاب ان في اقاصي الجزر الشرقية الخالية من السكان عشبة ذات خاصة عجيبة تطيل عمر من يأكلها الى حد غير محـدود. لكن طبيعة هذه العشبة لطيفة حتى لو لمسها من فيه اقل خلل صحي لفقدت خاصتها فوزاً. فلا بـد لاستجلابها من حملة تؤلف من ثلثمئة شاب وثلثمئة فتاة اقوياء البنية يذهبون الى تلك الجزر للبحث عنها. فأمر الامبراطور حالا بتجهيز الحملة. وساربها الى اليـابان حيث اطال المكث حتى تنوسي امره. فأنشأ الدولة التي كان يحلم بها من زهرة الشبيبة الصينية.

لست ادري مبلغ هذه الاسطورة من الصحة، لكن اعتماد اليابانيين في مفاوضاتهم على المخاتلة لا الصراحة، وفي حروبهم على الخداع لا الرجولية، يلقي على الاسطورة وشاحاً من الاحتمال يقرب من اليقين.

يطلق اليابانيون على امبراطورهم لقب « ميكادو » ومعنـاه « الباب العالي ». اما ولي العهد فيقال له في لغتهم « كوتائيشي ». اما كلمة « يابان » فمعناها « ارض الشمس المشرقة ».

ومن مميزات الميكادو بين الملوك، وربما بين سائر البشر، انه يحفظ اسماء مئة واربعة وعشرين جداً من جدوده كل منهم بكر والده بدون استثناء. فهل كانت هذه السلسلة الطويلة من الاسلاف دليلا في نظر الاوربيين على نبل اليابانيين؟ ان امبراطور النمسا من سلالة هبسبرج كان يقيم حفلات رسمية في بلاطه فلا يدعو اليها الا كل نبيل قادر على الانتساب الى ١٦ جداً من ناحية ابيه ومثلهم من ناحية امه كلهم من ذوي الدم الازرق. فعلى هذه القـاعدة يجب ان يعد امبراطرة اليابان من اشرف البشر. فهل كان هذا الواقع، وهل اجدادهم عدد اسلافهم في نظر الاوربيين فتيلا؟

لا لعمري. فان تقويم غوثا السنوي المعتبر بمثابة سجل رسمي للاسر النبيلة في العالم لم يكن يضع السلالة اليابانية المالكة في جزئه الاول، بل ان ملوك اوربا لم يكونوا قبل ١٤ عاماً يكترثون للوفيات التي تقع في بلاط اليابان، فلا يبدون اسفاً ولا يلبسون حداداً على موت ميكادو او احد من ذويه. في حـين ان هـذا كان يصدر امره تطفلا بحداد بلاطه في طوكيو كلما مات سليل ملكي في اوربا. واول من عدل عن هذا الاستخفاف باليابانيين هم الانكليز اذ اعلن ملكهم حداداً رسمياً على الامبراطور يوزيهيتو المتوفى في ٢٥ كانون الاول سنة ١٩٢٧.

اما كيف تيسر لامبراطرة اليابان ان يكونوا كلهم ابكار واندادهم ولم تتخللهم في هذه الاجيال انثى واحدة تحل في البكورية محل الذكور فتعليله بسيط: ان الميكادو يقترن بنساء عديدات منهن واحدة هي الامبراطورة. ولا بد لاحدى هؤلاء الزوجات المتسابقات ان تلد صبياً فيكون هو المختار. ويتناسى والدته بتاتاً ويحصر احترامه بالامبراطورة. وهذه تبادله الحب كما لو كان ولدها الخاص. واذا ماتت بكاها كأنها امه ولا يكترث بعـد ذلك لامه الحقيقية الباقية في قيد الحياة.

وان كان هذا التدبير مستغربا فدونك ما هو اغرب منه: ان الاجانب لا يدركون مقدار تعلق اليابانيين بامبراطورهم. فكل قائد منهم ينتصر في معـركة لا يفهم لانتصاره سبباً الا فضائل الامبراطور. واذا مات جلالته انتحر عدد من كبراء البلاد جزعاً عليه. ففي ١٣ ايلول ١٩١٢ لما خرج موكب الجنازة بجثة الميكادو متسوهيتو انتحر الجنرال نوجي الذي طبق اسمه الآفاق بفتحه مدينة بورت ارثور في الحرب الروسية السابقة، وقد حز عنقه بالسيف. ولم ينتحر وحده بل رافقته زوجته بطعنة خنجر من يدها في صدرها. ولما مات الميكادو يوزيهيتو انتحر كثيرون حزناً عليه، نتذكر منهم البارون ايكادا احد اركان الجيش والحكومة. وعندما يأذن الله باسترداد وديعته من الميكادو الحالي هيروهيتو سيرافقه بالطبع الى الآخرة موكب من الكبراء الحاليين انتحاراً، ليتـابعوا خدمتهم له في العالم التالي. وليس هذا كثيراً على قوم كانوا قبل

٧٥ عاماً يعاقبون بالقتل كل من يجسر على رفع نظره الى جلالة الامبراطور .

ثم ان كل ميكادو جديد بعد الصلاة على والده ودفنه ينعم برتب عالية والقاب شريفة على الثيران التي جرت بكل فخامة وابهة مركبة النعش الكبيرة ذات الدولابين فقط في شوارع طوكيو . واذا ذكرنا ان في البلاط الياباني الى الان واحداً من اعظم رجال القصر يتقلد وظيفة « لورد في خدمة القطط » علمنا ان كل تقليد تلك المملكة للحضريين لم يحل دون استمرارها على عقليتها القديمة .

وقد رأينا اليابانيين بعد ختام حرب الصين سنة ١٨٩٥ يقيمون في عاصمتهم اثراً تذكارياً فخماً كلفهم عشرة الاف جنيه انكليزي تخليداً لذكرى الخيول الباسلة التي لقيت حتفها في ساحة القتال . كذلك رأيناهم بعد عشر سنوات اي في ربيع ١٩٠٥ يقيمون في مدينة مياجي جنازاً حافلا للجياد التي قتلت في حرب روسيا . هناك في حضرة حاكم الولاية والاركان الملكيين والعسكريين والاحبار الدينيين اقيمت الصلاة الحارة بحسب الطقسين البوذي والشنتوي لراحة نفوس تلك الخيول التي جادت بحياتها في سبيل الوطن . واعدت مقادير كثيرة من التبن الجيد والشعير البديع على هيكل كثير المعالف واسع الاطراف . ثم اعتلى القائد الكبير منبر الخطابة فعدد مناقب تلك الخيول والعدد الذي سقط منها في كل معركة . وشكر لنفوسها باسم الامبراطور والجيش والامة مساعدتها الثمينة لاخوانها البشريين في الحرب . وأكد لها بالايمان المعظمة ان اسماءها تبقى محفوظة باحترام ومحبة في كل فرقة تنتمي اليها . ثم دعا الخيول الباقية في قيد الحياة التي اشهدوها ذلك الاحتفال الى الوليمة الفاخرة فكان سرورها بها على ما نظن فوق سرورها بخطاب القائد البليغ . وأكلت بارتياح وتهامس بعضها في آذان بعض ان البشر حقاً جماعة اوفياء .

واذا كان هذا غريباً فدونكم ما هو أغرب منه ايضاً : ان الميكادو وكل واحد من ذويه لا يجوز لهم ان يموتوا الا في عاصمة البلاد وفي الغرفة الخاصة بهم من قصورهم المنيفة . واذا اتفق لاحدهم ان يلفظ انفاسه النبيلة في مكان آخر فهو عبثاً يفعل ذلك بل يعتبر باقياً في قيد الحياة على رغم انفه الكريم الى ان تعاد جثته الى المركز الصحيح الذي يليق موتها فيه . ومن هناك يذاع نعيه على العالم .

مثال ذلك ان الامبراطورة هاروكو زوجة متسوهيتو التي كانت تدخن بغليون من الفضة توفيت عام ١٩١٤ في مصيفها نومادزو فنقلت جثتها الى طوكيو كما لو كانت حية ، لان التقاليد اليابانية تصارع الموت وتدعي بتجاهلها اياه انها تصرعه . ففي نومادزو أقامت الجثة الهامدة حفلة الوداع المعتادة لاصدقائها عند انتهاء الصيف مجلسة على عرشها لاقتبال أدعية الكبراء بسلامة وصولها ، وتأكيدهم لها اغتباطهم بسرورها مدة اقامتها بينهم . ثم أجلسوها على كرسي المركبة المعدة لنقلها الى القطار الحديدي وعند وصولها قاعدة الى محطة طوكيو استقبلها عظماء الدولة بتحية الترحاب . وتقلت على هذا الشكل ايضاً الى البلاط الامبراطوري تواكبها كتائب من الفرسان والاعيان . فتقدمت وصائفها وحواشيها وحملنها جالسة على كرسي الى سريرها الوثير . حتى اذا مددت عليه نعاها النعاة للناس ونكست اعلام الحداد دلالة على الحزن والحداد .

وقد حوفظ على هذا التقليد ايضاً منذ اكثر من ثلث قرن لما مات ابن الميكادو الفيلد مارشال كيتاشيرو بالحمى في جزيرة فورموزا حيث كان قائداً لجيش الاحتلال الياباني . فقد اعيدت جثته الى طوكيو كما لو كان حيا . والاوامر العسكرية المنبئة برحيله حملت ختمه وامضاءه — او ما يشابه امضاءه — ولم تنشر الدارعة التي اقلته اعلام الحداد . بل كان الطعام يمد على مائدته الخاصة كالعادة . والتقارير العسكرية تلقى على اذنه الصماء في الصباح والمساء . وعند بلوغ الدارعة يوكوهاما قوبلت بالشريفات النظامية . ونقل الاميرالميت منها لابساً ثوب المارشال الساطع . ونقل بالقطار الحديدي في عربة ملكية . ولم ينع للناس الا في الغد قبل موعد الجنازة بساعتين .

ومما يستحق الذكر عن الحرب الاخيرة بين روسيا واليابان سنة ١٩٠٤ ان جميع ملوك اوروبا كانوا موالين للقيصر الروسي نقولا الثاني ما خلا ملكة ايطاليا مرغريتا (اصل الاسم مرغريتا لكننا نكتبه كما كانت هي تريد ان يلفظ) فهذه كان اعجابها شديداً بالميكادو ومتسوهيتو تبرق اليه مهنئة مبتهجة بكل فوز لجنوده في ساحات القتال . وهي لم تكن تفعل ذلك اعجاباً بالتمدن الذي ادخله الى بلاده كما يتبادر الى الذهن ، بل كرهاً منها للقيصر لانه كان قد خطبها مدة من ابيها امير الجبل الاسود قبل بضعة اعوام ثم فك الخطبة واقترن باميرة المانية . وقد تزوجت مرغريتا بعد ذلك بملك ايطاليا ، لكنها ظلت حاقدة علناً على خطيبها الاول الذي كفر بحسنها ولم يعرف قيمتها .

اما الادب الياباني العلمي فيختلف عن الادب المعروف عندنا . مثال ذلك ان دارسي اللغة الفرنسية منا يعرفون طبعاً الشاعر الكبير موليار الذي اسس الصدق والصراحة في السلوك وعمل على تهذيب اخلاق المتمحكين بين الناس وتنقية الاخلاق العصرية من سخافاتها .

وقد ترجمت رواياته الى جميع لغات العالم ومنها اليابانية — ومع ذلك حرّمت حكومة اليابان سنة ١٩١٠ قراءة كتب موليار بحجة انها مخالفة للاداب العامة . والحقيقة انها مخالفة لعادات اليابان المشهورة في تكريم بعضهم لبعض بالكلام الفارغ .

مثال ذلك ان رجلا منهم ضاق ذرعاً بكلب ينبح في بيت جاره ليلا، فكتب الى الجار يقول : « اسمح لي بان ارجو منك التكرم باتخاذ الوسائل الممكنة لاقناع كلبك الشريف بان يقطع صوته الرخيم وقت النوم لئلا يضطرني الى رفع يدي الحقيرة على رأسه السامي بضربة عصا مؤلمة » .

ودونكم ترجمة اعلان نشرته صبية يابانية بامضائها الصريح في احدى جرائد طوكيو : « انا فتاة جميلة وشعري الكثيف متموج كالغيم ووجهي طري نضير كزهرة الورد . وطلعتي ممشوقة كالصفصاف المستحي، وعيناي تلمعان كالهلالين في الظلام . وعندي ثروة تكفيني وزوجي طول الحياة متأملين في الازهار نهاراً وفي الاقمار ليلا ، فاذا وقعت هذه الكلمات تحت نظر شاب اديب نطيف المعشر حسن السمعة فانا اسلم حياتي اليه واستريح معه بعد الموت في ضريح من الرخام الاحمر » .

اما الاعلانات التجارية في صحف اليابان فهذا مثال منها : « عندنا ورق للرزم متين كجلد الفيل . نرسل البضائع الى عملائنا بسرعه قنبلة المدفع . الحرير والساتان في محلنا الطف من وجنة الفتاة واجمل من قوس قزح . نرتب البضائع في صناديق الشحن كما ترتب العروس خزانتها . المستخدمون في محلنا الطف من والد الفتاة التي لا دوطة لها » .

ولعل أغرب ما يجد الباحث الاجنبي في الحياة اليابانية الحاضرة من المدهشات ان يكون هذا الشعب قد بلغ من التمدن الغربي ما بلغ وهو لا يزال يهضم تلك التقاليد القديمة غير المعقولة . ولعل أقرب تفسير لذلك هو ان معلمي الامة اليابانية احكموا الفصل والتفريق بين العقليات والماديات . فأخذوا عن الافرنج كل شيء مادي اي الصناعة خصوصاً ، وصارت ايديهم تتقن ادارة الآلات المختلفة لكنهم استمروا على تأليه الامبراطور وعبادته . وقد توسلوا لذلك بتأليه الرجل على الاطلاق . فهو في بيته كل شيء، اما النساء فلسن شيئاً . وقد قرأت في مجلة « دايجست اوف ورلد ريدنج » عدد ايلول ١٩٣١ مقالا بقلم «ادجار سنو» مكاتب جريدة لندن ديلي هرالد في الشرق الاقصى يؤكد به اموراً كنت قد سمعت بها من قبل وصعب علي تصديقها . منها ان الرجل اله في بيته وان نساءه وبناته لا قيمة لهن يبيعهن ويهبهن لمن يشاء حين يشاء . وان الاعراض التي ندافع نحن العرب عنها بحياتنا لا اهمية لها البتة عند اليابانيين . وقال المستر سنو ايضا انهم قوم صادوميون وان العناية بالماديات صرفت انظارهم تماماً عن العواطف النبيلة . فهم لا يعرفون الا المكاسب ولا يرون للناس هدفاً في الحياة الا التجارة فقط . وان افكارهم لا تتعالى عن السخافات . وان هذا ما حداهم في جمرك تيانتسان منذ اربعة اعوام الى تجريد الناس من ثيابهم علانية بحجة التدقيق في التفتيش عن المهربات .

اما قامات اليابانيين فقصار حتى يلقبهم الاوربيون بالاقزام الصفر . وهم يكرهون هذا النقص فيهم ويمنعون اولادهم من قياس قاماتهم مخافة ان « يكبسوها » ويمنعوها عن الاستطالة . وقد قيل في تعليل قصرهم انهم يقعدون القرفصاء ولا يستخدمون الكراسي للجلوس . واذكر من عهدي في الولايات المتحدة انهم ابتاعوا منها لاول مرة مليون كرسي سنة ١٩٠٦ وقالت جرائدها مازحة ان القامات اليابانية ستطول قيراطين في تلك السنة .

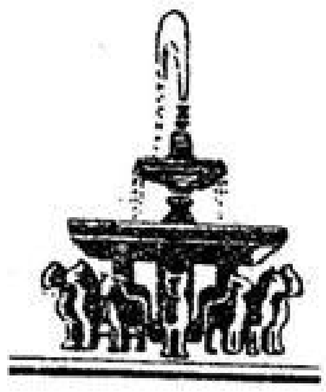
وكانت القرفصاء مألوفة في الشرق اجمع، لان هذا الجلوس دلالة على التهيب والاتضاع . وأفرط اليابانيون في هذا الخمول حتى صار من يلقي التحية منهم عليك ، يكاد يعتذر عن جسارته اليك .

وانا لا اجزم بكون الكرسي تطيل القامات ، فان العرب لم يستعملوها من قبل ولم يكونوا قصاراً . على ان اختيار الكراسي على الاطلاق فن قائم بذاته ، ومن جهل الناس لاهميته اغفلوا درسه . فالكراسي قد تكون فخمة ثمينة ولكن غير صالحة للجلوس . على ان افضلها الواسعة اللينة التي تريح كل اعضاء الجسم راحة تامة .

ومما يؤثر عن احد كبار رجال السياسة انه كان شديد العناية بامرين لا يقبل فيهما الا غاية الاتقان : الاطعمة والكراسي . والمثل السائر يقول : « اطعم الفم تستح العين » . والجالس المسرور بمقعده اللين يجيبك غالباً الى ما تريد ، ولا يسرع الى الحنق والهياج كالقاعد المتزعج .

ويقال ان الكنائس والمدارس تحتوي اليوم على اقبح ما في العالم المتمدن من المقاعد ، لان القائمين على هندستها لا يكترثون لفلسفتها . ولعل هذا من العوامل المستترة في ابعاد بعض الناس عن بيوت الله . ولو اصلحت المقاعد لاصطلحت نفوس كثيرة ودبت فيها حرارة الايمان بعد الفتور .

ابن الغرب



الذوق الفني

●

لا وجود للجمال او للقبح
كل شيء في هذه الحياة
وليد العادة
ويشتق منها
نحن نعتاد القبح
ونعتاد الجمال
فليس للقبح والجمال بعد الالفة
مقياس او فارق
والعادة
وليدة الوتيرة الواحدة
المتكررة
تدور على نفسها
وتدور
فتألف الدوران على العادة
ونألف نحن دوراتها
فكأنها مستقرة
لا تدور
لما في الترجيع من معنى الملل
وتتلم الحاسة البكر
التي تقبل على غشاوتها
طبعة الصورة الاولى
والرجفة التي لم تسجل بعد
فان هي عاودتها الصورة
وتكررت الرجفة
سقمت الطبعة
وبهت زهوها على الغشاوة
وطفق الذوق
يبحث عن الشيء الجديد
ليخرج من الوتيرة البليدة

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوطن الصغير

المنزل

المسكن للانسان اشبه شيء بملابسه، فهو يحضنه ويحافظ على صحته كالالبسة التي تلفه. وقد توخينا في هذه الكلمة الموجزة ان نعرض للقراء افضل الحالات والشروط المنزلية لصيانة الصحة وتأمين الرفاه متمنين لهم جميعاً اوفر قسط من هذه الميزات.

لكل مسكن صحي شروط اولية عامة تتعلق بالمبادىء الصحية الاساسية، فتدابير خاصة تصبح رفاهاً، ومميزات لا يطالها سوى يد الغني تصبح ترفاً يزيد في لذة الحياة لكن لا يؤثر في مبادىء الصحة والوقاية الضرورية لنمو الجسد وتنعمه.

والشرط الاهم هو موقع المسكن الذي يجب ان يتكيف باختلاف طبيعة البلاد والمناخ. وبالاجمال يجب ان يكون كل منزل بعيداً عن المصانع والاماكن التي تفسد الهواء وتنشر فيه الجراثيم والعفونة كما انه يجب ان يكون منحرفاً عن مجاري الرياح الهوجاء.

وافضل طريقة للتخلص من الرطوبة هي بناء المساكن في ارض بعيدة عن مجاري المياه واقامة الاقبية تحتها ليكون بين غرف السكن والطبقات الرطبة الكائنة في جوف الارض طبقة من الهواء تحول دون تسرب هذه الرطوبة الى اماكن السكن.

وافضل اتجاه تبنى فيه المنازل في بلادنا هو الاتجاه الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي، لان هذا الاتجاه يجعل المسكن في مأمن من حر الشمس اللاذع صيفاً ومن ريح الشمال شتاء. وعلى كل حال فان المنافذ الواسعة والمسافات المعقولة بين بناء وآخر ضرورية في الدرجة القصوى لتجديد الهواء وتجفيف الرطوبة.

ان الهواء النقي هو اول ضروريات الحياة ويجب ان يتجدد بكثرة وسخاء. وهذا لا يعني ان تجديد الهواء يجب ان يتحول الى مجرى يضر بالصحة. لكن الافضل ان تكون الغرف واسعة ذات سطوح عالية بحيث يتيسر لكل شخص مدى من الهواء يراوح بين ٣٠ و ٤٠ سنتيمتراً مكعباً على الاقل. وافضل ما يمكن المرء ان يتوق اليه من هذه الناحية هو ان ينام في غرفة مفتوحة النوافذ، على ان يكون الغطاء كثيفاً وان توضع على النوافذ ستارة رقيقة.

وافضل غرف المسكن من هذه الناحية هي الغرف التي لا تختلف فيها كثيراً درجة الحرارة عن الخارج وهذا لا يتم الا اذا كانت الجدران كثيفة وغير قابلة لامتصاص الرطوبة. ولا بد من الملاحظة بان اكثر الابنية الحديثة يعوزها هذا الشرط كما يعوزها غيره من شروط الرفاه الصحي.

واذا امكن فالاوفق المحافظة على حرارة في داخل المساكن تراوح درجتها بين ١٥ و ١٨ سنتيغراداً. وخير طريقة للتدفئة هي استعمال الحطب لان هذا النوع من الوقود يسهل تجديد الهواء. ولا يبعث غازات سامة في الغرفة كالفحم وغيره، وحرارته قوية متناسقة لا تحتاج الى عناية متواصلة كسائر انواع الوقود خصوصاً الفحم الذي لا ننصح باستعماله في غرف النوم لما قد ينتج عن غازاته السامة من الضرر والعواقب السيئة. ومن المستحسن اشعال نار قوية خارج غرف النوم فترسل اليها حرارة لطيفة متناسبة.

اما التدفئة بطريقة الغاز، وهي طريقة شائعة كثيراً في اوربا، فاننا نهمل ذكرها لانها غير متوفرة في بلادنا كما اننا نصرف النظر عن التدفئة بشعاع الكهرباء نظراً لغلاء هذه المادة في بلادنا.

وهناك ما يسمى التدفئة « المركزية » وهي عبارة عن جهاز خاص يوضع في اقبية المسكن ويوزع على جميع غرفه حرارة تنقلها مواسير خاصة يمكن تعديلها حسب المطلوب ولكن هذه الطريقة ليست في متناول جميع الطبقات فضلاً عن ان استعمالها في الوكالات المعدة للايجار لا تفي بالمطلوب لان جهاز التدفئة المركزي يشعل ويطفأ في اوقات وظروف لا تتناسب دائما وحاجة جميع السكان

واذا اردنا ان نتكلم عن التنوير فليس لدينا في هذا العصر انواع كثيرة منه لان انتشار الكهرباء قضى على سائر انواعه. ويشكو الكثيرون من نور الكهرباء خصوصاً العمال والكتاب فيقولون انه يضر بالبصر، وقد يكونون على حق في ذلك غير ان هذا النقص يمكن تلافيه باستعمال طريقة التنوير المعكوس اي بستر الاشعة الكهربائية بغشاء خفيف او توجيهها الى ناحية مقابلة ليعود النور معكوساً نحو العيون.

ومن شروط الصحة المنزلية ان تكون البيوت محتوية على اثاث ورياش يسهل تنظيفها فلا يبقى في حواشيها مجموعة من الاوساخ والغبار والمواد المضرة. لهذا يجب ان تكون المفروشات بسيطة الصنع، لا ان تكون من الزخرف والنقش والحفر بشكل يجعل منها مستودعات للاقذار. كما يحسن ان تكون زاهية الالوان جميلة المنظر رشيقة خفيفة على النقل من مكان الى آخر ليسهل تنظيفها والاعتناء بها.

واهم وسائل الصحة الانتباه التام للمطبخ وغرف الطعام التي يجب مسحها كل يوم تجنباً للغبار. ويحسن ان تمسح بين حين وحين بناء يحتوي على مادة مطهرة بنسبة خفيفة كماء « الجافيل » وغيره مما يشير به عليكم طبيبكم الخاص، وعلى كل لا يجوز ان تترك بقايا المطبخ في البيت من يوم الى يوم.



بم تتمثل الانـــــــاقة ؟

بعض النساء، وهذا البعض كثير، لا يدركن من جوهر الاناقة ولا يفهمن من معناها غير ان تسابق الواحدة اترابها في اعتناق الثوب البكر الجديد، فتعرضه للمرة الاولى في المجامع والاندية حاسبة انها حظيت باكليل الاناقة .

كلا يا سيدتي، ليست الاسبقية من موجبات الاناقة، ولا ان تصطنع السيدة والانسة الشذوذ فتنفرد بارتداء الثوب الغريب غير المألوف، حتى اذا ظهرت به حسبت ان بنات جنسها جميعا، دونها في الذوق والرشاقة والاناقة . كلا يا سيدتي، فالاناقة لا تسمح قط بالشذوذ ولا بان تجمع السيدة او الانسة من كل حدب جميع ما يخيل اليها ان الزي الحديث قد فرضه او نسي ان يفرضه . فاذا هي دمية تكاد تحتكر جميع ما في قوس قزح من الالوان، ومخازن الدنتيلا من الزخارف، وواجهات الصياغين من الحلى . فالاناقة ليست حب الاغراق ولا ان تستعير السيدة او الانسة لخدها وشفتها وظفرها حمرة الورد والتفاح والعناب . او تستعين على شعرها بالاوكسجينيه فما يلبث الذهب المزيف ان يفتضح عندما تبوح بالسر اهدابها الفاحمة . ومرة اخرى اقول : كلا يا سيدتي، ليس التصنع ولا الاغراق ولا الشذوذ ولا الاسبقية مما تفرضه الاناقة .

وكأني بك وقد عيل صبرك تتسائلين ما هي الاناقة ؟ وبم تتمثل؟ فأجيب وقد عيل صبري : انا كذلك، ان الاناقة تتلخص في امر واحد فحسب : التوفيق بين الطابع الشخصي من جهة وشتى الظروف والمناسبات من جهة اخرى .

اما بم تتمثل؟ فمن الجهل ان نزعم انها تتمثل في اللبس والتبرج فحسب . ذلك ان الاناقة وحدة لا تتجزأ، وحدة تشمل شخصية المرأة بكاملها وتتجلى في ملبسها وزينتها كما تتجلى في مشيتها وسلوكها في المجامع والاندية، في حديثها وصمتها، هدوئها وحركتها، وفي كل تصرف او بادرة منها، وكل تعبير يرتسم على وجهها . فمهما يكن للمرأة من حسن وجمال، ومهما يكن في عينيها من وميض الجاذبية، ولقامتها من هيف، وفي دماغها من ثقافة، تظل غير جديرة بلقب الانيقة، حتى توفق الى ان تسبغ التناسق والانسجام على كل ناحية من نواحي شخصيتها .

واذن فليس التصابي مما ينبغي للسيدة الرصينة، فهو كالوقار للفتاة المرحة الطبع اذ تحاول ان تكون كالتفاحة التي نضجت قبل الاوان، فلكل من الاثنتين طابع شخصي خاص بها ينبغي ان تظل في نطاقه لا تتعداه .

فهل تدرك كل سيدة وآنسة طابعها الخاص، او تحاول ان تتفقهه جيداً وتدرس مزاياه ؟ الواقع لا يؤيد ذلك . فلكم من سيدة او آنسة تخرج الى الناس وهي تود من اعماق رغبتها لو يحسبونها « مارلين ديتريش » فعلا، وهي اقرب لو رأيتها الى جوزفين بيكر . واللواتي يقترحن على الخالق كثيرات . فهناك التي لا تستحب لحاجبها الا ان يكون خطاً يتوغل حتى السالف . وهناك التي ترى اسرافاً من الخالق عز وجل في ثغرها الكبير، فتقتصد في طليه بالاحمر . وهناك التي ترى الحيف كل الحيف في قصر قامتها فتستنجد بالكعب الطويل . ولست ادري من زعم لهؤلاء ان العين الصغيرة لا يشع منها الجمال وان القبح كل القبح في الثغر العريض وان الحسن لم يكتب الا للقامة الطويلة . الا ان الجمال لابعد من ان يقف عند هذه الحدود، واكثر شمولا من ان يقتصر على حاجب او ثغر . انما هو احد مظاهر الانسجام والانسجام فيما نعلم روح الاناقة . وما دمنا في حديث الاناقة فلا تفوتني ناحية منها لم اذكرها بعد . وهي ان الاناقة على نوعين : نوع فطري يلد مع المرأة ليجعل منها مثلا اعلى في نظر الرجولة الكاملة على انه نادر . وهو على ندرته لا يكلف البصر عناء التمييز والفحص . اما النوع الثاني فهو الاناقة المكتسبة التي لا تلد مع المرأة بل تقتبسها من الحياة، على التوالي، مع ما تقتبسه من التثقيف الاجتماعي في البيت والمدرسة والمجامع والشارع . على كل، اياك واليأس اذا لم تكوني من النوع الاول . فللأناقة المكتسبة لذة خاصة هي لذة المجاهد المنتصر . فجاهدي في هذه السبيل ما شئت وعسى ان تظفري بعدها باكليل الغار .

« ايسارا »

حديث الامهات

بقلم الدكتور سري الديهه

●

ان رعاية الطفل لا تبتدي، حين تتفتح عيناه لنور هذا الوجود وتتنشق رئتاه نسمة الحياة الاولى ، بل عندما يعتمد الخطيبان على عقد الزواج . فالاطفال ملك الامة ، كما هم فلذة اكباد الوالدين، وواجب رعاية الطفل يبتدي، بالحكومات التي تسهر على مصلحة شعوبها وتوفر لهم اسباب الرفاه خصوصاً اذا كانت بلادهم كبلادنا قوام صادراتها اولئك الشبان الذين لا يخلو منهم قطر تحت الشمس. فالاجدر بأولي الامر ان يشترطوا سلامة الخطيبين من كل الامراض والعاهات التي يمكن ان تتصل بالوراثة الى النسل قبل ان يجيزوا عقد قرانهما. وللحصول على هذا سن وشرائع تسير عليها الحكومات فتدرأ بذلك خطراً عظيماً يهدد النسل .

هذه واجبات الحكومة . اما العنصر الثاني فهو الام ، تلك التي تحمل المسؤولية الكبرى والتي عليها ان تعلم ان الطبيعة اوجدتها لتكون اماً بالدرجة الاولى ، وان أقدس وأشرف واجباتها هو الامومة الصحيحة الصادقة . وتقوم هذه بالاشراف على صحة ولدها منذ تكوينه في ظلمة احشائها حتى يستقل بالاعتناء بنفسه. ولكي تتمكن من وضع هذا الاساس الصحي ، عليها ان تكون عليمة بالاساليب التي يجب اتخاذها لبلوغ الغاية المنشودة .

وكما ان الطبيب والمهندس والمحامي لا يملكون حق معاطاة مهنهم الا بعد درسها الدرس الوافي والوقوف على اسرارها ودقائقها على يد ثقاة يرجع اليهم في هذه العلوم فكذلك يجب على كل فتاة تعد نفسها للحياة الزوجية وللامومة ان تكون قد درست في المدرسة موضوع رعاية الطفل درساً وافياً يفوق درس سائر العلوم والفنون التي تعد ثانوية بالنسبة اليها . وواجبات الام تبتدي، حيث تنتهي واجبات الحكومة او رجال الدين ، اي بعد الزواج وابتداء الحمل . والزوجة الحكيمة التي يكون قد فاتها درس الامومة والعناية بالطفل وهي لم تزل تلميذة على مقاعد المدارس يمكنها ان تعتبر تسعة اشهر الحبل سنة مدرسية كاملة تكفيها للوقوف على ما يجب فهمه في هذا الموضوع الحيوي .

والعناية بصحة الجنين هي العناية بصحة الحامل ، لان الجنين جسم طفيلي يعيش ضيفاً على رحم امه اثناء الحمل يتغذى بدمها وتكفل اعضاؤها المنقية تنقية الادران التي يفرزها جسمه النحيف اثناء ذلك . وهذه العلاقة بين الجسمين تتم عن طريق الارتشاح والامتصاص بين غشاء الرحم الداخلي وبين الخلاص الذي يتصل بواسطة الحبل الصري بصرة الجنين . فكل تغيير يطرأ على دم الام يكون له تأثير على جنينها دون ان يكون لهذا حيلة في تعديله . واذا علمت الام انها بدخولها في طور الحبل اصبحت ينبوع حياة لجسد آخر ضعيف يقتضي لانمائه دم نقي مشبع بالاكسجين والمواد الحيوية ادركت اذ ذاك تضاعف المسئولية الملقاة على عاتقها .

وما الحمل بحد ذاته الا حدث فسيولوجي صرف ، اذا صادف وقوعه في جسم سليم واذا سارت الام طبقاً للتعليمات الصحية تمر به دون انزعاج يذكر . وكثير من الامهات يشعرن باسعد ايامهن الصحية اثناء الحمل . اما التغييرات الشديدة التي تطرأ على حالة الحامل بعض المرات فمسببة عن ضعف او مرض سابق تثيره التخمرات التي تحدثها تطورات المشيمة اي الخلاص وافرازات الجنين ، وما يطرأ على الجسم الاصفر والمبيض والغدد ذات الافرازات الداخلية من تطور يقتضيه نمو الجنين .

والملاحظات الاجمالية والاساسية التي تساعد على سلامة الام والجنين هي (١) الحالة النفسانية والعصبية :

للحالة النفسانية في الحبلى تأثير على صحتها وصحة جنينها . فالسرور الدائم والمرح يساعدان الجسم على اتمام وظائفه الفسيولوجية . ويجب ان يكونا سلاح المرأة اثناء حملها . فالخوف من الوضع وما يليه والسويداء، والغضب والانفعالات النفسانية على اختلافها تعوق افرازات الغدد الداخلية عن اجراء مفعولها، فيسوء الهضم والامتصاص وتسيل في الدم مواد مضرة بالجنين ترافقه الى ما بعد الولادة . اما الآلام العصبية التي تنتاب الحامل بعض الاحيان في رأسها او في بعض اعضاء جسمها فهي لا تنتج مباشرة عن الحمل . ولهذا يجب الاجتهاد للعثور على مسببات خارجية . وهذا يتم بفحص البول والدم والضغط الدموي والانف والحلق والاضراس ، وبالانتباه الى الجهاز الهضمي ومقاومة القبض المتسلط على الحامل في غالب الاحيان .

(٢) التغذية : ان الغذاء الذي تأكله الام اثناء الحمل لا يقتصر على بناء جسمها وجسم الجنين فحسب ، بل يتناول تأثيره جسم الطفل بعد الولادة ، لان جسم الجنين يذخر في داخله من الحديد والفسفور

والايودين ما يكفيه حتى يصبح قادراً على اكل الاطعمة التي تحتوي هـذه المواد . وليست العبرة في كثرة طعام الحامل ، بل في انتقاء الجنس الملائم منه ، لان ما يدخل معدة الام يتحول الى دم ومايحتويه هذا الدم من خلاصة الغذاء يبني جسم الجنين في الدرجة الاولى ، وما زاد على ذلك ينتفع به جسم امه ، فاذا حصل نقص في المواد البانية تتأثر الام منها اولا ، واذا زاد العجز يتأثر جسم الجنـين ايضاً . فالمادة الكلسية ضرورية لاجل نمو العظم وتجمد الدم ونمو الاسنان ، وتجمد الحليب في المعدة وتقلص العضلات وخصوصاً عضلات القلب . والفسفور يدخل في تركيب الخلايا وتغذية الجهاز العصبي . والحديد يمكن الدم من حمل الاوكسجين من الرئتـين الى سائر خلايا الجسم . والكلورين يتمم حيوية تلك الخلايا . والايودين تحتاجه الخلايا الدرقية وهي المسيطرة على امتصاص الاطعمة وحرق المواد اللازمة لحرارة الجسم ، وبالتالي النمو الاجمالي قبل سن المراهقة . اذن فالحامل تتغذى اولا لحفظ حالتها العمومية بصورة صحية تامة . وثانياً لتقوية العضلات التي تحتاجها لاتمام الولادة . وثالثاً للحصول على كمية من الدم كافية لحفظ حياتها بعد ما تفقد من دم المخاض . ورابعاً لبقائها قوية بعد الولادة . وخامساً لتغذية جنينها . وسادساً لتتمكن بسرعة من اعاضة ما فقدته من قوى اثناء الوضع وبعده .

من اجل كل هذا يجب ان تأكل طعامها المختار باشتهاء ولذة ، وان تحسن المضغ ، وان لا تنهك معدتها بالاكثار من الاطعمة ، خصوصاً غير المهضوم منها . وعليها ان تتجنب التوابـل والمآكل الحادقة والغنية بالمواد الدهنية ، وان تتحاشى القبض باكثارها من اكل البقول والفاكهة ، وان تتجنب المشروبات الروحية والمنبهة ، وان تكثر في الشهرين الاخيرين من تناول الحليب والبيض والبقول المورقة والبندورة ، وذلك لتطلب جسم الجنين اذ ذاك زيادة من المواد الكلسية والحديدية والفسفورية المتوفر وجودها في الاطعمة المذكورة ، لان العشر من جسم الجنين يبنى قبـل الشهر الخامس والتسعة الاعشار الباقية تبنى بعده ، ونصف وزنه يتكون في السبعة الاشهر الاولى والنصف الثاني في الشهرين الاخيرين . فـاذا سارت الحامل على نور هذه المعلومات العائدة لغذائها وغذاء جنينها تكون قد وضعت حجر الزاوية في بناء صحته في الطفولة وما يليها .

الدكتور سري الدبس

شهداء الديمقراطية المعاصرون

– تتمة الصفحة ١٦

وصلني نبأ استشهادها وانا في باريس ، وكانت اول خاطرة بدرت في ذهني هي الانتقام ، فصممت على قتل عدو ايطاليا الاكبر الدوتشي نفسه ، ولكن ما الفائدة من قتله ؟ يجب قتل الفاشستية اولا .. وكيف السبيل الى الوصول اليه والنخوم الايطالية موصدة في وجه الخوارج ، والارصاد محكمة ، والاعين مبثوثة ؟ هناك طريق واحدة هي السماء . ولسوف اركب هذه الطريق ، لا لادنس يدي بدم الدوتشي ، بل لالقي فوق سماء روما اربعة ملايين رسالة اخرى من رسائل الحرية . ولسوف تحمل كل واحدة منها هذه الكلمة بالحبر الاحمر :

« لقد استشهد ماريو فانسنجيرا وبنيتو دي غاما في سبيل تبليغ رسالة الحرية اليكم ، فحافظوا على هذه الكلمة وانشروها بين الناس حتى الموت . »

نعم لم تحلق حتى الان فوق روما طائرة عدو ، لكن لا بـأس . سأكون انا هذا الطائر الاول .

مهما يكن من الامر : موت او حياة ، فالمهم ان اقوم بالواجب الذي اشتريت نفسي له . وماذا يهمني ان يكون الخطر الاكبر في العودة من روما ، فالوصول اليها غايتي المثلى ، ولدي من الوقت ما يكفي لغمر روما بكلمات الحق والحرية قبل ان اموت . فأهلاً بروما واهلاً بالموت ، وبأسراب الدوتشي الجوية .

على انه مهما يكن من امر موتي ، ومن رأيي الخاص في هذا الموت المعجل ، فاني اراه لازماً لنجاح مهمتي نجاحاً تاماً . ان هي الا امثولة اجتماعية صغيرة يقدمها لوروي دي بوسيس في سبيل بعث الشعور في مواطنيه الايطاليين . ولكي تستطيع ايطاليا ان تتحرر من طغمة الفاشستية الى الابد لامناص من ان تقدم بعض القرابين في سبيل هذا التحرر وهذا الانعتاق .

وها انا اقدم اول ذبيحة في هذه السبيل . .

نعم ، الى روما . فبعد ان احلق فوق كورسيكا ، الى ما وراء الغيوم ، الى ما فوق ١٢٠٠ متر ، سوف اعود فأهبط الهوينا منحرفاً الى روما في ظلمة الليل كالطيف ، فأبلغها في الساعة الثامنة .

انا على يقين من ان قلم الاستخبارات قد اعد لي العدة ، وهـا ان الاوامر قد صدرت من الدوتشي قاضية باسقاط كل طائرة غريبة يشتبـه في امرها . نعم ان للدوتشي ٩٠٠ طائرة وكل واحدة منها مجهزة باحدث ما يمكن ، وجميعها تفوق طائرتي من حيث القوة او السرعة ، لكن مـا الفائدة من الحديد المأجور والاعصاب المرتزقة ؟

اما انا فطائر حر يحلق ليقول كلمته في سماء روما . ان اسطول موسوليني ينتظرني وهذا غاية ما ارجوه . لا بأس اذا قضيت نحبي ، فلعمل في موتي الخير الذي ابتغيه لامتي ، والذي لم اوفق اليه في حياتي . »

* * *

هنا تنتهي الرسالة التي خلفها الشهيد « لورو دي بوسيس » وقد عثر عليها بين اوراق صديق له من الاحرار الايطاليين الذين لجأوا الى عاصمة النور – باريس . وروت جريدة « لاسويس » التي تصدر عن مدينـة برن نبأ استشهاد المجاهد الفتي اثر عراك جوي نشب بينه وبين اسراب الطائرات الفاشستية في سماء كورسيكا ، حيث وجدوا رفات حبيبتـه الجميلة « بيكاسوس » .

رافت

الحركة الفكرية في الولايات المتحدة

يباشر قلم التحرير ابتداء من هذا الجزء من « الاديب » نشر فصول عن الحركة الفكرية في معظم اقطار العالم وقد توفرت لنا حتى الان مصادر وافية عن الحركة الفكرية في روسيا، وايطاليا، والمانيا وانكلترا ، وفرنسا ، والهند ، واسبانيا، والبرازيل ، ورومانيا ، وبلغاريا والمجر ، وسويسرا ، وبلجيكا ، وسيطالع القراء في الجزء المقبل فصلاً عن هذه الحركة في روسيا .

الحركة الفكرية في الولايات المتحدة

لثلاثين سنة خلت وجه فنويك بروكس، وكان لايزال يختبر جناحيه في الأدب، رسالة جريئة الى الناشئة يطلب فيها التحرر من ربقة التقليد. وكان الادب الاميركاني حتى ذلك الحين بمثابة اخ اصغر للأدب الانكليزي ، فراح يبحث عن غاذجه في التربة الوطنية والجو الوطني . كان يهتدي الى غاذجه في الحياة الانكليزية فأخذ يبحث عنها في الحياة الاميركانية . ولكي يصطبغ الادب الاميركاني بالصبغة الاميركانية انصرفت الناشئة الى الانعتاق من الماضي «الانكليكاني» من تأثير امرسن وفرنكلن . وكان في هذا الجحود بعض الظلم. ففي العام ١٩١٤ اصدر فرنون بارنتون مؤلفاً اثبت فيه ضرورة استئناف ذلك الماضي، بل اثبت فيه انه ليس بالامكان القضاء عليه لانه اصبح جزءاً من الحياة الاميركانية . ومنذ ذلك الحين والكتاب الاميركان يقطعون الدليل على انهم لم يستطيعوا التحرر من النفوذ الاوربي ، فكيلن ، ودون بيرن، وفرجينيا وولف، وألدوس هكسلي ، ونويل كوروود، وجويس يحتلون اظهر مكان من تفكير الادباء الاميركان ولهم في الولايات المتحدة من القراء اكثر مما لهم في بلادهم نفسها . فالاتصال بين انكلترا التي تكتب واميركا التي تقرأ، من القوة بحيث يصعب التمييز بين كتاب اللغة الانكليزية في العالمين القديم والجديد .

اما تأثير الادب الفرنسي في الادب الاميركاني فلا يقبل جدلا . فأناتول فرانس مثلاً ما يزال الى اليوم نموذجاً للتهكم وللذوق الادبي في نظر الشطر الاكبر ممن يكتبون في العالم الجديد ولكن تأثير زولا كان اعمق وأوسع نطاقاً من تأثير اناتول فرانس . وقد يكون السبب في ذلك راجعاً الى اعراف الانسانية التي تفوح من صفحات هذا الكاتب . وما يقال عن زولا وفرانس يقال عن موباسان وبودلير واندره جيد وبروست وبرغسن .

وقد لا يقل تأثير تولستوي ودوستويفسكي وغوركي في الروح الاميركانية عن تأثير هؤلاء الادباء الفرنسيين . ولكان عجيباً ان لا يلمس أثر المستنيرين الاجانب في شعب الولايات المتحدة ، في ذلك الخليط من الاجناس البشرية .

القصصيون

قلنا ان زولا من غاذج الادباء الاميركان ، ومن تلاميذ زولا القصصي آبتن سنكلر، فقد استهل عهده الادبي باخراج صورة صادقة عن الحياة الاميركانية : عن حياة المدن والمناجم ، والمصانع والشركات الكبرى وغيرها من النشاط الاميركاني . سوى ان الجواذب السياسية صرفته عن القصة قبل ان يكتمل فنه . وقد يكون تيودور درايزر ابر منه بروح زولا ، فقد صور خلائق غريزية عاجزة عن قمع شهواتها ولا تستطيع النمو من تلقائها . ومن غير ان تخالجه اية فكرة



القصصي الاميركي سنكلير لويس احد حائزي جائزة نوبل العالمية في الادب

سياسية صور بعض طبقات الشعب الاميركاني الفقيرة والعاملة منها بوجه خاص . وما عجز عنه دريزر قدر عليه شروود اندرسن راوي قصص الباثسين وقاطني تلك المدن الصغيرة من مجاهل اميركا، تلك البقاع النائية التي تكشف لنا عن عالم اميركي يجهل وجوده حتى السياح وحتى الاميركان انفسهم .

وقد يكون هيمنغوي اصدق من يمثل ذلك الجيل الذي فتح في القصة فتحاً امكنه من ناصية الفن . فقد عاش في فرنسا زمناً طويلا وساهم في الحرب ، وأشرب روح فلوبير واسلوبه . فهو مستقيم الانشاء حسن الذوق مشبع القلب بحب البقاع المشرقة . وقد اخذ اخيراً يجواذب السماء الافريقية، ثم تحول الى اسبانيا ، اسبانيا الدم والشهوة والموت !

ومن اسياد القصة في العالم الجديد جمس برانش كابيل الذي حاول الانعتاق من الواقع وبناء عالم خيالي في قصته « جورجن » التي قال عنها النقاد الاميركان عند صدورها في العام ١٩١٩ انها اول قصة اميركانية « متمدنة » وجمس كابيل اشد تعشقاً للتعابير التلميحية الفائقة من ان تذيع له شهرة عريضة في طبقة الدهماء، واكثر تشيعاً لاساليب ذوي الابراج العاجية المكللة بغيوم دقيقة الالوان من ان يكثر اشياعه في طبقة العامة .

اما سنكلر لويس الذي كان اول اديب نال جائزة نوبل فهو مصور وفي صادق للحياة في بلاده . وقد نلمس في ادبه تأثير فلوبير وويلز في آن واحد . فبطلة قصته « الجادة الكبرى » اشبه ماتكون بمدام بوفاري، وفي السنوات الاخيرة اقتحم القصة السياسية فصور اميركا كما يمكن ان تكون في ظل نظام ديكتاتوري، فلم تلق قصته النجاح الذي كان ينشده لها . وصفوة القول ان واقعية لويس تدرجه في عداد اصدق شهود هذا العصر .

وللقصة الاقليمية ابطالها في الولايات المتحدة، فالانتاج الادبي لم يبق منحصراً في تلك البقعة الضيقة الواقعة بين بوستن وفيلادلفيا ، فقد عكفت اميركا على ماضيها وشعرت في الوقت نفسه بعظم مداها وتنوعه وما يزال ادباؤها منذ ثلاثين سنة يصورون اقاليمهم في حاضرها وماضيها . فقد حدثتنا ويلا كاثرس عن انكسار اولئك المغامرين الذين اسسوا غربي اميركا وعن زوالهم التدريجي، وصورت لنا جرترود اثرتون حياة كليفورنيا بأساوبها الواقعي الصارم . ودرس ستريبلن تطور الاقليم الجنوبي منذ الحرب الاهلية الى يومنا هذا فوصف حياة عائلة اجتازت مرحلة الزراعة الى المرحلة الصناعية . وهذا الاقليم في صور الكاتب مجرد من اي جاذب رومانطيقي ، فهو فقير كالح ، عرضة للمنازعات ولتصادم الاجناس . اما في صور الكاتبة مرغريت ميتشل واتلنتا، فهو مشرق مستنير . احيت هذه القصاصة اساطير المزارع قبل الحرب الاهلية في جو مفعم بالجمال والعذوبة . وأجلى مظهر من مظاهر تفوقها في هذا المضمار نفاد اربعماية الف نسخة من احدى قصصها في ثلاثة اشهر . ولا بد لنا ان نذكر ليس كتاب القصص البوليسية التجارية التي تطبع بمئات الالوف بل كتاب قصص المغامرات التي لا تخلو من تخيلات لها خطرها في اسلوب ادبي بليغ . وفي طليعة هؤلاء القصاصين هرفي الن، والن ويت، وساباتيني، وجمس نورمن هل ، وغيرهم .

المسرح

ومر بالولايات المتحدة زمن خشي فيه من السينما على المسرح ، ولكن الحال ما لبثت ان تبدلت في العشر السنوات الاخيرة . ففيما برودوي تتردد في اخراج مسرحيات غير مضمونة النجاح كانت مسارح الهواة ماضية في الازدياد . وقد بدأت هذه الحركة في مصيف « كاب كود » ثم انتشرت في جميع انحاء البلاد . وكان للحكومة يد بيضاء فأنشأت مسرح « فدرال تياتر » وراحت تشجع على التأليف المسرحي الكتاب الذين لا امل لهم في مسارح برودوي . وسرعان ما أخذ الجمهور يميل الى المسرح تعباً من الكليشيهات السينمائية .

الشعراء

والغريب في الولايات المتحدة ان نمو الحركة الصناعية لم يثبط امال الشعراء . ففي منتصف القرن التاسع عشر كان الشعراء الاميركان يعدون بالعشرات ولا يزالون كذلك . وفي مقدمة النابغين منهم روبرت فروست ، الشاعر الصارم الذي يستأنف تقاليد انكلترا الجديدة ، وادوارد ارلنتون روبنسن ، واليوت ، وفاشيل لندسي وكارل سامنبورغ . وهذا الاخير شاعر طواف يتنقل من مدينة الى مدينة ، كالشعراء « التروبادور » في القرون الوسطى فينشد قصائده على المسارح وكلها وحي المناجم والغابات . وازرا بوند وهو شاعر مكتمل الفن يعيش من زمن طويل في اوربا . وستيفن فنسان بنيت الذي احتل قمة الشاعرية في ملحمته عن الحرب الاهلية .

ومعظم هؤلاء الشعراء يتخذون الشعر كملجأ ينعتقون فيه من حياة المادة الصاخبة التي تكتنفهم ، او كاحتجاج على العالم الذي يعيشون فيه . وليصعب كثيراً تحديد مدارس او نظريات شعرية في هذا الشطر من العالم الجديد .

وصفوة القول ان ادباء الولايات المتحدة يقومون بجهد محمود لخلق ادب قومي جليل . ومن غرائب هذه الحركة الادبية ذلك الانفصال ، بل ذلك الطلاق القائم بين الادب والحياة السطحية في اميركا الشمالية فتجاه التفاؤل بالحاضر والثقة المطلقة بالمستقبل يقف ادب قوي الشكيمة لا ينسجم مع الوسط ولا يمت اليه بصلة . وهكذا نرى الادباء او معظمهم على الاقل ينسبون انفسهم ، مع ما اوتوه من الرواج العظيم ، الى جيل غير جيلهم . وقد يكون السبب في هذا عائداً الى كون الاديب في الولايات المتحدة لا يقسط له في الرواج والاقبال الا اذا سجن نفسه في نتاجه ، فهو مضطر الى ان يجتر في جميع مؤلفاته ، ولكن بشكل مختلف ، ما قاله في المؤلف الذي اذاع شهرته . وقليل من الادباء الاميركان من يستطيع التملص من هذه الشهوة الجائرة في الجمهور ومن فروض الناشرين الذين لا هم لهم - مع كرمهم - الا استثمار عروق الكتاب . واقل منهم من يستطيع الصمود لـ « طابيات » هوليوود ولسحر الخرد الغيد من فردوس السينما .

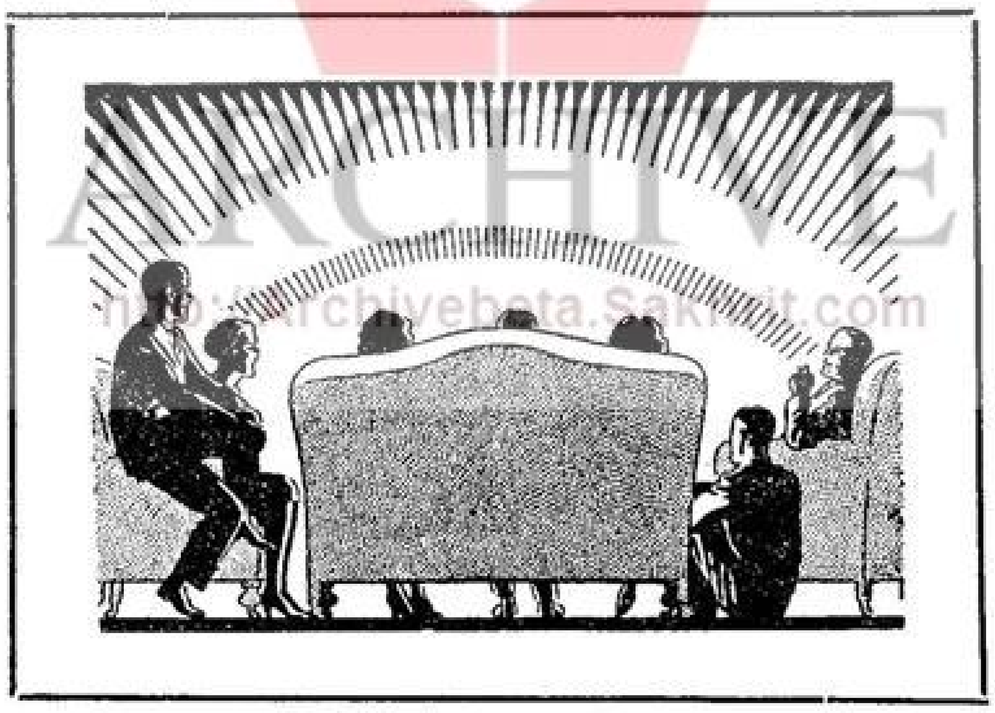
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طبيب العائلة



حدثتكم في الجزء الماضي عن وجوب اختيار طبيب للعائلة يعتمد على آرائه الصحية، في حالة الصحة ، وعلى معارفه الطبية او معارف من يشير بهم من الاطباء في حالة المرض ، وعن بعض الواجبات المفروضة على ذلك الطبيب مبتدئاً بالسهر على صحة المنزل ، ثم بالفحص الطبي في حالة الصحة، منوهاً بالارشادات الصحية التي يمكن هذا الفحص من اسدائها منعاً لحدوث بعض الامراض وتحاشياً لتفاقم بعضها . فالمعت الى المعالجة الناجعة التي يمكن ان يؤخذ بها التدرن في بدايته ، والى وقاية الكثيرين من شر المرض السكري ان لم يمكن اجتنابه بصورة قطعية . وسأستأنف البحث الآن بالاسهاب في بيان منافع الفحص في حالة الصحة :

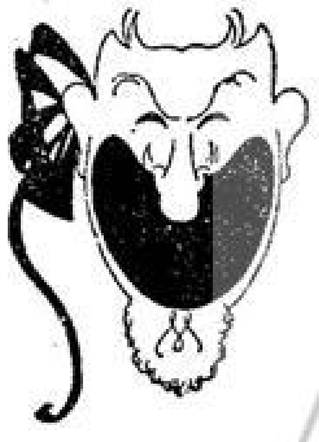
كثيراً مايرد في المباحث الطبية ذكر حملة جراثيم يمرحون بين الاصحاء وينشرون الامراض دون علم منهم، ومن هذه الامراض التيفوئيد والدوسنطاريا الاميبية ، وهذه الاخيرة يعم انتشارها بين اكثر من خمسين بالمائة من سكان العالم . واكثر من خمسين بالمائة من هذه الاصابات انما ينشرها حملة الجراثيم . فلو كان هؤلاء يذعنون لرقابة طبيب عائلة يلجأ بين الاونة والاخرى الى الكشف عن حملة الجراثيم لكفى الناس شرهم ، وربما انزل العدوى الى نصف نسبتها الحالية . ولا يقتصر هذا الفحص الطبي على اجتناب كثير من الامراض ، بل يتعداه الى اجتناب كثير من حوادث الوفيات الفجائية، اذ كثيراً ما ينتشر خبر وفاة احدهم وربما من الفتيان ، وقد كان منذ لحظات تتدفق منه الحياة وليس عليه اية ظاهرة من ظواهر المرض او بادرة عياء او ملامح سقم . فهذه المظاهر الصحية التي تبدو للناس هي خداعة ، وهذه الحياة المتوهجة ليست الا سراباً تختبئ تحته احد الامراض القلبية او امراض الاوعية الدموية التي قد ينبعث عنها اعراض مزعجة تحمل صاحبها على مراجعة الطبيب او اتخاذ بعض الاحتياطات التي تمنع مثل هذه المفاجآت، بل بالعكس ان ظاهرها يدل في الغالب على الصحة ، من حيث تورد الخدين ووفرة السمنة وشدة الشهية . واذا شكى احدهم بعض العياء من السير نسبة لازدياد وزنه، او اثراً من الصداع نسبة لكثرة الاكل ، دون الاهابة به الى مايوجب استشارة الطبيب او الاحتياط اللازم ، وهكذا يستمر في اعماله اليومية كسائر الناس حتى يقف قلبه عن الحركة ، فقد ينفجر احد الاوعية الدموية نتيجة ضغط شديد انتجته مائدة شهية او غضبة قوية . فلو كان هذا الرجل يرضخ لرقابة طبيب تحت اشراف طبيب العائلة الذي يراجع الفحص في حالة الصحة ويختلي به في حياته العادية ، لكان على علم بما فيه من داء خفي ولكان بوسعه اخذ الاحتياطات الواجبة ليعيش اطول عمراً ويتقي شر الموت الفجائي . وهكذا قل عن الشلل الذي يفاجيء بعض الناس دون سابق انذار ويكون منشاؤه ضغط دم مزمن قد رافق الشخص سنوات طويلة دون ان يعلم بوجوده . وما يقال عن هذا يقال عن شلل الاطفال، ذلك الذي ينتج عن حمى لا تلازم الطفل سوى يومين او ثلاثة ايام ، وربما مرت دون ان تسترعي انتباه الام او المربية ، خصوصاً اذا صادف وقوعها ابان حدوث بعض الحميات الخفيفة كالضنك والكريب وغيرهما . وبعد وقت قصير يشاهدان الطفل يعرج ، او يجر الرجل في مشيه ، او اثناء حبوه اذا كان لما يمش بعد . وهذا ايضاً تهمله الامهات او تعتبره ناتجاً عن صدع او رضة و ما شا كل ، وغالباً ما تتولى امر معالجته الجارات او الخبيرات من الامهات والجدات ، فيستعملن من اجل ذلك مختلف « اللزق » والمراهم المنزلية والتنطيل والتمسيد والتكبيس وما اليها ، مما ساقته اليهن العادات والتجارب، ولا ينتهين من هذه التجارب الا بعد فوات الاوان وموت الاعصاب التي تأثرت من مكروب تلك الحمى القصيرة . وهكذا يقضى على



هذا الطفل البريء ان يظل حاملا ذلك الشلل طيلة حياته . وكم من البالغين اليوم الذين يحملون وزر هذا الخطأ الفادح الذي لو تدورك في وقته وجيء بالطفل الى الطبيب قبل موت اعصابه ، لسلم الطفل من تشويه يرافقه طول ايام حياته . ومع هذا لا لوم على الام او المربية في ذلك ، ولا على الاطباء الذين يعرض عليهم المصابون بعد فوات الاوان ، انما يقع اللوم على العائلة التي لاتسترشد بأراء الطبيب ، اي طبيب العائلة الذي يسهر عليها ، وبهذا فقط يعلم ذلك الطبيب المسؤول الملازم ان الشلل ناتج عن الحمى البسيطة وان معالجته تتم قبل فوات وقت معلوم ، فتكون نتيجة الشفاء مقررة ، وهذا من منافع الفحص الطبي في حالة الصحة الذي يجب ان تحول نحوه الانظار .

لقد ترقت هذه الفكرة في الولايات الاميركية المتحدة ، فانشأت من اجل ذلك مؤسسات خاصة تدعى مغاهد تمديد الحياة وهي تقوم على اساس ما ذكر سابقاً من تجهيز المؤسسة بالاطباء ذوي الاختصاص ، ومختبر كامل باجهزة التصوير الكهربائي والاشعة المجهولة وما وصل اليه الترقي العلمي ، يضاف الى ذلك سجلات واضبارات متنوعة ، فيشترك الناس في هذه المؤسسة لقاء رسم معلوم ، ويتقدمون باوقات معينة من السنة لاجراء الفحص الكامل ، وما امكن من التحاليل والفحوص الكيماوية والتصوير اللازم ، وجميعها تسجل في السجل الخاص ، ويعطى لكل من المشتركين صورة يحفظها ، ليقدمها الى الاطباء الذين يتولون معالجته . يضاف الى نتائج هذه الفحوص الارشادات الطبية والصحية . ويقدر العارفون ان معدل سني الحياة تزداد بذلك من العشرين الى الثلاثين بالمائة ، ويدهش المطلع على الاحصاءآت التي تصدر عن هذه المؤسسات كل عام ، والتي يعلن فيها عدد الامراض القلبية وامراض التدون وامراض الكبد وامراض الدوسنطارا الاميبية المزمنة وامراض السكري ، وامراض الصمم الجزئي وامراض الاوعية الدموية ، وامراض الضغط ، وغيرها من الخفايا التي يظهرها هذا المختبر ، من امراض واملاح وحوامض ورمل وسواها ، الناتجة عن عدم تناسب المواد في الدم ، وكل ذلك في اشخاص لا علم لهم بوجودها في اجسامهم بتاتاً ، وكانوا يعيشون قبل ذلك دون اي حذر او انتباه ، وكانوا يمشون نحو استعصاء الداء او الموت المحتم ، لولا الارشادات التي استقوها من تلك المؤسسات والتي يعملون اليوم بها سعداء آمنين على حياتهم . ولعل البعض يحتج بان هذه الاكتشافات كما يسمونها هي مما يشغل بال الانسان ويخلق في رأسه وساوس هو في غنى عنها . فهذا كلام مردود اصلاً ، وما كنت لاذكره لولا كثرة الاشخاص الذين يبطرون في حالة الصحة الظاهرة ، ولا يريدون ان يكلفوا انفسهم عناء بعض الحمية وبعض الدراية ، ويجرون وراءهم كثيراً من الناس الذين يصغون الى آرائهم فتكون نتيجة ذلك آلاماً مبرحة لا تنفع فيها العقاقير ، واخطاراً محدقة لا حيلة في اتقائها . فمن واجب الحكيم العاقل ان يتدارك الامر قبل استفحال الخطر وقبل العجز عن رد ما فات . وما هذه الاجسام الا وديعة الخالق عند ابنائه ، فعليهم الاحتفاظ بها سليمة قبل ان يدب فيها العطب .

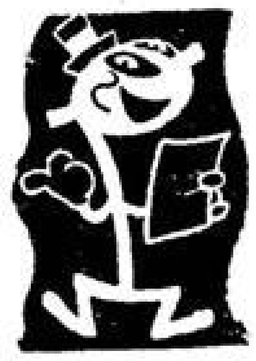
طبيب المجلة



المسابقة المرغوبة

كانت لجنة « حياة الطلبة » في الجامعة الاميركية في بيروت قد اعلنت عن مسابقة بين الادباء والمؤلفين لتأليف رواية مسرحية وحددت آخر موعد لتقديمها في ٣١ تشرين الاول سنة ١٩٤١ ، ولما كانت الروايات التي قدمت حتى الان لا تفي بالغرض المطلوب رأت الادارة استناداً للبند الثالث عشر من شروط المسابقة التي نشرتها الصحف ان تبقى المسابقة مفتوحة للجميع ويكون آخر موعد لقبول الروايات في ٣١ ايار سنة ١٩٤٢ فعلى من لم يطلع على شروط هذه المسابقة من راغبي الاشتراك فيها أن يطلب نسخة من الشروط من ادارة «وست هول» في الجامعة الاميركية في بيروت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



السيطرة

بقلم الياس ابو شبكة

●

قيل ان يوليوس قيصر كان يجتاز يوماً احدى قرى الالب وكانت القرية تنتخب شيخها في هياج عظيم ، فقال له رجاله مستغربين : «ايتنازعون على السيادة حتى في هذه القرية الصغيرة ؟» فاجاب القيصر « اني اؤثر ان اكون الاول في هذه القرية الصغيرة على ان اكون الثاني في روما . » والواقع ان الانسان يشخص بطبيعته الى الرفعة والجاه، وتدفعه محبة الذات الى ان يكون الاول في كل مكان . على ان من الناس من لا يكاد يحصل على هذه الاولية حتى يخيل اليه انه من طينة اطهر واسمى ، ولا يلبث ان تدفعه كبرياؤه الى الاعتقاد بانه اكبر واعظم من اخوته فيربط على جباههم نير فقرهم وآلامهم ، ويرون جلاداً ظالماً حيث يريد الله ان يروا اخاً راحماً .

قال يشوع بن سيراخ : « لا تجلس متكبراً عن يمينك لئلا يطمع في كرسيك، ولا تعطه السلطة لئلا يقلبك ويقيم في مكانك . » فالمتكبر يهين السلطة ويعرّضها ولا تلبث ان تنقلب بين يديه الى سيطرة مرهقة . واذا جرؤ صوت على تذكيره بان السلطة لم توكل اليه الا لخدمة المجموع اتهم هذا الصوت بالعصيان والعداء للنظام ، وخنق بفظاظة . ولكن الطاغية لا يجد حوله في الكثير الغالب الا جبناء متسكعين ، او معفرين متملقين . ذلك ان الطغيان يفسد المسيطر والمسيطر عليه في آن واحد . ولم اجد في وصفها ابلغ من قول خليل مطران في « نيرون » .

قزمة هم رفعوه عالياً ... وجثوا بين يديه فاشمخرا
منحوه من قواهم ما به ... صار طاغوتاً عليهم او اضرا
مدّ في الآفاق ظلاً جائلاً ... هو ظل الموت او اعدى واضرى
متلفاً الزرع والضرع معاً ... تاركاً في اثره المعمور قفرا

وقد لا يجهل الطاغية ما يضمر له الغد فيلجأ الى الحيلة او الى القوة ، الى الحيلة التي تفضي الى الكذب والنفاق والتهويل والخيانة ، والى القوة التي يجعلها حقاً ويجلسها على قواعد فلسفية ودينية فتمسي وهي من آداب الكواسر البشرية . وقد يبدأ مذهب القوة بسلوك طريق الاستقامة ولكنه يواصل سيره في الاطماع والجشع وينتهي الى الظلم والجريمة . وسرعان ما يحول الصالحين الى مواش هالكة ، الى قطعان من الوحوش . ذلك ان العنف الذي لا ينطوي الا على قوة تخريبية متفجرة ينقلب بسرعة على نفسه كشظايا قنبلة يرميها فوضوي متطرف فتطرحه على صعيد الشارع أولى ضحايا حقده الاعمى ! . . .

« لا اجد بداً من الاعتراف قبل الموت بأني احتقر الامة الاطاعة لحاقرها المتناهية والتي افضل من الانتساب اليها »

شوبنهور

ورب قائل ان شر الطاغية الى حين وان من الشعوب ما يحتاج الى مسيطر ليستقيم امره ، وهذا خطأ . فعدوى فساد المسيطر تنتقل حتماً الى ضحاياه ، وتصبح غريزة يصعب استئصالها . واذا كانت السلطة الدكتاتورية احسنت الى الجمهورية الرومانية ولم تسىء اليها فلأن هذه السلطة التي كانت تُستمد من الاقتراع العام كانت عاجزة عن الاتيان بامر ينتزع من الدولة حقوقها كازالة سلطة مجلس الشيوخ او سلطة الشعب مثلا ، او كهدم الانظمة القديمة واحلال انظمة جديدة محلها ، هذا الى ان المسيطر الروماني كان

ينتخب لزمن وليس لمدى الحياة ، كان ينتخب لمداواة العلة وليس للقضاء على الدستور . اما المسيطر النازي فليس كذلك ، فقد هدم كل شيء .

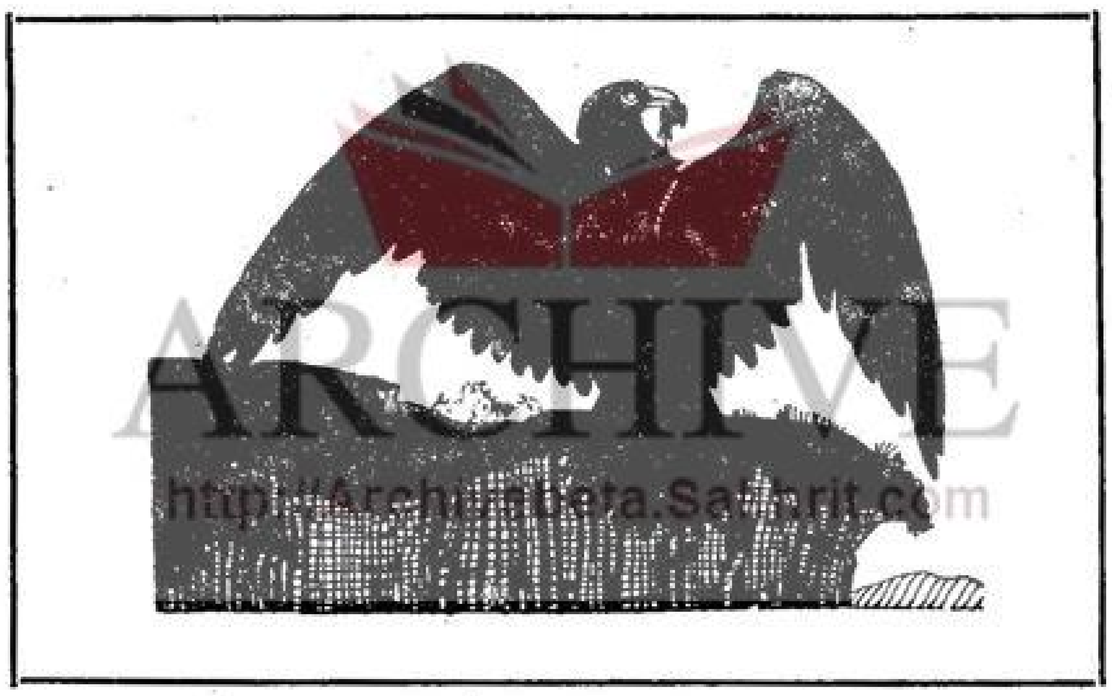
لنفرض ان هتلر زال من الوجود .. او لنفرض انه ادرك النصر وبسط السيطرة الجرمانية على اوربا او على العالم وراح يحقق التنظيم الذي يتراءى له في مخه ، فماذا يكون ؟ ابالامكان فرض المبادىء النازية على سائر الشعوب ، ومن هذه المبادىء ما جاء في كتاب « كفاحي » : « ان الفكرة القائلة بان للشخصية البشرية الحق في احترام حريتها و كرامتها لم تثمر الا كوارث ونكبات فيجب القضاء عليها ؟ » ولنفرض ان هتلر اراد العدول عن تعاليمه الجرمانية المخيفة على انها ضرورة اوجبتها الدعاية لزمن ، فهل بالامكان انتزاع هذه التعاليم من الشباب وقد رضعها مع الحليب وأشربها في قلبه وروحه ؟

كانت السياسة الدولية تعيش فيما مضى بغنى عن مساعدة تأتيها من عالم الفكر ، ولم يكن الملوك والامراء في حاجة الى المثقفين لتأييدهم في الحروب التي يشهرونها او المواثيق التي يعقدونها ، اما اليوم فكل تبدل في العلائق السياسية بين بلدين يجب ان يقترن بتبدل في العلائق بين ممثليها الثقافيين . فهل بالامكان التوفيق بين مفكري الشباب سواء في الغرب او في الشرق ومفكري الشباب النازي القائل بلسان احد اقطابه : « يجب على العالم ان يعلم ان الشعب الالماني حاد نهائياً عن طريق الحضارة الغربية ، و كما قضينا على حضارة الشرق سنقضي على حضارة الغرب ؟ » وقد قالها الدكتور هوبت في العاشر من ايلول ١٩٣٣ في حفلة ضمت اربعة آلاف معلم . وهل بالامكان التوفيق بين رجال الفن سواء في اوربا او في الشرق ورجال الفن في الريخ الهتاري وقد تمشوا منذ خمس عشرة سنة على منهاج تنص احدى مواده على انه لا ينبغي ان يكون في الريخ مصور او موسيقي او شاعر يبدع لاجل هدف غير الامة و كل من يتعاطى الفن ولا يتقيد بهذا الواجب الوطني يلاحق كعدو للوطن ؟ » .

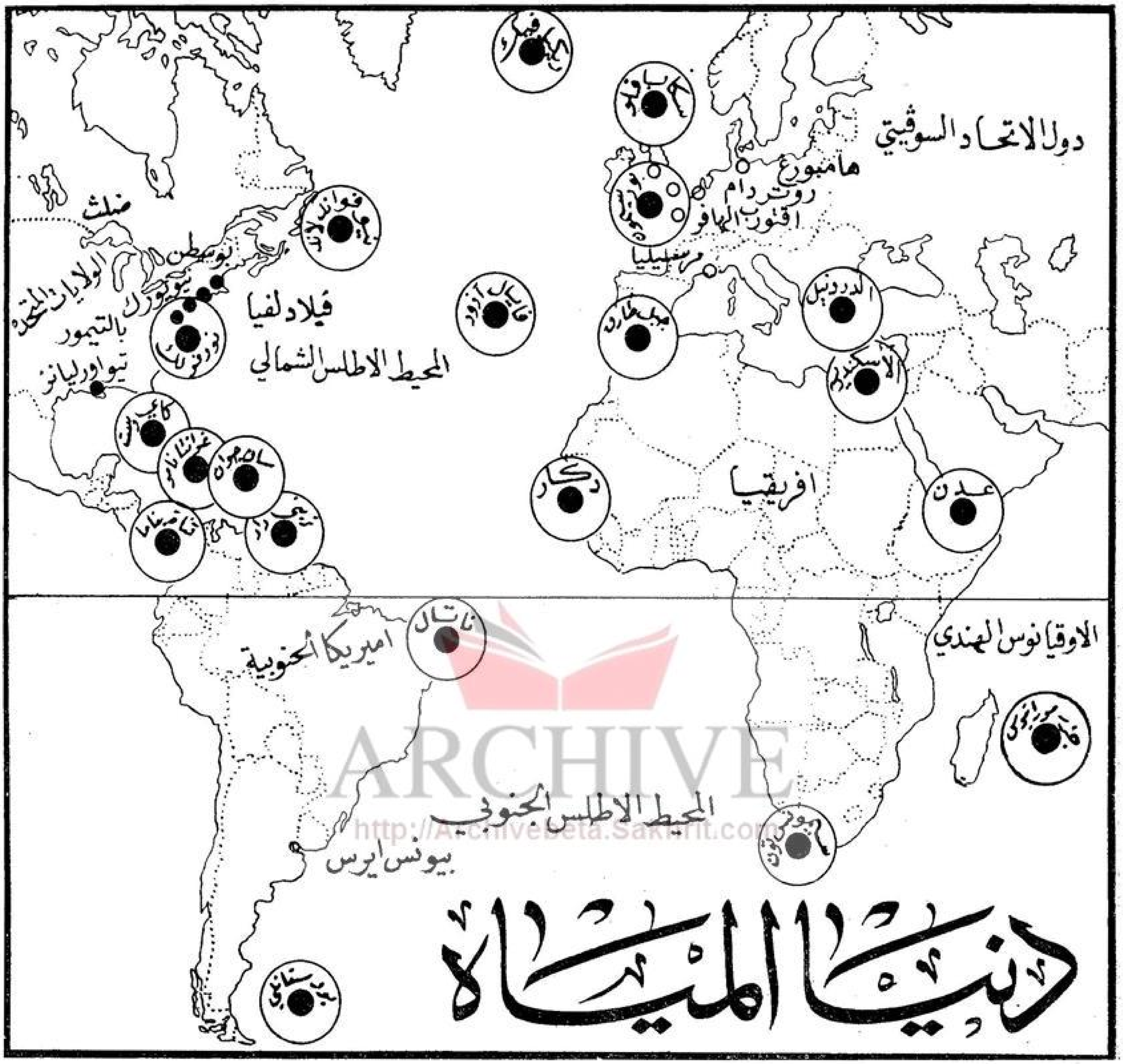
اذن كيف يستطاع اجراء تنظيم جديد للعالم على اسس فكرية وروحية في هذا المقدار من التناقض ؟ و كيف تستطيع الثورة الهتارية ان تحل المعضل الاجتماعي وهي ليست ثورة اجتماعية بل هي تكاتف منحصر في نطاق الامة الضيق . فقد حاربت هذه الثورة جميع المبادىء التي حاولت توحيد اوربا او توحيد جزء من اوربا على الاقل . ولا نزاع في ان الثورة الهتارية او الحركة الهتارية على الاصح تستمد كل قوتها من الفوضى ، فهي طوراً تحارب الكثلكة الرومانية وتارة تلقها ، طوراً تشجب الشيوعية الروسية وتارة تتعاقد معها ، حيناً تسخر من الديمقراطية وحيناً تدعي انها هي الديمقراطية الحقة .

لذلك رأيناها عاجزة عن مفاوضة جيرانها على اسس صريحة تزق المعاهدات وتلجأ الى اسلوب الامر الواقع الذي سبب الكارثة الكبرى .

ورب متسائل : من اكبر جرماً من الآخر ، المسيطر الذي تطربه المداهنة السافلة ويلذه المديح الكاذب ام الذي يداهنه ويردد على مسمعه صباح مساء ان الحق للقوة وان رأي الاقوى هو الرأي الافضل ؟ على انه اذا كان حقاً ان الطغاة لم يخلقوا من العبيد مقدار ما خلق العبيد من الطغاة فما لا شك فيه ان السيطرة تعمل دائماً على اسقاط المسيطر عليهم . فالسيطرة تضعف الآداب العامة وتفسد الشعور بالشرف والكرامة ، تشوه الضمائر وتخنق عاطفة المعارضة لسيئاتها ومعاثرها ، تصرف الصالحين من الشعوب عن فكرة المقاومة المشروعة وتحول المظاومين الى مقهورين اذلاء او الى مغلوبين بلهاء . وهي هي التي تبشع الطاعة اللازمة للانسان وللمجتمع وتقلبها من فضيلة الى رذيلة ، تقلبها من طاعة فورية حرة تصدر عن محبة الواجب وتؤثر الخضوع لله على الخضوع للبشر الى طاعة مستثمرة او مذعورة تعمل تحت وطأة الضغط والارهاب ، من طاعة الشرفاء الاحرار الى طاعة العبيد المحاسيب . ان نشر الحقيقة يحتاج الى رسل لا الى جلادين . فالسجون والمشانق والنار لا تقتل المثل العليا ، وضحية الطاغية تسقط تحت سيفه ولكنها لا تموت .

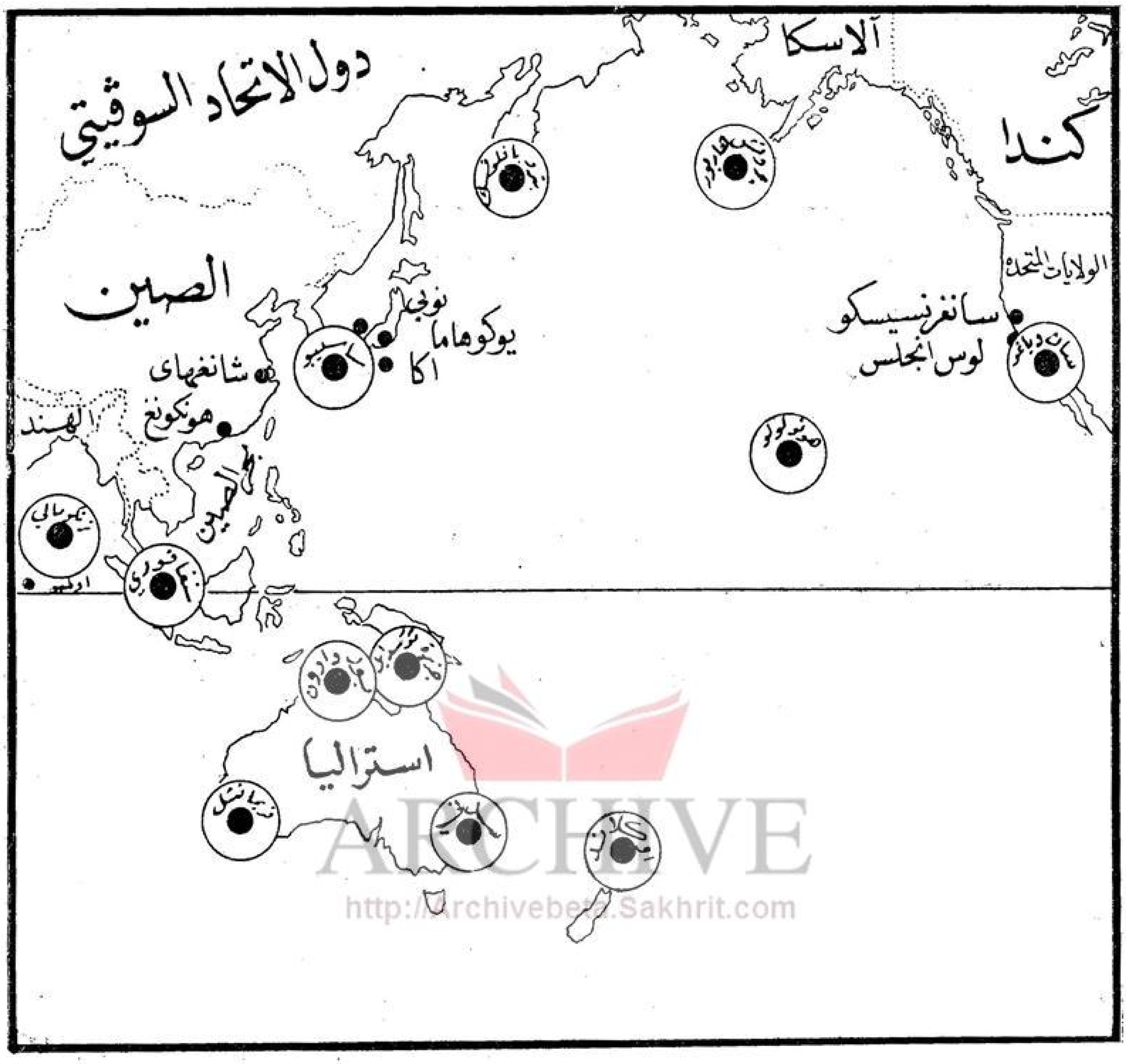


الياس ابو شبكه



بقلم زيد الله ظاهر زيد الله

للطرق البحرية اهمية كبرى في النقل التجاري تفوق أهميـة النقل بطرق البر نظراً لقلة اكلاف الاول وكثرة اكلاف الثاني . ولهذا كان البحّار العائش على سطح الماء يرى البحار امامه مجالا رحيباً للسفر والتنقل ، تعترضه كتل من اليابسة يراها عقبات في سبيله ويودّ لو لم تكن، قائلا ان البحار هي الطرق السهلة للتاجر والاسفار ، وان مدنيات العالم انما قامت على شواطيء البحار وضفاف الانهار ، لان البشر رأوا سهولة في الحركة والتجول على الماء . ولكن ليست كل البحار سهلة الارتياد ، فالاوقيانوسان المتجمدان في قطبي الارض الشمالي والجنوبي يخرجان من الطرق المائية الكبرى، والجغرافية البحرية للطرق تنحصر في الاوقيانوسين الاطلانطي والباسيفيكي وفي المحيط الهندي . لهذا نجد في المحيطات الثلاثة وفي نصف الكرة الشمالي طرقاً بحرية عظمى وحركة نقل مائية تجارية



كبرى لا نجدها في سواها من البحار الاخرى الكائنة في نصف الكرة الجنوبي الذي هو عبارة عن مياه ليس فيها مدنيات ولا شعوب.

فاذا كانت لتلك الاوقيانوسات الثلاثة والبحار المتفرعة عنها تلك الاهمية الكبرى في النقل والتجول كان من الطبيعي ان يعنى البشر بهذه الطرق وان ينشئوا حولها كل ما يسهل هذا النقل ويصونه حفظاً لحياة الشعوب والامم التي ترداليها بواسطتها الارزاق والمحصولات وتصدر بواسطتها المصنوعات.

واذا نظرنا الى المصور الجغرافي العالمي الذي قدمنا به هذا البحث القيم والى النقاط السوداء المرصع بها هذا المصور وهي نقاط دفاع حربي لصون هذه الطرق ادركنا ما صنع الانسان لصون هذه الطرق وما انشأ للدفاع عنها وابقائها بعيدة عن متناول كل من يحاول سدها.

هناك في هذا المصور الجغرافي العام يقع تحت النظر ٣٢ باباً محصناً في هذه الطرق المائية تسيطر بريطانيا اوسع الدول املاكا ومستعمرات مع حليفتها اميركا على ٢٧ باباً منها كلها محصن تحصيناً قوياً ومجهز بأجهزة دفاعية تدعمها اساطيل حربية انفقت عليها بدر المال لتكفل للطرق المائية التجارية سلامتها ولتبقي الاتصال بين تلك الاملاك والمستعمرات مستمراً مؤمناً.

والان ما هي اهم عقد تلك المواصلات المائية واين تقع؟ وما هي تلك المراكز المنشأة لصونها، وأين هي؟

يرى القارىء في المصور الجغرافي ان البحر المتوسط الذي يقع في قلب العالم يؤلف طريقاً بحرياً عظيماً بين الغرب والشرق، يدخل اليه من جبل طارق — بابه — ومن قناة السويس، وورائها عدن

في البحر الاحمر — بابه الشرقي — المفضي الى المحيط الهندي.

ويرى في الناحية الغربيـــة البحر الكاريبياني الذي يتوسط الاميركتين الشمالية والجنوبية ويعقد مـــا بين المحيط الاطلانطي والمحيط الباسيفيكي بواسطة قناة باناما .

ويرى القاري. في الشرق من القارة الاسيوية بحراً تعظم فيه الحركة التجارية وتزدحم طرق النقل المائي—ذلك هو البحرالصيني الجنوبي الذي يحتشد الى شماله ويمينه وامامه ملايين الخلق ويصل بين الاوقيانوس الباسيفيكي والمحيط الهندي وتتوسطها قاعـــدة سنغافوره .

ويرى بين هذه المحيطات والبحار ممرات سيج حولها بقواعـــد محصنة تحصينا منيعاً تظهر على خريطة هذا المقال بدوائرسوداء يحمل كل منها اسم القاعدة الحربية المنشأة بهذا الموضع ، وهي قواعـــد يسيطر مالكوها على اهم الطرق البحرية الى مدى تبلغ استدارته حول القاعدة ٢٥٠٠ ميل .

واكثر هذه القواعد المحصنة مملوكة من بريطانيـــا والولايات المتحدة مبقيتين لروسيا قاعدة بتروبافلوفسك ولليابان بحرساسيبو فقط .

وفيما خلا البحار السبعة المتوسط والاحمر والهندي والاطلانطيكي والباسيفيكي والصيني والكاريبياني المحتشدة فيها امنع نقاط الدفاع عن النقل البحري ثلاث قواعد اخرى لها اهميتها في السيطرة عـلى هذا النقل وهي بور ستانلي ورأس هورن في اقصى جنوب اميركا الجنوبية ورأس الرجاء الصالح في اقصى الجنوب من الارض الافريقية وقاعدة ناتال في البرازيل ودكار في افريقيا وجزر الازور ولجميعها سهم في السيطرة على بحار الجنوب .

وانفصل الان مناطق القوة الدفاعية في ممرات البحار العظمى:

ان البحر الكاريبياني مع مداه الدفاعي الآخر وهو خليـــج مكسيكو هو المجال الدفاعي الحيوي للولايات المتحدة عن قنـــاة بناما وتلتف حوله من ناحية الشرق جزر تؤلف نصف دائرة فتجعل منه ساحة فسيحة للدفاع . واهم الممرات قبل قناة باناما الى الشرق ممر وندوارد بين طرفي جزيرتي كوبا وهايتي ولهذا أقامت الولايات المتحدة حوله قلاعاً تراها ماثلة في الخريطة الكبرى لهذا المقال بنقاط سوداء مستديرة ويعتبر خليج جزيرة كوبا اهم نقطة في هذه الساحة للدفاع . اما من ناحية الغرب في الباسيفيك فليس لقناة باناما قواعد دفاعية تجعل الهجوم عليها مستحيلا الا جزيرة كوكوس وجزيرة كالاباغوس وهما ليسا من الاهمية بمكان .



وللبحر المتوسط اهمية عظمى في المواصلات الدولية منذ اقصى عهود التاريخ . لكن هذه الاهمية تضاعفت بعد فتح قناة السويس وجعلته الطريق الممتد بين الجزر البريطانية وامبراطوريتها العظمى وراء البحار الا في حالات استثنائية كالحالة الحاضرة ، وقد اعتيض عنه بعض العوض بطريق رأس الرجاء الصالح الاكثر سلامة وان كان اطول مسافة . فلبريطانيا ابواب المرور بهذا البحر من جبل طارق بالغرب وقناة السويس وعدن وراءها في البحر الاحمر بالشرق . وقد حصنتها جميعاً بحصون منيعة . وقد كان يخشى من هجوم جوي او بري اذا سمحت اسبانيا بمرور الجيوش بارضها لمهاجمة جبل طارق ، واذا هددت ايطاليا قناة السويس بهجوم من ليبيا ، وعدن وبهجوم من شرق افريقيا (زال هذا الخطر الان بانكسار دول المحور في ليبيا وشرق افريقيا ، الا ان البحر المتوسط ليس مثل البحـــر الكاريبياني ، لما يقوم حول الاول من دول عظمى تتنازع السيطرة

والسيادة فيه كفرنسا وايطاليا واسبانيامع الفرص التي تسنح احياناً لألمانيا لاختراق الطرق اليه ، او لروسيا لبلوغه من ناحية البحر الاسود والدردانيل .

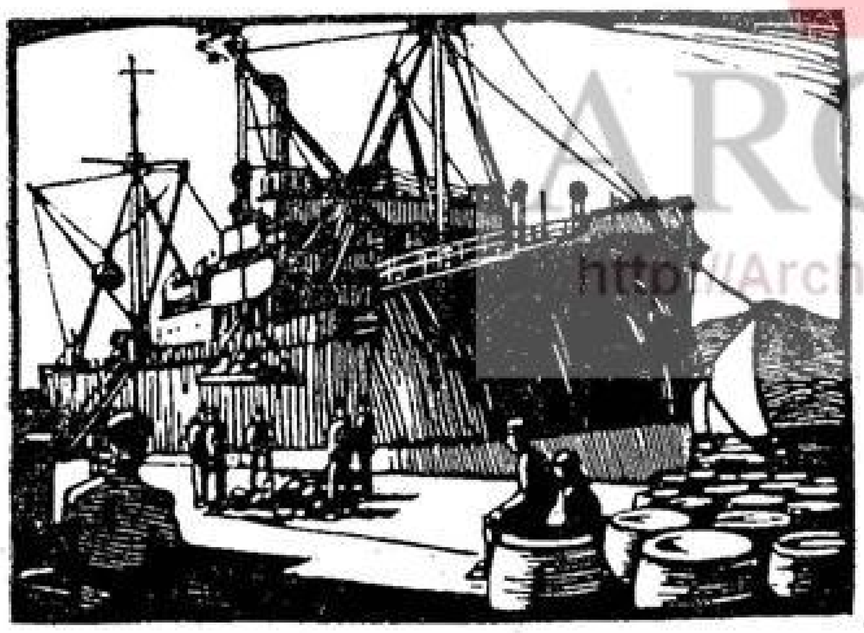


وبحر الصين الجنوبي هو اليوم مسرح اعمال حربية بين اميركا وبريطانيا من جهة واليابان من جهة اخرى .

وفي هذا البحر تمر الطرق البحرية الكبرى من اوربا الى الصين واليابان ، ومن استراليا ونيوزيلاندا الى شرق اسيا . ولهذا كان النزاع فيه كثير الاهمية . الا ان للقوى البريطانية والاميركية فيه مواقع خطيرة للدفاع والهجوم . والناظر الى الخريطة يرى لهذا البحر ثلاثة مداخل ومخارج . فمضيق ملقه وسوندا من الغرب تدعمه قاعدة سنغافورا العظيمة ، ومضيق سانبرناردينو في جزر الفليبين ، وموقع هونغ كنغ . الا ان النجاح النهائي في هذا البحر يتوقف على مقدار التعجيل في اصلاح عطب القطع الحربية البحرية التي تتناجز فيه ، وتعتبر سنغافورة اهم مركز في تلك الناحية لمثل هذا العمل . وقد جهزت بكل ادوات الاصلاح والتموين للقطع البحرية حتى باتت تعتبر موقعاً عظيماً لاصلاح السفن الحربية على اختلاف انواعها ومحطة كبرى للتموين كما تعتبر حصناً خطيراً للدفاع وموقعاً ممتازاً للهجوم .

بقيت هناك بحار وممرات اخرى كبحر الشمال بين الجزر البريطانية وشبه جزيرة سكنديناڤيا والبحر البلطيكي وخليج المانش وهذه مفروغ من البحث في موقف بريطانيا فيها بعد ان دحرت المهاجم في صيف ١٩٤٠ وردته على اعقابه خاسراً ووطدت سلطانها على هذا البحر الذي تتجول فيه اساطيلها بحرية على رغم ملامسة مياهه شواطيء المانيا والبلدان التي احتلتها وهنا توجد قاعدة سكابافلو وهي قاعدة بيتية عظيمة القدر للدفاع والهجوم وقد كانت هكذا في الحرب العظمى الماضية وزادت اليوم اهمية وقوة ومناعة بما ادخل عليها من التحسينات الحديثة وما استتم فيها من نواقص الدفاع التي برهنت عليه الاعمال الحربية منذ عشرين سنة حيث اغرق الاسطول الالماني بجوارها في الحرب الماضية .

وما كان من الاهمية لهذه القاعدة في الحرب الماضية هو كائن اليوم فهي تتناول في دفاعها دائرة تتسع الى ٢٥٠٠ ميل وان كانت قاعدة حربية بيتية بالاصل .



هذه هي طرق المواصلات الدولية الكبرى ومواقع الدفاع حولها في « دنيا المياه » . ومن هذه المواقع ما جاز الامتحان وبرهن على صموده وبعد الخطر عنه ، ومنه ما هو تحت الامتحان الان وكله في بحر الصين الجنوبي ، على ان سيادة البحار التي تمتعت بها بريطانيا ما زالت بيدها ، وانضمام اميركا اليها باسطولها الضخم كفيل بان يساعدها على توطيد اسس هذه السيادة في بحار الشرق الاقصى كما وطدتها في البحار الاخرى .

زبدالله ظاهر زبدالله



الاحداث السياسية والحربية في شهر

اتسم الشهر المنصرم بعدة احداث عسكرية اهمها تأليف مجلس الحلفاء الاقتصادي برئاسة لورد بيفربروك، ومؤتمر الجمهوريات الاميركانية الذي انعقد في ريو دي جانيرو، عاصمة البرازيل، وتوكيد سياسة التعاون بين الحكومتين البريطانية والروسية، ومواصلة الروس تقدمهم واحتلالهم عدة مدن كبرى آخرها موجايسك، واستيلاء الجيوش البريطانية والحليفة على السلوم وحلفايا في ليبيا، واستئناف القوات اليابانية تقدمها في منطقة المحيط الهادىء .

ففي مطلع كانون الثاني المنصرم وجه الرئيس روزفلت الى الكونغريس الاميركاني رسالة بشأن ميزانية السنة الاميرية الجديدة . ومما لا شك فيه ان الارقام التي قدمها الرئيس وقدرها ٥٦ مليار دولار هي اضخم ارقام طلب من برلمان الولايات المتحدة تصديقها وقد اغتنم الرئيس روزفلت هذه المناسبة فنوه من جهة بالجهد الذي سيبذل في ميدان الانتاج الحربي الاميركاني واوضح من جهة اخرى اهداف اميركا من الحرب والسلم . اما عدد الطائرات والدبابات والمدافع والسفن التجارية التي تنوي الولايات المتحدة بناءها فيفوق وحده انتاج بلدان المحور جميعاً ، فقد قال مستر روزفلت ان مصانع الولايات المتحدة ستبني ١٢٠ الف طائرة و ٥٥ الف دبابة و ٤٥ الف مدفع واكثر من الف واربعماية سفينة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مؤتمر الريو

في الخامس عشر من كانون الثاني افتتح مؤتمر ريو دي جانيرو بحضور ممثلي جميع الجمهوريات الاميركانية وعددها احدى وعشرون . وكانت الغاية من عقد هذا المؤتمر اما اجماع الجمهوريات الاميركانية على اعلان الحرب على المحور او اتخاذ جميع التدابير للتدليل عملياً على تضامن اميركا المطلق . وقد اعطى المؤتمر ثماره الطيبة بفضل سياسة حسن الجوار التي سلكتها الولايات المتحدة طوال سنوات عديدة ، فقد اعرب جميع ممثلي الحكومات الاميركانية عند افتتاح المباحثات عن تضامنهم الاكيد مع الولايات المتحدة مشبعي الروح بالثقة بانتصار قضية الحق عازمين عزماً راسخاً على التعاون في الدفاع عن ارضهم وعن المبادىء الادبية والقضائية التي تقوم اساساً للعلاقات بين جميع الشعوب الديمقراطية . وفي التاسع عشر من كانون الثاني اودع مكتب المؤتمر ثلاثة وعشرون مشروعاً ترمي الى تعزيز الرقابة على الاجانب في المقامات الاميركانية، والى تقرير تدابير صارمة بحق رعايا المحور وفرض الرقابة على المواصلات بين الدول التي تتعامل مع المحور، والى ايجاد مقادير احتياطية من الذهب لضمان نقد البلدان الاميركانية . ثم اودع مكتب المؤتمر مشاريع اخرى ترمي الى تقرير دورة دائمة يعقدها وزراء خارجية البلدان الاميركانية طول مدة الحرب ، والى حل المنظمات المحورية ، وفرض رقابة شديدة على حقائب المحور الديبلوماسية .

وكانت الارجنتين والتشيلي قد ابدتا بعض التحفظ فيما يختص بقطع العلاقات الديبلوماسية مع المحور . على انهما عادتا فانضمتا الى سائر الجمهوريات الشقيقة . وفي الثاني والعشرين من كانون الثاني صدقت الجمهوريات الاميركانية الاحدى والعشرون المجتمعة في ريو دي جانيرو مشروع قطع العلاقات الديبلوماسية مع اليابان والمانيا وايطاليا . وفي الرابع والعشرين منه قرر مؤتمر الجامعة الاميركانية انشاء مجلس دفاعي من ممثلي الجمهوريات الاميركانية الاحدى والعشرين .

في الشرق الاقصى

تواصلت الحرب في جميع الجبهات موالية للحلفاء في روسيا وافريقيا الشمالية وغير موالية لهم نوعاً في الفيليبين وملايزيا بالشرق الاقصى. ففي الثاني عشر من كانون الثاني كانت القيادة اليابانية تعدّ العدّة لشن هجوم واسع النطاق، والجنرال ماك ارثور يتأهب لكل طارىء . وفي ذلك الوقت نقلت القيادة البريطانية العليا من سنغافورة الى الهند الهولاندية واحتشدت الجيوش البريطانية جنوبي ملايزيا . والغاية من هذا التدبير الانكليزي ابعاد اليابانيين عن قواعدهم لزيادة مصاعب تموينهم . ومعلوم ان السياسة التي يسلكها الحلفاء في الشرق الاقصى لا تخرج عن كونها سياسة انتظار . ولا يعني ذلك ان الحلفاء عازمون على التخلي عن مراكزهم ولكنهم يدركون قيمة الصبر . فبعد القضاء على هتلر يصبح القضاء على حلفائه امراً سهلا ، فالهدف الاهم هو اذاً صرع الهتلرية .

ولم يكن الاميركان يجهلون أنه من الصعب عليهم الصمود في الفيليبين ولكن الفيليبين ليست عاملا حاسماً في النزاع الحالي . اما سنغافورة فكلما اقترب منها البريطانيون ازدادت مقدرتهم على الدفاع عنها اذ تختصر خطوط مواصلاتهم بخلاف اليابانيين الذين كلما تقدموا الى الامام ابتعدوا عن قواعد تموينهم وازداد ضعفهم . ولنفرض ان اليابانيين تمكنوا من تطويق سنغافورة فلا تفقد هذه الاخيرة الا قوتها الهجومية وتبقى لها كل مقدرتها على الدفاع . وما دامت سنغافورة محتفظة بمدافعها فلا يستطيع اليابانيون الدخول الى الاوقيانوس الهندي .

وفي الثالث والعشرين من كانون الثاني كانت القوات الاسترالية قد شنت في ملايزيا هجمات معاكسة استرجعت خلالها معظم البقاع التي احتلها اليابانيون . وتمثل مقاومة الجنرال ماك ارثور دوراً على جانب كبير من الاهمية فهذه المقاومة تضطر اليابانيين الى استبقاء قوات بامكانهم استخدامها في مكان آخر .

في بدء العمليات الحربية ظن ان معركة الفيليبين ستنتهي بسرعة ، وها قد مضى شهر كانون الثاني واليابانيون لم يحتلوا قلعة كوريجيدور ، وما دامت هذه القلعة بيد الاميركان فاليابانيون لا يستطيعون شيئاً ضد جيش ماك ارثور .

في الجبهة الشرقية وفي الجبهة الشرقية دلت الانتصارات التي احرزها الروس على أن القوة السوفييتية تمضي في الازدياد بينما القوة النازية تنحدر الى النفاد . ولا بد من الاعتراف بان الروس نظموا قواتهم تنظيماً قوياً وان مقدرتهم الهجومية مطردة النموّ . فقد اعلن الالمان لأيام خلت انهم وصلوا الى الخطوط الدفاعية التي هيأوها مسبقاً وما لبث الروس ان تجاوزوا هذه الخطوط . ثم اعلن الالمان انهم نظموا خطاً جديداً فانزل الروس قوات مظلية وراء هذا الخط .

وقد يكون اعظم انتصار احرزه الروس في كانون الثاني هو استرجاعهم موجايسك في مستهل الثلث الثالث من الشهر المذكور . وقد كانت موجايسك آخر موقع محصن ما يزال في حوزة الجيش الالماني بجبهة موسكو ، وباسترجاع موجايسك زال كل خطر على موسكو .

في جبهة ليبيا وفي جبهة ليبيا يبدو ان قسماً من قوات الجنرال روميل تمكن من الانسحاب نحو طرابلس الغرب بفضل العواصف الرملية التي ما برحت تهب في الصحراء . ولكن الكلابة البريطانية لم تنحل وواصلت الجيوش الامبراطورية ضغطها على السلوم وحلفايا تساهم فيه قوات فرنسا الحرة مساهمة فعالة . وللبريطانيين في ليبيا من القوى ما يسمح لهم بالقضاء على الايطاليين والالمانيين قبل ان يتمكنوا من الدخول الى طرابلس . وقد اسفر الضغط البريطاني عن احتلال السلوم اولا ثم حلفايا ، وبقيت قوات افريقيا الجنوبية ساعات متواصلة من الليل ساهرة حتى الفجر بالرغم من برد الصحراء القارس ، وبعد ان اخترقت خط الدفاع الالماني الاول الذي لم يبد مقاومة شديدة استولت على الخط الثاني ثم ارغمت القوات الالمانية على وقف القتال . وكان سقوط السلوم من الخطورة بحيث انه عزل حلفايا عزلا تاماً . اما حلفايا فقد سقطت في السابع عشر من كانون الثاني بدون قيد ولا شرط . وبسقوط حلفايا انعتقت اراضي مصر والقيروان من كل احتلال الماني او ايطالي .

خطوة نحو الغاية

الكلمة التي القاها باسم لبنان ، صاحب الدولة السيد عبد الحميد كرامه رئيس الوزارة اللبنانية
في حفلة توقيع ميثاق جامعة الدول العربية .



في هذا اليوم الاغر من تاريخ العرب يسرني ان احمل تحية لبنـان العربي اليكم والى الاقطار العزيزة التي تمثلونها مهنئاً اياها جميعاً بما انتهت اليه جهود ممثليها من اتفاق على تأسيس جامعة لدولنا تكون اداة دائمة للتعاون الاخوي الوثيق بيننا، ونصبح بفضلها كالبنيان المرصوص يرغب في مودتنا ذوو النيات الصافية ويرهب جانبنا ذوو المطامع والاغراض .

لقد ضم لبنان جهوده الى جهودكم في بناء هذا الصرح القومي العظيم . صرح الجامعة العربية ، كما ضم من قبل خلال عشرات السنين جهاده الى جهادكم في سبيل التحرر والانعتاق من نير الرق والاستعباد . وسيسير كذلك دائماً الى جانبكم يؤدي نصيبه من السعي في سبيل استعادة هذه الامة سالف مجدهـا ذلك المجد الذي اشرقت اليوم شمسه ووضعت في هذه الجامعة اركانه واسسه .

اننا نعلم حق العلم ان هذه الجامعة ليست هي غاية ما يصبو اليه العرب في مختلف اقطارهم ، ولكنها خطوة مباركة بل خطوة كبيرة جبارة نحو تلك الغاية السامية . وعلى سير هذه الجامعة سيتوقف مستقبل العرب جميعاً ، وعلى الاخلاص الذي يضعونه في تعاونهم يتوقف نجاحهم ويتمكنون من تبوء المركز الذي يخولهم اياه حيويتهم العظيمة وخصائصهم الكريمة وتاريخهم المجيد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولست ارتاب في ان هذا الميثاق سينفذ بنفس الروح الطيبة والنية الصافية التي رافقت تدوينه فتشعر الاقطار العربية جميعها بما يجره عليها هذا التعاون من نفع معنوي ومادي ، من رخاء ورفاء ومتعة وجاه .

اننا نشهد اليوم آية من آيات البعث الذي وعد به الله تعالى عباده اذ نرى الامة العربية التي طواهـا الكرى قروناً حتى طمع فيها كل طامع ، وجاس خلال ديارها كل مستعمر تعود الى الوجود لتحيا حياة كريمة حرة ولتحمل مع الامم النشيطة مشعل النور تستنير به وتنير .

وجدير بهذا اليوم ان يخلده التاريخ في اروع صفحاته لانه يوم البعث لهذه الامة العريقة . وجدير بالعرب ان يخلدوه لانه فاتحة رحلتهم الجديدة الى الخلود .

ولئن كان علينا ان نمجد احداً في هذه الساعة فلنمجد المجاهدين الاولين والآخرين في كل قطر من اقطار العرب ، من استشهد منهم ومن كتب له الحياة ليشهد هذا اليوم العظيم ، وان ذكرنا الذين تعبوا وعانوا من قريب او بعيد فلنذكر في طليعتهم حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق المعظم لما حمل نفسه من جهد وعناء في سبيل بناء هذا الكيان العظيم . فاليه والى سائر الملوك والرؤساء والامراء ، والى رجالات العرب في مختلف الانحاء ، والى سائر ابناء العروبة الاباة ، تحية لبنان المقيم للعروبة في امسه ويومه وغده ، على الود والولاء .

عبد الحميد كرامه

الالم كوجه حيوي ومذهب نشوئي

بقلم عبد الله العلايلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحن لا نرتاب في ان الحياة فكرة فقط منذ اصبح الانسان حياً متعقلاً، وليس من المنطق في شيء ان ندرس الحياة كوحدة لمجموعة الاحياء، لان الانسان انفصل انفصالاً تاماً عن الحياة الآلية وبعبارة اوضح الحياة الغريزية الخالصة التي يحياها سائر اصناف النوع، وغدا ينقاد لسيطرات الفكر وحده . فما الحياة الانسانية الا تشكلات او انطباعات لفكرة بعينها تؤثر اثرها في كتلة ضخمة من الزمن ثم تذوي تحت تأثير تشكلات او انطباعات اخرى، وهكذا دواليك.

وما التاريخ الا عرض وصفي لسير تلك التشكلات او تأثير تلك الانطباعات، وابراز عملها في الفرد والجماعة. وما الاجتماع الا صورة مؤلفة من الوان تلك الانطباعات الحية، فالمجتمعات ارتسامات خاصة لتأثير افكار خاصة، ثم لا شيء وراء الفكرة . . .

ولسنا نرتاب ايضاً في ان الالم هو الذي يهذب الفكرة « اي الحياة »، فنحن نبارك الآلام لانها عامل ايجابي في التكامل الانساني . وان الفلسفة في الالم واللذة التي تجعل الالم معنى سلبياً، هي سخافة مطلقة تناصرت الشواهد في علوم الاحياء على السخرية منها وهي تثبت العكس تماماً . فظاهرات النشوء وما يتبعه من تكامل مطرد، تقرران اللذة عامل سلبي في التكامل وان الآلام وحدها هي العامل الايجابي .

وان الظاهرات التي تعايشنا تشهد بان اللذة هي الخلو من الالم، فلذة الشبع هي حالة عدم الشعور بالالم الخاص الذي هو الجوع، ودليل هذا انك في حالة الشبع لا تشعر بشعور خاص بل تشعر بمعنى عدمي خالص .

واذا حللنا اللذة التي تدركنا في مشهد من مشاهد الطبيعة الخالبة، نجد انها الذهول عن الآلام الملازمة للنفس بعلة الحياة، وبعبارة اخرى تخدير تلك الالام او الخروج منها مدة دوام الشعور بالابتهاج .

وكذلك اذا حللنا اللذة العنيفة او اللذة المركبة التي نحس بها عند اشباع نهم الجوع الظامي، او حالة الاغتلام، فان الاول اطمئنان شديد بزوال الآلام يجعل كافة القوى في حالة تنبه شعوري ويصحح هذا، ان الشبع الذي هو ظاهرة من ظاهرات اللذة لو كان يؤدي الى معنى وجودي، لكان الاكثار منه يؤدي الى مضاعفتها بينما نجد انه يؤدي الى شعور جديد بالم جديد . وان الثاني اطمئنان يجعل القوى في حالة تنبه شعوري على وجه اخر، بان الرغبة المكبوتة قد انطلقت . هذا الكبت الذي اورث عارضاً نفسياً خاصاً، مصاحباً لعارض حيوي عضوي . . اذن فالالم وحده هو الذي يرتبط بالحياة ارتباطاً وجودياً . . والان نورد المامة من شرائط حصول الالم واللذة عند الفلاسفة النفسيين :

اختلفت المناهج حديثاً في ذلك، وهي على اختلافها ترجع الى اصلين جاء بهما في القديم « ابيقور » و « ارسطو » .

ذهب ابيقور : الى ان مصدر اللذة والالم هو الفعالية والتزم هذا المذهب « كانت »، وتذهب جماعة هذا الرأي الى ان الاصل هو الالم وان اللذة ليست سوى حادث مشتق مناقض للالم، فليس السرور عند كانت الا انقطاع الالم فقط . وقد انتهى الى هذه النتيجة : لا يمكن وجود لذتين متعاقبتين، وهذا هو مذهب المتشائمين او العدميين امثال شبنهور . وذهب ارسطو ونصره سبنسر الى ان اللذة تحصل حين تكون الفعالية موافقة للميول، فاللذة تلازم العمل الذي يقع وفق الشروط والالم يحصل فيما يخالفها . والتحليلات اثبتت ان الصلة بين الالم وبين اللذة لا تنفك، فاللذة المطلقة التامة تتوقف على قيام نظام تام بين الوظائف وهو مستحيل، كما ان الالم الذي لا يمازجه شيء من اللذة انما هو نتيجة انشقاق مطلق بين الوظائف المذكورة وهو الموت .

ولكن ذهب العلامة « سرجي » الى اثبات منطقة حيادية وهي حالة خلو مطلق، محتجاً بان اللذة والالم لما كانا قطبي الحياة الانفعالية لزم ان يكون بينهما منطقة حيادية، وهذه المنطقة الحيادية للشعور تجعل العضو يلتئم مع الاحوال المحيطة به تمام الالتئام حيث لا يوجد نقص ولا زيادة في الفعالية الحيوية .

ومغلطة محضة ما ذهب اليه « ارسطو وهاملتون وستوارت ميل » اصحاب المذهب الوجودي في اللذة، وقد علقت بتفكيرهم من عدم التحليل الصحيح للبواعث . وكان اقرب للصواب ما ذهب اليه « كانت وشبنهور وهارتمن » اصحاب المذهب العدمي في اللذة وان كان خطأ من حيث النتيجة التي القت بهم في التشاؤم . لان البرهان الذي استعمله العدميون كان بسيطاً ناقص المقدمات وهو :

الحياة هي الحركة — الحركة هي بذل الجهد — بذل الجهد هو العناء — اذن فالحياة عناء . . وصحة هذا البرهان بمقدمة ترمز

الى قياس مركب وهو :

الحياة هي الحركة – الحركة هي بذل الجهد – بذل الجهد هو العناء – الحي يطلب الحياة بالحاح وهو يهرب من الالم – فالحياة عناء يطلبها الحي بالحاح وتحيل على الالام .

وهذا التحيل من الانسان في نظرنا هو محـاولته دفع الالم ليوجد له قريباً مما يسميه العلامة « سرجي » منطقة حيادية او حالة الالتئام التام . ونحن لا نجعل حالة الالتئام خلواً مطلقاً بل هي ألم طبيعي غير مشعور به ، يلازم الحياة ولا ينفصل عنهـا ، فمحاولة الانسان اذن هي ان ينتهي الى حالة لا شعورية بالالم . . والانسان قمين بان يصل الى هذا بكفاح الآلام على كل اشكالها ، وفي العضويات شاهد على ما نقرر ، فان العضو يصبح اقل شعوراً بالالم بكفاحه ، وهذه الحالة اللاشعورية بالالم هي اللذة التي في مكنة الحياة ان تمنحها فقط . اذن فنظرية الالم هذه لا توصلنا الى التشاؤم ابداً ، بل الى الاستمساك بالحياة والتحيل على آلامها . . . ان المتشائمين ارادوا دفع آلام الحياة بتقليل الجهد في طلبها ، وهو وقوف مع برهانهم الناقص . . ان نظرية الالم الايجابية التي نقررها تحملنا على اكتشاف وجوه الحيلة في دفع ألم الحياة نوعاً ما ، مـا دامت الحياة جهداً مصحوباً بالالم وما دام الحي يلح في طلب الحياة .

ان نظرية الالم الايجابية هي التي تجعل ينبوع كفاحنـا لا يغيض ولا ينقطع ، فان الالم داخل في معنى الحياة ونحن نجرب كفاءتنا في ان نجعل الالم انفعالا غير مشعور به اي لذة . . . اذا كان الالم طبيعة في الحياة ، فلن تضع الآلام على اية صورة حداً لكفاحنا الاقدس . اننا على العكس نستقبل كل تنكيل بغبطة ما دام الالم يرهف الحس ويزكي الشعور ويقوم فينا المثل المهذب والمنتخب ، الذي سوف ترتكز على مثله البشريات الصاعدة .

ان الالم هو العامل الايجابي في اطراد سير الانسانية نحو هدفهـا الاعلى ، فنحن لذلك نتخذ من الآلام اداة لبقائنا ووجودنا . بينما اللذة المائعة كانت وستبقى عامل انحلال ووهن وانتكاس ، فمـا انتكست امة الا بحيـاة اللذات التي تبنيها بناء رخواً يجعلها ترجف من ذكرى الآلام ووقع الآلام ، وبذلك تنتزع من كيانها اهم العناصر وهو الجهد اي العناء . ان الالم الذي تبثه الحياة جانب من تنازع البقاء ، فبقاؤنا مع الالم معناه اننا عنصر منتخب ، فيجب ان نبقى بمقتضى ناموس بقاء الاصلح ، واولئك المتألمون هم ابناء الحياة الذين انتخبتهم الحياة انتخاباً .

ان نظرية الالم الايجابية تعالج الالام المركزة في جوهر الحياة ، بآلام مخففة خارجة عن جوهرها ونطاقها . وهي بعد ذلك تحول الالام الى مصل ، ثم تجهز به الحي ضد اعنف الالام . . ان الرياضة البدنية آلام تمد الجسد بالقوة ، وان نظرية الالم الشاملة تمد الانسان بالطاقة غير المحدودة التي لا تكسر فيها من وهن او تذبذب .

لا شيء ينتج الالم ، هكذا نؤمن وبهذا نبشر ، كي نستقبل الالام ونحن باسمون . . نحن نريد آلاماً لاننـا نريد الحياة ، وهي جهد مصحوب بالالم . . نحن بدون آلام احياء جامدون خشنو المشاعر والاحاسيس ، فرعياً للالام التي تخلق منا في كل حين انساناً مرهفاً جديداً ، له تطلعه وآماله ووثباته .

نحن نرفض كل تعلـيم لا يكون فيه عنصر الالم ، نرفضه باحتقار ونزور عنه في كبرياء ، فان الصبر على الالام مادة هامة في كبرياء المجد . . ان التعالـيم التي تحمل عنصر اللذة وتبشر بمبدأ العيش الرخاء ، رخوة . انها تصلح ان تكون علفاً وغذاء لدواجن البيوت ، فنحن نحقر كل تعليم يكون منهجاً لتربية الدواجن ويحولنا سريعاً الى قطيع كبير حالم . . اننا نريد تعليماً يرهف فينا الحس ويزودنا بالشعور الذاتي ، وينفخ فينا روح الكبرياء ، ويبني الاعصاب .

في معركة الالام نبني انفسنا ونؤلف تصوراتنا عن الحياة الناجحة ، والارادة هي التي تمضي قدماً بتحقيق هذه التصورات حتى تصبح واقعاً يخالطنا . . ان آلام العرب الاولين التي هذبتها تعاليم الذاتية المريـدة ، مدت العرب بالكفاح الغلاب وكافأتهم بحياة المجد . فكانت الالام عامل بعث في فجر نهضتنا ، كما انها ستكون عامل البعث في فجر تاريخنا الجديد السعيد .

عبد الله العلايلي

العدد القادم

الاديب الممتاز

ممتاز بموضوعاته وكتابه وحجمه

يتناول امس العرب ويومهم وغدهم
وشؤون الفكر في كل مكان

بقلم كبار الكتّاب في الشرق العربي

١٠٠ صفحة ٢٠٠ قرش

امين الريحـــاني



اقامت لجنة تكريم امين الريحاني حفلة كبرى بمناسبة رفع رسمه (وهو بريشة الاستاذ مصطفى فروخ) في دار الكتب اللبنانية ، واطلاق اسمه على احد شوارع بيروت . وننشر على هذه الصفحات بعض الكلمات التي ألقيت في هذه الحفلة . وهذه هي حياة الريحـاني في كلمات :

• والداه لبنانيان من اسرة البجاني ، واصل الاسرة من اهدن من بني سعاده نزحت الى بجه وانتسبت اليها . وسكن فرع منها في الشادية وتكنى بالريحـاني لوفرة نبت الآس في جوار منزله . وكان ذلك في اواخر القرن الثامن عشر .

• ولد امين الريحاني في ٢٤ تشرين الثاني ١٨٧٦ ، وتعلم دراسته الابتدائية بالفريكة ، بيت شباب ، عين عار ، بجردق . وسافر فتى في عامه الثاني عشر الى اميركا مع عمه ، وتعلم هناك اصول فن التمثيل ، وعاد الى لبنـان ، ثم عاد الى اميركا حيث اشتغل بالتجارة والادب ، ودرس اصول الرسم والتصوير . ومضى حياته رحّالة بين مختلف بلاد العالم : نيويورك ، لندن ، باريس ، مصر ، بغداد ، القدس ، الاندلس ، شمال افريقيا ، الجزيرة العربية .

• كتب كثيراً في الصحف بالعربية والانكليزية ، في الشرق والغرب وكان من اكبر دعاة الوحدة العربية .

• من كتبه العربية المطبوعة : الثورة الفرنسية ، المكاري والكاهن ، المخـالفة الثلاثية ، النكبات ، التطرف والاصلاح ، انتم الشعراء ، زنبقة الغور ، خارج الحريم ، وفاء الزمـان ، ملوك العرب (جزءان) تاريخ نجد الحديث ، فيصل الاول ، قلب العراق ، الريحانيات (٤ اجزاء) .

• من كتبه بالانكليزية : الرباعيات لابي العلاء ، المر واللبان ، خالد ، اللزوميات للمعري ، تحدر البلشفية ، انشودة المتصوفين ، مسلك النفس ، ابن سعود ونجـد ، حول الشواطىء العربية ، بلاد اليمن .

• من مؤلفاته (في العربية) التي لم تنشر بعد : المغرب الاقصى ، قلب لبنان . ومنها في الانكليزية : فيصل الاول ، قلب العراق ، نظرات في الف ليلة وليلة ، روايتان تمثيليتان .

• هو عضو مراسل في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وجمعية الشعراء الاميركيين ، ومنتدى الصحـافة النيويوركي ، ونادي المؤلفين الاميركان ، والجمعية الشرقية الاميركية ، واختاره معهد الدراسات العربية في المغرب الاسباني رئيس شرف .

• تزوج سنة ١٩١٦ من الآنسة الاميركية برتا كايس ، وهي كاتبة مصورة مشهورة ولها مساهمة في الفن والادب والسياسة .

• توفي في الفريكة يوم الجمعة في ١٣ ايلول ١٩٤٠ ، وهو في الرابعة والستين من عمره .

الريحاني قديس جديد



الاستاذ خليل السكاكيني
يلقي كلمته في الاحتفال بذكرى الريحاني

قل كلمتك وامش

الناس انواع :

منهم من لا يستطيع ان يكون شيئاً ، يعيش ما يعيش فلا يشغل فراغاً في هذا الوجود ثم يموت فلا يدري به احد .

ومنهم من يستطيع ان يكون شيئاً ولكنه يعيش في هذه الدنيا معيشة الزاهدين . قد يكون ذلك عن ضعة في نفسه ، ومثل هذا يعتقد ان الدنيا فوق قدره ، وانه احقر من ان يكون له فيها نصيب . وقد يكون عن تعال في نفسه . ومثل هذا يعتقد ان الدنيا دون قدره ، وانها احقر من ان تشغل باله وان تكون موضع اهتمامه . وقد اشار ابو العلاء الى هذين النوعين من البشر في قوله :

وزهد اناس لضعف النفوس ... وزهد اناس لبعد الهمم

ومنهم من يكون شيئاً كثيراً في هذه الدنيا ولكن في الشر والاذى ، واذا رحل عن الدنيا غير مأسوف عليه قال الناس : أف .

ومنهم من يكون شيئاً كثيراً ولكن في الخير ، اذا مرّ به يوم ولم يستنفد فيه كل قواه ولم يستعمل كل مواهبه ، ولم يبذل كل ما اكتسبه من معرفة واختبار في سبيل اصلاح العالم واسعاده فلا يحسبن من عمره .

الناس من هذا النوع هم ينابيع الحكمة ومصابيح الهدى ، واذا رحلوا عن هذه الدنيا قال الناس : وأسفاه ثم وأسفاه .

امين الريحاني كان من هذا النوع من الناس فقد كانت حياته حافلة بالخير .

*

لنا في الاحتفال بذكرى الريحاني اغراض :

منها الاعتراف بجميل الريحاني واعلان الشكر له ، وقد كان هذا في حياته اوجب ، ولكن يظهر اننا الى الآن لا نتفطن للقيام بهذا الواجب الا بعد الممات على حد قول اليازجي الكبير :

لا يحمد القوم الفتى الا اذا ... مات فيعطى حقه تحت الثرى

كأننا نقول للعامل المخلص فينا : اذا اردت ان تكون العزيز الغالي فمت .. واني لاخشى ان يجيء زمان لا يمجد القوم الفتى فيه لا فوق الثرى ولا تحت الثرى ، بل اخشى ان يجيء زمان يمرض فيه مثل الريحاني فلا يجد من يعالجه ، ويموت فلا يمشي في جنازته احد ، وما ادرانا لعلنا مقبلون على زمان يموت فيه مثل الريحاني فنهتشه ان الناس وسعوه بحلمهم فلم يرجموه او يصلبوه ! . .

ومن تلك الاغراض مشاركة ذويه في استعظام الخطب فيه ومعنى ذلك ان امين الريحاني كان للناس اجمعين ، فالجميع في استعظام الخطب فيه سواء . ومنها درس حياة الفقيد واستخراج نموذج منها يكون مثلاً اعلى للاحياء ، فيكون قد احسن الينا في الحياة وفي الممات . وفي كل ذلك تكريم للاحياء انفسهم لانه يدل انهم اوفياء لا يضيع الاحسان فيهم . ولكن ليس اكتمكم اني اعجب كل العجب ، غاية العجب ان نقتصر من تكريمه واحياء ذكراه على تعليق صورته في دار الكتب الوطنية . ان الذي كان اول من عرّف العالم الغربي بالفيلسوف العربي ابي العلاء المعري .

ان الذي كان اول المجاهدين بقلمه ولسانه في الاندية الغربية والصحافة الاميركية والانكليزية دفاعاً عن قضية فلسطين .

ان الذي كان من واضعي حجر الاساس في بناء الوحدة العربية واول من دعا الى اتحاد الدول العربية . ان الذي انفق حياته في الكتابة والخطابة وكل كتبه وخطبه وحي جديد ينفع الناس .

ان الذي علم الناس الثورة على قديمهم البالي .

ان الذي فعل كل ذلك لخير له الف مرة ان يبقى جندياً مجهولاً لا يعرفه احد من ان يكتفى في تكريمه واحياء ذكراه بتعليق صورته في الدار هذه او الدار تلك . اذا لم نقم تمثالا لامين الريحاني يراه الرائح والغادي فلمن تقام التماثيل .

اذا لم نطلق اسمه على شارع او نهر او أكمة أو حديقة او رواق في معهد علمي ، فاسم من احق بذلك من اسمه ؟

اذا لم نجمع آثاره ونطبعها طبعاً انيقاً جميلاً فآثار من احق بذلك من آثاره ؟ اذا لم نجعل يوم ميلاده عيداً وطنياً يتبادل الناس فيه الاعجاب به وتنطلق الالسنة بالثناء عليه فمن احق بذلك منه ؟

ايها الناس نحن في حاجة الى قديسين من طراز جديد ، وانتم ادرى بهذا الطراز الجديد فليكن امين الريحاني في طليعة هؤلاء القديسين .

الفرس — خليل السكاكيني

صفقة لم تعقد!...

بقلم خليل تقي الدين

من الفريكة الى نيويورك ، من القرية اللبنانية الصغيرة الجاثمة عند قدمي صنين ، الضاحكة في ثغور السوسن والاقحوان ، الملتحفة في عشيات الصيف بغلالة بيضاء يصعّدها الوادي ليطاول بها الجبل ، وينشرها المساء ليغرق فيها الكائنات ، الى المدينة الجبارة ناطحة السحاب ، لاهثة الاحشاء ، الزافرة بمشرات الالوف من افواه المداخن ، المرسلة من قلبها ضباب الانسان الحالك السواد ، ليلتقي بضباب الله الناصع البياض ،

من لبنان الذاهب منذ الازل صُعداً نحو العلاء ، المستحم منذ الخليقة في الازرق الابيض من بحر الروم ، الى اميركا ، ابنة الامس ، صنيعة العقل المولّد ، والساعد المفتول ، ودمية المعدن والكهرباء ،

من الشرق ، مهد الانبياء ، والاديان ، والحضارات ، وينبوع الفلسفة والشعر ، شرق الشمس التي لا تغيب ، واللحن الذي لا ينقطع ، والعبير الذي لا يزول ، من الشرق النائم ، الحالم ، المتأمل في الطبيعة وما فيها من روعة وجمال ، الى الغرب الكادح الذي لا يكلّ ولا يتعب ، مستعبد المادة وعبدها ، قاهر الطبيعة ومنافسها ، ومسخرها آلة في يده ، وسلاحاً في يمينه . من هذه الصخرة اللبنانية العتيقة ، مفجرة الينابيع ، الواقفة ابداً منارة بين البحر والصحراء ، نفر الشاعر من صومعته كما ينفر الطائر من عشه ، وراح يملأ الارض غناء وتغريداً ، فانصت الناس ليسمعوا هذا الصوت الذي لا عهد لهم به ، والتفتوا ليروا هذا الطائر القادم من بعيد ، فسمعوا الريحاني يصيح في وجه الغرب :

« انا الشرق عندي فلسفات ، وعندي اديان ، فمن يبيعني بها طيارات ؟ »

أية صفقة عجيبة هذه التي تفتق عنها دماغ الريحاني ، وأي عرض مغر هذا الذي عرضه امين !

كيف لمعت في ذهنه هذه الومضة من ومضات العبقرية التجارية ، وليس من عادة الادباء والمفكرين ان يكونوا تجاراً ! لا بل من تقاليد الفكر ان يهزم المادة ، ويعادي المال ، فما من اديب اطل برأسه على عالم الصفقات والبيع والشراء الا اخفق اخفاقاً ذريعاً ، الا ان يكون غير مفكر ، وغير اديب ! واحسب ان اساطين الاعارة والتأجير قد حسبوا حساباً لكل شيء الا لهذه المقايضة الرائعة يعرضها الفتى العربي ابن الشرق ، ابن لبنان :

طيارات ومدافع ودبابات ، مقابل فلسفات واديان !

يخيل اليّ ان الريحاني لو خاطب الغرب اليوم لخاطبه بقوله : ايتها المصانع التي تخرج دبابة كل ساعة ، وطيارة كل دقيقة ، ومدفعاً كل لحظة ، اعطيني مما تصنعين ، اعطك مقابل كل دبابة حفنة من حكمة سليمان ، وكل طيارة مقطعاً من صلاة ، وكل مدفع نفحة من دين !

ايتها المعامل الدائرة ليل نهار ، قد تنقطع عنك المواد الاولى ، وقد يضرب العمال ، او يفلس رب العمل ، فتكفين عن الانتاج . اما انا فبضاعتي متكدسة في عنابر تدعى الماضي والحاضر والمستقبل ، متراكمة في مخازن تسمى الرؤوس والقلوب والصدور ، ومعيني لا ينضب ، فتعالي نتبادل الغنى ، أليس العرض مغرياً ، والصفقة رابحة ، فلماذا لا نعقدها يا ترى ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



لكن امينا ، رحم الله الامين ، لم يستطع ان يقنع الغرب بعرضه المغري ، اذ لم تكن له موهبة التجار وبلاغة البائعين ، فمات في حسرة هذه الصفقة الجبارة التي لم تتم بين الشرق والغرب ، واكبر ظني انها لن تعقد في يوم من الايام .

*

واليوم ، بعد ثلاثين عاماً ، يقف الشرق من جديد ، الشرق المتململ في قيوده واغلاله ، شرق لبنان المتوثب ، الذي انجب امينا ، شرق العرب السمر الذين بعثوا به رسولاً يحمل الى العالم الجديد رسالة العالم القديم ، ليصيح في وجه الغرب الذي تغطي الارض دباباته ، وتكسف عين الشمس طياراته ، ويصم الآذان قصف مدافعه ، الصيحة الابدية :

انا الشرق ، ايها الغرب .

انا الشاعر والانسان والروح ، ايها التاجر والآلة والمادة .

فانفخ في جسدك من روحي ، واعطني وخذ مني . إنا كلينا اذن لرابحان !

رائد الفكر العربي الى العالم الجديد

بقلم سامي الكيالي
صاحب مجلة الحديث

■



الاستاذ سامي الكيالي
يلقي كلمته في الاحتفال بذكرى الريحاني

قبل نصف قرن او اكثر ، كانت البلاد العربية تغط في سبات عميق من الجهالات . وكان على المفكرين العرب ان يلعبوا نفس الدور الذي لعبه مفكرو فرنسا قبل ثلاثة قرون ، اي كان لا بد لنهضتنا الفكرية من ان يقودها ادباء احرار وقادة مصلحون يرسمون لهـا الطريق الواضح والنهج القويم، فكان الافغاني ومحمد عبده والكواكبي والشميل وقاسم امين وصروف وزيدان والزهاوي في طليعة المفكرين الذين احسوا بواجبهم التحريري نحو امتهم ، وكان الريحاني ، وهو احدثهم عهداً بنهضتنا المعاصرة — في الرعيل الاول من المفكرين الذين عالجوا الامراض الاجتماعية بكثير من الجرأة . وكأنه قد اخذ يتم ما بدأه الكتاب الذين تقدموه

اكاد اسمع صوت امين ، من وراء الحدود ، يقول لعالم اليوم:

ما لي لا ارى فيك الا الخراب ولا اسمع الا تكسر العظام ،وتهدم المنازل ، ولا اشاهد الا مواكب المعذبين، والمشردين ، والجائعين .

ترى ألم يكن خيراً لك ايها الغرب ان تعقد معي تلك الصفقة التي عرضتها ، لعل نفحة من روحانيتي تخلص البقية الباقية من مدنيتك، او لعل نسيماً يهب من جانب لبنان، وضفاف الفرات، وصحارى نجد ، يقضي على هذه الجراثيم الفتاكة التي تنخر جسمك وتكاد تودي بك ايها الغرب !

لكن الغرب لم يسمع صوت امين حياً ، فكيف يسمعه ميتاً؟

***

كان القرن العشرون يحبو طفلاً حين هجر امين لبنان ضارباً في فضاء الله الواسع هرباً من عبوديات ثلاث :

عبودية السياسة، وعبودية الادب، وعبودية الطائفية . وكانت الرسالة التي اداها ثورة شنها بقلمه ولسانه لتحطيم اغـلال هذه العبوديات الثلاث .

ثار امين على المستعمرين ، في زمن كان فيه استعمار الشعوب للشعوب هو القاعدة، وكانت الحرية، ولا سيما في الشرق، هي الشذوذ .

وكان وهو يعمل على تحطيم القيود عن عنق لبنان ، يحـاول تكسير الاغلال التي تقيد كل بلد عربي . واكبر ميزات الريحاني شمول رسالته ، واتساع آفاقه ، وشعوره شعور اللبنـاني ، العربي ، الشرقي تجاه الغرب المنيخ بقوته وجبروته على صـدر هذه الرقعة من العالم التي تسمى الشرق .

وثار على عبودية الادب حين انشأ على ضفاف الهدسون ، مع رفاقه جبران ، ونعيمه ، ومسوح، وعريضه، والي ماضي والشاعر القروي وغيرهم وغيرهم الاندلس الجديدة او قل مدرسة الادب العربي الحديث التي كانت جسراً عبر عليه كتاب العرب وشعراؤهم من ضفة التقليد الى ضفة التجديد .

وثار على عبودية الطائفية حين حذر ابناء الشرق من الانقسام بسبب اختلاف الاديان .

ترى ! هل خمدت نار الثورة ، ام وقف الكفاح ؟

وهل هذه العبوديات الثلاث التي ثار عليها امين قد انقلبت في هذه الثلاثين سنة حريات ثلاثاً ! ولا اقول حريات اربعاً ؟ .

هل تحرر الشرق ، او تحرر لبنان وتحررت بلدان العرب من عبودية السياسة ، وعبودية الادب ، وعبودية الطائفية الهدامة ؟ .

كلا . ثم كلا ! ان الثورة مستمرة والكفاح لم ينته بعـد . وان فضل امين ، والعباقرة امثال امين ، انه القى في ثرى لبنان ، وفي كل تربة عربية ، بذوراً للزارعين .

ان في بردي الريحاني ، ولا شك ، لنفحة من النبوة ! .

خليل تقي الدين

بكتاباتهم الوثيقة الاتصال بكتابات المفكرين الافرنسيين في القرن الثامن عشر مثلاً ..

نشأ نشأته الاولى شاعراً يعيش في اكناف الطبيعة وفي ظلالها الوارفة – في وادي الفريكة المهيب الجميـل ، العميق الملتوي ، الكثير الزوايا والاسرار ، ولكن نشأته الشعرية هذه لم تبعده عن حقائق الحياة التي تواجهنا كل يوم وكل ساعة بزحماتها القاسية . نعم ، لم يأو فيلسوف الفريكة الى واديه كالنساك المنقطعين عن الحياة بل كان يبتعد احياناً عن البشر ليفكر في اكاذيب البشر ، كان يبتعد عن الانسان ليفكر في اصلاح الانسان ، كان يتخذ من نظام الطبيعة الذي احكمته القدرة الازلية درساً بليغاً فيوقظ ضمير الفرد ووعي الجمـاعة ، ولقد صرخ في وحدته صرخات داوية ، منادياً الناس على اختلاف مذاهبهم ونحلاتهم ان يقتلعوا من انفسهم نزعة الشر ، وان يزرعوا اطيب الثمر .. كانت اهداف الخير هي التي تستثيره للكتابة فكتب في هذه المواضيع كثيراً وخطب اكثر .. وكأني به ، لنزعة الخير المتأصلة في صميم نفسه ، كان يحلم ان يرى البشر مجموعةً من الانسانيين بما تحتويه هذه الكلمة من دقة وشمول ، ويظهر انه اعتمد حسه الانساني حين صرخ صرخاته الداوية من اعماق واديه فقـاده هذا الحس الاصيل الى تصور البشرية مجموعة متآلفة من الحب والاخاء ، لا يعرف افرادها الحقد والدس ، ولا الكذب والختل ، وبذلك فاتته فلسفة استاذه ابي العلاء في سبر كنه النفس البشرية ، اي فاتته ، لنزعة الخير المتأصلة في نفسه كما قلت ، ان الشر في طبيعة البشر اغلب من الخير ..

مرّ الريحاني بهذا الطور من حياته الادبية الاولى – هذ االطور الذي يمر به كل اديب صافي الخيال ، عميق الوجدان ، زاخر الاحساس ، فكان لا يشغله غير صلاح النفس الانسانية ، وكتابه « الريحانيات » صدى لجميع فلسفته في الكثير من عللنا الاجتماعية ، فمن اعماق واديه خاطب الطبيعة وناجى الله ، تحدث الى الانسان وهمس في آذان الجماعات ، ومن اغوار نفسه انبعثت صيحات تقدس الحق والحرية وتناصب الظالمين العداء . نعم ، من اغوار الوادي ، وعلى شرفات المنابر انبعثت صيحـات مختلفة تعالج مشاكل الفقر وتعطف على البؤساء والمفلوكين ، تكافح العتاة وتحارب المشعوذين من رجال الدين – صيحات تعالج امراضنا الاجـتماعية والطائفية – فقد عالج هذا المرض الاخير برفق تارة وبقسوة تارة اخرى ، وتمنى كثيراً ان يكون بيده مشرط حادّ يبتر هذه العلل ، وقد بتر الكثير منهـا بدون رحمة ولا شفقة .. وحسناً فعل ..

هكذا بدأت حياة الريحاني الادبية ، وقد ظل في جميع اطوار حياته ، في لبنان ، في بلاد المهجر ، في رحلاته الى بلاد العرب ذلكَ الاديب المصلح الذي ينشد الاصلاح المطلق – اصلاح الفرد والجماعة ، اصلاح الامة والحكومة معاً – اي كان ادبه مرآة صادقة لميوله الاجتماعية . ولا عجب ان يتجه الريحاني هذا الاتجاه ، لان الادب عنده وسيلة لا غاية – وسيلة لاسعاد الامة وتوفير هناءتها ، لازالة الغشاوة عن ادمغة افرادها ، وهذا الذي حفزه ان يخاطب الافهام بمختلف النبرات ، وان ينتقل في عوالمه الادبية من افق الى افق ، من افق الشاعر الخيالي الى منبر المرشد الحكيم ، من صومعة الفلاسفة الى كهوف الصوفيين ، كان ادبه مزيجاً من الفلسفة والشعر ، من الصوفية والحب ، من الواقعية والخيال ، من زرقة البحر وصفاء السماء ، من جمال المدن واربداد الصحراء ، من مادية الغرب وروحانية الشرق ، مما في نفسه من فيض واشراق ومما في قلبه من حب ووجد ، لقد مزج الريحاني كل هذه الظلال والتلاوين ، واعطانا ادباً انبثقت من دنياه شتى الالوان والاصباغ ، وشتى الطيوب والاعراف .. تميز ادب الريحاني بكل هذه العناصر كما تميز الريحاني المفكر عن الكثير من الادباء المعاصرين بجرأته – جرأة الثائر المجدد ، الثائر على الكثير من العادات والتقاليد ، والمجدد لمناهج البحث وطرائق التفكير ، كان حريصاً – رحمه الله – ان يكتب الواقع كما يتراءى له من سجوف الحقيقة ، فعندما اصدر كتابه « النكبات » قامت دنيا العرب عليه وقعدت .. كيف يكشف الريحاني عن سوءات الاجداد ؟ كيف يمس حرمة الماضي ؟ ما له وللعب بهذه الحرمات المقدسة ؟ لقد هوجم اقسى هجوم ! فماذا كان رده ؟ تابع رسالته الحرة في ايقاظ الحس العربي ، وفي رفع الغشاوة عن الفكر العربي .. وكأني به كان يقول لهم ويحكم أتشكون بحب الريحاني لبني قومه ؟ أهذا جزاء من يقف نفسه على خدمة العرب حين يجهر بالحقيقة ؟ لا بأس فسترجعون عن غيكم قريباً الى منهج الصواب ! كان يخاطب ناقديه بهذا الاسلوب الرحيم – اسلوب الفيلسوف المحب ، المتغاضي عن الهفوات . والواقع ، ان احداً لا يمكن ان يرتاب بحب الريحاني للعرب ولكل مـا هو عربي ، وما كان غرضه من هذا الكتاب الا مواجهـة الوقائع التاريخية كما هي ، واثارة فلسفة القوة في ضمير الشباب العربي لمجابهة الحقائق دون خوف ولا وجل ..

قد يقول الكثيرون بضرورة تمجيد الماضي لاذكاء حماس الشعوب ، وهذه ضرورة انبثقت في عصرنا هذا – عصر القوميات ، ورأينا اكثر من امة واحدة قد خلقت من الاساطير والاضاليل

مجداً قومياً كاذباً ، وما كان الريحاني ليجهل ذلك ، وكل ما اراده ان يقوم تمجيد ماضينـــا على معرفة بواطنه وخفاياه لتكون نهضتنا القومية وطيدة الدعائم ، لا تهزها العواصف ولا تزعزعها الاعاصير .

ورحلته الى بلاد العرب لم تكن الا في سبيل وحدة العرب .

لقد جاء من وراء البحار . ومن اقاصي الديار عملاً بعاطفة لا خير للناس بسواها ، ولا عزّ للامم بدونهـــا ، يقول فقيدنا الغالي وهو يخاطب احدملوك العرب بعد ان سأله عما اذا كان سنياً ام شيعياً :

« اننا مهما استرسلنا بحب الانسانية المطلق لا ننسى اذا كنا منصفين حب الوطن الخاص ، وهذا الحب يحملني اليوم على السياحة في البلاد العربية ، فاني ، وان كان لبنان وطني الصغير ، وسورية وطني الكبير انتسب الى البلاد العربية وطني الاكبر ، واني ، وان كانت المسيحية ديني ودين اجدادي ، ادين بدين كل من اقـــام حقاً وازهق باطلاً بل ادين بدين فلاسفة العرب وشعرائها الكبار كالغزالي والفارض والمعري ، بل ادين بدين كل من قال بالوحدة العربية ، وتجديد مجد العرب ، وسعى في هذا السبيل سعياً شريفاً خالصاً لوجة الله ، فمن اعز العرب ، اعز ، يا مولاي ، الاسلام » .

ان نزعة الحب — حب قومه ، هي التي دفعته ان يطوّف في ارجاء العالم ، كالصوفي الذي تثيره احلام الحب وهجسات الوجد لان يطوّف في افاق الكون ، كان حنينه الى الجزيرة العربية اشد من حنين الصوفي الى وجه ربه . ورغم المصاعب التي كانت تعترض طريق سفره . ورغم جميع النصائح التي ازجاها له خلص اصدقائه الذين صوروا له الجزيرة العربية واحة من السعير .. ورغم تنصل الهيئات الرسمية من تحمل كل مسؤولية تقع عليه فيما اذا ارتمى في احضان الجزيرة — رغم كل ذلك فقد سافر مطمئن القلب دون ان يعبـــأ بالشدائد والاهوال ولا بالموت الذي صارعه مرات . نعم ، سافر الريحاني الى جزيرة العرب في سبيل وحدة العرب ، واذ خاطب الملوك والامراء خاطبهم دون مواربة او رياء ، خاطبهم بنزعته الحرة دون خوف او وجل ودون ان يداخل قلبه اليأس ، كانت رحلته في سبيل الدرس وايقـــاظ وعي الجزيرة للغايات المثلى ، ولتكون عصرية المنزع ، موحدة الاهداف ، مؤتلفة الاماني .

لقد كانت شخصية الريحـــاني من القوة والاتزان بحيث لم يتلجلج لسانه قط في اعلان الحقيقة مهما كانت قاسية ومهما كانت مرة المذاق . كانت نزعاته الفلسفية تقوده دائماً الى اعلان الحق ، وكان لا يرى اي ضير في الرجوع عن رأي غير صحيح ارتـــآه بالامس ، وهذه طبيعة المفكرين الاحرار .

« ان الهوس غالباً ضلال ، والعناد في غير الحق قتـــال ، وان امرءاً يرتأي رأياً او يعتقد اعتقاداً ثم ينبذه اذا تحقق فساده لاكبر نفساً ولاشد جرأة من المستبسل في ساحة الوغى . أجـــل ، ان الجرأة الادبية هي ان نقول الحق في ما يتجلى لنا منه ، وان كان قولنا اليوم ينفي قولنا بالامس » .

هذه كانت عقيدته ، وهـــذا نهجه في اعلان آرائه الحرة .. وقد احاطته هذه الصراحة بالاشواك .. ولكنه كان يدوسهـــا بقدمين جبارتين ، مرتفعاً عن ركام الاوشاب التي هي رأسمال الكثيرين من المخبولين وضعاف العقول الى ذروات الحق والمثل العليا .

جاءه يوماً احد كبار الشعراء الذين ينظمون على طريقة شعراء عصر الانحطاط ، وهو شاعر له مكانته عند ادباء الصنعة ، واسمعه قصيدة من قصائده الغر — وكان الشاعر ضيفه في الفريكة — فلم يتمالك ان قال له ، بعد ان سمع هذه الملحمة غير الخالدة طبعاً — لم يتمالك ان قال له بكثير من نبل الخلق وسعة الصدر : ان ما قلته يا صاح في ثمانين بيتاً يقوله شاعر من شعراء الشباب في شطر من البيت الواحد .

لقد زلزل الريحاني دعائم ادب هذا الشاعر النحرير ، ولم تمنعه آداب الضيافة ان يفاجئه في جو من المزاح هـــذه المفاجأة المرّة القاسية .. ولا عجب فان اخلاصه للادب كان اقوى من مراعاته لفروض المجاملات التي تقوم على ركام واهٍ من الرياء .

هي الحقيقة التي تنشدها نفسه ، كان يعلنهـــا قوية صريحة ، وعكازته في تقويض الاصنام الخاوية : قل كلمتك وامش .. وقد ذهبت هذه الكلمة التي تتمثل في كل حرف من حروفهـــا الجرأة والاخلاص — مثلاً حياً على ألسنة الادباء المعاصرين ..

وهذا الذي يجعلني ان اقول ان جرأة الريحاني وصراحته همـــا اقوى عناصر شخصية .

كان ، رحمه الله ، رائداً من رواد الحضارة الحـديثة الى كل صقع عربي كما كان رائداً من رواد الفكر العربي الى العالم الجديد وقد آمن طوال سنوات جهاده بفكرة مثالية لم يحد عنها — فكرة التسامي والتجرد ونبذ التعصب ومواجهة الحقائق ، فعمل لها بايمان واخلاص ، وما زال حتى توارى نخسر العرب بموته ابلغ الكتاب الواقعيين ، واجرأ الادباء المفكرين الذين عملوا لمجد العرب ولحرية الفكر اربعين سنة كاملة دون ان يخفت له صوت فأدى رسالته احسن اداء .

حلب — سامي الكيالي

المرأة عند الريحـــاني

بقلم السيدة املي فارس ابرهيم

عقلٌ خيّرٌ حلل في معقدات المجتمع الانساني فدقت في ضميره المرهف كل صغيرة وكبيرة من مشاكل الانسان ، وقلب كريم اثارته العوائق المصطنعة التي تحول دون انطلاق الانسان انطلاقاً حراً في مدارج الحياة ، وحرٌ دوّت غضباته الصارخة في ارجـاء الفكر العربي فهزته هزات عميقة واشعلت فيه لهب التحرر والانعتاق من قيود الاستعباد . وفيلسوف شعبي لم يترفع عن الانحـدار في اغوار مجتمعه ليتلمس ادواءه ويعالجها بجرأة وعنف كثيراً ما جاور الصلف فوصفته النفوس الخانعة بالفيلسوف الهدام والمبشر الاباحي .

ولكن امين الريحاني كان انساناً ، وفيلسوفاً حراً تجنـد في معسكر الذود عن الكرامة الانسانية والقيم البشرية . فدعا الى تحطيم الانيار التي تقيد بها القوى المختلفة اعنـاق البشر وابى ان يهان الانسان في اقدس حقوقه البديهية الطبيعية في حريته .

ولم يترفع باسم حرمة الفكر ، عن الجهر بصراحة صاعقة بمسببات ادواء مجتمعه ، ولم يترفع ، باسم هذه الحرمة الزائفة عن معالجة قضايا بلاده ومجتمعه ، هذه الحرمة التي يتسلح بها بعض الكتاب ليبرروا موقفهم اللا مبالي من بعض قضايا بلادهم ومجتمعهم ، زاعمين ان مهمتهم انما هي اسمى من ان تقتصر على هذا الاهتمام المحـدود وان رسالتهم انسانية شاملة تهدف لاسعاد البشرية جمعاء .

والريحاني لم يتناس ان انسانية مثلى من هـذا النوع الذي لا يفرّق فيها بين ابناء البشرية ، انما دمغها نضال طويل عنيد ، يترتب على كل الهيئات الفكرية في العالم ان تتعاون على القيام به كلٌ فيما يختص في بيئتها ، فتصلح مجتمعها الخاص كي لا يضيع نضالها الفكري في عالم النظريات الفسيح الارجاء .

قلت ان هذه الحرمة زائفة ، لان المفكرين الذين يتسلحون بها هم من الذين يخشون تحمل المسؤوليـات المعينة الذين يجفلهم كل نضال يستوجب مجابهة تيار الضـلال والقضاء عليه ، ويتفنن بالتسلح بها الذين يلبسون لكل مرحلة حلة ، فلا يستهويهم الجهاد الفكري التوجيهي ، لان هذا الجهاد يتطلب الجهر باراء واضحة يصعب الجحود بها فيما بعد .

وقولي هذا لا يعني ابداً اني انددبالتفكير الانساني الشامل او اني احتقر حرمة الفكر الخيّر النبيل الذي يسعى الى اسعاد الانسان اطلاقاً ، اني ابعد الناس عن ذلك ، غير انه لا يمكنني الا ان ألمس سوء النية في الذين لا يعترفون بان هذا التجريد ، انما هو تجريـد خاطىء في معالجة مشاكل الانسان والعمل على اسعاده ، ما دامت في الدنيا قوميات مختلفة تدين بمذاهب ونظم مختلفة وتتأثر بتقاليد وعوامل مختلفة ، فمهمة الكتاب والمفكرين والفلاسفة المخلصين لبلادهم هي اذن الاهتمام بمشاكل مجتمعهم الخاص وتوجيه افراده توجيهاً صحيحاً بالنسبة الى بيئتهم ونظمهم . وعملهم هذا لا يصرفهم عن تـأدية رسالتهم الانسانية الشاملة ، لان العمل على ترقية كل مجتمع ، انما هو خطوة نحو الارتقاء الانساني الشامل .

هو النهج الخفاق بالحق ما سلكه فيلسوف الفريكه . وكان في جملة المشاكل التي حزّت في نفسه واقلقتها مشكلة المرأة الشرقية فسعى الى معالجتها في مقالاته وخطبه ومؤلفاته . وقـد يصح ان نتخذ من آثار الامين روايته « خـارج الحريم » لترسم صورة عامة لرأيه في مشكلة المرأة في بلادنا . فقد توغل الريحاني وهو بعـد في مطلع الشباب ، في قلب المجتمع التركي الارستقراطي الذي كان مثالاً تستوحي منه الاوساط العربية الراقية منهجها في الحيـاة — وبلاد العرب يومئذ جزء من الامبراطورية العثمانية الضخمة — فاثخن الريحاني في تقاليـد ذلك المجتمع بلسان بطلة الرواية جهان تستمع المرأة العربية صوتها .

وجهان فتاة من اعرق اسر تركيا ، آلت على نفسها ان تحرر المرأة في بلادها من سلاسل العبودية التي كانت تقيدها .

وقد احست يوماً على اثر رؤيا تراءت لها ، ان عليهـا رسالة وكلت بها اليها بنات جنسها وابناء وطنها ، فيلتقي الريحاني هنـا



امين الريحاني

مع كثير من الفلاسفة الذين يشعرون دائماً بهوة سحيقة تفرق بينهم وبين افراد مجتمعهم — هوة تحفرها فوارق في تفهم الامور وتحسس الاشياء — فيؤدي ذلك الى كبح جماح انطلاقهم العقلي الذي لا يلبث ان ينتهي ، في ساعات اندفاع فكري عنيف الى الافلات من كل القيود والتأثيرات الملازمة لهم ، فيتراءى لهم في مثل هذه الساعات كأن صوت الوحي يدعوهم الى تأدية رسالتهم .

وهكذا تحاول جهان ان تؤدي الرسالة التي وكلت اليها امها وبنات جنسها امر القيام بها ، يوم تراءين لها في ساعة اندفاع فكري عنيف ، تحاول ان تؤديها بجرأة وكبر . وشاء الريحاني ان ترتكز عقيدتها في نضالها على علم صحيح ووعي ديني وقومي سام ثابت ، وعي كان يدفعها دائماً الى العمل على التوفيق بين تقاليدها القومية التي ما سخرت الا من التي لا قيمة فكرية لها ، وقواعد دينها التي ما تمردت الا على التي تنتسب بخطأ الى دينها الذي تجل ، عملت على التوفيق بين كل ذلك وبين السير في طريق التطور والتحرر الحبيبين الى النفس الحرة .

ويسير الريحاني بجهان بطلة رواية « خارج الحريم » ، وقد تقاذفتها عوامل متناقضة : حبها للحرية واحتقارها للتقاليد العقيمة ، وحبها العميق لوالدها الذي يمثل الشيء الكثير من تلك التقاليد ، الى ان ينتهي بها الى الاستسلام لقائد الماني كانت تأمل الافلات معه من القيود الثقيلة على نفسها . ثم لا تلبث ، على حد تعبير الريحاني « ان تدرك انها ضحت في لحظة ، شرفاً حفظته سنين ، فكانت هي الحقيقة الهائلة الجارحة التي البستها العار والاثم » .

ويستطرد بوصف هواجس جهان واضطرابها في غرفتها فيقول : « وهناك ، على منضدتها ، كتبها ومجموعة اوراقها ، وفوق المنضدة لوح ذو اطار عليه آية قرآنية في الزواج ، طرزته بيدها تطريزاً بديعاً ، تطريزاً من الذهب على حرير ازرق سماوي اللون ، اما الاية فهي : « فان خفتم الاّ تعدلوا فواحدة » قرأتها مرة اخرى وهي تردد فواحدة !! واحدة !! وما عسى ان يكون عدل الرجل نحو المرأة ؟

يود الريحاني ان يشير الى عامل من العوامل الاساسية التي كانت تثير في نفس جهان الغضبات العنيفة والتي قادتها في ساعة جنون الى الانتقام .

واخشى ان يطول بي الشرح اذا استرسلت في الاستشهاد والتعليق والتدليل على نزعة الريحاني التطورية والاصلاحية في قضايا مجتمعة وفي قضية المرأة . فحسبي ان اخبركم ان هذا النزاع العنيف الذي كان يتجاذب جهان بعوامل متناقضة تثير حيناً نفسها الطموح وتجرها حيناً الى الاذعان ، ان هذا النزاع العنيف انتهى بها الى قتل القائد الالماني ثم الى قتل نفسها بعد ان توجهت بهذه الكلمات ذات المغزى الى والدها وهي تلفظ نفسها الاخير :

« ابتاه ، اصفح عن ابنتك ، سيدي ان الوحش الاشقر لم يحيي ليفاخر بانتصاره ، ابتاه لقد ذبحته بسيفك » .

فاين التهديم والتبشير بالاباحية في فلسفة الريحاني ؟ فهو حاول ان يكون مصلحاً بدعوته الى تفهم روح الشرائع وجوهرها مبدداً الضلال الذي يهيمن على تنظيم المجتمع العربي ويعزله عن حركات التطور في العالم . وحاول ان يشير بشتى الوسائل والطرق الى السلاسل الظالمة التي تقيد ، من غير حق ولا عدل ، عنق الانسان الذي خلق حراً ويجب ان يعيش حراً .

لقد حمل الريحاني مشعل الحرية يضيء به سبيل الجيل العربي الجديد السائر نحو الارتقاء والتكامل الانساني .

وما استمع قلب حرٌ الى صدى صوته في كتبه حتى شعر بنزعاته الانسانية السامية تنبض من خلال السطور .

وحسب الريحاني شرفاً وتخليداً انه معلم الجيل في اقطارنا .

اصبلي فارس ابراهيم

تقليد الملوك والوزراء بالملابس والازياء

بقلم صلاح الدين المنجد

*

يقول الدكتور « لالو » في كتابه عن « الفن والحياة الاجتماعية » ان العامة مطبوعة على تقليد من هو ارفع منها مكانة ، وأعلى شأناً . لا سيما تقليدها في ملابسها وازيائها ، وفي كل جديد ، يصدر عنها . ليصدق قانون التقليد الذي نوّه به « تارد » ، من وجود مخترعين يضعون الازياء ، ومقلدين يتبعون ما وضعوه . فواضعو الازياء ، هم ، على الاغلب ، المترفون الارستوقراطيون ، من الملوك ، والامراء ، والوزراء ، والاغنياء . فهؤلاء يفتنّون باختراع زي (مودة) ، فاذا رأته الطبقة المتوسطة او العامة ، حلى ذلك في اعينهم ، وأحبوا تقليده . وتثر برهة يعم الزي فيها ، بين الطبقات كافة . وعندئذ تخترع الطبقة المترفة زياً جديداً يميزها من غيرها . وما يزال هذا التبدل في الازياء مستمراً ، مـا دامت الطبقات الاجتماعية باقية .

ويغلب حب التقليد عند النساء ، على الرجال . فلن تجد آخذ لعقولهن ، ولا اجذب لاسماعهن ، من منظر ازياء المترفات ، والتحدث عليها . ولعل هذا التقليد طبع يخالط اللحم والدم ولقد صادفتُ منهن من تجوع لتلبس لبسة فلانة او فلانة من المترفات ، وتستدين لتحلى حلية بنت الكبير او خليلة الوزير . وتجد في ذلك التقليد ، من اللذة والزهو ، ما ينسيها ألم الجوع ، وعار الدين .

*

ولست احب ان استفيض في سوق الادلة . الا ان هـذه الظاهرة تبدو واضحة جلية في العصر العباسي . نستطيع ان نأتي بامثلة منها .

فقد ذكروا ان يعقوب بن داوود ، وزير المهدي ، كان له طراز خاص من الطيلسانات والقلانس ، قلّده الناس فيها ، وانتشر هذا الطراز . فلما غضب عليه المهدي ، نادى في اصحابه : لا يوجد احد عليه — لانه طراز الوزير في اللبـاس — طيلسان يعقوبي ، وقلنسوة يعقوبية ، الا أخذت ثيابه .

وذكر ابو الفرج ان عليّة بنت المهدي ، كان في جبينها فضل سعة تسمج به . وكانت علية اديبة ، ظريفة شاعرة . فاخترعت ، وهي الاميرة ، العصائب ، وجعلتها على جبينها ، ورصعتها بالجوهر والدر ، فقلدت النساء جميعاً عصابة الاميرة ، وانتشرت العصائب انتشاراً كبيراً ، وتفنن النساء بعدها بتزويقها وزركشتها ، فلم يُر فيما ابتدعت النساء اجمل ولا احلى مما ابتدعت عليّة .

وهذا يذكرنا بالمركيزة دُبومبادور . فقد كانت تلبس الزي ، فيتبعها نساء البلاط ، ثم سائر نساء الناس .

وكان جعفر بن يحيى ، على قول الجهشياري ، طويل العنق . وكان اوّل من عرّض الجربّانات ، وحشاها بالقطن . فاستملحها الناس ، ولبسوها مثله ، ونسبوهـا اليه . فكانوا يقولون : انه يلبس جرباناً برمكياً .

ولما افضت الخلافة الى الامين ، قدّم الخدم وآثرهم فلما رأت أم جعفر شدة شغفه بالخدم ، واشتغاله بهم ، اتخـذت الجواري المقدودات ، الحسان الوجوه ، وعمّمت رؤوسهن ، وألبستهن الاقبية والمناطق . فماست قدودهن ، وبرزت ارادفهن ، وبعثت اليه بهن . فاختلفن بين يديه ، فاستحسنهن ، واجتذبن قلبه اليهن ، وابرزهن للناس من الخواص والعوام . قال المسعودي : فاتخذ النـاس مثله الجواري المطمومات ، وألبسوهن الاقبية والمنـاطق ، وسمّوهن الغلاميات .

ويحدثنا الشابشتي ، صاحب الديارات[1] ، ان عريباً ، المغنية المشهورة ، ووصيفة الامين ، رؤيت ، وهي في سن سبع عشرة سنة ، تلبس القباء والمنطقة ، وتقوم على رأس الامين .

وزبيدة كانت اول من رصع الخفاف بالجوهر ، ولبست الثياب الموشاة المنسوجة بالذهب . فقلدتها النساء في ذلك ايما تقليد ، وشاع وانتشر .

*

وكان المنصور قد احدث لبس القلانس الطوال ، وفرضها على

(١) كتاب نادر ، ضبطناه ، وعلقنا عليه ، واعددناه للنشر

الضحك عنـــد برغسون

نلخص مع بعض الاقتباسات — بقلم ابو مدين الشافعي

ماجستير في علم النفس من جامعة فؤاد الاول

لقد حاول – قبل برجسن – عدد كبير من المفكرين معرفة اسرار الضحك وبواعثه . غير اننا لا نجد احداً – قبل برجسن – بدأ البحث في الضحك الا وهو ينظر اليه كعرض في الانسان اي كشيء كمالي ليس له من الاهمية الا علاقته بالانسان ودلالته على حالة الطمأنينة والسعادة . وان كانت له علاقة بالمنطق ، فهي علاقة عكسية تدل على وجود تناقض او غلو او غرابة – وكل تلك المحاولات كانت حقاً فاشلة ، فبعضهـا لم يدرك اي اساس حقيقي للضحك، والبعض الآخر ادرك ناحية خاصة وجزءاً فرعياً لا يمكن ان يكون اساساً حتى نحاول استخراج السر منه .

لا شك ان وصول برجسن الى سر الضحك الحقيقي، وابداعه في التعبير عنه او توضيحه كله راجع الى تعمق برجسن في معرفة سر الحياة من جهة ، والى شدة العلاقه بين الضحك وسر الحيـاة من جهة اخرى . ولا اكون قد نقصت من قيمة اكتشاف برجسن اذا صرحت انه وصل الى سر الضحك بالصدفة وعرضاً اثناء بحثه في سر الحياة ، وتاريخ العلم يثبت ان اكبر عدد من الاكتشافات الخطيرة ظهرت لاصحابها صدفة . واقرب موقف برجسن في الضحك من موقف العلماء المكتشفين المخترعين لان برجسن اكتشف ، واكتشف حقيقة علمية لا تقل في الاهمية عن اي اكتشاف آخر في ميدان العلوم المادية .

سلط برجسن ملاحظته على كل ما نضحك منه ، وجمع كل الاحوال المضحكة ، وحاول ارجاعها الى قانون عام شامل يعبر عنها كلها وترجع اليه كلها ولم يلبث برجسن باحثاً حتى ادرك كل الفروع التي تتفرع عن الاساس والقاعدة الكلية التي وصل اليهـا باستقراء احوال كثيرة ، فلم يبن برجسن بحثه على المنطق او على ناحية خاصة من النواحي الفنية ، بل بدأ برجسن يتأمل الحقـائق نفسها – تتبع الضحك فوجـد ان الذي يضحك لا بد ان يكون متصفاً بصفة انسانية ، فالشيء الذي يضحك هو شيء فيـه صفة

الناس . فهزأ ابو دلامة من هذه القـلانس التي تشبه الدنان ، فأبطلت . فلمـا جاء المعتصم ، وكان ميّالاً للتشبه بالاعاجم في ملابسه . اعاد لبس هذه القلانس الطوال تشبهاً بملوك الاعاجم ، فلبسها الناس تشبهاً بفعله ، وسميت : المعتصميّات .

فلما جاء المتوكل ، اظهر لباس ثياب المُلَحَّم ، والملحم ثوب مسدود لا فتحة له ، وفُضل ذلك على سائر الثياب . واتبعه من في داره على لبس ذلك ثم انتشر هذا الطراز من اللباس ، وشمل الناس لبسه ، وسميت : الثياب المتوكلية .

ويظهر ان المستعين لم يرض عن القلانس الطوال ، فلما جاء ، صغرها . فانتشرت القلانس الصغار بين الناس تشبهـاً وتقليداً . وأحدث الكمام الواسعة ، فجعل عرضهـا نحو ثلاثة اشبار ، فسار الناس على لبسها .

فانت ترى شغف الناس بتقليد ازياء ملوكهم ايام بني العباس . وما كان يومئذ ، تجده في كل وقت ، وعصر ، ومكان . ولقد رأيت ما علل به التقليد « تارد » ، وما ذهب اليه « لالو »، ولأبن الطقطقي ، صاحب الفخري في الآداب السلطانية ، رأي يقارب رأي « لالو » فقد قال : « والحق ان النـاس يتبعون ملوكهم في زيهم ، ويقلدونهم في لباسهم ورسومهم وآدابهم ، لان انفسهم مطبوعة على تقليد من هو ارفع منهم » ثم يضيف الى ذلك فكرة جديدة فيقول : « ولانهم علموا ان زيهم الاول مستهجن في نظر الخلفاء ، فتقربوا اليهم بزيهم ... ».

دمشق — صلاح الدين المنجد

مضحكة في انسان ، ووجد ان الضحك لا يصدر من الانسان الا اذا كان هذا في حالة هدوء ، بعيداً عن كل انفعال ، ووجد ايضاً ان للضحك وظيفة كبرى يؤديها للانسانية ، فهو سلاح صارم يستعمله المجتمع ضد كل شذوذ اجتماعي ، وكل ابتعاد عن الحياة التي تمتاز بالمرونة — فتكون القاعدة العامة التي ترجع اليها كل الاحوال المضحكة هي ظهور اي ميل للتجمد والآلية في الحي .

ونستطيع ان نفرق بين نوعين من الحالات المضحكة : حالات طبيعية وحالات اصطناعية ، فالحالات الاصطناعية هي تقليد لبعض الحالات الطبيعية ، وهي تدل على ان بعض الناس تنبهوا الى بعض اسباب الضحك واستعملوها لاحداثه في اوقات مختلفة فالذين يحترفون الاضحاك زوّدوا بقوة خاصة في ملاحظة الحالات المضحكة وزوّدوا بقدرة في تقليد الحالات الطبيعية . ولكن برجسن اقتصر في كتابه على دراسة القاعدة العامة التي ترجع اليها كل الحالات الطبيعية للضحك ، وان كان حاول ان يتكلم عن المهزلة او التمثيل المضحك (الكوميدية) .

في الكلام عن المضحك عموماً وضح برجسن علاقة سر الضحك بسر الحياة ، فاذا قارنا بين موقفنا امام جسم رشيق ، خفيف الحركة ، سريع التكيف ، متغلب على الموقف يحقق غرضه بسهولة غريبة ، فانا ننظر اليه نظرة اعجاب ، ويبدو لنا جسمه رشيقاً جميلاً يرتاح لرؤيته ولا نكتفي من مشاهدته . واذا كان جسم له من الصفات عكس ما للاول بحيث انه متجمد ، بطيء الحركة ، بطيء التكيف ، حائر ، ضعيف امام الموقف ، يجد في كل شيء صعوبة ، فاننا ننظر الى هذا الجسم نظرة فيها سخرية واستهزاء ، ويثير منظره الضحك ، خصوصاً اذا اعتقدنا هذا الجسم قادراً على اكتساب الصفات التي اكتسبها الجسم الاول . اذن نستطيع ان نقول بصفة عامة ان الضحك ينشأ عامة من ظهور صفات التجمد المادي الآلي في الجسم الحي الذي يتصف عادة بالتلقائية والتكيف .

ويذهب برجسن الى ابعد من هذا اذ يحاول ان يبين ان الضحك الذي هو لا شعوري والذي يحدثه التجمد او شرود الذهن ، فهو سلاح يتسلح به المجتمع ليقاوم به جمود الافراد ، لان ذلك الجمود يعوق اتصال الافراد وانسجامهم في مجتمع واحد متحد . فالضحك يهذب العادات والاخلاق ، والانسان لا يقوم باشياء يعرف ان الناس يضحكون منها . وبهذا يتضح ان الضحك ليس فناً محضاً وانما هو بين الفن والحياة .

ولكننا نجد بعض الاشكال تثير الضحك من نفسها ومن اول وهلة ، فكيف نستطيع ان نعلل ذلك ؟ يرى برجسن ان الاشكال المضحكة هي الاشكال التي يمكن اشخص كامل البنية ان يقلدها بتشويه خلقته . بعض الوجوه تبدو دائماً ضاحكة او باكية او كأن الشخص يصفر دائماً . ونضحك من شخص احدب لاننا ننسب ذلك الى عدم عنايته باستقامة جسمه وتعنته وجموده على حالة واحدة . بخلاف الاجسام او الوجوه التي لا نرى فيها تغلب حالة واحدة فنشعر فيها بحيوية اكثر وضوحاً . وتدل على ان الشخص كثير الحركة سريع التعلم كثير التمرين . فالافعال العضلية في الوجه او التعبير العضلي تدل على حالة نفسية حية فهي سريعة التغير ، وكلما تأخرت اشعرتنا بجمود مناف للحياة واثارت الضحك .

وكذلك فيما يتعلق بالحركات الجسمية على العموم ، يرى برجسن ان « مواقف الجسم الانساني واشاراته وحركاته تكون مضحكة في الحدود التي يشعرنا الجسم فيها انه آلة بسيطة » اهم اوصاف الحياة المرونة ، فاذا نحن لاحظنا على جسم ما في موقفه او اشاراته او حركاته اي نقص في هذه المرونة خيل الينا انه قريب من الآلية ، وذلك يثير الضحك حتماً . والضحك ناشيء بالاخص من هذا الاختلاط بين الآلية والحيوية لاننا نرى آلة تحاول ان تظهر في مظهر حي . ولذلك نضحك من « القراقوز » الذي يحاول ان يمثل الحياة في حين انه آلات . والتقليد في حد ذاته مضحك حتى بين الاحياء ، فاذا شعرنا في شخص ان حركاته ومواقفه واشاراته مستعارة من شخص آخر اثار ذلك فينا الضحك . وذلك لاننا نشعر بنفس الشيء ، وهو ان هذا الجسم الحي لا يستعمل قوته الحيوية ، ويسير على مثال الآلة الجامدة التي تستمد القوة من غيرها ، وتسير حسب هوى الغير ، ونجد فكرة اخرى وهي ان الحياة لا ترجع ابداً ، واعمالها لا تتشابه ابداً . واذا رأينا تشابهاً اولنا ذلك بالتقليد ، ويكون التشابه مثيراً للضحك .

ولا شك اننا نستطيع ان نفهم من هذا ان برجسن يعطي للخيال اهمية كبرى : نرى الشخص يقلد ، فنتخيله آلة ، وبالفعل فان برجسن يذهب الى ان للخيال منطقاً مستقلا عن المنطق الفكري العقلي ، ويرجع الحركات المضحكة الى ثلاثة اسباب : (١) اي تجمد يبدو في الحركة . (٢) اي انفصال بين الجسم والنفس . (٣) ظهور الجسم الحي في مظهر الشيء الجامد .

اولاً : نضحك من شخص لا يعرف كيف يتكيف في وسطه ، ويصطدم بكل شيء في سيره مع سلامة جوارحه كلها ومقدرته على التكيف ، وكل انفصال بين الشخص والعالم الخارجي

يثير الضحك . فضحك مثلاً من الشخص الذي يلبس لباساً غير ملائم للعصر او الوسط الذي يعيش فيه ، ولذلك يثير فينا التنكر ميلاً الى الضحك . ثانياً : نضحك عندما نلاحظ انتقالا فجائياً من المعنى والفكر والنفس والروح ، الى المادة والجمود والجسم ، اذا كان خطيب مندفعاً في خطابه وكله معان وافكار فاننا نضحك حين نراه يحك ظهره او يقوم باي عمل يشعر بالتفات الى الجسم ، كما نضحك من الشخص البليد الخجول الذي يحار من نفسه لاننا نتصوره متضايقاً من جسمه واعضائه ، وذكر برجسن امثلة كثيرة مستقاة من التمثيل الفرنسي تبين لم نضحك من اقوال الموظف الذي يعتبر الوظيفة مخلوقة من اجله لكي يعيش هو في راحة مادية لا ليؤدي واجبات نحو غيره .

ثالثاً : تظهر الآلية المقلدة للحياة في الاشخاص عندما يشعروننا بفكرة الشيئية ، وادرك ذلك بعض من يحترفون الضحك فانهم يقومون بحركة معينة مكررة مثل الدوران مثلا حتى يختفي علينا شكل الجسم كما نعرفه ويبدو لنا في شكل شيء من الاشياء ككرة مثلا ، فتلك الصورة الشيئية وحدها تضحك ، ويظهر ذلك ايضاً في التعبير عندما نقول : « دستة من الرجال » فكلمة « دستة » « دزينة » تستعمل للاشياء لا للاشخاص .

اما التكرار فانه من أهم العوامل الباعثة على الضحك من موقف معين اذا فرضنا شخصاً يحكي حكاية لشخص لا يعرفه فان هذا الشخص لا يجد أي ميل للضحك من سماعها ، فاذا حضر شخص ثان سبق ان عرف الذي يحكي الحكاية وسبق ان سمع هذه الحكاية مرات متعددة ، فان هذا الشخص الثاني شعر بشيء من الملل مع شيء من الميل الى الضحك ، ولذلك نرى نفس الذي يحكي يشعر بشيء من التضايق عندما يعلم ان احد سامعيه قد سمعه مرات مختلفة ، وذلك يظهر ايضاً في بعض المواقف الصامتة التي تثير الضحك اذا وجدنا وجهين متشابهين تمام التشابه فاننا نضحك ونضحك اكثر عندما يزيد عدد الوجوه المتشابهة ، والسر في ذلك — حسب رأي برجسن — هو ان التكرار للصفة الحية يدعو الى الضحك

اما فيما يرجع انعكاس الموقف الطبيعي المنتظر فان الموقف الذي تعكس فيه ادوار الاشخاص فانه ينقلب الى موقف مضحك : نضحك عندما نرى مثلاً المجرم الجاني ينصح القاضي او الطفل يحذر أباه او التلميذ يعلم الاستاذ . فكل انقلاب يحصل في موقف ما يثير الضحك ، ونضحك عندما نرى شخصاً يقع في الفخ الذي بناه لغيره . ومن الصعب تحديد عامل التداخل في الضحك وذلك لان لهذا العامل تطبيقات مختلفة متعددة . نضحك عندما نكون امام موقف يرجع الى سلسلتين من الحوادث وكل منهما مستقل عن الاخر ، ولكن نستطيع تأويل الموقف بمعنيين مختلفين ، عندها يحصل خلط في الموقف فان ذلك يثير فينا الضحك .

ونجد نفس القاعدة منطبقة على الضحك من الكلمات لاننا نضحك عندما تدخل معنى غير مفيد وغير ملائم في جملة معروفة ، كأن نقول مثلاً : ورجعت « الكتب » الى قواعدها سالمة ، وفكرة الانتقال من المعنى الى المادة كعامل لاثارة الضحك توجد ايضاً في الالفاظ ، « نحصل على حالة مضحكة عندما نحاول ان نفهم عبارة فهماً حرفياً في حين انها مستعملة استعمالاً مجازياً » . كلما يتجه ذهننا الى المادة في حال الكلام عن المعنى فاننا نضحك ، ويثير تغير الصيغة ضحكاً في المستمع مثلاً عندما نعبر عن شيء عادي بصيغة رسمية او العكس فان ذلك يبعث الشخص على الضحك .

كل الاحوال التي رأيناها الى الان هي احوال خارجة عن الانسان وهي مضحكة لانها تحاول ان تتصف ببعض صفات الانسان الحيوية ، فاصعب ناحية في الضحك هي تفسير الضحك في الاشياء ومن السهل ادراك المضحك في الخلق الانساني ، فالمضحك في الخلق الانساني ليس دائماً عيباً نحاول اصلاحه بسخريتنا ، وانما هو في بعض الاحيان صفة محمودة مثل الصراحة المتطرفة فهذه تضحكنا بنتائجها التي هي عبارة عن انفصال الشخص عن وسطه » .

وبهذا نرى ان للضحك فائدة اجتماعية هامة فهو سلاح نحاول ان نحقق به وحدة المجتمع ، والاضحاك يتم على شرط ان الشذوذ الاجتماعي لا يكون مثيراً للعواطف . لذلك لا نضحك الا من العيوب الخفيفة التي لا تثير فينا عاطفة الشفقة والمشاركة ، وقد ادرك الاديب الكبير المرحوم الشيخ عبد العزيز البشري هذه الحقيقة النفسية العميقة ، اذ كان داخلاً مقهى مزدحماً واذا به يمشي على قشرة بطيخ ويهوي على الارض واستعد رواد المقهى للضحك طويلاً لو لم يروه يقوم ويمسك بكتف صاحبه مقلداً الاعمى ووقف الضحك بسرعة .

لا نضحك اذاً الا بما يشعرنا بنقص في المرونة والتكيف عند شخص قادر عليهما ، والمرونة والتكيف من اهداف الحياة المندفعة نحو الكمال والرقي ، فالضحك يساعد الحياة في اندفاعها كما ان الرشاقة التي تشهد بوجود القوة الحيوية الكاملة المتغلبة على المادة تحدث الشعور براحة نفسية سميناها الشعور بالجمال ...

القاهرة

ابو مدين الشافعي

تلك المنـــازل

■

ومليحة في وجهها الق الضحى ... والسحرُ والصهباء في اقوالهـا
قالت : أينسى النازحون بلادهم ... ما هاج حزن القلب غير سؤالهـا
الارض : سوريا احب ربوعهـا ... عندي « ولبنانٌ » اعز جبالهـا
والناس اكرمهم علي عشيرها ... روحي الفداء لرهطها ولآلهـا
والشهب : اسطعها التي في افقها ... ليس الجلال الحق غير جلالهـا
واحب غيث ما همى في ارضها ... حتى الحيا الباكي على اطلالهـا
مرح الصبا الجذلان في اسحارها ... ومنى الصبا الولهان في آصالهـا
اني لأعرف ريحهـا من غيرها ... بنوافح الاشذاء في اذيالهـا
تلك المنازل كم خطرت بساحها ... في ظل ضيغمها وعطف غزالهـا
وشدوت مع اطيارها وسهرت مع ... اقمارها ورقصت مع شلاّلهـا
وسجدت للالهـام مع صفصافها ... وضحكت للاحلام مع وزّالهـا
وملأت عقلي من حديث شيوخها ... واخذت شعري من لغى اطفالهـا
تشتاق عيني قبل يغمضها الردى ... لو انها اكتحلت ولو برمالهـا
مرت بيَ الاعوام تقفو بعضهـا ... وثب القطا تعدو الى آجالهـا
وتعاقبت صور الجمـال فلم يدم ... في خاطري منها سوى تمثالهـا

بروكلن ــ نيويورك — ايليا ابو ماضي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الادب العربي في المهاجر الامريكي

بقلم
لويس الربس
ليسانسيه في الفلسفة
والآداب

قد ظهرت في نهضتنا الحديثة حركة ادبية تفردت ببعض الخصائص الذاتية ، وكان لهـا ، على ادباء الجيل ، في جميع الاقطار العربية ، أثر وأي اثر !! عنيت بها حركة الادب العربي في المهاجر الامريكي .

من المعروف ان الهجرة لم تحصل دفعة واحـدة ولكن على موجات متعددة ، كما ان الدافع اليهـا لم يكن واحداً في جميع مراحلهـا : فقد هاجرت في البدء طبقة تطلب الغنى ، وجل هذه الطبقة لم تكن على شيء كثير من العلم والثقافة . غير ان هنـاك طبقة تركت الاوطان بحكم عامل سياسي قاهر : ذلك ان الحالة في منتصف القرن الماضي كانت في اضطراب وقلق ، فالحاكم ظالم والزعيم غير مخلص ، ورجل الدين على عوج[1] . انمـا العلم ما لبث ان انتشر بانتشار المدارس ، فطلع جيل جديد اراد ان ينفض عن منكبيه جور الحاكم ، ويناقش الزعيم ورجل الدين الرأي ، فحصل ، من جراء هـذه الثورة الفكرية اصطدام بين عقليتين وبين جيلين . فوقع على الجيل الجديد ، المطالب بحقه في الرأي والعمل ، اذى شديد ، ولم يجـد الخلاص الا بالرحيل والهجرة .

هذه القافلة رحلت الى الامريكتين وهي مزودة بثقافة طيبة من الادبين العربي والاجنبي . وعلى يد هذه الفئة قامت في المهاجر نهضة عربية حولت ارض العالم الجديد الى انداس جديدة ، وغدا الادب العربي هناك يكوّن جزءاً خطيراً ، ومدرسة لها ميزاتها الخاصة في الادب الحديث .

وقد تجلت النهضة في المهـاجر الامريكي في مظاهر مختلفة : فلاولئك المهاجرين جمعياتهم الادبية . من هذه الجمعيـات « العصبة الاندلسية » في امريكا الجنوبية ومنهـا « الرابطة القلمية » في امريكا الشمالية قام بتكوينها جمهرة من الادباء التفت حول جبران ونخائيل نعيمه . وهذه كانت ذات اثر في الحركة الادبية هناك وفي الاقطار العربية . وقد كان هدفها بث « روح جديدة نشيطة في جسم الادب العربي وانتشاله من وهدة الخمول والتقليد الى حيث يصبح قوة فعّالة في حياة الامة » . ومن مراميها : « ان تهتم بنشر مؤلفات عمالهـا ومؤلفات سواهم من كتّاب العربية المستحقين ، وبترجمة المؤلفـات المهمة من الآداب الاجنبية »[2] .

وللمهـاجرين نواديهم في العواصم الكبرى من الامريكتين اشهرها «النادي الزحلي » و« النادي الحمصي » و« النـادي الفينيقي ». واذا كان لا بد من نظرة الى ناحية الضعف في هذه النوادي وحياتهـا فهي انها كانت تأخذ مراراً لوناً طائفياً او اقطاعياً مما كان يجعلها لا تعمر كثيراً .

اما صحافة المهاجرين فهي من الصحافة العربية الراقية ، منتشرة بين الجوالي العربية في كل زاوية من زوايا القارتين . وانتشار الصحافة على هذا الشكل قوّى اواصر الصلات بين الجوالي العربية وعمل على تنمية النشاط الثقافي والادبي .

وللمهاجرين جهاد عظيم في سبيل العروبة والعرب ولبنان . وذلك ان اولئك المهاجرين عندما نزلوا تلك البلاد النائية اخذوا

اخص مصادر هذا المقال :

الدنيا في امريكا — الدكتور امير بقطر
قضية السوريين السياسية
الدكتور بنوا ابو صوان « بالافرنسية »
السوريون في امريكا — الدكتور فيليب حتي
الغريب في الغرب — اسعد رستم
حسر اللثام عن نكبات الشام
مؤلف غير معروف
حياة جبران خليل جبران — لمخائيل نعيمه
الغربال — لمخائيل نعيمه

فضلاً عن هذه المصادر فقـد اعتمدنا على دواوين شعراء المهـاجر ، ومجموعات نثرية وشعرية من ادبهم .

(١) حسر اللثام عن نكبات الشام

(٢) جبران خليل جبران ، لنعيمه ص ١٧١

بدراسة لغات تلك الشعوب وآدابهم، وما لبثوا ان اخذوا يكتبون ويحاضرون بتلك اللغات ويذيعون المؤلفات عن الحضارة العربية يصلحون ما شوه المغرضون من امر العرب وحضارتهم . وكل هذا بدافع الذود عن حياض العزة القومية لا يبغون اجراً على عملهم ولا شكوراً . وقد ضاعفوا مجهودهم خصوصاً، اذ وجدوا ان بعض السياح يردون الشرق فيكتبون عنه وعن العرب كتابات ساخرة . ففي كتاب « الغريب في الغرب » يذكر صاحبه فيقول : « اني وقفت على كتاب من تأليف الدكتور ... وهو احد المرسلين ... في سوريا ... موضوع الكتاب « المعيشة في سوريا » « اتى فيه على ما لا يذكر من القذف والتشنيع والتحامل . . »

وفي مكان آخر من المصدر نفسه : « عثرت على كتاب آخر للدكتور ... موضوعه « نساء العرب » ملأ صفحاته من الطعن والقذف والاستهزاء بالسوريين وعوائدهم بنوع تنفر منه الطباع السليمة ... »

وكان سكان البلاد يطلقون على العرب المهاجرين اسم «التركي» وبه ينادونهم ، فظل المهاجرون صابرين في مدافعتهم حتى غيروا اسم التركي باسم العربي ولم يرموا سلاحهم حتى اعترف لهم القوم بامجاد الجدود . وابتغاء الوصول الى غرضهم هذا جعلوا في صحافتهم العربية قسماً بلغة البلاد التي يقيمون بها .

اما من الناحية الادبية الصرفة فللمهاجرين محصول ادبي ضخم ولادبهم خصائص تفرد بها وله مميزات كونت منه مدرسة خاصة ففي اسلوبهم مرونة ودماثة ، تحببه الى النفس لولا الاستغراق في التخيل بعض الاحيان . غير انهم تساهلوا في اللغة احياناً فظهر فيه شيء من الضعف ومخالفة احكام اللغة . مثال ذلك قول الشاعر ، رشيد سليم الخوري ، في قصيدة — احبابنا — يقول :

« قوموا نسير الى الحمى بحياتكم قوموا نسير »

لكن هذا التساهل يعود الى رأي تكون عند القادة من ادباء المهاجر بان اللغة واسطة لا غاية ، انما الغاية هي الفكرة . وقد دافعوا عن رأيهم هذا بشدة لا تعرف اللين ضد من اراد باللغة وقوفاً وجموداً . وقد وفقوا مراراً في دفاعهم وفشلوا مراراً .

اما من حيث المعنى والروح فادب المهاجرين من النوع الوجداني الرومنطيقي العميق ، فغيمة من الكآبة الناعمة تظلل اكثر شعر المهاجر . وتسود اكثره نزعة الى التأمل يدلنا على ان هؤلاء المهاجرين ينطوون على نفوسهم يحللونها بالنظر الى النفس الانسانية العامة والكآبة والتأمل من اخص ميزات المدرسة الرومنطيقية .

ومن نزعتهم الرومنطيقية ايضاً تشخيص الطبيعة فالطبيعة كائنات حية يأنسون بها وتأنس بهم يخاطبونها فتفهم عنهم ويخاطبهم فيفهمون عنها . للتحقق من هذا نحيل القارىء الى قصيدتي مخائيل نعيمه : « النهر المتجمد » ثم قصيدة « الرياح » . وللشاعر امين مشرق قصيدة « الكهان » يخاطبها كأنها منه أليف انيس ، منها :

« لا تخافي انا اعطيك الصدى انا في داخلي يبقى الالم »
« هوذا قلبي يُضحى ابداً فدية عن قلبك الخالي الاصم »
« رددي منه الانينا واملأي الليل حنينا »
« وامزقي بالقلب ماذا ترهبينا مزقيه ، حبذا لو تفعلين »

وكل شعر تعرّى من الالم والنوح والبكاء وضجر الوحدة ليس في نظر الرومنطيقيين من الشعر الصحيح في شيء . وشعر ادباء المهاجر يحفل بهذه النزعات الرومنطيقية الداكنة ، وخصوصاً شعر المرحوم فوزي المعلوف .

والواضح في المدرسة الرومنطيقية ، وخصوصاً في الادبين الفرنسي والايطالي ان الشعراء الرومنطقيين فريقان امام ما يشعرون به في الحياة من وحدة وضجر وألم : الواحد يرى الاستسلام للقدر خير دواء فيقبل الحياة كما هي . والفريق الآخر اما ان يثور ويتمرد واما ان يستنجد بالموت خلاصاً من الحياة . والاستغاثة بالموت تكثر في الادب الفرنسي عند «لامرتين» وفي الادب الايطالي عند « بترارك » مما جعل الكاتب الايطالي جوفاني بابيني ان يدعو « بترارك » شاعر الموت .

وفي شعراء المهاجر نجد الفريقين . فمخائيل نعيمه يميل في ادبه الى الاستسلام والى الدعوة الى الاخاء الانساني . بينما نجد رشيد سليم الخوري في قصيدته « الحياة الباقية » يقول :

« اغربي يا شمس عني واغربي بالظلام »
« ودعيني اضع الرجل على شط السلام »

*

« فالمسي جفني ، أيا كف الحمام الناعمه »
« أرقت عيناي ، طوبى للعيون النائمه »

اما الاسباب التي جعلت لادب المهاجر هذه الصبغة فهي كثيرة في نظري، منها الذاتي ومنها الخارجي، منها الثقافي ومنها الاجتماعي . فاغتراب هؤلاء الاباء عن اوطانهم مما ولد الكآبة الحادة في نفوسهم فجاء شعرهم صورة لهذه النفس المغتربة التي تفتش على الحنان وتنزع

الى الوحدة والى عالم مجهول تتخيل فيه السعادة والطمأنينة .

وكان للاغتراب اثر آخر في العاطفة الوطنية من ادب المهاجرين خرجوا فيه مخرجين مختلفين : عاطفة وطنية سلبية وعاطفة وطنية ايجابية . اما الاولى — السلبية — فيظهرنا عليها ما يحمل ادبهم من ثورة وتمرد — وهذه خاصة رومنطيقية — على بعض تقاليد بلادهم الاجتماعية والدينية والادبية ، وعلى ما في بلادهم من اوضاع سياسية . وقد اشرت الى الحالة الاجتماعية التي قاسوها في الاوطان ، فكان لا بد من الثورة على ما آلمهم ودفع بهم الى الغربة البعيدة . وقد كانت ثورة مغيظة حانقة اشبه بصرخة اليائس . من هـذا بعض شعر نسيب عريضة في ابناء وطنه :

« كفنوه ، وادفنوه ، أسكنوه هوّة اللحد العميق »
« واذهبوا لا تندبوه ، فهو شعب ميّت لا يفيق »
« ذللوه ، قتلوه حملوه ، فوق مـا كان يطيق »
« حمل الذل بصبر من دهور فهو في الذل عريق »

وللشاعر الثائر — رشيد سليم الخوري — ديوان « العواصف » وقد منعت سلطات الانتداب دخول هذا الديوان الى الشرق العربي من الثورة الشديدة ، منه :

« من ينبيء السوري وهو مشوهٌ وجه الاباء ، لكثرة التعفير »

وقال يخاطب الملك حسين زعيم الثورة العربية :

« أترى تحرر انفس مظـلومة ويقدّ سيف العدل زور الزور »
« فيلمّ من اقصى البـلاد شتاتنا ويضم لؤلؤ عقدنـا المنثور »
« أم نستعيضُ بغربة عن غربةٍ وتظل سوريا لغير السوري »

اما العاطفة الوطنية الايجابية فقد تجلت فيما يحمل ادب المهاجرين من الحنين الى مرابع الطفولة من ربوع لبنان ، والتغني بجمال بلادهم سهولها وجبالها ينابيعها وانهارها :

« مثلما يكمن اللظى في الرماد هكذا الحب كامن في فؤادي »
« لست مغرىً بشادنٍ او شادٍ انا صب متـيم ببلادي »
« يا بلادي ، عليك الف تحية »

*

« انتِ ، مادمتُ في الحياة ، حياتي فاذا مـا رجعت للظلمات »
« واستحالت جوارحي ذرات فلتقل كل ذرّة من رفاتي »
« عاش لبنان ، ولتعش سورية »(١)

وفي ذكرى الطفلة للشاعر اللبق الياس فرحات :

« ترجعني الذكرى الى « الكساره »(٢) الى مقر الحب والطهـاره »
« الى اجتماعي ببنـات الحارة نلعب طوراً بالحصى وتاره »
« يشغلني معهن بالصنارة »

والشاعر الذي اتخذ الوطن ربة شعره ، وغناه ألطف الالحان ، هو رشيد ايوب . فلبنان عنده الفردوس المفقود ، الذي اليه يحن ويود ان يعود ، قال من قصيدة في ذكرى لبنان :

« يا نوى ، ان كان قلبي في الهيام اكتوى ،
والتوى ، ظهري ، ورثت في المشيب القوى
ما انطوى ، بساط آمالي ، ورب الهوى ،
فاعرفي ، لا شيء عن لبنـان مستوقفي ،
فهو في ، قلبي ، وما سواه لم اصطفِ ! !

أليس في هذه النغمة نفحة من نفحات المتصوفة !! فضلاً عن ذلك فرشيد ايوب وقف قسماً كبيراً من شعره على التغني بلبنان وجماله والشوق اليه ، وكله من الطراز العالي .

ولم يقتصر المهاجرون على اللغة الفصحى في التعبير عن حنينهم الى الاوطان ، انما لهم مجموعة قيمة من الزجل :

واقطع لبحر الروم آخر مرحله واطلع الى بيروت مينا واسكله
يا جبل لبنان غيرك مـا حلى لعين الذي يقضي زمانو بالنحيب

*

ما حلى للعين غير نسمة هواك والقلب لا يهوى من الدنيا سواك

●

وبعد فاننا نجد عناصر المدرسة الرومنطيقية متوفرة في ادب المهاجرين بمـا في هذه المدرسة من كآبة وحنين وثورة وتمرد . والعوامل التي كونتها هي الاحوال الاجتماعية والسياسية مع استعداد ذاتي من الاحساس المرهف . وقد تلقى القسم الاكبر من اباء المهاجرين الثقافة الاجنبية فمال الى الادب الرومنطيقي منه ، وهو ما يميل اليه الشباب وهم في فورة العمر فكان ذلك مساعداً فعّالاً في هذا التكوين الخاص .

حقاً ان نشاط المهاجرين وجهادهم في ميدان العلم والادب يتزلهم منزلة الرسل للعروبة ، وخير دعاة لهذا الوطن العزيز .

اوبس الربس

---

(١) ديوان الجداول : لايليا ابي ماضي

(٢) البلدة التي ولد فيها الشاعر .

كان

قصة

بقلم امين يوسف غراب

صفقة رابحة

الحمـار يسير في الطريق الملتوي بين الحقول والمزارع المترامية متمهلاً جداً على غير العادة التي ألف السير عليها منذ خمسة عشر عاماً اعتاد ان يقطع فيها هذا الطريق كل يوم في خمس ساعات ذهاباً ثم يعود فيقطعها ثانية في نفس اليوم وفي خمس ساعات ايضاً . وكان تمهله في السير لا عن جهد اضناه رغم شيخوخته وكبر سنه وطول المسافة التي يقطعها كل يوم . ولكن لانه احس ان صاحبه في هذا اليوم على غير عادته . فهو ما امتطاه هذا الصباح حتى القى بجسده عليه القاء كأنه جثة هامدة القيت على ظهره . وكأن الحمار احس فعلاً بما يعانيه صاحبه من ألم مرير في هذا اليوم فتألم هو ايضاً وراح يخب به في الطريق الملتوي على مهل وقد أمال عنقه الطويل الى اسفل وادنى رأسه الضخم من الارض حتى كاد يصفعه بجافريه وينكس اذنيه الطويلتين حتى غدتا على صفحتي الوجه الطويل كجناحي طائر جريح . وكلما قابله انسان او حيوان مثله تجنبه حتى يمر به في هدوء لكي لا يقلق الانسان المتكوم عليه كحزمة من القش ترسل شمس الصيف اشعتها عليها كأنها شواظ من نار . وكلما خلا بنفسه في الطريق ازداد ألمه لا على مصيره المجهول ان تركه هـذا الصاحب الامين ولكن على الخمسة عشر عاماً التي اقتناه فيها هذا الصاحب وعاشره فيها معاشرة الصديق للصديق لم يضربه مرة ولم يجهده يوماً عن قصد ولم يبخل عليه فيها بتبن او يضن عليه بعليقه . وكلما تخيل هذا واحس بحالة صاحبه التي يعانيها اليوم وهو على ظهره تساقط عرقه وتصبب على حوافره وهزلت خطواته حتى كادت تتوقف الى ان بلغ اول قرية فاخترقها دون ان يغير شيئاً من خطواته او يرفع رأسه حتى وقف عند مكان اعتاد ان يقف فيه في هذه اللحظة من كل يوم . واقبلت احدى النسوة وهي تنادي بصوت مبحوح : عم جمعه ... عم جمعه .

ولكن عم جمعه في هذا اليوم لم يسمع النداء ولذلك لم يلتفت كالعادة ولم يجب . وادرك الحمار ذلك وان صاحبه لم يسمع وعز عليه ان يظن شيئاً بعم جمعه فاهتز في وقفته كأنه يريد ان ينفض عنه غباره . وهنا اهتز معه عم جمعه بجسده المقرور فاستيقظ وحاول ان يفتح عينيه المحمرتين ولكنهما لم ينفتحا فمد انامله المرتعشة وخلص هدبيهما المتآكلين من سائل لزج تجمد عليهما وعلى جانبي الانف الاقنى المستسلم على الوجه المغضن لعبث الحياة . وهنا ادرك انه بلغ اول قرية فرفع رأسه الثقيل الذي لفحته حرارة الحمى واقامه على عنق مترهل ارتكز على صدر خائر كأنه صندوق من صناديق الحاوي الفارغة عبث النمل بجوفه فغدت انفاسه تتردد فيه كأنهـا حشرجة طائر مذبوح ثم رفع ذراعاً مرتعشة ومد يداً مقرورة واخرج من خرج بجانبه على الحمار عدة خطابات ادناهـا من عينيه المحمرتين وراح يتمتم بصوت مبحوح وشفتين غليظتين واجفتين ... جواب لمبروكه الشنواني ... وجواب لحميده ام علي .. وجواب لـ.. لـ.. لـ.. ولما لم يتمكن من رؤية خط القلم الرصاص الباهت الذي كتب به المظروف ادنى الجواب من عينيه ومكث لحظة ثم تمتم بعدها .. للحبيب النسيب الفاضل الشيخ عيسوي البردان عربي حنطور حضرة عمدة الناحية .

وناول المرأة هذا الخطاب الثالث ثم مد انامله الى حبل رفيع بجانبه انساب في عدة حلقات نحاسية على فتحة الخرج وشده فانقفل الخرج ثانية كما كان ، وهمت المرأة ان تسأله عن خطاب لهـا باسم ستيته العجوانى ولكن الحمار كان قد احس بسوسة الحلقـات النحاسية فواصل سيره دون ان يكلف صاحبه مؤونة الاصغاء الى ثرثرة اهل الريف التي ان كان قـد احتملها خمسة عشر عاماً فهو لن يقوى على احتمالها اليوم .

وعاد الحمـار يواصل سيره منكس الرأس وعاد عم جمعه الى اطراقته فألقى برأسه الملتهب على صدره الخـائر الذي راح يهتز بالرأس اهتزازاً منتظماً يوقعه الحمـار على خطواته البطيئة وترجعه القتل الاربع التي ابقاهـا القدر من زر طربوشه معلقة بخيط رفيع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كذلك الخيط الواهي الذي تتعلق به آماله في دنياه الذاهبة ومن ثم اغمض عينيه ولكن على بيت مهدم في اقصى المدينة تعج ساحته الضيقة ذات الجوانب المتآكله والسقف العاري بسبعة اولاد خلفهم الفقر اشباه عرايا يتطلعون الى السماء ولا يرتجون من رحمتهـا اكثر من خرقة ولو بالية تقيهم عوادي المذلة والاذى . وخلفهم الجوع اشباه آدميين منهم من يتعزى عن آدميته بالدموع ومنهم من يحول مجرى هذه الدموع الى القلب الذابل عساها تروي غلته وعساهـا بتلاشيها لا تزيد في قلب الام القابعة في وسطهم ونار الاسى تكاد تلتهمها وهي تنظر الى طفليها الحديثي الولادة وتراهما امامها كالقطط الضريرة يزحفان على اربع يبحثان عن ثديها الذي اخفته عنهما لا ضناً به ولكن شفقة بثغريهما الطريين ان يتعبا من رضاعة ثدي امتص البؤس لبنه وخلفه كالخرقة البالية الممزقة التي تستر بها صدرها ومع ذلك فهي تنظر اليهم جميعاً لا اليهما وتشفق عليهم جميعاً ولا تملك الا ان تجفف عبراتها وتجلس معهم في المكان المعهود من الساحة الضيقة بحيث تكون وجوههم مقابلة لمدخل الدار حتى يتمكنوا من رؤية ابيهم وهو يفتح عليهم الباب في أي وقت من الليل او النهـار وبيده تلك الارغفة الستة وقطع الجبن القريش الثلاث .

وما ان يبصروا به حتى يهرعوا اليه ويلتفون حوله ولا ينتظرون حتى يضع امامهم قوتهم اليومي الذي يمضي الشهر ولا ينقص عدده او يزيد . وتمضي الشهور ولا يتبـدل لونه او يتغير ومع ذلك يتخاطفونه ويتهافتون عليه تهافت الدجاجات الجائعة على حبـات الحنطة ثم يأوون الى مضاجعهم في غرفة لا تقل اظلاماً وتهدماً عن غرفة الحمار المجاورة التي اتخذ عم جمعه منامته فيها بجانب الحمـار . يقضي الليل بجواره ينظر اليه وهو يأكل ويتخيل اولاده الصغار وهم نيام في الغرفة المجاورة ومنهم من استطاع ان يظفر بكسرة كاملة من الخبز فأكلها ونام مطمئناً ومنهم من جمعه اخوه في كسرته فبات على الطوى وقد اغمض عينيه ليصغي الى نباح احشائه الجائعة فلا يسمع الأب وهو بجانب الحمـار الا ان يغمض عينيه هو الآخر ولكن على دموع باورتها حرقة العوز ومذلة الفاقة حتى الخامسة صباحاً فيتسلل بحماره الى مكتب البريد ليوزع على الناس في القرى اخبار الاهل وانباء الاصدقاء .

غير انه ليلة البارحة لم ينم بجانب حماره كالمعتاد ولم ير حمـاره وهو يأكل ولم يتخيل اولاده الا وكلهم ايقاظ على الطوى ينظرون الى باب الدار وينتظرون ولا من مجيب ولا من مغيث . فقـد كانت ليلة البارحة آخر ليلة في عمر الجنيهات الثلاثة التي يقبضهـا كل شهر من الحكومة . وكانت ليلة البارحة اول الليالي التي بدأ فيها الاستجداء وعجز فيها عن الاستدانة وعن العشرة قروش التي تشتري بها الارغفة الستة وقطع الجبن القريش الثلاث . وهو لا يقوى على الذهاب الى الدار بيده فارغة ابداً لانه لا يستطيع ان يرى اولاده وقد هرعوا اليه والتفوا حوله ولا يقـدم اليهم الا النظرات والانات والدموع فهذه وان كانت تهدد الخاطر احياناً فهي لا تطفىء حرقة الظمأ ابداً . وان كانت تريح الفؤاد بعض الشيء فهي لا تسكت مواء القطط الجائعة بحـال . . ولذلك آثر ان يبيت مع حماره على الرصيف بجوار هنداوي خفير مكتب البريد الليلي الذي كان يشكو اليه هو الاخر تعسر زوجتـه في الوضع وعطرسة القابلة التي ابت ان تذهب اليها الا بعد اخذ العشرين قرشاً وهو عاجز عن قرش واحد يبتاع به شيئاً يتبلغ بـه الى ان اقبل الصبح فانقطع حديثهما وانصرف عم جمعه ببريـده وركب حماره ويمم شطر القرى والمزارع كأن لم يحدث في الدنيـا شيء وكأن اباً من الاباء لم يقض ليلته على رصيف من الارصفة يشكو الى الله حرقة الظمأ والانهار تتدفق من حوله . وكأن امـا من الامهات لم تقض الليل ساهرة حول اطفالهـا الجياع تبادلهم جوعاً بجوع وتبادل زوجها الغائب دموعاً بدموع . وكأنها لمـا انتصف الليل ولم يأت وعرفت سر تأخره وانه قـد عجز عن ثمن الرغيف وعرفت ايضاً انه لا بد من حل يخلصها من صراخ الاولاد ولو الى حين فذهبت الى جارة لها تستلف منها حفنة من الدقيق تخبزها على الصاج وتسكت بها نباح الجوع ولما عادت الفت احد الطفلين قد مات وذهب الى ربه يشكو اليه ظلم ثدي امه المترهل الذي لم يجد عليه بقطرة لبن واحدة من ثلاثة ايام .

وانتظرت الزوجة زوجها في الصباح عند رأس الطريق الذي يخترقه كل يوم وانبأته ان احد الطفلين قد مات . وانصب هـذا الخبر انصباباً في اذني الاب واربدت منه ملامحه وتقلصت له اسارير وجهه المجعد وانهلع له قلبه الكهل . وثارت ثائرة الشيخوخة وحمي زفيرها وهم ان يقفز من على الحمار او يرتد به ثانية ليودع ابنـه الوداع الاخير بيد انه احس فجأة بشيء جارف هز جسده المنهوك هزاً عنيفاً ففتح عينيه فألفى الحمار قد وقف به امـام اول تفتيش من تفاتيش الباشا قطع مساحته في ساعة ونصف كان فيها على ظهر الحمار يستعرض حادثاً وقع له من يومين فابتسم ولكن من نفسه .

ومد عم جمعة يده الهزيلة المرتعشة واخرج عدة خطابات الفى من بينها خطاباً مزخرفاً باسم الباشا فتفرس فيه وقرب خطه المنسق

الجميل من عينيه وما ان قرأ حروفه حرفا حرفا حتى خطر له خاطر جميل ما ان تخيله وتخيل نتيجته حتى لمعت عيناه لمعاناً اضفى على وجهه المغبر شيئاً من الهدوء الذي مبعثه الامل الحلو الخلاب ... وخلسة دس الخطاب في جيبه واعطى الخطابات الباقية الى رجل اعتاد ان يأخذها منه كل يوم وهم الحمار ان يواصل سيره ولكنه وجهه يميناً على غير العادة وما ان سار به بعض خطوات حتى طالعه مبنى شاهق جميل راح يتألق تحت السماء الصافية وكأنه مرآة تعكس الشمس اضواءها عليها تحوطه حديقة غناء تنبعث منها انسام الضحى معطرة باريج الورد . ورأى عم جمعة قصر الباشا الجميل المزخرف بشتى الرسوم العربية القديمة وقد لفته اشجار السرو العالية بفروعها الخضراء فغدا القصر الابيض في قلبها كغانية طروب ترفل في ثوب فضفاض من الحرير الاخضر . واخذ عم جمعة بروعة المنظر ورهبة سور الحديقة العريض المنسق . غير انه مع ذلك تقدم في خطوات ثقيلة متباطئة كأنفاسه حتى اشرف على باب السور فالفى البستاني ينسق بين يديه باقة جميلة سوف توضع امام الباشا على المائدة . فحياه بصوت خنقته انفاسه المحمومة المتدهورة من بين شفتيه المرتعشتين وناوله خطاب الباشا ومعه ورقة صغيرة كتبت عليها بعض عبارات مقتضبة ولكنها كانت في اقتضابها خلاصة ما في لغة الفقر من أبأس عبارات الاستجداء . وطلب من البستاني توصيلها مع الخطاب لسعادة الباشا مد الله في عمره وجعله ذخراً للبائسين .

وانتقلت الورقة من البستاني الى خادم وخادم ثم خادمة وخادمة وخادمة . حتى بلغت يد الباشا وانتظر عم جمعة بجوار السور مع حماره . وبعد ان طال به الوقوف احس ان ساقيه قد خذلتاه وان رأسه قد ثقل فجأة حتى ان عنقه قد ناء به واحس انه في حاجة الى ان يجلس والى ان يغمض عينيه ويريح رأسه هذا الذي ثقل فجأة فاقترب خطوة من حماره ومن السور ومن ثم جاس بجواره وقد وضع ذراعيه المرتعشتين على فخذيه والقى برأسه عليهما امام الحمار الذي مد هو الاخر عنقه الطويل ناحية رأسه وكأنه يوشوشه او يصغي الى تدهور انفاسه من بين شفتيه المقرورتين .

ومرت ساعات اقبل بعدها الظهر . ومرت ساعات اقبل بعدها العصر . ومرت ساعة اعتاد ان يتريض اثرها الباشا فاقبلت سيارة ضخمة وثيرة المقاعد حلوة اللون متبلورة كالمرآة . وما ان وقفت امام مدخل القصر حتى اقبل الباشا يرفل في حلة لامعة زرقاء زان صدرها بوردة كبيرة بلون رباط رقبته الذي حلاه بدبوس من الماس الثمين واقبل على السيارة تسبقه رائحة العطر الجميل وهمّ ان يدخلها ولكنه ابصر بعم جمعه وهو في جلسته امام الحمار الذي ادنى رأسه من فخذيه كما يدنيها من مخلاة فارغة . فتذكر الورقة التي وصلته مع الخطاب فناداه ولما لم يسمع عم جمعه النداء اسرع السائق وتقدم منه وربت على كتفيه ولكن جسده كان قد اصيب بالصمم هو الآخر كأذنيه .

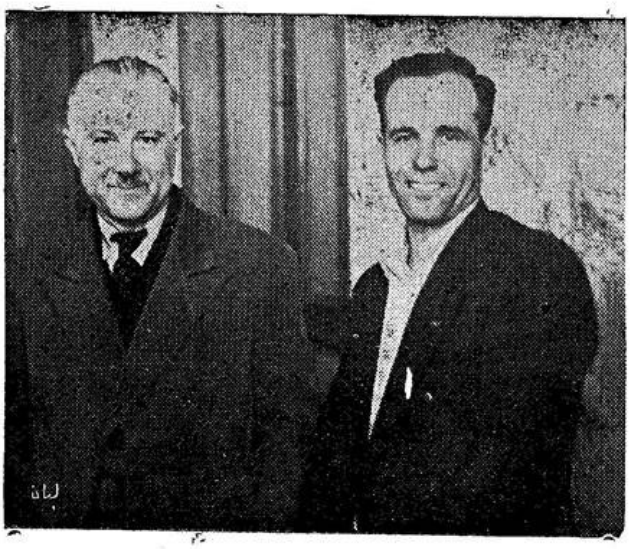
وتأثر الباشا قليلاً ثم ركب سيارته واذن للسائق بالسير . ولكن بعد ان امر بدفن الجثة على نفقته . وصرف ثلاثة جنيهات لاسرته . وضم الحمار لحمير التفتيش .

دمنهور — مصر

امين يوسف غراب

رابحا الجائزة الكبرى
لليانصيب الوطني اللبناني

◆



يمثل الرسم — الى اليسار — السيدين اديب ابراهيم صادر وجورج يونان سيقلي رابحي الجائزة الكبرى لليانصيب الوطني اللبناني وقيمتها (٢٥٠٠٠) خمسة وعشرون الف ليرة لبنانية ، والتي اعيد سحبها مرة ثانية ، لانها لم تظهر مبيعة في الدورة الاولى .

ويرى الاول وهو يحاول ان يكبت شعور الفرح فترتسم على وجهه الابتسامة السارة والثاني لم يقوَ بل قهقه عالياً لانهما تحققا ان الجائزة الكبرى هي من حق الجمهور دائماً .

يا حبيبي !...

للدكتور
سليم حيدر

يا حبيبي ، هوذا الروض يغنّي
هوذا الفيء الظليلُ
والنسيمات العليلهْ
والندى ، فوح بليلُ
والاغاريد الجميلهْ
والسواقي ، والروابي ، والخميلهْ
قم ، حبيبي ، نسمع الروض يغنّي !..

•

امس نقّلتُ الى الروض خطايَ
يا شقايَ !..
كل شيء مثلما كان لدينا
فالفراشات على الزهر تحومُ
والنسيمُ
عابق بالطيب يختال الهوينا
والسواقي ، والروابي ، والخميلهْ
والاغاريد الجميلهْ
ألف لون ، ألف شكل ، ألف لحن
قم ، حبيبي ، نسمع الروض يغني !..

•

يا حبيبي ، كل شيء مثلما
مثلما كانا
ما عدانا
قلبُ الدهر لنا ظهر المجنّ
قم ، حبيبي ، نستعدْ ذكرى صبانا
ودعِ الروضَ يغنّي
صلواتٍ في التّرجي والتمني !..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مشكلات الصناعات الغربية في الشرق

بقلم الدكتور محمد بجي الهاشمي

*

الهند

بعد هذه الجولة القصيرة في الشرق الاقصى بين اليابان والصين التي قمنا بها في العدد الماضي . ننتقل الى الهند ، لان التيارات فيها تتراءى لنا بشكل آخر . امتزج ابناء الهند بكثيرين من رجالات الغرب فاقتبسوا مع العلوم العصرية الصناعات ايضاً . ونظراً لما جرّته الآلة من الويلات فقد انقسم مفكرو الهند من جراء ذلك الى احزاب مختلفة ، منهم من حبذ الآلة تحبيذاً لا حد له ، ومنهم من انكرها نكراناً تاماً ، ومنهم من كان معتدلاً في ذلك ، ويمثل الثائرين على الآلة مهاتما غاندي ، فلقد سماها في اثره الذي ألفه باللغة الانكليزية بعنوان « حياتي » بوسيلة الشيطان وقد نقل عنه الكاتب الافرنسي « رومان رولان » كثيراً من العبارات التي تشير الى بغضه للآلة من حيث هي ، فمن ذلك قوله : « ان قلب المدنية الحديثة (عصر الحديد — قلب حديد) الآلة . هي الوثن العظيم المخيف الذي يجب تحطيمه . . . خير لنا ان نشتري القماش من مانشستر من ان نقيم معامل مانشستر في الهند ، فانه لن يفضل الرأسمالي الهندي اخاه الامريكي . الآلة خطيئة فاحشة لانها تسترق الشعوب . . والمال سم كالرذيلة الشهوانية » .

ويعلق الكاتب الافرنسي على ذلك بقوله : « ولكن الهنود الذين غلبتهم الافكار الحديثة ، يسألون كيف تصبح الهند اذا خلت من الخطوط الحديدية والترامات والصناعات الكبرى ؟ . فينقل لنا الكاتب جواب غاندي : « منذ آلاف السنين والهند ثابتة لا تتزعزع ، وحدها وسط امواج الممالك الزائلة . زال كل ما عداها وفازت منذ آلاف السنين بامرة النفس وعلم السعادة ، فليس لها ان تتعلم شيئاً في هذا الصدد من الامم الاخرى ، وهي لا ترغب في الماكينة والحواضر الكبرى ، فان المحراث العتيق ، والغزل والتربية الهندية القديمة ، كل ذلك ضمن لها الحكمة والصلاح .

يجب علينا ان نعود الى البساطة الاولى — لا طفرة — هذا لا ريب فيه — بل رويداً رويداً ، باناة وصبر جاعلاً كل منا نفسه قدوة » . وفي هذا كما يرى نفس الكاتب بحق نكران للترقي يتعدى الى نكران العلم الاوروبي . وان اقر غاندي بسلطان العقل ومجد العلم الى اقصى غايات التمجيد ، ولكن كرهه الآلة الى هذا الحد ، ورغبة عدم التعلم من الغريب رجوع بالفكر الى الوراء . نعم قد يكون محذور من الآلة ، وخاصة في الهند البلاد التي عرفت الطبقات بغلو زائد . ولكننا لا يمكننا ان نقف دورة الفلك . وقد كان للآلة الحديثة تأثير كبير في استثمار بقاع عديدة في ارض الهند (المختار كانون الثاني ٤٥) ، والمثقفون ينبذون اليوم فكرة الطبقات نبذاً باتاً . ويتهم تاغور سيطرة روح القرون الوسطى على عقلية غاندي منتقداً اياه انتقاداً مراً . ولمعرفة قيمة هذا النقد يلزم ان نطلع على آراء هذا الحكيم العصري في جملته ، ضاربين صفحاً عن التيارات الهندية التي تقر الالة اقراراً تاماً مدركة فوائدها . اما السائرون في هذا التيار فهم نفر من الشباب الذين اوتوا حظاً قليلاً من الثقافة الغربية ، قد ادركوا ما للالة من فوائد ولم تهدهم بصيرتهم لمعرفة ما لها من اضرار .

ان رابندرانات تاغور كان يريد ان يمشي مع الزمن ، لا ينكر على الغرب مدنيته ، لانه قد صرح في مصر عام ١٩٢٦ عقب زيارته لاوربا واميركا ، ان في المدنية الاوروبية الحاضرة نواحي قوة شديدة ، وهو يخشى ان تنهار هذه المدنية ، وفيها ذخر ثقافي لا يعوض ، وان اوروبا في الوقت الحاضر ترقص على بركان وهي تعاني تيارين قويين مختلفين ، وهو لا يؤيد العنف بأي مظهر من مظاهره .

ادرك تاغور عقب رحلته ان الاختراعات والاكتشافات الحديثة التي جعلت في امم الغرب قوة عظيمة اذا لم يرافقها المحبة والوحدة

الانسانية سيكون ضرر ذلك عظيماً ، لم يرض ضميره الحر اقتتال الغربيين رغم انه كان يشعر بانه محكوم منهم ويرى في هـذا الحكم اجحافاً في حقوق امته ، فقد كان ناصحاً اميناً للامم الغربية بقوله : « ان مدنية الغرب يجب ان تسودها روح المحبة العـامة ، وان تزول منها الاثرة والانانية ، والا فسيندفع شبـابه الى آراء وعقائد مهلكة ، سيتوالى من بعدهـا نذر ، وسيكون من بعد ذلك الهلاك والدمار . »

انتقد تاغور آراء غاندي ، وخاصة مغزله وقوله المأثور « اغزلوا وانسجوا » ، فلقد قال جواباً على ذلك :

« أهذا هو نداء العصر الجديد الى الخليقة الجديدة يا غاندي؟! ان كان في الماكينات الكبيرة خطر على روح الغرب ، أفليس في الماكينات الصغيرة خطر اعظم وبالاً ؟! »

وهذا الانساني الكبير لا يرضى ان تتعاون قوى الامة كافة فحسب ، بل يرى انه لمن الضروري ان تتعاون الهند وقوى العـالم جميعاً فيقظة الهند عنده متصلة بيقظة العـالم ، وبزعمه انَ الامة التي تحصر ذاتها في ذاتها مضادة لروح العصر الجديد ، ويعظم نفراً من الاوربيين والامريكيين الذين اجتمع معهم ، فألفاهم قد اطلقوا انفسهم من رق التعصب القومي وجعلوها خالصة لخدمة الانسانية جمعاء ، هؤلاء في نظر حكيم الهند من الاقلية المضطهدة ، وطنهم الدنيا بأسرها ، مموا بارواحهم الى اعلى الدرجات ، لانهم حققوا ولو في انفسهم — الوحدة الانسانية .

رغم سير تاغور مع الزمن في تفكيره هذا السير العصري ، فانه لا يرضى بطغيان روح الآلية والمادية على نفوسنا ، فالآلة في نظره يلزم ان تكون محكومة الروح لا حاكمة لها . لقد كان يخشى ان يصاب الشرق بعدوى من الغرب ، فتصيبه في أعز ما يملك وما يدخر ، تصيبه في ايمانه وثقته بالروح ، فتدفع به الى الآلية والمادية ، فيذهب جمال الشرق ، ويمشي في طريق الخطيئة الروحية التي يندفع فيها الغرب دون وعي وادراك للعواقب . وقد انكر على اليابان اجتياحها الصين عام ١٩٣٧ ، فكتب رسالة الى احد كبار شعرائها جاء فيها : « ان الشرق مهبط الطفولة الانسانية ، وفجر الضمير البشري ، متهماً اليابان بسريان حب السيطرة الغربية اليها » .

هذا هو تفكير الامم الشرقية النائية عنـا ووجهة نظرها على لسان قادة الفكر فيها ، وخاصة في الهند ، ولئن كان مساس تلك الجهات قليلاً في نفوسنا ، فلقد كان للحركة التركية الحديثة تأثير بيّن عند مفكرينا سواء كان ذلك بالرفض او القبول .

تركيا

كان موقف تركيـا الحديثة من الصناعات الاوربية موقف قبول تام ، فالحكومة التركية اليوم تعد حكومة عصرية وان لم تنته بعد من جعل بلادها بلاداً غربية بكل معنى الكلمة ، اذ لا يزال هناك فرق كبير بين تركيا الحديثة والامم الغربية الراقية . لم تكتف تركيا بحركاتها الاصلاحية بقبول صناعات الغرب فحسب ، بل قبلت المدنيات الغربية ايضاً ، وقطعت العلاقة ظاهراً مع تراثها الروحي القديم .

وما كاد يمضي عليهـا فترة من الزمن حتى اخذت ايضاً تتغنى بحضارتها القديمة ومجدها الاثيل قبل العهد العثماني منه ، لانهـا ناقمة على ذلك العهد الذي اخّرها في نظرها من اقتباس صناعات الغرب الحديثة . هي اذن لم تقبل المدنية الاوربية الظاهرية فحسب ، بل حاولت اقتباس حضارتها الباطنية ايضاً . ولا ندري لأي حد من الحدود كانت في ذلك موفقة ، لان مراعـاة الخصائص الذاتية في الاقتباس هو لا بد منه ، وهي تعتقد تمـام الاعتقاد انه لا يكفي اقتباس ظاهر المدنية ، بل لا بد من متابعة ذلك في الجوهر . ولقد كان كما بينا للحركة تأثير على عقول بعض مفكرينا ، وان كان عمق جذرنا في حضارتنا لا يسمح لنا في نبذ حروفنا جانباً .

ان سبب نجاح الصناعات الوطنية في تركيا على الطراز الحديث هو حماية الحكومة نفسها لهـذه الصناعات . فشجعت كثيراً من الشركات الاهلية كما انها اخذت على عاتقهـا انشاء شركات على حسابها الخاص ، ولقد حددت اخيراً المنشآت الخاصة خوف تسرب رؤوس الاموال الاجنبية اليها ، وقامت بمشاريع خاصة ، وهي لا تزال جادة للحصول على اهل الخبرة من ابنائهـا وتدبير اموال من ذاتها . ولحماية صناعاتها وضعت الحواجز الجمركية . وأهم الصناعات الحديثة التي نجحت في ارضها معامل الاسمنت والسكر ، وفي الدرجة الثانية الصناعات المدنية كالحديد والنحاس والنسيج . ولم تمش في ادخال الصناعات بصورة فجائية كما فعلت ذلك في قبول المدنيات الغربية ، بل جارت في ذلك قانون التطور ، فقلدت في ذلك روسيا السوفياتية ، فوضعت مشروع الخمس سنوات لتجتـاز بالتدريج العقبات التي امامهـا ، لان قلب مملكة تسير على النهج القديم في استثمار كنوزها وفي جميع امورها المعيشية لا يمكن ان يأتي دفعة واحدة . ولقد اخذت على عاتقهـا تجفيف المستنقعات المضرة في الصحة وفي الزراعة ، وسقي الاراضي الشاسعة ، وحمـاية الغابات

وتحسين منتجات الارض ، وكل ذلك بعون الآلة الحديثة ، وقد صرفت عنايتها ايضاً في استثمار الكنوز المعدنية ، وبناء الموانى الحديثة ، وتنظيم السكك الحديدية ، وكل عمل قبل انجازه كانت تفكر فيه تفكيراً متيناً مستعينة بذلك بالاخصائيين . وفي عام ١٩٣٥ اي منذ عشر سنوات وضعت مشروع الخمس سنوات الثانية وقد انجزت فيه مشاريع الكهرباء ، والزيوت المعدنية ، والفحم الحجري ، بعد ان قامت من قبل بانشاء معامل للحرير الصناعي وذلك عام ١٩٣٤ ، وفي هذا العام نفسه انجزت معامل الورق ، وتقطير الفحم ، وصناعة حمض الكبريت ، والكلور والصود (النطرون) ، وفوق الفوسفات المستعمل في الاسمدة الصناعية ، كما قامت في الاستفادة من قوى المياه ، وانشأت معملاً للآلات البخارية . ومن برامج مشروع الخمس سنوات الثانية تأسيس معهد يعرف بمعهد القدرة (انرجي) للاستفادة من القوى الضائعة كالريح والماء وغير ذلك ، التي كانت تذهب هباء منثوراً . وفي هذا العام تنتهي من المشروع الثالث ، غير ان الحرب الحاضرة على ما يظهر اثرت في صناعاتها ايضاً . وعلى كل فهي لا تفتأ تستفيد اقتصادياً في كل فرصة ، وكل منا يعرف استخراج معدن الكروم في بلادها وبيعه باثمان باهظة في هذه الحرب ، لانه يستعمل مع الفولاذ لمنع الصدأ ولا يخفى تأثير ذلك على المعدات الحربية ، وقد كادت تنتهي بازمة سياسية لولا ان تداركتها بحكمتها . وهي لا تمتنع عن استشارة الاجانب في المشاريع التي تنوي القيام فيها ، لانها تقوم عن روية وتبصر ، وهي تعتبر ان كل خذلان في انجاز مشروع من المشاريع هو بمثابة نزع الثقة منها ، وينجم عن ذلك تبلبل في الامور وفوضى المسئولية ، وضعف ارتباط الامة بالحكومة ، لانه يكون مفككاً اذا كان ناشئاً عن عنف فقط ، مؤسساً على القوة الظاهرية غير مدعم بقناعة باطنية ، والنجاح في المشاريع هو سر الثقة كما ان الخذلان هو سر نزعها من القلوب ، لان الحكم المؤسس على الاكراه والقهر لا يعمر طويلاً . من اجل ذلك تسهر الحكومة وتأخذ الحيطة لنجاح مشروعها ، فتتخذ لذلك خططاً حكيمة قابلة للتنفيذ مراعية بذلك وضعها والمجالات المعطاة لها . ولا تمشي في ادخال الصناعات الغربية دون مراعاة امرين هامين هما اولاً الحصول على مواد الخام الضروري للصناعات المنوى ايجادها والتفكير في منفذ لهذه البضائع الضخمة ثانياً . ولا يخفى ما لهذين العاملين الهامين في قضايا الصناعات الحديثة من خطورة كبرى ، وكم من مرة كانا من جملة العوامل الاقتصادية في اعلان الحروب الدموية واسالة دماء الابرياء ، فايجاد مواد جديدة وتصريف البضائع هو ولا شك من اهم مشكلات الالات الحديثة . ولا اظن ان ثمة سلماً يمكن تحقيقه في المستقبل بين الدول دون مراعاة القضايا الاقتصادية المرتبطة بالالات الحديثة اشد ارتباط ، فاذا تكدست البضائع احدثت كابوساً هائلاً على اصحاب المعامل ، واذا انعدمت او قلت المواد الضرورية كان ذلك الموت الزؤام .

لما علمت الحكومة التركية اهمية مواد الخام قامت بجانب المشروع الصناعي بمشروع زراعي واسع النطاق ، ويطول الشرح اذا ذكرنا المعاهد الزراعية التي اسست والبعثات الفنية التي ارسلت الى اوربا واميركا ، واستخدام الالات الحديثة في الانتاج الزراعي وغير ذلك وقد ساعدها على رقي الزراعة عندها طبيعة ارضها ولان ثلاثة ارباع السكان هم من الفلاحين . وقد كان لترقية الزراعة بجانب الرقي الصناعي حل لازمة اقتصادية هائلة من جهة وعدم الافراط في الآلية وما ينجم عن ذلك من عواقب ، من جهة اخرى .

ويمكننا ان نتعلم من جارتنا في تسيير دفة الصناعة الحديثة اموراً كثيرة ، لتشابه الوضع من اوجه عديدة : اولاً للحظ المشترك في التأخر عن الاقتباس عن الغرب ، ثانياً للتشابه بين ثقافة الشعبين ، ثالثاً للتماثل بين طبيعة الارضين ، فكلا البيئتين تساعد على المشاريع الزراعية . وان عجبت لشيء فعجبي لاشخاص يقلدونها بامور لا تثمر ولا تغني من جوع ، كلبس القبعة الاوربية ، واستعمال الحروف اللاتينية ، وقبول العادات الغربية الظاهرية دون قيد ولا شرط ولا مراعاة لقابليتنا ولا خصائصنا الذاتية ، ولا تراثنا المتغلغل في افئدتنا ونواحي تفكيرنا منذ آلاف من السنين ، وهم يغمضون اعينهم عن الامور الجوهرية في انشاء صناعات حديثة بنظام تدريجي وبحكمة رزينة واسلوب معقول ، مع محاولة حل المشكلة باعصاب هادئة وروية مع ادراك سير الزمن وما يتطلبه من انقلابات اجتماعية بروح يسودها التفاهم مع انفسنا ومع العالم ، ولكن على ما يظهر اننا نغتر كثيراً بالقشور دون اللباب .

وقبل ان ننتقل الى البلاد العربية نود ان نقول كلمة موجزة عن ايران :

ايران

ان ايران الحاضرة بالنسبة لما قبل الحرب العالمية الماضية بلاد عصرية . بيد ان حركة التجدد لا تمشي هناك بنفس الخطى التي سارت عليها تركيا بل بسرعة اقل واحتياط زائد من نواحي

قبول المدنية الغربية ، فايران لا تريد اقتباس شيء دون قيد ولا شرط ، فهي تحرص على تراثها ، ويمكننا القول انها لم تنقطع عنه ابداً ، فانتاجها للفن كاد يكون في كل دور من ادوارها غزيراً .

ان اعتناق ايران الديانة الاسلامية وضعها امام معضلات جديدة للفن ، ولكنها تمكنت لحل ذلك بما يوافق طبيعتها ، فاقتبست قيماً فنية جديدة كما انها اهدت للعالم الاسلامي قيماً جديدة ايضاً . ولقد كان لها باع طويل في القاشاني والسجاد ، ولا نزال ننظر باعجاب زائد لمصنوعات السجاد الايرانية ، رغم انها فقدت من جمال صنعها القديم شيئاً كثيراً .

ولعل العلاقات بين الامم الغربية وايران متأتية من تلك الثروة المعدنية الكامنة في ارضها الاوهي النفط او الذهب السائل . ويقول يوسف يزبك في كتاب له عن النفط ان السبب الذي حدى بالباحث البريطاني عن زيوت ايران المعدنية ما كان سمعه عن بعض قبائل الشرق التي كانت تعبد النار ، وان الهياكل التي بناها المجوس كانت منارة بلهب دائم يصعد من الارض وألسنة النار ترتفع عالياً ولا يؤثر فيها مطر ولا هواء . ولقد قال العالم البريطاني في نفسه انه يجوز ان يكون كهان المجوس قد بنوا هياكلهم في تلك الارض لايقاع الناس في الوهم ان دياناتهم هي فوق ادراك البشر ، وان لها القوة الخالدة . ولم يكن عسيراً على هذا الرجل المحنك التقرب من الشاه ، فدخل عليه مظهراً حبه للشرق لانه مهبط الوحي ومبعث شعلة العرفان لا نريد التوغل عن كيفية استخراج هذه المادة الثمينة في ايران ، ولا عن الشركات التي أسست فيها لهذا الغرض ، ويكفي ان نشير بان وجودها في تلك الارض وبحث الغربيين عنها واستثمارها هو الذي نبه افكار الايرانيين عن اهمية علوم اوربا الحديثة وآلاتها الميكانيكية . ولقد تأسست منذ عهد قريب شركة وطنية لاستثمار ينابيع النفط التي انبجست من سمنان شرقي طهران ، كذلك هناك محاولة لاستخراج المعادن ، لأن تلك الارض غنية بالنحاس والحديد والكبريت وكبريت الزرنيخ والفيروزج والجبس والملح والمرمر والفحم الحجري وغير ذلك ، ولا تزال قضية المعادن قيد الدرس .

وقد ساعد وجود الزيوت وقيام الشركات الضخمة في فارس على مد خطوط الحديد والقيام بمشروع صناعي حديث على النهج التركي ، وقد نجحت هناك مشاريع النسيج والسكر وكذلك الاسمنت ومصانع الزيوت والصابون واستخراج الغليسرين . كما حدث منذ عام ١٩٣٧ انشاآت جديدة لدفع البلاد الى التطور الصناعي ، كتكوين لجنة اقتصادية غايتها تشجيع الاعمال الصناعية الحديثة جعلت من واجباتها تعيين مواقع العمل والرأس المال اللازم والمجالات التي يمكن تحقيقها ، وتتكون هذه اللجنة من الوزير المسئول ودهاقين رجال الاقتصاد ولا تنحصر اعمالها في تدقيق ما يعرض لها من الاسئلة بل في فتح مشاريع جديدة واعطاء تقارير من شأنها تنشيط الحركة الصناعية المصرية . وقد اوجدت هذه اللجنة لجاناً فرعية ، آخذة على عاتقها التعاون بين الصناعة والزراعة للاسباب التي بيناها اثناء كلامنا عن تركيا الحديثة .

ومع كل سيطرة للآلة فلا يزال لصنع اليد في بلاد فارس قيمة كبرى ، نظراً لتفنن الصناع وشهرة المنتجات الفنية في العالم ، من ذلك ادوات البيت المعدنية التي تصنع بكيفية شبيهة بنا كما هو الحال في سوق النحاسين في مدينة حلب ، كذلك لايزال الحرف يصنع على الطريقة القديمة ، وتزدهر صياغة الذهب والفضة المرغوبة من الغريب . ولقد اتخذ بعض الناس الالات الحديثة بغية استخراج كميات كبيرة من المصنوعات فربحوا من الوجهة التجارية ولكنهم خسروا من الوجهة الفنية ، فسدت معها ارزاقهم وقتلت روح الابداع فيهم ، لان كل منتوج يخرج بصورة آلية لا اثر للابتكار ولا للخلق الشخصي فيه وعلى ما يظهر ان عزة الشعب الايراني وفخره بماضيه التليد ، سوف يوقظ الروح الفنية مرة ثانية مبدعاً قيماً جديدة يتناسب مع تلك النفس التي تكونت نتيجة تطور العصور .

وقد بقي علينا ان نتحدث عن مشكلات الصناعات الغربية في البلاد العربية . وهذا هو موضوعنا في المقال القادم .

حلب — محمد بهجي الهاشمي

مكتبة صادر

شارع النبي — بيروت

تقدم للقارىء العربي آخر ما اخرجته المطابع

باثمان متهاودة

تزودوا منها كل ما تحتاجون اليه في مطالعاتكم

غـــــدنا التربـــوي

بقلم جورج شهلا
الاستاذ في جامعة بيروت الاميركية

من اهم ما يلفت الانظار في هذه الايام العصيبة ، انه مع شدة الازمة العالمية ، لا تزال الدول المتحاربة تبدي اهتماماً عظيماً بشؤون التربية وتطلعنا من حين الى حين على انباء النشاط الذي يحيط بهذه الشؤون وما طرأ عليها من تغيير منذ انفجار الحرب وما رسم لها من خطط جديدة للسنين المقبلة .

هذا النشاط التربوي الذي نشهده اليوم ، قد شهد العالم مثله في غضون الحرب الماضية وكثير من الاصلاحات التربوية التي استفادت منها الشعوب الغربية في ربع القرن الاخير انما هي نتيجة ذلك النشاط .

ولعل ما يصدق على الحربين الاخيرتين من هذا القبيل يصدق ايضاً الى حد بعيد على ماسبقها من الحروب والاضطرابات . وكأنما الدولة التي تجتاحها هزة عنيفة ، سياسية كانت أم اقتصادية أم دينية أم فكرية تتنبه الى وجوب اعادة النظر في تربية ابنائها واعدادهم احسن اعداد لمجابهة حدثان المستقبل . وفي الواقع اننا اذا تصفحنا تاريخ التربية منذ اقدم الازمان الى يومنا هذا . رأينا ان للتعليم علاقة وثيقة بحياة الشعوب المتمدنة ، وان له شأناً عظيماً في الحركات الاصلاحية والنهضات القومية ، بل هو الركن الاساسي الذي يرتكز عليه كيان الدول ومناعتها . لقد ادرك الفيلسوف العظيم افلاطون هذه الحقيقة قديماً ، عندما حاول بناء جمهوريته المثلى ، ومنذ ذلك الحين ، اخذ بناة الجمهوريات والقوميات ، يتعظون بمواعظه ويسيرون على خطواته .

على ان اهتمام الدول بامر التعليم في العصور السالفة كان ضئيلاً جداً بالقياس الى ما هو عليه اليوم ، او ما صار اليه في العصور الحديثة ، ولا سيما منذ اواخر القرن الثامن عشر . في ذلك الوقت اخذت تجتاح العالم حركة فكرية قوية ، كانت فاتحة عهد جديد في حياة الشعوب الديمقراطية . كان الفرنسيون على ابواب ثورة هزت العالم من اقصاه الى اقصاه ، وقد اوشكوا ان يبتنوا لانفسهم جمهورية جديدة ، في جوّ مشبع بالاخاء ، والحرية ، والمساواة . وكان الاميركيون قد انفصلوا عن جسم الامبراطورية البريطانية واخذوا يرسمون لانفسهم خطة لحياة جديدة ملؤها الحرية والاستقلال .

وكان البريطانيون قد اصطدموا صدمات عنيفة وتعلموا دروساً اجتماعية قاسية ، فاخذوا يصلحون من شأن بلادهم ويعدلون بعض قوانينهم واحكامهم ، لتتلاءم مع روح ذلك العصر الجديد .

في هذه الآونة الخطيرة اخذ انصار الديمقراطية وفلاسفتها يجاهرون بان نشر العلم بين طبقات الشعب لهو من الاسس المتينة التي يقوم عليها صرح الحرية والاستقلال . واليكم بعض الحجج التي ادلى بها فريق من اولئك الفلاسفة ، لدعم نظريتهم الجديدة ، اذكر منها ثلاثة لشدة ما لها من العلاقة بموضوعنا . قال بعض اولئك الفلاسفة :

اولاً — انه ليس من الحكمة في شيء ، ان تظل الفروق الاجتماعية بين طبقة الاغنياء المتعلمين ، وبين عامة الشعب الاميين . وان تُترك هؤلاء على اميتهم وجهلهم كانوا خطراً كبيراً على سلامة المجتمع .

ثانياً — ان الحرية والجهل — كالنور والظلمة — ضدان لا يجتمعان . الشعب الأمي الخامل ، والحياة الديمقراطية الحرة ابداً لا يتلاءمان . فاذا ارادت امة لبلادها حرية واستقلالاً ، ترتب عليها قبل كل شيء ان تعتاض عن ظلمة الجهل ، بنور العلم ، والعرفان .

ثالثاً — ان الاستقلال الذي يقوم على اساس ضعيف من الامية والجهل ، لهو استقلال زائف ، لا يلبث ان تتزعزع اركانه ، ثم ينهار على رأس القائمين به .

اجل ، لقد ادرك قادة الفكر في تلك الفترة ، ان التعليم هو حجر الزاوية في بنـاء نظامهم الاجتماعي الجديد . وكان فلاسفة فرنسا في طليعة القائمين بهذه الحركة المباركة ، والمجاهرين بهذه النظرية التربوية الجديدة . وكانت مجالس فرنسا جميعهـا من اكبر الدعاة اليها ، واخيراً لما جاء نابوليون الكبير الى رئاسة الحكم في اوائل القرن التاسع عشر ، تبنى هذه النظرية القديمة ، وطبعهـا بطابعه الخاص ، وادخلها في صلب نظامه الجديد ومما قاله يومئذ في هذا الصدد : « ان غرضي الاول من تأسيس نظام تعليمي هو ان يكون لدي وسيلة لادارة الآراء السياسية والخلقية في البلاد » وهكذا كان نابوليون ، رجل الحرب والسياسة ، كثير الاهتمام بشؤون التربية ، واسع الخبرة بما لها من الاثر الخطير في حياة المجتمع . ولا بد لي بهذه المناسبة — والشيء بالشيء يذكر — من ان اشير بوجه الاختصار الى موقف الالمان في تلك الآونة من هذه النظرية التربوية الجديدة . كان نابوليون قد كسرهم شر كسرة في معركة « جانا » المشهورة سنة ١٨٠٦ وانتزع من ايديهم معظم السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية فاصبحت البلاد كلها تحت رحمته . على ان امراً واحداً لم يتعرض له هذا الفاتح العظيم ، هو امر التربية والتعليم وذلك — على ما زعم بعض المؤرخين — لانه ضن بوقته الثمين ان يصرف في امور تافهة كالالفباء . ومهما يكن السبب الحقيقي الذي من اجله اهمل نابوليون امر التربية في المانيا ، فان ذلك الاهمـال مستغرب ، لانه كان يعلم حق العلم ، مـا للتعليم من الاثر البليغ في البناء القومي .

اما الالمـان فقد عرفوا في ذلك الوقت كيف يستفيدون من خطأ عدوهم . فجاء فيلسوفهم الكبير « فيخته » وكان رئيساً لجامعة برلين والقى في سنة ١٨٠٧ و١٨٠٨ سلسلة من الخطب الحماسية ، استنهض بها الهمم الواهنة ، ودعا الناس الى تحسين حالهم ، ليصبحوا امة عظيمة ، واكد لهم ان السبيل الوحيد الى ذلك هو التعليم . وقد نال هذا الفيلسوف يومئذ ثقة الشعب الالماني ، فقام بينهم من اهل العلم والوطنية من شدوا ازره وعاضدوه في جد ونشاط . فلم يمر عليهم جيل او اثنان ، حتى علا نجمهم ، وتحققت فيهم آمال فيلسوفهم . عندئذ قام بسمارك للعلم الالماني يوفيه التبجيل اذ قال « ان الذي انتصر في معركة (سادوفا) وغيرها من معارك حرب السبعين انما هو معلم المدرسة » .

واليكم نتفة مما قاله هذا العـالم الكبير فيخته في احدى محاضراته ، لعلهـا تطلعنا على رأيه ورأي غيره من فلاسفة ذلك العصر ، في اهمية التربية في النهضة القومية ، قال :

« ليت الدولة تدرك تمام الادراك ، انه لم يبق لديها مجـال للعمل كدولة مستقلة ، سوى تربية الجيل النـاشيء . وان هذه التربية ، هي كل ما نستطيع القيام به الآن . . .

لقد سبق وقلنا اننا لم نعد قادرين على ان نقاوم مقاومة فعلية — ذلك امر واضح يسلم به الجميع . فكيف يمكننا اذن ان نحمي كياننا هذا . . . من عار الجبن والخنوع ؟ . . ان لذلك سبيلاً واحداً لا ثاني له ، وهو ان . . . نربي لنا خلفاً صالحاً ، وان نكرّس حياتنا لمجرد الوصول الى هذا الغرض . فانه ان لم يكن هذا غرضنا في الحياة ، فأي غرض لنا فيها ؟ ان قوانيننا ستسن لنا ، والمعاهدات التي يلزم عقدها ستملى علينا ، والوجه الذي يجب ان نصرف فيه قوانا الحربية سيشار به علينا . . . جميع هذه المهمات ، سترفع عنا مسؤوليتها في السنين المقبلة ، الا التربية وحدها لم يفطن لها احد . فاذا كنا نفتش اليوم عن عمل نقوم به لنتمسك بهذا العمل الذي . . سنترك فيه وشأننا . ولي ملء الرجاء — . . . وهو الرجاء الوحيد الذي لا ازال احيا لاجله — ان اقنع بعض بني قومي بان التربية وحدهـا هي التي تستطيع ان تخلصنا من جميع الويلات التي حلت بنا .

يتبين لنا من هذه اللمحة التاريخية السريعة ، ان التربية تلعب دوراً هاماً في توجيه الشعوب والامم ، وان البلاد التي يؤخذ منها استقلالها ويترك بيدها تربية ابنائهـا لا تلبث ان تستعيد ذلك الاستقلال المغتصب . كما ان البلاد التي تأخذ استقلالها ولا يكون بيدها تربية ابنائها لا تلبث ان تفقد هذا الاستقلال فيؤول امرها اخيراً الى الرق والاستعباد . ومـا تنبهت دول الغرب الى اهمية التربية ، وتأثيرها البليغ في حياة المجتمع حتى شرعت في استلام زمامها ، معتبرة انهـا وظيفة من اهم وظائفها . واخذت تنشيء الواحدة تلو الاخرى انظمة علمية تخدم حاجتهـا ، وتتلاءم مع سياستها . وما زالت تعدل هذه الانظمة وتصلحها على ضوء اختباراتها في ايام السلم والحرب ، حتى اصبحت وسائل فعّالة لتسيير سياستها في مصلحة الفرد والمجموع معاً . ولعل اعظم مثال على ذلك في ربع القرن الاخير . هو ما قامت به روسيا من الاعمال التربوية الباهرة التي ادهشت العالم اجمع .

فـلا عجب والحالة هذه ، اذا نشطت الدول اليوم في مختلف انحاء العالم الى رسم الخطط الجديدة للتعليم ، وادخال الاصلاحات على نظمه القديمة . فهذه بريطانيـا العظمى مثلاً قد نشرت منذ

نشوب الحرب ، عدداً ليس بقليل من القوانين والتقارير التي تبحث في مستقبل التعليم . فهنالك من منشورات وزارة المعارف وحدها للعامين الاخيرين فقط عدة تقارير هامة تتحدث عن انقلاب تربوي عظيم في تلك البلاد . ولا ريب عندي في ان الدول المتحاربة الاخرى سائرة ايضاً على هذه الطريقة نفسها . باذلة جهدها في اصلاح نظمها القديمة ، على رغم انها في امس الحاجة الى بذل كل مجهود في سبيل النصر النهائي .

•

ولما كانت البلاد العربية بوجه الاجمال ، قد بلغت من الوعي القومي والعزة القومية ما يمكنها من استلام مقدراتها بيدها ، فانها شرعت هي ايضاً في رسم خطط تربوية جديدة ، تصلح للحياة الجديدة في الاجيال المقبلة . ادركت هذه الاقطار ان التربية هي الركن المتين الذي تقوم عليه نهضتها القومية وحركتها التقدمية ، فتحفزت حكوماتها ورجال التربية فيها للقيام باصلاحات تربوية خطيرة تبشر بمستقبل زاهر . فهذه مصر طليعة الاقطار الشقيقة ، تصدر في عام ١٩٤٣ بقلم وزير معارفها صاحب المعالي احمد نجيب الهلالي باشا ، تقريراً عن اصلاح التعليم في مصر ، فيكون له دوي عظيم في وادي النيل ، ويسميه المقرظون بالاصلاح الدستوري والاصلاح البرلماني باعتبار انه تصميم لبناء الدولة والامة ، ثم تتناوله اقلام المربين بالنقد والمناقشة ، واخيراً يتمخض هذا الاخذ والرد عن كتاب آخر يؤلفه قبل بضعة اشهر المربي الكبير عميد معهد التربية بمصر ، الاستاذ اسماعيل محمود القباني بك ويسميه « سياسة التعليم في مصر » ، فيكون متمماً لتقرير معالي الوزير ، ويتلقفه رجال الاختصاص في كل ارجاء الشرق العربي ، لدرسه والوقوف على آرائه القيمة .

وهذه فلسطين لا تني تعنى عناية خاصة بامر التربية والتعليم ، وادارة معارفها هي ، في نظري ، من اكثر دوائر الحكومة نشاطاً واقداماً . والذي يطلع على تقاريرها سنة بعد سنة يرى تقدماً مطرداً في مختلف نواحي التربية ؟ وانها استطاعت في ربع القرن الاخير ، ان تقوم باصلاحات ذات شأن ، في كمية التعليم وفي نوعه ، على رغم النكبات التي حلت بالبلاد في هذه الفترة من تاريخها . اما التقدم الكمي ، فان الارقام والخطوط البيانية في هذه التقارير ترينا سيره بأجلى بيان . فاذا قابلنا مثلاً عدد الطلاب والطالبات العرب في جميع مدارس فلسطين في سنة ١٩٢٢ وسنة ١٩٤٢ وجدنا انه زاد ثلاثة اضعاف ، وان نسبته الى عدد السكان العرب كانت ٥ بالمئة فاصبحت ثمانية ونصف بالمئة . اما التقدم النوعي فانه يسير جنباً الى جنب مع التقدم الكمي . فمن تأسيس معاهد لتدريب المعلمين والمعلمات ، الى فتح مدارس زراعية وصناعية ، الى انشاء مدارس واقسام داخلية ، الى تنشيط التعليم في القرى وتنظيم الحدائق المدرسية فيها ، الى توفير اسباب العلم لابناء العشائر ، الى تمهيد السبيل للتعليم الالزامي العام ، الى تأليف لجان محلية للمعارف ، الى جعل اللغة القومية اداة للتعليم على اختلاف انواعه ومراحله ، الى غير ذلك مما يدعو الى الاعجاب والثناء . وقد كتب في العام الفائت مساعد مدير المعارف الاستاذ جبرائيل كاتول سلسلة مقالات في مجلة المنتدى يلخص فيها ما تم في فلسطين العربية من الاصلاحات التربوية في العقدين الاخيرين ، وما يأمل ان يكون من امر المعارف هناك في المستقبل القريب ان شاء الله .

وهوذا العراق ايضاً يبدي نشاطاً فائقاً ويخطو خطوات واسعة في حقل التعليم . يدلنا على ذلك التقدم الحثيث ، والتوسع العظيم الذي تم هناك في ربع القرن الاخير . اذ زاد عدد الطلاب في هذه الفترة عشرة اضعاف او اكثر ، وبلغت نفقات التعليم في سنة ١٩٣٩ اثنا عشرة ونصف بالمئة من مجموع نفقات الحكومة . وهي لعمري نسبة عالية ، بالقياس الى ما ينفق على التعليم في سائر انحاء المعمور . وقد نشر في العام الفائت المربي القدير الدكتور فاضل الجمالي « مذكرة في مستقبل التربية والتعليم في العراق » تناول فيها بحث اهداف التعليم ، والسياسة العامة التي ينبغي ان يسير عليها ، والوسائل المختلفة التي تؤدي الى تحقيق تلك الاهداف . والظاهر ان هذه المذكرة احدثت حركة فكرية في صفوف المشتغلين بالتربية ، فلم يمض على نشرها بضعة اسابيع حتى رأينا رداً عليها بقلم الاستاذ القدير السيد عبد الفتاح ابرهيم . ولا شك ان العراق سيشهد كثيراً من الاصلاحات التربوية الناشئة عن هذا الاخذ والرد .

اضيف الى هذا كله ان ذلك القطر الشقيق يفكر اليوم بصورة جدية ، في تأسيس جامعة عراقية تضم اليها جميع الكليات الموجودة هنالك وتوسعها وتزيد عليها وفي العام الفائت نشر المربي القدير الدكتور متى عقراوي مقالاً قيماً في جريدة البلاد تحت عنوان مشروع الجامعة العراقية بين فيها اولاً العقبات التي تعترض هذا المشروع ، ثم الوسائل التي تساعد على القيام فيه .

ولنأت اخيراً الى سوريا ثم لبنان . لا تكاد سوريا تنال استقلالها حتى تتنبه الحكومة الى اهمية التربية في البناء القومي . فتكلف المربي الشهير الاستاذ ساطع بك الحصري ، ان يدرس

حالة التعليم في البلاد ، ويضع لهـا التقارير المفصلة عن الاسس التي يقوم عليها اصلاحه فيتولى حضرته هذه المهمة بمـا عرف عنه من طول الباع والتدقيق العلمي ، ولا يمضي عليه غير بضعة اشهر ، حتى يتم العمل ، ويقـدم للحكومة تقريراً مفصلاً عن نواحي الموضوع المختلفة . ثم تنشر هذه في كتاب عنوانه « تقارير عن حالة المعارف في سوريه واقتراحات لاصلاحها » ، ويأخذ مجلس النواب السوري في بحثها ومناقشتها ، ملخصة في « مشروع قانون المعارف العام » ، ولا يمضي عليه وقت طويل حتى يقرهـا بشيء قليل من التعديل ، فيستقر نظام التعليم في سورية على اسس علمية حديثة .

وهوذا لبنان يتحفز اليوم للنهوض بالتربية الى المنزلة اللائقة بها ، وهو يعلم علم اليقين ما لها من الاهمية في بنائه القومي الجديد . ولعل نشاطه في شؤون التربية لم يكن في الآونة الاخيرة ، بأقل منه في سائر شؤون الدولة .

ففي اوائل عهد الاستقلال الحـالي ، القى رئيس الحكومة بيانه الوزاري في مجلس النواب ، وفيه قسم خاص بالتربية الوطنية ، اود ان اثبت جزءاً منه لشدة اهميته :

« وتتجه انظار الحكومة الحاضرة نحو التبعـات الجسام التي يفرضها عهد الاستقلال الحالي في شتى مبادىء التربية الوطنية .

فستسعى الحكومة لان تربي النشء تربية وطنية صحيحة ، وبان يوجه منذ الآن توجيهاً صريحاً نحو الحرية والعزة والاستقلال ، وستتخذ الوسائل اللازمة لتعزيز اللغة العربية — لغة الوطن اللبناني — في جميع المعـاهد الموجودة في بلادنا ، وفي جميع فروع التعليم . وتاريخ البلاد وجغرافيتها وما الى هاتين المـادتين يجب ان ترعى حرمته المفروضة ، بحيث لا يخرج ابناؤنا وهم أعرف ببلاد غيرهم منهم ببلادهم . فنحن نريد ان نخرج نشئاً واحداً موحـد الهدف والشعور والوطنية .

وستجعل التعليم الابتدائي اجبارياً وتعمل على نشره وتعميمه في القرى اللبنانية حتى يقضى على الامية قضاء تاماً وستعنى الحكومة بوضع منهاج خاص بالتعليم الثانوي تتمشى عليه جميع المعاهد الخاصة .

وبعد القاء هذا البيان ببضعة اشهر اصدر معالي وزير التربية الوطنية قراراً بتشكيل اربع لجان تجمع عدداً من الخبراء في التربية والتعليم ، مهمتها درس مناهج التعليم واصلاحها وبعد ان شكلت هذه اللجان وجه معاليه الى حضرة مدير التربية الوطنية كتاباً بين فيه المقصود من قرار الوزارة ، والتوجيه الذي يرجى من المناهج الجديدة . فاجـاب حضرته بكتاب ملؤه النشاط والامل . ثم باشرت اللجان اعمالها وهي لا تزال تعمل الى يومنا هذا .

والمأمول انها ستتم قريباً ما وكل اليها درسه ، وستقدم مقترحاتها لوزارة التربية الوطنية ، فتتخذ هذه الاجراءات اللازمة ، في سبيل تنفيذها .

واني شديد الاعتقاد بان الحكومة الجديدة سائرة في سياستها التربوية على نفس الخطة التي سارت عليها الحكومة السابقة ، وبان الحكومات المستقبلة ، مهما يكن لونها السياسي ، لن تخرج عن هذه الخطة الرشيدة بل تظل دائبة في تنفيذهـا ، حرصاً على استقلال البلاد .

على ان الحكومة الوطنية ليست هي الهيئة الوحيدة التي أبدت نشاطاً تربوياً في الاشهر الاخيرة . فان الجنرال كاترو القى خطاباً قيماً منذ اربعة عشر شهراً عن الوضع السياسي في ذلك الحين ، أبان فيه بوضوح وجلاء ما للتربية الفرنسية من الاهمية الخطيرة في هذه البلاد ، وصرح مؤكداً بوجوب الاحتفاظ بهذه التربية وتقويتهـا على مرور الايام . القى حضرته هذا الخطاب ، في نادي الاتحاد الفرنسي ببيروت في السابع والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٩٤٣ أي بعد حوادث تشرين الثاني المعروفة ببضعة اسابيع ، وبعد ان وقع الاتفاقية التي نقلت بموجبهـا الصلاحيات الى الحكومات المحلية بخمسة ايام . قال الجنرال ، مخاطباً نادي الاتحاد الفرنسي :

« تعلمون حق العلم ، ان الذي اكسبنا في هذه البلاد مركزاً ممتازاً ، ونفوذاً متفوقاً ، مدة طويلة من الزمن هو قيمتنا الثقافية . وانه من المؤكد اننا في حقل التعليم محتفظون بقواعد لن نفقدهـا ابداً ، بل على عكس ذلك ، يجب علينا ان ننميها اكثر فأكثر » .

ثم ان هذه النهضات التربوية القائمة في كل قطر من الاقطـار العربية على حدته ليست كل ما في الامر . فانه بالاضافة الى هذه النهضات المباركة ، نلاحظ ايضاً ان بين الاقطار الشقيقة نزعة الى التقارب التربوي ، اذ تدعو في كثير من تقاريرها الى تقوية الصلات الثقافية ، وتوحيد الاهداف التربوية .

وقد خصص ساطع بك الحصري تقريراً كامـلاً من تقاريره الستة عشر ، يبحث فيه توثيق الصلات الثقافية بين سوريا والبلاد العربية الاخرى . وفي الواقع ان بعض الاقطار العربية ، لم تقف عند حد الرغبة في التقارب الثقافي ، بل باشر تحقيق هذه الامنية بصورة عملية موفقة . فقد قررت الحكومتان المصرية والعراقية في السنوات الاخيرة ، تأسيس مكتب في القاهرة ، للتعاون الثقافي بين القطرين الشقيقين . وفي صيف سنة ١٩٤٣ عقد هذا المكتب

اجتماعاً ، دعا اليه مندوبين من الفريقين ، وبحث في جلسات عديدة مشروع معاهدة ثقافية بين مصر والعراق ، واخيراً أقرّ المكتب هذا المشروع، وعرضه على الحكومتين المصرية والعراقية فوقعتا عليه ، واتخذت بشأنه الاجراءات القانونية ، ووضعت المعاهدة موضع التنفيذ من تاريخ توقيعها .

وتتناول هذه المعاهدة الثقافية في موادها الاربع عشرة اسساً كثيرة التعاون . فهنالك تبادل الاساتذة والطلاب وتبادل المطبوعات وسائر الوسائل التعليمية . وهنالك توحيد المصطلحات العلمية وحماية حقوق التأليف والترجمة والنشر . وهنالك تقريب مناهج الدراسة وتعادل مراحل التعليم وشهاداته ، وهنالك تشجيع الاسفار والرحلات الثقافية والكشفية والرياضية وتشجيع عقد المؤتمرات العلمية والثقافية والتعليمية الى غير ذلك من وسائل التعاون التي لا مجال للكلام عليها الآن ولعل اهم ما جاء في المعاهدة هو انه ينبغي عرضها على الدول العربية الاخرى لتنضم اليها اذا شاءت وبذلك تكون المعاهدة نواة لحلف ثقافي عربي عام . ولقد عرضت المعاهدة في الواقع على الدول العربية فانضم اليها في العام الماضي على ما اعلم الحكومة السورية وعن قريب ستعين هذه الحكومة المندوبين لمكتب التعاون الثقافي في القاهرة .

ولا يخفى ان هنالك لجنة ثقافية لمؤتمر جامعة الدول العربية يمثل فيها لبنان وغايتها بحث الوسائل الممكنة لتحقيق التعاون الثقافي بين الاقطار العربية . وقد اجتمعت هذه اللجنة اجتماعات متوالية في الشهرين الاخيرين ولا نعلم ما هي المقررات والاقتراحات التي رفعتها لمجلس الجامعة .

ولا بد لي بهذه المناسبة من ان اشير الى الكتاب القيم الذي اصدره في هذا الشهر المربي القدير الاستاذ عبدالله المشنوق وموضوعه التعاون الثقافي بين الاقطار العربية — كيف افهمه وانجع الوسائل لتحقيقه » .

وصفوة القول ان البلاد العربية دائبة عند مطلع حياتها الجديدة في وضع خطط تربوية ، تتناسب مع روح العصر الجديد . والذي يلوح لي ان هذه الخطط . وان اختلفت بعضها عن بعض في الامور الفرعية . فانها تتفق الى حد بعيد ، في كثير من الامور الاساسية . من أهم هذه الامور المتفق عليها ، على ما ارى ، هو وجوب تنظيم التعليم القومي وتوسيعه وتعزيزه ، مع جعل الابتدائي منه اجبارياً لجميع الصبيان والبنات على السواء .

ولا يخفى ان للتعليم القومي في الاقطار العربية فوائد جمة ، اقتصر على ذكر واحدة منها لضيق المجال وهي ان التعليم القومي يساعد على توحيد نزعات الامة المتبعثرة ، والتقريب بين عناصرها المتنافرة فهو البوتقة التي تصهر بها جميع العناصر لتصير جسماً واحداً لا تقوى على تجزئته حدثان الدهر ، وكتلة متراصة تتجه اتجاهاً واحداً ، وتؤمن بعقيدة قومية واحدة وتسعى الى اغراض قومية واحدة .

وما احوجنا في الشرق العربي الى هذا التوحيد وقد لعبت بنا يد الزمان اجيالاً عديدة ففرقت صفوفنا وفككت اوصالنا ، وتركتنا منقسمين على انفسنا .

والذي يزيدنا تفككاً وانقساماً ، هو ان المتعلمين بيننا قد تأثروا بالوان مختلفة من التعليم، فنشأ عن ذلك بلبلة فكرية وعاطفية لها اثرها الخطير في حياتنا القومية . فهذا يتلوّن بلون عربي وذاك بلون غربي . هذا يفكر تفكيراً استقلالياً ، وذاك تفكيراً اتكالياً . هذا يتجه اتجاهاً دينياً ، وذاك اتجاهاً علمانياً . هذا يرى الخير كل الخير في نظام اقتصادي سياسي خاص ، وذاك يرى الخير كل الخير في نظام آخر . اضف الى ذلك كله ان كلا منا ينظر شزراً الى لون الآخر والى فكرة الآخر والى عقيدة الآخر والى اتجاه الآخر . فكيف يمكننا اذن ان نتفق ؟ وكيف يمكننا ان نتفاهم ؟ وكيف يمكننا ان نتعاون لتحقيق اغراض قومية مشتركة ؟ والاغرب ان بعض الناس وصمنا اخيراً باننا اتفقنا على ان لا نتفق كأن عدم الاتفاق هو جزء من طبيعتنا .

ومعلوم ان هذا الاضطراب الفكري والعاطفي ، ناشيء بالاكثر عن التعليم الخاص — اهلياً كان أم اجنبياً ليس من ينكر ان لهذا التعليم فضلاً كبيراً على البلاد ، وان له في نظام التربية محلاً هاماً . وان له خدمات كثيرة يستطيع ان يؤديها في المستقبل كما اداها في الماضي . غير انه فيما ارى لا يمكن الانتفاع به من غير ان يعود على البلاد بالضرر الا اذا كان خاضعاً لمراقبة وزارات التربية الوطنية .

ولست اعني بخضوع التعليم للمراقبة ان تحجز حرية المعلم وان تغل يداه فيما يتعلق بامور الفن والاسلوب . ففي هذه الامور يجب ان يكون المعلم حراً طليقاً الى حد بعيد وانما اعني بذلك ان التعليم في المدارس الرسمية والخاصة على السواء يجب ان لا يتنافى في جوهره مع الاغراض القومية والمبادىء الوطنية . فلا يجوز مثلاً لأية مدرسة مهما يكن لونها ان يكون بناؤها او محيطها غير صحي ، او ان يكون التعليم فيها دون المستوى المطلوب او ان تتقن تعليم

الاديب وكتاب الاديب

نطلب من المكاتب التالية

*

بيروت	من	دار الصحافة والنشر
صيدا	«	السيد يوسف الجيز
النبطية	«	مكتبة الشباب لصاحبها السيد معين جابر
صور	«	السيد محمد سعيد البلاغي
مرجعيون	«	السيد جميل ماضي
طرابلس	«	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	«	السيد فؤاد الحاج
حلبا	«	السيد عبدالله محفوض
زحله	«	السيد جوزيف فرحات بمطران
عاليه	«	السيد نجيب سليمان
بعلبك	«	السيد علي الاحمر
دمشق	«	السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه	«	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	«	السيد عبد السلام السباعي
	«	السيد توفيق الشامي
اللاذقية	«	السيد حنا نصره
	«	عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد منزلجي
طرطوس	«	الاستاذ صالح علي
حلب	«	السيد جان رزق‌الله كردي
الباب	«	الشهباء للسيد محمد سعيد المكتبي
دير الزور	«	السيد صالح السيد
العراق	«	المكتبة العصرية لصاحبها السيد محمود حلمي ومن عموم المكاتب والباعة
فلسطين	«	شركة فرج‌الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة
مصر	«	مكتبة النهضة المصرية وعموم المكاتب والباعة
البرازيل	«	الاستاذ توفيق ضعون سان باولو ص. ب ٧٣١

•

وهي تباع : في سوريا ولبنان بليرة ل. س. في العراق بـ ١٠٠ فلس ، في فلسطين بـ ١٠٠ مل ، وفي مصر والسودان بـ ١٠٠ مليم

لغة اجنبية اكثر من اتقانها اللغة القومية او ان تعلم تاريخ وجغرافية بلاد اجنبية على حساب تاريخ وجغرافية البلاد التي ينتمي اليها الطلبة ، او ان تلقنهم دروساً مدنية تمس كرامة البلاد وتتنافى مع روحها او ان تبث فيهم من الدعايات الحزبية والطائفية ما يودي الى الشقاق والتفرقة كل هذا وغيره من الامور الجوهرية يجب ان يخضع للرقابة الدقيقة اذا نحن اردنا ان نخلق في البلاد شيئاً متحد الكلمة قادراً على الاتفاق والتفاهم والتضامن .

ولا بد للمربين وقادة الفكر الذين ينـاط بهم رسم الخطط التربوية المستقبل من ان يضعوا نصب عيونهم الحقيقتين التاليتين :

الحقيقة الاولى هي ان من اهم العناصر التي تتكون منهـا القومية في الشعوب والامم هو عنصر الثقافة المشتركة اعني بذلك ما يشترك فيه افراد الشعب الواحد او الامة الواحـدة من الآلام والآمال ، العادات والتقاليد ، الذكريات والمقدسات ، الاهداف والمثل العليا . وبقدر ما يكون هذا العنصر الثقافي راسخاً في النفوس مستولياً على مجرى الحياة بذاك القدر يكون الشعب موحداً متراصاً . واذا كانت لغتنا القومية بالاضافة الى ثقافتنا المشتركة — من اهم مقومات القومية ايضاً فليس ذلك لمجرد كونها اداة للتخاطب والتفاهم بين الافراد والجماعات بل لانها الجسم الذي تأوي اليه روح الثقافة المشتركة .

والحقيقة الثانية هي ان هذا العنصر الثقافي انما هو وليد التربية وصنيعة التعليم . هذه حقيقة راهنة لا جدال فيها ، قد اثبتها تاريخ التربية في العصور الحديثة ، وسارت عليها الدول منذ ان دبت فيها روح القوميات الجديدة . فالتربية القومية ، اذا احسن تنظيمها ووُحدت اهدافها ، واصلحت مناهجها ، واتقنت اساليبهـا واحكمت ادارة شؤونها ، هي الكفيلة بخلق شعب موحد النزعات ، متراص البنيـان لا تقوى على تفرقته صروف الدهر وحدثان الزمان .

لقد اصبحت التربية عند اهل الغرب ديناً يدينون به . فمـا هو موقفنا بازائها نحن ابناء هذه البلاد ؟ اذا صح لنا القول بان حب الوطن من الايمان أفلا يجدر بنا ايضاً ان نتخذ شعاراً لنا : « العناية بالتربية من الايمان ؟ »

جورج شهلا

راقصـــــة البوليرو

طالع الناس فيكِ بدر السماء ... وفتون الاصبـاح والامساءِ
لكِ دل الغصون باكرها الغيـ ... ـث فماست من نشوة الخيلاء
تتهادين مثلمـا يتهادى الـ ... ـطيف وهناً في المقلة الكحلاء
انت حلم الشباب يعبق بالطيـ ... ـب ودنيـا تموج بالاضواء

•

حمد الناس رقصةً لكِ جلّت ... وتسامت عن مدحة وثنـاء
كنتَ فيها اشهى من الامل الحلـ ... ـوِ وأبهى من روضة غنّاء
لستُ ادري وقد اتيت جليلاً ... أي نار أججت في الاحشاء
وكأني أرى الطبيعة في جنـ ... ـنيكِ ماست بالحلة الخضراء
للهوى لوعة الذبيح بعينيـ ... ـكِ ووجد الصادي لنغبة ماء
تتاوين كلما عصف الشو ... ق بنـار كالحية الرقطاء
ففتنت الورى بكل طريف ... من ضروب الاغواء والاغراء
كنتِ حيناً كريشة تترامى ... في مهب الرياح بالظلمـاء
وفريقٍ يراكِ عـاصفة هو ... جاء تطوي مطارف الجوزاء
واذ رقت اللحون ومجت ... غمغمات الابواق من اعيـاء
سرت سير المنهوك يقعده الجهـ ... ـد وتحدو به طيوف الرجاء
كلما همّ بالمسير ثنته ... عن مراد مرارة الادواء
فترامى على الثرى كتزيفٍ ... صرعته حرافة الصهباء

•

أي شيء ابقيت للشعراء ... جلّ هذا الاحسان عن اطراء
يا سماء الاحسان في كل عين ... كيف يوفي المديح حق السماء
عجز النطق ان يفي ببيـان ... عن خفايا هواجس الاهواء
واصبت المعنى الدقيق من النفـ ... ـس بوحي الايمـاء والاغواء
كم معـانٍ للناظرين تبدت ... وتراءت في فتنة الاعضاء
هجت ميت الهوى وايقظت وجداً ... مستكناً بالدمعة الخرساء
ورميت الاهواء في خفقة الصد ... رِ وخافي الاحلام بالايمـاء
وبوحي العينين حققت نعتـاً ... لمعـانٍ عويصة في الاداء

•

طالع الناس فيك بدر السماء ... وفتون الاصبـاح والامساء

دمشق — عدنان مردم بك

العلاقة بين الفلسفة والدين

بقلم الاب يوسف الحكيم
ليسانسيه في الفلسفة

□

قد رأينا في بحثنا السابق ان لا علاقة بين الفلسفة والدين عند البرهانيين المتشبثين بوحدانية الحقيقة[1] التي فيها يمتزج الطبيعي بما فوق الطبيعة وبالتالي يمتنع وجود حقيقة دينية متميزة عن حقيقة فلسفية. وسنرى الآن، في بحثنا هذا، ما اذا كان لهذه العلاقة من اثر عند الثوماويين.

لا بد لنا في هذه القضية، كما في اغلب القضايا، من الاستناد الى مقررات[2] مسلّم بها عند الكثيرين من فطاحل الفلاسفة.

كل افراط او تفريط، في اية قضية كانت، يؤدي حتماً الى الضلال. وكل ضلال فلسفي يؤدي الى ضلال ديني. وقد اختبرنا ذلك بالفعل عند نصف البرهانيين والبرهانيين الذين عظموا العقل وألهوه — فضلّوا بالافراط — وعند الايمانيين الذين حطوا من قيمة العقل وحقّروه — فضلوا بالتفريط —. الفضيلة في الوسط والحقيقة بين هذين الاثنين أي انه يمكن للفلسفة ان تتطلع الى الدين وتظل محتفظة بطابعها الخاص كما سنرى.

أ — الفلسفة تقود الى الدين: لا يمكن الانسان العاقل ان يسلم بشيء ما لم يفقه اولاً ضرورة التسليم بذلك الشيء. وضرورة التسليم بالدين يدركها الانسان بقوة بواعث مختلفة اهمها: اولاً «عن طريق العقل» الفاصل الذي يميز الانسان من الحيوان انما هو العقل. لذلك يحدد الفلاسفة الانسان «بحيوان عاقل» بنوع انه اذا حذفنا كلمة «عاقل» لم يبق سوى «حيوان». فالعقل اذاً اعظم واشرف شيء عند الانسان. من خصائص هذا العقل التفكير وادراك الاسباب الاخيرة بارتقائه من «المعلول الى العلة»، من «الباطل الى الحق»، من «الموضوع الى الغاية».

قلنا اولاً «من المعلول الى العلة» عندما يتفرس الانسان بكل ما في هذا الكون من المخلوقات، على مختلف انواعها، لا بد له من ان يتساءل عن كيفية وجودها أي هل وجدت صدفة، هل اوجدت ذاتها بذاتها أم هل اوجدها كائن فريد عجيب مجهول بعد لدينا. ليست الكائنات متحدرة عن حادث صدفة لان الصدفة وهم لا اساس له. والحقيقة اننا اعتدنا ان نسمي صدفة ذلك الشيء الذي نجهل سببه. وبحسب المبدأ المقرر «لا معلول بدون علة» لا يبقى مجال للصدفة هذا هو اليوم رأي الفلاسفة المعوّل عليهم. وليست الكائنات متحدرة عن بعضها في سلم لا ابتداء له ولا انتهاء لانه اذا لم نحصل على الاول فلا نحصل على الثاني ولا على الثالث ولا علينا نحن ايضاً، الامر الذي يضاد الاختبار هذا فضلاً عن انه استناداً الى هذين المبدأين «لا احد يعطي ما لا يملك» و«طبيعة الكل كطبيعة اجزائه» يتضح ان كل الكائنات العرضية الوجود متغيرة ناقصة وبالتالي يتعذر عليها ان تعطي شيئاً كاملاً بكمال مطلق «اللانهاية». فاذا كان سبب وجود الكائنات ينحصر في احد الافتراضات التي ذكرناها ولم نجده لا في الاول ولا في الثاني لم يبق لنا الآن الا ان نقر بوجود كائن فريد عجيب نسميه «العلة الاولى» او «الله» فهو سبب كل الكائنات ولا سبب له.

قلنا ثانياً «من الباطل الى الحق» يعترض الانسان في اقتباس معارفه صعوبات شتى من شأنها ان تضلله وتبعده عن الطريق المستقيم طريق الهدى والحق. ولكن هذا المشعال الطفيف الذي يحمله، مشعال عقله النير، فمهما هو عليه من الضعف يمكنه ان يرى على نوره الضئيل الحقائق التي تتطلبها طبيعته الناطقة مذللاً كل الحواجز التي تقف سداً امامه لتعيقه عن الوصول الى هذه المعرفة الصحيحة. وعندما يرى الانسان في النور ولا يرى في الظلمة يستنتج انه يمتنع

---

(١) لان العلاقة تكون بين اثنين فاكثر.
(٢) ان هذه المقررات تقتضي درساً خصوصياً لا نتعرض هنا له بل نفترضه.

وجود النور والظلمة ، الحق والباطل ، الكامل والناقص ، الصادق والكاذب ، الحي والميت ، العلة والمعلول في الوقت ذاته والكيفية ذاتها . ولما كانت العلة الاولى « كلية الكمال » — والا لما كانت اولى — فهي النور والحق والصدق والحياة . وعلينا ان نستنير بنورها ونسير في طرقها ونصدق اقوالها ونحيا بها .

وقلنا ثالثاً « من الموضوع الى الغاية » يتطلع الانسان حواليه فيرى ان كل الكائنات ، مخيّرة كانت ام مسيرة ، تفعل لغاية . يرجع وينعكف على ذاته فيرى انه متميز عن سائر الكائنات بنفسه الروحية والروح بسيطة غير مركبة والغير المركب لا ينحل خالد من طبيعته . فيتساءل عندئذ عما عساها تكون غاية تلك النفس . وحتى يجد الجواب ليس عليه سوى ان يختلي عميقاً في نفسه فيرى ان العلة الاولى « الكلية الكمال » لا يمكنها ان تتوخى في كل عمل من اعمالها غاية اولية خارجة عنها لانها تصبح آنئذ ناقصة لافتقارها الى تلك الغاية . فهي نفسها غاية لكل افعالها . ويرى ان كل الموجودات تتبع هذه الغاية كل حسب طبعه . والانسان العاقل الحر يتبع هذه الغاية بحسب طبيعته ايضاً اي انه مسؤول عن اعماله لانه عاقل ومخيّر في تصرفاته لانه حر . والمسؤولية تفترض تتميم الواجب او عدمه وتتميم الواجب او عدمه يفترض الخير والشر والخير والشر يفترضان المكافأة او المجازاة وكون الروح خالدة فالعقاب والثواب اللذان هما تابعان ملازمان لها خالدان ايضاً .

ثانياً : عن طريق القلب : بقولنا ان العقل اشرف ما في الانسان لا نحط من شرف سائر القوى الكائنة فينا . واذا كان الانسان يفكر فهو بالاولى يشعر ويحب . لا بل يمكن احياناً — في الحقل العملي — ان نفضل القلب على العقل كونه هو الذي يدفعه الى البحث والتفكير ولولاه لظل خاملاً متلهياً بامور تافهة . ولا ننس ان كل قوى الانسان تتعاون في اصدار كل فعل من افعاله وانه يجب علينا ، اذا اردنا ان تكون احكامنا صائبة ، ان نعطي كل ذي حق حقه من هذا المركب الانساني اي ان نحترم اتزانه بالمحافظة الدقيقة على النظام الواجب اتباعه عند استعمال قواه المختلفة . ومن هنا يتضح جلياً للفيلسوف ضرورة الالتجاء الى كل ما عنده من القوى حتى يكون تفكيره مجدياً . واذا كان العقل يقود الى الدين ولكن بواسطة العطش واليأس . العطش الى الحب واليأس من الحب الباطل . متى ذكرنا القلب فهمنا حالاً المحبة التي هي صفة ملازمة له . والمحبة للقلب كالجناح للطائر فكما انه لا طائر بدون جناح لا قلب بدون محبة . ولكن السر كل السر في انتقاء موضوع هذه المحبة واغلب الناس ، لسوء الحظ ، يضلون السبيل باتباعهم في محبتهم موضوعاً غير اهل لها . يتعطشون الى الحب ويظنون انهم يروون غليلهم باندفاعهم وراء مواضيع باطلة . ولكنهم يزدادون عطشاً ويبأسون . عندئذ يرجعون الى نفوسهم فيترفعون عن الحسائس ويصرخون مع الملفان اغسطينوس : « يارب خلقت هذا القلب لاجلك ولا يزال قلقاً مضطرباً حتى يرتاح فيك » فالله وحده اذاً يملأ فراغ هذا القلب الذي خلقه له « يا بني اعطني قلبك » وبالتالي عبثاً يحاول الانسان ان يشبع من حطام هذه الدنيا الغرور . وهكذا فالقلب نار يلتهم لهيبها كل ما به دنس حتى يستقر اخيراً في الطهارة الكاملة التي لا عيب فيها .

٣ — الدين ينير الفلسفة : اذا كانت الفلسفة تقود الى الدين فالدين بدوره ينير الفلسفة ولا خوف عليها من هذا النور الذي يضيء ولا يبهر . قلنا يضيء لان الانسان مهما سما بمعارفه فلا يزال ضعيفاً عرضة للضلالة فأحر به ، ايّان تفكيره في حل مشاكله ، ان يتفرس ، من وقت الى آخر ، بنور الدين فيرى على ضوئه حقائق قلما يصل اليها بدونه لانه وحده لا يجدها الا بعد الجهد الجهيد وفيها شيء من التشويه . اهم هذه الحقائق هي الخلق والخلق عن حرية والخلق من العدم والعناية وخلود النفس ومسؤوليتها عن اعمالها . وقلنا لا يبهر لانه يمكن للفيلسوف ان يتطلع الى حقائق الدين ويظل متابعاً سيره في حقله الخاص[1] . فتطلعه هذا لا يفقده قوة البحث والتفكير بل بالعكس يفتح له آفاقاً جديدة للتأمل والتبصر والانعكاس . بماذا نشبه الفلسفة بالنسبة الى الدين ؟ تشبه قبطاناً يدير سفينته ولكن يتطلع من وقت الى وقت الى « الابرة المغناطيسية » او الى « المنارة » كيلا يضل السبيل . فالقبطان يدير السفينة بقطع النظر عن الابرة والمنارة ولكن بحسب تعليماتها . من هنا نلمس امكانية الوفاق بين الفلسفة والدين . هما حقلان مختلفان طبعاً ولكنهما يتعاونان لادراك غاية واحدة . الفلسفة تقود الى الدين والدين ينير الفلسفة والغاية من الاثنين واحدة ونجدها في الدين[2] الذي يسمو عن الفلسفة درجة ومقاماً . ومن هنا ايضاً نعلم ان النظام الفائق الطبيعة لا يهدم النظام الطبيعي بل يكمله والنظام الطبيعي لا معنى له مستقلاً عن النظام الفائق الطبيعة لانه يفترضه .

جونيه — يوسف الحكيم

(1) G. J. Maritain, Science et Sagesse, 1935, p. 123 - 228

(2) S. T. II - II, q. 1, a. 4 et 5

من فنون الطب عند الاقدمين

بقلم نور الدين بيرم
امين المخطوطات بدار الكتب اللبنانية

الاطباء الجوالون – اطباء السجون – نوبة الاطباء في المستشفيات – معامل ومختبرات الادوية – المستشفيات النقالة – استخراج الادوية من بعض اعضاء الحيوانات – التجارب في السمك – تشريح القرود للدرس والتطبيقات العلمية – تشريح لمعرفة اسباب الخوارق الطبيعية – تشريح الجثث للدرس – الزجاجات الشائكة للادوية السامة

◆

الاطباء الجوالون

كان ابو سعيد سنان بن ثابت بن قرة في خدمة المقتدر بالله والقاهر بالله والراضي بالله . اقترح يوماً على الخليفة القاهر بالله بانفاذ متطببين وخزانة للادوية والاشربة يطوفون في المرضى فأمر الخليفة بقبول اقتراحه قائلاً له : فكرت في من في السواد من اهله فانه لا يخلو ان يكون فيه مرضى لا يشرف عليهم متطبب لخلو السواد من الاطباء. فتقدم بانفاذ متطببين وخزانة للادوية والاشربة يطوفون في السواد ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة اليه ويعالجون من فيه من المرضى ثم ينتقلون الى غيره من الاصقاع(١) .

اطباء السجون

قال ثابت بن سنان في تاريخه : « اذكر وقد وقّع الوزير علي ابن عيسى بن الجراح الى والدي سنان بن ثابت في ايام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله وتدبير المملكة في ايام وزارة حامد بن العباس في سنة كثرت فيها الامراض جداً وكان والدي اذ ذاك يتقلد البيمارستانات ببغداد وغيرها توقيعاً يقول فيه : فكرت في امر من في الحبوس وانه لا يخلو مع كثرة عددهم وجفاء اماكنهم ان تنالهم الامراض . فينبغي ان تفرد لهم اطباء يدخلون اليهم في كل يوم وتحمل اليهم الادوية والاشربة ويطوفون في سائر الحبوس ويعالجون فيها المرضى ويزيحون علتهم فيما يحتاجون اليه من كل شيء(٢) .

(١) ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ٢٢١
(٢) طبقات الاطباء ج ١ ص ٢٢١ المطبعة الوهبية ١٢٩٩ هـ

نوبة الاطباء في المستشفيات

كان جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع فاضلاً عالماً متقناً لصناعة الطب وكان اجداده في هذه الصناعة .

وكان ابن بختيشوع هذا يتناول راتباً من عضد الدولة ثم ولاه بيمارستاناً في بغداد وخصص له راتباً ثانياً عدا عما كان يأخذه من الارزاق والعطايا والهدايا .

وكانت نوبة الطبيب جبرائيل بن بختيشوع في بيمارستان بغداد في الاسبوع يومين وليلتين(٣) .

معامل ومختبرات الادوية

الطبيب احمد بن يونس بن احمد الحراني خدم المستنصر بالله وغزا معه غزواته سنة احدى وخمسين وثلثمائة واسكنه المستنصر في قصره بمدينة الزهراء .

قال ابن جلجل(٤) للطبيب احمد بن يونس بن احمد الحراني اثنا عشر صبياً صقالبة طباخون للأشربة صناعون للمعجونات بين يديه وكان قد استأذن امير المؤمنين المستنصر ان يعطي منها من احتاج من المساكين والمرضى فأباح له ذلك . وكان يداوي العين مداواة نفيسة وله بقرطبة آثار في ذلك . وكان يواسي بعلمه صديقه وجاره والمساكين والضعفاء. وولاه هشام المؤيد بالله خطة الشرطة وخطة السوق ومات بحمى الربع وخلف ما قيمته ازيد من مائة الف دينار(٥) .

(٣) عيون الانباء في طبقاب الاطباء ج ١ ص ١٤٥
(٤) لعله يريد سليمان بن حسان ابو داود
(٥) طبقات الاطباء ج ٢ ص ٤٢ المطبعة الوهبية

المستشفيات النقالة

ابو الحكم عبيد الله بن المظفر الحكيم الاديب المعروف بالمغربي اصله من اهل المرية بالاندلس ومولده ببلاد اليمن . ذكر ابو شجاع الفرضي في تاريخ جمعه ان ابا الحكم المذكور قدم بغداد واقام بها مدة وانه كان ذا معرفة بالادب والطب . وذكر العماد الاصبهاني ان ابا الحكم المذكور كان طبيب البيمارستان الذي كان يحمله اربعون جملاً المستصحب في معسكر السلطان محمود السلجوقي حيث خيم . وكان السديد ابو الوفاء يحيى بن سعيد ابن يحيى المظفر الذي صار قاضي القضاة ببغداد في ايام الامام المقتفي فاصداً وطبيباً في هذا البيمارستان النقال(٦).

استخراج الادوية من بعض اعضاء الحيوانات

وكانوا يأخذون من بعض الحيوانات غددها او غير اعضاء منها ويستخرجون منها ادوية يطببون بها مرضاهم ويوجد من ذلك كثير في كتب الطب وكتب حياة الحيوان تحت كلمة خواص(٧).

وارجو المعذرة اذا اوردت هذه النبذة الصغيرة لاثبات ما انا كاتبه هنا .

قال الطبيب حامد بن ممحون عن السمور ما حرفيته : « هو حيوان يكون في بحر الروم ولا يحتاج منه الا خصاه فيخرج الحيوان من البحر الى البر فيؤخذ وتقطع خصاه ثم يطلق سراحه فيرجع الى البحر فاذا اتى الموسم الثاني لصيد السمور واتى الصيادون لصيده واحس بهم خشي ان يصطادوه مرة ثانية فيستلقي على ظهره ويوسع ما بين رجليه ليري الصيادين ان موضع خصيتيه خال . فاذا رآه الصيادون كذلك تركوه(٨).

وقال ابن غالب ان السمور او الجند باستر حيوان ذكي وعنده قوة مميزة ويصنع من خصيتيه الادوية الرفيعة ومنافعه كثيرة ويورد ايضاً القصة المذكورة اعلاه(٩).

التجارب في السمك

عُرف عن العرب اعتناؤهم الكثير بالتجارب في الحيوانات لابحاثهم الطبية واما تجاربهم في الاسماك فقليلة ولهذا نورد هذه النبذة لنثبت انه ما فاتهم هذا البحث ولا غفلوا عن هذه التجارب وهو ان الطبيب ابراهيم بن فزارون كان طبيباً مذكوراً في زمانه واختص بصحبة غسان بن عباد وخرج معه الى بلاد السند فذكر ابراهيم الطبيب ان في النهر المعروف بمهران بارض السند سمكة اذا انتزع قسم كبير من لحمها وارجعت الى الماء نمي لحمها بعد مدة ورجع الى ما كان عليه . فاراد غسان بن عباد ان يتحقق ذلك وامر طبيبه ابراهيم بن فزارون ان يصنع تجارب بهذه الاسماك وحفر بركة في داره ووضعوا السمك فيها وقطعوا من لحمها وما مضت مدة حتى عاد اللحم الى حالته الاولى . واما ما كان يكسر عظمه فانه كان يموت(١٠).

تشريح القرود للدرس والتطبيقات العلمية

جاء في عيون الانباء في طبقات الاطباء ان يوسف بن ابراهيم(١١) روى الحادث الطريف التالي :

قدم جرجة بن زكريا ملك النوبة سنة ٢٢١ هـ الى سر من رأى واهدى الى المعتصم هدايا فيها قردة . فارسل الخليفة المعتصم الى ابن ماسويه الطبيب رسولاً ومعه قرد من القرود التي اهداها ملك النوبة لا اذكر اني رأيت اكبر منه جثة وقال له يقول لك امير المؤمنين زوّج هذا القرد من قردتك « حماحم » . وكان لابن ماسويه قردة يسميها حماحم كان لا يصبر عنها ساعة فوجم لذلك وقال للرسول قل لامير المؤمنين اتخاذي لهذه القردة غير ما يتوهمه وماغايتي من تربيتها الا لتشريحها ودرس عروقها واورادها واعصابها واعضائها ولاضع بذلك كتاباً واما اذ قد وافى هذا القرد فسيعلم امير المؤمنين اني سأضع له كتاباً لم يوضع في الاسلام مثله ثم فعل ذلك بالقرد فظهر له منه كتاب حسن استحسنه اعداؤه فضلاً عن اصدقائه(١٢).

وذكر الوزير جمال الدين الاشرف المعروف بابن القفطي المتوفي ٦٤٦ في كتابه اخبار العلماء باخبار الحكماء اشياء وحوادث تثبت معرفتهم بتشريح القرود للعلم والاختبار(١٣).

---

(٦) ابن خلكان وفيات الاعيان ج١ ص ٣٤٤
(٧) معجم الادباء لياقوت من مطبوعات دار المأمون ج ٦ ص ١٦٦
(٨) نفح الطيب للمقري المطبعة الازهرية ١٣٠٢ ج ١ ص ٩٢
(٩) طبائع الحيوان وخواصه ومنافع النبات ومضاره حاجي خليفة ج ٣ ص ١٢١
(١٠) ابن القفطي ص ٥٣ – ٥٤
(١١) لعله اراد يوسف بن ابراهيم مولى ابراهيم بن المهدي ابو الحسن الحاسب المعروف بابن الدايه
(١٢) عيون الانباء في طبقات الاطباء المطبعة الوهبية ١٨٨٢ ج١ ص١٧٨
(١٣) اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٢٥٥

تشريح لمعرفة اسباب الخوارق الطبيعية

لما خرج شبيب بن يزيد بن نُعيم الخارجي بالموصل بعث اليه الحجاج قائداً فقتله ثم قائداً فقتله كذلك حتى اتى على خمسة قواد قتلهم وهزم جيوشهم وكان احد القواد موسى بن طلحة بن عبيدالله ثم خرج شبيب من الموصل يريد الكوفة وخرج الحجاج من البصرة يريد الكوفة فطمع شبيب ان يلقى الحجاج قبل ان يصل الى الكوفة فالحم الحجاج خيله فدخل الكوفة قبله ومرّ شبيب بعتّاب بن ورقاء فقتله ومرّ بعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فهرب منه وقدم شبيب الكوفة وآلى ألا يبرح عنها او يلقى الحجاج فيقتله او يُقتل دونه ، فخرج الحجاج اليه في خيله ، فلما قرب منه عمد الى سلاحه فألبسه ابا الورد مولاه وحمله على الدابة التي كان عليها ، فلما تواقفا قال شبيب : اروني الحجاج ، فأومأوا له الى ابي الورد فحمل عليه فقتله ثم خرج من الكوفة يريد الاهواز(١٤) .

وكان شبيب من جبابرة العرب واشد رجالاتها وكان يصيح في جنبات الجيش وكان الجيش عند سماعه لا يلوي احد على أحد . وقالوا انصاح حسبت الصخر منحدراً والريح عاصفة والموج يلتطم .

ولما قُتل شبيب شُق صدره فاذا له فؤاد كبير وكانوا اذا ضربوا به الارض يتزو كما تتزو المثانة المنفوخة(١٥) واختلف المؤرخون في موته ويُسمى شبيب الحروري .

تشريح الجثث للدرس

قال يوحنا بن ماسويه اني بليت بطول الوجه وارتفاع تحف الرأس وعرض الجبين وزرقة العين ورزقت ذكاء وحفظاً لكل ما يدور في مسامعي . وكانت ابنة الطيفوري زوجتي احسن انثى رأيتها وسمعت بها الا انها كانت ورهاء بلهاء لا تعقل ما تقول ولا تفهم ما يقال فتقبل ابننا مسامحها جميعاً ولم يرزق شيئاً من محاسننا ولولا كثرة فضول السلطان ودخوله فيما لا يعنيه لشرحت ابني ذا حياً فكنت اعرف بتشريحه الاسباب التي كانت لها بلادته واريح الدنيا من خلقته واكسب الناس بما اضع في كتابي من صنعة تركيب بدنه ومجاري عروقه واوراده واعصابه ولكن السلطان يمنع من ذلك .

(١٤) عيون الاخبار لابن قتيبة الدينوري المتوفي ٢٧٦ هـ ج ١ ص ١٢١ و ١٧٢

(١٥) العقد الفريد المطبعة الجمالية ج ١ ص ٦١

واتفق ان اعتل ابنه بعد الحديث المتقدم بليال قلائل فرأى والده ان يفصده ورأى جده ان لا وجوب للفصد ففصده والده يوحنا فمات ابنه في اليوم الثالث من بعد فصده .

فكان جده وولداه يحلفون بالله في جنازته ان والده تعمد قتله ويستدلون بما قاله آنفاً في منزل هارون بن اسماعيل(١٦)

الزجاجات السائكة للادوية السامة

كثيراً ما يوصف المريض ادوية فيها بعض سموم او ادوية تؤخذ بعدد محدد من النقط مع علاجات يتناولها المريض في اوقات معينة .

وكثيراً ما يغلط المريض واهله باستعمال الدواء السام بدلاً من العلاج العادي فينشأ عن ذلك الخطأ اضرار جمة تذهب احياناً بحياة المريض .

والاقدمون تجنباً من الوقوع في اخطاء خطرة كهذه جعلوا لزجاجات الادوية السامة فوهات ضيقة جداً تنزل منها السموم او نقط الدواء بكميات قليلة وجعلوا لاجسام هذه الزجاجات اشواكاً زجاجية حتى اذا تناولها المريض او اهله انتبهوا حالاً من هذه الاشواك ان الدواء سام او انه يجب استعماله بالنقط(١٧) .

وهكذا لا يقع خطأ في تركيب الدواء كما نشاهد منه الكثير في هذه الايام .

نور الدين بيرم

(١٦) اخبار العلماء للوزير جمال الدين ابن القفطي المتوفي ٦٤٦ ص ٢٥٥ – ٢٥٦ مطبعة السعادة

(١٧) في مجموعتنا الاثرية الخاصة اربع زجاجات عربية من هذه الزجاجات .

قالوا إذا جُبتَ البلادَ مُحدِّثاً
عن حُلوِ بيروت لأفخرِ معمَلِ
اثنانِ حَدِّثْ بالحلاوةِ عنهما
ثغرُ الحبيبِ وطعمُ حلوِ الجبصيلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى الموسيقى ...

بقلم عبد زكريا

كنت استمع الليلة الى بعض الموسيقى الغربية (الكلاسيك) ، كانت تعزفها احدى الجوقات من بلد ناء ، فتمرق الانغام في الفضاء على اجنحة الاثير ، فتتلقفها مصائد الجوثم تنساب متعاقبة حالمة في الاسلاك ، فيحتضنها الراديو في حناياه ، فيوقظها الحبس من غفوتها الحالمة ، فتضيق بالقيد وتضج بالشكوى والانين .

لست ادري ما الذي يسحرني في الموسيقى ، هذه الموسيقى واشكالها ، فيجعلني انجذب اليها انجذاب العاشق الطرب . اني لاسمعها ساعة او بعض ساعة ، فاخلص منها كما يخلص المستحم من الحمام : نقي الذهن فياض العاطفة مرهف الوجدان . لقد يبلغ تأثير الموسيقى في نفسي درجة يخيل لي معها ان في نفسي دنانا مختومة من الخمر المعتقة ، حتى اذا امتلأت اعصابي بالالحان ، خلت كأنها — كأن الموسيقى — تغير على تلك الدنان وتكسرها في هجوم عنيف نشوان ، فتنساب الخمور المحبوسة كأغذب ما تكون واسطع ، وتنطلق دفاقة في ارجاء نفسي ، توقظ الراقد من عواطفي وتثير الساكن من ذكرياتي فتجعلني اجن من النشوة والطرب .

ان الموسيقى لتبعث في نفس سامعها حياة جديدة ، او على الاقل — ما دمت اتكلم عن نفسي — تبعث فيّ حياة جديدة . ان ساعة في السماع تعني في نظري ولادة جديدة . انها تغسل النفس من الادران ، ادران البغض واللؤم وما اليها من اغبرة الحياة الكسيحة ، وتنشر فيها جواً معطراً ملؤه اللطف وملؤه الحب .

اجل ساعات الموسيقى واقساها على الشعور ، اقول اقساها ، لفرط ما تسكب من اللذة المركزة عليه ، هي ساعة يخامرك فيها حنين الى المجهول ، تلك الساعة هي الاوج الذي ما بعده اوج ، حيث تتخدر احاسيسك كلها وتغفو في سكرة حالمة حلوة ، فلا يتخلف منها الا احساس واحد ، لا يزال يطغى ويفيض على جوانب نفسك حتى يغمرها . انه احساس مؤلم ولذيذ في آن واحد . يداعبك باليد الواحدة ويهصرك انفعالا باليد الاخرى ، ذلك هو الاحساس بالحنين الى اشياء مبهمة ، الحنين الى عوالم خرافية مغرقة في الطلاسم ، يرسمها لك خيالك من غير تفصيل فتنجذب اليها بحال من احوال النفس لست ادري ما اقول في الافصاح عنه ، واواه لو كنت ادري !

ان الموسيقى هي الشيء الذي يكاد يكون كله خيراً وطهراً . وعلام يكاد ؟ انها الطهر والخير والنبل بذاتها . انها ذات وجه واحد وجوهر واحد على الدوام ، وهي لا تستطيع ان تبعث في نفسك ، فيما اذا عرفت كيف تفتح لها ابواب قلبك ، الا الخير والطهر والصفاء ، لكأنها في ذلك عمود من شعاع الفجر او بسمة من فم طفل جميل او نجوى عذراء متهللة الحسن .

لقد اتت علي ساعات كنت مغموراً فيها بتوافه الحياة وترهاتها ، حتى اذا ما استمعت الى الموسيقى ، تنبهت بغتة الى ان في الحياة ما يسمو على تلك التوافه والترهات التي تبلد الشعور وتسف بالفكر الى الحضيض . كما اتت علي ساعات كنت فيها برماً بالحياة ، بذلك النمط من الحياة الرتيبة التافهة الممسوخة من التكرار ، فلا تبعث في نفسي غير السأم والملل والتشاؤم والافكار السود ، مما يحدو بي ان اؤمن بان ليس ثمة من شيء يستحق ان يحيا الانسان لاجله ، ولكن وقد تهيأت لي فرصة الاستماع الى الموسيقى ، سرعان ما انقلب الى الضد من ذلك ، فأوقن ان في الحياة كثيراً مما يستحق ان يحيا الانسان لاجله ، وينقلب ذلك التبرم رضى والسأم ابتهاجاً والملل راحة والافكار السود بيضاً طربة مشجعة .

انك لا تستطيع ان تتابع الموسيقى ، تتابع انغامها المتباينة المتآلفة وايقاعاتها الدقيقة الناعمة ، ولا تستطيع ان تحتضن ما تشير الك اليه من معنى او توقظ الك في نفسك من عاطفة او انفعال ، لا تستطيع ذلك كله وتتفرغ له على اكمل هيئة او حال ، اذا انت لم تستمع الى الموسيقى وانت مغمض العينين او فاتحهما ولكن .. في ظلام .

وقد يبدو في هذا الرأي مظهر من شذوذ او غرابة . ولكن هذا هو الذي خبرته ومحصته بنفسي . فانا عندما استمع وعيناي مفتوحتان ، تظل عيناي ، على عفو العادة ، تلاحق هذا الشيء او ذاك ، وذاك المشهد او هذا . فينصرف ذهني بخفية بارعة عما تريد ان ينصرف اليه اذناي ، وتشارك عينيّ في الاستئثار بالذهن الاذنان . ومع هذا فقد يضيف النظر لذة السمع اذا ازدوج معه كأن يسرح النظر في منظر طبيعي جميل ، او مشهد فني رائع

الموسيقى

للشاعر الانكليزي « شلي »

ترجمة : مرتضى شرارة — بغداد

● تتوق نفسي الى الموسيقى السماوية
فقلبي الظامىء اشبه ما يكون بزهرة ذابلة
يسكب الالحان كالخمر السحري
ويبعث الانغام الفضية كرجع الناي الشاعر
انه يتنهد ويتأوه !
كما يتنهد الروض الظامىء الى قطرات المطر
الخفيفة .
● دعني أعب من روح تلك الانغام العذبة
دعني أعب ، فانني ما زلت ظامئاً !
انها تفك تلك الافعى التي لفها الغم حول قلبي
لتخنقه !
وتجعل اللحن المذاب في كل عرق من عروقي
يجري في قلبي وفي عقلي !!
● مثلما يتلاشى شذا البنفسجة
التي تنمو على ضفة بحيرة فضية
عندما يجفف شعاع الهاجرة كأسها الندي
وما من طل يروي ظمأها
فتنحني ميتة !!
بينما يكون العبير قد طار . . .
على اجنحة الهواء فوق المياه الزرقاء !
● كذلك من يشرب كأساً سحرياً
يعلوه الحباب ، ولمدامه – التي تشبه شعاع النجوم
نغمة خافتة !
كذلك من افعمت قلبه غانية فاتنة
واغرته بالحب ! . . بقبلتها . .
بقبلتها السماوية ! . . .

فيجد الانسان فيما يرى تعبيراً او تفسيراً لما يسمع ، وينكشف له ثمة اتساق بين النغم المسموع وبين المشهد المنظور ، فتكتمل لديه اللذة وتتوضح في ذهنه الصورة والمعنى . ولكن هذا لا يكون الا على حساب كثير او قليل من فهمك الصحيح للموسيقى ولدقائقها الفنية ومعانيها العميقة .

ان الموسيقى ، اذا ما عدت الفنون الجميلة ، طليعة تلك الفنون وارقاها نمطاً واعمقها معنى واشقها ابداعاً وخلقاً . وان الموسيقيين ، شعراء الموسيقى والملحنين العظام كموزار وبيتهوفن وكوزاكوف وجايكوفسكي وفردي وشوبرت وسائر الزمرة المباركة ، كدت اقول المقدسة ، هؤلاء وغير هؤلاء ممن لم اذكر ، اذا ما عد ابطال البشرية اصحاب الرسالات والعبقريات ، طليعة اولئك الابطال واعلاهم جهاداً وأفلقهم موهبة وارجحهم معروفاً بالناس وخدمة لاذواق الناس وعواطف الناس . ان هؤلاء هم اصحاب المجد الصحيح واولى الرجال بالتقدير والاجلال فلم يكن لرسالتهم في الحياة الا وجه واحد فقط ، وجه وضاح بالنور طفاح بالخير والصفاء ، ولم يوح هذا الوجه ولا يمكن ان يوحي الا الخير والصفاء ، وليس ثمة من شيء يقوى على تشويه هذا الوجه النبيل ، أو توجيه تلك الرسالة الكريمة الى الشر والفساد ، في الحين الذي لم تسلم فيه أية رسالة أخرى من الرسالات ، من يد البغي الآثمة ، فتلقي فيها الرجس وتشحذها سلاحاً للشر والعدوان .

ان الموسيقى ، كما يتراءى لي ، لتسمو بالانسان وترفع من أخلاقه وتهذب من طباعه وتجعله ألين عريكة وألطف مزاجاً وأرحب صدراً وأكثر استعداداً لعمل الخير . وما دام العالم يسعى نحو الخير ، فان دور الموسيقى في حياة الانسان ، سيتعاظم شيئاً فشيئاً ، ولهذا سيكون « الانسان المقبل » أشد رغبة للتشرب بالموسيقى وبروح الموسيقى . ان الموسيقى ستضفي ، وقتذاك ، من تناسقها والانسجام الذي يؤلف بين انغامها المختلفة ، انسجاماً على حياته ومدينته فتمهد له سبيل العمل على أن يقيم مجتمعه من جديد على نسق الجوقة الكبيرة بآلاتها المختلفة واصواتها المتباينة ، ذلك التباين والاختلاف الذي لا يحول دون وحدة اللحن وروعته .

ان مجتمع الغد ، سيعبر في روحه عن روح الجوقة الموسيقية وهي تعزف سيمفونية من السيمفونيات . فكما أن هدف العزف الجوقي الذي هو ابراز لما في القطعة من جمال وروعة وانسجام وفقاً لتأليف معين أو نظام معلوم ، هو الذي يحدد لكل آلة وظيفتها ولكل عازف مهمته ، فكذلك ايضاً ، فان هدف مجتمع الغد الذي هو ابراز لما في فكر الانسان وعمل الانسان من امكانيات مطلقة للابتكار والتقدم وخلق الحياة الحرة السعيدة ، هو الذي يعين لكل فرد من المجتمع المذكور مهمته ، ولكل جهد بشري مكانه وأوانه وفقاً لاسلوب عادل معلوم .

ان الموسيقى لتستجيب مرة عند بعض الناس الى الجانب النير النبيل من انسانيتهم ، وتوقظه أو تستثيره مرة اخرى عند الاناس الاخرين .

فهل لنا بعد ان نتسامى بانسانيتنا بالموسيقى ! ؟

الموصل — حسين زكريا

حـــول قيمنـــــا

بقلم عبد الله عبد الدائم

✯

قيم في الفكر والسلوك تتزعزع ، وأبنيـــة للحرمة تتقلص وتتزلق : تلك هي الازمة العصيبة التي عاناها العـــالم عامة والعالم العربي خاصة منذ اوائل هذا القرن .

فلقد عصفت على بيدر الافكار والاعمال رياحٌ مختلفة المصادر هزته في اعمق حبيباته وذرتها في فضاء من الحيرة والارتباك :

فهنا العلم باكتشافاته المغرية وبروحه الدهرية ينـــادي بنبوته المطلقة ويريد ان يأسر اليه عقول الناس وقاوبهم على السواء ولا يوفر في سبيل غايته هذه غلظة الجبر ولافظاظة الالزام فهو هو القادر ما دام يستطيع ان يشهر في كل ساعة حججه المادية المحسوسة التي طالما اتخذت مقياساً لكل حقيقة . وهكذا يقذف الى المجتمع معاني التقيد المطلق ويلقي الانسان في حيرة لا مخرج له منهـــا اذ يؤكد له ان افكاره واعماله مـــا هي الا سلسلة صغيرة جداً من سرمدية لا اول لها ولا منتهى ، وان ما يؤمن به من افكار ما هو الا نتيجة ضرورية لاسباب قد يعلمها وقد لا يعلمها ، وان ما يعمل له من مبادىء وقيم ما هو الاهمسة مخلوق لطيف وخلجة قلب طيب في ابدية لا تعي فتحتضن ولا تقدّر فتجزي .

وهناك التقاليد ، وقد انكسف نورها ، تأتي صاغرة مستكينة كيما تعلن لانسان القرن العشرين افلاسها واملاقها .

وهناك العقل المجرد ، في ضخامة وجلال يخبران عن ماض له مجيد وفي ارتباك وتلعثم ينذران بما هو سائر نحوه من فقد الثقة به ، يأتي فيريد ان يملأ الفراغ ، ولكن قيمه التي يأتي بها لا يلبث ان يشذبها هو نفسه ، اذ من ماهيته ان يرتفع فوق ذاته ، وبهذا لا يستطيع ان يخلع على هذه القيم المؤقتة الصوفية اللازمة لبقائهـــا وانتاجها فتثوي في برودة الفرضيات منتظرة من يهدمها .

وبايجـــاز وجد الانسان الحديث ، والانسان العربي خاصة ، نفسه وسط انهيار في القيم ونقص في الاعتقاد جعله يهوي بلا قرار ولا يجد لنفسه متكأ ولا سبباً يتشبث به ، بعد ان تحلل من قيمه القديمة فكان شأنه شأن مشلول كان متمتعـــاً على الاقل باستقرار الشلل ثم ما لبث ان شفي منه فجأة ، ولكنه ضل حركاته العادية ووجد فيها خفة بدت له غريبة بل وجد فيهـــا انزلاقاً عن الحركة ومحاولات في العدم .

وهكذا بدأنا نلقى في مجتمعنا العربي اناساً أطراً لا يدرون بماذا يملأون انفسهم ، وقد ابقوا على هيكلهم ولا يعرفون باي سداة يفرشونه . ولكن هذه الحيرة لا تطول لديهم اذ تجرفهم الحياة ، المبنية على النجاح والنفع وعدم الوقوف ، في خضمها قبل ان يأخذوا قرارهم وقبل ان يومض فيهم شعاع الرسالة الملقاة عليهم ، فتراهم ينصرفون الى روح تجارية محضة قد وفرت عليهـــا عناء التساؤل وانخرطت في سلك الشيء غير آبهة للذات ومشت في تيار الامور المباشرة والحاجات المعاشية ، وكأنها تعلن ان مبدأها قضاء ما لابد من قضائه في هذا العالم الذي علمهـــا العلم ان لا غاية منه ولا من وجوده وانه واقع لا يؤول الا بذاته ، اي ان مبدأهـــا بالتالي الانغماس في لذة ونفعية دائمة ما دامت سيطرة التقاليد وحدودهـــا لا مبرر لها وما دام العقل قد عجز عن ان يرفع قيمة الحياة المبنية على اللذة والمنفعة الى قيمة تسمو عليها .

وخطر مثل هذه الموجة المربكة ظاهر بين ، وهو اظهر ما يكون في بلادنا حيث لا كيان يمنع الافكار والاعمـــال من الانفلات ولا روح اصيلة تصهر هذه الخطرات في كلها المنسجم . فكلنا يعلم ان اكثر الافكار المرتبطة بالسلوك هدماً وتدميراً لا تلبث ان تخرس امام صوت الواقع وامام مـــا يسود من عرف في المجتمع ، وكلنا يعلم انه مهما تباعدت النزعات والاهواء فانهـــا تتلاقى حين تهبط الى ارض التجربة العملية ، وقد يذكر بعضنا تلك العبارة الخالدة التي نطقت بهـــا الجمعية الملكية في (مانهايم) والتي رددها ورددها من بعد « ليفي برول » ، وهي ان المفكرين جميعهم بدأوا من مبـــادىء نظرية متباينة وانتهوا في التطبيق الى

نتائج واحدة . ذلك ان اكبر محك للقيم السلوكية السلوك نفسه وان الريبة والشك يقفان حيث يبدأ العمل كما تقف اوهام المزارع وشكوكه مهما كانت جسيمة حينما يصبح امام الحكم على مستقبل زرعه فيأبى ابداً ان يعتقد ان ما غرس قد لا يستوى على سوقه . وذلك ان الحياة لا تناقض ذاتها ، فهي الحيـاة معناها ان تبقى وان تحفظ النوع وتصونه .

نعم ، كلنا يعرف هذا فيطمئن لمستقبل النوع والمجتمع ويعلم ان الحياة تحمل في ثناياها بذور بقائهـا ودوامها وان المجتمع ذا الكيان يحتوي على جذور رسوخه . ولكن كلاً منا يعرف في الوقت نفسه ان مثل هذا الاطمئنان لا يجوز في مجتمع لا كيان وطيد له وفي نوع لا يزال في مطلع بناء ذاته وتشييد عضويته . وليس من صغير الامر ابداً ان يبدأ مثل هذا المجتمع حياته قلقاً غير مطمئن للحياة وان يحاول الشك والريبة في القيم قبل ان يبني اية قيمة : كالذي ألفى نفسه عاجزة عن ان تنشىء قيمها الروحية فبرر عجزه بعدم قيمة هذه القيم وعدم جدواها .

وكم من الانهيار ان نجد الجيل الذي تقع عليه مسؤولية بناء امته لا يحمل في نفسه قيمة فردية بله اجتماعية ويهزأ من كل المعايير هزء « بازاروف » بطل (تورجنيف) ويكون عدميـاً مثله اي « رجلاً لا ينحني امام اي سلطة ولا يؤمن باي مبدأ مهما كان هذا المبدأ غنياً بالمهابة والجلال » ؟ كم من الانحلال ألا يقبس فردنا الجديد من روح العلم الا الشك في كل شيء واخضاع كل امر لمقياس الحاجات بما فيها من غلظة وبرودة ، وألا يفهم من الفكر الحر والعقل المجرد ، الا معنى النفي والانكار ؟

ان في العلم روح شجاعة وثقة وفروسية هي احق ان تتبع ، وان في العقل قوة وحي وابداع هي خليقة بان يهتدى بها فيكون العقل مصدراً للطاقة المتصاعدة ومنبعاً للشرف العميق ، ويكون التفكير القائم على الامانة والاخلاص اكبر مدرسة للنبل والتضحية ، ويكون الخلاص من الايمان بالمخلفات الواهية اكبر حافز على قوة الايمان بالرسالة الجديدة اذ تفرغ على هـذه الرسالة كل الطاقات المختزنة في منابع تلك ، يضاف اليها طاقة جديدة هي طاقة الجدة .

ان اطراح المسؤولية القديمة حمل لمسؤولية جديدة اعنف منها لانها حفر في مجهول غريب عن العرف ، ولا مسؤولية بدون تخلق صاف وايمان بكر بعيد عن الروح التاجرة ، وبدون قيم في الحياة مبنية على الثقة بكائن جليـل له نعمل ونحوه نتجه . ينبغي ان نعرف كيف نجرد من كنه ذواتنا كائناً موضوعياً لا نلبث بعد ان نخلقه ان نخلق منه ونستجد من وجوده المهيب قوة قيمنا وغزارة اعمالنا ، وعلينا الا نجعله كائناً فضفاضاً كثير الاتساع بحيث تنفلت فيه قيمنا وتنهزم منه القدرات التي اختزناها فيه ، وانمـا علينا ان نجعله كائناً يتصف بالكثافة قبل الليونة وبالتوجه نحو مركزنا لا بالانبعاث منه والضلالة في دوائر مركزية لا آخر لها . وعندها لا يكون العلم علماً بالشك وانمـا علماً بالوسائل التي تعمل على تحقيق كلمة هذا الكائن ، ولا يكون التحرر من التقليد حيرة وارتباكاً وانما كشفاً للرواسب التي كانت تغطيه وازالة للصدى الذي كان يغمره ، كما لا يكون الفكر تلذذاً بالمضغ والاجترار وانما مشرعاً يعل منه الافراد ما ينعشون به ذلك المبدأ الموجه وموردا يغتذون منه ما يمدونه به من شرف وقوة ، وباختصار عندها تصبح للاشياء معان وتغدو للقيم دلالات ولا يخشى من هدم او بناء ولا نفي ولا ايجاب ولا تقرير ولا انكار اذ يغدو لاخطر القيم وضوعياً انفع الفائدة واكبرها وتكتسي افرغ الامور معنى ويصبح للسلب فائدته كما للايجاب وللهدم نفعه كما للبناء ويتضافر الكل في سبيل صيانة عضوية هذا الكائن سواء عن ارادة او قسر .

اذ ذاك تكون جميع الاعمال نغمات لايقاع اصيل ولحن فريد وتكون كل الافكار لوينات لصبغة اساسية ، ولا يكون التقيد بنظام تقيداً بجبرية لا مفر منها وانما ارتباط حر بنظام شريف .

هذا الكائن المنشود هو فكرة قومية نصوغها من ذاتنا ونعبر بها عن نوعيتنا ونكتمل فيها كل ما نملكه من معان وصفات مميزة تنوي في اعماقنا سواء منهـا ما يرجع الى ماضينا او ما هو من مكتسبات حاضرنا او من اتجاهات مستقبلنا . فنضع في قرارها مثلاً فروسية الجاهلية العربية وصفاء قيمها الاخلاقية ونصوعهـا ونبل ما فيها من مظاهر تنم عن روح فتوة بكر لم تصطنع بعـد المنفعة ديناً وانما آمنت بقيم مجردة عظيمة الطاقة قوامهـا الاساسي الايمان بذات روحية شريفة والاحتقار لدناءة الطيش . ثم نلهبها بوثبة الصدر الاول للاسلام ونختطب منها في صفائها وقوداً نرميه بشرارة الالهام التي في هذا الصدر الاول ، حتى اذا ما شعرنا بحرارة هذه القيم الاصيلة وقد التهبت كنا قادرين على ان نمدها بكل ما توحيه لنا عصورنا الجديثة من مبان ومؤسسات وكيانات روحية ومادية .

ولا يهمنا كم هذا الكائن الجديد وعمره بقدر ما تهمنا نوعيته وطرافته ، ولا يعنينا ان تكون له جذور في المـاضي البعيد او القريب بقدر ما يعنينا ان نشعر بجذوره في انفسنا . نحن لن نبني هذا الكائن ، اذ نبنيه ، من ماض او حاضر وانما نبنيه من كلنا

الشاعر بالحياة الحامل للقيم الناصعة سواء منها ما يتصل بماضينا او حاضرنا او ما يتوجه نحو بناء كيان متين . فكائننا هذا جلال من الماضي يضغط على كيان حاضر ويتوجه نحو مستقبل زاخر

قد يبتسم البعض اذ لا يقوون على استساغة معنى هذا التجديد ولا على احتمال وجود مثل هذا الكائن — اذ لا وجود عندهم الا للموجود المحسوس — . والذي نريد ان نقوله لهؤلاء اننا لا نجهل مقدار ما في هذا الكائن من تجريد بل نعتقد على العكس ان كياننا يزداد رسوخاً كلما اغرقنا في تجريده وكلما استطعنا ان نفرغ عليه من قوى امتثالنا حظاً اوفر . اذ كل ما نريده ان نشعر برعدة ذلك الكائن الذي هو منا وفينا اولاً نتعلق به لانه غرسنا وانتاجنا والمعبر عن امكانياتنا ، والذي هو اقوى منا واخصب ثانياً نستقي منه الدفع والاقبال . ولقد آن الوقت الذي تستطيع فيه نفوسنا النخرة ان تفهم معنى القيم الفكرية الموضوعية وتستسيغ الكائنات الذهنية وتقدرها وتستثمر ما فيها من قدرات كامنة . ولقد آن الوقت لتحرير روحنا اللاصقة بالشيء من ربقة الابتذال في الموضوعات والحاجات المعاشية كيما نجعل منها معبد طهر وشرف وكيما تشعر بكيانها وتعاني دفعتها المتصاعدة وتحس بحاجتها الى التحليق .

كلنا يفهم ان النقد ممكن دائماً وكلنا يعرف ان اسهل الطرق لتبرير الضعف والفرار من المسؤوليات هو تسليط الحجج العقلية المطلية والمبنية مؤقتاً بناء دمى الاطفال على كل قيمة لهدمها وتقويضها والذي علينا ان نحتاط له هو مثل هذا النقد اللاعب العابر الذي يستثمر شرف العقل وامانته والذي لا يرمي الا الى مد وجزر لا نهاية لها . علينا ان نصون روح العلم من فتك الروح التجارية وان نحفظ شرف العقل من غائلة التمتع المقنع وان نخلص لذاتنا فلقد فت الرياء العلمي واعجزنا انعدام الخلق في تفكيرنا

وعندها ، عندما تغدو ثقافتنا لحمة لروح مخلصة وعندما يغدو تفكيرنا تفانياً في مبدأ شريف ، وعندما تعبر افعالنا عن نزوع الى رفع طابعنا الانساني الى ملأ اعلى بدلا من الانحطاط به الى حيوانيته الماضية ، وعندما نكون باختصار كلا شاعراً غنياً شريفاً عندها فقط نستطيع ان نجد الراحة من قلقنا والنجاة من ارتباكنا وبلبلة قيمنا اذ نوجه ذواتنا نحو تلك المعاني الجبارة التي نحملها كائننا الجديد .

القاهرة — عبد الله عبد المنعم

الأديب

★

— لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

— تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :
في سوريا ولبنان : ١٢ ليرة لبنانية .
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ما يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف في بيروت

— الادارة غير مسؤولة عن الاعداد التي تفقد في البريد

— احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى والثانية والثالثة فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها وثمن الجزء من السنة الاولى ليرتان ومن السنة الثانية ليرة ونصف ومن السنة الثالثة ليرة .

— تدفع الادارة ليرتين ثمن النسخة الواحدة من الجزء الثالث من السنة الثالثة ١٩٤٤

— المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

★

ادارة الاديب : شارع الاحرار ، غربي ساحة الدباس

◙

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب
سكرتير التحرير : بهيج عثمان
المدير الفني : مختار شملي

◆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان

الملوك ايام الافلاس

بقلم ابن الغريب

•

عندما تضيق بك الدنيا وينضب المورد المالي اول ما يخطر ببالك ان ترهن بعض مقتنياتك الثمينة لتستعين بها على تمهيد سبيلك ربما تتحسن الحال ويعود اليك اليمن والاقبال .

لكنك في الطريق الى موضع الرهونات تشعر بشيء من الخجل كأنك مقترف ذنباً . ولعمري ان هذا الشعور الداخلي المذيب هو اول دليل في الانسان على الاباء والكرامة .

هذا ما يكون حالك وانت من عامة الناس ، فكيف لو كنت ملكاً ، انه حقاً لامر عظيم !

عظيم ولكن الملوك الذين فعلوه مراراً كثيرون ، فرهنوا اشياءهم الشخصية وسدوا بعوضها المالي حاجتهم الشديدة العارضة ونفّسوا كربهم المبرح ، ولا نعرف حقيقة كم استحيوا وكم خجلوا .

وقبل ان نسرد للقارىء لائحة مدهشة باسماء بعض المتوجين او انسبائهم الاقربين الذين قاموا بزيارات سرية الى اماكن الرهن نقول ان كثيراً من الاخبار الشائعة عنهم تكون ملفقة . مثال ذلك ان ماريا جوزفين دوقة بافاريا والدة ملكة بلجكا السابقة وشقيقة دوق براغنزا اتهمت سنة ١٩١٢ بانها رهنت بعض مجوهرات العرش لكي تعيد ابن شقيقتها الملك مانويل الى عرش البرتغال . فاتضح ان هذه التهمة كانت قولاً هراء لمحض ان تلك الدوقة لم تكن لها سبيل الى مجوهرات الدولة . لا لتتزين بها ولا لتحتفظ بها ساعة واحدة . وكان زوجها الملك اوتو مجنوناً . وهي باقترانها به صارت دوقة « في » بافاريا ، لا « على » بافاريا . ولم تكن قط عمة ملك البرتوغال الخليع .

على ان تلك الاكذوبة وامثالها من نوعها لا تنفي ان يكون بعض الملوك ايام افلاسهم قد لجأوا الى اماكن الرهونات للتخلص من حرج موقت ، لكنهم لجأوا باشيائهم الخاصة لا بما يخص الدولة . فالملوك اليوم لا يملكون من تراث الدول سوى لقب ملك وهم ورؤساء الجمهوريات في ذلك سواء ، فهل من يفكر هنيهة في ان رئيس جمهورية يستطيع ان يرهن دار الحكومة لسد احتياجاته ؟

ان اشرف رهن ملكي في التاريخ ينسب الى ايزابلا ملكة فرديناند الاسباني اذ رهنت مجوهراتها الخاصة سنة ١٤٩٢ لتمكين كريستوف كولمبس من السفر بثلاثة مراكب لاكتشاف العالم الجديد ، هذا الرهن جعل اسبانيا في حقبة من الدهر اضخم دولة في العالم . لكن لتلك الملكة خليفة وحمية هي ايزابلا جدة المرحوم الفونسو الثالث عشر آخر ملك على اسبانيا ، فقد خلعها شعبها عن العرش سنة ١٨٧٢ وذهبت الى باريس ناقلة معها كل ما استطاعت من الاواني الثمينة وخصوصاً مجوهراتها الخاصة ، فكانت تستعين بها على امورها برهن تلك الجواهر في دائرة للحكومة الفرنسية تدعى « سوق الشفقة » تسترهن الاشياء الثمينة بافضل سعر ممكن تحت فائدة ٦ في المئة .

وقد عرفت ايزابلا بما كان يصيب الملوك اللاجئين الى باريس من تألب الزمر عليهم صاخبة عند عجزهم عن تشريف بعض عهودهم المالية ووفاء ما عقدوا من ديون . فلم تعرّض نفسها للتحقير بل شرعت ترهن يواقيتها البديعة ، الزرق حتى في الليل ، كالسماء الصافية ولآلئها الناعمة للنظر ، كالقطيفة للانامل ، وزمرداتها اللامعة كقطر الندى على تيجان الازاهر ، والماساتها الساطعة كأشعة الشمس ، وبالمبالغ الضخمة التي احرزتها عوضاً موقتاً عن هذه الاحجار الكريمة انشأت لها عرشاً خاصاً ودائرة ملكية في باريس .

ولما اتفقت اخيراً مع رعاياها اعيد العرش الاسباني الى ولدها وسلالته ، لكن سلالته لم تتجاوز على العرش ابنه الفونسو الثالث عشر ، اذ عاد الشعب فخلعه وطلق الحكم الملكي سنة ١٩٣١ . ففي وقتها اعيدت الى ايزابلا اكثر مفروشات القصور الخاصة بها . وتقررت لها جعالة سنوية كبيرة من خزينة اسبانيا ، لكنها لم تعد الى وطنها ، بل استنسبت ان تظل في مركزها الباريسي الذي دعته « قصر كستيل » غير متنزلة قيد شعرة عن عزها الملكي .

على ان بذخها العظيم ورأفتها الفايقة الحد بعفاتها وقاصديها ، وجهلها المطبق لقيمة المال ، عاد فالقاها غير مرة على شفير الهاوية النقدية ، فكانت عند ذلك تردد العبارة التاريخية المأثورة عنها : « ان اجدادي يدفعون عني » . وانظر الان كيف كان اجدادها يدفعون .

اولئك الاسلاف الصالحون كان من حظ حفيدهم المتواتر افلاسها انهم صوروا انفسهم بريشات مصورين عظام كفانديك ورمبراندت وغيرهما ، وقد علقت ايزابلا رسومهم الفخمة في اماكن بارزة من غرفة المائدة في قصر كستيل الباريسي . كأنهم يرقبون

ما تنفق ايزابلا على مائدتها خصوصاً ، فكلما لحظوا في صندوقها نقصاً مخيفاً نزل واحد منهم من عليائه وسار تواً ضمن اطاره الثمين الى مكتب الرهونات حيث يبقى اسيراً لقاء مبلغ مالي يسد حاجة حفيدته العزيزة ريثما تستطيع هي فكاكه عند ورود الجعالة السنوية او بشكل آخر ، فيعود ادراجه من اسره ، الى قصره

و كانت ايزابلا اثناء تغيب الرسوم الموقت من قاعة المائدة تلحظ احياناً تحديق ضيوفها الى الاماكن الفارغة من اعالي الجدران فتتهرهم باسمة بقولها : « يا خبثاء ، تفتشون عن اجدادي الاعزاء ، انهم يقومون بغيبة قصيرة من اجلي ، وسيعودون قريباً فاستقبالهم بحبور لشعوري العميق بفرط ما انا مدينة لهم » .

وقد طالما نبه ايزابلا اعوانها الى سوء مغبة الاسراف ، فكانت تصغي اليهم بلطافة ، ثم تقوم الى خزانتها وتعطي السائل ما طلب امام اولئك الاعوان المبهوتين وهي باسمة

وفي باريس ايضاً وجد في مثل تلك الحالة فرنسوا الثاني ملك نابولي وزوجته الملكة ماري شقيقة اليصابات امبراطورة النمسا . وذلك بعد ما طردا عن العرش اثر معركة حربية اظهر الملك فيها انه من اشجع الرجال . لكنه بعد ما استقر في باريس بصفة رجل عادي لم يكترث لجمع قواه والسعي لاستعادة عرشه المفقود . بل اظهر من الضعف والخور ما يقبح باي رجل كان ، اما زوجته ماري فبعكس الامر لم تفكر في شيء غير ذلك . وقد تم لهذه المرأة الجريئة القلب الممشوقة القوام الجميلة الصورة ان تعد بين كبار ابطال الحروب . لانها اظهرت في المعركة الاخيرة بأساً عظيماً وبسالة مدهشة في معاونتها للجنود في القلعة ، وابتسامها الدائم ، حتى انها عندما اصيب سطح غرفتها بقنبلة مدفع انهال على رأسها رشاش الكلس مدراراً فنظرت الى المرآة وبشت لشعرها المجلل بالبياض وقالت : « أليس الشيب جميلاً »

فماري وزوجها فرنسوا لم يكونا ايام العز في نابولي متفاهمين . وبالطبع لم يزدهما البؤس والعوز الا تنافراً . فرهنت كل ما سلم لها من مجوهرات قليلة القيمة . وعاشت في بارك دي نويلي في نزاع متواصل مع زوجها الذي صار بليداً خاملاً . لكن احوالها تحسنت بعد موته بميراث آل اليها من والدتها ، وبجعالة سنوية خصتها بها حكومة ايطاليا بناء على الاتفاق المعقود يوم زواجها بين مملكتي بافاريا ونابولي . وقد دفعت لها ايطاليا متراكمات هذه الجعالة من يوم اغتصاب العرش من زوجها ومنها . وما كادت جيوبها تترع مالاً حتى تحولت كشقيقتها اليزابت الى سباق الخيل ، و كانت خيولها تسبق مراراً في الرهان .

وليس بين رهونات الملوك وابنائهم اغرب من رهن عقده مرة ولي عهد الملكة فكتوريا الانكليزية الذي صار بعدها الملك ادوارد السابع . فقد ذهب الى فرنسا سنة ١٨٧٢ واراد التفرج على ميادين الحرب السبعينية وآثار المعارك التي جرت فيها . فلما اراد العودة من سيدان اكتشف مع الاسف ان جيبه فرغت تماماً . و كان يسيح وقتئذ متنكراً ، أي دون علم السلطات المحلية . و كان مرافقه القائد ميزدال وخادمه كلاهما خاويي الوفاض مثله . ولم يشأ ابن فكتوريا العظيمة ان يظهر للسلطة الفرنسية بهذا المظهر لاسباب بديهية في تلك الايام ففتقت له الحيلة ان يأخذ الساعات الثلاث وسلاسلها منه ومن رفيقيه وخاتماً ثميناً كان في يد الجنرال الى اقرب مكتب الرهونات ويأخذ عليها ما تيسر من النقود حتى تخلص وحاشيته من هذا المأزق الحرج . وبالطبع لما بلغ الامير مدينة بادن بادن في المانيا ارسل خادمه فاستفك الرهن . لكن الامير ظل طول حياته لا يسمع بذكر سيدان الا يبتسم ابتسامة معنوية يشغل مغزاها بال جلسائه .

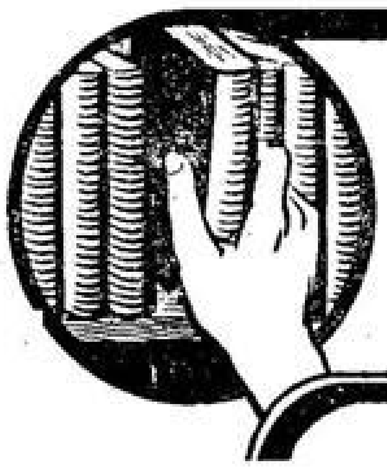
لما كان الملك ميلان اميراً على سربيا — وهو ابن رعاة ماعز كما يعلم الجميع — رهن مراراً السيف البديع المرصع بجواهر ثمينة وهو الدليل على حكمه . ونسي آخر مرة ان يستفكه . فعرضه المسترهن للبيع بالمزاد . وبلغ الخبر فرنسيس لوسف امبراطور النمسا الذي كان غيوراً على مقام الملوك اجمعين فراعه الامر وارسل من ابتاعه باسمه .

واتفق مرة للدون كارلوس الذي كان يطالب بعرش اسبانيا ان يرهن في فرنسا وسام « جزة الصوف » الذهبية المرصع بالجواهر وهو الوسام عينه الذي تقلده قبله منشئه كارلوس الجريء . وهو اعلى الاوسمة شأناً في العالم كله . وبعد كارلوس الجريء انتقل الى حوزة كارلوس الخامس . فاحدث هذا الرهن جزعاً في القلوب الملكية .

واتفق لولده دون جايم ان يرهن ٣ مرات عند خاو جيبه عقداً لؤلؤياً بديعاً كان يسطع قبلاً على جيد ماري انطوانيت ملكة فرنسا التي قطع الثوار رأسها بالمقصلة في باريس مع زوجها الملك لويس السادس عشر .

ايها القارىء ، وقاك الله شر الرهن والرهان . ولو كنت ذا تاج وصولجان .

امين الغريب



مكتبة الأديب

١ — علم النفس يدلك على الطريق

للاستاذ رجينالد وايلد — ٤٧ صفحة — منشورات العلم للملايين

الذي ينقصنا ، ليس شيئاً وراء التوجيه لبناء الشخصية الكاملة التي تعي حقيقة وجودها ثم حقيقة الوجود .

وان المصلحين الذين راودتهم فكرة الاصلاح فسعوا اليها ثم انتهوا بالاخفاق دون غايتهم ، اخطأهم ذلك البناء الصحيح والتدعيم الراسخ القائم على وعي الذات .

ان ينبوع القوة الذي يجيش هادراً في اعماق النفس الانسانية ، والذي يتحرك بفعاليات لا تفنى جذوتها . لن يتدفق بنميره الاقدس في اقنية الحياة ويتوهج بناره ونوره في الخلق والانشاء ، الا بهذا البعث النفسي الذي يهديك سبيله مثل هذا الاثر القيم .

قلت وما فتئت اقول وسأقول دائماً ، ان كل حركة ترمي الى البناء او الهدم ، الى نهضة او اصلاح ، لن تنجح دون هذه اليقظة النفسية الواعية ، التي تصحح القيم وتمحو وتثبت في امتدادات متصاعدة . وبهذا المقياس ندرك مقدار ما في كتلة الانتاج التي تغمر السوق العربية ، من تخلف وانحراف وتقهقر .

وانا ما سررت بشيء سروري بهذه المحاولة المثقفة النيرة ، التي ترمي بمنشوراتها الى انشاء كائن عربي يعي حقيقته ويقع على ذاته هذا الكائن الذي وعى حقيقته مرة ، فهدم عالماً وانشأ آخر ، وان غده الشامخ رهن مثل هذه المحاولات الصادقة ، التي تذهب في اتجاه الغاية نفسها .

وان هذا السفر مشكاة حقيقية الى النفس والنفس العاملة المتطلعة ، وهو جزء من سلسلة — اذا اخذت نسقها — فسوف تكون انجدية وعي الشخصية وانجدية وعي الحياة .

٢ — رسالة الملائكة للمعري

تحقيق الاستاذ محمد سليم الجندي — ٣٠٩ صفحة — منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق

وجدان هذا الاثر العلائي كاملاً حدث ادبي عظيم ، وابرازه في هذا الشكل من العناية بالتصحيح والشرح عمل آخر عظيم ، والى المجمع العلمي يرجع فضل شأنها .

وقيمة هذا السفر تظهر لنا اكثر وضوحاً ، حينما نعرف ان ما كنا نتوهمه حتى اليوم وندعوه « رسالة الملائكة » ، ليس هو في الواقع الا مقدمة او شيئاً يشبه المقدمة .

وهذه الزيادة التي نطالع بها — وان تكن لغوية محضة لا تغني الباحث كبير غناء في فهم المعري الغامض — تمدنا ببلغ البحث اللغوي عنده وفرة وعمقاً ، كما تشير الى المنزلة الرفيعة التي ادركها ذلك البحث عصر المعري . ففيها ملاحظات نشوئية دقيقة ، الى اخرى مثلها على منهج الاصطلاح الصرفي .

وهي من انحائها قطعة نادرة من البحث اللغائي « الفيلولوجي » على اصول المدرسة العربية القديمة ، جاءت في القوة نسقاً مع مثل كتابات ابي سعيد السيرافي على مصنف سيبويه وكتابات ابي البركات ابن الانباري في بيان اسباب الخلاف بين نحويي البصرة والكوفة .

ويظهرنا هذا السفر على نواح تتفاوت اهمية ، وان تكن تنتظمها من حيث الفهم الشامل لابي العلاء . وهي :

(١) المذهب الكوفي الذي يظهر انه كان اكثر ميلاً اليه .

(٢) سيبويه ليس الثقة في فهم الخليل ، فنحن نلمس شدة ائتمامه الخليل لمساً ، وايضاً نلمس شدة تفنيده على سيبويه الى حد الارهاق في شرح آراء الخليل ، الامر الذي يدل على ان المعري يحاول هدم المذهب البصري القائم في الحقيقة على سيبويه ، رغم خطئه في فهم الخليل وخطئه في فهم الواقع العربي للكلمات .

(٣) اتباعه لطريقة ابن خالويه الرامية الى القطع والاحصاء ، وهي المعروفة بطريقة « ليس في كلام العرب الا كذا » ، ونحن اذا تأملناها جيداً نجد فيها اثر قانون النفي والاثبات الذي تبسطنا بشرحه في كتاب « المعري ذلك المجهول » .

(٤) رسالة الملائكة في اللغة كالازوميات في العقائد وما اليها قصد فيها كليهما الى ما تسميه الباطنية « الالزام والكسر على الخصوم » . ومعناه ان ما عليه الناس من اقيسة يصطنعونها ، ومنطق يتفننون به ان في اللغة او في الفكر ، لا يثبت على التحليل وتطريق الاحتمال من حيث انه يثبت الشيء ويثبت خلافه فهو خداع باطل كالسراب وان تراءى متدفقاً وهاجاً . خذ بحثه للفظ

« مهيمن » ص ٢٢٨ — ٢٨٠ ، فقد ذكر اجماع الناس على انه مكبر وان وافق لفظه لفظ التصغير ، وهو مشتق من « همن » فعل مات ، ويحتمل ان يكون من « الامن » والهاء مبدلة من الهمزة ، وان يكون من « همى » ، ويجوز ان يكون من « هيم » وذهب البعض الى انه على وزن مهفعل فيكون اشتقاقه من « اليمن » الى قياسات تنبسط على حد تعبير المعري .

وهو يبحث ذلك كله بتوجيهات كفيلات ببعث الحيرة عندك وعدم الثقة بها كافتها شأنه في اللزوميات، وانت تدرك سر صنيعه هذا عندما يخرج في الاحتمال عن المقتضى اللغوي ، الى الاحتمال على منهج الفرض المجرد الذي لا تستضيق عنه اللغة ، والذي قد يجد نظائره واشباهه .

والرسالة بعد هذا تشتمل على مقدمة : كتبها باسلوب الخيال الطائف باللغة على دنيا الخلود ، بيد ان الخيال فيها مقتضب قصير الجناح داني التحليق ، وهو بالنسبة الى صنوه في رسالة الغفران يعتبر خطوطاً اولية ورسوم تجربة لما تبلغ درجة نجاحها .

وتشتمل على صلب : تناول فيه بحث مسائل من اللغة، كتبه باسلوب اللغوي العالم وبتعبير الاقدمين باسلوب الدراية اللغوية .

وتحدث الاستاذ المحقق في مقدمته عن اشياء كثيرة ، مثل : ما عرفه الغربيون من هذه الرسالة ، وما عرفه متقدمو المشارقة ومتأخروهم منها ، وكيف كان الظفر بهذه النسخة الكاملة . وبحث سبب تأليف الرسالة ، ولمن ألفت ، وايضاً بحث زمان تأليفها ومكانه . فنقل رأياً للميمني الراجكوتي فحواه انها ألفت سنة ٤٣٥ تقريباً ، ورأياً آخر للمستشرق الروسي كراجكوفسكي يجعل زمن تأليفها قبل ذلك بسنوات ، وانا استبعد كلا الرأيين وارجح انها ألفت في حدود سنة ٤١٠ لاعتبارات :

(١) ان المعري في هذه الرسالة مضى ص ٢٣٣ على اعتماد تركيب « اليوم تنساه » او « هويت السمان » مثل ضابط لحروف الزيادة ، بينما نراه في الفصول والغايات يرفضها رفضاً محضاً ويختار تركيبين آخرين يشعران بخطة سلوكه وهما « التناهي سمو » و« تهاوني اسلم » . راجع اوج التحري ص ٦١ .

وهذا شيء يبيح لنا ان نستأنس به ، على ان رسالة الملائكة كانت قبل الانتهاء من كتاب الفصول والغايات ، وهذا الاخير كما يخبرنا ياقوت في معجمه كان قبل التاريخ الذي قال به الميمني وكراجكوفسكي بكثير .

(٢) خيال الرسالة الذي جاء — كما اشرنا قبلاً — مثل خطوط تجربة لما تبلغ درجة نجاحها بالنسبة الى صنوه في رسالة الغفران ، فهي قطعاً قبل هذه الاخيرة .

ونحن اذا تأملنا وقائعها نجد انها لا تجاوز حياة البرزخ في القبر او بتعبير آخر حياة المطهر وجانباً من المحشر ، فهي اذن الحلقة الاولى بالنظر الى رسالة الغفران ، ولا يبعد ان المعري وضعها كذلك قسمين لملهاة آلهية واحدة .

(٣) ان اسلوب الرسالة تضعف فيه شخصية المعري الاسلوبية التي التزم قيودها وحدودها ، فاللزوم فيها قليل وملاحنها استعارية بيانية وليست كنائية رمزية .

ثم بحث الاستاذ المحقق قيمة الرسالة ، ومميزات المعري فيها ، وقد احسن في ملاحظاته ايما احسان .

وهذا عدا ما امتازت به تعليقاته وشروحه ، من تحقيقات قيمة وجهد مثمر يتجلى في كل صفحة في كل موطن ، ورغم هذا لم تخل الرسالة من فرطات هينات .

ففي ص ١٨ س ٧ فيهم ، وصوابه فيه ، لا غير لان الضمير يعود على « واحد الزبانية » والا فيفسد التركيب على مقتضى التصحيح .

وفي ص ١٨ س ٧ لا واحد لهم من لفظهم ، والاصح : لا واحد لها من لفظها ، لعود الضمير على الكلمة وليس على مدلولها ، كما حققه احمد فارس الرازي في آية « وعلم آدم الاسماء كلها » راجع المزهر .

وفي ص ٢٤ س ٤ خليليّ ، وصوابه : خليليَ بالتخفيف قطعاً والا بطل فيه الشاهد على تثنية الضمير ومرجعه واحد في لفظه .

ومهما يكن من شيء، فقد جاءت هذه الرسالة بما توفر فيها من جهد في التصحيح والضبط والشرح ، تحفة من تحف النشر العلمي المحقق ، ولا يسعنا حيال هذا الجهد الا ازجاء الشكر للاستاذ البحاثة والمجمع العلمي ، على ما خدما به المكتبة العربية من نشر وتحقيق .

عبدالله العلايلي

صحيفة الدراسات الشرقية

المعهد الفرنسي بدمشق — الجزء العاشر ١٩٦٣ — ١٩٦٤ — عدد الصفحات ١٦١ قطع كبير — طبع بيروت

منذ اواسط القرن التاسع عشر للميلاد عرفت اوساط العلماء في اوربة تراجم لادبنا العربي ، ومحاولات في تفهم اعلامه، وطبع

لنصوص مختـــارة منه . وفي فجر القرن العشرين قدم المستشرقون الى الشرق فسكنوه ، واسسوا جمعيـــاتهم فيه للنشر والتحقيق والبحث . ففي مصر والقدس ودمشق والقسطنطينية معاهد فيها علماء يغذون ابحاثنا باساليبهم الجديدة ، ويشتركون في اعمالنـــا الثقافية كما غذى الفرس ادبنا في مستهل فتوته .

اما معهد دمشق فقد نشر كتباً وصحفاً عدة ، ولم تحل الحرب ومظالمها دون اكمال رسالته ، فقد نشر صحيفته السنوية ، وخصها بمقالات قيمة نرجو ان تكون مثـــاراً للتمحيص وباعثة للنظر ، وحافزة على التقليد . فنحن في فجر حياتنا الادبية ، ومستهل بعثنا العلمي ، يجب ان نأخذ باطيب الدراسات واقوم المنـــاهج . ومن الخير ان نقلد تقليداً عاقلاً لمن نجاورهم في الزمان والمكان .

ولن نحلل ، هنا ، هذه المقـــالات ولن نلخصها فنبعث على الكسل ، وانما نريد ان يعرض لها من يجيد الفرنسية ، فهي غنية قوية ، لا تسرف في لفظ ، ولا تحيد عن خطة ، ويكفي ان نعدد المواضيع لنبين عن ثروتها الفكرية .

فيها مقـــال للاب نصرالله عن حجاج القلمون وثان للمهندس « لوفره » عن الاضرحة والمعـــابد لنصاري زبد ، وثالث للسيد « له سكو » عن ترتيب ديوان حافظ الشيرازي وفـــاق الزمن ، ورابع للاستاذ « هـــازي بيريس » عن حديث عيسى بن هشام المويلحي ، واغراضه واسبابه وخامس للمستعرب «هازي لاووست» عن حياة ابي العلاء وفلسفته ، وترجمة مقاطع كثيرة من شعره .

كل ذلك في دقة ووضوح وثقة تهيب بنا الى شكر «المعهد» على ما يقدم من خدمة للشرق العربي ، ومساهمة في العمل لادبنـــا البكر ، وبعث لرجالنا واحيائه لاماكننا الدارسة .

سدد الله الخطا ، واجزل للمعهد عداد مـــا يتوخى من خير في يسر الانسانية وتقريب الالوان ، ووصل الانسان بالانسان .

حلب — سامي دهان

التعاون الثقافي بين الاقطار العربية

للاستاذ عبدالله المشنوق – ١٢٠ صفحة – مكتبة الكشاف ، بيروت

نصت المادة الثانية من بروتوكول الاسكندرية على ان تتعاون الدول العربية الممثلة في اللجنة تعاوناً وثيقاً في شؤون الثقافة .

لا شك ان هـــذا التعاون الوثيق لا يمكن ان يقوم الا اذا بحثت نواحيه المختلفة اعمق بحث وادقه ، وعرضت في شؤونه شتات الآراء واتجاهاتها المتعددة ، وعندئذ تستطيع اللجنة الفرعية التي ألفت من الخبراء لتعد مشروعاً بقواعد التعاون ، ان تهتدي بمجموعة من الدراسات تنير لها السبيل ، وتيسر امامها الصعاب والعقبات . والكتاب الذي يقدمه اليوم الاستاذ عبـــدالله المشنوق هو اول كتاب جامع « ركزت» فيه قضايا التعاون الثقافي بين البلاد العربية فعرضها عرضاً قريب التناول ، ثم ناقشها ، وقدم ما يراه فيهـــا من الاقتراحات .

والذي صدر هو الجزء الاول من هذا الكتاب ، وينقسم الى قسمين ، يتحدث القسم الاول عن ما يصح ان نطلق عليه تعريف التعاون ومميزاته وعناصره ، والقسم الثاني منه يتناول ميادين هذا التعاون ، كالمناهج والمعلمين والكتاب والمعادلات بين الشهـــادات والبعثات والمجامع والمكتبات والتأليف والترجمة والنشر . وينتهي هذا الجزء بملحقين احدهما نص بروتوكول الاسكندرية والثاني قانون المعارف السوري .

ويلاحظ القارىء بوضوح تام أثر اختبارات المؤلف الشخصية في حقل التربية ودراساته الخاصة لمختلف اتجاهات التعليم في البلاد العربية ، وهو حين يتحدث في هذه الموضوعات انمـــا يلقي عصارة سنوات طويلة قضاهـــا في التعليم في صفحات .. لذلك يحس هذا القارىء باعجاب فائق بالوسائل التي عالج بهـــا المؤلف مشكلات التعاون الثقافي حتى حلها على أيسر سبيل .

غير ان هذا القارىء نفسه لا بد له من ان يحس امرين آخرين الى جانب هذا الاعجاب . اولهما ان القارىء كلما اخذت صفحات تخطو به نحو نهايته ، يشعر ان « المشاهد » اخذت بالتتابع مسرعة مستعجلة لا تتيح له ان يقف عنـــدها طويلاً ، ولا ان يتغلغل في ثناياها المتشعبة ، وانما هي حديث موجز جـــد الايجاز عن المدارس والجامعات والمكتبات والتأليف والترجمة والنشر .

والامر الثاني هو شيء من التناقض بين بعض مواضع الكتاب ففي صفحة ٢٠ مثلا ... التعاون بين الاقطار العربية قديم يرجع الى القرن التاسع عشر ... » ثم تنـــاول المظاهر الرائعة التي تمثل هذا التعاون .

ولا نحتاج هنـــا ان نقول ان التعاون الثقافي أقدم من القرن التاسع عشر بكثير ، فهو يرجع الى القرن الثاني والثالث للهجرة في العصر العباسي ، فالمناهج كانت واحـــدة ، وتحضير المعلمين كان يجري بصورة متشابهة . والكتاب العربي كان واحداً ! والبعثات العلمية كانت منتشرة في كل الانحاء ، وكانت الرحلة ميزة جذابة للعالم في ذلك الزمن .. وكان الطلاب يسعون من اقاصي البلاد

العربية الى اقاصيها ليحظوا بلقيا عالم او مفكر ... واذن فان التعاون حقيقة واقعة منذ ان اتخذت هذه البلاد اداة تفاهمها « العربية » .. وكل ما نسعى اليه هو تنظيم هذا التعاون ، على نحو يلائم رقي الفكر واتساع الافق، فما اشبه الثقافة بنهر كبير يسيل منذ ازمنة قديمة غير اننا نحاول اليوم الافادة منه على اوسع نطاق فنقيم مجاري الري والسدود ، ليعم فضله وتنظم خيراته .

قلت ان القارىء يحس بشيء من التناقض لان المؤلف الذي قال ان التعاون يرجع الى القرن التاسع عشر ، يعود فيتذكر في ص٦٧ ان ابا العلاء رحل من المعرة الى بغداد ، وان جامعات بغداد وقرطبة والقاهرة كانت تعج بالطلبة من كل الاقطار العربية والغربية .

وهذا الكتاب، بعد ، جدير ان يكون خطوة تتبعها خطوات في سبيل اقامة تعاوننا الثقافي على دعائم تكون من القوة بحيث تمهد السبيل لتعاوننا في النواحي الاخرى .

الانكليز كما عرفتهم

للاستاذ امين المميز – ٣٠٩ صفحات – بغداد

مؤلف هذا الكتاب الاستاذ امين المميز معاون مدير الدائرة السياسية (الشعبة الشرقية) في وزارة الخارجية العراقية ، قضى شطراً من حياته في السلك الدبلوماسي في لندن ، فتعرف عن كثب بالشعب البريطاني وألم بعاداته وتقاليده ، والجزء الاول الذي صدر اخيراً يتناول الرجل الانكليزي والمرأة الانكليزية ، وحياة الانكليز السياسية والاجتماعية .

ان محاولة المؤلف ، كما قال السيد توفيق السويدي في مقدمته لهذا الكتاب ، ليست الاولى من نوعها بل هي جزء من تلك المحاولات الواسعة النطاق التي قام بها العلماء في العالم لسبر غور العوامل الكامنة في هذا الشعب ، التي جعلته يفوق اقرانه واضطرت الآخرين الى السعي لتقليده في اعماله واقواله .

ويمتاز هذا الكتاب عن كل تلك المحاولات انه وفق الى تحليل نواح كثيرة من نفسية الشعب البريطاني وخلقه ، جديرة بان يطلع عليها القراء العرب ليتعرفوا على وجوه نشاطها ومختلف مميزاتها .

فلسطين العربية

للاستاذ وديع تلحوق – ١١٢ صفحة – مجلة العالمان – دمشق

تقدم مجلة العالمان التي تصدر في دمشق كتاب فلسطين العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، مساهمة منها في ميدان النضال التحريري واداء للرسالة القومية ، وهو يتضمن عرضاً وافياً للقضية الفلسطينية في مختلف نواحيها واثباتاً اكيداً لحقوق العرب فيها ، ودفاعاً علمياً صحيحاً عن وجهة النظر العربية ومطالب العرب في هذه الدعوى الحقوقية الدولية . وقد عمد مؤلف هذا الكتاب الى عرض هذا البحث باسلوب علمي وبلغة العقل المجردة ، لا بالاسلوب العاطفي فقط .

خفايا الجاليات الجنسية

ترجمة الاستاذ وجيه الصباغ – ١٧٦ صفحة – منشورات اليقظة – دمشق

يقول الدكتور احمد منيف العائدي في مقدمته عن هذا الكتاب : « هل نحن بحاجة الى الشباب القومي بجسمه وعقله في أي وقت مضى ، اكثر من حاجتنا اليه في يومنا الحاضر ؟ اننا لم نعتد مجابهة الواقع ، ولا سيما فيما يتعلق بهذه الابحاث التي يجب ان يعرفها كل فرد فينا من غير جبن ولا حياء ... وهذه الرسالة الموجزة ، قد كشفت ذلك القناع المظلم ووضعت بين ايدي الناس صورة صادقة لما يجب عليهم معرفته من النواحي التناسلية والاجتماعية والصحية ... وقد كتبت باسلوب شيق محبب الى النفوس تحيط به الصراحة والصدق » .

في قرى الجن

للاستاذ جعفر الخليلي – ١٦٠ صفحة – مطبعة الغري – النجف

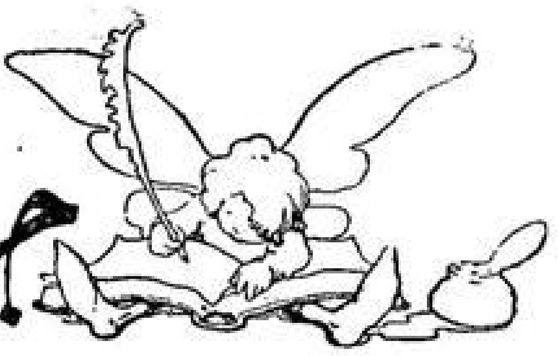
رواية خيالية تصور اعتقادات بعض الناس باعمال الجن وسحرهم وما يأتون من عجائب وما يحملونه من مساعدة لمن يتوصل اليهم من اهل الانس عن طريق « السخرة » في الخطة . وينثر المؤلف فيه بعض آرائه في السياسة والاجتماع عن طريق روائية . ويجد الاحداث – بالاجمال – في هذه الرواية بعض المتعة . على انها تبعث الملل ولا تغري بالمتابعة . والاسلوب سهل يرك احياناً ويعتدل احيانا اخرى . وليست الاخطاء النحوية والصرفية يسيرة في الكتاب

صور واحاديث اجتماعية

للاستاذ عبد الرزاق الهلالي – ١٣٠ صفحة – مطبعة الرشيد – بغداد

كتاب جمع فيه صاحبه مقالات له متنوعة عن المجتمع الذي يعيش فيه وعن بعض الخواطر السريعة التي كانت تنزل بآله نزولاً عجلان فيسكبها في صفحات من الشعر والنثر إذا انتقدت قال ناقدها ، انها صفحات كثيرة الافكار والآراء ولكنها ليست متسلسلة تسلسل التأليف ولا متدفقة تدفق البيان المشرق ، بل هي في اوائل الاختبار فلو انصب المؤلف على القراءة والعمل الادبي والنثري فقط لكان له في الغد مكانة بين اخوانه الكتّاب العراقيين الطالعين .

جولة الأديب في شهر



عمر ابو ريشه
عبدالله المشنوق
خليل تقي الدين
محي الدين النصولي
الدكتور نقولا فياض

يتحدثون

عمر ابو ريشه

خطر لي ان اتوجه بطائفة من الاسئلة الى نفر من رجال الفكر والادب في مدينة بيروت. ولقد كان اول من لقيت شاعر الشباب العربي الاستاذ عمر ابو ريشه الذي هبط بيروت ليلقي قصيدته في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف. فقلت هل جنت حياتك السياسية على شعرك ؟ فاجابني قائلاً : من الواجب على كل قومي عربي ان يستعمل شتى الوسائل من اجل بث الفكرة القومية في شعبه ، ولكي يوفق احدنا الى مخاطبة الجمهور ينبغي ان لا ينزل الى مستواه بكل ما في هذه الكلمة من معنى ايضاً ، اذ الشاعر في مثل هذه الظروف مضطر لان يتخلى عن الناحية الفنية والمقاييس الشعرية ، فانا عندما اكتب الى فني الخاص اغا اكتب بتفكير خاص واسلوب خاص ، والذين سيقرأون مسرحيتي ممير اميس سوف لا يصدقون ان ناظمها هو الذي نظم ما عرف له من قصائد في القومية والاجتماع ، وحياتي السياسية اثرت على وقتي اكثر من تأثيرها على شعري ولولا ذلك لكنت انصرفت الى النظم اكثر مما انصرف الآن ، ولكنت اخرجت الى عالم الشعر اضعاف ما نشرت وانشدت.



— وهل يرتقي الشعر في عهد الحضارة أم يتأخر ؟

لا يزال مقياس الحضارة مجهولاً حتى الآن لا نعرفه.

— فهل الحضارة التي عنيت تتمثل في سمو الروح أم في سمو المادة. وايها تفضلون ؟

السمو الروحي، طبعاً، لاننا في وقت طغت عليه المادة واصبح كل شيء فيه آلياً حتى العقائد والمبادىء ؟.. ان مدى التحسس بكل ما في الحياة من جمال وجلال — واعني بهما مطلقين غير مقيدين بمظهر من المظاهر — هو في نظري مقياس السمو الروحي ، ولما كانت غاية الشعر ان تعبر عن خلجات الروح الحساسة كان من الطبيعي ان يسمو مع سموها. ثم تساءل « هل تستطيع الالفاظ ان تؤدي تلك الغاية ان كانت شعرية مثلاً» انه لا يؤمن بذلك لانه يرى ان الالفاظ ما هي الا توابيت لرعشات مختلفة وخلجات عميقة لا تقوى الكلمة على اداء المعنى كما تمسه النفس او ترتعش نحوه الروح.

— من احب الشعراء اليكم ؟

شعراء الجاهلية على الاطلاق.. فقلت اخشى ان يقول عنكم من لا يروقه هذا الرأي انكم من الرجعيين.

فاجاب : ليقولوا.. ان عندي من الادلة ما يؤيد صحة رأيي وليتهم يقولون...

عبدالله المشنوق

وقصدت الاستاذ عبدالله المشنوق ، وهو المربي المعروف ومدير كلية المقاصد السابق وصاحب كتاب التعاون الثقافي فسألته :

هل تعتقدون ان الادب العربي المعاصر يعبر عن حاجات الامة العربية وامانيها ؟

الواقع ان الادب المعاصر لم يكن صورة صحيحة لشعور الامة بسبب ضغط المستعمر الذي كان يحول دون حرية الفكر والقول خذ اليك مثلاً قصيدة شوقي في الثورة السورية — سلام من صبا بردى ارق... وكيف كانت تنقل في البلاد سراً ولم تقو صحيفة على نشرها ؟ ثم صاحبك الشاعر القروي الذي كنت تحمل اعاصيره في السر حتى لكأنك تحمل المخدرات او البارود في حين ان انصار المستعمرين في الادب كانوا يرتعون ويلعبون ويشوهون ويمسخون ويطبلون ويزمرون ويأكلون ويشربون. ثم لا اخالك نسيت



ايام كانت كلمة عربي او عروبة تعتبر جريمة سواء قيلت في حفل ام نشرت في صحيفة فقد يساق الاول وتعطل الثانية لهذا ولغيره ارى ان الادب لم يقو على التعبير عن خلجات الامة وما تعانيه وترسف فيه ، اما هؤلاء الذين يعبرون عن الادب الزائف ثم يدعون انهم دعاة للتجديد ؟ انهم دعاة التقليد الاعمى للاجنبي ، لذلك يأتي ما يسمونه ادباً صورة ممسوخة هزيلة ليست عربية وليست اجنبية ؟ . لكن من الآن وصاعداً وبعد ان نعمت البلاد بعهدها الاستقلالي ارجو ان تنشط الحركة الادبية وعندئذ تظهر الناحية الاستقلالية والعربية بوجهها الصحيح .

— من أحب الكتاب اليكم ؟

لعلك تقصد من احب الادباء لاني أحب هنا ان افصل بين الكاتب والاديب لان هناك كثيرين ممن يكتبون باسلوب جميل واما ادبهم فلا يستحق الاعجاب وليس من شك بان الحركة الادبية في مصر انشط منها في سائر البلاد العربية اذ استطاعت مصر ان تنجب الشاعر والاديب فالشاعر المرحوم شوقي واما الاديب فتوفيق الحكيم ، اذ هو في نظري اديب عالمي ، ولعله لا يقل عن اناتول فرانس بالنسبة الى فرنسا على شرط ان لا يعتبر ما يكتبه من مقالات في الصحف اليومية والاسبوعية اساساً لوزنه الادبي ولو اكتفى الحكيم باهل الكهف وشهرزاد ويوميات نائب في الارياف ولو لم يكن له غير هذه الكتب الثلاثة لاستحق المكانة الاولى في الادب العربي . ثم استطرد اما طه حسين فيعجبني في دراساته الادبيه ونقده الادبي ولعله احسن من يفهم الادب العربي في مصر بل وفي الاقطار العربية . ولكن هناك من يأخذ على الاستاذ الحكيم الركاكة في الاسلوب ، ان اسلوبه صحيح وواضح على كل حال ، والاسلوب وسيلة وليس غاية في نظري ، ان توفيق الحكيم هو الاديب الوحيد الذي تجد في ادبه طابعاً شخصياً وفكرة جديدة .

— وما هو رأيكم في التعاون الثقافي بين البلاد العربية وما هي انجع الوسائل لنجاح هذا التعاون ؟

لقد اجبت عن هذا السؤال اجابة ضافية في كتابي الاخير — التعاون الثقافي — ولعلك تريد ان تعرف ايضاً اني هنا افصل بين التعاون وبين التوحيد لان هذه الناحية في نظري خطيرة جداً . واراني لا اقر التوحيد التام . ثم اني لست في حاجة الى تعريف لفظتي التعاون والتوحيد فهما واضحتان غاية الوضوح ، وبديهي ان الثانية اعم واشمل من الاولى ، وان التعاون قد يؤدي اذا قضت المصلحة المشتركة الى التوحيد او الى ما يقرب منه . وغايتنا في هذا الموضوع ان نرى ما اذا كان في صالح العرب من الوجهة العلمية البحتة ان تقوم العلاقات الثقافية بينهم على اساس التوحيد او التعاون او بين بين ، ونحن اذ نتكلم عن الشعوب العربية نعتبر انها بمجموعها تؤلف امة واحدة كالامة الاميركية او البريطانية او الفرنسية .

ان امم الغرب انقسمت في هذه الناحية الى ثلاثة اقسام : قسم اخذ بمبدأ التوحيد المطلق وقسم اخذ بمبدأ التعاون الحر وقسم آخر حاول التوفيق بين المبدأين ، فالامم اللاتينية بوجه عام والجرمانية اخذت بمبدأ التوحيد التام ، بينما اخذت الولايات المتحدة الاميركية بمبدأ التعاون الحر وتركت لكل من ولاياتها الثماني والاربعين الحرية الكاملة في تنظيم شؤونها الثقافية الا في بعض القضايا الرئيسية النادرة والمتعلقة بالاهداف الوطنية ، واما بريطانيا العظمى فهي تحاول التوفيق بين الفكرتين وتبدو هذه النزعة قوية في الكتاب الابيض الاخير الذي اصدرته الحكومة البريطانية عن تنظيم التربية بعد الحرب .

وحجة المتمسكين بمبدأ التوحيد المطلق انه يقضي على الفوضى التي تنشأ عن مبدأ الحرية الواسعة ويصبغ ابناء الوطن بصبغة وطنية واحدة ويشدهم باواصر متينة ويطبعهم بطابع ثقافي واحد . ويعتمد هذا التوحيد التام على مبدأ المركزية الى حد بعيد .

واما انصار التعاون الحر فيرون ان التربية ما تزال في طور التجربة والاختبار وان التوحيد وما قد يتبعه من مركزية ، يجعل شؤون الثقافة آلية ميكانيكية ، ويحول دون التجدد والتطور ، ويقتل عامل الابتكار ، فيصبح جهاز التعليم اشبه شيء بمصنع كبير للماكينات ينتج كل عام بالجملة مئات الالوف من طراز واحد من السيارات .

واما الفئة الثالثة فقد ادركت مساوىء التطرف في كل من المبدأين ورأت ان تنهج نهجاً وسطاً فتوحد شؤون الثقافة في الخطوط الرئيسية الكبرى المتعلقة بالاهداف والاتجاهات العامة وتترك الفروع يتصرف فيها القائمون على الثقافة كما يشاؤون بشكل

لا يكبت فيه الابتكار والشخصية الفردية ويفسح فيه المجال للتنويع والتجربة وما يرافقها من تطور في مختلف النواحي الثقافية. وعلى هذه الطريقة درجت بريطانيا العظمى قبل الحرب وهي تنوي تقريرها في تنظيم الشؤون الثقافية عقب انتهاء الحرب.

محي الدين النصولي

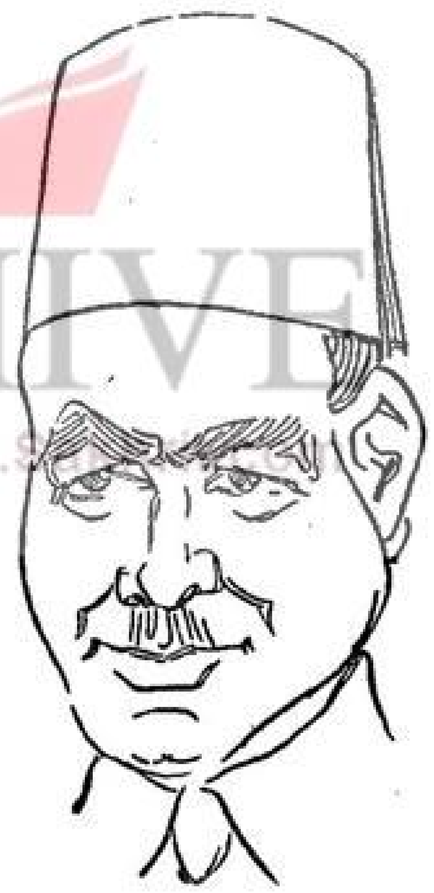
الى هذا الحد انتهيت مودعاً الاستاذ البحاثة ثم توجهت الى مكتب نقيب الصحافة اللبنانية وصاحب جريدة بيروت النائب السابق الاستاذ محي الدين النصولي الذي اظهر اعجابه وتقديره لمجلة الاديب قائلاً هذه صحيفة الجيل العربي الواعي. ووجهت اليه الاسئلة التالية :

(١) ما هو مستقبل الصحافة العربية بعد الحرب ؟

(٢) ما هي الوسائل التي تعتقدون انها تنهض بصحافتنا ؟

(٣) ما رأيكم في الصحف الاجنبية التي تصدر باللغة العربية والتي يقال انها سيكون لها اضخم ما عرفت الصحافة من رأسمال الى مطابع واقلام تحرير. وماذا يكون اثر هذه المشاريع في البلاد العربية وكيف ستواجهها الصحف الوطنية المحلية.

(٤) هل حاولتم معالجة قضايا الصحافة ما بعد الحرب في جمعيتكم وكيف ؟؟..



(١) لست من الذين يرجون بالغيب ، او يدعون خرق حجب المستقبل ، ولكني من الذين يؤمنون بان المستقبل هو وليد الحاضر والماضي ، ونتيجة محتومة لهما . لقد تقدمت الصحافة العربية تقدماً محسوساً في السنوات التي سبقت هذه الحرب ، ثم حد هذا الحرب نشاطها الى مدى بعيد ، اني من الذين يقولون ان الصحافة العربية ينتظرها مستقبل باهر ، بعد ان تضع الحرب اوزارها اذا اخذنا بعين الاعتبار ازدياد عدد القراء المطرد ، واقبال العربي على العلم ، وتطلعه الى تنسم انباء العالم ، وماذا يجري في بقاعه ، وقرب المواصلات وسهولتها بما ذلك السيارة والطائرة والتلفون والبرق ، ومما لا ريب فيه ان الصحافة العربية نفسها سوف تتطور مع الزمن وتساير روح العصر، فتوجه عناية خاصة لفن الطباعة ، وحفر الصور الكاريكاتورية منها وغير الكاريكاتورية ، كما انها سوف تغري الشباب العربي على دخول مضمار الصحافة ، وحمل رسالتها المقدسة بما فيها من تعب وارهاق فاذا بالاقطار العربية تجد غداً الصحفي العربي الذي يعرف ان يكون « الرأي العام » ، وان يوجهه الوجهة الصحيحة ، وان يكون خير رسول لآماله وامانيه ومثله العليا السامية.

انني اؤمن بمستقبل الصحافة العربية واؤمن به الى حد بعيد ، وأتخيل هذا المستقبل زاهراً فتاناً يغري الشباب العربي على حمل مشعل الصحافة وتخيل الصحف العربية في مصر ولبنان مثلاً تطبع عشرات الالوف من النسخ وتطبعها طبعاً متقناً وتشحنها باطراف الانباء والمقالات وتنقلها بالطائرة الى جميع انحاء العالم العربي ، فاذا بابناء العراق ونجد واليمن والمغرب الاقصى مثلاً يطالعون انباء الاقطار العربية الشقيقة في ذات النهار الذي تصدر به صحفها او في النهار الذي يليه ، وفي هذا ما فيه من تقريب بين العربي والعربي ، وخلق دنيا عربية متسقة متجانسة تساير الرقي وتتطور مع الزمن .

(٢) ان خير الوسائل التي تنهض بصحافتنا العربية تعاون الصحافة والصحفيين من جهة على رفع مستوى هذه المهنة الحرة ، ودعم الحكومات العربية لصحافتها من جهة ثانية وذلك بحماية الصحافة من الفضوليين الذين يتوهمون ان الصحافة هي عبارة عن « شانتاج » لا اكثر ولا اقل وانها مهنة المرتزقة والمتسولين واللامبالين ، ومما لا ريب فيه ان القارىء العربي باقباله على الصحف الوطنية التي تؤدي رسالتها على وجهها الصحيح واعراضه عن الصحافة « الصفراء » هو المشجع الاول والاخير للصحافة التي تحترم نفسها ..

(٣) انا لا اخشى المزاحمة الاجنبية الا اذا قدمت الرساميل الضخمة واستخدمت الصحفيين اللامعين العرب وانشأت جرائد كبيرة زودتها بكل شيء ، وقام على تنفيذ هذا الشيء الشباب العربي الذي يحترم نفسه ويعرف ان الصحافة وجدت لخدمة الرأي العام العربي خدمة خالصة لوجه الخدمة .

ولكن اين هذا الشباب العربي الذي يستطيع العمل مع الاجانب وبين ظهرانينا صحفيون عرب بوسعهم اليوم ان يقدموا الرساميل الضخمة ، وان يجهزوا صحفهم بجميع الوسائل الحديثة ، وان يلونوها باللون الوطني والمحلي في وقت واحد وان يؤدوا رسالة الصحافة الكريمة على خير وجه واتمه .

(٤) كلا لم نعالج قضايا الصحافة ما بعد الحرب في جمعية اصحاب الصحف اللبنانية ولكن تطور الصحافة وسيرها قدماً الى

غاياتها السامية سوف يهيب بالصحفيين الى التكتل والى توحيد عدة صحف في صحيفة قوية جبارة تجتاح الاسواق بمادتهـا وروحها ورسالتها الرفيعة وان غداً لناظره قريب .

خليل تقي الدين

وفي ندوة البرلمان وجهت اسئلتي الى الاستاذ الشيخ خليل تقي الدين السكرتير العام للمجلس النيابي اللبنـاني ، فقال : سل بالجملة لاجيبك بالجملة . فقلت :

(١) ما هو رأيكم في التعاون الثقـافي بين البلاد العربية وكيف ينجح هذا التعاون ؟

(٢) هل جنت حياتك السياسية على ادبك وشعرك ؟

(٣) هل يعبر الادب العربي المعاصر عن حاجات الامة العربية وامانيها ؟

(٤) من احب الكتاب اليكم ؟

(١) في دنيـا الفكر والادب تمحي الحواجز وتنهـار الحدود . فرسالة الاديب رسالة انسانية شاملة . كذلك كانت ، وكذلك ستكون . وستصبح هذه الرسالة اكثر شمولا من ذي قبل لان العـالم مقبل على انقلاب خطير ستكون اهم ميزاته توثق العلاقات بين الشعوب ، وازدياد اختلاط الامم بعضهـا ببعض ، وتعارفها عن طريق الاسفار ، والمنشورات ، والسينما ، والراديو ، وكل هذه الاختراعات التي تفتق عنها العقل البشري الجبار .

فمن البديهي اذن ان لا اكون من انصار التعاون الثقافي بين البلدان العربية وحسب ، بل بين اجزاء العالم كله . ولست بواجد بلداً كلبنان انتشر ابناؤه تحت كل سماء ، وحملوا الى اصقاع الدنيا رسالة الادب العربي ، ودقوا اطنـاب خيامهم في كل بلد نزلوه . ألسنا نحن اللبنانيين الذين انشأنا الاندلس الجديدة في الاميركتين واقمنا الجسر الذي عبر عليه كتاب العرب وشعراؤهم من قديم الادب الى جديده ؟ فمالك تسألني عن التعـاون الثقافي بين اقطار العرب ، ولبنان كان ولم يبرح في طليعة البلدان التي ابت العزلة في ماضيها ، وتأباها في حاضرها ومستقبلها ، لان العزلة دليل الخوف والانكماش والجمود ، وما كان لبنـان خائفاً ولا منكمشاً ولا جامداً .

وكثيرة هي الوسائل لنجاح هذا التعاون . فالصحافة ، وتبادل البعثات ، وتزاور الادباء ورجال الفكر ، كلها وسائل . ليأتنا اخواننا ابناء الاقطار العربية فلبنان فاتح لهم ذراعيه ، وليتزلوا منه في اجمل بقاع الارض فيبتردوا بمائه النمير ويتنشقوا هواءه القوي ، وينعموا بطبيعتـه الفاتنة ! ولنذهب نحن الى بلدان العرب واردين ينابيع الحضـارة العربية ، فنملي عيوننا وحواسنا جميعاً بتلك الحضارة التي ركزت لواءها في الشرق والغرب ، حـتى جاوزت به حـدود الهند والصين ! وليكن تزاورنا ، وتعارفنا سبيلاً الى توثيق عرى الحب بيننا ، وليس كالادب وسيلة الى ذلك ، ولا كالقلم شارة تزدان بها صدور من يتزعون الى التلاقي ، فالتعارف ، فالحب .



(٢) لو استسلمت للسياسة لقتلتني . لكني ألوذ بالادب كلما شعرت ان السياسة تكاد تطغى علي . فانا اخلو بمكتبي وقلمي واوراقي لاستريح ، وما رأيك براحة اعاني فيها من آلام الكتابة ما تعانيه المرأة من آلام الوضع . لكنها العلة يا اخي ، وعلتنا نحن اننا اذا حرمنا الكتابة نموت .

والسياسة ، او الوظيفة ، او العمل الرسمي ، مهما ما شئت ، ليست ضرراً كلها ، ولاهي جانية على الاديب كما يتوهم الكثيرون . ان فيها للادب مادة ثمينة جداً ، واحسبني اذا فسح الله في عمري ، واعانني على ترك الوظيفة ، منجنياً يوماً على ماضيّ في دنيا الحكومة لاكتب اكثر من كتاب اوحته اليّ الوظيفة ، وادون مذكرات تجيء كفلم من افلام السينما ، فيها المضحك ، وفيها المبكي ، وفيها ، على كل حال ، عظات ودروس .

لكن جناية الوظيفة انها لا تدع لنـا مجالا للانصراف الى التأليف . وما قولك في اننا نسرق الوقت سرقة ، ونخالف النظام ، في سبيل بحث نستجمع مواده ، او مقالة نكتبها ، او قصة ان لم نضعها على الورق عذبتنا كثيراً ؟

لكن ، من يدري ، فقد يكون في عملنا الرسمي خير للقراء ، اذ نريحهم من هذرنا الدائم .

(٣) تسألني هل يعبر الادب العربي عن حاجات الامة العربية ؟ كلا ! ثم كلا ! لان ادباء العرب ، او الكثرة فيهم ، لا يريدون ، او لا يستطيعون ، او لا يعرفون ، ان يهدموا الحواجز

القائمة بينهم وبين الحياة . انهم يحيون الحيـاة ، فاذا آن اوان الكتابة او النظم نسوها وراحوا يتحدثون عن الصاحب بن عباد ، ويتغزلون بعيون المها بين الرصافة والجسر ، وعندهم ، بين باب ادريس ، وساحة البرج الف عين وعين . .

(٤) أحب الكتّاب اليّ : صاحبي الذي مـات . . . هل تعرفه ؟ . .

الدكتور نقولا فياض

شكرت شيخنـا الكريم . . وبعد لحظات كنت في دار الاديب فوجـدت امير المنابر الدكتور نقولا فياض . ومـا هو رأيكم يا حكيم ! بماذا ؟ .

بالتعاون الثقافي بين البلدان العربية . وما هي الامور المؤدية الى نجاح هذا التعاون .

ارى ان التعاون الثقافي بين البـلدان العربية ضروري لتوثيق روابط الجامعة العربية بأزالة الفوارق الموجودة في العادات والاخلاق وتقريب نازحة القلوب ، وايجاد مستوى واحد من حيث التربية والعلم والحياة الاجتماعية فـلا يشعر العربي اذا رحل من قطر الى قطر انه غريب لتباين في اللهجة او الباعـد في العادات من مطعم وملبس وزواج وغير ذلك مما اجمع المشترعون على تسميته بالاحوال الشخصية .

والتعاون الثقافي ليس ابن اليوم فالادب لا يعرف الحـدود . والصحف والمؤلفات ورحلات الكتاب كلها من عوامل هـذا التعاون وقد فكر العربي به قبل اليوم واراد توسيـع نطاقه الى ابعد غاية حتى يتناول سائر معاملات البشر بخلق لغة واحدة للتفاهم هي « الاسبرنتو » . واذا لم تنجح هذه الفكرة يومئذ فلا يعني انها تركت بتاتاً . ونحن الناطقون بالضـاد حسبنا اللغة لتكون واسطة العقد بيننا فهي الاسبرنتو التي نرجو بواسطتها ضم الشمل وعليها يقوم هذا التعاون اما الامور المؤدية الى نجاحه فهي :

(١) توحيد مناهج التعليم بما يتفق وروح العصر وجعل التربية قائمة قبل كل شيء على الاخلاق وما اجمعت الديانات الثلاث عليه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ثم التوجيه المهني حسب البيئة وحالة البلاد فزراعي في المناطق الزراعية وصناعي في غيرها . هذا التوجيه ضروري وفقدانه يخلق البطالة ويجعل التلميذ المنتهي في حيرة لا يعرف ماذا يعمل ولا يجد امامه سوى الطب والحقوق وسيلة للتعيش ومتى قلت الصناعات تعذر الغنى والاستنباط وكسب ثقة الغريب للحصول على الاموال من الخارج .

ولا يبلغ هذا التعاون الغـاية الا بتبادل البعثات من اساتذة وتلاميذ وانشاء مجمع يضم بين اعضائه واحداً من كل بلد عربي فيعقد مثلاً كل ٣ اشهر مرة في مكان . ثم هنالك امر آخر لا اجـد تحقيقه مستحيلاً وهو ان يكون لكل قطر مرشد او خطيب جوالة يتنقل في البـلدان العربية فيتسنى لكل قطر ان يسمع حيناً بعد حين عن كتب صوت الاقطار الاخرى ويظل على اتصال وثيق بها وهكذا يتم التعارف والتآلف وتشتد اواصر الصداقة والحب وتنمو روح قومية واحدة .



(٢) ومن احب الكتاب اليكم ؟

— الشيخ ابراهيم اليازجي !

(٣) وهل يعبر الادب العربي المعاصر عن حاجات الامة العربية وامانيها ؟

— لا اظن فأدبنا اليوم مشتت الموضوع حائر الوجهة فيه نقص وتلكأ سواء في القصص او المقالات او التاريخ وقلما تجد كتاباً يمكن الاعتماد عليه في توجيه الناشئة نحو المثل العليـا التي تصبو اليها الامم والتي يحق للامة العربية ان تجعلها قبلة انظارها .

محمد فره علي

اقرأوا المجلة الاسبوعية الكبرى

المرجا

جدة ، طرافة ، فن ، ابتكار

يصدرها في دمشق الاستاذ عبد الغني العطري

عدد المعري الممتاز

احتفظت ادارة الاديب بكمية من نسخ الجزء الخـاص الذي اصدرته خلال السنة الماضية عن ابي العلاء المعري .

فمن شاء الحصول على نسخة فليطلبها من ادارة الاديب .

الثمن (خالص اجرة البريد) ٣٠٠ قرش لبناني

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

١ آذار ١٩٤٥ – طرح المستر تشرشل الثقة في مجلس العموم ففازت حكومته باجماع الاصوات وعددها ٦١٣ صوتاً .

طلب الملك ميشال ملك رومانيا الى البرنس بورشتربي تأليف الوزارة الرومانية الجديدة وقد شرع على الفور باستشاراته . وهو احد الذين سافروا الى موسكو لمباحثة الحكومة السوفياتية بشأن عقد الهدنة ، واحد الاعضاء الاربعة الذين وقعوا الهدنة في موسكو .

٢ – اصدر الجنرال فارغاس رئيس حكومة البرازيل مرسوماً بإعادة الحياة الدستورية الى البلاد واجراء انتخابات نيابية حرة يعقبها انتخاب رئيس الجمهورية البرازيلية وتأليف حكومة جديدة .

اعلن مقر قيادة الجنرال ماك ارثر ان القوات الاميركية نزلت الى جزيرة باولان واستولت عليها . وهذه الجزيرة هي خامس جزيرة في ارخبيل الفيليبين في عدد السكان .

٣ – احتلت قوات المارشال روكزفسكي مدينتي نورنبرغ وبورينو في بوميرانيا .

أبلغت ايسلندا حكومات الحلفاء انها لن تمان الحرب على المحور لانه ليس لديها قوات مسلحة .

٤ – زيدت الوزارة السورية وزيرين جديدين هما الاستاذ صبري العسلي للداخلية ، والاستاذ احمد الشراباتي للمعارف .

٥ – احتلت القوات الروسية مدينة ستارغارد الواقعة على بعد عشرين ميلًا جنوبي شرقي ستاتن .

وجهت الدعوات الى جميع الدول المتحدة – وهي ٤٥ دولة لحضور مؤتمر سان فرنسيسكو ، ولم توجه الدعوة الى سوريا ولبنان وشرقي الاردن .

فر الجنرال رواتا المتهم امام المحكمة الايطالية بتدبير مقتل الملك الكسندر اليوغوسلافي والسيد بارتو وزير خارجية فرنسا الاسبق واعلنت الحكومة الايطالية انها تعطي مكافأة مليون ليرة لمن يعطي معلومات تؤدي الى اعتقال الجنرال الفار .

٦ – احتل الحلفاء مدينة كولون رابع مدينة المانية .

احتلت القوات الروسية غراودنتر على نهر الفستولا وعلى بعد ٥٥ ميلًا من دانتزغ جنوباً . واحتلت غريفنبيرغ على بعد ١٥ ميلًا من البلطيق واحتلت كامبن على بعد ثلاثة اميال من البلطيق .

٧ – عين احمد باشا الراوي وزيراً مفوضاً للعراق في سوريا ولبنان بدلاً من السيد تحسين قدري .

٩ – قدمت الحكومتان اللبنانية السورية مذكرتين تحتجان فيها على اغفال دعوة بلديهما الى مؤتمر سان فرنسيسكو .

١٠ – وصل فخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الى بغداد حيث يزور جلالة الملك فيصل الثاني وسمو الوصي على العرش .

احتلت جيوش الحلفاء مدن كانتن وبون وغودسبرغ في الجبهة الغربية .

١٢ – احتلت الجيوش الروسية مدينة كسترين الواقعة في معابر الاودر

١٤ – وصل رئيس الجمهورية السورية الى دمشق عائداً من بغداد .

١٥ – انتشرت في العالم شائعات مفادها ان الالمان طلبوا الهدنة . وقد تبين بعد ذلك ان هذه الشائعات سابقة لاوانها . وان مصدرها كلها ستوكهولم عاصمة السويد .

١٦ – شن الجيش الاحمر هجوماً عنيفاً على رقبة الجسر الالماني المقام على الاودر شرقي ستاتن مفتاح مركز الدفاع الالماني في شمال شرقي برلين .

١٧ – افتتح محمد فهمي النقراشي باشا رئيس الوزارة المصرية اجتماع اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام التي ستضع اول ميثاق لجامعة الدول العربية . وكان يمثل البلاد العربية رؤساء وزاراتها او وزراء خارجيتها .

١٨ – استولت الوحدات السوفياتية على مدينة براندنبورغ الواقعة جنوبي غربي كونيكسبرغ . ولا يزال الجيش الاحمر يتابع تطهير كولبرغ المرفأ الكبير على البلطيق .

١٩ – هاجمت قوة كبيرة من طائرات الاسطول الاميركي القواعد الجوية والمنشآت في جزيرة كيوشو احدى الجزر اليابانية .

قدم الدكتور ناظم القدسي وزير سوريا المفوض لدى الحكومة الاميركية – اوراق اعتماده الى الرئيس روزفلت . وهو اول وزير مفوض لسوريا لدى الولايات المتحدة .

٢٠ – سقطت مدينة براونسبرغ البروسية في ايدي الروس وهي أهم مركز في الجيب الالماني جنوب غربي كونغسبرغ . وكذلك سقطت مدينة « التدام » الواقعة على ضفة الاودر الشرقية .

٢١ – ابلغت الحكومة السوفياتية حكومة تركيا انها ترغب في انهاء معاهدة الصداقة والحياد التي عقدت بين روسيا وتركيا في سنة ١٩٢٥ وهي المعاهدة التي ينتهي اجلها في ١٧ كانون الاول من هذا العام .

٢٢ – وقع ممثلو الدول العربية في قصر الزعفران بالقاهرة على ميثاق جامعة الدول العربية .

٢٤ – عين الفيلد مارشال كيسلرنغ قائداً عاماً للجيوش الالمانية في في الغرب .

٢٥ – سافر السيد تشرشل من انكلترا الى الجبهة الغربية وزار مقر الماريشال مونتغمري وشاهد جميع حركات عبور الرين .

الف ليلة وليلة

عادت الى الظهور مجلة الف ليلة وليلة ، القصصية الشهيرة ، فرحب بهـا قراؤها اجمل ترحيب ، وهي تظهر صباح كل يوم اثنين مدبجة بقلم صاحبها الاستاذ كرم ملحم كرم فطالعوها في مواعيدها .

فيها امتع القصص ، واحدث اساليب الفن .

الربيـــــــــع

◆

يجمل بنا ونحن على عتبة الربيـع ان نلقي نظرة على الشباب الناشيء ، فكلاهمـا جمال وأمل ، وكلاهما محبة وايمان .

فمن الربيع يستمد النشء خصب الشعور ، ومن ماويتـه يستمد النماء والمروءة والارادة ، والقوة المبدعة التي نشهدها على اديمه هي اجمل نداء الى النشاط البشري، واروع امثولة تعطى للحياة .

الربيع .. هو ملاك الاحلام الوردية التي ترفّ على سرير الطفل ، وتسبغ عليه المحبة والحنـان واللعب والازهار . هو صديق الاعياد ، وصديق الشعراء ، وصديق المتأملين والمحبين . هو زرع الشباب وحصاد الكهولة وتذكار الشيخوخة . هو الشجرة الخضراء ، شجرة الرجاء ، تنمو في تربـة الجمال ، وتورق في جو الحب والسلام .

سعيدٌ هو الرجل الذي يحتفظ بنشأة الربيع في نفسه ، فيفتح للحياة عينين مسحورتين بجمال مـا تنثر الطبيعة حوله من الجواذب .

وسعيد هو الرجل الذي يحتفظ في نفسه ببراءة الطفولة وطراوة الشعور ، فاذا اساء فبدون عسف ولا رداءة قصد ، واذا احب فبسلامة سريرة وحسن طوية .

وهل الربيع الا الحبّ ذو الازهار النامية في حديقة الحياة ، الازهار المغمورة بالندى ، ازهار الغبطة وازهار الشمس ، ازهار المساء الشفافة العطرة ، ازهار المحبة التي تملو النفس بعطورها عن الاشواك ؟

الربيع .. هو شاعر الحياة يحول مآسيها الى اعياد ، وآلامها الى اعراس ، واعاصيرها الى انغـام ، ولوافحها الى عطور ، وصواعقها الى انغام عذبة ، وجفافها الى خصب نديّ .

وكما تنقطع الامطار الهدارة في الشتاء ، ويستعيد هواء الجنوب مجراه الطبيعي ، وتطرح الغيوم العاصفة الى الشمال ، وتظهر الشمس في غلالة ذهبية شفافة كأنها بخار الندى ، هكذا يظهر الربيع من كهوف الشتاء الكئيب ، وهكذا يظهر الامل !

والربيع .. هو الشباب في بهجته الاولى ، في جماله الناصـع واشراقه الفوريّ ، في كبريائه الوادعة وطموحه البري .

اخوان لكل منهما رسالة ، وكلتا الرسالتين واحدة ، هي رسالة الفضيلة .

فضيلة الربيع في ازهار الشجر وماوية النبات ، في الفضاء العطري والهواء الدافيء ، في موسيقى الطبيعة وانسجام الانوار والظلام ، في ارسال الشمس لتطهير ما بقي من بؤر الشتاء — فضيلته التمهيد للصيف .

وفضيلة الشباب في صيانته البراءة الاولى في نفسه ، في محافظته على ماوية الحب ، وفي انمائـه قوة الامل — فضيلته التمهيد للكهولة .

للربيع رسالة الطبيعة ، وللشباب رسالة الحياة .

البير اديب

القصر والمعمل

بقلم صيخائيل نعيمه

على ضفة نهر شوهتها المداخن معمل للذخائر الحربية افنى من السنين قرناً وبعض القرن ونال شهرة واسعة حيث لا تزال للحرب شهرة . وقبالة المعمل ، على الضفة الثانية ، رابية خضراء مصونة بالحديد . وعلى الرابية قصر حسدته القصور .

وبين المعمل والقصر صلة الوالد بالولد . فالمعمل انجب القصر وما انفك يعطف عليه ويغذيه . والقصر ما عق يوماً والده ، وما برح يسوسه سياسة البار لابيه .

لقد كان القصر لثلاث سنوات خلت قبلة الزائرين من ذوي اليسار والاناقة والوجاهة ، يأتونه من كل حدب وصوب ، فيجد فيه كل غاو غرايته من انس وطرب ، وفن وأدب ، وما كل ومشرب ، ولهو وعبث . ففي الاسطبلات اكرم الجياد محتدا ، واعرق الكلاب نسباً . وفي الاقفاص ارخم الطيور صوتاً واجملها شكلا واندرها جنسا . وفي النهر اصناف من الزوارق للنزهة . ومن حول القصر احواض للأسماك والسباحة ، وساحات لشتى الالعاب الرياضية . وفي داخل القصر من نفيس الرياش والتحف ما يجل عن الوصف والتقدير .

اما اليوم فالاسطبلات خالية من الجياد والكلاب . والاقفاص لا ريش فيها ولا صوت . والاحواض لا سمك ولا ماء . وساحات اللعب تكسوها الاعشاب . وليس في النهر عند اسفل الربوة سوى زورق واحد يجري بالكهرباء ، والقصر لا ينتفض فيه وتر ، ولا تسمع قهقهة ، ولا يقرع منه باب . فقد طار منه الانس يوم طار صاحباه الى حتفهما ، فانتقل من بعدهما ، مثلما انتقل المعمل ، الى وحيدهما وهو ما يزال الى العشرين اقرب منه الى الثلاثين .

وهذا الوريث ما ابقى على شيء من آثار البذخ والترف سوى سيارة وزورق . فالسيارة تحمله في كل صباح ومساء من القصر الى اسفل الربوة ومن اسفل الربوة الى القصر ، والزورق يعبر به النهر الواسع الى المعمل ومنه ، وهو يقود الاثنين بيده .

اما المعمل فقد زاد الوريث في عدد عماله عشرين الفا ، وفي انتاجه وارباحه عشرة اضعاف . فكان كل من عرفه يعجب لنباهته وحنكته في ادارة اشغاله على حداثة سنه وشذوذ في اخلاقه واطواره . فهو لم يكتف بان كم فم القصر الغريد ، وقص جناحيه ، وسمل عينيه وحجبه عن الناس ، بل انه جرده من انفس تحفه ورياشه ، وصرف كل ما كان فيه من خدم وحشم ما خلا واحداً اسمه شمشون . فقد كان شديد التعلق به الى حد الوله . وما كان يرضاه ان يخاطبه يوماً بقوله « ياسيدي » بل بقوله « يابني » .

وشمشون رجل توسط العقد السابع من عمره ، لكنه ما برح نشيطا . وهو من بساطة الفكر ، وطهارة القلب ، ونقاوة الضمير ، وعفة النفس ، والتمسك بالتقوى على جانب عظيم . وقد وفي بقيام في خدمة الشاب ووالديه وجديه من قبله . وشمشون ما احب احداً من افراد العائلة محبته لسيده العازب الفتى ، فقد كان يخشى عليه حتى نفسه وبعده من بعده .

فعل الشاب ما فعل بقلبه حياة القصر رأساً على عقب ، وشمشون ما اضطرب يوماً ولا جزع . اما في الايام الاخيرة فقد راح يؤلمه اشد الالم هزال متزايد في جسم سيده وحزن عميق اصم في عينيه وحول شفتيه . فلا هو بقادر على سبره ولا الشاب يبوح له به جرياً على عادته في كشف مكنونات نفسه لخادمه الامين . والذي زاد في قلقه وارتباكه ان سيده التفت اليه ذات ليلة وهو منصرف الى النوم وقال له بصوت كسير :

« شمشون ، يا ابت شمشون . لقد سمنت حتى اكاد انشق . »

فاجابه شمشون وقد ظنه مازحا :

« تبارك الله . لقد سمنت الى حد اني لو نفخت عليك لطرت في الهواء . اتشكو مرضا يا بني ؟ »

– اجل يا شمشون . ان بي لمرضاً قتالا . وهو مرض الذين ما بهم مرض .

– ألعلك منيت بخسارة كبيرة في اشغالك يا بني ؟

– بل منيت بارباح كبيرة يا شمشون .

– اذن ما بالك تذوب وتذيبني معك ؟

– اواه لو ادري .

– ألعلها الحرب واخبار الحرب تعبث بافكارك وراحتك ؟

– شمشون ، يا ابت شمشون . صل من اجلي .

فكاد شمشون يجزم بان الشاب اصيب بمس من الجنون . لكنه صلى بحرارة فائقة متوسلا الى الله ان يرفه عن سيده وان يكشف له الكآبة الممسكة بخناقه .

ونام شمشون نوم الابرار . وقبيل الفجر سمع صوتا يقول له : اكتب يا شمشون .

فانصاع شمشون الى الصوت انصياع من لا فكر له ولا ارادة ، وتناول قلما وقرطاساً واخذ يكتب والصوت يملي عليه :

ايها السارقون نوم الخزائن كيف تهجعون ؟ ايها اللابسون عري اليتامى كيف تدفأون ؟ ايها الكارهون ري العطاشى كيف تنقعون ؟

ايها الاكلون خبز الجياع كيف تشبعون ؟ ايها الراضعون ثدي الثكالى كيف تسمنون ؟ ايها السائغون ظمن المنايا كيف تمزجون ؟ ايها المستحمون بالدم الحي كيف تطهرون ؟ ايها المدلجون، اذ يقبل الفجر، اين تدبرون ؟ ايها البائعون سم الافاعي هل سوى السم تربحون؟

وانقطع الصوت . فانتفض شمشون كمن يفيق بغتة من حلم . ولشد ما اذهله ان يرى ورقة في يده وان يقرأ ما فيها فيجده مكتوباً بخط يده ، حتى خيل اليه انه ، هو كذلك ، قد خولط في عقله .

وكان الليل قد تلاشى . فهرول شمشون الى غرفة سيده وقص عليه ما جرى ودفع اليه بالورقة قائلا :

لقد صليت يا بني . ولعل هذا جواب صلاتي . لكنني ما فهمت منه شيئاً .

ما كاد الشاب يقرأ ما في الورقة حتى امتقع لونه ، واعترته قشعريرة سقطت معها الورقة من يده . فانحنى شمشون ليرفعها . لكن سيده شده بعنف من ذراعه وحملق فيه طويلا ثم قال بصوت مرتجف :

شمشون ، شمشون . من علمك التدجيل ومتى ؟

فصعق شمشون ، وانعقد لسانه ، وجف حلقومه ، واظلمت عيناه ، ودار رأسه فارتمى على الارض كأنه الشلو . وعندما ذعر الشاب وادرك سوء ما فعل . فانحنى فوق خادمه يفرك يديه ويقبلها ويناديه :

الي يا شمشون ، يا ابت شمشون . لقد فهمت . لقد فهمت .

وما زال به حتى عاد اليه وعيه . لكن شمشون ما عاتب مولاه بكلمة . بل انطلق في الحال يعد له الحمام جرياً على عادته في كل صباح ليعود ويهتم بفطوره . وفيما هو منهمك باعداد المائدة اذا بسيده ينادي من الحمام فاسرع اليه وما دخل الحمام حتى جمد مكانه . فقد وجد الشاب واقفاً بجانب المغطس وبدنه العاري مصبوغ بلون الدم . ورأى الماء في المغطس كأنه الدم . وتبادر الى ذهنه ان سيده قد انتحر بقطع شرايين يده . لكنه ما عتم ان سري عنه عندما التفت اليه الشاب وسأله بصوت لا خوف فيه ولا تأنيب :

ما لهذا الماء احمر كالدم يا شمشون ؟

فاجابه : لقد كان صافياً كالبلور يا بني عندما اطلقته في المغطس .

– وكان زلالا عندما غطست فيه . فمن اين هذا اللون ؟ من اين هذا الدم ؟

فانكب شمشون على المغطس يفرغ منه الماء ثم يغسله . واطلق الماء ثانية فاذا به اصفى من حدقة الطفل . ثم عاد الى عمله . وما هي الا دقيقة او دقيقتان حتى دعاه سيده ثانية . واذا بالحادث الاول يتكرر . ومن بعد ان تكرر ثلاث مرات متوالية يئس الشاب من حمامه وارتدى ثيابه . وانطلق الى المعمل من غير ان يتناول لقمة واحدة مما كان شمشون قد اعده له . وكل ما قاله لشمشون قبل انصرافه :

– لقد فهمت يا ابت . لقد فهمت .

وبقي شمشون نهاره في ذهول وحيران . وكان يرتقب اوبة مولاه بفارغ الصبر علّه يميط له اللثام ولو عن جانب صغير من الاسرار التي تكتنفه من كل جانب . لكن غيبة السيد طالت اكثر من المعتاد بكثير . فطالت معها هواجس شمشون واوجاعه .

وانتصف الليل او كاد عندما عاد الشاب فوجد شمشون في انتظاره . فدعرف الحديقة الحال على المعمل . وكان الليل دافئاً وصافياً . والقمر يتهادى بين النجوم . فحيا الشاب شمشون تحية كلها شوق وعطف وفرح . واقتاده الى مقعد قريب حيث جلس واياه مطرقاً عنقه بذراعيه وساندا رأسه على كتفه . ثم خاطبه هكذا : اما تراني سمنت منذ الصباح يا شمشون ؟

– حقاً يا بني . انك الان غير في الصباح .

– خير الدواء ان تهتدي الى باعث الداء فتتلافاه . وبمعونتك قد اهتديت الى بواعث ادوائي . فهنئني يا شمشون .

– الحمد لله يا بني .

شمشون ، يا ابت شمشون . اذا انت اصطنعت خنجراً ثم بعته مني عالماً انني سأقتل به رجلاً ما ، وقتلت به ذلك الرجل ، افلا تكون شريكي في القتل ؟

– من غير شك يا بني .

اذن كنت على صواب في ما فعلت .

– وماذا فعلت يا بني ؟ اتعني انك قتلت احداً ؟

وبغتة ارتج القصر ، واهتزت الارض ، وعصف الجو بدوي كانه الزلزال . واذا بالافق فوق الضفة المقابلة يشتعل ويموج بالنار ، والانفجار يتلو الانفجار ، واللهيب والدخان يصعدان في الفضاء . فاكان من شمشون الا ان خر ساجداً في الحال واخذ يصلي وكأنه المحموم يهذي : « ربي والهي . المعمل المعمل . يا للخراب . المعمل . يا للخسارة . ربي والهي . لنهوب . اهرب من الشظايا . المعمل يا بني . »

لكن الشاب اخذه بكلتا يديه ثم لفه بذراعيه ومن بعد ان هدأ روعه قال له : «ايليق بنا يا ابت ان نطبخ للناس ما نأبى ان نذوقه؟ كيف ترجو ان تبتاع بالسم الزعاف شهداً شهياً ؟ لقد انهرق السم فما احلاها خسارة .

قال ذلك ووثب الى باب القصر فلصق عليه الورقة التي تناولها من الشيخ في الصباح . ثم عاد الى شمشون فاخذه واخدر به الى اسفل الربوة وهناك ركبا الزورق الكهربائي وانطلقا نحو منبع النهر . ومن غير ان يلتفت الى الوراء رفع الشاب عينيه الى السماء وقال :

« اقتبل يا ربي قرباني » . فزكى شمشون صلاة مولاه بقوله « امين » واضاف في قلبه : « ترى اينا المجنون ؟ »

وانبلج الصبح عن انقاض المعمل الشهير والنار ماتزال تلهو ببقاياها . وعن زورق صغير يجري حثيثاً نحو ارض محجوبة الا عن التائهين .

صبحائيل نعيمه

المتجردة

بقلم يوسف غصوب



من ورق الورد ومن طيبه ... ومن ضياء جسمك العاري
على شذور التبر اضجعته ... قبلة الوان وانوار
مستسلما في غبطة لرؤى ... بيض بافق الحلم ابكار
في هالة شقراء من شعره ... هفافة بالنور معطار
ألقى بها في راحة طفلة ... وزانها غنجاً بازهار
اندى من الروض وافيائه ... في يقظة الفجر بنوار
تشيع في اظلاله شهوة ... مشوبة الجمر باسرار
اكوابه من خمرة اترعت ... وختمت منه بازرار
حمر على عاج به شغف ... من شدة اللألاء موّار
كورها الحب لاغراضه ... كأنما خطت ببركار
وفي مطاوي الكشح مثوى الهوى ... نطقه السحر بزنار
نسيجه من بعض اغرائه ... ووشيه من بعض أسرار
غرثى المنى من فوق مخضله ... هلكى فراشات على نار
اشقت زكي المسك انفاسه ... من حسد والنسم الساري
لم يطلع الصبح على مثله ... منحدراً من راحة الباري
يظل والاحداق يحدجنه ... ملتسما للنظر الفاري
ما من حياء في تجرده ... في الحسن منجاة من العار

بوسف غصوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في

قراطيس يوسف غصوب مجموعة تضم بضع عشرة قصيدة من الشعر الجيد ، الجديد بجماع معنى الكلمة ، حتى انها لتكاد توهم الجدة ايضا في منظوم الشاعر نفسه. واحدى تلك القصائد المصنوعة على غرار الالطاف المصغرة التي يبالغ فن الشرق في العناية بها ، هذه « المتجردة » يتاح « للاديب » جاوة محاسنها الفريدة .

اخال ان صاحبنا اختار لمجموعته هذا الاسم : « غزل » وارجوان لا يحول عنه. فاعجب، بعد « القفص المهجور والموسجة الملتهبة » لهذه البساطة السعيدة : في « غزل » نوازع الظمأ والشوق والحنين التي لا يفتأ شعر غصوب يبين عنها ، مها تعددت الصور ، كأنما يصدر عن منابع قصية ، اصيلة في طبع الشاعر .

هذه « المتجردة » حقيقة ان تغني عن لوحة مصور عبقري . يروى ان المصور ديجا كان يلهو عن فنه بقرض الشعر احيانا ، وانه كان يعاني في ذلك نصباً شديدا ، لكنه خلف مقطوعات لا بأس بها . فذات يوم ، وقد اعياه نظم قصيدة هم بها، التفت نحو صديقه الشاعر مالارميه وقال محتقا : « ماذا ؟ فانا لست تموزني الافكار ؟. » فاجابه الشاعر متلطفا : « اجل ، يا صديقي . لكن الشعر لا يصنع من افكار ، انما يصنع من الفاظ . »

ومن هذه المادة المتكاملة صفاء وسلامة ، وحسن جرس وبلاغة دلالة ، صنع يوسف غصوب مجموعته « غزل » . ولا نغالي اذا قلنا انها ، بهذا القياس ، ولا سيما من هذه الناحية ، طريفة حتى في شعر الشاعر ، فليست توهم الجدة اجماما .

عمر فاخوري

الاحساس بالطبيعة في التصوير الفرنسي

بقلم ج . لاسين

من مواضيع الدروس الكلاسيكية المنقولة في فرنسا منشأ الاحساس بالطبيعة في الادب الفرنسي ، وهذا الاحساس يرد، على الاجمال، الى روسو وبرناردان دي سان بيير في القرن الثامن عشر ويعزى تفتحه الى شاتوبريان والى اولى بوادر الرومانتزم تحت تأثير غالب لبعض الاداب الاجنبية . ولا يقل هذا الموضوع شأنا في ميدان الفن عنه في ميدان الادب . فبيان ما في الطبيعة وصورتها الروحية او ما يحيط به النظر منها قائمان في مصنفات الفن الفرنسي منذ وجوده ، فالفن الفرنسي عرف منذ القرن السابع عشر — في العهد الكلاسيكي الذهبي — ازدهاراً عظيماً .

وبديهي ان يتقدم الفن الادب بمقدار ، ما دام الفن يتكىء بالذات على النظر وعلى بيان الحقائق المباشر بخلاف الادب الذي هو قبل كل شيء تقدير تفكيري . غير ان هذه الظاهرة يكثر الشعور بها او يقل بحسب اختلاف المدارس ، وانه لبني الندر ما توافر لبلد ، كما توافر لفرنسا، مثل هذا الارتباط المدهش بين تاريخ اللوحة الريفية وتاريخ التصوير على الاجمال .

نجد بعض الاحساس بالطبيعة في مصنفات المصورين البدئيين من جميع المدارس القريبة العهد بالبيان المباشر ، كالبدئيين الفلمنك او الطليان وارباب المصغرات الفرنسيين الذين كانوا يرسمون ما يقع لاعينهم من المناظر الطبيعية اطاراً لما يضعون من التصاوير . فقد خلف لنا « فوكه » والمزينون في القرنين الخامس عشر والسادس عشر لوحات نفيسة عن الارياف الفرنسية والحياة القروية . فمصنفات البدئيين تمتاز بالاعراب البسيط عما يقع لعيني الفنى . ثم تطور الفن فتكونت المدارس الكبرى على الصورة الروحية من جهة وعلى الصنيع التزييني من جهة اخرى . وهذه الكيفية الاخيرة القائمة على قاعدة التناسب والاوضاع الكلاسيكية هي اساس التصوير في عهد النهضة الايطالية . وفي معظم المصنفات التزيينية يقع النظر على ما يفتح للطبيعة وللواقعية كالباب والنافذة المفتوحة ، ولكن ذلك صار لا يقع الا في النادر القليل . ولم يعط لوحات ريفية حقيقية تكونت في الزمان والمكان الا التصوير الفلمنكي وارباب المشربون في روحهم محبة الواقعية . .

ولكني احب ان احصر موضوعي في ما كان التصوير الذي أدرك تطوراً حقيقياً وأفضى الى نتيجة على قواعد وقياسات ، اي في المدرسة الفرنسية التي تأخرت عن سائر المدارس الاوربية بدليل انها لم تبدأ الا في عهدنا الكلاسيكي ، القرن السابع عشر .

ففي القرن السادس عشر كان لنا مدرسة تصويرية لا اكثر ولا اقل . وفي القرن السابع عشر بدأت مدرستنا ، تحت التأثير الايطالي ، تستوحي الفن التزييني والقواعد القديمة والتركيب الميثولوجي . فهذا الفن الذي اعطى احسن ثماره في غير فرنسا، اعطى في هذه الاخيرة ثماراً مثلها ومنها اولى لوحات «بوسان» «كرعاة اركاديا» او «الهام الشاعر»، ولو لم يكن « بوسان » نسيج وحده في نقل المناظر الريفية لكان هذا الفن أفرغ كل ما عنده وخمد . ففي لوحات « بوسان » يدق الموضوع شيئاً فشيئاً حتى يستحيل الى نوع من التصور يكاد لا يرى بالعين المجردة ، وهذا التصور الدقيق ليس سوى ذريعة لمناظر واسعة رحبة من الارياف الرومانية . فبوسان عبقري فريد مارس اروع الاساليب واجاد أحسن من اي كان اعتناق سنن اجمل المصنفات الكلاسيكية ، فهو بوالو التصوير وراسينه في آن واحد .

وقد اربى على كتاب عصره في ادراك حدود هذا الفن ، وبقي طوال النصف الثاني من حياته المجيدة



يطوي الكلاسيكية على الواقعية فنقاها من كل صنعة ومن التفصح الايطالي الفخم مهتديا الى بساطة أقرب الى القديم والى الحديث معا . ثم ادخل هذه الكلاسيكية في الطبيعة خالعا عليها فتاء وطراوة وواقعية الى الفن الفرنسي المعاصر وأعطت المدرسة الفرنسية وحدتها طوال ثلاثة قرون ، فبوسان يتأمل الطبيعة في عظمتها ويعبر نوعا عن روح اللوحة الريفية .

كان « كورو » اذا وقف امام لوحة « ارض الميعاد » يهتف : هذه هي الطبيعة ، فحتى بوسان كانت اللوحة الريفية تصنع في المحترف بمقتضى دروس او اساليب مهيأة . اما بوسان فكان يذهب الى قلب الطبيعة فيعمل رسومه على مثال المصور المعاصر فلا يكتفي بان يجمع لها نماذج من الاوراق والجذوع والقشور بل يتجاوز ذلك الى تدوين التأثير الذي تحدثه هذه الاشجار والاوراق بحسب الانوار والظلال . ومن دراسة هذه الرسوم ننفذ الى صفاء عبقريته وهي بخلاف ما يظن على الغالب من البداهة والحسية والفوران . فبوسان كان يدرس الارياف الرومانية بروح من الواقعية الحادة بعيداً عن اي سعي وراء المفتن من الخطوط ، فهو مفتتح تلك الحلقة من المصورين الذين ما برحوا منذ القرن السابع عشر الى يومنا هذا يرسمون اجمل الصور عن مناظر الغرب . وفي الوقت نفسه على وجه التقريب كان ثانيه كلود جيله الملقب باللوريني يواصل تجارب كملته . فبوسان كان يتوصل الى ان يخلق من جديد تركيباً للمنظر الريفي اصدق من الواقع . اما كلود اللوريني ، المبشر الحقيقي بالعهد الانطباعي ، فكان يسعى لان يدرك من هذا المنظر جميع دقائقه والوان الزمن على الخصوص . وقد كان هو ايضا من العاملين في الصنيع التزييني وممن يستهويهم العمل في الهواء الطلق . وقد جاء في ترجمته انه كان يصرف نهاراته في معاينة مختلف مفاعيل النور في مختلف ساعات النهار ، فيعاين الآفاق ، ومفاعيل السماء ، والبحر والشمس في اثناء شروقها ومغيبها . كان بوسان يحل المنظر الريفي وينسقه ، فسكب فيه اللوريني النور وغرائب التصورات غير المتناهية . وكبوسان كان يأخذ رسوماً لملاحظاته ودروسه وكثيراً ما كان يرسم رأساً في سهول تيفولي او فراسكاتي صور الجبال والاودية والمغاور والشلالات .

وهذه التصاوير تبين تطوراً عظيما بالقياس الى جميع المدارس الاخرى . فمنذ القرن السابع عشر ظهر الاتجاهان الخطيران اللذان اغنيا فن التصوير الريفي الفرنسي متعارضين او ممتزجين . فمن جهة الاتجاه الذي يريد الاهتداء الى التعبير عن الطبيعة في تآلف مختلف الاجزاء وصهر الاوقات المتتابعة في بوتقة واحدة . فالاول يعطينا رسوم لوحات توقظ الذاكرة وتحرك احاسيس النفس ، والاخر على النقيض من ذلك يرينا تجلي الطبيعة بوجه عام . ومن المصورين الريفيين الفرنسيين من جرى مع الاتجاه الاول آخذاً اخذ بوسان متبعا امثولته الكلاسيكية الكبرى ، ومنهم من استسلم الى رؤى اللوريني . على انهم جميعاً خدموا في هيكل الطبيعة وقد اعطى مجموعهم صورة للطبيعة لا تضاهى بغناها وعظمتها .



وهذان الاتجاهان لزما مطلع القرن الثامن عشر . ولكن الاصطلاح والروح الكلاسيكي والميثولوجيا جرت في المجرى الحديث . وأصبح « واتو » لا يكتفي بالارياف الرومانية اطاراً له بل يتجاوزها الى « ايل دي فرانس » وما عتم هذا الاطار ان ظهر على الموضوع شأنه في لوحات بوسان . اما الطريقة الايطالية فما لبثت ان عادت مع فراغونار وهوبر روبر ، السائحين المتلمسين المفتن من الاثار وسائر الوان الطبيعة . وقد اتسم القرن الثامن عشر بالجهد المستمر لاجراء الفن التصويري مع روح العصر . فاذا بحث المصورون عن بقايا القديم فليس لارجاع قواعده بل للاعراب عن جواذبه وتأثيره الحاضر في المراتع الخضراء . وهكذا انجلى الفن التصويري وغني بالف لون ، وما اوشك العصر ان ينتهي حتى كانت رسوم فراغونار كأنها من ريشة مونه .

وهذا التطور السريع مني بتوقف فجائي في زمن الثورة ، فقد عمد دافيد الى تأسيس مدرسته الخطيرة على القواعد اليونانية والرومانية . ومع ان دافيد مصور عظيم الا ان روح المقاييس يقتل الفطرة فيه فقد سلك كلاسيكية غامضة لا تمت الى الانسانية بسبب خيل اليه معها انه يستعيد تقاليد بوسان في حين انه ظهر عليها بدليل ان الجهود التي بذلها بوسان خلال السنوات الثلاثين الاخيرة من عمره لم ترم الى سوى صهر الكلاسيكية في الانسانية . وهذا المسلك التحكمي الذي ينتسب الى ذهنية نابوليون الجسيمة والى جهد الامبراطورية صوب ضربة قاسية على فن التصوير الفرنسي : على ان حسن الطالع شاء ان يستمر التصوير الصحيح في بعض صغار الاساتذة المغمورين والمحتقرين ، وبدورة غريبة تجددت تقاليد التصوير في مستهل الرومانتزم . كان اللوريني وواتو اثرا تأثيراً حاسماً في خارج فرنسا ايضاً . وفي جملة البلدان التي تأثرت بهما انكلترا التي ظهر فيها ، آخر القرن الثامن عشر ، مصورون ريفيون على جانب عظيم من الجسارة بينهم كونستبل ، المبشر بمدرسة بربيزون ، وتورنر ، مستهل العهد الانطباعي ، فهذه المدرسة المجيدة التي اثرت في فرنسا تأثيراً حاسما في عهد الرومانتزم نقلها المصور الانكليزي الفرنسي بوننتن الى ديلاكروا رسالة كان لها من الخطر في الفن ما كان لرسالة اوسيان وبيرن في الادب . وان يكن ديلاكروا بقي ضعيف التأثر بالمنظر الريفي ، فهو من عشاق الابحاث التقنية ، وفي تصويره الخلائق والمناظر يعتمد الواقعية التي تغري المصورين الريفيين ، ومن الوجهة التقنية يقوم صلة وصل بين تورنر ومونه ، فهذا المصور الحماسي العظيم ، هذا المفكر القوي النفس جدد الوان التصوير الفرنسي .

ومن هذا القبيل احدث في فن التصوير الريفي تأثيراً قد يكون اكبر من التأثير الذي احدثه كورو ، فهذا الاخير وان يكن مصوراً ريفياً عظيما الا ان طريقته الكلاسيكية الشعرية تبدو كأنها صادرة عن القرن الثامن عشر اكثر منها عن فجر الازمنة الجديدة . فلوحة « عرائس صور تفونتين » تنتسب الى لوحة «الابحار الى سيتير» واللوحات الريفية الرومانية هي نتيجة السياحات في ايطاليا . على ان كورو يعتمد نوعا من الفن الريفي لقنه مدرسة بربيزون والانطباعيون فيما بعد . ومدرسة بربيزون هذه جديرة بان لا تفصل عن الانطباعية ، فميله وروسو ودوبيني ليسوا دون مونه وبيكسو ورينوار . وما كان الشطر الثاني من القرن التاسع عشر الا عاقبة صالحة تكلل بها تاريخ اللوحة الريفية الفرنسية . وما يزال هؤلاء المصورون كنز مدنيتنا كما ان رونقهم ما يزال ينير العالم ، ففيهم يستمر تألق تلك الحركة الفريدة التي ما برحت منذ ثلاثة قرون تقيم فرنسا مقام الوطن لفن التصوير الريفي .

يتسم بعض الشعوب بفن الحفر كالطليان مثلا (ومن العجب ان المناظر الطبيعية الايطالية لم تجد مصورين لها في سوى الفرنسيين .) وبعضها يغلب عليه الانطلاق في التجارب النفسية ويلمس ذلك في الفن الاسباني . وبعضها يتجاذبه الافراط في التصورات الوهمية ، ويرى ذلك في الفن الالماني ، اما المصورون الفرنسيون فعلى النقيض من ذلك ، فقد لزموا الاتصال بالواقع . وهم وان كانوا اقل طموحا من الاخرين الا انهم وصلوا الى ابعد مما وصل اليه الاخرون ، فكل شيء كائن في الطبيعة فهي الحياة نفسها واشكالها لا تعد ولا تحصى ، هي الابد بالقياس الى الانسان ، وهي دائمة التحول ، لا تتوقف ، ومواردها لا تقع في نطاق الحصر بينما موارد المخيلة او التصورات الوهمية محصورة في عوامل ثقافية لا تتجاوزها .

لقد بقيت فرنسا طوال ثلاثة قرون تعطي ليس من ارضها فحسب بل من الارض المجاورة لها صورة للواقع بجميع وجوهه هي اشعر من جميع الاحلام وأدهش من جميع التخيلات . فالامثولة التي يعطيها الفرنسيون هي الامتزاج بالارض والانسكاب في الطبيعة ، فالمصورون الفرنسيون هم مصورون انسانيون مارسوا اسمى الفضائل التي يحق لفرنسا من اجلها ان تكون الاولى .

ج . لاسين



الظمآن

بقلم راعي الراعي

في ذلك المساء كنت في طريق عائداً الى بيتي لاطرح على عتبته اعباء اليوم وانا امسح العرق الذي كان يتفصد به جبيني والتقط حجارة البوشرو ارجم بها الدنيا، فشعرت بيد ناعمة تمتد الى جبيني ونظرت فاذا بشبح في عينيه الف شعاع انتصب امامي وبادرني قائلا : انت من الباثسين ولكن خفف عنك فالحياة التي ترجمها تدعوك الليلة الى جلسة شراب تقيمها لك ولامثالك في القصر القائم على تلك الرابية التي تراهـا فاذهب واشرب وتمتع . فسألته : ومن تكون ايها الشبح المشع؟ فاجاب : انا الرحمة . وما هي الا طرفة عين حتى حمله النسيم وتوارى عني . . فقلت لنفسي : هل لمثلي ان يتمتع بشيء في هذه الدنيا ؟ هي ولا شك مهزلة جديدة فلاذهب الى ذلك القصر واشهد فصولها . وواصلت سيري الى حيث القيت باحمالي على عتبة البيت وخرجت والليل يشتمني ، اهبط الوادي واتسلق الجبل حتى بلغت القصر الذي اشار اليه الشبـح ودخلته فاذا هو يعج بالخلائق يتدافعون بالمناكب ليستمعوا الى الكلمات التي كانت تعيدها عليهم امرأة توسطت المكان ، طويلة القامة بدينة ، ورحت اشق الصفوف المتراصة حتى دنوت من تلك الامرأة فسمعتها تقول : انا الحياة . . اعرف انكم الباثسون من ابنائي الذين طالما عبست في وجوههم ، ولذا رأيت ان اجمعكم منذ اليوم مرة في العام لاعرض لكم اثمن ما لدي من الكؤوس واسكب لكم منها فتبتل شفاهكم الجافة ببعض ما حرمتموه من دناني . . انا الحياة . . ولي كؤوس وافخرها واجملها واعزها ثلاث .

ورفعت بيدها الكأس الاولى وقـالت : هذه هي الكأس الصفراء كأس الثروة من شربها اتسع امامه مدى العيش واقام القصور الناطحة السحاب واقتنى الارض الفسيحة الرحاب ونال ما يشتهيه من الطيبات ، وتحدى الاقدار ، ورفل بالدمقس والحرير وبسط الموائد المثقلة بما لذ وطاب من الطعام والشراب . . ورمت الحضور بقبضة من الدنانير فهجموا يلتقطونها ، وصبت لهم خمرة الثروة ، فشربوا جميعهم اما انا فلم اشرب . .

ثم رفعت الكأس الثانية وقالت : هذه كأس الكؤوس ، كأس المرأة يحفها الحب والجمال ، من شربها فرشت له الجنات تجري من تحتهـا الانهار وتدفقت عليه قبل الحسان وحملته اجنحة القلب الى آفاق الغبطة والنعيم ، وتنشق الرياحين ، وسجع له الحمام وتنقل بين الزهر والورد ، وذاق الشهد . .

واطلقت في تلك القاعات فتاة غضة بضة سمراء الوجه دعجـاء العينين رشيقة القد يفوح منها عبير الحسن وتشع عيناها بالاغراء والفتنـة فتخاطفت وجنتيها وتنافست في ثغرها القبلات . . وصبت خمرة المرأة فشرب الجميع . . اما انا فلم اشرب .

ثم رفعت الكأس الثالثة وقالت : هذه هي الكأس الحمراء ، كأس المجد ، كأس انيبال ويوليوس قيصر والاسكندر ونابوليون ، من شربها دقت له الطبول وخفقت في سمائه الرايات وسارت في ركابه الجيوش واكتسح البلـدان واخضع الشعوب وتمثـل بخمرة النصر ونصبت له التماثيل والعروش . .

ودارت على الحضور باكاليل من الغار فزينوا بها رؤوسهم . . وصبت خمرة المجد فشرب الجميع اما انا فلم اشرب . .

وكنا عشرة الاف من باثسي (هيجو) تغص بنا مئة قاعة في ذلك القصر ، وكان الجميع من حولي جائعون للحياة ويترنحون بخمرهـا ويثنون على كرمها وحناتها اذ جادت عليهم، وهم المحرومون، بساعة من ساعات نعيمها . .

وكانت الحياة تطرب لبنيها وهم يطربون ولكن سامها ان لا اكون من دعاتها المهللين وسكاراها الطروبين ، وراحت تسأل عني وقد جرحت كبرياءها ، وما لبثت ان اقبلت علي والعيون تحدق فينـا والقوم يتهامسون وسألتني من انت ؟ فاجبتها : انا الظمأ . . . الظمأ القامح ، الظمأ كله ، فقالت : ولم لم تشرب من كؤوسي التي ادرتهـا على رفاقك ؟ فقلت لها : لانها لا ترويني . فقالت : وكيف ذلك ؟ فقلت : انت تجهلين نفسك او تعرفينها ولكنك تخدعين فان تلك الكؤوس التي عرضتها وباهيت بها وسكبت فيها ايتها المرأة الضالة او المضللة كؤوس وهمية خداعة مزيفة لا تجدي فتيلا ولا تروي غليلا . انـك لا تستطيعين ان تعطي اكثر مما عندك ، وما عندك ليس بالشيء الكثير ولا هو بالترياق لعليل مثلي فلو اعطيتني كل ما لديك من الذهب ونفحتني بكل ما لديك من النساء وصـور الحب والجمال وزينت رأسي بكل ما لديك من اكاليل الغار ووهبتني الدنيا باسرها لما اكتفيت ولا هدأت نفسي . . وما الفائدة من الكأس اذا لم ترو شاربها ؟ انا هو الانسان ، انا هو الظمأ المستديم وليس في كؤوسك ما يرويني ، انا لسان من اللهيب يندلع وليس في وسعك ان تقطعيه ، انا نار ليس في يدك رمادها . . ان بينك وبين نفسي منذ تعرف احدنـا الى الاخر لفلوات شاسعات كتب لي ان اظل مكتوياً بضرامها حتى يفتح لي الله شرفة من دارك على الاخرة حيث آمل ان ارى وجه الله واذوب فيه وارتوي . . انا الظمأ ، الظمأ وانت لا ترويني . . انـا الانسان الكبير وانت الحياة الصغيرة وما هو ذهبك وما هي نساؤك وما هو مجدك اذا جاشت الجائشات في صدري واطلقت خيالي . . انا ظمآن . . ظمآن الى الله وانت كافرة، ظمآن الى الحق وانت البطل ، ظمآن الى الوفاء وانت خؤونة ، ظمآن الى الخلود وفي كاسك ثمالة الموت . . انا ظمآن خلقت ظمأنا من قوم ظامئين واجتاز صحاريك ظامئاً وساموت ولساني جاف وشفتاي المرتعشتان تتلمسان الغيب وتلتهبان شوقاً وحنيناً الى الماء الذي هو الماء والخمرة التي هي الخمرة . . ومن اجل ذلك انا واجم كئيب ، وباس يائس فلا ترأفي بي ايتها الحياة ان رأفتك لاتجدينني ولا تفخري بكؤوسك بعد اليوم ولا تسكبيها فهي توئلني ولا تكفيني . .

راعي الراعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب فرنسا الحرة

بنجمان كونستان

بقلم الياس ابو شبكة

نحمه

في مفتتح القرن التاسع عشر . اوربا في حمّى النار، والادب معقود اللواء لرؤوس الحراب ، لا يتكلم الا المدفع ولا ينشد الا شفار السيوف . قصائد العصر : مارنغو ، اوسترلتز ، ينيا ، ايلو ، فريدلان ، اكموهل ، وغرام . وشعراؤه المأذون لهم بالكلام : بونابرت ، تاليران ، فوشه ، ماسينا ، سان سير ، ناي ، دافو . وعرائسه : مدام تاليان ، جوزيفين ، كارولين ، بولين ، هورتانس .

الشعوب في غمرة من الرؤى العجيبة تصرفها ملاحم المجد عن سماع انشودة الحرية، فهي تعطي فلذ اكبادها بدون حساب مصغية الى الابطال ينظمون الياذة العصر .

ومبادي، الثورة في جميع النفوس ولكنها هاجعة لا تستيقظ الا في ارواح خمسة اوستة من رجال القلم ظلوا واقفين في العالم الساجد!

في جهة : العبقرية العسكرية ومجد فرنسا والعظمة البشرية بكل ما اوتيت من الابهة والقوة والجمال ، وفي جهة : مبادي، الثورة ورأس حكمتها — الحرية !

في جهة نابوليون بونابرت ، وفي جهة بنجمان كونستان ، رب السيف ورب القلم ! .

وانها لمأثرة جليلة ، ان يصدر السيد جان بيلين Jean Baelen مؤلفه عن بنجمان كونستان في وقت تتكالب فيه قوى الشر على قوى الخير ، قوى الظلام على قوى النور ، قوى العبودية على قوى الحرية . ولعمري ان الكلام عن رجل سلخ من حياته اربعين سنة في الدفاع عن الحرية وحقوق الفكر متعصباً لأنقى شريعة ادبية عرفها العالم، فلم يتملق لواتر ولم يكفر بوتور. ان الكلام عن مثل هذا الرجل لكلام عن مبدأ وعن حضارة ! فبنجمان كونستان لقّن عصره امثولة في السلوك السياسي وفي كرامة الشخصية البشرية . وكل امرىء يأبى على الرأي ان يكون رأي مفروض، ويفهم بالحرية انتصار الفرد على السلطة التي تريد ان تحكم بشريعة الطغيان وعلى الجماعات التي تطالب بحق استعباد الاقلية للاكثرية ، عرف بنجمان كونستان الاحقاد والضغائن التي تواجه السياسة حين يمارسها المرء بروح حرّ في معزل عن قواعد اللباقات الخبيثة . فقد رأيناه في يد المعارضة خلال



بنجمان كونستان

جميع الانظمة التي تعاقبت على فرنسا ، من الثورة الى لوي فيليب . وان يكن دافع عن الملكية في شهر اذار ١٨١٥ ، كما اطرى نابوليون بعد ان جرد عليه سيف النقمة ، ثم قبل من لوي فيليب مئتي الف فرنك كانت ديناً عليه للصير في الشهير لافيت — فلبوادر التقلب هذه ، اذا كان ثمة تقلب ، اسباب عاطفية واخرى مادية وسياسية لها صلة وثيقة بالمبادي، الحرة التي يدين بها . ولكن هذه الاسباب لم تبدل شيئاً من شخصيته الروحية ولم تمس صلابة مبادئه . فقد صان في نفسه ذلك الهيكل المنيع الذي بناه لمثله الاعلى ، فلم يتملق ولم يدهن ، ولم يبذل عقيدته الحرة المستقلة لكائن من كان ، ولم ينحدر في حياته المضطربة الى المبتذل المألوف في الدهماء .

ويقيننا ان بنجمان كونستان لم يقبل التعاون مع نابوليون في الرابع عشر من نيسان ١٨١٥ بعد ان كان لشهر خلا اهاب بالامة الى الدفاع عن العرش الملكي ، الا لان نابوليون عاد الى المبادي، الديموقراطية التي طاف اوربا باسمها . ولكي يعلن نابوليون هذه العودة اسند وزارة الداخلية الى كارنو ودعا بنجمان كونستان الى مجلس الشورى . وهكذا اعترف بسيادة الرأي العام ومبادي، الحرية التي يمثلها هذان المواطنان . ولقد كان من مصلحة فرنسا ان يقبل بنجمان كونستان دعوة نابوليون ، فوجوده في السلطة ضمان لمبادي، الحرية وشكيمة للعاهل .



السير هارولد نيكلسن
صاحب كتاب « بنجمان كونستان » ، ومدير الغرفة السياسية في المندوبية الفرنسية الحرة .

واليكم فقرة من الحديث الذي افضى به نابوليون الى بنجمان كونستان عندما استدعاه ليوقفه على السياسة التي وطن العزم على سلوكها . قال : لقد بقيت الامة اثنتي عشرة سنة مستريحة من كل هياج سياسي ، ومرت عليها اليوم سنة وهي مستريحة من الحرب . وهذه الراحة المزدوجة اشعرتها بالحاجة الى النشاط ، فهي تريد منبراً للكلام ومجالس . ولكن لا اخالك تجهل ان الاقلية هي التي ابدت هذه الارادة ، لا الشعب ، فالشعب لا يريد سواي ، فانا لست كما يزعم بعضهم ، امبراطور الجنود فحسب بل امبراطور القرويين ايضاً ، امبراطور العامة ، امبراطور فرنسا . ولا اخالك تجهل اية عاطفة تربط الشعب بي فليس لي الا ان احول نظري ليغير الشعب على الاريستوقراطيين ويفتك بهم على بكرة ابيهم ! . ولكني لا اريد انا اكون ملكاً على مجازر . فاذا كان ثمة وسائل دستورية احكم بموجبها فخير والا . . . »

وأردف نابوليون قائلا : هات رأيك يا مسيو كونستان . أنزني بافكارك . اتريد انتخابات حرة ؟ ومناقشات عامة ؟ ووزراء مسؤولين ؟ أتريد الحرية ؟ فانا اريد كل ذلك . . . انا من الشعب ، فاذا كان الشعب يريد الحرية فانا مدين له بها . لم تحدثني النفس يوماً بان ارهق الشعب لاجل لذتي ، فقد كان لي مقاصد كبرى قضى عليها القدر ولم يبق لي سوى هم واحد وهو ان انهض بفرنسا واعطيها الحكومة التي تلائمها . وقل بأني لست أمقت الحرية فأنا ابنها شربت من لبنها ولكني أقصيتها عندما حاولت الوقوف في طريقي . »

وهكذا انتصر القلم على السيف ! . وتحقق قول الفيلسوف تميستيوس للامبراطور جوفينوس : « ان يكن رجال الحرب رفعوك الى العرش فعلى الفلاسفة ان يعلموك كيف تحكم . » فجميع الحضارات متصلة القديم بالحديث في

تعشقها روح الحرية واحترامها شخصية الانسان . ولا يستطيع انقاذ الحضارة الا المثقفون !

وقد يكون بنجمان كونستان اعدل المفكرين في عصره وأغناهم فهماً لجوهر الحرية . فالحرية في مذهبه لا تعود الى الانسان عن طريق الحق الالهي ، كما هي في مذهب روسو ، بل تعود اليه عن طريق الجهد الروحي . وهو لا يجهل ان الحرية خطر على الجماعة المستأثرة المجردة من القلب وانها تؤدي الى الخرق وتجر الى طغيان جديد ، فوقف جهوده ككاتب اجتماعي على البحث عن حل وسط بين فحش السلطة المطلقة وفحش الجمهور . وقد يكون موريس باريس اخذ عن بنجمان كونستان قوله عن روسو « ان روسو يجهل مناهج العلم . فهو لا يلاحظ بل يتخيل ، لذلك رأينا الفوضى تنبثق عن مبادىء روسو . »

ومجمل القول ان بنجمان كونستان لم يشجب مبادىء الثورة التي رحب بها منذ مدرجها بل عمل على تفسيرها وشرحها لتنقلب من مبادىء فلسفة وقضائية وادارية الى مبادىء انسانية .

في السنة ١٨٣٠ اجتازت جنازة بنجمان كونستان شوارع باريس ، وكانت المنازل مجللة بالسواد وجماهير الطلاب تجسم الموكب بوفودها المتتابعة . وقد قال السيد جان بيلين ان الرومانتزم كان هناك يطالب بجثمان بنجمان كونستان . . . ولا نزع في ان الطلاب والجماهير الباريسية كانت تشيّع في بنجمان كونستان رجلا يختلف عن الذي بقي اربعين سنة يدافع عن الحرية وحقوق الفكر ، فواضع قصة « ادولف » كان قد محا في قلوب الشباب مبدع مذهب الحرية والكاتب السياسي . على ان محبة الحرية هي التي اوحت « ادولف » الى بنجمان كونستان . ولو لم يكتب بنجمان كونستان غير « ادولف » لكفاه ذلك طريقاً الى الخلود . فهذه القصة التي كتبت بلغة « مانون ليسكو » لا تقل عن هذه الاخيرة صدقاً في نوازع النفس واحاسيسها . فليس في الحقائق الصارمة الموجعة ما لم يطبعه الكاتب في هذه القصة بطابع لا يمحى فهي ملأى بالنصائح والعبر للذين يعشقون ويتألمون .

وليس ادولف سوى بنجمان في اضطراباته وقلقه ، في ضعفه وطموحه ، في تمسكه بلذات الحياة وفي تفلته منها . نراه يطمح الى السيادة ليتكلم فيسمع ويخرج الى عالم النور ما في خياله من المرامي الجليلة ، ويطمح الى الحب لينجو من سأم الحياة وضجرها ، واذ تأتيه السيادة ويأتيه الحب يستيقظ واذا السيادة اوهام والحب قبض الريح . وانه لمشهد موجع مقنط سعي المرء للتحرر من آلام لم تقدر وحب لم يفهم ! . .

وقد قال بنجمان كونستان في « ادولف » : « ويل للرجل الذي لا يؤمن في اولى ساعات حبه ، بان هذا الحب سيكون ابديا! ويل للذي يعتقد ان الاقدار ستسلخه من بين ذراعي المرأة التي يحبها »

ونرى حبيبته تعرض عن العالم من تلقاء نفسها لتوفر السعادة للرجل الذي اختاره قلبها وقد خيل اليها ان ما في قلبها من الحرارة لن ينطفىء . وان القلب الذي استوثقت منه لن ينكر عظمة التضحية التي بذلتها . لقد افتتحت هذه المسكينة حب رجل فكانت فخورة بهذا الفتح مؤمنة بجماله غير مدركة ان الحظ قد ينقلب يوماً . اما الناس الذين يشيرون اليها اشارة الغيرة والحسد فلا يقوون على زعزعة ايمانها . فقد أقسمت وستبر بقسمها . فالقسم في الحب لا يقل قدسية عن القسم في الدين . فقد أقسمت على المضي في حبها الى آخر الطريق . وماذا تعنيها جواذب الحياة المفروشة حولها ، فقد احتقرت كل شيء واغمضت عينيها الا عن جاذب واحد . عن كنز واحد هو الكنز الذي اختاره قلبها . لقد انزوت في حبها كأنها في حصن حصين ناظرة الى احلام شبابها الذهبية تتناثر في الابعاد . وكلما رأت بيتاً سعيداً تنغلق ابوابه شعرت في اعماق نفسها بجمال الحياة التي اصطفتها . وقابلت بين ما يحييه الناس من اوهام الاعياد الكاذبة والعيد الدائم الذي يحببه لها الحب .

وكما ان امرأة لم تذوق عليها الا نهالا تذوق مثل سعادتها . ويجيء يوم تمتلىء فيه كأس التضحية فتلتفت فلا ترى الا الجحود ونكران الجميل .

ايكون صحيحاً ان الحب يغذى من القلق والغصص ، وان عذاب الغيرة يهبه الحياة والنمو وان اوراقه تذبل في جو الوفاء الهني . ؟ فالحب اذاً اقسى عذاب وامر فشل ومحبة الذات اولى الفضائل واعدل الواجبات .

ورب متسائل : الى اي مغزى يرمي بنجمان كونستان في « ادولف » ؟ لقد خلص نقاده الكثيرون الى ان لا مغزى له وان هذه القصة اذا امتازت بشيء فبصدق لهجتها . بيد ان مسيو بيلين يعترض على هذا النقص في الادراك فيقول ان نتيجة القصة لا تنكر ادولف وحده بل تنكر ايضا المجتمع الخبيث الذي يحاول دس السم في عاطفة لا يجبر على احترامها كعاطفة مشروعة . ويورد مسيو بيلين تأييداً لمغزى « ادولف » عبارة وردت في مقدمة وضعت لهذه القصة ولم تنشر وهي « ان الوفاء في الحب قوة كالمعتقد الديني او كالهيام بالحرية . »

يا جمال الحب من يستطيع ان يصورك . ويا جمال الحرية من يستطيع ان ينكرك !

الياس ابو شبكة

[٢]

التفكير اجتماعياً

بين صدق النهى وكذب الاماني ... وقف الرأي والهوى ينظران
للهوى جرأة وللرأي حكم ... والبرايا لديهما شيعتان
يظلم الناس بعضهم منذ كانوا ... طال ظلم الانسان للانسان

◆

رحم الله ولي الدين ، فقد استيقظت هذه الابيات في ذاكرتي وانا اطالع ما كتبه السيد اندره فيكتور في كراسه الصغير : « التفكير اجتماعياً » وقدمه الى ناشئة الشرق ، فتيانه وفتياته . وكأني بتلك الفصول المشبعة الصادرة عن قلب وعن ضمير ، شرحٌ مستفيض لهذه اللحظة التي استغرقها الشاعر . وهل الصفحات التي املاها وجدان الكاتب الا كلمة الفصل في ذلك الصراع الموجع بين الرأي والهوى . بين رأي الحكيم وهوى الجماعة ، بين محبة النفس ومحبة القريب ؟ وكأننا بالكاتب اراد ان يحل المعضل بهذه الكلمات الثلاث : « احبوا بعضكم بعضاً » فاخذ من هذه العبارة الانجيلية انجيلا اجتماعياً خاطب فيه جميع الطبقات بلغة برئت من بهرجة الصنعة ، لا دعوى فيها ولا غرور شأن كل صنيع يريد ان يفيد لا ان يبهر . ويقيننا ان الكاتب ما خاطب الناشئة في هذا البلد الا تقيدا بجمود الياقات ، فالناشئة اقل ادعاء بالكمال من مكتملي العمر ... وهدف الكاتب ان يعلم لا ان يبين . وماذا قال الكاتب لفتيان هذا البلد وفتياته ؟ لقد قال لهم : تعودوا ان تفكروا بالغير ... فالتفكير اجتماعياً هو التفكير الانساني السليم ... لا ينبغي للانسان ان يفكر لمصلحة نفسه فحسب ، بل لمصلحة الاخرين ايضاً ... يجب ان نعترف للاخرين بالهم من الحقوق . فالشرعة الاجتماعية التي للامة يجب ان تكون مماثلة للشرعة الاجتماعية التي للفرد . التفكير اجتماعيا هو الشعور بحالة الالوف من العمال الذين يستثمرهم ارباب الاعمال ... التفكير اجتماعياً هو الاعتراف بان التاجر الكبير الذي يخزن المواد الحيوية فيمنع الشعب من العيش والعمل انما هو عنصر ردىء فاسد خطر على المجتمع .

ولم يكتف المؤلف بايراد هذه الافكار او هذه التعاليم بل اوضحها وشرحها في ثلاثين صفحة ، هي خير مثال للتفكير الانساني الشامل ، وخير دليل ان كراساً صغيراً افيد احياناً واثمن من كتاب ضخم . فقد اعطى الكاتب في صفحاته القليلة هذه صورة حية عن الرأفة التي تشرف القلب البشري وتجمله ، واوصى كل فرد بان يعمل على تهذيب نفسه وتكميلها سعياً لتهذيب المجتمع وتكميله ، فذكرنا بقول مترلنك : « كلما ازدادت نفوسنا جمالاً وتحسن خلقنا وقعنا على نفوس تزداد جمالاً وتحسناً ... » فاذا طابت اخلاقنا طابت اخلاق من حولنا ، فبين جميع النفوس تعاون حميم ، ولا تستطيع نفس ان تجمل وتتحسن ما لم تجمل وتتحسن جميع النفوس الاخرى .



على ان الذي يحول بيننا وبين التسلل الى الحقائق ويقنع الارواح بستارة كذابة هو الجشع ، هو الاستئثار بالخيرات ، هو الكبرياء لا الكبر ، هو الجهل . وهذه كلها تحفر هوة عميقة بين الانسان والانسان وتباعد بين القلب والقلب .

للهوى جرأة وللرأي حكم ... والبرايا لديهما شيعتان

شيعة الراي المظلوم وشيعة الهوى الظالم ، شيعة الحكيم وشيعة الجاهل ، شيعة الخادم وشيعة المخدوم ، شيعة الموتور وشيعة الواتر .

هوة عميقة بين الانسان والانسان حفرتها مزاعم الطبقات ، مزاعم الاحزاب ، وهذه المزاعم يجب نفيها منذ اليوم كيلا تصبح عالة على الناشئة عندما تكتمل ... وكيف تنفى هذه المزاعم؟

بدخول الانسان الى نفسه واعتناقه شرعة المحبة التي لا خلاص بدونها. يجب عليك ايتها الفاشئة وانتم ايها المكتملون ان لا تشيحوا بوجوهكم عمن ليس من طبقتكم ومن مقامكم ، وان تتصلوا بالحياة ، باعماق الحياة . . . يجب عليكم ان تقفوا امام الفقير الذي يمد اليكم يده لا لتضعوا فيها الصدقة فحسب بل لتفهموا سبب شقائه ايضاً . يجب عليكم ان تقفوا امام الصانع الصغير العاكف على عمله وان تحدثوه وتنفذوا الى نفسه فقد تجدون فيها كنوزاً من الذكاء والاخلاص والتضحية . يجب عليكم ان تعطفوا على جميع الذين ليسوا من محيطكم وان لا تفتحوا نفوسكم للاحتقار والازدراء والنميمة . ويجب عليكم . . يجب عليكم ان لا تكتفوا بمظاهر العطف بل ان تضيفوا اليها رغبتكم في الاسعاف والتعاون، فالعمل المشترك يوحد النفوس مقدار ما تفرقها الاثرة ومحبة الذات . اذا شئتم ان تجابهوا ذلك المعضل الاجتماعي الخطير بكل ما فيه من العقبات فاجعلوا المحبة في نفوسكم ، فبالمحبة تذللون كل عقبة وتصلون . اخرجوا الاثرة من نفوسكم لتدخلوا الى نفوس الاخرين . واذا شئتم ان تبنوا وطناً قائم الدعائم على اسس من السياسة السليمة فتعاونوا بارادة حسنة ، بمحبة ورأفة، اما المال فليكن وسيلة لكم لا هدفاً، فالجشع في محبة المال شر شرور المجتمع . وهل الغاية من خيرات الارض الا توفير الرفاه والطمأنينة لجميع الناس ؟ فاحتقار هذه الخيرات سبب الخصام بين الاخ واخيه ، بين المستثمر والمستثمَر ، بين الطبقات والطبقات ، بين الشعوب والشعوب .

ويعطف الكاتب على جميع معضلات العصر ، وفي طليعتها معضلة الاجور، فالاجرة هي الوسيلة الوحيدة التي يأمن بها العامل والمستخدم غوائل الدهر . يقولون : « لكل انتاج قليل اجرة قليلة ، فالعامل الذي يشتغل بوهن وخور لا يستحق الا الاجرة التي تتناسب وعمله . » ولكن الذين يرون هذا الرأي ينسون انه اذا كان انتاج المأجور ضعيفاً فلأن هذا المأجور كون تكويناً رديئاً ، فالتبعة اذاً لا تقع بكاملها عليه بل على الدولة او على رب العمل الذي كان من واجبه ان يعينه على تكوينه نفسه . وربما كان السبب في ضعف الانتاج ان المأجور لم يراقب مراقبة حسنة او ان المشرفين عليه يهملون امره كما هو اهمل امر نفسه فالتبعة اذاً تقع على رب العمل . وربما كان السبب ايضاً ان المأجور ليس من القوة بحيث يستطيع الكد والدأب، وهذا الضعف في صحته ناشيء عن رداءة قوته ورداءة قوته ناشئة عن رداءة اجرته .

ويقولون ايضاً : « ان العامل والمستخدم في الشرق يكتفيان بالقليل فلماذا يعطيان اجرة لا تتفق والحالة التي الفاها ، ولماذا يخلق لها حاجات جديدة ؟ . . فعلى هذا القول يجب الرد بان مجتمعاً يستبقي الطبقات العاملة في مستوى من الحياة لا يسمح لها بأكثر من اتقاء الموت جوعاً انما هو مجتمع وحشي عديم الشفقة . فمن حق العامل ان يعيش من عمله في بحبوحة ووفرة وان يطمح الى رفع مستواه بممارسة هذا العمل باستقامة وشرف . ان العامل في نظر بعض ارباب الاعمال ليس سوى آلة بشرية او هو دون الالة قيمة فالالة تصلح اذا ساءت او تجدد اما الانسان فلا يعبأ به لا قليلا ولا كثيرا فالادوات البشرية كثيرة . . فمن واجب المجتمع ان يعمل على مداواة هذه العلل ، ولكنه لن يصل الى هذه النتيجة الا اذا كان مشرب القلب بروح العدل والا اذا عرف ان يقدم محبة القريب على محبة المال .

قال علي بن ابي طالب : « ان الناس رجلان ، متبع شرعة ومبتدع بدعة » وكأننا بالسيد اندره فيكتور لم يبتدع ماجاء في كراسه الصغير من المبادىء الخطيرة فهي في كل قلب ينبض بالحب وفي كل عقل يعي الحق ويؤمن بشرعة العدل . على ان اتباع الكاتب شرعة الحب والعدل في زمن تخلى فيه الحق للظلم والحب للبغضاء وتكاد شرعة الانسان للانسان « شرعة الناس للناس » تنقلب فيه الى ضدها، ارتفع به الى مستوى الرجل الثاني، فهو متبع شرعة ومبتدع بدعة في آن واحد .

فكتاب مسيو اندره فيكتور صورة حية عن فرنسا الانسانية التي لا تحول . ولكان بودي ان يكون كتاب فرض لكل من يخدم في هيكل المحبة والعدل .

لقد اوصى هذا الكتاب الناشئة بان تفكر تفكيراً اجتماعياً وعلمها سن هذا التفكير على انه مصدر سعادتنا جميعا ، وعلمها ان تكون لنفسها افكاراً صحيحة تبنيها على آداب المنطق السليم فتوجهها هذه الافكار الى نعيم اجتماعي لا فقراء فيه ولا اشقياء ، يسوده الحب والمساواة ويخيم عليه الكرم والوفاء . واذا قال قائل ان المساواة من زخارف الكلام لانها تنافي بعض شرائع الطبيعة فيجب الرد عليه بان الحب اذا خلص وصفا قادر ان يرتفع بالجنس البشري على بعض هذه الشرائع .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثمالات

ستطفأ المصابيح

بقلم الياس خليل زخريا

انا لو كنت ليلا، مثلك يا ليل، لكسرت هذه المصابيح المبثوثة، التي تفتق قميصي، وترقعه باصابعها الخشنة.

يأتي واحدنا لينام غفوة في النشيش، والسكينة البعيدة، والغيبة البعيدة، فتتثاءب المصابيح في جو الارض، وتنتصب السقوف والجدران، وتتحرك الضوضاء، فتشعر كأن العتمة الناعمة التي تفتش عنها بينهم تنتظرك بخوف، تحت النافذة ... تهم ... ولا تدخل ...

تمد اليها يدك من الطاقة لتحملها وتكدسها في بيتك كما يكدس النوتي شباكه قبل الابحار، فيغمزها المصباح، بوقاحة وتبقى جاثمة على الدرب في العراء ...

انا لو كنت ليلا، مثلك يا ليل، لقطعت من فتوق نفسي خيوط المصابيح.

ومن يرتدي الثياب المرقعة غير الجبناء ؟؟؟

انا لو كنت مثلك شبحاً ضخماً لاطفأت النجوم العالية برفة ردائي.

ولزررت عب الشمس على وجه القمر.

ولنمت وحدي في سرير الارض، كلما تنهدت، ارتفع سقف السماء وهبط.

اراك تقهقه عالياً ...

..... قهقه ... عافاك الله ...

قل لي بحق رجليك، وعكاكيزك الطويلة، اين تتخبأ في النهار ؟؟ وراء اي صخر وفي لحف اي جبل ؟؟؟

لو لم تكن مجنوناً لما حلمت بالفجر ليمزق قميصك الاسود ثم يقذفك برجليه في قاع البحر ...

لو لم تكن مجنوناً لما كنت ملعباً لبنات آوى، ومسرحاً للكلاب ...

كلما اطل رأسك من شفق المغيب ارسلت العواء تخوف به النجوم ...

اضرب بعكازك الاعمى، زجاج المصابيح، وحناجر الكلاب ورؤوس بنات آوى ...

اضرب ...

ونم عندي في الجنينة على بلاط الحوض.

ولا تخف على كنوزك ما دامت في كل زاوية من زواياك زنجية سكرى تعد عناقيدك السوداء حبة حبة.

هش بعصاك.

وانزل ... وحذاريك. حذاريك جنيتي السوداء الهابطة من كهوف الاودية العالية.

لا ...

لن ادعك تفلت.

ابق معي يا ليل —

ساعقد منطقة جبتك بحديد شباكي

وستطفأ المصابيح

وتدخل الجنية السوداء.

وتنام انت، تحت النافذة ناطوراً لبيتي ...

الياس خليل زخريا

في سبيل انشاء امة

لغة الاطفال

بقلم منير النصولي

اللغة ، كما تعلم ، همزة الوصل بين الأفراد والشعوب ، وهي تتركب من كلمات ان هي الا رموز تتناول الاشياء الحسية والمجردة ، بواسطتها يتبلور في اذهاننا العالم الخارجي وندرك الاحساسات الداخلية .

يقول « جيمس » اننا نرى الاشياء في الاشياء التي تستهوينا منها ، بنسبة العوامل المغرية ، عوامل تختلف عند الافراد حسب مزاجهم وميولهم .

فالطفل الذي يتبدل في تطوراته يمر في اطوار مختلفة تجعل من ادراكه الاشياء ادراكاً يتلاءم مع نفسيته ، فاذا به يقتبس اللغة تدريجاً الى ان يصل الى ما نحن عليه .

فبينما يكون الطفل في سريره يتلاعب بصوته ، فيسر لسماع نغماته ، وتطرب امه « لمناغاته » ينتظر العالم تكويناً صحيحاً في سبيل انشاء امة بشغف وشوق . فان عجز صغيرنا عن التحكم بنغمات خاصة فهو مع الزمن ، وعندما يأخذ النمو حداً معيناً ، يقوى على توديد نغمة اعجبته Echolarie عن طريق التقليد السمعي ، ويطرب لها ويطرب للسلطة التي حاز عليها . فهو من الوجهة الفزيولوجية في بدء الامر عالمي في التصويت ، يظهر مخارج الحروف العربية وان كان فرنسياً ، هذا ما يصعب عليه فيما بعد عندما ينطق بلغة ابائه واجداده ، هنالك عادات عضلية تتكون فتأخذ في الرسوخ مع الزمن حتى انه يخيل اليك انها من عوامل الوراثة .

فهو يبتدع لغة في اول امره عن طريق التجارب ، ليرضي غرائزه وما صراخه احياناً الا اعلان صريح عن طلبه الحليب ، وقد بدأت تفهمه تلك الام الحاذقة ، فهي تبادر لاعطائه ثديها كلما سمعت اشارة الخطر ، ولكن علمي النفس وحفظ الصحة قضتا بوضع حد لتذمر الصغار ، فهيئتا لتربيتهم عادات حسنة .

ان عملية اقتباس اللغة تتطلب وقتاً طويلاً كيما يقوى النضج الفزيولوجي والفكري ، متى تبدأ هذه العملية ؟ . ان أحسن قصة يمكننا ان نستشهد بها للجواب على ما تقدم هي قصة تلك المرضعة الالزاسية مع طفل وهو في الشهر الثالث من عمره (١)

(١) راجع العدد الاول من الاديب « زهرة تتفتح »

وهنالك علاقة كبيرة بين عمل الفكرة واللغة التي يخاطبوننا بها

— كل نني لآخدك عتتش

— خدي البوبي يا قرقوره

— بتشرب مبوو ؟

كل طفل منذ ولادته يتعلم ثلاث لغات ، عليه ان يفهم لغة قومه التي يجب ان يتكلمها يوماً ، وعليه ان يفهم اللغة التي يبتدعها له اهله ، واللغة التي يصنعها هو كصلة وصل .

تدبر أيها الصغير ، واختر مايروق لك من بين هذه السفاسف العديدة التي يقدمها لك من يحبك من صميم قلبه .

ها هو بسكال ينظر بانتباه وسكون الى هندسة الفسيفساء في ردهة بيته . . .

وها هو الطفل ذو الميول الخاصة ينشأ بين افراد عائلة فنانين ، فلا يهتم الا باسماء السيارات وانواعها .

لقد برهنت Mlle Descœudres بان ابن الوسط الغني يكون في اول الامر اغنى بلغته من ابن البيئة الفقيرة .

ان اكتشاف معنى الكلمات يكون قفزة قفزة ، فالولد الذي يفتكر في عالم الخيال ، يرجع الينا بغتة بواسطة الكلمات التي ننطقها .

هكذا يتكون الفكر واللغة بين اخذ ورد فيمر الطفل في دور التعداد ثم الوصف الى ان يدرك الصلات المنطقية .

على ان الاسئلة العديدة التي يطرحها علينا الصغير تدل في غالب الاحيان اما على رغبته في التعرف الى اسماء الاشخاص او على مشكلة منطقية وقف الطفل منها عاجزاً ، فليكن جوابنا جواباً محكماً . استمع لتلك الابنة الصغيرة وهي تسألك :

— امياه هذا النهر مالحة ؟

— لا طبعاً ، فكري قليلا . . . اذ لا يمكن لمياه هذا النهر ان تكون مالحة طالما مياه نبعه عذبة والا كيف نشرب منه ؟

فاذا بالابنة تفكر قليلا وتقول مستغربة :

— ولكن البحر مالح وما الانهار الا ينابيعه .

ان ما يدهشنا في اكثر الاحيان هو شدة نزعات الطفل ، شدة تنم عن فكر متوقد ، بر هو ايضاً بازمة نمو وانما الفترات التي يمر فيها الانسان ، ويكون فيها صريحاً في عواطفه بقدر صراحته في الفترة التي يبدأ فيها بان يشعر ، لهي قليلة ، ولذا فان اهمية بعض اعمال الاطفال تفوتنا تماماً ، نحن الكبار .

منير النصولي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صه عدائق الحضارة العربية

الفيلسوف الساحر ـ الطبيب المتنبي

بقلم جبور عبد النور
استاذ الفلسفة في الكلية العلمانية

الدنيا الاجتماعية والادبية والعلمية التي حفلت بها حضارة العرب في ابان نموها، واوج ازدهارها، كانت دنيا زاخرة بالجديد المبتكر، والغريب المبتدع.

وكان الفكر قد دق في بحثه، وتشعب في تخصصه، وبلغ العرب في قرن وبعض قرن لطافة في التعبير الفكري لا يرى لها مثيل الا في امم نادرة، حتى اصبح الفارسي، وهو غذي المذاهب المشهورة، والتركي والارمني وحفيد السلالات السامية، وهم رضيعو الثقافة اليونانية؛ يطلقون لغاتهم الهرمة العيية، ويحملون بالسنتهم تقويماً لتنقاد لهم الفكر الشاردة، والاخيلة اللطيفة.

واذا بهذه اللغة العجيبة، التي نبتت كالكمأة في الصحراء، حيث لا علم ولا فن، وحيث كادت تتحجر الصور الشعرية في تعابير وتشابيه خاصة محدودة، تتفلت من قيودها، بعد عهد الدعوة والفتوح وتصطبغ بصبغة جديدة مشرقة، وتثبت لزعماء الفكر ان نبتة الصحراء وحبقر، لا تقل حيوية عن غرسة الارخبيل والاولمب.

كاد يكون زمن النضج «صندوق دنيا» فيه من كل لون وجنس، وملة ونحلة، جاؤوا من مشرق الارض ومغربها، ينهلون من منابع العلم ويستهدون بمناراته، ويملأون صدورهم حكمة ومعرفة وادباً وجمالا.

ما عرفت العصور الغابرة فاتحاً متبدياً، انتقل من الطور القبلي الى عهد الغزو والفتح، الا ضاق صدره بحضارة الامم المغلوبة ومعالم فنها، ورفعة علمها، فاعمل السيف في الرقاب، والنار في الآثار القديمة، وانكر على اصحاب الفكر فضلهم، وحاول ان تتسلط قوة يوم على مدنية اجيال، وبطش فاتح جافي الطباع، على رفاهية متحضر انيق.

غير ان العربي ما احرق وما هدم، وما استبد وما قهر، وما رنحت بسطة النفوذ عطفيه، وما ازدهته الاقاليم التي دانت له. لم يؤله القوة، بل حولها الى اداة توفيق وتمدين وتحضير، فكان من اول ثمارها، انه رقى عقله، وهذب عيشه، وشذب عاداته، وصقل طباعه. ثم كان من نعم تلك القوة الفتية انها ساعدت الشعوب التي تدافعت في رقعة نفوذها، والاجيال التي تداولتها الحياة فيها، على التكاتف في خدمة الرسالة العربية. واستأثرت بالتراث القديم، من نتاج الاغريق والفرس والهنود، توأمن له تربة آمنة، وجواً مطمئناً، وصدوراً واعية، وعقولا خصبة مولدة. ومن هذه الحديقة الوسيعة التي وجد فيها كل قوم، وكل دين، مكاناً يزرع فيه غرسه، نقتطف ثمرتين.

الفيلسوف العامر

لما ورد ابو نصر الفارابي على سيف الدولة .. اخذ يتكلم مع العلماء في المجلس في كل فن ، فلم يزل كلامه يعلو ، وكلامهم يسفل حتى صمت الكل ، وبقي يتكلم وحده . ثم اخذوا يكتبون ما يقوله . فصرفهم سيف الدولة ، وخلا به . فقال له : هل لك ان تأكل ؟ فقال : لا . فقال : فهل لك ان تشرب ؟ فقال : لا . فقال : فهل تسمع ؟ فقال : نعم . فامر سيف الدولة باحضار القيان . فحضر كل ماهر في هذه الصناعة بانواع الملاهي ، فلم يحرك احد منهم آلته الا وعابه ابو نصر الفارابي وقال : اخطأت . فقال سيف الدولة : وهل تحسن في هذه الصنعة شيئاً ؟ فقال : نعم . ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها ، واخرج منها عيداناً وركبها ، ثم لعب بها ، فضحك منها كل من كان في المجلس . ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب بها فبكى كل من كان في المجلس . ثم فكها وغير تركيبها وضرب بها ضرباً آخر ، فنام كل من في المجلس حتى البواب ، فتركهم نياما وخرج (١) .

الطبيب المتنبي

قيل ان ثابت بن قرة اجتاز يوماً ماضياً الى دار الخليفة ، فسمع صياحاً وعويلا ، فقال : مات القصاب الذي كان في هذا الدكان ؟ فقالوا : اي والله يا سيدنا ! البارحة فجأة . فقال : ما مات ، خذوا بنا اليه . فعدل الناس ، وحملوه الى دار القصاب . فتقدم الى النساء بالامساك عن اللطم والصياح ، وامرهن بان يعمان مزورة ، واوما الى بعض غلمانه بان يضرب القصاب على كعبه بالعصا . وجعل يده في مجسه ، وما زال ذلك يضرب كعبه الى ان قال : حسبك . واستدعى قدحاً واخرج من شكة في كمه دواء ، فذافه في القدح بقليل من ماء ، وفتح فم القصاب وسقاه اياه فاساغه ، ووقعت الصيحة والزعقة في الدار والشارع بان الطبيب قد احيى الميت . فتقدم ثابت بغلق الباب وفتح القصاب عينيه ، واطعمه مزورة ، واجلسه ، وقعد عنده ساعة ، فاذا اصحاب الخليفة قد جاؤوه يدعونه ، فخرج معهم والدنيا قد انقلبت والعامة حوله يتعادون الى ان دخل دار الخلافة . ولما مثل بين يدي الخليفة قال له : يا ثابت ، ما هذه المسيحية التي بلغتنا عنك ؟ قال : يا مولاي كنت اجتاز على هذا القصاب والحظه يشرح الكبد ، ويطرح عليها الملح ويأكلها . فكنت استقذر فعله اولا ، ثم قدرت ان سكتة ستلحقه ، فصرت اراعيه ، واذ علمت عاقبته انصرفت وركبت للسكتة دواء استصحبه معي في كل يوم ، فلما اجتزت اليوم وسمعت الصياح والعويل علمت ان السكتة قد لحقته . فدخلت اليه ولم اجد له نبضاً . فضربت كعبه الى ان عادت حركة نبضه ، وسقيته الدواء ، وفي غد يخرج من بيته . (٢)

... وقد نعود الى هذه الحديقة في نزهة ثانية

جبور عبد النور

---

(١) ملخصة عن ابن خلكان : وفيات الاعيان ، طبعة الميمنية ج ٢ ص ٧٧ مصر ١٣١٠ هـ

(٢) ملخصة عن ابن القفطي : كتاب اخبار العلماء ص ٨٤ طبعة مصر

اساطير لبنانية

بقلم شفيق طبارة

◆

في البدء عبد الانسان الارض ، ولما امحل الزرع رفع بصره الى السماء ، فتخيل فيها قوى تمنع الخير . فاستغاث بالاجرام ، فعبد الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب ، وكانت كلها في نظره آلهة . ثم رأى ان تلك المعبودات لم ترد عنه عوادي الزوابع والسيول والرياح فقدس الظواهر الطبيعية وصلى لها ، وسبح بحمدها ، وقدم باسمها القرابين ، وتمثلها باشكال الانسان والحيوان ، واقام لها الهياكل ونسج حولها الاساطير .

والاسطورة هي رواية خيالية تتجلى فيها الحياة العقلية لما غبر من العصور ، وهي فن من فنون الادب يطرب خيالها المسامع ، وتخبر عن عقائد الاقدمين ما يلذ الباحثين . والفينيقيون كالامم القديمة كانت لهم اساطير كتب لها الخلود وانتظمت في سلك الاساطير العالمية . ومما نسب اليهم اسطورة ادونيس ومن حديثها ان ادونيس الآله الفتى الجميل قد خرج متصيداً في غابات لبنان ، فرأته عشتروت ربة الحب والجمال ففتنها حسنه وشغفت بها حباً ، فشاع خبر هذا الحب حتى بلغ الآله (مارس) وكان يعشق عشتروت ، فوقعت الغيرة في قلبه وصمم على الفتك بادونيس ، فتمثل له في صورة خنزير بري وضربه بانيابه ضربة هوى على اثرها ادونيس ميتاً عند مغارة (افقا) وشربت دماءه الارض فانبتت زهرة (شقائق النعمان) ونمت حتى امتلأت بها المروج . وشاهدت عشتروت هذه الفاجعة فانطلقت تندب حبيبها وتبكيه حتى استيقظت الطبيعة وعبست السماء وانتفضت الارض واضطربت مياه نهر ابراهيم وتدفقت غاضبة بلون احمر الى عباب اليم وشعر كبير الالهة (جوبيتير) بما دهى عشتروت فرثى لحالها واعاد الحياة الى ادونيس فقرّت به عين عشتروت وتحول حزنها فرحاً وغمها سروراً ونعمت معه بطيب الحياة .



ويرى اليوم زائر قرية (الغينه) رسماً منقوشاً على الصخر يمثل ادونيس في يمينه رمح يدفع به الوحش الضاري وبالقرب منه عشتروت ترنو اليه وتبدو على وجهها امارات الحزن الاليم . وفي هذه الاسطورة رمز بديع لفكرة البعث وعودة الخصب الى الارض بعد الجفاف واحتفل الاقدمون بذكرى ادونيس وأقاموا له المهرجان فتغنت بقصته الاجيال وكتب اسمه في الخالدين .

ومن اساطير اللبنانيين اسطورة طريفة تصور « شباط » رجلا من اهل الظرف والدعابة مع تقلب في الرأي وكره شديد للعجائز . وهذه الاسطورة ذات علاقة بمعتقد الفينيقيين الذين ألهوا قوى الطبيعة وحسبوا الشتاء رمز الموت حسبانهم الربيع رمز الحياة . وهناك من

ينسبها الى ايام برد العجوز السبعة المعروفة عند العرب وتسمى المستقرضات ، زاعمين ان عجوزاً دردبيساً تدثرت بكل ثقيل لتأمين غدر البرد الشديد ، فأضمر شباط لها الكراهة والبغضاء ، ولما صار اليه الحكم في الطبيعة سلّط على الارض ريحاً صرصراً عاتية أثارت البر والبحر وأوشكت ان تقضي على كل ذي حياة . اما العجوز فراحت تضرم ناراً وتستدفىء الى ان بلغ الشهر عقده الثالث فتنفست الصعداء وهتفت قائلة : « مضى شباط وفي قفاه مخباط » وكأنما اثر في شباط مقال العجوز ، فنوى ان يغتالها ، فانطلق من فوره الى اذار وطلب اليه ان يقرضه مدداً ثلاثة ايام شديدة البرد وقال له : « يا اذار يا ابن عمي ! ثلاثة ايام منك واربعة مني لاجعل العجوز توقد دولابها ، وتضع رأسها بين ركبها » فأسعفه اذار ومضى شباط يصب على رأس العجوز الارزاء طيلة ايام المستقرضات السبع ولما استنفدت البائسة ما عندها من الحطب هرعت الى الدولاب وطرحته في المدفأ ، واذ نفد كل ما عندها من الوقود ماتت لساعتها من الزمهرير ، وفاز شباط الخبيث وكتب له على العجائز النصر المبين . ولهذا نرى اكثر الطاعنين من الجنسين يهابون شباط .

وهناك اسطورة قديمة تناقلها الناس جيلا بعد جيل حتى انتهت الينا وتمثل اعتقاد بعض الاقدمين في الشمس والقمر فقد كانوا يعتقدون ان هذين الكوكبين لا ينالهما كسوف او خسوف الا اذا وقعا فريسة لشرير من العمالقة . وكان غيرهم يعتقد ان حوتاً هائلا ينقض على الشمس او القمر ليبتلعها ، ودأبت العامة عند الخسوف او الكسوف على قرع التنك بشدة ، ليسمع الحوت فيخاف ويولي الادبار . ومما يروى في ذلك ان الملك هلاكو دعا النصير الطوسي ليحدثه بمعلومات الغيب ، فقال له الطوسي : ان القمر سيخسف في الليلة الخامسة . فقال له الملك : ان صدقت اطلقتك وأكرمتك والا قتلتك . وأمر بحبسه الى تلك الليلة فخسف القمر واتفق ان هلاكو كان نائماً فلم يجسر احد على ايقاظه فقال الطوسي : ان لم ير القمر بعينه أصبحت مقتولا ففكر هنيهة ثم قال : دقوا الطاسات . فدقوا حتى انتبه هلاكو ورأى القمر مخسوفاً فخلى سبيل الطوسي وأجازه وبقيت هذه العادة بعده .

ومن المعلوم ان اللبنانيين القدماء قد عبدوا الشمس واستمرت تلك العبادة امداً طويلا وأثرها ما برح ظاهراً الى اليوم . ويتضح ذلك من ان عادة الاولاد ان يرموا بالاسنان الحليبية الى الشمس لئلا تنبت عوجاء ويتوجهون بالدعاء قائلين « يا شمس يا شموسه خذي سن الحمار واعطينا سن الغزال » .

ومن المعروف ان للقطط عند عوام اللبنانيين منزلة خاصة ، فهم يتجنبون قتلها ويعتقدون انها ذات سبعة ارواح . وقد اخذنا هذه العقيدة عن الفراعنة ايام كان لبنان خاضعا لسلطانهم ، وحافظنا عليها على مرور الاجيال . وفي التاريخ ان الفراعنة كانوا يعبدون اله الحب : بدنه بدن انسان ورأسه راس قطة ، ويزعمون ان الارواح والجان تتلبس اجسام هذه القطط وتظهر باشكالها ، وكانت قوانينهم تقضي بالقتل على من يقتل احداها . ولقد أفاض الرحالة « هيرودوت » في وصف تقديس قدماء المصريين للقطط وذكر ان من عادتهم ان يحلق شعر لحيته علامة الحزن عليها . واقتدى العرب بجيرانهم في ايام الجاهلية فاتخذوا من الاصنام صنما برأس قطة وعبدوه .

ويعتقد بان القطة لا تقع الا على اطرافها .. وفي ذلك قالت العامة بيننا « فلان مثل البسين كيفما رميته بيجي واقف » و « فلان مثل القطط بسبعة ارواح » مما جرى مجرى الامثال . ومن اساطير الاولين ان القطط وجدت من عطسة الاسد ... قال الجاحظ : زعم بعض المفسرين والرواة ان اهل سفينة نوح اضر بهم الفأر فعطس الاسد عطسة فرمى بزوج من السنانير » فكان السنور أشبه شيء بالاسد . وقال كسبان : يحق ان يكون هذا السنور « آدم » السنانير .. وتلك السنورة « حواءها » ..

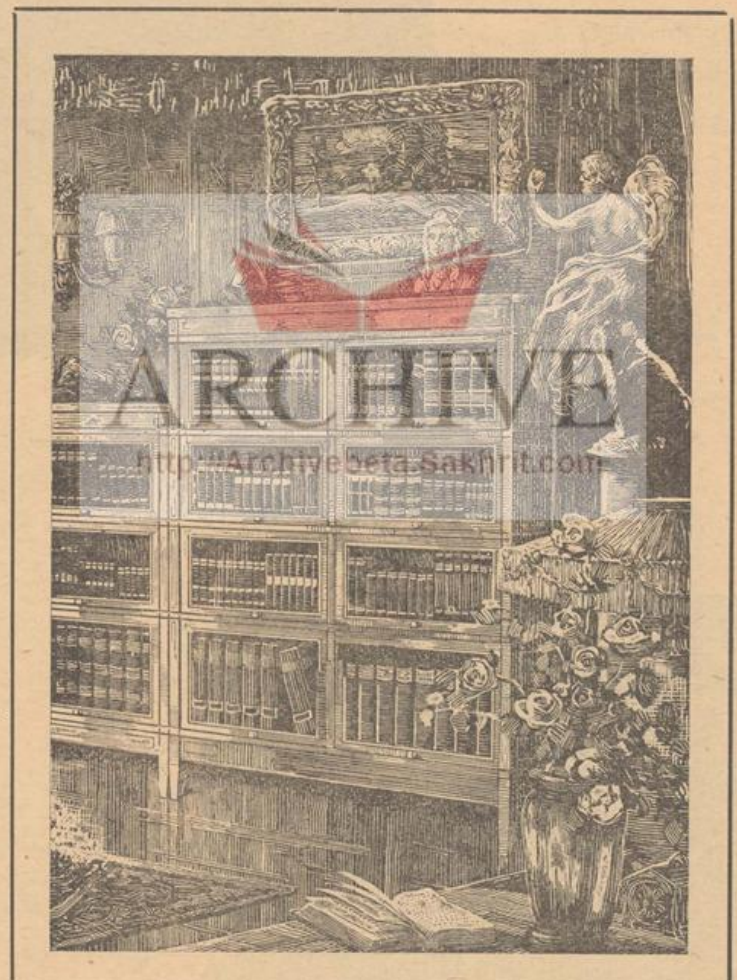
هذا عرض موجز من اساطير العوام في لبنان ، ولا شك ان الناظر في هذه الروايات الخيالية يجد الكثير مما يربطنا بالاوائل ويحيط اللثام عن تفكير اللبنانيين الاقدمين . واذا كان الادب صناعة فهذه الاساطير « مصنوعات » ... وطنية وثروة ادبية جديرة بان تكون « مواد اولية » لفن القصة . وهي لقدمها « تحف » نفيسة خليقة ان تحفظ وتعرض على الجمهور . وقد عنيت بطائفة منها جمعاً وترتيباً وتأويلا ، ليكون العلم بها علم رواية ودراية ، وذلك على نمط ما فعل اهل الغرب في اساطيرهم لا كما يمر اكثر ادبائنا بها ساهين عما في طياتها من خيال وابداع .

شفيق طبارة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المطالعة في زمن الحرب

اصبحت المطالعة من اكثر وسائل السلوى شيوعاً في انكلترة. واسباب ذلك عديدة، منها طول ساعات الفراغ التي يتمتع بها رجال الدفاع المدني الذين تم تدريبهم فأقاموا ينتظرون ساعة انتدابهم للعمل الجدي، والاجازات الممنوحة للجنود مناوبة، والسهرات الطويلة قرب المدافىء في البيوت اذ ينصرف العمال الى الكتب لقضاء الوقت بدلاً من الذهاب الى دور السينما والمسارح كما كان شأنهم في الماضي.

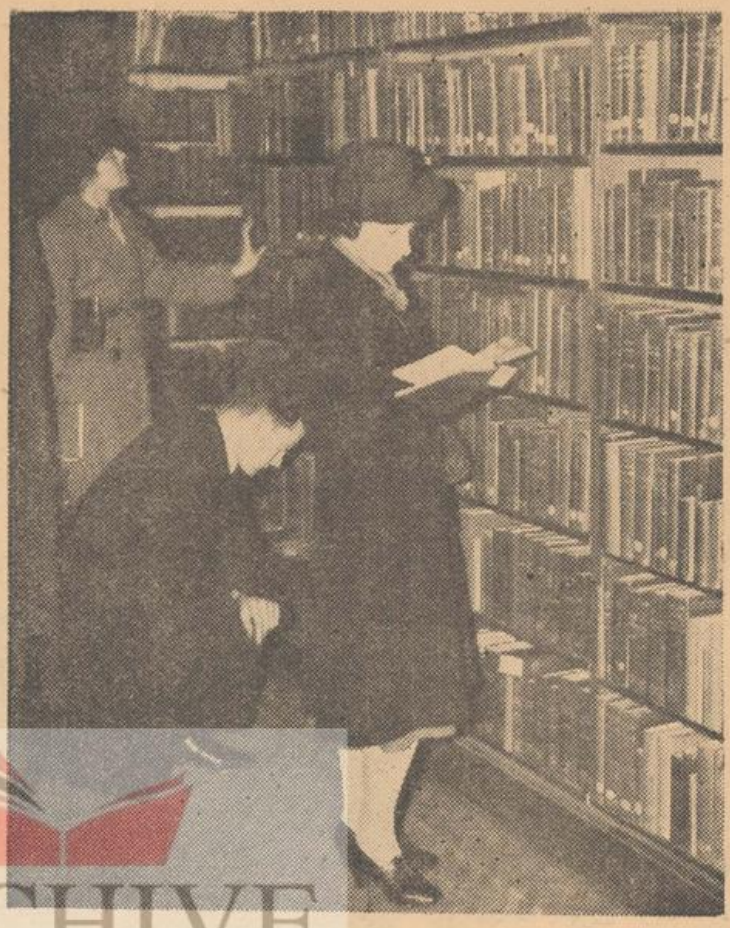


ولا شك ان قلة الورق في ايام الحرب قلات عدد الكتب الجديدة المطبوعة كل سنة، فاتجه الناس طبعاً الى المكاتب العامة حيث المجلد الواحد لاتنحصر فائدته في الشخص الذي ابتاعه، بل يطالعه مئات من المترددين على المكتبة. وقد كتب المستر فرنسيس هاردنج احد معاوني الاطفائيين المقال التالي عن حالة المكاتب العامة الكبرى في البلاد البريطانية:

ان الذين لم يشهدوا منا حرباً قبل هذه، واجهوا في ايلول ١٩٣٩ بداية عهد مضطرب شديد الخطر. فقد حسبنا ان الانخراط في الجيش او في قسم الدفاع المدني يعني انشغالا متواصلا بدون انقطاع، على ان العامين والنصف الذين انقضيا علينا في هذه الحرب اثبتا لنا كم كنا على خطأ.

اجل! ان بعض الغارات التي شنها العدو على بلادنا شغلت عمال البلاد اياماً متواصلة، لكننا على الرغم من ذلك وجدنا اوقاتاً طويلة لا عمل فيها. وهذه الاوقات الفارغة صرفت عناية العمال الى المطالعة. فاذا اضطر المرء حيناً الى البقاء داخل الابنية بلا عمل وجد في الكتب منجاته من السآمة. على ان اوقات الفراغ لم تكن وحدها الحافزة على المطالعة. بل هنالك سبب آخر ذو شأن وهو ازدياد التفكير الذي احدثته في الادمغة الحرب الحاضرة نفسها. فالناس اليوم لا يأخذون كل شيء على علاته، بل يريدون ان يعرفوا كيف وماذا ولماذا. ان كفاح الديمقراطيات ضد الفاشية اثار في الاذهان مسائل تهم كل المفكرين. والاتصال الوثيق غير المعهود قبلا بين افراد الناس انتج من المباحثات والمجادلات ما لم يكن لنا به عهد، زمن السلم. ولا مشاحة في ان السبيل الوحيدة لتغذية هذه الرغائب انما هي الكتب.

ثم ان بعض الكتب تشكل بطبيعتها الروائية وسيلة للتسلية بعد التعب، شأن السينما والمسرح.



مكتبة سنت برايدز العامة

بعض العمال من شارع فليت ينتخبون كتباً ليطالعوها في فراغ آخر الاسبوع . وهذه المكتبة من المكاتب القديمة العهد ومركزها قريب من قلب لندن .

◆

وقد قامت المكاتب حتى الان بتغذية الراغبين من كل النواحي ، مثال ذلك : لما دخلت روسيا الحرب صار كل انسان يهتم لمعرفة احوال الاتحاد السوفياتي واساليب الحكم فيه . فعنيت مكاتب عديدة بتسهيل منال الكتب التي تكفي هذه الرغبات . ومن هذه الخطة تفرعت خطط اخرى . فقد صارت المكاتب تقدم لوائح وامثلة من الكتب التي تعنى ببعض الشؤون العامة في الدول الاوربية والاميركية والاسيوية . ولا سيما الشؤون التي تشغل اليوم افكار العالم باجمعه . وكلما طلب من المكتبة كتاب غير موجود لديها عملت حالا على جلبه وعرضه .

وهذه الزيادات هي التي جعلت مكتبة « ايلنج سنترال » مثلا تضيف جناحاً جديداً الى بنايتها . وكل هذا يدل على اننا مع قيامنا فعلا بكفاح موت او حياة نجد وقتاً ومالا لاشباع رغباتنا الثقافية .

كان طالبو القراءة يكثرون في المكاتب العامة عادة ايام السبت بعد الظهر . اما اليوم فصارت قاعات المطالعة تعج بقاصديها كل ليلة ،

◆

مكتبة منشستر العامة

وهي واحدة من احدث المكاتب العامة واكملها في انكلترا . مركزها في قلب مدينة منشستر .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وليس بعد ظهر السبت فقط . وهذه الجماهير مؤلفة من طبقات مختلفة متعددة. فرجال الطيران يطلبون الكتب الفنية ، ورجال الدفاع ضد الطيران يرغبون في الروايات الخيالية ، والجنود يبحثون عن الكتب المثيرة المهيجة للاعصاب . وفي كل ناحية من نواحي المكتبة تجد الطلاب يطوفون كالمشترين امام الباعة في المخازن .

هذا الميل الذي نشأ في ايام الحرب لن يضمحل وقت السلم . فالرغبة في المطالعة اذا حلت في القلب فهي تعلق به ولا تزول . وهكذا تكون المكاتب العامة قائمة بعمل صالح لا ريب فيه .

◆



الاولاد المشهورون

تعتني المكاتب العامة في انكلترا بخدمة الاولاد اعتناءها بخدمة اهلهم . وهذه صورة بعض صغار المقترضين للكتب ينتخبون الروايات التي يحبونها في احدى مكاتب لندن العامة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الى اليسار :

مكتبة تتفرهام العامة

هذه مكتبة كبيرة في احدى المقاطعات الانكليزية . ويرى المشتركون فيها ينتخبون كتباً في مواضيع مختلفة تهمهم ، من فلسفة الى تاريخ الى وصف رحلات واماكن وغيرها .

◆



نشرت بأدن من مالكتها الانسة ندى

النجوم

بقلم الدكتور حبيب نابت

●

مراكبُ، الجوّ مراسيها ... مجرة الافق شواطيها
تشردُ في الليل على نورها ... احلامُنا وتلتقي فيها
مشاعلٌ في العمق وهاجةٌ ... يضيئها الله ويطفيها
كأنها الاعمار في كفه ... ما شاء يحييها ويفنيها

☆☆☆

لئالىء في الجو منثورة ... تشع من بُعدِ اقاحيها
علقها الليلُ على اذنه ... ليلا وباهى بتدلّيها
عرائش في الافق مرفوعة ... طيب الليالي من دواليها
حمائم في الجو نوّاحة ... نمنا على نوح قماريها
رسائل بيضاء منشورة ... كف الغيوم السود تطويها
فيها رموز بين طياتها ... محبات عنا معانيها

☆☆☆

كوى، طريق الله ابوابها ... مفتوحة في وجه باريها
تطل منها الحور عريانة ... فتسكر الدنيا وما فيها
سهل من الانوار اغنامه ... تصغي الى مزمار راعيها
ترعى الاماني الزهر في سهلها ... وترتعي ليلا بواديها
غاباتها نور وانهارها ... نور، ونور في روابيها

☆☆☆

عشنا بها في بعض ايامنا ... اذ نورت دنيا الهوى فيها
نطير من نجم الى كوكب ... ونجتني زهر امانيها

(من عشتروت) حبيب نابت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حيث التراب المسن يلد الشباب

اذا عدل المؤرخون غداً في تمييز الشعوب التي استبسلت في هذا المعترك الهائل الذي يرجع فضل الغلبة فيه الى الفولاذ والحديد، فسيفردون للشعب اليوناني صفحة تكون نسيج وحدها في تاريخ هذه الحرب . فلأشهر خلت وقف الجندي اليوناني ليذود عن حياضه وليس لديه ما يجابه به عدوه المتفوق عدداً وعُدداً الا ايمانه بقدس قضيته وتراث اجداده ، وكأن اليونان فتحت قبورها واخرجت البطولة من عظام ملتيادس وليونيداس، ولم يزح اليونانيون الذين قاموا بواجبهم رافعي الجبين ودافعوا عن صعيدهم شبراً شبراً الا تحت وطأة العدد والعُدد .

وما اعظم التاريخ ثدياً لابنائه . . فلكل حجر في اليونان اسم مجيد ، وعلى كل شاطىء ذكرى عظيمة . وقد تمحي عواصم وتنهار دول ولا يستطيع طاغوت مهما طغى ان يصهر ولو اسم بقعة من بقاع اليونان في أخرى . فهذا التراب المسن الذي التقت فيه الحكمة والبطولة مسجل على جبين التاريخ الى دهر الداهرين .

لقد تمحي عواصم وتبقى اثينا وتضمحل دول وتبقى اليونان .

وبعد فالى القراء قطعة من البيان الراقي دبجتها يراعة الكاتب المستنير السيد ماريو مونيه باللغة الفرنسية ونشرتها « غازيت دي لوزان » في العاشر من كانون الثاني الفائت ، وفيها وصف رائع لمدينة اثينا واكربولها المشرف على معابر الابطال .

« ان يكن ثمة مدينة ، بعد باريس ، يرتد اليها في كل حين ارق ما فينا من الاحساس فهي اثينا ، عاصمة اليونان امّ الفنون والعلوم والآداب . وما كانت النكبة التي ألمّت بها الا لتزيد غيرتنا عليها وتنمي وفاءنا لها وتؤكد ما نحن مدينون به من الجميل لماضيها المجيد . فأثينا كانت في الواقع حاضرة العبقرية ، على حدّ ما قال الشاعر بندارس . واننا لمدينون لهذه المدينة الخالدة بأجمل ازهار يمكن الذكاء البشري ان يزدان بها : بتذوق العقل ، وتكريم الجمال ، ومحبة الفكر ، وغريزة البحث والاستقراء ، وعزة الحياة ، والاحترام المقدس لشرائع الوجدان .

« ولكن كيف نفكر في اثينا من غير ان نتخيلها من اعالي الاكربول ؟ فالاكربول هو في الواقع حصن تلك المدينة الازلية ، بل هو « مدينتها العليا » ، وعلى اقدامه كانت تمتد في الماضي الشوارع الضيقة المشتبكة في الحاضرة التي رأى فيها سقراط النور كما تمتد اليوم الجادات الفسيحة في اثينا الجديدة . وان مجد هذا النجد الصخري الذي آوى في الماضي ملوك اثينا الاول ، ثم اتخذ سوراً مقدساً لهيا كل الآلهة التي كانت تحرس المدينة وتصونها ليعدل في المعمور شهرة اعظم الممالك التي



عرفها العالم . وهذا النجد المكوّن من طود صخري مستطيل وردي اللون مسطح على عرض فسحته المرتفعة ، منيع الا من جهته الغربية ، تنقض جدرانه الشاهقة انقضاضاً عمودياً ويوحد ذهب الشمس ما عليها من الشقوق والنواتىء . ويرتفع هذا الصخر دفعة واحدة منعزلا في سهل اصهب منثور عليه شجر الزيتون ، قائماً في وسط دائرة من الجبال الشجية الاسماء ترتدي اكنافها الضامرة في المساء ، عند غروب الشمس ، لوناً ليلكياً من الشفف والصفاء بحيث تبدو قممها كأنها تكلل بالبنفسج جبين اثينا الرخامي ..

«على هذه القاعدة التي نحتت لتعرض لابصارنا اجمل المآثر التي شيدتها العبقرية البشرية لتجذب الالهة وتشعرنا بجلولها المجيد تنتصب خرائب البارثنون ، هذا الهيكل العجيب الموقوف لبالاس ، الآلهة البسالة المستنيرة بالروح ، المهتدية بالقلب .

« بأي حنان حار اذكر اليوم تلك الساعات التي صرفتها على هذه الصخرة المقدسة ! فقد كنت اقضي ساعات النهار والليل ، جالساً تارة على قطعة عمود من الرخام الناصع وطوراً على اساس الهياكل الخالدة ، اتأمل الاكربول مملياً الروح من تنوع ما تراه عيناي من مشاهده . فعند طلوع الشمس ، حين تسيل دفقتها الاولى من قمة الابيت المستطيلة كسهم من المعدن في اثناء سبكه ، تبدو اعمدة البارثنون في اجمل لون على اجمل زهرة . وعند الظهر يبدو النور السني كأنه يحمل في زرقة السماء الراعشة هذا الهيكل العظيم المفتوح كالكأس لاشعة الشمس . وفي المساء ، في تلك السكينة التي ينشرها المغيب الذهبي في سماء مشبعة بالعطور ، تتخايل على الصخرة اشباح ليلكية جبارة وقد استحالت هذه الصخرة ارجواناً وقاراً .

« ومن هذا الحصن الذي تبدو عبقرية اثينا كأنها شيدته ليحرس انبل ما وعته عبقرية الانسان يترامى النظر الى المجمع الذي علم فيه افلاطون ، والى السجن الصخري الذي مات فيه سقراط ، والى المنبر الذي علم فيه القديس بولس الانجيل لعبّاد الله المجهول ، والى هضبة البينكس التي تألب فيها شعب اثينا ليهتف لبركليس واشين وديموستين ، واخيراً الى المسرح الذي رنّت فيه اشعار اخيل وسفوكلس واريستوفان واوربيدس . فهذا المقدار من العظمة يهب الروح البشري كبرياء مصيره ، ويطهره من جميع اقذاره ، ويحثه على الحياة — شأن الحكماء الذين اعطونا المثل — في سناء العقل الالهي الصافي وضيائه الناشط القوي .

فاكراماً لماض مثقل بمثل هذا القدر من المجد ، واعترافاً بكل ما يدين به البشر للعبقرية اليونانية ، لازميل فيدياس ومعارف اريسطو ، هلاّ جعلت الالهة محتلي حاضرة اثينا ان يتذكروا الكلمات النبيلة التي وجهها شيشرون الى كنتيوس اذ قال له : تذكر يا كنتيوس انك تحكم على يونانيين حضّروا جميع الشعوب اذ علموها الرفق والانسانية ، واليهم يرجع الفضل في ما تملكه روما من العلوم والمعارف . . وهلا جعلت الالهة ايضاً ان تمتد الرأفة الى ابعد من العدل — كما ارادت اثينا الآلهة الفكر — وان يقدر للمدينة التي علمتنا قيمة الشخصية البشرية واعطتنا قواعد لتكميل هذه الشخصية ، ان يقدر لها استعادة سيادتها وشفاء غليلها من فم الحرية؟»



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طـــــاغور

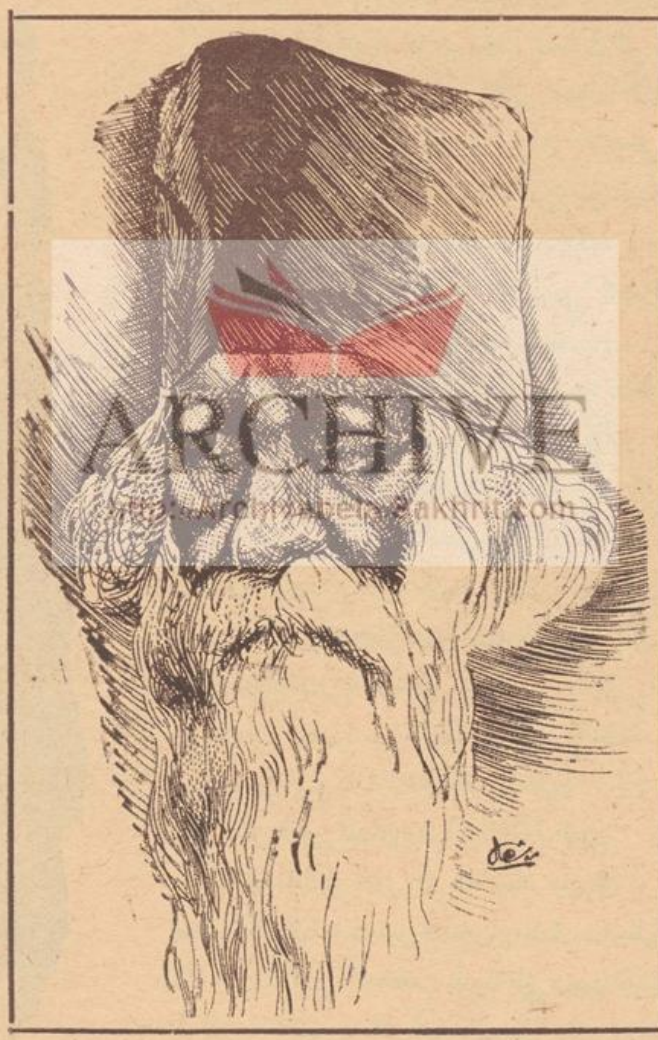
ان سكرة المادة هدمت توازن القوى الذي يتسلح به الانسان ليحافظ على الآله الذي في نفسه .

بهذا كان يعتقد شاعر الهند طاغور الذي غنى العالم الحاناً مشبعة بالحب والحنان . وانه لمن اعظم الخسائر الروحيـة ان يتوارى في هذا الزمن المثقل بمظالم المادة، باحقادها وادرانها وبشاعتها ، اطهر روحانية في اجمل وجه شرقي. فقد جمع طاغور الى حكمة الهند القديمة شاعرية الشرق مطيبة بانقى موسيقى واروع خيال . ففي قصيدتـه الكبرى « التقدمة الموسيقية » يتراءى لنا الشاعر كما خلقته روح الشرق وكونته رائعة نشيد الاناشيد والقرآن والفردوسي وعمر الخيام وحافظ .

ولا نزاع في ان طاغور صادف في طريقه ، من القيثارة البنغالية الى كنـارة داود ، جوانب شعراء الغرب كملتون وكتث وشلي ، وربمـا بودلير وهوغو ايضاً . ولكنه اكتشف في نفسه تلك الذاتية الالهيـة التي احتفظت له بالمقدرة على النظم والتفكير ، باسلوب كان يستعير من القارتين معاً قوة التوسع والجمال .

ومن قراءة مذكراته يتبين لنا ان شخصيته الفذة قويت في الاحتكاك بالحضارة المضطربة التي مر عليها مرور العابر وفي ما خلفت له الاجيال من عبر ، وان حياته كانت حياة بسيطة طبيعية لم يتخللها الا قليل من الاحداث الجسام . على ان في روحـه صخباً اصم كذلك الذي يصدر في هدأة الليل عن ينبوع تكبح جماحه الصخور فلا يصير نهراً ولا ينتشر في الابعاد .

كان طاغور يستمد من الشرق والغرب ليقوت روحه الظامئة الى الجمال ، ولكن تلك السيول من الموسيقى الاوربية لم تخرجه عن فطرته ، ولم تطغ حتى على مسحة من روحانيته الشرقية . فقد لزمته تلك الشخصية العظيمة التي استيقظت فيها اقدم قوى عنصر يدين له العالم باغمض اساطيره واقواها ، تلك الشخصية التي بقيت تفور وتغلي حتى جعلت منه واحداً من اولئك البشر الذين تلتقي فيهم صفوة الاجيال الماضية والمقبلة ، ويمثلون سير الفكر البشري حيث يتوازن ما كان وما سيكون ، حيث يلتقي في اتزان كامـل ليس ماضي عنصر ومستقبله فحسب ، بل امس الشعور البشري وغده .



وقد تكون قصيدة « البستاني » اجمل ما رسمته ريشة هذا الشاعر المصلح . فقد جمع في رائعته هذه احاسيس خفيفة في ظاهرها ، ولكنهـا محفورة سراديب في اعمق اعماق الروح البشري .

ولم تقتصر عبقرية طاغور على هذا وذاك ، بل كان ملحنـاً موسيقيـاً ومنشىء مدارس ورحالة ورساماً عرضت رسومه الغريبة في معظم عواصم العالم . وكان فيلسوفاً معطراً ، فيلسوفاً موسيقياً ، من معلمي تلـك الحكمة المجنحة التي تصل بين الارض والسماء . كان كل شيء في نظره حياة داخلية تجزر وتفيض الى الخارج ، وحياة خارجية تجزر وتفيض الى الداخل . فقد كان يجمع الاشياء المنظورة فيغمسها في نفسه ويكون منها صورة داخلية يضمها الى فتوحاته الكثيرة ، الى فتوحات الشعر ، الابن البكر للحب .

ابو ناصيف



آخر القافلة

تصميم لقصة طويلة

بقلم رضوان الشرهان

كان بالشارع الكبير مثل الجنون، تلك العشية، وبالرغم من الصيب العاتي الذي انهمر مع الليل، والصرصر التي ما انفكت تعصف منذ الصباح كان الشارع الكبير، شأنه في كل مساء، يزخر بالحياة والنور والحركة، كأن هذا الآدمي الجديد الذي وضعته الحرب الماضية، قد ابى على نفسه الا السعي آناء الليل واطراف النهار، او كأن الزوبعة وقد فشلت في طرده الى وكره كانت تنفخ في نفسه كل جموحها وعتوها والجبروت.

كل شيء كان يموج ويضطرب ويختلج ويرتج، بين حافلات تتوالى في جلجلة الرعد على صرط من حديد، وعجل تعوي كالذئاب الهائمة في ملاوي الشارع، فزحمة اقدام وعزيف كأنه من ديار الجن يذيع في كل مكان، وغلمان صيح يزفون الى الملأ آخر ما دار به الدولاب. فانوار تعصف هنا وانوار تعصف هناك وانوار تنساب في انابيب وانوار تنبثق في ازرار وانوار تكر واخرى تدور، ثم تنطفيء ثم تضيء، ثم تدور ... وتدور الى ما يشاء الله او يشاء هذا الآدمي الجديد.

كل شيء كان يموج ويضطرب ويختلج ويرتج في الشارع الكبير، تلك العشية، الا شيئاً واحداً او رجلا كالشيء، وقف على هامش من الشارع يتقي المطر، وكأنه صنم من الشمع، فلا رفة هدب ولا لفتة عنق ولا حركة، الا ان يفاجئه سعال فيسلخ يده من دفء جيبه ويحكم الاغلاق على صدره دون الريح، او يباغته عطاس يختلج جميعه له، او تشتهي نفسه لفافة تبغ تستلزم اليدين معاً.

كان يشخص الى شيء بالشارع لا يراه او لا وجود له في الواقع. على كل، لم يكن ليبدو كمن يترقب ان تنضب ينابيع السماء فيمضي الى شأنه، فقد ينقطع المطر بعد هنيهة، فلا يبرح مكانه او لا يفكر في براحه أصلا. كأن ذاك الشيء الخفي الذي يشخص اليه دون ان يراه قد سمّره في مكانه هذا الى اجل في علم الغيب.

والواقع ان بصره كان مطروحاً في الشارع كشيء ليس اليه من حاجة، او أنه كان بعينيه مثل الذهول الذي تستحيل فيه الاشياء غبشاً بلون الضباب، يتداخل في بعضه وتضمحل فيه الحدود. ولعل مثل هذا الذهول كان بسمعه ايضاً، فما كان ليصل اليه من صخب الشارع غير لغو متضائل كأنه آت من مكان بعيد، جد بعيد.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا ريب في ان امراً كان يستبد بخاطره ويغرقه في مثل هذا الذهول . ولعله كان يفكر ، على سبيل العبث ، فيما يمكن ان يكون من امر هؤلاء الناس المتهافتين على غير هدى ، بعضاً وراء بعض ، لو انه اعترض سبيلهم فجأة ، فاستوقفهم ، ليزعم لهم ، صادقاً غير كاذب ، ان هذا الشارع الكبير الرائع وما شب فيه من شواهق وما يموج فيه من خلق ويضطرب من حياة ويختلج من نور ويرتج من آلات جميعها ملك له ، وان هذا الشارع نفسه كان في دماغه وعلى كفيه قبل ان يمسي على حضيض الشارع حجراً فوق حجر .

وماذا يمكن ان يكون من امر هؤلاء الناس ، الا ان يسخروا حيناً ويقهقهوا ، او يتعدوا السخر والقهقهة الى ما لا يستحبه الرجل على اي حال . كأن تخامرهم الغيرة مثلا على مدينتهم النظيفة ، فيهيبوا بالجلاوزة ان يكنسوا هذا المخلوق القبيح الوسخ مع ما يكنسون ، او يستنجدوا بشرطي او اثنين اذا دعت الحاجة ، يكفيان المدينة شر معتوه آخر ؟

على كل ، هو لما يفقد رشده بعد ، رغم الحمى التي تنبض في رأسه المتثاقل وتدك من عصب رجليه ، فهو لن يفعل شيئاً من ذلك . فليس يهمه ان يعلم الناس من هو او يصدقوا ما يقول . وليس ليستهويه قط ان يضفروا لهامته الغار ، او يرفعوه على الاكف او ينحتوا له تمثالا من المرمر يقيمونه وسط الزحام ويحملونه مزاراً كمزار الشهداء يحجون اليه مرة كل عام .

حسبه هذا الايمان الواثق بأنه لم ينفق حياته عبثاً ، وهذا الفرح الاكبر الذي يستبد بالخالق امام خليقته . اما القانون الذي صنعه الناس ، فليطوّب لغيره من الناس ، في سجلاته العقارية المتخومة ، جملة هذا الوجود الذي يضطرب من اطلال المدينة القديمة ومقابرها حتى يدرك مياه المتوسط .

قد لا يكون هذا كل ما كان يفكر فيه . ولعل معظم همه تلك العشية كان ان يجد مأوى ، غير الاعتاب ، يلجأ اليه من غضب الزوبعة ، فبعضاً من الحساء الحارة ، اذا امكن ، يبعث في صدره بعض الراحة . او لعل معظم همه كان ان يبحث كيف يتحصل له المأوى والحساء . فلقد انفق آخر دراهمه ، منذ برهة ، لقاء علبة من اللفائف او شيء من الطمأنينة ، على زعمه ، فهو قد يصبر على الجوع ، لكنه لا يملك ان يمنع كبرياءه ان تنهار ، رغم انفه ، على عقب لفافة لفظها احدهم . وليس الاستجداء من شيمة كفه الابية التي طالما جادت على الناس فيما مضى .

على كل ، كان لا بد له ، تلك الليلة ، من مأوى واي شيء كالحساء ، فيروح يسرّح بصره القانط في ارجاء هذا الشارع الغني الذي يملكه على زعمه ، فاذا هو لا يملك فيه شيئاً ، حتى ولا ان يحتسي جرعة من الحليب الدافيء في حانوت بلغ من الوضاعة ما بلغ ، او يجوس خلال هذه الابنية الفخمة الآمنة من شر الزمهرير ، فيحط عن نفسه ، وان الى حين ، شيئاً من هذا التعب الذي ينهكه نهكاً موجعاً مستمراً .

واذ ذاك يبتسم الرجل ابتسامة هادئة رسب في طرفيها كثير من الحزن والمرارة والسخرية والقنوط والعذاب . لكنها لا تلبث ان تمحي فجأة ، او تدهمها هبة من الزمهرير تدفنها طي تجاعيد سحنة مكفهرة ترتعد . فيجمع الرجل بعضه الى بعض ، ويطوي نفسه على نفسه ، ثم يطرح بصره شاخصاً الى الشيء الخفي الذي لا يراه ، وكأنما قد وطن النفس على ان يظل صنماً من الشمع ، تتجسد فيه النقمة والبرد والحرمان ، صنماً في مكان من رحاب الشارع الكبير .

◆

كذلك كان لا بد له آخر الامر ، ان يعود الى هذه الارض التي درج عليها اول ما درج . كأن هذه الكرة العجيبة التي ما تكل من الدوران على نفسها ، منذ الازل السحيق ، قد حتمت على ابن آدم ان لا ينتهي الا حيث بدأ .

لقد كان مثله كمثل الذئب الهرم يوم ينعق في ضميره نفير الآخرة فينطلق يطوي الاودية والجبال والسفوح والهضاب شطر الكهف الذي ولد فيه ليموت فيه . فقد استبد بصاحبنا يومئذ ذاك الحنين العنيف الذي لا ينشأ الا في الغربة . فمضى كما يمضي الهاجع في سفرة عجيبة من اسفار الحلم ، دون ارادة ولا قصد . ولو انه كان يملك ان يريد او يفعل ما يريد ، لما وطئت قط له رجل تراب هذي الارض العقوق التي خرج منها ، لبضعة وعشرين عاماً خلت ، مطروداً كالمجرم تسربله اللعنة ، ليمضي ، غير مأسوف عليه ، الى صقيع غربة نائية لا يشيّعه اليها غير اطلال داره المسودّة التي عصفت بها النيران ليلا كاملا .

حكاية قديمة ، جد قديمة قد ترجع الى اقدم ما يسع الفكر ان يرجع اليه من اغوار التاريخ ، منذ كان على الارض جماعات تتكتل وكان بين الجماعات افراد يشرق على جباههم وحي العبقرية ، فاذا هو صراع هائل مستديم ، يطوي مراحل الزمن جيلا بعد جيل ، بين قوى عمياء ، جاحدة ، غاشمة ، لا تؤمن الا بنفسها وبماضيها ، ونفوس نيرة لا تؤمن الا بالخير والحق ومستقبل الحياة . لعل من

اجل ذلك انتحر سقراط ، وكان يوم الجلجلة ، وكان يوم الهجرة ، ولعل من اجل ذلك كان ما كان من امر تلك القافلة من الرجال ، يوم هبوا على صعيد بلاد العرب ، منذ اكثر من نصف قرن ، ليرفعوا المشاعل ويغنوا لحنهم الزاخر الغني ويحملوا على أكفهم السخية أطياف عالم نير جديد . فاذا عصفت بهم زوابع الطغيان والعسف والنقمة ، لم يتراجعوا دون الزوابع بل صمدوا ليصارعوا حتى الرمق ويتساقطوا واحداً بعد آخر ، فوق هذي الارض العقوق التي لم تمد بشانق الشهداء ، ولم ترتو من دماء المجاهدين ، ولم تف بعهد ابنها البار ، ذاك الذي طردته الى صقيع الغربة كالمجرم تسربله اللعنة . او لعل تلك الحكاية القديمة ، ليست ، في الحقيقة ، الا حكاية هذا الاخير — او آخر القافلة — يوم عاد من الضفة الغربية من البوسفور ، يحمل على كفيه اشباح عالم نير جديد ، وكأنه كان يحمل الخراب الى مدينته القديمة ، او مدينة السادة «الغطارفة» تلك التي كانت ما تفتأ ، لاجيال عدة خلت ، تهجع هجوع الحشرة الخائفة ، في مهبط ، بين برج من بقايا التاريخ تسكنه خرافة ، وجبل مجدب اجرد كالجمجمة ، ووقف قديم من شجر الزيتون يتمطى على آكامه كسل الناس ، ومقبرة عامرة بالاضرحة « يعيش » فيها اموات .

اجل ! لقد عاد يومئذ لينفخ الزوبعة في هذا المستنقع البشري الآسن ويدفعه فوق رفات الاموات سيلا من الاحياء الاصحاء الصالحين يضطرب ساعياً في شارع كالصراط المستقيم ، حتى يدرك مياه المتوسط . فكان هو اول الخوارج ، وطي الدستور الموروث ، وراح فيما وراء المقبرة يطرح اول حجر في هذا الشارع الذي لم يكن ، ذاك الحين ، الا كثباناً من الرمل ، وبساتين مهجورة يأوي اليها نعق البوم والاغربة وضواري الوحش والبشر وعفاريت الحكايات .

فيميد بالمدينة ما يشبه الزلزال ، ويستفيق الهجّع على مارق من شيعة ابليس يزعم لهم انه « حكيم اجساد » ويحدثهم عن شيء لا تراه العين اسمه « الميكروب » فيقهقهون ويقولون : « لافرّج الله له كرباً » وتذهب النكتة ذائعة على الالسن . ثم يؤكد لهم ان مساكنهم الرطبة الآمنة — على زعمهم — من حر الهاجرة ، مرتع لجراثيم السل والحمّى ، وان بالشمس والضياء والهواء لحياة للناس لو يعلمون ، فيستضحكون مرة اخرى ويقولون : « معتوه يهجر ديار الانس والنعيم ، ليسكن في وحشة القفر ، الى الضواري والعفاريت والاغربة . » حتى اذا ضاقوا به آخر الامر او ضاق بهم فآثر الجد في العمل على لغو الكلام تحركت في نفوسهم رواسب الغيظ والنقمة ، فقذفوا به بعيداً عن مدينتهم السعيدة في احد الاصباح بعد ان لبث اللهيب يعصف في داره طيلة الليل .

حكاية قديمة طويلة ، لعله نسيها فيما بعد او تناساها ، او لعله لم يذكرها الا منذ يومين اثنين حين أطلت على عينيه الذاهلتين معالم مدينة شعشاعة غير التي يعهدها . لكأنها السبيكة اللألاءة قذف بها البحر في يوم جنته ، او دنيا انبتها من الارض ساحر عفريت خارق ، ذات ليلة عجيبة من ليالي الاساطير . فلقد اخذه الذهول عندئذ وتركه عند مرتفق الباخرة كالمسحور ، يختلط على وعيه الزمان والواقع حتى ليخيل اليه ، لوهلة ، انها رؤيا تضطرب في دماغه المحموم ، كتلك التي كانت تضطرب ، لبضعة وعشرين عاماً خلت ، يوم كان يعود من عاصمة السلطان على نفس الطريق .

ولولا ان الباخرة كانت تقترب وتستمر في الاقتراب ، لتنعق بعد حين نعيق الاياب ، ويحس حديدها « اسمنت » الرصيف ، لما كان لصاحبنا ان يصدق ان ذاك العالم القصي الذي خلّفه وراءه اطلالا سوداً وآمالا حزانى ، قد شب على نفسه ، فيما يشبه المعجزة ، وان المستنقع القديم قد اندفع فوق رفات الاموات ، سيلا من الاحياء يضطرب ساعياً في شارع كالصراط المستقيم حتى يدرك مياه المتوسط .

كان الوقت ليلا حين رست الباخرة . والمرفأ يعج بالناس تصبهم فوهة الشارع الكبير افواجاً افواجاً . والاضواء تستحم في الخضم الهادي . فتموج حينا ثم تتلاشى في العمق . فصخب لا يهدأ وحركة لا تكل ، والشارع الكبير يمتد دون البصر ويترامى فلا يدرك له آخر . . فيعصف بصاحبنا ذاك الفرح الاكبر الذي يضيع فيه الرشد ، ويتراءى له في وهم الظن ان اولئك الخلق ، انما هرعوا يستقبلونه ويمضون به في مهرجان يطوف المدينة . فيطرح بصره المحموم في كتل الناس وتتحفز الحركة في عصب ساعديه . لكنه سرعان ما يرتدع او يردعه الواقع ، فاذا ليس في جموع الناس يد واحدة تلوح له ، او عين واحدة تتريث على عينه ، او صوت واحد يحمد له السلامة ، فيسلخ بصره من الوجوه فارغاً ليضرب به جلمود المرفأ ، ثم ينطوي على نفسه ويغيم وجهه بالضباب .

ويهبط سلم الباخرة آخر الهابطين ويزوح على الارض التي درج عليها اول ما درج ، وحيداً يحس الغربة والكآبة واحساس النملة الضئيلة المتواضعة التي تدب على حضيض عالم طويل عريض شاهق .

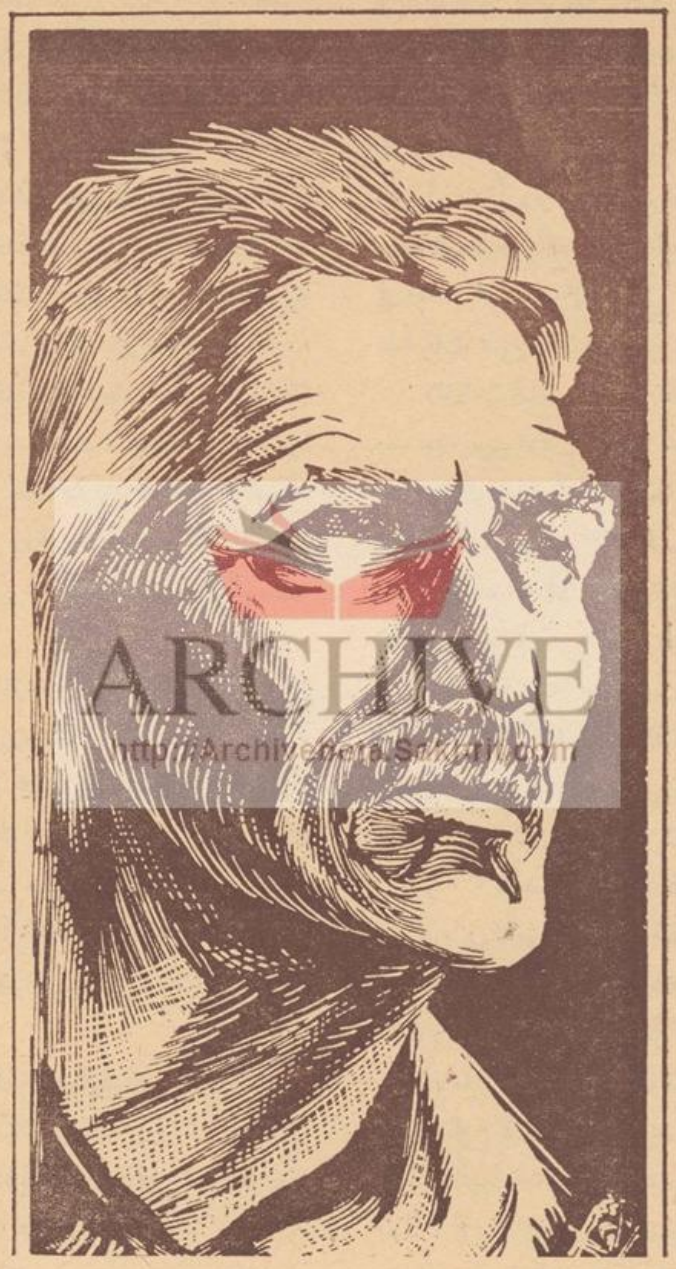
◆

لبث يطوف يوماً كاملا ليخرج من تطوافه بأشتات من الخواطر

جمعها فكان الحاصل حقيقة مؤلمة اشد من الصفع : لا مكان له في هذه المدينة! هو غريب عنها بقدر ما هي غريبة عنه ، وان بينها لهوة سحيقة غارت في اعماقها بضعة وعشرون عاماً بدّدها التيه هباء.

اجل ! لقد اخطأ في حساب الزمن وفاته ان يطرح الشباب الذي راح والعافية التي ذابت والعصب الذي وهن والنشاط الذي خبا والامل الذي خاب. او لعله نسي انه ليس الا طيفاً من الماضي او ذكرى ، وان هذه المدينة الجبارة المحدثة قد نزحت من دماغه الى الابد ، لتعيش على حضيض الواقع ، ويعيش فيها جيل صاخب جموح يطوّفها بكل ما تركته اجيال الموت السالفة في نفسه من هرم بعث شباباً وكبت تمخض بالطغيان . او لعله كان يجهل ان هذا الجيل المنطلق على عجل من حديد لا يلتفت الى الوراء. او ليس من طبعه ان يلتفت. وان مكان الطيف والذكرى في دنيا الاطياف والذكريات ، هنالك ، فيما وراء المقبرة ، حيث تختلف اشباح السالفين على انقاض حزينة من ماضيهم الواجم .

فيمضي يحمل نفسه على الدرب الموحل الذي يلتوي مرات عدة ، قبل ان يبلغ الباب القديم ، فيلجه مع الليل الهابط . وقد اخذت تلوح طي العتمة اضواء خابية حزينة كانت وحدها الدليل على ان بالمساكن رمقاً . فيمر بشرذمة عاثرة من كلاب شرّد جياع تتردد في حيرة بين المزابل العجيفة . ويصادف حارساً كأنه طيف مثله يجوس على مهل خلال الديار ، ضارباً وحشة الزقاق بعصاه ضرباً بطيئاً متوالياً . ويطل عليه مسجد مهجور يغص بالوحشة والصمت ، الا حفيفاً كالنشيج يموج بصفصافة مطرقة في مكان من الفناء ، ورقرقة خافتة يغرورق بها ميزاب البركة . اما الضفادع فخرس ، واما العمة التي لاحت فغارقة في عتمة التهجد .



عالم يفنى او يكاد . والرجل يجوس خلاله خافض الجناح كأن هذا الوجوم المخيم يتسرب كله الى نفسه لينبش من اعماقها ذاك العذاب الذي يحسه المجرم حين يضطرب في ضميره رمق من الضمير . فيطأطيء هامته ويستأنف الطواف الهائم بين الازقة الخاليات الخرس .. لا حس ولا حركة غير الريح التي ترف وترطم مصاريع النوافذ ، فهرة تموء ، وكلب ضجر ينبح وخفاش يتهاوى بين سيول الريح وبومة تنعق بين حين وآخر ، كأنها تستعجل الفناء الى هذه الدمن التي تحتضر على مهل . فيقشعر قلب الطائف الهائم ، ويحسب لوهلة من الزمن انه ليس الا مخلوقاً عجيباً كهذه المخاليق العجيبة التي تؤم الخراب . أليس هو الذي قاد الخراب الى هنا ؟

كان يسعى ، على غير هدى ، في الزقاق الصاعد نحو أطلال الدار الفخمة القديمة ، تلك التي عمرها ابوه ثم جاء هو يهدمها عامداً ، ويقذف بأحجارها الى ما وراء المقبرة ليبتني بها اول دار في الشارع الكبير كان يمضي نحوها ، على غير وعي ، كأن ضميره هو الذي كان يسيّره . والحق انه تعب من الشعور بالغربة في عالم تنكر له ، وتاق الى مكان لا يكون فيه غريباً وان كان

هذا المكان اطلالاً دارسة . فهو واجد فيه ، على الاقل ، ذاك الاحساس بأنه يملك شيئاً في هذه الدنيا . وان كان هذا الشيء ليس الا حفنة من تراب او بقايا من عتبة او ركناً من باب .

لعل ذلك كل ما بقي ، في الواقع ، من الدار ، أو كل ما أبقى هو عليه منها . فلم يك في حاجة ، يوم هدمها ، الى التراب ينقله الى ما وراء المقبرة ، ولا الى العتبة الرخامية وقد آثرت ان تنشق . اما الباب او البوابة ، فمما لا شك فيه انها لم تكن مما يليق بأن يتصدر داراً حديثة الطراز . . لقد كان عليها نقش شرقي قديم ! .

ها أنه يملك اخيراً ان ينيخ بتعبه على عتبة او بقايا عتبة ، دون ان يعترضه احد او يكون لاحد حق في اعتراضه . فيتراخى على مهل ، ويتذوق الى حين ، تلك اللذة التي تتمشى في الاطراف بعد السعي الطويل . ويستلذ الدفء الفاتر ينفثه في قلبه هذا الرجوع الى ماضيه او بعض ماضيه حتى ليشعر ان صقيع الرخام يستحيل في جوفه دفئاً .

على ان هذا الدفء وتلك الراحة لا يلبثان به الا ما يلبث الرجع ، كأن ذاك الماضي او بعضه كان هاجعاً في ركن الباب وبقايا العتبة واديم التراب ، حتى يأتي هذا الطارق يوقظه فيتمطى ويهب بأنقاضه يبنيها دفعة واحدة :

هنا جاء ابوه مرة ، في يوم من ايام كهولته ، بعد سنين كثيرة من جهد وعذاب وحرمان وعيش اسود ، يحقق احلامه الصامتة ، فيشيد داراً يخفق عليها كل جلال عصاميته القادرة . ثم يروح يبتسم في هدوئه المتواضع لالوف من الاحداق الجاحظة ، في مدينة السادة « الغطارفة » حيث لم تكن السعادة والشقاء . والفقر والغنى الا كما كانت المدينة بأسرها ميراث الاجداد للاحفاد .

اجل ! هنا جاء التاجر الوضيع المغمور ، من زاوية قاتمة من دكانه الوضيع القاتم بسوق القمح ، لينصب نفسه ، رغم انف السادة ، سيداً ذا جاه تسعى بين يديه جماهير من اهل المدينة ، فيرغم السادة على السؤال عنه والولي على الافطار على موائده . واذا هو يمحي من اذهان الناس ، فيما يشبه المعجزة ، اجيالاً من العذاب والهوان والعيش الاسود ، عصفت بآله السالفين وذرياتهم المذرورة ، كالمطاربة الرحّل في انحاء المدينة الاربع .

كل عبقرية ابيه كانت مسطرة على جبين تلك الدار التي نحت حجارتها من جلمود عناده الصامت ، وجبل طينها بذوب عافيته ، ثم زفها الى تاريخهم العائلي الاسود صفحة مشرقة كالتي سطرها من قبل ، سيف جدهم الاكبر تحت الوية ابن ايوب .

ثم جاء ، هو ، وريث تلك العصامية الباهرة ، في يوم من ايام شبابه ، بعد سنين من دراسة جدية في « المكتب الطبي السلطاني » بالاستانة ، وسياحة طويلة في ديار الغرب ، ليهدم في ايام معدودات قلائل ما بناه ابوه طيلة عمر كامل ، ويمحي من خاطر الوجود ، بين ليلة وضحاها ، ذكرى مجيدة لحياة مجيدة عاشت وشقيت وجهدت وبنت ، كأنها لم تعش ، ولم تشق ولم تجهد ولم تبن .

فيم فعل ذلك ؟ بل فيم اقترف ذلك ؟ وكيف اباح لكفه الرعناء ان تعيث في هذا الارث القيّم وتهدمه وتمحيه ؟ اجل ! فيم اقترف ذلك ؟

سؤال رهيب ومض في خاطره كالبرق ، او سقط عليه كما يسقط الحجر الضخم في الخضم الهاجع الساكن . فاذا هو موج وزبد ورجع رهيب اجش كرجع الصدى في بئر عميقه . فيرتبك او يذهل كما يتفق للمفاجئة ان توحي الارتباك او الذهول . ثم ينسلخ فجأة من العتبة الباردة وينتصب على قدميه كأنه هبّ في وجه عدو او كأنه ادرك الى اين يريد ان يصل من سؤاله هذا الصوت الخفي البغيض . . صوت الشك ! لعمر الدنيا ، ماذا بقي له من الحياة غير الايمان بنفسه وبرسالته ؟ ليبترنّ انامل الشك بتراً دون هذا الايمان ! لقد انفق ، هو الاخر ، عمراً كاملا في سبيل رسالته ، فبدد المال ونهك العافية وارتضى غير آسف ولا برم ، كل ما شاء للحياة سخرها ، ان تزف اليه من البؤس والاضطراب والعذاب . فلن يسمح لهذا الصوت الخفي البغيض ان يناقشه الحساب ، الآن عند آخر المرحلة وقد انتهى كل شيء .

واخذ يغمره شيء من ذاك الحماس الذي كان يعمر قلبه فيما مضى ، يوم شاءت له بسالته المتهورة ان يصارع لوحده مدينة بأسرها . وشرعت تفد على خاطره افكاره القديمة الجريئة تلك التي نحت منها رسالته ، فمضى يرددها في همس الذهن كمن يردد مقاطع من أغنية شجية حبيبة الى قلبه .

لكأني به اخذ يذكر ذاك المستنقع البشري الآسن الذي استفاق فيه على نقيق الضفدع الثرثار ولسع البعوض المتخوم من الجراثيم والجيف . فطفولة قاصرة تستبد بها شيخوخة مريضة جاهلة ، وانوثة عاثرة مؤودة طي الحجب ، شأنها ان تخدم شهوات الزبانية في ذاك الجحيم البارد بين مطبخ ومضجع ، فدماغ راكد بين اسوار اربعة من خرافة وجهل واتكال وميراث . او كأني به اخذ يذكر ذاك الهول الذي خامره يوم أدرك الى اية هوة من الفناء تجر المدينة هذه الاوضاع الشاذة ، فهبّ ، لوحده ، كالمارد يقف في وجه المواكب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزاحفة على غير هدى نحو الفناء ، ويردّها الى جادة الحياة .

كذلك كان لا بد من زوبعة عاتية يطلقها على المستنقع وضفادعه وبعوضه ، وكان لا بد من صراع مع الشيخوخة الجاهلة المستبدة لينقذ الطفولة او المستقبل الكامن فيها . وكان لا بد من مبضعه يمزق به الحجب دون الانوثة العاثرة او دون الحياة المضمرة في احشائها ، وكان لا بد اخيراً من معول يدك الاسوار الاربعة لينطلق الدماغ الراكد على جادة الزمن في أثر القوافل البشرية الناشطة . اجل ! كان لا بد من كل ذلك ، حتى يثبت على صعيد الكرة حق مدينته في الوجود .

« انما الحق للحياة . والحياة حركة . ولا حق في الوجود للحي الذي لا يتحرك » .

تلك كانت آية رسالته الكبرى . رددها ، لا همساً في الذهن بل بصوت هادي . اجش جليل النبرة ، كأنه كان يود لو تعيها الاطلال والريح والارض . او كان يشاء لها ان تكون رصاصة الخلاص ، يخرس بها ذاك الصوت الخفي البغيض . . صوت الشك !

ثم راح يتمشى امام الطلل جيئة وذهوباً ، يحاول ان يستلغي صدى هذه الافكار وذاك الحماس في نفسه . او يحاول ، في الحقيقة ان يستدرج كل ذاك الحماس القديم ، او جميع تلك الافكار القديمة الشاردة ، ليستأنف سجاله فيتكلم ويظل يتكلم حتى يطلع النهار ، دون ان يدع للشك فرصة لسؤال .

لكنه يظل صامتاً ، لا تخطر في رأسه الحائر فكرة ولا طيف فكرة . يا للعجب ! بل يا للهول ! ايخونه ايمانه في هذه اللحظات الرهيبة ؟ ترى أكان ذاك الشيء من الحماس الذي غمره مصطنعاً ، او وليد حاجة عابرة الى الدفء ؟ واي صدى هائل هذا الذي يتجاوب في ضميره ؟ لكأنه هزيم قهقهة عاتية يتدحرج فيها السخر جلموداً لا يبقي في طريقه على شيء من الكبرياء . قائم ! فاذا هو ينهار فجأة على العتبة الباردة او الواقع البارد ، ويروح يدفن وجهه بين كفيه .

يا له من شقي ! بل يا له من طفل عنيد مكابر ! فيم يتحمل هذا الوجع الذي يمضه منذ الامس ، فيداريه حيناً ويتجاهله حيناً آخر ؟ ولم لا يبح تلك الدملة التي في جوفه بالمبضع الذي الف ان يبح به اوجاع الناس ؟ بل لم يكذب على نفسه ويحاول ان يخفي عنها تلك الحقيقة الهائلة التي خرج بها من الشارع الكبير امس ؟ افيبخل عليها ، عند آخر المرحلة ، بشيء من الراحة ، بعد ان اوردها جميع موارد العذاب والاضطراب والبؤس ؟ اجل ! لم لا يبوح ويعترف ، بل يصرخ في آذان الفضاء . والارض والاطلال والريح . . انه مجرم ، ثم ينتهي الامر ؟

ألم يقتل اباه عند آخر لحظة من حياته ؟ تلك النظرة الخائبة الناقمة الاليمة التي سددها اليه المحتضر ، بعد ان رأى موضع أمله الاوحد الاكبر خيبة قاسية ساحقة ، تلك النظرة ، اتراه نسيها او استطاع ان يتناساها ؟ او تراه كان قادراً على ان ينزع من خاطره المعذب طيف صاحبه القديم الثائر الشيخ ابرهيم بعد ان دفع به تحت رصاص الغدر والنقمة ، في سبيل هاجس عرض لخاطره مرة حتى اذا استبد به سماه رسالة ؟ وما قيمة هذه الرسالة بعد كل حساب ؟

لقد اتيح له امس ، في الشارع الكبير ، ان يدرك حق قيمتها اخيراً ، بعد ان رآها ، لا كما تعود ان يراها ، ايماناً اهوج او افكاراً طاغية في خاطر محموم ، بل حجراً بارداً كالجريمة .

ماذا رأى في الشارع الكبير ؟ جيلا محموماً يموج ويضطرب ويختلج ويرتج ، جيلا كافراً لا يؤمن حائراً لا يهتدي ، هائماً لا يرعوي ، طاغياً لا يرتدع ، يشقى دون ان يعلم ، بين الحجر والحديد ويسعى ، دون ان يدري ، نحو فناء لا يراه ، بل الى بحر طاغية مشاع بلع من قبله اجيالاً وامماً ومدنيات ، جيلا شقياً عاثراً . انما هو الذي نفث في شرايينه عدوى الحمى ونفخ في نفسه الكفر والحيرة والهيام والطغيان وحتم عليه الشقوة . بل هو الذي شق له طريق الفناء . وفرض عليه السرعة الهوجاء القاتلة ، حين كان عليه ان يذكر ، اول ما يذكر ، ان النبض السريع كالنبض البطيء ، كلاهما يودي بالقلب البشري . وان نقطة البداية والنهاية في الدائرة الوهمية التي ترسمها الحياة . واحدة .

احقاً كان يزيد الحياة لتلك الطفولة القاصرة التي كانت تستبد بها شيخوخة مريضة جاهلة ، وتلك الانوثة العاثرة الموؤدة في جحيم بارد ، وذاك العقل الراكد بين اسوار اربعة ؟ يا لخيبته القاسية اذن فيما اراد . تلك الطفولة القاصرة ظلت طفولة قاصرة يستبد بها لا شيخوخة مريضة جاهلة ، بل شباب اهوج عات مجنون ينطلق بالمستقبل الكامن فيه الى حيث لا غاية ولا هدف . اما حواء . فقد خرجت من جحيمها البارد لكن الى جحيم آخر تذيب نفسها فيه على اللهب تهتكاً وجنوناً . لقد كان عليه ان يلقاها في كل مكان الا المكان الذي يجب ان تكون فيه . . لمحها على مقود سيارة تنطلق بها كالسهم الشرود ، ورآها تهرج في مقصف كأنها العاهر ، بين الكؤوس المترعة والالحان الفاسقة ورآها على موائد الميسر تنهك اعصابها قلقاً ، ورآها تهجر دارتها الى الشارع لتنزع من كف آدم لقمة العيش . رآها في كل مكان الا المكان الذي يجب ان تكون فيه وتفعل كل شيء الا الشيء الذي يجب ان تفعله من اجل تلك الحياة المضمرة في احشائها .

اما ذاك العقل الراكد فقد انطلق في اثر القوافل البشرية الناشطة ، لكن في بيداء من التيه والحيرة والبلبلة . لقد كان الرجاء ان يهدي ويعمر ، فاذا هو نفسه في ضلال واذا هو لم يبن قط شيئاً . انما الشارع الكبير قطعة من الغرب ، في الحقيقة نقلتها البواخر عبر البحر الى هذه الضفة المشرقية لتضج وتصخب على اطلال هذا الشرق القديم .

غفرانك اللهم ! أيكون حتماً على الذي يود ان يعود الى الشرق يسكن اليه ، ان يعود الى اخربة دوارس يسكن اليها ؟ غفرانك اللهم مرة ثانية ! لكأني بالعاثر داخله الجزع حتى مضى يستغفر ويضرع في ذهول الحائر الذي اختلط عليه الامر . لقد كان ذهوله عميقاً يرشح بالعرق البارد كالذهول الذي تحدثه الفاجعة . ولقد لبث برهة يحملق في الظلام على غير وعي دون ان يستطيع تفكيراً ولا شعوراً ولا احساساً ، كأن البرهة لم تكن من الزمن في شيء . على ان الحقيقة الهائلة التي باح بها كان ينقصها شيء حتى تتم ، شيء قليل يسير ، عبارة واحدة او كلمة من عبارة ، او لهثة اخيرة كآخر ما يخرج من جوارح المحتضر . لكنه كان يستلزم كل ما يمكن ان يكون من الشجاعة ورباطة الجأش . لعل من اجل ذلك تردد او لبث برهة لا يفكر ولا يشعر ولا يحس وقد ود لو تكون آخر عهده بالوعي . اتراه كان يستطيع ان يقول لنفسه ان حياته كلها كانت عبثاً في عبث ، وانه فرض على نفسه العذاب والشقوة والاضطراب في سبيل لا شيء . . . لا شيء ؟

لكنه امر كان لا بد منه !

ثم مضى ينقل في قطع الظلام بصراً صعقاً . لم يكن هناك غير نجمة قصية في اعالي الفضاء القاتم ترنو اليه خلال السحب . او تدرك تلك النجمة ما معنى حياة ضائعة ؟ فلم يجبه غير الريح التي تزف والبومة التي تنعق بين حين وآخر والكلب الشارد الذي ما يكل من النباح والخفاش الذي ما فتيء يتهاوى بين سيول الريح . فيقشعر قلبه ويحس الزمهرير يهب عليه من اغوار سحيقة مظلمة رطبة كأغوار العدم !

يا لهذي الخواطر الغريبة السوداء تنشق عن قطع هذا الليل الغريب الاسود فتغمره وتسوقه على بحر مظلم ضلول ! من شاء له في قديم الزمان ، ان يدرج على هذا الزقاق المعتم طفلا لا يعلم من اين اتى ، ويسعى فيه كهلا لا يعلم اين يمضي ؟ عماء في الازل وعماء في الابد ، والزمن بينهما يستمر ويستمر على صعيد اسمه الحياة او طلسم الطلاسم . لعمر الدنيا ما قيمة هذا الحيوان الآدمي الذي يدب كالنملة على ظهرها ، ويفعل تارة خيراً وتارة شراً ؟ وما الخير وما الشر وما قيمتها ؟ بل اي شيء هو ؟ عبقري ام معتوه ؟ مجرم ام مصلح ؟ احقيقة هو ام طيف ؟ آدمي من الآدميين ام بهيمة من البهائم ؟ لعله بومة تنعق ، او كلب شارد ينبح الضجر في نفسه ، او هرة تموء او خفاش هزمته الريح او لعله آدمي مسخته القدرة العابثة مخلوقاً عجيباً تعيش فيه كل هذي المخاليق والا فلم لا يرتد نحو اولئك الآدميين الذين يهرجون في افراح النور والحياة والحركة ؟ احق انه غريب عنهم ؟ ولم ذلك ؟ بل لم لم تجبله القدرة من طينتهم بل آثرت ان تجعل الشذوذ محوراً يدور وجوده حوله ؟

بالامس كان طفلا لا يعيش مع الاطفال بل في دنيا كالجزيرة المعزولة عمرها من غزل اساطير جدته ورياح الشتاء حتى اذا شب كانت الاساطير في دماغه فكرة وكانت الرياح في قلبه عزماً وايماناً فاذا اضطربت به الحياة بعد ذلك وتقاذفه التيه عاد ليرى فكرته حجراً بارداً كالجريمة وايمانه شكاً هائلا كالكفر !

لم عاد ؟ ومن ذا الذي شاء له ان يعود ؟ وما كان عليه لو قضى بعيداً على امل لم يتحقق ؟ بل ما كان عليه لو نفض يديه منذ البدء من اوحال هذي الارض الغاشمة العقوق ومضى يعيش من الدنيا على ضفاف جنة تغمره النعمة ولذائذ الحياة ؟ لقد كان له يومئذ كل ما من شأنه ان يوفر السعادة والاستقرار والنعيم !

حياة ضائعة بل رماد تذروه الرياح وهذا الصمت الرهيب العاند لا يخرج عن صمته ولسوف يبقى كذلك حتى الابد لا ينبس ببنت شفة ! أفليس من جواب غير حفيف الظلام المتداخل في بعضه ودبيب التعب في جسده المنهوك ؟ الا ليته يستحيل قطعة من رخام العتبة ثم يتلاشى في الدياجير !

وتأخذه غفلة تشبه النوم ؛ لكنها لا تدوم كثيراً او انها لا تدوم اكثر مما ينبغي كي يأتي طيف ابيه من ديار الآخرة يخطر فوق بطاح الضباب ويطرده من العتبة كالمجرم تسربله اللعنة .

أفلا يكون له حتى في عالم الاطياف والذكريات مكان ؟

كان الفجر يلقي على الدرب الموحل نوراً شاحباً يتسرب من فجوات السحاب وكان بالجو غضب ينذر بشر مستطير !

◆

وعاد الى الشارع الكبير ينصب نفسه صنماً من الشمع ؛ لا يلتفت الى احد ولا احد يلتفت اليه . والدنيا من حوله تموج رغم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزوبعة وتضطرب وتختلج وترتج ، فلا يدرك سمعه من صخبها غير لغو متضائل كأنه آت من مكان بعيد ، جد بعيد ، لعله صوت ذاك الشيء الخفي الذي كان يشخص اليه دون ان يراه ، وقد اخذ يراه الآن بعد ان صرعت وعيه مطارق الحمّى ولاشى اعصابه الجوع والوجع ، شيء بعيد يتلوى كالتنين الهائل مقبلا من مدخل الشارع القصي . لقد جحظت عيناه عندئذ من الهول وراحتا تزدادان جحوظاً وهولا كلما ازداد ذاك الشيء قرباً ، فاذا هو ليس بالتنين بل سيل ، ويا للبلاء يزحف بجحافل من امواه طاغية عكرة ... بل سيل من الآدميين والحافلات والعجل .. ينطلق على غير هدى شطر البحر ... ويل لهم ! لقد يبتلعهم البحر ...

وشرع يصيح كمن خولط في عقله او كمن يتخبط في شرك كابوس مخيف . لكن صياحه اختنق في هدير السيل الذي ما يفعل الا زحفاً واقتراباً .. لقد بات على مقربة .. يا لهديره الهائل! .. ولكن ما له يظل كالصنم ؟ لا بد من وقف السيل بأي حال !

وتميد الارض بالرجل .. ثم ينجرد في عرض الشارع شعلة من الحماسة الهوجاء العاصفة ..

وتنطلق صفارة الشرطي ، على حين غرة ، تشل الحركة في الشارع الكبير ، ويتهافت الناس ، بعضهم على بعض يتساءلون عن الضجة :

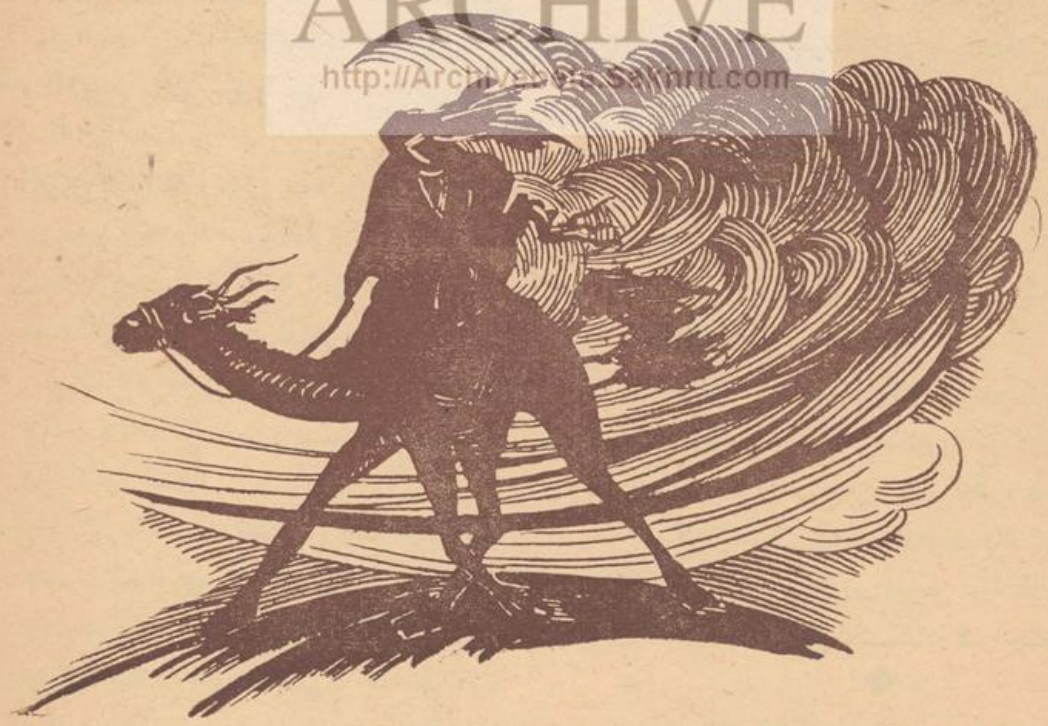
— فقال بعضهم : احد السؤال .

— وقال بعضهم : متشرد ولا ريب .

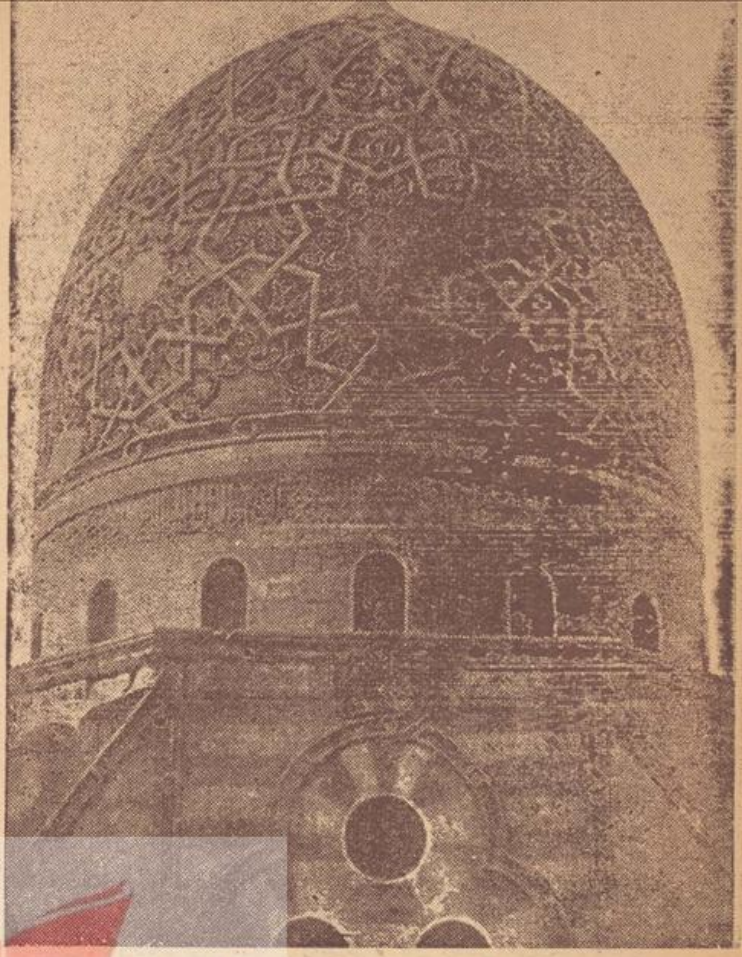
على كل ، لم يكن الحادث مما يستوجب الاهتمام ، فسرعان ما قضي الامر وصرفت السيارة القاتلة ، وجاءت نقالة الاسعاف تلم الصريع ! وفيما هو يلفظ انفاسه الفاترة بلا حقد ولا شوق ، كانت صفارة الشرطي تدوي للمرة الثانية ليعود الشارع الكبير الى شأنه ، يموج ويضطرب ويختلج ويرتج بين حافلات تتوالى في جلجلة الرعد على صرط من حديد ، وعجل كالذئاب الهائمة تعوي في ملاوي الشارع وزحمة اقدام ، وانوار تعصف وانوار تنساب وانوار تنبثق واخرى تكر ثم تنطفئ . ثم تضيء . ثم تكر وتدور .. وتدور الى ما يشاء الله او يشاء هذا الآدمي الجديد !

ترى من الرجل ؟ امر ليس مما يستوجب الاهتمام ، نكرة من النكرات التي لا تتردد على الشفاه .. ولا سطور التاريخ !

رضوان الشرنال



ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com



احدى روائع الفن الاسلامي : قبة جامع قايتباي في القاهرة

الفن الاسلامي في نظر النازية

رد الدكتور يوسف شاخت
وشهادة العلامة الفرنسي غروسي

●

اذا كان في التراث الاسلامي العام شيء يستوجب الاحترام والامتنان من جميع الامم المتمدنة فهو بالطبع ما خلّفه المسلمون من روائع الفنون .

قد يظل فريق كبير من الناس غير شاعرين بمحاسن اللغة العربية وجمال شعرها وعلو آدابها ، وقد يعجز فريق آخر عن قدر الخدمات الجليلة التي اداها العالم الاسلامي نحو الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية ، لكننا لا نعتقد ان في الدنيا رجلاً متمدناً يستطيع التصامّ عن هتاف الهندسة الاسلامية الجذابة ، سواء في مهابة مساجدها الكبرى ام في لطافة المعابد ، وسواء في مظهر المدارس النبيلة التي تربّى فيها ناشئة مختارة ، ام في بلابل الماء الجميلة التي تروي ظمأ عابري السبيل .

لكن النازيين وحدهم تولوا ، دون سائر الناس ، مهمة تحقير هذه الفنون الممتازة ، فسجلوا بذلك على انفسهم بنداً جديداً من بنود عدائهم العميق المجاني لكل ما هو عربي او اسلامي . ولم يكن بعض صغارهم من يقوم بهذا التنطح المستهجن للاسلام والمسلمين ، بل لم يكن هذا الماجن المفتئت غير روزنبرغ احد وزراء الريخ الثالث ومندوب هتلر في الامور الثقافية . فان هذا الوزير المتمايل بين قلة العلم وقلة الاخلاص للعلم ، كرس صفحات عديدة من كتابه « خرافة القرن العشرين » وهو من الكتب الاساسية عند النازي ، للاعتداء القبيح على الفن الاسلامي .

ومن يطالع هذا الكتاب يشعر منذ البداية بان روزنبرغ يبني بكل صراحة كراهيته الشديدة للفنون الاسلامية ، لا على ذوقه الشخصي ، بل على نتيجة منطقية لخطة النازي العدائية نحو العرب ، صادرة طبعاً عن نظرية الالمان العنصرية ، فيقول : « ان الفن الاسلامي يكاد يكون كله وهماً من الاوهام ، وليس فيه دليل على شيء غير الفقر الروحي . فالاثار العظيمة التي تركها لنا الاسلام اصبح معروفاً انها مستعارة من روح غريب ، غير عربي . وان مجتمعاً ليس يدين بدين روحي يستمد من وراء الطبيعة ، لا يمكن ان تكون فيه قوة الابتكار . اما ان يكون هذا العقم في الروح مشفوعاً بايمان شديد ، فلا يغير الحقائق الواقعية ولا يبدلها . فعلينا ان نعتبر العربي دائماً خليقة مستغربة لكن غير قادرة على الابتكار .

ولا يحتاج هذا الكلام الى تعليق . بل نحن لا نجد ادل منه على كذب النازيين في مظاهر العطف الذي يرتأون ان يغمروا به العرب في هذه الايام تنفيذاً لخطة سياسية عارضة . فعداء هذه العصابة الالمانية للعالم الاسلامي قوي عميق الى حد انهم لا يخجلون من التصريح بان عظائم الاعمال الفنية التي تركها للناس عهد التمدن الاسلامي الزاهر ولم يستطع النازيون انفسهم ان ينكروا وجودها ، ذات اصل غريب عن الروح العربي .

ومن بعد هذا الاستهلال المنكود الذي يكشف الستار عن نوايا الروح الشريرة يعود روزنبرغ فيقول ان الاسلام لم ينتج ملحمة شعرية كبرى ، ولا موسيقى ذات قدر او قيمة ، ولا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هندسة بناء خاصة به ، بل انه استعار كل افكاره الهندسية من الآريين والفرس ولم ينجح في الباس المادة شكلا جديداً يتخذه من روحه وشعوره، بل حصر همه في اعمال الزينة الخارجية باسلوب « كيفي » غير خاضع لقواعد او لنواميس .

ولعمر الحق ، لم نر قبل الان مجموعة من الاغلاط والاضاليل كهذه الفقرة من كلام روزنبرغ . فان من يعرف علوم الادب عند الشعوب الاسلامية يستطيع دحض ادعاءات هذا الوزير النازي عن تقصير الشعراء المسلمين في نظم الملاحم الكبرى . واول ملحمة تخطر بالبال هي « الشاهنامة » رائعة الفردوسي الذي احتفل العالم باسره منذ عهد يسير بمرور الف سنة على وفاته .

اما الموسيقى العربية القديمة فيمكننا ان ندل على مفخرة من مفاخرها الخالدة وهو الخليل بن احمد العالم النحوي الشهير ، وعلى كتاب الاغاني المعدود من اهم الاثار الثمينة في الادب العربي فهو يدور كله على الموسيقى ، وعلى كبار الفلاسفة المسلمين ابتداء من عبد الرحمان الكندي وهو العربي الصرف الذي كان يعد الموسيقى جزءاً جوهرياً من الفلسفة ، وعلى عبد السلام الفارابي الفيلسوف الشاعر الذي كتب كتاباً عظيماً معدوداً من انفس الكتب عن الموسيقى . ولا ننس النظريات الموسيقية عند العرب ، والاصول التي اتبعوها وطبقوها، وانها تركت اثراً عميقاً في الموسيقى الاوربية .

واذا كان يمكن ان يوجد شيء اشد مخالفة للعقل من كلام روزنبرغ المتقدم بيانه فهو اعتقاده ان الهندسة الاسلامية ليست باسلامية لانها استعارت من الفرس بعض مظاهرها . والواقع انها لم تستعر من الفرس وحدهم ، بل ايضاً من الروم والبيزنطيين والارمن والاقباط والهنود ، ونجحت في دمج ذلك كله في قالب اسلامي خاص يمتاز من كل واحد من اجزائه بصفته الفارقة العامة .

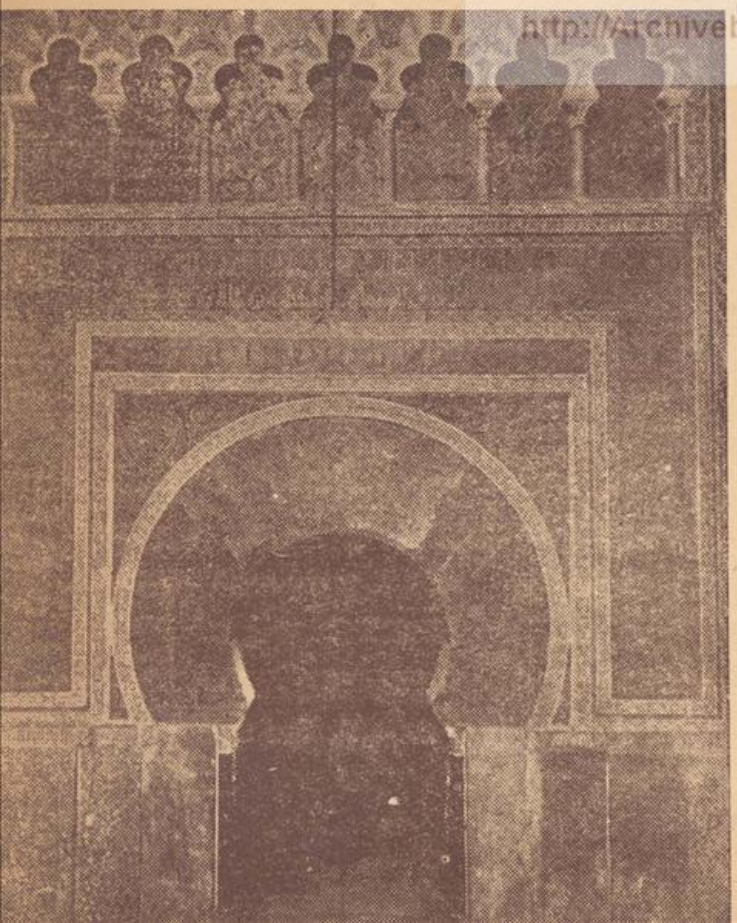
ونحن لا ندهش لهذا الجهل الذي يجهر به روزنبرغ في حكمه على الهندسة الاسلامية ، لانه اذا كان من مزية خاصة لهندسة الاسلام ، فهي بدون شك في انتظامها المختلف كل الاختلاف عما يدعوه النازيون وهماً واستبداداً .

ثم ان روزنبرغ يعلن عمايته الشخصية عن جوهر المسائل بعجزه عن تحويل عينيه عن عنصر الزينة الذي لا يدرك مغازيه اللطيفة في ذاته ، ثم يمعن في تحقير المظاهر الخاصة بالهندسة الاسلامية ، وهنا يتجلى عظم جهله لمبادئها الاصلية . مثال ذلك ان القناطر الهلالية التي يخطىء في حسبانها مزية خاصة لكل الهندسة الاسلامية ليست في نظره على شيء من الفن ، رغم ان الناس كلهم مجمعون على استحسانها والاعجاب بجمالها . والرواسب الكلسية التي تتدلى من السقوف وقد وصفها بعض الخبيرين بانها مثال قائم للجمال الفني لا يعدها روزنبرغ في حيز الاحتمال ، ناسياً او جاهلا انها مستعارة من الهندسة الهندية . ولو عرف ذلك عنها لارتفع مقامها « الآري » في عينيه المغمضتين .

وهكذا يتدرج هذا الوزير النازي في صب جامات اللوم على مزية بعد اخرى من مزايا الهندسة الاسلامية ، محاولا في الوقت نفسه تصغير فضل العرب فيها . فيعيد مثلا الاسطورة التي لا تاريخ يسندها ولا نقل يؤيدها ، والقائلة بان جامع ابن طولون في القاهرة انما بناه مهندس قبطي، متجاهلا ان هذا الجامع ادخل الى مصر هندسة سامراء وزينتها وكلاهما عمل اسلامي محض .

اما القناطر المسننة في جامع ابن طولون فيزعم روزنبرغ ان هذا كان اول ظهورها في مصر وانها نقلت عن قنطرة رخامية من كنيسة مسيحية في عكا ، ولا تزال هذه القنطرة المسيحية موجودة بحي النحاسين في القاهرة . ولكن جامع ابن طولون بني بين سنة ٢٦٣ و ٢٦٥ هجرية . والكنيسة المشار اليها في عكا بنيت بعد ذلك بمئتي سنة . والقنطرة التي اخذت منها الى القاهرة

قرطبة : مدخل المحراب في المسجد الكبير



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انما اخذت لاجل جامع الناصر محمد في سنة ٧٠٠ . والواقع ان القنطرة المسننة ظهرت في بنايات الامويين ، والتحسين والاتقان اللذين ادخلا عليها كانا من صنع المسلمين في اوائل العهد العباسي. ولا يرتاب احد في ان الهندسة الاوربية في الاجيال الوسطى قد استعيرت من الهندسة الشرقية الاسلامية .

كل هذا يدل على جهل روزنبرغ المطبق وهو كاف لاسقاط حقه مع اتباعه النازيين ، في ان يصدق اقوالهم احد .

واليكم اخيراً فقرة لا يقبلها عقل ولا نقل يلخص فيها روزنبرغ حكمه الغريب : « ان اعظم مدى بلغته الهندسة الاسلامية يظهر على ستور المسارح للروايات الهزلية الغنائية . فالزينة الخارجية المبالغ فيها بدون رابط هي هنا في موضعها » .

هكذا الفن الذي رفعه المسلمون درجات نحو الكمال، لاحاطة مساجدهم بالهيبة والجلال ، لا يراه النازيون جديراً بغير تزيين المراقص والمسارح الغنائية، وهذا هو الاحترام الذي يضمرونه لدين الاسلام.

ويختم روزنبرغ قوله الهراء باستنكار عام الروح الاسلامي قائلا : « ان المسلمين غرباء عنا . ويجب ان نبقى دائماً منفصلين عنهم بفوارق تثبت انهم غرباء . »

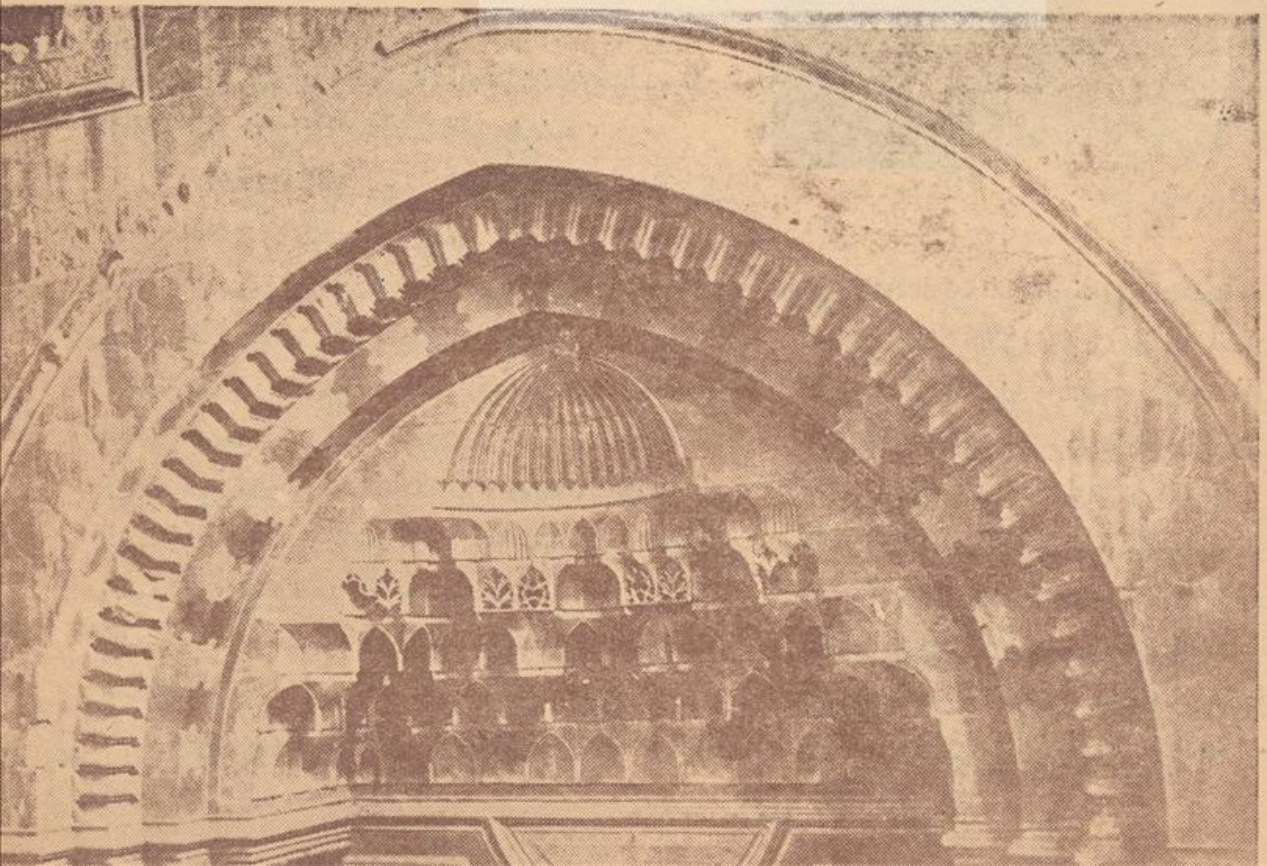
ولعمري ان هذا التنصل من اية لحمة بين الاسلام والنازية لهو الحكم الوحيد الذي يوافق المسلمون عليه، بكل طيبة خاطر.

شهادة العلامة غروسي

ومما يحسن ايراده تأييداً لاقوال الدكتور شاخت في رده البليغ على سخافات روزنبرغ الالماني واراجيفه عن الفن العربي الاسلامي ما تضمنه الكتاب الضخم الذي نشره السيد لويس رايو في باريس سنة ١٩٣٩ وعنوانه « تاريخ الفنون العام، من اوائل الزمان الى هذه الايام ». فقد جاء في مقدمة المجلد الخاص « بالفنون الاسلامية » بقلم العالم الفرنسي رنه غروسي الاستاذ في مدرسة اللوفر الباريسية ما يلي :

« لما نهض الاسلام في جنوب آسيا الغربي تبدلت مظاهر التاريخ الشرقي بجملتها . فقد فتح العرب جميع البلاد الايرانية الساسانية والشرق البيزنطي وجميع آسيا الداخلية حتى ابعد حدود ترانسوكسيانيا وضموها جميعاً في تمدن جديد راسخ في كمالاته الخلقية يمتد من ابعد اماكن آسيا الى اسبانيا غرباً والى مراكش وكانت تدعى في ذلك الوقت المغرب الاقصى .

ولكي يتمكن العالم الاسلامي من التحلي باسباب الزينة والبهرجة بما يتناسب مع مظاهر عظمته وفخامة سلطانه لم يتردد البتة في تقبل اكثر عناصر الفنون المتنوعة في بيزنطية وايران الساسانية . ومن هنا نشأت هذه المجموعة الفنية الباهرة العربية الفارسية ، وهي تدهش الناظرين باختلاف مظاهرها التي تعود كلها الى وحدة اصلية محسوسة في كل وجه، وتتشبع بعطف الايمان القرآني، وتبقى مع ذلك وارثة كل



احدى روائع النقش العربي : خان اسعد باشا في دمشق

التمدن الميدي في العالم القديم السامي والساساني .

بل هناك ما هو افضل من ذلك . فان الثقافة العربية بعد ما نشرت الاسلام في بلاد فارس اقترنت بثقافتها وتخطت حدود الهند واخذت منذ القرن الثالث عشر ، ولا سيما في القرنين السادس عشر والسابع عشر تحت رعاية المغول الكبار ، تمزج بمنتهى اللطافة والملاءمة آيات الزينة الفارسية بالزخارف البرهمية وتنشىء من ذلك بدائع الهندسة التي اشتهرت بها خصوصاً دلهي وأغرا .

ولا جدال فوق ذلك في ان الاسلام استطاع ان يشطر آسيا شطرين ، وجعل من آسيا الوسطى التي كانت جسراً يفتح ابواب الصين في وجوه الغربيين حاجزاً تحصنت تلك الدولة الكبيرة وراءه ، وقد زاد الصين انكماشاً وتقلصاً غزو القبائل التترية لها في جهاتها الشمالية ، فان امبراطورية سونغ الوطنية الصينية ، بعد ما طردها اولئك الغزاة الى جهات الجنوب عاشت في عزلة هادئة وانصرفت الى الفنون الجميلة . ولما جاء ماركو بولو الكشافة الشهير ودل الامم على الطرق المؤدية الى الصين اخذ الفن الصيني والفن الاسلامي الفارسي والعربي يتبادلان الامثلة واساليب العمل .

لكن فتح طرق الصين في ذلك العهد لم يطل . ففي اواسط القرن الرابع عشر طرد المغول من الصين . فعادت هيئتها الاجتماعية الى الاعتزال وانحصرت عبقريتها الفنية بعد ذلك ضمن حدودها المقفلة .

لكن التبادل الذي سبق ان جرى بينها وبين ارباب الفن الاسلامي بقي خارج السور ولم يلبث ان فعل فعله في الاماكن التي وصل اليها . ولا يزال الى اليوم المدققون في الآثار الاسلامية البديعة يرون الطابع الصيني ظاهراً هنا وهناك لا يخفى على احد .

ولا شك ان هذا الدرس يبقى ناقصاً اذا لم نضف اليه ذكريات المدنيات الخاصة التي قامت في جزر الشرق الاقصى كالملايو وما يليها ، من بورنيو وصومترا وجاوى وما اليها . وهي مدنيات قيّمة ثمينة وذات فضل عظيم على الفنون الجميلة من اسلامية وغيرها . لانها في اثناء الانقلابات الهائلة والاضطرابات والنكبات الجسيمة عندما كانت جموع الفاتحين الهمجيين تجتاح المدائن العامرة ولا تبقي فيها حجراً على حجر ، كانت الفنون والآثار المنقولة تجد لها مهرعاً وملجأ اميناً في تلك الجزر النائية يحفظها من الدمار والتلف . ولهذا يجد الانسان حتى الان في جاوى خصوصاً آثاراً باقية من ابدع وانحف ما صنعته انامل الهنود لا يكاد يجد مثلها في الهند نفسها . ولا شك ان هياكل « نارا » حفظت لنا خلال العصور اصول التصوير البوذي وجوهره الاصيل .

وقد دخل الاسلام الى الصين وكوريا واليابان ايضاً ، وحمل معه الى



مدخل جامع قايتباي

تلك الانحاء النائية المعتزلة فنونه ومزاياه الخاصة . فلم تلبث ان تقابلت مع الفنون المحلية هناك واخذت واعطت ، وانشأت ما لا بدّ منه عند كل اجتماع من تكييف واستعارة . وكان الاسلام بهذا الصنيع عاملا كبيراً للتبادل الفني الذي جرى بين اليابان والصين والهند والفرس ، كما نقل كل ذلك على ايدي العرب الى اوربا ، حيث بقي هذا العنصر العربي ثمانية قرون يبعث من الاندلس اشعة العلوم والفنون الى البلدان المجاورة . »

هذا ما قاله العلامة غروسى . فاذا كان روزنبرغ وامثاله من المفتئتين اليوم على العرب ينعون عليهم تضاؤل الفن عندهم ، فما هذا بدليل على صحة الافتئات وسداده ، بل هو دليل على قلة الوفاء عند من يشرب من البئر ثم يرمي فيها حجراً .

الحركة الفكرية في روسيا السوفييتية

لم ينهض الادب في روسيا السوفييتية نهضة الضناعة فيها ، على ان ذلك لا يعني ان روسيا الحالية تفتقر الى اسماء عظيمة في الادب . فالكسي تولستوي صاحب « بطرس الاول » وميكائيل خولوكوف صاحب « الملحمة القوزاقية » ، وبولغاكوف ، وميكائيل زوخنشنكو ، وليونيد ليونوف ، وفلانتين كاتاييف ، وبافلنكو ، ، وسواهم مهروا المكتبة الروسية بروائع جليلة وان قلت شأناً عن روائع تورغنييف وتولستوي ودوستويفسكي وبوشكين . ويدهي ان المعجبين بروسيا السوفييتية التي لا تبلغ من العمر الا ربع قرن يستطيعون القول بكثير من الحق ان الوقت لم يتوفر لتنمية الثقافة الجديدة في روسيا ، فقد وجه الروس الى التنظيم الاقتصادي والسياسي من الجهد والهم اكثر مما وجهوا الى المسائل الروحية ، وهم على بعض اليقين من ان الثقافة الجديدة ستنمو من تلقائها في الجو الاشتراكي ، سوى ان هذه الثقافة ، لم تحد عن الصراط القديم في مختلف مناحي الفن ، فالحفارون السوفييت ما يزالون يتقيدون بالفن الكورنثي ، والموسيقيون لم يدخلوا على الغنائية القديمة الا فخفخة المناظر ، والمصورون لم يأتوا بأية فكرة جديدة .

اما في الادب فينقسم الكتاب المعاصرون الى اربع فئات ، الاولى ، وهي فئة « ادب البورجوازية الجديدة » تشتمل على مهاجرين قدماء انضموا الى النظام الجديد كالكسي تولستوي وملمونبورغ وميكائيل بولغاكوف . والثانية ، وهي فئة « ادب البورجوازية الصغيرة » تشتمل على بوريس بيلنياك وليونيد ليونوف وقسطنطين فدين ونيكيتين وفلانتين كاتاييف وروسانوف وزوخنشنكو والشاعرين كليويف وبسترناك . وفئة « ادب البورجوازية الصغيرة » هذه جناح ايسر تتألف منه الفئة الثالثة المشتملة على بابل وتيخونوف وايفانوف وسيفوليتا واوليشا وماتيا كوفسكي . وعلى بعض كتاب الفئتين الثانية والثالثة خلعت اسماء « رفاق الطريق » ذلك ان هؤلاء الكتاب قبلوا الاعتراف بالنظام الجديد من غير ان يكونوا شيوعيين وسلكوا « الطريق » مع الكتاب البروليتاريين الذين تتألف منهم الفئة الرابعة وهم غلادكوف وفاديف ولياشكو ولوبيدنسكي والشاعران دميان بدني ونيزينسكي .

سوى ان التطورات التي حصلت في العشر السنوات الاخيرة ادخلت بعض التعديل على هذا الترتيب فقد اصبح الكسي تولستوي - ويدرج بحق في عداد اكبر الكتاب الروس في هذا الزمن - يمثل الادب السوفييتي في المؤتمرات الدولية وقد احتل مكان غوركي فلم يبق اي ناقد يذكره في مصاف ادباء « البورجوازية الجديدة » وما يقال عن الكسي تولستوي يقال عن ليونوف الذي مال كثيراً الى اليسار .

ويدهي ان الادب الروسي المعاصر يستمد معظم مواضيعه الكبرى من مختلف مراحل الثورة فالافكار الاساسية التي تلمس في القصة والشعر والمسرح بروسيا الحالية مستقاة من مقدمات ذلك الانقلاب الخطير ومن مراحله ، من تطوراته الاخيرة ومن نشأة المجتمع الجديد ، من اضطرابات ١٩٠٥ الثورية ومن انقلاب ١٩١٧ ، من احداث الحرب الاهلية ومن وثبة الشيوعية في عهد مشروع الخمس السنوات الاول ، من تمجيد الفضائل الوطنية والعسكرية ومن الاشادة بنجاح « الانشاءات الاشتراكية » كالاقنية والمصانع الكبرى والطيارات التي يتسم بها العهد الستاليني .

ميخائيل زوخنشنكو

ولد في بولتافا عام ١٨٩٥ ، وهو في الرعيل الاول من كتاب روسيا المعاصرين . درس الحقوق في جامعة بطرسبرج ، وفي العام ١٩١٥ تطوع في الجيش . وبعد الثورة احترف جميع الحرف فاشتغل نجاراً واسكافاً وشرطياً ومحاسباً ومشخصاً ثم تطوع من جديد ولكن في الجيش الاحمر هذه المرة . وعقب هذه التجارب كلها شرع في الكتابة . وكان ينتسب الى حلقة ادبية تألفت في بتروغراد من الادباء والشعراء ايفانوف وفيدين ونيكيتين وسلونمسكي وسواهم وكان هؤلاء الكتاب يعلنون اولوية الفن واستقلاله عن السياسة مشيعي الروح ثقة عستقبل بلادهم الديمقراطي ، وكانوا يقولون : « ليس في الاحزاب ما يروي ظمأنا ، فلسنا شيوعيين ولا اشتراكيين ثوريين ولا ملكيين ، بل نحن روسيون وحسب » وكانوا ينكرون على الفن وظيفته الاجتماعية .

وقد امتاز زوخنشنكو بالاقصوصة فهو يجيد اخراج مختلف نواحي الحياة اليومية التي يعيشها المواطنون السوفييت في صفحات قليلة مشبعة بالحياة . ومن اقاصيص زوخنشنكو النابضة بالصدق يعرف كيف يعيش الناس في الاتحاد السوفييتي . اما لغة هذا الكاتب فهي اللغة التي تسمع اليوم في شوارع موسكو او لنينغراد ، اللغة الروسية الحية لا لغة الكتب والمتبجحين . ويرجع السبب في رواج مؤلفات زوخنشنكو الى ان في روسيا الحالية ملايين من الخلق يشبهون اشخاص قصصه .

ليونيد ليونوف

لم يتجاوز ليونيد ليونوف الثالثة والاربعين ، فقد ولد في موسكو عام ١٨٩٩ ، ولكنه اصدر حتى الان جملة قصص خطيرة منها « التفه » او عناق الارض (حيوان كريه الرائحة) و « السارق » و « سوت » . ويذهب ليونوف في قصصه الاولى الى ان الثورة لم تدخل تبديلا كبيراً على حياة روسيا وانها لم تؤثر في القروي الروسي ولا في البورجوازي الصغير . فقصة « التفه » ترينا اخوين احدهما شيوعي يمثل الارادة التنظيمية في الشيوعية ، والاخر يرمز الى المقاومة القروية . ولا يبدو الكاتب مقتنعاً في قصته هذه بان الاخ الاول سينتصر على الاخير .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي « السارق » يبدو ليونوف كأنه ينظر متشائماً الى مستقبل الثورة . وتلخص هذه القصة في ان بلشفياً يدعى فشكين ، بطل الحرب الاهلية ، يتنقل من عثرة الى عثرة حتى يصل الى آخر دركات المجتمع واذ يفقد ايمانه وشعوره يطرد من الحزب . و في « قصة ريفية » يحاول الكاتب ان يثبت ان الحضارة الصناعية لا تبدل الانسان ولا ترقيه . ويقول الكاتب بلسان احد اشخاص قصته : « سيصنعون ادوات يحلبون بها العالم كما تحلب البقرة ، ولكن الحيوان القديم – النفس – سيبقى كما كان منذ بدء الزمان . . . » وفي « سوت » و « سرانتشوكي » يساهم ليونوف في ملحمة العمل التي تعاون على وضعها معظم الادباء السوفييت في اثناء مشروع السنوات الخمس . ففي « سوت » يبدو الشيوعيون بمظهر يختلف عنه في « السارق » فهم لا يتعثرون بالمصاعب والالام كالبطل فشكين بل يثيرون حماسة الجماعات ويبنون المصانع ويضبطون مجرى سيل « سوت » الذي سميت القصة باسمه . وفي « سرانتشوكي » نرى الشيوعيين ينشطون في تركستان زراعة القطن ويكافحون الحشرات مكافحة مجدية .

وهكذا بقي ليونيد ليونوف يتفلى من تردده حتى انضم نهائياً الى النظام بايمان صحيح .

فلانتين كاتايف

ولد فلانتين كاتايف في اوديسا عام ١٨٩٧ ، وفي العام ١٩١٥ تطوع في الجيش وجرح مرتين . وقد استهل عهده الكتابي بنشر مذكرات عن الحرب الاهلية، ثم اصدر جملة قصص بينها « الاب » و « راستراتشيكي » التي نقلت الى الفرنسية باسم « اكلوا الضفدع » وفي ذلك الوقت اخذ عليه النقاد السوفييت تناوله المواضيع الرصينة بلهجة التهكم وظهوره بمظهر المتكلم بلسان « صغار البورجوازيين » ، واقدامه على انتقاد الحياة السوفييتية ، وبقاءه في معزل عن البناء « الاشتراكي » . على ان القصص الاخيرة التي اصدرها كاتايف وفي جملتها « الوقت الى الامام » « وشراع ابيض يظهر من بعيد » تختلف عن الاولى . ففصته « الوقت الى الامام » تدور حول بناء مصانع ضخمة في مانيتوغورسك . والاخرى تصف فصولا من ثورة ١٩٠٥ في اوديسا . وهي قصة جميلة جذابة بطلها متشرد جريء من عائلة عمال يسهل الغرار لاحد بحارة المدرعة العاصية « بوتامكين » فيما كان رجال الشرطة يجدون في اثره .

بافلنكو

في « الحكايات الاسيوية » التي اصدرها بافلنكو عام ١٩٢٩ ، وهي صور عن تركيا الكمالية ، يلمس القارىء تأثير بيير لوتي وكلود فاريير . ولد بافلنكو في بطرسبرج عام ١٨٩٩ وفي العام ١٩١٩ عين عضواً في الحزب الشيوعي بعد ان تطوع في الجيش الاحمر . ثم عين ملحقاً للممثلية التجارية السوفييتية في تركيا، وبقي في منصبه هذا عدة سنوات اكتمل خلالها ذوقه الشرقي . وفي القصة التي اصدرها عن « الشرق الاقصى » عام ١٩٣٦ تصور بافلنكو فصول حرب مقبلة بين الاتحاد السوفييتي واليابان، ووصف في الوقت نفسه الجهود التي بذلها النظام البلشفي لاستثمار موارد سيبريا الطبيعية . وغيرها من الاعمال الجبارة .

ميخائيل خولوكوف

ولنتكلم اخيراً عن ميكائيل خولوكوف ، اكبر كتاب روسيا اليوم . فقد شبه مؤلفه الخطير « الدون الهادىء » بـ « حرب وسلام » لتولستوي . ومما لا شك فيه ان قصة « الدون الهادىء » تمشي في مستوى اعظم الروائع الادبية .

ولد ميكائيل خولوكوف في العام ١٩٠٥ ، وما كاد يشب عن الطوق حتى نبغ، ولكنه بقي وفياً لمسقط رأسه فلم يترك اهله المزارعين القوزاق، فهو يقيم بينهم بعيداً عن موسكو والمحافل الادبية . اصدر في العام ١٩٢٦، وهو في التاسعة عشرة من عمره ، « اقاصيص الدون » وفي العام ١٩٣٢ « الارض المحروثة » ولكنه لم يبلغ قمة المجد الا في قصته « الدون الهادىء » .

صدر الجزء الاول من « الدون الهادىء » في العام ١٩٢٨ . ومن العام ١٩٣٠ الى ١٩٣٣ اصدر خولوكوف جزئين آخرين من هذه القصة الواسعة، ثم اصدر الجزء الرابع بعد ان نشره تباعاً في جريدة « ازفستيا » وفي هذه السلسلة الخالدة يصف الكاتب حياة القوزاق بين ١٩١٢ و ١٩١٩ .

الموضوع

ولد القوزاقي بانتلي مليكوف من اب روسي وام تركية . ولما شب زوجه والده من ابنة رجل قوزاقي ، ومنذ ذلك اليوم ما فتىء الدم التركي يمتزج بالدم القوزاقي . ولبانتلي الشيخ المسن ولدان ، بطرس الذي يشبه امه الروسية ، وغريغوري الشبيه بوالده .

يقع غريغوري في هوى الحسناء الكسينيا ، وتنسى الكسينيا ان لها زوجاً في الجندية لشدة هيامها بغريغوري . واذ يعود ستيبان ، زوج المرأة العاشقة، يضرب زوجته ويهددها بالقتل . ولكي يضع بانتلي لميكوف حداً لعلاقة ابنه غريغوري بزوجة ستيبان يزوجه . ولا يعتم الامر حتى يجر غريغوري عروسه ويهرب بعشيقته الكسينيا واذ يهين وقت الخدمة العسكرية ينسى بانتلي الشيخ سلوك ابنه فيمضي به الى المعسكر ويقدم اليه احسن جياده . وفي الحرب يبلي غريغوري بلاء حسناً ويعود الى قريته ضابطاً معصوب الجبين بغار المجد . على ان الثورة لا تلبث ان تزعزع حياة القوزاق الذين لزموا الولاء للقياصرة . فيحارب غريغوري الحمر بدون ان يتحمس للبيض ، فهو قوزاقي قبل كل شيء لا يرى اية فضيلة في تناحر البيض والحمر .

وقد تناول النقاد السوفييت قصة « الدون الهادىء » بالتقريع فيما يطرون قيمتها من الوجهة الادبية وتساءلوا أيكون خولوكوف كاتباً بروليتاريا ام انه يتكلم بلسان القرويين « المترددين؟ » على ان الجزء الرابع من هذه القصة طمأنهم الى ان المؤلف انضم الى الحزب الشيوعي .

والخلاصة

والخلاصة ان الابداع الادبي يشق طريقه الى تربة صالحة، والتطورات سريعة في الاتحاد السوفياتي ، ويقيننا ان ادباء روسيا يقولون بلسان تورغنييف : « كلما ادلهم الافق واضطرب المصير لجأت اليك ايتها اللغة الروسية الكريمة الحرة . وانه ليستحيل علي ان لا اؤمن بان لغة مثلك تعطى لغير شعب عظيم! » ولن يمضي وقت طويل حتى تكون النهضة الادبية في روسيا على قدم المساواة والنهضة الصناعية والعلمية – فنسبة الامية في روسيا القديمة ٨٠–٠٠ بينما اصبحت نسبة المتعلمين في الاتحاد السوفييتي ٨٠–٠٠

ابطال المسرح في التاريخ

كوكلان في « سيرانوده برجراك »

مرّ خمس وسبعون سنة على مولد الشاعر المسرحي ادمون روستان ، وخمس وعشرون سنة على وفاته . فشاعر « سيرانوده برجراك » عاش خمسين سنة مهر خلالها المسرح الفرنسي بروائع لم يُعرف مثلها منذ فيكتور هيغو . ولانزاع في ان « سيرانوده برجراك » احدثت في العام ١٨٩٧ مثل الدّوي الذي احدثته « هرناني » في العام ١٨٣٠ .

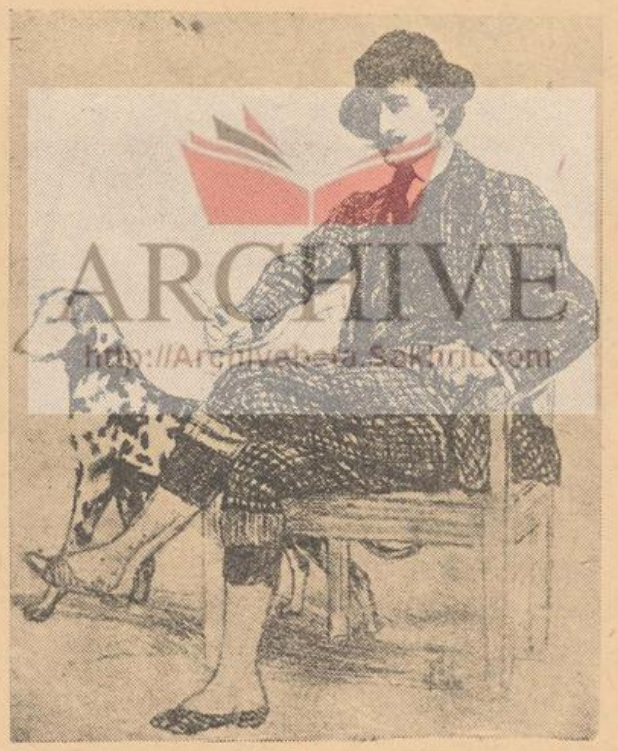
كان ادمون روستان يحب سيرانوده برجراك ويحلم بكتابة مسرحية عنه . واية روح شاعرة تعرف حياة هذا الشاعر البائس ولا تحبه ؟

ولد الشاعر سيرانوده برجراك في احدى مدن البريغور عام ١٦٢٠ من اسرة شريفة اعطت فرنسا عدداً كبيراً من حملة « السيف والوشاح » . ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره اشار عليه صديقه الشاعر لوبريه بان ينخرط معه في فرقة الحرس التي يقودها كربون ده كاستل جالو . وكانت هذه الفرقة مؤلفة من اشراف غسكونيين يجيدون فن البراز ولا يترددون في تجريد سيوفهم كلما آذنتهم الحاجة او كلما مس شرفهم بأذى ، فأخذ سيرانو هذه العادة عنهم وسرعان ما ذاع صيته حتى لقبه الغسكونيون بابليس البسالة .

وكان الكردينال ده ريشليو قد حرّم البراز واصدر امراً يعاقب بالموت كل من يبارز ، على ان القضاء لم يجرؤ يوماً ان يعاقب سيرانو الذي اصيب مراراً عديدة بجراح زادت بشاعة وجهه ، وكان يحتله انف وحشي عظيم .

نظم سيرانو روايته التشخيصية « اغريبين » وهو في ميعة العمر ومثلتها فرقة « فندق بورغونيا » .

وكان شذوذه يحمله في معظم الاحيان على توقيع اسمه تارة بهذا الشكل : « ده برجراك » وطوراً « ده سيرانو » وحيناً « ده برجراك سيرانو » واحياناً « ده سيرانو برجراك » او « هرقل ده برجراك ده سيرانو » او بهذين الحرفين « د . س . » وكان الشاعر الفرنسي الهزلي سكارون ، زوج مدام ده مانتنون ، يمقت سيرانوده برجراك لان هذا الاخير كان قد هجاه ونال منه ، فلما كتب روايته الشعرية « دون يافث ارمينيا » المع في احد مقاطعها الى هذا الاختلاف في التوقيع بان وضع في فم دون يافث هذه الابيات التي ينادي بها خادمه زاباتا بسكال : « دون زاباتا بسكال . . . او بسكال زاباتا ، اذ لا فرق بين ان يكون زاباتا في الامام او ان يكون زاباتا في الوراء » .



وكان لسيرانو اخصام من الشعراء الهزليين كسكارون وبوليو ولوريه وداسوسي ، وكان هؤلاء الشعراء يهجونه بقصائد مضحكة فيقوم ويقعد ويتوعدهم تارة بالضرب وطوراً بالهجو . وقد بعث يوماً الى الشاعر لوريه برسالة يقول له فيها : « سأحطم عظامك تحطيماً ! اعلم جيداً ان روحاً خسيساً كروحك لا يستطيع الا ان يكذب وينافق . لا بأس ، ولكن الامر الوحيد الذي اطلبه منك هو ان لا تمزقني دفعة واحدة بل شيئاً فشيئاً وعلى مهل حتى يمكنني ان اتكلف عدم الاحساس » . وبلغ به الشذوذ يوماً الى حد انه توعد احد

الاغنياء بالضرب لانه رفض ان يقرض دراهم لصديقه الشاعر داسوسي . وما عتم الامر ان وقعت الواقعة بين داسوسي وسيرانو فتوعده سيرانو بالسيف ، وكتب اليه يقول : « هلا ! وحق الموت ! ارى من الوقاحة ان تبقى في قيد الحياة بعد ان اغظتني ! من تكون انت ؟ استغرب انك لم تزل تأكل وتشرب كأنك لم تمت ... او كأنك لست من الاموات . ولكنك ستموت غداً او بعد غد ! »

وكثيراً ما كان اصدقاء سيرانو يحاولون ان يقربوه من العظماء ليتقي بهم شر مبغضيه ويأمن مصائب الدهر فيرفض بأنفة قائلا انه لا يطيق العبودية ويفضل الحرية في الفقر على العبودية في الغنى . وكان يحب العزلة فيصرف ساعات طويلة في الغابات والاحراج مستنطقاً اسرار الطبيعة ، متحدثاً الى الشجر ، مصغياً الى اغاني الطيور وفي يوم من ايام ايلول سنة ١٦٥٥ كان سيرانو ماراً تحت نافذة شريف يبغضه فأسقط عليه احد الخدم خشبة اصابته بجرح بليغ في رأسه ما لبث ان توفي على اثره وهو دون السادسة والثلاثين .

* * *

قلنا ان ادمون روستان كان يحب سيرانو ويحلم بكتابة مسرحية عنه ففي يوم من صيف ١٨٩٦ (كان روستان في الثامنة والعشرين من عمره) فيما الشاعر يروح عن نفسه بقرب ينبوع كاراوه بمدينة لوشون لقي شاباً من اولئك العشاق المفؤودين ، فاستدرجه الى الاعتراف بحبه ويأسه فقال العاشق :

— لقد كلمتها كثيراً واستحلفتها كثيراً فلم تصغ اليّ .

فقال ادمون روستان : ولكن ، ماذا قلت لها ؟

فقال الشاب : قلت لها اني أحبها .

— ثم ماذا ؟

— ثم ... كررت ذلك مراراً .

فقال الشاعر : عندما تحبك تكتفي منك بذلك ، اما الآن فهي بحاجة الى شيء آخر ، انها بحاجة الى كلمات كثيرة ، الى عبارات والوان ..

ومنذ تلك الساعة بدأت المدرسة ، فصار العاشق المسكين يتردد كل يوم على الشاعر ويعود محملا اشكالا من لغة الحب . وكان ان اجتمع روستان بالفتاة المعشوقة في احدى النزهات فقالت له :

— لم يكن يخطر ببالي ان اميدي (وكان اسمه اميدي) بهذا المقدار من الشاعرية والعلم .

والواقع ان اميدي لم يكن سوى وعاء فارغ ، على ان الشاعر كان قد اهتدى الى موضوعه . وبعد ايام كان ادمون روستان في مقصورة الممثل العظيم كوكلان يحضر تمثيل مسرحية « ترميدور » ، فقص على الممثل موضوع « سيرانو » ومنذ ذلك الوقت بدأ العمل واخذت المشاهد تتلو المشاهد ، والاشعار البليغة تلقى على الورق كأنها اشعار عادية وكأن الغد لا يخبىء لها تلك الشهرة التي طبقت الخافقين . وراجت سوق الحسد وسوق البلاهة ، سوق السفالة وسوق البهتان ، وكل ما يزحف حول الروائع من الكوالح البشرية . وعلى كل هذا كانت تحيم وداعة الشاعر الذي اعطى عبقريته ورؤي له انه لم يعط شيئاً حتى كاد يسقط في يده فارتمى بين ذراعي كوكلان ، قبل عرض المسرحية بربع ساعة صارخاً : « اغفر لي يا صديقي ، فقد زججت بك في مغامرة خاسرة ! » على ان الجمهور الغفير بقي يهتف ويصفق ، يضحك ويبكي حتى الساعة الثانية صباحاً . وكانت اعراف المجد تعطر المسرح وكل يود استنشاقها .

مثلت « سيرانو ده برجراك » اكثر من الف ومئتي مرة ودرت على المؤلف وعلى الممثلين مئات الملايين من الفرنكات . ولسنوات خلت نظمت جريدة « الجورنال » الباريسية استفتاء حول أبطال الادب فجاء « سيرانو » في الدرجة الاولى . و « جان فلجان » (بطل قصة البائسين لفيكتور هوغو) في الدرجة الثانية . و « دارتانيان » (بطل قصة الفرسان الثلاثة لاسكندر ديماس) في الدرجة الثالثة .

سألت « الجورنال » قراءها : « اي بطل ادبي احب اليكم من سواه ؟ » فنال سيرانو ده برجراك » ٢٨١٧ صوتاً ، و « جان فلجان » ١٣٣٢ صوتاً ، و « دارتانيان » ١١١٥ صوتاً ، و « فرتر » ٨١٣ صوتاً ، و « فرخ النسر » ٥٥٠ صوتاً ، و « دون كيشوت » ٤٤٩ صوتاً ، و « هرناني » ٤٤٧ ، و « اتوس » ٤١٢ ، و « جوسلين » ٤١١ ، و « مونت كريستو » ٣٤٥ ، و (روميو) ٣٥٥ .

وقد عرضت سيرانو في جميع البلدان ونقلت الى جميع اللغات . نقلها المرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي الى العربية بعنوان (الشاعر) ولكنه حولها من تشخيصية الى قصصية وتصرف بها .

وبنان الجميع كانوا يسمعونها بقلوبهم فقد حفظوها عن ظهر قلب . وفي احدى الليالي تراءى لكوكلان ، وكان تعباً لتمثيله دوره ثلاث مرات في اربع وعشرين ساعة ، ان يجتزىء اربعة ابيات من فقرة ، فوقف احد النظارة في وسط القاعة وصرخ بصوت جهوري :

— الاصل ، يا سيد ، الاصل ! .

فابتسم كوكلان العظيم وانحنى قائلا :

— الحق بجانبك يا سيد . وعاد الى الفقرة من اولها بحماسة والهام اكسباه هتافاً استغرق خمس دقائق ! .

أدب السليقة

والشيخ احمد الطرابلسي

بقلم صلاح البابيدي

◆

الادب الغريزي ناحية من نواحي الادب لم يبحثها ، بما علمت، ناقدوه . ولا عرضها مؤرخوه ، الا ان المتقدمين والمتأخرين منهم يكتفون بالاشارة اليه فيقولون: « شاعر مطبوع واديب موهوب . » فاذا طلبت تحديداً للادب عندهم رأيت ان ابن قتيبة يقول: « من اراد ان يكون اديباً فليتفنن في العلوم . »، ويقول ابن خلدون في الكلام على علم الادب: « هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه او نفيها، وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته، وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور ، على اساليب العرب ومناحيهم . فاذا ارادوا حد هذا الفن قالوا : هو حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف ، يريدون : من علوم اللسان او العلوم الشرعية من حيث متونها فقط ، وهي القرآن والحديث . » فاذا اخذنا من قول ابن خلدون : « ان الادب لا موضوع له وانما المقصود منه الاجادة » محرّفين تحديده للادب، فنكون قد بلغنا الغاية القصوى في وصف المثل الاعلى منه . فما حاجة الادب للتفنن في العلوم ، ولحفظ اشعار العرب وغيرهم؟ فما عرف شكسبير شيئاً من ذلك، ولا وقف ابو الطيب على اداب الغرب . وما معنى قولهم : « شاعر مطبوع واديب موهوب وكاتب ملهم » اذا كان تحديد الادب ما تقدم ؟

لقد اعجبني قول بعضهم : « ان الاديب ينظر بعين ويسمع بأذن غير العين التي ينظر بها الناس ، وغير الاذن التي بها يسمعون . » فاذا كانت له هذه العين وكانت له هذه الاذن ، فما ضرّه ان لا يتفنن في العلوم ولا يروي اشعار العرب واخبارهم ؟ فان العالم والراوية احوج الى ذلك منه .

الادب موهوب غير مكسوب ، وليس ادل على قولنا هذا من وجوده قبل جامعاته وكتبه، وان ابرز نواحيه واحبها للقلوب ماينتجه الاديب من صور للحياة في قالب شعري فصيح او نثر فني صريح او لغة عادية او رواية خيالية لا اثر للعلم ولا للتاريخ فيها .

فاذا سمعت اعرابية هجرها زوجها لانها ولدت له بنتاً ، وصار يأوي الى بيت مجاور لها ، ترقص ابنتها وتنشد :

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ان لا نلد البنينا ... تالله ما ذلك في ايدينا
وانما نأخذ ما اعطينا ... ونحن كالزرع لزارعينا
ننبت مـا قد زرعوه فينـا

وان زوجها سمع هذه الابيات اتفاقاً، فطفق ينتهب الخطى نحوها، حتى ولج عليها الخباء فقبلها وقبل ابنتها وقال: « ظلمتكما ورب الكعبة »، قلت معي ان الادب الغريزي خير من الادب العلمي المكتسب . فهل في هذه الابيات التي انشدتها غريزة المرأة المهجورة شيء من العلم واخبار العرب؟ واذا سمعت ابن الرومي يصف صانع الرقاق بقوله :



ما انس لا انس خبازاً مررت به
يدحو الرقاقة وشك اللمح للبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة
وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة
في صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

واذا سمعت بعد ذلك شاعر الرافدين الاستاذ معروف الرصافي يقول :

وكنت كأني اسمع الصمت ساريا
له بين احشاء الفضاء دبيب

علمت ان الاديب ينظر بغير العين التي ينظر بها الناس ، ويسمع بغير الاذن التي بها يسمعون ، وان ليس في هذه الابيات تفنن في العلوم ، وان الاجادة فيها تكفي ان تجعلها صورة من صور الفن الشعري الخالد . ومن ذلك ما رواه الاصمعي قال: رأيت امرأة ترقص طفلا لها وتقول :

احبه حب الشحيح ماله ... قد كان ذاق الفقر ثم ناله
اذا اراد بذله بدا له

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فصاحبة الاصمعي هذه اوحت لها غريزتها الادبية صورة شعرية تعجز عنها قرائح الشعراء الذين يملأون غرابيلهم ماء ، معجبين بديباجتهم ، فخورين بكلماتهم المغربلة .

ومثل ذلك ما رواه الميداني : « أتي العربان بن الهيثم بغلام سكران . فقال له : من انت ؟ فانشد :

انا ابن الذي لا تنزل الارض قدره
وان نزلت يوماً فسوف تعود
ترى الناس افواجاً الى ضوء ناره
فمنهم قيام عندها وقعود

فظنه ولداً لبعض الاشراف ، فامر بتخليته فلما كشف عنه قيل له انه ابن با قلاني . »

وهكذا نجد ابن الباقلاني الاديب في غريزته التي جلاها السكر وانطقها يرى في قدر ابيه قدراً ابقى على النار من قدور اشراف العرب الكرماء ، ويجيد تصوير الناس المندفعين الى ضوء ناره بفن ادبي غريزي يخيل للحاكم انه ابن شريف من الاشراف . وقد أحسن ابن عبد ربه اذ تحدث الينا عن الادب في الجزء الرابع من عقده الفريد قال : « واعلم ان من كان مرجعه اغتصاب نظم من تقدمه ، واستضائه بكوكب من سبقه ، وسحب ذيل حلة غيره ، ولم تكن معه اداة تولد له من بنات ذهنه ونتائج فكره الكلام الحزم والمعنى الجزل ، لم يكن من الصناعة في عير ولا نفير ، ولا ورد ولا صدر » .

فما وصل ابن عبد ربه من رأيه عند هذا الحد حتى تداركه منصفاً مصيباً بقوله : « على ان سماع كلام الفصحاء المطبوعين ، ودرس رسائل الشعر من المتقدمين ، هو على كل حال مما يفتق اللسان ويقوي البيان ويحد الذهن ويستمد الطبع ان كانت فيه بقية وهناك خبيّة » فانك لتجد في هذا الاستدراك والتحديد الذي انتهى اليه من قوله « ان كانت فيه بقية وهناك خبيّة » ما يدعم الرأي القائل بالادب الغريزي . فاذا وجدت هذه البقية وكان هناك اثر لخبيّة او غريزة كما نسميها فعندئذ تكون الثقافة ورواية الشعر والاطلاع على مختلف الاداب عوناً على اظهار ما في نفس الاديب . وقد حدثنا صاحب الاغاني ان حماد بن ميسره الراوية انشد الوليد بن يزيد الفين وتسعماية قصيدة للجاهليين ، فامر له بمئة الف درهم . وخلف حماد شعراً كثيراً رواه صاحب الاغاني عند الكلام عنه ، وبعد ذلك كله نجد حماداً راوية وليس بشاعر .

وروى صاحب العقد الفريد ان اعرابياً من بني تميم اتى مجلس ابي حماد في الكوفة وفيه ابو الحسن التمار وكان ماهراً في النحو ، فسمعهم يذكرون الرؤاسي والكسائي وابا زيد ، فجعل ينظر بفقه الكلام ولا يفهم التأويل . فقالوا له ما تقول فأجاب : ان كلامكم هذا لا يسد عوزاً مما تتعلمونه به . فقال له ابو الحسن : « ان بهذا تعرف العرب صوابها من خطئها . فقال ثكلت وأثكلت وهل تخطى العرب ؟ فقال بلى . فقال على اولئك لعنة الله وعلى الذين اعتقدوا مثلك .

وراح ينشدهم قصيدة ذكرها صاحب العقد الفريد منها :

عن الرفع بعض الخفض لا زال حافظا
ونصب وجزم صيغ من سوء رائه
فقلت لـه هذا كلام جهلتـه
وذو الجهل يروي الجهل عن نظرائه
فقـال بهذا يعرف النحو كلـه
يرى انني في العجم من نظرائـه
فمن ذا الرؤاسي الذي تذكرونه
ومن ذا الكسائي غارق في كسائه
ومن ثالث لم اسمع الدهر باسمه
يسمونه من لؤمـه سيبوائـه
فكيف يخل القول من كان اهله
وجدى له من ليس من اوليائـه

وكان يسمى هذا الاعرابي صلتان بن عوسجه فاذا قرأت ما رواه صاحب العقد الفريد في الجزء الثاني من شعره وأخباره عرفت انه الشاعر كل الشاعر .

هذا بعض شيء من الادب الغريزي عندنا ، رويته لاحدثكم بعده عن اديب خلق اديباً هو الشيخ احمد الطرابلسي المتوفي في بيروت سنة الف وتسعمائة وثماني وثلاثين غربية . وكان رحمه الله نجاراً يشتغل في سوق من احقر اسواق بيروت القديمة يصلح صناديق من خشب عتيق في حانوته المظلم ، فاذا فرغ من عمله حطّ على رأسه عمامة دمشقية مزركشة وحمل عصاه بيمينه ونفض عن برديه غبار النشارة وراح يمشي في الارض مرحاً بقامة منتصبة ضاربة في الفضاء ، وجسم عصبي اضناه النصب وضيق ذات اليد ، يخيل لحاظاً كانها ايماض برق في افق مظلم بعيد ، فان مر بك حسبته يمشي في عسكر من الجن لا يلوي على احد كانه مشغول عن العالم بوحي علوي .

أنشدنا مطرب في ليلة سمر شعراً عامياً فاقبلنا عليه باسماعنا نعجب بما يقول ، وقد لاحت لنا منه تباشير شعر غريزي ، تتلألأ فيه صور رائعة الخيال ، ليست من سقط طرازه . حتى اذا فرغ من انشاده سألناه عن صاحبه فقال وقد تمطى معجباً فخوراً : هذا للشيخ احمد الطرابلسي !!

اما وقد عرف السامع الكريم هذه الشخصية الادبية فلينهل من سلسلها ويسمع من سحرها شعراً صافياً لا يضيره انه في لغة عامية. لقد عرفت الشيخ احمد ، النجار الذي يعمل ليل نهار ليسد رمقه ، وهو على ما عرفت من كبرياء وعجب ، فاسمعه ينشدهذه الابيات يهجو بها الدنيا التي لا عمل لها الا ان تحيك الاكفان لابن آدم وحوا. وهي أغدر من النساء ، اذا أفنى العمر فيها أفنته وهو حي يرزق ، واذا منّت عليه ألبسته غزلا من اغصان عارية . ثم يخبرك بعد ذلك انه توسل اليها ببؤسه انتفسح له الطريق ، الا انها لم تفعل ، وانى لها ذلك وهي صماء وعمياء؟ثم يعود الى الليل مسترحماً والى النهار ساعيا ، فلا يرحمه الليل ولا يسعفه النهار ، كل هذه الصور الشعرية الرائعة ، كل هذا البؤس، كل هذه المعاني المتزاحمة ، كل حكاية الدنيا بل كل فلسفة الحياة في مقطوعة صغيرة لا تعدو اربعة ابيات ، فاسمعه يقول ببيانه العامي العذب :

دنيا تحيك لابن آدم وحوا كفان
هي كالنسا ان شاب في هواها يعيش كفان
يعرى من الثوب او يلبس عواري كفان
بالضيق ناشدتها او بالمروة بسمي
صما ما تسمع وعميا ما تشوف بسمي
بسترحم الليل ويقضي النهار بسمي
لا الليل يرحم ولا سعي النهار كفان

واسمع بعد ذلك هذا الشاعر المطبوع كيف يسكت نفسه عن اللؤماء ويفضل ان تقطع رجله قبل ان تسعى الى احد منهم وان تبتر يده اذا امتدت الى الناس بحاجة ، فيقول في ساعة من ساعات بؤسه المؤلم :

مين اخبرك حالتي للندل انا قصها
وان كان تسعى لنحوك ارجلي قصها
او كان يدي تعوزك قطعها اولى

ومما لا ريب فيه ان بؤس هذا الشاعر قد أثر في ادبه تأثيراً واضحاً . فاستمع اليه وقد عركه الدهر وحنكه كيف تساوت عنده جميع مظاهر الحياة ، فسيان الصيف والشتاء ، وسيان طالت يده او قصرت وسيان اذا ولى النهار او طال الليل ، وسيان هذا العيش في سكره وصحوه ، وكل ذلك ايضاً في بيتين من الشعر يقول فيهما :

تمضي الفصول لادري ان شتا او صحو
كلا ولااعلم اذا وابل هطل او طال
ما اعتب على الباع ان قصر ولا ان طال
ما احزن اذا الليل ولى والنهار ان طال
ما طاب هلعيش عندي ان سكر او صحو

واسمعه بعد ذلك كيف يرثي ولداً من اولاده فيقول ان فراق من احبهم كدر صفو عيشي وراحتي ولن يمر السرور بخاطري بعدهم الى ان يأتيك بمعنى جديد لم يسبقه اليه اديب قبله فيقول : ان حياتهم كانت حياتي فمن البديهي ان يكون موتهم موتي ، فيا ليتني لم أعرف الحالين ، متمنياً بذلك عدم وجوده ، لان وجوده اصبح عدماً . وهذا هو الحزن الحقيقي بعينه .

هم كدروا صفو عيشي وراحتي بعدهم (الظرف)
ما مر يوم السرور بخاطري بعدهم (بعد الهم)
يا ربت ما شفت هالدنيا ولا عشت ولا مت

وان للشيخ احمد غير هذا الادب البائس شعراً غزلياً يختلف عما نعرفه من نوعه . فاذا هو حدثك عن محبوبته تمنى عليك اولا ان تردد له اوصافها بنوداً متتابعة ، وبعد ان يستأنس بحديثك عنها ويطمئن الى مشاركتك اياه الاعجاب بها يعود الى اخبارك عن قناعته بحبها فهو يقنع بان ترد التحية باقل منها :بنعم ، مهما كان في ذلك من الاستخفاف به والتهكم عليه ، من خفض الصوت واختصار الجواب. يصف لك ظلمها وتمنعها وبخلها وتهكمها فيقول : اذا شكوت لها عطشاً منعتني وابل عطفها ، وعللتني بالندى ، فيقول :

اوصاف سلمى عطيب مسامعي بندى
سلمت ردت علي بصوت خافت : نعم
ناديت عطشان قالت : ارتوي بالندى

وهكذا نجد ان هذا الاديب الامي الذي جهل اشعار العرب وأخبارهم والذي جهل النحويين جهل ابن عوسجة لهم ، ورضي بما في خبية نفسه من مواهب ادبية يذكرنا بصاحب المثل السائر الذي يقول في الصحيفة الثالثة من كتابه : « ان مدار علم البيان على حكم الذوق واللسان الذي هو انفع من ذوق التعاليم ، وان الدربة والادمان اجدى على القارىء نفعاً ، وأهدى بصراً وسمعاً ، وانهما يريانه الخير عيانا ، ويجعلان عسره من القول امكانا ، وكل جارحة منه قلباً ولساناً . » وهكذا نجد كل جارحة في الاديب الملهم قلباً ولساناً .

فمن أنس في نفسه غريزة ادبية فليقطع على الادب عزمه والا فليقلع عنه ويله بغيره وبغيرنا .

صلاح البابيدي

شعر المجانين

بقلم عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجمع العلمي في سوريا والمجمع اللغوي في مصر

كلفت بالبحث عن الموضوعات التي لم يتفرغ لها علماؤنا وادباؤنا او انهم لم يستوفوا الكلام فيها فجمعت ذلك في رسائل عديدة وفي (التذكرة المعلوفية) التي بيّضت منها عشرة مجلدات في بحوث مختلفة مما لم يطرقه باحث بتفصيل واف في الادب والتاريخ والاخلاق والعمران والاجتماع والفنون على تطوراتها المختلفة مثل (شعر الخلفاء والملوك والامراء) و(شعر العميان) و (شعر المجانين)و (تذاكر العلماء)في العصور القديمة الى يومنا بتفصيل و(غرائب الحيوانات والنباتات) و(الغوص على اللؤلؤ والاسفنج، و(معارضات الشعراء) و(اقوال المشاهير) عند العرب والاجانب، و (اشعار في الاخلاق والعادات) و (التحيات عند الامم) في اللقاء والوداع و (الموسيقى وآلاتها) و (الكمأة) و (الاعصار والزوبعة) و (المغايرة) و (لغة مالطة) و (نوادر القصائد) و (توارد الافكار) و (العين والقلب) و (العيون عند العرب والافرنج) ومما قيل فيها و (الورد والقرنفل ورموزهما) و (الوصايا السياسية والادبية) و (التعارف) و (والمكيفات والمشاريب) و (البحوث الفلكية والرياضية) و (الانتقاد) و (الادب الشرقي والغربي) و (الاوائل) و (التاريخ والانساب) و (اوصاف البلدان) و (الادوات على اختلافها) و (المعربات) و (الشعر السياسي) و(بواكير الشعراء) و (الوصايا)و (النوادر) و(النبوغ) و (صناعات المشاهير) و(اعضاء الجسم الصناعية) و (التماثيل) و (اللغات واقسامها ومزاياها) و (الالعاب) على اختلافها مثل الشطرنج ومما قيل فيه والنرد والورق والمنقلة والسدر « الموريس » و « المروضات » اي العاب الجمنستيك والسباق والملاكمة والمسايفة « لعب الحكم » وغيرها على اختلافها الى اشباه هذه النوادر والشوارد التي تقصيت البحث عن تاريخها وتسمياتها وانواعها ورموزها مما لا محل لتفصيله الآن بل الاكتفاء بالاشارة اليه يغني اللبيب وهناك دروس في الآداب العربية والاجنبية ومشاهير النوابغ فيهما. وتفصيل كثير من الحوادث التاريخية والعلمية والفنية والادبية والعمرانية والاجتماعية عدا ما وضعته في كتب خاصة مما يحتاج اليه الباحثون ويقف عليه المطالعون ومعظمه مقتطف من المخطوطات ونوادر المطبوعات، مستعيناً بالله وحسن النية، طالباً ممن يقف عليه اسبال ذيل المعذرة فان العصمة لله جلّ وعلا.

والآن انتخب من شعر المجانين هذا الانموذج ليقف المطالعون على نوادرهم وشواردهم وآثارهم الفكرية متعجبين من ذكائهم وسرعة خاطرهم في مجالساتهم ومفاوضاتهم، فمنهم :

مجانين دير هزقل

ان كلمة هزقل بالزاي هي الصواب في هذه التسمية لا « هرقل » بالراء المهملة كما ذكر ابن عبد ربّه في العقد الفريد — « ٣ : ٢٤٥ » من طبعة مصر القديمة . وهزقل بالزاي هي تحريف « حزقيل » كما ذكر ياقوت في كتابه « معجم البلدان » نقلاً عن الخالدي . ويعرف في التوراة باسم « حزقيال » وعرف في هذا الدير اربعة من المجانين الذين كانوا شعراء وهم :

اولا : الشاعر المجنون الذي رآه المبرد وحادثه بقوله : اجتزت بدير هزقل فقلت لاصحابي: احب النظر اليه فاصعدوا بنا. فدخلنا فرأينا منظراً حسناً . واذا في بعض بيوته كهل مشدود حسن الوجه عليه اثر النعمة فدنونا منه وسلمنا عليه

فرد علينا السلام وقال : من اين انتم ؟ قلنا من البصرة . قال : فما اقدمكم هذا البلد الغليظ هواؤه ، الثقيل ماؤه ، الجفاة اهله ؟ قلنا : طلب الحديث والادب — قال : حبذا ! تنشدوني او انشدكم ؟ — فقلنا : انشدنا — فقال :

الله يعلم انني كمد ... لا استطيع ابثّ ما اجد
روحان لي روح تضمنها ... بلد واخرى حازها بلد
وارى المقيمة ليس ينفعها ... صبر وليس يضرها جلد
واظن غائبتي كشاهدتي ... بمكانها تجد الذي اجد

ثم اغمي عليه فتركناه وانصرفنا — فأفاق وصاح بنا — فعدنا اليه وقال : تنشدوني او انشدكم ؟ قلنا : انت انشدنا . قال :

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم ... وثوروها فثارت بالهوى الابل
وابرزت من خلال السجف ناظرها ... ترنو اليّ ودمع العين ينهملُ
وودّعت ببنان خلتـه عنما ... فقلت : لا حملت رجلاك يا جمل
ويلي من البين ماذا حلّ بي وبها ... من نازح الوجد حلّ البين فارتحلوا (٢)
اني على العهد لم انقض مودتكم ... يا ليت شعري بطول العهد مافعلوا

فقال له فتى من المجان كان معنا : فماتوا — قال له : فأموت انا — قال : مت راشداً فتمطّى . وتمدد ومات . فما برحنا حتى دفناه

ثانياً : وقال محمد بن يزيد المبرد : دخلنا دير هزقل فاذا بمجنون بيده حجر وقد تفرق الناس عنه وهو يقول : يا معشر اخواني اسمعوا مني ثم انشأ يقول :

وذي نفس صاعد ... يئن بلا عائد
يكر على جحفل ... ويضعف عن واحد

ثالثاً : وحكى الاسدي عن ابيه قال : دخلت دير هزقل فوجدت شابا حسن الهيئة مكبلا بالحديد فقلت له : من الذي أوجب لك هذه الحالة ؟ فأنشد :

نظرت اليها فاستحلت بنظرتي ... دمي ودمي غالٍ فأرخصه الحب
وغاليت في حبي ولكن رأت دمي ... رخيصاً فمن هذين داخلها العجب

رابعاً : وقال خالد الكاتب : دخلت الدير يوماً فاذا انا بشاب مغلول مربوط الى سارية فملت اليه وسلمت عليه فقال : من تكون ؟ — قلت : خالد الكاتب — قال : صاحب المقطعات — قلت نعم — قال : انشدني — فانشدته :

ترشفت من شفتيه عقارا ... وقبلت من خده جلنارا
وعانقت منه قضيباً رطيبا ... وخصراً نحيلا وبدراً انارا
وعاينت من حسنه في الظلام ... اذا ما تبدى نهاراً جهارا

فأطرق ثم أنشد :

رب ليل امد من نفس العاشق طولا قطعته بانتحاب
ونعيم الزمن وصل معشوق تبدلته بيوم عتاب

قال خالد : فوالله اني منذ ثلاثين سنة لا احسن اجازتها (٣)

ومن المجانين الذين في غير دير هزقل ثلاثة نذكرهم هنا في هذه العجالة وهم :

---

(٢) يوجد بعد البيت الذي آخره كلمة (فارتحلوا) بيت سقط في هذه الرواية وهو :

يا راحل العيس عرج كي اودعهم ... يا راحل العيس في ترحالك الاجل

(٣) لم يذكر ياقوت قصته المجانين الثلاثة الاخيرين في « معجم البلدان » ولكن ذكرها غيره

امرؤ القيس العاشق

ذكر ابن داود في كتاب (الزهرة)

ان فتى يقال له (امرؤ القيس) هوى فتاة من حيه . فلما علمت محبته هجرته . فزال عقله وأشرف على التلف وصار ترحمه الناس . فلما بلغها ذلك اتت فأخذت بعضادتي الباب وقالت : كيف تجدك يا امرأ القيس ؟ فقال :

ولما رأتني في السياق تعطفت ... عليّ وعندي من تعطفها شغل
اتت وحياض الموت بيني وبينها ... وجادت بوصل حيث لاينفع الوصل

ثم اغمي عليه فمات

مدرك بن علي الشيباني

اعرابي من بادية البصرة نشأ في بغداد وكان شاعراً عاشقاً وله في حبيبه اشعار اهمها مزدوجة في مائة بيت وبيت من الشعر مطلعها :

من عاشق ناء هواه داني ... ناطق دمع صامت اللسان

وكان حبيبه قد هجره فوسوس مدرك وسل جسمه وذهب عقله واعتزل ملازماً فراشه في بيته .

ومن قوله :

انا في عافية الا من الشوق اليكا
ايها العائد ما بي منك لا يخفى عليكا
لا تعد جسماً وعد قلباً رهيناً في يديكا
كيف لا يهلك مرشوق بسهمي مقلتيكا

الفوبرك

من المشاهير في عقلاء المجانين . قال الابلي : رأيته والصبيان يرمونه بالحجارة فلما رآني قال : اما ترى ما يصنع هؤلاء بي مع ما انا فيه من العشق والجنون ؟ فقلت له : لست مجنوناً قال : بلى والله وبي عشق شديد — قلت : فما انشدت فيه شيئاً — قال بلى وأنشد :

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو ... فهذا له حدّ وهذا له حدّ
هما استوطنا جسمي وقلبي كليهما ... فلم يبق لي قلب صحيح ولا جلد
وقد سكنا تحت الحشى وتحالفا ... على مهجتي ان لا يفارقها الجهد
فأي طبيب يستطيع بحيلة ... يعالج من دائين ما منهما بد ؟

وقال يوماً (وقد لقيته في عنقه حبل يقودونه) : يا ابا بكر بماذا يعذّب الله عباده ؟ — قلت : بجهنم — فقال صفها — فقلت له — ومن الذي يقدر ان يصف عذاب الله ؟ — فقال : انا والله في عذاب اعظم منه وكشف عن جسم نحيل وعظام بالية وأنشد :

انظر الى ما صير الحب ... لم يبق لي جسم ولا قلب
أنحل جسمي حب من لم يزل ... من شأنه الهجران والعتب
ما كان اغناني عن حب من ... من دونها الاستار والحجب

وقال له ابن الزيات : متى حدث بك العشق ؟: قال من زمان طويل ، ولكن كنت اكتمه حتى غلب — فقال : انشدني ما قلت فيه فأنشد :

كتمت جنوني وهو في القلب كامن ... فلما استوى والحب أعلنه الحب
وخلّي والجسم الصحيح يذيبه ... فلما أذاب الجسم ذلّ له القلب
فجسمي نحيل للجنون وللهوى ... فهذا له نهب وهذا له نُهب

فجر النبي

بقلم صلاح الاسير

◆

تجلى مولد الهادي وعمت ... بشائره البوادي والقصابا
وأسدت للبرية بنت وهب ... يداً بيضاء طوقت الرقابا
لقد وضعته وهاجاً منيراً ... كما تلد السموات الشهابا
فقام على سماء البيت نوراً ... يضيء جبال مكة والنقابا
وضاءت يثرب الفيحاء مسكاً ... وفاح القاع ارجاء وطابا
ابا الزهراء قد جاوزت قدري ... بمدحك بيد ان لي انتسابا
فما عرف البلاغة ذو بيان ... اذا لم يتخذك له كتابا
مدحت المالكين فزدت قدراً ... فحين مدحتك اقتدت السحابا

شوقي

● ● ●

... كانت القوافل السمراء في ملاعب الجزيرة العربية، تتقلب على الهجير وراء ظمأ السراب، وتمهل القدر، ووجد الزمن. والغمام المدل يجوب صحو السماء فوق نضرة «الطائف» وزهو «احد» وتيه «بدر» وسماح «مكة» فاذا أقبلت العشية، أحس الحجاز والحست الدنيا معه حرارة الموعد وبهجة النور ودف الظلال وطيوب اليقين. وتلفتت النجود الى القرى الحوالم على جنبات المشمس العربي، وعرت الحجر الاسود رعشة من ابراهيم، وغشي البيت الحرام جوّ من الروعة المثقلة باعباء الامجاد البواقي في براح الجاهلية، وأحاط بعبد المطلب رعيل من صحبه ونخبة اهله، على رفرف مسحور من رفارف البيت العتيق في انتظار افتراز الهنيهة عن فجر اليتيم.

وعبد المطلب على ضفة الموعد، عليل النفس، يذكر في الغصة عبدالله أحب بنيه اليه، فيعول الفراغ على هذه الارض التي عرفت عبدالله يوم نذره ابوه عبد المطلب قربانا لله، فمنعته قريش وافتداه ابوه بمائة من الابل، ويصمت الرعيل من حوله احتراماً للذكرى وحبا للشيخ الوادع الذي يحمل على خطوط جبهته العالية اروع سطور امجاد هاشم، ولقد سمع عبد المطلب همس اليهود في دروب مكة، بقرب شروق شمس نبي من العرب، فهزته نشوة متسائلة، وأخذته عزة من هاشم، وظل على اصداء الهمس، يشمخ بالصيد من آله.

وفي تلك الاونة، كانت الصحراء تواكب اعراس الاضواء من قصور «بصرى» في ارض الشام الى أحداق آمنة بنت وهب، وظلت آمنة في غور الشعاع، وتحرك طرفة الله في احشائها برفق وهوادة، وادركتها قشعريرة دافئة، ورأت الى مدائن

كسرى كيف تنهار في الرؤيا ، والخيام في رقصة حادية تتهاوى على حيرة الكثبان ، واسارير القفر تضحك بالخضرة والاضياء ، وعروق الضحى تندى عربية على الافاق ، وغرة عبدالله البيضاء تضيء في العتمة ، وعذارى الرمال يهجرن الخباء في غمر الفرحة ، والرماح تشك اللواء الاخضر في قرص الشمس ، وآمنة ابداً في جو مترف دفيق ، تحس سرها فوق الناس ، يقيمها هاجس ويقعد بها هاجس ، واترابها من حولها يشرقن باللهفة ، فاذا تحدثت آمنة أتعبها الحديث ، ووهنت منها العزيمة ، ويذهب اترابها الى كل فج ، ينشرن اضوع الحديث ، ولا تلبث آمنة ان تسكن الى اليقظة في غبطة مضنية .

وجاءها نعي عبدالله ، . . . فحز في نفسها مصابها به ، وهو في بهرة ربيعه وابان رجولته ، وهي بعد على ليالي المخاض احوج ما تكون الى زوجها النبيل ، تبثه هموم الحالات التي تسبق طور الامومة في حياة المرأة فيشاركها الاماً عزيزة ويهدي من روعها ويرقب معها فجراً رأيا بشائره منذ حملت به ، ويسهر على سنيه الاولى كافيا اياه مرارة اليتيم ، ولكنها ارادة الرحمن « والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ، وللآخرة خير لك من الاولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، الم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى ، فأما اليتيم فلا تقهر ، واما السائل فلا تنهر ، واما بنعمة ربك فحدث . » فشارفت آمنة حقيقة ارادة الله ، وعمرت قلبها طمأنينة التسليم ، وهي في امنع بيوت قريش في هاشم .

ولكن هذه اللوعة عاودتها حارة عميقة ، ليل الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الاول عام الفيل وفي رحب هذا القلق كانت آمنة تنتقل من فلك الى فلك ، وتلتمع النجوم في سماء الصحراء على الفضة ، وتوشوش الرمال في آذان النسمات العوابر ، وصواحب آمنة تحضرهن الساعة احاديثها المرنة فيتنصتن في خشوع مؤمن ، ورهبة غريبة ، ولولا معنى اليتم الذي كانت تحسه آمنة لولدها النبي لكانت يومئذ في بهجة الابد وفرح الدهر . وفجأة تسكت الريح ويرف النبات الربيعي في تلك الليلة قبل اوانه ، وتواكب الصحراء من جديد اعراس الاضواء الرافلة من قصور «بصرى» في ارض الشام الى احداق آمنة بنت وهب ، وتضج الارض بزلزلة ايوان كسرى ، ويهدر البحر بالصلاة ، وتطفى دموع الشوق من عيون الدراري ، ويبارك الله هدأة السحر ، وتنهض آمنة بالمطلب الممهور ، ويرق الهزيع الخضل ، وتنشق الهنيهة الولهى عن فجر النبي .

ضمت البشرى بذراعيها بطحاء مكة ، ومراح الجزيرة ، وأقبل الشيخ الوقور على اضواء الفجر يحمل اليتيم على راحتيه ، يطوف به صحن البيت العتيق ، تاركاً آمنة حرى تهمهم بمثل البوح ، وتفكر بوليدها التي ابصرت بتوهج الشعلة في مقلتيه الجميلتين ، وعبير الطمأنينة في سمرته الرقيقة ، بينما عينا النبي تنفذان الى اعماق الالوان المختلفة ، فتلين القباب ، . . ويغضي الوليد ، ويتأمل عبدالمطلب ، وتتمتم شفتاه باسم محمد ، هذا الاسم الذي يبقى على الدهر اغنية الحق .

صلاح الاسير

العناية بالجنين

بقلم الدكتور حسين سري الدين

سبق ان حدثتكم عن العناية بالجنين ، فاتيت على علاقة الجنين بالحامل، قائلا ان العناية بها هي العناية به . وقد بدأت ببيان بعض ملاحظات عن تلك العناية، وخصصت منها ما كان شديد التعلق بجسم الام وجسم جنينها، كحالة الحامل النفسانية والعصبية وتغذيتها. وحديثي هذا الشهر هو تتمة ذلك الحديث ، وهو يتضمن الملاحظات الاتية :

التنفس ان الحبلى المكلفة بتغذية جسدها وجسد جنينها من دمها مجبرة على تنقية دم الجسمين وخصوصاً جسم الجنين الذي لا يملك من اعضاء التنقية العاملة ما يساعده في شيء بالرغم عن افرازاته المقدرة ، وكل ذلك بواسطة رئتين فقط ، لان رئتي الجنين لا تبتدأن عملهما الا بعد الولادة . فالحامض الكربونيك المحروق وتوفير كمية الاكسجين اللازمة مطلوبة من رئتي الام ، تلك التي اكثر الادران في دمها نفسه ، لاسباب سبق ذكرها في المقال السابق .

فيقتضي لها والحالة هذه زيادة التعرض للهواء النقي ، ولا يقتصر هذا على مدة النهار فقط، بل تزداد الحاجة اليه في الليل ايضاً . ولهذا يجب ان تغتنم فرصة الوجود في الخلاء والهواء الطلق معظم النهار، وان تبقى نوافذ غرفتها مفتوحة ليلا ونهاراً، وبصورة تضمن تجدد الهواء في كل الفصول مع الاحتفاظ بالتدفئة المعتدلة بنسبة الطقس، والا تكون عرضة لتسمم جسمها وجسم جنينها بحامض الكربونيك . وعلى الحامل ايضاً تجنب ارتياد الاندية المزدحمة بالناس ودور السينما وما شاكلها من الاماكن التي يفسد هواؤها . وما وجع الرأس والالام المزعجة والشعور بالتعب والكسل والخمول وانحطاط القوى التي تشعر بها الحبلى اثناء الحمل الا صراخ الطبيعة في طلب الدم النقي الذي يتطلب الهواء النقي ايضاً . ومما يساعد على التنفس وانعاش القوى حفظ مسام الجلد مفتوحة بواسطة الاستحمام وخصوصاً التنشيف العنيف بعده .

الرياضة البدنية لتحسن الدورة الدموية وسعادة الجنين يجب على الحامل ان لا تهمل الرياضة البدنية غير العنيفة ، وان لا تستنكف عن قضاء الواجبات المنزلية كالعادة يومياً ، ما خلا رفع الاثقال وتعليق الستائر، مع تجنب الاكثار من ركوب الخيل والسيارات ، وخصوصاً في اول شهرين وآخر شهر من الحمل ، وان تعمد الى رفع رجليها عند طلب الاستراحة كي لا تنتفخ المجاري الدموية فيها وتعرضها الى حصول الدوالي المعروفة . ويشترط في هذه الرياضة ان تمارس في الخلاء، رجاء الحصول على الهواء النقي والاكسجين، وتشتد الحاجة اليها في حالات القبض وسوء الهضم .

الاسنان ان اسنان الحامل عرضة لالام عصبية بحتة دون مرض موضعي فيها تزول بتحسين حالتها العصبية العامة كما مر بنا . ولا يجب ان يوجه للاسنان علاج خاص او يبادر الى خلعها من اجل ذلك، كما انها عرضة ايضاً للنخر ولسائر انواع الامراض التي تسبب التهابات وتقرحاً وغيرها من الاسباب التي تؤدي الى وجود سموم يمتصها الدم وتتصل بالجنين ، فتحدث به من الاضرار ما يؤدي الى القضاء على حياته . اما التغيرات التي تحصل وتسبب هذه الانزعاجات، فهي تغيير في تركيب اللعاب الكيماوي، وتغيير في تركيب المادة الكلسية في الدم، او نقص في تلك المادة مسبب عن تطلب الجنين كمية وافرة منها لاجل بناء جسمه ، حتى ان الكمية الباقية لا تفي بحاجة جسم الام . ولهذا يجب الاكثار من الاطعمة التي تحتوي المادة الكلسية والفسفورية ، واخصها الحليب والزبدة والحبوب والبيض والبقول المورقة، مع الاكثار ايضاً من اخذ الاطعمة المحتوية للفيتامين ، تلك المادة التي تعمل ترسيب الكلس من الدم في خلايا الجسم ، وهذه توجد في زيت كبد الحوت . وفي صفار البيض وفي الزبدة والحليب ايضاً، او باخذ هذه المادة كمستحضر طبي جاهز في جرعات معروفة ، وبالنتيجة يجب ان تكون الحامل تحت مراقبة طبيب اسنان ماهر يتصرف بمعالجة اضراسها كما يقتضيه الفن ، غير هياب من اجراء المعالجة اللازمة مهما كانت عنيفة ، وغير متردد بخلع اي ضرس لدى الضرورة لان الخطر من التسمم الذي قد ينتج عن بقائها يفوق الخطر الذي يتعرض له الجنين من خلعها ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والجنين الذي يكون واهي الجسم لدرجة تجعل خلع الضرس خطراً على اسقاطه لا يصلح ان يعيش ولو ولد حياً .

الكليتان ان ادرار البول هو عملية ارتشاح الدم او تصفيته، وتقوم به الكليتان بسهولة تامة في الحالات العادية . اما في حالة الحمل حيث تكثر افرازات الجنين في دم الحامل وحيث يطرأ بعض التعديل في كيماوية ذلك الدم ، فتضطر الكليتان الى اجهاد قواهما لاتمام عملها الفسيولوجي ، وهذا الاجهاد اما ان تقوما به بدقة وبدون عناء، واما ان تعجزا عن القيام به وتصبحا مريضتين وعاجزتين عن تصفية الدم، فيتحول ما تحتويانه من ادران وسموم الى دم الام فدم الجنين، ويعرضه ذلك الخطر الشديد كما يعرض الحامل له . ولهذا يجب ان يوضع عمل الكليتين تحت المراقبة الشديدة طيلة ايام الحمل . وهذا يتم اولا بمراقبة كمية الادرار ، ففي حالة الصحة يجب ان تدر الكليتان كل يوم من الليتر والربع فما فوق، واذا قل الادرار عن هذا المعدل فيجب ان يطلع الطبيب على ذلك ، وثانياً بفحص البول مرة في كل من الاربعة الاشهر الاولى ومرتين في الاربعة الاشهر الثانية وثلاث مرات في الشهر الاخير . وفي بعض الاحيان لا يكتفي الطبيب بهذه التحاليل فيعمد الى تجربة وظيفة الكليتين باساليب فنية خاصة . وعلى كل يجب على الحامل ان تسير بدقة تامة طبقاً لتعاليم الطبيب بعد تحليل بولها . اما تكرار البول في الشهرين الاخيرين او الشهر الاخير من الحمل فهو ناتج عن ضغط الرحم على المثانة ، ولا عبرة له اذا كان تركيب البول طبيعياً ، وبجدر بالحبلى ان تكثر من شرب الماء لاجل تخفيف كثافة الدم واكثار ادرار البول وغسل مصفاة الكلية .

الامعاء والقبض القبض شكوى الحامل في غالب الاحيان، وله مضار التسمم من حيث اتصاله بدم الحامل ، فدم الجنين . وينتج في اكثرهن اما عن عدم الرياضة البدنية الكافية التي لا تعيرها معظم الحبالى الاهمية اللازمة فترى معظمهن يتزوين في البيوت ويلبسهن الخمول والكسل والجمود ، او عن عدم معرفة اختيار انواع الاطعمة اللازمة، او عن نفسانية الحامل وعصبيتها او عن اسباب مرضية تظهر للطبيب ، ولجميعها نفس النتائج الوخيمة على الحامل وعلى الجنين . ولمداراتها يجب الاكثار من الرياضة البدنية كما مر ، وخصوصا التمارين الخاصة بتقوية عضلات البطن والتي يمكن للحامل ان تقوم بها كل صباح في غرفة نومها ، وكل ليلة قبل النوم . ولا تستغرق العملية اكثر من عشر دقائق كل مرة . فتتقوى بذلك عضلات البطن والرحم ، مما يسهل الولادة ايضا : ويجب اختيار المآكل المضادة للقبض كالفاكهة ، خصوصاً المجففة والمحفوظة بماء السكر منها ، ويجب اكل الخبز الكامل ، اي بدون رفع النخالة من الدقيق . ويجب الاكثار من شرب الماء خصوصاً في الصباح . ويجب تحسين حالة عصبية الحامل ونفسانيتها وجلب الابتهاج والشجاعة الى روحها ، فاذا لم تنجح هذه الوسائل كلها في ازالة القبض فيجب الرجوع الى الطبيب لاكتشاف موضع السبب ومداواته . اما الاكثار من اخذ المسهلات في هذه الحالات دون استشارة الطبيب فخطر يجب تجنبه .

اللباس للباس الحامل علاقة مباشرة بالجنين عن طريق الضغط على اعضائه في حالة لبس المشدات والثياب الضيقة التي تعوقه حركته وتؤثر على نموه ، او عن طريق الاحتقان في الاوعية الدموية في الحامل . من اجل هذا يشترط في ألبسة الحامل ان تكون واسعة يلقى ثقلها على كتفيها وليس على سائر اعضاء جسمها ، بحيث لا تعوق حركة التنفس ولا تضايق الدورة الدموية . واذا كان لا بد من مشد البطن لمنع التدلي الناتج عن ثقل الجنين فيجب ان يصنع من القماش القطري فقط دون استعمال مواد قاسية في تركيبه . وان ما تستعمله الحامل من حافظات الصدور تجنبا لتدلي الثديين فهذا يغرق الحلمة ويسطح الثدي ويعوق الحركة الدموية ، وبالتالي يؤثر على ادراره وبروز حلمته عند الرضاع، وهو ما يجب تجنبه . واذا كان لابد من استعماله فيجب ان يحاط بطريقة تضمن رفع النهد دون اي ضغط عليه . وفي كل الاحوال يجب ان تكون الالبسة في الشتاء دافئة ، لان التعرض للبرد له تأثيره الشديد على الجسم ، خصوصاً فيما يختص بجهاز الحامل التناسلي الداخلي . واما الحذاء فيجب ان تكون واسعة لا تعوق الحركة الدموية ، اولا لان الحركة الدموية في الاطراف ضعيفة بصورة اجمالية، وثانياً لان الاوعية الدموية في رجلي الحامل تتعرض للانتفاخ بسبب ضغط الرحم تفرعات تلك الاوعية بقرب الحوض ، ويجب ان تكون واطئة الكعب لان عاليته تؤثر على السلسلة الفقرية فتسبب فيها انحناء يضغط على البطن ، وهذا بدوره على الرحم فتعوق حركته وتسبب للحامل انزعاجات تؤثر على الجنين بصورة مباشرة، فضلا عن ألم الرأس والظهر الناشيء عن اجهاد العضلات المقاومة ذلك الانحناء . هذا هو مجمل الملاحظات المتعلقة بصحة الجنين وموعدنا باستقباله طفلا في الشهر القادم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عفيف سبري الدبس

التطور نحو الحرية

◆

بقلم الدكتور كريم عرفول

ما زال العقل البشري ، منذ ان لمعت في افقه لاول مرة فكرة الخير والشر ، يحقر المادة ويحط من شأنها ، ويحث على ازدرائها ، ويصفها بأبشع الاوصاف ويلبسها أسف الالقاب . فهي تمثل في نظره عنصر الفساد وعالم الظلمة وحيز الشقاء ، هي الشيء الدني الذي انحطت الى ملاحقته الروح ، والثوب القذر الذي تدنست بملابسه ، والسجن المطبق الذي القيت فيه . هي صورة الشر في العالم وانعكاسه وتجسده .

ولا تظنن ان هذه الفكرة عن المادة كانت وليدة الاديان والمذاهب الصوفية ، بنتها هذه في اذهان الناس ليتوفر لها البقاء والاستمرار والانتشار . لان هذه الاديان والمذاهب الصوفية نفسها لم تنشأ الا تحت تأثير هذه الفكرة السابقة لها في الوجود ، حتى انه يمكننا القول ان الاديان والمذاهب الصوفية لم تكن سوى تعبير عملي عن تلك الفكرة ، فما السبب يا ترى لوقوف العقل هذا الموقف الغريب من المادة ؟

ان نظرة نلقيها على طبيعة المادة والروح ، نرفقها بنظرة الى نشوء العالم الحي وتطوره تكشف لنا الستار عن حقيقة هذا الامر . اذ يتبين لنا اذ ذاك ان الروح والمادة عدوان قديمان ، ما تصادفا حتى تصادما وكان تصادمهما نضالا عنيفا طويلا قاست فيه الروح من المادة اهوالا لا تزال تعبر عن تألمها منها في تحقير العقل للمادة وازدرائه لها والحط من شأنها .

المادة هي الامتداد المكاني الجامد ، والروح هي الدوام الزماني المتحرك . المادة مقر الجمود والتقيد والعبودية ، والروح حيز الحركة والانطلاق والحرية . وما تاريخ العالم الحي سوى نضال متواصل لقهر الجمود والتقيد والعبودية ، والتخلص منها الى الحركة والانطلاق والحرية .

لقد كانت ساعة رهيبة في تاريخ الكون تلك التي تحركت فيها المادة لاول مرة من تلقاء ذاتها تحت دفعة التيار الحيوي المتسرب اليها ، وارتعش لاول مرة على سطح هذه البسيطة اول عرق اخضر ، اذ ان ذلك الحدث لم يتم الا بعد ان حطمت الروح قيود المادة ، ذلك العنصر الذي لا يتحرك الا اذا اصابته الحركة من خارج ، ولا يقبل شيئا فيه الا بتخلخل اجزائه ، ولا يكبر الا عن طريق الجمع ، ولا يتكاثر الا عن طريق القسمة ، وجعلت منه كائناً يتحرك من تلقاء ذاته ، ويحول الى نفسه بالتغذية ما يدخل فيه ويكبر بالنمو ، ويتكاثر بالتناسل ، كائناً له كيانه الذاتي وحياته الخاصة وعمله المعنوي فكان ذلك اول انتصار احرزته الروح على المادة غب تاريخ التطور الكوني .

الا ان هذا الانتصار لم يكن تاما لمقاومة المادة العنيفة التي توفقت بثقل جمودها وتقيدها وعبوديتها الى تحديد نطاق عمل ذلك الكائن الجديد فكبلته بالارض التي ينبت فيها وابقته في حيز اللااحساس المتربعة هي فيه .

غير ان هذه المقاومة لم تفقد الزرع الحيوي زخمه ، بل اثارته وقوت فيه الرغبة في التحرر من قيود المادة ، فتحول عن تلك الطريق التي قادت به الى النبات وشق له طريقا جديدة وانطلق عليها بنشاط وعزم وقوة زائدة .

وكان للروح انتصار جديد عندما تحرك لاول مرة عن احساس اول حيوان على هذه الارض واخذ ينتقل من مكان الى آخر حسب رغبته ووفق ما يشتهي متمتعاً بما له من الاحساس والادراك والقدرة على الانتقال بكيان اكثر ذاتية ، وبشخصية اكثر استقلالا وبعمل اوسع نطاقاً واشد معنوية من النبات .

بيد ان هذا الانتصار على المادة لم يحقق كل ما كانت تسعى اليه الحياة من حركة وانطلاق وحرية اذ ان هذا الحيوان وان يكن قد انعتق الى حد بعيد من جمود المادة وعبوديتها لم يزل في قبضتها وتحت سيطرتها . فادراكه الجزئي المنفعل لا يزال تحت سلطان المادة ، ورغبته الحسية لا تزال تحت سلطان ادراكه ، وحركاته الانعكاسية لا تزال تحت سلطان رغبته ، فالنعجة مثلا وان تكن على درجة من التطور ارفع من درجة الحيوان الاول الذي نحن بصدده ، اذا ما ابصرت نبتة انطبعت في ذهنها صورة هذه النبتة بعينها مع جميع خصائصها الجزئية فتبعث هذه الصورة في نفسها بالضرورة رغبة في تناولها وهذه الرغبة تدفع باعضائها بالضرورة الى التحرك نحوها ففعل هذا الحيوان اذن وان يكن صادراً عن ادراك وعن قدرة معنوية على التحرك مقيد بالمادة خاضع لتأثيرها خضوعاً لا سبيل الى مقاومته .

وكان هذا الفعل النسبي دافعا للنزوع الحيوي الى تشديد الضغط على المادة ومتابعة سيره الى الامام فانطلق تيار الحياة هذه المرة في وجهتين متباينتين قادت الواحدة منها الى تكوين نوع الحيوان الذي ينتمي اليه النحل وقادت الثانية الى تكوين ذوات الفقرات .

غير ان السير في الوجهة الاولى لم يلبث طويلا حتى توقف لما ابدته المادة من العناد والمقاومة وكل ما نالته الحياة في هذه الطريق خلق اداة للمؤونة معصومة عن الخطأ تخدم الحيوان بدقة واحكام في القيام باعماله الضرورية لحفظ كيانه الفردي وتأمين استمرار نسله وهذه الاداة كما تعلمون « الغريزة» لكن هذه المؤونة الجديدة التي تنشأ من فطرتها كاملة لا تنمو ولا تزيد عند الحيوان مالم تخلصه من القيود المادية التي رأيناها تثقل كاهله ولهذا لم يبق امام الحياة سوى تلك الطريق الاخرى لتحقيق هدفها الاسمى .

فسارت فيه باقدام اليائس وبأسه وتوتر قواه فاذا بالحيوانات ذوات الفقرة تتحول وتتطور على ممر الزمن يستحث تيار الحياة فيها شوق ملتهب تتزايد نحوه الحركة والانطلاق والحرية الى ان تمثلت لاول مرة في دماغ اول انسان اول فكرة مجردة .

اين القلم الملهم الذي سيصف لنا وقائع تلك الهنيهة الفريدة واين الريشة المسحورة التي سنعكسها في خطوط والوان ، واين الاصابع المجنونة التي سنعزفها الحانا وانغاما ، انها كانت بالحقيقة اعظم هنيهات الزمن اذ سجل فيها اعظم حادث في تاريخ الكون وأبهر انتصار عرفته الخليقة الا وهو ظهور الحرية على مسرح الوجود الحي فبتمثل الفكرة المجردة في دماغ الانسان تحرر ادراكه من المادة وأصبح كلياً فاعلا بعد ان كان جزئياً منفعلا وانفتقت الرغبة من سلطان الادراك وتخلصت الحركة من سلطان الرغبة واصبح في امكان هذا الكائن ان يرى شيئاً مرغوباً فيه ولا يريده ، وان يرغبه ولا تتحرك اعضاؤه لتناوله ، اصبح لا يعمل الا للسبب الذي يريد هو ان يعمل من اجله وهكذا أعطته الفكرة المجردة ان لا يكون حد لتزايد معارفه ولا امد لانبساط حقل عمله وان يمسي سيداً على العالم المادي الذي يتصرف فيه كما يشاء ويسخره لاغراضه حسبما يريد .

ولم ينته هنا نضال الروح في سبيل الحرية اذ ما بلغت الحياة هذه الدرجة السامية من تطورها حتى وجدت نفسها امام مشكلة معقدة ما زالت تفسد عليها هذا الانتصار الباهر وتقضي على ثمرة جهودها الجبارة وتنزلها من على هذه الدرجة السامية التي ارتفعت اليها . ذلك لان التطور الذي ادى الى نشوة العقل والحرية لم يتم الا بالحياة الاجتماعية ، لكن التصادم بين ارادات البشر الفردية الذي كان نتيجة طبيعية لحرية كل منهم كان من شأنه ان يهدم الحياة الاجتماعية ويقضي عليها ، فيقضي بالوقت نفسه على الحرية التي لا يمكنها ان تستمر طويلا بدونها .

امام هذا الخطر الفاجع اضطربت الروح في نشوة ظفرها وقلقت ثم استنجدت بالعقل البشري الذي كانت تجلت فيه فأخذ هذا يبحث عن حل يضمن استمرار الحياة الاجتماعية من جهة ويؤمن حرية الافراد من جهة اخرى الى ان توفق الى هذا الحل في الشريعة ، فالشريعة بتحديدها علاقات البشر بعضهم مع بعض وبتبيينها لهم واجباتهم وحقوقهم تزيل ذلك التصادم الذي كان من شأنه القضاء على الحياة الاجتماعية وهي لكونها صادرة عن ارادة الافراد العامة الذين سيسنونها ويخضعون لها خضوعهم لارادتهم الخاصة لن تحول بينهم وبين التمتع بحريتهم .

تحت هذه الفكرة وبهذه النية تابعت الحياة سيرها وتطورها في المجتمع البشري غير حاسبة حسابا للفاجعة الكبرى التي ستنزل بالحرية الاجتماعية في كثير من الامم وفي عهود متعددة من التاريخ . اذ ما توزع البشر على سطح المعمورة امماً وشعوبا واستعدوا لقبول الشريعة التي ستصون حياتهم الاجتماعية وتكفل حريتهم حتى استقوى فرد من افراد الامة على المجموع واستقل بالحكم دون سواه وفرض على ابناء امته شريعة تعبر عن ارادته هو ، لا عن ارادتهم هم ، فخنق هكذا الحرية وابادها وكان ما يسمونه الدكتاتورية .

غير ان الروح لم تيأس في نضالها وما زالت تنفخ في روع البشر وتشد عزائمهم لاجل السعي وراء الحرية الاجتماعية حتى حل ذلك اليوم التاريخي الذي رج فيه في احدى قاعات باريس صوت ذلك الثائر الافرنسي الصارخ برسول الملك « الا اذهب وقل لمولاك اننا هنا بارادة الشعب ولن نخرج الا بقوة الحراب » . وكانت تلك الصرخة اعنف تعبير عن ارادة الامة للتحرر من الاستعباد الدكتاتوري وعن تصميمها الخضوع لشريعة تكون وليدة ارادة تلك الامة نفسها وقد سجل التاريخ في تلك الساعة انتصار الروح النهائي وافتتاح عهد الحرية الذهبي في عهد الديموقراطية . ولا شك ان هذا الانتصار لن يكون تاماً الا عندما تعم الديموقراطية جميع الامم وتطبق في كل منها تطبيقها الكامل فتبلغ الروح اذ ذاك هدفها الاسمى وتحقق ما كانت تنزع اليه منذ الاول من تمام الحركة والانطلاق والحرية .

على ضوء هذه الحقائق يجب ان نفهم معنى هذا النضال العالمي المستعر نيرانه بين الامم ، هذا النضال الذي يقلق الروح من جديد في نشوة انتصارها ويهزها خوفاً على مصير الحرية الاجتماعية . وعلى ضوء هذه الحقائق ايضا يجب ان نقدر اهمية ذلك الحدث الذي مرّ بامتنا منذ حين الا وهو اقدام ممثلي الديموقراطية في الوقت عينه الذي تفقد امم حريتها وتدوس استقلالها سياسة الفتح والدكتاتورية على الاعتراف بحقنا في الاستقلال والحرية الذي يمكن للروح معه تحقيق هدفها في امتنا كما حققته مراراً في غابر الاجيال .

كريم عبود

فرنسا الحرة حركة ثورية

بقلم عمر فاخوري

◆

ايما كاتب او باحث يتصدى للكلام على «حقوق الانسان» وعلى المدى الذي اجتازته هذه الحقوق ، سواء في مضمار العلم النظري ام في مضمار التطبيق العملي ، فلا مندوحة له عن ان يخص الشعب الفرنسي بفصل من اشرق فصول التاريخ ، وأروعها وأبقاها على الايام ، والا فذلك الكاتب او الباحث بعيد عن احترام نفسه وعن انصاف الحقيقة . ولنقل دفعة واحدة ، دون ان نخشى لومة لائم ، او تهمة متهم بالاسراف والشطط ، ان امرءاً هذا شأنه انما «يظلم» عامداً متعمداً الانسان وحقوقه والعلم وكرامته .

لسنا نزعم ان الشعب الفرنسي ابتدع حقوق الانسان المدنية والسياسية من العدم ، ولا انه قد ارتجلها بين بكرة وضحاها ارتجالا . فالمدنية الصحيحة لا تعرف هذه الاثرة الجنسية التي تريد النازية الضالة المضلة ان يوصم بها الفكر البشري ، اشنع وصمة . وان الحكماء والفلاسفة والرسل ، على اختلاف الاقوام والنحل ، نادوا بحقوق الانسان من اقدم ازمنة التاريخ ، ودعوا اليها ، ولست مراحل التمدن الانساني سوى خطى ضيقة تارة وتارة واسعة ، مترددة طوراً وطوراً ثابتة ، نحو اقرار هذه الحقوق في المجتمع ، باقرب ما يمكن الى الكمال ، واكثر ما يمكن من الشمول ، كأن البشرية تسمو الى مثلها العليا في سلّم — لولبية ، اجل — لكنها سلم ذاهبة صعداً ، على كل حال .

اقل ما يقضي الانصاف ان يقال ويجهر به ، هو ان الشعب الفرنسي كان سباقاً الى اعلان حقوق الانسان السياسية والمدنية بمدلولها الحديث ، في وجه العالم قاطبة ، سباقاً الى تأييدها ونصرتها في جهاد تقطر منه صحائف التاريخ دماً — دم شهدائه وابطاله .

لقد سبقت الثورة الفرنسية الكبرى وتقدمتها زمناً ، ثورات في بلاد اخرى ، لكن لم يكن لاحدى هذه الثورات المزية العالمية الانسانية التي اتسمت بها ثورة ١٧٨٩ وماتلاها . فالى الامة الفرنسية بالدرجة الاولى يرجع الفضل في ان حقوق الانسان المدنية والسياسية قد داخلت الضمير الانساني حتى اصبحت جزءاً متمما له ، عريقاً فيه ، وجاوزت طور الاوضاع السياسية والحكومية كي تصبح اسلوب تفكير ، ونهج حياة ، للافراد والامم على السواء .

لنضرب مثلا ثورة ١٨٤٨ . في تلك السنة ثار الشعب الفرنسي على ملكه لويس فيليب وأعلن جمهوريته الثانية ، فماذا كان ؟ هل ظل هذا الحدث محصوراً اثره ، مقصورة دلالته ، في فرنسة وعلى الشعب الفرنسي ؟ لا ، لقد كانت اشارة انذار ساطعة شهدتها اوربة من أقصالها الى اقصاها ، اشارة انذار الى الشعوب جميعاً . لقد علمت اوربة يومذاك ان المسألة ليست تبديل نظام حكومي بنظام آخر ، ولا الاستغناء عن خدمات اسرة ملكية باسرة اخرى ، وانما هو استئناف السير بالثورة الفرنسية الكبرى من الموضع الذي اوقفتها الرجعية فيه ، حتى تبلغ مبادىء الثورة غايتها ، لا في فرنسة وحدها ، بل بين الشعوب الاوربية وشعوب العالم ايضاً . في ذلك اليوم اصبح تحرير الشعوب المغلوبة على امرها ، وتحرير الافراد في ظهراني تلك الشعوب ، شيئاً واحداً ، بعد ان كانا شيئين مختلفين . بهذا قضى الثائر الباريسي الذي اقتلع حجارة شوارعه ، كي يتسلح بها في نضاله الدامي لنصرة حقوق الفرنسي في فرنسة ، وحقوق الانسان في العالم . ورحم الله اناتول فرانس القائل : « ان على باريس مهمة ، ومهمتها ان تعلم الدنيا . فان من حجارة ارض باريس التي طالما ثارت من مواضعها لنصرة العدل والحرية تفجرت الحقائق المعزية المنقذة . » لكن بوسعنا ان نطلق كلمة اناتول فرانس البليغة على ثورات ١٧٨٩ و ١٨٣٠ و ١٨٤٨ و ١٨٧١ على السواء . حلقات مفرغة من سلسلة ذهب .

ان الشعب الفرنسي شعب ثوري باوسع معاني الكلمة واسماها . شعب « تقدمي » . . وكأن هذا الشعب يمضه ويحز في نفسه ، عصراً بعد عصر وجيلا اثر جيل ، ان يرى البشرية في سياق تطورها الفكري الاجتماعي السياسي ، تتسكع في مكانها ، تحرك قدميها دون ان تخطو خطوة . فهذا الشعب يندفع ويدفع العالم معه بعنف ، الى الامام . . ان الشعب الفرنسي يحمل على كاهله اعظم تراث ثوري عرفه التاريخ .

واذا ما ذكر هذا التاريخ ثورات ١٧٨٩ و ١٨٣٠ و ١٨٤٨ و ١٨٧١ فلن يجد بداً من ان يذكر ايضاً ثورة الجنرال ده غول والفرنسيين الاحرار على الرجعية اينما ثقفت ، وباي مظهر ظهرت ، سواء في فرنسا نفسها ام في العالم ، اعلاناً لحقوق الانسان منفرداً ومجتمعاً . وقد لا تكون هذه الحركة الفرنسية الحرة ، في تراث فرنسة التقدمي الانساني ، آخر حلقات السلسلة . فان من الشعوب من يفرض عليه التاريخ ضروباً من المهام ، لا مناص له عن انجازها .

عمر فاخوري

بيروت تحت الضرب

ذكريات خطيبة مطوبة

١٩١٢ - ١٩٤٢

بقلم حليم دموس

... وكان الناس في « ساحة البرج » والمرفأ وفي كل مكان ، يسيرون الى اعمالهم مبكرين ، كأنهم اسراب نحل تحوم هنا وهناك حول خلاياها .

وكنت في المدرسة العلمانية اتحدث وبعض الزملاء الى الرئيس (ديشان) يوم سرت اشاعة في المدينة خلاصتها ان حادثاً فجائياً سيهز البلد من جهة البحر لاسباب دولية ، يعرفها جيداً رجال الاوساط السياسية ..

وجاء الاستاذ عساف الكفوري وبعض اساتذة الصفوف العربية ودخلوا على الرئيس ايضاً واكدوا له الخبر .

وكان من عادتي بعد خروجي من المدرسة الواقعة قرب (تباريس) في حي الدحديله ان اتوجه تمريناً للخاطر الى اعلى محل في حي (الاشرفية) على مقربة من حلووز الماء فأمر بجانب مدرسة (زهرة الاحسان) صعداً الى رابية مرتفعة هناك تشرف على مناظر طبيعية ساحرة لم تتفتح العين على اجمل منها .

وكنت احياناً اكمل سيري الى جهة معامل «السيوفي» فأقف في محل عال كأنني في طيارة .

وهناك اسرح الطرف يميناً ويساراً في تلك المشاهد فأستعرض امامي المنازل والبساتين والحدائق ، والبر والبحر ، وجسر بيروت ، والساحل ، وقرى بيروت المعلقة كأنها اوكار طيور .

ولم تكن شوارع بيروت يومئذ على طرازها الحديث وهندستها العصرية اليوم بل كانت مجموعة ازقة ضيقة ، واقبية رطبة ، ومداخل قديمة ، ودهاليز قذرة ، ولا سيما جهة شارع « فوش » اليوم المؤدية الى المرفأ فقد كانت تنبعث منها روائح كريهة تضيق منها الصدور فضلا عن ممرات ومسالك متعرجة مظلمة يدخلها الانسان وقلبه يخفق هلعاً وهو عرضة لجراثيم فتاكة او لمدية شقي اثيم او اعتداء مفاجيء .

وما هي الا كارتدادة الطرف حتى شاهدت حركة غير عادية في مرفأ بيروت ، كأن حريقاً مداهماً ايقظ الناس فذعروا ، او كأن جماعة من البحارة تصطدم وتقتتل على الرصيف بين المصرف العثماني ومخازن اوروزدي باك ومحطة سكة الحديد ، وما حولها من مصارف ومخازن وفنادق ومنازل . وظهرت فجأة دارعتان ايطاليتان كأنهما توجهان انذاراً الى بعض قطع صغيرة من السفن راسية في مدخل الميناء . وسمعت صوتاً من جهة مصب نهر بيروت كأنه هزيم رعد انصب على المرفأ ، فدك بارجة بخارية فيه اسمها (عون الله) فارتجت جوانب المدينة ، وتراقص الزجاج منهاراً من نوافذه وابوابه .

ثم سمعت اصواتاً بشرية تتعالى في الفضاء ، من رجال واطفال ونساء لعدم توقعهم مثل هذا الحادث الغريب في بابه . فتركت مكاني مهرولا الى جهة « ساحة البرج » كأنني المح بعين فكري صورة يوم الحشر ، او ارى ملحمة مؤلمة تفتت الاكباد وتلين قلب الجماد .

فهناك عربات صاعدة بسرعة الريح الى جهة الجبل ، وهناك عويل نساء يحملن اولادهن الى امكنة مجهولة ، ومرت من امامي فجأة امرأة مذعورة تلطم على صدرها صارخة ، وقد بلغها ان ولدها المستخدم في المرفأ ، ذهب ضحية شظية من شظايا الاسطول ..

ولمحت فراناً حاسراً عن ذراعيه يحمل العجين بيديه ، ينقله الى بيته ليصعد به الى احد مصايف لبنان وقد قيل له ان الضحايا نحو المئة ..

ورأيت محامياً يحمل اوراقه والى جانبه تاجر كان معه في السراي ، فأجلا الدعوة الى ان تنقشع هذه الغمامة . وسمعت « مختاراً » يقول ان اسراً عديدة عزمت على النوم خارج بيوتها تحت اشجار البرتقال والتوت على طريق فرن الشباك وجل الديب وانطلياس وعاليه وبيت مري وضواحيها .

وشاهدت فريقاً كبيراً من حملة الاقلام وقد توجهوا الى

خارج بيروت ، وبعضهم اعتصموا في اماكنهم ، وفي طليعتهم الشيخ عبدالله البستاني ، فقد ظل في مكتبة سليم نصر . اما الشيخ اسكندر العازار فكان يكتب مقالة (من حواضر البيت) في ادارة جريدة (البرق) فخرج بسرعة البرق مع الاخطل الصغير وبعض الرفاق يطلبون النجاة من الخطر المحدق .

وشوهد الاستاذ جرجي عطيه خارجاً من ادارة جريدته (المراقب) يقصد سوق الغرب ، والاستاذ امين الغريب صاحب (الحارس) يقصد مسقط رأسه « الدامور » .

وهكذا بقية الزملاء والاساتذة فقد هجروا مطابعهم ومدارسهم واعمالهم وفروا الى جهات آمنة .

وما كدت اصل الى « ساحة البرج » حتى اصطدم كتفي فجأة بكتف السيد انيس الخوري صاحب مجلة (النفائس) وهو مهرول يقصد بيته في الحي السرسقي فالتفت اليّ وهو جاحظ العينين رعباً وهلعاً ، وطلب مني بالحاح ان انثني راجعاً وان اتبعه الى البيت لامر ضروري لا يمكن تأجيله .

وكان لصاحبنا مكتبة ومطبعة ومجلة في الشارع المؤدي الى « النورية » .

اما مجلته فقد صدرت شهرية في سنتها الاولى وكان رئيس تحريرها كامل بك خميه (محافظ بيروت السابق) ثم حولها في سنتها الثانية الى مجلة اسبوعية روائية بقلم الشاعر الناثر المرحوم طانيوس عبده ، وكانت تصدر بانتظام ، ومثلها مجلة « الخليل » للاستاذ خليل كسيب (الصحافي المتقاعد والوزير السابق) .

وكان المرحوم طانيوس عبده قد توجه في ذلك الاسبوع الى مصر لقضية خاصة تتعلق بروايته المشهورة (روكامبول) لاعادة طبعها في وادي النيل . ولا سبيل لصاحب النفائس ان يتصل به وفي نيته اصدار رواية عن ضرب بيروت ..

فسار بي الى بيته في تلك الساعة الرهيبة ، واعدلي مكتبة واوراقاً واقلاماً ودواة وعهد الي بانشاء تلك الرواية ، فتمت في خلال ٢٤ ساعة وصدرت في ذلك الاسبوع باسم (فاجعة بيروت) ووقعت اسمي هكذا ح . د .

* * *

دونت ذلك في مفكراتي التي عثرت عليها بين اوراق قديمة مطوية احتفظ بها في احدى زوايا مكتبي . وكم في الزوايا من خبايا ...

ولقد كان هذا منذ ثلاثين سنة اي في ٢٤ شباط من عام ١٩١٢

ولا ازال منذ ذلك العهد الى اليوم اتمثل تلك الساعة الرهيبة واردد ابياتاً كافية من قصيدة رقيقة مؤثرة لشوقي امير الشعراء قالها على اثر ضرب الاسطول الايطالي لمدينة بيروت ، مطلعها .

يا رب امرك في الممالك نافذ
والحكم حكمك في الدم المسفوك

الى ان يقول مشيراً الى بيروت ولبنان وسوريا :

ما كنت يوماً للقنابل موضعاً
ولو انها من عسجد مسبوك
بيروت يا راح الذليل وانسه
يمضي الزمان عليّ ، لا اسلوك
الحسن لفظ في المدائن كلها
ووجدته لفظاً ومعنى فيك
ان يجهلوك فان امك سوريا
والابلق الفرد الاشمّ ابوك
سالت دماء فيك حول مساجد
وكنائس ومدارس وبنوك !.

* * *

ولما كان صاحب السمو الملكي الامير محمد علي باشا ولي عهد المملكة المصرية حالياً اول من تبرع عن مصر باعانة مالية كبرى قدمت يومئذ لآل المنكوبين من جرحى وقتلى فقد اشار شوقي الى ذلك في ختام قصيدته حيث قال يرحمه الله :

لك في ربى النيل المبارك جيرة
لو يقدرون بدمعهم غسلوك
يكفيك برءاً للجراح ومرهماً
ان الامير (محمداً) يأسوك
لو يستطيع كرام مصر كرامة
(لمحمد) بقلوبهم ضمدوك
هو في ابتناء المجد صورة جده
اذكرت (ابراهيم) في ناديك

* * *

وان في ذكرى (ابراهيم) شبل ذلك الاسد العلوي مؤسس المملكة المصرية لاجمل وابلغ اشارة شعرية لطيفة تتناجى فيها الارواح بين صنين والاهرام وتظل على تراخي الايام والاعوام اقوى صلة روحية بين مصر ولبنان والشام .

٢٤ شباط ١٩٤٢

حليم دموس

طبيب العائلة

في حديثنا الاخير تكلمنا على واجبات طبيب العائلة فوفينا الواجب الثاني حقه وهو فحص الافراد في حالة الصحة . والان انتقل الى الواجب الثالث وهو الارشاد الجنسي :

ان يقظة الشعور الجنسي واشتعال جذوة الميول الطبيعية في اجسام اليافعين اليانعة كثيراً ما تجمح بهم الى مهاوي الرذيلة او الى جحيم الامراض او الى استحكام العادة الخبيثة . وبين استحياء الفتيان ونزق الشبيبة وغفلة الوالدين او جهلهم تذهب الضحايا البريئة ويقف الطب عاجزاً في كثير من المرات عن استدراك هفوة صغيرة سببها الجهل او الاهمال .

فطبيب العائلة والحالة هذه هو المرجع الوحيد والمسؤول الاول عن ارشاد اولئك الاحداث الى اعراض هذه السن ونتائجها وكيفية اتقاء المضر منها معتمداً في كل ذلك على ما برأسه من حكمة وعلم ودراية ، وما بقلبه من عطف ومحبة وحنو . واذا قدر لاحدهم الانحدار في احد المزالق فعليه ان ينتشله بيده الجبارة قبل استفحال الامر وفوات الفرصة وحلول الندم . وتشتد الحاجة الى هذا النوع من النصائح في بلاد كبلادنا فقيرة جداً في هذه الناحية من نواحي التأليف والتربية . فلا المدرسة ولا الام ولا المؤلفون يعنون بتعميم هذا النوع من الارشاد بين ناشئة البلاد بالرغم من وفرة الكتب التي تقع بين ايدي الناشئة والتي تضم صفحاتها منتهى الغواية والتضليل وتحويل الافكار الى السيء من السبل .

وتطور فسيولوجية الجنس في هذه السن لا تقتصر على الوجهة التناسلية فحسب ، بل تتعداها الى مواطن الروية والتفكير وسائر نواحي القوى العقلية والعصبية الكائنة في الانسان ، لما لذلك من صلة بافرازات الغدد الداخلية ووظائفها المتنوعة التي وصل الى فهمها الطب في مراحله الاخيرة . وكثير من الفتيان والفتيات يرسمون في هذه السن خطط الحياة المستقبلة سواء اكانت اجتماعية ام عملية . وعلى هذه الخطط الواهية المرتكزة على عدم اتزان في هذه القوى تقوم سيرتهم التي كثيراً ما تكون مشبعة بالخيبة والفشل ، ولا سيما اذا اتفق ان الوالدين المفروض فيهم السيطرة على مستقبل بنيهم قد اصبحوا عاجزين عن فرض ارادتهم عليهم في تلك السن ، وكثيراً ما يجرع الشبان الى اطبائهم بملء الطمأنينة شاكين لهم ما لا يجرؤون على شكواه الى الوالدين ، مستأنسين بما يبديه نحوهم هؤلاء من عطف وحب مشبع بالنصائح الحكيمة التي تحول مجرى حياتهم وتؤدي بهم الى مواطن الفلاح والراحة والسعادة . واذا ملك الاحداث الجرأة الكافية واعادوا على مسمع اطبائهم ما يدور على السنة عشرائهم من الاراء الصحية المتعلقة في هذه السن وعن العلاقات الجنسية وعن الامراض السرية وعن كل ما يدخل في نطاق هذا الموضوع لتمكن هؤلاء الاطباء من تمحيص الحقيقة وبيان الفاسد او الصحيح منها ومحو كل ما يمكن ان توسم به تلك الادمغة اللدنة من اوهام وفساد وتضليل . والذي يشجع الفتيان على الافضاء بكل ذلك الى اطبائهم هو الثقة المكتسبة من احتكاكهم بهم وشعورهم بما يكنون نحوهم من محبة واخلاص .

وقد يتدخل طبيب العائلة بما له من صلاحية ودالة في تأخير زواج ، او منعه اذا رأى انه يقوم دون ذلك حوائل صحية دون ان يكون هنالك ما يسيء الى السمعة او يسيء الى الاخرين او يتنافى ودستور الطب . وفي حال وقوع زواج غير صحي يمكنه وقف جني ثماره الفاسدة بالنصح والارشاد ، ومثل هذا الزواج كثير الحصول في كل بلد لا تسهر حكومته على صحة الزواج وسلامة النسل بل تكتفي بالتصريح الديني تاركة الازواج والعائلات يحصدون ثمار اهمالها وغفلتها . فكم من الضحايا البريئة تقدم على مذبح الزواج المقدس ، وكم من الحملان البيضاء تنحر على فراش عرسها .

وكم من العذارى السعيدات اللواتي يبتدىء تاريخ تعاستهن وآلامهن في مساء ذلك اليوم الذي ابتسم صباحه بشعاع الامل والرجاء . وكم من الفتيات النضرات الممتلئات حياة ونشاطاً منين بالخيبة والفشل بعد ان تسربت الى دمائهن النقية جيوش الجراثيم القتالة من امير احلامهن ومنتهى آمالهن منذ الاجتماع الزوجي الاول . وكم من العرائس اللواتي يحاكين زنابق الحقول بجمالهن الحالمات بالحياة العائلية المثمرة يفاجأن بدبيب السموم القتالة في احشائهن عوضاً عن اختلاج الجنين البريء المنتظر . وكم من القبلات المعسولة التي تتضمن ، عوضاً عن عربون الولاء والوفاء ، رسل الامراض والاسقام . وكم من الانفاس التي كان ينشد فيها الطهر والصفاء تنقلب الى بؤرة فساد وشقاء . . كل ذلك والشرائع تحمي الزواج وتقدسه ولا تجرؤ على تدارك ضرره او فصم عراه ، ودستور الطب لا يجيز التدخل غير المشروع في مصالح الخلق ، او اباحة اسرار المهنة ، ولو كان من وراء ذلك الكتمان ، ضرر على المجتمع وتهديد للنسل . فاذا لم يمكن تحويل الشرائع الدينية المقدسة الى تدارك هذا الخطأ الفاحش باجبار الخطيبين على التزود بالشهادات الصحية المثبتة براءتهم من الامراض التي تقف دون الزواج ، واذا كانت الحكومات تلهو بسن شرائع الحرب والتدمير فعلى الاقل يجب الاعتماد على طبيب العائلة الذي يقدر على ان يخفف نوعا ما من هول العاهات الاجتماعية التي نسمع صداها كل يوم في الاندية والمجتمعات .

طبيب المجلة

الاحداث السياسية والحربية في شهر

اتسم شهر اذار الفائت بجملة احداث ديبلوماسية وعسكرية اهمها قبول القسم الاكبر من زعماء الهند التعاون المطلق مع الحلفاء في الحرب الحاضرة . فقد انتدبت الحكومة البريطانية السر ستافورد كريبس لمباحثة كبار الشخصيات الهندية ولا يزال المندوب البريطاني يواصل مباحثاته وقد تستمر هذه المباحثات الى منتصف شهر نيسان . وترمي العروض البريطانية الى ضمان اتحاد الهند واستقلالها ، وهي تعطي الاتحاد الهندي مطلق الحرية في البقاء ضمن نطاق المجموع البريطاني او الخروج منه ، على ان الدفاع عن الهند لا يمكن وضعه بين ايدي الهنود ولو اجمعت الاحزاب على طلب هذا الامر ، ويتوقف اعتراف انكلترا بالدستور الهندي على توقيع المعاهدة من قبل الحكومة البريطانية والبعثة السياسية المعهود اليها بوضع صيغة الدستور . اما المعاهدة فتتناول جميع المسائل المتعلقة بنقل تبعات انكلترا الى الهند وحماية الاقليات الجنسية والدينية وفقاً للتعهدات البريطانية . وللحكومة البريطانية ان تحتفظ طول مدة الحرب بتبعة المراقبة على الدفاع عن الهند . ولكن تنظيم الموارد العسكرية والمادية ينتقل الى حكومة الهند نفسها . وصفوة القول ان الامتيازات البريطانية على جانب كبير من الاتساع بدليل انها تعترف للهند بحق الاستقلال المطلق .

بين فرنسا الحرة والولايات المتحدة وفي جملة الاحداث الديبلوماسية الخطيرة التي تخللت الشهر الفائت اتفاق عقد بين حكومة الولايات المتحدة والاميرال دارجانليو ، المفوض السامي للقوات الفرنسية الحرة في الباسيفيك . ويلخص هذا الاتفاق في تأكيد الحكومة الاميركانية ان سياستها فيما يختص بفرنسا والممتلكات الفرنسية قائمة على صيانة سلامة فرنسا والامبراطورية الفرنسية وارجاع الاستقلال الفرنسي التام واستقلال جميع الاراضي الفرنسية في المستقبل . وينص هذا الاتفاق ايضاً على ان حكومة الولايات المتحدة لن تفاوض الا السلطات الفرنسية الحرة في كل ما يختص بالممتلكات الفرنسية الواقعة في منطقة الباسيفيك لان هذه الممتلكات واقعة بالفعل تحت اشراف الجمعية الوطنية الفرنسية المنعقدة في لندن ، وان سلطات الولايات المتحدة لن تتعاون الا مع السلطات المشار اليها في الدفاع عن هذه الجزر .

في الميدان الروسي امافي الميادين الحربية فالجيوش الروسية لا تزال ماضية في الهجوم والتقدم . وقد احتلت خلال الشهر المنصرم عدة مدن واكملت تطويق خركوف واحتلت شوديفو وكريفنيو ويوكنوف وتكاد تقضي على الجيش الالماني السادس عشر المطوق في ستارايا روسا . وقد كان العالم ينتظر حملة الربيع التي كثيراً ما هدد بها الالمان ، وهي ان السلطات الالمانية المأذون لها تصرح بان هجوم الربيع لن يبدأ قبل نهاية نيسان او ايار . ذلك ان الربيع لم يستطع طوال اشهر الشتاء تنظيم جيشه لهجوم الربيع . ويقول الخبيرون الترك ان المانيا انزلت الى الميدان في معركة الشتاء مقداراً كبيراً من القوات الاحتياطية كان معداً لحملة الربيع وانها فقدت اكثر من نصف عدتها . ولا بد لها من هدنة موقتة ليتمكن من تهيئة الهجوم المقبل . واهم ما يشغل القيادة الالمانية في الاونة الحاضرة حشد فرق عديدة في البلدان الاوروبية لمقاتلة الروس في الحملة القادمة . ومعلوم ان هتلر طالب من بلدان اوربا الوسطى بذل جهد اكبر لمساعدته على اعداد حملته ، ولكن هذه البلدان لم تلب طلبه بعد . وتفيد المصادر الحيادية ان الاستعداد الالماني يواصل في مناطق الجبهة الروسية . اما الاشاعات الرائجة حول اعادة بعض القواد المفصولين فيصعب اثباتها . ومهما يكن فتنظيم القيادة الالمانية — اعاد فون براوشتيش وسواه الى الميدان ام لا — من الامور الراهنة ، كما انه من الراهن حشد وحدات مصفحة في المناطق القريبة من البترول ، وصفوة القول ان حملة الربيع او الصيف تبدو على غير ما كانت تؤمله القيادة الالمانية . وقد تطلع علينا الاشهر المقبلة بمفاجآت لم تكن بالحسبان .

في الشرق الاقصى واما في جبهة الباسيفيك فقد اتسم النشاط الياباني ببعض التوقف ، ويبدو ان اليابانيين يصلون الى خاتمة نجاحهم . وقد صرح الجنرال بريت ، قائد طيران الحلفاء تحت قيادة الجنرال ماك ارثور ، بأن العدو سيقهر عما قريب وتسترجع منه المواقع المكتسبة . ومعلوم ان ماك ارثور ، قائد جيوش الفيليبين ، عين اخيراً قائداً اعلى لجيوش الحلفاء في استراليا وان الحلفاء يتأهبون لشن هجومهم الكبير على اليابان .

في الشرق الاوسط وينشط البريطانيون في الشرق الاوسط الذي سيمثل دوراً خطيراً في حملة ١٩٤٢ الى جمع مقادير كبيرة من الاعتدة والرجال . وتجري حركة تموين هذه القوات عن طريق البحر المتوسط بالرغم من نشاط غواصات العدو وطيرانه .

الزعامة الحقة

◆

ان الاضطهادات والمحن التي ترهق امة من الامم هي من مجارب الخلاص لانها تمهد السبيل الى انفجار الشعور العام الذي يراد خنقه . وليس ينوء بعبء تلك المحن والاضطهادات الا النفوس الخاملة العادية ، بينما النفوس الباسلة القوية تخرج منها اشد عزيمة واقوى مراساً . ثم لا يلبث المثل الاعلى ، ابو البطولة ونافث روح الحياة فيها ، ان يبعث حياً ظافراً .

وبديهي انه ليس لامرىء سوى طريقين اثنين يسلكهما لانهاض امته وتهذيبها وترقيتها، هما الفكر والعمل : الفكر مبدع الفن والجمال والحكمة،بنى الاهرام ورفع الاكروبول واعلى قباب الحمراء رمزاً للايمان ، وشدا بالالياذة واوحى بالمرسيليز وهدى الشعراء والفلاسفة .

والعمل خالق المثل العليا ، نفخ القوة والرجاء في نفوس الرسل والشهداء ، والجنود وعظماء القواد ، من بابار الى نابليون ، ومن طارق بن زياد الى الاسكندر . وهو ايضاً اعطى العالم ابطال الايمان والرحمة والمحبة ، الذين يقذفون في روع الانسانية بذورهم ، فتنبثق منها للاجيال زهرة البطولة الحقة .

واكثر ما تحتاج الامة في محنتها فالى رجل يمثل في ذاته فضائل الفكر والعمل . على ان الامة لا توفق الى رجلها العظيم ما لم تكن قد تهيأت تهيئاً مشتركاً شاملاً للوثبة الجبارة التي تضطرب في نفسه . فالفرد مهما استجمع من فضائل شخصية لا يستطيع من تلقائه ان يخلق من العدم اداة سياسية او اجتماعية ما ، اذا لم تكن تلك الفضائل مستكنة ايضاً وبالدرجة الاولى في ضمير امته . وليس الزعيم سوى مكافأة الامة على مجهود افرادها ، اولئك الافراد الذين تنطوي صدورهم على الجرأة والارادة : الجرأة في التفكير والارادة في العمل . لكن يجب ان يتضامن الفكر والعمل في هؤلاء الافراد جميعاً ، على تباين استعداداتهم وميولهم ، فلا يكون ثمة مفكرون في ناحية ، وعاملون في ناحية اخرى .

قلنا ان الزعيم هو مكافأة الامة على جهود افرادها . فعلى هؤلاء ان يفكروا ويعملوا حتى اذا اهتدوا الى ذلك الرجل ودفعوه ، دفعهم هو بدوره ، ورفعهم . وان الامة بماضيها وحاضرها ومستقبلها هي التي تخلق زعيمها ، ممثل فضائلها ومستودع تراثها الروحي . ومتى قلنا : الامة ، فلا يصح ان نسقط من الحساب ، الآلام والمحن والاماني والاحلام ، تلك التي تتمثل في الرجل الفذ ، فيصهرها بما يضطرم في نفسه من نار الحمية والاخلاص الوطني والتضحية والزهد فيما عدا المهمة التي وضع نصب عينيه القيام بها ، ثم اذا هو يقود امته في طريق الخلاص من محنتها ، في طريق المجد ، نحو تلك القمة التي اجلسها عليها من قبل ، ابطالها الميامين ، لخير شعبه والانسانية على السواء .

على ان الزعامة الحقة تكون اولا وآخراً مستمدة من ارادة الشعب،مستهدفة مصلحته التي لا يمكن، اذا فهمت على حقيقتها، ان تتنافى ومصلحة سائر الشعوب ، فهي تتلاقى واياها في صعيد واحد من الفكر الانساني الذي لا يعرف حدوداً . وفي هذا على ما نعتقد روح الديمقراطية الصحيحة .

البير اديب

مايول والمثالة الفرنسية

بقلم ج . لوسين



الاميرة فلور للمثال مايول

لا مشاحة في ان المثالة (او صناعة التماثيل) تستازم بطبيعتها من الجهد ، ولا سيما من الجهد الفكري، ما لا يستازمه فن الرسم او التصوير . فالوقت الذي تقتضيه المثالة من شأنه ان يحول دون التجارب الطوعية والمحاولات المجانية المرتجلة . وهكذا لم يعرف ذلك الفن ما اجتازه فن الرسم ، في الاعوام الاخيرة ، من حالات البحران او الحمى الذهنية .

لكن اذا امعنا النظر نرى ان هذا الامر كاد يقع ايضاً . فقدوة المثال (رودن) الذي تجسدت فيه الفردية المتطرفة كانت خليقة ان تؤدي بالمثالة الى تلك الغاية . سوى ان رودن كان من العباقرة ، قيمة صنيعه الفني فيما وراء اسلوبه (او في انه لا اسلوب عنده) . على ان المثالة ، عقب وفاة رودن ، وُجدت في مثل الحيرة او القلق الذي وجد فيه فن الرسم عقب المذهب الانطباعي، اذ اصبح من الواجب ان تعاد الى المثالة قوانينها، ولم يكن ذلك هيناً بعد ان انقطت كل صلة بالماضي .

لقد كان فضل (بورديل) في انه فطن الى هذه الضرورة ، وهي ان تعاد الى الفن وحدته . غير ان الاسلوب هذه المرة قضى على الروح الفني قضاء مبرماً ، نعني ذلك الاسلوب الجامد الذي تصرم زمنه ، والذي مهر العالم بمدرسة من شرّ المدارس الفنية ، تقوم على مذهب في التقليد لا تعد الاكاديمية بأزائه شيئاً مذكوراً . فالعقل، كما يقول (ايلي فور) اذا تجاوز حده خطوة واحدة صار فلسفة ، فاذا خطا خطوة اخرى امسى سفسطائية او صناعة لفظية لا طائل تحتها ، ولم



بوس الفن في باريس المحتلة : مايول اكبر مثال فرنسي يهيء بيده عشاءه العجيف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتحاش بورديل السقوط في حمأة ذلك الضرب من السفسطائية « اللفظية » .

على ان هذا لا يهم كثيراً ، منذ اصبح حل مشكلة الفن في متناول اليد . فبينما كان بورديل يعدو خلف المجد، كان (مايول) يواصل مجهوده الفني الذي عرج به دفعة الى سماء الابداع الكوني المطلق . لا نقول ان الكلاسيكية قد بعثت من مرقدها ، انما نقول انها استمرت كأن لم ينبت حبلها ، وكأن جميع طرف الماضي الفنية قد انتهت الى هذا الفن الجديد . ومنذ ذلك الحين اصبح تاريخ المثالة الفرنسية واضحاً ، وطريقها قويمة موطأة .

وبالفعل ، ان بباريس لعهدنا هذا ، طائفة من المثالين الشباب احرياء بالاعجاب ، ولا يفتأ عددهم في ازدياد .

لا جرم ان هؤلاء الفنانين الشباب لم يبلغوا من التطور مرتبة واحدة . فبعضهم ما زال جاداً في البحث عن ذاته ، بينما البعض الاخر مسترسل في اساليب ونظريات غير ناضجة . وثمة نفر ما انفكوا مترددين متسمة آثارهم بالقلق والحيرة ، بينما نفر آخرون قد استسلموا بسهولة فائقة لنشوة الصنيع الفني . لكن لا يسعنا ان نتجاهل ضرباً من التجانس او القرابة بين آثار اولئك المثالين الشباب جميعاً ، وهو تجانس قيمته الفضلى في انه غير صادر عن اي تقليد او محاكاة . وهذا بديهي، فهؤلاء الفنانون ليسوا تلامذة استاذ واحد . ان فريقاً منهم تتلمذوا لمايول ، لكن اكثرهم تخرجوا من كلية الفنون الجميلة (تخرجوا منها مادة وروحاً) دون ان يتاح لهم لقاء المعلم الشيخ ، مرة .

ويخيل الينا، رغم هذا كله، ان للمثالين الشباب تراثاً مشتركاً . ذلك ان مايول هو عندهم اكثر من معلم : انه كسبب وجودهم . بهذا يعرف الائمة الحقيقيون ، فهم لا يؤثرون تأثيراً مباشراً محدوداً بالضرورة ، خانقاً المواهب الفطرية ، لكن لصنيعهم الفني معنى او دلالة عامة تبدل سيرة الفن وتحول سياقه . وان ما يعطي المثالة عندنا في هذا العصر ، تلك القوة وذلك التنوع ، هو ان مايول قد وجد . وان عظمة المبتدعين من رجال الفن تقوم بانهم يحررون الذين يأتون بعدهم من اسر الجهل ورق الضلالة . فاذا كان مايول قد استطاع ان يحدث ما احدثه من اثر ، فلانه لم يتنازل عن شخصيته بوجه ما ، ولانه لم يطلب عبارته الانسانية الباقية في الكتب او في المتاحف ، بل في ذاته . وهنا تأويل عظمته وسر تأثيره في المثالة الفرنسية الحديثة .

ج . لاسين



بؤس الفن في باريس المحتلة :
المصور دوفي يمزج الوانه على جريدة سيارة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لماذا تحارب اميركا

تعود الناس تلقيب الولايات المتحدة بالجمهورية الفتية لمحض ان قدر لها على وجودها حتى الان نحو مئة وخمسين عاماً من العمر. لكن حكومتها تعد من اقدم حكومات الارض عهداً. فهي من الدول القلائل التي لم تبدل شكل حكمها منذ تأسيسها الى اليوم. وقد رأت النور وهي منقطعة عن سائر العالم يفصلها محيطان كبيران عن القارات الباقية، ولا جيران حولها يضمرون لها شراً. فامكن اهلها ان يعيشوا براحة وطمأنينة ويعالجوا ما في اراضيهم من ثروة ويستثمروا خيراتها الظاهرة والخفية.

كان سكانها قلالا على مساحتها الواسعة فشوا دائماً في الحياة بتقدم مستمر. واغراهم نجاحهم المتواصل بالابتعاد الدائم عن كل اشتباك بالمشكلات الاوربية. وكان اتساع الارض امامهم مانعاً لهم من الشعور بضيق، بل حال دون ادراكهم للضيق الذي يشعر به سواهم.

وما زالوا هكذا ينعمون بعزلة هادئة حتى وفرت اموالهم وتدرجوا في مراحل الحياة من دور الى دور، فعظمت قوتهم واحترمهم الاجانب، وفوق ذلك تكاثر عديدهم فصاروا بطبيعة الحال من الدول الكبرى.

ولم يلبثوا ان ادركوا، بحكم احتياج الشعوب اليهم، اهمية اشتراكهم مرة بعد مرة في حل مشكلات هذه الشعوب. ولما ختم القرن التاسع عشر سادت الفوضى والاضطرابات في جزيرة كوبا، الواقعة على ابوابهم، فاكرهتهم على محاربة اسبانيا وتجريدها من مستعمراتها. فاحتلت اميركا الفيليبين في الشرق الاقصى واصبحت بهذا السبب علاقاتها كثيرة باسيا واوربا.

وبعد ١٥ سنة نشبت الحرب العالمية الاولى فبذلت حكومة الولايات المتحدة جهدها لعدم الاصطلاء بنارها وبقيت محايدة خلال السنوات الثلاث الاولى. لكن تفسيرها للحرية التجارية جعلها تميل شيئاً فشيئاً الى جانب الحلفاء ضد المانيا والنمسا وما زالت الحوادث تتوالى حتى اندفعت عام ١٩١٧ الى الميدان بعد نسف الغواصة الالمانية للباخرة الانكليزية الكبيرة لوزيتانيا واغراق عدد كبير من ركابها الاميركيين.

وبعد قهر المانيا في تلك الحرب عادت الولايات المتحدة الى عزلتها ورفضت حكومتها ما اراد رئيسها الدكتور ولسن جرها اليه من الاشتراك مع الدول في التنظيم العام الجديد، ولم تنخرط في سلك جامعة الامم التي انشأها ذلك الرئيس نفسه.

لكن هذه العزلة لم تكن طبيعية فقد تكاثر احتكاك المصالح الاميركية بمصالح لدول الى ان صار من المستصعب معالجة مشكلة عالمية بدون الوقوف على رأي الولايات المتحدة في شأنها.

والان ما الذي يحدو باميركا الى دخول الحرب الحاضرة؟

قبل الاجابة على هذا السؤال نمهّد بذكر ثلاثة عوامل: اولها ان تقاليد الحرية بعيدة المدى في اذهان الاميركيين واخلاصهم للديمقراطية قوي عميق. ان محبي الحرية في سائر العالم يحتملون مثلا ان تقوم على جوانبهم حكومات عاتية مستبدة. اما الاميركيون فلا يتصورون هذا الامر ممكناً بجوارهم، بل يرون كل تهديد للحرية اينما كان، تهديداً لحريتهم نفسها.

والعامل الثاني ان القوة التي تستطيع اميركا وضعها في الميدان، في جهاد كالجهاد الحاضر في سبيل الحرية، عظيمة جداً. وعظمتها تغري الاميركيين بالقائها في احدى كفتي الميزان ما دام يترتب على ذلك تعجيل فوز الحرية. فعندهم كل الوسائل الضرورية لقهر العدو، سواء في العقول او المواد او التنظيمات او الاطمئنان الى عجز العدو عن التوصل اليهم وعرقلة اعمالهم.

والعامل الثالث والاخير هو ان الاستسلام للخوف من عدو اجنبي امر غير مألوف في تاريخ الاميركيين حتى الان. ان جميع مساعي الالمان لترغيب الاميركيين في اجتناب هذه الحرب لم تؤثر فيهم بمقدار قلامة ظفر. فهم يكرهون الحرب بطبيعة حالهم، لكنهم لاجل ذلك يكرهون وجود طاغية كهتلر على رأس دولة كالمانيا. لان هذا ما جلب الحرب على العالم وعليهم. وقد جاءت اساليب هتلر في التعدي على دول اوربا الصغيرة واعماله في فرنسا وغيرها مبررة لرأيهم فيه وحاملة اياهم على الهبوب في وجهه.

هم لم يحاربوا في الماضي لجر مغنم ولا يحاربون الان لغرض مادي. بل كل ما يطمعون به تعزيز الحرية في العالم وانقاذها من مخالب النازي والفاشست واضرابهم. واذا كانوا يهتمون في حرية العالم فلأن حريتهم الخاصة مشتقة منها، ولا يأمنون عليها الا عند تأمين الحرية العامة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحلفاء والشرق

بقلم صلاح الاسير

◆

نحن اليوم على ضفة الربيع الثالث من هذه الحرب ، نحاول ابداً النفاذ الى اغوار الغد القريب ، ما وراء الغمام القاتم . وعلى نجمة ليالي الربيع في افاق هذا الشرق الصاحية ، رواء احمر ، يستحيل شحوباً على الاجواء ، فالارض اليوم في بهرة المأتم الفاجع .. نحن على ضفة الربيع الثالث ، هذا الربيع الذي نريده طاهراً كالشرق ، ساذجاً كاعرافه ، فتياً كامانيه ، غضاً كسمائه ، ترقزق فيه طيور الصباح ، وتغني مياه الانهر والعيون ، وتفتر وجوه الحقول عن الف لون ، وترف الاطياب مع النحل والفراش على ثغور الورد والاقاح والياسمين ، والنجوم تلمع فرحة بالربيع ، والنور والظلمة يمرحان على وجه الكرة ، والاشجار تحمل حبوات عصور في كل نواة ، والشرق في جو الصلاة ، على حدود تراب الخطيئة .

ولكن الصراع الذي حضن بذراعيه الارض ، دغدغ الشرق ، وابعده عن احلامه ، ودفع به الى اتون المخاض العالمي المريع ، بين معسكري الحق والباطل ، ولقد قلنا في حديث القيناه يوم اعلنت الحرب بالحرف الواحد « فعلى العرب ، وهم ابناء اولئك الذين عرفوا كيف يسوسون الناس ، بل على كل صقع عربي يريد في غده حياة حرة مستقلة ، يريد ان يكون محترماً عزيزاً مستقلا ، ان يقوم اليوم بعمل من شأنه ان يزيد في حيويته ، وهو الدفاع عن المبادىء المشتركة التي تربطنا بالشعوب الديمقراطية » هذا كلام املته العقيدة . والايمان الثبت فنحن يومئذ لم ندع احداً للدفاع عن فرنسا ، ولكن دعوتنا كانت للدفاع عن الحق المشترك الذي يربطنا بالشعب الفرنسي العريق . واليوم ، فرنسا تتثرى على القيد ، وتغص بالجرح ، وتتربص في المأساة وتكافح حتى اعاصير القدر ، على يد دى غول ، البطل الذي كان يشهد من بعيد ، وراء خطوط النار محاولة المستسلمين الذين لم يفهموا قط قيمة المعنويات الفرنسية ، فتمخض دى غول ، بالثورة على الغاصب في الساعة التي كان العالم المتمدن يطلب فيها من فرنسا ثورة جديدة .. وترفده انكلترا بالولاء في الميادين الرحبة ، حيث يسيل الدم الفرنسي الى جانب الدماء الزكية من اجل الحق .

والصراع اليوم – في عامه الثالث – يتخذ في الشرق شكلا جديداً ، بعد ان تكتل الشرق على السنة زعمائه وملوكه لنصرة الديمقراطية ، فهنا قضيتان ، باطل يهوم بالموت والبارود والدم والاشلاء ، وحق يقوم على الميثاق العدل وصيانة الحرية ، وحراسة الفكرة الانسانية ، ومن الفخر ، والشرق له ماضيه الخالد ، وحاضره المتوثب ومستقبله المرصود ان يسجل له الدهر في كتابه شرف الشعور بالواجب والقيام به دون تحفظ او مساومة ، فبينما نلمح وراء جدران الشرق اضواء الكفاح الالي الهائل ، بين حق الديمقراطية وباطل الديكتاتورية ، التفت مشارف نجد وصنعاء الى الهلال الخصيب ، فمصر والعراق وايران والافغان والهند حول الديمقراطية تدفعها ذكريات تاريخية حبيبة فامم تقوم بواجبها للواجب نفسه ، لا تداور ولا تساوم ، جديرة بمستقبل كريم لتتمكن من القيام مع بقية الشعوب اليقظة بتأدية رسالة الديمقراطية ، رسالة الاديان التي شعشعت في الارض الشرقية .

والشرق مع الحلفاء ، لا تؤثر فيه اساليب الدعاوة الرخيصة فالباطل المسلح يسكب على الضحية دموع التماسيح ويتهم الديمقراطية بالجريمة ، ويملأ الدنيا بغرامه وعبادته للسلم ويملأ بلاده بالاضاليل ويضعها في معزل عن العالم ، ويقطع بينها وبين ما يجري حولها ، فامته قطيع من الاغنام ، يقودها الذئب الاكبر وتحرسها الذئاب من كل جانب ، يحصون عليها الانفاس ، ويزعمون انهم يحبون لها الف مرج ومرج ، فاذا تململ احد الاغنام في الطريق المشرف على الهاوية ، دفعه الذئب الاكبر الى الحضيض وغمس يده في دمه ، وتتلفت الذئاب فقد اغراها منظر الدم فهاجت ، فاذا في السجون الاف الاحرار من رجال الفكر والعلم والشعر ، واذا شعب باسل تدوسه عدالة الطغيان ، واذا الذئب الاكبر ، وقد نفض يديه من الجريمة ، يقول للناس بوقاحة عجيبة انهم مدينون له بما تمتعوا به ويتمتعون وهو وحده يعرف كيف تموت الحرية الف مرة في اصقاع بلاده والبلاد التي داستها جيوشه .

الشرق مع الحلفاء في دائرة الفكرة الانسانية ، ذلك ان عليها وحدها يقوم انعتاق الانسان من كل مؤثر شرير ، وهي وحدها التي اعطت الايمان في الصدور التي تقف اليوم في خطوط الحلفاء . ان الحرب وحشية دنيئة ولكنها نعمة ورحمة اذا كانت السبيل الوحيد للخلاص من الوحشية الدنيئة ، ولن يكون هذا الصراع سبيلا لغير نصرة الفكرة الانسانية هذه الفكرة التي تخص الخير والفكر والحب والجمال .

والديكتاتورية مقبرة الشعر والفن والفكر ، مقبرة كل نبوغ ، ولقد قرأت منذ امد غير بعيد كلمة لهتلر يقول فيها « افتتح اليوم معرض الفن ، ان الفن يجب ان يكون في السبيل الذي نريده له ، لانريد فناً مجنوناً نريد فناً مكيفاً على المباديء التي ندين بها » والشرق ملعب الفن الاول يعرف ان الفن حر ابدا لا يقيده خير ولا يقيده شر ، غايته امتاع الحواس ، وامتاع الشعور قبل كل شيء ، فالتوجيه الخارجي في الفن نوع من النماذج التي لا تكتسب من الفن الروح او عمق الشعور او اضطراب الفن وقلقه ، لذلك كان الفن يعلن عن الحياة ويكيفها بطريقة ايحائية ، ولا يصورها قط ، فالدكتاتور يريد الفن الة في يده والموسيقى وقفا على انغام موسيقية عسكرية يريد الفكر صيحات مزورة مريضة ، عابقة بالبارود والكيمياء ، لذلك مات الفن في بلاد الطغاة ، وموت الفن وحده وصمة العار في جبين الطغيان ، اذا كان للطغيان جبين ، فالقلم هذه الاداة السحرية التي اتيح لها مرارا تغيير مخطط العالم تئن في بلاد الدكتاتور ، وتعول وتنتحب .

نحن مع الحلفاء على ضفة الربيع الثالث في الطريق الى فجر النصر ..

صلاح الاسير

الالم والمرح واثرهما في النفس

بقلم الانسة فلك طرزي

●

هنالك خاصة نفسية عامة يكاد لا يختلف عليها اثنان مهما بلغت بينهما شقة التباين : هي ان المرح صفة من ابرز الصفات وألصقها بالنفوس، وخاصة طبيعية يتذرع بها الانسان في كل حين لمجابهة عاديات الدهر واحداثه ، كما ان الالم شعور من اسمى المشاعر التي تختلج بها النفوس ، يبعث فيها حياة فيحوك بارق من احساسها ويطلق ما احتسى من غيض خواطرها وتفكيرها فما من نهضة قامت وما من تطور وجد ، ومن حق شيد بنيانه وارتفع الا وكان الالم الحافز الاول على حدوث كل نهضة وتطور وقيام كل بنيان، والمرح سنداً له يسهل عليه ادق المهمات ويفسح امامه أخطر السبل . ليس للانسان عن المرح غنى في حالة من حالات الجد واللهو ، لان المرح الصافي قوة كبرى ، تحبوه قدرة على الاحتمال ، وتمنحه صبراً وجلداً يتغلب بهما على ما يعترضه من العثرات والصعاب . وقد يخطىء بعض الناس ، فيخلطون بين المرح والخفة ويفسرون المعنى الاول بالثاني ، او لا يفرقون بينه وبين الكآبة ، وشتان بين المرح الصحيح والخفة او الطيش ، وشتان بين الالم العميق وبين الكآبة . ذلك لان معظم الناس عندنا لا يمرحون المرح الذي يبعثه الشعور ، او بتعبير اصح ، هم لا يشعرون بالمرح الذي يخترق اعماق النفس فيجلو ويكشف عن اصفى مشاعرها ، ثم يلبسها بعد ما يلبسها ، ابهى حلله البهجة : انما شعورهم به لا يتجاوز المظاهر السطحية التي تبدو منه ، وهذه المظاهر لا تعدو ان تكون خفة وطيشاً ، وقد تكون هذه الظاهرة من حياتنا ناشئة عن خلو هذه الحياة من الجد الصحيح وما يتولد عنه من ضرورة وحاجة . وكما اخطأوا في تعليل المرح، اخطأوا ايضاً في تعليل الالم : ظنوه كآبة وما فطنوا الى ان الكآبة ليست احساساً ، بكل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من معنى : وانها ليست الا عارضا من تلك العوارض النفسانية التي تنجم عن عوامل كثيرة منها الملل والضجر ، وان الالم شعور بليغ يتولد في النفس على اثر بواعث ودواع جوهرية لها مساس عميلة بها ، ولها قدرة على وصلها بخفايا النفوس . الكآبة المستعصية تتحول غالبا الى ميوعة ووهن ، وتنتهي بصاحبها الى اليأس والخذلان . والالم رصانة وقوة لمسندها ايمان وقدرة ، على الخلق والابداع تنتهي اكثر الاحيان الى احراز الغلبة والنصر في ميادين الفكر والعمل التي يتخذها محوراً له ودائرة . وقد يتساءل احدكم مستغربا : لم الخلط والمزج بين تلك المعاني والتفاوت بين كل منها واضح ؟ وان صح هذا الامر فما هي اسبابه ؟ اسمحوا لي ان اعقب على سؤالكم بآخر فأتساءل : هل هم يدركون هذا النقص حتى يتبينوه ؟ واذا ادركوا اسبابه هل حاولوا ان يتلافوه؟ دعوني اجيب عنكم وعني فأقول : هم لا يدركون النقص ولا يدركون اسبابه بل انا اتشبث « باللا » النافية هذه اذ لو كان الامر على عكس ذلك لما رأينا وجه الحياة في بلدنا مشوهاً : هذا التشويه ، وكما رأينا معناها ممسوخا ذلك المسخ . وكأني بقوانين وسنن الحياة الطبيعية التي تسير جميع الامم وتدفعهم الى الامام ، فتعوج السبل امامهم تارة وتستقيم اخرى كأني بهذه القوانين والسنن قد انقلبت عندنا على اعقابها فهي تفرض علينا بعض اعمالنا وسير حياتنا ، اعمال وسير بعيدة عن المنطق والعقل تضج منها كل نفس . وما هي اسباب ذلك التقهقر ؟ فقد يكون من اسبابه جمودنا وتشبثنا بماض تفصلنا عنه هوة زمنية سحيقة ، وقد يكون من اسبابه استنكارنا التحرر من بعض العادات التي تتنافى ومقتضيات الزمن ، واباؤنا تكييف عقولنا على عقلية العصر ، وتمهيد السبل لتطوراته الينا . ولعل من اسبابه ايضا فهمنا الامور على خلاف حقيقتها وسيرنا اياها ، في الطرق التي تنافي الواقع .

لعل الالم الملهم الذي يكشف عن طوية الضمير الكوني والانساني ما زال محافظاً على سذاجته وفطرته من نفوس لم تشق بعد اساليب المدنية المعوجة في سبيلها اليها، وقد لا يخلو هذا الشعور من بعض القوة والجمال في نفوس لم تضطرب بعد المعاني المشوشة فيها ولم تسبب لها حيرة وقلقاً غير ان هذا الالم على رغم سلامته من الزيف والكلفة وبعده عن الزخارف الكاذبة ، لا يزال الى الغريزة الحيوانية اقرب منه الى الشعور الانساني ولا يزال بحاجة الى تغذية وتهذيب، لكي يرتفع عن درك الغريزة ويبلغ مرتبة الشعور . وهذا من عمل البيئة الاجتماعية سواء في داخل البيت ام في خارجه : فاما ان تمهد له واما ان تسد من دونه جميع منافذ الرقي . وتكاد الطبقة الدنيا لا تعرف المرح لان الشعور به يلازمه غالباً تفكير ، والمرء بحاجة بلوغ حد بين الرقي العقلي لكي يتعلم او يعتاد التفكير ، ودليلنا على ذلك ما نسمع ونقرأ عن اسباب المرح التي يهيئونها في البلاد المتحضرة ، بل يخلقونها خلقا ، ويبتكرون لها انواعاً من الافانين ،

يجد فيها طلاب المتعة واللهو البريء ما يلائم امزجتهم ويتفق مع ميولهم ورغباتهم ، اما الطبقة الوسطى فاما ان تستخف بالمسرح وتعرض عنه لانه عند ظنها مفسدة للاخلاق يحط من قيمتها ، واما ان تندفع خلف ما يبدو احيانا من مظاهره فيؤدي بها ذلك الى اسوأ العواقب . اما طبقة المثقفين ، فمنهم من هضم الثقافة هضما ادرك فيه انها لا تقاس بعدد ما قرأ من الكتب وبصم ، بل يعلو المستوى الذي ترفعه الثقافة اليه ، ليشرف منه على حقائق الكون ومعاني الحياة ، وبقدر ما غذت الثقافة فيه وساعدت على نمو ملكاته الفكرية ومواهبه الشخصية وخصائصها . ولعل هؤلاء هم اكثر الناس ادراكاً للمرح ، لانهم يعلمون ما تتطلب الحياة من اللهو والمجد ، ويعلمون ان الجد يستلزم العبث والمرح ، لكي يستعان بهما على تبديد الفتور والملل اللذين يلازمان الجد غالب الاحيان . ولكنهم كما قال عنهم احمد امين : « اشد الناس بؤساً في الامم الشرقية ، هم الطبقة المثقفة المهذبة التي رقي ذوقها ، فهي لا تكاد تجد لها ملهى يتفق وذوقها الا بعض شرائط السينما ، وهي — على قلتها — لا تشبع رغبتهم في السرور ولا تكفي في تخفيف اعبائهم في الحياة . ومنهم من لا تتجاوز ثقافتهم هذه الكتب التي قرأوها وبصموها ، لا تتجاوزها الى الاعماق حيث تكمن كنوز الشخصية وتختبيء ثرواتها وحيث تكمن ينابيع الذات وما يدفن فيها من اصناف المياه . هم يرددون اقوال غيرهم ويعتنقون آراءهم ، ويفكرون من خلال ما كتب الكتاب ، وما من فرق بينهم سوى ان هؤلاء يبتكرون فيهم حيوية ، وفيهم قدرة على التخلص والابداع واولئك ليسوا الا مقلدين ، قد خملت حيويتهم ، وخمدت فيهم شعلة الابتكار . وهنالك فريق من الناس بعضهم ان جد كان جده عبوسا وتقطيباً ، والجد بعيد عن كل عبوس وتقطيب ، وبعضهم ان عبث كان عبثه طيشاً ومجونا ، والعبث بريء من الطيش والمجون ، وهؤلاء واولئك فئتان : رجعية مفرطة في رجعيتها ، ومستهترة مغالية في استهتارها ومجونها . »

الالم والفرح شعوران اساسيان من مشاعر الحياة ، وصلتهما بكل ناحية من النفس هي صلة البعث والتجديد والابتكار : والفن يبرز اثارهما باروع شكل واخلب مظهر ، والموسيقى كما قال الشاعر الهندي العظيم تاغور «هي انقى اشكال الفن واصدق تعبير للجمال ، واقرب لغة لاخضاع القلب » . فما الحان موزارت وشتراوس ، الا نفحات ملائكية تفيض بذلك الفرح الذي لايدع في النفس جارحة الا ويغمرها باحساسه . وما الحان بتهوفن وشوبرت وفاجنر ، الا نفثات سماوية يطفح منها الالم العميق الذي تتغلغل عبقريته في الصميم ، فتمزقك وتذهلك وترفعك في آن واحد الى حيث تنتشي بالخمرة الصافية التي انتشوا بها وسكروا .

اما فنانونا فيا ويل الفن من اكثرهم ويا ويلنا عليه! مسخه بعضهم ، فحوله نوحاً وبكاء ، واستهان به بعضهم ، فجعله سبيلا لاذلال اسمى العواطف البشرية بالنحيب المتواصل ، واسترخصه آخرون فحشوه بالسرقات والتقليد واخضعوا كبرياءه الى احط اساليب التجارة . على الفن ان يمثل بعض الحالات والازمات التي نجتازها في حياتنا القومية والانسانية ، ويصور انفعالاتنا النفسية والخلقية ويكشف عما دفن وغمض من آمالنا وافراحنا ويترجم آلامنا واحلامنا . ويجب ان يحيي ادبنا مع الحياة فيردد اصداء الفكر والقلب . يجب ان يكون لنا فن يقوم على الادب والموسيقى ، يجب ان تشعر نفوسنا شعوراً انسانياً صادقاً بكل ما تبعث الحياة فيها من انواع الاحساسات وما تحدث فيها هذه الاحساسات من الانفعالات . لا ان تكون لنا نفس ولكن القلق والاضطراب يشوبانها وكل ما ينبعث منها انما يكون صورة عن هذا القلق وذلك الاضطراب .

كل نقص قابل الاصلاح والتلافي ان ادركته بالدواء فيجب تنظيم جميع مرافق حياتنا من جديد ، وقلب كثير من اوضاعها الشاذة ، لكي يخلى السبيل امام الاوضاع الطبيعية التي لا يمجها ذوق ولا ينفر منها . ومتى ساد النظام وروعيت حقوقه واخذت قوانين الحياة وسننها مجاريها الطبيعية الى حياتنا ، تبدل الحال وانقلب فتنشأ الناشئة وتبني حياتها على قواعد متينة . وليس ذلك بعسير على طموح الشباب وعلو همته . فرسالة الشباب الى الحياة هي رسالة الحضارة والتطور ، كما ان رسالة الطبيعة اليها هي رسالة الربيع ، ولا يخطيء من يسمي كل تطور في الحياة ربيعاً فني كليهما يحدث البعث والتجدد فيحل وضع مكان وضع ، ويبدل لون من الوان الحياة بآخر . والتطور يرمز الى الحياة ، والحياة رمزها الشباب ، وكل حياة لا يتخللها تطور ولا تبعث روحها حيوية الشباب تنذر بسوء المصير .

ايها الشباب ، ان سبل العمل واضحة امامكم ، تناديكم وتدعوكم الى ان تسلكوها ! ولكن لا يذهب بظنونكم ان هذه السبل قد تكون محفوفة بالورد والرياحين كتلك التي تكتنف الرياض والروابي الآن وتحف بها .

ولا تنسوا ان مجدكم وشبابكم ،

بنفوسكم الفتية الطامحة الى الارتقاء ، بالجهد والكد ، بالنضال والمثابرة ، بالصبر والارادة تستطيعون الوصول !

دمشق — فلك طرزي



الشاعر

◆

بقلم الياس ابو شبكه

خلقتك صورة مما هويت ... فخمر انت من وحي وقوت

وتنزعك المزاعم من حقوقي ... كأني ما عشقت وما شقيت

لغيري تدّعي الدنيا سراجاً ... له منه الفتيل ولي الزيوت

وكم نكر الزمان عليّ حقاً ... وكم فني الزمان وما فنيت

وفاؤك بهجة الاجيال ذكر ... وحبّك آية العشاق صيت

خيال انت من روحي وقلبي ... تشع له بديواني البيوت

سكبت عليه من حبي عطوراً ... ومن شعري جمالا لا يموت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لولاك ...

ابحق لي في غيرها الغزل ... وعلى فمي من قلبها قبل

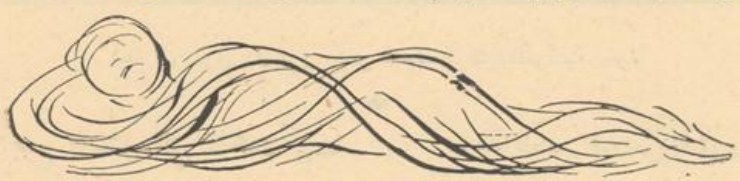
وكأنني في عينها لهب ... بفؤادها الولهان متصل

يبدو رماداً حين تلحظنا ... عين ، وحين تغيب يشتعل

يا خير من حنّت لها مهج ... واحب من غزلت لها مقل

افرغت عطرك في دمي فعلى ... شعري عبير منك منهمل

لولاك جفّ الشعر في كبدي ... وحييت لا حبّ ولا امل



مهمة فرنسا

للجنرال شارل دى غول

نرى تضامن الاهداف والارادات يظهر بين الشعوب ليسحق العدو المشترك ويعيد بناء العالم ، هـذا التضامن الذي لا يكتفي بضمان النصر بـل يعطي الحرب معنى اسمى ويؤكد لجميع الذين يتألمون ولجميع الذين يموتون انهم لم يتألموا ولم يموتوا عبثاً .

فالجندي السوفياتي الذي يجابه الدبابـة الالمانية ، والطيـار البريطاني الذي يعارك الطيران العدو ، وبحار فرنسا الحرة الساهر على البحار ، والعامل الاميركاني الذي يدير ادواته ، والرجـل والمرأة في كييف وفرصوفيـا وبراغ واثينـا واوسلو وامستردام وبروكسل او في باريس ، هؤلاء جميعاً الذين يقاومون المجتاح المغتصب بما في متناول قواهم يشعرون شعوراً حقيقياً باتحادهم في مهمة واحدة هي الانعتاق من ربقـة العدو .

وسيكشف التاريخ يوماً جميع الوسائل التي تمكنت بهـا الجرمانية المتهوسة المنقادة بروح جهنمي من ان تستخص طويـلا جميع الذرائع في اغارتها على كل من ضحاياها بمفردها . وقد يبدو لكم كما يبدو لي ان هذه الاسباب تختصر في واحـد وهو ان النار تسبق دائما رجال الاطفاء . ويبدو من جهة اخرى ان النـار ما برحت منذ قرن تصدر عن مستوقد واحد . ويصور لي ان لهذه الحقيقة المزدوجة ضلعا في صك الاطلنطيكي الذي قرره تشرشل وروزفلت كمبدأ للسلام المقبل في العالم والذي انضم اليه بالايمـان والرجاء جميع الشعوب الحليفة ، في هذا الصك الذي يقوم جوهره على نزع سلاح الشعوب المعتدية نزعاً تاماً


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجنرال شارل دى غول رئيس اللجنة الوطنية الفرنسية الحرة

ونحن الفرنسيين الاحرار فخورون بان نساهم بما في ايدينـا من الوسائل ، في ما يبذله حلفـاؤنا من التضحيات وفي مـا يحرزونـه من الانتصارات . ولنـا ملء الامـل في ان يجيء يوم تتكاتف فيه جميع موارد فئـة الحرية في معركة حاسمة . ولكن العنصر الذي يضمن من الان فصاعداً اتحاد القوى المادية هو العنصر الروحي فبفضل هذا العنصر تؤلف الشعوب الحرة الان على تباين قواها وطباعها ومصالحها ومواقعها الجغرافيـة سلسلة متصلة الحلقات يستحيل تحطيمها .

وهذا العنصر الروحي الذي يربط جميـع الشعوب المظلومة والمهددة بالظلم هو العزم المشترك على ضمـان الانتصار لحضارة

مؤسسة على حرية الناس وكرامتهم واطمئنانهم على نظام يقوم جوهر مبادئه على الغاء حق الفرد . فسنعمل بحيث يستطيع كل امرىء ان لا يصير المانياً اذا رفض ان يكون المانياً ، وان يتمكن كل امرىء من العمل بموجب معتقداته بدون ان يلقى اتضاعاً او شظف العيش ، وان يحق لاي امرىء ان يعيش مهما يكن عنصره وآراؤه حتى ولو كان عاجزاً او مريضاً او طاعناً في السن ، وسنعمل معاً بحيث يلقى على الفرد شرف تحمل تبعته امام نفسه ، امام الاخرين وامام الله ، وسنعمل اخيراً بحيث يقرر هذا كله ويضمن نهائياً حتى ولو استلزم النضال الحالي مقداراً ضخماً من الخسائر والآلام ولو بقيت شريعة الطبيعة الجرمانية في المستقبل ان تواصل بلا حد انتاج الطغاة القادرين على جر شعبهم الى استعباد الاخرين .

فالحرب التي نخوضها اليوم لم تقع مداهمة كضربة عارضة يوجهها القدر ، فهي استمرار للتجربة التي اجتازها العالم لعشرين سنة خلت . واذا استثنينا زيغاً او زيغين نجد ان الخصوم هم انفسهم وقد أصبحت وسائل التخريب اقوى وأسرع . ولكن ليس هذا الا مسألة ارتقاء ، ففي المرة الاخيرة كان ثمة طائرات وغواصات ودبابات .

وصفوة القول ان المأساة ذات قسمين تفصلهما فترة بين مشهدين ، وادوار الاشخاص الذين هم الشعوب المتحاربة تمثل طول مدة الواقعة . ولا يستطاع اصدار رأي سليم في الفعل العرضي بل في المجموع عندما نصل الى المشهد الاخير فيعطى الرأي في كل شخص بحسب اعماله . ولا نزاع في ان فرنسا قد صعقت باسلوب عسكري متفوق ، ولكنني اقول ان هذا التراخي وان يكن موجعاً لا يحوم ما كسبه معسكر الحرية بفضل فرنسا ، بفضل طلائعها ، منذ بدأت جرمانية غليوم الثاني ثم جرمانية هتلر بمهاجمة الكون .

واقول ان فرنسا ستستعيد مركزها الحربي ، وأقول ايضاً ان العالم في مساء آخر انتصارات حرب الثلاثين هذه سيعرف كرامة فرنسا اذ يكون قد راز مقدار جهودها وشهد جراحها .

بيد ان فرنسا المسحوقة المسلوبة المغدورة تعود الى نفسها وتعتدل وفي نفسها حقد هائل على العدو واعوانه . ان ثمة شواهد كثيرة ، شواهد دامية تدل على ان اتحادا وطنيا ، ذلك الاتحاد الذي عاون مهمة جان دارك واحيى الجهد الحربي في الثورة الكبرى وكان عون بونكاره وكليمانصو ، يتكون رويداً رويداً في المقاومة . وليبدو لي ان في هذا مكافأة لبريطانيا النبيلة الباسلة التي ما برحت منذ عشرين شهراً تدعم بجميع الوسائل شجاعة حليفتها المصروعة موقتاً . ويبدو لي ان في هذا تركية سياسية اولى ولكن باهرة لثقة حكومتها بالفرنسيين الذين ابوا ان يقنطوا من فرنسا .



وهذا الشعور نفسه وهذه الارادة نفسها اللذان يضرمان النشاط في الفرنسيين الاحرار واللذان سمحا بتجنيد قسم كبير من الامبراطورية والقوى العسكرية والبحرية والجوية وبنفوذ روحي وادبي كبير ، ان هذا الشعور وهذه الارادة ينبعثان في الاكثرية

الكبرى من الفرنسيين. فرويداً رويداً تتكون مقاومة فرنسية واسعة النطاق يحق لنا ان نعتقد بانها ستزداد تأثيراً في احداث الحرب حتى اذا دنا يوم الانتصار النهائي للحلفاء. تضع الديمقراطية الفرنسية موضع النصر في مقام واحد.

تنظيم هذه المقاومة وادارتها ليس في البقاع المحررة فحسب بل في كل مكان من فرنسا والامبراطورية، هذه هي المهمة الاساسية التي قررتها الجمعية الوطنية الفرنسية، وستقوم بهذه المهمة عن طريق انتداب الشعب الذي يؤيدها وتؤدي اليه حسابا. ستقوم بها بجمعها شتات الامة في الجهد التحريري من غير ان تستثني الا الذين يستثنون انفسهم. ستقوم بها على يقين من ان قضية فرنسا، واريد بها ترميمها وسلامتها واستقلالها وعظمتها، هي في الوقت نفسه قضية جميع الشعوب التي تقاتل مثلها لاجل الحرية. ستقوم بها في عزمها الراسخ على النضال بدون تحفظ الى جنب حلفائها الى ان ينسحق نهائياً شر الجرمانية المزمن. وستقوم بها يحدوها الامل في ان تضامن الشعوب سيفوز على التجربة ويعمل بحيث يتمكن كل امرىء في العالم من ان يحيا ويموت بعد ان يذوق عذوبة الحرية.



مترجمة عن مجلة فرانس اوريان

الجنرال دي غول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



من الادارة

١ — ابتداء من الجزء الرابع رفع ثمن الجزء الى ٥٠ غ . ل . عوضاً عن ٤٠ .

٢ — يبقى بدل الاشتراك على حاله . ولا يقبل الا عن سنة كاملة بدؤها شهر كانون الثاني .
غير ان الادارة لا تتعهد بارسال الجزء الاول عن السنة الحالية لنفاد نسخه .

٣ — يدفع بدل الاشتراك مقدماً، ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل .

٤ — كل المقالات والابحاث التي ترسل الى « الاديب » لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر .

٥ — تكون جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة « الاديب » صندق البريد رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان .

ناسك العتقة (١)

بقلم احمد راسم

(١)

على جبل في مصر يتنفس شكل رمسي متجاوز الحد نحتته الشموس والرياح : هو « المومياء المضجعة »، امرأة العتقة التي يعيد جانب وجهها الى الذاكرة العذارى المصريات بذلك الافتتان الساذج بالحياة الذي ينيرها من الداخل . ويدور حولها خيط ما، سردابي مخنوق الخرير ...

وهذا الشكل ينعكس على افق المغيب كأنه يزين على مدى العمر حالة فريدة ، هي الاندثار .

السماء دائماً زرقاء .

* * *

هندسة مؤنسة تتخذ شكلا جسدياً لتصبح قلوبنا اشد تأثراً بها .

وهذه المرأة ليست ميتة بدليل انها تتنفس كالحجارة عن حياة داخلية .

ولكن محظور عليها ان تفتح شفتيها ، محظور عليها ان تنهض لتختلط بالاحياء ...

وتحت قدميها يدمى واد ذو تراب احمر موجل .

وقد قص علي رجلان اجتمعت بهما يوماً قصتها فأحببت قصة الجبل ذي القلب المسحوق .

* * *

حجارة بركانية موجهة بقوة صوفية وحية معا ، تلف باتجاه حركتها الجرم الطائع للجو والمياه ...

قوة مركزية لم يحسن اي موسيقي التقاطها بعد ، تجبر حركة الخطوط المتوترة المعوجة على ان تدور بقدور لامرد له كقدور الانجذاب ..

فهذه الصخرة الحمراء تحييها موجات تؤودها في سكونها وتنفخ حجارتها الخشنة بجلبة صامتة ...

صمت تتردد الاصوات فيه كأنها تخشى ان تحطم جدرانا من البلور ...

وهكذا لن يعرف احد منكم هذه القصة لان الناسك الذي قصها علي اكلته الرمال .

(٢)

في الجبل الاحمر قال لي الناسك الذي اجتمعت به بعد ان استشار قبضة من الرمال :

«ان مطر الغيوم الوردي المشتعل بالمغيب حملك يوماً على الاعتقاد بان الجبل يدمى لان قلبك المحطوم مشقوق كرمانة مجروحة سقطت من الشجرة على حجر .

« اصغ في ضوء المساء الى النبات المتنفس وانظر الى يد الذي يدير الكرى ويجذب الحب في الفضاء ...

« فتتعرف الى ضوء من الحلم كأنك في ليلة قمراء وتشعر بطراوة الشفاه العارفة تمر باعراقك ...

« فيم لا تعاشر حظية حسناء ؟ فتنظر اليك بفم مخضب .. وتنتزج الغيوم تحت دفعة الرياح .. وتتعرف الى هيجان النفس اللطيف الشادي الرصين كانا من الشبه اهيف ، لين كحجر اليشب ..

« وتنسى اللؤلؤة الشابة التي تصاحب احلامك ، اللؤلؤة المستديرة الحية ..»

هكذا تكلم ناسك العتقة وهو رجل مسن ذو وجه كوجه الوعل يحب حفيف الريح في المساء على الكثبان . ثم صمت .

(٣)

وقال المجنون :

« كانت العذراء الشابة ذات الذقن المحفورة بابتسامة عذبة كحجر ابيض، ولكن ثرثارة كحقل من الشقيق حين يقرع الوانه في الشمس ..

« وكان صوتها ينسج لي في مخمل الليل وشياً دقيقاً كالوشي الذي كان على اردية امي .. وكان ذلك عذباً كذلك النهر الذي نبض فيه انعكاس الشجر ، ذات مساء ..

« وكان لشعورها لون رمل الشاطىء بلله الموج .

« ولئن كان جبينها شاحباً فلأن كآبة النجوم اقامت بشعورها .. ذات مساء .

«١» راجع في الجزء الثاني من « الاديب » قصيدة « مجنون العتقة » للشاعر نفسه .

« وكان صوتها ينساب في العروق كدوي الامواج ، في امسية العواصف ..

« وحتى عندما تضرم قهقهة ضحكها القاعة كان الجانب المظلم من نفسها يرى دائماً في عينيها ..

« وفي عينيها اللازورديتين كأن غابة تتنفس فيهما خيّل اليّ اني ارى آية من القرآن منزلة باحرف كوفية كأنها في جذع شجرة . »

(٤)

وقال المجنون ايضاً :

« في الساعة الرهيبة حين تفتح الاشجار اوراقها الصلبة على الطرق المنفردة مقدمة نفسها لهبوط الغسق الفاتر ،

« فيم لم تأت فتقدم اليّ سلة الثمار التي هي جسدها لأبلّ بها غليلي ؟

« فيم لم تفعل ذلك وهي تبتسم كما لو كانت تعطي ولداً عابراً رمانة على وشك ان تنفجر حبات ارجوانية؟.

« لو انها فعلت لكنت طلبت ان تكتب لها بفن حاذق مخطوطة شعرية انشدت فيها – بلغة لا ند لها لايقاعها الموسيقي – عينيها المتبدلتين كما جار يتموج بالظل والنور ، ولحظاتها التي تجثم عليّ كخد طفل حرد . »

(٥)

يقطن ناسك العتقة كوخاً قديماً مع تذكار العذراء العزيزة على قلبه . وفي عينيه اليائستين المنطفئتين ماتزال ترى نغمة الحسرة الليلكية - قال بعد ان امتص ورقة نعنع :

« خط من النور لا يدرك يدور حولها ويلاطف اشكالها بهدوء ..

« كانت هذه العذراء مكتوبة في بختي بطيوفها الملونة وفوراتها التي كأنها مذهبة بناوية داخلية ..

« غريبة هذه الحلاوة الحيوانية الرقاصة التي تحرس الباب المغوي للشموس الداخلية والسكرات المجهولة ..

« هذه القسمات وهي بهذا المقدار من انفة الشهوانية، وهذا الانتقال الصامت لذراعيها الى الكتفين لايمكن ان تكون الاصنع خالق تقي ..

« بشرتها كما صاف هبطت عليه الوان شفافة لا تعكره ، وايستطاع رؤية الكنوز التي فيه .

« هكذا رأيت في روحها المشربة بالطراوة زهرة سامية مفترة كالخريف ..

« جسدها كغرس يحمل ثماراً كثمار الغراس الاخرى ولكنها الذ وابقها دائماً خفيف من المشتهيات ..

« وهذا الجسد الذي تهيم فيه الشهوة مع النور يملك طمأنينة نسبة من الحجر، وتضفي الحلامي وهي تلقى تلك الحواجز المنيعة القائمة دون هذا الحجر ..

« غريبة هذه الحلاوة المتموجة بمرونة وخفة !

« انني لأحلم احياناً بعذراء احبها ..

« عندما تنحني لتقبل يدي تبدو كأنها قصبة عاكفة تبحث عن قطرة الندى في العشب .. »

هكذا تكلم ناسك العتقة . ثم صمت .

(٦)

كانت الساقية المهجورة فرحة باشة كخربة .. وليس على الناعورة الا غراب

وكانت بضع اشعة كأنها تستطيب التأخر على قمة شجرة الجميز . وكان الظل ازرق ... يخفق فيه شيء من الحنو كتذكار حب مجهول، كتذكار ضمات .

فاين انت ايتها القروية الشابة التي كانت تطرب فتاها بموال ساحر في يوم قيظ فيما الساقية تدور ؟

(٧)

وقال ناسك العتقة :

« لو ان حبيبتي الزنبقية ذات النظرات الغير المحدودة التي يأكل فيها اسود العين ابيضها في ظل خناجر الاهداب المحدبة عدلت عن زيارتي في الحلم،

« لاصبحت المجنون الذي يسعى للاهتداء الى الشمس في الجبل الراقد في الليالي الرمادية ..

« ولكن العذراء التي احبها عذبة كاعتراف متموجة ناعمة كالهواء المنسوج ..

« وكالصور المتحركة تجيء كل مساء ، وفي روحي تتطور على مهل بحلاوة عذارى المياه التي ينشد في حركاتها الملتوية الانسجام المستمر لمراكز الثقل فيها ..

« واياؤها الساكن شبيه بايا. الارواح حين تطوف بين المائتين ..

« ان سليمى تسبح بهدوء في جو حلمي ، ومأخوذة في قنوط التقطيع الروحي الذي يزقها تقول لي كلمات لا صوت لها، كلمات كأنها في الاحلام، سكنات تفهم كالدموع والقبل ..

« وعندئذ يثير فم ينبض الدم فيه ذلك الكوخ المبني في ظل غيمة عبرت ..

« ولكن حين يرتعش فمها في الماء كزهرة ، مع هدب الغيوم المغضضة، اعود لا افهم ..

« فكتفاها الدقيقتان تنتهيان بيدين طريتين ممتلئتين مخابىء كالازهار ولكن قوى الغريزة تجول فيهما بشدة عمياء ..

وجميع لآلىء البحر الاحمر والزمرد واليواقيت المختبئة في الجبل تنتظر ريثما اذهب فاقطفها ... لها

هكذا تكلم ناسك العتقة . ثم صمت .

(٨)

وقال المجنون :

« لتلك التي كانت تجذف معي على الامواج الغير المنظورة ، حول الخليج المضاء ، سائلية الزيوت الزهرية وصقالة اجساد التحظية ..

« لقد وجدت معها السعادة ..

« فثمة ارواح تخاطب الجسد اكثر مما تخاطب الروح لتربط بدون كلمات المرئي بغير المرئي ..

« وكالملائكة التي تلتقط من قمة الغيوم الانغام التي يعجز المائتون عن التقاطها شعرت حبيبتي الزنبقية من بعيد بان تواقيع قلبي تدرج اليها موجات قوية ..

« وهكذا جاءت الي متمهلة مع الحفيف الحريري المتصاعد من اغصان النخل الشائطة لتضيف حجراً ابيض آخر الى جبلي وتحمل الازهار القابلة الذبول ..

«فاحيى وجودها براعم الماضي مازجاً اياها في ذكراتي بعطر العنبر القديم الذي كانت تنفثه ذراعاها العاريتان. ذراعاها كعمودي رخام ابيض.

— ولكن قل لي ايها الرجل ياذا الحظ المظلم يا من لا يزال جرحه مفتوحاً ويجهل معنى الموجات الخافقة في الاعماق، قل لي ماذا تنتظر لتترك في ليلة قاتمة هذا السهل البائر المغطى بالقبور ؟ ماذا تنتظر لتجيء فتسكن هذا الجبل ما دامت السعادة والراحة تقيمان به ؟

وقال الاعمى ايضاً :

« اصغ الى النجوم .. »

فقال احمد عندئذ :

« ان اكن انتظر ، ان تكن عيناي تلمعان كزجاج الجوامع القديمة التي تشعلها الشمس في ساعة الصلاة الرابعة ..

« فلانه بقيت في نفسي صافية وليلكية نظرات فتاة كانت خصلة من شعرها تحجب قسماً من صدغها ، وقد قالت لي مساء يوم كلمات غامضة ولكن اخاذة ..

« وهكذا، في سكون الاشياء وفي الساعة التي يطفىء فيها الغسق الحجارة الاخيرة، سأبتسم بعد طويلا في انتظارها .. »

وقال الناسك ايضاً :

« كما ان الشجرة وثمارها ،

« اوراقها وغصونها

« موجودة في البذرة،

« في البذرة الصغيرة ..

ثمة كلمات يا صاح ،

« كلمات بسيطة ، كلمات نقية

« تحتوي الراحة والسعادة .

« وسأذكر طويلا كلماتك التي تشتمل ايضاً على ما لا حد له من الموسيقى .. »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نشرت بإذن من مالكها السيد مروان

القبرة والسنبلة

بقلم الياس خليل زخريا

◆

لما حلت القبرة ، قبيل الامس ، على البيدر في الطراوة والبرودة ، حركت السنبلة رأسها ، وتفتقت يقظى تغمر الهواء ، وتهمس في سمعه الممراح همساً مشوقاً .

ثم ضمت بعضها على بعض ، واغفت مثلما تضم الوردة عند الغياب على روياها الناعمة الطيبة ، اوراقها الواحفة ، مخافة ان يفر منها في الليل ، زخر الطيب ، فلا يأتي الصباح وعلى شفتها للمشتهي ، هفة .

لقد قالت السنبلة الخضراء للهواء :

... ورداءك المحبك بمثل قطف الموج ، المسرح بنسيج السحاب ، المدفأ بهدال الضوء ... باسم خضري .

.. ويوم توكأت علي ، فخفقت على ذراعك خفقاً . . قل لجارتي القبرة التقية ، بما لك من منة على جناحها ، ان تصلي لي ، معها طلبة ، ليطول عهد الربيع ، فتسلم عندي ، وان بزهة ، هذه القامة الممشوقة ، والتربة الندية ، والاختلاجة الحية ، والرأس الطرىء . فلا تمر انت بي ، الا وتجدني قائمة نضرة ، انتظرك واميل معك ميلان الفكرة مع الخيال ، فلا تتكسر لي في العناق ، عقدة ظهر .

ما بال جارتنا تستيقظ في كل غدوة ، فتنتصب فوقي تصلي وتشتهي ايام الحصيدة . . قل لها بحق جناحك . . سأثمر حتما ، وسيقسو النورج والمنجل علي ، وستذريني اصابع المدراة الملساء . . وستكون حياتي طعاماً لمنقادها الجشع . . فلتشركني على الاقل في طلبة . . ان لي ، فوق ، بعض ما لها . .

ويمضي الهواء يلوح باعطافه المترهلة ، ثم يتدفق في جناحي القبرة ، ويهمس شيئاً . . فتزقزق ، وترنق ، وتصفق ، وتنزل تحط ، ثم تنتقل متزاهية ، ثم تعود الى الصلاة ، فوق رأس السنبلة ، بمرح ونشاط .

لقد يبست السنبلة ، ونضج حبها ، واستوحش التراب ، بالحشيش ، وودعت النضارة والمواهة ، وامتد خيط اصفر من جبة الموت على ثياب الحقول ، وبدا التعب في عروق الهواء ، فتثاءب في الطريق الثوباء الثقيلة والقبرة تزقزق ، وترنق بشوق ، وترفع رأسها عالياً تصلي بنهم لمقدم الصيف ، ثم تسقط عند حانة البيدر بين الحزم المكدسة ، تغل غلا ، وتنقر نقراً عجولا . . ثم تسمع من الوراء وقع دعسة ، فتفر وتهوي تتخبط في دمائها الحرى .

وراح الصياد يفتش عن طريدة اخرى .

لقد مضى عهد الحصاد ، واطل زمن الري ، ونبتت سنبلة في الحقل ، فاخضرت اوراقها بسرعة عجيبة ، وتهللت نضرة غضة . . فبكرت ذات يوم ، قبرة ، فوقها تصلي ، فمر الهواء يتمايل دلالا يحل اصداء الزقزقة والصداح .

روى الفلاحون في تلك المزارع البعيدة انهم لم يشاهدوا قط في حياتهم سنبلة طويلة كتلك ، تكبر في اللمحة القصيرة فتراً ، ورأوا ان بذرتها لا بد غريبة تمص غذاء غريباً وتحلم حلماً غريباً .

وكانت كلما طارت القبرة فوقها مطت في الفضاء رأسها المستطيل مطاً كانما تريد ان تنكز وجه القبة او حنية النجوم .

لقد تممت فاستجيب الدعاء . .

هوذا عهد الحصاد على ابواب الحقول .

والسنبلة اليابسة تخشخش بغبوها .

لقد ماتت القبرة جوعاً وانقطع نسل السنابل .

وعاد رفاقنا الصيادون والحصادون من المزارع العالية ، يلعنون المحل والقحل ، ويصلون لخصب المواسم المقبلة .

الياس خليل زخريا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

آلام الحياة

بقلم توفيق حسن الشرتوني

منذ ايام ذهبت لعيادة صديق انهكه الداء وامضته تباريح آلامه . فرأيته يتقلب على فراشه الوثير كأنه ملقى على الجمر . يصعد الزفرات تلو الزفرات ويرسل الآهات تلو الآهات وعبرات الشدة راكدة في قرينة عينيه واغبرار الموت جاثم على وجنتيه . ولما شاهدني حيال سريره حدقت عيناه الزائغتان بي تحديق الضائع عني . ولما عرفني زادت نفسه انفعالا واشتد صدره خفقانا وترامت عبراته الراكدة على اسارير وجهه فاخذت اعالجه ببلسم الصبر واعلله بقرب الشفاء لاحيي فيه ميت الامل . وما زلت به حتى ملك نفسه بعض الشيء ، ثم رأيته بعد هنيهة يجاهد في لم شعثه واستجماع قواه محاولا ان يتغلب على ضعفه ويتمكن من لسانه الذي لعثمه الداء . فتمكن بعد لأي من رفع رأسه قليلا واجترار هذه العبارة :

« كل ما في الحياة لا يوازي ساعة من الالم ، من هذا الالم الحاد المزدوج الذي اعانيه ، الم الداء الذي لا يطاق والم وحشة الفراق ، فراق صبية ستعصف بهم عاصفة اليتم قبل ان يبلغوا اشدهم . »

ثم خانته قواه فسقط على فراشه يتخبط تخبط الذبيح .

فخرجت من لدنه كسير القلب شديد الانفعال ثم اخذت اسأل نفسي : لماذا خلق الالم ؟ وما هي دواعي وجوده ؟ لماذا يرافق الحياة من المهد الى اللحد ، فلا تنفلق خلية من رحم بدونه ولا تعيش بدونه ولا تموت بدونه ؟

« لماذا » كلمة استفهام يلقيها المرء امام كل سر مغلق عليه . فالحياة كلها « لماذا » في نظر الباحث المدقق عن غاية وجودها ، والممحص المتسائل عن سر بدئها ونهايتها .

لقد كتب للانسان ان يتحمل آلام جسده وآلام ذاته العاقلة وآلام ادراكه العاطفي . فكلما تدرج في سلم الارتقاء تدرج معه الالم ، كأن الالم وجد منذ البدء ليرافق هذه الحياة في مختلف صورها واشكالها ، فيضمر بضمورها ويتسع باتساع آفاقها ويتنوع وفقاً لتنوع حاجاتها ويشتد كلما اشتد شعور الانسان في مسؤوليات هذا الوجود .

فالاحياء جميعهم يتألمون بقدر ادراكهم وشعورهم . فالنبات يحس الالم اكثر من الجماد ، والحيوان اكثر احساساً من النبات ، والانسان اشد المأ من الحيوان ، والمتحضر اوجع نفساً من غير المتحضر .

ان صلة الالم بالحياة هي صلة جوهرية ترجع الى مصدر الحياة الذي يعنيه مصدر الالم ، فاذا لم تتحرر الحياة من ذاتها لا تتحرر من آلامها . ان نبضات الحياة هي نفسها نبضات الالم ، والشعور بالالم هو نفس الشعور بدبيب الحياة واختلاجها .

هذا ما يتبينه المرء بجلاء كلما دقق النظر في مواليد الكون ، فرأى بام عينه ان كل ما تلفظه دنيا الارحام يستقبل فجر دنياه باكياً . وما هذا البكاء سوى اول صرخة من صرخات الالم المنبثق من الحياة والمجبول بطينتها . فالالم يحتل قلب الجنين ودماغه منذ يتكون له قلب ودماغ .

فهل كان وجود الالم مفيداً للحياة ام هو عبء عليها ؟

من يتفقد هذا الكون ويتدبر احياءه ويدقق على الاخص في درس الحياة البشرية ويستطلع ماضيها المتوغل في القدم ويراقب مختلف مناحيها ومجمل تطوراتها في ثنايا العصور ، يرَ باجلى بيان ان وجود الالم كان السبب المباشر في تقدم الحياة ورقيها . فلولم يكن الشعور بالالم قوياً في الانسان لما اهتم بحفظ كيانه في عهد همجيته ولا سيما وهو اضعف قوة من كثير من الوحوش واقل منهم جلداً على احتمال نوازل الطبيعة . ولولاه لما انتقل الانسان من دياجير الظلمة الى فجر النور ومن عصور الوحشية والجهل المطبق الى عهد الحضارة والعلم .

ان الشعور بالالم كان الحافز الاول الذي جعل الانسان البدائي يشغل دماغه لاجل حماية نفسه وايجاد ما يملأ جوفه ، فاخذ

يشحذ ذهنه ليتغلب على الم الخوف الذي كان مسيطراً عليه من جراء ضعف بنيته تجاه الضواري المفترسة التي كانت تهدد حياته وحياة اطفاله. فتوصل الى اختراع الآلات ليتقي غوائلها وليتمكن من قنصها فيقتات بلحمها ويتدثر بجلدها. فتكشفت له معادن البرونز والحديد واستعمل منها سلاحاً جعله بالرغم من ضعفه العضلي اقوى المخلوقات على الارض. ثم فتق له ذهنه الاشتغال بحراثة الارض وتدجين الحيوان فاستغل موارد الزرع والضرع ليدرأ عنه الم الجوع، ثم بنى الاكواخ والبيوت ونسج الصوف والقطن وحاكها لباساً ليبعد عنه الم الشعور بالصقيع والبرد. ثم شيد القرى والمدن واقام الجسور والخزانات واسس المعامل والصناعات ليؤمن حاجات نفسه وطمأنينتها. وجابه القوى الطبيعية بالعلم الاختراع وسخرها لخدمته بعد ان كانت وبالا عليه. كل ذلك جاء به ليدرأ عنه المتاعب والالام. وهو لا يزال جاداً وراء الاستزادة من المعرفة واستكشاف اسرار الكون بغية الوصول الى هدف اجدى نفعاً واوفر نتيجة.

ان الالم نعمة لا نقمة وقوة لا ضعف فكلما تضاءل الشعور بالالم تضاءلت قيم الحياة وكلما ازداد ازدادت قيمها ومعنوياتها.

لقد تألم الانسان على الارض ففتح له الالم نوافذ ذهنه. تألم جسده المادي فشرع يبحث عن اسرار المادة ليجني منافعها ويتجنب اضرارها. وتألمت نفسه العاقلة من كثرة ما شاهد من ظلم الانسان لاخيه الانسان ومن شدة استبداده واستئثاره وتفاقم اجرامه ففتح له الالم باب الوحي ومغلق الشرائع. فالهم الدين واوتي الشرائع وما جاء الدين الا لاحقاق الحق وازهاق الباطل وما اتت الشرائع الا لنصرة المظلومين والمتألمين.

وتألم البشر طويلا من حكوماتهم المستبدة التي كانت تستعبدهم وترهق افرادهم وجماعاتهم وتلجم افكارهم وتقيد السنتهم فثاروا عليها وزعزعوا اركانها وقلبوا نظمها الاوتوقراطية العاتية رأساً على عقب وشيدوا على انقاضها النظم الديموقراطية التي تعد بحق افضل شرع سنه البشر حتى الان لضمان حقوقهم وتأمين حرياتهم وصيانة ارواحهم.

فكلما عن لدعي متسلط ان يقهر العالم ويحد من حريته ويستأثر به لا يلبث ان يسمع صوت الالم يخرج من اعماق الصدور ويدوي في غضبة الموتور فيحرك الاعصاب الجامدة ويثير الهمم الخامدة ويوقظ النفوس الراقدة فتندفع كالسيل الجارف للقضاء على كل من طغى وبغى وصبغ الارض بالدماء.

ان الآلام التي يتحملها البشر في تعاقب كفاحهم وتسلسل حروبهم هي التي تخلق لهم بعد كل حرب وكفاح اثراً نافعاً لاعهد لهم به.

فكما ان الدموع تطهر المآقي من ارجاسها هكذا الالم يطهر الحياة من ادرانها. فالانسان لا يجني شيئاً من دنياه ما لم يؤخذ باشواكها، ويدم بقتادها.

ان الم الطموح والم الغيرة والم الحرمان والم اليتم والم الثكل والم الفقر وكل الم يشعر به الانسان على الارض، سواء اكان مادياً ام روحياً ام ادبياً ام عاطفياً ام اجتماعياً، فهو بجمله يرفع من شأن الحياة ويعزز انتاجها.

فلولا الشعور بوطأة الالم لما وجد الطب واكتشافاته ولا العلم وصناعاته.

ولولاه لما وجد المشترع ولا الفيلسوف ولا الفنان ولا الشاعر ولا الاديب ولا الموسيقي.

ان تراث الانسانية كله يرجع مصدره الى الالم. اجل الى الالم الذي وهب الحياة البشرية اجمل ما فيها من فضائل واروع ما لديها من مآثر.

يا اخي الانسان: اجرع مرارة الملك بصبر مهما تكن المرارة حنظلا، واحمل خطبك بشجاعة مهما يكن الخطب فادحاً.

ان وراء مرارة الآلام وفداحة الخطوب ترتع قوى الحياة التي تزخر بالمواهب الراقدة في اعماق النفس. خض معترك الحياة ولا تدع جحافل الكوارث والآلام تملك زمامك فتطحنك طحناً. املك انت زمامها وامسك بيدك مقودها فتصبح عدة لك لا عليك وتمشي صاغرة في ركابك وتحملك على منكبيها الى ينبوع مواهبك.

فاذا شئت ان تروي ظمأ نفسك من معينها وتملأ اناءك من رحيقها وتسقي العطاش من كوثرها فليكن الالم استاذك الاكبر. فالالم مهبط الوحي ومبعث الالهام.

توفيق عبده الشرتوني

في سبيل انشاء امة

اللعب والطفولة

بقلم منير النصولي

لقد اختلفت الاراء في تحديد اللعب ، ونتائجه ، وضروريته، فقال « شيلير » انه راحة وخلق من الوجهة المعنوية والجسمية وادعى «ستنلي هول» انه دور تهيئة لتكوين الغرائز التي يتم ظهورها على طريق الحياة، واكد «كار» ضروريته في سبيل تنمية الاعصاب، بينما ذهب بعض مذهب المعتقدين بان اللعب ان هو الا مران لا بد منه يمارسه الصغير كيما يتحضر الى دور الرشد. وزعم بعض آخر ان اللعب يتأتى عن زيادة قوى كامنة تتصرف في هذه السبيل . واذا ما اردنا ان نتحقق من الاهمية التي يعلقها علماء النفس على هذه الظاهرة فلنرجع الى ما اعلن «كلاباريد» في قول حكيم : « ان الطفل لا يدرك عهد الرجولة الا باللعب والمحاكاة » .

كل هذه الاراء العديدة ، وان اختلفت في تحديد هذه الظاهرة، اي اللعب ، فهي تتفق في ضرورته ، كيما تعد نشئاً صالحاً للحياة قوي الاعصاب ، رقيق الاحساس ، واضح المعالم في ادراكه .

هذه كرة تركض وراء كرة ، كما لو انها تلاعب فأراً ، وذاك كلب يعض على حجر . وهذه طفلة تلعب لعبة الام ، فتحاول عبثاً اطعام دميتها . وذاك طفل يمتطي عصا والده ويصهل قبل المسير ، او انه بالاحرى حسب مقتضيات العصر يحول كرسياً الى سيارة فيصرع امه بضجيجها المصطنع .

وانه لمن المحقق ان الحيوان كالانسان يندفع في لعبه بشغف ولذة ، ونحن نشاهد في كل يوم فصولا عديدة من ذلك ، فاذا ما تنبهنا ولاحظنا ما يجري ، وانا ندرك حقائق قد نجهلها كل الجهل ، لقلة معرفتنا بنفسية الطفل .

هوذا الصغير يتفرج بزجاجة حمراء ، فيؤخذ بمناظر الطبيعة وقد اصطبغت بنور احمر يدخل السرور على قلبه، فتحدث مشاركات وجدانية تنمي في نفسه احساس الفنان الذي يعطي من ذاتيته لوحة فنية اكسبتها ريشته مسحة رونق وجمال ، فيشعر طفلنا بمقدرته الشخصية ، وقد سلطها على ما حوله ، فأخذت تنعم بمظاهر مختلفة . واذا ما احببت ان تتبين ما يعتري الفنان من شعور عميق في عالمه الملهم وهو يحقق لوحة ، فطالع « التحفة الفنية» الخالدة « لبلزاك » عندئذ يمكنك ان تتصور حالة من حالات الشعور عند طفل وهو مأخوذ في لعبه .

يكسب اللعب صاحبه مهارة يدوية وعقلية ، وقد اكتشفت مرة تلميذاً يكتب على اللوح بيد تكاد تتعثر بالطبشور ، فتأكدت عندئذ ان ذلك الطالب لم يلعب مرة « بالكل » . ليتنا نقدر هذه الظاهرة حق قدرها ، فنترك الحرية لهؤلاء الاطفال ، كيما يتوصلوا الى ادراك حالاتهم النفسية فيكون نموهم نمواً طبيعياً .

لقد افسدت تلك الام على ابنتها الصغيرة جزءاً من العطلة المدرسية ، لانها رفضت ان تضع لصديقتها في حقيبة لها ، دمية مشوهة كانت تفضلها على كل شيء .

ولقد حمل ذلك الصبي ، عدة سنوات ، حقداً على ابنة عم له سخرت من كلب اجرد قذر كان حبيباً على قلبه ، لملاعبته اياه في اكثر الاحيان .

حقاً ان في الطفولة دوراً من اخطر الادوار يصلح الفرد بصلاحه ، ويفسد بفساده : فيه ينسخ صغيرنا صوراً مصغرة عن الحياة ، تتكيف لها نفسه حسبما تقضي الظروف ، فيشعر شعوراً قد ندرك فيه شيئاً يماثل احساساتنا الباطنة ، او اننا نبعد عن فهم ما يحدث في نفسية ذلك الصغير ، فيبقى غامض السر ، تكتنفه خفايا السنين .

منير النصولي

نوادر ابرهيم باشا المصري في بيروت

بقلم شفيق طبارة

كانت الساعة الخامسة صباحاً عندما خرج ابرهيم باشا من (بيت الدين) وسار في موكب رائع من الفرسان يريد بيروت . ولما شارف اسوار المدينة وقعت عينه على حية رقطاء فهم العبيد الذين كانوا يواكبونه بقتلها فنعهم ، وما كان الا ان استل غدارته وصوب فوهتها الى رأس الحية فارداها . ولقد رأى المتشائمون في هذا الحادث فألا سيئاً وتهامسوا قائلين : ما هذا الفتح الذي يفتتح بقتل حية (١)؟

في ذلك اليوم كان اهل بيروت في عيد شامل برزوا فيه بكل ما عندهم من زينة ، وخرج متسلم البلد مع رجال الحكومة ووجهاء بيروت الى ظاهرها لملاقاة ابرهيم باشا . ولما اقبل نزل عن جواده وسلم على مستقبليه ودخل معهم المدينة . وكان الناس قد ازدحموا في الطرقات المفضية الى السراي بينما كانت النساء على سطوح المنازل ومن النوافذ يرسلن الزغاريد معربات عن فرحهن وابتهاجهن بقدوم الفاتح المصري العظيم .

اوى الباشا في مساء ذلك اليوم الى مضجعه قرير العين بما شاهده من حفاوة اهل بيروت ثم نهض مع النهار وجلس في ايوان سراي فخر الدين يستقبل سراة المدينة الذين جاؤا يؤدون له تحية الولاء . وكان بين جماعة التجار رجل يقال له الدحداح كلم الباشا عن معمل النسيج الذي انشأه في ضاحية بيروت وفي المحلة المعروفة اليوم باسمه (حي الدحداح) ودعاه الى زيارة المعمل . فلبى الباشا الدعوة وعين له الساعة واليوم . وفي الموعد المضروب خرج هو وحاشيته ، فاخذ ابرهيم باشا يتأمل في قطع القماش المنسوج ، وتناول قطعة وعرضها على بعض بطانته مثنياً على صناعة نسجها ، فداخل الحاشية شيء من الحسد لعطف ولي النعم على الدحداح وقال بعضهم : « ان وجه القماش (لحمته) من الحرير ولكن قلبه (سداه) من القطن » . فالتفت الباشا الى الدحداح وقال : « يقولون ان وجه القماش من الحرير وان قلبه بطال لانه من القطن . » فتبين الدحداح الحسد في وجوه افراد الحاشية فقال : « وحياتك يا مولاي ان الوجه والقلب كليهما من الحرير ، ولكن البطانة (الحاشية) . . وحدها هي البطالة لانها من القطن ! »

ففطن ابرهيم باشا لحسن التورية وتبسم لهذا التعريض اللطيف .

وخرج الباشا ذات يوم من بيروت في جماعة من قواده يريد (بحرصاف) حيث اتخذ معسكره . وبينما هو في بعض الطريق اذ بصر بامرأة قروية تحمل على رأسها محلوباً فارغاً وهي تبكي بكاء شديداً . فاستوقفها وعرفها نفسه فاستجارت به . وسألها عن خطبها فقالت : « لقيت جندياً من جنودك ساومني على محلوب اللبن وما اتفقنا على الثمن تناول المحلوب وافرغه في جوفه ثم انصرف . وانا امرأة فقيرة ذات اولاد اقوتهم بثمن اللبن الذي اغتصبه الجندي » . فقال الباشا : اتعرفين الجندي اذا رأيته ؟ قالت : « نعم » فعرج على المعسكر واستعرض الجند امام المرأة وما وقعت عيناها على ذلك الجندي حتى عرفته فاشارت اليه وصاحت : « هذا هو يا مولاي » . فقال الباشا للمرأة : « سأبعج بطنه ، فان سال اللبن من جوفه مضى لسبيله والا اعدمتك بعده . » فقالت المرأة : « قد حللت » . فادار الباشا طرفه الى احد اتباعه وقال له : قم فاضربه فاستل الرجل خنجراً من حزامه وطعن بطن الجندي فسال اللبن . فقال الباشا للمرأة : « صدقت يا امرأة فانصفناك . خذي ثمن اللبن وامضي ، فليس عليك بأس الان . وليكن ما جرى عبرة للجند ورادعاً يصدهم عن اغتصاب ارزاق الناس (٢) » .

وكان من عادة ابرهيم باشا ان يتنكر ويندس بين الرعية يريد بذلك استجلاء حقيقة اخبارهم وخبيئة امورهم وقد وردت في ذلك روايات كثيرة اثبت هنا ما حكاه رجل فاضل من آل حصرم عن ابيه عن جده الحاج علي قال : بينما انا جالس ذات عشية في دكاني بسوق النجارين في بيروت اذا بدرويش ربع القامة مهيب المنظر ينبيء رواؤه انه نشأ في النعمة قد وقف بالباب مسلماً فرددت عليه السلام واوسعت له المكان وتلقيته بالاكرام وامرت له بقهوة فشرب ثم اخرج من جيبه غليوناً صغيراً وجعل يدخن به ويحادثني في احوال البلاد حتى افضى بنا الحديث الى الولاة والحكام فتنهد ، فسألته عن حاله فقال : « بالله دعني ولا تسل عن حزني فأنه شديد وخصمي عنيد . قلت : « ومن خصمك ؟ » قال : « خصمي الباشا » . قلت : « وما صنع الباشا ؟ » قال : اخذ ولدي الوحيد وكان عوني وسندي وجنده في جيشه الجديد وجعلني اتحسر عليه . فقلت : لقد نطقت بالصدق ، فان ابرهيم باشا رجل صارم وحاكم ظالم ، وقد جند اكثر اولادنا وجعلنا نتحسر عليهم وما زلت احادثه هذا الكلام واطعن في ابرهيم باشا وادعو على حكمه ان يزول

---

(١) لامارتين (رحلة الى المشرق) .

(٢) طالعت قصة مماثلة هذه الحادثة في كتاب (غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم) للثعالبي مسندة الى احد ملوكهم فاما ان تكون القصة صحيحة واما ان يكون رواتها مقلدين للخير القديم .

حتى تغيرت حاله . ثم نهض وودعني وانصرف . وبعد ساعة عدت الى منزلي وجلست مع اهلي نتناول الطعام واذا بالباب يطرق فنظرت من خصاص الباب واذا بانسان يسأل : اهذا منزل الحاج علي حصرم؟ ففتحت الباب وخرجت اليه فقال : « انت الحاج علي ؟ » قلت : « نعم » قال « اتبعني . » فلما قال اتبعني خفق قلبي وعلمت انه امر عال . فلبست ثيابي ومضيت معه الى السراي فدخل بي بهواً فسيحاً فوجدت رجلا مهيباً جالساً في صدر المكان وحوله بعض خاصته . فتأملته فاذا هو الرجل الذي زارني في دكاني . فزاد خوفي فتقدمت اليه وقبلت الارض بين يديه فقال : « لقد بلغني انك تطعن في حكمي وتشكو من جوري وقلت عني ما قلت . فخبرني بما رأيت من ظلمي وعدواني ، وما حملك على هذا الكلام . » فقلت : « جعلت فداك يا مولاي ، ما الى هذا قصدت وانما قصدت مسايرة ذلك الدرويش اللطيف الظريف . وتعزيته عن حزنه الشديد على فقد ولده الوحيد . » فاعجب بقولي وصفح عني ثم قال لي « من هم يا حاج هيال بيروت الذين لا معين لهم غير الذين جندتهم ؟ فعددت له ثمانية . فوجه رجلا من اتباعه ليستطلع خبرهم . ولما عرف مني الصدق امر باعطائهم من الجندية واعطاني صرة فيها خمسة اكياس ، تحتوي خمسة وعشرين ديناراً على سبيل الانعام ، فوالله ما رأت عيني احلم منه ولا اظرف .

وقيل ايضاً : مر يوماً رجل من رأس بيروت ببعض اطراف (الزيدانية) فرأى قتيلا راعه منظره ، فاخبر اولياء الامر فوافوا الى موضعه وعلموا من نزة القتيل انه غريب ، فقبضوا على عشرة رجال من اهل رأس بيروت وسئلوا عن المقتول فانكروه ، فالقوهم في السجن . واتفق ان الباشا اتى في ذلك اليوم من دمشق فاطلعه المتسلم على واقعة الحال فامر باحضار اولئك الرجال المحبوسين فتاملهم واستجوبهم ثم اطلق سراحهم ، وبحث في طلب اصحاب الدكاكين والحانات في الزيدانية ، فجاؤه برجلين من تلك الجماعة فخلا باحدهما وقال له « اصدقني الخبر والا انتقمت منك اشد انتقام . قل لي . هل مر بك منذ يومين بعض الناس ومعهم رجل غريب ؟ فقال لا والله ، وخلا بالاخر وطرح عليه السؤال فقال « نعم يا مولاي ، حضر الى دكاني ثلاثة رجال غرباء فطلبوا مني طعاماً وشراباً واقاموا عندي يحتسون كؤوسا من الخمر ويلعبون بالقمار حتى اظلم الليل فانصرفوا . ولما اصبح الصباح رجع منهم اثنان . » فامره الباشا ان يمضي مع ضابط البلد للتفتيش عنها في خانات المدينة . وبعد ساعة جاء بها اليه فقال لها « ويلكما اصدقاني . اين رفيقكما الذي كان معكما ليلة الثلاثا ؟ » فلما سمعا كلامه ذعرا وايقنا انهما هالكان لا محالة ، فلم يريا مناصاً من الاقرار فاعترفا بانهما قتلاه طمعا بماله . ثم قضى باعدامهما والقائهما في المكان الذي قتلا فيه الغريب ، وبتعطيل الدكان الذي سكروا فيه ، ويعرف بدكان الزيدانية وبقي الدكان مقفلا الى خروج الدولة المصرية من هذه الديار .

وحادثة الحفاش الرابعة دليل على يقظة الباشا وظرفه . والحفاش او (الوطواط) نوع من الطير ينتشر في الليل وينتفع من اضراره بزروعات الناس . وقد حدث ان تاجراً اشترى قنطاراً من الزبيب ، فتركه مفروشا في ركن دكانه . وكان يعلو الباب نافذة صغيرة مشبكة بقضبان من الخشب . ورحل التاجر الى دمشق في بعض اموره وقد اقفل دكانه . ولما عاد تفقد الزبيب فلم ير منه شيئا ، فرفع شكواه الى متسلم البلد فلم تسفر الجهود التي بذلت في معرفة السارق عن شيء يذكر اذ لم يكن هناك اثر لكسر في النافذة او في الباب . وبعد ايام خرج بعض اتباع الباشا للنزهة في مغارة الحمام براس بيروت ، وقضوا فيها سحابة النهار ، واستلفت نظرهم فتات الزبيب على الحشائش في ركن المغارة ، فاخبروا في المساء الباشا بما راوه في ذلك الموضع الحسن ، واتوا على ذكر فتات الزبيب فتذكر الباشا الزبيب المسروق فارسل الى صاحبه التاجر ولما اتى السراي في الغد قال له « قد وجدنا السارق فامضي مع ضابط البلد يرشدك الى مخبأه » . فتهلل وجه التاجر فرحا وركب مع الضابط وانطلقا بين البساتين وما زالا مسرعين ، والتاجر كلما اقترب من رأس بيروت توقع ان يرى وجه السارق حتى انتهيا الى المغارة . فخيل له ان السارق مختبىء فيها فصاح « يا سارق الزبيب اسلم نفسك » . ثم سكت قليلا ونادى « يا سارق الزبيب ، ابرز لتنفق على ثمن ما اكلت وما ابقيت . » ثم التفت مبهوتا الى الضابط وسأله « اين السارق ؟ » فقال الضابط « ما احسب السارق من الانس ولا من الجن » . قال التاجر « ان لم يكن هذا ولا ذاك ، فمن تراه يكون اذن ؟ » فتبسم الضابط وقال « سارق الزبيب جماعة الوطاويط » .

وحكوا ان رجلا عصى اوامر المتسلم فرآه ضابط البلد وكان فظا فصفعه ثم ضربه عشرين عصا حتى سال دمه . فبلغ ذلك الباشا فغضب وامر باحضار الضابط فجيء به ووقف بين يديه ، ثم امره بالجلوس فجلس وضرب الباشا بزاحة على راحة ، فاقبل عبد اسود يحمل طبقا فيه عشرون قطعة من الحلوى يقال لها (كرابيج) ووضعها بين يدي الضابط . فقال له الباشا كل فتناول الضابط قطعة ودسها في فمه ثم قال له كل . فاكل قطعة ثانية ودعاه الباشا ايضا فاكل الثالثة فالرابعة فالخامسة ، ثم التفت الى الباشا وقال « طاعتك واجبة في المحبوب والمكروه ولكن مالي الى الزيادة من سبيل . » فقال له الباشا « لا تخرج من هنا ان لم تأكل ما في الطبق . » قال الضابط « اطال الله بقاءك ، انا لا استطيع . وان اكرهتني مت لا محالة . » فهز الباشا رأسه وقال « ارميت كيف لا تطيق ان تأكل من الكرابيج الحلوى فوق قدرتك ؟ فما ظنك بالرجل الذي اشبعته ضرباً واطعمته عشرين كرباجا . . من خيزرانتك ؟ » فخجل الضابط وحلف الا يعاود فعلته ، وكان ذلك ضربا من احسن الامثال في التأنيب .

هذه ست نوادر وقعت لابرهيم باشا في بيروت وليست هذه القصص الا وقائع ما زال شيوخ بيروت الطاعنون يروونها عن اباتهم ، فهي بريئة من آفة الاختراع ، وقد رأيت ان اثبتها هنا لان المؤرخين قد اهملوا ذكرها واغفلوا هذه الناحية العامة في سيرة الرجل ، على الرغم من انها اصدق في الدلالة على خصاله التي تكونت منها بطولته وجعلته موضع الاعجاب والاحترام .

شفيق طبارة

كيف تأسست دولة الموحدين في المغرب

بقلم رائف فاخوري

كان صاحب الدعوة الى تأسيس هذه الدولة رجلا يدعى ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت (وهو اسم بربري) المنعوت بالمهدي وينتسب الى الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وقبيلته من المصامدة وتعرف بهرغه في جبل السوس من بلاد المغرب نزلوا به لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير . وكان محمد بن تومرت هذا ربعة اسمر فظيعاً عظيم الهامة حديد النظر وكانت ولادته يوم عاشوراء سنة ٤٨٥ . رحل في شبيبته الى بلاد المشرق في طلب العلم واجتمع باكابر علمائه وحج واقام بمكة مدة مديدة وحصل طرفاً صالحاً من علم الشريعة والحديث النبوي واصول الفقه والدين وكان ورعاً ناسكاً متقشفاً مخشوشناً مخلوقاً كثير الاطراق بساماً في وجوه الناس مقبلا على العبادة لا يصحبه من متاع الدنيا الا عصا وركوة وكان شجاعاً فصيحاً في لسان العرب والمغرب شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع لا يقنع في امر الله بغير اظهاره وكان مطبوعاً على الالتذاذ بذلك محتملا للاذى من الناس بسببه وقد ناله بمكة شيء من المكره من اجل ذلك فخرج منها الى مصر وبالغ في الانكار فزادوا في اذاه وطردته الدولة وكان اذا خاف من البطش وايقاع الفعل به خلط في كلامه فينسب الى الجنون فخرج من مصر الى الاسكندرية وركب البحر متوجهاً الى بلاده حتى انتهى الى المهدية احدى مدن افريقيا سنة ٥٠٥ فطفق لا يرى منكراً الا جاهر بانكاره واقدم على تغييره بيده فتسامع الناس به في البلد فجاؤوا اليه وقرأوا عليه كتباً من اصول الدين ثم انتقل الى بجايه فاقام بها مدة وهو على حاله في الانكار فاخرج منها الى بعض قراها واسمها ملالة . وبينما هو ذات يوم في الطريق رأى شاباً قد بلغ اشده معتدل القامة عظيم الهامة اشهل العينين كث اللحية شثن الكفين طويل القعدة واضح بياض الاسنان بخده الايمن خال ورأى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم والقيام بالامر فسأله عن اسمه وقبيلته فاخبره ان اسمه عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي نسبة الى كومة وهي قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من اعمال تلمسان وانه من قيس عيلان ثم من بني سليم فقال ابن تومرت هذا الذي بشر به النبي (صلعم) حين قال : ان الله ينصر هذا الدين في اخر الزمان برجل من قيس . قيل من اي قيس؟ قال من بني سليم .

واستبشر بعبد المؤمن وسر بلقائه وقال له : اين مقصدك ؟ فقال الشرق . قال ما تبغي ؟ قال اطلب علماً وشرفاً . قال وجدت علماً وشرفاً وذكراً ، اصحبني تنله . فوافقه على ذلك فالقى اليه محمد بن تومرت امره واودعه سره . وكان محمد بن تومرت قد صحب رجلا يسمى عبدالله الونشريسي ففاوضه في ما عزم عليه من القيام فوافقه على ذلك اتم موافقة وكان الونشريسي ممن تهذب وقرأ فقها وكان جميلا فصيحاً في لغة العرب والمغرب فتحدثا يوماً في كيفية الوصول الى الامر المطلوب فقال محمد بن تومرت لعبد الله : ارى ان تستر ما انت عليه من العلم والفصاحة عن الناس وتظهر من العجز واللكن والحصر والتعري عن الفضائل ما تشتهر به عند الناس لتتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا اليه فنصدق فيما نقوله ففعل عبد الله ذلك وكان يظهر البله وعدم المعرفة بشيء من القرآن والعلم ويزاقه يجري على صدره وهو كانه معتوه ومع هذا فالمهدي يقربه ويكرمه ويقول ان لله سراً في هذا الرجل سوف يظهر . ثم ان محمد بن تومرت استدنى اشخاصاً من اهل جلادا في القوى الجسمانية اغماراً وكان الى الاغمار اميل منه الى اولى الفطن والاستبصار فاجتمع له منهم ستة سوى عبد الله الونشريسي فرحل الى اقصى المغرب واجتمع بعد ذلك بعبد المؤمن وتوجهوا جميعاً الى مراكش وملكها يومئذ ابو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين وكان ملكاً عظيماً حليماً ورعاً عادلا متواضعاً . ورأى محمد بن تومرت في مراكش المنكرات اكثر مما عاينه في طريقه فزاد في امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثر اتباعه وحسنت ظنون الناس فيه فبينما هو في بعض الايام في طريقه اذ رأى اخت الملك في موكبها ومعها من الجواري الحسان عدة كثيرة وهن مسفرات وكانت هذه عادة الملثمين تسفر نساؤهم وجوههن ويتلثم الرجال فامرهن بستر وجوههن وضرب هو واصحابه دوابهن فسقطت اخت الملك عن دابتها فرفع امره الى الملك فاحضره واحضر الفقهاء ليناظروه فلم يكن منهم من يقوم له فاشار على الملك مالك بن وهيب احد وزرائه بقتله وقال له ان هذا لا يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانما يريد اثارة فتنة والغلبة على بعض النواحي . فلم يفعل بل امر باخراجه من مراكش فسار الى اغمات ولحق بالجبل حتى التحق بالسوس الذي فيه قبيلته هرغه وغيرهم من المصامدة وذلك في ٥١٤ ثم استقر في تينمل وهو مكان حصين منيع وكان قد سار ذكره في اهل الجبل فجاؤوا

من كل فج عميق وتبركوا بزيارته وكان كل من اتاه استدناه وعرض عليه ما في نفسه من الخروج على الملك فان اجابه اضافه الى خواصه وان خالفه اعرض عنه وكان يعظهم ويذكرهم بايام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وما غير منها من الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه وسمى اتباعه الموحدين واعلمهم ان النبي (صلعم) بشر بالمهدي الذي يملأ الارض عدلا وان مكانه الذي يخرج منه المغرب الاقصى فقام اليه عشرة من رجاله بينهم عبد المؤمن فقالوا لا يوجد هذا الا فيك فانت المهدي وبايعوه على ذلك وكان يستميل الاحداث وذوي الغرة وكان ذوو الحكم والعقل والحلم من اهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم سطوة الملك. فكان لا يتم له مع ذلك حال وطالت المدة وخاف محمد بن تومرت مفاجأة الاجل قبل بلوغ الامل وخاف ان يطرأ على اهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم الى تسليمه والتخلي عنه فشرع في اعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه فرأى بعض اولاد القوم شقراً زرقاً والوان اباءهم السمرة والكحل فسألهم عن ذلك فاجابوه بعد لأي ان عليهم للملك خراجاً في كل سنة فتصعد مما يكسبه اليهم وينزلون في بيوتهم ويخرجونهم عنها ويختلون بمن فيها من النساء. فقال محمد والله ان الموت خير من هذه الحياة ثم قال لهم بعد ان اثار حميتهم وغيرتهم واخذ عليهم العهود والمواثيق: استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح فاذا جاؤوكم فاجروهم على عادتهم وخلوا بينهم وبين النساء وميلوا عليهم بالخمور فاذا سكروا فاذنوني. فلما حضر المماليك وفعل بهم اهل الجبل ما اشار محمد به وكان ليلا فاعلموه بذلك فامر بقتلهم باسرهم فلم يمض من الليل ساعة حتى اتوا على اخرهم ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد تمكن من اللحاق بمراكش واخبر الملك بما حدث. فلما فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من الملك فامتنعوا في الجبل وضيقوا ما فيه من طريق يسلك اليه فقويت نفس المهدي بذلك ثم ان الملك ارسل اليهم جيشاً قوياً فحصروهم في الجبل وضيقوا عليهم ومنعوا عنهم الميرة فقلت عند اصحاب المهدي الاقوات حتى صار الخبز معدوماً عندهم وكان لهم كل يوم من الحساء ما يكفيهم فكان قوت كل واحد منهم ان يغمس يده في ذلك الحساء ويخرجها فما علق عليها قنع به ذلك اليوم فاجتمع اعيان اهل تينمل وارادوا اصلاح الحال مع الملك فبلغ الخبر بذلك المهدي فقال للونشريسي هذا اوان اظهار فضائلك دفعة واحدة ليقوم لك مقام المعجزة لتستميل بذلك قلوب من ليس يدخل في الطاعة ثم اتفقا على ان يصلي الصبح ويقول بلسان فصيح بعد استعمال العجمة واللكن في تلك المدة: اني رأيت البارحة في منامي انه قد نزل الي ملكان من السماء. فشقا فؤادي وغسلاه وحشياه علماً وحكمة وقرآنا فلما اصبح فعل ذلك فبكى المهدي بحضرة الناس ثم قال له نحن نمتحنك فقال: افعل، وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من اي موضع سئل وكذلك الموطأ وغيره من كتب الفقه والاصول فعجب الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم ان الله اعطاني نوراً اعرف به اهل الجنة من اهل النار واوامركم ان تقتلوا اهل النار وتتركوا اهل الجنة وقد انزل الله تعالى ملائكة الى البئر التي في المكان الفلاني يشهدون بصدقي فسار المهدي والناس معهم يبكون الى تلك البئر وصلى المهدي عند رأسها وقال يا ملائكة الله ان ابا عبد الله الونشريسي قد زعم كيت وكيت فقال من بها: صدق. وكان قد وضع فيها رجالا يشهدون بذلك. حينئذ قال المهدي هذه البئر مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة والمصلحة ان تطم لئلا تقع فيها نجاسة او ما لا يجوز فالقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمها. ثم نادى في اهل الجبل بالحضور الى ذلك المكان فحضروا للتمييز فكان الونشريسي يعمد الى الرجل الذي يخاف ناحيته فيقول هذا من اهل النار فيلقى من الجبل مقتولا والى الشاب الغر ومن لا يخشى فيقول هذا من اهل الجنة فيترك على يمينه فكان عدة القتلى سبعين الفاً. ولما فرغ من ذلك امن المهدي على نفسه واصحابه واستقام امره ثم انه جهز جيشاً عدد رجاله عشرة الاف بين فارس وراجل وفيهم عبد المؤمن والونشريسي واصحابه كلهم واقام هو بالجبل فنزلوا لحصار مراكش واقاموا عليها شهراً ثم كسروا كسرة شنيعة وهرب من سلم من القتل وكان فيمن سلم عبد المؤمن وقتل الونشريسي. وبلغ الخبر محمد بن تومرت وهو بالجبل وحضرته الوفاة قبل عود اصحابه اليه واوصى من حضر ان يبلغ الغائبين ان النصر لهم وان العاقبة حميدة فلا يضجروا وليعاودوا القتال وان الله سيفتح على ايديهم والحرب سجال وانكم ستقوون ويضعفون ويقلون وتكثرون وانتم في مبدأ امركم في آخره ثم توفي في سنة ٥٢٤ ودفن في الجبل وقبره هنالك مشهور يزار وكان قوته من غزل اخته له في كل يوم رغيفاً بقليل سمن او زيت ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ورأى اصحابه يوماً وقد مالت نفوسهم الى كثرة ما غنموه فامر بضم ذلك جميعه واحرقه وقال: من كان يتبعني لدنيا فماله عندي الا ما رأى ومن تبعني للآخرة فجزاؤه عند الله تعالى وكان على خمول زيه وبسط وجهه مهيباً منيع الحجاب الا عند مظلمة وكان له رجل مختص بخدمته والاذن عليه ثم تولى الامر من بعده عبد المؤمن وامتد ملكه الى المغرب الاقصى والادنى وبلاد افريقيا وكثير من بلاد الاندلس وتسمى امير المؤمنين. وهكذا كان تأسيس دولة الموحدين.

رائف فاضوري

السينما بين المسرح وفنه التصوير

بقلم رفيق الاخبار

انتهينا في بحثنا الماضي الى ان دراسة ايقاع الفيلم تقودنا للبحث في علاقة السينما بالفنون الاخرى وما اخذته عنها من طرق فن وقواعد تأثرها بها .

وليست دراسة هذه العلاقة من الدراسات السهلة المتناول لتشعب الاراء فيها وتضارب النظريات واختلافها، وتكاد تكون صلتها بالمسرح من اعقد الصلات وادقها ولا سيما اذا ذكرنا ان المسرح لم يزل حتى اليوم من اعظم الفنون التي زاحمت السينما وكان في ميدان النضال عنيداً صعب المراس ، ظهرت قوته في ميادين شتى ولم يزل يعمل لاعادة مجده السابق .

والحق يقال ان السينما كانت في خطواتها الاولى ربيبة المسرح وبقيت حتى عام ١٩١٠ تستجدي اكف مخرجيه ومثليه ومؤلفيه وقد خدمها هؤلاء خدمات جلى ولكن الصبغة المسرحية البحتة من حيث التصوير والتمثيل والحوار كانت تطغى على ما دونها ، حتى اطلق جيل القرن الماضي على هذا الفن الناشيء — السينما — اسماً غريباً هو : مسرح الفقراء ، وحجتهم في ذلك انها عاجزة عن اظهار فن الدرام المسرحي ، ولذا فهي شقيقة حقيرة للفن المسرحي الجبار .

ولا ريب ان هذه الاثرة للفن المسرحي كانت حائلا دون تفتق عبقرية رجال المسرح الكثر عن فكرة جديدة او طريقة مبتكرة يقدمونها للفن السابع واكتفوا بتطبيق ما عرفوه في المسرح ومن تجارب المسرح فانتجوا افلاماً صامتة كثيرة العناوين — الحوار — قليلة الزخرف، مفتقرة للحد الثالث وهو العمق . ولولا غريفت وشابلن لبقيت السينما اسيرة اثرة بعض رجال المسرح .

تلقن شابلن اول نظرياته عن التمثيل من المسرح ولكنه لم يكن بالغبي الغفل حتى يطبق ما تعلمه حرفاً بحرف في السينما بل كان فناناً داهية لم يطبق قواعد المسرح المعروفة في افلامه بل اقتبس من نظريات فن التمثيل الصامت ما رآه مناسباً للسينما وطبقه . والحق انه لو قدر لنا دراسة بسيطة لهذا النوع من الفن المسرحي للمسنا جلياً العنصر المشترك بينه وبين الصور المتحركة .

ولو كنا من النفسيين الذين يعتقدون ان الاختراع لا وجود له في الطبيعة لسلمنا بان « شابلن » اقتبس فن التمثيل السينمائي من الفن المسرحي الصامت . ولكن الحقيقة ان تشارلو لم يكن مجرد مقتبس بل كان مبدعاً يمتاز بعبقرية خلاقة لم تكتف بالاقتباس فقط بل ابدعت اسس التمثيل السينمائي ابداعاً بينما كان « غريفت » يضع اسس فن الفيلم .

وهكذا تضافرت اعمال « شابلن وغريفت » للعمل على خلق فن قائم بذاته هو فن الفيلم يمتاز بالامكانيات التي تؤهله للاستقلال عن المسرح .

ولا ريب ان الافلام التي اخرجت حتى عام ١٩١٠ والتي كانت تبعث الضحك والسخرية ، جديرة بالتقدير اذ بينت للعالم الفرق الكبير بين المسرح والسينما — التي اصبحت اليوم « فن الحركة » . فبينما بقي المسرح محصوراً بين جدره الثلاثة بقوة تعبير محدودة لا يمكن ان تعطي الجمهور التفاصيل الكافية لمتابعة سياق الرواية وقلة الديكور وضآلة حجم الممثل نرى السينما لا تترك شاردة ولا واردة دون عرضها تحت انظار المتفرج ليلم بادق تفاصيل الحادث تارة بتنويع زاوية التقاط الصور واخرى بتبديل حجم المرئي ومثل هاتين الميزتين لا يمكن المسرح بلوغهما ولهما كل الفضل في جعل الافلام السينمائية تفوق المسرحيات .

المسرح فن محدود وضعت قواعده منذ الاف السنين وهي لا تتبدل ، لذا نراه منذ ظهور السينما يفقد قيمته السابقة تدريجاً ، اذ ان الجمهور يريد الانطلاق من الحدود الضيقة التي فرضها عليه المسرح : يريد التملص مما يسمونه الوحدات الثلاث ليتوجه نحو السينما حيث يجد اللانهاية .

وقد بدأ يظهر في العالم فئة من الممثلين لا تمت لاسرة المسرح بصلة والتطور الذي يمر على السينما يبعدها يوماً بعد يوم عن المسرح وطرق تعبيره وكل تطور يطرأ عليها يزيد في تحررها منه وهذا

التطور لا يقف عند حدود الفن ذاته بل يتعداه الى جمهور المتفرجين الذين كانوا يجدون قوة المسرح في الاصغاء التام الى ما قاله عطيل قبل قتله « ديسديمون » وبعده، دون الاهتمام بالقتل ذاته. اما اليوم فقد عودتنا السينما ان نرى كيف وقع القتل .

فنحن لا نشاهد فوق خشبة المسرح الامرئيسات محدودة وحوادث محشوة بالحوار حتى اصبح الحوار لا يروي غليلنا في التعبير عن الحوادث المقبلة والسالفة فاندفعنا بكليتنا نحو السينما حيث نجد الحادث مكتمل الاجزاء دقيق التفاصيل وفي حلة لا يمكن توفرها في المسرح مطلقاً . هل رأيت طوال حياة المسرح اصطدام سيارتين او انقلاب قاطرة ، وهل رأيت فوق خشبة المسرح عاصفة هوجاء او حريقاً هائلا او هزة ارضية ، وهل رأينا الحرب فوق خشبة المسرح ؟ لا لم نرها ولولا السينما لما عرفنا الحرب واهوال الحرب .

الفيلم السينمائي قطعة من صميم الحياة الحقة بفضل مناظر الفلم الكثيرة ومشاهده الفنية المتنوعة التي تقوم مقام الاحاديث المملة المطولة التي نسمعها من فوق خشب المسرح . والمحاورات عنصر اساسي من عناصر فن المسرح ، لذا تعتبر الافلام التي تعتمد على المحاورات فشلا لفن السينما اذ لا يعمد فيها الى استثمار الامكانيات الكثيرة التي يقدمها الفن السابع . ونحن لا ننكر ان دخول الصوت على السينما قدم من شأن السينما كثيراً ولكن يجب ان نجعل الصوت في خدمة الصورة والحركة — لا العكس لانه يجرنا الى حظيرة « الافلام المسرحية » كما نرى عند فئة لم يكفها ان استغلت فن الفيلم فعمدت منذ ظهور الفيلم الناطق الى وضع الصوت في خدمة فكرتها وظهرت « الافلام المسرحية » — اذا صح هذا التعبير . وكان ظهورها على ايدي بعض مخرجي فرنسا امثال « مارسيل بانيول وساشا غيتري — عضو اكاديمية غونغور — وبطل ومخرج عدة افلام اشهرها : لآلئ التاج وقصة غشاش وشارع الشانزيليزه — وسواها » وقد اخرج هؤلاء ومن لف لفهم في فرنسا عدة افلام سينمائية قائمة على قواعد فنية وسط بين عناصر فن الصور المتحركة وفن المسرح عرفت باسم « المسرح السينمائي » يحتفظ بالصوت ويستثمر الصورة ولكنه لا يتركها تعلو .

المسرح والسينما

لا ننكر وجود اثر للمسرح في تاريخ السينما ، ولكن يوم انفصال هذين الفنين احدهما عن الاخر سيكون قريباً . وسيعيش كل منهما على مائدته : — المسرح على الحوار والسينما على الصورة الحية . قد يتساءل القارىء حسب مبدأ « الفعل ورد الفعل » عما اثرته السينما في المسرح فأقول : — « ان تأثير السينما كان مجرد بعث النهضة المسرحية وظهر هذا جلياً في فرقة « كلينسلر ورينهارد وبالي روس » وقد حاول « ارفنغ بيسكوتور » في برلين وجول رومان ودانجو تانبو » في باريز ، استخدام طرق اخراج سينمائية في المسرح فلم ينجحوا ، لانها كانت تمر على تعديلات تفقدها صبغتها . وهذا دليل على استقلال كل من الفنين عن الاخر . ان الفرق الاساسي بين الفن المسرحي والفن السينمائي يجعل من السينما فناً قائماً بذاته .

السينما وفهم التصوير

يظهر ان السينما عرفت منذ فجر التاريخ ودليلنا الاثار التي تركها الاقدمون من نقوش تمثل حياتهم العامة والخاصة والتي كانت بالحقيقة بثابة السينما لدينا . عرف البشر الصور المتحركة منذ القديم وما تركه لنا اليونانيون والمصريون من اثار ملوكهم في صيدهم وما نراه من رسوم الالهة، كانت السينما الابتدائية التي سايرت فن الرسم مسايرة مطلقة وتأثرت بكل اتجاهاته من الرسوم البسيطة المنحوتة الى الرسوم الزيتية والفحمية الى النحت في القرون الوسطى وعصر النهضة . ونفهم من هذا كله ان طريقة قص قصة بالرسوم المتتالية حادث قديم كالعالم .

عقب ظهور المسرح اليوناني بدأ الرسم وبالاحرى النحت يتأثر بالمآسي اليونانية عامة كما يظهر في الاوعية والنقوش المتروكة . لذا يمكننا ان نقول ان التمثيل عامة كان وحي فن الرسم عند اليونان كما كان في القرن السادس عشر حتى الثامن عشر في اوربا ولا سيما في فرنسا كما يظهر من اثار الكلاسيكيين . لذا يمكننا ان نقول : « ان فن الرسم كان يسير دوماً الى جنب التمثيل اسوة باكثر الفنون البلاستيكية او التصويرية .

منذ الخليقة والانسان يمثل في حياته العامة والخاصة . والانسان مقلد بالطبع وحب التقليد هذا اوحى له فنين عظيمين : فن الرسم والتصوير وفن التمثيل وقد يصعب تمييز السابق عن اللاحق . ولكن هذا لا يمنعنا من القول ان احدهما يقوم على اكتاف الآخر منذ امد مديد .

من المسلم به ان نهضة الصور المتحركة الاولية كانت في الرسم قبل الفوتوغرافيا، بل كان الرسم من اهم العوامل التي كونت في

الجمهور فكرة تحريك الصورة، فاخذها العلماء عن « هيرشل وسواه» واعملوا فيها فكرهم وهذبوها حتى رأيناها في حلتها الحاضرة السينما او فن الحركة وليس من حاجة تدعو للوقوف على خطوات السينما الاولية منذ عرفها المصريون بامثال (ميكي ماوس) الى المحاولات التي قام بها الرسام (ليونارد دافينشي) لكي نقف على الصلة بين السينما والرسم .

لم يقتصر اعتماد السينما على الرسم في نشأتها الاولى بل لم تزل تعتمد عليه واثره بارز فيها حتى يومنا هذا ولا اظن هذا الرأي يحتمل ادنى نقاش . اذ يكفي ان نستعرض بعض القطع الزيتية التي خلفها كبار الرسامين حتى نرى كيف استمدت السينما شخصياتها وزخرفها منها ، اذ لا يمكن المخرجين وهم يخرجون افلامهم ان يبعدوا عن افكارهم قطع بعض كبار الفنانين وخاصة في الافلام التاريخية : نذكر ما اخذه « كلورانس براون » من قطعة « دافيد » التي تمثل « نابليون » عند زواجه من « ماري تيريزا » لفيلمه « ماري فاليسكا» وكذلك « سيسيل دي ميل » فقد غزا قطع « غيران » المعروضة في « اللوفر » لتغذية اكثر افلامه خاصة « كليوباترة » . ومن الافلام التي يظهر فيها اثر الرسم جلياً يمكن ان نذكر « غرفة الدكتور كاليغاري » الذي اخرجه « روبير وين » في عهد الصامت وكذلك « روبين ماموليان » تأثرت بصورة للسيدة سيريزيا عمل دافيد ايضاً وتمثل القطعة فتاة عصر « ولنغتون » وقد لاحظ كل من شاهد فيلم ماموليان التشابه العظيم بين « فرانسيس دي » في الفيلم وصورة « مدام سيريزيا » .

ولا بد ان نتساءل عما يستمده المخرج من مخلفات كبار فناني التصوير ؟

انتشرت منذ مدة في الافلام السينمائية الصور غير المجلوة ولا ريب ان من يطالع الادوار التي مر فيها الرسم في اوربا الشمالية ، المانيا والسويد وهولاندا ، يلاحظ للوهلة الاول ان السينما في طريقة « الفلو » كانت معتمدة على ما تركه « رامبران » ويلاحظ في كثير من الافلام ان المخرجين لم يكونوا يتوانون مطلقا عن الاخذ بطريقة البندقيين المعتمدة على الالوان الشديدة والاضاءة . اذن لاضاءة الصور الزيتية اثر في خلق وتوجيه الاضاءة الصناعية في السينما التي مرت في اطوار كثيرة حتى بلغت درجة الكمال . واصبح مهندس الاضاءة يتلاعب في توجيهها على المرئي لكي يعطي شخصيته قيمة اعظم تزيد في اثر الفيلم . ولكن مهما بلغ مدى التخيل الجزئي فان تقدم الصناعة السينمائية ودخول الالوان اعطى الاضاءة من قوة التأثير اضعاف ما كنا نراه . وزادت اواصر العلاقة بين الرسم والسينما . وليس هذا في الفيلم الملون فقط بل مر على السينما عهد كانت وظيفة الالوان فيها رمزية اكثر من اي شيء آخر : فاللون الاحمر يمثل اللهب او الدم واللون الاصفر الذهب والرمادي الارض والاسود الليل والاخضر الشجر او الحقول . واظن القراء لم يزالوا يذكرون هذا النوع من الافلام التي راجت سوقها في العهد الصامت ورأينا كل لون يوافق حالة خاصة ويبعث شعوراً يتناسب معه من احمر الى اخضر .

الصور السينمائية والزيتية

لا يمكننا بصورة من الصور ان نقصر العلاقة بين السينما والصور الزيتية على الالوان التي لم تزل بعيدة عن السينما رغم الافلام التي شاهدناها ، اذ هناك نواح غير التلوين تصل بين التصوير الزيتي والسينما .

والحق ان قوة تأثير الصورة السينمائية كامن في اسلوبها وهي ككل قطعة فنية تتطلب من صاحبها خلق صورة جامعة بين التعبير المراد والجمال سعياً وراء خلق الاثر المرجو في نفوس المتفرجين . ومن هنا نشأ اختلاف بين طرق الفنانين في التعبير حسب طبيعة كل منهم وقيمة الفنان الذاتية .

ان ميدان ابداع « الرسام الزيتي » لا يمكن ان يتجاوز حدوداً معينة : الريشة وقطعة القماش والصباغ ، بينما المجال في الميدان السينمائي فسيح امام المخرج ليسخر ما يحلو له من الوسائل ويرفع مستوى صورته وترقي « فن الفوتوغرافيا » ساعد على خلق مجالي جديدة في ميدان الابداع والتفنن . وهناك فرق اساسي بين هذين الفنين هو وجوب جعل الصورة السينمائية منفردة قابلة للامتزاج مع سابقتها ولاحقتها .

* * *

والحق يقال ان عوامل الصلة بين الرسم والسينما موقوفة على نواح ظاهرية مجردة . لان التصوير الزيتي والسينمائي لا يمكن ان يقوم على طرق فنية واحدة ثابتة ومحدودة اذ هناك شرط اساسي هو « الايقاع الداخلي او الجزئي » القابل للامتزاج او غير القابل له . والخلاصة انه يمكن التصوير الزيتي والفوتوغرافي ان يخلقا صورة فنية جميلة ولكنها منفردة ، اما في السينما فلا يمكننا ان نعد مثل هذه الصورة جيدة لانه لم تتوفر فيها قابلية التسلسل والامتزاج .

ويلاحظ ان النتيجة دائماً واحدة : وهي ضرورة توفير صورة تعطي الفيلم تتابعاً جيداً ومقبولا لتأمين الايقاع الخارجي او الكلي .

دمشق — رفيق الاخنبار

ARCHIVE
http://Archive.beta.ahram.org.eg

حكاية العمر

بقلم عبد المطلب الامين

يا غربة الصحو على الشاربين ... وغصة الشك بقلب اليقين
وخيبة الاعياء من ثورة ... راضت بها الاعصاب حمى الجنون
ومبعث الامال من هجعة ... القى بها اليأس لبرد المنون
وعثرة الذكرى باشلائها ... تناثرت بين اصطفاق السنين
مشى اليك العمر يا فتنتي ... وفي خطاه عثرة الهائمين
يصارع الكأس فلا ينتشي ... ويصدم اليأس فلا يستكين
يهده الجهد فلا ينثني ... وكم اناخ الجهد رحل الظعين
مشى اليك العمر لا يهتدي ... ابالثواني عد ام بالقرون
طوى اليك الارض دامي الخطى ... مقرح الجفن ندي الجبين
ويعصف القيد باقدامه ... فيصهر القيد وينجو السجين
بعثت بالنور الى ليله ... فشعشع الليل وضج السكون
وهبته سرك ايماضة ... افاضها الله على العارفين
فصرف الكفار عن عيهم ... وافسد النجوى على المؤمنين
سلافة الصوفي في كأسه ... عدت عليها سكرة الفاسقين
ودمعة المحروم في جفنة ... وفي رؤاه تخمة الناعمين
تناقضت صورة ايامه ... كأنها منك انعكاس امين

* * *

حكاية العمر على طولها ... وما زهاها من طلاء الفنون
قصصت للغيب احاديثها ... كقصة الصحو على الشاربين
نفضت عن جفنيك اطيافها ... وبعتها ، بيع الشذى للانين
تضاءل العمر على رحبه ... وجف من معناه فيض المعين
ولو رسمت اليوم الواحه ... لضاع في الالوان ما ترسمين
وهبت للذكرى وبيدائها ... عطية الهاوي وجود الضنين
اعيذ هذا العمر يا فتنتي ... يرحمه الموت ولا ترحمين

دمشق — عبد المطلب الامين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثقافة العسكرية

نقدم هذا البحث القيم في « الثقافة العسكرية » الموضوع الذي قل من تناوله من كتاب العربية، على خطورة شأنه في فهم احداث الحرب الحاضرة. وقد دبجته يراعة شخصية عربية جليلة وخصت به قراء « الاديب »

◆

تعاريف اولية

الحرب نضال بين ارادتين ، على رأس قوتين مسلحتين في حالة تصادم ، اذا وهنت احدى الارادتين او تطرق اليأس اليها ففقدت الامل في الغلبة والنصر ، كانت الهزيمة عاقبة لها . كان علي بن ابي طالب بطلا من ابطال العرب . قال يوماً مخاطباً جنوده : « فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع . . واستعينوا بالصبر والصدق فانه بقدر الصبر ينزل النصر . » وهذا القول الذي صدر منذ ١٣ قرناً يصدق عن الحرب في مجموعها الى اليوم ، لان العوامل النفسية هي اول ما يساعد على النجاح في الحروب واحراز النصر في ميادينها . وعليه يكون الاساس الاول الذي تبنى عليه تهيئة الامة لحمل السلاح هو العمل على غرس الروح العسكرية في نفوس افرادها وتربية قوة الارادة والثبات فيهم مع الثقة في النفس ، والاستماتة في الدفاع ، وتعويدهم الاقدام والجرأة لمواجهة الاخطار وتحمل المتاعب والمشاق . والمعركة في صورتها البسيكولوجية جهاد نفسي بين قائدين . والجيوش المتلاحمة يمثل كل منها آلة محكمة التركيب والوضع ، خاضعة لسلطة وارادة واحدة . والغرض من تنظيم الجيش وتقسيمه الى فرقة وسرية وكتيبة (اي فرقة وباوك واورطة) ، هو احكام سير هذه الالة وجعلها جسماً حساساً مثل جسم الانسان بنظامه العصبي : الرأس تحرك كل طرف فيه وتشعر في الوقت نفسه بما يمس او يصيب اي عضو فيه .

كذلك الجيش مع رئاسته فبالتدريب والضبط والتنظيم ، تصل ارادة القائد من اعلى الى اسفل متدرجة من ضابط الى ضابط حتى تصل الى الجندي البسيط الواقف في الصف الامامي ، في مواجهة العدو . وارادة القائد مركز للتحريك والقيادة والسوق والتجميع . فهي التي تصدر الاوامر بجمع الوحدات ونقلها وتوزيعها وتحرك القوات والاسلحة المختلفة ، وتعبئها في اماكنها ثم توحد مجهوداتها وترسم لها اعمالها وطريقة مساعدة بعضها لبعض ، وفي النهاية تسيرها متكاتفة متعاونة نحو الهدف المقصود .

ويضع القائد قبل التلاحم او الاشتباك في القتال خطته التي يحكم تفاصيلها ودقائقها . فاذا اتمها عليه ان يتبعها دائماً فلا يخرج مطلقاً عن دائرتها ، فاذا سببت الظروف او الجأته الحوادث ان يحيد ولو مؤقتاً عنها فمن واجبه ان يعود في الحال الى اتباعها . . واذا دخل القائد المعركة اتته المعلومات واخبار الحوادث اولا باول ، تترى من كل جانب ، فيشرف على سير الحركات الحربية وعلى تطور ادوار المعركة ويراقب تنفيذ اوامره وتأثيرها ونتائجها . ولكن اهم عامل فعال بين يديه هو انه ، رغم اشتباكه ، لا يزال يسيطر على اختتام المعركة وقفلها بقوات الاحتياطي التي يحرص كل الحرص على الاقتصاد في استعمالها وان تكون مؤلفة من قوات كاملة العدة والعدد ، قوية نفسياً ومستريحة جسمياً . فاذا اذنت الساعة الفاصلة دفع بها جميعاً نحو العمل بغير تردد ولا احجام حتى لا تفلت من يديه فرصة احراز نصر كامل بمعنى الكلمة . والنصر في نظر الفلسفة يتم اذا تصدعت بالقوة ووهنت ارادة الخصم . ولكن الحرب كما سنرى عمل وحركة ونتيجة ، فما يصلح للتعارف عليه بين الفلاسفة لا يقنع العسكريين . ويقول بعضهم : النصر يتحقق بابادة قوى العدو الرئيسية في الميدان ، وهذا ايضاً لا يكفي لتعريف معنى النصر الحربي تماماً . فالنصر يتحقق بتدمير العدو والقضاء عليه وهذا يتطلب ابادة قواه الرئيسية وتشتيت وحداته المجمعة واصابته مادياً باسكات بطارياته وتحطيم استحكاماته وافناء قوة المقاومة وروح الدفاع التي لديه . وللوصول الى هذه النتيجة يجب ان تتملك ارادة القضاء على العدو ، عقيدة القائد الذي يحرك الجيش ، ورأس الجندي الذي ينفذ الامر الصادر اليه بالتقدم ، وتفكير المهندس الذي يخترع ويبتكر آلة القتال من سلاح وطلقة . واذا تحقق

النصر نحدد مداه وقيمته واهميته حينما نعرف عدد قوات العدو التي ابيدت او اسرت او تشتتت، ونقارنها بمساحة الارض التي انتزعت عنوة منه مع اهميتها من جهة مواردها الاقتصادية وما عليها من طرق المواصلات والنقل وطبيعتها الطبوغرافية اي من ناحية جبالها وانهارها وتضاريسها الارضية ومقدار صلاحيتها للدفاع والهجوم .

اركان وضع الخطط الحربية

اذا رجعنا الى تاريخ الحروب والمعارك الخالدة التي اكتسبها كبار قواد العالم لا نجد ان احداً منهم قد حصل على كل ما يبتغي من العناصر الاساسية التي تجعل النصر نتيجة محتمة امامه ، قبل اشتباكه في الحرب . ولذلك لا ينتظر اي قائد ما في حياته العسكرية اذا دعي يوماً لوضع خطة حربية ان يساعده الحظ فيجد بين يديه كل ما يتطلبه وضع خطة من قواعد ومعلومات تامة عن العدو وحركاته لكي يصل الى وضع تصميم يستحق ان يوصف بالكامل .

ولكن لكل خطة اركاناً وعناصر اساسية، وهي وان بدت لاول وهلة بديهية، الا انه يجب على القيادة دائماً الاخذ بها في تقرير الخطط والتصميمات وبحثها ودرسها قبل اخذ قرار للعمل ، وهذه الامور يمكن ارجاعها من جهة طبيعتها الى ثلاثة اقسام : ١ — حقائق ٢ — فروض ٣ — استنتاجات .

(١) **الحقائق** هي الامور الثابتة المعلومة لدى القيادة علماً تاماً وهي :

١ — الغاية او الغرض النهائي الذي يعمل القائد لتحقيقه : اي ان كل خطة او تصميم يجب ان يرسم له هدف يرمى للوصول اليه .

٢ — العمل الذي يوصل الى تحقيق هذا الغرض .

٣ — عدد الوحدات والاسلحة التي تعمل تحت قيادته .

٤ — مراكز الوحدات والجهات التي تعمل فيها ونقط تجمعها ومقدار ما لدى كل منها من المؤن والذخائر .

٥ — حالة الجنود المعنوية وحالة المهمات والاسلحة ووسائل النقل الميكانيكي والدواب .

٦ — طبيعة الارض التي يعمل الجيش فيها ، لمعرفة ما يعترض الجنود من مصاعب وما يواجههم من تسهيلات، كل هذا مع مراعاة طبيعة العمل المنتظر القيام به وتقديرها .

(٢) **الفروض** هي كل ما ينتظر القائد حصوله وتحقيقه ولكنه لا يجزم بتحديده ولا يحكم بصحته نهائياً .

[١] الزمن والمسافة اللازمة للقيام بحركة ما وفق المعركة

يعرف القائد المسافة بين موقع وآخر والزمن للوصول اليه من خريطته، ولكن وجود جيش معاد ينقل هذه المعلومات من حقائق الى فروض لان المراكز التي يحتلها العدو وحالته ومقدرته تجعل من العسير تحديد الزمن والمسافة والعمل بالضبط ، فاذن يلجأ القائد فيفرض للعمل زمناً ومسافة حسب الحالة التي يراها امامه .

[٢] المعلومات والاخبار

لا يسع القائد ان يأخذ المعلومات والاخبار التي ترد اليه كقضايا مسلمة خصوصاً اذا توالت الحوادث بسرعة ولكنها تعود فتسترجع قيمتها الاحتمالية حينما يتكاثر ورودها ويكون ذلك عادة ابان فترة السكون التي تعقب الاشتباك في معارك — خصوصاً في حرب الخنادق ، فانها تصير حينئذ من الاركان التي تؤخذ في الاعتبار عند وضع خطة جديدة او اخذ قرار حاسم .

اما في حرب العراء — اي التي تشتبك فيها وحدات عديدة على جبهة منبسطة حيث يسهل تحريكها ، فان المعلومات تأتي في كثير من الاحيان غير متفقة مع الحقيقة او غير مفهومة فلا يمكن الاعتماد عليها لما تحمله من النقص والتشويه والمبالغة .

(٣) **الاستنتاجات** وهي الامور المحتملة الوقوع اي التي يتصور القائد حصولها فيستعد لها كيلا يفاجأ بحدوثها وهي :

١ — رد الفعل الذي تحدثه لدى العدو حركة حربية يقوم بها القائد . ويصعب التكهن بذلك واستنتاجه الا في حرب الخنادق حيث تثبت القوات في مواجهة بعضها بعضاً ويمكن الحصول على معلومات اوفى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ — تصميمات العدو وخطته وما ينوي عمله. ويمكن الوصول الى استنتاج ذلك بالتحليل والاستقراء ودراسة المركز الذي يحتله العدو والطرق التكتيكية المعتاد لديه اتباعها .

هذه هي الاركان الاساسية التي تبنى عليها الخطط الحربية. والخطة التي توضع على هذا الاساس لا تكون قد خرجت بعد عن الحيز النظري ولا تكون لها اية قيمة حربية اذا لم يأخذ القائد بالاعتبار الاول حالة الجنود النفسية التي يجب تعهدها وملاحظتها وتقويتها قبل الاقدام على اي عمل حربي .

ويتوقف نجاح اي خطة على مقدرة الضباط المكلفين تنفيذها وكفاءتهم مما يستدعي ملاحظة وتدقيقا في تخيرهم وفي توزيع العمل وتقسيمه عليهم كلا حسب كفاءته واستعداده لتنفيذ العمل المعول القيام به .

ولا يغرب عن بال القارىء ان الاركان التي ذكرناها ليست نهائية او اننا جئنا بتعدادها على سبيل الحصر ، ثم قد يعرض في سير الحوادث ما يفاجأ به القائد المسؤول فيجب ان يمرن نفسه على الهدوء التام وان تتملكه دائماً ارادة قوية ورباطة جأش هائلة حتى يسيطر على السير بالمعركة رغم ما يعترضه من المصاعب والمفاجآت ويجب ان يعرف كيف يجازف ولا يفقد ابداً غريزة الهجوم .

اصول الحرب

لا يقتصر نشر الثقافة العسكرية بين رجال الجيش العامل وافراد الامة على ايجاد نخبة من الضباط القادرين على تحمل المسؤولية والقيادة بل يساعد ايضاً على توحيد وجهة نظرهم وتفاهمهم وتعاونهم وفي ذلك قوة عظيمة للبلاد .

وقد بنيت العلوم العسكرية على تجارب عديدة هي تراث القرون الماضية، فهي علوم تجريبية وضعية غرضها الاول تربية النفس على النظام والطاعة وجعلها قابلة للعمل تحت خاصيات الحروب وطرقها واساليبها المختلفة .

واصول الحرب هي تلخيص المبادىء الاولى لهذه العلوم ويمكن اعتبارها كنموذج عند القيام بعمل من الاعمال الحربية وليس معنى ذلك ان تطبيقها يجعل النصر نتيجة حتمية لها وانما تطبيقها واتباعها يخلق ظروفاً تجعل النصر اقرب الى الوقوع كما ان مخالفتها او الخروج عن قواعدها يخلق ظروفاً تساعد على الهزيمة .

واذا كان الالمام بها ودراستها تفصيلا يعد علماً من العلوم الوضعية الثابتة القواعد فان احراز النصر بها يعد فناً من الفنون ، لان تطبيقها في الميدان وتنفيذها في الحرب يحتاجان الى شخصية مدربة على البصر البعيد في الامور وعلى مقدرة في اخذ القرارات الحاسمة السريعة وهذه صفات يصل اليها الانسان بالتدريب على السكينة وضبط النفس وتثبيتها لتقوى على مقاومة المؤثرات التي تهدم العزيمة . — هذه المؤثرات من طبيعة الوسط المحيط بكل قائد تسببها نفسية الضباط الذين يعملون معه او تأتي نتيجة لحالة نفسية يخلقها العدو بتعمد اذاعة اخبار كاذبة — .

فاعظم ما يصل اليه التعليم والتدريب العالي هو خلق هذه الصفات الممتازة في نخبة من الشبان مدة دراستهم ثم تعهدهم بعد ذلك بالرياضة والتمرين حتى يعتادوا تنميتها في انفسهم ويكون ذلك باتصالهم بالجنود اتصالا من طبيعته ان ينمي روح القيادة فيهم مع البصر والتدقيق النفسي بحيث يصلون دائماً الى السيطرة على الحوادث وتنفيذ النصر بالعزيمة .

ونذكر فيما يلي فذلكة صغيرة عن اصول الحرب والمبادىء العسكرية التي يصح ان توضع كأنموذج امام من يريد التوسع فيها .

(١) مذهب كارنو

كتب كارنو وزير الثورة الفرنسية وواضع انظمة جيشها كتاباً تاريخياً الى احد القواد الذي كان يعمل على نهر الرين قال فيه . . « ان ما يجب عليك عمله هو اجتذاب العدو الى معركة كبيرة فاصلة يتحقق النصر فيها على سطح بلاده، واحذر ان تقف موقف المدافع فان ذلك يقلل من شجاعة جنودك ويزيد في قوة خصمك » .

هذا المبدأ ظاهر واضح ويمكننا ان نذكر له مثالين مأخوذين من تاريخنا القديم الخالد ، معركتين خالدتين من عصر البطل العربي عمر بن الخطاب .

١ – القادسية .. وهي معركة فاصلة نهائية تحقق النصر فيها على ارض العدو وكانت نتيجتها تصدع ملك الاكاسرة النائمين وزواله .

٢ – اليرموك .. معركة فاصلة نهائية تحقق النصر فيها على ارض العدو وكانت نتيجتها تحرير سوريا من ظلم بيزنطة المنحطة وفوضاها وارجاعها الى حظيرة الوحدة العربية التي سارت من نصر الى نصر .

الاولى فخر لسعد بن ابي وقاص والثانية مفخرة لخالد بن الوليد وفي المعركتين تفوق الهجوم المستند الى الصفات الادبية على الجنود المرتزقة .

(٢) **تفوق الهجوم** : هذا المبدأ اهم المبادىء الحربية .

لان الهجوم له غاية وغرض معلومان وهو يرمي الى تحقيق نتيجة معينة .

اذن ارادة القائد المهاجم ظاهرة بينة معروفة ، ينتج منها ازدياد الروح المعنوية والقوة النفسية في جنوده وضباطه ، وتتهيأ له الفرص العديدة التي يمكن الاستفادة بواسطتها من اخطاء العدو . كما ان كل حالة محاطة بالابهام والغموض بين جيشين متقابلين يمكن اظهارها بالهجوم الذي يقوم به احدهما لان الهجمات تجتذب اليها القوات المجمعة التي يستفيد منها المهاجم بطريقة غير مباشرة اذ يصل الى تحقيق حماية اجزاء من الجبهة كانت معرضة لهجمات قد يقوم بها العدو . وتزداد اهمية الهجوم ونتائجه كلما ازداد عدد الوحدات التي تشتبك فيه .

اما الدفاع فينحصر في المحافظة على المواقع المحتلة والاحتياء والوقاية ، مما ينتج عنه الخضوع لارادة العدو والتعرض له من جهة تسرب المعلومات والاخبار التي يستقيها ، والاضطرار للقتال في ظروف غير مضمونة او تعريض قوات كافية للتصادم مع قوات تزيد عليها فينتج من ذلك افناء جزء منها . اي ان القائد الذي يخضع لمثل هذه المؤثرات يسعى لاستعمال الاحتياطي الذي لديه وافنائه في مناوشات وتعرضات يغصبه الخصم عليها فيؤدي هذا في النهاية الى الضعف والجمود والاكتفاء بالموقف السالب الذي يسبب الهزيمة .

ففي هذه الظروف لا يمكن المدافع ان يثبت الا بالقيام بالهجمات المضادة – اذا كان يملك قوات وافية – فان الانتقال من الدفاع الى الهجوم يخفف من عبء الدفاع كثيراً ، فاذا تبودلت او توالت الحركتان واحدة بعد الاخرى فان الاسلحة الاوتوماتيكية الحديثة تضمن لمدافع مستحكم في مواقع محصنة دفاعاً طويلا ولو امام قوات تزيد عدداً عليه .

(٣) **ضرورة الوصول الى نتيجة فاصلة** : قلنا ان الحرب حركة وعمل ونتيجة وان الوقائع الحربية تستلزم ان يكون لها غرض او نتيجة . فالقائد الذي يرسم ويضع خطته يجب ان يجعل امام عينيه تحقيق نتيجة فاصلة ، فان لم تكن فاصلة فلتكن على الاقل ذات اهمية كبيرة في سير ادوار الحرب .

اما اذا اكتفى بالوصول الى نتيجة قليلة الاهمية اي ثانوية بينما يكون العدو من جهته يسعى الى تحقيق نتائج اخرى كبيرة ذات مرمى واسع فلا تلبث الحوادث ان تخيب ظن الاول ولا تمكنه من تحقيق غرض بسيط مثل الذي وضعه امامه . كذلك الاقتصار على القيام بعدة مناوشات او هجمات بسيطة لا يمكن اعتبارها حركة واسعة النطاق ، فهذه الهجمات لا يكون لها نتائج ملموسة ظاهرة تعادل ما تكلفه من الخسائر في الرجال والذخيرة . ويركن البعض الى استعمال طرق الحيلة والخدعة في القيام بحركات لا معنى لها فهذه سرعان ما يفتضح امرها اذا تكررت وتفقد كل اهمية ولا تترك غير الاثر السيء والخسائر . وكل عمل حربي يقدم عليه القائد من غير ان يستعد له بالوسائل الكافية يحمل معه جرثومة الفشل كما ان الاوامر التي يصدرها بدون تمحيص ولا تثبت فيتضح عدم امكان تنفيذها تعتبر اذا لم تطبق وتحقق اغراضها تعدياً على النظام في الجيش فتحترس القيادة العامة من اصدار مثل هذه الاوامر .

فاتباعاً لهذا المبدأ يجب الحصول في الوقائع الحربية على نتائج فاصلة ولتحقيق ذلك يجب الاستعداد واتمام الاهبة بوسائل كافية وعدم التراجع امام الاخطار او المشاق كما يلزم عدم التردد امام ما ستكلفه هذه النتائج من الخسائر في الرجال والذخائر — هذا مع التوجه الى الحقائق دائماً فلا يتوهم القائد القدرة على انجاز اعمال تفوق الطاقة التي لديه ، اي يجب الموازنة بين الارادة والمقدرة .

(٤) **المفاجأة** هي المباغتة في العرف العادي ويكاد يتصور القاري. لاول وهلة انتظار جماعة من الناس لفريق في كمين ثم مباغتتهم ، ويقول البعض في كتبهم هي التفوق على العدو في الحيلة والخدعة . وانما المطلوب هنا هو الاستعداد للمفاجآت مدة السلم وقبل دخول المعارك الحربية وفي مدة القتال ويكون ذلك باتباع ما يأتي :

١ — يراعى في تنظيم الجيش العام فصل وحدات واصناف تدرب تحت نظام واساليب سرية خاصة لا يتمكن العدو او الدول الاخرى من اكتشاف سرها ، وتلجأ الدول الى تطبيق ذلك بايجاد فرق واسلحة ممتازة تمرنها سرياً في المستعمرات البعيدة عن انظار الناس . ومن قبيل المفاجأة ايضاً ادخال انظمة و«تكتيك» الجيش العامل على وحدات من الرديف وتدريبها سراً على ذلك .

٢ — يراعى مدة السلم درس مختلف الاسلحة وادخال التحسين عليها بطريقة سرية لا يعلن عنها كما حدث مدة الحرب العظمى في الميدان الغربي من اخراج اسلحة جديدة استعملت في الخنادق وفوجىء الحلفاء من ناحية الالمان باستعمال الغازات الخانقة . ومن المفاجآت ايضاً صنع كميات هائلة من الذخائر الحربية استعداداً للحرب . ومن قبيل ما يخدم المفاجأة في الحروب ما تبذله الدول من ادخال التحسين العلمي والفني على الاسلحة والمفرقعات المختلفة ولا يكتفى بتشجيع المخترعين بل ان المصلحة تقضي بتقديم برنامج واسع النطاق ومكون من عدة خطط لعلماء البلاد والمختصين منهم فيكلف كل واحد منهم بدراسة نقطة معلومة ليصل الى نتائج تتفق مع اغراض الهيئات العسكرية واتجاهاتها . هذا مع تشجيع الصناعة الوطنية ومدها بالاموال لصنع الات الحرب الحديثة وتصديرها الى الخارج اذا زادت عن حاجة الجيش وذلك لتكون معامل البلاد على اهبة تامة واستعداد لتقديم ما يطلب منها في حالة الاشتباك في حرب من الحروب .

٣ — المفاجأة بواسطة الحركات والهجوم — اصبحت في الحرب الحديثة صعبة خصوصاً بين جيشين متقابلين نظاميين نظراً لوجود سلاح الطيران الذي يقدم المعلومات عن كل ما يجري من الاستعداد في المؤخرة ويمكن العدو من معرفة كل ما يجري وراء الخطوط الامامية من تجمع وحشد واستعداد . هذا ولا ننس مع ذلك الاشارة الى التسهيلات الكبيرة التي تقدمها وسائل النقل الحديثة خصوصاً السكك الحديدية والسيارات مما يجعل من السهل حشد قوة كبيرة لا يستهان بها كما توجد عدة وسائل لاخفاء اغراض القيادة . ولكن المفاجآت اصبحت في الوقت الحاضر معلقة بالخطط والقرارات التي سبق تدبيرها واقرارها عند وضع وتصميم الخطة الاساسية الاولى واذا حدثت المفاجأة في ناحية من نواحي جبهة منتظمة فان ذلك يكون لكسب الوقت ليس الا .

(٥) **المجازفة** هل يجازف القائد احياناً للحصول على غرض ابعد من الغرض الذي وضعه في خطته نصب عينيه ؟ . تنص التعليمات دائماً على الاحتراس من ذلك والابتعاد عن المجازفة لما فيها من اخطار ولكنها تصبح في بعض الاحيان ووسط المعركة ضرورة من الضرورات فيصير الاحتراس اختيار الوقت المناسب لوضع المجازفة في حيز التنفيذ واتخاذ الوسائل اللازمة لها ودراسة كل ما يحتمل حدوثه او ينتظر من رد فعل لها في نية العدو وعمله . والاقدام عل المجازفة يستدعي وجود خطة لها يجب ان تكون مرنة وقابلة للتوسع .

(٦) تفوق الكثرة العددية

تعتبر الكثرة العددية اهم ضمان لاحراز النصر وهي خير ما يعتمد عليه لاحكام الوقاية في حالة التعبئة والسير والتلاقي يطمئن القائد بها على جيشه من مفاجآت العدو ومباغتاته ويصلح بها الاخطاء التي ترتكب من ناحية عدم اتفاق المعلومات التي تصله من قواد الوحدات والفرق الامامية عن حقيقة ما لدى العدو من قوات متجمعة واستعداد .

ولا يستطيع القائد مهما علت كفاءته في فن الحرب والقيادة ان يستفيد من كثرة عددية مكونة من جنود غير مدربين تدريباً كافيا على خاصيات الحروب فان للكفاءة حداً لا تتعداه .

كما انه يعد مستحيلا في الوقت الحاضر ان ينتصر قائد – في معركة قد نشبت فعلا تحت نظام الحرب الحديثة – امام قوات عدو تعادل في مجموعها مثلي القوات التي تحت قيادته حتى ولو كانت الاخيرة من احسن الجنود تدريباً .

ففي مثل هذا الموقف تسترجع لا محالة الكثرة العددية قيمتها واهميتها كعامل فعال في اكتساب المعركة .

ولهذا وضع مبدأ الكثرة العددية كاساس لتنظيم الجيوش لدى الامم الكبيرة لان عليها يتوقف احراز النصر في النهاية ، ونخلص من ذلك بنتيجة هامة هي :

ان القانون الاساسي والدستوري والتشريع الخاص بالتجنيد والخدمة العسكرية العامة يجب ان يراعى في وضعها ان تضمن الحصول على اكبر عدد ممكن من الجنود المدربين عند الدعوة الى التعبئة العامة . ومن هنا اتجهت الافكار الى تقسيم البلاد الى مناطق عسكرية تحوي كل منها عدة مراكز للتجمع والحشد، هذا مع مراعاة جعل التشريع الاداري متفقاً مع الغاية العظمى للبلاد اي جعله مرناً يسهل الاتصال بين السلطات العسكرية والهيآت الادارية التابعة لوزارة الداخلية، بل يمكن القيادة من مباشرة سيطرتها الفعلية على الادارة بشكل يضمن لها اعطاء نهاية ما يمكن من التعاضد والسرعة في تنفيذ اوامر التعبئة .

ولا ننس دائماً ان جيشاً مدرباً تدريباً عسكرياً وفنياً كافياً يصلح الاعتماد على افراد وحداته – لحد ما – في مهمة تدريب الجماعات التي تدعى للخدمة العسكرية عند التعبئة العامة اذا لوحظ مدة السلم ترقية معلومات الصف ضباط والاكثار منهم .

(٧) تعبئة القوات : التعبئة العامة هي دعوة الافراد القادرين على حمل السلاح للانضمام الى وحداتهم ، وهي قل ان تنفذ الا في الحالات الخطرة التي يعرض فيها كيان الدولة للخطر ، لان الدعوة تبدأ عادة بعدة اصناف اي مواليد عدة سنوات .

وبما ان الحرب الحديثة جعلت واجب القتال عبئاً على المجموع باكمله فان المستقبل سيحتم اجراء هذه التعبئة العامة كلما ظهر في الجو خطر الحرب ، فهي تمثل النهاية العظمى لما في وسع امة من الامم ان تقدمه من الرجال لكي تحرز النصر في ميدان القتال . ولما كان العصر الحالي عصر القوة المادية الممثلة في قوة التسليح والتدريب اصبحت عظمة الامم تقاس بما يمكن ان تقدمه من الملايين القادرة على حمل السلاح ولهذا اتجهت ارادة الامم القوية الى الاكثار من النسل والمواليد وتشجيع الزواج لكي تضمن مستقبلها وتأمن على كيانها وهذا لا يتحقق في الوقت الحالي بغير الملايين العديدة التي يمكن دعوتها للانضمام للجيش عند الحاجة .

واتباعاً لمبدأ الاستفادة من الكثرة العددية تتطلب التعبئة تجميع وحشد اكبر عدد من الجنود في اقرب وقت ممكن .

فالقيادة العامة عند اعلان الحرب تحمل بمقتضى هذا المبدأ مسؤولية كبيرة على اكتافها اذ لا يكفي ان يكون لدينا ملايين لحمل السلاح بل الاهم هو تجهيز هذه الملايين وتجميعها وسوقها وهو ما يقصد بالتعبئة والوصول الى ذلك تضطر القيادة الى تعديل خطتها احياناً والى تضحية عدة مسائل هامة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلا يكفي ان توضع قواعد التعبئة وقوانينها وان تسير على طريقة «ديناميكية» بل يجب ان تستكمل شروطها الاساسية لكي تؤدي الغاية المتوخاة .

ولبيان ذلك نضع المبدأ الاتي :

ان اية وحدة من وحدات الجيش ولتكن فرقة — اي اثنى عشر الف مقاتل — تعد في حالة تعبئة للحرب حينما تستكمل حشد جميع رجالها وضباطها ثم تنضم لوآتها واقسامها واسلحتها المختلفة — مشاة وخيالة ومدفعية ومهندسين واشغال عسكرية وقوات الطيران ومدفعيتها المضادة واقسام المواصلات من تلفون وبرق ولاسلكي — بشكل يمكنها من الاشتراك في موقعة حربية عامة ، في الزمن المحدد وفي الجهات والمسافة المختارة لها ، بناء على البرنامج الذي وضعته القيادة العامة للحرب .

من هنا تعرض الصعوبات الكثيرة المتشابكة في الحروب الحديثة ولكن العلم الحديث يسهل كل ما يبدو صعباً وبعيد المرام ولا نزاع في ان وجود نخبة من الضباط المختصين في فن التعبئة المتشبعين بروح التنظيم يجعل تعبئة عدة ملايين من اسهل الامور كما حدث في الحرب العالمية الاولى ١٤ — ١٩١٨ .

ويمكن الاشارة هنا الى ان تعبئة القوات الفرنسية في حرب السبعين كانت مثالا للفوضى والاضطراب وهذا ما تحاشته القيادة الفرنسية في سنة ١٩١٤ فكأنها استفادت من تجارب ودروس الماضي فائدة لا مثيل لها .

وتأخذ التعبئة مدة طويلة من الزمن قد تكون عدة ايام وفي هذا ضياع للوقت قد يؤثر في سير الاعمال الحربية الاولى ويكون لها رد فعل على النتائج المستقبلة او على سير الاعمال الجديدة ولذلك يلجأ القائد العام الى سحب القوات الامامية والجلاء عن جزء من اراضي دولته او اراضي حلفائه رغم ما يقابله من المصاعب وما يعرض له من الاخطار والمجازفة احياناً .

ومن ذلك نشأ اعتبار التعبئة المكونة من جيوش كبيرة وضبطها من جهة الزمن والمسافة فناً من الفنون العسكرية الصعبة التي توضع لها الخطط وتدرس بانتظام وتدقيق في رئاسات الاركان حرب العامة كما تدرس المسائل العلمية العويصة في معامل الهيئات العلمية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فمن قبيل ما يعرض من المسائل لدى التعبئة ما يأتي :

اذا وزعت قوات على جبهة متسعة الامتداد تعرضت هذه القوات للهزيمة على دفعات متتالية وكذلك تعرضت لنفس الخطر كل قوة تأتي من الخلف لمساعدتها .

كل قوات مجمعة بدون تقسيم للمناطق ولا توزيع لمراكزها تختل حركتها بعكس القوات الموزعة فنياً على جبهة متسعة فانه يسهل تحريكها بسهولة وتمكن قائدها من اخفاء اغراضه عن العدو .

كل قوة معبأة في ميدان قتال لا يمكنها ان تنفك قبل ان تحارب لان نظام الحروب الحالية لا يمكنها من ان تسترجع حريتها التامة في التنقل من جهة لاخرى قبل مضي زمن يختلف باختلاف كثرتها العددية .

من ذلك نرى بعض ما يعرض من المسائل والنظريات الصعبة عند وضع خطة للتعبئة العامة على جبهة قد تمتد مئات الكيلومترات مما يستدعي زيارتها مراراً لمعرفة طبيعتها ودراسة مواقعها دراسة تفصيلية وافية . ولذلك لا نبالغ اذا قلنا ان معلومات الضباط تقاس ايضاً بمقدار ما لديهم من المعلومات الجغرافية والطبوغرافية المستفيضة عن بلادهم من كل جهة من نواحيها .

(٨) الاخفاء والوقاية

غرض الاختفاء والوقاية هو ضمان حرية العمل في الحرب حسب الخطة الموضوعة فاذا تمت التعبئة اتخذت القيادة الاحتياطات اللازمة لكي تتمكن من تحريك القوات التي لديها بدون ان تتعرض للمفاجآت التي يسببها العدو الذي يتبع ايضاً خطة له . ويساعد القيادة على ذلك قسم المخابرات العسكرية الذي من واجبه

الاول استقاء المعلومات والاخبار عن العدو ثم منع العدو من الحصول على هذه المعلومات عن الجيش .

وبعد شرط الاحتماء والوقاية متوفراً لحد ما لجيش من الجيوش الكبيرة اذا اتمت الوحدات الكبيرة تعبئتها التامة فينحصر واجب القيادة في الاحتياآت اذ توضع كل فرقة او وحدة في المكان الذي يضمن تعاونها مع الوحدات والفرق الاخرى ويعد هذا اول عمل نحو بدء الحركات الحربية التي ترمي الى انجاز الغرض الاساسي الموضوع في الخطة العامة .

فاذا اتمت هذه الوحدات تجمعها وتشكيلها في الاماكن المخصصة لها لا يكون لدى القائد طريقة يضمن بها حريته في العمل اوفق من البدء بدون اضاعة وقت بتنفيذ المقدمات الاولى لخطته الحربية لان هجوماً سريعاً يدفع بنشاط وجرأة يؤثر تأثيراً شديداً في العدو ويضطره ان يدافع عن نفسه ويقضي على مشاريعه التي ينوي القيام بها ويجعله يتبع ارادة المهاجم ولا شك ان النتائج تكون عظيمة اذا كان الهجوم بطريقة المباغتة غير المنتظرة . ولكن عملا مثل هذا يستدعي اولا تنظيم الحركة المراد القيام بها بجمع قوات كافية من الاحتياطي .

ويلاحظ القائد ان الاكتفاء بما تتخذه الوحدات التي تحت قيادته من وسائل الحماية والاعتماد بترك ما يخص القيادة منها على عاتق قسم المخابرات لاركان حربه فيه خطورة كبيرة خصوصاً في حالة الاشتباك مع خصم عنيد رابط الجأش معتاد على خفة الحركة وعلى العمليات الحربية تحت خاصيات الحروب الحديثة .

ومن هنا نشأت فكرة اعتبار تنظيم الوسائل العامة التي تضمن تأمين وحماية الجيش المكون من وحدات كبرى كمبدأ حربي اعلى . يساعد طبعاً على تطبيقه ما تتخذه الوحدات الصغرى — فرقة او لواء او اورطة — من احتياطات تأمينية في حال تشكيلها وتعبئتها واحتلالها لمراكزها وهي احتياطات «تكتيكية» معروفة لكل وحدة من هذه .

ولكن تبقى لرئاسة الجيش العامة مهمة تنظيم وسائل الاحتماء والوقاية على اساس اكبر مبني على علم «الاستراتيجية» وعلى الاستفادة من تعاون الاقسام المختلفة كما قدمنا .

ولا نرى بأساً من الاشارة هنا الى ان تطبيق هذا المبدأ في قيادة وسوق تحريك الوحدات الكبرى لا يزال موضع بحث رجال الفن العسكريين بانتظام واستمرار عند وضعهم للخطط الحربية العامة مما ادى الى تفرع وجهة نظرهم .

فالمذهب العسكري الالماني الذي وضع اسسه المارشال « مولتكا » ومن شرحه بعده من النقاد الحربيين الالمان خصوصاً الكولونيل جنرال الكونت « زشليفين » رئيس الاركان حرب العامة لبروسيا سابقاً يختلف عن المذهب العسكري الفرنسي الذي اخرجه نابوليون في حروبه ثم اتبعه المارشال « فوش » . لان كلا من المذهبين يفهم تنظيم تأمين وحماية الجيش المكون من وحدات كبرى على اساس خاص به .

(٩) التصرف في القوى

لا نميل الى استعمال كلمة ادخار القوى ولا اصطلاح الاقتصاد في القوى لان القصد ليس التوفير في استعمالها وانما القصد هنا هو حسن التصرف في توجيه القوى المكون منها الجيش واستعمالها بالحكمة التي تستلزم كسب المعركة .

والغرض من التصرف في القوى هو توزيع القوى حسب الغرض الذي تسعى القيادة لتحقيقه فهي تدرس بدقة الهدف الاساسي المراد تحقيقه وهو واحد لا يتعدد وبطبيعة الحال هناك اغراض ثانوية اخرى يجب ان يعمل حساب ما تستلزمه من القوى . فالقصد من حسن التصرف هنا هو ان يقاس بدقة ما يلزم من القوى للغرض الاساسي ولكل غرض ثانوي مع حساب ما قد ينتج من الارتداد والتراجع امام الاغراض الثانوية وما يكلف ذلك من استهلاك القوى والذخائر .

« اسامة »

موليير ؛ كورناي ؛ راسين ؛ لاديبارك

كان القرن السادس عشر في فرنسا عصر خرافات في الادب والسياسة ، فلما جاء القرن السابع عشر حمل الكتاب على الاقتباس من الاقدمين فاصبح الاقتباس اساساً لكل مؤلف ادبي وصار كل كاتب يسعى للتعبير عن فكرة قديمة بعبارة جديدة طلية . وجاء الكردينال ريشليو فانشأ الاكاديمية الفرنسية ، وما لبثت هذه الاكاديمية ان وضعت اسس الادب . بنى موليير ومعظم الكتاب المسرحيين شهرتهم على الاقتباس من الاقدمين الا انهم كانوا يرحبون المواضيع التي يتناولونها ويلبسونها لباساً عصرياً يستقلون به عمن تقدمهم استقلالا يجعل المسرحية المقتبسة في ثوب من التأليف يختص بهم . فبلوت الروماني مثلا كان يقصر مسرحيته على المشاهد المضحكة فاخذ موليير هذه المشاهد وبنى عليها افكاراً اجتماعية درس بها حالة من حالات زمنه .


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موليير وبيير كورناي في لوحة زيتية من رسم الفنان الفرنسي ل . جيروم .

زعم بعض النقاد ان موليير وكورنيل وراسين مقلدون . والواقع ان هؤلاء الثلاثة كانوا من جهة يستقون افكارهم من ينابيع مختلفة ويعيرون الادب اشكالا جديدة من جهة اخرى ، ولقد اغنوا المسرح الفرنسي بروائع خالدة حملت طابع العصر الكبير وفتحوا الطريق لكثير من شعراء فرنسا كهيغو ولامرتين وموسه وفينيي .

قال الكاتب الفرنسي برنار زيمر في محاضرة له : حلمت ليلة امس حلماً مزعجاً اذ وجدتني امام القضاة وعليّ ردائي الاسود — لا اكتمكم اني كنت محامياً قبل اعتناقي حرفة القلم — وقد وقفت لالقي دفاعاً عن وراث « جيلهم دي كاسترو » في « دعوى وراث جيلهم دني كاسترو على بيير كورنيل المتهم بالسرقة . » وكان السيد جان دار ، الشاعر الشاب والمحامي البليغ ، وكيل المدعى عليه بيير كورنيل . وسمع الشهود وهم : مونتين وباسكال وغوتي وفينيي وهنري هيني . قال مونتين : « الحقيقة والعقل هما حق مشترك بين الجميع ولا فرق بين من يأخذه في الاول ومن يأخذه في الآخر . . . فالنحل يمتص الازهار ويجني منها العسل فيكون العسل ملك النحل لا ملك الازهار . » وقال باسكال : « الكرة التي يلعب بها هذا هي نفسها التي يلعب بها ذاك ، ولكن احد الاثنين يحسن رميها اكثر من الآخر . » وجاء دور فينيي فقال : « كثيرون من الشعراء ليسوا الا سراقين ، فغوتي اخذ فكرة فوست عن مارلوف . » فحدق الحاضرون الى غوتي ، فخطا هذا الاخير خطوة الى الامام وقال : « هذا شيء طبيعي . واني لانصح للشعراء بان يختاروا لهم مواضيع مطروقة . . اذا اعترفت بكل ما انا مدين به لسلفائي ومعاصري فلا يبقى لي شيء يذكر . . ولكن ايسأل المرء عن البقر والنعاج التي اكلها واعطته القوة والنشاط ؟ » وعقبه هنري هيني فقال : « القالب هو كل شيء في الفن ، اما القماش فلا قيمة له . فالخياط ستوب يتقاضى ثمن البذلة

بكامله لا فرق عنده بين ان تكون القماشة من عنده او من عند غيره اذ لا قيمة للقماشة في نظره.» وجاء موعد الدفاع فنهضت في الاول وقلت : « ان جميع الوان الجمال في (السيد) مأخوذ عن جيلهم دي كاسترو الذي نهبه كورنيل .. » فلم يصغ احد الى دفاعي . ونهض السيد جان دار قائلا : « كان يجب عليك ان تشكر كورنيل بدل ان تحمل عليه، اذ لولا كورنيل لبقي (السيد) مجهولا . » فحكمت المحكمة على موكلي بدفع نفقات الدعوى واستفقت من رقادي .

عندما وضع الشاعر راسين مسرحيته (الاسكندر) دفع بمخطوطتها الى كورنيل ، فهنأه رب التراجيديا الفرنسية بشاعريته الجميلة ولكن نصح له بان يعدل عن الكتابة للمسرح زاعماً ان شاعريته غير مهيأة لهذا الفن . سوى ان المسرحية التي مثلتها فرقة موليير على مسرح (الباله رويال) نجحت نجاحاً باهراً . ومع هذا لم يرض راسين بالوجه الذي ظهرت به مسرحيته وجرت بينه وبين موليير مناقشة حادة افضت بها الى الخصام، فحمل راسين مسرحيته الى مسرح فندق (بورغونيا) وكان يزاحم مسرح (الباله رويال). اما موليير الذي كان السبب في شهرة راسين فلم يغفر له هذا المسلك .

ولكن من يعرف السبب الحقيقي الذي حمل ذينك الصديقين على التخاصم ؟ اتراه غضب المؤلف الذي لم ترضه الطريقة التي التزمها الممثلون في اخراج مسرحيته فانكر جميل موليير ، ام هو الحب ؟ ..

كان راسين يحب الممثلة (لاديبارك) وكان موليير يحبها هو ايضاً . وقد يكون الشاعر لافونتين عناهما حين قال : (كان ديكان يعيشان بسلام ، فاتت دجاجة فاشتعلت الحرب .)

وكانت لاديبارك ممثلة شهيرة في فرقة موليير ، ويقال ان موليير كان عشيقها وقد مثلت دوراً هاماً في مسرحيته (الاسكندر) فلما حمل راسين مسرحيته هذه الى فندق بورغونيا تركت لاديبارك موليير وتبعت الاسكندر وراسين الى المسرح المزاحم .

وكان لعشيقة راسين عدد كبير من المعجبين الذين لم تكن تعاملهم بالصد والنفور الا انها كانت قد زجت عنها حب رجلين من المشاهير هما لافونتين وكورنيل ، فغضب عليها الاول وقال عنها (انها امرأة خالية من الذكاء ..) اما كورنيل العظيم فلم يطق هذا الصدود المهين لمجده فانتقم منها بقصيدة جاء فيها :

(ايتها المركيزة ، تذكري انك عندما تبلغين عمري (كان الشاعر في الستين) لن تساوي اكثر مما اساوي اليوم لان الزمن سيعرف كيف يذبل اورادك كما جعد جبيني . لقد عرفني الناس في شبابك وجمالك وستصيرين الى ما صرت اليه . انك تملكين اشياء حرية بالعبادة ولكن اشيائي التي تحتقرينها قد تبقى حين تصير اشياؤك فانية .)

اتراها ارادت ان ترد على مقت كورناي لها وتأخذ ثأرها منه فاختارت راسين الفتى وهو في نشأة مجده المكلل بخمس وعشرين سنة ام انها وجدت الخمس والعشرين سنة في راسين اشد جاذباً من مجد كورناي في اوله ؟ كل ما يستطاع قوله انها اصبحت معبودة الشاعر الشاب الذي احبها حباً تقاسمته الغيرة واللهب ، على ان هذا الحب لم يمنعها من الظهور على المسرح في روايات لغير راسين .

ويقول النقاد ان عواطف راسين نحو لاديبارك ظاهرة في المسرحيات التي كتبها لها خلال علاقته بها كاندروماك مثلا ، فهذه الرائعة تحمل في ابياتها الواناً من الغرام الملتهب الذي قال عنه جول لوميتر انه «الغرام المرض» الغرام الدامي الذي يقود الى الجريمة وتتخلله العبادة والغيرة والحقد .



الحركة الفكرية في المجر

في السنوات التي عقبت الحرب الكبرى الماضية والانقلابات الثورية بين ١٩١٨ و ١٩١٩ بطئت الحركة الادبية في المجر وكانت كبيرة النشاط في ظل الملكية السابقة . اما اليوم فهي اخصب واكثر تنوعاً منها في اي زمن مضى . فللشعر والاقصوصة والقصة الطويلة ميدانها الفسيح ، وللفلسفة عشاقها ولكنهم اقلية تكاد لا تخرج من دائرة الجامعات . وليس في المجر مدارس ادبية ، فالكتاب يحتفظون باستقلالهم المطلق حتى ولو انضموا الى كتلة . واهم الكتل الادبية في المجر هي كتلة « الغرب » (نيوغات) فهذه المجلة التي يمثل اسمها منهاجاً مرسوماً ظهرت للمرة الاولى في اليوم الاول من كانون الثاني ١٩٠٨ . ويرى السيد « الادار شبغلين» وهو من كبار النقاد وفي الرعيل الاول من محرري هذه المجلة ، وقد اصدر لسنوات خلت « تاريخ الادب المجري في القرن العشرين » — ان حركة الغرب لا تخلو من « مسحة سياسية يسارية » ، فرجالها من غير ان ينتسبوا الى احزاب سياسية مشربو الروح بالاخاء الانساني ومحبة الحرية الثقافية . وفي عداد هؤلاء الشاعر الكبير ميشيل بابيتس الذي حوكم خلال الحرب الماضية لنظمه قصيدة « قبل الفصح » وحكم عليه بالاحالة على التقاعد قبل الاوان ، وكان يشغل منصباً في دار المعلمين . وميشيل بابيتس الذي يتولى اليوم ادارة مجلة « الغرب » اديب ملهم ، مشرق اللغة خبير بمداخلها نقل الى المجرية جملة مؤلفات لدنتي وبودلير وبيرن وشلي ، واصدر عدة قصص بينها قصة « ابناء الموت » التي وصف فيها انحطاط طبقة الاشراف الصغيرة في المجر .

وينتسب الى حركة «الغرب» اربعة شعراء اخر هم اندره آدي ، وذبزه كوستوليني وارباتوت ، وجول هوجس . وقد توفي هؤلاء الاربعة قبل الاوان ولكنهم ما يزالون يبسطون نفوذهم على الشباب . فلأندره آدي الذي تأثر بالادب الفرنسي وبرمزية بودلير وفرلين على الخصوص فضل كبير على شعراء الحقبة الحاضرة . ولدزبره كوستوليني الذي لم يغرب عنه شيء من روائع الاداب العالمية فضل المتقدم في القصة العصرية والنقد . وله قصتان رائعتان هما « نيرون » التي ترجمت الى الانكليزية والالمانية و « آناردیس » التي نقلت الى عدة لغات في جملتها الانكليزية والفرنسية .

الادب الفرنسي

ولم يقتصر التأثر بالادب الفرنسي على هؤلاء فحسب بل تجاوزهم الى معظم ادباء المجر . ولا بد هنا من الاشارة الى ان تعلم اللغات الاجنبية يحتل في المجر مكاناً مرموقاً الى جنب اللغة الوطنية وفي الندر ما نقع على مثقف لا يحسن لغة او لغتين . ومع ان للغة الالمانية اثرها البارز في الحياة المجرية بداعي الاقلية التي تتكلم هذه اللغة نرى تأثير الادب الالماني اقل بكثير من تأثير الادب الفرنسي . وما يقال عن الادب الالماني يقال عن الادب الطلياني . ولسنوات خلت انشأت الحكومة المجرية في برلين وروما مؤسسات شبيهة بالمدارس الفرنسية في اثينا وروما ، ولكن رجال الفن المجريين وطلاب السيادة على الفكر المجري لا يجدون امنيتهم الا في باريس . فبالرغم من السياسة التي افضت بالمجر الى الوقوف موقف الحليف من المانيا نجد الافكار الفرنسية تتسرب

في كل مكان ، فالكتاب الشيوخ والشبان يقرأون ادباء فرنسا ويحبونهم ، والقراء يقبلون على الكتب الفرنسية او على ترجمات هذه الكتب باللغة المجرية . وفي بودابست جريدة اسبوعية تصدر باللغة الفرنسية باسم « Gazette de Hongrie » ومجلة شهرية باسم « Nouvelle revue de Hongrie » كان يساهم في تحريرها طائفة صالحة من الكتاب الفرنسيين المشهورين . وتمتاز المجر بكتاب مختصين بالادب الفرنسي دون سواه كالسيد مرسيل بنديك الذي كان يساهم عن طريق الراديو في تحبيب اللغة الفرنسية وادباء فرنسا الى المجريين ، والسيد اسكندر ايكرت ، الاستاذ في معهد الاداب ببودابست ومؤلف القاموس المجري الفرنسي الذي ساعد على نشر الفكرة الفرنسية بما اصدر من الكتب ونشر من المقالات ، والسيد البرت جيرجيه الذي يحرر في مجلة « الغرب » فقد الف كتاباً عن القصاصين الفرنسيين وآخر عن القصة الفرنسية في يومنا هذا ، وترجم بروست وكلوديل وجيرودو وبول فاليري وجيد . وكالسيد سيجسموند مورتيز الملقب بزولا المجري ، فقد كان هذا الكاتب اول من وصف القرويين المجريين بالوان تعيد الى الذاكرة قصة « الارض » لزولا .

ويجدر بنا ان نفرد مكاناً خاصاً للسيد فردريك كارنتي المشهور بمسرحياته وقصصه وجولاته الصحفية ، بتهكمه اللاذع وتلميحه اللطيف كأنه يجمع بين فولتير وموليير . ولا بد لنا بهذه المناسبة ان نلاحظ ان اللغة الادبية المجرية تطورت كثيراً في السنوات الستين الاخيرة . ولكن الفضل في بعث اللغة يرجع الى الادباء الذين اسسوا مجلة « الغرب » فهذا الجيل شع قبيل الحرب الكونية الماضية في عهد زعيمه اندره آدي ، ونقل المشعل الى الجيل الثاني الذي كبر في الحرب فكان اقل اشعاعاً واكثر تردداً . ومن رجاله الشاعر القصاص الاشتراكي لويس ذساك ، والشاعر جول ايليس — مصور بؤوس الشعب وشقاء الحياة القروية — ولوران زابو مترجم فرلين ، ويوسف اردليبي ، الشاعر القروي حبيب الطبيعة والمتكلم بلسان اخوته البائسين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جيل الشباب

اذا كان الجيل الاول ، جيل « الغرب » (نيوغات) ، يمثل الفن للفن واذا كان الجيل الثاني ، جيل ما بعد الحرب يمثل اتجاهات اشد وطنية ، فالجيل الثالث — جيل الشباب — يبدو اقل اتحاداً واكثر اضطراباً من متقدميه . فجميع الاتجاهات التي تتجابه في الادب الاوربي ظاهرة فيه من الاتجاه الكاثوليكي الذي يمثله المعجبون ببول كلوديل وموريساك ، الى الاتجاه اليساري ، الى المعجبين بموران وجيرودو ، الى الشعبيين وسواهم . وجميع هؤلاء الشبان ينتمون الى مجلات تعبر عن اتجاهات مختلفة .

وفي العام ١٩٢٣ تأسست مجلة « الشرق » (نابكليت) بادارة السيدة سيل تورماي . وكانت الغاية من تأسيس هذه المجلة مجابهة الاتجاه اليساري الذي تمثله مجلة « الغرب » ونشر المبادىء المسيحية والوطنية .

وصفوة القول ان العلائق الثقافية بين الكتلة اللغوية المجرية الحاضرة والاجزاء المنفصلة التي اوجدتها تجزئة البلاد اصبحت صعبة من جراء الاحتكاكات السياسية واقفال الحدود . ولكن الادب المجري بوجه عام يميل الى الاتحاد اكثر منه الى الانفصال ، بالرغم من العوامل السياسية ..

في الجزء المقبل « الحركة الفكرية في بلغاريا » .

تاريخ القطار الحديدي

بقلم ابن الغريب

منذ ١١٧ عاماً — اي سنة ١٨٢٥ — تفتحت اعين البشر على اول قطار حديدي جرى في العالم بقوة البخار.

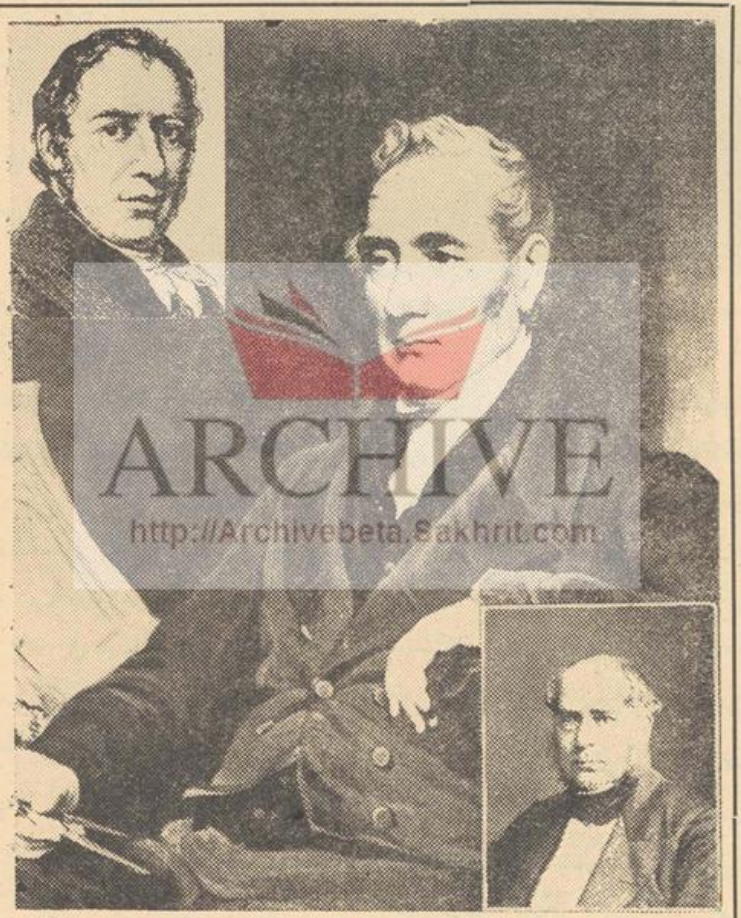
وليس ما بين الاختراعات الحديثة جمعاء من اختراع كان له في تغيير هيئة الكون ومجرى الحياة، وتعارف الشعوب، وانتشار التمدن، تأثير هذا الاختراع.

اهمية وسائل النقل:

منذ فجر الوجود البشري كان ترتيب وسائل النقل اقوى دليل على التمدن يرافقه في تقدمه على اجنحة الزمان، جنباً لجنب. فارقى الامم على الاطلاق انما كانت دائماً وابداً ارقاهن وسائل نقلية. واعجز الدول في كل ميدان هي البطيئة في نقل رجالها ومهماتها من مكان الى آخر. واوضح مظاهر العمران في كل بلد انما هي حالة طرقاته. فلا يمكنك ان تسلك طريقاً معبداً نظيفاً دون ان تقدر الساكنين حوله وتحترمهم. وبالعكس لا يمكن ان تتعثر في حفر الطريق واخاديده دون ان تحتقر الراضين بها الساكتين عليها وتشجب الذين خربوا هذا الطريق واهملوه.

تقول الامثال الافرنجية: كل الطرق تؤدي الى رومة. وهذا المثل يرمز الى اعظم وسيلة بسط الرومان بها في العهد القديم سلطتهم على اطراف المعمور. ولا تزال حتى الان في بلادنا طرقاتهم القديمة باقية رغم تزاحم اقدام الاجيال وكرور عاديات الدهور.

وقد اراد الانسان منذ البدء الاستعاضة عن رجليه البطيئتين بوسيلة اقوى منهما تنقله بسرعة من موضع الى موضع فاستخدم الكلاب والبقر والحمير والبغال والجمال والافيال والخيل التي بقيت آجالاً طوالا اسرع ما استطاع البشر استخدامه للانتقال: ثم حول عنايته الى القوى الكامنة في الطبيعة، فحصر البخار واستبدل به عام ١٨١٣ شراعات السفن في البحر بفضل روبرت فولتن الاميركي، ثم دفعه على خطوط حديدية عام ١٨٢٥ بفضل جورج ستيفنسون الانكليزي مخترع القاطرة الحديدية.



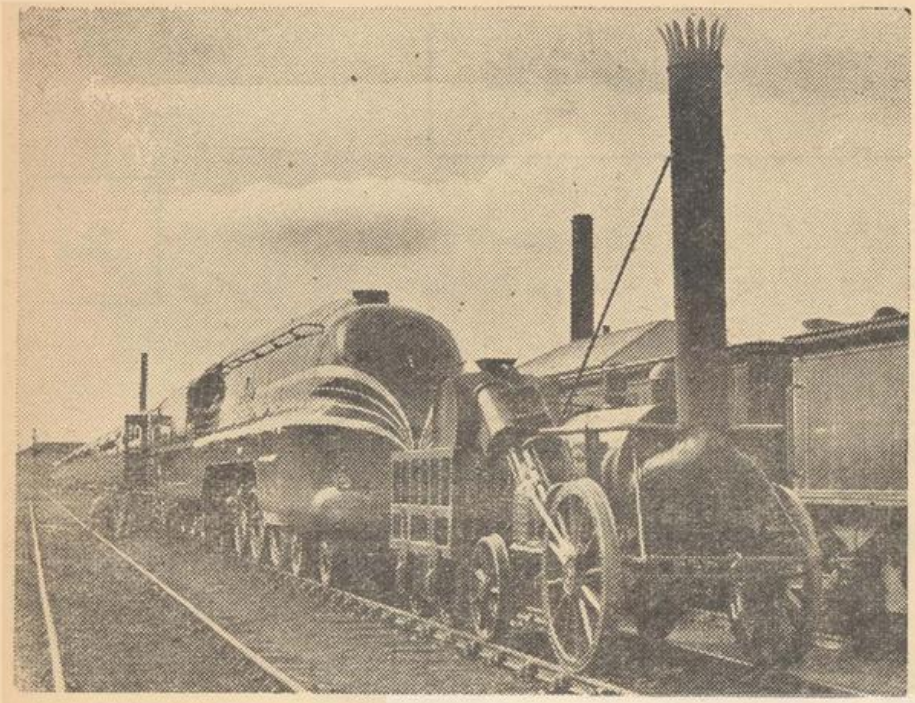
جورج ستيفنسون مخترع القاطرة الحديدية، في الوسط. وعن يمينه (فوق) رتشرد ترفيثيك احد المهدين قبله للاختراع. وعن يساره (تحت) هنري بيسمر مخترع الخطوط الفولاذية الحديثة.

واذا شئت ان تدري اهمية سكك الحديد في يومنا هذا قلنا لك بكل بساطة ان ثقد العالم باسره من ذهب وفضة وورق لا يكفي لشراء ثلث السكك الحديدية فيه. فان اقل تعديل لقيمة هذه السكك في العالم اليوم عشرون مليار جنيه انكليزي ذهباً، ومجموع طولها على سطح الكرة وفي جوفها ٦٥٠ الف ميل، اي مليون كيلومتر، ومجموع عدد ركابها كل عام ستة مليارات، ومحمولها السنوي من البضائع ٣ مليارات طن.

هذه الارقام هائلة في الضخامة. واشد هولا منها انها بلغت هذا المبلغ الضخم في قرن واحد. وقد اشرنا عند ذكر الطول الى خطوط ممدودة في جوف الارض: ذلك ان بعض الامم لم يكفها سطح

الكرة لسد حاجتها من سكك الحديد . فحفرت لها انفاقاً عميقة تحت شوارع المدن وتحت مهود الانهر الفاصلة بينها وسلسلت هذه الشرايين المحيية المتينة في جسمها الارضي .

اما الذين عاشوا سنة ١٨٢٥ ونظروا الى اول قطار يقوده مخترعه المهندس جورج ستيفنسون بين مدينتي ستوكتون ودارلنتون الصناعيتين في انكلترا وعدوه تقريباً نصف مجنون فليس بينهم من قاده الحدس والتخمين الى تقدير هذه النتائج الباهرة لاختراع ، كان في اصله حقيراً كالقطارات التي نبتاعها اليوم للاولاد في الاعياد ، فصار بعد مرور قرن واحد حركة الوصل الجوهرية بين اقصى البلدان وادناها .



اول قاطرة حديدية اخترعها ستيفنسون ودعاها « راكت » اي السهم الناري .

ولا تظن ان هذا الاختراع استمال الناس ولقي منهم تنشيطاً كثيراً في بدء عهده . فان مجلة « كوارترلي » العلمية الرزينة في لندن ، عندما اذاع ستيفنسون امله في ايجاد قاطرة تقطع ١٢ ميلا في الساعة لم تتمالك من التصريح بان (هذا التبجح في الادعاء يكفي للدلالة على فروغه ، لان تسليم المرء نفسه الى آلة تندفع به في الفضاء بهذه السرعة الجنونية يشبه تسليمه بان يقذفه سهم ناري منطلق في الجو) .

ولما بحث الاميركيون عام ١٨٣٠ في سكك الحديد وامكان الاستفادة المالية من انشائها كتب حاكم ولاية نيويورك بكل حرية الى اصدقائه يحذرهم (من اضاعة المال والوقت في مشروع قطار لن تزيد سرعته يوماً عن ٥ اميال في الساعة ولن تكون له بمدلولات العقل والنقل فائدة عملية) .

مسكين محرر تلك المجلة ، ومسكين ذلك الحاكم المخلص لاصحابه . ان بين شيكاغو ونيويورك ، لعهد كاتب هذه السطور فيها سنة ١٩٠٩ ، قطاراً كان يدعى (فلاير) اي الطيار ، يقطع مسافة الف ميل في ١٦ ساعة !

مفارقة صغيرة : قلنا ان بعض معاصري ستيفنسون هزأوا باختراعه ولم ينشطوه . ونزيد ان هذا كان حظ اكثر المخترعين . فان روبرت فولتن الاميركي لما تم اختراع السفينة البخارية عام ١٨١٣ واراد تجربتها في نهر هدسن طلب من صديق له غني مئة دولار لترتيب شؤون اخيرة في ذلك الاختراع . فهز الصديق رأسه اسفاً على قلة عقل فولتن ونقده مئة دولار مشترطاً عليه بالشرف ان يكتم عطاءه عن كل انسان . وقال : (اني لا اجعل عليك بهذه المساعدة لكني اخجل ان يقال اني ايدت بمالي سخافة معتوه يريد تسيير النار على المياه) . لان تسليم المرء نفسه الى آلة تندفع به في الفضاء بهذه السرعة الجنونية يشبه تسليمه بان يقذفه سهم ناري منطلق في الجو) .

كلا الصديقين راقد الان في قبره . اما المعتوه فولتن فكل باخرة ودارعة من جبابرة البحار تحيي ذكره الى الابد . واما صديقه (الحكيم العاقل) فقد تم له ما اراد وبقي اسمه الكريم نسياً منسياً .

تاريخ الخطوط الحديدية : يرجع اصل هذه المشروعات الهائلة الى وسيلة تذرع بها اصحاب مناجم الفحم الانكليز لتسهيل نقل الحاصلات الى اماكن الشحن . فمدوا خطوطاً خشبية مزدوجة على الارض الممهدة وسمروا بها حواجز مؤنسة تمنع دواليب العجلات من التزحلق عنها ، وكانت الخيل تجر هذه العجلات بسهولة ادهشت الناس لان الحصان كان يسحب ٣ اضعاف حمله المعتاد .

اما اول عهد لمد هذه الخطوط فيتراوح بين ١٦٠٢ و ١٦٤٩ واول تحسين ادخل عليها سنة ١٧٠٠ كان الباس الخشب الممدود غطاء حديدياً يقيه التهرؤ . ثم سبكوا خطوطاً حديدية بكاملها ومدوها على اوصال خشبية تعارضها ، ثم فكروا بوصل عجلات كثيرة بعضها ببعض فوضعوا بذلك اساس القطار الحالي ، ثم استغنوا عن الحواجز المؤنسة بجعل الدواليب محرفة ، فزاد الجر سهولة لكن الحصان كان لم يزل هو المحرك ، وقد بدأ الناس يفكرون في

طريقة لاستبداله بالبخار .

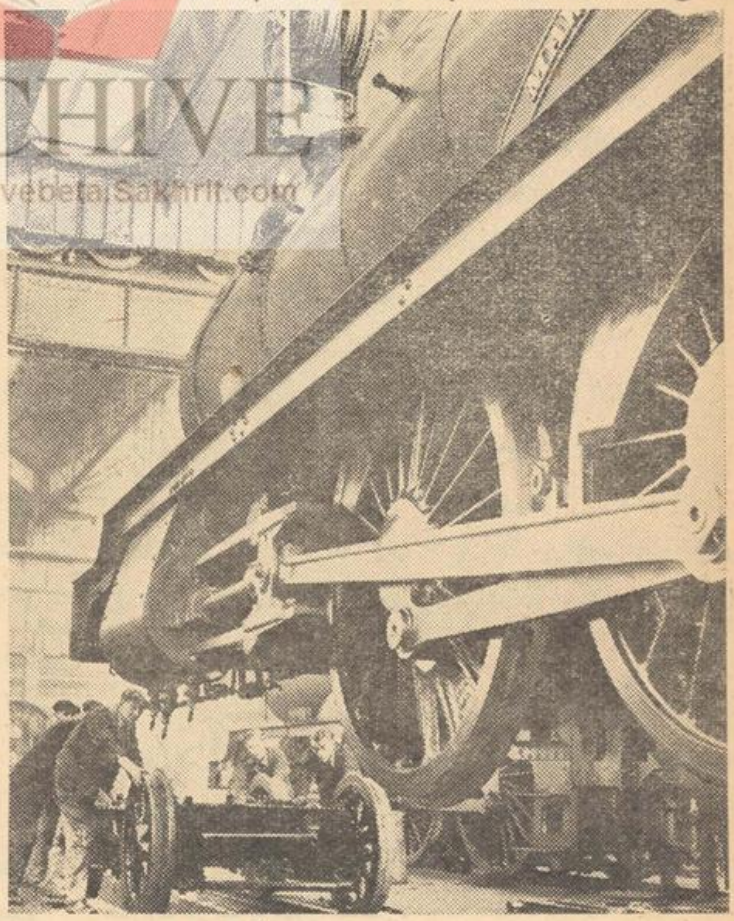
البخار : يقال ان اول ما نبه الناس الى قوة البخار اناء فيه ماء يغلي على النار وقد سد سداً محكماً . فان البخار المتراكم المحصور فيه اخذ يحرك الاناء كله . ففكر احد الناظرين الى ذلك في امكان استخدام هذه القوة لتحريك الاثقال والجر . وكان هذا مبدأ اختراع المحرك البخاري . واول من اتقنه جيمس واط الانكليزي (ولد ١٧٣٦ ومات ١٨١٩) . فبقي على الناس ايجاد محرك يمشي مندفعاً بقوته الداخلية . واول من فعل ذلك رتشرد تريفتيك الانكليزي فقد سجل باسمه عام ١٨٠٢ عجلة بخارية ونجح في تجريبها امام شاهدين دهشوا لها في بقعة قرب لندن ، وجر بها عشرة اطنان بسرعة ٥ اميال في الساعة .

جورج ستيفنسون : ولد هذا المهندس في ويلام (انكلترا) سنة ١٧٨١ في فقر مدقع اذ كان على ابيه ان يعول ستة اولاد بمرتب ١٢ شلناً في الاسبوع يتقاضاها على تسيير عجلة على خط خشبي . اما جورج فكان اول عمل انتدب له رعاية البقر بمرتب بنسين كل يوم ، ثم ترقى فصار يجز الحشيش بمرتب ٤ بنسات في اليوم . ولما بلغ الخامسة عشرة امتلأ رأسه فخراً وتيهاً لان مرتبه صار يعادل مرتب ابيه اي ١٢ شلناً في الاسبوع . وكان يكافح الفقر والعوز مكافحة الابطال فتزوج في سن الحادية والعشرين وترمل بعد سنتين وانتدب رجلا يعلمه القراءة والكتابة باجر ٤ بنسات في اليوم وعارك صروف الدهر بمرارة . وعام ١٨١٥ اخترع قنديلا سهل الوقاية لاجل المناجم فذاع اسمه بواسطته . ثم تزوج ثانية واخترع قاطرته الخاصة في منجم كنيلورث . ولما اتمها لم يضحك اولياء الامر منه بل فوضوا اليه مد خط لها بين ستوكتون ودارلنتون عام ١٨٢١ فلما نجح فيه انتدبوه لمد خط آخر بين ليفربول ومنشستر . فاعلن انه يجري عليه قاطرة من صنعه بسرعة ١٢ ميلا ، فارتفعت حواجب الناس واستدارت عيونهم ولم يصدقه الا القليل . لكن اصدقاءه مدوه بمال وافر فظهر نجاحه باهراً عام ١٨٢٥ .

وماجاء عام ١٨٢٦ حتى كان ستيفنسون رئيساً لمهندسي الحكومة بمرتب الف جنيه في السنة . وبعد عشر سنوات كان بادارته ٢١٤ ميلا من الخطوط رأس مالها ٥ ملايين جنيه ، وقواطره تجري عليها بسرعة ٣٥ ميلا في الساعة .

وفي عام ١٨٤٥ ذهب الى بلجكا واسبانيا لاشغال حديدية واصيب عند عودته بذات الرئة وانصرف في اواخر حياته الى العناية بالشجر في حديقته وتربية الطيور والمواشي . وقد صور اخلاقه تصويراً حقيقياً بقوله : « لقد جاهدت وحدي لاجل القاطرة البخارية مدة ٢٠ عاماً ، وقاومت كل المصاعب ناوياً منذ البداية الا انطرح امامها مغلوباً . »

امتداد عدوى السكك : اول دولة اخذت عن انكلترا مشروع السكك الحديدية كانت بالطبع ابنتها المستقلة ، اي الولايات المتحدة . والى الولاية التي دعت اخواتها الى الاستقلال ، اي ماستشوزتس ، يعود الفخر في الاقدام ، عام ١٨٣٠ ، قبل سواها على مد اول خط حديدي في العالم الجديد . وقد سبقت الولايات المتحدة سواها الى التقدم والتحسين في الامور العمرانية ، فمدت اطول خط متواصل في العالم بين نيويورك وكاليفورنيا على مسافة ٣ الاف ميل يقطعه قطار واحد في ٦ ايام و ٦ ليال ، ومدت في شوارع نيويورك اول سكة حديدية مرتفعة على صقالة خشبية تحملها اعمدة من حديد مشبك وتجري القطارات فوقها بسرعة ٢٠ ميلا في



قاطرة حديثة تقطع كيلومترين ونصفاً في الدقيقة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

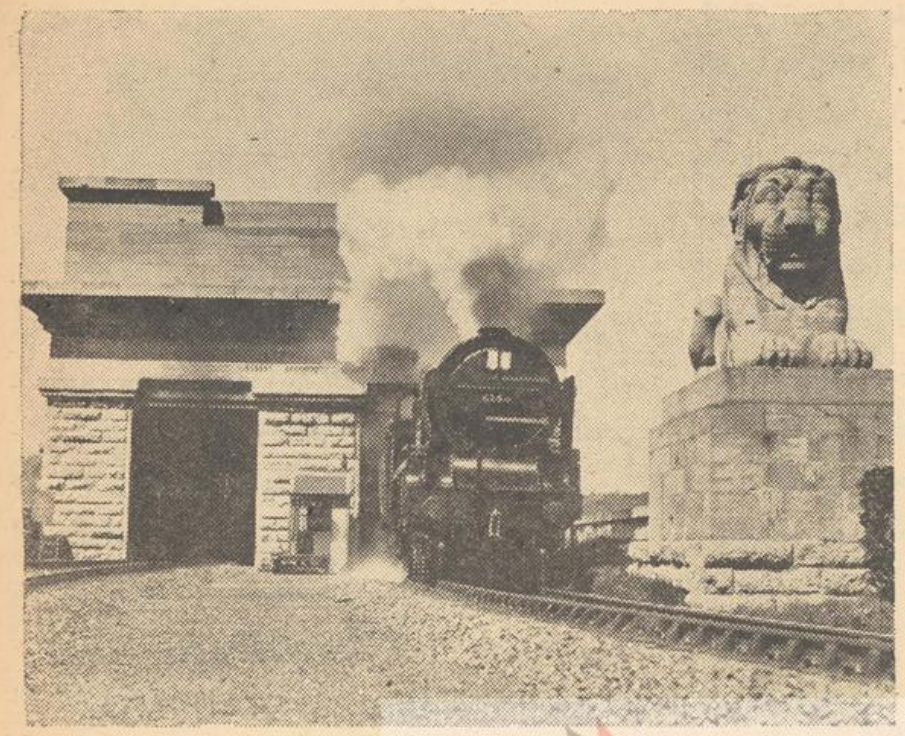
الساعة . لكن هذه السكة المرتفعة التي كانت في اول امرها موضوع اعجاب الناس انتزعت منذ بضعة اعوام ، لان اعمدتها اصبحت تعرقل حركة النقل والمرور المتزايدة في الشوارع ، واستبدلتها نيويورك بشبكة من السكك الممتدة في انفاق عظيمة تحت الارض والمتفرعة تحت مهود النهرين الشرقي والشمالي الى الضواحي المجاورة . هذه الانفاق المحفورة تحت تسعين قدماً من مهد النهر تجري قطاراتها سراعاً بقوة الكهرباء تفادياً من دخان الفحم واوساخه .

اما في اوربا فاول خط حديدي مد ، ففي بلجكا . ومنها انتقلت العدوى الى فرنسا سنة ١٨٣٢ فمد اول خط بين ليون وسنت اتيان وما زالت فرنسة دائبة حتى صار فيها اربعون الف كيلومتر من الخطوط ونظمت امور الشركات فيها كي تأمن كلها شر التزاحم . وكان هذا التعهد من الحكومة اساس المبدأ المعروف عندنا حتى اليوم باسم « امتياز » ولن تمر التسعة والتسعون عاماً بعد سنة ١٨٣٢ حتى يصير معظم سكك فرنسا ملكاً لحكومتها .

اما افريقيا فاول خط فيها مد في مصر من الاسكندرية الى القاهرة في عهد الامير محمد علي باشا جد الاسرة المالكة حالا .

ومما يستحق الذكر ان ايطاليا ، التي ما زالت الى اليوم تنفح كل شركة حديدية في العالم بعدد كبير من رجالها ليعملوا فعلة في المد والتعمير — بقيت حتى عام ١٨٦٢ تستعين على مد خطوطها الخاصة بجنسها اللطيف وحده ، فكنت ترى مشهداً مؤثراً من بنات ايطاليا ونسائها حاملات زنابيل التراب الثقيلة على رؤوسهن التي خلقت للزهر والمجوهرات ، تحت مناظرة مقاولين ايطاليين قساة القلوب يوسعونهن جلداً بالسياط ، وذلك لقاء دريهمات قليلة لم تكن تنقع غلة ولا تسد جوعاً .

الفحم الحجري والسكك : هذا الفحم رغم تلقيبه بالحجري انما هو نبات طال رصه تحت الارض وتطبيخه بحرارتها حتى تحجر ، ومع ان وجوده كثير تحت اطباق الثرى اخذت السكك الحديدية تهدده بالنفاد ، فهي تحرق وحدها ثلث محصوله السنوي في العالم .



قطار حديث يجري على جسر وضع رسمه ستيفنسون ولا يزال باقياً بجماله بين لندن وهوليهيد

◆

اول ما اخترع القطار الحديدي كانت الباخرة تحرق ١٢ رطلا من الفحم لتنال منها رطلا واحداً من البخار . اما اليوم فتحسنت آلاتها حتى صار رطل البخار يستخرج من رطلين من الفحم . وفوق هذا كانت القواطر الاولية تحتاج الى ٦٨ رطل بخار لايجاد قوة حصان واحد . اما اليوم فالقاطرة الحديثة تستخرج قوة حصان واحد من ١٥ رطل بخار . وبالتالي كانت القاطرة القديمة تحرق ٧٨٢ رطل فحم لاستخراج قوة حصان واحد ، اما اليوم فقد مكن الاتقان القاطرة الحديثة من استخراج قوة الحصان الواحد من ٣٠ رطل فحم .

ومع هذا لا تزال الادمغة البشرية ترى ان ٣ ارباع قوة الفحم في هذا العهد تذهب جزافاً ، وان ٢٠ في المئة من الفحم عينه تتفتت وتذهب ضياعاً اثناء النقل . فهي ساعية لابلاغ الاقتصاد في كل ذلك الى اقصى حدوده .

على ان بعض الشركات البعيدة عن مناجم الفحم في غرب الولايات المتحدة استغنت عنه باحراق زيت الكاز في مراجلها واستخراج البخار منه ، لكن الفحم وزيت الكاز لا يتكونان في قعر الارض بالسرعة التي يحرقهما بها الانسان على سطحها ، ولا بد من يوم ينفد هذا الكنز فيه ، فهل احتاط الانسان لتلك الكارثة ؟

نعم احتاط . وذلك بالكهرباء التي لا ينضب معينها ولا يقل

واردها ما دامت في الدنيا انهر وشلالات. ان نقل الفحم الضروري للسكك يقتضي ثلث محمولها من الشحن. فسكة الحديد لا تستغني بالكهرباء عن الفحم ومستودعاته الواسعة وحدها، بل تستغني عن القاطرة برمتها. والقاطرة اهم اقسام السكة واثمنها، فتضع المحرك الكهربائي النحيف في طرف المركبة الاولى الامامي من القطار، كما ترى في حوافل الترام الجارية في شوارع بيروت. وهذا المحرك يعمل ٢٠ ساعة في النهار بينما القاطرة البخارية لا تعمل الا ثمانيا. ثم تمد خطاً ثالثاً بين الخطين تسلط التيار الكهربائي عليه بعد ما تستره قليلا بالخشب وقاية من الموت المحتوم لمن يسوقه الجهل الى ملامسته. كما ان الكهرباء تنجي من الدخان الذي صار في بعض الاماكن القريبة من المحطات ضربة على ساكنيها، ومن ضجيج القواطر المزعج الذي يقصف كالرعود.

الاجرام الهوائي للقطارات: كان الركاب يتزعجون جداً عند وقف القطار المسرع. فاخترع جورج وستنهوس الاميركي وسيلة لوقفها بضغط الهواء، فلا يرتج القطار ولا يقع الركاب عن كراسيهم. وقصد الكومودور فندربلت رئيس شركة نيويورك سنترال الكبرى واستأذن، فادخلوه عليه بعد انتظار ساعات على الباب. وكان فندربلت يقرأ الرسائل الواردة عليه. فامر الشاب بان يشرح له اختراعه. واخذ هذا يتكلم والرئيس لا يصغي، بل يقرأ. وكلما فرغ من رسالة طواها وقال له: «ماذا قلت. اعد ذلك علي». وقد تضايق الشاب جداً ولم يكمل حديثه الا بشق النفس. قال فندربلت: «انت ياشاب تطمع بوقف القطار الحديدي بضغط الهواء»؟ اجاب وستنهوس: «نعم يا سيدي. الم اشرح لك الكيفية؟» فقال فندربلت: «ليس لي وقت اضيعه مع المجاذيب».

انصرف وستنهوس مكسور الخاطر. ومضى تواً الى «الداخل» حيث مديرو السكك الصغيرة اطول اناة من مدير الشركة الكبرى. فلم يلبث ان اقنعهم، ومدوه بالمال. فاوجد اختراعه، وجربوه فنجح، وكان الركاب مسرورين به فتذاكروه حتى بلغ مسامع فندربلت.

وكان وستنهوس قد انشأ لاختراعه معملا في بتسبرج (بنسلفانيا). فاذا بتلغراف يفاجئه يوماً من فندربلت قائلا: «تعال الى نيويورك لنكلمك في تجهيز قطاراتنا بآلات الوقف الهوائية».

فابرق المخترع فوراً الى الكومودور فندربلت يقول: «ليس لي وقت اضيعه مع المجاذيب».

امين الغريب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

◆

مرحباً

بقلم غطوس الرامي



مرحباً! زخرخ وشاحك!. اسعد الله صباحك.
أو انت؟ ادخل لقلبي، انا لم اسمع صداحك
من زمان: منذ اخنى الدهر، والتيه اباحك،

* * *

انا مذ رحت وحيد، لم ازل ابكي رواحك.
ايها البلبل، قل لي من ترى فكّ جناحك؟
من درى انك لي وحدي ولم يطلق سراحك؟
انت مخلوق لقلبي فلم الغير استباحك؟

* * *

حدثوني عن جراح.. ليت في قلبي جراحك!.
ونواح يا نجي الروح ما اشجى نواحك..

* * *

دعك من هذا ودعني الان واكتمني التياحك.
فانا رغم جفاك المرّ استجدي سماحك!.

غطوس الرامي

الى الشباب المثقف

بقلم مارون عبود
مدير الجامعة الوطنية بعاليه

●

حاولت كثيراً تحبير موضوع فخرن القلم. وظل هذا الفكر يصبحني ويمسيني كأنه طيف «وحيد» من ابن الرومي. لي حيث انصرفت منه رفيق، عن شمالي وعن يميني وقدامي وخلفي، فاين عنه احيد. ثم غورت الفكرة في اللامحصور فطفق يشتغل بها عني، فاصبحت شعورياً معمولا للتنازع، وامسيت لا شعورياً عرضة للاشتغال، يجري كل هذا في نفسي وانا غافل عما بي. وكان ان ثقلت منذ ليال بعد العشاء. فراودني النعاس عن نفسي فاستسلمت للتجربة. وما عانقت مخدتي ذاك العناق البري. حتى اقبلت بنات فرويد وابن سيرين تخطر في هوادجها وحدائجها، واذا بي ارجع شرخاً اتخطر في مكتبي كاني غصن بان يداعبه الهواء. وقد قلت في نفسي: ولم كل هذا العناء؟ فكما كنا نعالج في اشتداد ازمات التأليف الماضية مواضيع الحرية وحب الوطن والتأني والصدق، فلنحدث الناس اليوم عن امرىء القيس ودارة جلجل. المواضيع كازياء الثياب فما علينا لو درنا حول دارة جلجل جولات، فانكرنا وشككنا وسفهنا حامل لواء الشعر في النار؟ وتطور الحلم والاحلام تطورات عجيبة، فما راعني الا امرؤ القيس يسدد نحوي رمحه فمت فزعاً. انها والله اول مرة رأيت فيها رمحاً مسدداً. فتناوت له فادرك انه ينازل غير بطل فقال: تكفيني قروحي فلا تنكأوها ببحوثكم البغيضة. هذا ينكر وجودي وذاك يفسقني، وهذاك ينصرني. افلا تستطيعون غير هذا العبث؟ لديكم مئات الدارات وعندكم مئات العنيزات وعشرات الحمامات، فما لكم تتأثرون عنيزتي وتحتلون دارتي؟ ان دور اصطبلاتكم وطاولتنا سيان، فاسألوا كما سألنا. وقفت على الطلول مرة فوقف الشعراء وقفتي ووقف الشعر. واغاروا على كل ما قلت ولم يدعوا لي ملكاً خالصاً الا قيد الاوابد.

فقلت في نفسي: قاتل الله الجاهلية، فالطف تحياتهم السيف والرمح، فالفرار الفرار. فجئت الفرزدق فقال لي ان نار غالب قد طفئت. وقابلني الاخطل بعبائته الموصلية وابتسامته الكزة وعلق يحلف بالصليب وماسرجس انه لا يريد قتالا. اما اذا ازعجته فينتحي لنا من لياليه العوارم اول. فهو يرى الهوامش التي تعلق على حواشيه ابرد من جلد الحية واشد صمتاً من السمكة. وفيما نحن نتجادل اقبل علينا رجل مربوع غير ممتلىء. فقال الاخطل: هوذا الخطني. قد اجمعنا امرنا امس وبتنا على ان يتوجه احدنا اليكم، فينبئكم اننا جد اصحاب في الابدية نأكل في قصعة واحدة، فاياكم واياانا.

اما جرير فقال بعد ان احتبى: ياغياث! منو هذا الارضي، وما يبتغي؟ فخبره خبري، فاحرنجم عني بعد اقبال، ولم يزد على ان قال: اشتهي والله ان اقول «دامغة» ثانية فلا تكن موضوعها. وليتك تكون، فلي فيك مرعى خصيب.

ورأيتني افر من هؤلاء الشياطين الثلاثة واهيم على وجهي، وأرى عمر يقود الاغر وحوله صويحباته الثلاث، والابتسامة ملء فمه، وقد عرفته من ثنيتيه ونظراته المتقدة كالتنور المسجور، فقلت في نفسي: ساعة رضى. لعل عمر يرخص لنا بالرعي في حماه. ففهم عني بلا كلام وحذرني مغبة عملي، ثم قال: انتم يعنيكم الاخلاص في الحب، وانا كان يعنيني من الدنيا اثنان، الجمال والفن. كلاهما متعة عندي، فاعملوا انتم ولا تكونوا طفيليين. حسبي تعذيب رواتكم فلا تزدني، عافاك الله.

فقلت في نفسي اذن علي بالعميان، فاذا اشتد الخطب اهرب. فاقبلت على بشار فرأيته منبطحاً في دهليزه كانه جاموس. فما احس بي حتى استوى قائلا: ليفهم الناس ما استطاعوا، فويل جهلهم اخف من ويلات شروحكم السمجة. وما صدقت انه الجد حتى بل يده بقائم الذي يعاتب به الجبابرة فانصرفت راشداً. واذا بجماد عجرد يقهقه وينادي: اتطلب الخير من

القرد ؟ فاجبته وانا لا الوي عليه : قردك يخيف يا حماد. وسمعت شخيراً وتخيراً يتعالى من ماخور على الطريق فرأيت والبة وابا نواس سكرانين فما رجوت عندهما خيراً . ومر بي رجل من اهل السمت قيل لي انه ابن المقفع فلم الحق به . ورحت انشد الجاحظ في دكاكين الوراقين فلقيني اعمى يتعكز على عصاه، فعرفته ورجوت ان يكون ارحب صدراً من زملائه، فاخذ الشيخ يتلوى كانه ممغوص. ومما قال: هجرت الناس لاستريح فلم يكفوني شرهم، هذا يثقل علي في سجني برابطة المودة زاعماً انه يعرف فضلي ، وذاك يطوفني في الدنيا وانا رجل ضرير مكسور العصا ، ويزيدني نكاية بتقويلي ما لا اقول . ندمت والله واستغفرت ربي الف مرة لانني كتبت (عبث الوليد) فما عبثكم هذا يا اصحابي ؟ لست والله من عميان الكدية . افي كل عصر لي ابن قارح يقرح قلبي وكبدي ؟

فقلت في نفسي: ربما سئم هؤلاء المشاهير دروساً هي حقاً اثقل من درس البيادر. فجاء في بالي دعبل الخزاعي واذا به يرتفع لي من بعيد يحمل خشبته التي لم يصلبه عليها احد ، فحمد الله واثنى عليه لانه استراح بشفاعة آل البيت من منهاج البكالوريا . ومنيته مواعد كاذبات فما صدق ولا اغتر، وكان وداعنا صرخة داوية، فاستيقظت على صوت صاعقة انقضت في مكان قريب . فقعدت في فراشي مذعوراً ادلك عيني كالخفاش .

* * *

هذه حقيقة احق الناس بادراكها الشباب ، فجذور المستقبل تمتد في الحاضر . دعوا الموتى يستريحون في قبورهم ولا تنبشوها كل ساعة، واذكروا قول ابي العتاهية : روائح الجنة في الشباب. فانفحونا بروائحكم الطيبة لنتعلل. الا تكونون على الاقل كابي منذر بشار ؟ اتحيون في الشاطبي. قبل ان تشيخوا ايها الابناء. ؟ الا تذكرون قول النواسي : وشيبي بحمد الله غير وقار ؟

قد تقولون: هكذا تعلمنا وبهذا حملنا الشهادات الكبرى وانا اقول لكم : ليست الشهادة مهما كبرت غير مفتاح باب الثقافة . فان لم تفكروا ولم تريدوا تبقوا خارجا كعذارى الانجيل الجاهلات . واذا كان هدفكم الابعد هذه الدروس العقيمة فالغد مظلم قاتم . ان تقديس القديم من طبيعة الشيوخ فاين ثورات الشباب؟ دعوا الدراسات والمذاكرات للخمسين والستين . اما العشرون والثلاثون فللخلق والابداع .

درستم ، ولا ريب « الارادة » درساً عميقاً ، وقد حفظتموه كالماء الجاري ولولا ذلك لم تصيروا فلاسفة . اما علمكم علم النفس ان كل بديع وجديد من عمل الارادة ؟ يريد المرء فيخلق نماذج جديدة فلماذا لا تريدون ؟ الارادة تصير الفعل الالي والعادي فعلا تأملياً مقصوداً، فتفرغه في قالب جديد طريف فاريدوا وتأملوا . يقول لكم علم النفس ان الارادة تسير الحركات والتصورات كما يقتضي الزمن والاحوال، فلماذا لا تقرأون في كتب الحياة؟ لماذا لا تستوحون الظروف والاحوال بدلا من تدارس هذه المواضيع المبتذلة ؟ قد مل الناس حديث الاصمعي وابي عبيدة وخلف الاحمر والقيرواني فليس يرجى منها حياة ادبية ان كنتم من طالبيها .

فبدلا من ان تقودكم العادة العمياء كما قادت الذين قبلكم الى حفرة الانحطاط، فانهضوا على اجنحة الارادة وطيروا الى الافاق البعيدة. قد اغضبكم ان اقل : ان هذا الادب من سقط المتاع . اتطحنون الطحين يا اصحابي؟ ان درس الادب القديم مل وكيف به باساليب اقدم منه ؟

ليتكم تفكرون في كل شيء ، بل ليتكم تريدون فتخلقوا لنا غير هذا الادب المملول . ما افسد الادب العربي الا نسج نوابغه على نول واحد، فلا تفعلوا فعلهم . ننتظر كل ساعة ان ندعى الى مآدبكم الغنية ولا نرى الا طعاماً معداً . ان العادة تقيدكم والارادة تحرركم فايتهما تتبعون؟

اريدوا تفلحوا ، ولا يضلكم الدعاة فتقضوا الشباب بين الرمز والواقع . لا يوجد الا شيء واحد هو سحر الفن ، ويا سعد من يجده .

مارون عبود

لغة الكلام

بقلم واصف البارودي
مفتش ممتاز وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة

لغة الكلام ، وسيلة التفاهم بين البشر ، ابتدعها الانسان بحكم استعداده ، لتكون اداة صالحة تعرفه بالكائنات ، فيدرك حقيقة نفسه الانسانية ، فيتصل بكيانه الاجتماعي .

وما اتصل الانسان بكيانه الاجتماعي حتى كانت النشأة ، نشأة التكوين القومي والانساني ، وهو تكوين تطور ويتطور به الانسان من فرد الى عائلة ، ومن عائلة الى اسرة ، ومن اسرة الى قبيلة ، ومن قبيلة الى مدينة ، ومن مدينة الى وطنية قومية دينية ثم انسانية ، خاصة فعامة ، تتصل بالحقيقة الازلية ، علة العلل ، التي تعبر عنها تلك الكلمة الرائعة ، وهي كلمة الله – و « في البدء كانت الكلمة . »

لغة الكلام هي كلمات تتجسد فيها المعاني ، من فكر وشعور وارادة .

هي كلمات الحياة ، بل الحياة في كلمات تعبر في انسجامها اصدق التعبير عن ذلك الكائن الاجتماعي العجيب ، الذي اخضع الكون واستعمره بشعوره وعقله ، اي بلغته .

كائن عجيب قوي ، على ما فيه من مظاهر الضعف ، اخضع الكائنات واستثمرها وما كان له ان يسيطر ، لولا لغته التي ميزته عن سائر العوالم ، وخاصة عالم الحيوان ، فعرف بالحيوان الناطق .

لغة الكلام هي تعبير وبيان بل هي القوة السحرية التي رفعتنا من حضيض الحيوانية المسيرة بالغريزة التي ينكمش فيها الكائن الحي ، فيجمد ، الى مستوى الانسانية التي يقودها العقل الى عالم الابداع والابتكار ، فتتطور وتتقدم وترقي ، وتكون مجتمعها الانساني الصحيح الذي يعيش فوق الازمنة والامكنة ، بعيداً عن مثار البغض والحقد ، مسلحاً بالحق ، مجاهداً في سبيل الحقيقة والخير ، حصنه الحب ودرعه الجمال .

قل لي ، بربك ، ما هي هذه القوة التي تصلك باجدادك واسلافك ، وانت ما كنت لولا تلك الصلة لتستطيع المباهاة بامتلاك ، والتفاخر بقوميتك ؟

وما هي تلك القوة التي تقربك لسائر الامم ، فتصبح الوحشة انساً ، والجفاء الفة ، والعداء صداقة ، والتنافس تعاوناً ؟

بل ما هي تلك القوة التي تحفظ لك تفكير الماضي وشعوره ونزوعه ، وتجاربه واختباراته ؟ تحفظها لك حكماً سامية وامثالا سائرة وآداباً رائعة وعلوماً متنوعة وفلسفة جامعة ؟

هل يستطيع الاتيان بكل تلك المعجزات كائن غير اللغة ، ممثلة الحضارات ومشخصة الاجيال ؟

ان للغة مع الانسان شأناً عجيباً !

هو اوجدها ، فايقظت فيه حب المعرفة فكانت امكانية البحث والتفكير ، واثارت كوامن احساسه وشعوره فبرزت من نفسه جرثومة تذوق الجمال .

شعر عندئذ بلذة ناشئة تغمر نفسه ، وادرك بحدسه ان الفضل للغة ، فزادها عناية . فما وسعها وهي الكريمة الخيرة ، الا ان تزيده للمعرفة حباً ، وللاستطلاع ميلا وللجمال تذوقاً .

وما زال الانسان واللغة يتبادلان التفاعل والتأثير : هو يعمل في تقويتها واغنائها وفي توسيع دوائر آفاق التعبير والبيان ، وهي تعمل في تقوية تفكيره وتوسيع دوائر افاق بحثه وتلطيف شعوره ، حتى بلغ كل منها اشده .

فاذا الانسان فتى ، قوي بعضلاته وعقله ، لطيف بشعوره وعواطفه ، ازهرت في نفسه نبتة الجمال فاصبح يتذوقه ، فتستهويه روعته وتفتنه حلاوته ، تفتح للحب قلبه وتعطشت الى القبل شفتاه .

واذا اللغة حسناء فاتنة في تركيبها انسجام بديع ، ولالفاظها رنة موسيقية عذبة ، تنثر الدرر والجواهر عن سعة ، لانها غنية جوادة ، وتنظم اللاليء عقوداً وقلائد تطفو عليها طلاوة تنم عن ذوق ونبل وكرامة .

احس كل منها بشعلة الحب تتقد في نفسه فتهز قلبه وتلهب دماغه ، فعشقها وعشقته ، وما لبثا ان اقترنا ، وكان مهر الحسناء وعد الانسان بان يكون لها خير حافظ ومانع ، فكان جهازها عهداً قطعته على نفسها ، بان تكون الصورة الصادقة لحياته ، وما وقع العروسان العقد ، حتى تحرك النسيم وغردت الطيور فانشدت الطبيعة اعذب الالحان . وبينما الطبيعة في افراح العرس سمعت اصوات الابواق تعلن حديثاً :

ها هي الغيوم تنقشع ، وها هو وجه الدهر المهيب الوقور يطل من عليائه ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة رصينة هادئة .

نظر الدهر الى العروسين بعين الحنو والعطف والرحمة ، ومد يده قائلا :

ابارك هذا الزواج .

فللانسان التقدم والرقي ، والسعادة والمجد ، ما دام محافظاً على وعده ، وللغة الفصاحة والبلاغة وروعة الجمال ما دامت صورة صادقة للحياة .

والويل لمن ينكث عهده ، بل الويل لمن يخدع هذه الحسناء ويغدر بها . . .

واصف البارودي

كيف نستقبل الوليد الجديد

بقلم الدكتور عين سري الدين

ان الاضطرابات والانزعاجات المبطنة بنسيج الامل التي تنتاب الحبلى في اثناء الحمل والآلام والاخطار المغلفة بغشاء الرجاء التي تهددها على فراش المخاض تتبدد جميعها حين سماع الصرخة الاولى التي يبعثها هذا المخلوق الجديد ، ذلك الصوت الملائكي الذي يحمل في تموجاته البريئة بلسم الشفاء الى قلب امه ، واكسير النشاط الى قواها المتهدمة ونسمة الحياة الى جسمها المختلج وشعاع الرجاء الى عينيها الذابلتين فتتلاشى بلحظة واحدة كل الاوهام والمخاوف وتصبح اماً كاملة بكل ما في الامومة من حنو ومحبة وقوة وتضحية ، وتدرك في لحظة واحدة ما فاتها في سائر اعوام حياتها .

تتفتح عيناها اذ ذاك فترى ان كل ما يحيط بها يرمز الى الامومة ، فالطبيعة بفصولها أم تحتضن الحبة في جوفها ايام الخريف وتظلها بثلجها ايام الشتاء وتبعث الحرارة فيها ايام الربيع فتلدها نبتة نضرة تشع الحياة من وريقاتها النحيفة ويعبق الاثير بشذى زهورها الجميلة

ترقدها على موسيقى حفيف الاوراق يداعبها نسيم المساء العليل وتوقظها على انغام زقزقة العصافير تدغدغ اثير الفجر الباكر فتستقبل الحياة هانئة في اجمل فصول السنة حيث لا حرارة تحرقها ولا برد يميتها ، تتم نموها في فصل الربيع وتتم نضوجها في فصل الصيف وهي في كل الفصول صادقة الامومة امينة على واجباتها .

ترى في انثى الحيوانات المفترسة التي كانت بالامس ترتعد فرائصها لدى الولادة ، تلك الام الرؤوم المتفانية التي تفدي نفسها في سبيل سعادة اطفالها ، ترى في تلك العصافير الصغيرة المرحة التي كانت بالامس اداة لهو في نظرها تغرد وتحلق في الفضاء الواسع لا تأوي الى الافنان الا لاجل النوم والراحة ، ترى فيها تلك الام الجادة تحتضن بيوضها برزانة مدة طويلة معتمدة على اعالة الاب المجتهد الذي كان بالامس ذلك الشادي الطروب ثم تراها تحمل في منقارها غذاء صغارها وتدربها على الطيران شأن الام الحكيمة العاقلة .

هذا ما تعده الطبيعة لاستقبال اطفالها ، اما الطفل الانساني الذي لا حاجة للتدليل على عظم اهميته فمن مميزاته طول ايام طفولته ، تلك الميزة التي جعلت فريقاً من علماء الاجتماع وفي طليعتهم الفيلسوف الاميركاني « جون فسك » يقول : ان تفوق الانسان على الحيوان يرجع في الغالب الى طول طور الطفولة في الاول ، وانه كلما طال طور الطفولة كان الرقي اعظم ، فطفل الحيوان يبلغ في اسابيع من قوة التمييز المحدود ما لا يبلغه الطفل البشري في شهور وسنوات ، ولكن الادراك الانساني ونمو نواحي مواهبه الفكرية يحتاج ايضاً الى تربية من جانب الام او المربية مقرونة بالتربية البدنية المفروضة عليها ولا يكتفي بما تمنحه الطبيعة كما هي الحالة في الحيوان . واحدى النظريات المرتكزة على فلسفة النشوء والارتقاء ان العقل الانساني سائر في سبيل الكمال واننا قد قاربنا الوصول الى عصر (السوبرمان) اي الانسان المتفوق الذي سيملك عنان القوى الطبيعية ويسخرها لمشيئته فيريك من غوامض اسرارها ما لم يخطر ببال من سبقه حتى من عباقرة الرجال ، وهذا الانسان المتفوق هو ما تلقيه الطبيعة في حضن امه في حالة من ضعف القوى تجعل احقر اطفال الحيوان اقوى منه وتنيط بها امر اعداده للنبوغ والعبقرية التي تنتظرها منه الاجيال .

وعلى الام الحكيمة ان تعلم بان الطفل الذي يؤمن نقاء دماء والديه وخلوها من الامراض الموروثة والذي اجتاز ايام الحمل كاملة في احشاء ام صحيحة العقل والجسم لا بد له من ان يولد صحيحاً خالياً من الامراض والاسقام وان تعلم ايضاً ان كثيراً من الاطفال لا يحتفظون بهذه الصحة حتى نهاية الشهر الاول من حياتهم فهم لا يولدون نحفاء ضعفاء في جهازهم الهضمي وجهازهم العصبي مثلاً ولكن الام او المربية هي التي تخلق هذه فيهم . واولى خطوة يخطوها الوليد نحو حياته الجديدة المستقلة هي انتقاله من حرارة الرحم البالغة حوالي ٣٧ درجة سنتكراد وهي حرارة جسم امه الى حرارة الغرفة التي يتم فيها التوليد ولهذا يجب ان تعدل حرارة تلك الغرفة حتى تبلغ درجة عشرين والفرق بين هاتين الدرجتين يسبب للوليد الشهقة الاولى وبداية تنفسه وارتجافاً في شفتيه وسائر اعضاء جسمه ، اما كيفية

تعديل هذه الحرارة فتتم بعدة وسائل وافضلها المعدات الكهربائية مع الاحتفاظ بتبديل الهواء بفتح نافذة دون تعريض الوليد الى المجاري الهوائية . هذا يعادل ما تعده الطبيعة من الاعتناء باستقبال اطفالها من نبات وحيوان وطير من حيث اعتدال طقس الربيع ودفء هوائه وسعيد هو الطفل الذي يولد مع الطبيعة في ذلك الفصل البهيج .

اما في حالة الخديج اي المولود قبل اوانه فلا يكفي هذا التعديل البسيط في الحرارة بل يجب استعمال المفقسة الكهربائية ويجب ان يديرها الطبيب بنفسه دون سواه . ولا عبرة للشائعة الرائجة في الاوساط النسائية ان المولود في الشهر السابع قابل للحياة واما المولود في الشهر الثامن فلا امل في حياته، لان كل مولود بعد الشهر السادس والنصف قابل للحياة اذا صادف اعتناء فنياً كافياً من طبيبه ولهذا اصول في التغذية والتهوية والحرارة لا يتسع الوقت لشرحها الان خلا عن انها تختص بالاطباء دون الامهات . وكل طفل يولد بوزن لا يبلغ ٢٥٠٠ غرام وبدرجة حرارة تحت ٣٦ ونصف مع ضربات قلب ضعيفة وتنفس ضيق وانتباه قليل يتساوى حكمه بالخديج وان ولد في الشهر التاسع ويحتاج لنفس العناية المذكورة .

والخطوة الثانية في حياة الوليد هي التنفس، تلك التنهدة العميقة التي يفتتح بها اعمال رئتيه للمرة الاولى في هذا الوجود لان رئتي الجنين كما سبق تحتفظان بجمودهما طيلة ايام الحمل والوظيفة المفروضة عليهما من حيث تنقية الدم تقوم بها رئتا الحامل، ولما كان بعد الولادة ينفصل عن دم امه بقطع الحبل السري اصبح عليه ان ينقي دمه برئتيه اللتين تشعران بتراكم الغاز الكربونيك وضرورة عملهما منذ اللحظة الاولى بعد الولادة . فاذا صودف ان عضلات الرئتين اظهرت عجزاً عن اتمام وظيفتها الفسيولوجية ولم تفتح خلاياها للهواء النقي والاكسجين وولد الطفل ازرق اللون لا حراك ولا تنفس فيه فيؤخذ حالا على الكف الواحد من جهة الصرة ويضرب بالكف الآخر ضرباً متكرراً على ظهره حتى يشهق ويبتدىء بالتنفس (ونعم الاستقبال هذا) واذا عجزت هذه الواسطة فيعمد الى التنفس الاصطناعي الذي يتم بالقاء الطفل على ظهره ورفع ذراعيه الى ما فوق رأسه ثم ارجاعهما الى جانبيه بقوة تضغط على القفص الصدري ، ثم تكرر هذه العملية مرات متوالية الى ان يبدأ التنفس الطبيعي، وفي حال عدم نجاح هذه الوسيلة ايضاً يرى الطبيب ما يجب عمله من الاساليب الحديثة التي يلجأ اليها في مثل هذه الحالات اذ ربما يعتور التنفس انسدادات داخل الفم او عاهات مولودة معه، وعلى كل يجدر بالحبلى ان لا تضع نفسها ساعة المخاض الا تحت يد ماهرة ذات خبرة واختصاص في هذا الفن والاصح ان تكون الولادة في دار خاصة بالتوليد حيث تتوفر اسباب نجاة الام وولدها من خطر مداهم وخصوصاً في حالات الولادة الغير الطبيعية . ولكي تتوفر للفقراء هذه النعمة نرى الحكومات تؤسس مثل هذه الدور وتقبل فيها الحوامل بصورة مجانية، لانه بالرغم من ان الوضع عمل فسيولوجي سهل الحصول في غالب المرات كثيراً ما يسبب فقد الحبلى او فقد طفلها او الاثنين معاً او ترك هذا الاخير مشلولا او ذا عاهات كل حياته وذلك لمجرد جهل المولدة التي يكون قد شجعها على الاقدام على التوليد توفيقها في بعض الولادات الطبيعية فقط دون فهم الاصول الكافية . ولا ينبغي للحامل ان تقدم على الوضع قبل ان تكون عرضت نفسها على طبيبها او مولدتها مرات قبل ذلك للتأكد من وضعية الجنين ومن حجمه بالنسبة لجهازها التناسلي واذا اهملت هذا واقبلت على الولادة بغتة لا تكون بمأمن من خطر المخاض .

وبعد التأكد من ان الوضع قد تم في جو دافىء وان الوليد قد تنفس تنفساً طبيعياً يعمد الى تطهير عينيه بمحلول البوريك او محلول نيترات الفضة او الاريجول واذا تعذر وجود هذه فبعض نقاط من عصير الليمون الحامض في كل عين يكفي بشرط ان تقطع الليمونة رأساً حين الاستعمال . وبانتظار بصق المستيمة اي الخلاص من رحم الام يؤتى بقطعة من القطن مغمسة بالفازلين او الكلسيرين او الصابون السائل او زيت الزيتون النقي وتستعمل لرفع الغشاء الزج الذي يغطي جلد الوليد قبل وضعه في الحمام الاول وهذا يجب ان يتم بواسطة الطبيب او القابلة دون سواهما وفي ماء حرارته ٣٧ درجة ستنغراد اي بحرارة الجسم بعد ان يكون اغلي واضيفت اليه كمية قليلة من السبيرتو النقي ، كل هذا يجب ان يتم بواسطة ايد تلبس القفازات المطهرة مع وضع كمامات من الشاش تغطي انف وفم كل من يدخل غرفة التوليد لان الوليد معرض بكل سهولة لاخذ الجراثيم التي تنبعث عن هذه الطريق . اما ما يطلى به جلد الوليد من رياحين واطياب ويغسل به من ماء الملح وخلافه فهو من العادات البالية التي لا فائدة منها ناهيك عن الآلام المبرحة التي تنزلها هذه بذلك الجلد الطري النحيف وما يحنك به فمه من عسل او غيره فهو مما يعرضه الى ابتلاع ما قد يعلق بهذه من جراثيم قتالة فيجب تجنبه ويكتفى بتنظيف الفم مما يكون قد علق به من مواد لزجة ومخاطية اثناء وجوده في رحم امه . وينشف الجلد جيداً بعد حمامه الاول ويلف لفاً محكماً ونتركه الان هانئاً كذلك حيث ندخله الى معهده في غرفته التي سنأتي على وصفها في المقال القادم فالى اللقاء .

حسين سري الدين

التضحية

بقلم راهبي الراعي

◆

التضحية كلمة عظيمة تنطوي على اعظم واروع ما في كتاب النفس والحياة ، بل هي الكلمة التي اذا لفظت او خطت فنيت فيها السطور والكلم . .

ولكن ما هي التضحية ؟ ما معنى هذه الكلمة الحمراء ، وما هي السمة الرئيسية التي تمتاز بها ؟ التضحية ان تتخلى عن كلمة هي « انا » لكلمة هي «انت» فتبدل الالف تاء وليس ذلك بالسهل وان بدا سهلا، فدونه اعظم عراك تخوضه النفس لتظفر بعلم الرجولة والعظمة . .

« انا » هي القاعدة التي يقوم عليها تمثال حب الذات ، ذلك الحب الذي وصفه الشاعر بقوله :

يريد ان يغترف البحر ولا يترك منه قطرة تروي الظمأ

اجل ان الانانية تريد لها البحر كله : قطراته قطرة قطرة ، وزبده كأساً كأساً ، ودرره درة درة ، واسماكه سمكة سمكة ، وشواطئه شاطئاً شاطئاً ، تريد ذلك اذا اطلق لها العنان وانبطح ثورها ذو المئة القرن والقرن في ساحة النفس واحتلها فاتحاً شدقيه الغليظين وعينيه المنهومتين ، ومطبقاً شفتيه المتهدلتين الغليظتين على كل ما تقع عليه اليد ، وبعبارة اخرى ان الانانية هي البركان الذي تتفجر منه الغرائز والشهوات والاهواء ، والتضحية قائمة بان تحطم ما امكن من قرون ذلك الثور وان تخفف ما امكن من هول هذا البركان . .

ان حب الذات متأصل في الانسانية تمتد جذوره الى اليوم الاول من الخليقة وليس في طاقتك ان لا تحب نفسك ، فانت تحنو على روحك وجسدك حنو المالك على ملك أعطيه ، ثم انت تتطور وترقى ، فاذا تخليت عن ذاتيتك لم تقو على تنميتها وتعزيزها ، ولكن خمرة ذلك الحب يجب كسرها بحب الاخرين وحب الكمال ، فانت لا تعيش وحيداً في هذه الدنيا ، فهناك الناس ، اخوانك ورفاقك في الانسانية وهناك المثل العليا .

ان عليك واجباً يجب ان تؤديه واذا كنت في انانيتك حراً فانت في ذلك الواجب اسير مقيد . . انت غصن في شجرة الوجود ولست الشجرة كلها ، فكلما تأودت بانانيتك وزهوت وازهرت تطاولت اليك الجذور تطلب منك ثمراً تحمله فيثقلك ويخرج بك عن خفتك وزهوك وبذلك تقدم تضحيتك . فكلمة « انا » قيك ايها الغصن هي الزهرة التي كانت لك ، « وانت » هي الثمرة التي يقطفها الناس . .

انت الانسان رجل نفعي في الاصل رائدك المصلحة ، تريد ان تنتهي اليك جميع الطرقات التي تسلكها اعمالك ، ذلك في طبيعتك وروحك ودمك . . . ان شجرة الانانية هي اقدم الاشجار في غابتك ، وانا اذ ادعوك الى التضحية لا ادعوك الى ان تجتث تلك الشجرة وتقتلع جذورها اقتلاعا ولكنني اقول : لا تدع تلك الشجرة تمتد باغصانها لتملاء الغابة كلها وتحتلها ، بل شذبها ما استطعت وخذ من ضخامتها لغيرها من الاشجار لتحيا حياتها التي يحق لها ان تحياها . .

ان في العالم فكرتين اولاهما فكرة الاخذ والثانية فكرة العطاء ، والتضحية قائمة بان تتغلب فيك الفكرة الثانية على الاولى فاذا ما اخذت مرة اعطيت مرتين . . وفي العطاء لذة لا تعدلها لذة الاخذ ، وفي اليد المبسوطة خيال جميل لا ترى له اثراً في اليد المنقبضة . . انظر الى الزارع الذي يطرح البذور في الحقول لتنمو بها الاشجار والى من يتكرم ببعض دمه على شريان فقير ، انها لجميلان حقاً ، بل هما آية من آيات الجمال . .

انا اعرف انك تسعى الى المصلحة التي تقودك الى اللذة ولكنك بالتضحية لا تحجر عالم اللذات وانما انت تتخلى عن اللذة الصغيرة في سبيل اللذة الكبرى فاذا آثرت الحب في الزواج على الثروة عاد عليك نعيمك في بيتك بما لا تعود به بضعة دنانير، واذا اقتصدت ظفرت بلذة الغد التي تفوق لذة اليوم، واذا ضمدت جراح الناس شعرت بارتياح باطني هو السعاده كلها ، واذا ضحيت في سبيل الوطن والانسانية عاد عليك خير المجموع وهناؤه بخير اعم وهناء اوفر . .

اجل ، ان التضحية هي الفرع الرئيسي في شجرة حب الذات ، والتضحية وحب الذات لا يتنافيان ، فاذا كانت الانانية ترمي الى الاحتفاظ بالمصالح واللذات فان اللذة الحقيقية الرئيسية الكبرى التي تتفرع عنها سائر اللذات انما هي في ذلك الارتياح الداخلي النفسي الذي لا تشعر به الا اذا اعطيت من نفسك ووقتك ومالك وهوسك . . انك بالتضحية وبالتضحية وحدها تشعر انك كبير عظيم بلغت قمة الرجولة وترى العيون تحدق اليك والايدي تصفق لك ويرتاح ضميرك وتطمئن نفسك فتترنح بتلك الخمرة التي هي عندك افخر الخمور واعتقها . ان التضحية مردها الى الذات تسلخك عنها لترفعك الى قمتها وهذا ما تطلبه وتريده الانانية، وهكذا تتلاقى التضحية والانانية في صعيد واحد وتتسمان في نهاية الامر بسمة واحدة .

فيا ايها الانانى ، كن لنفسك ولغيرك وانظر دائماً الى الاشجار كيف تنهض على تلك البذور التي ضحيت فدفنت نفسها في الارض ، وحاسب نفسك تجد انك حيث ضحيت حتى اليوم كنت سعيداً ، فسعادتك منوطة بسعادة الاخرين . . كن دائماً كالشمس التي تملأ اشعتها الدنيا وارتفع بالتضحية الى تلك الشرفات العالية التي تطل منها على سعادتك ، وابسط يدك ما استطعت واطرح من بذورك في الحقول فتباهي بك سنابلها وتتايل امامك مترنحة باسمك وعطائك . اسكب من كأسك في كؤوس الاخرين فالكأس التي تشربها والناس حولك عطاش كأس مريرة . . كن الجسر الذي يصل بين ضفتين ويتدافع عليه الناس ولا تكن الممر الضيق لا يتسع لغيرك . . اذكر انك لا تستطيع ان تأخذ شيئاً يذكر في هذه الدنيا اذا لم تعط منك اشياء . .

كن للحياة الكبيرة والافق الفسيح . .

راهبي الراعي

وشاح

بقلم صلاح الاسير



وقال لي الشوك مرت على الو ... رد ، قبل الغروب ولم ترجعِ
وكان الدجى في صلاة المساء التفا ... تاً الى طيفها الاروع
تواكب في الخطو حلماً لها ... على نفرة الخاطر المسرع
جرحت ازرقاق الوشاح المدل ... وبي منه خيط هوى مترع
انا اليوم — روضي غريب العبير — ... اموت على ذيل برد يعي
ويسألني من ترى ؟ الياسمين ... فاغضي انا الشوك او أدعي
سراب واظماء قرب الرمال ... جرحتك يا وهم بالادمع
على مهلك اليوم ، وجه الربيع ... اطل بالوانه الشرع
ولي منه في البال ، من امسه ... الخضيب ، انهيار غد موجع
يذكرني عفو ظل الرداء ... ببوحٍ اسرت به اضوع
وكنت المضن ، انا طوفة ... الفراش على لهب المصرع
في منك ما بك من غربة ... الظلال على مقفر الاربع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى غربة



أأروى ، وانت هنا الساقيه ... وبي ظمأ الحيرة الداميه
حملت العروق على محجريّ ... تهاويلَ محمومة رانيه
ويخفق دوني ازورار الطيوب ... عن الورد في عصفة باكيه
أأروى ولي دمية من هوى ... تموت على شفة الخابيه
تطل فيضفي عليّ الربيع ... بابراد آذاره الضاحيه
ويرقص ظلّ بكف السفوح ... وترفل امسية لاهيه
كأن من النسر ذوب الدماء ... على زرقة المغرب الداجيه
فيا طلل الذات هل في الكؤوس ... لنا اليوم امنية باقيه
تولول حرّى غد همهمت ... عصور لاندائه السابيه
يكاد يجوع بنفسي صدى ... وانكر نجواه يا فاريه
اتمتمه مقطعي اي لحن ... وانت على رجعه عاريه
هو اسمك بعد على غصةٍ ... والقاه في نهلةٍ ناديه

صلاح الاسير

توجيه النقد

بقلم ميخائيل ابو شهلا

صاحب جريدة الجمهور

اذا سلمنا مبدئياً بان النقد على انواعه يؤدي الى الاصلاح ، وان للنقاد وظيفة سامية من شأنها ان تردع الكثيرين عن التمادي في الغرور والايغال في الضلال والاستمرار في الخطاء ، كما انها تصون المجتمع والفن والادب من تيارات الفساد والعنت والانحطاط – اذا سلمنا بهذه الامور البديهية فلا يسعنا الا ان نحس فقراً في هذه الكلمات الى بعض الاوصاف والشروط والقيود بحيث يستشعر اهل النقد ان ميدان عملهم له حدود ومقاييس لا يمكن ان يتجاوزوها ، وان ركوب الهوى في هذا الميدان يفضي الى زرع الفوضى في كل ناحية من انحاء النشاط الفكري وكل مسلك من مسالك الحياة والابداع ، كما يفضي بصاحبه ومن لف لفه الى الاساءة بدلا من الاحسان ، والى التفريع المري بدلا من التهذيب الكامي ، والى توعير السبل بدلا من التوجيه في السبيل القويم .

ومن المصيبة في النقد ان هذا العلم الذي نعده زاوية البناء ونرى فيه الميزان المنصوب لترجيح الجمال والكمال والكشف عن الرديء والناقص ، هو العلم الوحيد بين العلوم الذي تنتظم قواعده ولم تستو مقاييسه ولم تتفق كلمة اهل العلم والنظر على تحديده . لذلك رأيناه يعيش حياته طليقاً تائهاً ، ورأينا اهل النقد يضربون في كل واد وقلما اجتمع لناقدين رأي واحد . بل تبين لنا ما هو ادهى واشد : رأينا النقد تفسد غايته ويعمى عن مواضع الدلالة ويشتد فيه التصنع ويكثر التظالم وتفرط الشهوة ، والنقاد يركضون في دروب الطعن والمساءة عمرهم ، حتى كاد النقد يصبح في كل عصور التاريخ صنو الهجاء ، وحتى اصبحت وظيفة النقد على سموها لا تجد قلماً مخلصاً يتوخى الارشاد والاصابة ، ولا تجد منتقداً الا وهو مطبوع على محبة الهدم والافراط فيه ، لا يخلو بقلمه مرة الا استفزته طبيعة الهدام الى النهش والثلب ، ومن الغريب ان هؤلاء النقاد يشبهون الى حد ما المؤدب الذي يعتزم الضرب : يبدأ الضرب وهو ساكن الطباع ، فيريه الهدوء ان الصواب في الاقلال ، فحين يضرب تشيع فيه الحرارة وتثور شهوة الدم ، فيريه الغضب ان الرأي في الاكثار ، فيتجاوز في تأديبه حدود المعقول وينتصب الهوى الجامح مؤدباً للناس ، وما اكثر من يعزم على عشرة اسواط فيضرب مائة .

لذلك بات النقد على التوالي ضرباً قليل الايلام ، وبلغ من زراية الكتاب به حداً لم يترك له قيمة في مجالس الادب . ولست اعجب من هذا المصير الذي آلت اليه صناعة النقد فكيف تريدها ان ترفع حظنا من الحكمة وتفتح المستغلق علينا وتحبب اصحابها الينا ، وهي الصناعة التي لم يزاولها على الاغلب الا المتعنتون ، ولم يقبل عليها الا الذين لا يحاسبون انفسهم ؟ فاذا قرأت هؤلاء النقاد وجدت معظمهم يتطفل على فروع من الادب لم يتذوقها ولم يتعمق في درسها : الم تر احدهم يمحص الشعر ويفنده ويسخر من هذا الشاعر وينتقده وهو غريب عن حياة الشاعر وفنه واحساسه وعالمه ؟

وما قولك بمن جاء يفرض على لغة الضاد وادبها وشعرها من القواعد والمقاييس ما تخيله فكر اجنبي تفصل بيننا وبينه ، فضلا عن اللغة ، عصور من الحضارة واجيال من التفكير ومراحل من التطور الاجتماعي والشعوري والفني ، اضف الى كل هذا ان تلك القواعد والمقاييس قد تكون في لغتها الاصلية من نوع النظريات الشاردة او المطعون في قيمتها العلمية ، بل ما قولك بهذا النفر من جهابذة الكتاب واساتذة الاداب ، الذي لا هم له الا ان يتطاول على كل ذي شهرة ، فينطق عن الموتى ويترجم كلام الاحياء ، وهو لا ينطق ولا يترجم الا بما تهوى سجيته وتتفتق عنه رغبته وشهوته ؟

قد اكون قسوت في كلامي عن الناقدين ، ولكنني لا اراني اسأت الى مقام النقد الذي تحفه النزاهة والعلم والاخلاص في القول . وهو النقد الذي ننشد رجاله ونفتش عنهم فلا نجد منهم الا القليل النادر في كل امة وفي كل عصر ، ولا سيما في الحقل الادبي من حقول النقد . وقد اردت هذا التخصيص في النقد الادبي لاعتقادي ان بين النقاد الفنيين فريقاً بلغ احترامه الفن حداً يرفعه فوق الاهواء ، وهو اذا انتقد اثراً او صنيعاً فنياً فانما يفعل ذلك تمجيداً منه للفن وصيانة له من مهاوي الانحدار . اضف الى هذا ان الفن واحد لا يتجزأ ، وانه لم يكن مرة على طليقا تعبث به المقاييس والحدود ، وان عبثت به احيانا الاذواق والالوان .

اما الادب فيا ويله من علم تنازعته المقاييس وشتى الحدود واللغات واعملت به مباضع النقاد وشروحهم ومراجماتهم واذواقهم واهوائهم ، فكان من جراء ذلك ما نراه من مهازله ومباكيه ، وكانت الفوضى التي نشكو منها كما شكا غيرنا من قبلنا وما برحوا يشكون .

وما احسني الا معبراً عن احساس الكثيرين ممن توسلهم هذه الفوضى تسود مغاوي الادب ومراشده ، ومضاره ومنافعه . وربما كان هذا الاحساس سببا فيما يقال من ان هناك بلادا فقدت كل الفقدان مزية النقد في بعض حقول نشاطها ، وان هنالك من بلغ حقدهم على النقاد مبلغاً لا تسامح فيه ولا هوادة ، فاذا سمع احدهم ناقدا ينحي باللائمة على عمل ما بادره بقوله : « اسكت او ارنا احسن منه » .

واغرب من هذا كله الرواية التي نقلت عن لسان بيير لوتي ، بعد رجوعه من المكسيك ، قال : « ذهب احد اصدقائي يزور متحفا شهيرا للرسوم الزيتية ، وبينما هو يتفحص احدى اللوحات حانت منه نظرة الى الرسام الذي كان بقربه فوجده يحمل في احدى يديه ريشة وفي الاخرى مسدسا ، فلم يتمالك عن سؤاله .

– اما الريشة فامرها مفهوم . ولكن ما تقصد بالمسدس . .

فاجابه الرسام على الفور :

– لتوجيه النقد . .

الله يا مسدس الرسام ، ما ابلغك وما اشد حاجتنا اليك !

ميخائيل ابو شهلا

جهاد الشعب الفرنسي

بقلم عمر فاخوري

◆

اذا قلنا ان هذه الحرب بين النازية الالمانية والشعب الفرنسي لما تنته بعد ، رغم هدنة حزيران ١٩٤٠ بل انها على الضد تزداد ضراء وشدة ، بتأثير عوامل عديدة، لعل من اهمها وأبلغها اثراً هذه الهدنة الخاسرة نفسها — ما احدثته ويخشى ان تحدثه من نتائج قريبة وبعيدة .. اذا قلنا ذلك لم يكن في قولنا شيء من التجاوز على الحقيقة او الوضع الراهن. ففرنسة ما زالت في صف الديمقراطيات تقاتل وتناضل وتبلي في الجهاد الحق احسن البلاء : في ميادين الحرب براً وبحراً وجواً الجيوش الفرنسية الحرة ، وفي الشعب الفرنسي الرازح بنير الطاغوت النازي صبر لا ينفد ، وعزيمة لا تفل ، وشجاعة لا تهن ، واستشهاد دام دائم : كلما داويت جرحاً سال جرح ..

لقد حسبت النازية الالمانية وانصارها من دعاة التعاون وادعياء النظام انهم لا بدّ نائلون من صبر الشعب الفرنسي وشجاعته وعزيمته ووطنيته وايمانه بالمثل العليا التي تشرف الانسان ، وانه يكفي لذلك ان يتذرعوا بمختلف اساليبهم من الخداع والوعود الكاذبة، ومن الاجاعة والتقتيل والابادة ، ومن الارهاق والعسف والاضطهاد، ومن التفرقة وبذر بذور الشقاق ، حتى يحملوا الشعب الفرنسي في النهاية على الخنوع والاستسلام واليأس . فاذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة ان الشعب الفرنسي ازداد على ذاته انكماشاً وتقبضاً ، كقبضة اليد تتجمع منذرة بالضربة القاضية ، وكانت النتيجة ان الروح الفرنسي ازداد تصلباً وتوتراً، كالقوس تشدّ وتشدّ كي ترمي الى « الخلاص » ولا تخطي. الهدف . فليست المرة الاولى يمتحن فيها الشعب الفرنسي بغارة العدو على ارضه مستبيحاً حماه المادي والمعنوي، وبخيانة نفر من ابنائه يضحون من اجل منافعهم العاجلة سلامة الوطن وقيمه الباقية . لكن رد الفعل لم يتغير . فهنا — كما يصف الموقف شاهد عيان متحايد — ضابط الماني يختفي اثره ، وهناك قنبلة تنفجر ، وهنالك خائن يسقط مضرجاً بدمه من رصاص فرنسي محب لوطنه ، محوط بعطف الملايين من الفرنسيين. وفي مناجم الفحم شمالي فرنسة سلسلة من الاضرابات تأتي بغتة ، فتشل الانتاج . حتى لكأنها في فرنسة من اقصاها الى اقصاها مؤامرة مرتجلة ، يشترك فيها الشعب الفرنسي طواعية ، وليس في المتآمرين من لا يعلم انه يعرض للتهلكة نفسه ونفوس ذويه .

ان الشعب الفرنسي الاعزل لا يعدم وسيلة يقول بها للطاغوت النازي واعوانه ، صارخاً بل. فيه: كلا ! هو يقولها في كل حين، ولدى كل سانحة، بكل ما يملك من وسائل. فاذا ما ذكر التاريخ اطوار هذه الحرب فلن يسعه ان يسقط من حساب النصر نصيب الشعب الفرنسي الذي جرّد من سلاحه، لكن لم يخرج من المعمعة .

عمر فاخوري

هكذا تكلموا

بقلم الياس ابو شبكه

●

قرأت ليلة امس فصلا من « فوست » وآخر من « دفينا كوميديا » وآيات من « الرؤيا » . وما كاد النعاس يغلق اجفاني حتى اقبل علي « مفيستو » فحملني وانطلق بي في الجو على فرس كأنه حيوان يوحنا . وما زال بي حتى اهوى على غابة وعرة موحشة كالتي تراءى فيها فرجيل لدنتي . فاسلمني الى ظلمة رهيبة وصخور ماردة جرداء ، واختفى ! وفيما انا ابرد الظلام باهدابي وافجره بحدقتي اذا بجلجلة تدوي الى يميني كأنها جلجلة سلاسل من الحديد ، فالتفت فرأيت باباً يرتفع عن سرداب محفور بين الارض والسماء ، وفي السرداب انوار كالحة مربدّة تنبعث عن مصابيح عجيبة كأن فيها حياة ، ولهذه المصابيح اشكال يرمز بعضها الى القلب وبعضها الى الجبين ، بعضها الى اليد وبعضها الى الذراع ، بعضها الى العين وبعضها الى الفم ، بعضها الى السيف وبعضها الى القلم ، بعضها الى الشفة وبعضها الى الكأس . وما كدت اتوسط السرداب حتى تحول نظري من تلقائه الى صفيحة في الجدار منزّلة بهذه الأحرف المموهة بنور اقهب مغموم : « من هنا تدخل الى هياكل الشرف ، والوفاء ، والكرم ، والشهامة ، والقوة ، والمجد والحرية ، والحب . ايها الداخل اطرح عنك القذر والادران ! »

وبعد قليل رأيتني امام باب مختوم بسبعة ختوم ككتاب « الرؤيا » ثم رأيت يداً تزيل الاختام السبعة وتشير الي بالدخول فدخلت . دخلت الى هيكل عجيب فيه سبع مناثر من ذهب وعلى كل منارة رأس محاط بهالة من النار . ومن هذه الرؤوس التي تمثل المعرفة والحكمة والقوة والعبقرية والذكاء والبسالة والزهد بالنفس سمعت صوتا يقول :

سكبت في الانبياء زيتي ... زيت النبوّات من عيوني
وقلت للناصريّ طهّر ... ذنوبهم بالدم الثمين
قلت لقيس حبيب ليلى ... لأنك حيّ بعد قرون
احمل في مقلتي عذابا ... وشعلة النار في جبيني
الشيخ مثل الفتيّ عندي ... من يسع تفتح له يميني
لما اعين وقت ظهوري ... فبعد حين او قبل حين

وسكت الصوت !

فقلت : من انت ؟ فقال :

انا خفي كالحب او كالهلاك ، انقضّ في ثوان
اظهر في ساعة الطعان ... بين ضباب من الدخان
ولا يمس الخلود مني ... الا العيون التي تراني
ليس لهائي الا ضراماً ... يدب في مسرح الزمان
فلا يغرّنك ابتسامي ... فتحت جفنيّ هوّتان !

وسكت الصوت !

فقلت :

عرفت من انت ايها المتكلم بلسان الجبار . عرفتك على جبين هوميروس وسيف هنيبال وفي عقاقير باستور . ولكن فيم آثرت الاحتجاب في هذا المنفى الموحش على الظهور في مجالي المهرجانات وطرف القصور ؟

فأجاب : خمرتي غير الخمرة التي تشرب في هذه الطرف وتلك المجالي . قطرتها من ابن النسور ومزجتها باكسير من المجرة ، وقطروا خمرتهم من دم القوق والقنفذ ومزجوها بعصير الحشيش والعصافة . ولما رأيت العظمة تجعل بيوت الشوك والقراص ورأيت بيوت القراص والشوك تعرش على هياكل الفضيلة ، على المعرفة والحكمة والقوة والعبقرية والذكاء والبسالة والزهد بالنفس ، حجبت وجهي كبراً وانفة وتركت للناس قول « الرؤيا » : « عندكم اسماء قليلة من الذين لم يدنسوا ثيابهم وسيسلكون معي في ملابس بيض لانهم مستحقون . من غلب فانه يلبس ثياباً بيضاً ولا امحو اسمه من سفر الحياة . ومن غلب وحفظ اعمالي الى المنتهى فاني اوتيه سلطاناً على الامم . »

وسكت الصوت !.

فقلت : ايها المجد طهرني من قذري وادراني لاستحق ان ادخل تحت سقف بيتك !.

* * *

وبعد قليل رأيتني امام باب برىء من الزخرف ورأيت يداً تفتح الباب وتشير اليّ بالدخول فدخلت . دخلت الى هيكل عجيب قائم على سبعة اعمدة من الرخام الناصع ، وعلى كل عمود طغراء يمثل مجموعها الوفاء ، والامانة ، والوقار والغيرة ، والاحترام ،

والاستقامة ، والحشمة، ومن هذه الاعمدة الحية سمعت صوتاً يقول:

رأيت لكل معثرة عمادا ... واجنـاداً وقواداً شدادا
وللضعفـاء اعداء لدادا ... وللاحقاد في الدنيا بلادا
واصلال الفواحش في بلادي

بلادي حيث تنطفىء الشرور ... وتشتعل الفضيلة والضمير
وحيث يؤيد الحق المنير ... فلا الفلاح يفضله الامير
ولا الانساب تعلو في بلادي

وسكت الصوت !

فقلت : من انت ؟ فقال :

انا الوجدان والحسب الرفيع ... انا الراعي اذا سلم القطيع
انا عرق الحياة بي الجميع ... تساووا ، لا اباع ولا ابيع
انا ملك يشرفني عبادي

فقلت : عرفت من انت ايها المتكلم بلسان النبلاء . عرفتك على جبين صلاح الدين وفي جراح بايار وصرخة بارا . ولكن فيم آثرت الاحتجاب في هذا المنفى الموحش على الظهور في النـاس ؟

فاجاب : بيتي غير البيوت التي يأويها اولئـك الوصوليون من ابناء النعمة الحديثة ، الحريصون على اثوابهم الجديـدة ، الدالعون السنتهم ، المتوهجون لاصنام الذهب والفضة ، القابضون الرشوة ، المرهفون آذانهم لاخبار الدم ، الفاتحون اعينهم لرؤية الشر . ولما رأيت شعاري ينتقل من قلب الانسان الى ثوبه حجبت وجهي كبراً وانفة وتركت للناس قول المعرّي :

لو عرف الانسان مقداره ... لم يفخر المولى على عبده
مـا رغبة الحيّ بابنائه ... عمّـا جنى الموت على جده
ومجده افعاله لا الذي ... من قبلـه كان ولا بعده

وسكت الصوت !

فقلت : ايها الشرف ، طهرني من قذري وادراني لاستحق ان ادخل تحت سقف بيتك :

* * *

وبعد قليل رأيتني امام باب عليه نقوش تمثـل بائسي فيكتور هيغو، ورأيت يداً تفتح الباب وتشير اليّ بالدخول فدخلت. دخلت الى هيكل عجيب لا يدرك الطرف آخره لاتساعه ، وفي قلب هذا الهيكل رأيت اعمدة حية يحمل كل منها لوحة كتب عليها : اصنع الخير لاجل الخير . احبب قريبك كنفسك ، الزكاة اخت الصلاة . انما المؤمنون اخوة . وبين هذه الاعمدة رأيت تمثالين احدهما يمثـل القديس منصور بولس والاخر فيكتور هيغو . ومن هـذا الاخير سمعت صوتاً يقول :

وضع الله هذه الدرجات ... في حظوظ تباينت في الحياة
بعضهم رازح بثقل الرزايا ... وقليلون هم اولو اللذات
ايها الاغنياء ، ان الشرائع ... بنيت للاخاء لا للمطامع
فاحذروا في امساككم كل جائع ... ان في الجوع مكمن الثورات
وعليه يشاد صرح العظائع

ايها الاغنياء أعطوا الفقيرا ... فالزكاة الزكاة اخت الصلاة
رب فلس يعطى يشيد قصورا ... في سماء الاله ذي الخيرات
عندما تبصرون شيخاً مصابا ... لا تميلوا عنه الوجوه غضابا
وافتحوا بابكم لبلواه كيلا ... يوصد الله عنكم الابوابا
ايها الاغنياء اعطوا لئلا ... يضرب الله نسلكم فيقلا
لا تضنوا تعطوا حياة ونسلا ... فالرغيف الذي يريح العذابا
هو اسمى من النذور واغلى

خففوا ، خففوا من الاثقال ... وازيلوا الشقاء والاوصابا
تتراءى احلامكم في الليالي ... كطيوف الرؤى العذاب عذابا
ايها الاغنياء ، خلوا الحنانا ... من غناكم يفجر الاحسانا
ربما يبسم الفقير ارتياحاً ... ويقول : « الغني قد اعطانا ! »

وسكت الصوت !

فقلت : عرفت من انت ايها المتكلم بلسان الرحمة . عرفتك في البائسين من ابطالك ، في تشرد جان فالجان وبراءة كوزيت ، وفي جمال ازمرلدا وادمامة كازيودو ! ولكن فيم آثرت الاحتجاب في هذا المنفى الموحش على الظهور في العـالم وهو اليوم في اقصى الحاجة الى صوتك الجميل ؟

فقال : لقد رسمت للناس طريقين احداهما تؤدي الى البشاشة والاخرى الى الجمال . ولما رأيت الناس يحتقرون حكمة جوانبلين لانه مشوه ويحترمون قباحة الروح في جوفيانا لانها حسناء ، ورأيتهم يؤيدون الطاعة العمياء والواجب الظالم في الشرطي جافير لان هذا الواجب وتلك الطاعـة يوائمان اغراضهم واطماعهم ، وينكرون الرحمة على فالجان لانها تنتزع منهم القليل من اشيائهم الكثيرة ، حجبت وجهي كبراً وانفة .

وسكت الصوت !

فقلت : ايتها الرحمة ، طهريني من جشعي وادراني لاستحق ان ادخل تحت سقف بيتك !

الياس ابو شبكه



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عيد الربيع

في جبل العلويين

بقلم م . ل . سفاريا

◆

تقام كل سنة ، في انحاء مختلفة من بلاد العلويين ، حفلات تقليدية ابتهاجاً لانقضاء فصل الشتاء الذي يغلب ان يكون قاسياً في الجبل ، ولحلول فصل الربيع مبشراً بما يحمله من خيرات . ولقد كان لعيد الربيع هذه السنة طابع خاص وشأن عظيم في « الجبة » حيث يقيم الزعيم الكبير صديق فرنسا سليمان افندي مرشد الذي دعا الى حضور العيد بعض كبار الشخصيات من الحلفاء . وقد لبوا الدعوة مبرهنين عن شعور الولاء والصداقة الذي يضمرونه للعلويين .

كان بين الحضور الجنرال مونكلار الذي عرفته بلاد العلويين كابتناً سنة ١٩٢٠ . وكان الجنرال كاترو المندوب المطلق الصلاحية ممثلا في شخص السيد ليبيسيه الوزير المفوض والسكرتير العام للمندوبية الفرنسية الحرة . واوفد الحلفاء البريطانيون حضرة البريغادير الاسترالي وندير . وبينهم شوكت بك العباس محافظ اللاذقية ، والسيدة عقيلة الجنرال دي لارمينا ، والسيد مكدونلد مندوب جمعية الصليب الاحمر الاميركية في الشرق ، والكولونيل عبد الوهاب والكومندان طمب . لقد كنا نعلم ان الحفلات التي ستقام في الجبة ستضم

وفوداً غفيرة من الاهلين القادمين من كل حدب وصوب ، واننا سنشهد ضروبا من الرقص وسنسمع الواناً من الغناء لا مثيل لها في بلد من البلدان . لذلك شاءت مصلحة النشر والاذاعة في المندوبية الفرنسية الحرة ان تساهم هي ايضا في اظهار رونق العيد فأوفدت احدى آلاتها السينمائية ومصوريها ورجالها الفنيين .

غادرنا اللاذقية في الصباح الباكر .

قيل لنا ان الطريق التي تصعد الى الجبة عسيرة شاقة طويلة . لكن المناظر الطبيعية الساحرة التي ملئت ابصارنا كانت جديرة بان تشغلنا عن طول الطريق ومشاق السفر . وهكذا بعد وقت قصير انتقلنا من اخصب السهول الى اودية مهولة وقمم جرداء يخيل اليك معها انك اصبحت في عالم آخر لا عهد لك به من قبل . ثم لم نلبث طويلا حتى اخذنا نشاهد طوائف من النساء والرجال بثيابهم الزاهية الالوان المختلفة اي اختلاف عن الوان الحجارة الباهتة . كان النساء يقفن او يقفزن الى جانب الطريق الضيقة من سيارتنا كأن السيارة وحش مفترس .

لكن لا تعتم الابتسامة ان ترتسم على وجوههن وفي الوقت نفسه كان الاولاد يرسمون باصابعهم حرف (V) الذي طوف الافاق حتى اكتسح هذا البلد البعيد . وأخذ الزحام في الازدياد ، فعلمنا اننا بعد مسيرة ساعتين قد اقتربنا من الغاية .

وانحدرنا في الوادي ثم صعدنا الجبل المقابل حيث كان بانتظارنا فرسان جاؤا لمواكبتنا الى منزل الزعيم سليمان افندي مرشد . وكانت الجموع من رجال ونساء واولاد على جانبي الطريق يحيوننا مصفقين بالايدي : الرجال بكثير من الحماسة والنساء والاولاد بكثير من الزغاريد الفرحة ووصلنا الى الساحة حيث خرج لاستقبالنا صاحب الدار مصافحا ايانا فرداً فرداً .

لقد استمر المهرجان يومين كاملين وكان الثاني منهما مخصصاً لاستقبال الشخصيات الرسمية التي بلغت الجبة ظهراً فتلقاها عند مدخل القرية سليمان افندي مرشد وابنه ومحافظ المنطقة والشيخ على نصر وجماهير غفيرة









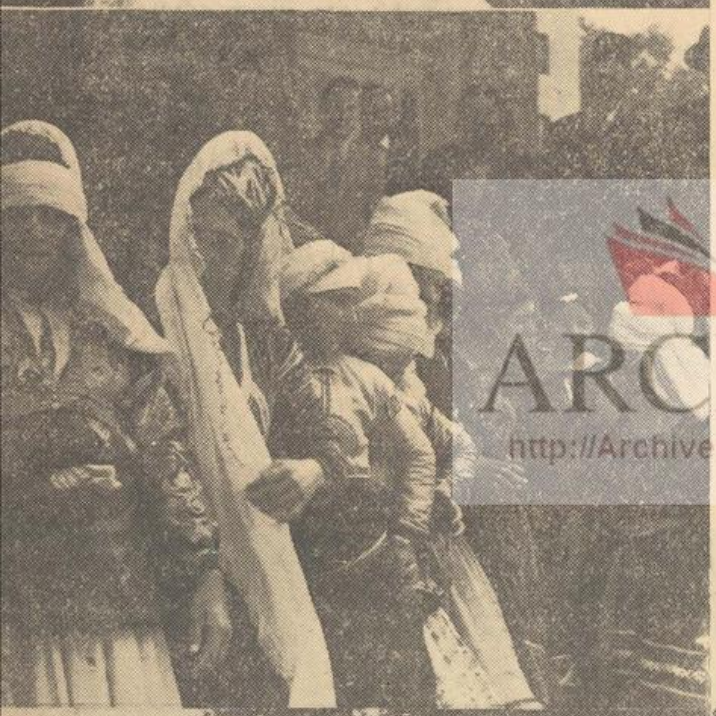
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الاهلين الذين كانوا يظهرون ابتهاجهم بالهتاف والتصفيق . وفي دار سليمان افندي مرشد ، من شرفة الطابق العلوي شاهد المدعوون الوانا من الرقص القروي «الدبكة» الجميل .

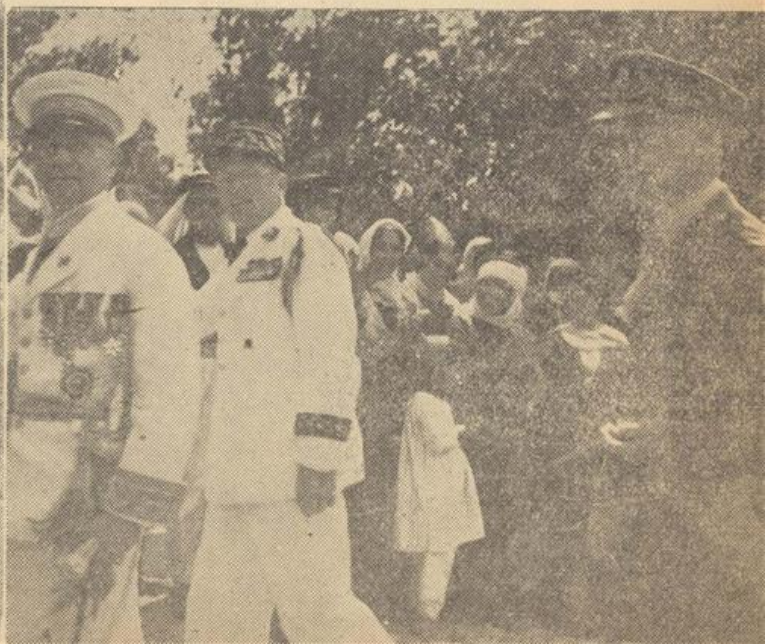
وبعد نحو ساعة دعي الحضور الى مأدبة انيقة حوت ما لذ وطاب من طعام وشراب . وألقى ابن سليمان افندي مرشد خطابا بالفرنسية حيا فيه الفرنسيين الاحرار وحلفائهم باسم والده الجليل وباسم رجاله ومريديه منوها بصلات الصداقة والولاء التقليدية التي تربطهم بفرنسا الحرة وحلفائها . فأجاب الوزير المفوض السيد ليبيسيه شاكراً كرم ضيفه واحتفائه بهم معربا عن ابتهاجه بان يرى منطقة العلويين التي عرفت فيما مضى كثيراً من العسكريين الفرنسيين كالجنرال مونكلار والجنرال بيلوت والليوتنان سوبار ما زالت تحفظ لهم اجمل الذكرى وان هؤلاء الرجال كانوا بمثابة صلة الوصل بين العلويين والفرنسيين لا تفتأ تتوثق يوماً بعد يوم .

وبعد انتهاء الغداء توجهت طائفة من المدعوين يرافقهم سليمان افندي مرشد الى









ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الى مرتفع « الشعرة » حيث شهدوا من وادي العاصي منظراً لا لا يعدوه منظر آخر روعة وحسناً .

ثم كانت العودة الى اللاذقية وقد ودع الجميع سليمان افندي مرشد مظهرين شكرهم له هذه الحفاوة السمحة .

وفي المساء نفسه استقبل الوزير المفوض السيد ليبيسيه في دار المعتمدية الفرنسية الحرة شخصيات اللاذقية الدينية والمدنية واقام على شرفه الجنرال مونكلار المندوب لدى محافظة العلويين مأدبة عشاء حافلة .

ومما يجمل ذكره هنا ان المستر مكدونلد مندوب جمعية الصليب الاحمر الاميركية كان ضيفاً على سليمان افندي مرشد طيلة مهرجان الربيع ، وقد علمنا انه وزع في بلاد العلويين خلال شهر ونصف الشهر احد عشر الف كيس من الدقيق وكميات وافرة من الفصوليا والعدس وسائر الحبوب .

وها نحن نقدم الى قراء « الاديب » طائفة مختارة من الصور المأخوذة في رحلتنا .

م. ل. سفاريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الاحداث السياسية والحربية في شهر

لا نزاع في ان اهم الاحداث الديبلوماسية العسكرية التي تخللت شهر نيسان المنصرم هي المباحثات الاميركانية الانكليزية التي دارت في لندن بين الجنرال مارشال ، رئيس اركان الحربية الاميركانية ، ومستر هنري هوبكنس ، مدير قانون القرض والتأجير الاميركاني من جهة ، واقطاب السياسة والديبلوماسية والصناعة في انكلترا من جهة اخرى . ومما لا شك فيه ان الجانب الاكبر من هذه المباحثات دار حول مسألة الهجوم الذي اعتزم الحلفاء القيام به . وكان قد سبق للمارشال ان لفظ خطبة في الاولستر لمّح فيها الى مقررات على جانب كبير من الخطورة اذ قال ان القوات الاميركانية ستتعاون مع الحلفاء في الهجمات المقبلة وان هجوم الحلفاء الكبير سيبدأ بالهجوم الجوي . وما كاد الوفد الاميركاني يعود من لندن الى واشنطن حتى واصل المباحثات العسكرية والسياسية والاقتصادية التي اجراها في العاصمة البريطانية . وتقول المقامات الديبلوماسية الاميركانية ان مباحثات واشنطن ليست تكراراً لمباحثات لندن بل هي تكملة طبيعية لها . ومن اروع مظاهر الاستعدادات الهجومية التي يقوم بها الحلفاء الهجوم الموفق الذي شنه البريطانيون على سان نازير وبولونيا في فرنسا ، وكان دليلا على خطأ اعتقاد القادة الالمان بأن القوات المرابطة في انكلترا لا تستهدف الا الدفاع عن الجزر البريطانية . فهذه القوات معدة في الواقع لمهاجمة شمالي فرنسا والمانيا ، هذا الى ان القوات الجوية الانكليزية الاميركانية قد شرعت بمهاجمة المانيا ، ولكن هجماتها الحاضرة ليست شيئاً بالقياس الى هجماتها المقبلة ، ذلك ان الحلفاء لن يسمحوا للالمان باطلاق كل ما لديهم من القوى على روسيا . ويرى الخبيرون العسكريون ان هتلر لن يستطيع حصر جيشه في اية منطقة من مناطق الجبهة الشرقية بدون ان يعرض الجبهة الغربية لخطر كبير .

في الميدان الروسي ولا يزال قسم كبير من الخبيرين يعتقد انه بالامكان كسر الالمان في هذه السنة وان جهود الحلفاء يجب ان ترمي الى هذه الغاية . ويرى هؤلاء الخبيرون ان روسيا هي اهم جبهات الحرب وان الضرورة توجب تنظيم الجهود لتعزيز هذه الجبهة الى الحدّ الاقصى . ويظهر ان القادة الاميركان اصبحوا مقتنعين بأن الجبهة الروسية هي اهم جبهات الحرب ضد هتلر ، ولذلك رأينا قضية مساعدة الروس تشغل جانباً كبيراً من المباحثات الانكليزية الاميركانية التي دارت في لندن وتدور الآن في واشنطن . والامر الذي يسترعي الانتباه هو هل يقدم الالمان على شن هجومهم الكبير على روسيا في الاسابيع المقبلة ام يقررون البقاء في موقف الدفاع ؟ فان يكن هتلر يقول بالهجوم فثمة عدد كبير من القواد الالمان يقولون بضرورة الاقتصاد في القوى . وان في ترك القائدين الالمانيين لويب وروفوستد الجبهة الروسية الى اوروبا الغربية وترك المارشال الالماني كايست اليونان الى زوجما يحمل على الظن بأن المانيا ستقرر البقاء في موقف الدفاع بروسيا واوروبا البعيدة لتنشط الدفاع ضد هجوم من انكلترا وفي افريقيا . على ان الروس يواصلون الزحف وقد ادركوا فوزاً جديداً في منطقة الشمال حول لنينغراد وفي جيب سمولنسك . وتحشد القيادة الروسية قوات غفيرة في اوكرانيا وفي الجنوب وفي فولغا السفلى وفي حوض الدونيتز وشبه جزيرة كرش ، بينما الالمان يبنون بسرعة جسوراً على نهر الدنيبر وينشطون غاراتهم الجوية على مرافىء القرم والقوقاز ويرسلون مدداً الى اوكرانيا لاحباط خطة المرشال تيموشنكو الذي يقوم سداً دون النفاذ الى القوقاز . ويروى الروس ان هتلر لن يستطيع اطلاق مئتي فرقة ضدهم في هذا الصيف لان الرومانيين والمجر والبلغار والطليان لا يقدرون على توفير العدد الموعود به من الجنود ولان القيادة الالمانية مضطرة الى ارسال امدادات الى زوج وفرنسا وهولندا ويوغسلافيا .

في الشرقين الاقصى والاوسط اما في برمانيا فاليابانيون يريدون احراز نجاح حاسم قبل ان يدهمهم فصل الرياح في منتصف نوار الجاري فيشددون الهجوم في جبهة سلوين ، ولكن الصينيين صامدون وهم ينزلون خسائر فادحة بالعدو . وفي الجنوب شنت القوات الصينية هجوماً جديداً افسح للانكليز السبيل الى اصلاح خطوطهم على نهر بنشونغ . ويسعى الحلفاء لتنظيم الدفاع عن جبهتي سلوين والايراوادي . وتشتد الحرب الجوية اشتداداً كبيراً في جميع الجبهات ، فقد ضربت القاذفات الاميركانية طوكيو ويوكوهاما وكوبي وناغويا ، واعلن وزير حربية الولايات المتحدة ان الهجوم الاميركاني العام على وشك الانطلاق .

واما في الشرق الاوسط فالعمليات تقتصر على اشتباكات بين الدوريات لا تنسم ببوادر التحوّل الى معارك واسعة النطاق . ويبدو ان الغاية التي يرمي اليها الجنرال الالماني روميل هي وقاية مطاراته القريبة من متناول الدوريات البريطانية الجسورة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النجاح

لا يكاد امرؤ يخوض معترك الحياة حتى يوجه عقله الباطن نحو هدف من الاهداف قد لا يكون رآه رأي العين ، او اعمل فيه الروية .

ان المجد على مختلف انواعه ينحصر في النجاح — النجاح الذي يحرزه المر. بسعيه ودأبه . وضروب المجد متعددة ، فلكل صناعة او حرفة مجدها . على ان مجد الطبيب ليس كمجد المحامي ، ولا مجد الشاعر كمجد المهندس ، ولا مجد العالم كمجد قائد الجيش .

وانه لمن الخطل في الرأي التوكل على الصدف او الظروف في احراز النجاح . فالصدف تساعد وتواتي ، لكنها لا توجد شيئاً من لاشي. ، والنجاح هو ثمرة السعي والدأب والاخلاص . وايما رجل اخلص لمهنته ، لا عملا بالواجب فحسب ، بل حباً بهذه المهنة ايضاً ورغبة في اتقانها ، يؤاتيه النجاح ، ومن واتاه النجاح احرز مجداً .

وليس هذ النجاح وليد يوم ، بل هو نتيجة المثابرة على التجويد بعزيمة ثابتة ومحبة خالصة ، تسهلان المصاعب وتمهدان الطريق . وهكذا فنحن لا نيأس لفشل ، ولا نقف عند صدمة ، ولكن نعيد الكرة مرة بعد مرة ، متحاشين اسباب الفشل الاول .

يحكى ان اديباً عربياً معروفاً هبط ، قبل الحرب الماضية ، بيروت ، كي يلقي محاضرة في جامعتها الاميركية . وشاء الاديب ان يعرف مكانته في حاضرة العلم والادب . فدخل على كتبي وساله قائلا :

« أين يمكنني قضاء سهرة مفيدة ؟ »

فاجابه الكتبي :

« قرأت في الصحف ان فلانا سيلقي هذا المساء محاضرة في الجامعة الاميركية . ولكني اؤكد انك ثمة ستتأم عيشك . فاذا عملت بنصيحتي ذهبت الى قهوة كوكب الشرق حيث تشاهد رقصاً عاريا ، وتسمع «طقاطيق» مفرحة ، وهكذا لا تخسر سهرتك » .

ولا شك في ان هذه « النصيحة » لم تثبط من همة اديبنا الكبير ، والا لم يبتسم لها ، ثم يقصها على معارفه وخلانه .

اما الكفاية فجوهر واساس ، لكنها ليست كل شيء ، اذ هناك فضائل اخرى ينبغي ان يتحلى المر. بها . ولو ان لافكارنا واعمالنا اجلًا ، كما لاعمارنا ، لما كلف امرؤ نفسه مشقة الدأب والجهد . فالناس جميعا ، على اختلاف طبقاتهم وامزجتهم ، مسوقون بحب البقاء الى ترك أثر في الحياة . وكلما عظمت هذه المحبة كانت ادعى الى شرف النفس ، ونبل المقصد .

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ادب الحرب

بقلم ميشال ابو شهلا
صاحب جريدة الجمهور

◆

لقد خيل الينا، غداة دوى نفير الحرب، انه حيل بيننا وبين الادب، وان صناعة الادب في زمن الحرب تشبه حفلات الطرب في دار محزون، فهي شيء تميل عنه النفس وتمجه الاذواق ويخرج عن حد الزي الرائج.

لذلك أحست الاوساط الادبية، فور اندلاع الحرب، بكساد يسود بضاعتها، وسكون يشيع في مجالسها، وتقلص يصيب اقلامها، وجمود ينزل بقرائحها. وليس كالفكرة الخاطئة في ساعة السريان، ولا أعدى من الرأي الفاسد اذا اطلق في جو مسترهل.

على ان هذا الاحساس المترنح الذي ولد في ظلال المدافع والطيارات وعلى وهج نارها وبخارها، ونما بين اشباح المخاوف والمخاطر، وترهّف تحت مطارق الصراع الدامي، لم يلبث ان اعيد الى روعه وتبدد ذهوله، فاذا بنا نسترد يقظة الادب التي ملأت حياتنا قبل الحرب تغاريد عذبة، وفيأتنا بدواليها المسكرة.



فاستقبلنا اليقظة كأنها نار التدفئة او كأنها مشاعل البشرى تتداولها الايدي فوق قمم الجبال لتحيي عائداً او تستقبل جديداً.

ولقد كان خطأ فادحاً ان نعتقد بان جو الحرب انما يصلح لصحف الاخبار، وان الادب يجب ان يستكن بانتظار النهاية.

فهل يعقل ان تستكن نفس الاديب في جو كل ما فيه صاخب؟

وهل يستطيع الاديب سكوتاً وكل ما حوله ينساديه الى العمل ويلهبه ليتقد شرارات متطايرة في فضاء الحياة؟

أيجمد الاديب في زمن تتطاحن فيه الامم وتتكالب المطامع وتتزاحم الانسانية في طريق التنازع؟

واذا سكت الاديب وكسر قلمه، فمن يصور لنا مصارع الامم الصغيرة ونحن واحدة منها؟

من يصور لنا هذه الشهور والايام التي نعيشها بين تيارات مرسلة من الآمال والآلام، وبين نزوات مختلفة من نفس حساسة تتراوح بين الحماسة والشجاعة والجبن واللامبالاة، ثم تنكفيء على ذاتها، فتحس الضعف والخور امام مادية العالم القوي؟

من لنا غير الاديب يلهب في نفوسنا شعور الحق بالحياة، ويستلهم الحرب معاني البطولة والقوة، يرسمها صوراً لابنائه جيله ويوزعها غذاء لقرائه؟

لقد كان ادبنا الحديث بحاجة الى شيء يصقل فيه النزعة الى القوة، ويلونه بالوان الدم والجهاد وتضحية الفرد للمجموع والجماعات للامة، ويرهف الاذان لموسيقى الحرب والحماسة الوطنية.

ان نفوسنا لفي عطش الى الى ادب القوة، بعد ان ملأنا الكتب بادب الغرام والدموع والهجرة والعودة ومهازل النزاع الصغير ومآسي الحياة الهزيلة. ان في هدير الطائرة وقصف المدفع وانفجار القذيفة وانهيار المنازل وتناثر الاشلاء، كما في صراع الاحقاد والاطماع مجالا ذا سعة لادب جديد يستوحي من الهدم ليبني، ومن الموت ليولد، ومن الدم ليصور، فهو ادب القوة والانشاء والاخلاص.

ميشال ابو شهلا

صفحات من المفكرة الريفية

بقلم امين نخله

درب الريف « من باب : على درب الريف »

الدرب في الريف غير الدرب في المدينة ! فهي التي تنهض من وهدة الى ربوة ، وتدور خلف شجرة ، وتعرج على عين ماء ، وتتوقف في ظل حائط ، وتنطرح على باب بيت — تمشي على هواها ، والدرب في المدينة تمشي في خط مستقيم ...

والدرب في الريف بيضاء تتلوى في خضرة ، وهي في المدينة سوداء ، فاحمة ، يعوزها الشجر ، على الجانبين ، لتأنس بعض الانس ، فوق ذلك السواد الطويل !

وعلى دروب الريف تعرف عابر السبيل من وقع خطوه ، وعلى رصفات الشوارع تتشابه الاقدام ، جميعاً ، في الحركة .

وكل درب في الريف قديم . فيقال عندنا : فلان حوّل دربه عنا — يعنون انه غيّر عهده . او يقولون فلان حوّل الدرب الى جهة كذا — يعنون انه غير معالم الحد ، وخرج على القانون .. لذلك تجد الدروب الريفية محطات للتذكر : فها هنا زفت عروس وهناك خرجوا بنعش ، وهنالك وقفوا ، ولوحوا بالمناديل ..



امين نخله في دمشق ربيع ١٩٢٩ من مجموعة رأفت الخاصة

خيمة البركة « من باب : على ذرب الريف »

في الريف ظلان يحاو لظهر الارض حملها : ظل الشجرة ، وظل الفلاح . يدل الاول على ان التربة جيدة ، ويدل الآخر على انها تعطي ، فلا ينبغي ان تترك . فكأن ظل الشجرة وفاء من الارض للفلاح ، وكأن ظل الفلاح وفاء منه للارض !

والشجرة في الغابة كالرجل في الشارع : لها الف نظر . فاما حين تنفرد في حقل ، او على رابية ، او عند منعطف طريق ؛ فهي حينئذ ملعب الريح ، وملتقى الطير ، ومائدته ، ومرقص مناقيره بين الورق والثمر ..

« المفكرة الريفية ، لفؤاد افندي ، كتاب لم ينشر بالطبع ، وهو يدور على موضوع هذه الصفحات التي تحملها (الاديب) الى قرائها اليوم — والكتاب لامين نخله ، وان كان يحمل في صدره انه لفؤاد افندي :

فيا خيمة البركة : هنيئاً لنا بانفرادك !!

العلاقة الريفية « من باب : اخبار ريفية »

تقول للرجل من اهل الريف : كيف بيتك ؟ فيقول : علّية تنهض بين ارياح الاربع ! فتعجب له ، وهو المقيم بذلك السكن الوادع ، لا يأكل الطيب ، ولا يلبس الفاخر ، ولا يجلس على الوطي ، كيف انه لا يتجافى عن مشقة ، ولا يتأبه من قناعة !

ان انديار ، وبقاع المثوى ، وتربة الصبا ، هي التي تحضن الاذواق والانساب والطبائع ، فضلا عن التاريخ المحلي ، الذي يحفظ في نشيج ساقية اكثر مما يصان في جوف كتاب . ففي هذه المروج الريفية ، وكأنها من لجج ، وفي هذه الاشجار ، وكأنها من زمرد ، يعيش واحدهم على الحضر وطول اللبث تعلقاً بقبر دارس ، مثلا ، لا بشجرة غناء ، تقلق في الريح ...

الى اصحاب الذوق البري « من باب اخبار ريفية »

سقى الله المراعي والحشيش ، وايامنا في الجبل بالحمر الفارهة والبراذين الخفيفة ، وزماننا بارخاء فضل الرسن .. فدابة اليوم ترعى في لحظة ، وتشبع في لحظة .. وقفة عند مطفرة البنزين ، ثم تنطلق بك ، لا تعقرها برذعة ، ولا يمضها سفر في نهار اوليل ، بينما انت منها على ثنية الوداع اذا بك في ديار الاحبة على امان الله !

فلله زمن الميكانيك ! الله هذا الزمن !! كرة الارض صغر حجمها ، والجهات دنت ، والمسافات قربت ، وتماوج الناس بعضهم ببعض إلفة . وكيف الفرار من هذا التواصل الجديد ؟ كيف لمن يريد ان لا يأتلف ولا ينغمس ولا يصادم الاكتاف ان ينكمش عن الناس ويأوي الى معاهد نفسه ؟!

يقال في النبات : بري ، لخلاف البستاني ، ويقال في الحيوان : بري ، لخلاف الاهلي — فياذوي الذوق البري من الناس : أين تراكم تعتزلون اليوم ؟

الريف في المدينة

التفاحة، عند بائع الفاكهة تبكي على امها، وتذبل على ذكر ايامها في وطن التفاح ! وربما اطلت من قفة القصب بخدها الاحمر وهي تكاد تقول : ارحموني من نهش وعض !

اما بواكير التفاح فهيهات ان يجد بائعها مشترياً يغرز اسنانه في خدود اطفال الثمر ولا يبالي ..

وعند بائع الزهر تطالعك الوجوه المدورة من كل لون ونوع كأنها عرفتك ! او كأنها حسبتك قادماً من الجبل لساعتك . فتكاد تسألك عن شقائقها في بعض الوهاد وتغمزك في ذلك باطراف عيونها — مخافة ان يراها صاحب الدكان !

ثم ينكمش قلبك على تلك الزهرات المقطوفة وقد فارقها الشذا واقامت بآنية الغربة تنتظر رحمة الله ..

اما العنب في دكان الفاكهة فهو ظروف الحلاوة يدبق وينضح ويكاد يقطر الى الارض — فاياك ان تمسه يلصق باصابعك . اصبح العنب في المدينة لا يصح ان يفضى اليه باليد من غير حائل ، وقد كان في الريف وهو حبوب الرقة التي تجري مع الريق !

واما البطيخ الجبلي فيعجبني منه عناد رؤوسه في زاوية الدكان ... والقثاء الطويل منبطح في الارض ، من الغيظ ، على فرقة عصي النواطير !

واللوز الاخضر — وهو من جلب الجبل ، كأنه حبوب ربيعية ، توزع في المدينة كما توزع البركة ..

والديك ، وهو فحل المصطبة ، اصبح في قفة ، عند بائع الدجاج ! ومن ذا الذي يصدق ان الصبح ، في الجبل ، صار يطلع بلا احتياج الى صياحه ؟

وأين ميزة التيقظ ؟ أين عين الديك ؟ وصيحة الديك ، يا باعة الخير ؟! .

ويا سجين القفة : ان صديقتك ، في الجبل (الدجاجة البيضاء) ، حرام عليها صحن الدار ، من بعدك !

وعند الصيدلي (يختبئ ....) البنفسج ، في بعض الاوعية — لا يترك شيمته الحلوة ، وان اصبح في بضاعة العافية !! فهو (يشفي البطون من الكظة ، ويدخل عليها الانتعاش) .

فيا عجباً لذلك المتواضع ! يقيم بين قناني الزجاج ، فلا يضرب برجله من الانتفاخ والتعظم ، على انه دواء العيون ، وهو رطب ، ودواء البطون ، وهو يابس ...

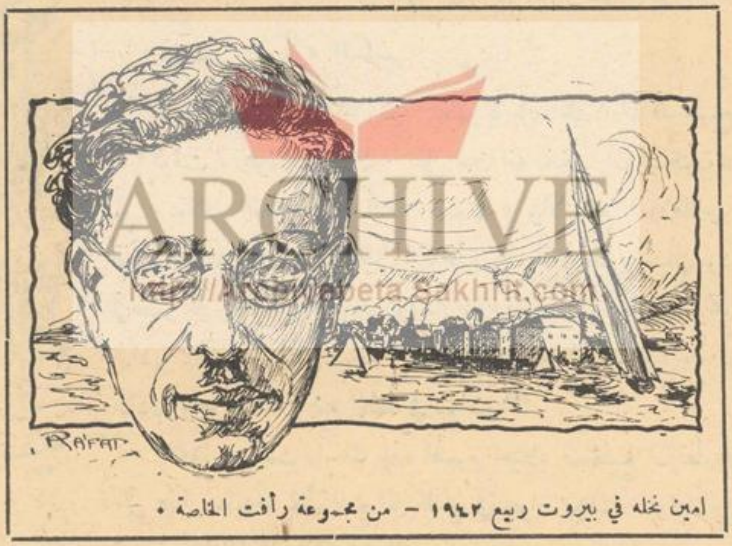
والعصفور ، بطل الحرية ومقلق الغصن ، اصبح في القفص ، عند بائع العصافير ! هو ابن الجبل وبلاد العالية ، وقع في اليد ! يقال في المثل : (صيحة في واد) ، وفي هذا المقام يصح تغيير المثل — كرامة لعيني العصفور : (صيحة في شارع) ...

وأين الحرية التي ترجح عند العصفور ، بالاهل والروح ؟! اين التطويف ببلاد الجبل ، والسقيا من ماء العيون ...

الطبيعة الخلابة

« من باب : بين الريف والمدينة »

اذا كانت المدينة لليوم القائم ، والجديد المتتابع ، فالريف (وهو مناطق الصمت ، واقطار السكون) للماضي ! ها هنا تقف على كل دمنة ، وتبكي من كل ذكرى ، وتقول في كل اثر : كان ذلك والدار جامعة ، والملتقى كثب ... فالريف ، اذن ، باصداء الماضي وتذكاراته ، حرم مهيب — وهو بذا اشهى من ظنك به ماثلا في الحلي والزخرف ! فاذا تقضى زمن المطر ، وجاء الصيف ، قصد الناس بلاد الجبل افواجاً ، ينزلون فناء الطبيعة القديم ، ويخلعون فيه ثوب الزمن الجاري ، وقد ضيق عليهم ، في المدينة ، تسعة اشهر .



امين نخله في بيروت ربيع ١٩٤٢ — من مجموعة رأفت الخاصة .

وان رأس السبب ، في التذاذك بالمعالم الريفية ، وهرعك اليها ، من المدينة ، ملء فروجك ، هو ليس هذه الهندسة الريفية الحرة — لا قيام البيوت والشجر على هوى الباني والغارس ، ولا ذهاب السكك على مشتهاك ، بين افواه الاودية وظهور الجنان . بل رأس السبب في ذلك هو هذه الطبيعة الخلائية التي تحس معها انك شريك لها ، من قديم ، في مخازن النعم — ولطالما عصمتك من فقر ، واعاذتك من هوان ، ورجحت في قلبك ايثار الحرية ...



اغنية العين

« من باب : اغاني ريفية »

يا نعمة لا تتوقف ، ونغمة لا تنقطع : عجباً ليدك القادرة في الليف والخشب ، وفي مهجة الحجر ! ويا زجاجاً صفا ، وفضة سالت — لا غرف ، ولا خوض ، بل قلة ذات بركة ، تفعل فعلها الاخضر في باب الخصب العميم — : في مدك استبحر الريف !

الراديو

« من باب : مقاطع تمثيلية ، تجري حوادثها في الريف »

(فلاحان يتحادثان) الاول — تمنيت على الله ان تصبح علبة الراديو ، وهي صندوق فصاحة ! وذلك بان لا تنفتح إلا على اصوات طبيعية ، خالصة ، قد صفت من كل تدبر . فمن شلال يجلجل في بعض الوهاد ، الى صهريج يبلع الموج ، وشجرة تخفق ، ومطرة تصب ، وديك يصيح على الغيطان ...

الفلاح الآخر — اما انا فاخالفك في هذا ، واتمنى ان تظل (علبة الصياح ...) علبة صياح ابداً ! أفلا يكفي الادب ، من قديم ، مزاحمة التصوير والنقش والموسيقى ، حتى تجيئه بهذا المنافس الجديد ؟! فاذا جلست الى الراديو ، وغمزت زره ، واحسست ان كرة الارض تزلق من تحت اصابعك ، فاشكر الله ، عن القلم ، على ان لذة الراديو تقف عند ذلك القدر ، لا غير ..

عصر الثرثرة الكبير

(الفلاحان نفسهما) الاول — يظهر يا جار الخير ، ان قد اصبح بين الالفاظ والاشياء ، في هذا الوقت ، هوة من البعاد . على حين انه ينبغي ان تكون علاقة اللفظة بالشيء اشبه شيء بعلاقة القطعة من النقد بقيمتها ، والا وقع (الافلاس اللفظي) ، وصار الشيء الواحد يقابل آحاداً من الالفاظ ! وهذه حال لها في ظني اسباب ودواعي . فنحن من زماننا في عصر الثرثرة الكبير : جرائد ، ومسارح ، وتلفون وسينما تنطق ، ومجالس برلمان ، وفي الآخر هذا الراديو الذي لا يكل لسانه . فاذا دامت الحال هكذا جاء عن قريب يوم يصبح فيه الادب وهو صناعة وضع اللفظ في مواضعه !!

الثاني — تتعب رأسك بهذه الهموم حيث تستطيع ان تطرحها عنك ! فما تراه يهمك من كل هذا ، ما دام يقال لنبع الماء الذي في جوار بيتك : اوقيانوس محيط ، وانت حين تشاء تزج فيه رجلك الى الركبة ؟ !!

فصائد ريفية

« غزل »

شرط اللذة في السحر ، والقمر طالع يطمس السروج : ان يكون في النافذة اثنان ، انت والآخر ! اما ان تكون وحدك ، فذاك من ذهاب النوم على القمر — لذا تراني اسد نافذتي كل ليلة ...

عنقود العنب

خذ بيدك ، في شهر ايلول ، عنقوداً من العنب ، وارفعه الى عينيك ، وانظر من خلال الشفوف ، الى نور الشمس ، وتأمل ! لا علبة الجوهري احلى ، ولا خزانة البخيل اشهى من عنقود !!

ففي عنقود واحد من العنب ، ما يملأ العين من السعادة ...

قصيدة في مدح المطر

طوفان الخير ، وهطل البركة : جعلت الريف احلى من الحواشي في ديوان شاعر اندلسي .

مطبوع اشهر الطبع ، بنفقة مستشرق من (ليدن) ... نقش البجاد، ونقط الدبابيج ، يا مطر الفضة !!

دارة القمر تنبي، بمقدمك ، ومهاب الرياح تنفخ البشائر قبل وصولك ، وتفتح الارض بين يديك قلبها ، لتلقي انت فيه سر الخصب !

ويا حبذا فجأة الشؤبوب للنعجة ، عند سرادق الشجر ، وحبذا اغنية النقطة في طرف الورقة وعلى زجاج النافذة ...

ويا ايها المطر ! كأن صوتك من وقوع الدنانير في الارض ، فهو الذي لا يسمع الا عند الخير ! بات النسيم لا يتنهد — شفي من علته ... واصبح العود خفيفاً ، لامعاً ، راقص الورق ، فهو اطرب من مزمار . ولو ان تروي الجوانح يكون من الماء ، لخرج كل محترق القلب واله، يكشف رأسه تعرضاً لهطلك .

وبعد هذا ، فقف عن الهطل ، يا مطر — نجنا من الطوفان ...

اغزال ريفية

(ملتقطة من فم شاعر ريفي دوار)



ألف رغيف ، عند خباز الضيعة ، يدخل النار ، وألف رغيف يطلع منها . ولقد مررت البارحة بالخباز ، فلا والله ما رأيت رغيفاً قد احمر كخدك ، ولا رغيفاً قد احترق كقلبي !

يوم قفلت راجعاً من المرج ، وقد تركت وراءك ذلك البساط الاخضر الذي حركته قدماك ، نهضت زواياه الاربع، تتلفت وتسأل عنك ...

اياك ان تذهب بعيداً عني، فبلاد الجبل واسعة ! تضيع وهيهات ان يدلني اليك من رآك، ولو اعطيته هذه الدنيا ...

واياك ان تخرج في الشمس ، اخاف على ظلك ان يقع في الارض !

واياك ان تقف في حقل جارنا ، الى جانب السروة العالية ، مخافة ان يدعي انك من شجراته !

مظالمات ريفية

ان الشجرة التي تصطفق في الريح — وقد انقطع عارض المطر ، ورفعت النقطة ، وعادت الارض خضراء بآثار الربيع — لا بد لجزورها من ان تتحرك، وان تنشر الطراءة في باطن الثرى ...

وهكذا حشرات الارض يكون لها ، وهي في مارجها العميقة ، ان تجد النعيم على روض مقلوب !

وفي الشجر الذي التقى ونور الشمس ، بجوار الرابية ، اسعد ملتقى — وقد جلت انت من ذلك منظر العين ، وكررت النظر في حقائق الخضرة — تحس بروح الريف !! فجمال يملكه الله وحده ودوام لا ينقطع، وخير لا يفنى ...

ثم تنظر حولك ، فكأنما اصابع خفية قد اومأت اليك ، تريد منك في حضرة الجمال ، ان تتحرك ! فلا تصدق . لا اصابع تومي، اليك ، ولا احد يسألك ان ترقص من فرط الطرب ...

والاوز ! لله ما اطرب اصواتها النحاسية على الماء — فقل في ذلك : ابواق عسكرية ينفخ فيها من لا يعرف النغم ! ففي الريف ، ابواق للعسكر ، ولا عسكر، والحمد لله ...

امثال ريفية

(الصنيع الفني)

للقول ان ما يقع في الحياة يقع في الادب :

— هيهات ، لا يسقط الطير من الجو مشويا !

او تقول :

— يضرب المعول في الارض الف مرة، قبل ان تخرج نبتة خضراء .

(الاجير في الادب)

للقول ان ما يقع في الادب ، لا يقع في الحياة :

— الهر لا يأكل آباءه ، بل يأكل بنيه !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بذور ريفية « للزرع في المدينة »

ولد الفن يوم قالت الحية لحواء : « أطيب اكلة في الفردوس : التفاحة »، بدلا من ان تقول لها : « كلي التفاحة »...

فضيحة اللفظ والمعنى

تسأل الزهرة الشذا — : « مابالك بعيداً عني؟ » فيقول لها : « انا في قلبك! »

« الغموض »

طريق السهولة في الادب تؤدي الى الوضوح .

أي الى اوخم العواقب !

« توزيع القسط بين المعنى والمبنى »

يتعب اللفظ حيث يستريح المعنى...

جماعة القاهرة يظنون ان الصدق في الفن معناه قول الحقيقة !

« فضيحة حفظ النصاب »

قضية التوفيق بين الجملة والتفاصيل هي شغل «فاليري» الشاغل . ولذلك يقال في اوروبة اليوم، ان « جيرالدي » اوضح من « فاليري » .

من التعريف بقرية فؤاد افندي

.. ثم هات اصابعك اعد عليها المحاسن مما حولي :

اسم ضيعتنا — فتكاد تسمع جلبة النهر حين يلفظ ! . والماء عندنا ، في بلاد الجبل ، اوفر اثراً من الضياء ، وابقى شاهداً . فاذا جاء نيسان ، بعد الدجن، وسقيط الامطار، احسن اهل الريف ان زماناً اخضر اللون ، نسيته عيونهم ثمانية اشهر ، قد اقبل من وراء البيوت ، فهو يدخل عليهم ، من النوافذ ، ومن شقوق الجدران ..

النهر — (ذو الكرم الدافق) يسقي على الجانبين، ولا يبخل بقطرة .

درب النهر — تنحدر الفلاحات ، في عشايا الصيف ، بالجرار الحمر ، ويسلن فوجاً غب فوج ، فتغدو الدرب نهراً للاحاديث والغبطة، يصب من الضيعة الى الوادي .. (الدرب التي بين البيوت) — فيها تنقل الاقدام ، الذ النقل، في اثر بعض الخطوات .

خيمة الناطور (في رأس الجبل) فتلتقي عندها العيون في كل حقل .

ريح الجبل — وهي التي تهبط من فوق، تكنس ما بين البيوت .

الحمام الابيض — الذي يصفق في جو ازرق .

مزار الشيخ عز الدين (على الربوة) — تسعى اليه المصابيح في ليالي الجمع . فالشيخ ولي الله ، آمن به وباليوم الآخر ، فاعتزل الناس واطرح الاباطيل . وهو لم يذق الخمر عمره ، فلما مات دفن في وسط الكرم ، على رأس الربوة !

كنيسة مار جرجس — الذي يحبه القرويون كثيراً ، ويحلفون برأس حصانه .

عرائش (السقي) — التي يغنيها اهل الزجل في المواسم ، فتتدلى فيها العناقيد والقصائد !

— العناقيد، يومئذ ..

خضرة السنديان — التي لا اسم للونها في (القاموس) !

الحمر الاحمر — فبين يدينا، في المواقد، في ايام الشتاء، ألف خديلتمع .

ثياب الرعيان ، ساعة يرجع واحدهم ، في عشية الصيف ، بقطيع الضأن — فتعبق من عباءته روائح المراعي والجبال البعيدة !

— قصص الرعيان ، هؤلاء ..

الطواحين التي تهدر بين الاشجار — تهوّم لهذا الجمال الاخضر، وهو من توالي الدهر، كأنه ينعس !

اغصان الشجر — حين تتبادل الاشارات .

سد النهر — يفتح ويسد على هواه، فلا حاجة في ضيعتنا الى وزير من هولاندة ..

السروة السوداء (الصاعدة في الجو) — فكأنها وسط ذلك، لفظة (آه) على الجمال الاخضر ..

امين نخلة



الخيال



لرئيف خوري

نعمى الهوى ياخيالها الزائر ... طفت فآنست وحشة الساهر
منيت قلبي النعيم فيك وكم ... تنفر مني كنفرة الطائر
اشتاق عينيك في سهومهما ... شوق المعنى وحيرة الحائر
لا اقبل اللوم فيهما ، وهما ... عذر لمن ليس في الهوى عاذر
ادن فيا رب نسمة ارجت ... منك فعادت بطيبها الهاجر
دونك صدراً تلح اضلعه ... فمل عليه باشقر ثائر
غلت يد المسك في غدائره ... ونفضت عاطراً على عاطر
وباهت الشمس انها نسلت ... خيوطه من شعاعها الباهر
وغن في مسمعي بضحكتها ... واجل بخد كخدها الناضر
احبها ضحكة مغردة ... اصداؤها في غياهب الخاطر

***

اراك ياليل معجلا فاقم ... واولني نعمة انا الشاكر
وابصر الصبح حث طلعته ... ياليته كان مرة عاثر
بددت يا صبح بهجة السامر ... يا صبح يا مستبد يا قاهر
مالي وللضوء بت اكرهه ... كأنه الشوك يوجع الناظر
كم ذقت من حلو لذة عبرت ... لم يبق الا خيالها حاضر
صدرت عنها بما وردت ، فما ... احسستني وارداً ولا صادر
فبت يغنيني الخيال ، وقد ... عجزت عن لذة بلا آخر
لو ان هذا الخيال دام معي ... لكنه مثل لذتي عابر
يطفو على الليل ثم يغرقه ... في الصبح فيض من السنى غامر
قالوا عن الليل كافر — وهموا — ... يا ايها الصبح انك الكافر

طرطوس — رئيف خوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابتسامة

بقلم امين الغريب

◆

من اجمل العادات التي يجب ان يزرعها الاباء في قلوب ابنائهم، منذ نعومة الاظفار، البشاشة في الوجه والابتسامة على الفم. فان هذه العادة تكون، في حياة الانسان، سبباً كبيراً لنجاحه في كل مساعيه. بل انها قد مثلت وحدها، اهم دور في تقدم البشر وارتقائهم وعمران هذا الكون.

ليس بين الذين يقرأون هذه السطور، من لم تقع له حوادث، تبين فيها اهمية الابتسامة في الحياة. الام تستدعي ولدها بابتسامة على شفتيها. فيسرع اليها. ويترامى على قدميها. واذا عبست له نفر منها. وابتعد عنها. وكل آمر او نهي يصدران مع ابتسامة يطاعان اختياراً، لا اضطراراً. وافضل الاعمال نتيجة، ماعمله الانسان مختاراً.

ولقد دعونا بشاشة الوجه، وابتسامة الثغر، عادة. مع ان بين الناس من يكون ذلك فيهم خلقاً. ولكن من كانت العبوسة في وجهه طبعاً يجب ان يحاول اقامة العادة لديه مقام الطبع. وما حرمته اياه الطبيعة يكتسبه بالاعتياد والتمرن. فالانسان قادر ان يبتسم بالسهولة عينها التي يعبس بها. ومع ذلك ما اقل المتعودين بيننا، البشاشة والابتسام.

بل ان بعض الناس يحاولون بالعكس، تربية العبوسة في ملامحهم. لان عقلهم القليل القاصر، صور لهم ان العبوسة تزرع الخوف منهم، والاحترام لهم، في قلوب الناس. فهم وعقولهم بقية باقية من اجيال الجهل الماضية. ان القوة الحقيقية التي يحترمها الناس، ولا داعي لان يخافوها، لا تكمن بين ثنيات الجبين المقطب، والوجه العابس الشاحب. بل تظهر للنفوس من خلال الابتسام والبشاشة.

الابتسامة بحد ذاتها، لا تكلف صاحبها شيئاً. لكنها تغل له اغلالا جزيلة، تكون في اشغاله، اهم من رأس ماله. والملوك والحكام الذين برعوا وامتازوا في معرفة اسرار التسلط على القلوب، ادركوا ان اسباب الخضوع والانقياد تبدلت في قلوب الرعايا، فعمدوا الى معالجتها بالسلاح الجديد الماضي، وهو الابتسام.

الامير بشير الشهابي الكبير، حكم جبل لبنان خمسين سنة، لم يبسم في خلالها لاحد. وعذره في ذلك ان الناس في تلك الايام، لم يكونوا يعرفون لانفسهم حقاً على امير. فلو ابتسم لهم لعدوا ذلك منه انحطاطاً. اما اليوم فقد تغيرت الحال. وصارت بشاشة الوجه في الحاكم، اول دليل على صلاحه للحكم. والناس يديرون ظهورهم بلا اكتراث، لكل حاكم، او موظف كبير او صغير، يسوقه الغرور الى توهم القوة في منصبه، محصورة في قطبة زرية بين عينيه.

قيل لملك الانكليز، المرحوم ادوارد السابع ابن الملكة فكتوريا — وكان مشهوراً بالكياسة، والمهارة في السياسة: «ما اشد ما لقيت في ادارة العرش البريطاني؟» فاجاب: «ان تضطرني الوظيفة الى حضور الحفلات واضراسي تؤلمني». وحكاية ذلك ان واجبات الملك، ان تظل الابتسامة على وجهه في الحفلات. لان اقل عبوسة منه، تتخذ دليلا لدى الاحزاب على استهجانه لما هنالك من خطط سياسية. بل قد تقتل في اذهانهم مشروعاً تتعلق به مصالح كبيرة. ولم يكن الالم في اضراسه، مما يجوز اتخاذه عذراً على ذلك. بل كان لا بد له من الابتسام، تحاشياً عن اثارة الظنون لمغزى غير مقصود.

ارباب الجدل والمنطق يعرفون، ما للابتسامة من قوة غريبة في تضييق السبل على المجادل الغضبان. فان كل البراهين والحجج تسقط امام نكتة ظريفة، تغشاها ابتسامة لطيفة.

التاجر في شغله — وكل صاحب شغل على الاطلاق، هو احوج خلق الله، الى عادة الابتسام والبشاشة. واكثر التجار، في بلادنا، يجهلون ذلك. لكنهم يجهلون ايضاً مقدار الخسائر الواقعة عليهم، من هذا الجهل. ان من يدير اعمالا واسعة، بواسطة عمال كثيرين، يتعرض غالبا لامور تجلب العبوسة والكدر.

ولكن الرجل القدير الصبور، يعرف انه ليس من القوة في شيء، ان يضحك الانسان ساعة الطرب. وان يهش ويبش عند رواق الامور في عينيه. بل اذا تراكمت البضائع في المخزن، ولم يجيء من يشتريها. ووقف العمال في الزوايا، ولا طلبات يشتغلون فيها، فعندئذ يعرف التاجر البارع، من الخامل. والعاقل، من الجاهل.

تاجر يصابح محله، باسم الثغر وضاح الجبين. فيبادر عماله بتحية خارجة من قلبه، لا من طرف لسانه. وفي بحر النهار، لا يعدم وسيلة لقول كلمة صغيرة، لكل منهم، تخفف اتعابه وتشرح صدره. هذا هو التاجر الذي يسرعماله بحضوره ويغارون على مصلحته في غيابه. وتاجر يدخل المخزن، عابساً كالح الوجه مقطب الجبين، يريد قبل كل شيء، ان يمتع نفسه الصغيرة، بلذة الرئاسة والسيادة والتحكم. يريد ان يشعر الذين حوله، بانه علة وجودهم على الارض، لا رزق لهم بدونه ولا حياة. ولا يكاد يقفل الباب وراءه، حتى يعترض اولا على الباب. وثانياً على الكرسي. وثالثاً على ترتيب البضاعة.

ورابعاً على الدفاتر . وسادساً على هذا . وسابعاً على ذاك وذلك وهلم جرا . فلا الحسن يرضيه ، ولا القبيح محتمل لديه . واذا لم يجد في سير الاشغال ، ما يعترض عليه ، اخترع من العدم وسيلة للاعتراض ، وتحامى اسماع العامل كلمة استحسان ، مخافة ان تغره بنفسه وتلويه عن واجباته .

هذه النفس الصغيرة ، لم يخلقها الله للسيادة . بل للعبودية . لكنها وجدت في قالب السيادة ، كما توجد الاشياء حيناً في غير موضعها . . فكم من نفس صعلوك حقير ، تسكن في هذه الدنيا ، جسد امير خطير . وكم من نفس امير ، في صدر مسكين فقير ! .

ان النفوس الصغيرة لا تعرف قيمة النفوس الكبيرة . بل تشك في امانة الناس ، وتخاف من كل مساعد لها ، ان يختلس اموالها . ذلك هو التاجر الذي لا يسم لضيوفه وعماله . ولا يحسن بالبشاشة اهارة اعماله .

ان هذا التاجر ، اذا دفع لعماله اكبر المرتبات ، استصعب لقيان من يرضى بالعمل واياه . واذا عرض بضائعه بارخص الاسعار ، لم يجد من الشارين اقبالا . لان كسب المال ، على تكالب الناس احياناً عليه ، ليس دائماً وابداً غايتهم الوحيدة في الحياة .

الشاب الذي يحب فتاة جميلة الوجه ، قبيحة اللسان ، لا يلبث ان يمقتها ، رغم جمال منظرها . والتاجر الابيس لا يحتمل الناس معاملته طويلا ، بل يتخلون عنه ، وعن المكاسب المنتظرة منه .

والابتسام على وجه العامل يفيده ، كما يفيد صاحب العمل . ونعني بالعامل ، جميع المأمورين على الاطلاق ، من اكبر دوائر الحكومة ، الى المعامل والمخازن ، الى جميع الاماكن التي يدخلها الناس للاخذ والعطاء . فمهما يكن العامل كاتباً بارعاً ، او بياعاً ماهراً ، او حاسباً ضابطاً ، فكل ذلك يحسب له نصفاً ، في نظر رئيسه ومعامليه — وملامح وجهه ، النصف الآخر . لا بل الابتسام في وجه العامل ، يفوق في التعديل قيمة المعارف التي في رأسه . ولذلك لا يرجى نجاح في مضمار الحياة ، لشاب تبلغ منه الانانية حد ازدراء الاخرين .

ذلك الذي يتولى عملا ، فيتوهم ان عليه فقط قيام ذلك العمل . وان ما حشرت المدارس في رأسه من الصرف والنحو ، واللغات الاجنبية ، تجعله في تلك الدائرة ، اهم من اوراقها ، وفي المخزن ، اجل قدراً لدى الناس ، من اشكال البضاعة ، يظن ان رئيسه لا يستغني عنه ، ولا يستطيع الاستمرار في العمل بدونه ، فيقطب حاجبيه السخيفين امام الرئيس ، وامام العمال ، وامام الناس ، ليسجل في افكار الجميع سمو مركزه وينال من احترامهم ما يجدر به . على ان ابتسامة لطيفة على ثغر ذلك الغر الممتلىء حماقة وجهلا ، كانت تجيئه بكل النتائج التي يسعى لها ، من جهة ثانية ، سعياً يبعده في واقع الحال عنها .

هنا تخطر ببالنا مناسبة مخصوصة ، لكلمة خارجة بحد ذاتها ، عن موضوعنا الاصلي : اكثر الكتاب الصغار ، والعمال الجدد ، ينكرون في قلوبهم على رؤسائهم كل مقدرة عقلية ، لكون هؤلاء غير متعلمين مثلهم مبادىء العلوم ، التي يحملهم الغرور على استعظامها . وينسبون اليهم الجهل ، لانهم لا يعرفون معارف الكتاب والعمال الخاصة . وهو جهل من الكتاب والعمال ، لا اقل ولا اكثر . لان الاعمال التي تدل ، على مقدرة العقول ، كثيرة متنوعة . فالكاتب تظهر مقدرته في الكتابة . والتاجر في التجارة . والمهندس في الهندسة . والشاعر في الشعر . والنجار في النجارة . والحداد في الحدادة .

فاذا كان التاجر لا ينظم الشعر ، فلا يعد جاهلا . ولا الكاتب الذي يجهل اصول التجارة . بل الجاهل ، من يطالب كل فريق بمعارف الآخر .

في البيت ، في الحياة العائلية ، لا تمكن المبالغة في قدر قيمة الابتسامة . كل انسان تعب ، مضطرب ، في حياته ، يجب ان يلوم نفسه على ذلك . لان الراحة ممكنة وميسورة ، لمن يدري كيف يسعى للحصول عليها . فلو مرن المرء نفسه على الابتسام ، لما استطاع مجاوروه ان يعاملوه بغير اللطف والبشاشة .

انت مهما تكن غاضباً ، لا تستطع ان تعبس طويلا في وجه من ينظر اليك برقة وابتسام . الزوجة التي تستثقل طباع زوجها ، والرجل الذي يستهجن معشر امرأته ، وكل فرد في الاسرة يكره الوجود مع افراد اسرته — يمكنه مع الايام ، ان يقلب ذلك الحقل الشائك ، الى روضة زاهرة . وذلك الجحيم الى جنة . والتمرن على الابتسام ، هو الوسيلة الفعالة ، للحصول على هذه النتائج .

ان المال قد ينفد ، ولا يعدم الانسان من نبات الارض ، ما يقتات به . والمساعي قد تفشل ولا تضيق بالمرء دنياه . والآمال قد تنقطع ، ولا يخلو القلب من بعض السعادة . ولكن — الويل لمن يعيش بين الناس ، ولا يبادلهم تحية ، ولا يلقي عليهم ، ولا يلقى منهم ، ابتسامة .

امين الغريب

الكتاب ...

بقلم راجي الراعي

هبط علي امس نسر من سماء الخيال وبين جناحيه كتاب الفناء بين يدي وانا في عزلتي استنزل ما اطلع به عليكم وقال لي : خذ واقرأ، وما هو ان حدق الي بعينه التي كادت تسمني حتى شد جناحيه وضرب بها جواز الفضاء وعاد الى مقره . . فقمت الى الكتاب اتصفحه واليك ما فيه :

في رأس الصفحة الاولى قرأت هذه الكلمات : انا صفحة الرماد ، ثم برز الى سطرها الاول وقال : كنت الف لسان يندلع من افواه الشهوات والغرائز والاهواء فقطعتها بيدي فلفظت انفاسها في رمادي . . انا سطر الرجولة والصبر . . وتكلم السطر الثاني وقال : كنت الف كتاب احمر من كتب الحياة فكم من جميلة ترنحت بها وكم من وليمة اولمتها وكم قلبت بداي اطنان الذهب وكم زينت رأسي باكاليل المجد ، وكم سكب لي النعيم من كؤوسه على مختلف اسمائها والوانها وكم شيدت من الناطحات وطرت على اجنحة الشهرة الى اقصى الافاق ولكنني مللت في النهاية وتقت الى شيء آخر ، وما زال السأم ينحدر بي حتى ثويت حيث تراني، انا سطر الملل في صفحة الرماد . . وقال السطر الثالث : كنت الف مجرم في الف مدية ، وكنت ناراً اشتعلت بها ضحاياي التي عبثاً كانت تصيح بي تذكرني بالشريعة والعدل والرحمة فلم اكن اسمع صراخها وابواب موصدة في وجهها وقد ذقت ما لا يوصف من الام السجن والنفي ثم انشق امامي فجأة حجاب كثيف واستيقظ ضميري فثبت لساعتي وارتديت هذا الثوب ، وانا سطر التوبة ، انا التوبة الرمادية النادمة المستكنة صفحة الرماد . . ونهض السطر الرابع وقال : كنت ليلا في رأسك وضراماً في هوسك وشبابك انا في الرماد سطر الشيب والوقار . . وتقدم السطر الخامس وقال : انا ساعة الشفق في يومك . . وقال السادس : انا رماد الفلسفة والزهد . . وقال السابع : انا رماد اليأس والفشل . . وقال الثامن : انا الجنون . . وقال التاسع : انا . . بوذا . . وقال العاشر : انا الموت . .

هالتني كلمة الموت فطويت صفحة الرماد ووقعت على الصفحة الثانية فاذا فيها : انا صفحة الريح وما هو ان قرأت سطراً حتى تعالت منها هذه الاصوات : انا النذير – انا الفتنة – انا اليد التي تقتلع الاشجار – انا ابن الاعصار – انا ابن الجلبة والفوضى – انا مذكي اللهيب – انا زفرة العبقرية – انا نعمة الاقدار او نقمتها . .

رنت كلمة النقمة في اذني رنيناً فطويت صفحة الريح وقلبت الصفحة الثالثة فاذا فيها : انا صفحة الصحراء واذا هي تشكو الي امرها قائلة : انا جثة بحر جف ومات – انا العصية المتمردة اتحدى نجوم السماء وامواج البحر برمالي – انا حرفة الفيلسوف والشاعر والفنان والظمآن والجائع والجريح والعليل ، حرفته الكبرى – انا ابنة التيه والتائهين – انا الهة الصمت – انا الكف المبسوطة تسول الشجرة واليتبوع – انا جفاف العقل في المجنون وهجمة الضمير في المجرم وصرعة العرض في الزانية وعرى الايمان في الكافرين . .

وهزتني كلمة الكفر فطويت صفحة الصحراء فاذا انا في الصفحة الرابعة صفحة المرأة حيث رأيت سطراً واحداً شمخ علي يتحداني بعين ابي الهول ويقول : انا المرأة وعبثاً تحاول ان تفهمني . .

واسرعت الى الصفحات التالية فاذا هناك صفحة الخمرة وفيها : انا الصعلوك ، انا وحدي استطيع ان اجعلك ملكاً . . وصفحة النجوم وفيها . نحن عيون الله فيك . . وصفحة القمر وفيها . انا قاهر الليل والغمامة تقهرني . . وصفحة الشمس وفيها . انا الغلاظ الاكباد القساة القلوب انظروا الي واقرأوني . انا الرحمة . . وصفحة البركان وفيها . انا الثورات في ثورة . . وصفحة البحر وفيها . انا يد في معصمها ، انا في شاطيء في اصدافه التي تحوى دررى ، انا صوت سره وصداه في شاطيء . . وصفحة الموهوب ، الفنان وفيها هذا البيت من الشعر .

ولولا زفيري اغرقتني دمعتي ولو دموعي احرقتني زفرتي

وصفحة التاريخ وفيها . انا نسيج الدهور . . وصفحة المجد وفيها . انا دخان قدم يعود الى شعلة الطمع الاولى . . وصفحة المنتحر وفيها . انا رجل شرب دمه جرعة واحدة . . وصفحة الارادة وقد رسم فيها سيف عريض مسنون . . وصفحة الاحساس وفيها نقطة دم كثيفة تحت سطورها . . وصفحة العقل وقد رسم فيها حبل طويل ثخين . . وصفحة الذاكرة وقد رسم فيها منجم عميق عميق . . وصفحة النسيان وفيها رسم الهاوية . . وصفحة الكبرياء وقد رسم فيها جبل شاهق ينطح الافق . . وصفحة الثروة وفيها . انا صاحب مليون ولكنني صاحب علة اعيت الطبيب . . وصفحة الاثير وفيها ان في من زفرات المتألمين اكثر مما في من الاوكسجين . . وصفحة الشرف وفيها انا في كل يوم اصاب بالف طعنة ، انا الشرف ولكنني في يد الناس آنية من خزف . . وصفحة الفجر وفيها . (قطرات ندى) . . وصفحة العلاء يزينها رسم النسر وبها ختم الكتاب فقمت به وقد اصابني دوار الفن مما رأيت وقرأت وسمعت ، اضمه الى مكتبتي فاذا بذلك النسر الذي نفحني به يهوى علي صائحاً : اعد الكتاب فهو لي ، فقلت له بل هو لي وقام العراك بيننا نتجاذب دفتي ذلك الكتاب ولكن اين لي عين النسر ومنقاره وراح يضربني بجناحيه وانا اضربه بجبيني ، وما زلنا على تلك الحال حتى اطل علينا الخيال وفرق بيننا وهو يخاطبنا قائلا . النسر اوحى بهذا الكتاب وانت كتبته فانتما شريكان فيه ولكل منكما النصف واستعاد النسر نصف الكتاب وعلا في الجو وهو يحدجني بعينه قائلا : ما اطمع الانسان وما اكفره بالجميل ! ؟ واحتفظت بالنصف الاخر وانا احدج النسر بعيني قائلا : ما اتعس الفنان تنشب فيه مخالب الطامعين . .

راجي الراعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفهم في الخطاب

بقلم المحامي ميشال شبلي

قالوا ان من البيان لسحرا .

وقبل ان يدرج الانسان الى الكتابة فالطباعة ، استعمل الكلام للتفاهم والبيان . ولم تضع الكتابة من قدر الكلام وسحره بل كان ابداً للقائل فن يسطو به على السامع بقوة قد لا تكون للكاتب في الظروف ذاتها .

وقد اتخذت الخطابة منذ القدم المقام العالي في السياسة والاجتماع ، وكذلك في الارشاد والمحاماة ، وما زالت حتى اليوم اداة لازمة في هذه الميادين ولا سيما بعد ان جاءت الاختراعات الحديثة كالراديو تجعل جمهور السامعين لا يحصى عدا ولا يحدّ مكاناً .

والخطابة فن مكتسب . واذا كان الشعر سليقة كما يقولون ، فان الخطابة اقتباس وكسب . ولهذا الفن قواعد وضوابط ، ويخطيء من يحسب ان الثرثرة سهولة في الكلام وان كثرة الكلام مقدرة في البلاغة ، فليس كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء فحمة . وحسبنا الان ان نحصر البحث ببعض الفن في الخطاب ، فنقول كلمة عن سبك الخطاب وكلمة عن حسن القائه .

سبك الخطاب : يجب على القائل اولا ان يكون عارفاً بموضوعه ، ملماً بجذافيره ، وان يكون مالكاً ناصية صنعته . فمعرفة الموضوع واجبة لكي يسهل على القائل سبك خطابه بمقدمة ووسط ونتيجة كما هو فن الانشاء ، ولكي يسهل على السامع فهم ذلك الموضوع وادراك غايته ، فلا ينتقل به القائل من الديك الى الحمار كما يقولون .

واقبح من جهل الموضوع ثرثرة القائل ، فيهرف بما لا يعرف ، وعندئذ يصح فيه ما قيل عن ذلك النظام : « وشاعر لا تستحي ان تصفعه . » اما العامة فقد تغويها الثرثرة الفارغة ، حتى لقد سمع بعضهم يقول : ما اجمل هذا الخطاب ، او ما ابدع هذه المرافعة ! ولكنه لو سئل عن ذلك الجمال والابداع لم يجر جواباً ، لانه لم يفقه شيئاً من ذلك الكلام . قال النبي العربي : ابغضكم الي الثرثارون المتشدقون . »

وقد يتهمون المحامين بكثرة الكلام في مرافعاتهم ويحسبون خطأ وجهلا ان مهارة المحامي هي بهذا . على ان الحقيقة اليوم هي نبذ الثرثرة جانباً وادراك الجوهر بالقليل من الكلام البليغ ، اذ على المحامي ان يدرك ما يريده منه القاضي العصري وهو ينحصر في كلمة : فهم الدعوى بسرعة ووضوح .

وبذلك تخف عن المحامي وطأة ما ازدرام به راسين في رواية « المتقاضين » Les Plaideurs عندما نسب للمحامي الابتعاد عن موضوعه والتيه في ما لا نهاية له من السفسطه .

ولكن ما هي تلك البلاغة المطلوبة في سبك الخطاب ؟

– قالت العرب « ان البلاغة هي ايجاز الكلام وحذف الفضول وتقريب البعيد ، فلا يؤتى القائل من سوء فهم السامع ، ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل » . والبلاغة في الخطاب هي في ان يدخل القائل في نفس السامع ، بواسطة الكلام – الافكار والعواطف التي يجيش بها صدره . فهو فن الاقناع ، بل فن تصوير الافكار . هو الوضوح والايجاز . وقد كان موليار يقرأ ما يكتب على خادمته ويقول : « اذا هي فهمته ، فان جميع الناس يفهمونه . »

ومن هذا القبيل ما ورد عن ابن السماك ، فقد تكلم يوماً وجاريته له تسمع ، فلما دخل قال لها : كيف سمعت كلامي ؟ فقالت بانتقاد : الى ان تفهمه من لم يفهمه ، مله من فهمه . ومن احسن ما جاء في بلاغة الايجاز جواب الفرزدق للحسين وقد لقيه في مسيره الى العراق ، فسأله الحسين عن الناس ، فاجابه : القلوب معك والسيوف عليك والنصر في السماء .

القاء الخطاب : وفي الالقاء يجب على القائل ان يملك الفن كل الفن . واول شروطه البساطة ، وهي منتهى الاناقة والكياسة ، سواء في وقفة القائل او في حركات وسكنات وجهه وجسمه ، فيقف على منبره غير وجل ، ناظرا الى السامع دون التطاول بنظره الى الجو او ذات اليمين وذات اليسار .

وهنالك صفات تحبوها الطبيعة واهمها الصوت ، اي تلك النبرات الهينة العذبة التي تدخل الاذان بدون استئذان ، فيسمعها اخر الجلوس دون ان ينبو عنها سمع اقربهم . اما اذا كان للقائل صوت يمجه السمع فالاحرى به ان يعدل عن الكلام . والصوت هبة من الله للخطيب . فقد رووا ان جان جوريس تكلم في احد مؤتمرات حزبه في تولوز طيلة نهار كامل دون ان تتبدل نبرة صوته .

واما طريقة الالقاء فقد كانوا قديماً يرونها على ثلاثة وجوه : في تلاوة الخطاب او في ترديده او في ارتجاله . ولكن لم يبق اليوم من طريقة واحدة مطلقة ، بل اصبح سر القائل بان يمزج تلك الوجوه فتكون له طريقة خاصة به وبظروفه .

وقد نصح احد كبار الخطباء السياسيين في عصرنا بان تكون طريقة الالقاء حسب المجمع السامع . فاذا وقف القائل في جمهرة من العامة ، فيجب ان يكون نطقه بلهجة قوية حازمة ، واذا وقف في مجتمع من الخاصة فيجب ان تكون القوة في الحجة والمنطق ، واذا تكلم في جمهور قليل فيكون قوله حديثاً بدون تكلف .

ويشين الالقاء ما يسمونه التمثيل . اجل لقد قالوا : رب اشارة ابلغ من لفظ . ولكن الاشارة بذوق وكياسة حسب الاقتضاء هي غير التمثيل المسرحي الذي يجب على القائل ان يربأ بنفسه عنه .

ان القائل اذا لم يتمكن منذ مستهل خطابه او منذ دقائقه الاولى من استمالة السامع بالافادة والشغف ، يكون قد فشل واخفق . ويحق للسامع حينذاك اي عندما لا يبلغ الصوت مسمعه وعندما يسفل القول عن الافادة والمتعة ، يحق للسامع ضناً بوقته ان يترك القائل وشأنه مردداً قول زهير في معلقته :

وكاء ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه في التكلم ..

ميشال شبلي

اليكم معاشر الكتاب

للكتاب في عصرنا هذا رسالة قومية يطلب اليهم تأديتها بلغتنا العربية فنحن نطمع ان يمثلوا لنا روح هذا العصر ونؤمل ان يبعثوا ادبا حيا مما يدور حولنا وما نشعر به وما نريد ان نصل اليه . وكم يحسنون صنعاً لو حدثونا عن مشاكلنا والامنا ومركب النقص فينا . من حقهم ان يرسموا لامتهم في كتبهم وما يصدر عنهم هدفاً او غرضاً سامياً يوجهون الناس اليه ويذكرونهم به، وان استطاعوا فليجعلوا غرس هذا المثل الكبير غاية تفكيرهم ومرمى نجاحهم . ولن يغيب عنهم ان الادب مدرسة كبرى للعامة والخاصة — بل العامة احوج اليها من الخاصة — وان عظمة هذه المدرسة تقاس بكثرة الخلق الذين اتصلوا بها وقرأوا عليها وتخرجوا منها . وان نجاح الكاتب يقاس بما يصوره في اذهان الناس من المتناقضات السائدة في وسطه ، وبما تتركه كتابته من الاثر الثابت الواضح في عقولهم ، وطريقة تفكيرهم ، وما يغرسه في ضمائرهم من العواطف الطيبة التي تدوم مع الزمن، ثم بما يقويه لديهم من الدوافع النفسية التي تحرك الفرد والجماعة على السواء نحو العمل في سبيل فكرة ما ، او تحقيق غاية معلومة .

لدينا اقلية تملك واغلبية لم يصل صوت الحق اليها

سيقول بعض الملأ من الكتاب الى من تكتب، ومن لديكم ممن يقرأ ويعي ويفهم ؟

كلمة حق ، وفكرة لها خطورتها لانها تحمل معنى السلبية والجمود ، وكلاهما ضرر كبير اذ يدعوان الى التشاؤم وهو عدو الحياة اللدود .

الحق ان الخاصة (élite) من الذين يقرأون وينقدون ويحللون وينفذون الى لب الاشياء ويزنون الكلم ومواضع الكلم بمعيار هم قلائل في اوساطنا، ولكن لدينا زرافات من المتعلمين تعليماً ناقصاً يقعد بهم عن النظر الى الحياة نظرة ايجابية ، واذا اتى نقدهم جاء غير مستكمل ، واحياناً يكون غير سليم .

تلك اقلية من فئتين يصعب على الكاتب اقناعهم ولو انفقت ما في الارض جميعاً، لما وفقت بين قلوب الخاصة ولما ارضيت الاخرين .

انما نريد من الكاتب ان يجرب حظه مع تلك الاكثرية الساحقة من القراء ، تلك الاغلبية من الناس التي تقبل وتصدق وتؤمن بكل ما يقال ويكتب ، فهذه الجماعات من القراء ، هدايتها امانة في اعناق اهل الكتابة، لانها في حاجة الى ان يصل اليها صوت الحق والبيان الناصع ، والدعوة الى العمل الجد الصالح ، قبل ان يشوش عليها صوت الباطل ، وهو صوت يدعو الى التفكك والتبطر ، ويدخل الهزيمة والفوضى بين الصفوف .

والكاتب الفذ المؤمن برسالته الذي يدعو الى كلمة سواء ، هو الذي يكتشف الصلة التي تربطه بهذه الزمر من الناس، ويجعلهم يشعرون ويحسون بوعيه، فيدمغ عصره بطابعه حينما يسطر صحفاً من الحقائق الناصعة ، تتلقاها الاذان وتعيها الانفس ، وتحفظها الافئدة، ويوم تقرأ له هذه الجماعات من الناس فتفهم ما يقول لانه يكتب بلغة تصل الى القلوب والضمائر لانها سلسة تفيض حياة .

انني واثق من انه اذا وفق الى شيء من ذلك يكون قد ارضى ضميره، وادى رسالة، وعلم الناس بعض الكتاب والحكمة .

يكتبون بلغة تصان عن اغراضهم من العوام وتنزه عن الطغام

اقول ذلك، ومع هذا، فقد اتى على الناس اجيال، والكتاب يمثلون طبقة ممتازة من ارستقراطية الفكر ، لهم طباعهم الخاصة ، وامزجتهم الشاذة ، تراهم يكتبون بلغة غير لغتهم القومية ، واذا تنازلوا للكتابة بها ، عبروا عما يجول بخواطرهم ، باسلوب سكان الاوليمب ، وطلاسم اهل الباطن ، وبلغة خاصة بهم صيانة لاغراضهم من العوام ، وضنا بها عن الطغام ، وتنزيهاً للحكمة وفنونها ، من ان يتداولها الناس ، وكيف يتساوى الجاهل والعالم ؟ تلك نظرية اتى عليها الزمن ، وهدمتها الايام ، ولكن كتابنا واكثرهم مقلد والقليل مبتدع ، يأبون الا ان يتمثلوا بموقفهم الاول، ومراكزهم التي وضعوا انفسهم فيها ، رغم تقدم العالم ، وتيقظ الجماعات . ولئن كان للسلف الصالح اعذارهم خوفاً من وشاية واش، او خشية وقفة امام محاكم التفتيش ، فما عذر الكتاب اليوم ، وشمس الحرية تملأ الكون ، ليحولوا بين افكارهم وعقول الناس ، اللهم الا الرغبة في مخالفة المألوف ؟

احقاً قد قطعنا مراحل الجاهلية الاولى ، واقتحمنا عقبات العصور الحجرية ، فاصبح العلم حقاً مشاعاً للجميع ، الزم للانسانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من عناصر الهواء . ان العامة في حاجة الى ادبكم ايها الكتاب ، كحاجتهم الى العلم والهواء .

الكتابة صناعة وفن اصعب من الكلام والخطابة

الكتابة تقليد للكلام ، وقل من الكلام ما لا تصحبه الاشارة بتحريك اليد ، او تأكيدها بمظاهر الوجه ، ولذلك كانت الكتابة من ناحية التأثير فناً اصعب من الكلام . انك اذا اردت ان تقول للناس قولا يصل من اسماعهم الى قلوبهم ، اليس من الحق ان يكون سهلا ترتاح اليه نفوسهم ؟ واذا حرمت القائل من اشاراته وما يفصح الوجه عنه ، ووضعت هذا الكلام على الورق ، اليس من حق الناس ان يطلبوا اليك ان تدب الحياة فيه ؟ هنا تتجلى مقدرة الكاتب الذي يستعيض عما يلاحق الكلام العادي بالاسلوب الرشيق الحي ، والذي لا يموت ، والذي تشعرك كل كلمة منه بالحياة فيها ، وكل جملة بالحيوية فيها ، وكل معنى بما تريد ان تقول . اسلوب يرتاح اليه القاري . المختلي لنفسه ، ويستحوذ عليه وهو قابع في فراشه ووحدته ، تراه حياً منسجماً موسيقي الوقع ، مع الاحتفاظ باصول اللغة وطلاوتها ، تقرأه بصوت عال ، فيسيطر عليك ، وتنطق به في داخلية نفسك ، فكانه يحدثك عن سر يبوح به اليك وحدك .

ولكم من جملة صغيرة بمفردها احسن اختيارها ، وامتزجت الفاظها بمعانيها ، اثرت في جماعات الناس وافرادهم ، وسارت سير الامثال ، فاوقفت فتنة او دعت العالم الى دخول عصر جديد .

ان الاسلوب الحي ، السهل ، الممتنع الذي تدعمه المعاني والحقائق ، هو وحده الذي يصل الى القلب ، وهو الذي تعيه العقول ، وهو الذي يقرأه الالف الناس ، لا بل لا انجل على لغتي فاقول ، مئات الالوف ، فيخيل الى كل واحد منهم ، ان هذا الكلام كلامه ، وان هذا الاسلوب يعبر عما يجول بخاطره وما يشعر به .

ولن يصدر هذا الا عن كاتب جري . صريح مع نفسه ومع الناس ، ولن يستسيغ احدنا حرفاً من كاتب اذا لم يقنعنا بانه يؤمن حقاً بما يقول ، ويؤمن بالافكار التي يسوقها . ذلك هو الذي تلمس في كتابته دقات الحياة ، ووقع خطاها ، وتعبر كل جملة عن شخصية قائلها ، ويسوق الكلم امامك ، فتشعر بالانسجام تاماً بينه وبين كلامه ، ومعانيه ، ونفسه ، والفاظه ، وافكاره ، وتقرأ له فتزداد اتصالا به ، واقتناعاً بقوله ، واعجاباً بمعانيه .

مقال بلا بحث عند نهايته القارئ

كثير يكتبون ، وكثير يقرأون ، ولكن اين أثر الادب في حياتنا ، وهل افاق الجمع ، فانصت الى الادب ، وآمن بوحيه ؟ كلا .

ذلك لان ما نقرأه ، لا يحمل في كثير من الاحيان ما يريد ان يقوله الكاتب ، واذا عرف ان يدير الفكرة اعجزته الصنعة ، وقعد به الاسلوب . كم اسفت لوقت اضعته في قراءة مقال طويل قد رصت الفاظه ، وعبئت معانيه بغير ترتيب ، وكم اعجبت بالديباجة وبراعة الاستهلال ، وبلاغة الكاتب ، وخرجت وانا لا ادري ولا اعرف ماذا يقصد الكاتب .

وهنا نتساءل ، كم من جهابذة القلم لدينا يعرف بالضبط قبل تسلم القلم ، ماذا يريد ان يقول ؟

ان الكتابة فن من اصعب الفنون ، ولئن يكون الاسلوب حياً ، ظاهراً واضحاً ، فن ايضاً ، واجتماع الفنيين صناعة تخلق الكاتب المرن . فكم عدد الكتاب لدينا الذين يحركون المجتمع ويطبعونه بطابعهم الخاص .

قال ابن سناء الملك :

ولي قلم في الخطب ان هززته ... فما ضرني الا اهز المهندا
اذا صال فوق الطرس وقع صريره ... فان صليل المشرفي له صدى

ذلك قول الحق في عصره ، وتفصلنا عنه سبعة قرون طوال بعضها مملوءة بالمجد — مجد السيف ومجد القلم — ولكنه اقرب الى الحق اليوم ، منه بالامس . السنا في زمن نرى انفسنا اقدر منه على سوق العالم العربي وقيادته ؟ اين الوسائل التي بين ايدينا من وسائله المحدودة ؟

لذلك فاني اؤمن برسالتكم معشر الكتاب ، واثق في قوتكم ، واثركم ، ودعوتكم . ان اثركم سيكون اكبر مما تنبأ به لكم ابن سناء الملك ، يوم تستمدون صراحتكم من شجاعتكم ، وجرأتكم من اخلاصكم ، ومن ايمانكم بقدسية رسالتكم ، يوم تميزون الخبيث من الطيب ، فيهابكم الناس ويخشون صولتكم ، لان كل كلمة هي من وحي ضمائركم ، وخلاصة تفكيركم ، ولكل حرف تخطونه صدى تجاوبه اسماع ملايين من الناس من ابناء يعرب .

« اسامة »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الديمقراطية والشوري

جبرائيل نوبي

هي الشورى ، هي النهج الصواب ... لحكم الناس قال بها الكتاب :
غت والجو حر في أثينا (١) ... تشاد لها الهياكل والقباب ،
وفي روما اظلتها قصور ... كما انبسطت لها الساح الرحاب ،
وفي العربي كانت منذ كانت ... له الصحراء والجبل العراب ،
سرت منذ البداوة واستمرت ... تجوب مع القبائل حيث جابوا .
اننسى خطبة الفاروق لما ... اهاب بقومه كيف استجابوا ؟
فان فتى من الاعراب لبى ... بقول ليس يعدله خطاب :
« اذا بان اعوجاج فيك رحنا ... بهذا السيف .. » واختلج القراب .
فلو لم تحكم الشورى عراها ... لضاق الصدر واتسع العقاب .

◆

هي الشورى حقوق الشعب فيها ... حصان ، ان يهددها اغتصاب ،
تحد من المطامع حين تنزو ... مكشرة ، لها ظفر وناب ،
ويلقى المستبد بها شكيما ... اذا ازدحمت بشهوته الركاب .
فلا يخشى الضعيف ضياع حق ... ولا يغري القوي بها وثاب ،
وتكفل للجميع على التساوى ... حياة لاتذل بها الرقاب .
من الحرية السمحاء ظل ... عليها ، والنظام لها اهاب .
تقدس حرمة الاراء حتى ... تمحصها فينكشف الصواب ،
فلا ضغط على التفكير فيها ... ولا عقل له قفل وباب .

◆

على الشورى سلام من شعوب ... تزعمها المذاهب والحراب ،
اناخ بها الطغاة فجردوها ... كما جردت فرائسها الذئاب .
وللطغيان في حكم الرعايا ... طرائق قد يشيب لها الغراب ،
يسد منافذ التفكير حتى ... يمشش في حواشيها التراب ،
فيغدو العقل يحجبه ظلام ... ويمسي الفكر يغشاه حجاب ،
يصوغ هوى الاناس على هواه ... فليس سوى رغائبه ارتغاب ،
فتلقاهم وان نطقوا قطيعا ... يهش عليهم راع مهاب .
فاين حياتهم من عز قوم ... لهم في حرمة الشورى مثاب ؟
يعيش الفرد حرا في حماها ... كان حياته ابدا شباب ؟
يفكر او يقول وليس يخشى ... عقابا او يرغبه ثواب ،
يرى الاكوان ميدانا فسيحا ... غذاء الروح فيها مستطاب .
وللانسان في الدنيا حقوق ... من الرحمن يخطها الحساب ،
لها الشورى سياج في حياة ... تغذيها الاماني العذاب ،
وما معنى الحياة اذا كفاها ... طعام في المذلة او شراب ؟

جبرائيل نوبي

---

١ – أثينا القديمة مهد الديمقراطية

٢ – روما القديمة ، وهي غير روما الطاغية الفاشيستي موسوليني

مقالات

الاواني المقدسة

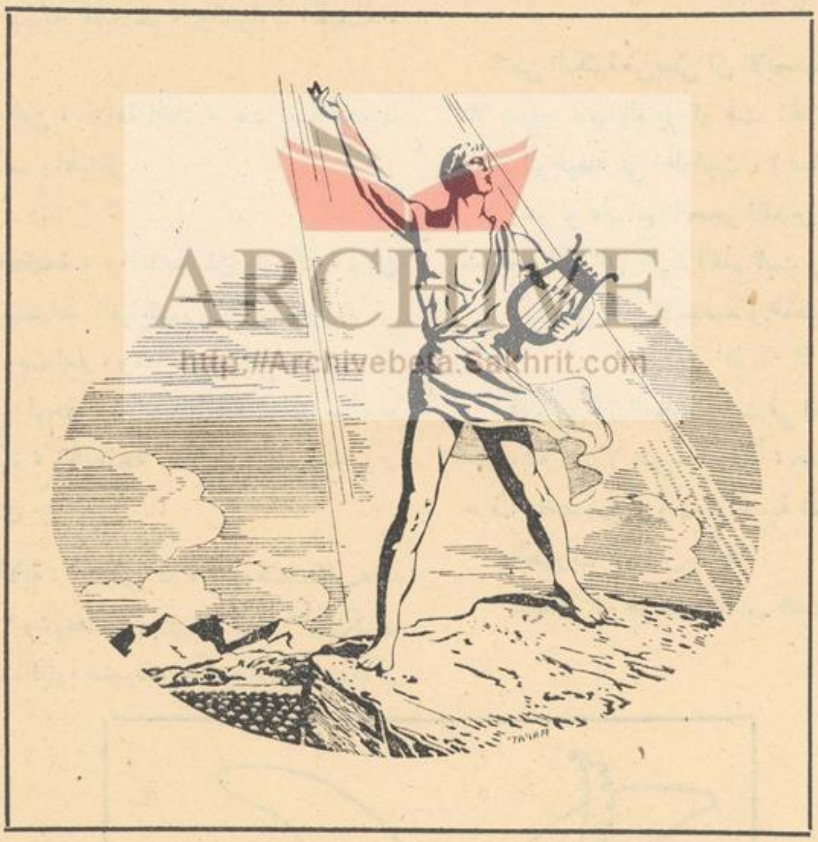
بقلم الياس فليل زخريا

◆

اكاد وانا اقرأ « الابجدية » اوّمن بان العظمة في النحافة لا في الضخامة وبأن هذه الانفس البشرية كلما ضمر قالبها ، ودق ، واحكم كلما قربت في دورانها من بحيرة الخلود العميقة .

☆☆☆

... خذ بؤبؤ عينك ، وانشر ما فيه ، تضق بك ساحات الدنيا ، ومعابر الافاق ، والحرف من الابجدية ، هو الف عين ، في الف عين ، في بؤبؤ واحد صغير ، فاذا فتحت اجفانه برأس القلم ، وجناح الفكر ، ورفرف الاحساس ، مرت على شفاهه قوافل الرؤى مراً ، وكان في مكنتك ان تمديدك مثلا ، وتتناول النجمة البعيدة نفسها وتزرّر بها قميص الليل الطويل ، ثم تطويه بسهولة ، في خلايا حرف قدر حبة او قطرة طلّ .



وشاء العرب ان لا تربط ابجديتهم ، في نسبة نسبها ، بشيء قريب ، فعقدوا حروفهم بالشمس ، المعبودة المقدسة ، اخت يشوع ، ثم حبكوها بالقمر ، صنو الليل ، وقالوا لرمالهم البكر السمراء : ارتجحي في ارجوحة « ابجديتنا الضادية » فدارت الارض على سلاسل النور والعتمة ، وسرى الحرف العربي في كل درب مسلوكة آنئذ من دروب المعمور .

ثم مضى العرب ، كما يقول التاريخ في صفحاته الموقعة ، نهاراً نهاراً ، وظلت الابجدية القرشية ، ماثلة ، كأنما هي من غير مواد التاريخ ، فلا يمحى لون وجهها . اذا قلبتها اليوم وانت تسعى بثقة وبساطة ورغبة ، لتعيها في خاطرك ، وسعتك سعة ، فغرقت فيها كما غرقت قبلك مواكب عديدة مزدحمة .

☆☆☆

وما رأيك مثلا في حرف الباء « ب » يقف على مفرق الطرق ويشق قميصه ، ثم يفتح حنية صدره ويمضي يقص ..

.. اية حكاية اطول من حكايته واعجب واية اسطورة اقدم من اسطورته واعمق واية ثورة اشد من ثورته واعنف واية حوصلة ذاكرة ارحب من حوصلته ، واخصب .

انه لمجنون غريب يقص عليك ما حلمت ، وما لم تحلم به المجانين ، وتصوره مصفقاً بحت المداد اليابس عن اساريره ، ثم يعد الحناجر التي قالته ، وترنمت به ، والصور التي عاشت على شرفاته . والافكار التي قالت في فيئه ، والقلوب التي ربطت وريدها باوتاد حدوده . ترى اين هي حدود الحرف ؟؟ كلما وقعت عليه العين لتلمس اطراف زواياه ضلت حدوده ، وضل رائيه .

ولنذكر انه قد تشبع العين ، وتشبع الاذن ، وتتمزقان اذا مر بهما حصان الموت ، يتخايل ويصهل ، اما الابجدية فهي شيء عجيب لا ينتهي ، ولا يتزحزح محوره ، ولا يعتق ، ولا يشيخ ولا يتعب بما يحمل .

☆☆☆

اظن ان الحرف من صنع آلهة لذا عجز الانسان عن فهم

سره هذا العجز . قد تنطفىء النجمة ، وتختفي الشمس ، ويموت الانسان ، وتنحني الشجرة الجبارة ، اما اختنا الحاء «ح» مثلا فهي في ثياب الجدة منذ يوم الولادة ، اي منذ يوم اجهل ما نكون بيومه ، يوم حبل به بال الموت فولده للحياة ، ومضى يعرض امامه في غرف الدنيا الحية ، اشباحه المتوالية ، كما يعرض النهر المتدفق الوانه وانغامه ، للضفة ، ثم يمضي وتبقى في المنعطف تفكر بصمت وتؤدة وتنتظر عودته ، من البحر ،

☆☆☆

كل شيء يرتوي الا الحرف ، فهو كلما سقيته من بئر اشتاق بئراً اخرى كانه البحر ، لا يرتوي مما تصب فيه السماء والينابيع ، وان جرت من بطنه انهار ماء حي .

وما البحر بعظمته ، لو انتبهنا ، الا قطرة في حرف صغير يسع دره وحيتانه ، وعبابه المتلاطم ، واسراره المخيفة ، واعماقه الغامضة .

واذا كان لنا نحن ، جماعة القلم ، ما نعبد فلنعبد الابجدية ولنبني لها القباب والهياكل .

☆☆☆

« في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله » لذلك عبد الله الفينيقيون واليونانيون ، في حديث الجمال ، وعصبه وصنائعه ، ومثالثه ، وقدسته اليهودية في عشر جمل محفورة على لوحة مدلاة من الجلد الى سيناء وسقته اورشليم الكافرة ، بالاسفنجة خلا مراً فلم يبح وتر حنجرته بل تدفق بالهدى .

وسمعت الحجاز ، الاية : « فتلقى آدم من ربه كلمت فتاب عليه انه هو التواب الرحيم » وشهدت الاعجاز والافحام « وان كنتم في ريب مما انزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صدقين » وانتصبت مكة الى الله يتكلم بالابجدية العربية ، فامتلأت الصحراء بالواحات الخضر ، والهوادج الحادية .

ما اعظم الحرف لو يبوح بكل ما اوعى . تصوره الان امامك يخفق في سمعك بالنبرات التي سالت على عروقه ..

بنبرات الالهة في ، ابراج الاولمب ، وشطئان صيدون وقرطجنة ، ونبرات الرب ، من طاقة قمة سيناء ، ورجع صوته في اذن البحر يوم العاصفة ، و « قم احمل سريرك وامش » واذهب واغتسل في بركة سلوام » و « اين انت » يا آدم و « سمعت صوتك في الجنة فخشيت لانني عريان » و « شوكاً وحسكاً تنبت لك »

ما اعظم الابجدية ، وما ارحب صدرها ، فلنمسح بعتبتها جباهنا ولنغطس في ينابيعها ، افكارنا وذاتنا ، ولنفتح بمفاتيحها الساحرة حجرات قلوبنا .

☆☆☆

من الكتبة من يظن ان الابجدية شيء عادي من ملكه الخاص فلا يمسح عنها الغبار او لهث الحناجر ، بل يعرضها عرض السلع الرخيصة في الحوانيت ، ويساوم ..

وهو لو علم انها الحجر المقدس لكل بناء مقدس لجلاها باسفنجة قلبه كلما تحرك القلم للبث والشكوى .

بئس من يقرأ الابجدية ويحفظها ليبيع ويشري ..

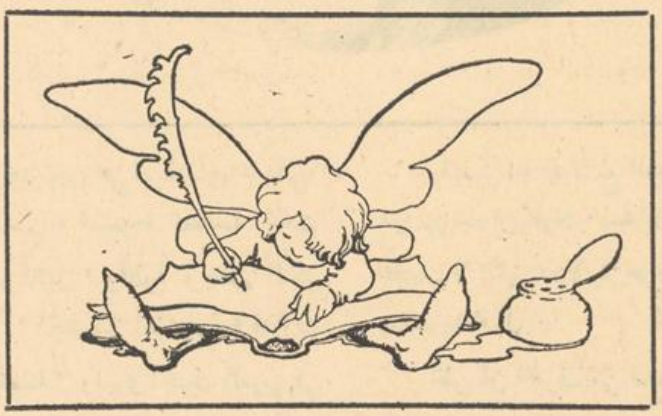
☆☆☆

فلنو من بان العظمة ليست في الضخامة ، وبان هذه الشموس المكوكبة كلها لا تضيء ، دهراً ، بقدر ما تضيء في لمحة ، زاوية حرف واحد من حروف الابجدية الموهلة .

الحروف كؤوس الآلهة .

فليخف الله هؤلاء الكتاب الذين يهزأون بالانية المقدسة .

الياس خليل زخريا



محاسن الشيخوخة

بقلم شفيق طبارة

قرأت قول المتنبي :

ولذيذ الحياة انعش في النفس ... واشهى من ان يل واحلى
واذا الشيخ قال اف فما مل ... حياة واغا الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب ... فاذا وليا عن المرء ولى

وقرأت قول غيره :

عريت من الشباب وكنت غضا ... كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عيني ... فما نفع البكاء ولا النحيب
فيا ليت الشباب يعود يوما ... فاخبره بما فعل المشيب

وقرأت كثيراً مثل هذا في الادب العربي مما يدور حول التحرق على الشباب الضائع والتبرم بالشيخوخة لانها في نظر الادباء والشعراء عنوان الهم وبريد المرض ونذير الموت فسألت نفسي: اصحيح ان الشيوخ اشقى من الشباب؟ وان الشيب يسبب الشقاء والشباب يسبب السعادة؟

ان يكن هذا صحيحاً فلم حسب الاوائل العمر الطويل نعمة يغدقها الله على من اصطفى من عباده؟ وجاء في التوراة: «اكرم اباك وامك ليطول عمرك». ولم تمثل الناس الباري تعالى شيخاً مهيباً؟ ولم يدعو بعضهم لبعض قائلين: «الله يطول عمرك»؟



فلو عدت الشيخوخة عنوان الهم وبريد المرض ونذير الموت لوجب ان تأتي الآية بعكس ما وردت اي هكذا: «اكرم اباك وامك لينقص عمرك». ولوجب علينا حينئذ ان نشكر المحسن على صنيعه ونقول له: «لا اطال الله عمرك».. فهذا الرأي لا يقره المنطق. اذن هو باطل. ولكن اين وجه البطلان؟ وجه البطلان سوء تصور الشيخوخة. فالرأي السائد فيها انها دور كسل وخمول وضعف وخور عزيمة، دور محروم المسرة يدنينا من هاوية المنية ونحو ذلك.

هذا تصور شائع في الناس متأصل في نفوس كثير من ذوي العقول الراجحة وهو تصور لمعنى الشيخوخة باطل ووهم خاطىء. وقد يكون من المفيد الا اقف ساكتاً حيال هذا الوهم الشائع فافند مزاعم الزاعمين واعدد محاسن الشيخوخة بعد ان استرسل الشعراء وكبار الكتاب في ذمها حتى التبس على الناس امرها واصبحوا لفرط ما سمعوا عنها يتخيلونها قطعة من العذاب غير حاسبين ان لكل دور من العمر مميزات خاصة واخلاقاً شتى وادباً مختلفة.

ففي مقدمة الخلال المعيبة التي يصفون بها الشيخوخة قولهم انها وجود عقيم وضرر محض يعيش من بلغها عالة على الانسانية. والواقع انا نرى ارقى البلدان لا تولي القضاء الا امرءاً ناضجاً قد جاوز دور الشباب. ونرى ان بعض الامم العريقة في النظم السياسية تحرص على ان يكون لها ندوة تسمى «مجلس الشيوخ» او «مجلس الشورى» اعضاؤها من الراشدين المعمرين. ونشاهد اهل كل ملة وامة يرجعون الى رأي المعمرين عند كل ملمة اعتقاداً منهم ان الشاب مطبوع على الغفلة عرضة للنزق والتطرف. اما الشيخ فقد انكسرت حدة نزقه بفعل عبر الماضي والتجارب والحنكة واصبح اصح ادراكاً لعواقب الامور. وهكذا فليس الفتور الذي نلاحظه في الشيخوخة ناتجاً عن كسل في العقل او عن خمول في الاحساس. كلا. بل عن عادة الهدوء وخلق الرزانة المغروسين في طبع الشيوخ. وما من ريب في ان النبوغ يرافق الشيخ فلا يفارقه ولا يهمل امره ما لم يتقاعد هو نفسه عن السعي وراء المثل العليا. وفي التاريخ رهط كبير من النوابغ الذين تبؤوا اريكة الشهرة والمجد بعد ما جنحت شمسهم في العمر نحو الغروب. اذن من الاساءة الى الحق ان نتغاضى عن الاعمال العظيمة التي يقوم بها الشيوخ القابضون على ناصية الامور وعما ينتجونه من الخير وما يحققونه من النفع. وحسبنا ان نلاحظ ان في الحياة انواعاً من الحرف. فاذا لم يكن الشيوخ زراعاً وصناعاً يغلب في اعمالهم جهد الجسوم، فانهم عقليون يغلب فيها يحترفون جهد العقول ويؤدون للانسانية خدماً جليلة لانهم يتصدرون للقيادة ويحترفون الارشاد والهداية. لعمري ان من يناضل اصلاحاً للنوع الانساني قائم بقسطه الفطري من العمل مؤد رسالته في الحياة. واذا كان الرجال قوامين على النساء فلا شك ان الشيوخ قوامون على الرجال.. من اجل ذلك تراهم قد عظموا في عيون الخلق وكبر قدرهم فاصبحوا موشحين بالمهابة متوجين بالوقار ولا يقابلهم الناس الا باحترام واكرام.

ويذمون الشيب بانه يوهن القوة ويضعف البنية وينسون ان المقياس الصحيح ليس بقوة الجسم ورشاقة الحركات انما ذلك بالقوى المعنوية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتحكيم العقل والاعتماد عليه . والاوجب ان يكرم الناس (الكركدن) ويحنوا رؤوسهم اجلالا للفيل . ثم انا اذا حللنا هذا الضعف وما ينتج عنه من مرض وبؤس وجدنا جذوره الاصلية تمتد في الغالب الى دور الشباب وليس للشيخوخة فيه سوى دافع الاطراد والاستمرار . فحياة المرء لحظات متوالية متتابعة لا قدرة له على ان يفصل بينها بمحض ارادته واختياره فما نزرعه في حداثة السن نجنيه في الشيخوخة . ثم ان الشباب ليس اصح ادوار الجسم وقد يكون «كميل» في الثلاثين اقرب الى الشيخوخة من «جميل» في الاربعين لان الشيخوخة ليست نتيجة عدد السنين . ان الجسم قابل ان ينهك في اي دور فيجب الا ننظر الى اجسامنا من حيث العمر بل من حيث اسباب البلى الطارئة عليه . وكم من الناس من بلغ الشيخوخة في الاربعين ومن يبقى في شبابه بعد بلوغه الستين . وعلى ذلك فالشيخوخة ليست علة هذا الضعف انما علته وسببه طبيعة المرء وبنيته والتربية التي يتلقاها في صباه . ومن اصدق الامثال : « من شب على شيء شاب عليه » وفضلا عن ذلك فهذا الضعف بعينه قد يصيب الشبان كما يصيب الشيوخ وان كثيراً من الشباب اضعف جداً من الشيوخ فليتق الله من يلقي على الشيخوخة وحدها تبعة الخور والضعف وليراع مزاج المرء وما كانت عليه صحته في ايام الصبا والتصابي فلا ينظر الى الانسان نظرة مادية مجردة ويفرط في الاهتمام بجمال الجسم افراطاً يحجب عنا جمال الروح فالذي يهم في الانسان ويميزه عن سواه انما هو روحه لا جسمه والفرق بين الجسم والروح ان الاول يذوي على الايام والروح تزداد قوة ونضارة وبهاء . وحينما تقوى الروح ينضج العقل وتدمث الاخلاق وتتهذب الطباع وتتسع المدارك وتكتمل الذات البشرية وهذه الشمائل (بضاعة) العمر الطويل تتلاقى في الشيخوخة وتتوافر في الشيوخ .

ويذهبون الى ان الشيخوخة دور محروم المسرة ويعنون مسرات دنيا الشباب تلك التي تقوم غالباً على النزوات الجامحة والملاذ الماجنة بله العبث والاستهتار . فاذا كانت الشيخوخة تبعدنا عن هذا النوع من الملاذ وتنجينا من الافات والارزاء وتحرمنا ما ينتج عنها من عثرات دور الشباب ، فهي اذن اولى بالمدح واجدر بالثناء . واذا لم يكن الشيوخ بطبيعتهم وبفضل حكمتهم وحصافتهم من عشاق اللهو ، لا يستلذون اللعب والقصف ولا يندفعون في المغامرات والمخاطرات فهم يروضون اذهانهم رياضة فكرية بريئة ويجدون المتعة الحسنى في لذة الجاه والرياسة والاخلاد الى السكينة والهدوء . فاللذة العقلية اسمى من اللذة الجسمية واللذات الجسمية السريعة الزوال لا تعدشيئاً اذا قيست بتلك اللذة الباقية لذة العقل فبهذه تطمئن النفس ومنها يتخذ الانسان عدة لحوادث وصروف الزمان . واشهد صادقاً ان الشيخوخة جديرة بالحياة لانها في ذاتها راحة بعد العناء وفرج بعد الشدة ولذة يستمتع بها عقب النضال وعز وان كان فيه ما نكره وذخيرة نستعين بها على اطراد الجهاد والكفاح . وقد اجاد الحكيم اليوناني في وصفه مسرات الشيخوخة حيث قال : « ان لذة الشيخوخة هي في شعورك بانك غني عن اية لذة كان لك من حكمتك قوة تعينك على فهم هذه الحقيقة واذا تأصل فيك شعور الاكتفاء هذا فقد صفت نفسك وارتقت مداركك وتهذبت انسانيتك واصبحت السعيد » .

ويذم الشيب بانه رائد الموت ونذيره ويبدو لي ان الامراض والحروب تسوق الشباب الى هاوية المنية اكثر مما تسوق الشيوخ . والدليل انه لا يسعد بالعمر الطويل الا قليل . ثم ان من خصائص الشيخوخة الرصانة والاعتدال ومثل هاتين من الفضائل ما يدفع اصحابها عن الفواحش ويصدهم عن القبائح ويجعلهم في مأمن من كوارث صعاب كثيراً ما يتعرض لها الشباب . والحقيقة ان عين الموت ترمق كل حي بدون تمييز ولا استثناء . ونحن كلنا شبان وشيب في الصغر والكبر تحت رحمة القدر . وفضلا عن ذلك فليس من حسن الايمان ان نخشى الموت ما زال هو انتقال الروح من الفناء الى البقاء ومن الجهاد الشاق الى الراحة الابدية . فبكاء الشباب لا يليق برجل زاهد والحسرة على ايام التصابي دليل على ضعف الايمان . وقد اخطأ من رأى في الموت الوداع الاخير والفراق الاليم . فالانسان اذا تقدم سناً واكتمل عقلا لا يحزنه ما يجري به القدر ولا يتأسف عند مكروه بل يقدر الموت لانه يخلص النفوس من الاذى ويحمد الشيخوخة لانها تقربه من الله وتجمعه — في الاخرة — ليس بمن عرفهم من الاهل والخلان فحسب بل ينعم ايضاً برؤية من سمع عنهم ولم يؤاته الحظ بمشاهدتهم في دنياه .

وبعد ، فلا اريد ان اختم هذا البحث دون ان اهمس في اذن القارىء انني قد اتهم وانا شاب يمدح الشيخوخة ويمجد الشيوخ بالملاءة والمداهنة . ولكني ابادر وارجو منه ان يستبعد هذا الشك فلست هنا في سبيل اجراء اي موازنة او مفاضلة بين الشبان والشيب . اني لاعجب بالبعض منهم ولا يعجبني البعض الآخر بيد ان الاهم ان يسمع المتبرمون هذا الكلام فلا يجحدوا نعمة الله عليهم بتشويهها ويتخذوا من هناتها ما يلقى في روع الناس الحيرة والشك وما ابغي — علم الله — فيما قدمت الا ان اغرس الامل والطمأنينة في القلوب بدلا من اليأس والكمود رجاء تجميل الحياة فيستقبل هذا الجيل الشيخوخة بسرور يعود على الانسانية بالخير الجزيل وعلى ناشئة اليوم بالعمر الطويل .

شفيق طبارة

الحرب قديماً وحديثاً

زيارة للمتحف الحربي البريطاني

يوم ٩ حزيران ١٩٢٠ (اي منذ ٢٢ سنة) احتفل في لندن بافتتاح المتحف الحربي الامبراطوري بحضور الملك جورج الخامس والملكة ماري ، والدي الملك الحالي ، ومنذ افتتاحه كانت عناية الجمهور به كبيرة ولا تزال تتزايد يوماً بعد يوم . ولقد بقي هذا المتحف خمسة اعوام في بنايته الاصلية ، فبلغ عدد زائريه هذه المدة مليونين وخمسمئة الف نسمة .

وفي تشرين الثاني من عام ١٩٢٥ نقل المتحف الى مركزه الثاني في جنوب كنسنتون وبقي فيه الى عام ١٩٣٥ وبلغ عدد زائريه ثلاثة ملايين .

وفي تموز ١٩٣٦ نقل الى مركز ثالث في لمبث رود حيث احتفل بفتح ابوابه الدوق والدوقة يورك — وما هذان الدوق والدوقة الا الملك جورج السادس ملك انكلترا الحالي وزوجته الملكة



مدافع من الحرب العالمية الاولى محفوظة في المتحف الحربي البريطاني وقد اخذت هذه الصورة لما كان المتحف في قصر البلور القديم .

اليصابات — وظل المتحف في بنايته الثالثة هذه الى الآن . وقد بلغ عدد زائريه فيها من يوم افتتاحه الى بداية الحرب الحاضرة سنة ١٩٣٩ مليوناً و ٣١ الفاً و ٤٦٧ .

ونحن نلخص لقراء « الاديب » مقالا ممتعاً للاستاذ اريك لن يأخذ به قراءه في دورة منظمة الى جميع اقسام المتحف الحربي الشهير ويريهم اموراً غريبة ومألوفة تدهش الناظرين ، لكنها تدل ايضاً على قلة الفرق الحقيقي بين ادوات الحروب القديمة واساليبها والادوات والاساليب المألوفة في الحرب الحديثة . فيرون بعد كل تدقيق وتحقيق ان الاسلحة « الجديدة » ليست في واقع الحال الا تطورات للادوات السالفة نظمتها العقول وكيفتها الايدي .

اما اليوم فأبواب هذا المتحف الحربي الامبراطوري في لندن مقفلة في وجه جمهور الشعب ، لان من جملة الضحايا التي اوقعتها الغارات الجوية في لندن سنة ١٩٣٩ هذا المتحف الحربي الامبراطوري . فقد احدثت فيه القنابل لسوء الحظ اضراراً اوجبت اقفال ابوابه ريثما يتسنى للانكليز ان يعودوا فيصلحوه .

على ان كاتب المقال يقول انه تمكن لحسن الحظ من زيارة خاصة لداخل المتحف ليتفقد اثناءها ما بقي منه سالماً ، وتسنى له بهذه الواسطة ان يحافظ بوصف دقيق لما رأى فيه ، ولا سيما الادوات التي استعملت في الحرب العالمية الاولى من عام ١٩١٤ الى ١٩١٨ ، ونسبتها الى الادوات التي يستخدمها المحاربون في هذه الايام وما بين هذه وتلك من الفوارق . بل — من قلة الفوارق .

اول ما تقع العين عليه قرب مدخل هذا المتحف لائحة الشرف العظيمة للجنود البريطانيين الذين اشتركوا في الحرب العالمية الاولى . فلقد جند الانكليز من وطنهم ومن امبراطوريتهم في تلك الحرب ٩ ملايين و ٢٩٦ الفاً و ٦٩١ رجلا . هؤلاء كانوا كلهم تحت السلاح من عام ١٩١٤ الى ١٩١٨ . وقد قتل منهم في المعارك مليون و ١٠٤ الاف و ٨٩٠ جندياً .

وفي المتحف تفاصيل عديدة عن حياة هؤلاء الجنود الذين يناهز عددهم عشرة ملايين . وفيه بعض الاسلحة التي استخدموها ، من

القنبلة اليدوية الى الطائرة البحرية ، ومن المسدس الصغير الى المدفع الضخم الهائل . لكن هـذه اشياء لا تكاد مجموعة حربية تخلو من امثالها . اما الاثر العميق الذي يتركه في النفس هذا المتحف فينبثق من الاشياء الشخصيـة الصغيرة التي تشغل معظم فسحاته وتوضح بامانة تامة اسلوب الانكليز الخاص في نظرهم الى الحياة من الناحيتين الشخصية والانسانية العامة .

فصحن الدار الرئيسي في المتحف مخصوص بالفنون هنالك مئات من الرسوم تصور جميع مظاهر الحرب العالمية الاولى ، كما تراءت لاعين مصورين لا يحصى عددهم ، مـا بين محترفين وهاوين متلاهين ، وقد كان كثيرون منهم في خطوط القتال . اما الرسوم فلا اثر فيها لتمجيد سخيف لفكرة الحرب ، ولا كذب على الشجاعة في تحسين مظهر التهور والقساوة الوحشية ، ولا غرور هنـاك ولا تغرير ولا رغبة في دفع الناس الى موارد الهلكة العقيمة . لا لعمري . بل ان الخبرة الصحيحة لما هي الحرب وما تعني للمصطلين بنارها ، تلك الخبرة الصادقة وغالباً الرهيبة ، هي التي وجهت ريشة المصور المتفنن وسارت بها على القرطاس او على القماش .

هذه المجموعة تمتاز عن سواها من امثالها بمزية نادرة . كل هذه الصور بدون استثناء تقريباً من صنع شهود عيان رأوا بانفسهم الامور التي رسموها . هنالك صورة عنوانها « الطوب » تمثل بيتاً صغيراً في قرية فرنسية وعلى مقربة من بابه جثة ولد منطرحة على الحضيض ووجهه الدامي يعفر الثرى .. ولماذا دعا المصور هذا الرسم اسم « الطوب » ؟

لان اول الطائرات الحربية التي انزلها الالمان الى الميـدان الجوي كان اسمها « رمبلر طوب » اي الحمامة .

وهنالك صورة اخرى مؤثرة جداً تظهر اسيراً المانياً في زورق فرنسي ، وقد جمدت عيناه فلا تتحركان في اجتهاده لاكتناه معنى ما حصل له . ترى ، ماذا حصل له ؟ لقد اخذت البندقية من بين يديه ، فرماها يائساً على ركبتيه وابقاهما هناك خاملتين واخذته الحيرة . فارانا المصور الانكليزي البـارع منظر الانسان الذي بعدما تملكته سورة الغضب حيناً وتغلبت عليه الحدة ، وهو اول ضرب من ضروب الجنون ، عاد ادراجه مرغماً الى العقل ، واستيقظ من وحشية الفتك واطل على مظاهر الانسانية .



منظر ادوات استخدمها الجواسيس في الحرب العالمية الماضية وهي محفوظة في المتحف الحربي البريطاني .

وهنالك صور اخرى ممتازة تمثل احدها الحواجز المقامة لحماية مدخل المرفأ في مدينة دوفر الانكليزية .. وترينا الثانية اول لمحة وقعت من نواظر الجنود البريطانيين على مدينـة اورشليم . والثالثة تظهر نساء عاملات في دائرة مراقبة البريد . والرابعة خنادق المانية ملأى بالقتلى والجرحى . وغيرها العمل الرهيب القائم على قدم وساق في مستشفى قرب خط النار . وهنالك صورة امضاء معاهدة الصلح في فرساي ، تلك المعاهدة التي تنفس العالم عنـد امضائها الصعداء ، وتوهم بسرور ان الحرب ماتت الى الابد . ثم صورة المدافع البريطانية اثناء « رقابتها لنهر الرين » سنة ١٩١٩ ، واخيراً على طول جدار القاعة وعرضه صورة عظيمة الاتساع لايمكن نسيانها بسهولة ، وهي صورة جنود اعمت عيونهم الغازات الالمانية الخانقة وهم يتلمسون طريقهم متدافعين الواحد الآخر الى عربة المستشفى وقد تركوا وراءهم مئات من اخوانهم المعذبين مثلهم منطرحين كالقتلى على الارض ما بين عميان او معصوبي العيون .

وهنالك صورة ذات حديث خاص بها تدعى « الحياة في حقول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مورافيا » وهي في الظاهر غير ذات علاقة بالحرب ، لكنها في الحقيقة ذات علاقة كبيرة بها .

هذه الصورة كانت تزين منتدى الضباط في الدارعة البريطانية «صفولك» وقد اهديت اليهم من زملائهم في تشيكوسلوفاكيا . وعليها كلمة صغيرة مكتوبة « فلاديفستوك ١٩١٨ » . فالآن فلاديفستوك في اقصى الشرق الاقصى هي المكان الذي اتفق فيه اجتماع بحارة صفولك الانكليز تلك السنة بجنود من التشيكوسلوفاكيين كانوا قد عبروا سيبيريا كلها من الغرب الى الشرق .

وعلاوة على الرسوم الشمسية المعروضة بكثرة في البناية يوجد هناك عدد يناهز ستين الفاً من المطبوعات تعيد الى الاذهان ذكريات الاعمال الحربية التي قامت بها جنود الامبراطورية بين عام ١٩١٤ و ١٩١٨ .

والى جانب هذا السجل التصويري العظيم عن الحرب الماضية نجد اشياء غريبة كثيرة تلفت الزائر اليها وتثير عنايته بها . منها القاعدة التي شيدت في ساحة هوايتهول لضريح الجندي المجهول لاجل استعراض الحلفاء العسكري الذي اجري سنة ١٩١٩ احتفالا بالظفر .

وهنالك ايضاً اللوحة الفرنسية الشهيرة «هنا فردون ممنوع المرور» وهي العبارة الشديدة التي وقفت الهجوم الالماني ولوحات اخرى باللغة الالمانية وجدت وراء الخطوط الالمانية المهملة ، وهذا بعضها مترجماً عن الاصل الالماني : « مركز جمع الخيول » . واخرى : « مدخل الحمام والتنظيف من القمل » . واخرى : « الى دمشق » . وبينها ايضاً صورة رجل ذي لحية متناهية في الطول وقد كتب الالمان تحتها : « لا يطيرن صوابك . بل اعجب فقط » .

وهنالك فخ الماني للبشر من الفولاذ ذو اسنان حادة كان الالمان ينصبونه للقبض على الجنود البريطانيين القائمين بدوريات قرب المراكز الالمانية . وهنالك حربة المانية حولها بعض الوطنيين العرب في فلسطين الى «هلال» . وهنالك الاوعية الاولى للغازات الخانقة التي استعملها الالمان فجأة ضد الانكليز والكنديين في ٢٢ نيسان ١٩١٥ وكان هؤلاء غير مستعدين ولا مفكرين فيها . وهذا التاريخ يشير الى اول مرة ظهرت فيها هذه الاداة الاكثر توحشاً والاقل انسانية بين ادوات الحرب الحديثة .

ومن الامور الجوهرية التي يتعلمها الانسان من اول زيارة لهذا المتحف ان بواكر اشكال الدبابات التي استخدمت في الحرب العالمية كانت تدعى « ذكوراً واناثاً » . كما يطلع ايضاً على بعض اساليب التجسس : كيف كانت الرسائل السرية ترسل في السيكار ونعال الاحذية او تكتب بحبر لا يظهر ولا يرى على مناديل معطرة تحملها « الجاسوسات الجميلات » المشهور امرهن اليوم .

وهنالك جناح كامل من المتحف مخصص للنساء اللواتي ساعدن الانكليز على ربح الحرب . وتؤلف هذه النساء جيشاً عرموماً من العاملات في مصانع الذخائر وتركيب الطائرات والاعمال الزراعية وسوق سيارات المستشفيات .

فعندما يفتح المتحف الحربي البريطاني ابوابه مجدداً سيرى شباب لندن الذين عرفوا الغارات الجوية الحاضرة ورأوها رأي العين كيف كانت الاعيب الاطفال تدعى غارات مهمة في الحرب التي مضت منذ ٢٥ عاماً . فان في هذا المتحف صورة مؤثرة لاناس مهرولين الى محطة النفق الحديدي للاختباء عند اقتراب منطاد زبلين من لندن . ويمكن المتأملين في هذه الصورة ان يحولوا نظرهم الى الارض التي تحتها فيجدون ركاماً لمنطاد زبلين نفسه بعد ما سقط محطماً مقهوراً .

كانت المنشورات الصغيرة من اعظم ادوات الدعاية في الحرب الماضية . وقد حاول الالمان بهذه الرسائل المطبوعة اقناع الجندي البريطاني بالقاء سلاحه والمسالمة ، كما انذروا بها الاهالي الفرنسيين بسوء عقبى التعدي على مقتنيات الالمان العسكرية . ولكن اهم نشرة صغيرة بين محفوظات متحف لندن الحربي هي التي ارسلها الاميركيون الى ما فوق الخطوط الالمانية معلقة ببالونات صغيرة يبشرون بها جنود الامبراطور غليوم الثاني بوصول اول مليون من الجنود الاميركية الى ارض فرنسا .

وفي بعض النواحي من المتحف خزانة زجاجية تظهر فيها للعيان امثلة محفوظة عن الاطعمة الالمانية وخصوصاً من الاطعمة التي تكاد لا تصلح للخنازير . وقد قيل للجنود الالمان يوم توزيعها عليهم انها تحفظهم اقوياء وتشد عزائمهم .

اجل ان الزائر يجد كثيراً في هذا المتحف مما يستحق ان يرى . ولكن اكثر الموجود هناك يعد مألوفاً . فالرسوم اليدوية والصور الشمسية تمثل اموراً تقع العين على امثالها في هذه الحرب ايضاً . واللوحات الفصيحة الصريحة انذاراً وارشاداً ، لا تختلف في الحرب الماضية عما نرى في هذه الحرب من نوعها . والعبارات التي اشتهرت وسجعت بها الركبان كقول المستر هربرت موريسون وزير الداخلية البريطاني «هيا بنا اليها» وقول المستر تشرشل رئيس الوزارة الحالي : « فلنسر معاً الى الامام» ستبقى مذكورة مكررة اعواماً مديدة بعد هذه الحرب . والنساء العاملات في الحرب الماضية لهن اخوات كثيرات في الحرب الحاضرة . وهكذا نستطيع ان نعدد في داخل المتحف : الغارات الجوية ، والملاجيء في الانفاق الحديدية ، والنشرات المنثورة من الجو ، ومواد الاطعمة والاسلحة المختلفة . لكن هذا التعداد نفسه هو ما يتيسر لنا خارج المتحف ايضاً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نشرت بأذن من مالكتها السيدة فاخوري

المعاهدة الاولى في الاسلام

بقلم صلاح اللبابيدي

◆

ما زلت حتى يومي هذا اتجنب السياسة ولا احب التاريخ ، وقد يكون السبب في ذلك ما علق بخاطري من شعر عنهما ، وكثيراً ما كان للادب اثره في توجيه الميول. فقد حفظت منذ عهد بعيد هذين البيتين عن السياسة :

لا يخدعنك هتاف القوم بالوطن ... القوم في السر غير القوم في العلن
احبولة الدين ركبت من تقادمها ... فاعتاض عنها الورى احبولة الوطن

وحفظت عن التاريخ هذين البيتين ايضاً :

وما كتب التاريخ في كل ما روت ... لناقلها الا حديث ملفق
نظرنا بامر الحاضرين فرابنا ... فكيف بقول الغابرين نصدق ؟

لقد كنت في مقتبل العمر عندما سمعت بمعاهدة (فرساي) يخيل الي ان المعاهدة عقد وثيق يقيد الفريقين بذمة لا تخفر وحرمة لا تخرق ، فما مر على ذلك عهد غير بعيد حتى رأيت كيف تخفر العهود وتنقض المواثيق ، ففجعت بخيالي الاول. وحملني الفضول على البحث عن المعاهدات في التاريخ لمقارنتها بما سمعت ورأيت ، حتى وقعت على المعاهدة الاولى في الاسلام ، فعرفت كيف تحفظ العهود وتحترم العقود، مما لا نعرفه اليوم ولا نتوقعه في الغد.

لقد عزم النبي العربي الكريم في السنة السادسة للهجرة على زيارة مكة والطواف بالبيت العتيق ، فخرج باصحابه الى وطنه الاصلي . فلما سمعت قريش بذلك جمعت جموعها وقررت صدهم عن هذه الزيارة . وأبى الرسول الا ان يفعل فقام بديل بن ورقاء سيد خزاعة في نفر من قومه يسعى لاقناعه بان يعدل عن هذه الزيارة . فاصر النبي اصرار الواثق من نفسه الا ان يفعل ، قائلا : « لم نقدم لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين . » واصرت قريش على عنادها فذهبت جهود بديل ادراج الرياح . وسعى بعده ابن مسعود سيد ثقيف وابن علقم سيد الاحابيش للتوفيق بين المسلمين وبين قريش ، فلم يوفقا ايضاً رغم تحذيرها من عاقبة العناد .

ورأى بعد ذلك (ص) ان يوفد سفيراً الى قريش يحذرها البغي بغير الحق ، حباً بالمسالمة وحقناً للدماء ، فانتدب لذلك خراشة بن امية الخزاعي ، فعقر ابو جهل ناقته وهم بقتله ، ففر راجعاً الى معسكر المسلمين . فلما علم النبي بذلك زود عثمان (رضه) بكتاب يشرح فيه الغرض من مجيئه ، فاصرت قريش على عنادها، الا انها سمحت لعثمان وحده ان يطوف بالبيت ، فأبى الا ان يكون في صحبة النبي الكريم ، فغاظ ذلك قريشاً وهاج حفيظتها ، فأمرت بسجنه ، فتناقل الناس الخبر وعظموه حتى وصل معسكر المسلمين ان عثمان قد قتل . فلما انتهى ذلك الى اذن الرسول (ص) قال : « ان كان حقاً ما سمعناه فلن نبرح حتى نناجز القوم . البيعة ، البيعة ، ايها الناس ! » فتوافد القوم يبايعون ، وبذلك هبط الوحي بالاية الكريمة (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحاً قريباً .)

فلما سمعت قريش بذلك خففت من غلوائها وعمدت الى استئناف المفاوضات مع المسلمين فارسلت سفيرين من قبلها لعقد المعاهدة الاولى معهم ، وهما سهيل بن عمرو العامري وحويطب بن عبد العزى وكانا من العظماء في قريش . وقد تحمس سهيل في نقاشه حتى علا صوته ، فناداه عبادة بن بشر : « ان اخفض صوتك عند رسول الله » . ولما سأله عليه الصلاة والسلام مترفقاً ، عن سبب حيلولة قريش بين المسلمين وبين البيت اجابه : « والله ، لا يتحدث العرب انا اخذنا ضغينة ابداً . ولكن لك ما تريده في العام المقبل . تخرج من مكة وندعها لك ثلاثة ايام . . » فقبل النبي الكريم بذلك تسهيلا لعقد معاهدة يستفيد منها المسلمون راحة وقوة ، ولتكون له الحجة على قريش اذا نكثت بعهدها . وامر كاتبه اوس بن خولة بكتابة المعاهدة ، فابى سهيل ان يكون الكاتب احداً غير ابن عم الرسول علي بن ابي طالب (رضه) فقال النبي لعلي : اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم . » فعارضه سهيل قائلا : « لا اعرف هذا . ولكن اكتب : (بسمك اللهم .) فوسع حلم النبوة هذه المعارضة الحمقاء أيضاً وقال لعلي : « اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . » فابى ذلك سهيل قائلا : « لو شهدت انك رسول الله ما صددتك عن البيت ولا منعتك . ولكن اكتب اسمك واسم ابيك . » فترفعت عصمة النبوة عن الغضب وامر علياً بمحو ما اعترض عليه السفير ، ولكنه رضي الله عنه ابى قائلا : « ما انا بالذي يمحوه ابداً » .

وهنا تجلت رحابة الصدر وتؤدة الحلم . فلا علي يقبل بشطب صفة تغلغل ايمانها في قلبه ، فهي امكن فيه من الجبال الراسخة ، ولا السفير يقلع عن معارضته بها ، وقد يكون ذلك سبباً لفشل المفاوضات واهراق الدماء ، وهو ما اراد المصطفى تجنبه رفقاً بصحبه واشفاقاً على اعدائه . فاخذ الصحيفة وقال لعلي : « ارنيه . » ومحاه بيده الكريمة ثم التفت الى السفير وقال : « انا رسول الله وان كذبتموني ، وانا محمد بن عبدالله ابن عبد المطلب . » وعلى ذلك استمر الكاتب في كتابة المعاهدة وهذا نصها :

(باسمك اللهم . هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله بن عبد المطلب سهيل بن عمرو العامري ، على ان تخلي قريش بيننا وبين البيت نطوف به في العام المقبل ، وان من جاءنا منهم رددناه وان كان مسلماً ، ومن جاء قريشاً ممن اتبعنا لا يرد الينا ، وان من دخل في عقد محمد وعهده دخل ، ومن دخل في عقد قريش وعهدها دخل .)

وقد حدثنا المؤرخون بعد ذلك ان المسلمين دخلوا مكة في العام المقبل ، وطافوا بالبيت ثلاثة ايام كما جاء في المعاهدة ، على انهم كانوا الفين عدداً ، باسلحة كاملة . وحباً بالمسالمة تركوا اسلحتهم في مكان بعيد عن مكة . ولما انقضى اليوم الثالث امر عليه السلام ان يؤذن في الناس بالرحيل ، وجاءه كثير من المسلمين المستضعفين هاربين من اسر قريش فردهم جميعاً اليها ، رغم توسلهم اليه ان لا يردهم الى قوم يفتنونهم في دينهم ، فكان يقول : « انطلقوا الى قومكم فانا لا نغدر . »

وكان وفاء المسلمين بعهودهم التي قطعوها في معاهدتهم الاولى عاملا قوياً في نشر دعوتهم ، وراحت قبائل العرب تتوافد عليهم رغبة في محالفتهم .

وهكذا كان الوفاء بالعهود شرفاً لعاقديها ، فليشهد التاريخ بعد اليوم انه لا يعيد نفسه .

صلاح الابايجي

علم الاصوات واللغة العربية

هل استمعت الى اجنبي يتكلم العربية وفكرت في السبب الذي من اجله لا يتلفظ بها كما يتلفظ ابناؤها ، او في السبب الذي من اجله قد يتكلمها اجنبي باكثر طلاقة من اجنبي آخر ؟ وهل تحقق لديك اننا عندما نتكلم نستعمل عضلات خاصة ، وانه ليس من الضروري ان نستعمل العضلات ذاتها ، او بالطريقة نفسها ، اذا تكلمنا لغتين مختلفتين؟ وهل لفت سمعك اختلاف لهجات السوري والمصري والعراقي مثلا عندما يتكلمون لغة واحدة : العربية ؟

هناك اناس يتساءلون تلك الاسئلة ويحاولون ان يجدوا اجوبة علمية عليها وهذا العلم يدعى « علم الاصوات » وموضوعه دراسة الاصوات البشرية وكيفية اخراجها ومن اي اجزاء الفم والحلق تحدث الاصوات المختلفة .

لقد زرت حديثاً القسم الخاص بدراسة الاصوات في « كلية الدراسات الشرقية والافريقية » بلندن ، ونخال ان ابناء الضاد قد يروقهم ان يعرفوا شيئاً عن هذه الزيارة لسببين : اولها ان العلامة الدكتور طه حسين في كتابه « مستقبل الثقافة » دعى الى انشاء مثل ذلك القسم في الجامعة المصرية ، والثاني هو ان اللغة العربية هي من اصلح اللغات للدراسة من هذه الناحية لانها مستعملة في بقاع مترامية الاطراف ويتكلمها اناس كثيرون بلهجات شتى .

وغني عن البيان ان دراسة الاصوات تتصل مباشرة بالحالات التي تنطق فيها اللغات ، تعني « اللهجات الدارجة » . ففي العصور الاولى ؟ كعصور قبل الاسلام ، كان الاهتمام بالكلام بالغاً ، ولا اخالكم الا ذاكرين القصائد المشهورة التي كان العرب يتبارون في انشادها في سوق عكاظ وغيرها من الاسواق . لكن بعد ان دونت الاشعار في الكتب ، ثم انتشرت الطباعة ، تحول ذلك الاهتمام للالفاظ والكلمات التي تتداولها الالسن الى الالفاظ والكلمات المكتوبة والمطبوعة . ولقد اهتم العرب منذ اجيال بما كتبوه ، واولوه عناية اعظم من عنايتهم بما قالوه او انشدوه ، حتى ظهر بعض الرغبة في دراسة هذه الناحية من اللغة حديثاً ، اذ اخذ فريق من الكتاب يتعمدون ادخال الالفاظ العامية في الاسلوب العربي : ومما يجدر ذكره ان الراديو هو من اهم العوامل التي تعيد الى الكلام او « اللفظ » شيئاً من رونقه واهميته الخاصة . وفي كلية الدراسة الشرقية والافريقية بلندن يستعين الاساتذة كثيراً ، لتدريس اللغات واللهجات المختلفة ، بالاسطوانات المسجلة . فهم يسجلون مثلا النطق الصحيح لمصري يتكلم بالعربية على اسطوانة خاصة ، ثم يسجلون النطق الخاص بالطلبة الانكليز الذين يتعلمون العربية على اسطوانة اخرى ، ثم تدار كل اسطوانة على حدة فيتسنى للطالب حينذاك ، ان يقارن بين نطقه والنطق الصحيح ، ويعمل على تمرين عضلات فمه وحلقه ولسانه كي يتمكن اخيراً من تمود ذلك النطق . ويوجد في المدرسة مكتبة خاصة ملأى بمختلف الاسطوانات ، يتردد عليها الطلبة لسماع النطق الصحيح وغير الصحيح للغة التي يدرسونها .

ويؤخذ عادة لكل طالب تسجيل خاص من نطقه قبل مباشرته دراسة اية لغة اجنبية ، وتسجيل آخر بعد ان يكون قد انجز دراسته ، فيتعرف بذلك الى النواحي التي أتقنها ، والى نقاط الضعف التي تجب معالجتها .

وليسوا يعنون في تلك المدرسة بمواضع التخفيف والتشديد فحسب ، بل يعنون ايضاً بدراسة توافق النغمات المختلفة في اللغة التي يدرسونها . ومن الابحاث الحديثة التي توافرت الجهود عليها في الاعوام الاخيرة تحليل اللهجات المختلفة في اللغة العربية . وقد شاهدت عدداً غير قليل من الصور الفتوغرافية التي اخذت بواسطة اشعة اكس لعضلات الفم واللسان اثناء النطق بالحروف المتباينة ، لتتمكن بذلك معرفة الصعوبات التي تعترض الاجانب حينما يحاولون النطق باية لغة غير لغتهم الاصلية .

ويوجد الان طريقة دولية خاصة لكتابة وقراءة اللغات المختلفة ، وهو نوع جديد من الحروف الابجدية الصوتية الدولية ، اي حرف خاص بكل صوت من الاصوات ينطق به في اية لغة ، يضاف الى ذلك طريقة اخرى تعرف بها مواضع الشدة والتخفيف والنغمات في النطق بكل كلمة ، وذلك باستعمال تنقيط خاص وعلامات متواضع عليها . وبهذه الطريقة ، في وسع اي كان ان يقرأ اية لغة اجنبية قرأة صحيحة .

وقد يكون من المستملح ان اروي لكم نادرة طريفة حدثت لي خلال زيارتي ذلك المعهد . كانوا يسجلون كلام رجل يتكلم بلغة اهل سيام ، وخيل لي ان هذه اللغة من اصعب اللغات على النطق . لكن لشد ما تعجبت عند ما اعادت سيدة انكليزية كانت تصغي الى ذلك الرجل وتدون ما يتفوه به بتلك الطريقة الدولية التي اشرنا اليها ، ما قاله بالحرف الواحد ، ناطقة به نطقاً صحيحاً . فسألتها مازحاً ما اذا كان بوسعها ان تكتب بيتاً عربياً بالفاظه المتنافرة وهو البيت المشهور :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

فكتبته ونطقت به بعد كتابته نطقاً صحيحاً واضحا . ثم طلبت اليها ان تكتب بيتاً اخر وهو :

وازور كل من كان له زائر وعاف عافي العرف عرفانو

فكتبته وقرأته بكل سهولة ، وتيقنت عند ذاك انه يمكن بتلك الطريقة الدولية الحديثة كتابة وقراءة شتى الاصوات في اية لغة كانت بوضوح وجلاء .

ويبلغ عدد اللغات المتدارسة في ذلك المعهد العلمي نحو مائة لغة ، ولديهم ١٢٠٠ اسطوانة ونيف سجلت عليها تلك اللغات المختلفة ولهجاتها . وعلى كل اسطوانة بطاقة مرقمة مصنفة تسهل الرجوع اليها كلما قضت الضرورة باستعمالها .

ومن دواعي الابتهاج ان احد الشبان المصريين من خريجي كلية الدراسات الشرقية والافريقية قد انجز منذ عهد قريب جزءاً قيماً من دراسته في فرع دراسة الاصوات واللغات ، وكان موضوع اطروحته التي نال بها اجازة الدكتوراه هذا : « المميزات النحوية للغة العربية كما يتكلمها المصريون . »

وانا لنتمنى للجهود التي تبذل في ذلك المعهد العلمي كل نجاح ولا سيما ما كان منها متصلا باللغة العربية .

(مقتبسة من خطبة لاحد المستشرقين البريطانيين)

ليلة العمر

◆

بقلم احمد عبد الجبار

هتف الكون وغنى بالنشيد العلوي
وانتشت دنيا الليالي بالقصيد العبقري
انفس تصبو وارواح على الناي الشجي
هدهدتها خمرة الاحباب في الكأس الوضي

•

موكب للحور يمشي فوق هامات الزمان
حوله الانجم طافت وشعاعات الاماني
وسرت في اثره رعشات للاغاني
ثمل النور عليها وزهور الاقحوان

•

موكب من عالم الليل واحلام الصباح
رنحته نغمات الحب في كف الرياح
فجميل في غدو وجميل في رواح
قبلة الله عليه والهوى فوق الوشاح

•

موكب للقلب زفته الاماني النضرات
الدنى فيه سكارى والعذارى مرحات
رقص العمر به وحدا فيه الحداة
وارتمى اللحن فغنته القوافي الثائرات

•

موكب الفرحة والسحر واعراس الليالي
همهمت فيه السواقي وشدت فيه الدوالي
ليلة لبنان فيها سامر ضاحي الهلال
والزمان البكر فيه حلم طيف من خيالي

كلما وقعت لحني ردد الموج صداه
ورنا «صنين» يشكو للروابي ما عداه
وفؤادي يتلظى من غرام قد براه
الهوى يا قلب بحر لست تدرى منتهاه

•

سامر الحي دعانا والصبايا الخفرات
والهوى العذري فينا ارقصته النغمات
يا حبيب القلب غن وتغني يا حياة
مزهر الشعر شجاني وشجتني الذكريات

•

يا حبيبي طاب في الليل لقانا وهوانا
وتلاقت في دجاه بخشوع مقلتانا
نظرة تمتمها الوجد فباحت شفتانا
وعلم العشاق ما فيها ويدريها بكانا

•

ما لهذا الحب يا قلبي لا تنتضب ماؤه
خفق المزمار لا يخبو على الذكرى نداوه
كلما الشوق تهادى هزه في الشوق داؤه
وله اخمده اليأس واحياه رجاؤه

•

كل طيف يترآءى كخيالي في التمني
يا حبيبي هذه ليلتنا هيا نغني
انت في فكري احلامي وفي دنياي فني
يا حبيبي ان حبي زورق يبعد عني

احمد عبد الجبار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البيان

للعلامة غوستاف لانسون (١)

معربة بقلم محمد روحي فيصل

— ١ —

يذهب « جوبير » فيما يذهب اليه من الوان النقد الى ان الالفاظ لا تقصر عن اسباب المعاني ، ولكن المعاني هي التي تقصر عن اسباب الالفاظ ، فما يكاد المعنى يبلغ طور الكمال ودرجة التمام حتى ينبثق اللفظ المصطفى المختار الذي يشف عنه فيكسوه ويمثله . وهذا صحيح كل الصحة ، وما فيه ادنى ريب ، ولكنه لو علمت لا يدل على امر كبير ، ولا يسفر عن رأي خطير . فما دمنا لا نستطيع ان نفكر الا بواسطة الالفاظ بل ما دمنا لا نستطيع ان نفكر الا الفاظاً تتفاوت فيما بينها من حيث الوضوح والتمثيل ، فان بلوغ المعنى طور الكمال وايصاله درجة التمام يعني التفكير في اللفظة التي تكشف عنه بكامله ، وتنطبق عليه بحدوده . فالقولان على هذا مترادفان ينوب احدهما عن اخيه ويمثله في الاتجاه او يساويه في الغاية ، والصعوبة كل الصعوبة تبدو في الوصول الى هذه المرحلة الاخيرة حين يكتمل المعنى في اللفظة التي تخصه هو من دون غيره والتي ينتهي عندها بنفسه .

الحق ان العبارة هي جهد المبين ، وغاية الابداع ، ونتاج العبقرية . واول ما يقوم به العقل في هذا السبيل هو الطواف في كافة جوانب الموضوع الذي يبحثه ، والسؤال عما يعرف من طريق التجربة التي قام بها من نفسه او من غيره . ويثري العقل على هذا ايما اثراء ، فيدخر جملة صالحة من الخواطر المبهمة التي تغيم ولا تصفو ، ويختزن جمهوراً كبيراً من المعاني المركبة التي تتعقد ولا تستقر ، وما يكاد يقيس المسافة التي يجب ان يخطوها او يقدر الموضوع الذي يريد ان يجلوه ، حتى يوزع هذه الخواطر المدخرة والمعاني المختزنة ، وقد اتضحت وتحددت ودقت بمجرد استعدادها للعمل وظهورها في النور .

والى هنا كان عمل العقل خاصاً به لا يشركه في ذلك شريك ولا تنازعه غاية . ففكر لحسابه وقدر بالفاظه ، وابان بجمله . كانت « لغته » طائرة موجزة كالايماءة ، مجهولة غريبة كالرؤيا ، لا يعرف القصد منها الا حملتها ، ولا يميز المعنى فيها الا نقدتها . فلو ان احدنا جرد من نفسه الذاتية شخصا معنوياً يراقب مجرى خواطره الباطنة حين يمضي في العزلة وينزع الى الوحدة ، لرأى اننا لا نفكر على نحو ما يفكر الناس ، ولا نجري في الطريق المستوية المألوفة ، فان سرعة المفهوم ووومضة الخاطر تخلقان في كل لحظة من لحظات التفكير لغة جديدة رمزية مختزلة هيروغليفية ، تأخذ الالفاظ فيها معاني ملتوية شاذة متأبدة ، فتأتلف حسب اهواء الذاكرة العابثة ، وتطرد على غير الصرف الذي نعرفه ، والنحو الذين نعربه ، والبيان الذي نتذوقه . . تلك لغة طائفة لم تسترح ، والفاظ محرفة لم تستقم ، ولو اننا انتزعنا جانباً من هذه الالفاظ وتلك اللغة ، ورحنا نمعن النظر فيه لوحده ، لرأينا انفسنا على حالها المضطربة الغامضة ، وما درينا اي شيء نقول ولا الى اي امر نشير .

اجل ، الى هنا كان عمل العقل خاصاً به ، فتلك خطوته الاولى في سبيل البيان يقوم بها من نفسه ولنفسه ، ويجيء الان دور العمل للآخرين : فانما ينبغي ان نفكر لحسابهم ، ونقدر بألفاظهم ، ونبين بجملهم . وما يتم كل هذا الا بقلب اللغة الخاصة الى لغة عامة ، والا باكتساء الخواطر والعواطف اثواباً تتبينها كل العقول وتهش لها كل النفوس . والامر الى ذلك معروف ميسور : نضع « عبارات » واضحة يفهمها الناس مكان « العلامات » التي كانت من قبل عنواناً للفكرة اكثر مما تكون مرآة لها ، وفي ذلك تنتهي مرحلة الابداع الفكري ، ويبدأ عمل الاسلوب الانشائي . فالاشياء التي تتشابه تقترب من بعضها وتلتصق بحدودها وتدق في مفهومها ، والالفاظ التي كانت تكسوها في دنيا العقل تتوارى لتأخذ مكانها الفاظ جديدة اقدر على الابانة من سابقاتها ، واسطع منها نوراً ، واشد تصويراً . والملحوظ ان الفكرة اذا تبدل لفظها وشكلها تبدل هيكلها وكيانها ، والى ان يتم هذا التبديل المزدوج تجري الفكرة واللفظة معاً على قدم المساواة نحو اسباب الكمال ، ولن تكون الفكرة كاملة واللفظة تامة الا حين يخرجهما الكاتب الى حيز التنفيذ ، ويسجلهما على بياض القرطاس ، لان الرأي الذي لم يكتب انما هو رأي « بالقوة » من دون « الفعل » يبقى ابداً تحت رحمة الاحتمال ونسبة الامكان ، ولن يستقر موضعه المخصص له ، ويأخذ وضعه المحدد به ، الا بالكتابة .

ان اللفظة مقياس الفكرة ، فمن كتب خواطره فانما يتمم خلقها ، وان شئت فقل ان الرأي لن يكتمل الا حين يبرز مقروءاً

(١) مؤلف « تاريخ الادب الفرنسي »

على الورق ، ويرف مشكولا بالمداد .

يقول الناقد هيبوليت تين في رسالته عن لافونتين : « . . والحق ان شأن الالفاظ غريب ! فما طبيعتها قبل كل شيء ؟ ايها قادرة على التصوير ، وايها عاجزة ؟ بأية اعجوبة استطاعت احرف اربعة ان تدل على حمار ، واحرف ثلاثة على كاب ؟ كيف السبيل الى اختيارها واصطفائها ، والى تزاوجها واطرادها ، بحيث تكشف عن الاشياء والاوضاع والمعاني ؟

الاصل في الالفاظ الحياة ، اعني انها كانت تزخر بالشعور ، وتموج من الفكر ، يوم نشأت لاول مرة في الوجود ، وجرت على لسان رجل الكهف ، يشير بها الى ما يحيط به ، ويضع فيها العواطف والخواطر التي تدور بخلده ونفسه . بل لقد كانت قديماً من الحياة بحيث تضارع اهتزاز اوتار الكمان الشجي ، او تشبه نمو برعم الزهر الطري . ذلك انها تفجرت اول ما تفجرت من قلب الطبيعة وروح الاشياء ، فحاكت الحيوان وقلدت الانسان حين يبسم او يرق او يعبس ، وحين يزوي بانفه ويتنفس بصدره ويتغنى بحنجرته . وما تزال على حالها حتى الساعة ، بالرغم من مرور الزمان على مولدها ، و كور الايام على استعمالها ، تحمل الان موكب التقليد للطبيعة ، ومعالم المحاكاة للاشياء . فما تكاد تضطرب على طرف اللسان او تقطر من شق القلم ، حتى تعود الى وظيفتها الاولى من الحياة ، وتكشف عن معناها الاصيل .

« يا عجباً من اللفظة الواحدة كيف تخلق في نفس المرء عالماً من الاحساس ودنيا من الصور ؟ افما تراها بربك اذا احسن اصطفاؤها وانزلت موضعها من العبارة ، تعمل عمل السحر في الجمال ، وتقوم مقام النظر الشخصي الى الاشكال والالوان ؟ ان العبارة الانشائية لتبدو جذوة من نار متأججة اذا اطردت الالفاظ فيها على هذا النحو من حسن الاختيار ودقة المكان . انها لا شك تلهب الخيال بقوة احراقها ، وتصور المعاني على وضح نورها . وتنحصر عبقرية الشاعر في تنسيق الكلم وفن الالفاظ ، لان المعنى اذا قام في نفسه ، والشيء اذا تبدت صورته ، لا يتطلبان اللفظة الصحيحة « الصادقة » فحسب ، وانما يتطلبان اللفظة الموهوبة « الطبيعية » ، اعني العبارة التي تنفرج عن نفسها وتنبثق من ذاتها ساعة يقوم المعنى في النفس ، وتبدو صورة الشيء . . »

— ٢ —

تربو الالفاظ لخصوبتها على المعاني الى حد بعيد ، وتبني لمرونتها بكل حاجة من حاجات الاداء والاعراب ، فلا تقوم في النفس خلجة مهما استسرت ، ولا خطرة مهما استدقت ، الا وتقع من فورها على الكلمة القوية التي تنفض جملة حالها نفض تصوير واحاطة ، ثم تمشي في اطواءها كما تمشي الروح في اطواء الجسد لا تبرح مجاورة لها عاملة معها حتى تصير الى نوع مادتها على تعاطف والتحام . ذلك ان للغة من القدرة على حمل اجزاء النفس وابعاض الشعور ما تقوى معه على كشف الدقيق من خافيات الخواطر ، والسريع من حركات العواطف ، حتى في الحالات التي يمحي منها العقل المراقب والحس المحلل لاتعدم المبهمات من الاراء والاهواء تعابير مبينة قوية على البيان قوة تدعو الى العجب والدهشة ، كأن الكلمات تنهض بالمعقول الذي لايدرك ، وتحدد اللانهاية التي لا تحد . فما كاد باسكال يمعن في سعة الكون ، ويتعب خياله من فرط التصور ، حتى امدته اللغة بعلامات قادرة على التمثيل والبيان فقال : « الكون كرة ليس لها حدود ، مركزها في كل مكان ، ومحيطها في الفضاء » . وهذه عبارة كما ترى خالية خاوية ، ولكنها مع ذلك واضحة مفهومة ، فهي ضرب من المعادلة الجبرية التي تخضع ما لا ينتهي لقواعد الذي ينتهي ، والتي تقيس ما لا يقاس بهذا التأليف العارض بين شتى العبارات الايجابية والسلبية .

كيف استطاعت اللغة ان تظفر بالمرونة البيانية على هذا المقياس الواسع ؟ ان الافكار كثيرة لا حصر لها ، ولكن عدد الكلمات محدود ، فما في معجم الاكاديمية الفرنسية اكثر من سبعة وعشرين الفاً من الالفاظ ، وهذا ما يدعو الى التساؤل عن مأتى الطاقة اللغوية في الاداء ، لان المعاني من ذوات التعادل الثابت في الكلمة الواحدة من كلمات المعجم ضئيلة ضاءلة واضحة لا تني بالمراد ولا تلتئم مع المظهر الخصب للثروة الادبية في لغة الامة .

جاءت مرونة اللغة من عملية بسيطة معقدة في آن واحد : جاءت من « التأليف » بين الالفاظ والالفاظ . لقد تحمل اللفظة معناها الضيق الذي يدل عليه المعجم ، وتصطبغ الكلمة باللون المحلي الذي يسطع بين الاحرف ، فما تجتمع اللفظة الى اللفظة ، وتنتظم الكلمة مع الكلمة ، حتى تنبثق من الاجتماع والانتظام سلسلة من الاضواء المتعاكسة المتجاوبة التي تكشف المعنى او المعاني التي يتطلبها الكاتب من وراء الكلام . وبهذا التركيب وحده تنغمر الثغرات التي خلقها المعجم بين حدود الالفاظ ، وتنجلي اللغة عن اللدونة التي لا حد لها في عرض المتداخل الدقيق من الخوالج والخواطر .

وسر البيان من اوله الى آخره ، على روعته وتساميه ، عائد الى نوع المزاوجة بين الكلمات مما هو متروك من قديم الزمان للحاسة الفنية والملكة الموهوبة .

ان مفردات اللغة في المعاجم كالحجارة في مقالع الارض ، من يأخذها على حجمها الناشز ووزنها الجامد ثم يضعها كما يضع البناء حجارته بعضها الى جانب بعض على طبقات مرصوفة مرصوصة ، لا يكتب بغير القلم الشحيح البطيء الثقيل ، وبيانه محروم من الطراءة والرشاقة والدقة . ذلك ان حرارة الاسلوب لا تستوي على الوجه الساطع الا بعبقرية التأليف بين الالفاظ من حيث نطالع المرونة واللدونة في ثناياها . فمن يفوته هذا بالفطرة الاصيلة او بالدرس الصابر يفوته سر هذه العملية الكيماوية التي تمزج الكلمات مزجاً يبدل من لونها وعطرها وصوتها وطبيعتها ، ويظفر بالوحدة المتجانسة البسيطة التي تأخذ العناصر المشتركة في انشائها خصائص حديثة ليست تمت بنسب الى القديم الذي كان لها في بطون المعاجم .

وماذا في بطون المعاجم غير الكلمات في معناها الحقيقي وشكلها العام ؟ ان علماء الحيوان والنبات يصنفون الانواع حسب الخصائص المشتركة فيما بين الافراد ، ثم يهملون ما قد يكون الى جانب هذه الخصائص المشتركة من خصائص اخرى كثيرة يتفرد بها كل عضو من اعضاء النوع الواحد من مثل اللون والطبع وما الى هذا من مزايا هامة . هكذا عالم اللغة لا يحدد من معنى الكلمة او من معانيها الا الجانب العام مما تواضع الكتاب على منحه واثباته فيما يكتبون ، والى هذا ينبغي ان تضاف الى الكلمة عند التحرير قيم اخرى تنشأ من مجرد الدخول في جملة من جمل الانشاء والتركيب . والعالم اللغوي في هذا كالعالم الطبيعي ، مهما استقرأ عدد الخصائص ، وتقرى مواضع الامتياز ، فهو لا بد واقف عند حد من الحدود العامة التي تجمع شيئاً وتمنع اشياء . ومن الواضح الا يفعل العالم اللغوي غير هذا ، لان مرونة الكلمة وفعاليتها المعنوية شيئان لا يمكن ان يجتمعا في بطون المعاجم ، واذا اجتمعا فلن يكون هنالك غير الفوضى في المفهوم والاضطراب في المعنى مما تضيع معه رسوم اللغة الواضحة المستعملة .

لئن كانت الكلمة جامدة المعنى في المعجم ، فلن تكون كذلك في البيان . فقد تغمر خصائصها او تمحي معانيها او تتسع آفاقها او تسطع مزاياها ، بل لقد تبدل الكلمة من حقيقة الشيء الذي تصوره تبديلا كبيراً ، فتغير من شكله او تضع من شأنه او تعظم من قدره حسب ما يرضي المبين عند البيان ، وكل هذا واقع تحت اقلام الادباء في كل لغة من لغات الناس . لشد ما نذكر اسم « الله » في كل يوم فلا نفكر فيه تفكيراً سريعاً ولا تفكيراً عميقاً ، فما يكاد ماسيون يقول : « ان الله وحده عظيم » حتى يثب اسم الله للاذهان كما هو على جماله وجلاله في القلوب . ولشد ما نرى « السراج » يتوهج في الليل فلا نمنحه معنى ولا امعاناً ، فما يكاد جوديل المتحضر يصرخ في وجه المليك الذي خدمه وما غذاه : « ان من يستعمل السراج فلا اقل من ان يضع فيه شيئاً من الزيت » . . وما يكاد لكونت دي ليل يقول من قصيدة له : « القمر الشاحب وهو يضيء العراء يضطرب محزوناً كما يضطرب السراج الكئيب » . . وما يكاد باسكال يدعو الانسان الى النظر في الشمس : « هذا الضوء الساطع في الفضاء كالسراج الخالد ينير جوانب العالم » — ما يكاد هؤلاء الكتاب يذكرون « السراج » في هذه الملابسات البيانية حتى نتمثله في ثلاثة اجواء من المعاني قد اختلفت فيما بينها لاختلاف الوسط من الكلم المرسل الذي وقع فيه اسم السراج !

ارأيت الى الفرق بين الكلمة الميتة في المعجم ، والكلمة الحية في الادب ؟ ارأيت من اين جاء سر البيان المشرق الخالد على الدهر ؟ اعرفت الان لماذا يهم المبين باللفظة هياماً لن يعرف مذاقه العالم من علماء اللغة ما دام بين الحجارة محصوراً ؟ . . ان في الكلمات قيماً سواحر لا تأتي الا من المكان والجوار كانما هي تتكون مما يغشاها من الاضواء والالوان فتمتد او تتجمع حسب ما اعطي لها من الحيز البياني الذي ينمي مرونتها الطبيعية ، ويولد من معناها الاصيل معاني جديدة لم تكن لها من قبل . وهذا من بعض الاسباب التي تقضي على النظرية القديمة في « الاسلوب النبيل » قضاء مبرماً لا قيام لها ابداً ، لانها تعزو الى الكلمات درجات من الطاقة ثابتة ، وتنكر عليها النفاذ المتعاكس والاتصال الحساس مما يحرمها من فضائل ما يحيط بها من الجو البياني الرفاف . وهذا ايضاً مما يجعل الشعر الجميل يستمد الفاظه من الفاظ الناس ، كأن « قبضة من الكلمات العادية ، قد اجتمعت بشكل عادي » كما يقول تين تستطيع ان تهز النفس وتنحدر بها الى الاعماق .

لعلك تعرف لغات تضارع الفرنسية ان لم ترد عليها في اللمعان والاهتزاز ، فاذا اخذتها من المعاجم لم تجد الا الفاظاً مغبرة هامدة

خرساء لا تبين ، وما يكاد الخيال او البيان يؤلف بينها في سمط من الكلام حتى تشب شبوب النار بعد الهمود ، وتتطاير منها شرارات الخواطر قوية لامعة . وفي اللغات الاجنبية كلمات يحول جمالها وموسيقاها من دون الفكر ان يسطع ويبدع ، اما الكلمة الفرنسية فكابية اللون لا تنفض غير المعنى الواضح الذي يجمع رسالات النفس ، ويحق مطالب الاداء ، وفيها طلائع الانسجام والنور والحرارة ، وباستطاعتها ان تنفرج عن اللهب الطريف المتحرك الوهاج ، على الرغم من دقة تحديدها الذي لا يفسد ولا يظلم . وما تمنح الكاتب ثروة الثروات ، ولكن الكاتب هو الذي يمنحها الثروة ، فما يعتمد عليها الا من احسن قيادتها وظفر بالسيادة عليها . وبعض اللغات تنهض برجالها من الادباء ، وتذهب بمعانيها اشد الخواطر فيهم فقرا ، اما الفرنسية فتدع للضعفاء ضعفهم ثم تسلس للاغنياء القادرين على مسك الزمام من البيان .

— ٣ —

« انت الذي تستطيع الصعود وحيداً الى السماء ، فلا تتسلق قلل الجبال ، والى اودية الارض تهبط ، فلا يزل بك الجناح ولا تقع ! . »

هكذا قال الشاعر سولي برودوم للسنونو الطائر . رأيت الى « السماء » في الابيات كيف تبعث في كل الاذهان عالماً من الصور لا يتغير : فضاء رحيب عميق ليس له حدود ، ذو لون ازرق كثيف او ابيض كالحليب ، قد غمره شعاع الشمس او غشيته الغيوم ؟ ولكن الالفاظ ليست كلها من طراز السماء ، فما يطير الخيال بجناح فرد كما طار حواليها ، لان الناس يختلفون في فهم اللغة وفي الامزجة والعادات والمهن اختلافاً شديداً لا توحي معه الالفاظ الى اذهانهم صوراً متقاربة او متجانسة . فقد يقع « البحر » في سمع الفتى الباريزي فاذا هو الفصل البهيج ، والشمس المشرقة والحياة الحرة ، والاستحمام الصاخب ، والهواء الطلق ، ثم اللعب في الظهيرة ، والرقص في الاماسي ، وما الى هذا مما يتصل باسباب اللهو المترف ، وقد يقع في سمع الصياد فاذا هو الصديق الغامض والعدو الواضح ، او هو خبز اليوم وموت الغد ، كأن في طيات امواجه كل حياة هذا البائس العائش من فتات القدر وعبث الزمان . وسنابل القمح يراها الفلاح فيحلم بما قد تدر عليه من مال ، ويراها الرسام فيحلم بما قد ترفده من صور . والارانب لا تحلو الا في عين شاعر كلافونتين ، اما الحطاب في الاحراج فما يحبها لما قد تقرض له من اصول الشجر واغصان النبات .

وكذلك تختلف قيم الالفاظ باختلاف الاذهان التي تقع عليها ، كأن بها قوة تولد من المعاني المتباينة ما لا تنطوي عليها من قبل الا بمقدار . وقد جاء هذا التوليد من ان الالفاظ لا تبذل ما فيها من الذخيرة فحسب ، وانما تسحب وراءها الى ذلك طائفة من الافكار كانت مضمرة بالفاظ اخرى . وتمشي الخواطر في اثر الخواطر ، وتتعلق الكلمات بذيل الكلمات ، ثم يتألف من هذا التسلسل الجميل موكب من البيان الرائع يتهادى على اساس من التصور وضوء من الجرس . ومن هذا التداعي المتكامل تنبثق الثروة الفكرية للالفاظ ، على الرغم من معانيها المحدودة التي تحتفل لها المعاجم ، وتزخر بها اللغة . على ان انواع التداعي اشتات ، فمنه ما كان عاماً يهيج الاذهان الى دنيا من الصور لا تتبدل ، على نحو ما ذكرنا من شأن « السماء » ومنه ما كان خاصاً باناس دون اناس مما يتصل باحداث الحياة والوان المزاج : فقصر « التويلري » اذا كان يوحي الى الخاطر تلك الهضاب من الخضرة البهيجة ، وتلك التماثيل المستترة بين الاوراق الكثيفة ، فهو يوحي فوق ذلك صورة القصر العامر او صورة الطلل البالي ، هذا يتمثل قوافل الاضياف المتحدرة الى ابهائه فيما غبر من الزمان ، ومفاتن الايام المسحوبة فيما سلف من التاريخ ، وهذا يتمثل ضروب الالاهي التي تقضت بين خرائبه في ساعات الطفولة والشباب . كذلك « المعركة » تبعث الخواطر الشتيتة عن هولها وتسعر نارها ، ولكن الجنود الذين شهدوا افاعيلها بانفسهم يضيفون الى صورتها العامة صوراً من الخواطر يجهلها الذين لم يشهدوا هول الحروب الا في لوحات المتاحف ورسوم الكتب . ثم ان للجندي من هؤلاء الجنود ذكريات خاصة عن الوان الرعب وفنون الاسى مما تهتاج لاجلها نفسه كلما مر للمعركة ذكر في حديث او جرى لفظها على بال ، كأن يتمثل دوي قنبلة تنفجر او انة جريح يحتضر او نظرة عدو يغلب او ما شابه هذا من مشاهد باكية يتفطر لها قلبه من دون القلوب .

تجر اللفظة وراءها كما ترى موكباً من الصور المتداعية على هون . ولو استطعت ان تفصل بين الكلمة ومعناها ، لرأيت انها لا تسحب في اثرها شيئاً من الخواطر والعواطف وانما تسحب اشتاتاً من الكلمات بفعل العادة والاستعمال . وذلك ان اللفظة اذا ارتبطت باخرى او

دخلت في جملة، وطال امدهذا الارتباط والدخول، لا تأتي لوحدها اذا ذكرت في الذهن او وردت تحت القلم ، وانما تأتي مصحوبة بما كان يواكبها من الكلام على الزمان. وقد اعتاد الاباء والاسلاف ان يشدوا الفاظا الى الفاظ كلما ارادوا ان يعبروا عما في نفوسهم من الافكار . وينحدر هذا البيان المشدود الى الاعقاب ، ويحفر في اذهانهم ، ويستطيل في خيالهم ، حتى اذا تكلموا كان كلامهم بجمل السلف، فما ينطقون بلفظة حتى ينطقوا بالفاظ والفاظ من غير شعور. ومن هنا كان اثر هذه القوالب الجامدة التي تسمى «كليشات» عظيماً قوياً في الاذهان وعلى الالسن والاقلام. ومن هنا ايضاً كان من العسير على بعض الاسماء ان تنفصل عن بعض النعوت او بعض الافعال مما كان الالتحام بينها شديداً من فرط الاستعمال وطول المصاحبة. والظاهر ان كل لغة من اللغات لا تخلو من امثال هذه «المستحضرات» المهيأة للبيان، وهي مظهر التحجر اللفظي في علاقات ثابتة لا تتطور وفي الفرنسية شيء منها لم يسلم من هزء الناقد الكبير بوالو !!

لقد يرسل الكاتب كلامه على جمل قد ارتبطت فيها الالفاظ ارتباطاً خاصاً حسب مقتضيات الاسلوب. ويقرأ القارئون ما خطته يداه فاذا هم متأثرون ببيانه، محاولون اجترار ما انشأ من العبارات. وقد يسري كثير من تراكيبه على الالسن سرياناً يختلف قوة وضعفاً حسب شهرة الكاتب ومكانه من البيان. وما المنشئون البارعون في الانشاء هم اكثر الناس انسياقاً وراء اللفظة من الالفاظ قد وقعت تحت الاقلام موقعاً حسناً موفقاً ، يترصدونها لهذا الجو القوي الذي غمرها، حتى اذا ارسلوها انطلقت مع ما تقدمها ولحق بها من الكلام وهم لا يعلمون ، فاذا المعاني لا تطرد على تلاحم من غير ثغرات ، واذا النشوز البياني باد لكل قارىء من القراء . وربما كان اكثر التضمين والتمثيل الشعري من هذا القبيل !

وليس من ريب في ان انسحاب الكلمات وراء الكلمات يرفد الكاتب ببعض الوان المعونة الرفيقة ، ولكن اغلب ما يدور القصد البياني عليه ليس تسلسل الالفاظ وانما هو تسلسل الخواطر والصور من حيث يستطيع الكاتب ان ينقلها الى لغته بنفسه. واكثر ما يحدث في هذا الباب ان الكاتب ينساق مرغماً وراء التداعي اللفظي ولا يقوى على دفعه بحال من الاحوال. وليس من خطر اعظم من هذا، لان الفكرة اذا وقعت على الجملة المهيأة او « الكليشة » فقدت جدتها واصالتها فبدت كانها جدث ميت او طلل متهدم. والسهولة العجيبة التي قد نحس بها عند البيان مصدرها في اغلب الاحيان تداعي الكلمات تحت القلم حسب ما ائتلفت بالعادة في جمل مرصوفة من قبل، فما نصنع في مثل هذه الاحوال غير تسجيل الكلام المسحوب تسجيلا آلياً مكنياً. واذن فلسنا نحن الذين نتكلم وانما هي الالفاظ تملي علينا من خلال منشأتها الجاهزة ما اراد الناس لها ان تتكلم . وليس في مقدور كاتب ان يدعي القدرة على الانفلات من روابط الكلمات بعضها ببعض مما انشأه الذين سبقوه من الناس الى الكلام ، ولكن في مقدور الكاتب ان يصطنع المراقبة الدقيقة لكل ما يقول، ثم لا يضع الخاطر الجديد من خواطره تحت رحمة التداعي اللفظي القديم. ومن الضروري الذي لا مفر منه ان لا يستجيب الكاتب لدواعي الالفاظ من ذوات الجرس الواحد المجلوب ، وانما ينبغي له ان يطرد من ادبه كل ما يسر الاذن ولا يهز النفس ، وان يترصد ملابسات المعاني مما يقسر الكلمات قسراً على التسلسل الواضح والجمالية القوية.

على ان طاقة الالفاظ على ان تسحب وراءها اشتاتاً من الخواطر والصور هي من الاهمية في الانشاء بمكان غير منكور ، لان الفن اذا احسن توجيهها واستخدامها كان الاسلوب نافذاً سامياً ، وكان الكلام قوياً اسراً . وعلى قدر هذا الاحسان يكون التفاوت بين كاتب وكاتب ، وبين شاعر وشاعر . والا فحدثني بربك من اين تسربت العبودة والفضولة الى خطبة رفافة الاحساس، دقيقة التركيب، محكمة النسج؟ لقد اتاها الضعف من جانب الكلمات التي استهدفت غرضاً مقصوداً، فما كانت للذهن عوناً على الانحدار الى ما وراء المعاني، ولا فتحت له آفاق النظر الى الاشياء المستسرة . لقد كانت عبارة الخطبة واضحة مفهومة ليس لها عمق ولا قرار ، فتبدت ثروتها على ظاهرها وما احتفظت بشيء منها في الخفاء ، وما كادت الاعين تتصفحها دفعة واحدة حتى فترت وطاز منها الشوق البعيد من مدى المجهول. كانت الخطبة بحاجة الى العبارة التي تنفرج من ثنايا الفاظها طوائف الصور واسراب الخواطر مما يلهم الذهن ويحيل قراءة الاعين اللاهية الى نوع من الرغبة النهمة في استجلاء خوافي النفس .

ولا تظنن ان الكلمات الجزلة المتماوجة الرنانة هي التي تمتاز بالايحاء الخصب ، فان للبساطة والتجريد اثرهما في العبور من معاني الالفاظ الى ما يتصل بها او يختبىء وراءها من الافكار . نقول التجريد ، لان الكلمات المجردة على الرغم من استحالة التمثيل لخصائصها من غير تشخيص ولا تجسيد، تستطيع ان توحي بايضاء

من قوتها وبما يحمل الذهن الى ما وراء مدلولها الحرفي . ومن الخطأ الواضح ما يقول به بعض الكتاب من ان الكلمات المجردة تحرم الاسلوب من الحياة والنضارة . ولئن كانت هي كل بضاعة الفيلسوف والعالم عند البحث ، فانها لتبعث ما يمت الى طبيعتها من الخواطر الصافية المتسامية عن المحسوس . وفي الشعر الحديث كلمات مجردة كثيرة قد القت الضوء على قوة الجذب للعواطف ، ومدى الاهاجة للخواطر ، وكذلك النثر يعود نفاذه وعمقه الى هذه الكلمات المجردة التي لا تحبس الخيال في اطار الحقيقة وانما تطلقه حراً يطير في الاجواء والافاق على هواه .

وقوام الامر كله في الالفاظ ، المجردة منها والمحسوسة ، عائد الى عبقرية الكاتب وفن الشاعر . فعلى قدر مساندة الكلمات بعضها لبعض ، وعلى نوع التأليف بينها ، يتوقف الاحسان في نفض الثروة الفكرية على وجه البيان . ولقد ينبغي ان يكون ثمة تباين في طبيعة الصور او تعاكس في مادة الخواطر ، بحيث يجب ان يطرد الايحاء على موكب نفسي متجانس ، فلا تنبو صورة عن صورة ، ولا يشوه خاطر خاطراً . ورب لفظة وردت في غير مكانها من البيان تبعث الى الذهن اخيلة لا تساوق ما يحيط بها من الاخيلة ، فاذا القارىء متوزع الشعور مضطرب النفس ، لا يتلمس طريق الانسجام ، ولا يعرف معنى الوحدة .

ولقد يتفق للفظة الواحدة ان تقوى على ايحاء الكثير من الصور والخواطر مما قد يضيع معه اثر البيان ، فليحذر الكاتب من مثل هذه الالفاظ او فليحذر الوقوع في الوان تداعيها . والسبيل الى هذا ان يحيط اللفظة بالفاظ تقطع الطريق على مالا يريد من الصور وما لا يجب من الخواطر . ولعل النعوت والصفات هي اقوى الوسائل الى هذه الغاية . فانظر الى بيت لافونتين : «كان الحطاب المسكين مغموراً بالاغصان» كيف ان النعت لا يوحي من الحطاب الا شكله الطبيعي ، ووجهه المجعد ، وظهره المقوس ، وثوبه البالي . ثم انظر الى بيت هيغو : « يعمل الحطابون الضعفاء في الليل » كيف ان الصفة لا تبعث الى الذهن غير شبح الحطاب واشارته وحركته !

ان مزاوجة الالفاظ فيما بينها عملية دقيقة لا تقوم بها الا بصيرة المنشىء بعد كل كلام ، فليعرف الادباء هذا على الدوام . اما الملاحظات التي بسطناها من قبل في هذا الفصل فحسبها ان توقظ الغافي وتنبه الساهي وتنير السبيل الى البيان .

الالفاظ اذا انتظمت صارت الى العبارة ، والعبارة تحمل خصائص شتى غير خصائص الالفاظ ، كالدقة والايجاز والوضوح والبساطة ، وسنقول في هذا كلمة او كلمتين حتى يستقيم لنا وجه البيان على الشكل الصحيح . فاما الدقة فمظهرها انك تكتب كلاماً ثم تشعر ان ما جال في نفسك قد انبسط وانكشف بكامله في هذا الكلام فاذا اعوزتك الدقة كان ترى شعورك ناقصاً مشلوماً في البيان ، لجأت الى وضع لفظة في جملة او اضافة جملة الى فقرة ثم تبسط المبهم وتنشر المطوي ، وما تزال تزيد وتقدر وتقدم وتؤخر ، حتى يتم لك المعنى ويصير الى النور . وهذا الزحف البطيء نحو البيان لا يتأتى كما رأيت الا بالتماس الالفاظ التي تكشف الشعور رويداً رويداً ، وتبرز الغاية على هون . وما شيء يباعد بينك وبين الدقة كرغبتك في ان تقول كل شيء على دفعة واحدة . فالتضحية ببعض الخواطر ضرورية لاحياء البعض الاخر ، والامر في بيان الفكرة كالامر في تقسيم الموضوع ، كلاهما لا بد ان يقف عند حد لا يجاوزه الى غيره من الحدود . فانت تقول شيئاً ثم تخبىء وراء ما تقول اشياء بحيث يبدو الاصل الضروري على سطح البيان ، وينبعث الفرع المكمل بعد الامعان ، وبحيث يعمل القارىء جهداً او بعض الجهد في استكشاف الخواطر واستجلاء الغوامض . واسمى البيان ما اشترك في تقديره وتقويمه الكاتب والقارىء ، اولهما يقول ما يقول بين الوضوح والغموض وثانيهما يقرأ بعقله ويتملى بنفسه .

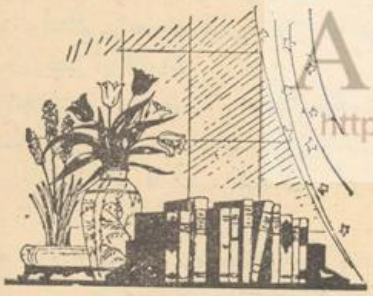
على ان الاقتصاد في الالفاظ لا ينبغي ان يكون على حساب المعاني ، فما تستهلك الخواطر من اجل الكلمات ، وانما تضع اكبر ما يمكن من جوانب الفكرة في اوجز ما يكون من العبارة . على ان لا تغلو في هذا الايجاز كل المغالاة ، اذن لاختنق بيانك بالمعاني قد رصت بعضها الى بعض بحيث لا يمكن التمييز بينها بسهولة ، فما يتسرب اليها الهواء ، ولا يشرق بينها الضياء . وما يقاس الايجاز بعدد الكلمات ولا بطول الجمل ، وانما يقاس بالنسبة المعتدلة بين الخواطر والالفاظ ، فلا يكون في هذه زيادة ولا يكون في تلك تجمع او ابتسار .

اما الوضوح في البيان فآت من اشراق الفكرة في ذهن الكاتب من حيث يعرف خصائصها وسعتها وصلتها بغيرها ، وات من شدة الشعور وقوة الايمان بالفكرة ، وآت من احكام

التعبير عن المراد بالدقة المرجوة . ولعل اظهر ما ينقص الشباب المبتدئين في الانشاء ، على الرغم من توقد اذهانهم وشبوب عواطفهم ، انما هو الحرص على الدقة والايجاز ، فلقد يكتبون في شيء من السهولة وكثير من السرعة ، ولكنهم يطفئون نور بيانهم بهذا الكلام الطويل المعتل الرخو الى حد بعيد ، فالجملة غير موصولة ولا مقطوعة ، والتعبير جاف مطلق ، وهم يقولون كل ما يعرفون ، ولا يعيشون فيما يقولون ، ثم لا يستكملون ادوات ما يجهلون : ضرب من البيان ليس من فوقه ولا من تحته شيء ذو خطر ، او قل سلاسل من الكلام منشورة على ارض مبسوطة لا يغمرها ضياء ولا هواء !

ولقد يحلو لبعض نقاد الادب ان يقولوا : اسلوب بسيط واسلوب اعتيادي ، واسلوب وسط واسلوب عالي .. جهل ، بالاسلوب لعمري مطبق غريب ، وفروق لا اصل لها في البيان ، وان وقعت بين الاشياء فانما الافكار هي التي تسف او تعلو او تروع ، وهي التي تصنع الاسلوب على مثالها من الاسفاف او العلو او الروعة . اما الالفاظ فقدرها في بساطتها ، وبساطتها من جنسها ، ولا شيء غير هذا . ان مهمة الالفاظ ان تعرب عن المعاني على نحو دقيق او قل على نحو بسيط . فما نعرف بياناً استطاع ان يتعامى عن البساطة لانها التكافؤ بين اللفظ والمعنى ، او المطابقة بين الشكل والفكرة . وما تتعارض البساطة في الاسلوب مع الروعة ولا مع الدقة ، وذلك لقدرتها على كشف اسمى انواع الفكر ، وادق الوان البيان .

حمص — محمد روحي فيصل



من الادارة

١ — ابتداء من الجزء الرابع رفع ثمن الجزء الى ٥٠ غ . ل . عوضاً عن ٤٠ .

٢ — يبقى بدل الاشتراك على حاله . ولا يقبل الا عن سنة كاملة بدؤها شهر كانون الثاني .

غير ان الادارة لا تتعهد بارسال الجزء الاول عن السنة الحالية لنفاد نسخه .

٣ — يدفع بدل الاشتراك مقدماً ، ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل .

٤ — كل المقالات والابحاث التي ترسل الى « الاديب » لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر .

٥ — تكون جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة « الاديب » صندق البريد رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في غيابة الام

بقلم زكي المحاسني
استاذ العربية في تجهيز دمشق

●

كنت ابحث في سفط هجمت في اطباق اوراقه صور عتيقة، انفض عن بعضها غباراً وارجع بها اعمارا. كان كل شيء في هذا السفط يغط في هجود عميق. ثم هاجته يدي من مكامنه فتناثرت منه سنون آفلة، وهبت ذكريات ماضية. لقد كانت هناته التي فيه كسرب من الطير تعبث اجنحتها من طول التدوم في سفرات بعيدة، فحطت في واد من الارض ثم اثارها صائد.

لقد اخذت يدي صورة بين تلك الاوراق الهامدة لما اكد اراها حتى سرت في القلب نوازع حسرى لاني قرأت عليها هذين البيتين من شعري:

ايا صورة منسية وهي في نفسي	اشاهدها ما دمت اصبح او امسي
اقبلها والروح تخطف باسمها	كما قبل الظمآن فارغة الكأس

فرفعتها الى فمي فقبلتها وانا اساقط على صاحبتها الرحمات مع تساقط الدمعات. فلقد كانت صورة لأمي، تلك المسكينة التي زهدت في كل تراث خلفته فغادرته ووهبته واستأثرت بصحفها الشريف اقرأ فيه عن روحها، كلما عنت على بالي، ما تيسر من القرآن.

كنت لما املا تلتمع تباشيره في سرائر الحدثان، وكانت كلما ازددت سناً في صباي نبراساً استنير به في ظلمات الدنيا، وحين ودعت اسفار الدروس لازحم بالمنكب حشيد الناس فاكسب الحياة التفت نحو امي فناديتها:

– سارة، يا سارة...

فردت علي بايماءة وانية وغيب صوتها الاعياء، وكانت تجود تلك العشية بالنفس الاخير. ماتت دون ان تأكل من كسبي رغيفاً او تلبس مما جنيت ثوباً. فرحت عليها حران الجوانح من لوعة الوجد مكبوداً مفؤوداً، اوثرها بالبقاء لو كنت لها الفداء. انا هذا اليتيم الذي ما اكتحلت عينه بمرود من طلعة والد، فلقد قبض ابي وكنت ادرج من المهد، ولم يدع لي صورة من بعده. فغاليت لجراثه بكل صورة ابقتها لي امي، وتركت باب قلبي مفتح الرتاج اضم فيه كل من ماتت امه، فاغسل آلامه بدمعة، وما كنت لاجد فيه الا ضريح روحي.

قرأت صفحات من رواية (الام) لماكسيم غوركي ووجدت لهفتي تسيل على شق قلمه فتملأ القرطاس حنيناً بما يجول في فؤادي، فقلت يالله أكان «مكسيم» يوم ولد على ضفاف «الفولغا» قد جرى طالعه في اليتم كانسان ولد بعده بنصف قرن على ضفاف بردى؟ وانكفأت مطرقاً اعجب لسرحة خياله، في حزين مقاله. ولطالما سكب في نفسي التأسي عندما قرأت كتابه الذي خط فيه مياسم طفولته الباسمة ورسم في هذه الطفولة صورة لا اجدها غريبة عن صبي كنته يوماً في حياتي. حين عرفت الشعر، اخذ علي انحدار المآقي ابو فراس والمتنبي، فكان شاعر بني حمدان اسيراً في ديار الروم. فانطوت امه الروم على لوعة كجمر الغضا وجزعت عليه فأتت سيف الدولة ابن عمه ومجلسه محتدم بالقوم فسألته فكاك الاسير فلم يخف خلاصه. فعادت كئيبة خسيرة الطرف كسيرة القلب. واما لشروح النسيات من نحو القسطنطينية اذ اتاها كتابه الذي يقول لها فيه:

يا امنا لا تجزعي	وثقي بفضل الله فيه
يا امنا لا تيأسي	فله الطاف خفيه
اوصيك بالصبر الجميل	فانه نعم الوصيه

غير ان امه العجوز التي لم تملك صبراً عليه، ماتت وابنها مثقل بالاصفاد جاثر على القد. فزاد موتها في مصابه، وكان يراها فجعاً له في البر، وامناً له في البحر، فارسل الى روحها من وراء الحديد بهذا الشعر:

ايا ام الاسير بمن انادي	وقطعت الذوائب والشعور
اذا ابنك سار في بر وبحر	فمن يدعو له او يستجير
ايا امـاه كم هول طويل	مضى بك لم يكن فيه نصير

ومنذ رويت شعر المتنبي صرت من اعداء حساده، وكان ابو فراس له ألد حسود فكم نغص عليه العيش في مدينة حلب عند سيدها الامير غير انه لم ابغض ابا فراس لانه احب امه وبكاها وكان عليها مفجوعاً، ويا بارا رحيماً.

لما بدأ الموت يدب في جسم المعلم الاكبر «اناطول فرانس» كان يهتف في آخر فينة من عمره وهو على سرير الموت بهذه الكلمة القديسة «ياماه» ومن ذا الذي لم يصرخ يا اماه وهو بين فكي المخاطر. ان الولد الصغير وهو يمر في الدرب لينادي بامه اذا عدا عليه عاد. وكذلك الشيخ الكبير ينادي في المأزق يا امي. وبهذه القربى الوشيجة تستطيع المرأة ان تكبح من جماح ابنها الغضبان. فارتضاع الثديين كان مبعث قطرات الدماء الاولى في جسم كل انسان. فباسم ذلك الرضاع دخلت ام جعفر البرمكي على الرشيد، وكان الهول يغطي ما بين عينيه. كان اذ ذاك ينفض يديه من البرامكة وهم مقطوعو الرؤوس مشتتو الجسوم في كل قطر ومصر. فاستشفعت بزوجها يحيى فكاد والله يشفعها لكنه كان قد سبق الامر بالقضاء.

ولولا الام لما عاد المتنبي الى الكوفة. فجدته التي رضي بها قسماً بعد ان غاله طلاب الرزق كانت تدعوه اليها، ويدفعه عن الكوفة امراء العلويين ويتوعدونه بالقتل ان فعل. فكتب اليها انه عرج على بغداد وهو صائر اليها بعد حين. فلما قرأت كتابه حمت لساعتها وماتت فرحة بلقائه. فخلوها على جبين الدهر اماً لا تنضو عنها القرون ريحانة الذكرى وقال فيها مرثيته الكبرى التي فيها هذه الابيات:

احن الى الكأس التي شربت بها	واهوى لمثواها التراب وما ضما
فوا اسفي الا اكب مقبلا	لرأسك والصدر اللذي ملئا حزما
ولو لم تكوني بنت اكرم والد	لكان اباك الضخم كونك لي اما

***

سلام عليك ايتها الام، يا حاملة الجنين في احشائك، الاشهر الطوال هونا على هون، يطبع الله قلبك على الحنان فتحدبين عليه وهو وليد حتى يبقع. وتضنين بالروح وراءه حيثما رحل، واين سار، وحين ينام تمرين بكفك الرحيمة على جبينه، وتصعدين من صدرك تنهيدة فيها كل الامل ان يجعله الله احسن الناس. حتى اذا اشتد ساعده وغا في عمره وحالت حاله فعق، لم يدر على لسانك الدعاء عليه فقلت: «يا هداه الله».

انك الكوكب الوهاج في ليالي الابناء. فبوركت ايتها الام، يا سر الديمومة. تعدين الشعوب كما قال حافظ ابراهيم، وتخزين بيدك الدنيا وانت تخزين السرير كما قال نابليون.

دمشق – زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الروم في القرآن

بقلم رائف فاخوري

في القرآن الكريم سورة هي الثلاثون من سوره عنوانها سورة الروم والمقصود بالروم هنا هم البيزنطيون اي المملكة الرومانية الشرقية او مملكة القسطنطينية المسيحية . قد لا يكون هنالك وجه ظاهر للغرابة في ان يكون في القرآن سورة بهذا الاسم لوجود مثيلات لها فيه تحمل اسماء الاعلام . ولكنك لا تتمالك عن الاستغراب متى علمت انها تمتاز منهن بوعد اشتملت عليه الايات الواردة في صدرها كانها الحلية في جيد الحسناء وهو وعد لغير المسلمين بالنصر قاطع جازم مشفوع بذكر السنين على غير الاسلوب الذي تكون به انباء الوحي والغيب، لان هذه الانباء عادة لا تحدد الوقائع بالسنين . ومع ان في القرآن وعوداً كثيرة للمسلمين بالنصر وغيره من انباء الغيب واخبار المستقبل ولكنها خلو من ذكر السنين والشهور، فالاية التي تحدد في هذه السورة حصول النصر للروم في سنين معدودة تعتبر بحق فريدة في بابها . ولكي يقف القارىء الكريم على مبلغ ما في هذه الاية من الاهمية العظمى بالنسبة للظروف التي نزلت فيها لا بد له ان يلم بالاسباب التي دعت الى نزولها وهذا يجيب بنا الى القاء نظرة عجلى على تاريخ ذلك العهد .

من المعلوم ان الحرب بين الفرس الوثنيين والروم المسيحيين اهل الكتاب استمرت مشتعلة زمناً طويلا ولم تكن لتخمد حيناً حتى تعود فتستعر من جديد باشد واهول مما كانت . وهكذا بدأت في سنة ٦٠٤ اكبر حرب دموية بين الدولتين دامت اربعاً وعشرين سنة، كانت السنوات الثمانية عشرة الاولى منها اي حتى السنة الثانية عشرة من عهد هرقل سلسلة متصلة من النكبات للروم . اذ انه في سنة ٦١٥ في عهد كسرى ابرويز ملك الفرس دخل القائد شهر براز الفارسي الى فلسطين على رأس جيش عظيم فاكتسح البلاد جميعها بعد معركة عظيمة وقعت في اذرعات وبصرى ادنى الشام الى ارض العرب، ثم دخل القدس التي كانت خالية من المدافعين واسر عدداً كبيراً من جميع الاسنان رجالا ونساء اكثرهم نصارى واخذ معه الصليب الاكبر محفوظاً في غلاف مختوم بختم المطران .

كان الاسلام في هذا العهد قد مضى على اظهاره والدعوة اليه جهراً نحو من سنة وكان المشركون من اهل مكة ماضين في محاربة هذه الدعوة وخنقها في مهدها بكل ما لديهم من قوة وحيلة ويلحقون بالمسلمين كل انواع الاذى والتعذيب ولا ينفكون يتحينون الفرص لتعييرهم وشتمهم والازراء بهم . لذلك كان اهل مكة يتتبعون اخبار تلك الحرب بتلهف وشوق : المسلمون منهم هواهم مع الروم المسيحيين لانهم اهل كتاب مثلهم، والمشركون هواهم مع الفرس لانهم وثنيون مثلهم . فلما بلغتهم اخبار انكسار الروم وانتصار الفرس فرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا لهم : «انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم .» وحاولوا ان ياصقوا بدينهم عار انكسارهم فشق الامر على المسلمين وحزت هذه الخيبة في نفوسهم ان اتاحت للمشركين ان يشمتوا بهم وضاقت صدورهم بهذا الفشل الذي غمهم وسر اعداءهم ولم يكن هنالك من امل في استطاعة الروم ان تعيد الكرة وتتغلب على الفرس لان دولة الروم كانت في هذا العهد في حالة من الاختلال والاعتلال لا توحي بغير اليأس والقنوط . حينئذ وفي مثل هذه الاحوال نزلت هذه الايات : (الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون) .

كان اشد الناس فرحاً بهذه البشرى واقواهم يقيناً بتحقيقها ابو بكر الصديق (رضه) . فانه ما عتم ان سمعها حتى حملها واخذ يطوف بها في ارجاء مكة وقد انتهى الى حلقة ضمت عدداً من رجالات قريش فوقف عليهم وصاح بهم : لا يقرر الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين . فنهد اليه من بينهم ابي بن خلف وصرخ في وجهه : كذبت . فغضب ابو بكر وهو المعروف بالهدوء ووداعة النفس وقال له : كذبت انت ياعدو الله . فقال ابي : اجعل بيننا اجلا اناصبك عليه (اي اراهنك) . قال : افعل . ثم تراهنا على عشرة جمال من كل واحد منها وجعلا الاجل ثلاث سنين . فاتى ابو بكر واخبر النبي (ص) بما كان . فقال له : «البضع ما بين الثلاث والتسع فمد اليه فزايده في الخطر وماده في الاجل، اي زد في الرهان واطل المدة .» وكان ذلك قبل تحريم القمار فعاد ابو بكر الى ابي واتفقا من جديد على ان يكون الرهان مائة بعير والمدة لغاية تسع سنوات وهذا يتفق مع ما يستفاد من قوله (في بضع سنين) بدون تحديد سبع او ثمان مثلا لان الحكمة في التعبير عن هذا النبأ بهذا الاسلوب هي افادة ان الغلب يكون في الحرب الممتدة في هذه المدة .

وفي غضون ذلك كان ابي بن خلف صاحب الرهان يقول بمكة للنبي (ص) : يا محمد ان عندي العود (يعني فرسا له) اعلفه كل يوم فرقاً من ذرة، اقتلك عليه . فيقول له الرسول : انا اقتلك ان شاء الله . ثم بعد الهجرة بسنين ثلاث حصلت وقعة احد بين المشركين في مكة وبين المسلمين فلما انكشف المسلمون يومئذ وتفرق عن النبي اصحابه سوى ثلاثين رجلا ثبتوا بين يديه وطفق عليه السلام يقول : الي يا فلان، انا رسول الله . فما يعرج اليه احد والنبل يأتيه من كل جانب ويقع حواليه، اقبل نحوه ابي بن خلف وهو يقول : اين محمد؟ لا نجوت ان نجا .

فاستقبله رجال من المسلمين فامرهم الرسول ان يخلوا طريقه فاقبل وهو يقول : يا كذاب اين تفر؟ فتناول النبي الحربة من احدهم وانتفض بها انتفاضة شديدة حتى تباعد عنه من كان حوله ورماه بها فاصابت عنقه وخدشته خدشاً غير كبير واحتقن الدم فرجع وهو يقول : قتلني والله محمد . فقالوا له : ذهب والله فوادك، انا لنأخذ السهام من اضلاعنا فنرمي بها، فما بك والله من بأس . ما اجزعك ! انما هو خدش . ولو كان هذا الذي بك بين احدنا ما ضره . فقال واللات والعزى لو كان هذا الذي بي باهل الحجاز لماتوا اجمعين . انه قال لي بمكة انا اقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني . ثم مات وهم راجعون به الى مكة ولم يقتل النبي (ص) بيده الشريفة احداً سواه لا قبل ولا بعد . وبينما هذه الاحداث تجري ارسل هرقل ملك الروم سنة ٦٢١ جيشاً كبيراً الى اسيائم التحق به في السنة التالية وكانت السنة الثانية عشرة من ملكه، حينئذ بدأ الحظ يبتسم له فكسر القائد شهر براز وشتت جيشه وتوغل بعد ذلك في بلاد فارس وحصلت له مع كسرى معركة عند بلدة قازناق كان النصر فيها للروم، ثم بعد معارك دامية وحوادث جسيمة واعتلاء شيرويه عرش فارس سنة ٦٢٨ عقد الصلح بين الدولتين وكان من شروطه اعادة الصليب الاكبر الذي كان اخذه شهر براز . وردت على المسلمين اخبار النصر الاول يوم وقعة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة وهو اليوم الذي انتصر فيه المسلمون نصراً باهراً فكان فرحهم واغتباطهم مزدوجاً لحصول النصر فيه للفريقين، المسلمين واهل الكتاب وكان ذلك قبل حلول الاجل بنحو سنتين فأخذ ابو بكر الرهان من ذرية ابي وجاء به الى الرسول (ص) فامره ان يتصدق به .

رائف فاخوري

الوزال

الاب غريغوريوس فرحات
رئيس الكلية البطريركية في بيروت

عذوبة الضياء في فجره ترشفها العينان من زهره .
ما الزعفران والبهار وما القندول يذكو السفح من عطره
ما الاقحوان بعد طيب الكرى والطل لماح على ثغره
يلاعب الشعاع اقماره الغرّ فيهمي النور من غرّه
عندي بابهي في الصباح من الوزال كالصباح في سحره .
تخاله الفراش حامت على عشب الربى ظمأى الى قطره
فراش تبر فوق سوق من الزمرد المياس في كبره
صافية الرونق محبورة الغرور كالطفل على طهره
ضاحكة تبعد ظل الاسى عن مقلة المرء وعن فكره
وافى به الرفيق مستروحاً شذاه والورود لم تغره
في باقة نضيرة الغصن كم ترفعت يمناه في هصره
مذهبة الاحلام ، نشوى الرؤى كشارب يغفو على سكره
اثقلها العجب والقى ندى الليل عليها من حلى درّه
وخالطتها حمرة الورد ، والورد مليك الزهر ان تدره
فانتصرت صفرتها والحنت تنفض تبرها على زره
يا حبذا العيش يسري وقد يسري الى الوحي في اثره
شممته فباح عفواً بما يستكتم الرفيق من سره
محاذراً عيني مستخفياً لا تصدر الانفاس عن صدره
يخالس الغفلة مني كمن يخاف ان يؤخذ في وزره
هيهات قد نم عليه الشذى هل يفضح المسك سوى نشره
فاستضحك المأخوذ والباقة الجذلى تؤآتيه على بشره
كانها بين يديه سنى مليكة الفضاء او بذره
وقال والزهر نديّ الجما ل الغضّ ملوي على خصره
ملاطفاً له ويحرص ان ينفر البنان عن تبره :
« واهاً له في الكأس من باهر اللآلآ معذور على فخره !
اما هو الوحي اتى شاعراً يلهمه ما طاب من شعره؟»
بلى هو الوحي وانى لمن يغلبه الوحي على امره
ان يجعل الوزال زهر الخلو د وزائداً ما شاء في عمره !
سبحان من وشاه من اصفر يتحر الورد على نحره ..

غريغوريوس فرحات

الحركة الفكرية في انكلترا

عرف الشعب الانكليزي بكرهه المذاهب والمدارس في الفن ، فالرومنطيقية الانكليزية تدرجت وترقت بدون مظاهرات ولا معارك، من تومسن الى غولد سميث الى غراي الى يونغ ، ثم الى جيل بيرن وكيتث وشلي . فقد تطور الاحساس الفني الوطني تطوراً بطيئاً ولم تقع في انكلترا ثورة ادبية كالتي اعلنها اعلام التجديد في فرنسا مثلا . ولا شك في ان الفردية هي التي سادت الادب الانكليزي في الثلث الاول من القرن العشرين على ايدي نوابغ افذاذ كتوماس هردي ورديرد كبلنغ وغلسورثي وجيمس بري وولز وبرنرد شو . سوى انه لا يستطاع درس الحركة الادبية الانكليزية المعاصرة درساً وافياً من جراء العدد الكبير من المؤلفات التي تشتمل عليها هذه الحركة ، فضلا عن ان مسألة المؤثرات الخارجية ما تزال صعبة الحل . ومن الطوابع الادبية التي اتسم بها معظم المؤلفات الانكليزية التي صدرت عقب الحرب الكبرى الماضية ميل هذه المؤلفات الى تمثيل الكتل في علاقاتها بالمجموع ، لا الى تمثيل الافراد ، شأن ديكنز والكسندر هردي في تآليفهما . على ان فردية كبار الكتاب الانكليز المعاصرين لم تمنعهم من ان ينظروا الى مواضيعهم من الوجهة الاجتماعية .

ومما لا نزاع فيه ان عهد الحرب الماضية وما تلاه غيب العهد الادبي الانكليزي السابق . فولز بعد ان وضع عدة مؤلفات تتعلق بالحرب ، دخل منذ عشرين سنة في عهد سياسي وفلسفي تبشيري لم يقسط له فيه بنجاح كبير كالذي احرزته قصصه الماضية . ورديرد كبلنغ الذي نكبته الحرب بموت ولده في ساحة الشرف لم ينتج بعد ذلك سوى مجموعة اقاصيص وسوى قصة للفيلق الذي كان ينتسب اليه ولده . حتى جيمس بري نفسه تأثر بالازمنة الجديدة وطبقها على اساليبه القديمة (وقد توفي في عام ١٩٣٧) . فقصته «ماري روز» مثلا تدور حول جندي استرالي يعود الى ايكوسيا مسقط رأسه ، فيجد امه ما تزال شابة بفعل سحر عجائبي . اما برنرد شو الذي ما برح خصباً بالرغم من كبر سنه فقد اهتدى الى منابع جديدة من المتناقضات السياسية والاجتماعية في حوادث الحرب، ثم في تاريخ جان دارك (١٩٢٣) واخيراً في ازمة الديمقراطيات ونشأة الديكتاتوريات .

والغريب ان ظاهرة الثورة الروسية التي شغلت هذين الكاتبين الاشتراكيين لم توح اليهما اي مؤلف خطير، على ان عطفهما على النظام الجديد خلق مشاحنة اليمة بينهما وبين الكاتب المسرحي هنري ارثر جونس . والمرة الاولى منذ الحرب يقع خصام في المذهبية السياسية بين كتاب من الانكليز .

نادي القلم : ولا يعني هذا ان مسائل ما بعد الحرب ، كتنظيم السلم ومسألة التعويضات والبطالة والاصلاحات الاجتماعية ، تركت ادباء الانكليز مكتوفي الايدي ، بل على نقيض ذلك تماماً . فمن انكلترا صدرت فكرة تأليف جمعية « نادي القلم » التي ترمي الى ضم ادباء العالم وكتابه في جهد مشترك لاجل السلم . ولا نزاع في ان هذا النادي بذل جهداً منتجاً في الدفاع عن حق الكتاب والمؤلفين في التفكير والكتابة بحرية . على ان ما كان يستغرب من اتحاد الادباء هذا هو الحملات الادبية التي كانت تقوم الى جانب المنازعات السياسية ، كحملة الشباب على كبلنغ وبري وجروم جروم ، وقد قيل ان للحسد يداً في هذه الحملات الطائشة . سوى ان الامر الذي لم يختلف فيه اثنان هو ان الطابع الجوهري الذي اتسم به جيل ما بعد الحرب ، في هذا النادي وخارجه ، كان الرغبة في التجديد او بالاحرى في « عمل شيء » لم يعمله مشاهير الكتاب في النصف الاول من عهد جورج الخامس وفي عهدي ادورد وفكتوريا . فقد اعلن ادباء الشباب شيخوخة الاساليب التقليدية التي سلكها الادب والتصوير والحفر والموسيقى ، وطالبوا بالتملص من العراقيل التي تحول دون التكلم بصراحة عن الغرائز البشرية والحياة الجنسية لا سيما في القصة التي تأثروا فيها بمذهب فرويد .

ولهذا الوجه الجديد للقصة الانكليزية التي عرفت منذ نصف القرن التاسع عشر بالفضائل اللاهوتية والعائلية عدة عوامل اخرى، في جملتها تأثير المذهب الطبيعي الفرنسي الذي تأخر ثلاثين او اربعين سنة ، كما هي العادة في انتقال الحركات الفكرية من شعب الى شعب ، وعودة الكتاب الى الحرية التقليدية في القصة كما كانت في القرن الثامن عشر . على ان اسراف بعض القصاصين الطبيعيين المجردين من الموهبة اغاظ بعض النقاد فخلع على اولئك

الكتاب الفرويديين اسم « مدرسة قن الدجاج . »

المراقبة : سوى ان هذا « الاتجاه التحريري » يجد لجامه في عاملين احدهما مراقبة المسارح والمنشورات ، والآخر حكم لجان القراءة . ومعلوم ان المراقبة الانكليزية تستطيع منع المسرحيات المفرطة في « الحرية . . » كما تستطيع محاكمة المؤلف بطرحها عليه السؤال التالي : « الديك حجة على ان كتابك لا يستحق الاتلاف ؟ » وقد جرت مناقشات عنيفة حول هذه الطريقة في طرح المسألة ، لانها تنافي المبدأ الاساسي للعدالة الانكليزية وهو : « ان كل فرد بري، مادام لم يثبت جرمه » او «الاصل براءة الذمة » . وبما ان المراقبة الغيت في فرنسا منذ فلوبير فقد صدرت فيها عدة مؤلفات ممنوعة في انكلترا كمؤلفات جيمس جويس مثلا .

وبين الكتب الرائجة والكتب الممنوعة وجد بعد الحرب جيل من الكتاب اتصف بالتشاؤم كلورنس والدوس هوكسلي ومشيل ارلن في التحليل الفرويدي الذي مضوا به حتى الى درس الجنون والجريمة ، ونويل كوورد الذي يعود جانب من نجاحه في المسرح الى تكلف التشاؤم الرائج ، هذا التكلف الذي عقبه في نفسه اعجاب بماضي انكلترا الحديث . على ان الازمة الاقتصادية والنقدية التي اوجعت الكبرياء البريطانية ايقظت نخوة الامة فهبط التشاؤم الى الحد الادنى .

العودة الى التقاليد الوطنية

وفي الوقت نفسه كان الادب الاميركاني يواصل على ايدي ابتن سنكلر وتيودور دريزر وسنكلر لويس وجون دوس باسوس ذلك الاتجاه الاصلاحي اذا لم نقل الثوري الذي كان يعمل منذ الحرب وقبلها على تهيئة ذهنية الشعب الاميركاني لاشتراكية فرانكلن روزفلت الجديدة . ومنذ العام ١٩٣٠ عمل هذا التأثير عمله في انكلترا ، في قصص بريستلي التي تنتسب الى الاسلوب القوي الحي لقصص فيلدنغ ، وفي المسرح الذي عادت اليه تلك الروح الشاردة من انكلترا الحرة في القرن الثامن عشر . وراحت المطابع تعيد اصدار قصص فيلدنغ وسموليت كأن الامة كانت تبحث عن تقاليدها الصحيحة في ما قبل عهد الملكة فيكتوريا . وصفوة القول ان القصة المكتوب لها النجاح عند القراء الانكليز هي القصة الاجتماعية التي تعيد الى الذاكرة الجانب الاكثر رصانة من ادب ديكنز وثاكري وكنسلي وجورج اليوت .

آداب الولايات المتحدة والدومنيون

ولا يستهان بالعدد الكبير من الادباء الذين انجبتهم بلدان الدومنيون في الامبراطورية البريطانية . فقد اعطت زيلندا الجديدة الادب الانكليزي الحديث كاترين مانسفيلد التي لو عاشت لصعدت الى قمة الادب . واعطت أوستراليا هنري هيدن ريشا دسن ، وكندا مازوده لاروش ، وافريقيا الجنوبية دنيس ديتز الذي كتب فصولا مخصصة عن حرب البوير والحرب الكبرى .

وفي انكلترا ايضاً ادب اقليمي ذو قيمة كبيرة . ومن الادباء الاقليميين هوغ ويلبول من منطقة البحيرات وجون بوشان او لورد تويد سمويز من ايكوسيا ، ودوغلاس (وهي آن بوشان ، شقيقة جون بوشان) التي صورت حياة الطبقة الوضيعة في ايكوسيا ، مسقط رأسها ، كما صورت ماري وب حياة القرويين في غربي انكلترا .

ادب الشرق : وعلى هامش انكلترا والامبراطورية البريطانية قام باللغة الانكليزية منذ الحرب الكبرى ادب باسم ادب الشرق . فالشرق الادنى الهم بعض ادبائهم في الوقت نفسه منقبون وطبيعيون وفنانون ورحالة . وفي طليعة هؤلاء الادباء لورنس صاحب كتاب « دعائم الحكمة السبع » وهو من اهم المؤلفات الادبية الانكليزية في القرن العشرين ، ويعتبر بمثابة وصية فلسفية واستاطيقية للعالم الشاب الذي بدأ منذ العام ١٩١٢ باجراء حفريات للمتحف البريطاني « بريتيش موزيوم » في بلاد الكلدانيين وفي جنوبي فلسطين .

ومعلوم ان لورنس ، بطل البلاد العربية في الحرب الكبرى صار فيما بعد جندياً طياراً بسيطاً ومات في حادث دراجة باسم شو ، بعد ان شجعه الكاتب برنرد شو على مواصلة كتابه الخطير الذي توازي ضخامته ضخامة التوراة او شكسبير ، ويستطاع التشبيه بين حياته وحياة لورد بيرن لو لم تكن الاولى اكثر نشاطاً وامجد من حياة تشايلد هارولد .

ومجمل القول ان انكلترا المعاصرة تعود من الوجهة الادبية الى تقاليدها القويمة بدافع من حيويتها الروحية وبدافع من آداب الولايات المتحدة وربما الدومنيون ايضاً ، وتزداد تمسكاً بالمسائل الاجتماعية .

ابطال المسرح في التاريخ

لوسيان غيتري في مسرحية كين

في العام ١٨٣٦ عندما اراد « مسرح الفاريتيه » ادخال المآسي في برنامجه اتفق مديره وفرقة من الممثلين على رأسهم فردريك لوميتر الذي كان قد ادرك فوزاً كبيراً في مسرحية « روبر ماكير » . وكان الممثل الانكليزي الشهير ادموند كين قد توفي لثلاث سنوات خلت تاركاً دوياً كبيراً، فعهد الى اسكندر ديماس بكتابة مأساة تشخيصية عن هذا الممثل تكون فاتحة عهد المآسي في مسرح الفاريتيه ، واذ احرزت هذه المأساة نجاحاً كبيراً نقلت الى جميع اللغات الاوروبية واقبلت عليها جميع الفرق التمثيلية المشهورة وماعتم الامر ان تبنتها فرقة لوسيان غيتري .

ويعرف رجال الادب والمتأدبون وهواة المسرح ان كين كان ممثلا متحمساً شديد الحمية يميل الى السكر ولا يخضع لنظام . وقد اظهره اسكندر ديماس في مسرحيته عاشقاً لثلاث نساء في وقت واحد، احداهن هي الممثلة كيتي وقد بدأ حبه لها ينطفئ، والاخرى هي الانسة انا دامبي وقد بدأ حبه لها يلد ، والثالثة هي الكونتس كوفيلد زوجة سفير الدانمارك في لندن وكان حبه لها في ابان اشتعاله .



الممثل الانكليزي العظيم ادموند كين

يرينا الفصل الاول الكونتس كوفيلد تحضر جميع ليالي الممثل الكبير، تارة برفقة زوجها الكونت وطوراً برفقة البرنس ده غال . وقد لاحظت النساء تصفيقها المتحمس لـ « كين » ونبهتها صديقاتها الى ان الناس بدأوا يتحدثون . . فلم تأبه بل هزأت ولم يقلقها الا قول صديقاتها لها ان الانسة انا دامبي، وهي فتاة شابة وغنية، اجتمعت بالممثل في مقصورته وان الاجتماع طال كثيراً . ولم يهدأ روع الكونتس الا عندما اكد لها كين انه لم يجتمع بالانسة انا دامبي، ولكن هذه الاخيرة بعثت اليه برسالة تتطلب فيها مقابلة صغيرة تتعلق بنصائح « فنية » .

ويرينا الفصل الثاني كين يصرف مع رفاقه الممثلين ليلة سكر وعربدة . وفيما هم كذلك يدخل الحاجب على الممثل العظيم ويبلغه مجيء الانسة انا دامبي . فيأمر الممثل بمحو كل اثر للدعر وبادخال الزائرة التي تركت بيتها العائلي هرباً من لورد مويل الذي يراد تزويجها منه بالرغم منها . وقد جاءت تطلب الانخراط في المسرح وتأخذ رأي الممثل الكبير في الامر . واليكم فقرة من هذا المشهد الذي برع فيه لوسيان غيتري :

كين : لقد شرفتني بالكتابة الي يا حضرة الانسة . . فهل باستطاعتي ان اخدمك في امر ؟

انا : عفواً يا سيدي . . فاذا رأيتني مضطربة فشهرتك وموهبتك ونبوغك . .

كين : (معتذراً) سيدتي . .

انا : لقد قيل لي انك طيب القلب مقدار ما انت عظيم . . ولو انك لست سوى رجل عظيم لما جئت اليك . .

كين : (يشير الى انا بالجلوس فتبقى واقفة) قلت لي انك جئت تطلبين خدمة واني لشديد الرغبة في تأدية هذه الخدمة اليك ، ولكني لا استعجلك . .

انا : شكراً يا سيدي . . فعلى هذه الخدمة تتوقف سعادتي ومستقبلي وربما حياتي ايضاً .

كين : سعادتك ؟ ولكنك تحملين على جبينك جميع خطوط السعادة . مستقبلك ؟ فاية عرافة كاذبة تتنبأ لك بغير اليمن والفلاح ؟ حياتك ؟ فحيثما تكونين تنبت الازهار والرياحين .

انا : قد تكون السنوات الباقية من عمري اسعد من التي تصرمت منه . فلربع ساعة خلا كنت اسائل نفسي أأجيء اليك . . ام اموت ؟

كين : انك تخيفينني يا سيدتي .

انا : لربع ساعة خلا كنت ما ازال خطيبة رجل امقته واحتقره ويراد ارغامي على الزواج منه .

كين : وهل سبق لك ان فكرت في حياة المسرح ؟

انا : نعم . من زمن طويل . .

كين : اتسمحين لي بان اخاطبك كما يخاطب الاخ اخته ؟

انا : نعم . . ارجوك !

كين : (يجلسها برفق ومودة) تفضلي ولا تخافي شيئاً . فمن

هذه الساعة صرت كأنك اختي .

انا : يا لك من رجل طيب القلب .

كين : لقد رأيت الجانب الذهبي من حياتنا فبهرك ، فعلي ان اريك الجانب الآخر من هذه الرصيعة اللماعة التي تحمل اكليلين احدهما من الازهار والآخر من الشوك .

انا : تكلم يا سيدي .

كين : انت جميلة ، والجمال من شروط الحرفة التي ترغبين فيها ولكنه غير كاف . فهناك الفن يا سيدتي .

انا : اذا اخذت بيدي اصل ..

كين : بعد خمس سنوات او ست .. لا تعتقدي ان شيئاً يتم بدون الوقت والدرس . وهناك من يلد مع العبقرية ولكن كما يلد الرخام مع التمثال ، فلا بد من يد براكستيل او ميكل انجلو ليخرج من الرخام تمثال « عشتروت » او « موسى » وافترض بل اعتقد انك من اولئك الذين وهبتهم الطبيعة هذه النعمة . فبعد اربع سنوات او خمس تبلغين ذروة المجد الذي لا تطلبين سواه .. هذا الى ان ثروتك الطائلة ..

انا : لقد تركت كل شيء منذ تركت البيت .

كين : اذن لا تملكين شيئاً ؟

انا : ابداً .

كين : قلت لك انك جميلة ولكنك تجهلين محرري الصحف في انكلترا ، فمنهم من ادركوا واجبهم على الوجه الشريف ، فهم يشايعون كل ما هو نبيل ويدفعون عن كل ما هو جميل ، ويعجبون بكل ما هو عظيم ، وهؤلاء هم مجد الصحافة . ولكن هناك من يتعمدون الانتقاد لعجزهم عن الابداع ، فيحقرون كل ما هو نبيل ، ويلطخون كل ما هو جميل ، ويخفضون كل ما هو عظيم . وقد يستحسنك احد هؤلاء الرجال فيهاجم نبوغك ثم شرفك .. وقد تستغربين في براءتك وطهارتك الدافع الذي دفعه الى ذلك فتذهبين اليه كما جئت اليّ وتسألينه ماذا يطلب منك ليكف شره عنك . فيقول لك انك اسأت فهم قصده وانه معجب بنبوغك وهو لا يبغضك بل يحبك ..

(انا تنهض مرتعبة) فتنهضين كما نهضت الان ، فيقول لك « عودي الى كرسيك يا حضرة الانسة والا .. »

انا : يا للفظاعة !

كين : ولنفرض انك نجوت من هذه التجربة فقد لا تنجين من خصومك ، من منافساتك . فليس في المسرح اصدقاء ولا انداد ، بل فيه منافسون . وتفعل بك منافساتك ما فعل بي « سيمر » وسواه ممن لا اريد ان اسميهم .. وسيلجأن للحط من قدرك الى وسائل تحتقرينها ، وهن قادرات على شراء الشتيمة لك باثمان لا تدفعينها انت ! .. اما الجمهور الذي يجهل كيف تحاك هذه الدسائس فيعتقد انها حقائق . ولا تلبثين ان تؤمني بان الخساسة والجهل والعقم هي كل شيء مع الدسائس ، وان الدرس والموهبة والعبقرية لا تفيد شيئاً اذا لم تقترن بالدس !



الممثل الفرنسي العظيم لوسيان غيتري

انا : لا شك انك تألمت كثيراً يا كين .

كين : اجل شقيت كثيراً ، ولكن اقل بكثير مما تشقى امرأة . فانا رجل واستطيع ان ادافع عن نفسي . يرفس النقاد نبوغي باقدامهم ويمزقونه باظافرهم ويعضونه باضراسهم ، ولكن عندما يحاول هؤلاء النقاد التسلل الى حياتي الخاصة يتبدل المشهد .

انا : ولكن هذه الالام كلها لا تشرى بهذه العبارة التي تستطيع ان تقولها : « انا ملك ! »

كين : اجل ، ملك ، ثلاث مرات في الاسبوع . ملك ذو صولجان من خشب مطلي بماء الذهب ، وجواهر من زجاج وتاج من ورق . ومملكتي خمس وثلاثون قدماً .. آه ! صدقيني يا سيدتي .. لا تسلكي هذه الطريق .

انا : نصائحك اوامر يا سيد كين . ولكن ماذا ينبغي لي ان افعل ؟

كين : الى اين ذهبت عندما تركت امس بيتك ؟

انا : الى عمة طيبة القلب تحبني كابنتها .

كين : اذن عودي الى هذه العمة واطلبي منها ان تحميك .

انا : اتستطيع ؟ فلورد مويل قوي وذو نفوذ عريض . فاذا عرف مكاني ..

كين : القانون للجميع يا سيدتي ، هو للضعيف كما هو للقوي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعالي معي امضِ بك الى عمتك .

يدخل سليمان خادم كين معلناً قدوم البرنس ده غال .

كين – قل للامير اني لا استطيع استقباله لاني مسحوق تعباً . . قل له اني نائم .

سليمان – واضيف الى ذلك انك صرفت الليل في الدرس، يا استاذ .

كين – لا . . بل اضف الى ذلك اني صرفت الليل في الشرب فيصدقك .

ويرينا الفصل الثالث الانسة انا دامبي تدخل على الممثل كين في خمارة للبحارين، فيدهش الممثل لوجودها ليلا في مثل هذا المكان، فتريه رسالة مزيفة موقعة بامضاء كين يطلب فيها الممثل من الانسة المخدوعة ان تجيئه في الحال لينقذها من خطر يهدد حياتها . وقد تبين ان الحيلة كانت رامية الى دهورة الفتاة . وينتهي الحديث بين كين وانا الى اعتراف هذه الاخيرة بحبها الممثل الذي يحب بدوره الكونتس كوفيلد ولا يستطيع الا ان يحمي انا من لورد مويل الذي كتب الرسالة . وفي تلك الاونة يدخل مويل مقنعاً ، فيعمد كين الى انتزاع قناع اللورد عن وجهه ويطرده من الخمارة .

ونرى في الفصل الرابع كين يتأهب في مقصورته ولتمثيل دور روميو مساعدة لاحد المحتاجين من الفرقة . وفجأة تزاح لوحة عليها صورة شكسبير وتظهر من ورائها الكونتس كوفيلد، فيتوسل اليها كين ان تبعد عنها البرنس ده غال، لانه كلما شاهد هذا الاخير جالساً بالقرب منها في اللوج يشعر باضطراب الغيرة يشل عبقريته . . وفي تلك الاونة يجيء البرنس ده غال والكونت كوفيلد ويقرعان الباب طالبين الدخول على كين، فتختفي الكونتس وراء صورة شكسبير التي تحجب باباً سرياً، تاركة مروحتها في مقصورة الممثل . واذ يدخل الاثنان تقع عينا الزوج على مروحة زوجته فيتناولها من غير ان ينتبه كين .

ويتبدل المنظر عن زاوية اخرى من مقصورة كين : الممثل مضطرب يتردد في الخروج الى الملعب لان وصيفة الكونتس جاءت تبحث عن مروحة سيدتها ، فاكد لها معاون الممثل انه شاهدها في يد الكونت . . وتمر الدقائق وتتبعها الدقائق ، فيتمرمر الجمهور ويضج في القاعة . فيصرخ كين : « ارجعوا الدراهم ! لا اريد ان امثل ! . . » وينطلق في تحطيم ما يراه امامه شاتماً حرفته ، لاعناً المسرح ! واذ يجيء من يقول له ان رفضه التمثيل يهدم آمال المحتاج يذعن لعاطفته ويخرج الى الملعب . واذ ينتهي من تمثيل مشهد «الشرفة» (في روميو وجوليت) تقع عيناه على لوج البرنس ده غال فيرى هذا الاخير كأنه يغازل الكونتس كوفيلد ، فيتشبث في مكانه ويلبث محدقاً الى البرنس ، ثم يخاطبه قائلا : لست روميو انا ! وينطلق في شتمه . .

عندئذ يسمع صوتاً يقول : ليسقط الممثل ! فيتحول كين الى مصدر الصوت فيرى لورد مويل الذي يريد اغتصاب الانسة انا دامبي ، فيثور فيه الغضب فيصرخ : هاتوا عصا ! الي بعصا اؤدب بها هذا الدعر الجبان ! . . ويسقط مغمى عليه . فيعلن سليمان : « ان شمس انكلترا قد انخسفت ، فكين العظيم اصيب بنوبة جنون! » وعندئذ يسمع صوت موجع صادراً من مقصورة الكونتس كوفيلد ويهبط الستار .

ونرى في الفصل الخامس والاخير ان كين لم يفقد عقله، ولكن غضب الغيرة جعله يتظاهر بالجنون، وفيما هو ينتظر الكونتس تدخل عليه الانسة انا دامبي وقد جاءت تودعه قبل ذهابها الى الولايات المتحدة لتباشر دروسها المسرحية . ويقرع الباب من جديد فيطلب كين من الانسة انا ان تختبيء في غرفة مجاورة . وتدخل الكونتس كوفيلد وقد سمعت بما حادث الليل وتطلب من كين ان يعيد اليها صورة كانت قد اعطته اياها . وفيما هو يعيد اليها الصورة شعر بان حبه لهذه المرأة يهبط في قلبه ، وفي هذه الاونة يقرع الزوج بدوره الباب ، فيختبيء الممثل الكونتس في غرفة اخرى ، واذ يدخل الكونت حاملا المروحة بيده يدعو الممثل الى البراز فيرفض منكراً الجريمة . فيقول الكونت :

– سأقول لجميع الناس انك جبان ! .

فيجيبه كين : لن يصدقك احد .

– سأقول لهم اني رفعت يدي لاضربك . .

فيجيبه كين وقد قبض على ذراعه وانزلها بقوة : وستضيف الى ذلك اني اوقفت يدك !

وعندئذ يرد الى كين من البرنس ده غال كتاب يقول له فيه انه نسي في مقصورته مروحة كان قد اعارها للكونتس ، ويطلب ارجاعها اليه . فيندم الكونت على ما بدر منه ويعتذر الى الممثل . وسرعان ما يتضح ان البرنس ده غال هو الذي انقذه من الورطة بالاتفاق مع الكونتس . ثم يصدر الملك امراً بنفي كين مدة سنة، فيقرر الممثل السفر الى الولايات المتحدة مع الانسة انا التي تحبه .

هذه هي المأساة التي ابدع فيها لوسيان غيتري والد ساشا . وهي ترينا جانباً خطيراً من حياة الممثل الانكليزي العظيم الذي توفي في العام ١٨٢٣ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انغام والحان



انت ان عزفت ترقص نفسي،
وانت ان غنيت تشجيني
وتسبح روحي في تهاليلك
ويخشع قلبي لانشادك .
ثم اغمض عيني في انغامك
فترى نفسي آفاقاً جديدة
تتلقن فيها معنى الجمال .
وافتح فؤادي لسماعك
فينسى حاضره وبتيه في مجاهل اللانهاية
طفلا يجمع الازهار . .
العاصفة والهدوء
والفرح والحزن
والامل واليأس
والخيانة والامانة
طوع انامك
بل طوع اطراف انامك . .
نقلات في ايقاع
وهمسات في اطلاق . .
انما تفتحان عيني الاعمى
فيبصر دنيا الاماني والحياة .
رأيت في الحانك — المجدلية
على قدمي يسوع،
وسمعت ابن مريم
يتمتم لها بالرحمة،
ورأيت العاشق
الذي يشكو هواه
وفي نفسه اباء
وفي روحه شمم . .
لا لين المخنثين
ولا ذل العبيد
ولا ضعف الجبناء ! .
انشدتنا الحياة ربيعاً
زاخر الالوان المنمقة
فياض الاماني
طاق النسمات العاطرة
في العشايا وفي البكور،
فتندى الزهر باكسير الحياة .
وانشدتنا الشعر، فجر النفوس
فعاد الكون، رجع الصلاة لغنائك .
وتعالت الاصداء في الافق البعيد
فرأينا النجم يتلاقى بالنجم،
فترقص الاضواء لك طرباً،
وتسترق الملائكة صدى الحانك
فتصفق الجناح بالجناح
وتشق الفضاء تحمل رسالتك
في مجامرها الحمراء
فتتصاعد مع اعراف البخور
الى « ابولون »
فيفتح لها في الخلود
صفحة من ذلك الكتاب !

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عند العين

بقلم حبيب نمر

●

— مساء الخير ايتها الصغيرة الحسناء .

— ومساء الخير ايها الراعي الشاب .

— ما جئت تفعلين هنا وحدك ايتها الصغيرة الحسناء ؟

— جئت املأ جرتي ماء زلالا من هذه العين الصافية لاسقي ابي وامي واخواتي . وانت ما جئت تفعل هنا ايها الراعي الشاب ؟

— جئت لاسقي خرافي ولـ . . .

— ان خرافك جميلة ايها الراعي الشاب . . انظر الى هـذه النعجة الكبيرة البيضاء التي تحاول ان ترضع جديها الصغير فيمنعها الكيس الذي حوى ثديها . . انظر الى هذا الكبش الهائل الذي يحاول ان يسبق القطيع . . انظر الى هـذا الجدي الصغير الابيض فهو اجمل جدي اراه في القطيع . . ليته لي لاتعهده بعنايتي واطعمه العشب النضير واملأ معلفـه بالغذاء الطيب واملأ وعاءه كل يوم من مـاء هذه العين الصافية .

— قـد وهبته لك ايتها الصغيرة الحسناء .

— لقد تسخر مني ايهـا الراعي الشاب .



— لمـاذا تنظرين اليّ هكذا ؟ من طرف عينـك . . الا تعجبك الهدية ؟ الا يعجبك المهدى ؟ . هـل خفت ان يزعجك الجدي الصغير بثغائه وحاجاته الكثيرة ؟

— اصحيح انك تهديني هذا الجدي المحبوب ؟

— اولا تصدقيني ايتها الصغيرة الحسناء ؟ وهل ظننت يوماً ان الفلاحين والرعـاة الجبليين يكذبون بوعودهم ، ويسخرون من الصبيات الحسان امثالك ؟

— ولكن الا يحتاج هذا الصغير الى ام تحنو عليه وتطعمه من لبنها ؟ الا يضنيه الحنين الى والدته فيهزل ؟ . الم تفارق امك يوماً فتعرف سلطان الامومة ايها الراعي الشاب ؟ . وهل باستطاعتي انا رؤيته يبكي فلا ابكي واحزن لحزنه ؟ . بالله ايها الراعي الشاب دعه مع امه يسرح وراءها ويشرب لبنها ويتدلل الى جانبها . وانا آتي كل يوم في مثل هذه الساعة من المساء فاقبله واداعب صوفـه الناعم الجميل . انظر ما اجمله وهو ينظر اليّ ، بعد ان شعر بقبلتي وحرارة يدي ووقعها .

— ايتها الصغيرة الحسناء ، انني قـد وهبتك الام والابن فهما لك . . ما بالك بغت ؟ الم تصدقيني ايضاً ؟ اتريدين مني ان اردد لك دائماً ان الراعي لا يكذب ؟

— اذن دعني ايها الراعي الشاب اقبل يديك . . دعني اشكرك على تفضلك واظهر لك عرفان الجميل لهديتك اللطيفة .

— ابتعدي ايتها الصغيرة الحسناء . ان يدي الخشنتين تخدشان شفتيك الناعمتين وخديك الورديين . من واجبنـا نحن الرجال ان نهب النساء ما يسرهن وما يقرب السعادة الى قلوبهن . . وبعد فلا شكر على الواجب ايتها الصغيرة الحسناء .

— حقاً ايها الراعي الشاب انني اشعر بخشونة يديك تداعبان وجنتي ، واذكر ان ابي اوصاني بألا ادع الرجال يلامسونني لانهم خشنون فلا تطل ملامستك لخدي ايها الراعي الشاب .

— ولكن تزعجك هذه الخشونة؟ . الا تشعرين بغبطة كما اشعر انا عندما الامس بشرتك البضة وتداعب يداي الخشنتان خديك الناعمين ؟

— صحيح . انني اشعر بسرور لم اشعر بمثله عندما كان ابي يداعبني . . واشعر بغبطـة لم اشعر بمثلها عندمـا كانت ايدي امي واخوتي تلامس خدي . بالله ايها الراعي الشاب ، مر يديك على خدي لاكشف سر هذا الشعور الغريب الذي يغمر كياني عندما تلمس بيديك الخشنتين وجنتي .

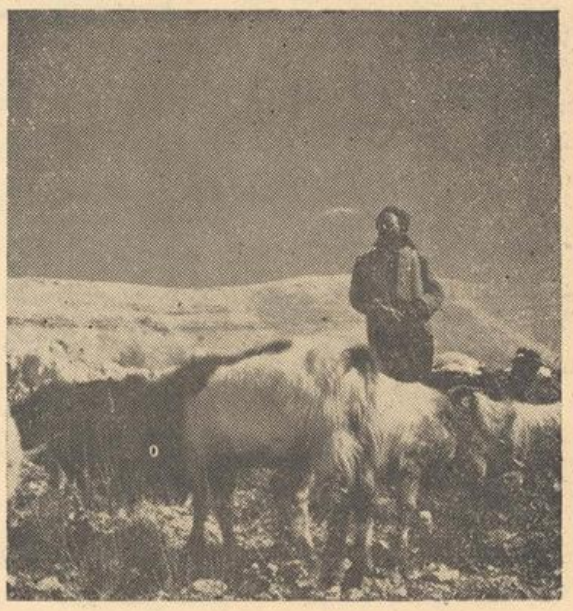
— كما تريدين ايتها الصغيرة الحسناء . وانا بودي معرفة سر هذا الشعور الغريب الذي لم احس بـه عندما كنت اداعب خدي والدتي وخدي شقيقتي .

— هل ادركت شيئاً ايها الراعي الشاب؟ انه شعور غامض . . ولكنه شعور يملأ كياني كله .

— كلا ، انني مثلك . . احس به شعوراً غامضاً يتغلغل في كل جارحة من جوارحي .

— اسمع فجدبي يناديني . . تعال ايها الجدي الصغير لاسقيك

قبل ازدحام القطيع على الماء .. املأ لي وعائي ايها الراعي الشاب من ماء هذه العين فانني اشتهي ان اداعب جدي قليلا . سلمت يداك. تعال ايها الجدي الصغير .. تعال اشرب من الماء الصافي .. لا تكابر .. اشرب .. لا تعاند .. الا تشرب الا اذا كانت امك بقربك ؟ تعالي يا نعجتي .. ان ابنك الصغير لا يشرب الا بقربك .. اقتربي، اشرب ايها الجدي الصغير من الماء الصافي فالمرة الاخيرة تشرب من العين اللجينية في قصعتها الزرقاء .. اما في المستقبل فسأجعل لك الماء على كتفي من العين الصافية .. تمتع بهذا الاجتماع الاخير مع رفاقك .. لن تسرح في المستقبل معهم في البراري وغابة البلوط الواسعة .. سأسجنك في البيت واقيد رأسك بمقود اربطك به الى الجدار كما سأفعل بامك .. وسأقدم لك الطعام بيدي فلطالما كنت تجهد نفسك في الحصول عليه مع القطيع والخراف الكبيرة .. ما لك لا تبتسم ، لا ترقص فرحاً ، لا تضحك، ولا تطرب ؟ اتميل الى الحرية اكثر مما تميل الى الرفاهية والراحة ؟ لله منك ايتها الحرية ، حتى الجديان الصغيرة تحن اليك وتتألم لفقدك . وانا كم لقيت في سبيلها من متاعب . اود ان اكون حرة ولكن ابوي يريان في حرية الفتاة اثماً .. ما لك تتململ بين يدي ايها الجدي الصغير ؟ اتحب ان تعود الى القطيع لتسرح وتمرح بحرية ؟ كلا ، لن ادعك تفعل ذلك بل سأقودك الى البيت كرهاً .. وسيفرح بك اهلي كثيراً وسيفرحون بامك ايضاً .. اليس كذلك يا نعجتي الجميلة ؟ اليس كذلك يا جدي الصغير ؟ اليس



كذلك ايها الراعي الشاب ؟ ما لك تنظر اليّ هكذا ؟ نظرة جميلة وعلى فمك ابتسامة لطيفة .. هل اعجبتك مناجاتي للجدي .. ما هذه القصبة الحمراء التي يتدلى طرفها خلال ثوبك ؟

— هي « المنجيرة » ايتها الصغيرة الحسناء .

— الا تغني بها قليلا ايها الراعي الشاب ، فاني احب صوتها كثيراً .

— سمعاً وطاعة ايتها الصغيرة الحسناء . يكفي ان تطلبي مني امراً فاقضيه ، ويكفي ان تتمنى شيئاً لاهبه لك .. انك تبتسمين يا « عفريتة » . هذه قرصة مني في خدك جزاء ابتسامتك .. الا يعجبك هذا اللحن ؟ لقد كدت ترقصين من الطرب .

— انه لحن بديع . اعطني « المنجيرة » لاتعلمه فعندي المام قليل بها .

— خذي « المنجيرة » ايتها الصغيرة الحسناء وانفخي فيها .. ان الاصوات التي تخرج منها تحت تأثير انفاسك لهي اشهى عندي من اجمل موسيقى وابدع لحن ..

— لا تسخر مني ايها الراعي « الشيطان » والا فلن انفخ فيها ابداً .

— اقول الحقيقة ايتها الصغيرة الحسناء ولكنك تحملين كلامي دائما على محمل السخرية .. غني لنرى .

— ما بك تمايل هكذا ؟ لقد اطربك النغم .. ولكن ايها الراعي الشاب اني احس كأن في منجيرتك سحراً غريباً . كلما قربتها من شفتي شعرت بحبور غريب يتغلغل في دمي .. ما لك تبتسم ابتسامة الاعجاب ؟ لقد سخرت مني فسخر منك الفن وجعلك تعجب بالحاني رغماً منك .

— ايتها الصغيرة الحسناء !.. ان اعجابي ليس بالغناء او تموجات الانغام والفن بل هو بك انت .

— وما يعجبك مني وانا لست جميلة جمال هذه الخراف، ولست بديعة كهذه الحقول والغابات التي تسرح فيها كل يوم ؟

— يعجبني منك كل شيء .. يعجبني منك هذا الشعر الاسود المتجعد وهذا الجبين الواسع الناصع وهاتان العينان الجميلتين الناعستان وهذان الانف والثغر الصغيران وهذه الذقن الناعمة الدقيقة وهذان الخدان الاسيلان الورديان وهذه القامة الهيفاء .. يعجبني منك هذه الابتسامة الغامضة غموض الغروب .. ما لك تطرقين براسك ؟ هل اخجلك كلامي ايتها الصغيرة الحسناء ؟ هل تخجلك الحقيقة ؟

— كفاك ايها الراعي .. الشاعر كفاك .. خذ « منجيرتك »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانفخ فيها قليلا .

— ستكون انغامي بالقياس الى انغامك كهدير النهر الهائج بالقياس الى زقزقة العصفور الجميل . . ولكن ما هذه اللذة التي تغمرني؟ لقد وضعت « منجيرتي » في فمي مراراً كثيرة فلم اشعر بمثلها .

— وانا ايضاً كثيراً ما نفخت في « منجيرة » شقيقي فلم اشعر بمثل تلك الغبطة التي شعرت بها منذ هنيهة . . بالله عليك ما سر ذلك؟

— لعل ذلك من تأثير الغروب .

— كلا . فكثير ما نفخت في المنجيرة عند الغروب فلم اشعر بشيء من ذلك .

— وانا ايضاً كم نفخت في منجيرتي وانا عائد بقطيعي عند المساء فلم اشعر بشيء من هذه الغبطة .

— لعل ذلك من تأثير العين .

— كلا . . كثيراً ما جلست على هذه العين انفخ فيهـا فلم اشعر بشيء من ذلك .

— لعل ذلك من تأثير هديتك لي . . والمهدي يشعر باللذة كما يشعر بها المهدى اليه .

— ان في ذلك شيئاً من الحقيقة . . ولكن ما علاقة الهدية «بالمنجيرة» .

— صدقت ! . . لعل ذلك ناتج عن انتقال « المنجيرة » من فمك الى فمي وبالعكس .

— لله منك . . لقد وجدتها . . فان تلامس ثغرينا بهذه الواسطة كان سبباً في شعورنا بهذه الغبطة .

— اذا كان تلامس ثغرينا بواسطة «المنجيرة» سبباً في مثل هذا الحبور وهذه اللذة، فكيف تكون النتيجة اذا ما تلامس ثغرانا بغير واسطة؟

— لست ادري .

— فلنجرب .

— وكيف نجرب ؟

— الم تر الام كيف تأخذ طفلها بين يديها وتقبله في ثغره ؟ خذني انت بين يديك وطوق جسدي بساعديك القويتين كما تفعل الام بطفلها . . ثم ضم صدري الى صدرك وضع ثغرك على ثغري وشفتيك الخشنتين على شفتي وقبلني كما تقبل الام طفلها .

— ان حرارة جسدك تنعشني ايتها الصغيرة الحسناء ، وان ماء ثغرك لاطيب عندي من ماء هذه العين الرقراقة .

— ان يديك الخشنتين تداعبان جسدي كما يداعب محراث الزارع الخشن الارض فيحييها . . وان ماء ثغرك لاطيب عندي من ذلك النبيذ القاني الذي صنعه جدي من دوالي كرمنا والذي ذقته قبل مجيئي الى العين . . ايها الراعي الشاب ان شفتيك الخشنتين احب الي من شفتي امي وهي تقبلني .

— انها تجربة موفقة على كل حال .

— ايها الراعي الشاب لو دامت هذه التجربة الى ابد الدهر !

— ايتها الصغيرة الحسناء . . اتقبلين ان تعيشي معي في كوخي الذي صنعته من شجر الغار على تلك الرابية الهادئة المطلة على البحر وعلى الجبال العالية ؟

— وانت اتقبل ان اكون معك دائماً ارافقك الى كل مكان لنعيد هذه التجربة اللذيذة ؟

— اتقبلين ان يصلي الكاهن على رأسينا ويباركنا فلا ننفصل ابداً؟

— وانت اتقبل ان ارعى الخراف معك ونعيش هانئين في الحقول والغابات ثم نعود الى العين نسقي قطيعنا ؟ ومتى فرغنا من ذلك اوينا الى كوخنا الصغير وغنا جنباً الى جنب وانت آخذ بي بين ذراعيك كما تأخذ الام طفلها الصغير .

— اتقبلين ان تكوني زوجة لي اسقيك اللبن واملأ لك الجرة من العين واحمل لك الاثمار اللذيذة والفواكه الطيبة ؟ وان شئت اخذتك معي الى المراعي الخصبة تداعبين ما تشائين من الجديان الصغيرة . . واذا ما شعرت بقيظ روحتك بغصون الاشجار ، واذا ما شعرت بالبرد القيت عليك معطفي الدافيء وضممتك الى جسدي كما تضم الام طفلها في الايام الباردة . . واذا ما داهمنا المطر التجأنا الى الهيكل القديم وقضينا فيه ساعات هادئة بين زمجرة العواصف وهمهمة الامطار .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— وانت اتريد ان تكون زوجاً لي ؟

— بكل طيبة خاطر .. وانت ؟

— بكل سرور .

— غداً نذهب الى الكاهن .

— طيب .. والان لنعد الى تجربتنا ولنمض بها مدة اطول .

— كما تريدين .

— ابتعد ايها الجدي الصغير فقد اقلقتنا بشغائك .. هل جئت تعكر صفاءنا ؟ سآتيك بعد قليل .

— دعيه .. دعيه ايتها الصغيرة الحسناء .. وابتسمي له ابتسامة لطيفة فاني ارى في وجهك المبتسم صورة الشمس على مرفق الافق الذهبي وهي تحاول بكل تراخ وفتور الاختفاء في مخدعها الناعم .

— ولكن هل غابت الشمس ؟

— نعم ايتها الصغيرة الحسناء .. منذ بضع دقائق .

— لقد شغلت بالجدي والنعجة .. وشغلتني عن نفسي ايها الراعي الشاب فلم افطن لغياب الشمس . ان اهلي في البيت سيقلقون لطول غيابي .

— وانت قد شغلتني عن نفسي ايتها الصغيرة الحسناء فشردت خرافي .. وسيضطرب الناطور غداً حين يرى آثارها في الحقل المجاور .. ولكن ما همنا !

— اذن قبلني قبلة الوداع .. وضمني اليك ضمة قصيرة .

— لن اشرب في هذا المساء من ماء العين الزلال لاني قد ارتويت .

— وانا لن اشرب في هذا المساء اللبن والماء لاني قد ارتويت .

— اسعيد انت ايها الراعي الشاب ؟

— كل السعادة .. لقد كنت اظن نفسي سعيداً عندما اكون في البرية وقطيعي حولي يرعى الاعشاب النضرة الخضراء . وانا ممسك بمنجيرتي انفخ فيها بصوت عال ، او عندما اكون في الغابة اتفيأ ظل الاشجار والنسيم الرطب يداعب وجهي وشعري وانا اغني بصوت تردد صداه ارجاء الوديان على « دلعونا » او على « ميجانا » او « عتابا » اما الان فقد عرفت ان تلك السعادة لم تكن الا سعادة ناقصة .. والسعادة الحقيقية هي التي عرفتها معك منذ هنيهة .. وانت اسعيدة انت ايتها الصغيرة الحسناء ؟

— كل السعادة .. لقد كنت اظن نفسي سعيدة عندما كنت العب مع صبيان القرية وبناتها او عندما كنت البس ثيابي الجديدة في ايام العيد واذهب الى الكنيسة ، او عندما كنت اذهب مع رفيقاتي الى البرية والحقول نجمع الحشائش الخضراء لبقراتنا وعجولها الصغيرة ، او عندما كنت الجأ الى فراشي بعد نهار متعب قضيته في مساعدة والدتي وانا اضم بين يدي اخي الصغير الاعبه ويداعبني ، او عندما كان اهلي يعطونني بعض الدراهم بمناسبة الاعياد .. اما الان فقد عرفت ان تلك السعادة لم تكن الا سعادة ناقصة .. والسعادة الحقيقية هي عرفتها بين يديك منذ هنيهة .. الان قد ادركت لماذا كان يحذرني ابي من ملامسة الرجال .

— والان عرفت لماذا جدي ينصحني بالابتعاد عن النساء .

— لقد كاد الحديث يشغلنا من جديد فالى اللقاء ، الى غد ايها الراعي الشاب .

— الى الملتقى .. الى غد ايتها الصغيرة الحسناء .

— اتبعني ايها الجدي الصغير مع امك لاقود كما الى السجن . لا تعاند .

— اقتربي ايتها الخراف واشربي من ماء العين الصافية فقد آن لك ان تعودي الى حظيرتك الصغيرة لترقدي .. وارقد انا فتنعش نفسي الاحلام اللذيذة والاماني الحسان .

دمشق — عبد عمر



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النزعة العالمية للفكر الافرنسي

بقلم نسيم بزبك

نشرهم في هذا العطف الصحيح الذي تبديه الكثرة الغالبة من الامم والشعوب نحو فرنسة في محنتها الحاضرة دليلا بالغاً من جملة الادلة على ما لها من نفوذ شامل ينبسط انبساط الافاق. ولا غرابة في ذلك فالفكر الافرنسي هو فكر عالمي بنزعاته الرئيسية يستتبع مثل هذا النفوذ ومثل هذا العطف ويبعث على الامل في ان تسترد فرنسة مجدها المفقود وتحفظ تراثها الموجود.

مما لا ريب فيه بصورة عامة ان التيارات الفكرية والاقتصادية التي اتسعت آفاقها في التاريخ الحديث قد وجهت تفكير الشعوب توجيهاً عالمياً ساهم فيه افراد عباقرة من هنا ومن هناك، فتمثلوا الانسانية وطناً اكبر الى جانب الاوطان المتمايزة ان لم نقل فوقها.

واذا حصرنا النظر من الوجهة الافرنسية نجد ان للفكر الافرنسي طابعاً عالمياً ينفرد عن سواه من بعض الوجوه بأوصاف وخصائص في ميادين التفكير الطليق الجامع. ان للكاتب الافرنسي الاشهر بنجامين كونستان كلمة لها معناها الرمزي الدقيق في هذا الصدد فقد قال: نحن في فرنسة لا نحب الا كل ما هو عالمي.

يوجد امة افرنسية نتبين وجهها الصحيح من خلال عقائدها وتربتها العجيبة، امة يشهد لها التاريخ والعالم انها لا تبني آمالها على ويلات الشعوب الاخرى ولا تقول بمبدأ تأليه الدولة او عبادة الوطن عبادة مطلقة وتنكر قول القائلين: ما من شيء فوق الوطن، لا العدل ولا الحقيقة ولا العقل.

ان تعاليم كهذه مناقضة لتقاليد فرنسة التي نراها من خلال الماضي والحاضر تنزع بتفكيرها نزعة بارزة الى الاحاطة والشمول بحيث تتناول الانسانية باعضائها المتكاملة فترتدي طابعاً عالمياً يتميز ببعض ملامح واوصاف خاصة، منها ان فرنسة هي التي افرغت حقوق الانسان في قوالب واسعة النطاق ونشرتها على الناس. ولا جدال في ان انكلترا هي مهد الحريات الدستورية، اما فرنسة فقد تأثرت تأثراً بالغاً بالمبادىء عينها ونشرتها في القارة الاوروبية وفي سواها بعد ان اعطتها صبغاً افرنسية خالصة تجد فيها ما لا تجده في الدساتير وفي اية شريعة من شرائع الديمقراطية القديمة او الحديثة. فقد جاء في مبادىء حقوق الانسان: ان الناس يخلقون احراراً ويعيشون احراراً وهم متساوون في الحقوق.. وليس لهذا النص مثيل في دساتير الدول الديمقراطية بصبغته الانسانية الجامعة، تنعكس فيه على اكمل وجه نزعة فرنسة العالمية التي هي وليدة العدل الاجتماعي وروح الاخاء والمساواة.

واذكر هنا كلمة مأثورة: ان (كانت) الاشهر لم يتخلف عن منهاج عمله اليومي الا مرة واحدة عندما بلغه خبر الثورة الفرنسية، فادرك ان فكرة عالمية ذات صبغة ممتازة تتمخض بها فرنسة لتتردد اصداءها في زوايا العالم الاربع.

واذا القينا نظرة فاحصة على اراء كبار المفكرين وعقائدهم نجد ان الفيلسوف الافرنسي ديكارت كان من اسبقهم، ان لم نقل اسبقهم للمجاهرة بعد البحث والتعليل بان العقل البشري هو عالمي بجوهره ونزعاته. وكفى بنا دليلا ديكارت وحده لتبرير رأي القائلين ان الفكر الافرنسي منطبع انطباعاً ممتازاً بعامل التقاليد وفعل المزاج على حب الاحاطة والشمول والخروج من الجزئيات الى الكليات، من الميادين الضيقة المحدودة الى الميادين الواسعة الطليقة.

ونجد امراً آخر ان اعاظم مفكري فرنسة متفقون ان اول كلمة للفلسفة الافرنسية كانت نداء حاراً في سبيل التفكير الجامع والمنطق المشترك بين الامم والشعوب. وفي هذا الصدد يقول العالم الافرنسي (ديركايم) ان النزعة العالمية هي من اخص خصائص مزاجنا الوطني تظهر جلية واضحة في ابرز اوصافنا وعقائدنا ومنتجاتنا، وان روح ديكارت وقد سبقت الاشارة اليه مستقرة في جذوع الفكر الافرنسي.

ان صفحات التاريخ تنطوي على غير حادثة بهذا المعنى، تتكلم فتستصغي العالم وتستدعي الاحترام والاعجاب.

سائلوا انفسكم عن فيلسوف المعي يخطب من على منبره في عاصمة بلاده الجميلة المضرجة بالدماء وهي تحت حصار العدو فيقول: «ان الدراسات المشتركة التي يواصلها المفكرون بروح واحد في سائر الدول المتمدنة تؤلف فوق الجنسيات المختلفة وطناً اكبر لا تلطخه حرب ولا يهدده عدو، بل هو ملجأ شبيه بمدينة الخالق.»

فالمفكر الذي لم يتردد في ان يقول هذا القول هو غاستون باري الافرنسي الوطني، والعاصمة المحصورة هي باريس. اما المحاصرون فهم الالمان انفسهم في سنة ١٨٧٠.

ومما تقدم ذكره نخلص الى القول ان نزعة فرنسة عالمية باحكام تقاليدها الموروثة وتربتها العجيبة ومركزها الطبيعي وامزجة

سكانها وطبائعهم يرون على هذا القياس ان الرجل المتمدن لا يفكر تفكيراً حصرياً انه عضو في امة او في عائلة او في مجموعة من المهن او طبقة من الطبقات بل يفكر في مقدمة كل امر انه انسان .

وان لهذه النزعة اثراً ملحوظاً ليس في الفلسفة الافرنسية وحدها والادب والفن بل في السياسة ايضاً بوجهيها الداخلي والخارجي ففرنسة قبلة انظار الناس من مختلف الامم والشعوب يعرفونها بصورة خاصة ، ملاذاً للمضطهدين وملجأ للمسترزقين والمنكوبين . فلا غرابة مع ذلك ان يتردد مثل هذا القول في العالم : فرنسة هي وطن من ليس له وطن ، وان يقول السر اوستين تشمبرلين « احب فرنسة على شكل حسناء . » امامن الوجهة الخارجية فقد تأثرت سياسة فرنسة بتفكيرها العالمي تأثراً لا جدال فيه . فقد ظهرت رسول سلم في العالم وعملت في سبيله باخلاص وايمان ، وليس لها من الحواجز الطبيعية والضمانات ما يدرأ عنها خطر الاجتياح ، وهي قائمة وجهاً لوجه امام اعظم قوة عسكرية في العالم . وعلى الرغم من ذلك لم تضع الدولة الافرنسية مسألة التسلح في مقامها الاول ولم ينقطع رجال سياستها عن ترديد انشودة السلم ترديداً يلقى اصداء مستجيبة في مجتمع شديد الايمان بمبادىء الانسانية الجامعة .

والتاريخ يشهد ان فرنسة ابدت من ضروب العدل والتسامح الواناً في الميدان الدولي ، واحترمت امماً وشعوباً في امانيها واعلامها وثرواتها ، وكفى بنا دليلا انها لم تعاكس المانية في استجماع اجزائها وتوثيق بنيانها ، ولم تقاوم ايطالية في تأسيس وحدتها بل اعانتها على ذلك اعانة لا ينكرها رجال الفاشيست انفسهم . وكثيراً ما ردد رجال السياسة من دول مختلفة ان فرنسة اخطأت في تصرفاتها هذه تجاه المانية وايطالية .

واستطيع ان اقول في معرض هذا الحديث ان النزعات العالمية الانسانية في الدول الديمقراطية عامة وفي فرنسة خاصة ظهرت شديدة الحاجة الى التعديل والتكييف لا سيما في وسط التيارات القائمة على تأليه الدولة وعبادة الوطن عبادة مطلقة وجعل العقل والصواب والعبقرية وقفاً على امة معينة دون سواها من الامم .

ان كانت عظمة فرنسة العسكرية قد خضعت لعوامل القوة القاهرة هذه الفترة من الزمن ، فلا شك ان عظمتها الفكرية لاتزال قائمة في العالم باثارها وذكرياتها ومحاسنها ، تبسط عليه اجنحة فكرها الواسع الخصيب . ان لفرنسة جسداً وروحاً : جسداً يتقطع اليوم بقوة النار والحديد ، وروحاً تضطرب الماً في قفص الاستبداد والتحكم — اضطراباً يستدعي كل ما في صدور ابنائها من ايمان وفضائل وكل ما في العالم المدين للفكر الافرنسي من وفاء وعرفان لفرنسة الانسانية .

نسيم بزبك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حديث الزهر

عندي زهرة بيضاء طالعة من اصلها المستدير الاخضر ، اذا راقبتها العين رأت انها تطاول بعنقها رويداً رويداً ولا شيء يستر هذا العنق من الاوراق ، لان هذا النوع من النبات لا ورق له ، يشرق كالكرة المستديرة بستة عشر ضلعاً وفي كل ضلع من هذه الاضلاع شامات ذات اشواك يعلو بعضها بعضاً في نظام هندسي متناسب ، ومن هذه الاشواك تتعالى تلك الاعناق المخضرة السمراء مقدار فتر ، غير آبهة الا للنور والهواء . ثم تنشر براعمها المخملية البيضاء المتعددة وتفتح ثغرها الجميل المشرق حينما يسدل الظلام ستاره لتعانق الحياة بملء نضارتها وبهائها . .

وما ان يفتر ثغر الصباح حتى تسيل الحلاوة من قلبها ايضاً فتأخذ في الذبول والحياء الى ان تطبق اجفانها ويقضي عليها جنانها . .

هذه الزهرة تتكامل في ظلمة الليل تحت انامل الندى ، وتودع الحياة عند الضحى غير آسفة ، بعد ان حلا قلبها الشذا ، وعبث بها الهوى ولوى . . ولكنها ذوت بنورها ونارها ، وذابت بشفائها وسنائها ، كما تذوب الشمعة مفنية ذاتها . .

هذه الزهرة تعطيك درساً بالجرأة على الحياة . فهي لم تجمع حياتها وتحافظ عليها ، الا لترسلها شفاهاً من الاثير والبهاء ، ولم تتطاول بعنقها الا لتفتش عن دقائق الحب فتفتح لها قلبها وتغازلها بين تلك الخيوط الصفراء الضاربة في عمقها ، وفي كل خيط منها اسرار تتوجها المادة بغبار مذهب لا يقدر قيمته غير النحل ولا يدركه الا احساس الشاعر . .

هذه الزهرة ارى فيها كثيراً من طموحك واقدامك وطهارتك ، ولكنني لا ارى فيك ما اراه فيها من الثبات وعدم الشذوذ عن سنة المخلوقات . . هي تكمل شوطها من البدء الى النهاية غير مترددة ولا وجلة ، وانت تقضين حياتك في الروعة مدلية وجهك شطر الظلام لا شطر النور ، وعاملة على خنق روح الحياة في قلبك ، حاجبة عنك ايضاً الهواء والماء ، ومعالجة ذاتك بالخشونة والجفاف . .

فأطلي بعنقك الجميل على الحياة ، وافتحي قلبك للمحبة ، ودعي النور يقبل محياك متلألئاً بين ثنايا الدنية ، مستفيضاً على ثغرك وشفتيك الناحلتين ، متدفقاً من عينيك البراقتين المخضلتين .

« غمراوي »

في الطريق الى الواحة

بقلم صلاح الاسير

كانوا في الظل ، يسيرون الى المستقبل ، تعلو جباههم غبرة البأس ، وعلى اساريرهم بسمات الطمأنينة ، كأنهم والفجر على موعد ، لا يتحدثون ولا يتنادرون ، يحملهم الليل في هودجه العجيب وديعة امة او قل وديعة جيل ، يتقلبون على كف الحياة ، ويعي الزمن انهم على غير النحو الذي تمخض عنه في هذه الحقبة العاقر ، ويبارکهم الموعد . . .

كانوا ابداً في الظل . . . والمفازات فوق المفازات ، والليل بعد في الهزيع البكر ، واصداء القوافل الداعرة تتجاوب في الافاق المريضة ، ثم لا يلبث ان يتلاشى الرجع الماجن على حدود التراب ، وتتفتح عيونهم ، فالمرحلة عسيرة ، ذلك ان ديمة جديدة انشق عنها السراب ، فغمرت وجودهم بالايمان ، واسبغت عليهم الزهو والقدرة ، وتركتهم على شوق .

وتزأر الريح الصرصر ، ويستحيل الصفاء رمالا تثور ، وخياماً يحملها العصف فاذا هي في ظن العين ، اشرعة تتهادى في بحر غاضب ، وتهدر النجوم بالخطيئة ، فكأنهن ابداً في مخدع البوح ، وتبكي احداهن فتتقارب الاضواء ، وتسيل الفضة ، ويثب الحادي للقاء الدمع النبيل . وتتابع القافلة السير كأن لم يكن الذي كان ، فلقد طهرها الزمن فاحسن تطهيرها ، وجعلها وفرة العتاد ، تجوس خلال الايام على بصيرة وهدى ، وتشارف الابعاد ، فالذين يهمون لها من بعيد ، كانوا عليها حتى الامس عبئاً مرزحاً ، شأن الورود الربيعية ، ترفل في الصباح بالاغراء الاحمر ، حتى اذا اقبل عليها مقبل وجدها دون فوح ، وتكفي يديه شوكة اسالت دمه ، فلون به اوراق الورد .

وكان فرحهم رائعاً سخياً ، ساعة بادهم الليل بلحن بعيد القرار ، تزفه جنيات الليل الحمر الحسان ، في الهنيهة التي تصل آنيهم بحاضرهم ، ويحتضر اللحن في البغتة ، وتغيم وجوههم ، والرجع بعد طري في اذهانهم يخلع على وحشتهم الآهلة ، بهجة وغبطة ، واستفهاماً ، وذكريات مختلفة ، تآلفت جميعاً لتكون لهم نعيماً طفلا . . .

ويقول كثيب لاخيه : « عجيب امر الصدى في هذا اللحن المسحور ، يرج على ضلوعي ، فتشربه الاعماق ، واذا به في البعيد يرج على ضلوع واحة نائية ، وليته بقي لي وحدي . وفي عرس الحدو طي العشية ، افتح جيوبي كلها للاصداء ، لعل احدها يستريح عندي ، وافرج عنه في يوم الذكرى ، يوم تهب على طيوب الورود من الواحة ، فاشارك هذه القافلة بالصدى . .

ويقول كثيب لاخيه — تستهويك الجنادل . . كثيب الحمراء . . .

وقال قائلهم : « كم لبثنا . . »

واختلفوا فيما بينهم ، والشمس تضحك دون مثار النقع ، والقمر له ذيل طويل لا ينتهي ، ولم تبق سمراء في خباء ، والتفت على اديم وجوههم عيون الدنيا ، واقبلت الديمة من جديد ، تقول للطيب الحبيس في برعم الايام ، وهو يهمهم بمثل الشتائم : « خفف عنك ، فليس وراء جدارك الاخضر غير الموت . . » وظلوا في خلافهم ، هذا يزعم ان السبات غمرهم يوماً كاملا ، وآخر يزعمها اياماً ، وآخر يزعمها قروناً عدة . ويتململون في مواضعهم ، فتنهار عنهم ابرادهم ، ويضحون عراة حفاة ، يحاول واحدهم استرجاع الذي مر به فما يستطيع ، والدنيا ليل ، والاحجار تنضح على جسومهم البرد ، والاعصار يلف هدائتهم بالاهات الكبيرة ، وما زالوا في حالهم ، لا يحرك ساكن واحدهم واحسوا الجنون قد ذهب بعقولهم . هم يذكرون انهم كانوا قبل الساعة رجالا آخرين ، ويذكرون انهم اضاعوا شيئاً في حيرة وغموض ، فلو سألت احدهم لما استطاع ايضاحاً . وما عتموا ان غمرهم النوم من جديد ، كتلة من اللحم والدم ، لا تعرف لها حاضراً ، ولا تعرف الذي قبله ، وتكاد تعرف الذي ينتظرها ، فاعجب لطائفة ارتجلها القدر ارتجالا . . في ظن الناس .

هؤلاء نفضوا عنهم النوم ، ونفروا فجأة ، ودب في عروقهم دم جديد ، تركهم خلقاً آخر . وتزاحمت الصور والذكريات في رؤوسهم ، تمسح الصورة الحية اختها الميتة ، والذكرى شقيقتها المحنطة ، وهكذا دواليك . . على وجه حبيب ، والليل يغمر الدنيا ، والطيوب تتماوج ندية في اروقة السحر ، والقافلة على ضفة الموعد ، ويعاود الحنين افرادها الى ساعات الكفاح وايام الكدح ويكتسب الحنين روعة فائقة ، ويحس الاقاح في واحتهم شيئاً كالثورة ، وتحنو الافاق على اللقاء ، ويسأل الشوك الغصون عن هذه الضجة ، ويتعالى لحن من جديد ، تزفه عرائس الفجر ، بعيد القرار ، مطمئن التجعدات ، لحن له ظلال واعراف .

انهم والواحة على موعد ! . .

صلاح الاسير

في سبيل البناء الصحي

صورة سيكلوجية للطفل



●

انت مولع كل الولع وحريص جد الحرص على ان تحتفظ بصورة لطفلك العزيز ، فتارة تحمله بين يديك ، وطوراً تضعه امام آلة المصور عاري الجسم ، لتظهر لك جميع اشكاله ، فتحتفظ بهذه الصور العديدة ، سنة بعد سنة ، وتجعل منها مجموعة ، كيما تقارن بين التغيير الجسماني الذي يطرأ على صغيرك الحبيب ، وهكذا تبقى الصلة رابطة قوية ما بين اطوار الحياة . .

ولكن هل فكرت يوماً بأن تحتفظ بصور هي اثمن بكثير من تلك التي تظهر اشكال طفلك الخارجية . تلك صور اتى بها العلم الحديث ، فجعل لمكانتها اكبر الاثر في حياتنا الفردية والاجتماعية : فالصورة الصحية يخرجها لك الطبيب ، والصورة السيكلوجية يخطها لك العالم بنفسية الاطفال .

فالطبيب يعطيك صورة واضحة عن التركيب الفزيولوجي ، وقوة الاعضاء ، ومقدرتها على تحمل التعب ، بينما السيكلوجي يصور لك الذكاء في مركباته واتجاهه . نعم ان الصلة بين الصورتين وثيقة العرى ، ولكن ، حباً في التخصص ، نود ان نتكلم وبصورة موجزة عن الصورة السيكلوجية التي تعطينا فكرة واضحة عن مقدرة الذكاء ونموه .

انه لمن البدهي ، تبعاً لآداب المجالس ، ان تطرح بعض اسئلة على الطفل عند زيارتك لوالديه او ان تستمع الى ما ترويه الام الحنون عن احاديث صغيرها ثم تمجد الخالق ، مهما كانت درجة الذكاء او الغباوة على ما ابدع .

انت تحذو في ذلك حذو العالم النفساني ، ولكنك تخفي الحقيقة احياناً رغم ما يكتنفها من الغموض ففي السؤالات الشائعة عندنا نجد بعض الشبه بينها وبين اسئلة اختبار الذكاء التي وضعها (بينه سيمون) .

هاك بعضها ، وقد اعدت لاطفال في الثالثة من سنيهم :

— ارني انفك ، عينك ، فمك . .

— ما اسمك ، واسم ابيك ؟

سؤالات عديدة تتدرج في الصعوبة ، فتحدد مقدرة الذكاء وترافق نموه في جميع اطواره .

فالاطفال يختلفون في الاجابة ما بين غنيهم وفقيرهم لما للوسط العائلي من تأثير في نفوسهم . وهذا ليس بدليل على ان الصور الاولى هي برهان قاطع على ذكاء او غباوة الشخص ، لان النضج والعمل المدرسي هما كفيلان لرفع الطفل الى المستوى الطبيعي ، ان لم يكن عنده مرض عقلي .

حبذا لو نعنى العناية الكافية باطفالنا حكومة وشعباً ، فنحمل صغارنا الى اخصائيين فنيين في تصوير الذكاء سنة بعد سنة لنتوصل الى امكانية توجيههم في هذا المجتمع .

صبر النصولي

عوج بن عناق وميكروميغاس

بقلم الياس ابو شبكة



لفولتير قصة فلسفية اسمها « ميكروميغاس » وميكروميغاس اسم يوناني مؤلف من كلمتين : ميكرو وميغاس، اي صغير كبير. ويقول تاريخ الادب ان فولتير قلد في قصته هذه احدى قصص الكاتب الانكليزي سويفت ، وقد جمعها هذا الاخير في كتاب اسماه « رحلة غوليفر . » فاذا كان صحيحاً ان فولتير قلد سويفت فليس صحيحاً ان سويفت ابتدع بدعة كما يدعي تاريخ الادب . ومما لا شك فيه ان احد الاثنين اطلع على كتاب الاساطير العربية وفيه قصة « عوج بن عناق » التي لا تشبهها قصة كما تشبهها قصة ميكرومغاس . وليس وجه الشبه بين « عوج بن عناق » و « ميكرومغاس » مثله بين « رسالة الغفران » و « المهزلة الالهية » فاذا كان الشاعر الفلورنتيني دنتي نسخ خطة « المهزلة الالهية » عن « رسالة الغفران » واستعان بالشاعر اللاتيني في طوافه مناطق العقاب والثواب كما استعان الشاعر العربي بابن القارح في طوافه حلقات النعيم والجحيم فالكاتب الفرنسي العظيم تجاوز ذلك في قصته التي تحكم فيها على خصمه ده فونتنيل الى نسخه ليس خطة « عوج بن عناق » فحسب بل الافكار التصويرية التي بنى عليها القصاص العربي قصته هذه ، ولم يأت من عنده بسوى الخواطر الفلسفية التهكمية التي هاجم بها خصمه ده فونتنيل . وبما ان قصة « عوج بن عناق » طويلة لا تتسع لها وحدها هاتان الصفحتان من « الاديب » فسنختصر بعض صورها لاثبات الشبه العظيم بينها وبين قصة « ميكرومغاس . »

يقول القصاص العربي ان « عوج بن عناق » مارد من سكان الكواكب هبط الى الارض يرافقه احد الاقزام من ندمائه . ويصف هذا المارد الجبار فيقول ان المسافة التي بين كتفيه ثلاثة فراسخ ، وبين انفه وعينيه نصف فرسخ ، وطول يده اربعة فراسخ ونصف فرسخ ، وانه يمر بالاوقيانوس فتكاد رجله لا تشعر بالرطوبة . واذا جاع تناول بضعة حيتان وشواها على القمر في الليل وعلى الشمس في النهار . ومما يذكر عن عوج بن عناق انه كان يقيل ظهيرة يوم فشعر بتنميل في رجله ازعجه، وفيما هو يحاول نفض الهوام عنها مرت قافلة فطلب من رجالها ان يطردوا الحشرات المعششة بين اصابع رجليه حالما يصلون الى هناك . ولما وصل رجال القافلة بعد مسيرة طويلة الى رجلي المارد شاهدوا قطعاناً من السباع ، من الاسود والنمرة والفيلة ترعى في مطاوي اصابعه وعلى اظافيرها .

واليكم الان كيف يصف فولتير عملاقه ميكرومغاس . يقول الكاتب ان طول ميكرومغاس ثمانية فراسخ اي اربعة وعشرين الف قدم . فعندما يبلغ هذا الفتى اربعمئة وخمسين عاماً من عمره ، اي عندما يوشك ان يخرج من عتبة الطفولة الى الشباب ينصرف الى تشريح حشرات صغيرة لا تتجاوز مئة قدم وتكاد لا ترى بالمكرسكوب العادي ويؤلف عنها كتاباً مدهشاً يذيع صيته . على ان حاكم الشعرى اليمانية التي ولد فيها ميكرومغاس يرى في الكتاب ما يدعو الى الشبهة فيأمر بمحاكمته بتهمة الالحاد لان الكاتب بحث في هل ثمة اتفاق بين طبيعة البراغيث في الشعرى اليمانية وطبيعة الحازون؟ وتستمر الدعوى مئتين وعشرين عاماً يدافع خلالها الكاتب عن نفسه بمساعدة النساء وتسفر النتيجة عن فوز الحاكم بمعاضدة رهط من العلماء الذين لم يقرأوا الكتاب وعن نفي الكتاب ومؤلفه مدة ثمانية قرون . ولكن ميكرومغاس لا يأسف لنفيه بل ينظم انشودة يتهكم بها على الحاكم وينتقل من كوكب الى كوكب كالعصفور من غصن الى غصن ، فيجتاز المجرة بوقت قصير وينتهي به السير الى زحل الذي يسكنه اقزام لا يتجاوز طول الواحد منهم ستة آلاف قدم . ولا يكاد يرى بهؤلاء الاقزام حتى يرتد الى رشده ويدرك ان العقل لا يقاس بمقياس الطول والعرض وان قزماً لا يتجاوز طوله ستة الاف قدم قد يكون على جانب من الذكاء عظيم ، فيسعى الى التقرب من الزحليين ويتعرف الى كاتم اسرار المجمع العلمي الزحلي ، وهو رجل واسع المعارف لم يخترع شيئاً في حياته ولكنه يعطي آراء صائبة في مخترعات الاخرين وينظم بعض المقاطع الشعرية فيأنس به ويرتبط معه بعرى صداقة متينة ، وبعد مباحثات تدوم ثلاثين عاماً يقرران القيام برحلة فلسفية .

واذ الفيلسوفان على اهبة السفر في اجواء زحل تسرع حبيبة الزحلي دامعة المقلتين كئيبة القلب توبخه على عمله السيء ، وهي فتاة تكاد لا تبلغ ثلاثة آلاف وتسعمئة وخمسين عاماً من عمرها فتقول له : يا ظالم اتهجرني بعد ان حافظت على حبك الفاً وخمسمئة سنة وارتميت بين ذراعيك قرناً كاملا لتقوم برحلة لا اعرف لها سبباً مع جبار هائل جاء من عالم غير هذا ؟ اذهب فما انت الا خائن ناكث العهد لا حب في صدرك ولا وفاء . اذهب فلا خير في الرجال وليس اسخف من امرأة تحب رجلا . فلا يتردد الفيلسوف ان يطرقها

بذراعيه ويبكي معها برهة طويلة ، ولكن الفتاة عندما تشعر بان لا بد من هجرها تذهب فتعزي نفسها بين ذراعي سواه .

ويسافر الفيلسوفان فيقفزان من قمر الى قمر ، واذ يقطعان مسافة مئة وخمسين مليون فرسخ يصادفان المشتري فيمكثان فيه عاماً كاملا يكتشفان خلاله اسراراً غريبة كانت ولا ريب تحت الطبع لولا قلم المراقبة الذي رأى فيها بعض مسائل غير صريحة . ثم يتوجهان الى المريخ بعد اجتياز مئة مليون فرسخ ، والمريخ كما يعرف الجميع دون مساحة الارض بخمس مرات ، فيجدان فيه قمرين لم يتوصل الى اكتشافهما العلماء الفلكيون ، ولكنهما يخشيان ان لا يتوفر لهما فيه محل للنوم لصغر محيطه فيمران به كما يمر المسافر بحانة قذرة ، واذ يقطعان مسافة طويلة يتراءى لهما شعاع ضئيل ينبثق من الابعاد . كان هذا الشعاع كرة الارض الصغيرة . ويستمران في السير فيعبران مذنب هالي ويشخصان الى الامام فيبصران الفجر فيركبانه الى ان يبلغا الشاطىء الشمالي من المحيط البلطيقي . وبعد ان يستريحا قليلا ويأكلا جبلين كاملين يشوقهما ان يعرفا في اي بلد هما فيتوجهان اولا من الشمال الى الجنوب ، وكانت خطوة ميكروميغاس تبلغ ثلاثين الف قدم او اكثر ، اما القزمة الزحلي الذي لم يكن له من الطول سوى ستة آلاف قدم فكان يركض خلف الجبار بتعب شديد . وبعد مسيرة خطوات قليلة يصلان الى ذلك المستنقع المعروف بالبحر الابيض المتوسط بعد ان يعبرا الغدير الصغير المعروف بالاوقيانوس فلا تغمر المياه سوى النصف الاول من ساق القزمة . اما ميكروميغاس فلا يكاد يتبلل عقب حذائه . وفي هذه الاونة ينقطع عقد الماس على صدر العملاق وتنفرط الجواهر واكبرها تزن مئتي الف غرام فيستعملان اثنتين منها ميكرسكوباً . وبعد جهد يتمكن الزحلي من رؤية شيء دقيق يتحرك بين موجتين . كان هذا الشيء حوتاً فيأخذه بين اصبعه ويضعه على ظفر ابهامه ويعرضه على ميكروميغاس .

ويواصل فولتير قصته ليخلص الى النتيجة الفلسفية متهكماً على خصمه ده فونتنيل . ولكن ما يهمنا من هذه القصة هو تسلق فولتير على الخيال العربي في الوصول الى مرماه الادبي ، ودحض ما يقوله تاريخ الادب من ان الكاتب الانكليزي سويفت ابتدع بدعة في كتابه « رحلة غوليفر » التي لا نشك في انه قلد فيها كتاب الاساطير العربية .

الياس ابو شبكة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على نعش الحلم الذابل

لاحمد شكري سالم

◆

كنت في مقلتيك وهج اللذات ... وفي حضنك ارتعاشاً وحلما
كنت في وجنتيك ظل احمرار ... وعلى مرشفيك شوقاً مدمى
كنت يا منيتي شروقاً على دنياك ... حلوا ، ومطلع البدر تما
كنت بالامس ، يا نعيمي ، في ومضات عينيك كوكباً مستحما
كنت ظلا من التوله والحب ، وافياء من هناء ونعمى
جفت الكأس ، يا منى الكأس والخمر ، وراحت خمائل الحب وهما
واختفى الصحو والربيع المندى ... في غشاء من الضباب المآ
اقفرت من غرامنا الطلق اظلال الدوالي ، وافقهن ادلهما
صرت في عينك احتضار اغاريد ... وافقا كجانح الليل جهما
صرت في وجنتيك لون اصفرار ... وذهولا غشى الجبين وغما
وارتماء مرا تفجر بالدمع ... وخفقا يفيض بؤساً وهما
غل اغراسك الاسى وتهدلت عناء ... وحال صحوك غيما
وانطلاقاً من يقظة الكون والدنيا وغفوا ... اثر اللذائذ جما
.. نزوة تلك من جنون شبابي ... فاحسبيها في خدعة الفكر حلما

دمشق — احمد شكري سالم

فصلان من قصة

بقلم عمر فاخوري

١

الجنـــــــــــازة

وانه هو اضحك وابكى ، وانه هو اماث واحيا . . سورة النجم

من يلقه ماشياً في تلك الطريق الوحلة التي تصل البسطة التحتا بمحلة حوض الولاية ، متباطئاً كالمتردد او كالوجل ، لا يتمالك من السؤال : « ماذا به ؟ أتراه يخاف ان يغادر احذيته في هذه المادة الرمادية اللزجة الضاربة الى السواد ، التي يلطخ المطر بها ازقة المدينة ، ام تراه يفتش عن شيء اضاعه ؟ » يداه في جيبي بنطلون هو بالسراويل اشبه ، لسعته وتكوره مذ عفّت الايام على طيات المكواة . محدودب الظهر ، محني الرأس ، موزون الخطى — كالمؤآجر في جنازة . وكأن طربوشه القاني على رأسه الاشيب ، احد اكواز الشمندر التي كانت هناك ، على مقربة منه ، في صحاف مشرقة بيضاء ، تثير نهم الصبية الرافلين في ثياب جدد ، خلعها عليهم عيد الفطر السعيد ، اشكالا والواناً .

ليس على وجهه النحيف سيماء الكآبة التي تستوقف الناظر لاول وهلة ، كأنما كشف له بغتة عن سر حزن بليغ او خطب جلل . . لكن المتأمل البصير يلمح في تلك الغضون السمراء اماثر السآمة والعياء الشديد ، التي تكاد تقول : « مالي ولهاتين الرجلين اجرهما ، منذ اربعين عاماً ونيف ، على هذه الارض اللدود ، جرا ؟ مالي ولهذا الجسد لا افتأ احمله ، غير عالم هل انقاضى في النهاية اجرا ، ام يذهب تعبي باطلا ؟ ومتى احط هذا العبء الثقيل ، فترتاح اخيراً نفسي ؟ » لو انطلقت الغضون في وجه علي العلوي ، الاسمر النحيف ، لا سمعت مثل هذا الكلام ، كأن الرجلين اللتين تقلانه رجلا غريب مر منذ هنيهة امامه دون ان يراه ، او كأن الجسد الذي يحمل نفسه ، متنقلا بها شرقاً وغرباً ، جسد جار له يزعجه ، كل ليلة ، صياحه وولولة امرأته وبكاء صغاره .

والواقع ان علياً عاش هذا العمر المديد لم يعرف لحياته غاية قريبة يوشك ان يضع يده عليها ، او بعيدة يعلل صبره بالدنو منها : لم يعرف غاية يلهيه دركها او السعي اليها عن النظر في ذاته وفي هذا الجثمان الذي يحمله « هو » كما تحمل السلحفاة بيتها . عاش كما يمشي الان — الى غير غاية ، لا يسرع في خطاه كمن يخاف ان تفوته فرصة سنحت له ولن تنتظره طويلا ، ولا يقف مرة كمن يريد ان يملأ عينيه وفؤاده من شيء اعجبه . . كان يمضي في سبيله لا يلوي على احد ، فاذا التفت يمنة لم يلتفت يسرة الا بعد حين ، اقتصاداً في الحركة .

فيم كان يفكر علي العلوي ، وهو ينظر في مواطيء قدميه ، من الطريق الوحلة ، اذ ليس ثمة غير هذا يديم النظر فيه ، وكأنه يقرأ في كتاب ، متهجئاً ، حريصاً على كل حرف من حروفه ؟ لعله كان يفكر في الارض — عدوه اللدود — التي ما برحت تجذبه بالرغم منه ، وهو يود لو ينطلق من اسرها ، فيطير في الفضاء ، ويصبح من تكاليف هذه الحياة في نجوة ! وتباً لنيوتن « مخترع » الجاذبية كما كان يسميه ، فهو اصل ذلك البلاء ، وليس اجدر منه بان يحشر مع الاطباء « مخترعي » الامراض كما كان يلقبهم . ليت علياً كان « نفساً » فحسب ! اذن لكان الامر هيناً . . ولكن ما العمل بهذه « الجثة » بيت السلحفاة ، كما كان يقول في احاديثه ؟

ولعمري ، هل الحياة دين لا بد من قضائه ؟ فان علياً ، وقد عرف القروض بانواعها ، لا يذكر انه

استدان فيما مضى ، شيئاً من هذا القبيل .. وطالما حدث ذاته بالخروج من الدنيا الدنية مختاراً ، لا له ولا عليه ، فكانت تعوزه الجرأة على رأي بعضهم ، او يعوقه الكسل على رأي البعض الاخر من صحبه ومعارفه ، اولئك الخبثاء الذين لقبوه بهذا اللقب العجيب ، حتى كاد ينسيه اسمه الاول ولا يعرفه كثير من الناس الا به — نعني : حنا الميت . وعلى كل ، فهو منذ غلب عليه لقبه ، لم يفكر ابداً بالإنتحار ، كأن اللقب كفاه هذا العناء ، واراح باله من هموم النقلة . حنا الميت ! . فكيف تريدون ، يا رعاكم الله ، ان يموت الرجل مرتين ؟ .

ولم يشعر علي العلوي الا انه دائر على محوره كرحى مستطيلة ، طربوشه الاحمر على قاب ذراع ، في بركة من الوحل ، وهو بين صبيين بثياب العيد ، في كر وفر ، وطرد وعكس ، يتجاذبان اطراف جاكته ويضحكان .

عاد علي العلوي ادراجه ، والظلمة آخذة في اخفاء معالم الاشياء . وكان في مشيته ابطأ من ذي قبل ، يهم ، كلما دنا من القنديل الذي يضيء في عطفة الطريق ، ان يقف مستبشراً بهذا الظل الامين يصحبه لحظة ثم يغيب في الجدار . ومن رأى الرجل وظله ، هذا يزحف وذاك يمشي ، خيل اليه انهما علي العلوي وحنا الميت ، كأن الواحد صار اثنين كي يأنس بعضه ببعض في وحشة الطريق . لكن حان ميعاد الرجوع الى البيت ، فاسرع علي وظله في خطوهما ، وقد دار بينهما حوار ذو شجون ، اتهم فيه علي ظله اللاصق بالارض ، بمساعدة اعدائه على الكيد له ، اي لنفسه العلوية . وعبثاً حاول المسكين ان يعدو كي يطأ عنق هذا الماجن ، تشفياً من ظلم المادة .. فكان الظل تارة خلفه وتارة قدامه ، منقبضاً طوراً وطوراً منبسطاً ، حتى اعيا خبطاً وابطا . وبلغا البيت .

اذا كان عامة الناس يعرفون كل سنة من حياتهم بيوم سعد او يوم نحس ، بالذكريات الحسنة او السيئة ، فعلي لم يعرف الا اعواماً متشابهة ليس في احداثها ما يخصه بالذكر ، لخير او لشر . واذا كان عامة الناس لا يعنيهم من سنيهم الا ذلك اليوم ، مطرحين سائر الايام ، كما يطرح المسافر الامتعة المثقلة المربكة التي لا فائدة منها ، فعلي لا يدري الا ان الاقدار حملت كتفيه اربعين عاماً بكل شهورها وايامها ، كالمسافر الذي لم يحمل الا سقط المتاع ، غير عالم اين ومتى يحط الرحال . وكان يسميها « الاربعين خريفاً » نكاية بـ « الاربعين ربيعاً » .

ومشى حنا الميت ، محدودب الظهر ، محني الرأس ، موزون الخطى — وقد خيل اليه ، بمثل لمح البصر ، انه يمشي في جنازة نفسه ، وانه عما قليل سيقف ، متقبلا التعازي ..

وفي صبيحة اليوم التالي كان في فراشه يتلهى باستعادة ما رآه في الحلم تلك الليلة ، عما ينتظره في نهاره الجديد ، اذ اتوه برسالة قرأ على غلافها هذا العنوان :

بيروت : برج ابي حيدر

جناب « المرحوم » السيد علي العلوي المحترم

فلم يفض علي الغلاف ، واسترسل في تفكيره هنيهة وهو يعبث بطرف الرسالة متلطفاً ، كأنه يعرك اذن حبيب متجن ، ثم قال : « صديق يحب المزاح .. لكن لله ، ما اشبه مزاحه بالجد ! » واغمض عينيه ، مبتسماً لرؤيا حلمه الرغيد .

٢

الاســـــــم والذات

. . فليس عبد الحليم هو عبد الكريم ؛ وليس
عبد الغفور هو عبد الشكور . فكل عبد له اسم
هو ربه ؛ وهو جسم ذلك الاسم فليعلم . .

ابن عربي : الفتوحات المكية

الم يكف آله ، آل العلوي — لله درهم ! هذا اللقب الشامخ كنخلة في واد ، حتى اسموه عليا ؟ اعليّ ايضاً ؟ عليّ العلويّ (بالياء المشددة مرتين) ! الى اين ؟ الى اين تريدون هذا المسكين ان يصعد ، وهو منذ ميلاده ما انفك هابطاً ، هابطاً ؟ من رفعة اسمه الى ضعة ذاته .

رحم الله الشيخ علي الضرير ، مقري ابيه وجده ، فهو الذي جنى عليه يومذاك ، عن غير قصد ، اذ خرج من داره مبكراً الى مسجد الحي ، فصلى الصبح حاضراً . وبعد ان تلا ما تيسر من آي الذكر الحكيم ، خطر لباله ان يفاجيء تلميذه القديم ، الحاج حسن العلوي ، بزوزة عجلى خفيفة لا تضيق بفنجان ابن العدني « ونفس » التنباك العجمي ، وقد عرف هذا البيت الكريم باقتناء اطيبها طعماً وريحاً . وانه لمن محاسن الاتفاقات ، بل التوفيقات ، ان تكون في القهوة والنارجيلة قرة عين شيخنا الحافظ العارف بالله ، الذي لم تشاء العناية ان يغض جفنيه عن مفاسد العالم الا لتفتح قلبه لنور الايمان ، ولم تفرغ صدره من فضول المعارف الانسانية الا لتعمره بكلام العزيز الجبار ، وبقراءآته السبع ، او العشر ، على قول بعض مريديه الابرار .

وهكذا قدم الشيخ على تلميـذه الحاج حسن زائراً ، في غير اوقات الزيارة ، كأن قوة خفية قاهرة همست في اذنه ، عند منصرفه من المسجد :

— يا شيخ علي ، قم الى بيت الحاج حسن .

لكن ألسنة السوء — وهل يسلم من اذى الحاسدين رجل كالشيخ علي آتاه الله بسطة في الرزق والجاه ؟ تزعم ان تلك القوة الخفية كانت متمثلة ، ذلك اليوم ، في شيطان القهوة العربية والنـارجيلة العجمية ، فهو وحده يوسوس في صدر الشيخ مغريا اياه ، من حين الى حين ، بمثل هذه الزيارات الشاذة ، وكفى !

ولا ريب انه كان يوماً مشهوداً في دار الحاج حسن ، رزقه الله فيه غلاماً ذكراً بعد طول رقبة ، جزاء صبره على البنات الثلاث اللواتي تعاقبن في السرير المطعم الشامي . فكان ، كل دفعة ، يحمده تعالى على مضض ، انما يحمده في كل حال . والعجيب من أمر هذا الغلام المنتظر انه جاء عند منتصف الليل ، معكوساً ، مستدبراً الدنيا ، كأنه يهم ابداً بالرجوع ، فقاست امه من الوضع أشد اوجاعه ، حتى كادت

تصح فيها الآية الشريفة : « يخرج الحي من الميت » . وتقبلته اسرته كرسالة بريد « متكسة » يشفع فيها انها تحمل نبأ ساراً ، ويا للبشارة !

اذن لم تكن سن صاحبنا الصغير قد جاوزت بضع ساعات ، لما ولج الشيخ باب الدار ، وهو يضرب بعصاه الارض صارخا : « يا الله » ايذاناً بقدمه . ولسنا نخشى لومة لائم اذا قلنا ، منذ الآن ، ان الشيخ والطفل جاءا الى بيت الحاج حسن العلوي كأنهما على موعد . لكن الاقرب الى الصواب ما زعمه بعض الراسخين في العلم ، من ان هـذا الشيخ الجليل كان ، صباح ذلك اليوم ، أشبه شيء بزحل او المريخ في بروج السعد والنحس ، فالعلوي الصغير قد ولد تحت طالع الشيخ علي ، المقري الضرير .

كان الشيخ ، اذ اتوه بالطفل ليبارك فيه ويدعو له ، يتخلل من بقايا اللوز والفستق والصنوبر العالقة بين اضراسه ، بعد ان انتقل « المغلي » من الصحيفة الى جوفه ، بمثل لمح البصر ، مكشراً عن ثنايا سوداء نخرة ، كأثافي منسية في غُوير قزمة ، مهجور . فلم يتكلف مؤنة الابتسام لهذا القادم الجديد ، وظل مكشراً عن سبعين عاماً عجافاً تهم بافتراس شيء خيالي لم يكد يخلق ، لعله يستقبل العلوي الصغير . والله يعلم أي مزيج من دهشة ورعب و « قرف » شاع في جثمان الصبي الرطب ، واختلجت به نفسه الهلامية ، اذ جعله ابوه في حجر الشيخ ، كأنما اسلمه الى القدر ، متخلياً عنه وسط عالم محفوف بالمخاطر والاسرار ، تفوح منه روائح مريبة . فبسط الاعمى كفاً عريضة ترددت هنيهة حول رأس الطفل ، حتى اذا آنس نعومة تلك الكرة الرخصة ، أمرّ يده على سطحها الزغب ، بما وسعه من رفق ولين ، متمهلا عند يافوخه الطري كالمطاط ، لحظة واحدة شعر فيها بلذة غريبة لم يكد يعيها ، لقصر امدها وبعد غورها في سويداء نفسه ، كما لم يشهد احد بريق الشراسة الوحشية الذي لمع في ظلمة عينيه المغمضتين . وكان الحاج حسن يبتسم لمرأى يد الشيخ الغليظة ، وقد غطت على رأس طفله ، كأنما اكتسى بغتة بشعرات فاقع لونها ، متجمعة هنا ، مبعثرة هناك ، اذ راعته زجرة الاعمى وهو يقول ، قابضاً براس الصغير :

— يا حاج حسن ! .. هذا علي .. الشيخ علي .

وعلا صوت الصبي بالنحيب .

علي العلوي ! . هكذا اقترن الاسم واللقب ذلك الاقتران العجيب ، على يد الشيخ المقري ، التي طالما فاضت ببركات غير منظورة . ومن لا يعرف الشيخ وتوقره وانفته من سفساف الامور ، حسبه اراد التاجن اذ ركب على رأس هذا المخلوق الضعيف تاجاً من تيجان السلاطين . لكن علياً الذي ناء بثقل اسمه ، طيلة عمره ، كثيراً ما تساءل ، وحقه ان يتساءل : « لو ألهم الشيخ رحمه الله ، ان يختار لي غير هذا الاسم الباهظ ! لا بد من الكنى والالقاب ، سلمنا .. على ان اسعد برهة في حياتي هي فترة ما بين مولدي وتسميتي . ولكن علام لم ادع : عبد المولى ، او الصمد ، او الرحمن ، بل عبد أي اسم آخر من الاسماء الحسنى ، وهي — ولله الحمد ، من قبل ومن بعد — كثيرة ؟ »

بمثل هذا كان علي العلوي يخاطب ذاته ، كلما اتفق له ان يلقي على الكون واحداثه ، والحياة وتكاليفها ، من قمة اسمه الشامخ ، نظرة خاطفة ، فيخيل له انه في مئذنة ، ويصاب بالدوار .

عمر فاخوري

في خدمة التاريخ العربي

«فاطمة البتول» و«طارق بن زياد»

بقلم نزيه الحكيم

◆

في يقظات الشعوب عودة ابداً الى الماضي . كما يحلم المريض الذي تعود اليه الحياة بايام صحته يزينها خياله بالجمال والقوة ، ويرى من خلالها صورة المستقبل الذي تهفو له آماله، تحلم الشعوب المتيقظة بجمال ماضيها ، تملأ فراغه ، وتلون بساطته ، وتسكب على عيوبه ونقائصه كمال الاسطورة ، ثم تمتد بها هذه الاسطورة فاذا هي صورة الآتي الذي تتماوج ظلاله في اعينها ، واذا المجد الماضي خطوط اولية في الخيال الذي تكونه عن المجد المقبل، واذا تماثيل العظماء والابطال تملأها الحياة ، فتتحرك من جديد وتسير في الطليعة ، رمزاً لكل فرد من افراد الامة الناهضة . — من هذه الاسطورة الحية التي يخلقها الواقع يتغذى الوعي القومي وينقلب الفخار بالمجد الماضي ايمانا باستطاعة اعادته في المستقبل . ينمو الطفل وينمو في نفسه الشعور بكل المسؤولية التي يلقيها عليه ماضي امته الذي يحيا في كيانه العميق ، وتضطرب الاسطورة في عينيه وهي تضحك ، تبتسم له وتمهد امامه السبيل . الوعي القومي ليس « وعياً يبعثه الدرس العلمي ، وادراكا يخلقه البحث المادي »(١) العلم يساعده على النمو ويثبت من دعائمه كما يفتح الندى اكمام الورد ، ولكنه كأكمام الورد يحيا في لاواعية الشعوب قبل العلم وقبل التفكير . والعودة الاسطورية الى الماضي مظهر من مظاهر هذا العلم ، وقطعة من مرمر الجبل ينحت عليها الشعب تمثال وعيه المتجسم . وهي عودة لا بد منها لان كل يقظة قومية تفترض في ذاتها تذكراً للماضي واستشعاراً له يملأ جوانح النفس . وتناسي الماضي الذي يريده بعضهم ليذوب في الواقع الحاضر وحده هو عملية مستحيلة ومخجلة معاً . ان وطناً ما لا وجود له الا في مجموعة افراده الذين يمتد فيهم تاريخه الماضي وتهيأ في حاضرهم تاريخه المقبل، ولذلك لا يملك هذا الوطن اية قيمة الا بمقدار الحماسة التي يستطيع ابقاءها في نفوس هؤلاء . وليس الا الذكرى والحنين والحقد من باعث على الكبرياء والحماسة . والايمان بانسانية تعاونية حرة، لا حماسة فيها ولا كبرياء، قبل التساوي في اليقظة والمكانة مع القوميات الاخرى ، هو استخذاء واضع وذعر من تعصب وحشي لا وجود له .

هذه العودة الى الماضي يساعد عليها قبل كل الناس الادباء والفنانون . الشعوب تنسج اسطورة تاريخها بايديها ، ولكنها — في عفويتها وبساطتها — تظل ساذجة الخلق ضعيفة عناصر الابداع . والادباء والفنانون هم وحدهم الذين يقدمون لاساطيرها الحياة المنسجمة الموحية . — بهذا المعنى فقط يكون في عالم الفكر « رجعية » ضرورية محببة ، ويكون في رجعية الادباء والفنانين المتمسكين بالماضي يحبونه ويمجدونه وينسجون حوله الاساطير ، جهد تقدمي رائع، يماثل ما يبذله بقية المناضلين في الميادين الاخرى من العمل القومي .

* * *

كل هذا ليس مقدمة . هو في صميم موضوعي لاني اريد ان اتحدث عن معروف الارناؤط كشاعر ملاحم ، ومؤرخ اساطير قومية . فقد اصدر قريب اخرج هذا الكاتب العربي روايتين جديدتين يحب الاعتداد بها المؤرخون والنقاد صامتين غير مبالين ، وان يتخذا مكانهما في مطالعاتنا كحجرين جديدين في بناء التاريخ العربي .

كانت قد طالعتنا في « سيد قريش » و « عمر بن الخطاب » صورة اولى حلوة للوثبة العربية التي يمثلها الاسلام ، فاذا انت امام شعب فتي ، قوي الشباب ، خصب القابليات ، يغزو العالم بحضارة جديدة شابة، ويضفي عليه وهجاً من عاطف ايمانه وشعاعاً من الحاح امانيه ، واذا معروف الارناؤط يسير مع القافلة ، يكتشف في الجاهلية بذور حضارة الاسلام، ويطهر النفس العربية من كل رجس ليرد اليها خصائصها الاصلية .

وتطالعنا الآن في « فاطمة البتول » و « طارق بن زياد » ، تتمة هذه الصورة فبعد النبي العربي محمد ، وبعد الخليفة العربي عمر ، نخطو خطوة واسعة في بداية العهد الاموي ، حلقة جديدة من اسطورة جمة الحلقات .

« فاطمة البتول » هي سيرة الحسين السبط . هذا الفتى الذي تتراءى على وجهه صورة جده النبي، على صوته نغمة من صوته، وعلى

---

(١) نظيم الموصلي . « الصباح » الدمشقية ، العدد (١٩)

جبينه نور من جبينه ، وفي عينيه ذكرى من نظرته ، هـذا الفتى هو رمز المثالية العربية . و « فاطمة البتول » كلها ليست الا قصة هذا المثل الاعلى الذي يرتفع ويحلق ويحاول الانطلاق الى السماء ، ثم تجره حبال من الارض فيرتطم جبينه بحجارة الطريق ، لانه — وهو يتأمل الافق — كان يفوته ان يرعى مواضع قدمه . وتكتشف ، وانت تقرأ هذه الرواية ، كيف يمتزج المثل الاعلى بالانانية يغذيها وتزيده قوة . ولن يدهشك ان ترى الحسين بن فاطمة ، الذي ينسى نفسه وزوجه وابناءه ليلبي نداء السراب ، زعيما ككل الزعماء ، يلذه هذا الجمع الحاشد الذي يلتف حوله ، محباً له معجباً به وتأخذه صوفية الزعامة عن كل شيء فيتقدم بموكبه موكب خصمه امير المدينة ، ويرضيه ان يكون قائد جيش ، وحلم امة ، فلايبالي ان يقتل صحبه امامه ، وان يقضي ابنه بين يديه ، وان ينتظر بدوره الموت الذي لا يلبث ان يأتي في سبيل الفكرة التي خرج من اجلها الى العراق .

اما « طارق بن زياد » — او على الاصح الجزء الاول الذي صدر منها حتى الان — فهي اسطورة المجد والفتوح في افريقيـة واسبانية . هذه الارض التي انتجت « سالامبو » غوستاف فلوبير ، اروع كتاب عنها جمع بين الحقيقة والاسطورة ، هذه الارض هي التي تنتج اليوم اسطورة معروف الارناؤط ، يترأى امامك الجيش العربي ، هذه « الانشودة البارعة التي لبست الحديد والنحاس » في ظل عقبة بن نافع الذي ندبه معاوية للفتح فاذا هو « امير الجيوش وفاتح افريقية وباني مدينة القيروان على انقاض مدينة قرطاجنة » . يترائى لك هذا الجيش وهو يلتهم الارض السودا . ويقتحم على اهلها الجبال والسهول ، ليجعل منها الى الابد جنة هذا الشعب العربي الذي « انبعثت احلامه في صحراء لا يضحك فيها النبات » . ثم تمتد بك هذه الاحلام الى اسبانية عبر البحر فتمتطي السفينة مع عقبة في تجربة الذهاب الى سبتة وترى الى مغيث الرومي وهو يؤدي واجبه في حدائق طليطلة لا يمنعه حبه ان يذكر رسالته في قومه .

مالي وللحوادث اجمعها واحاول « تكشيفها » في سطور ؟ ان قيمة الاسطورة ليست في خطوطها الكبرى ، هي ابداً في الدقائق والتفاصيل ، وفي انها لا يمكن ان تروى على غير الاسلوب الذي وضعت فيه . الاسطورة كالشعر لا تجوز فيها الشروح والتفاصيل ، وكالشعر لها نغمتها الخاصة وجرسها الذي لا تخرج عنه .

ولقد كنت بفاطمة البتول اقل اعجابا مني بطارق بن زياد . «فاطمة البتول» اقوى فناً واكثر احكاما في « البناء » . شخصياتها واضحة معينة لا تشابه فيها ، وفي فصولها القصيرة محاولات لا تبعد عن النجاح واسلوب ماتع شديد الاسر . ولكنها كلحمة قومية اقل شأنا من «طارق بن زياد» . كان لا بد ان يصطدم الشعب العربي بغيره من الشعوب ليستطيع الكاتب ان يظهر قيمته وان يوضح من خلال اسطورته نفسيته . وكان لابد ان يبتعد الجيش العربي عن ارضه ليبدو اثره في ارض الاخرين . وبالرغم من ان هؤلاء العرب البداة تكاد تضيق نفوسهم احيانا على قلم معروف الارناؤط حتى لا يملكوا الا عواطف معينة وحتى لا يبدو للعربي في احلامه الا الله والامير ، فانهم قـد استطاعوا في هذه الرواية ان ينقلوا دمشق الى الاندلس وان يجعلوا رهبان اسبانية الذين امضتهم العزلة في الصوامع وجففت قلوبهم عتمة الدهاليز يحسون ليونة في الطباع ورقة في الاخلاق ونضرة في الافهام منذ حمل اليهم هؤلاء الغرباء ازهار وطنهم واشجـار تربتهم واخلاق ذويهم وشمائل اهلهم . »

وفي طبيعة الاسطورة الرمز . كما تعتصر الورود فتضع خلاصتها في زجاجة ، يلخص الرمز الخرافة فيوحد اجزاءها ويساوق الوانهـا المتباعدة . وتكاد تجد اثر هذا الرمز في كل صفحة من كتب الارناؤط فانت ترى الى الشعب العربي في « فاطمة البتول » وقد تلخصت نفسيته في الهامة . ففي هذا الطائر من روحه لوعة الهوى وانسجام الاباء والرقة وفي الوان ريشه زرقة سمائه وشدة بطشه وسذاجة قلبه . وترى الى الخندق من حول يثرب فاذا هو على ضيق رقعته « المهد الاول لوحـدة الشعب العربي بعد تطهير ارضه من كل رجس » . فاذا انتقلت الى « طارق بن زياد » اتسعت امامك قوة الرمز وانقلب هذا الفارس العربي الذي « يضرب الارض بقدمه كأنـه يضرب ماضي روما واثينة وقرطاجنة » خالق حضـارات ومربي شعوب ، ينقل مدنيته الفتية الى العالم مع ازهاره واثماره وتكـاد هذه الازهار والاثمار ، يكاد البرتقال والليمون والقرنفل والورد التي تملأ الكتاب بالعطور ، ان تصبح رمزاً لكل مـا في نفوس العرب ، مشعلا يحملهم وينتقل بهم الى اقاصي الكون لانهم « ثملوا بربيع عقبة فجلسوا انفسهم على الموت او يزهر الربيع في بقعة من هذه الارض . »

هذان كتابان للمطالعة . انهما رغم كل شيء قطعتان غاليتان بين آثار ادبنا التوجيهي . وان في هذه الاثار التي يغذيها المـاضي لحياة لنا وثروة في طريقنا الى المستقبل .

دمشق — نزيه الحكيم

العرب الفكري والعلمي التي جلاها المؤلف الفاضل تذكرة لأولي البصائر، مثبتاً ان لهذه الامة على حد قوله « كيانا معتبراً في عالم الاكتشاف والاختراع وانه بامكانها المساهمة في خدمة الانسانية . »

ولقد قال ويلز عن حضارة العرب ما يلي : « كانت طريقة العربي ان ينشد الحقيقة بكل استقامة وبساطة وان يجلوها بكل وضوح وتدقيق ، غير تارك منها شيئاً في ظل الابهام . فهذه الخاصة التي جاءتنا نحن الاوربيين من اليونان وهي نشدان النور انما جاءتنا عن طريق العرب . ومما لا شك فيه — وهو امر جاء هذا الكتاب معززاً صحته — ان الحضارة العربية هي حلقة الاتصال بين حضارة اليونان والحضارة الحالية . فالعرب هم الذين حفظوا علوم اليونان وغيرها من الضياع وهم الذين نقلوها ونقلوا معها — كما يقول المؤلف — اضافاتهم الكثيرة الى اوروبا عن طريق الاسبان . وخلاصة القول ان هذا الكتاب النفيس يسد فراغا كبيراً في المكتبة العربية بل يصح عده « مرحلة اساسية سيكون لها بليغ اثر في تطور التفكير العلمي في البلاد العربية » .

فنشكر للمؤلف البحاثة صنيعه العلمي الجليل وللمقتطف الغراء هذه اليد البيضاء الجديدة التي تضيفها الى اياديها السالفة في خدمة العلم والثقافة .

والكتاب من القطع الكبير في ٢٦٧ صفحة .

التنبيه الى كتاب فريد جامع

للفيكونت فيليب دي طرازي

رسالة بقلم الدكتور بشر فارس

عني العلامة الكبير الفيكونت فيليب دي طرازي منشيء « دار الكتب الوطنية » في بيروت بوضع مؤلف قيم طريف في موضوعه عنوانه « خزائن الكتب العربية في الخافقين » . وقد اصبح كتابه هذا جاهزاً للطبع بعد ان استنفد في تأليفه وتصنيفه وجمع دقائقه خمس عشرة سنة . ويوم هبط بيروت في الخريف الاخير الاديب المحقق الموهوب الدكتور بشر فارس اتيح له الاطلاع الخاطف على محتويات الكتاب ، واستهواه وفر في المادة وكد وتبويب ، فبعث الى « الاديب » بكراس صغير اسماه « التنبيه الى كتاب فريد جامع » للفيكونت فيليب دي طرازي بقلم الدكتور بشر فارس ، بث فيه قراء العربية خلجات فكره وما اضفاه على نفسه كتاب الفيكونت من متاع ذهني ولذة انيقة ونحن نقتطف من هذه الدراسة المخلصة هاتين الفقرتين :

هو كتاب لا اعرف له اخاً في لغتنا : طريف المنحى ، غزير المادة ، موفور الفائدة ، ثم انه مرتب احسن ترتيب ، متناسق التبويب ، مشبع الفصول . واما اسلوبه فجامع للوضوح والاحكام وللسهولة والدقة . واعجب ما فيه ان ابوابه تنشق لتشتيت الفوائد ، وانت غافل عن ذلك ، وان اغراضه تتشعب في غير استكراه ، فتنتشر المسائل وتنتثر النوادر ، كأنها دار تلجها من باب مستدق ، فتقضي فيها بعض يوم تنتقل بين حجر غرائب بعضها الى بعض يقذف بك . ويقع الكتاب في مجلدين ضخمين ، ضم المؤلف بين مكاسرهما ، في تقص واستقراء الى جنب التمحيص والاستجلاء ، كل ما عثر عليه متفرقاً في تواليف المتقدمين والمتأخرين . وقد اثبت الوقائع في تراهة وتحوط . كل رواية الى صاحبها مسندة ، وكل مادة الى مظنتها مرجوعة . واما المصادر المختلفة لغة وعهداً ولونا فتزيد على خمسمائة . وللكتاب بعد ذلك مسارد تستغرق وحدها مائتي صفحة كبيرة .

« ذلك هو الكتاب الذي وقع بين يدي بضع ساعات قبل تركاني بيروت الى القاهرة . وقد بلغ اعجابي به واكباري له مبلغاً لم ار معه منصرما عن ان اسوق امره الى قراء المقتطف . ومما ينبسط اليه املي ان يذيع هذا الكتاب في الناس وصاحبه بقيد الحياة . وما اظن حكومة الجمهورية اللبنانية بضانة عن النهوض بمثل هذا السعي ، فبه تشكر لواحد من رجالات لبنان الاشم بذله المتصل في سبيل قومه ، وانصرافه الى العلم البحت على مشقته ، وبذلك ايضاً تعلي من شأن العربية وتخدم آدابها وتنشر اثارها ، ثم تنول اهلها والمشتغلين بعلومها المرجع القويم النادر » .

« والاديب » تشارك الدكتور فارس اعجابه وتتمنى معه ان تعمد الحكومة الجليلة الى اخراج هذا الاثر الفريد خدمة لمكانة الثقافة العربية في لبنان .

ص . ا .

الاستاذ علي (١)

وهذه مجموعة جديدة للاستاذ احمد راسم ، صدرت بالقاهرة في العام ١٩٤٢ الحالي ، وهي تحتوي على قطع من الادب العالي تمشي في حلبة واحدة من الصياغة البيانية والتفكير السليم المقرون بالشعر والفلسفة . وما كانت الفلسفة الا اخت الشعر فهما اب الادب وجوهره ، ولا ادب بدون فلسفة وشعر . وقد يلتقي الشاعر راسم في طريقة تفكيره بالشاعر الفارسي الفيلسوف عمر الخيام ولكنه لا يلتقي بالشاعر العربي الفيلسوف المعري ، فهو يلزم التعبير الفلسفي الرمزي في قالب يشيع فيك اللذة والوجد . قال :

(1) Le petit libraire Oustaz Ali. Poème par Ahmed Rassim — aux éditions de la Semaine Egyptienne. Le Caire

الاحداث السياسية والحربية في شهر

نحن في الشهر الثاني عشر لحملة روسيا . ويكاد ينصرم الربيع والهجوم الالماني الكبير لم يبدأ الا في الجبهة الجنوبية من روسيا حيث الجيش الاحمر يواصل تقدمه في منطقة خركوف بعد ان استولى الجيش الالماني على منطقة كرتش . واذا نحن تتبعنا الانباء التي يذيعها الطرفان عن سير المعارك في الجبهة الشرقية يتضح لنا ان هذه الانباء من التناقض على جانب كبير . فالالمان يدعون ان معركة خركوف دخلت في مرحلتها الثانية مؤكدين ان الروس تحولوا الى الدفاع . ولكن المقامات الروسية المأذون لها تنفي هذه المزاعم نفياً جازماً مؤكدة ان العمليات الهجومية السوفييتية مستمرة شطر ازيوم برفنكوفو حيث انزل الجيش الاحمر بالعدو خسائر فادحة جداً . ومما لا نزاع فيه ان القوات الروسية هاجمت في الثالث والعشرين من نوار الجاري شطر لبزي خركوف وتمكنت بعد معارك طاحنة من احتلال لبزي التي جلا عنها الالمان في الواحد والعشرين منه . وفي منطقة ازيوم برفنكوفو لم يتمكن الهجوم الالماني من التقدم في حين ان الهجوم الروسي على خركوف يساهم مساهمة كبيرة في تخريب احتياطي الجيش الهتلري ، وهو من اهم الاهداف التي يسعى اليها الجيش السوفييتي . وقد اضطرت القيادة الالمانية الى شن هجمات معاكسة كبرى من الدبابات منزلة احياناً الى ساحة القتال مقادير كبرى من السيارات المصفحة لا يرجع منها اكثر من نصفها في حالة مؤسفة . ومما يؤثر عن فرقة الدبابات الالمانية الثانية والعشرين التي جاءت من فرنسا الى الجبهة الشرقية انها اتلفت على بكرة ابيها في يوم واحد ويربي عددها على ٢٥٠ دبابة . وما يقال عن هذه الفرقة المصفحة يقال عن فرقة المشاة الـ ١٠١ التي افنيت على بكرة ابيها في منطقة ازيوم برفنكوفو . وصفوة القول ان الالمان يضطرون في الغالب الكثير الى التفريط في معداتهم ليحرزوا فوزاً محلياً كالذي احرزوه في كرتش . ويقول الروس ان الالمان ما يزالون قادرين على احراز تفوق موقت في هذه النقطة او في تلك ، وذلك بفضل مهارتهم في تنقيل العتاد والرجال ، ولكنهم فقدوا الوسائل اللازمة للسيطرة على مجموع الجبهة الروسية الواسعة النطاق .

في الباسيفيك اما في جبهة المحيط الهادي . فقد انزل الاسطول الاميركاني في بحر المرجان فشلا ذريعاً بالاسطول الياباني في معركة كبرى مني فيها الطرفان بخسائر واسفرت عن هرب الاسطول الياباني . وقد اعد الحلفاء العدة الكافية للدفاع عن استراليا التي ارسلت اليها الولايات المتحدة مقادير كبرى من القوات البرية والجوية . واذا كان الشهر المنصرم شديد الوطأة على الحلفاء في برمانيا فالخسائر التي مني بها اليابانيون لا تقل اهمية عن البقاع التي استولوا عليها . هذا الى ان الولايات المتحدة بدأت تفكر جدياً في انشاء جبهة ثانية في اوروبا واستخدام قواعد سيبيريا لضرب طوكيو عاصمة اليابان . ولذلك يبذل اليابانيون مساعي كبيرة للاستيلاء على البقاع الصينية التي يعتقدون ان الحلفاء يستطيعون استخدامها لاطلاق طائراتهم على اليابان . اما الروس الذين يخوضون معتركاً هائلا مع الالمان فيشترطون على الولايات المتحدة ان تفتح جبهة ثانية في اوروبا اذا هي طلبت القواعد الروسية في سيبيريا . ولا شك في ان القضية ستبت في الاسابيع المقبلة .

في ميدان السياسة وفي الثالث الاول من الشهر المنصرم وجه الرئيس تشرشل الى الشعوب المتحدة خطاباً المع فيه الى المستقبل بتفاؤل عظيم ، واعرب عن اغتباطه الكبير بالروح الهجومي البادي من جهتي الاطلنطيقي مشيراً الى ان موقف الالوف من الفرنسيين الذين عضدوا القوات البريطانية في اثناء غزوتها سان نازير كان مظهراً من مظاهر الرغبة في التحرر التي تضطرم في فرنسا واوروبا . ومما لا شك فيه ان خطاب تشرشل كان ابلغ خطاب لفظه الرئيس البريطاني من حيث قوة الامل في النصر .

وفي العشرين من الشهر المنصرم اقيمت في مجلس العموم البريطاني مناقشات حول الموقف العسكري سادتها موجة من التفاؤل العظيم . وقد دارت المناقشات حول الهجوم الضخم الذي ينوي الحلفاء شنه على المانيا توطئة لفتح الجبهة الاوروبية الثانية .

ومعلوم ان الحكومة المكسيكية انذرت المحور باعلان الحرب عليه اذا هو لم يعوض عن اغراق احدى بواخرها البترولية . ولما لم يكن جواب المحور مرضياً فقد طلبت من البرلمان اعلان الحرب على المحور . وتؤكد المقامات العليمة ان المكسيك ستجرد جيش حملة يعمل في جبهات الشعوب المتحدة حالما يتم اعلان الحرب وستطلب قبولها عضواً في مجلس حرب الشعوب المتحدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اضحك ولا تبتسم

◆

الابتسامة تكاد تكون في عرف السواد الاعظم من الناس أجمل ما يرتسم على الشفاه وأعذب ما تضيء به قسمات الوجه .

ولكنني ، ولا أعلم اي دافع حماني على مخالفة الناس ، أصبحت منذ زمن غير بعيد اشمئز من الابتسامة واقرأ فيها الف معنى ، الا معنى العذوبة ، واتبين على نورها شتى الالوان ما عدا لون الجمال .

ويشتد بي اليقين حيناً بعد حين ان هذه السمة اللماعة التي تعلق بين الشفتين ويندلح ظلها في صفحة الوجه انما هي وليدة الغرور المتعجرف ، وطابع الشك الهدام ، وعنصر الهزء الابله . ذلك ان للابتسامة سلطانا يحجب عنك خفايا النفس وصورة الحقيقة ، ولا شيء أقوى على الصدم وأمضى سلاحاً في الهدم من هذه الابتسامة ، تسمو بصاحبها فوق كل جواب وتمر به امامك كالبرق الخاطف ، وتنتزعه كالجبار الساحر من بين يديك .

ومن الغريب انني كلما أمعنت الباصرة في ثنايا الابتسامة تجسمت لعيني جرائمها على ممر العصور ، وتمثلت لي شنعاء في صغرتها الساخرة ، تهزأ بالعلماء والمخترعين في مجامع الادعياء ، وتعيش على افواه المتعنتين من ضعاف الايمان ، والجهلاء من عبيد التقاليد ، الذين يستسيغون موارد الشك ويستقدرون على هدم الحقائق وزرع الريبة حول كل قضية او عقيدة او رأي ، بابتسامة صغيرة تسندها هزة رأس او شموخ انف .

والمؤسف ان هؤلاء الناس المتدرعين بسلاح الابتسامة ينتهي بهم الامر الى التأثر بالسخافات ويكثر عندهم النزوع الى الاخذ بالتافه السفساف وهو خطر مخيف على تطور المجتمع وتقدمه وعلة مؤذية لمكارم الخلق وجمال الصدق وقوى السمو والابداع .

لذلك بت أميل الى التبشير بالضحك بدلاً عن الابتسام . فالفرح الحقيقي ، حتى في قياساته المتجاوزة ، يفتح آفاق الابداع . وهو اذا هدم شيئاً بفعل الافراط ، فانه يهدم دون شك اطباق الغباوة التي تحتاج دوماً للهدم لانها تتوالد من غير انقطاع .

والضحكة الكبيرة تنطوي أبداً على عاطفة خصبة ، وتشف عن نفس لها ايمانها في الحياة . ان وراء الابتسامة باباً مقفلاً ، اما الضحكة فانها تنحسر عن عالم مفتوح هو عالم الانطلاق والامل ، عالم له قراراته البعيدة واعماقه المزدحمة بعناصر الابداع وفتنة الاسرار .

أضحك ولا تبتسم .

ميشال ابو شهلا
صاحب جريدة الجمهور

الرمزية والشعر الرمزي

بقلم الدكتور نقولا فياض

المراد بالرمزية التعبير عن المعاني والاشياء بواسطة الصور والرموز وهي مأخوذة من الرمز ومعناه في اللغة الاشارة او الايماء بالشفتين او العينين او الحاجبين او الفم او اليد او اللسان . وعليه قال الشاعر .

جذبته لعناقي فانثنى خجلاً وكلمت وجنتاه الحمر بالعرق
وقال لي برموز من لواحظه ان العناق حرام ، قلت في عنقي

والرمزية طريقة قديمة العهد كثيرة الانتشار بين الشعوب العريقة في التاريخ كالكلدان والهنود والمصريين والفرس وسواهم ، فكانوا يمثلون الآلهة والارض والربيع وكل ما يبدو لهم من هذا الوجود باشكال وصور مختلفة يستعيرونها من كل ما دبّ في العراء او طار في الهواء او سبح في الماء . وقد تجد حتى اليوم في اقاصي الهند كثيراً من الانصاب الهائلة والتماثيل الضخمة والمآيد متعددة يرمز بها الى الفضيلة تحارب الرذيلة وقد ظنها المبشرون الاوروبيون لاول عهدهم بها، صوراً من صور الشيطان المعبود . وكان الفرس يرمزون الى الالوهة بالنار والمصريون الى الخلود بافعى تعض على ذنبها او تحجب رأسها به .



وبلغوا من امعانهم بالرمزية ان خلعوا على الخالق سبحانه اشكالا شتى فجعلوا له تارة اجنحة كالعصفور وطوراً انياباً كالسباع كما صوروه على مثال الانسان ، وفيه يقول « اورفه » شاعر الاغريق قبل هوميروس ومؤسس ديانتهم : الله الجالس على عرشه الازلي بين الغيوم يصرف الرياح ويزجي الزوابع ويضغط برجليه على الارض وعد من اعماق الجو يده فتلمس شواطئ البحرين . »

ولما كان كل شيء رمزاً وكانت الخلائق باسرها متنكرة في غير ازيائها ظهر اثر ذلك في اللغة فكانت كتابة الفلاسفة والذين جابوا الاصقاع البعيدة او اتصلوا بذلك العهد رموزاً الا فيما ندر، واليك بعض الامثلة على ذلك :

لا تثر النار بالسيف : اي لا تهيج الرجال في حال غضبهم
لا تضع المصباح تحت المكيال : اي لا تحجب الحقيقة عن الناس
لا تقرب الغول : اي اهرب من المجتمعات العمومية . ذلك لان التصويت فيها كان بواسطة الغول .
في العاصفة اعبد الصدى اي اعتزل في الجبال عند الاضطرابات الداخلية . لا تكتب على الثلج اي لا تحاول تعليم العقول الضعيفة . ولا تأكل قلبك ولا تحك اي لا تستسلم الى الحزن او الى مشاكل الاعمال . الى آخر ما هنالك مما يضيق عنه الحصر .

وكان من انتشار الرمزية في الشرق وتغلغلها في مصر وفينيقيا ان تسربت الى العبرانيين في عاداتهم وخطاباتهم فكانت التوراة مشحونة بالرموز التي كثيراً ما تحتاج الى التفسير . واغرب هذه الرموز ما جاء في سفر الجامعة عن الشيخوخة : اذكر خالقك في ايام شبابك قبل ان تظلم الشمس والقمر والكواكب وترجع السحب عقيب المطر . يوم يرتعش حفظة البيت وينحني رجال البأس وتبطل الطواحن لقلتهن ، وتظلم النواظر من الكوى ، ينخفض صوت المطحنة ، وتغلق الابواب على الطريق ، ويقوم الانسان عند صوت العصفور وتسكت جميع بنات الاغاني ويزهر اللوز ويتضخم الجراد وينشق قشر الأصف وينطلق

الانسان الى دار الابدية .

فالمقصود باظلام الشمس عبوسة الكآبة ، وبرجوع السحب الهموم المتعاقبة او ان الشيخوخة . وارتعاش حفظة البيت يراد به ارتعاش الساعدين وانحناء رجال البأس ، انحناء اركبتين . اما الطواحن فهي الاسنان . والمعنى من اغلاق الابواب على الطريق اقفال الشفتين لانهما تنزويان الى داخل الفم متى سقطت الاسنان التي تتألف منها المطحنة . وقيام الانسان عند صوت العصفور اشارة الى ان الشيخ خفيف النوم قليله حتى ان صوت العصفور ينبهه . وسكوت بنات الاغاني رمز الى ان الشيخ لا يميل لسماعهن ولا هن يغنينه . واما ازهار اللوز فالمراد به بياض المشيب ، كما يراد بتضخم الجراد تورم الساقين الخ . هذا الوصف للشيخوخة لو كان في اللغة العادية لاختصر في جملة . ولكن الظاهر ان التعبير الرمزي كان اوقع في نفس السامع وأبعد اثراً لما يقتضي من اعمال الفكرة في تفهمه وحفظه .



ومثل ذلك ما جاء في سفر ارميا : هكذا قال لي الرب اصنع لك ربطاً وانياراً واجعلها على عنقك وارسل بها الى ملك الروم وملك مؤاب وملك بني عمون وملك صور وملك صيدا يشير الى نير الرق الذي يحمله شعب اليهود ومن يليهم من الممالك المجاورة .

ويروي هيرودس ان ملكاً من السيت (Scythe) ارسل الى داريوس عصفوراً وضفدعاً وخمسة أسهم ، كأنه يقول له ان لم تهرب بسرعة العصفور أو الفار او الضفدع فان نبال سيت تنفذ الى احشائك .

ومثله ما فعل احد الحكام الرومانيين عندما استشاره ابنه في كيف يجب ان يعامل من هم تحت امرته فقد كان الحاكم ساعتئذ يتنزه في حديقته فلم يكن منه الا ان تناول عصا وضرب بها الرؤوس العالية من الخشخاش فتساقطت من حوله وكان ذلك ابلغ جواب فقام الابن واعمل السيف بالكبراء من شعبه .

ان الربط والانيار في عنق ارميا رمز العجز وهدية سيت الى داريوس رمز القوة وضرب هام الخشخاش رمز الظلم وهذه التعابير الرمزية قلما نفهمها اليوم وربما ضحكنا منها على انها كانت لذلك العهد من الامور البسيطة كما انها لا تزال مستعملة حتى اليوم في بعض الاصقاع كتركستان والقوقاز وغيرهما .

وكان الكاهن الاكبر عند العبرانيين يحمل على صدره اثني عشر حجراً رمزاً الى اسباط اسرائيل الاثني عشر .

واول ما عرفت الكتابة كانت الاشياء تمثل بالصور او الرموز ولا تزال كذلك في بعض الشعوب والقبائل فترى سكان المكسيك يعبرون عن القتال برسم سهمين وعن العالم بحلقة مستديرة وعن الشهر بصورة هلال .

واثار الرمزية بادية الى يومنا هذا في النقش والتصوير يعبرون بها عن شتى المعاني . من ذلك تمثيلهم الالم في شكل فتاة منطرحة على الكرسي حزينة باكية وعلى رأسها قناع اسود يتدلى حتى ركبتيها وفي يدها مشعل قد خبا نوره ولا يزال دخانه يتصاعد وامامها جرن من الاجران التي توضع على القبور .

لا اظن ان هنالك امة او لغة خلا فيها التعبير من الرمز حتى الشعر العربي ولكن الفرق بين الاقدمين وشعراء اليوم ان اولئك كانوا يكتبون بما يتصورون دون ان يتعمدوا الرمزية فيشيروا اليها او يقيموا لها قواعد واصولا .

والشعر العربي كغيره خاضع لتأثيرات الخيال والتصور . فالرمزية طبيعية فيه ومنه فهم المعنى بقلب الشاعر . وهذا بيت الفرزدق في هجو جرير مثال على ذلك :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها
وقضى عليك به الكتاب المنزل

يريد ان بيت جرير في العرب واه ضعيف فهو غريب عن المجد ويقصد بالكتاب المنزل الى قوله تعالى ان اوهى البيوت بيت العنكبوت .

هذه بعض خطرات عن الرمزية . اما ما يسمونه الشعر الرمزي في هذه الايام فهو بدعة المجددين في فرنسا اواخر القرن الماضي وموعدنا في التحدث عنه قريب ان شاء الله .

الدكتور نقولا فياض



حديث الى المتخرجين والمتخرجات

بقلم كمال الخطيب

لا اظن احداً يجهل الزكام المعروف « بالرشح » خصوصاً حينما تكثر التقلبات الجوية المفاجئة . فلا يكاد يطل فصل الخريف حتى تدب في جراثيمه حرارة الايمان بالجهاد ، فيجول ويصول متنقلاً من أنف الى انف آخر لا فرق عنده بين انف عاجي لطيف أو خرطوم غليظ خشن . ومن المعلوم عن هذا الداء — كما يزعم البعض — انك اذا اتخذت الحيطة وتدبرت جميع الوسائل اللازمة لاتقاء شره لازمك مدة لا تتجاوز السبعة الايام . واما في حالة اهمالك اياه وعدم انتباهك اليه فيلازمك اسبوعا كاملا ، وبعبارة اوضح ، لا بد لك من ان تتحمله صابراً شئت ام ابيت . وما أشد وجه الشبه بين ما يعانيه العالم اليوم عامة وبلادنا خاصة من ادواء سياسية كانت او اقتصادية اجتماعية او دينية ، وبين المصاب بالزكام من حيث المعالجة الخارجية المؤقتة وعدمها . فكما ان المصاب بداء الرشح لايتم شفاؤه الا متى اكتسب الجسم مناعة داخلية وتكاتفت جميع قواه الكامنة فيه على مقاومة الجراثيم ، هكذا حال الامة المريضة ، لا يرجى شفاؤها مما تعانيه الا متى نشأت في جسمها عناصر فتية ملؤها القوة والحياة ، وتضافرت منها الجهود على استئصال ادوائها والقضاء عليها .

فالى هذه العناصر الحية ، الى هذه الوجوه التي تعلوها ابتسامة الفوز ، الى المتخرجين والمتخرجات من المعاهد العلمية على اختلافها اوجه هذا المقال .

تعاني بلادنا اليوم ، داء أشد ما يكون من الخطورة هو في نظري علة العلل . استطيع ان اسميه « قصر النظر » وذلك عدم التمييز بين الوسائل والغايات . فالدين مثلا وسيلة غايتها عبادة المبدع الاعظم سبحانه وتعالى ، واللغة وسيلة غايتها التفاهم بين الناس والتعبير عن فكر صحيح او عاطفة صادقة . والوظيفة الحكومية وسيلة غايتها السهر على مصالح الامة ، وتأمين راحة افرادها . والطب وسيلة غايتها تخفيف آلام جميع المخلوقات على مختلف طبقاتها ، والتعليم وسيلة غايتها خدمة النشء الذي تعقد عليه الامة كبير الآمال . والفن وسيلة غايتها السمو بالنفوس البشرية من عالم المادة الى عروش الجمال حيث تتذوق وتتفهم معانيه ، فتنطبع بطابعه دون ان تذوب فيه . والزواج وسيلة غايتها حفظ النسل والتعاون على حمل اعباء الحياة ورفع مستوى الحياة العائلية . والحرب . . . الحرب ايضاً وسيلة غايتها نصرة الحق والعدالة واعادة الحريات المغتصبة الى الامم المستضعفة . ومن يبحث في احوال نفسية الامة اليوم يتضح له جلياً اننا نتمسك بالوسائل ناسين او متناسين الغايات . بل كثيراً ما نتخذ ما يجب ان يكون وسيلة لغاية ، غاية بحد ذاتها .

ولا خلاص من هذا الخطر الذي ينذر بدمار كيان الامة ، الا متى نشأ بيننا شباب يميز بين الوسائل والغايات ، شباب يحسن وضع الامور في اماكنها . فالشباب قلب الامة النابض ودمها الجاري في عروقها ، منه رجال المستقبل وامهاتهم : هؤلاء هم الثمر الناضج الذي تجنيه الامة من دوحات تستمد غذاءها من أشرف المبادىء وأسمى الغايات ، حيث يقضون الايام والليالي يبحثون وينقبون ليتزودوا من كل ما هو خير ونبيل . ثم يخرجون من عالم المدرسة الى مدرسة العالم في مثل هذا الموسم من كل سنة وقد حملوا رسالة جديدة ، وآراء صائبة ، متمسكين بالصالح من التراث المتحدر اليهم من السلف ، محطمين جميع القيود والحواجز التي تعترض سبيلهم او تحول دون تأدية الرسالة التي يحملون .

ويجب ان لا يغرب عن بالنا ، ان هذا الفوج الجديد الذي سينضم الى افواج سبقته من قبل ، ليس الاثمرة جهود مشتركة بين البيت والمدرسة كشركة تجارية مساهمة ، شركة لا تتعاطى تجارة الدقيق والسكر او الزيت والصابون ولا تعرف للاحتكار المقوت معنى ، لكنها شركة تتعاطى تجارة المجوهرات ربما يذكر بعضكم تلك القصة الرومانية القديمة — قصة كورنيليا والجوهرتين : كانت كورنيليا هذه اماً رومانية من الله عليها بابنتين كأنهما ملاكان . جاءتها ذات يوم صديقة تملك ثروة طائلة وفتحت امامها حقيبة ثم أخذت تعرض ما فيها من الجواهر النفيسة النادرة الوجود . وبعد ان شاهد الحاضرون هذه النفائس واعجبوا بها ، التفتت السيدة الى كورنيليا قائلة : « أحقاً ما يقولون عنك يا كورنيليا انك فقيرة وليس لديك ما تتزينين به من المجوهرات » . فلم يكن من كورنيليا الا ان رفعت رأسها عالياً واحتضنت ابنتيها ثم قالت : « هاتان جوهرتاي الثمينتان وهما عندي أثمن من نفائس وكنوز . .

واغا اولادنا بيننا ... اكبادنا تمشي على الارض
ان هبت الريح على بعضهم ... لامتنعت عيني من الغمض

حقاً ان الاولاد كالحجارة الكريمة التي تستخرج من الارض ولكنها تحتاج الى كثير من الاهتمام والعناية بقطعها وتنظيفها وصقلها قبل ان تظهر قيمتها الحقيقية . على اني لا اود ان اذهب بتشبيهي هذا الى حد بعيد لئلا اغمط الاولاد حقهم — فالجواهر جمادات لا حياة فيها بيد ان الاولاد جواهر حية تنمو وتتحرك وتبتسم . . . يفتح الطفل عينيه على نور الحياة وقد وهبه الله نصيباً من المؤهلات والقوى الكامنة ثم لا يلبث ان يتعرض الى انواع العوامل والمؤثرات التي تكون منه شخصية لها صفاتها وكيانها . فالواجب المشترك بين العائلة والمدرسة هو التعاون على ضبط هذه المؤثرات وحسن توجيهها بطريقة تساعد على اكتمال النمو الجسمي والعقلي والروحي معاً ، ليصبح هذا المخلوق ذا شخصية متكاملة الاتزان لها اهدافها في الحياة . شخصية تعيش لتفكر ، لا تفكر لتعيش . وما العائلة والمرأة الا اسمان لمسمى واحد . مستوى الاولى مرتبط بمستوى الثانية تلك التي رفعها الله ووكل اليها اسمى منازل الحياة ، منزلة الام ذلك الاستاذ الذي لا يمحو علمه ، وينسخ آيته استاذ سواه . لقد كان من سنن اليونان ايام سقراط وافلاطون ان يقف الرجل حاسر الرأس اذا مرت به امرأة حامل ، وما ذلك الا لما مهد الله لها من عمل روحي مقدس : الامومة .

أو لم يقل النبي العربي الكريم : « الجنة تحت اقدام الامهات » .

سئل مرة احد ابطال التاريخ الحديث « نابليون » أي حصون فرنسا امنع ؟ فاجاب : « المرأة الصالحة » .

لقد تم للمعز لدين الله ان يفتح ما يلي من افريقيا حتى البحر المحيط ثم اخذ يرنو الى مصر واجماً متهيباً ، فلم يزل كذلك امره حتى سمع قائلا يقول « ان نساء الاخشيد أغرقن في الترف واستهن بالفضيلة » فما لبث ان قال : « اليوم فتحت مصر » . وكذلك وهنت نفس المرأة وهي مصدر قوة الامة فتداعت اركانها واندك صرحها وتم الفتح للطامعين .

تلك هي مهمتك الشاقة ايتها الفتاة العزيزة وذلك هو قسطك من هذا الاصلاح المنشود . واسمحي لي ان الفت نظرك الى امر آخر قبل انهاء مقالي : حذار . . حذار ان تكتفي لما يطرق مسامعك من اصوات المطالبين بحقوق المرأة المهضومة « فكوني واثقة مطمأنة واعلمي ان لك حقوقاً مقدسة ليس باستطاعة أي رجل اغتصابها . هي في حوزة يدك دائماً وابداً فما عليك الا ان تثبتي وجودك وتشعري بالمسؤولية الملقاة على عاتقك لتعي حقيقة ما اقول . ولا تنسي ان ما خصك الله به من لطف فطري ، وشعور رقيق ، وعواطف نبيلة ، وانوثة ساحرة كل ذلك سلاح بل قوة ترتد عنها قوى الجبابرة . على اني لا اخفي عنك اننا بفضل تيار المدنية المشوه والتفرنج الممقوت الذي طغى على الكثيرات من بنات البلاد قد اصبحنا بحاجة لمن يطالب (بحقوق الرجل المتبخترة) واني لاخشى اذا قدر وناديت مطالبة بتلك الحقوق المزعومة ان يصيبك ما اصاب تلك الفتاة المسكينة التي قضت عليها الاقدار وامست زوجاً لرجل خشن الطبع سيء الخلق والخلق متحجر القلب والعقل ، يصلح ان يكون ابا لها . . . لكنه غني . . . وكان زواج صح فيه قول المرحوم شوقي :

« ما زوجت تلك الفتاة وانما بيع الصبا والحسن بالدينار »

وقد كان من عادة هذا الزوج المحترم ان لا يخاطبها الا بقوله « يا مرى ! أين كنت يا مرى؟ ماذا فعلت يا مرى؟ هل نام الاولاد يامرى » حتى اصبحت هذه الكلمة وكأنها سهم يخترق فؤاد تلك الفتاة المنكودة الطالع . فجاءته ذات يوم تحدثه بوداعة الحمل علها تحمله على فهم ما لها عليه من حقوق فيقلع عن تكرار هذه اللفظة التي طالما زادت طين تعاستها بلة وقالت : « لم تخاطبني هكذا وانا ام اولادك؟ انا التي تسهر على تربيتهم وتهذيبهم وتتعهدهم بعين عنايتها . فلا تغض على قبيح فعالهم . انا التي تغرس في نفوسهم بذور القومية الصادقة ليشبوا رجالا اشداء وامهات وفيات . انا شريكة حياتك ، وعماد امرك ، ومهبط نجواك ، انا من تذود عنك هموم نفسك وتحتمل دونك الكثير من شؤونك فاذا اصابتك مصيبة ، كنت لك الجناح الذي تطير به الى الامل ، انا مصدر سعادتك وهناءك . أو لم تسمع قوله تعالى : « ومن آياته انه خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » او بعد ذلك تضن علي بكلمة « عزيزتي » ؟

كل ذلك وهو مطرق يصغي الى كل كلمة من كلامها وما كادت تنتهي من هذا الدرس القيم حتى شخص اليها ببصره وكأنه ندم على ما بدر منه ثم قال : « والله الحق معك يا مرى » .

فاذا صح ان السعادة الحقيقية هي ذلك الشعور الذي يستحوذ على كيان المرء بعد قيامه بواجبه وتأدية رسالته فما اسعد تلك المرأة الصالحة وان بقيت جنديا مجهولا . . .

بل ما احوج بلادنا اليوم الى ذلك الجندي المجهول . . .

كنعان الخطيب



العفاف المفوي

•

أتيتِ فـأورق الادب السنيّ
وغنّى الحب واخضل الروي
وكنتُ على الجفاف ومن قنوطي
يفيض على دمي ظـل شقيّ
عليك من الهوى قوت منيع
ومن أعرافـه عبق شهي
وفي عينيك يستهوي عفـاف
له في النفس جـاذبه الخفيّ
وفي شفتيك اغواء لذيـذ
يـذوب عليه قربان نقيّ
أتيت ، من السماء عليك ظلّ
ومن اغراسهـا خضر طريّ
فقبّلني على شفتي رسول
ومس فمي كلام عبقريّ

الياس ابو شبكة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حياتنا الادبية

بقلم فدعي فلفجي

رئيس تحرير مجلة « الطريق »

في عهد كالعهد الذي نعيش فيه ، عهد الكفاح من اجل الحرية ، يغدو الادب ضرباً من النضال واستشرافاً لحياة ارقى ، ويرى الاديب انه مرغم على ان يعالج امراض مجتمعه ، وان يغمس ريشته بدم الانسانية المهدور على مذابح الطغاة . وفي امة كأمتنا ، استيقظت على حين غرة ، بعد ان هجعت خمسمائة عام في غيابة الجهل والفقر والعبودية ، يجد الادباء شخصياتهم الضائعة ، وينظرون حولهم نظرة الرجل الحر المسؤول عن مصيره لا نظرة التابع القاصر غير المكترث للاحداث ، فلا يجدون في بيئتهم البيئة الصالحة التي يريدون ، فيعملون على خلقها خلقاً جديداً .

فماذا صنعنا نحن ، او ماذا صنع المفكرون منا ، من اجل هذه الامة — امتهم ، الواقفة على مفرق الطرق في اروع حقبة من التاريخ ؟ ماذا صنع ادباؤنا لتوجيه النهضة الحديثة التي لمست قشور حياتنا ولم تنفذ الى اللباب ؟ أي مصباح اشعلوه في الظلمة التي نختنق في لجتها ، واي معول رفعوه لتحطيم الظلامة التي نستشعرها كلما نزعنا الى غاية من الغايات فوجدنا امامنا سداً من السدود ؟ ! .

لقد عنيت الاداب خاصة ، لانهم اظهر رجال الفكر اسماً واشدهم قوة واعمقهم تأثيراً ، ولاننا بفعل ما ورثنا عن ابائنا من المعرفة بصناعة الكلام ، الصق بالادب من اي فن آخر ، فنحن نعنى به في حياتنا المدرسية اكثر من عنايتنا بالعلم ، ونعنى به في حياتنا الاجتماعية اكثر من عنايتنا بالخلق ، ونعنى به في حياتنا السياسية اكثر من عنايتنا بصواب الرأي . ويكفي واحدنا ان يكون رشيق اللفظ انيق العبارة كي يفوز باعجابنا ويخدعنا عن احساسنا ويوهمنا بما يقول حتى لنحسب باطله حقاً .

وما دام للادب في بلادنا في هذا الشأن ، وللاديب هذا الخطر ، فنحن على حق اذا تساءلنا عن مدى مساهمة الادباء العرب المعاصرين في انهاض الشعوب العربية من كبوتها ، وتوجيهها نحو القمم الرفيعة التي ما زالت تحلم بها منذ عصور طوال كما تحلم بشمس الربيع حبة القمح المدفونة في التراب كي تشق عنها الارض وتشرئب بسنابلها الخضر كانها تهم الى السماء .

ان تاريخنا الادبي المعاصر تاريخ هزيل نبت على هامش الحياة فلم يقتبس منها نوراً ولا ناراً . وقد شيعنا في امين الريحاني آخر رجل في قافلة الجيل البناء الذي اقام اسس النهضة الحديثة وكان من اعلامه الكواكبي والافغاني وولي الدين والشميل وفرح انطون ، اولئك السابقون الذين انطفأ بعدهم مشعل الحرية الفكرية او كاد ، اذ خلفهم في تأدية الرسالة الادبية جيل حائر يهدم ولا يبني ، واذا بنى فعلى اسس واهية تكفي نفخة من الريح لتعبث بها وتذريها .

استثني نفراً من الادباء المدركين الذين يعرفون ماذا يريد امتهم وماذا يريدون ، واجيل نظري فيمن اعرف من الادباء الطالعين فلا ارى فيهم من يستطيع ان ينبئك برسالته : من يعرف لماذا يكتب ، وكيف ، ولمن ؟

يروى ان احد السلاطين الغابرين طلب من كاتب القصر ان يكتب رسالة الى احد الملوك في غرض عينه له ، ففعل الكاتب ما امر به ، ثم قرأ الرسالة على السلطان فغضب هذا على كاتبه

البقية على الصفحة ٥٧

الفن الفرنسي في مئة عام

بقلم ج . لاسين

◆

لفظ السيد جاك لاسين Jacques Lassaigne ، مدير مصلحة النشر والاذاعة للمندوبية العامة لفرنسا الحرة في الشرق ، بمناسبة افتتاح معرض الالواح الفرنسية : « الفن الفرنسي خلال مئة سنة » في فلسطين محاضرة مسهبة بحث فيها تاريخ حركة الفن المستقل فتكلم عن الحركة « الانطباعية » (١) ، و « الانطباعية الجديدة » (٢) ، و « الانطباعيين » (٣)، و«الرمزية» (٤) ، و « الفوفيزم » (٥) ، و « الفن المكعب » (٦) ، هذه الحركات التي تعاقبت على الفن الفرنسي طوال القرن الاخير ومهرته بروائع لا عهد بمثلها الا للقليل النادر من البلدان . فقال في مستهل محاضرته ان الخمس والسبعين سنة الاخيرة متسمة في فرنسا باستقلال كل فني استقلالا يحتفظ له بكل مقدرته على البحث والاستقراء . على ان مباحث الفني ليست ثمرة الصدف والهوى بل هي متصلة متكاملة . فبين جميع كبار رجال الفن المستقلين الذين يؤلفون الجماعة الانطباعية تضامن وقربى يعدوان حدّ الالفة الى حدّ الاخوة . وثمة دافع اسمى يربط هؤلاء الذين ينتسبون الى اريستوقراطية عليا هي اريستوقراطية النبوغ . ولقد كان كبار الانطباعيين وما يزال كبار اساتذة اليوم يتبادلون الاحترام والاعجاب على الرغم مما يباعد بين امزجتهم ونظرياتهم ، خلافاً لما أثر عن رجال الفن من التحاسد والتخاصم . ذلك ان بين هؤلاء اكثر من الصداقة . فهم على الكثير الغالب غير متحابين، واكثر من التفاهم، فلديفاس وسيزان كلمات قاسية في هذا المصور او ذاك . ان بينهم نوعاً من المساواة في الشعور بكرامة الانسان، وفي العظمة، اي في سيادة الحسب والعبقرية .


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com
« رجل » بريشة كلود مونيه

وانتقل المحاضر الى تحديد «الانطباعية» و«الانطباعيين» فقال ان اهمية الحركة الانطباعية ، هذه الاهمية التي لم يسبق مثلها في تاريخ الفن ، هي ان الحركة تجاوزت حدودها الى الحياة في حلقة من النوابغ، وقد قطعت هذه الحركة الدليل على ان الجماعة الفنية لا تعني في الواقع كتلة من شخصيات متآلفة متجانسة، بل على نقيض ذلك ان لا فائدة من ان تجمع سوى مزايا مختلفة يمكن ان تجتمع او ان تتكامل . وليس الانطباعيون مدرسة كما نفهم عادة بهذه المدرسة الايطالية او تلك ، اي انهم ليسو محترفاً بل هم اكثر من ذلك بكثير : انهم كيانات فردية قوية شاعرة كل الشعور بتشابهها كما هي شاعرة بتباعدها، توحد بينها اذواق ونفرات مشتركة لتؤكد معاً اعتقادات ذات قرابة ولكنها حرة .

يا لها امثولة تتجاوز بكثير نطاق التاريخ الفني ! فحول بضعة افكار توائم ميول العصر وحول اكتشافات تقنية تمضي بفن التصوير

قدماً الى الامام يجتمع بعض رجال الفن من الفتيان ليتبادلوا وجهات النظر ويتناهموا ، على ان كلا منهم يظهر ذاتيته في المعرض الذي ينظمه ويم على الطريق الذي سيسلكه وحده .

هذه هي الانطباعية . وهذا الاتصال بين الاحرار من رجال الفن يكفي لجمعهم الى الابد فلا يحيدون عن سبيل التعاون ، بل يتأثر بعضهم ببعض ويتكاملون ولا يلبثون ان يصبحوا ألسنة عصرهم بكل ما فيه من الميول والالوان . وهكذا بقي الفن الفرنسي حياً وما يزال حياً في ظلمات المحترقات التي هدمتها الحرب وضربها البؤس . وصفوة القول ان الفن الحديث صادر بكامله عن اولئك الرجال الذين انشأوا تلك الجماعة الخصبة التي عاشت في اواخر القرن الفائت ، تلك الجماعة الفريدة التي باحترامها مبادىء الحرية اوجدت التوازن بين تحقيق الموهبة الفردية ومتطلبات العصر .

فما هي الصلة بين الانطباعية والانطباعيين؟ فانطباعية تتصل بتقليد قديم في التصوير الفرنسي على الخصوص هو البحث عن بيان ما في الطبيعة . فالنسب لاشك فيه بين لوحات بوسان Poussin ولوران Lorrain وواتو Watteau ودوبيني Daubigy من جهة ، وصغار اساتذة القرن الثامن عشر ولوحات هوي Huet وبونتون Bonington وكورو Corot من جهة اخرى . فليس ثمة اي فرق كبير بين لوحة ريفية من ريشة دوبيني واولى لوحات الانطباعيين . وما عتم الامر ان راح المصورون يأخذون مناظر صحيحة عن الطبيعة فيزدادون بذلك اقتراباً من الواقعية ، وعلى هذا تكون الانطباعية حركة واقعية قبل كل شيء .

سوى ان رغبة المصورين في اظهار مفاعيل النور حملتهم على العدول عن تصوير الطبيعة جامدة كما هي في لوحات كوربه ، فراحوا يسعون لاخراج الواقع حياً متبدلا كما يفعل النور بالاشياء . وكان مونه في جملة الذين اجروا هذه التجارب ، فصور المشهد نفسه على لوحات مختلفة . وسرعان ما تطورت هذه الفكرة فاعلن الفنيون استقلالهم عن الطبيعة وراحوا يسعون للتعبير عما يوازي الواقع بائتلاف جديد من الالوان والخطوط . ومن هذه الفكرة نشأت الرمزية والفوفيزم ، وهو الاتجاه الاكثر غنى واهمية في الفن الفرنسي الحديث مع بونار Bonnard وفويلار Vuillard وروسيل Roussel وموريس دنيس Maurice Denis وفالوتون Valotton وماتيس Matisse وماركه Marquet وفريز Friesz ودوفي Dufy وروول Rouault وفلامنك Vlaminck .

فالرمزية لا تتردد في تبديل الشكل لتحصل على مفعول حسن . وقد قال موريس دنيس في كتابه : « من رمزية غوغن Gauguin الى اسلوب كلاسيكي جديد » ان الفن هو الطبيعة مرئية من خلال مزاج . ولكن فيما المصور سورا يقرر للذكاء المكان الاول في هذه البدعة اذا دنيس يضيف اليه القلب والحواس . اما الفوفيزم فهو النتيجة المنطقية لهذه الافكار عن طريق انطلاق الغرائز العنيف في التصوير ، ونجد على رأس هذه الحركة الرسام ماتيس Matisse الذي عرف التصوير بفضله انسجامات جديدة . فقد احل محل مبدأ انسجام لون واحد مبدأ انسجام عدة الوان ، اي انه استخدم اعنف الالوان في آن واحد . والواقع ان رجال طريقة الفوفيزم لا يبحثون عن وسائل متطرفة الا ليختاروا منها ما يحمل على التعبير اكثر قوة ، فالعنف والشدة يسمحان لهم بان يقتصدوا ويقربوا ويكونوا اكثر ايجازاً من اية مدرسة سابقة واكثر قوة على الدلالة . وهكذا يبدو هذا الفن الثوري على جانب عظيم من الاتزان . فبدل ان يبحث المصور دوفي عن الوحدة في المنظر يكتفي بالمعادلة بين مختلف الاجزاء التي يتألف منها هذا المنظر ، تاركاً لكل جزء استقلاله . وبذلك يعزل مختلف العناصر بعضها عن بعض فيعطي كلا منها طابعه ، ويحصرها في خطوط مختصرة .

وعلى ذكر ماتيس ودوفي Dufy لا مندوحة لنا عن



لوحة « ريفية » بريشة فلامنك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

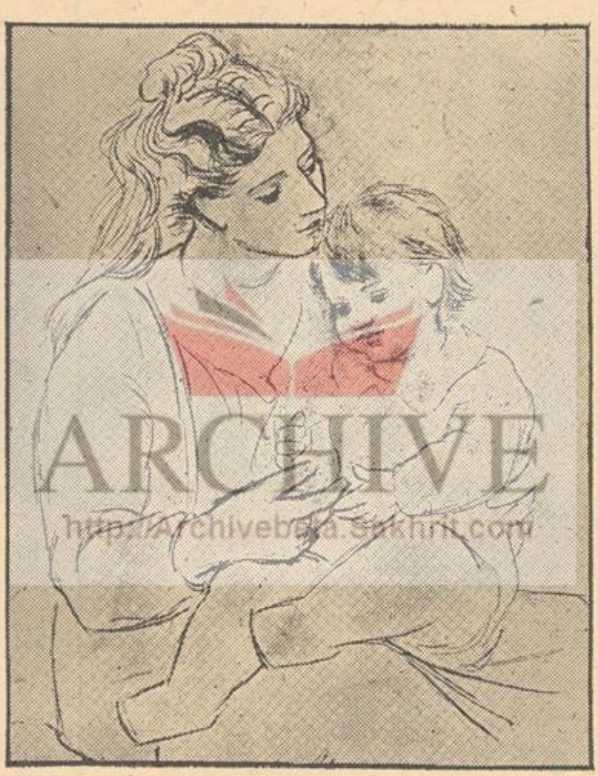
وعلى ذكر ماتيس ودوفي Dufy لا مندوحة لنا عن الكلام على التأثير الشرقي ولا سيما الفن الصيني والرسم الياباني . ولكن الثقافة العجيبة التي يتصف بها رجال هذه الطريقة لا تمنع ان يكون الى جانبهم ، بل في ظلهم قوى فطرية شعبية تعطي هذا الفن الحديث ماوية دائمة التجدد فلا ينحدر الى التكيس او الى الجدب .

وانتقل السيد لاسين الى الفن المكعب فقال ان هذا الفن ظهر بعد الفوفيزم بزمن فهو يتصل بمصورين تدرجوا على مهل كسيزان Cézanne وديغا Degas ، فسيزان يعبر عن الواقع وفياً له حتى الاستعباد ، ويسلك طريق التشويه او تبديل الاشكال ليس بدافع الشهوة والحس بل عن طريق المنطق . وفي اواخر حياته عندما بدأ بمعالجة نفوذه الحاسم في الفن المكعب (الكوبيزم) الناشيء وضع في المرتبة الاولى مسألة البحث عن أساليب جديدة للاشكال . وقد صدر عن حسه ليعزله ويثبّته ويخلق طبيعة جديدة مقابلة للطبيعة الحقيقية . وهذه المحاولة هي نفسها التي اعتنقتها جميع المدارس الكلاسيكية

تلك هي الخطوط الكبرى لاتجاهات الفن الفرنسي الحديث . وقد رأينا الاتجاهات المتناقضة في الظاهر تتحد وتتكامل ، ورأينا الجميع يتناولون من امثولة كل استاذ احسن ما فيها . ورأينا كذلك كلا من المصورين الانطباعيين يترك ذريّة مباشرة وأثراً خارق العادة لا يموت . ورأينا اخيراً كيف استثمر رجال الفن المعاصرون آثار هؤلاء ، فماتيس مدين ليس لغوغن فحسب بل لسيزان ورينوار Renoir أيضاً . ولا شيء يضيع ، فالجسم في عرف رينوار هو تمثيل كامل للكون الحسّاس . وبهذه النظرية يتجاوز رينوار قضية التقنية الى ميدان الاشكال الابدية والتخيل ، فيخلف بذلك ذرية ليس بين المصورين بل بين المثّالين من رجال الفن الشكلي .

وصفوة القول ان يكن الفن الفرنسي الحديث قد أثار له او عليه أهواء عنيفة فذلك دليل على ان الجمهور رأى فيه وفرة في الامزجة والحركات والافعال . ولم يسبق للمناقشات والاقلام ان مثلت مثل الدور الخطير الذي مثلته في ذلك العهد الطافح بالغليان الفكري . فاذا كان الفن الفرنسي الحديث يبدو على هذا الوجه من الاختلاف فهو يدل على استمرار عجيب ، فكبار المصورين الذين استهلوا عهدهم في مطلع هذا القرن مرتبطين بالاساتذة الانطباعيين وما يزالون على رأس الطليعة من رجال الفن ما برحوا يتجددون ويكبرون حتى أصبحوا اليوم أساتذة العالم باسره في الفن حاضراً ومستقبلا . ومما لا نزاع فيه ان هؤلاء المصورين المعاصرين هم ورّاث تلك البضعة من كبار الانقلابيين الذين ما برحوا في جادة الفتاء كتنتوره Tintoret وغيريكو Greco . ولقد شهد العصر الحاضر في ما شهد من الحركات الفنية ، نشأة الفن المكعب الذي هو بحق احسن ما في التاريخ من الفنون القياسية ، ولكن الاسراف فيه تجاوز الحدود التي قررها اساتذة هذا الفن كبيكاسو Picasso وبراك Braque ولوت Lhote وبيسيير Bissière مما اساء الى الشعور الانساني في الفن . وخلص المحاضر الى القول : انها لمهمة واجبة ان يؤدى الى الفن الفرنسي المعاصر حقه في الوقت الذي يخيل فيه الى الكثيرين انه بالامكان نسيان ما كانت فرنسا وما هي اليوم ، ما هي حضارتها وثقافتها ووجودها الذي لا غنى عنه في الوقت الذي يخيل فيه الى الكثيرين ان الفن ليس سوى مسألة حكومية يستطاع توجيهها كانها مسألة اقتصادية او عسكرية .

ج . لاسين



« مخطط » بريشة بيكاسو

(1) L'Impresionnisme (2) Néo - Impressionnisme (3) Les Impressionnistes (4) Le Symbolisme (5) Le Fauvisme (6) Le Cubisme

فليكس ارفير ، شاعر فرنسي اشتهر بهذه القصيدة التي ننشرها على هذه الصفحة ولولاها لطوى الموت ذكره من زمن طويل . وقد اقامت مجلة « الزهور » التي كان يصدرها المرحوم امين تقي الدين وانطون بك الجميل في مصر ، قبل الحرب الماضية ، مباراة في نقل هذه القصيدة الى العربية نال الجائزة الاولى فيها المرحوم رشيد بك نخله . ونحن ننشر الاصل والترجمة مترحمين على شاعر الحب والوفاء .

« الاديب »

الحب المكتوم

فليكس ارفير . نقلها الى العربية : رشيد نخله



رشيد نخله

يا غراماً في مهجتي ابديا ... من لحاظ بلحظة دبّ فيا
حادث في الهوى تكتم حتى ... كاد يُفنى في النفس مني علياً
لا دواء للداء مصدره الحب الذي بات عن سواي خفيا
سبيته تلك التي ليس تدري ... انه قد غدا هوى عذريا
ويح قلبي أمرّ بالقرب منها ... لا اراها ترنو بلحظ اليا
معها دائماً ووحدي دوماً ... دانياً دائماً ودوماً قصياً
سوف اقضي الحياة لم أعط شيئاً ... كيف يعطى من ليس يطلب شيئاً
واراها وان تكن ذات قلب ... وشعور رقا كطبع الحميا
تتخطى الحياة ليست تبالي ... مات مضنى الغرام أو ظل حيا
وحفيف الهوى يرافق منها ... خطوات تخطفت مقلتيا
هكذا وهي في الامانة ترعى ... لشروط الزواج عهداً وفيا
تقرأ الشعر وهي مال سطور ... الشعر وصفاً وطلعة ومحيا
ثم تغدو تسائل النفس عمن ... تركتني في الحب صباً بكيا

* * *

ويح حظي هي التي تيّمتني ... بهواها وليس تعلم شيا

رشيد نخله

◆



فليكس ارفير

Mon âme a son secret, ma vie à son mystère,
Un amour éternel en un moment conçu:
Le mal est sans espoir, aussi j'ai dû le taire,
Et celle qui l'a fait n'en a jamais rien su.
Hélas! j'aurai passé près d'elle inaperçu,
Toujours à ses côtés et toujours solitaire;
Et j'aurai jusqu'au bout fait mon temps sur la terre,
N'osant rien demander, et n'ayant rien reçu.
Pour elle, quoique Dieu l'ait faite bonne et tendre,
Elle ira son chemin, distraite, et sans entendre,
Ce murmure d'amour élevé sur ses pas.
A l'austère devoir pieusement fidèle;
Elle dira, lisant ces vers tout remplis d'elle,
« Quelle est donc cette femme? » et ne comprendra pas.

Félix Arvers

النهضة الثقافية بمصر المعاصرة

بقلم عبد العزيز احمد

رئيس قسم المعاجم بمجمع فؤاد الاول للغة العربية بمصر ومندوب وزارة المعارف العمومية لكلية فاروق الاول الشرعية ببيروت .

حديثنا عن بعض مظاهر النشاط العلمي والثقافي واهدافه ، بمصر المعاصرة ، أعني من بعد الحرب الماضية الى اليوم حيث كان على عرش مصر المغفور له الملك فؤاد، ثم تربع عليه خليفته ووارث همته جلالة الملك الشاب فاروق الاول .

لقد نهضت مصر من ذلك الوقت نهضة قوية ، ثابتة الدعائم واضحة المعالم .

ومن حسن الحظ ان الظروف كانت مؤاتية ، فالنظام الاقتصادي توطدت اركانه ، والرخاء المادي ظهرت بوادره بمصر، وصلاتها بغيرها قد قويت وامورها السياسية استقرت ، بعد ان ظفرت في عهد الملك الراحل باسترداد حريتها ودستورها .

وقد كان لمصر من عقله الكبير وايمانه العميق وارادته الصلبة وتجاربه الواسعة ، واخلاصه للعروبة والاسلام ، مدد قوي ، وفي ظله نشاط غير محدود ، تعددت مظاهره وتجلت نتائجه .

وقد عمل الملك الراحل وبعده الملك الشاب على ان تستمد مصر من الغرب نظامه وتستفيد من طرائق تفكيره ، وتستغل ما انتجته الحضارة مما يناسب البيئة المصرية . وكان حريصاً على ربط حاضرها بماضيها ، وحرصه اشد على ان يطبع كل ما تفيده مصر بالطابع العربي ، وعلى ان لا تفنى الشخصية المصرية في هذا الطوفان الوافد عليها من الغرب ، مع تقديره ما على مصر العربية من تبعات فرضها عليها موقعها الجغرافي من حوض البحر الابيض ومركزها المتوسط بين الشرق العربي والغرب الاوروبي .

وقد تعالت به همته عن ان تقصر الغاية من طلب العلم على الفوز بالشهادات الدراسية مهما سمت بل ينبغي ان يطلب العلم للعلم، وللعلم وحده ، وما عدا ذلك فهو نافلة .

كانت هذه سياسته التي سار عليها بالجامعة الاهلية وهو امير، ووجه اليها المشرفين على الجامعة الاميرية وهو ملك .

وفي ضوء ما تقدم يمكن ان نتصور برنامج النهضة وندرك اهدافه .

فمما يميز النهضة العلمية في هذا العصر ، ان شؤون الثقافة ، وقد تشعبت — نظمت بالقوانين واصبحت تصدر عن تفكير وروية، ودراسة عميقة تبين اهدافها وتوضح مراميها .

وعلى هذا نرى عناية كاملة متجددة بالتعليم في جميع مراحله ، تتناول اساسه ونظامه ، والغرض منه ، ونشاطاً قويا يعم جميع مرافق الحياة المصرية والنهضة الثقافية .

في الوقت الذي تحارب فيه مصر الامية بجعل التعليم الالزامي اجبارياً بنص القانون حتى اصبح بالمكاتب العامة في القطر المصري نحو مليون من التلاميذ ، نراها لا تهمل التعليم العام للفتيان والفتيات فتعمل على اصلاحه مراعية تصيره وطبعه بالطابع العربي . وهي معنية الى جانب ذلك باخذ الشباب بانواع من النشاط المدرسي لها اثر بعيد في تكوين خلقه وتفكيره وتوسيع آفاق ثقافته وتنظيم جهود الطلبة التعاونية ووسائل مساهمتهم في الاصلاح الاجتماعي

وليس من الضروري ان نعرض لبيان المدارس وانواعها من ابتدائية وثنوية او فنية للبنين والبنات ولا ان نذكر عدد تلاميذها فقد يطول بنا الاحصاء وتُملنا الارقام .

غير انه يجمل بنا ان نشير الى ان كل نوع من المدارس الفنيه تجارية او صناعية او زراعية يزود طلابه بثقافة نظرية ودراسة عملية يمكن بها توفير اكبر عدد من الفنيين والصناع المثقفين الذين تحتاج

اليهم النهضة الفنية والصناعية بمصر .

اما البنت فقد رسمت لها سياسة تعليمية تتجه بها الى ما هيأتها الطبيعة له ، فتُعَد أعداداً خاصاً لمواجهة الحياة المنزلية ، يرجى من ورائه الخير للبلاد التي هي في حاجة الى الام المتينة الخلق الملمة بواجباتها المدركة لخطورتها .

ولهذا انشئت مدارس للثقافة النسوية ، وللفنون الطرزية ، وللتدبير المنزلي تذهب اليها الفتاة ان عدل بها اهلها عن التعليم العام.

والى جانب مدارس الحكومة انشيء كثير من المدارس الحرة المصرية والاجنبية كان لها أثر محمود في نشر التعليم . ولم تدخر وزارة المعارف وسعاً في مساعدتها على النهوض بهذا العبء بالتشجيع الادبي ، والمساعدة المادية ، مع شدة حرصها على ان يصطبغ التعليم بالصبغة القومية ولا يتعارض في اتجاهه مع النزعة الوطنية وهذا ما حدا بالحكومة بعد ان تحررت من الامتيازات الاجنبية في عهد جلالة الملك فاروق ان تصدر قانوناً للتعليم الحر يجعل من حق وزارة المعارف الاشراف التام على مدارسه مصرية كانت ام اجنبية

ولم نعرض بعد للتعليم او النشاط الجامعي فله حديث آخر .

واذا كانت العناية بالطلاب واجبة فالعناية بالمعلم الصالح اوجب .

ومن اجل ذلك شمل التنظيم معاهد تخريج المعلمين حتى يمكن مواجهة السياسة التعليمية الجديدة ، فانشيء معهد التربية العالي لتخريج المعلمين ومثله لتخريج المعلمات ، لا يقبل بها الا من يحمل الليسانس من الجامعة المصرية ، واعيد تنظيم معهد دار العلوم لتخريج مدرسي اللغة العربية فتهيأ من المدرسين جيل مثقف ثقافة عالية ومزود باحدث الاراء والنظريات في التربية وطرق التعليم .

وقد بذلت مصر في سبيل النهضة التعليمية ما استطاعت من جهود وما افادت من تجارب ولم تبخل بمال . فقد بلغت ميزانية وزارة المعارف في سنة ٤١ — ٤٢ (٤٫٥٠٢٫١٠٠) جنيه مصري غير ما رصد للجامعة والمعاهد الدينية ومجالس المديريات مما بلغت جملته نحو ٧ ملايين ونصف مليون من الجنيهات المصرية .

هذه هي جهود وزارة المعارف التعليمية ، فاذا تركنا معاهد التعليم جانباً لنتعرف مظاهر النشاط الاخرى رأينا الكثير ، ووجدناه يرجع في أساسه الى شيئين كما ذكرنا : الاتصال بالغرب والاخذ عنه والمساهمة في جهوده ، ثم الاحتفاظ لمصر بعربيتها واحياء التراث القديم .

وعلى هذا نرى مصر حريصة على ان تشارك في كل مشروع او جماعة تعمل لرقي الفكر الانساني او النشاط الادبي والعلمي باوسع حدوده فهي تنفيذاً لهذه السياسة تشترك في اللجنة الدولية للتعاون الفكري بباريس ثم تنشيء شعبة محلية بمصر سنة ١٩٣٧ الغرض منها تنظيم التعاون الفكري وتشجيعه ، والعمل على ايجاد صلة بينها وبين الشعب القومية المماثلة لها في الخارج ولاسيما في الاقطار العربية وبين الامم الشرقية ، والقيام بتمثيل الاغراض الثقافية المصرية لدى هذه الهيئات ، قاصدة من وراء ذلك تحقيق أغراض المعهد من توحيد جهود الباحثين في شتى الفروع التي يتناولها اختصاصهم وتسهل عليهم سبيل البحث العلمي المنتج والمساعدة على خلق روح دولية لها أثرها الفعال في علاقات الشعوب .

ويمكن ايضاً ان ندرك السبب الذي دفع مصر ان تولي الترجمة عناية اوفى من ذي قبل ، فتجعلها منوعة تتناول العلم والادب والفلسفة قديمها وحديثها ، ينهض بها كبار الادباء والعلماء بدافع من انفسهم واستجابة لرغبة وزارة المعارف . فنرى لطفي السيد باشا يترجم كتب اريسطو ، والدكتور طه حسين بك يترجم الادب الفرنسي والادب اليوناني ، والاستاذ الزيات عن الفرنسي ايضاً ، والدكتور محمد عوض عن الالماني ، والاستاذ العقاد والمازني عن الانجليزي ، وتنهض لجنة بترجمة دائرة المعارف الاسلامية ولجنة التأليف والترجمة والنشر ، وغيرها كثير ، يترجمون في الفن والعلم والادب ، كل ذلك وفقاً لسياسة مرسومة ، حرصاً على ان تغنى المكتبة العربية بعيون الادب الاوربي وثمرات العقول الغربية ، فتجد فيها غذاء صالحاً ولقاحاً نافعاً لادبنا العربي وانتاجنا الادبي .

وقد قابل هذا النشاط في الترجمة من اللغات الاوربية نشاط آخر في الترجمة اليها ، وهو مظهر مظاهر الحرص على احياء التراث العربي واذاعته بين الغربيين .

لذلك تشترك مصر في جمعية (جيوم بيديه) المؤلفة في باريس للعناية بنشر الآثار الادبية والعلمية لامم البحر الابيض وتنشيء لها شعبة في مصر ١٩٣٩ تعنى بنشر روائع الادب العربي نشراً علمياً دقيقاً وترجمتها ترجمة فرنسية تمكن المثقفين الاوروبيين من الاطلاع على ما اضافه العرب الى تراث الحضارة الانسانية وما ساهموا به في ترقية العلم والفن والانتاج الفكري بوجه عام ، وقد نشطت الشعبة المصرية للترجمة لولا ان حالت الظروف الحاضرة دون النشر .

على انا لا ننسى جهود الافراد في هذا السبيل ولا ما بذله الازهر في العصر الحديث لتفهيم العالم الغربي حقيقة الدين الاسلامي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومراميه بتقرير ترجمة معاني القرآن ترجمة دقيقة وبما تنشره مجلته من مقالات بالانكليزية تذيع رسالة الاسلام خالصة من الشوائب وبما كان من اشتراكه في مؤتمر الاديان ورسالة الاستاذ الاكبر الشيخ المراغي التي تركت اثراً عميقاً في اروقة المؤتمر ، وبذلك يعود الازهر الى عهده الزاهر يؤدي رسالة العروبة والاسلام في ظل جلالة الملك فاروق .

اما احياء التراث العربي القديم فقد رسمت له سياسة واضحة اساسها الحرص على نشره نشراً علمياً دقيقاً فلا يكاد ينشر مخطوط قديم حتى تبذل الجهود اولا في جمع النسخ المتماثلة او صورها من مكتبات اوربا والشرق ، ونرى بعثات تسافر منقبة باحثة في دور الكتب لانتخاب الصالح للنشر او للبحث عن المفقود وقد ساهم رجال السلك السياسي المصري في المعاونة وتذليل الصعاب ويكفي ان نذكر مثلاً لذلك ما بذل من جهود ومفاوضات حتى امكن الاذن بتصوير الاجزاء الناقصة من تفسير القرطبي بعد ان كان ذلك مستعصياً وبهذا اتيح له ان يرى النور بعد ان ظل دهراً أسير الاقبية والخزائن .

ونظرة الى مطبوعات جامعة فؤاد الاول ودار الكتب المصرية ولجنة التأليف والترجمة والنشر وشركات الطباعة وما تنشره الافراد تكشف لنا عن ذخيرة ثمينة لمصر ان تعتز بالتوفيق الى نشرها حتى اصبحت قريبة من كل يد على هذا النحو من الدقة والتحقيق كالذي نراه في كتاب الاغاني او السلوك للمقريزي او الذخيرة لابن بسام .

ولم تنس مصر ان تعمل على نشر ما يتعلق بتاريخها من وثائق ، او تكليف من يكتب تاريخها من جديد كتابة نزيهة معتمدة على الرسائل الرسمية والمحفوظات الخاصة فتفتح للباحثين المكتبة الملكية بالقصر ودور المحفوظات يجمعون ويسجلون . فيكتب هانوتو الفرنسي واعوانه كتابا ضخما بتكليف من الملك فؤاد ، وكذلك الدكتور محمد صبر المصري . ويلقى الاستاذ اسد رستم اللبناني من جلالة الملك فاروق من الرعاية والتشجيع مثل ما لقيه من جلالة الملك الراحل فيجمع الوثائق الرسمية ويرتبها ويبوبها وينشرها تباعاً وكلها يلقي ضوءاً ساطعاً على طبيعة الصلة التي تربط الشام بمصر في عهد ابراهيم باشا الى جانب ما نشره من مجموعات الاصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي او اسباب الحملة عليها الى غير ذلك مما حوته سجلات عابدين الملكية .

وقد فكرت الحكومة في العام الماضي في اعداد برنامج الاحتفال بالعيد الالفي لمدينة القاهرة فكان اول شيء شرعت فيه ان يجمع كل ما كتب عن مصر في شتى اللغات تاريخاً او ادباً او غيره وألفت وزارة المعارف لذلك لجاناً للبحث والمراجعة والجمع والتبويب حتى يمكن ان تكون المواد كاملة عندما يحين الوقت لنشرها وبذلك يتاح لجمهور القارئين ان يروا مكتبة ضخمة تحتوي كل شيء عن مصر القديمة والحديثة .

ونرى مؤسسة اخرى هي مجمع فؤاد الاول على ان تكون مظهراً من مظاهره وان يكون للاقطار العربية فيه ممثلون ، فنرى من افاضل ادبائه اللبناني والسوري والعراقي والتونسي ، وقد ضم اليهم بعض المستشرقين الذين لهم قدم ثابتة في الدراسات اللغوية واطلاع واسع في اللغات الشرقية والاوربية القديمة .

واذا كان المجمع صورة للتضامن بين الاقطار العربية ومظهراً من مظاهر الحرص على الوحدة الثقافية فان للمؤتمرات العلمية والثقافية التي تعقدها مصر وهذه الاقطار اثراً قوياً في توثيق تلك الروابط وانماء روح التعاون المنتج . واقرب دليل على ذلك ما تم بين العراق ومصر من اتفاق على انشاء مكتب ثقافي دائم ينضم اليه اعضاء يمثلون الاقطار العربية ، وهما هي العدة تتخذ لعقد مؤتمر ثقافي بمصر في الخريف القادم . وقرأنا في الصحف اخيراً ان الدعوة للاشتراك فيه قد وجهت الى الحكومة اللبنانية .

ونحن نشاهد ، الى جانب هذا ، حرص مصر على التعاون العلمي البريء هي والاقطار العربية ، فتفتح ابوابها للطلاب والاساتذة وتندب اساتذة مصريين الى الاقطار الاخرى ينهضون بما يفرضه عليهم الواجب الاخوي ، والمساهمة في سبيل العلم وفاء للعروبة والعمل على رفع لوائها خفاقاً .

هذه بعض مظاهر النشاط المصري يدفع بعضها بعضاً مثلا حقة متماسكة . وهنالك نوع آخر من ذلك النشاط العلمي تبذله مصر في سبيل العلم الخالص ابتغاء العمل الانساني المنزه عن الغاية .

وان مصر لتشعر انها لا تزال في اول الطريق وان عليها تبعات جساماً ترجو ان توفق الى النهوض بها .

واليوم وقد آن للبلاد العربية ان تسترد مجدها وسابق عزها ، فان مصر لسعيدة فخورة بأن تشارك في الواجب وتتحمل تبعاته وتمد يدها للتعاون مع كل من يعمل على رفع شأن العروبة تنفيذاً لبرنامجها وتحقيقاً لامنيتها .

عبد العزيز احمد

المعلم

بقلم نوفيق يوسف عواد

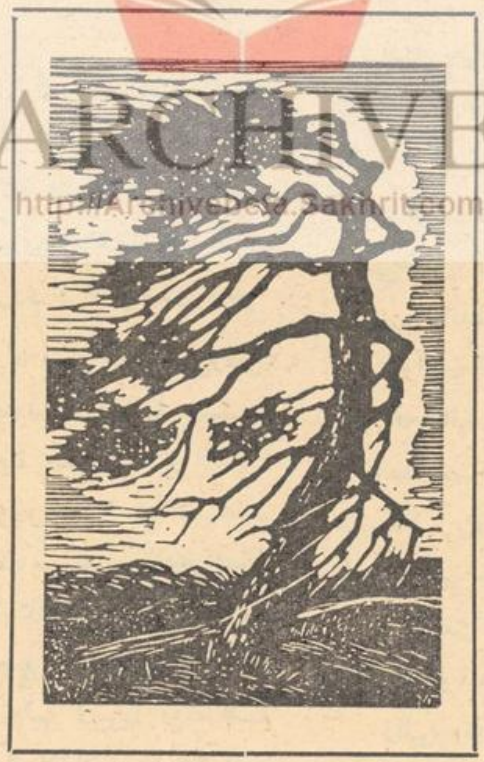
اراك ، يا بني ، قد كبرت وتفتحت عيناك على ابيك . أكون مديراً ظهري — وربما فعلت ذلك عن قصد — فاحس عينيك ما تزالان واقفتين على عاتقي ، واكاد اسمع شفتيك الصغيرتين تتمتمان : « لماذا يكون لكل الآباء عينان صحيحتان وأبي أعور ؟ ويقيناً يا بني ، انني افهم العذاب الذي تتخبط به وارثي لك من اجله . ولو تدري مبلغ ما يتعاظمني الشيء اذ افكر بعبثك مع اترابك ، فاتمثلهم ، في خبثهم البريء ، يعيبونك بأبيك في ما ينشب بينك وبينهم من مشاجرات ، ويقوم من مباريات تعيير . تعال يا بني ، اريد ان اخلصك من كابوس هذا السؤال ، بل اريد ان اريح نفسي . ان خياله على وجهك يكدر صفو عيشي في النهار ويقض مضجعي في الليل . ادن مني واسمع .

* * *

منذ ثلاثين سنة كان صبي في مثل عمرك يذهب الى المدرسة كل يوم كما تذهب انت . ولكن السيارة لم تكن تأتي الى البيت في الصباح لتحمله اليها ، ولم تكن تأتي في المساء لتعود به منها . وكانت المدرسة بعيدة عن البيت مسافة ساعة او اكثر يقطعها الصبي مشياً على قدميه مرتين في النهار ، متمنطقاً بمحفظة من القماش خاطتها له امه ، يضع في احدى شقتيها كتبه ودفاتره ، وفي الشقة الاخرى غداءه : رغيفاً محشواً بطبيخ يابس ، او بيضة مسلوقة ، وبضع حبات من الزيتون . تحت المطر والثلج ، وفي الشمس اللاهبة المحرقة كان يذهب كل صباح ويعود كل مساء ، ما يذكر انه مرض قط — لم يكن المرض من حقوق التلاميذ في ذلك العهد — ولا تغيب لعذر من الاعذار . وكان الصبي قوياً شجاعاً ، لا يبالي المشي في الزمهرير ولا في القيظ ، ولا يشكو قلة الطعام ورداءته . كلا لقد كان راضياً بهذا كله مطمئناً اليه . أليس هو واحداً من عشرات امثاله ؟ وانما كان يقلقه ويملأ قلبه جزعاً الوقفة امام المعلم حين يجيء دوره لتسميع الامثولة او تقديم الفرض .

كانت المدرسة غرفة حقيرة ملاصقة الكنيسة القرية ، تكتظ فيها مقاعد محطمة قذرة ، ملطخة بانواع الحبر ، حافلة باسماء وتواريخ والف شكل وشكل من اشكال الحيوانات يحفرها الاولاد على قدر ما أوتي حافرهم من موهبة في الفن ، او حدة في السكين . منها ما هو حديث ، ومنها ما هو من آثار آبائهم ، ولكن المعلم لم يكن خبيراً بعهود الآثار الفنية ولا مهتماً لذلك على الارجح ، وكثيراً ما اخذ — في ازمات هياجه — بريئاً منهم بجريمة من فعل جده قبل ستين سنة .

وكان بالقرب من المدرسة حرج للوقف . فاذا اقبل المعلم في الصباح نادى ثلاثة او اربعة من تلاميذه ، وامرهم بالانطلاق الى ذلك الحرج وتأمين استهلاك النهار : حزمة من القضبان يوصيهم باختيارها مستقيمة ، طويلة ، لينة . فيسحبون سكاكينهم من اوساطهم ويطوفون بين الادغال يتفحصون القضبان ، ويجربونها عطفاً على امهاتها يميناً وشمالاً . يناجونها ناظرين اليها والى اكفهم ، متسائلين عن نصيبهم منها .



وقد يتنازعون بها فيلوح واحدهم لآخر بقضيب عظيم ويصيح .

— حنا . استحليت لك هذا .

* * *

في ذلك المساء كانت امثولة الصبي واترابه في الكتاب الجديد ، الذي باعهم اياه المعلم قبل يوم ، صعبة جداً . فلما عاد الى البيت قعد في فراشه ، يحاول تهجئتها وحفظها . ولكن الكتاب لم يكن جديداً بغلافه وصوره فقط ، بل كان جديداً باسلوبه ايضاً . فأشكل الامر على الصبي وجعل ينظر الى الحروف والكلمات فما يدور له شيء . وسرعان ما طمس التهيب على ذهنه ، فاذا الكتاب طلسم هائل ، والحروف

والكلمات فيه رسوم سحرية ، كأنه لم يقرأ من قبل حرفاً ولم يتهجأ كلمة . وزالت فرحته به ، واستحالت الى كره لا حد له . وربما عنّ له ان يمزقه باظافره ، او ان يلقيه طعاماً للنار ، لولا انه يعرف ان لا فائدة من ذلك ، فالكتاب لا مناص منه . وقد اعطاه ابوه ثمنه بعد الف جهد ومنة ، فكيف اذا طلب منه بشلكاً آخر ؟ لا ، لا . ثم ان الصبي رضي الخلق ليس يحسن به عمل كهذا ، وهو معروف في المدرسة وفي البيت بالنظافة والترتيب والحرص على الاشياء . وهذا كراسه الاول حفظه من الدفة الى الدفة ، وما يزال لمّاعاً كما اشتراه . ولما فرغ منه خبأه ابوه في الخزانة لاخوته الصغار ، من ولد منهم ومن هو في الطريق ، يتداولونه حينما يكبرون واحداً بعد واحد .

وانقلب الصبي الى امثولته يعالجها من جديد ، ويحاول ان يلوك الحروف بمثل ما يتذكر ان المعلم كان يدير بها لسانه عندما لقّنهم اياها . ولكنه لم يلبث ان ادرك انه لا يتذكر شيئاً ، فاسودّت الدنيا في عينيه وحط العجز على صدره ثقيلاً كالبلاطة . وكان القنديل الزيتي يرسل انواره الشاحبة على الحيطان ويرسم في الزوايا اشباحاً مخيفة ، وقد نام الجميع في فرشهم المبسوطة على الارض حواليه ، في تلك الغرفة الصغيرة الواطئة ، وضاق جوّها بانفاسهم وغطيط ابيه . اما العون على امره من احد فلم يكن يخطر له ببال ، فوالداه يجهلان القراءة ، واخوته الصغار لم يذهبوا بعد الى المدرسة . فأخذ ينظر اليهم في نومهم الهادىء ، ولاول مرة في حياته عرف معنى الحسد . ما اسعدهم ، لا امثولات عليهم حفظها ، ولا فروض يطلب منهم كتابتها . واحس الصبي نفسه وحيداً في هذا البيت ، غريباً ، شقياً ، اشقى ما يكون الناس . وغمرته موجة من اليأس اخل لها قلبه وذاب كما تذوب الملحة . تمثلت له مأساة غد بافظع صورها . المعلم يناديه بصوته الراعد ان « تعال سمّع امثولتك ! » فيدنو بخطى بطيئة مرتبكة ، ويقف على قيد شبرين من المكتب ، والمعلم يقحم المكتب ببطنه ، ويثب اليه من فوقه حتى لتضرب انفاسه وجه الصبي :

— ابدأ !

فيرتجف الكتاب في يديه وتخور قواه ، ويحاول ان يقول شيئاً فيتلعثم ولا تطيعه شفتاه . وحينئذ تدق الساعة الرهيبة فيرفع المعلم قضيبه وينزل لملاقاته :

— افتح يدك !

لا ، لا ! لقد ذاق الصبي ذلك من قبل ورأى رفاقه يذوقونه ، وهو غير قادر على احتماله مرة اخرى . ان كفيه لتلتهبان الان لمجرد الذكرى ، فيخرجهما من تحت اللحاف ويرمقهما بجنان اطلع الدمع الى عينيه . ثم حانت منه التفاتة الى الحائط ، فطلعت بوجهه « سيدة النجاة » معلقة فوق رأس ابيه ، وقد انعكس النور على زجاجها وابرز ابتسامتها الوديعة . فثنى عنقه وجمد دقيقة طويلة ينظر اليها . ثم خطر له خاطر عبقري . فانسل من فراشه ودنا من فراش ابيه قبالة الصورة وهم بالركوع . ثم ادرك انه لا يزال بعيداً عنها لا يستطيع ان يهمس لها بسره . فتلمس كرسياً واعتلاه متقوساً فوق رأس ابيه ونزع الصورة من موضعها برفق لئلا يوقظ احداً . وعاد بها الى فراشه فاركزها على المخدة . أليست سيدة النجاة تصنع العجائب كل يوم ؟ وأي شيء سيطلب منها الصبي ؟ لقد شفيت المرضى ، واقامت المقعدين ، وجعلت العميان يبصرون ، وانزلت الامطار في تموز . فكيف لا تستجيبه الى اهون الهينات ؟



وجثا على ركبتيه واخذ يدق صدره بخشوع فاجع ويتمتم :

— يا سيدة النجاة . وحياتك يا سيدة النجاة ! مرة واحدة في العمر . . (وانحنى حتى لامست شفتاه الصورة ، وكانت الدموع تسبقه الى الزجاج الاملس البارد ، فيأخذها بقبلاته) لا تقولي لي : لا . انت قادرة على كل شيء . وحياتك ! وحياتك ! وحياتك يا سيدة النجاة . مري لا يطلع الصباح غداً !

* * *

ونام تلك الليلة نوماً هنيئاً قل ان ذاقه في لياليه السابقات . وشد ما كانت دهشته اذ فتح عينيه فرأى الصباح قد طلع ، وامه تستحثه حسب عادتها ليبكر الى المدرسة قبل ان يمر المعلم . وكانت طريق المعلم على بيت الصبي وبيوت الكثيرين من رفاقه . فاذا طلع الصباح من كل يوم مشى من اول القرية الى آخرها ، يقف عند كل بيت متفقداً تلميذه فيه ، ما ينسى احداً . وكثيراً ما عرج على بيت الصبي واخذه من اذنه لا لكسل يتكاسله ولا لبطء يتباطؤه

بل مبالغة منه في الحرص ، ومناً على اهل تربطهم به صلة مبهمة من النسب .

ووقع نظر الام على صورة سيدة النجاة — عليها السلام — فسألت الصبي عن الامر فعقد حاجبيه واشاح بوجهه يغمغم . لقد كان يحوك في رأسه شيئاً جديداً . فرفعتها الى شفتيها ثم علقتها مكانها على الحائط .

— امي هل مرّ المعلم ؟

وخفق قلبه لدى جوابها « لا » خفقة سرور . وتلمس ثيابه فادخل نفسه فيها عجلاً وضرب بيده على محفظته ووثب يريد الخروج .

— غداءك ، خذ غداءك يا ابني . ألا تريد ان تغسل وجهك ؟

ولكنه نتر الزاد من يدها وأطلق ساقيه للريح . يجب ان يصل قبل المعلم بربع ساعة على الاقل ، ليتم له ما يريد .

كان اكثر الاولاد قد اجتمعوا في الساحة ينتظرون جرس الدخول . فشقهم الصبي لاهثاً من تعبه واعتلى درج الكنيسة فرفع ذراعه في الفضاء وصاح :

— ابشركم يا اولاد ! اليوم فرصة كل النهار . المعلم ماتت جدته ...

وقذف محفظته في الهواء . وكان التلاميذ يعرفون ما بين المعلم والصبي من قربى ، وقد سبق للمعلم ان كلفه ابلاغهم اشياء كثيرة . فتعالت الهتافات ، وبمثل لمح البصر جن جنون الساحة ، فالقبعات تتطاير ، تتبعها الكتب والدفاتر ، والارجل تشتبك بالايدي في زحمة التراكض والصراع ، والضجيج يرج الفضاء ويتجاوب صداه في ارجاء الكنيسة . فيه من العواء والزئير ، والمواء والحمحمة ، والزغردة والولولة ، فيه من الاصوات كل ما يفتق للاطفال في فرحتهم العظمى وعيدهم الاكبر .

* * *

اوشكت الحكاية ان تنتهي ، يا بني . ولقد فكر الصبي بكل شيء الا بتلك النهاية ، او هو على الارجح لم يعد يفكر بشيء . بعد نصف ساعة وصل المعلم فلم يجد على باب مدرسته الا طفلين لا عهد لهما بالحقول ، ولم يتعرفا بعد الى نبش الاعشاش ، وتعمير البيوت بالحجارة ، وحفر الاقنية في السواقي . فسألهما عن الامر فأخبراه . فانطلق كالمجنون يبحث عن الصبي ويقسم بينه وبين السماء انه قاتله ! ولكنه لم يجد في الاهتداء اليه كبير مشقة . فبعد ان افرنقع التلاميذ وخلت الساحة كبت على الصبي كذبته ، وطارت من رأسه مشاريع الالعاب التي سواها فيه طول الطريق ، فجعل يمشي على غير هدى ، يجرجر يأساً من الدنيا والاخرة لا حد له ، واستسلاماً الى القضاء اشبه شيء بالخبل او هو الخبل بعينه . ولما رأى المعلم يركض اليه شاكلا قنبازه هائجاً



كالوحش ، لم يختبىء ولم يحاول الهرب . وجمد مكانه يلاقيه بوجه لا يتحرك فيه عرق . وحينما اهوى المعلم على رأسه بعصاه الضخمة خيل الى الصبي ان العصا هي التي ستنكسر ... اما ما حدث بعد ذلك فهو لا يعي شيئاً منه . كل ما يذكر انه افاق اذ افاق فوجد نفسه في الفراش ثقيل الرأس ، مغطى نصف الوجه بالرباطات ، ومكان عينه اليمنى جمرة لاهبة . فيرفع يده يريد ان يلتمها فوق الضمادة ، ويصرخ من وجعه ، فتمسكه امه وتنهال عليه لثما وبكاء ، ولا تجد لمصابها عزاء .

* * *

انتهت الحكاية يا بني . قصصتها عليك لا لاجيبك على سؤالك الاخرس فقط ، بل لاهون عليك ما قد تلاقيه في طلبك العلم المعلم ، ولافتح عينيك على ما أنت فيه من نعمة في البيت والمدرسة ، والعصر ، اذ تقابل بينك اليوم وبين ذلك الصبي بالامس . أأنا في حاجة ان اقول لك من هو ... لقد عرفته ، هو ابوك .

نوفيق يوسف عواد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حول طرفة « اسامة » ... اليكم معاشر الكتاب (١)

بقلم صلاح الاسير

عندما دوى صوت « اسامة » في العدد الاخير من « الاديب » ، اقبلت باللهفة اقرأ السائغ الانيق والفكر السمح في هذه الحروف السود : فاستهواني اخلاص ينبض به الحرف وجرأة تتبرج للحق ومداد يسيل من اجل الرسالة ... واشهد انني لم افرغ ولن افرغ من تلك الطرفة قط وعسير انفلاتي من جوها الممتع .

يدوي صوت « اسامة » والمشادة في طراوة المحاولة حول تحديد رسالة الكتّاب في عصرنا هذا ، وهل ينبغي لها الصفاء ام الاضطراب والمجادلة والدفاع والكر والفر . ويشهد الجيل الطالع بشائر حركة تتلفت نحو النور على اقلام : طه حسين ، توفيق الحكيم ، العقاد ، زكي مبارك . ويعود بي الحنين الساعة ، الى واحات الصيف الاخير ، التي ازدهت بالدكتور طه حسين ، يوم جاء لبنان ، فخفقت وجوه الذرى ، واحس الجبل الحالم حدثاً وادعاً رفيقاً . ولكن اقامة الرجل لم تطل ، وكان شأنها شأن العرار في عشايا نجد .

وعندي ان للحرب الحاضرة على ذلك الصيف يداً لا تجحد ، فالدكتور طه حسين ذكر لبنان في هواجر الكنانة وبينه وبين الالب والفوج والبيرينه بحار من الذعر والموت فوق الماء وفي جيوب الاعماق . وكان اللقاء على مائدة « اسامة » . كنا حول صاحب « الايام » هالة قزحية الالوان والاضواء ، وكنت حريصاً على ان اظل بالقرب منه ، احدق في هذه الشعلة التي اضاءت وتضيء ، احدق في هذا اللهب الذي اتى على الهشيم . وجعلت احدثه حديث فنه وادبه ونفسه ، فانبسطت اساريره ، وهدر صوته ، ومال مجلسنا على النغمات النوافل من فرعونية وعربية ، وواجب اكبار كل اثر خالد ، في جو كله دعة وصفاء وغبطة . ولكني مولع ابداً بالحركة ولو افضت الى غير الذي ينبغي لمثل مجلسنا هذا ... لذلك ألقيت في البئر حجراً فارتج الماء ... ذكرت له توفيق الحكيم ، ورأيت الى وجهه كيف يتخذ قسمات مستفهمة ، وخيل الي في تلك الهنيهة ان شفتي صاحب « الايام » ستنشقان عن هذه الكلمات :

— ما لنا ولتوفيق .. انه عرس في خاطر مأتم ...

وطال صمتنا ، وفي المجلس زوجة الكاتب العظيم وملهمته الممهورة ، ترفل بالظرف والنكتة البارعة والخطرات النواعم . واحسب انها احست اثر كلماتي في هذا الرجل الذي رأيته اذا تحدث الى زوجته استحال طفلا قريراً هانئاً .. وكانت لنا نقلات كثيرة ، عاد الدكتور طه على اثرها الى حديث توفيق الحكيم واني لاذكر هذه الكلمات — واسمح لنفسي بنشرها —

— توفيق ... ذو اطوار غريبة ... يعيش ويكتب كما يحلو له ... والله ، لقد اخذتني ساعتئذ حيرة الواثق ، وانا عاصرت ادوار الصداقة التي ازدان بها الادب العربي غب افتراق المطبعة بـ «اهل الكهف» يوم سجل الدكتور طه ظهور الحوار الحق في الادب العربي لاول مرة على يد توفيق الحكيم . وكم اكبرت توفيقاً يومئذ . انه رد ظهور الحوار الى كاتب العربية الاعظم « الجاحظ » ولكن طه أصر على رأيه وكافح دونه . وتفتحت عيون المشتغلين بالادب على الرسائل المتبادلة بين صاحب « الايام » وصاحب « اهل الكهف » التي طفا على رواثها جمال الولاء والثقة ، فخرجت على مألوف الزلى ، ومعروف المديح .

اخالني استطردت ، ولكني احب ههنا التأكيد ، فالمشادة بين الرجلين حدث جدير بان يدفع بهما الى آفاق بعيدة ، فانا لا اومن بالصفاء بمعناه الاشيع ، فثمة الوان نفسية تختلف في الاغوار وتتقلب على جوهر

(١) راجع « الاديب » عدد حزيران المنصرم ص ١٤

النفس،وتنضح بالطرائف الشخصية . والادب العربي كان خلواً من المشادة بمعناها الحق . ذلك انه كان في اكثر الاحايين سائراً في ركاب الخليفة والحاشية ... كان في اكثر عصوره بعيداً عن الاخلاص ، هذا الينبوع المسلسل الدافق الذي به تخضوضر صحراء الامة .

اكاد ، وانا اقرأ مقال « اسامة » أُصلي — وفي مثل يقين المؤمن — في هيكل الحروف التي حفظت لنا صور المخاض الفكري لجميع المدنيات . ونحن اليوم ككتّاب نواجه الماضي والحاضر والمستقبل وجهاً لوجه ، نحن نواجه عصراً فريداً تربطنا به حياتنا العافية وحاجاتنا الى العيش التي تضطرنا الى حرث التاريخ والحصول على غذاء الاقلام . ذلك ان للقلم ضروریاته ، فهو ينشد المعرفة ويولدها ويأبى قبولها على علاتها . وهو قد يرتبك حين تواجهه حقائق متعددة . والذين سبقونا الى هذه الدنيا منذ عهد الاغريق رأوا في النقوش الحجرية دليلا على تطور الاحياء ، فكانت تلك الحقائق نقوشاً متعددة لم يسهل على القلم الطفل هضمها يومئذ . اترانا اليوم والادب العربي له اصول باقية ، والمدنيات المتعاقبة تنفحنا باغنى بنات الفكر ، نقف في حيرة الاولين ، على ضفة السؤال .

ادبان في الامة ، هما ابداً وجهها الواضح ، وكتابها المبين . لذلك آخذ على « اسامة » محاولته توجيه كتّاب الخاصة الى الاهتمام بالجماعات . ذلك ان التوجيه في الادب وليد وعي بديهي في خصائص الامة ، والتوجيه الناصح نوع من النماذج الذي لا يكتسب روح الادب، فنحن اليوم احوج ما نكون الى ادب خالق تتلاقى فيه همومنا وآلامنا وافراحنا وتاريخنا وما نؤمل من خير كثير في دنيانا العربية . ادبان في الامة ، ادب العامة وأدب الخاصة ، ادب العقل الواعي والثقافة الشاملة ، وادب القلب الوادع والعاطفة النبيلة . ولا اعني ان ثمة حدوداً تفصل بين الادبين ، فهما يتلاقيان على اقلام المخلصين في كل يوم . وسيأتي يوم نخلص فيه من عبودية اللفظ ، يوم نحمل اللفظة العبء الذي تنهض به وتردهي ... ونحن بعد في المضطرب اللاغط من حياتنا العامة . الادب مرآة الامة ، وانا اقول لاسامة ان الادب العربي سيحمد قريباً المغبة بعد هذا المخاض الذي نرجو ان لا يطول .

اما ادب السجية — الاسلوب الحي الممتنع الذي تدعمه المعاني والحقائق — فهو محك القادرين والبلغاء، وهو يوم يقوم على القيم من الجوهر والصفاء والمعرفة، قبس من نور الامة ، ومضة من نسيم الجنة ينير القلوب . ولكن يكون لنا هذا الادب، قبل ان نحطم قيود الاجتماع المفروضة، ونحتفظ بنفوسنا على بصيرة وهدى .

أين المرأة ؟.. وهل يستطيع الكاتب ان يعيش في جو لا امرأة فيه . اين المرأة التي تفهم رسالة الكاتب ، فتفرش له العبير والسندس ، وتسكب عليه انداء العاطفة ، وتسدد خطى فكره ، وتكون رجعاً مخلصاً لهاتف ادبه . لا مومياء محنطة ، تروح وتجيء ، همها لا يتعدى اعداد الطعام واختيار الازياء والثرثرة المخضبة بالتوافه . انا اومن بسحر المرأة ايمان « اسامة » برسالة الكتّاب . انا اومن بهما معاً ، اومن بقدرتها على خلق ادب بارع وفن رفيع وشعر ابريز ، وقومية عاقلة ... ولكن على قلم الرجل!..

فيا اسامة !.. لقد ابلى الادب في بناء الرواية الازلية بلاء حسناً، والفصل الذي نشهد اليوم ، وليد كتاب لا اسميه ، فهو كتاب مجرم اسمه على كل شفة ، كتبه طاغية عاش دون امرأة . فاذا كان الادب هو الملاك الشيطان الذي اشقى واسعد قد استطاع ان يخرج من جميع عتمات العصور حياً كبيراً، أليس في قدرته اليوم ان يهمس في اذن ابن سناء الملك القائل :

ولي قلم في اغلي ان هززته ... فما ضرني ان لا اهز المهندا
اذا صال فوق الطرس وقع صريره ... فأن صليل المشرفي له صدى

— يا ابن سناء الملك ، رحمات الله عليك !.. وابقى سهام اسامة!..

صلاح الاسير

السجن

◆

يا صاحب الحشر قلّبني على النار ... حتى تذوب من التحريق اوزاري
بي معدن الشر ممزوج بكل هوى ... جم المناكر موّاج باكدار
لكنّ بي ذرة للخير حائرة ... حبيسة تتمنى عيش احرار
لما فجعت اتت قلبي معزية ... وحين أخطأت وافتني باعذار
صاحت فاسمعتها في الكأس ناهية ... وما ظننت تداني بيت خمّار
متى تحرّق جسمي ذاب شائبه ... وصرت جوهرة في كفّ عيّار
منيّ انطلقتُ فلا قيد ولا ضجر ... ورحت أنشر جنحي بين اطيار
روحي مضت في شغاف الجو شاردة ... كأنها في علاها الكوكب الساري
فطفت في عالم مدّت سماوته ... على رواق تهاويل وانوار
فقلت يا ويح نفسي كنت متسخاً ... فكيف اسلك جواً بين أطهار
من لي بجسمي الذي قد كنت اسكنه ... لكي أحسّ به في هذه الدار
وعدت للارض آثامي تنظّرني ... فجئن ينفضن عني عبء أسفاري
جمعن ثمليَ بالدنيا وباطلها ... وعاودتني فيها كلّ اوطاري

دمشق — زكي المحاسني

خرافات لبنانية

بقلم شفيق طبارة

اريد قبل ان اتغلغل في شعاب هذا المقال ان اقول في هذا الباب شيئاً عاماً ذلك ان لكل امة خرافات وان للبنانيين كغيرهم من الامم خرافات ورثوا معظمها عن الامم الخالية وما برحت شائعة في يومنا فاصبحت دستوراً عند العوام واني اكتفي هنا بايراد ما عثرت على معرفته منها وارجو ان يجد القارىء فيها متاعاً ولذة يرفهان عنه بعض ما يجد من ثقل هذه الايام .

●

يعتقد عوام اللبنانيين ان للعين تأثيراً خفياً ويقولون ان فئة من الناس تكاد لا ترى شيئاً فتعجب به حتى تصيبه نائبة من النوائب وتجنباً لهذا يرددون عبارة « يخزي العين » . ويذهب بعضهم الى ابعد من هذا فيجعلون في عنق الصبي او باطراف ثيابه تمائم او خرزة زرقاء لرد العين عنه . ومنهم من يعلق فوق باب منزله حذاء عتيقاً او نعل فرس وكان العرب في الجاهلية يعلقون على الصبي سن ثعلب وسن هرة خوفاً من النظرة . ونظير هذا الوهم ان الحبلى اذا اشتهت طعاما ولم تأكل منه ظهرت صورة ماتشتهيه على بدن مولودها ويسمونها « الشهوة » وهذا مذهب طبي وعلماء الطب لا يؤمنون به لانه يخالف اصول العلم وجوهر الكائنات .

وكما كان العرب يتطيرون من نعيب الغراب اذا صاح صيحة واحدة فاذا ثنى تفاءلوا به كذلك اللبنانيون يعتقدون ان طيران غراب واحد نحس اما طيران اثنين فسعد . ومثلما كان القدماء يفزعون الى الكهان والعرافين في تعرف الحوادث المستقبلة والامور الماضية نرى نفراً منا يتكسبون بمطالعة علم الغيب وعمل الطلاسم .

ومن اوهام اللبنانيين ان الرجل اذا اكل السمك وشرب اللبن يصيبه مس من الجن . وقريب من هذه الخرافة ما ذكره ابو عثمان الجاحظ انه جمع بين السمك واللبن ففلج لساعته . وان كل انسان يقلم اظافره يوم اربعاء ويرميها على الارض يدركه الفقر او الموت . وان في لبس نعل اليمنى قبل لبس نعل اليسرى علامة الخيبة والحرمان ويزعمون ان في اشتباك اليد اليمنى باليد اليسرى معاً يعقد الامر الذي يدور البحث فيه ويستدل بعضهم من حك الكف اليسرى على ان صاحبها سيقبض نقوداً . واذا دفن رأس كلب في فناء الدار ثارت العداوة والبغضاء بين اهل الحي . ويرى آخرون لبس القميص مقلوبا دافعاً للافلات . والاصل في قلب الثياب التفاؤل بقلب الحال . وقديماً كان العرب اذا ضل رجل منهم في فلاة قلب قميصه فيهتدي فيما يزعمون .

ومن مذاهب اللبنانيين الخرافية انه اذا سقط رجيع طائر على شخص انبأ برزق يصيبه . واذا زار ثقيل منزلا وابطأ قلبوا سراً حذاءه الذي بباب الدار او يضعون تحت الحذاء ملحاً ويزعمون ان ذلك اسرع لذهابه وكانت نساء العرب اذا غاب عنهن من يحببنه يأخذن تراباً من موضع قدمه ويزعمون ان ذلك اسرع لرجوعه وقالت واحدة منهن :

اخذت تراباً من مواطىء رجله ... غداة غد كيما يؤوب مسلما

ومن تخيلات العوام ان لا تكنس الدار ليلا مخافة ان يموت بعض اهلها وان كسر الكوب الزجاجي ينبىء بزوال تعاسة كانت قريبة الحدوث فتعوضت . ومن عادتهم اذا رحل الضيف عنهم واحبوا ان يعود ذروا خلفه ماء . وكان العرب عندما يريدون ان لا يعود ضيفهم يكسرون شيئاً من الاواني وفي ذلك قال شاعرهم :

كسرنا القدر بعد ابي اسوج ... فعاد وقدرنا ذهبت ضياعا

وقال بعضهم :

ولا تكسر الكيزان في اثر ضيفنا ... ولكننا نكفيه زاداً لبرجعا

واذا اختلت عين احد العوام بيننا توقع حادثا محزنا يستدعي استدرار الدموع وكان العرب اذا اختلجت عين الرجل منهم توقع قدوم غائب . قال شاعرهم : اذا اختلجت عيني تيقنت انني ... اراك وان كان المزار بعيدا

ويتفاءل اللبنانيون اذا اصطبحوا بقطيع من الغنم . ومنهم من يرى عكس هذا فيتطير اذا وقعت عينه في الصباح على قطيع من الماعز او على عجوز شمطاء او على اعور او على جنازة . ومن اللبنانيين من يرى في نباح الكلب نباحاً كعواء الذئب نذير شؤم . ويتعوذون بالله من نعيق البوم وهو يشير في ظنهم الى موت كبير من علية القدم . ومنهم من يرى اذا صاحت الدجاجة صياح الديك انذاراً بخطر ويتشاءمون بغير ذلك كمرور حيوان وقطعه طريق شخص سائر او انهيال الملح على المائدة او القهوة على الركبتين . ويزعمون ان دخول

فراشة الى بيت يخبر بشيء ويسمونها (بشورة) فان كانت بيضاء بشرت بخير والا فهي تنذير سوء . واذا غسلت القطة وجهها بلعابها توقعنا قدوم زائر . ومن تخيلات المزارعين وخرافاتهم ان الشجرة لا يكثر حملها الا اذا زرعت في ابان انتقاص القمر واذ لاخ الشهر . ومن عادتهم اذا لم تعقد الشجرة ثمراً ان يعمدوا الى خرقة من ثوب امرأة ولود فيعقدوها بجذعها رجاء ان تثمر . ويتطيرون من السنة الكبيس التي يكون فيها شباط تسعة وعشرين يوماً لانها تلحق الاذى بمواشيهم ويذهب آخرون الى ان هنالك اياماً معينة لا يحسن بالمرء ان يأتي فيها عملا لانها منحوسة وعلى هذا يتحاشون السفر يوم الاربعاء . واغرب من ذلك كله انهم عندما يشيحون القز لتنسج فيالجها (شرانقها) يمتنعون عن طبخ السوائل في بيوتهم لئلا تميع الشرانق ويلحقها ضرر عظيم . ومن لطيف ما علمت ان المزارعين يمسكون في تلك الاثناء عن حلق لحاهم ويعرضونها لئلا يقع دود القز كأن الشرانق تغزل في اللحى لا في العيدان . . .

ويؤمن العوام بالاحلام ويشتغلون في تأويلها . ومن مذاهبهم ان أكل الصعتر يزيد في قوتي الحافظة والذاكرة . ويرى بعضهم اذا عطس الطفل في ليلة عيد الغطاس كان ذلك دليلا على زيادة سنة في عمره فكل عطسة بسنة . . . تفرح لها الام وتقول له : صحة !!

ومن خرافاتهم الغريبة في الطب والمداواة ان الرجل منهم اذا ظهرت على جفنه بثرة يشحذ من فرن الحي او من سبع نساء فيبرأ ولذلك سموها (الشحاذ) واشترطوا ان يطعم ما يشحذ الى كلب اسود . ويداوون (الحازوقة) باثارة اعصاب المصاب بها كان يقال له : (سرقت سرقت) مما يوغر صدره . ويرون في دوي الاذن اليسرى علامة على انك تذكر محموداً وفي اليمنى مذموماً . ومن ذلك يسألونك سؤال العارفين : اما طنت اذنك ساعة كذا ؟ فقد كنا نتحدث عنك . ويتشاءمون اذا انقلب الحذاء على قفاه في باب الدار ويستدلون من سقوط صورة معلقة على قرب انحطاط صاحبها . ومن مذاهبهم ان يسرقوا من زاد المسافر الذي يحبون رجوعه تفاؤلا بالرجوع . ولا يطأون كسر الخبز وقطع الزجاج والفحم وقشور البيض لئلا يصيبهم مكروه . .

ومن مذاهبهم في التسمية انهم يسمون اولادهم باسماء الحيوانات المفترسة كنمر وسبع وديب وذلك لاعتقادهم الراسخ ان الارواح الشريرة لا تجرؤ ان تدخل جسم من يحمل هذه الاسماء . وهم يتطيرون لرؤية الرجل الاحلط « الاحلت » ويعتقدون ان في رش الماء على شخص محبوب وتقبيله في عينيه مما يسبب فراقه . واذا سرق احد الناس بين صديقين قضى احدهما نحبه ويقولون فيما يقولون (كل طويل هبل « هجنه » وكل قصير في الارض فتنة) . وربما كان ذلك لدى البعض منهم كالقاعدة المطردة .

ويزعم بعض العوام ان من شأن ترك المقص مفتوحا ان يجلب الشر على اهل البيت وانه ينبغي ان لا يعد احدهم النجوم بأصبعه فانه اذا عدها ظهرت على يده البثور . واذا أشعلت لفافة التبغ « السيكارة » من جانب واحد فذلك دليل على ان صاحبها عاشق متيم . ومن عادتهم في الزواج ان تحمل العروس بيدها خميرة وتضرب بها الحائط اول دخولها دار العريس فان علقت علمت ان العروس ستسعد في بيت قرينها والعكس بالعكس : واذا جلست امرأة تخيط ثياب الطفل قبل ولادته وزارها ذكر فالمولود ذكر واذا زار البيت انثى فالمولود انثى واذا امرأة حبلى تثاءبت فيجب ان تستر فمها ما استطاعت والا فان الشيطان يخدل فمها ويقتل الجنين . وتمتنع النفساء عن هز السرير او الارجوحة اذا كان الطفل الرضيع خارجها لئلا يصاب بوجع الظهر . وكذلك لا يسمح العوام ان تدخل على النفساء عذراء ولا عزباء ولا حائض الا بعد اسبوع . ويزعمون ان من شرق « تشردق » بالماء اتته هدية . ومن تناول سكيناً او دبوساً من يد آخر وقعت الفرقة بينهما واذا تخطى احدهم فوق ميت فانه يموت في السنة المقبلة

ومن عادتهم عند رؤية هلال الشهر الجديد ان يعمدوا الى اول انسان يلقونه ثم ينظرون الى اول القمر ويقولون (هلك ومستهلك ويجعلك علينا شهر مبارك) وانما يفعلون ذلك تيمنا ليكون لهم في خلال الشهر حظ كامل . ويعتقدون بوجود الغيلان ويزعمون انها تسكن المقابر والخرائب وغيرها من الاماكن المنعزلة ومن عاداتهم عندما يدخل احدهم خربة ان يقول « دستور » مستأذناً او مستغفراً الجني الذي قد يوجد هناك ومنهم من يخيف بها الاولاد ويقولون انها تتراءى لهم في الليل في صور مختلفة وانها تقذف المارة بالحجارة ويروون حكايات كثيرة تستدعي الاستغراب في هذا الباب .

هذا بعض ما وعته الذاكرة من الخرافات الشائعة في مختلف الاوساط اللبنانية ولا ريب ان الخرافات تضعف وتقوى تبعاً للجهل المتسلط على الابصار فاذا شئنا ان نزيل غشاوتها عن عقول العوام فسبيلنا الى ذلك نشر نور العلم والتفكير الحر ثم الايمان الصحيح

شفيق طباره

فرنسا الحرة في غرفة مدرس انكليزي

بعد ان صار مصير المدنية متوقفاً على مقدار الحلفاء لبلوغ
اهدافهم المشتركة ، تتوالى علينا كل يوم آيات الاخاء
والتآلف ، وها نحن ننشر قطعة مخلصة تحسر عن
حب استاذ انكليزي وتلاميذه لفرنسا
ساعة استقبلوا شاباً فرنسياً . »

●

يا صديقي الفرنسي .

هيا معي نقضِ بضع دقائق في غرفة الدرس . اليك بهذا الكرسي ، اجلس عليه تحت مخطط فرنسا .

كان من عادتنا في العام المنصرم ، لمتابعة المعركة الهائلة التي دارت رحاها على ارض وطنك ، ان نتطلع ابداً الى اعلام صغيرة مثلثة الالوان . هذه الاعلام نحتفظ بها ونحرص عليها ، وفي يوم قد يكون قريباً سنعود بهذه الاعلام، ولكن في هذه المرة نسجل باخراجها مراحل تحرير وطنك .

انك لترى هذا الاطار ، فوق الموقدة . انك عرفته ولا ريب ، هذا الذي يحضن رسم الجنرال دي غول . لقد تفضل باهدائه لنا ممهوراً بتوقيعه الكريم ، وانني وددت الساعة لو كنت معنا لترى بنفسك غبطة تلامذتي يوم اتيت اليهم برسم زعيمك .

وانك لترى ايضا هنا بالقرب منك قطعة صغيرة من شريط مثلث الالوان تنشق عنها صفحات هذا الكتاب . ان لهذه الشريطة حكاية . عند ابتداء الحرب جرح بحار فرنسي في مركبه في (سانت فاليري) جراحاً بالغة . فحمله رفاقه الى انكلترا وفي الطريق انقضت طائرات العدو عليهم مرات عديدة ، وفي مستشفى انكليزي ، مات البحار المسكين بعيداً عن رفاقه . ولقد رافقت مع مئات من مواطني مأتمه الفاجع . كان على نعشه باقة زهور عادية وشريطة مثلثة الالوان ، ومن هذه الشريطة احتفظت بالقطعة الصغيرة التي تراها هنا وتتأملها بحزن ، اكباراً لجميع الذين ماتوا من اجل فرنسا .

ومن اجلك ، تلامذتي واقفون ، فاسمح لي بان اوجه اليهم كلماتي :

« يا ابنائي لن يتاح لكم في كل يوم السرور باستقبال فرنسي بينكم . ومهما كنتم في طراوة العمر فليس بينكم واحد فرد لا يفرق بين وطن هذا الحليف وبين قبضة الخونة التي كانت فرنسا اول ضحاياها .

« في هذه الساعة وانا اتكلم فيكم ، يتقدم اباؤكم بتقريب ارواحهم لانقاذ الودائع والقيم التي لا ينهض شعب حر بدونها . ان فرنسا هي التي عرفتنا بها وعلمتنا كيف نحبها : حرية ، مساواة ، اخاء .

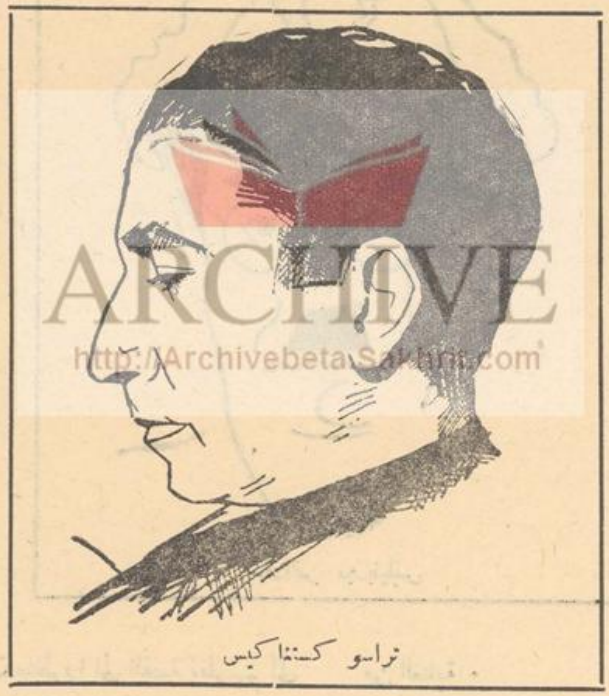
اننا نرد بعض اليد التي لفرنسا علينا لتحريرها من عبودية جانية . وعبر المانش ارى يداً ممدودة نحونا . اننا سنلمس هذه اليد وسنصافحها . والان وانا احس رغبتكم الملحفة ، آذن لكم بان تهتفوا معي : « عاشت فرنسا » .

« معربة عن مجلة فرانس اوريان »

الحركة الفكرية في اليونان

ليست الحياة الادبية شيئاً جديداً في اليونان الحديثة . فاليونان لم تقطع الصلة بين حاضرها وماضيها وحافظت اللغة اليونانية على جوهرها فلم تسلك مسلك اللغة اللاتينية التي صارت الى لغات مختلفة هذا الى ان المسيحيـة التي تأصلت في الدولة لم تنتزع من الذين يمارسونها الفكرة القائلة بـأن الجمال فوق السلوك ، فالدين بقي في بيزنطية وبعدها ميدان اللاهوتيين والرهبان دون سواهم ، والكنيسة الارثوذكسية بقيت ، في ظل الغزاة على اختلافهم ، متمسكـة بالشعور الوطني اكثر منها بالشعور الديني . وقد لا نخطىء اذا قلنا ان الدين لا يمثل اي دور في تطور الافكار في اليونان .

وغني عن البيـان ان الادب اليوناني الحديث هو استمرار التقاليد التي عاشت في قلب الحضارة البيزنطية وتمركزت في كريت والقسطنطينية من القرن الخامس عشر الى الثامن عشر ، وعرفت في القرن التـاسع عشر نهضتين ، نهضة الجزر اليونانية في مستهل القرن ونهضة اثينـا فيما بعد . وهاتان النهضتان دمغتا الادب اليوناني بطابع وطني . وجاءت الحرب الكبرى فنشأ عنها اتجاهان في الادب يحمل لواءهما المخضرمون من جهـة والشباب من جهة اخرى .


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com
تراسو كستاكيس

وكانت القضية المطروحة على بساط البحث ، قبل الحرب ، انشاء نثر باللغة الحية ، فالشعر كان من زمن طويل يستخدم اللغة الشعبية او لغة العامة . على ان جان بسيكاري اثبت في مؤلفاته اللغوية ان اللغة العامية هي وارثة اللغة القديمة وانها قادرة على تأدية جميع الافكار .

وسرعان ما اعتنق الشاعر كوستيس بلاماس مذهب بسيكاري . ويذهب بلاماس الى ان الشعر ديانة الآلهة الجمال وكاهنهـا الشاعر وانه ليس على الشاعر ان يكون الناطق بلسان الشعب بل عليه ان يشرك الناس في عبادة قائمة على مراتب في القيم اللازمة لعظمـة الحضارة . وتمتاز مؤلفات بلاماس ، على تنوعها ، بالوحدة فقصائـده الاولى « اغاني وطني » و « عينا روحي » و « الضريح » تدل كلها على ان الشاعر كان يجد في البحث عن مبادىء يعتنقها . وملاحمه وفي جملتها « مزمار الملك » ترينا اليونان بمثابة اطار رائع للجمال .

ولادباء الشباب الذين يكتبون نثراً ميل صريح الى الابتعاد عن ممثلي جيل قبل الحرب ، ومن هؤلاء الادباء نيرفاناس وبابنطونيو وهورن وفوتياداس وكسينوبولوس . فالاول حاول بث مبـادىء نيتشي في اليونان ، والثلاثة الآخرون امتازوا بدرس حياة الوضعاء والدهماء ، اما كسينوبولوس فبعد ان درس حياة الارياف في يونيا التي ولد فيها انصرف الى تصوير مختلف الطبقات اليونانية والى خوض القضايا الاجتماعية الكبرى .

وما يزال للمسرح اليوناني ممثلوه بين ادباء جيل قبل الحرب . وهؤلاء الممثلون لا يتجاوزون عدد اصابع اليد الواحدة وهم هورن وكسينوبولوس وسبيد وميـلاس وسينادينوس وبوغريس . وبديهي ان كتاب بعد الحرب مدينون لمن تقدمهم ، على انهم كثيراً مـا يفترقون عنهم بنظريات فنية لا تعدو حد الانشاء والصياغة . والاديب اليوناني بوجه عام شاعر بانه عنصر جوهري في المجتمع ، حتى الشاعر نفسه لا يلزم العزلة عن القضايا العامة فهو لا يكتفي بالاعراب عن شواعره بـل يتجاوز ذلك الى الاعراب عن شعور الامة كالناثر .

ولسنوات خلت تأسست في اثينا جمعية ادبية كافـأت كثيراً من المؤلفات القيمة ، وهذه الجمعية تسعى لاستدرار كرم الاغنياء لتنشيط الحياة الادبية . وفي اليونان مجلات ادبية تجمع حولهـا المواهب وقليلا ما تقع الواقعة بينها على نحو ما يحصل عندنا او ما كان يحصل لسنوات . .

الشعراء

تنقسم المدارس الشعرية في اليونان باختلاف بيّن في منازعها ، فتجاه غنائية الشعراء ملاخرينوس وبكيس وتيلاوس اغراس وسفريس والشاعرة مرتيوتيا تقوم نظرية فرناليس الاجتماعية ، هذا الشاعر المجدد الذي ادته الواقعية الى الجمع بين الغنائية والانتقاد والى نظم ملحمة استقى مواضيعها من المنازعات الاجتماعية الحديثة .

الاقصوصة والقصة

ومما لا نزاع فيه ان اهمية الادب اليوناني الحديث تقوم في الاقصوصة والقصة ، اذ فيهما تتجابه بصراحة الافكار التي من اجلها يحتدم النزاع وتتألف الصفوف .

ولا بد من الاشارة الى ان القصة والاقصوصة تميلان الى الانفصال ، فهذه الاخيرة مقتصرة على تصوير الاخلاق او الاوساط في شكل سيرة او حديث لا يخلو من اللمحة النفسية . اما الجهد الرامي الى اعطاء القصة اسسها الذاتية ، اي ليس اظهار فعل الشخص او رد فعله فحسب بل اظهار تقلب الوسط بتأثير الطبائع العاملة فيه ، فهو المهمة الكبرى التي يتولاها الجيل الحديث . وكتاب القصة ككونتوغلو وترزاكيس وفتزيس وميريفيليس وكستناكيس افتتحوا عهدهم بكتابة الاقصوصة ولكنهم اختلفوا عن متقدميهم بانهم بدل ان ينظروا الى القصة نظرتهم الى اقصوصة موسعة جعلوها نوعاً من الفن قائماً بذاته .

وهؤلاء الكتاب قسمان ، قسم يعتقد ان الفن متحد بالحياة وانه مبدأ الاصلاح الاجتماعي ، وقسم يعتقد ان الفن قائم فوق الظروف الاجتماعية . فالاتجاه الاول يمثله كتاب يستقون الحادث او الفعل من تنظيم المجتمع نفسه او من وسط خارجي خلقته الظروف ، فداسكالوكيس مثلا درس في قصته « المقتلعون » ردّ فعل الفرد المنقول من وسط الى آخر . ودرس ميريفيليس وفتزيس مقدرة الظروف على تبديل عقلية الافراد الذين يعيشونها . ولا نزاع في ان رائعة ميريفيليس « الحياة في القبر » هي في طليعة جميع القصص التي كتبت عن الحرب . ففي هذه القصة تتلاقى نفسية الاشخاص البسيطة ونفسية الاحداث العميقة كأنها صادرة عن شرائع سامية تتصرف بالقيم البشرية .

والاتجاه الثاني يمثله كونتوغلو وكستناكيس على الخصوص . فالى زمن غير بعيد كان للقصة في اليونان اشخاصها ولم يكن لها امثلتها . فجاء كستناكيس وسدّ هذا الفراغ بان خلق في اشخاص قصصه طبائع اصلية اي خصائص .

وقد اثبت الكاتب ان « المثال » الادبي لا يصدر حتماً عن السعي وراء الخوارق والنوادر بل عن الطبيعة البشرية ايضاً . وفي قصصه « الامراء » و « مرقص اوروبا » و « جنس البشر » اثبت ان الطبيعة البشرية هي اغنى جميع المصادر في الادب .


ستراتس ميريفيليس

وليس ادباء اليونان من ذكرنا فحسب فهم كثيرون ، على اننا نوهنا بذكر الذين امتازوا منهم بمواهب كبيرة . وقد يدهشك في ادباء اليونان ذلك الاقبال العظيم على منابع الثقافات العالمية والتضلع ليس من الادب القديم فحسب بل من الاداب العالمية على الاطلاق . هذا الى ان معظم الروائع الغربية تنقل الى الادب اليوناني بكثير من العناية .

وان يكن الادب اليوناني الحديث ليس معروفاً في العالم كما يجب ان يعرف فالذنب في ذلك لا يقع على الكتاب اليونانيين الذين يقومون بجهد محمود بل يقع على جهل العالم اللغة اليونانية وعلى العدد القليل من المؤلفات اليونانية التي اتيح لها من ينقلها الى اللغات الاخرى .

ومع هذا فاليونان تحتل في الادب مكاناً مرموقاً . فالادب اليوناني الحديث مع محافظته على خصائصه يساير المجاري الفكرية الكبرى التي تقوم اساساً لهذه الحضارة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سنونو !...

◆

سنونو ، على الروض لاحت
خدود ، وسلّت جفونُ
ومال النسيم ، فمالت
قلوب ، ومالت عيونُ
فاطوِ وانشر ، كما تشاء ، الجناحا
واذرع الجو ، جيئة وروَاحا
وذرِ الزغردات طيباً وراحا
انت اغنية الربيع الاغنّ
ورفيف الهوى وخفق التمني
غنِّ ، غنّ الشباب والزهو غنِّ
فأنى يكون الشباب
فان الاماني تكون
ومرِّغ بطيب الاماني
الجفون ، وطيب الشباب
فإن الربيع كحلم
يمرّ مرور السحاب
يا منى الروض ، يا هناء الصباح
يوم يدنو الخريف جهم الرياح
طلّق الروض ، واختبىء بوشاحي
بين طيّاته اخضرار وظلّ
وشذا مطلق ، وفجر مطلّ
ومن الدفء ما به تستظل
الى ان يعود الربيع
الى الروض ، غض الاهاب

فؤاد بسترس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نشرت بأذن من مالكها السيد وليد

عمر بن عبد العزيز

بقلم انيس النصولي

◆

نشأ عمر في المدينة وتأدب بها على أشهر اساتذتها المتضلعين بعلوم القرآن والحديث والفقه والشريعة كصالح بن كيسان وعبيد الله بن عبد الله ، ودرس العربية وتفرعاتها فأصاب منها سهما وافراً . وكان شابا ولوعاً بتزيين نفسه ، فتأنق في ملبسه وتغلبت عليه الخيلاء ، فزهى واستكبر في بعض الاحايين على الناس . قال ابن الجوزي باسناده « حدثني علي بن جزية قال : رأيته في المدينة وهو أحسن الناس لباساً ومن أطيب الناس مرحاً ومن أخيل الناس في مشيته — ص ٢٢ سيرة عمر بن عبد العزيز » . ثم لم تطل به الحال على هذا المنوال ، فتراه قد خلع عنه ثوب الصلف وارتدى رداء التواضع لما أسندت اليه المناصب الادارية . وقد ولي الحجاز وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وكان ذلك في ايام الوليد الاول ، فبرهن على اقتداره في تدبير الامور وتثبيت دعائم الحق ، والانتصار للضعيف ، وأوسع المجال لعقلاء المدينة وفقهائها لان ينبهوه على اغلاطه ، وان ينيروا سبيله في احقاق الحق وازهاق الباطل ، فدعا مرة عشرة نفر من علمائها وقال لهم : « اني دعوتكم لامر تؤجرون فيه وتكونون اعواناً على الحق . ان رأيتم احداً يتعدى وبلغكم عن عامل لي ظلامة ، فاحرج بالله على احد بلغه ذلك الا بلغني » .

ولم يقبل عمر بن عبد العزيز منصب الولاية على الحجاز الا بعد ان اقر له الوليد السلطة التامة ليقتص من ارباب العدوان وأهل الظلم ، وان أجبر ان لا يرفع للخزينة درهماً واحداً .

اتصف عمر بشجاعته الادبية وصراحته النادرة المثال . فكان ينتقد الاعمال التي لا تتفق والعدل ، ويسلقها بقوارص الكلام ، ولا يخاف في التنديد على من يشذون عن احكام القرآن وألسنة لومة لائم ، فتألم منه بنو اميه حتى ليقال انهم هم الذين دبروا الدسائس للخلاص منه . وهاك مثالا حياً على ما قدمناه : دخل عمر بن عبد العزيز على سليمان بن عبد الملك وعنده ابنه ايوب وهو يومئذ ولي عهده وقد عقد له من بعده . فجاء انسان يطلب ميراثا من بعض نساء الخلفاء . فقال سليمان : ما اخال النساء يرثن في العقار شيئاً . فقال عمر بن عبد العزيز : سبحان الله ! واين كتاب الله ؟ فقال : يا غلام ! اذهب فأتني بسجل عبد الملك بن مروان الذي كتب فيه ذلك . فقال عمر : لكأنك ارسلت الى المصحف ؟ قال ايوب : والله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند امير المؤمنين ، ثم لا يشعر حتى يفارقه رأسه (سيرة عمر ص ٣٨) .

وكان من الذين يقدسون الحرية الفكرية ويرون وجوب تشجيعها والمحافظة عليها . فجادل الخوارج وراسلهم وطلب اليهم ان يحجوه ويقنعوه بالبراهين ان كانوا في زعمهم ومبادئهم صادقين . روى الطبري : (كتب عمر الى بسطام بن يشكر ، وهو زعيم الخوارج في العراق ، يسأله عن سبب مخرجه فكان في كتاب عمر اليه — : بلغني انك خرجت غضباً لله ولنبيه ، ولست اولى بذلك مني . فهلم اناظرك ، فان كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس ، وان كان الحق في يدك نظرنا في امرنا . ١٣٤٨ — S 2 V 3 ١٣٤٩

فجاء وفد منهم الى الشام ، فأمّنهم وطيّب نفوسهم وجلس وايّاهم وجهاً لوجه يتجادل معهم .

تسنم عمر بن عبد العزيز عرش الخلافة بعد وفاة سليمان بن عبد الملك ، فجمع الناس في المسجد الجامع بدمشق وصرح لهم انه اسند اليه الامر دون ان يستشيروه او يستشيروا الشعب فيه ، ولذا فهم احرار في خلع بيعته وانتخاب سواه . فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك يا امير المؤمنين ورضينا بك . فلما هدأت الاصوات ولم يعترض احد على ولايته الخلافة خطب خطبة العرش قال من جملتها : اوصيكم بتقوى الله ، واصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم ، واكثروا ذكر الموت . اني والله لا اعطي احداً باطلاً ولا امنع احداً حقاً . يا ايها الناس ! من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له . اطيعوني ما اطعت الله ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم .

ثم ارادت الحكومة الاحتفال بتنصيبه رسمياً كما جرت العادة ، فهيأت موكب الخلافة وهو يتألف من كبار رجال الدولة وعظمائها ، وقد يركبون وراء الخليفة على البراذين والخيل والبغال ، ولكل دابة سائس . فلما رأى تلك الابهة قال : ما هذا ؟ قالوا : موكب الخلافة . قال : دابتي اوفق لي . وركب دابته ، وصرف تلك الدواب ، ثم اقبل سائراً . فقيل : منزل الخلافة . فقال : فيه عيال ابي ايوب ، وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا . فأقام في منزله فرغوه . الطبري ١٣٤٥—١٣٤٤ S 2 V 3

نحن لا نرى دليلا اكبر من الذي قدمناه على ديموقراطية

عمر وشدة تواضعه واستخفافه بمظاهر الحياة الفارغة . ويذكر ان جاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة فقال : تنح .. مالي ومالك؟ انما انا رجل من المسلمين . ولم يكد يستلم زمام الاحكام حتى امر بستور دار الخلافة فهتكت ، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت ؛ وامر ببيعها وادخال اثمانها في بيت مال المسلمين . وسرح عمر حرس الخلافة وكانوا حوالي ستمائة .

قام عمر باصلاحات جمة عقب توليه الخلافة . فاصدر امراً الى قادة جيوشه في جميع الساحات والتخوم يطلب اليهم ان تكون الرحمة من شعائرهم والشفقة قبلة انظارهم . كتب عمر الى الجراح احد قادته : لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا امرأة ولا وليدا .

والغريب ان عمر بلغت به العدالة الى حد انه امر ان لا يكسى البيت الحرام ؛ وان تبذل الاموال المخصصة للكسوة في سبيل الفقراء والمحتاجين . « كتبت الحجبة الى عمر ان يأمر للبيت بكسوة ؛ كما كان يفعل من كان قبله . فكتب اليهم : اني رأيت ان اجعل ذلك في اكباد جائعة ؛ فانه اولى بذلك من البيت » .

وسعى لان يمتحن نزاهة الرجال الذين اراد توليتهم حكاماً وولاة على البلاد الاسلامية ليطمئن ضميره وليتخلص من جور الطغاة وعسفهم . فذكر ابن الجوزي انه لما ولي عمر الخلافة وفد عليه بلال بن ابي بردة، فهنأه ؛ فجزاه عمر خيراً ولزم بلال المسجد يصلي ويقرأ ليله ونهاره ؛ فهم عمر ان يوليه العراق ، ثم قال : هذا رجل له فضل .. فدس اليه ثقة له : ان عملت لك في ولاية في العراق ما تعطيني ؟ فضمن له مالا جليلا . فاخبر بذلك عمر . فنفاه واخرجه .

وكان عمر لا يفتأ يذكر عماله بواجباتهم وما عليهم تجاه الله والامة والبلاد من المسؤولية الكبرى ، فطلب اليهم ان يجمعوا الخراج الطيب الحلال . ثم امرهم ان يدعوا ارباب الخبرة واهل الفضل في المناصب؛ وان يرفعوا السنن الخبيثة التي انهكت العامل والفلاح ، وان لا يعجلوا في احكام الاعدام والصلب قبل استئذانه وان لا يستوفوا الضرائب التي يخولهم القانون حق استيفائها ، وان يسهلوا على التجار والمسافرين مصالحهم فيبنون لهم الخانات ويضيفونهم . (الطبري ١٣٦٤ S 2 V 3)

ونصب نفسه للعدل فضرب على ايدي المغتصبين بيد حديدية وجعل يضيق عليهم الخناق . فبدأ ببني اميه انفسهم واخذ ما كان تحت سيطرتهم من الغصوب فردها على اهلها دون ابطاء ولا تأخير، فحمده الناس وشكروا له سعيه اذ ستر بيوتات كثيرة كان الظلم قد فضحها ، وعائلات عديدة كان الفقر قد اخذ ينال من شرفها ، واطفال يتامى كان الجهل قد بدأ يهيء لهم مستقبلا مظلماً . وتمادى في تحري المغتصبين الظالمين والتفتيش عن سيئاتهم حتى خاف بعض خاصته عليه من الاغتيال والاعتداء . وخاطب مرة افراد الاسرة المالكة يؤنبهم على تمتعهم بالاموال الحرام والاملاك المغتصبة بلهجة شديدة فقال : « يا بني مروان ، انكم قد اعطيتم حظاً وشرفاً واموالا . اني لاحسب شطر اموال هذه الامة او ثلثيها بين ايديكم . »

واصدر عمر قانوناً خول به الموظفين البارعين الاوفياء حق الزيادة في رواتبهم ان قاموا بما يفرضه عليهم الواجب خير القيام ، وكان ذلك ليقطع دابر الرشوة ، ويجعل للمأمور مجالا للتقدم ، فيعمل بنشاط وهمة، ويسعى لاكتساب رضى رؤسائه والاحسان الى ارباب المصالح وقضاء حاجاتهم بسرعة ودقة . فانتقده احد اخصائه على ما يتقاضاه عماله من المعاشات الباهظة بقوله : (ترزق الرجال من عمالك مائة دينار في الشهر ومائتي دينار في الشهر واكثر من ذلك .) فاجابه : (اراه لهم يسيراً ان عملوا بكتاب الله وسنة نبيه . واحب ان افرغ قلوبهم من الهم بمعايشتهم واهليهم .) ولا ريب انه متى كان المأمور مرتاح البال من جهة العيال فلا يفكر بخيانة الحكومة ، بل يجرب ان يحافظ على مركزه جهد الطاقة .

واصلح القضاء بصورة خاصة فاشترط على القاضي ان يكون عالماً بما نصت عليه السنة ، حليما ذا امانة عفيفاً مشاوراً .

ثم وجه عمر وجهه الى تقويم الاخلاق ومحاربة العادات الفاسدة، فنهى شعبه عن تعاطي المسكرات وابان لهم ما يصيبهم من الآفات والنكبات بواسطتها ، وما تحمله اليهم من المضار والفضائح ، فهي هتاكة للاجسام مضنكة للعقول مضيعة للاموال . كتب عمر الى اهل البصرة : « ان الخمرة تذهب العقل وتسفه الحلم وتبلغ بكم الدم الحرام والفرج الحرام والمال الحرام . »

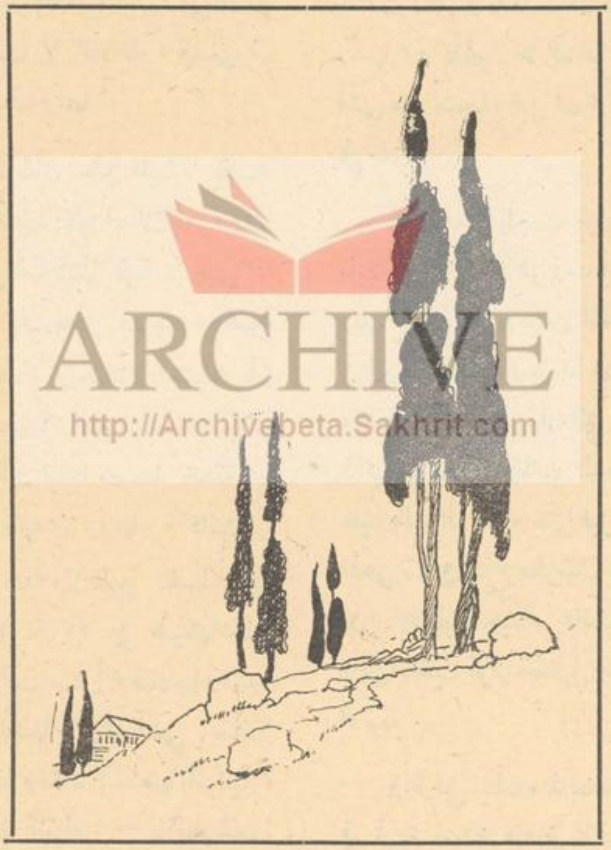
وكان عمر يرفق بالحيوان ولا يأذن البتة في التثقيل عليه بالاحمال، وناشد مأموريه وخواصه وشعبه ان يهتموا بالعجاوات وان يرحموها ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . ولم يغض النظر عن اولئك القساة الذين يسرفون في ضربها وتعذيبها .

انيس النصولي

حظها المكتوب

بقلم وداد سكاكيني

كنا اذا احتدم الصيف وعكف الناس على الافياء الوارفة من ضفاف بردى ، اعتصمنا من لوافح تموز ولهيب آب بجنان الغوطة الخضراء . هنالك في قرية ساكنة تلفها الادواح وتنساب فيها الجداول ، كنا ننطلق من تكاليف المدينة فنستجم ونزفه عن حواسنا في هدوء القرية وسذاجة اهلها ، وقد عرفنا منهم عطرشان ، اذ كانت صبية غيداء ذات ثغر أبلج وبشرة سمراء ، مخزومة الانف بياقوتة ، موشومة الخدين واليدين ، تأخذ لسانها لهجة بدوية عذبة الوقع في الاسماع ، فاذا تحدثت بها دلت نبراتها العذاب على انها لحن من لحون الصحراء .



ما كان احلى اصابيحنا في القرية ، حين كانت عطرشان تباكرنا بالتحية ، ثم بطاقة ريا من الازاهير الندية ، او تبادرنا بطبق الخبز التنوري الذي احسنت عجنه ورقه بيديها السمراوين ، ولكم حسدنا عليها الفلاح الذي كانت تعيش عنده فلم يكن مغبونا فيها او مغلوباً ، وانما لقي على وجهها الرزق الرجيح ولم تجد هي عنده الا العناء والبلاء .

كانت مهمة عطرشان ان تستدر البقرتين في البكور والعشيات لتطوف باللبن على المشترين ، فاذا انتهت من هذه المهمة طفقت تجمع الحصى وتلملم التعاشيب ، ثم هبت الى الماء ، فادارت المجرى لسقاية الحقل ، وعادت الى شتى الاعمال التي يعهد بها اليها الفلاح . وقد كانت اذا كشفت عن ساقيها لتخوض في الماء تأملت مليا في اتساق هذين العمودين المصقولين ثم لمستها بيدها الخشنة واطرقت ، فاذا انحط نظرها الى رجليها الحافيتين رأت سوادهما بالوحل بادياً وتشقق عقبيها مروعاً مفزعاً فتنهدت وعادت الى الاطراق ، وقد خالطها شعور مبهم عنيف ، فلا يردها الى نفسها الا صوت ابي محجوب وهو يزجر البقرة التي كانت تعيث في الحقل نكتاً ، فيناديها بصرخة ملحة ، مهولا عليها بالوان التأنيب والمن والندامة على تربيتها وايوائها ، فتسارع اليه وقد دهمها الخوف والحيرة والقلق ، واخذ لسانها يجمجم كلمات متقطعة حاولت فيها ان تقنع ابا محجوب بأنها غير غافلة عن البقرة وانها منصرفة اليها من تلقاء نفسها .

ولم تكن عطرشان سعيدة بحياتها عند العم ابي محجوب لانه كان جافي الطبع نابي العشرة ولكنها كانت تصطنع امامه الصبر والسكوت وتتكلف الطاعة والهدوء ، على ان في نفسها نقمة هائجة على الاقدار التي طوحت بها فرمتها بذلك الفلاح الغاشم ، وقد قيل لنا ان عطرشان سلخت عهد الطفولة ومطلع الفتوة مع امها في البادية ، فلما ماتت هذه الام تكفلها ابو محجوب لقرابة بينهما .

اما نحن فكنا ننقم على الفلاح كلما رأيناه غاضباً على ربيبته عطرشان ، اذا فرطت بالخدمة ، فيهرع الى عصاه ويهز بها تهديداً لها او تأهباً لضربها ، فكانت عطرشان تفر منه الينا شاكية ، وعليه داعية ، فنحميها من اذاه ونشفع لها عنده ، فاذا فرغنا لانفسنا كان يرق حديثنا عن عطرشان ويشتد اشفاقنا عليها ، فنرثي لها ونغريها

بالهروب من القرية معنا لتشتغل مأجورة في بيت شريف . فاذا سمعت هذه المظلومة كلامنا وجمت ، وقلبت شفتيها وغمغمت ، ثم تركتنا دون تحية وهي تتميزمن الغيظ ولا تلوي على شيء . فكنا نعجب من حماقتها ونتساءل بيننا : لم ضاقت عطرشان بنصيحتنا ؟ بل لم تشكو ابا محجوب اذا كانت لا ترضى بالعيش عنده ، فنلزمه نحن ونتصدى لشراسته من اجلها ؟ وما تزال عطرشان جادة في شكواها كلما خلت الينا ، فاذا ترفقنا معها في النصيحة وعدنا الى تزيين الفرار لها قطبت جبينها وشمخت بانفها وعصفت بنفسها الكبرياء ، ثم طفقت تتحدث عن مجتدها النبيل وعن ماضيها الاغر البعيد حتى تمن علينا ان قامت احياناً بمساعدتنا ، وان لأبي محجوب حقاً عليها ، فمن اجله تصبر على فظاظته ريثما يواتيها الحظ المرتجى ويلهم الله من يعيدها الى اهلها . فاستقر بعدئذ رأينا على ان في نفس هذه الفتاة هماً لا كالهموم ، وألماً لا كالآلام ، فينبغي ان نواسيها ونسليها ، وان نرفع الكلفة بيننا وبينها .

ما رأينا ابا محجوب يوماً رفيقاً بعطرشان حانياً عليها . فقد فقد كان يؤثر عليها البقر والدجاج ، ويجافيها كلما ابطأت بأمر ، وربما استخفى في لطوة يرتقبها منها ويسمع شكايتها الينا ، حتى اذا باغتها دمدم وبرطم ، فكانت تلم به بين خجل ووجل ، وقد امتلأت نفسها حسرات على حياتها عنده . وبعد ان استيقنا بأن عطرشان تأنف من اكتساب عيشها اجيرة في المدينة صرنا نكف عن اغرائها بالهروب من القرية ، فكانت تأتينا مصبحة محدثة عن جشع ابي محجوب ، فنهون عليها الامر ونهدي روعها . وكانت تارة تقبل على طعامنا برضاها وتارة ترغب عنه ولا تبيح لنفسها الابية مشاركتنا فيه فلا نؤذيها بالالحاح ، بل نتركها على طبيعتها حتى تعود الينا ممسية وهي اطيب نفساً وارحب صدراً ، فنمازحها ونتندر بها دون ان نمسها بما يهز اباءها او يثير غضبها . وقد نمضي احياناً معها في الوان من الدعابة الحادة فتفحمنا وتغلبنا ببداهتها المواتية ، فاذا شاع الظفر في نفسها قلنا لها ورددنا القول : — يا عطرشان ! والله لا ينقص هذا الذكاء فيك الا ان تكوني عروساً لزوج كريم . . فتجيب من فورها : — نعم ، سأتزوج ان شاء الله وينبغي ان يكون زوجي الامير او الوزير كما يقال عندكم في الشام . . فما تنطق عطرشان عن امانيها بسذاجة حلوة واعتداد بالنفس حتى نستأنف الدعابة معها ثم ننفلت من امامها ونحن نكركر في الضحك ونقهقه . وربما اختلط هذا الضحك العنيف المتصل بصوت عطرشان وهي لا تعبأ بنا وانما تغني غناء يسري في اسماعنا حادياً ناغياً ويملأ قلوبنا املا وجذلا ، فنقطعه عليها او نرجع معها تناغيمها البدوية العذبة ونبرها الحنون حتى يتخافت صوتها بالغناء ، فتهمهم به غير حافلة بسماجتنا . فاذا لحظنا فتورها قرت فينا فورة الضحك فهفونا اليها وبدرناها بالتماس الصفح عن هذرنا وفضولنا حتى تنبسط اساريرها وتطيب نفسها .

ولقد كنا نبقي في القرية ما بقي الجو مستعراً لاهباً في دمشق ، فاذا دبت طلائع الخريف وهبت علينا انفاسه الرطاب هممنا بالرجعة الى المدينة فتبتئس عطرشان وتنقبض سحنتها فتلح علينا بتأخير السفر او تأجيله ، حتى اذا استيأست من بقائنا تحدثت الينا في رجاء وحنان ان نعود في الصيف الآتي الى قريتها وان لا ننساها . كانت تنقل وحدها متاعنا الى السيارة ، ضئيله في يدها وثقيله على رأسها ، وكأني اراها الساعة اذ اكتب قصتها وقد دلفت نحوي تمشي على استحياء قبل ان نركب السيارة ، فجذبتني اليها ثم همست في اذني :

— لا تنسي يا ست خيرية ان تجلبي لي معك في الصيف الآتي طوقاً من الخرز الاحمر ومنديلا من الحرير . . وفرق الدهر بيننا وبين عطرشان ، وجدت المقادير فيما قدرت ، فانقطعنا عن المصيف في الغوطة الفيحاء وجاءتنا الانباء بموت صديقنا الفلاح غير مأسوف عليه من ربيبته عطرشان التي فرت من القرية غداة وفاته ، فكانت ذكريات اللهو ولحظات السعادة التي شعرنا بها مع عطرشان تلح علينا بالسؤال عنها ، حتى قيل لنا انها فرت مع اسرة غريبة كانت ادهى منا في اقناع عطرشان بهجر القرية والتماس المعيشة في المدينة ، او ان الاطوار حينئذ كانت ملائمة فسولت لعطرشان النزوح عن ارض عاشت فوقها ، مستهل فتوتها ، حتى صارت ناضجة الفتوة بارعة الانوثة .

وانا لني لبنان منذ بضعة اعوام نقضي المصيف على هناءة وعافية في قرية بعيدة هادئة لا تسمع فيها لغواً ولا تأثيماً ، اذ تبغتنا جارتنا ام عمر بخبر جديد ، فتقول بلهجة فيها كل العجب وقد القت يدها على خدها كالمفرقة في الاستغراب :

— هل علمتم ان عطرشان في هذه القرية ؟

— بالله عليك ! اين هي ؟ عند اية عيلة تخدم ؟

— آه يا مساكين ! انها زوجة وزير خطير كما قيل لي وهي في هذا البيت الجميل الذي يرى من نافذتكم . ففغرت افواهنا من

الدهش ، وبهتنا مما سمعنا ، فقلنا وقد امسكنا الخصور بالاكف وسمرنا في مكاننا :

— هل تمزحين يا ام عمر ؟

— وحياة عمر وبشرفي ليس في قولي اقل مزاح !

وحين آمنا بهذه الفجأة الحلوة العجيبة فرحنا وعجبنا وقالت عجوز من اهلنا :

— لا اله الا الله .. ويل لمن لا يخاف الله .

فقلت : يا عمتي هذا تأويل رؤياها في اليقظة ، فلقد كانت عطرشان لا تنفك في تهريجنا واسمارنا عن قولها :

« سيكون زوجي الامير او الوزير .. »

ولقد عجبنا كيف جرى الدهر بما شاءت ، وكيف استجابت الاقدار لصوت حظها ، وكأنما كانت تناجيه من وراء الغيب او كأنه كان منها على ميعاد . ولا ريب في ان عطرشان كانت تقول لنا ذلك دون ان تدري بما يضمر لها الزمان من سعد كمين ، ولعلها كانت تجري ذلك الرجاء على لسانها ككل ساذجة متبجحة ، وما احسب ان الامل كان يملأ قلبها ، او يشغل بالها بما صارت اليه .

وتم الاتفاق بيننا على ان نزور عطرشان في المساء ، فلبسنا احسن ما عندنا من الثياب ، ثم اخذنا سمتنا الى ذلك البيت الذي كان في زهوة العمران .

هنالك سألنا ، فقيل لنا : انهم يقيمون في الطبقة العليا ، فصعدنا ووقفنا امام الباب متهيبات مترددات ، ثم ضغطنا الجرس الكهربائي فانشق الباب عن عبد اسود ، فقلنا له :

— نريد زيارة عطرشان .

فوقف كالمأخوذ المستنكر وسأل .

— ومن هي عطرشان ؟ « ما في هنا عطرشان »

— نريد زوجة « الباشا » .

— ها ها الست عطرية ، طيب انتظروا ..

ثم رد الباب دون تغليق وغاب قليلا ثم عاد وقال :

— تفضلوا ...

فدخلنا البهو .. يا للعجب ! ماذا نرى ؟

ثمارق مصفوفة ، وارائك مبثوثة ، وصور فنية على الجدر وفي الزوايا .. وهنا وهنالك ..

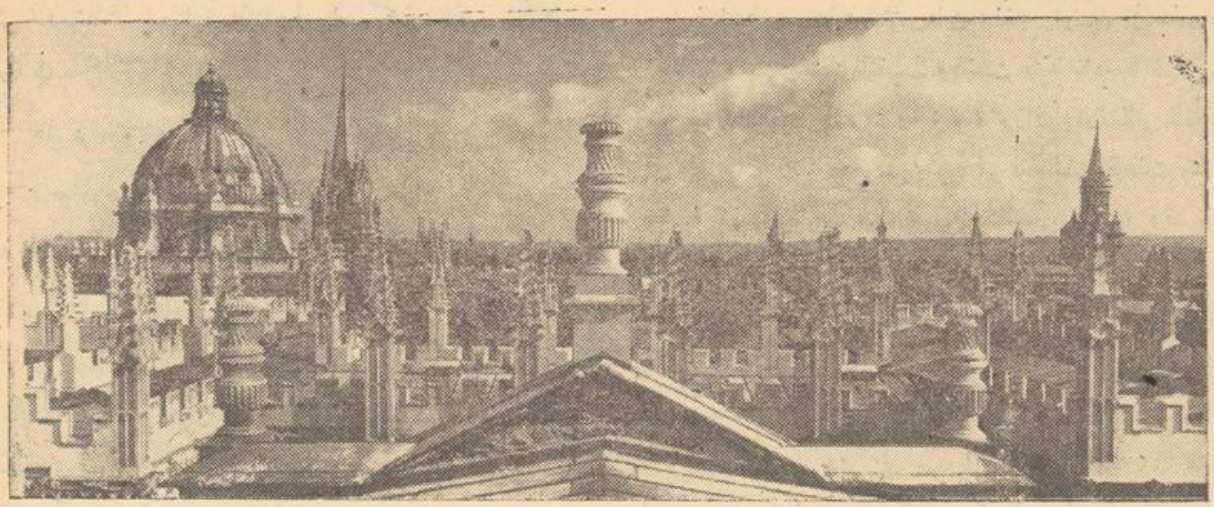
فجلسنا مسبوهات مشدوهات ، نقلب الاعين في هذه النعمة الحديثة ؛ حتى سئمنا التقليب ودخلت علينا خادم باكواب مثلجة من عصير الليمون فشربنا ولم نرتو ، وزادنا الانتظار ظمأ وشوقاً الى عطرشان . وبينا نحن على مثل الجمر فتح الباب فاطلت منه الست عطرية تتهادى بثوب من المخمل البنفسجي اللماع ، وقد صففت شعرها وعطرته وصقلت وجهها ، واحاطت جيدها بقلادة من اللؤلؤ يشع بوهج لا يوصف . وكان في معصميناها اسوار عريض من الذهب . وما ان القت علينا نظرة خاطفة حتى اربدت سحنتها واشتد اسمرارها ، فصارت تخطو نحونا مضطربة حائرة . فعجلنا قبلها بالسلام والابتسام وضمتها عمتي الى صدرها بلهفة حارة ، ولما صافحتني احسست ان كفها الراعشة كانت مثلجة كعصير الليمون الذي شربناه قبل ان نراها ، فانطلقت عمتي مهنئة للست عطرية بحياتها الجديدة فكانت ترد عليها شاكرة بايجاز وفتور وتزوي بصرها عنا كلما رمقناها ، فان بيننا وبين نفسها كلاماً صامتاً وقد يكون ابلغ من كل كلام يجري على السنتنا امامها . فلم تصبر عمتي على فتور الست عطرية ، فما زالت تستل منها الجواب تلو الجواب حتى ردتها الى نفسها بعد هذا اللقاء المباغت ، فانبسطت في حديثها ونحن نحمد الله الذي وفاها حظها من السعادة . وقد عرفنا من قصتها انها سافرت مع اسرة غنية التمست لها الحياة اجيرة في بيت مصري كريم عطف الله عليها قلبه ، ولم تلبث ان تزوجها سيدها واكرم مثواها ، اذ استهواه ذكاؤها وتدبيرها ؛ ثم جاءتنا الست عطرية بصورة له فرأيناه وسيم الطلعة رائع الرجولة .

* * *

كنت واختي نمعن النظر في يديها الناعمتين ؛ وانا ملها الرخصة كلما مدتها نحونا ، ثم نتأمل وجهها فلا نرى الا اثراً ضئيلا لذلك الوشم الازرق قد لاح كالخيال تحت مسحة من الطلاء المضمخ ، وكانت شفتاها محمرتين بلون كالشفق ، ولكني لم اعرف في اية جهة كان انفها مخزوماً .

ولما استأنست بنا الست عطرية وعاودها الاحساس باخلاصنا القديم حلفت جاهدة ان نزورها دون كلفة وان نعاشرها كالاهل ، وحين هزت يدي وهي تتبسم تذكرت سفرنا من القرية في الغوطة واكبابها على اذني موشوشة : — لا تنسي يا ست خيرية ان تجلبي لي معك في الصيف الآتي ..

دمشق — وداد سكاكيني



منظر الاجنحة والقباب المتعددة في جامعة اوكسفورد

◆

جامعة اوكسفورد وجامعة شارل

تعد جامعة شارل من اقدم جامعات اوربا . بل هي اول جامعة انشئت ضمن حدود الامبراطورية الرومانية المقدسة . اسسها في براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا الملك شارل سنة ١٣٤٨ . ولكن لا قدمها ولا تقاليدها اجدت فتيلا في نظر الغزاة التوطونيين عندما اجتاحوا تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٣٨ . فقد فتكوا حالا بعدد من تلاميذها واقفلوا ابوابها في وجه الباقين منهم . والان بعدما فرقت ايدي سبا احرار تشيكوسلوفاكيا وذهب تلاميذ هذه الجامعة ومعلموهم الى انكلترا هبت لنصرتهم واحدة من اقدم الجامعات الانكليزية ، وهي اوكسفورد ، وفتحت للتلاميذ والمعلمين ابوابها كي يتيسر لهم متابعة دروسهم كما بدأوها في براغ ، ومكنتهم بهذه الواسطة من حفظ اسم جامعتهم الاصلية مستمراً وتاريخها متصلاً ، الى ان تنتهي الحرب وتعود جامعة شارل الى اعمالها حرة طليقة من القيود .

منذ عامين ، اي في ١٧ ت٢ سنة ١٩٣٩ نزلت عصابة من الغستابو (أي البوليس السري الالماني) بقر تلاميذ براغ ، وجمعوا منهم نحو الف وساقوهم الى ساحة اكرهوهم فيها على ان يشهدوا اعدام تسعة من زعمائهم . ثم فرقوهم على معتقلات لا يزال الاحياء منهم فيها الى اليوم . وكان هذا عقوبة لهم على كونهم قد تذكروا ان يوم ٢٨ ت١ السابق كان العيد السنوي لاستقلال تشيكوسلوفاكيا وهو اول عيد حل موعده بعد احتلال الالمان لبراغ ، ذلك الاحتلال الذي لم تكن البلاد قد افاقت بعد من دهشته .

ثم جاء على الاثر اعلان انكلترا وفرنسا الحرب على المانيا فولد الامل في النفوس . وكان خارج كل احتمال ، كما لا يجهل الالمان انفسهم ، ان يمر هذا العيد بدون مظاهرات وحوادث . والعذر الذي كان الالمان يلتمسونه وقع تحت ايديهم . فاماتوا زعماء التلاميذ رمياً بالرصاص . وحبسوا الباقين في معتقلات واقفلوا ابواب الجامعة وسواها من دور التعليم والتهذيب لثلاثة اعوام ولم يكتم الالمان بعد ذلك عزمهم الاكيد على عدم فتح هذه الابواب للدارسين بعد الآن ، بل هم يفضلون القضاء التام على الراقبين التشيكيين ليحولوا الشعب الذي وضعوه تحت محايتهم الى حمالي مياه وقطاعي حطب . من ذلك ان لجنة من الاساتذة والمعلمين جاءت تباحث الوزير الالماني فرانك في امر هذه الفئة من القوم . فاجابها دون ابهام : « اذا خسرنا الحرب عدتم بانفسكم الى فتح ابواب المدارس جمعاء على مصاريعها ، سواء في ذلك العليا والسفلى .

اما اذا ربحناها فالتعليم الاولي يكون كافياً لكم . »

ومن ذلك التاريخ القاتم تشرين الثاني ١٩٣٩ سنحت بعض الفرص للمقاومة التشكية كي تتجسم وتظهر للعيان . واقيمت في لندن حكومة تشيكوسلوفاكية اعترفت بقانونيتها انكلترا والولايات المتحدة وروسيا . وتألفت وحدات عسكرية من الجيش التشيكي في بريطانيا وكندا وفي الشرق الادنى حيث اشترك جنود وطيارون منهم في المدافعة عن طبرق . وانشيء في لندن مجلس دولة ينفح بمشورته الحكومة ويضارع برلماناً يتكلم باسم الشعب التشيكي السجين في وطنه . اما التمثيل الدبلوماسي في الخارج فقد تم . لكن التشيكيين مع اجتهادهم في تأمين عمل الحكومة المنفية لا ينسون البتة المركز المكدر الذي بقيت فيه جامعتهم الشهيرة التي أسسها الامبراطور شارل رجل العلم والانسانية وهو اول ملك على بوهيميا فاز بالسلطة الامبراطورية . وهو العاهل الذي اعاد بناء قصر هراد كاني وقرر ان تكون كاتدرائية براغ مقياسا لنفوذ رئاسة الاسقفية الجديدة ، ولذلك يجب ان تكون مساحتها اكبر من كاتدرائية كولونيا . لكن الاثر الرئيسي الباقي من تاريخ حياته هو الجامعة التي كانت تجذب الى براغ ، حتى في عهد مؤسسها ، اكثر من عشرة آلاف طالب .

اما الآن فما هو مصير هذه الجامعة الحقيقي ؟ يزعم كثيرون ان المعاهد العلمية كهذه الجامعة لا يمكن اقفالها او حلها ، وان الالمان ساروا بذلك على خطة منكرة ، اذ انهم سلبوا المعلمين كراسيهم ، واودعوا التلاميذ في المعتقلات ، ومنعوا المعاهد من عملها . لكن حياة الجامعة الروحية تستمر وتصر على البقاء . ان انتشار العلم لا يتوقف على الابنية وجدرانها واندية المحاضرات وقاعات الكتب المتراكمة على الرفوف . ان اعضاءها يستطيعون الاجتماع والمباحثة في الفضاء المطلق ، كما كان يفعل سقراط وتلاميذه الاثينيون . ثم ان اوروبا في الاجيال الوسطى شهدت غير مرة تبديد التلاميذ . واذا ذكر الذاكرون ، فقد كان تبديد من هذا النوع هو الذي ادى الى انشاء جامعة اوكسفورد في انكلترا .

ان رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا الحالي ، وكثيراً من اعضاء حكومته ، وعدداً من كبار الموظفين في دوائرها ، وجنوداً وطيارين في جيشها العاملين مع الحلفاء في ميادين القتال ، كلهم من تلاميذ جامعة شارل القدماء . وعددهم في انكلترا كبير يكفي ان يجتمعوا ويعلنوا انفسهم عمدة ادارية لجامعة مستوفية الشروط ابان عملها .

وقد عرض هؤلاء مسألتهم الى رؤساء جامعة اوكسفورد فنظر هؤلاء في ثلاثة اقتراحات : الاول اعلان عمل الالمان في اقفال الجامعة تعدياً محضاً لا محل له في القوانين . الثاني : تبني جامعة اوكسفورد لجامعة شارل . والثالث : منح اعضاء جامعة شارل المنكوبة تسهيلات خاصة تمكنهم من متابعة دروسها بحرية وتجيز لهم دخول المكاتب المختلفة وعقد اجتماعات خاصة بمقتضى طلبات سابقة في نادي الجامعة الرئيسي . فاعتبرت سلطات اوكسفورد



الدكتور ادوار بينش رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا والمستر غوردون رئيس كلية المجدلية في جامعة اوكسفورد

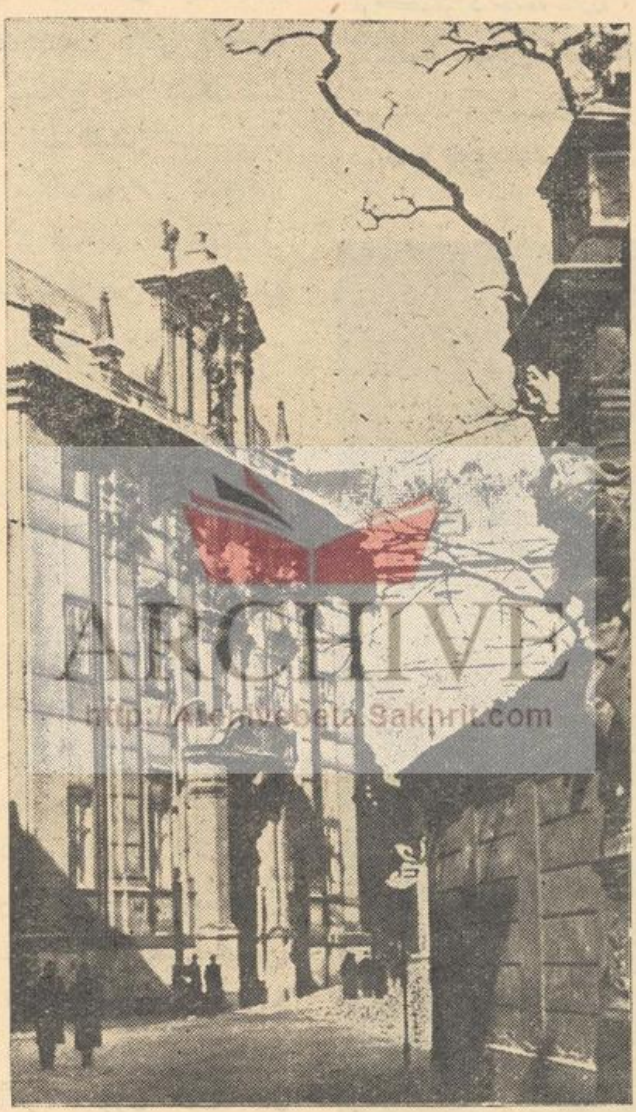
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان الاقتراحين الاولين ينطويان على خطر اثارة مشكلات قانونية معقدة . واوصت عمدة المعلمين باتخاذ قرار يحقق الاقتراح الثالث . ولوحظ ان قبول هذا الاقتراح الاخير يؤيد المبدأ الذي يعتبر اعضاء جامعة شارل منتمين الى مؤسسة حية تمثل تقاليد مستمرة على رغم القيود التي تفرضها عليها السلطات الالمانية المؤقتة وتبقى جزءاً متمماً للهيئة التعليمية في العالم .

ولما اجتمعت عمدة المعلمين في ٢ كانون الاول الفائت لم تقف عند حد الموافقة على القرار ، بل مددت حق الاستفادة الى اعضاء جامعتي كومونيوس ومازاريك التشيكيتين ايضاً .

لقد مرت احيان على جامعة اوكسفورد افتخرت فيها بأن تكون حامية الحقوق المفقودة والقضايا الخاسرة . ففي الحرب العالمية الاولى تولت بيدها أمر سربيا . فلما اجتاح الالمان والنمسويون تلك الدولة وخربوها كان طلبة معاهدها الذين امكنهم النجاة الى انكلترا يرددون كل يوم صلواتهم في كنيسة مدرسة مار يوحنا حيث دفن رئيس اساقفة لود . ان جو اوكسفورد نفسه ساعد على تأييد يقينهم ان الحق في النهاية سيعلو ولن يعلى عليه ، وانهم سيعودون يوماً الى وطنهم المحرر من نير اعدائه . ولعلهم في هذه الايام ، بعدما كبروا ونضجوا وصار ابناؤهم يحاربون الشر عينه الذي قسم الله لهم ايضاً ان يتحملوه ، لعلهم يتذكرون اقامتهم السالفة في اوكسفورد وايمانها الثابت الذي كررته على اسماعهم بأن الحق لا بد ان ينتصر على الظلم . وفي الحرب الحاضرة نال كل من التشيكيين والبولونيين والفرنسيين الاحرار قسطاً وافراً من اكرام المثوى وسخاء الضيافة في اوكسفورد . ففيها التقى المونسنيور شمروك رئيس وزارة تشيكوسلوفاكيا اول خطبة عامة له في بريطانيا ، وذلك في نادي كلية المجدلية وهو لا يعرف الانكليزية ، وقد رفض بتاتاً ان يتكلم باللغة الالمانية التي يعرفها ، لانها لغة الظلام المستبدين بوطنه . فلذلك تكلم باللاتينية ، وباللاتينية رد عليه احد الطلبة ونائب مدير الجامعة .

وليست اللاتينية نادرة الاستعمال في اوكسفورد . فبهذه اللغة تكلم جيروم اول عالم تشيكي معروف اتى من براغ يلقي دروساً في اوكسفورد . وكانت اللاتينية لغة جامعة شارل عندما انشأها الامبراطور العالم الذي اراد بواسطتها توسيع دائرة العلم في الامبراطورية الرومانية المقدسة . ولهذا كان حقاً وعدلا ان يستعمل هذه اللغة رئيس وزارة يعلم جيداً الى أي مدى تتفق مزاعم هتلر وموسوليني مع مبادىء الوحدة الاوربية .



دار الكتب في جامعة شارل التي اقفلها النازي في مدينة براغ



اساطير الازهار

في التاريخ والادب والاجتماع والسياسة

بقلم ابن الغريب



كيف تولد الزهرة ؟

هل خطر لك يوماً ان تراقب مولد الزهرة ؟ وترى بعينك كيف تطلع الى الوجود . هذه العملية البطيئة جداً تجري بعض الاحيان بسرعة كافية لان تراها العين المجردة بوضوح . وقد صورها السينماتوغراف فارانا جذوع النبتة وكل فروعها تهتز وترتعش عند ولادة الزهرة . والكأس تنشق بدافع قوي فتندلع منه الاشعة (وهي ورقات التويج الملونة) الى الخارج كأن الزهرة تنفجر فعلا وتفتر عن مظاهر الحياة .

نحن نرى القوة في انقضاض الصواعق . وفي هبوب العواصف . وفي انحدار الشلال . وفي اضطراب البحر بالزوبعة . لكننا نعجز عن رؤية القوة التي تدفع الزهر الى الظهور . مع انها لو حصرت لزحزحت الجبال . ان في روضة من الزهر قوة يعادل مجموعها بركانا ساعة الهياج .

الحفلات الزاهرة — اخذت الازهار تنتشر في مدن العالم بحسب تأصل التمدن وانتشاره في تلك المدن . فالناس يتبارون في تزيين منازلهم وشرفاتهم . ولعل الناس في كاليفورنيا الاميركية اشد بلاد الله اغراقاً في هذا الموضوع نظراً لما خصتها به الطبيعة من تربة جيدة وطقس جميل . فاصبحت مدنها مسارح في رأس السنة لسباقات الزهر التي بدأنا بعد الحرب العامة الاولى نقلدها في بيروت . وقد بالغ الاميركيون في العناية بهذه الحفلة حتى صارت اسبوع بارك في ولاية نيوجرزي تتيه عند نهاية العام بحفلة عامة يتحول كل سكانها فيها الى اعمدة زهر ماشية في الشوارع .

ولا شك ان احتفالا كهذا يقتضي من اللطافة في الذوق العام والدماثة في الاخلاق ما يتعذر ايجاده في شوارع بيروت قبل اعوام كثيرة .

على ان الاجانب عندما يذكرون الحفلات الزاهرة — اي المزدانة بانواع الزهر — لا يغفلون ذكر بيروت وحفلات الدستور العثماني التي اقيمت في شوارعها بعد ٢٤ تموز ١٩٠٨ . كان الناس قد نسوا كلمة « الحرية » في عهد عبد الحميد الثاني . ولما سمعوها فجأة هبوا الى الازهار يتراشقون بها حتى خيل للاجانب ان البيروتيين في تلك الساعات الباهرة ، يكرمون الحرية الساحرة ، بحفلة زاهرة .

وقد رأينا في شهر نيسان الفائت كيف يحيي النصارى في كل بلدان العالم تذكارات الفداء الشجية ، فيعدون للسيد المسيح مدفناً من الزهر . بعدما تذكروا بمثل ذلك دخوله الى اورشليم يوم احد الشعانين . وقد انشأ البابا اربانوس عام ١٢٦٢ عادة الزياحات القربانية في شوارع رومية . فاخذها عنه العالم الكاثوليكي باسره . ومن هذا القبيل احتفالات زحله وبيروت بالطواف العام يوم خميس الجسد . والزهر رفيق الناس وسميرهم . يستخدمونه في الافراح دليلاً على الابتهاج والغبطة . وفي المآتم دليلاً على التكريم والاسف .



الزهر ونفقاته — لم يخف عن بعض الاذكياء ما في محبة الناس للزهر من موارد الربح التجارية . فان ما تنفق الشعوب على هذا الصنف لاجل الزينة فقط يعد الان بالملايين . ومتوسط ما يدفع اهالي الولايات المتحدة ثمن زهر في السنة نصف مليار دولار . او مئة مليون جنيه انكليزي ذهباً . منها ٥ ملايين تنفقها مدينة نيويورك وحدها . وتأتي بعدها باريس التي اشتهرت بالعلم والنور والاناقة والزينة . فان الباريسيين « يتشكلون » بالازهار ويزينون بها فتياتهم بمتوسط مليوني جنيه استرليني كل سنة . وهذا الثمن بالفرنكات والغروش السورية يكاد يكون « فلكياً » .

اما اغلى ما يكون الزهر ففي فصل عيد الميلاد . لانه يؤخذ من بيوت الزجاج ويرسل الى المدن الكبرى حيث تباع زهرة الورد الواحدة بجنيهين وثلاثة واربعة . وكم من باقة ترمى على اقدام راقصة في مسرح يبلغ ثمنها مئتي جنيه واكثر . والورد على كل حال

ملك الازهار . والباعة يؤكدون ان ثلاثة ارباع الثمن للباقات يتعلق به .

مع ان ضمة الزهر التي حملتها اليس روزفلت ابنة رئيس الجمهورية يوم اكاليلها (عام ١٩٠٤) على نيقولا لونكورت في واشنطن (وكان كاتب هذه السطور وقتئذ صحافياً في نيويورك) قد جلبت زهراتها من اماكن عديدة لاجل التناسب التام . فكلفت مئة دولار ، أي عشرين جنيهاً . وقالت الجرائد يومئذ انها اثمن ضمة في تاريخ واشنطون العاصمة . وقد استنبط التجار وسائل مدهشة لحفظ الضمات ناضرة مدة طويلة . فاستبدلوا كؤوس الزهر الطبيعية بكؤوس من الورق المصمغ بمادة تغذي التويج واشعته .



يوجد اليوم في نظر باعة الزهر مئتا نوع من الورد ، ومئتا نوع من البنفسج . لكن هذه الانواع تنقسم الى طبقات مختلفة تجعل تجارة الزهر المتقنة متناهية في الدقة والصعوبة .

العناية بالزهر — كلما رأيت منزلا على شرفاته ازهار نامية ايقنت ان هنالك انامل مخيفة واخلاقا رقيقة خصصت للعناية بالزهر بعض اوقاتها . بل صار الناس يستدلون غالباً بالازهار الناضرة حول البيت على وجود البنات فيه . وهن كالازهار عنوان الانس والنضارة والاناقة . فضلاً عما في العناية بالزهر من الفائدة الصحية لانها تقضي على الانسان بمواجهة الطبيعة والعمل في الهواء الطلق . ولهذا قيل ان التي تعتني بالورد تستغل موسمين : احدهما في حديقتها والاخر في وجنتيها .

العليقة العجيبة — الى جانب كنيسة القديسين بطرس وبولس في كلاستنبوري (انكلترا) عليقة من مزاياها انها تزهر كل سنة حوالى عيد الميلاد في ٢٥ كانون الاول . وليس هذا موعد ازهار العليق من نوعها . وقد روت الاساطير انها مجلوبة اصلاً الى انكلترا من فلسطين من العليقة التي اخذ منها اكليل الشوك للسيد المسيح فأخذ الامبركيون فرعاً منها سنة ١٩٠٠ وزرعوه قرب كنيسة القديسين بطرس وبولس في واشنطون العاصمة . فلما نمت اخذت تزهر نظير امها على عيد الميلاد .

وقد نظم شعراء الانكليز قصائد في هذه العليقة وغمروها بالثناء . لانها كانت من العوامل التي دفعت كهان الوثنيين القدماء (الدرويد) الى التنصر . وحكاية نقلها من فلسطين الى كلاستنبوري لا تقل غرابة عن ازهارها السنوي يوم عيد الميلاد . فان اليهودي يوسف الرامي الذي اعطى بقعة من بستانه ليدفن فيها جسد يسوع تنصر بعد قيامة السيد المسيح وذهب مع سواه من الرسل ليتلمذ الامم . وبعد ما زار رومية وشهد الاضطهادات العنيفة للمسيحيين تابع السير الى غالية متوكئاً على عكاز قطعه من العليقة التي اخذ منها اكليل الشوك لتعذيب سيده الالهي . فعبر بحر المانش في زورق وسار في انكلترا يضايقه غضب الدرويد الذين هالهم تبشيره بدين جديد . فبلغ جزيرة افالون الشهيرة التي نشأ فيها ارثور وفرسانه ارباب المروءة والشهامة .

افالون تدعى اليوم كلاستنبوري . فلما اشرف عليها يوسف الرامي تعباً منهوك القوى كان على رابية جميلة فغرس عصاه في الارض وجلس يستريح . فرآه رجال الامير ارفيراجوس وساقوه الى حضرته . ولما سمعت زوجة الامير كلامه اهتدت الى مذهبه وحملت زوجها على السماح له بالبقاء . ولما عاد في الغد الى الرابية لجلب عصاه وامتعته وجد العصا قد علقت بالارض واخضرت ، فتركها . وبعد قليل اورقت واخذت تزهر كل سنة ، لا في الربيع كعادة العليق ، بل في عيد الميلاد . فذاع خبرها في البلاد وكانت عوناً كبيراً ليوسف على تنصير الانكليز . وكان الناس يعتقدون ان لمس هذه العليقة

يشفي جميع الامراض .

وحافظ الانكليز على هذه العليقة الى ان دارت رحى الحروب الدينية في عهد شارل الاول . فحسبها البروتستان ذخيرة بابوية وقام جندي متعصب يريد قطعها فلما اعمل الفأس فيها طارت شظية منها الى احدى عينيه ففقأتها . وكان هذا كافياً لحفظ العليقة المقدسة .

اما الفرع الاميركي فقد اهداه حارس كنيسة كلاستنبوري الى الاسقف ساترلي اول مطران على واشنطون لشيعة الابسكوبال البروتستانية . ومن مزايا الكنيسة التي تحاذيها العليقة في واشنطون ان تشييدها كلف عشرة ملايين دولار . وقد جيء بالحجارة لهيكلها من مقالع هيكل سليمان التي مشى عليها يسوع في طريق الجلجلة . وحوض العماد فيها مغروس بفسيفساء مأخوذة حصاها من مهد الاردن ومنقوشة بشكل بديع يمثل صورة السيد المسيح .

الزهر في السياسة — اتفقت السكك الحديدية على اتخاذ اللون الاحمر علامة للخطر ووجوب الحذر فاذا مر قطار بعلامة حمراء علم سائقه ان طريقه مسدود فلم يتقدم .

وزهرة الخزامى بحد ذاتها جميلة محبوبة . لكن حكومة النمسا قبل الحرب العامة كانت تنظر اليها كما ينظر سائق القطار الى اللون الاحمر . والسبب في ذلك انه في اثناء خلاف شديد بين النمسا وشريكتها هنغاريا تألفت جمعية من السيدات المجريات الشريفات غرضها تحرير هنغاريا من شركة النمسا واستقلالها السياسي . اسست هذه الجمعية في حفلة رقص زاهرة في دار الكونتة باتياني . فتحمست النساء تحمساً ناريا ونزعن مجوهراتهن والقينها بين يدي امينة الصندوق . وفي الغد اوجبن على ازواجهن ان يذهبوا ويبتاعوها ابتياعاً . فما انقضى يومان حتى صارت الجمعية غنية . وكانت اكثر الازهار التي ازدانت بها تلك الحفلة خزامى . فاقترحت احدى السيدات اتخاذ هذه الزهرة شارة للجمعية وبالتالي صارت الجمعية نفسها تدعى « الخزامى » .

واتفقت بعد ذلك النمسا وهنغاريا . لكن رضى الاهالي لم يكن تاماً . فوجد الناقمون علة لابقاء الجمعية ، فاستمرت ونمت وصار اعضاؤها رجالا ونساء يعرفون بزهرة خزامى يعلقونها على ميسرة الصدور . ولم تجد الحكومة النمسوية من الحكمة ان تقاتل هذه الجمعية نظراً لقوتها فيزيد اضطهادها في الطين بلة . لكنها نظرت اليها دائماً شزراً واعتبرت زهرة الخزامى عنوان الدسيسة والخيانة . وكانت تنظر اليها نظر سائق القطار الى العلامة الحمراء .

ولم تكن الخزامى وحدها قليلة الحظ في اعين الحكام النمسويين . بل هناك زهرة ثانية كرهوها ومقتوها رغم روائها وبهائها ، وهي الاقحوان . فقد كانت النمسا تملك مقاطعات ايطالية هي التي حولت ايطاليا في الحرب العالمية الاولى عن معاونة المانيا والنمسا وجعلتها خلافاً لما كان الناس ينتظرون تمتشق الحسام في وجه حليفتيها فقد الف الايطاليون جمعية سياسية اتخذ اعضاؤها الاقحوان شارة لها وسعوا لاستعادة املاكهم المسلوبة . وقد تنبه رعايا النمسا الايطاليون اصلاً في المقاطعات المذكورة فأخذوا يزينون بالاقحوان دورهم وصدورهم . ومع ان الجمعية لم تكن ذات علاقة رسمية بالحكومة الايطالية كان الملك الحالي فكتور عمانوئيل يعاملها بلطف وتكريم يحدثان استياء في فيانا . لان هذه الجمعية كانت تنفق مالا طائلا على عسكر جرار من الجواسيس المنبثين في مقاطعات النمسا الايطالية استمالة لهم الى الخروج على النمسا والرجوع الى احضان امهم ايطاليا . لكن النمسا لم تكن تتساهل مع الاقحوانيين كالخزاميين بل كانت تترصد كل من يزين صدره باقحوانة . فان كان ايطالياً اهانته ، او نمساوياً سجنته ، او اجنبياً طردته . اما سبب اختيار الايطاليين للاقحوان شارة لجمعيتهم فكان تكريماً لملكتهم السابقة زوجة الملك همبرت وكان اسمها مرغريتا ، أي اقحوانة .



وكان في النمسا فوق ذلك حزب الماني يتعارف بزهرة الذرة احب الازهار الى الامبراطور الالماني غليوم الاول . ولذلك حرمت النمسا على زهرة الذرة الظهور في شمال بلادها ، كما حرمت الاقحوان في جنوبها ، والخزامى في الوسط .

اما في فرنسا دولة الحرية ، فلم يعاقب تعليق الزهر على الصدور كجرم سياسي . لكن بعض الحكام كانوا يكرهون ازهاراً

خاصة رغم جمالها الطبيعي ولا سيما ايام الانتخابات . فزنابق الحقل الطاهرة التي لا تتعب ولا تشتغل ومع ذلك سليمان في كل مجده لم يلبس كواحدة منها — كانت مع نقاوتها وبراءتها وبياض سريرتها تصبح خبيثة فاسدة النية على صدر الرجل في الازمات السياسية لانها تنم للجمهوريين على ميوله الملكية . وزهرة الزنبق عنوان اسرة البوربون التي توالت على عرش فرنسا الملكي قروناً طوالا . حتى ان كتّاب القرون الوسطى حرّفوا اسم الزنبق الفرنسي (ليس) بقولهم (زهرة لويس) نظراً لكثرة ملوك فرنسا البوربونيين الذين حملوا هذا الاسم .

وفي مقاطعة بريتانيا الفرنسية يتزين الاهالي حتى اليوم باوراق من شجر الدبق لرمزها الى اسلافهم الدرويد في عهد غالية .

اما البونابرتيون في فرنسا فكانوا يتعارفون بزهرة البنفسج التي اتخذها نبوليون الاول شارة له . وفي احتفالهم السنوي بالجناز التذكاري لنبوليون الثالث ولابنه الوحيد الذي قتل في حرب الزولو متطوعا مع الانكليز — يضع كل رجل في الكنيسة على صدره زهرة ، وكل امرأة ضمة كبيرة من البنفسج

وفي عهد القائد الشهير بولنجاي كان اتباعه يعلقون على ميسرة الصدور زهرة حمراء .

الزهر في سياسة الانكليز — في خلال القرن الخامس عشر رزحت انكلترا تحت ويلات حرب طاحنة من أشد الحروب في تاريخها تدعى « حرب الوردتين » . وحكايتها ان اتباع الدوق يورك من جهة كانوا يتعارفون بوردة حمراء . واتباع الدوق لنكستر من جهة ثانية بوردة بيضاء . وما برح الانكليز منذ عهد بعيد يرمزون بالورد الى اسرتهم المالكة حتى كان قضاتهم في مئات السنين عند اصدار حكم او تلاوة وثيقة مهمة يحملون بأيديهم زهرة او ضمة من الورد ، للدلالة على السلطة المعطاة لهم من الملك الذي يتلى الحكم باسمه .

زهرة ارلندا الزمردية — اما ارلندا فاتخذ ابناؤها رمزاً لهم زهرة مثلثة الاشعة يدعونها « شمرك » لونها اخضر قاتم كالزمرد ، وهو رمز الوطنية العامة لا الاحزاب السياسية . ولهذا لقبت ارلندا بجزيرة الزمرد .

وقد اختار الارلنديون هذه الزهرة لان شفيع بلادهم القديس بتريك كان في مواعظه يتخذ تثليث اوراقها وسيلة لاثبات الاقانيم المتساوية في سر الثالوث الاقدس . وكانت انكلترا تكره في البدء هذا اللون لما فيه من تذكير الارلنديين بوطنيتهم المستقلة . لكنها صارت في النهاية تشاركهم في الحفاوة به . فان الملكة فكتوريا بعدما ابدى جنودها الارلنديون من البسالة في حرب الترنسفال امرت بان يعلق جميع الجيش الانكليزي يوم عيد القديس بتريك علامة خضراء على صدوره .

الزهر في وايلس واسكتلندا — اما وايلس المقاطعة الانكليزية التي يدعى دائما ولي العهد اميرها فقد اتخذت زهر الكرات رمزاً لها . وكانت الملكة ماري والدة جورج السادس في عهدها تعلق في كل احتفال رسمي ضمة كرات على صدرها ، او تجمع منه اوراقا ظاهرة بين الازهار التي تحملها تكريما للامارة التي تنتمي اليها . وهكذا فعلت حماتها الملكة الكسندرا من قبلها . اما كنتها الملكة الحالية اليصابات فاسكتلندية المولد ، ولذلك هي تحمل في الاحتفالات ضمة من زهر العوسج رمز اسكتلندا . وما زال حزب المحافظين في انكلترا يتخذ منذ عهد اللورد بيكونسفيلد (دزرائيلي) الورد الجوري شارة له لان ذلك الوزير الداهية كان يميل الى هذه الزهرة الزكية .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ازهار دولية مختلفة — وقد اتخذت اليونان زهرة البنفسج رمزاً لها . واسبانيا الرمان ، والمكسيك صبر ايوب (المدعو نبات المئة سنة) وكندا الاسفندان . اما الولايات المتحدة فلم تتفق — رغم اتحادها العجيب في كل شيء — على زهرة تمثلها . اجل ان هناك نوعا بديعا من الورد يدعونه « الجمال الاميركي » وزهرة قرنفلية بيضاء ينسبونها اليهم لكنهما ليستا بحصر القول رمزاً لهم .

اما اللبنانيون والسوريون فقد استغنوا عن ازهار الارض كلها بالازهار البشرية التي تجمع كل واحدة منها عندهم في خلقها وخلقها مزايا سائر الازهار الطبيعية منظراً وشذاء ، وتأثروا جدودهم العرب اذ قال شاعرهم في فتاة تنسكب دموعها على وجنتيها وتعض باسنانها احدى شفتيها :

واسترجعت سألت عني فقيل لها ما فيه من رمق دقت يداً بيد
واستمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت وردا وعضت على العنّاب بالبرد

الازهار والخرافات — تحمل العروس احيانا ضمة من ورد ابيض في ذهابها الى الاكليل . لكن بعض الشعوب يرى محض الشم للورد الابيض مؤذيا للدماغ . وبعد اكليلها تتنازع الفتيات من حولها نتفاً من هذه الضمة المباركة . مع ان في الدنيا كثيرين يعتقدون ان من ينثر اوراق وردة بيضاء يموت بالسل الرئوي

في اسكتلندا يرون لكل الازهار محلا في حفلة العرس ماخلا ذات اللون الازرق . فهي ممنوعة لانها تجلب للعروسين الجنون . ويعتقدون ان العروس التي تفتح عينيها صباح اكليلها على زهر ابيض تنتظرها السعادة في بيتها الجديد . اما اذا كان الزهر احمر فالويل ثم الويل لها .

والاسكتلنديون يكرهون بعض ازهارهم ويرون في ادخالها الى المنزل نذيراً بموت احد السكان

وفي بعض الجزر البريطانية يطعمون العروسين بقولا مخصوصة تثير عوامل الحب المتبادل في قلبيهما . واذا شردت عين العريس بعد الاكليل استعادته العروس باكلة متخذة من قلب حجل وجذع من العليق تقلى بالسمن وتعطى للعريس الخائن فيصير اميناً . وعندهم ايضا ان العازب الذي يحب الازهار كثيراً لن يتزوج .

اليونانيون يزينون الهيكل بالازهار قبل الاكليل لكنهم يعتنون بنزعها بعده لئلا تذبل هناك فتكون شؤماً على الاكاليل المقبلة . وفي سواحل فرنسا قبل سفر الصيادين تجيء زوجاتهم وحبيباتهم بازهار تنثرها على البحر ليكثر امامهم السمك . وفي صاموي ينزل الميت الى قبره مكللا بالزهر كي يؤذن له بدخول السماء . وفي بعض الاماكن الاوربية يميل دوار الشمس وجهه الى صوب كل امرأة غير امينة .

شذاء الزهر وعطوره — قد كان قبل هذه الحرب في فرنسا وحدها ستمئة معمل كبير لاستخراج العطور من الازهار وثلثمئة في الولايات المتحدة . وقد تربعت فرنسا في قمة الشهرة العالمية بصنع العطور . واعظم بلدة فيها بهذا الصنف هي غراس على ضفاف الريفيارا يبلغ ما كانت تصدره من العطور في كل سنة ٦ مليارات كيلو تؤخذ من ستين الف فدان ارض زهراً وتباع بمليوني ليرة ذهباً . اما عدد سكانها فعشرون الفاً يسابقون النحل الى امتصاص نفثات الزهر . ويوزعون العطور على كل فتيات العالم

اما الدولة التي سما الورد فيها على سائر الازهار فهي بلغاريا . فان فيها سبعمئة الف فدان ليست سوى اجام مرتبة لهذا النبات النبيل . تبتاع امير كا ثلث هذه الحاصلات وفرنسا الثلثين الباقيين

اما السبب في غلاء العطور فهوان عشرين الف درهم من الورد تقطر درهماً واحداً من عطره . اما الياسمين فمصدر الشذاء في اكثر انواع الماء الكولوني المشهور ، وكل الف درهم من اشعة توليجه تقطر درهماً من العطر .

كيف تستخرج العطور — اهم الطرق لذلك اربع : الانضاح والتصفية والتخضيض والجذب . فبالانضاح تنثر الازهار على صفائح زجاجية مرطبة بدهن الخنزير . ومن الغرائب شدة الجاذبية بين عطر الزهر وبين دهن الخنزير التي تجعل هذا يمتص ذاك بسرعة . وتستبدل الازهار ٨ مرات على الدهن حتى يتشبع من العطر تماماً . ثم يحلل في الكحول بالتبخير .

اما استعمال البشر للعطور فقديم . كان اليونان والرومان يستخرجونها ويستخدمونها فقضت عليها زحفات البرابرة على اوروبا في القرون الوسطى وخربت معاملها وانست الناس اسرارها . لكن هذه الاسرار حفظت في الشرق واكتشفها الفرنجة في بلادنا واخذوها ايام الحروب الصليبية عنا .

واعلم ان العطور لا تؤخذ كلها من الزهر وحده بل هنالك ثمار واشجار وحيوانات تؤخذ الروائح الطيبة منها والغزلان الهندية والقطط الاسيوية وبعض حيوانات كندا وسيبيريا وحيتان الاوقيانوس الهندي كلها تدخل في ميدان العطور وتضحي بنفوسها حباً بسيداتنا الزكيات الروائح . حتى المعادن لا تتأخر عن هذه الخدمة . فان لبعضها شذاء خاصاً يستخدمه البارعون من صناع العطور

هكذا جاءت الكيمياء والزولوجيا لمعونة العطار فاصبح يصنع كثيراً من الروائح صنعاً مقلداً بها الزهر وهي ليست منه . لكن في الطبيعة اسراراً لم تستطع يد الانسان ادراكها بعد . مثال ذلك انه لم يقلد بعد رائحة نسمات البحر المنعشة ولا رائحة الغاب الخشبية بعد المطر .

والعطور دليل النظافة لانها لا تأتي الا معها . وهي ايضاً مطهرة ومضادة للفساد . فالبخور والصندل يستخدمان اليوم في كل مكان قابل الاتساخ والتعفن . ومن هذا كان استعمال البخور والشمع العسلي في الكنائس والمعابد مزدوج الفائدة . ولما كانت الرائحة الطيبة شديدة التأثير في الاعصاب ظن بعض الظرفاء ان مركز الروح البشرية يجب ان يكون في عصب الانف . ولهذا قيل ان اكبر الناس انوفاً اعظمهم هماً واصفاهم عقولا . وقد اثبت ذلك نبوليون بقوله مراراً « اعطوني رجالا كبار الانوف »

انتظار

•

ما انتظاري في المفرق ؟
اترى بعد نلتقي ؟
مرة بعد ، يا رفيق الشقا ، انت يا شتي .
ما اختلافي الى الجبال ،
اترى ، بعد ، بالخيال ،
نلتقي ، بعد مرة ، يا حبيبي ، على التلال ؟
ما وقوفي على الدروب ؟
اترى المح الحبيب ،
مقبلاً نحوي باسماً يسحب الحب والطيوب .
ولم ارقب المساء ؟
اترى بعد في الخفاء ،
نتلاقى في مطرح وارف الظل والرواء . .
عبثاً انشد المحال
فالذي اهوى لا يزال
فكرة لم تخطر ببال !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غفوة

•

نم على الارض معي ،
وتوسد اضلعي ،
غفوة مل جفون الليل حتى لا نعي .
وحدنا في مطرح حلو طري المضجع . .
فوق جسمينا يمر الفجر ، مخضوب الشفاه .
وعلى الثغرين تطفو عربدات وصلاه
ومن الصدرين لا يسمع الا همس آه . . .

غطاس الراسي

ابطال المسرح في التاريخ

شارل فيشتر في « ذات الكماليا »

●

قد يعود النقاد الى كتابة مجلدات اخرى في نقد « ذات الكماليا » ، رائعة مؤلفات اسكندر ديماس الابن ، ولكن ما كتب فيها وما قد يكتب لم يمنع هذه القصة من ان تبقى في طليعة الروائع التي تدافع عن المرأة الخاطئة التي تعطي كل قلبها بعد ان تكون قد اعارته . وقد يرجع بعض الفضل في ذيوع شهرة هذه الرائعة الى اسمها . ومما لا شك فيه ان الكتّاب يوفقون احيانا في اختيار اسماء مؤلفاتهم واحيانا لا يوفقون ، وقد قيل ان اسم الكتاب يدفع الناس الى شرائه .

يقول الكاتب المسرحي جول تروفيه ان مسرحية « ذات الكماليا » لم تفقد شيئاً من نجاحها بالرغم من تفاوت قيم الممثلين الذين اخرجوها ، وان مرغريت غوتيه ، بطلة المأساة ، كانت السبب في ثروة الممثلة السيدة دوش ، وفي شهرة الممثل شارل فيشتر الذي لم يضارع في دور ارمان ديفال .

ولد فيشتر في بيلفيل عام ١٨٢٤ ، وليس في انكلترا كما ذكر معظم مترجميه ، من والد حفار من تلاميذ براديه ومن أم انكليزية . على انه نشأ في لندن ، وكان في حداثته يتردد على المسارح ولكثرة ما شهد الممثل الانكليزي كين أحس في نفسه بدافع يدفعه الى اخراج مسرحيات شكسبير بلغتها . وكان فيشر يجيد الانكليزية كما يجيد الفرنسية . ولما عاد الى باريس ادخله استاذه بوفاله الى الكوميدي فرانسيز حيث بقي مدة قصيرة الى جنب الممثلة العظيمة راشيل التي مع اعجابها به خشيت منه على اخيها رفائيل فليكس فعملت على اقصائه . ومنذ ذلك الحين راح يتنقل من فوز الى فوز في مسارح بورت سان مارتان وفودفيل والاوديون . وكان دور ارمان ديفال في مسرحية « ذات الكماليا » اروع الادوار التي ابدعها فيشتر . ومع ان معظم القراء يعرف موضوع « ذات الكماليا » — وقد نقلها الى العربية صديقنا الشاعر نقولا بسترس — لا نجد بداً من ذكر النقاط الكبرى من موضوعها .

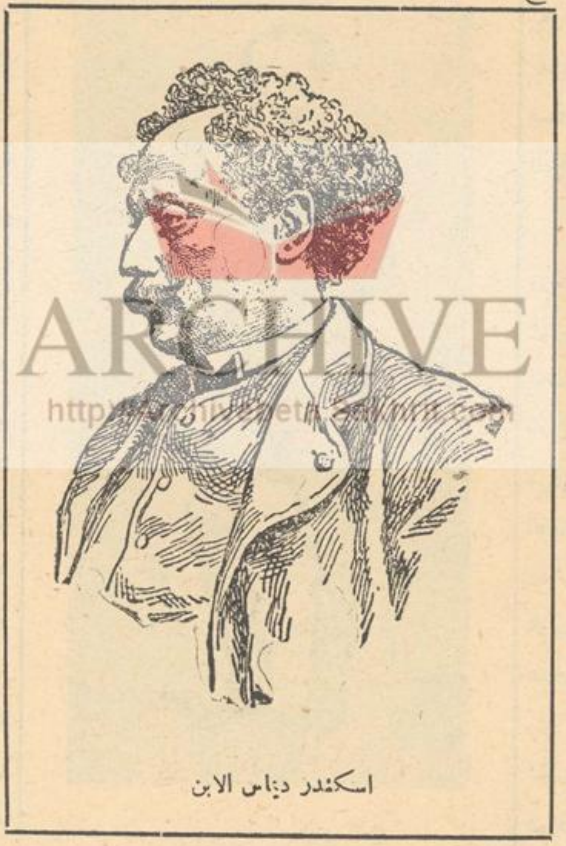


شارل فيشتر في دور ارمان

تجري حوادث الفصل الاول في قاعة مرغريت غوتيه ، الحظية المعروفة باسم « ذات الكماليا » . في القاعة السيد ده فارفيل ، احد عباد مرغريت ، يتحدث مع الوصيفة نانين منتظراً عودة من يحب . ولم تكن مرغريت في الماضي سوى خياطة يرجع الفضل في ثرائها الحاضر الى عطف الدوق ده موريالك الشيخ . على انها كانت تؤثر الاستدانة على جميل السيد ده فارفيل ، هذا المليونير المهل الذي كان ينتظر دوره وفي نفسه من العجرفة اكثر مما فيها من الحب . وتعود مرغريت فتصرف السيد ده فارفيل بمهارة ولباقة لتستقبل مدعويها الى العشاء . واذ ينتهي العشاء ويبدأ الرقص تشحب مرغريت فجأة وتخور قواها فتطلب ان تترك وحدها هنيهة . وكان داء الصدر يتفاقم امره فيدنيها كل ليلة من القبر . وفيما هي تنظر الى المرآة تسمع ارمان ديفال ، احد المدعوين ، ينصح لها بأن لا تهمل صحتها كما تفعل ، فتؤخذ بلهجته العذبة الطافحة بالحنان الاخوي ، فتتناول زهرة

الكماليا التي على صدرها وتقدمها اليه طالبة منه ان يعيدها اليها حالما تذبل ... أي في اليوم التالي ..

وليس الفصلان التاليان سوى قصائد حب من ارمان ومرغريت. على ان طبيعة ارمان الشريفة الصريحة تصطدم دائماً بتصرفات الحظية العاشقة . والمرة الاولى تعرف مرغريت الحب الحقيقي وتود لو تستطيع محو القذر الذي لطخها في الماضي . ويستمر امرها مع ارمان الى ان يظهر والد هذا الاخير على المسرح فتشعر المسكينة بما ينتظرها ، واذ تسمع هذا الشيخ يكلمها باسم الاخلاق ويستحلفها بحبها ان لا تهدم مستقبل ابنه ، عندما تسمع هذا الواعظ بالريدنكوت » يطلب منها ان تضحي بنفسها لاجل شقيقة ارمان الطاهرة النقية وهي على اهبة الزواج ، وحين ترى ان حبها لارمان سيهدم بيته ويحول دون زواج اخته ترتفع بتضحيتها مقدار ما سقطت بتهورها وتحمل عشيقها على الاعتقاد بانها تؤثر ساوكها الماضي على حياتها الجديدة .



اسكندر دياس الابن

ويدخلنا الفصل الرابع الى قاعة قمار فنرى ارمان ديفال وقد جاء يوبخ مرغريت على خيانتها ويحتقرها جاهلاً الحقيقة التي حملتها على الظهور بمظهر المرتاح الى ساوكه الشائن لتوحي الاحتقار الى الذي تحبه وتعبده في قرارة نفسها . واذ يلتقيان وجهاً لوجه يثور غضبه فيهوي عليها ويطرحها على قدميه قبل ان يرشقها بالاوراق المالية التي ربحها على الطاولة الخضراء . فلا تقوى المسكينة على تحمل هذه الصدمة ، هذه المذلة ، فترتمي مغشياً عليها .

ويرينا الفصل الاخير مرغريت غوتيه في طور النزاع وقد هجرها جميع العشاق الا ارمان ديفال الذي عرف الحقيقة من والده فاسرع اليها ليضم الى صدره المرأة الوفية التي عرفت كيف تكفر بالتضحية والزهد بالنفس .

ولنترك الآن الكلام لاسكندر دياس الابن فيحدثنا عن بطل مسرحيته . قال : « لم يكن فيشتر يصغي الى نصائحي الفنية اذ كنت ما ازال في بدء عهدي بالاخراج الفني . وكنت اعتقد انه عندما يقول ارمان لمرغريت في الفصل الرابع : « قولي لي انك تحبين السيد ده فارفيل فأذهب » وتجيبه : « نعم ، اني احب السيد ده فارفيل » كنت اعتقد انه يجب على ارمان ان يهوي على مرغريت فيطرحها على قدميه ويرفع يده ليضربها بل ليقتلها . سوى ان فيشتر ابى ان يقوم بهذه الحركة فاصررت عليه فقال : « أأطرح امرأة على الارض وارفع يدي لضربها ! هذا مستحيل على المسرح . ثم ان الجمهور لا يستطيع تحمل هذا المشهد » . فقلت لفيشتر « اؤكد لك انه سيكون لهذه الحركة تأثيرها العظيم » . ولكي يتملص الممثل من تشبثي قال لي : « كما تريد . سنرى ... » ولما وصل فيشتر الى العبارة التي اصررت عليها — وكانت الفصول قد نجحت كلها نجاحا عظيما — تذكر فجأة ما قلت له فامسك بالسيدة دوش (أي مرغريت) وطرحها الى الارض من غير ان تفهم معنى هذه الحركة اذ لم يكن نبهها اليها ، فكان لها تأثير كبير في الجمهور . وقد شاع منذ ذلك اليوم ان خلافاً نشب بين فيشتر والسيدة دوش .

وماعتم الامر ان ترك فيشتر وعائلته باريس الى اتكلترا . وعلى مسارح لندن الكبرى مثل مسرحيات شكسبير وترجمات بالانكليزية لمسرحيات فرنسية كري بلاس والاحدب والاخوة الكورسكيين وغيرها . وكان موضوع اعجاب الطبقة الاريستوقراطية . وفي احد الايام زاره الرجل السياسي العظيم غلادستن ودعاه لوليمة غداء اقامها تكريماً له ودعا اليها الكونت والكونتس ده باري والدوق دومال . وفي تلك الحفلة طلب الكونت ده باري من فيشتر ان يتأبط ذراع الكونتس ده باري . وعلى المائدة افرد له مكان الشرف فرفض فقال له الكونت ده باري بلطف : « وانت كذلك امير يا سيد فيشتر » .

وكان البرنس ده غال ولي عهد العرش البريطاني ، يحضر جميع ليالي فيشتر وكثيراً ما كان يترك مقصورته بين الفصل والفصل ويدخل الى مقصورة فيشتر ليحدثه ويدخن معه .

ستة من كبار العلماء الفرنسيين في السجن

◆

لما لم ينجح الالمان في سحق مقاومة الشعب الفرنسي راحوا يحاولون حفر هوة بينه وبين صفوة علمائه . ولكنهم فشلوا في هذا ايضاً ، فقد آثر العلماء الفرنسيون فقدان حريتهم الشخصية على ان ينكثوا عهد الوفاء لروح الحرية الشعبية الممتزجة بروح العلم . وكان الالمان قد لزموا طريق الحيل فقالوا للعلماء : « انظروا الى اي حد نحن رحاب الصدر متساهلون ، فنحن لا نريد اقفال الجامعة فعودوا الى باريس وواصلوا اعطاء دروسكم بأمان . » فعاد العلماء الى باريس ، ليس لانهم آمنوا بصدق الالمان بل لانهم فكروا في واجبهم نحو الجامعة ونحو الطلاب . وكان يخيل الى الالمان ان العلماء الفرنسيين ، رغبة منهم في المحافظة على مرتباتهم وطمأنينتهم وحقهم في التقاعد ، سينزلون على مطالب « الكومنداتور » ويقبلون تدريس العلوم الآرية . ويكونون ادوات لافساد الروح الثقافية في الشباب . او ربما كان يخيل اليهم انهم يستطيعون استخدام تلك الصفوة المختارة من الفرنسيين كأمثلة تحطى للشعب على « التعاون » .

على ان هذه الخطط المكيافيلية الغليظة باءت بالفشل . ولما اتضح للالمان ان العلماء يرفضون الاستعباد لهم اتخذوهم رهائن ، فلانجفان وكوتون وبوريل ولابيك وموغن وفيلي هم اليوم في السجن . ولكن أيعتقد الالمان انهم اذا سجنوا هؤلاء . يسجنون معهم ديكارت وامبير وهنري بوانكاره وباستور وغيرهم ؟ ايعتقدون انهم قادرون على قتل العلم الذي يخيفهم واطفاء النور الذي يروعهم ؟

وسننقل في ما يلي ما كتبه بعض كبار الاساتذة الانكليز عن العلماء الفرنسيين المسجونين لانهم ابوا الا البر بالحقيقة وبالتقاليد الثقافية وبروح الحرية . ولا نزاع في ان هذا التضامن في المقاومة بين الشعب الفرنسي وكبار علمائه انما هو ضمان اكيد لنهضة فرنسا .

بول لانجفان (١)

بقلم السر وليم براغ

كتب السر وليم براغ عن البروفسور بول لانجفان ما يلي :

لقد استفظع جميع علماء العالم المتمدن اعتقال بول لانجفان وغيره من مشاهير العلماء الفرنسيين لاسباب مجهولة ولكنها سياسية على الكثير الغالب . ومما لا شك فيه ان هؤلاء العلماء لم يرتكبوا اي جرم فالذين يعرفونهم يعرفون انه من الخرق والحماقة الصاق اية دنيئة بهم . ولا حاجة بنا للاسهاب في الكلام عن شهرة بول لانجفان واعماله فهي اشهر من ان تعرف . ولسنة خلت منحت الجمعية الملكية البروفسور لانجفان مدالية كوبلي وهي اعظم وسائل التكريم التي في مستطاعها .

فبول لانجفان هو من اولئك الرجال الذين احاطوا بكثير من المعارف وقسط لهم في العلم ما لم يقسط الا للقليل من الناس . ولا نزاع في ان احسن اعماله هو تأسيسه نظرية المغناطيسية الكهربائية . ولا تزال نظريتا « البرامغناطيسية » و « الديامغناطيسية » حيث تركها لثلاثين سنة خلت .

وللبروفسور لانجفان نفوذ عالمي كبير ، وقد انتخب رئيساً لمؤسسة « فيزياء سولفي » الدولية عند وفاة لورنتز وله اصدقاء كثيرون في انكلترا ، فقد بقي من العام ١٨٩٧ الى ١٨٩٨ يعمل في مختبر كافندش بادارة تومسن . وكانت ابحاثه تتناول على الخصوص تركيب الحديد وسهولة تحريكه . وقد تصور وعالج في هذا الباب اساليب جديدة تفوقت على جميع الاساليب السابقة ولم يدخل عليها اي تحسين منذ ذلك الوقت . ولا يزال رفاقه في مختبر كافندش يذكرونه وقد نقلوا هذه الصداقة الى سواهم من العلماء البريطانيين .

ايمي كوتون (٢)

بقلم البروفسور كروثر

وكتب البروفسور كروثر عن البروفسور كوتون ما يلي :

لقد مثل البروفسور كوتون دوراً خطيراً في نهضة الابحاث العلمية في فرنسا بعد حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ . وكان قبل الحرب

قد ساهم مساهمة جدية في الاعمال والابحاث التي اوجبت انشاء مختبرات كهربائية ممغنطة اقوى من الحاضرة تسمح بدرس الخصائص الاساسية للمادة . وكانت خطط الانشاءات قد وضعت قبل ١٩١٤ ، على انها ارجئت بداعي الحرب . ولما استتب السلام كانت حالة فرنسا تبدلت لسوء الحظ فالقسم الاكبر من علماء فرنسا الشبان كان قد قتل ، وفقد معظم اجهزة المختبرات .

وفي العام ١٩٢٢ نظمت اكاديمية العلوم مؤتمراً برئاسة المرشال فوش لدرس الوسائل المؤدية الى انعاش الحالة . وجاءت ذكرى باستور فافسحت السبيل الى جمع مبالغ مالية لتجهيز مختبرات جديدة ، وكان ان قررت الاكاديمية تخصيص هذه المبالغ لانشاء مختبر كبير للكهربائية الممغنطة ، فشرع بالعمل في العام ١٩٢٤ بادارة البروفسور كوتون الذي كان قد صرف عشرين سنة في درس المسائل النظرية لانتاج الميادين الممغنطة . وفي العام ١٩٢٨ كان الحجر المغناطيسي الجديد قد هيء وهو يزن مئة طن ويستطيع انتاج ميادين ممغنطة واسعة النطاق . وبفضل هذا الحجر المغناطيسي الجديد اجريت اكتشافات على جانب كبير من الاهمية . وسرعان ما اخذ الاختصاصيون في المسائل المغناطيسية يقبلون من جميع اقطار العالم على مختبر كوتون في بيللفو .

وكوتون من ابسط الرجال واكثرهم دعة وكرماً ، فلما قبض المبلغ الكبير الذي منحته اياه جمعية البير الاول في موناكو انفقه على تجهيز المختبر المغناطيسي . فبديهي ان يقع اختيار النازي على مثل هذا العالم لزجه في السجن .

(٣)
اميل بوريل

بقلم البروفسور هردي

وكتب البروفسور هردي عن البروفسور اميل بوريل ما يلي :

لقد شملني ذهول اليم حين اتصل بي نبأ اعتقال البروفسور اميل بوريل ، ولا ريب عندي بان جميع علماء العالم سيشاطرونني ذهولي فبوريل هو في عداد اعظم الرياضيين الذين انجبتهم الاربعون سنة الاخيرة ، فليس ثمة فرع من فروع الرياضة لم يدخل عليه هذا العالم تحسيناً محسوساً . هذا الى انه اكمل ما بدأ به بوانكاره وهادامار وكان لنظرياته تأثير كبير احدث انقلاباً حقيقياً في التحليل الحديث .

وقد اعترف الجميع بمقدرته الخارقة العادة على نشر افكار لم تخطر في بال احد . واني لكبير اليقين اني انا وتلاميذي والذين يعاونونني مدينون بالكثير لاميل بوريل .

(٤)
لوي لابيك

بقلم البروفسور هيل

وكتب البروفسور هيل عن البروفسور لابيك ما يلي :

لوي لابيك هو من اشهر العلماء الفرنسيين ، يجيد في البحث والمناقشة والخطابة وفي السياسة ايضاً . وهو رئيس جمعية وصديق ومضيف كريم ، والسيد المطلق بعد الله للمركب الشراعي «اكسون» . عرفته بالشهرة منذ العام ١٩١٠ ، يوم كان هو واستاذي وصديقي كنث لوكاس يدرسان فيزيولوجية الاعصاب .

وترجع أولى صلاتي الحقيقية به الى رسالة بعثت بها اليه لاشكره على اهدائه اليّ نسخة من كتاب اصدره وفيه فصل ينتقد به مقالا لي انتقاداً قاسياً . على انه كان على باطن الغلاف كلمات كتبها بيده تكفي لازالة اي حقد .

وكثيراً ما كان يدعوني لقضاء ايام في ضيافته ببريتانيا ، ولما ذهبت اليه مع ابنتي وصرفت اسبوعاً معه في جالية العلماء وعلى ظهر مركبه « اكسون » فهمت كيف تكون الضيافة الحقيقية . وفي اثناء اقامتي عنده لم نتناقش الا مرة واحدة في مسألة الاعصاب ، على ان مناقشتنا هذه كانت مختدمة امتدت الى ساعة متأخرة من الليل . وفي صباح اليوم التالي تصالحنا على زجاجة شمبانيا وأخذت لنا صورة تذكاراً للصلح الذي عقدناه . ووعدني بان يوافيني يوماً الى ديفونشير حيث اصطاف ، ولكنه لم يعين لي اليوم . وكنت صباح يوم في « بليمث هو » فرأيت شخصين غريبين يسلكان الطريق المؤدية الى المختبر . كانا لابيك وزوجته . فاسرعت اليهما وابديت لهما اغتباطي برؤيتهما قائلا : « ما كنت لاعتقد انكما

ستجيثان » فقال لابيك عاتباً : « اراك لا تصدق كلمة مما اقول . » وهكذا حلا بضيافتي في ايفيريدج . وعشية عودتها ذهبنا في المركب الى « بليمث صند » فشربنا زجاجة شمبانيا تكريماً للاتفاق الودي .

كان لابيك عضواً في اكاديمية العلوم ، والغريب انه لم يكن عضواً في فرع الفيزيولوجيا بل في فرع الاقتصاد الزراعي . وكثيراً ما كان يذكر ذلك ضاحكاً .. وكان الى ذلك عضواً في لجنة جمعية الامم التي تهتم بالشؤون الغذائية . وكان يحب فرنسا ، بل يعبدها . وقد قال لي يوماً انه عندما يسمع صداح الابواق النحاسية يشعر بدافع شديد يدفعه الى السير .

هذه اللمحة قد تكوّن فكرة عن الرجل الذي يقلق اصدقاؤه عليه في هذه الاونة . واني لاتساءل هل اراه مرة اخرى في «بليمث هو » او في باوباز لانيك ؟ ومهما يكن فلن يجيء على ظهر مركبه الحبيب « اكسون » فسجانوه ، ساهرون عليه .

شارل موغن

(٥)

بقلم السر لورنس براغ

وكتب السر لورنس براغ عن البروفسور موغن ما يلي :

احدث نبأ اعتقال الالمان شارل موغن وستة آخرين من كبار العلماء استياء عظيماً في نفوس العدد الكبير من الاصدقاء والمعجبين في هذه البلاد . فموغن هو في الرعيل الاول من علماء فرنسا الذين اعتمدوا الاساليب الجديدة لدرس تركيب الزجاج باشعة اكس . وكان كتابه « تركيب الزجاج بواسطة اشعة اكس » الذي صدر في العام ١٩٢٤ اول كتاب باللغة الفرنسية في هذا الموضوع وكان له تأثير كبير في اذاعة هذه المعارف .

وموغن صديق كبير لانكلترا . وكان يحتل في اجتماعاتنا العلمية محلاً موفور الكرامة والتقدير . وجميع العلماء الذين كانوا يزورون باريس كانوا يغتبطون مسبقاً بالفرصة التي ستتيح لهم مباحثة موغن . فرقة شعوره واهتمامه الكبير باشغال اصدقائه حبباه الى جميع القلوب . واليوم حين نفكر في امثال المظلمة التي انزلت بهذا العالم الكبير نقيس مدى الخطر الذي يهدد الفضيلة ونجاهد للقضاء عليه .

جانه فيلي

(٦)

بقلم البروفسور اندره لابارت

وكتب البروفسور اندره لابارت عن البروفسور جان فيلي ما يلي :

منذ الحرب الكبرى الماضية تخصص جان فيلي ، استاذ الميكانيك الفيزيكي في معهد العلوم بباريس والاختصاصي في مسائل الترموديناميك المطبقة على المكنات . لقد تخصص لمسائل الميكانيك المطبق التي تسمح فيها معارف الفيزيكي بتنوير وجهة نظر المهندسين التقنية .

كان فيلي معاوناً لكاكو ومديراً تقنياً للمؤسسة الجوية الفرنسية ، فبث حياة جديدة في الابحاث التطبيقية بمضاعفته الاعانات المالية لمختبرات المعاهد مما افسح السبيل الى تجديد اجهزة مختلف الدوائر ومكّن عدداً كبيراً من العلماء من مواصلة اعمالهم في ظروف مرضية .

خلال حرب ١٩١٤ اصيب جان فيلي بجراح بليغة في معركة المارن . وعلى اثر تسريحه من الخدمة العسكرية تخصص لتنظيم الابحاث العلمية وهي في نظره احد العناصر التي لا غنى عنها لسلامة الوطن واستقلاله . فاعتقال هذا الوطني الكبير القلب الذي لم يسبق له يوماً خوض المنازعات السياسية دليل على مقدار رغبة الالمان في الاساءة الى العلماء الفرنسيين الذين لم يرتكبوا الا خطيئة واحدة وهي محافظتهم على الوفاء لتقاليد المثقفين الفرنسيين .

◆

(1) Paul Langevin par Sir William Bragg
(2) Aimé Cotton par J.G. Crowther
(3) Emile Borel par le Professeur G.H. Hardy F.R.S
(4) Louis Lapicque par le Professeur A.V. Hill
(5) Charles Mauguin par Sir Lawrence Bragg
(6) Jean Villey Par André Labarthe .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخلافة ونظرية الدولة في الاسلام

◆

من الامور المسلم بها نظرياً ، والتي يؤيدها الواقع ، او يقتضيها ما يسميه ابن خلدون بـ « طبيعة العمران » انه لا بد لكل جماعة من الناس (اوامة) مهما كان معتقد هؤلاء الجماعة او دينهم ، ومهما كان جنسهم او لغتهم ، من حكومة تباشر شؤونهم وتضبط الامور فيهم . قد تختلف اشكال الحكومة واوصافها ، وقد يتنازع اهل الرأي او (الغرض) في الاصلح منها ، فبعضهم يريدها مطلقة والاخرون مقيدة ، وبعضهم يفضلها فردية والاخرون جمهورية ، لكن لا تكاد تجد احداً ينازع في ان امة ما ، لا بد لها من حكومة ما . حتى بعض المعتزلة والخوارج الذين ذهبوا الى « عدم وجوب نصب الامام او الخليفة » قالوا في تبريرها ما ذهبوا اليه ان الواجب هو إمضاء احكام الشرع ، فاذا تواطأت الامة على العدل وتنفيذ احكام الله ، لم يحتج الى امام او خليفة ، ولا يجب نصبه . » فهؤلاء اما كانوا نظريين الى ابعد من حد ، واما انهم كانوا ذوي نزعة جمهورية غير واضحة المعالم والحدود . ولست اراهم ينفون الحكومة على اطلاقها ، ولعلهم لم ينفوا منها الا شكلها الفردي . على انه لم يصل الينا من مذاهب الخوارج والمعتزلة الا اليسير ، ولم يصل الينا هذا اليسير الا في ردود اخصامهم .

في القرآن الكريم آيات في معنى الحكم والتكليف به : « وانزلنا اليك الكتاب بالحق ، مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، فاحكم بينهم بما انزل الله ، ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق . .

« وأن احكم بينهم بما انزل الله ، ولا تتبع اهواءهم ، واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك .

« أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد مارست الامم الاسلامية ، خلال قرون من التاريخ ، نوعاً من الحكومة سمي بالخلافة . والخلافة عند اكثر فقهاء المسلمين « عبارة عن خلافة شخص من الاشخاص للرسول عليه السلام ، في اقامة القوانين الشرعية ، وحفظ حوزة الملة على وجه يجب اتباعه على كافة الامة . » وقد اوجز ذلك كله الماوردي من أئمة القرن الخامس الهجري في كتابه « الاحكام السلطانية » قال : « هي خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا . »

اما تسمية الشخص بالخليفة ، فلانه يخلف النبي في امته ، فيقال خليفة رسول الله . لكن سماه بعضهم خليفة الله ، فنهى عن ذلك جمهور الفقهاء ، وقال الماوردي : (انهم نسبوا قائله الى الفجور ، اذ انما يستخلف من يغيب او يموت ، والله لا يغيب ولا يموت . وقد دعي ابو بكر الصديق اول الخلفاء بـ « يا خليفة الله . » فقال : لست خليفة الله ، ولكني خليفة رسول الله .)

على ان هذا لم يمنع كثيراً من العامة الجاهلين ، ونفراً من الخاصة المترفين ، في العصور الاسلامية المظلمة ، من القول بان الخليفة يستمد سلطانه من سلطان الله ، وقوته من قوته ، حتى جعلوا الخليفة ظل الله على الارض . فقال شاعرهم :

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار

وقال فقيههم : (جعلته عراضة لحضرة من خصه الله تعالى بالسلطة الابدية ، وايده بالدولة السرمدية ، ظل الله في الارضين . . المؤيد بالتأييد والنصر الرباني . . الخ)

لكن المذهب الذي عليه الاجماع هو ان الخليفة يستمد سلطانه من الامة ، فهى مصدر قوته ، وهي التي تختاره لهـذا المقام . وبقول العلامة الكاساني مقارناً بين الخلافة والوكالة ما نصه : « وكل ما يخرج به الوكيل عن الوكالة يخرج بـه القاضي غن القضاء .. لا يختلفان الا في شيء واحد ، وهو ان الموكل اذا مات او خلع ينعزل الوكيل ، والخليفة اذامات او خلع لا تنعزل قضاته وولاته . »

وان مثل هذا الخلاف بين المسلمين في مصدر سلطان الخليفة ، قد ظهر بين الاوربيين ، وكان له اثر كبير في تطور التاريخ السياسي . فالرأي الاول يقارب مذهب الفيلسوف الانكليزي هوبز القائل بان سلطان الملوك مقدس وحقهم سماوي الهي ، والرأي الاخر يشبه ما اشتهر به مذهب الفيلسرف لوك . ولقـد ظل العالم الغربي يرتقب حتى سنة ١٧٨٧ وهي السنة التي اعلن فيها مؤتمر فلادلفي دستوره الاميركي ، ولا سيما سنة ١٧٨٩ وهي السنة التي بدأت فيها احداث الثورة الفرنسية الكبرى ، كي يستبدل بنظريته القديمة في الحكومة او الدولة ، نظرية احدث عهـداً واكثر مؤآمة ومقتضيات العصر .

في القرنين السابع عشر والثامن عشر كان السلطان في فرنسا الملك ، وكان سلطانه ضرباً من ضروب الملكية ، يتصرف فيه كما يتصرف بمقتنياته . وكان حقه في الدولة حقاً مطلقاً ككل ملكية ، لا رادع ولا وازع . فجاء « اعلان الحقوق » عام ١٧٨٩ ينص على (ان كل سلطان يصدر اساساً غن الامة .. وان هذا السلطان واحد لا يتجزء ، ولا يصح التنازل عنه ، ولا يبطل بمرور الزمن .. لانه ملك الامة) فالامة مصدر كل قوة ، وقوام كل سلطان . وليست الدولة بالنتيجة سوى الامة منظمة — منظمة وفقاً لشريعة ما ، ليس يعلو عليها ، او يخرق حرمتها ، لا الافراد الذين تتألف الامة باجتماعهم ، ولا الدولة او الشخص المعنوي الذي يمارس سلطة الامـة لحفظ تلك الشريعة . وان هذه النظرية ، نظرية الشخص المعنوي ، احد الاسس التي يقوم عليها النظام القانوني في العالم الحديث ، سواء في علاقات الافراد بعضهم ببعض ، ام في علاقات الافراد بالسلطات العامة التي تمثلهم ، ام في علاقات الدول فيما بينها .

ولسنا نزعم مع ذلك ان فقهاء المسلمين الذين بحثوا اصول الحكم ، وردوا مصدر كل سلطان الى الامة ، وتكلموا عن الجماعة ، وذكروا الاختيار والشورى وهلم جرا .. قد استقام عندهم ، واتضح لديهم ، ذلك المبدأ الفلسفي والقانوني في الامة كشخص معنوي . قال الرازي في التعريف بالخلافة « ان الرئاسة هي حق الامة التي لها ان تعزل الامام والخليفة » فجاء السيد التفتازاني محاولا تفسير معنى الرئاسة والرد على من يسأل هذا السؤال . اذا كانت الرئاسة للامة فمن المرؤس؟ فقال (ان الامة هم اهل الحل والعقد ، ورئاستهم تكون على من عداهم .) وهكذا اصبحت الامة عند التفتازاني جزءاً من الامة يختلف عدده ، لا الامة مجتمعة ومنظمة وفقاً لشريعة ما ، في وحدة لا تتجزأ كالسلطان الذي يصدر عنها . وان في هذه الكلمة الجامعة « الرئاسة للامة » اشارة صريحة الى المبدأ الديمقراطي الذي اقره الفقه الاسلامي العام كما اسلفنا بيانه ومارسه المجتمع الاسلامي في اول عهده ، على اساليب وطرق خاصة بالازمنة الغابرة .. ونرجح ان ما يلحظ من خلل في رأي فقهاء المسلمين هو نتيجة مباشرة لفقدان ذلك الاساس الفلسفي في فقههم ، نعني نظرية الشخص المعنوي في القانون المدني والقانون العام على السواء . ولولا ذلك لما اجاب السيد التفتازاني على سؤال : « اذا كانت الرئاسة للامة فمن المرؤس؟ » بما يبطل القاعدة المقررة . ففي نظرية الشخص المعنوي حل ذلك الاشكال . لكن قد يكون من التعنت مطالبة الفقه السياسي الاسلامي بما لم يبلغه الفقه السياسي باوربة الا في عصرنا الحديث .

(اعتمد في كتابة هذا البحث الموجز على المراجع التالية : الاسلام واصول الحكم لعلي عبد الرازق - الاسلام والخلافة لمحمد رشيد رضا — الاحكام السلطانية للماوردي .)

« الفخري »

عرق اخضر

◆

لوّنت احلامي باغفـاءة ... الظل على جفن العناقيد
ورحت في فيئك مغرورقاً ... بعطفـة المبسم والجيد
من ناعم العشب وساد لنـا ... تظـله خضر الاماليد
نحسو قوارير الهوى ، والمنى ... مخضـلة الاوراق والعود
والحب يجري بين أحداقنـا ... فلك على موج الاناشيد

* * *

انا واياك اخضرار المنى ... يحنو علينـا كل املود
وسكرة الظل وغفو الربى ... على مـدى بالوهج ممدود
ويقظـة النهر على موجـة ... الصحو ، وافواج الزغاريد
يعشقنا الورد ، ويشدو بنـا ... العطر ، ويغفو رجع تغريـد

* * *

يا ثورة ملء انطلاق الهوى ... افدى بريق الاعين السود
انت انفعال احمر في فمي ... وخفقـة رعناء في عودي
بل انت في جفن الدجى شهقة ... الصبح ، والوان الاغاريد

* * *

انا ارتماء في ظلال الرؤى ... على لهاث في فم الغيد
اقتطف الاطياب مخمورة ... من فم سمراء اللمى رود

* * *

ظلّى على ينبوع حبي فما ... زال سخيّ الدفق والجود

دمشق — احمد شكري سالم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاهداف الناحية العقلية في التربية اللبنانية

بقلم منير النصولي

يعتقد Thamin ان التربية حتى الناحية العقلية منها تتطلب اتخاذ مذهب فلسفي ، لان غايتها تستهدف نظرة خاصة في الحياة تنحو نحوها . فني اي الاتجاهات يجب ان نوجه الناحية العقلية في التربية اللبنانية ؟ قبل ان ننهج هذا السبيل لنتطلع الى الاهداف التي اختططناها لانفسنا ، بعد ان نلقي نظرة على تاريخ هذه القضية الهامة في سبيل انشاء امة، عزيزةالنفس، موفورة الجانب .

لمحة تاريخية

كان فلاسفة اليونان يبتغون في تربيتهم العقلية الوصول الى الحكمة ، اي الفضيلة ، وسقراط لم يكن ليجد هذه الفضيلة الا في متن العلوم وقد اتخذ الطريقة الاستقرائية لادراك هدفه . بيد ان رابله علق اهمية كبرى على جميع علوم هذا الكون واراد ان يجعل من تلميذه معلمة صغيرة . الى ان جاء مونتين من بعده مستنداً الى قواعد سيكلوجية فحارب حشو الذاكرة،ولجأ الى فعاليةالفكر لشحذ قوة المحاكمة والفهم ، وذلك بتنمية الحواس كالادراك والمخيلة ، والانتباه وغيره ... والطريقة المثلى عنده هي المحاضرة (اي المناظرة حسب قولنا الشائع اليوم) : فلو تعلم الولد حسن الجدل لتوصل الى اكتشاف الحقيقة . يقول باسكال مفاخراً « ان قيمة المرء في تفكيره ؟ »

هوذا ديكارت يبشر بالفكر الناقد ، فيضع اسس مذهب «كارتيزي» يتصف به كل فرنسي في حدة ذكائه بنقده القضايا نقداً علمياً مبنياً على قواعد المنطق الصحيح ، فيكون شخصيات مستقلة واعية

ثم يقوم روسو وبيده مشعل التربية الحديثة ، مبشراً بمذهب جديد يطلق للفرد حريته ، فينمو نموه ، وتتفتح مواهبه كما تتفتح الازهار عن اكمامها في حضن الطبيعة . ها هو يشق الطريق امام علماء التربية ويفتح الباب على مصراعيه كما يقول جون دوي في مقدمته « مدارس الغد » لمتابعة المهمة التربوية التي تقوم على مبادىء فلسفة القرن الثامن عشر ، فتجري التجارب العديدة ، ويكتب لهذا الحدث الجديد النجاح الذي يستحقه .

نزعة المذهب الجديد

ولكن لم يقم مذهب من المذاهب الا وتطلب اتباعاً يوضحون قضاياه من جهة ، ويدافعون عنه امام الاحزاب المعارضة من جهة أخرى ، شأنه شأن تلك الاختراعات العديدة التي لربما حفظاً للتقاليد او لاسباب اقتصادية وجد من يحط من قيمتها ويضع العراقيل في سبيل رواجها الى ان تفرض نفسها فرضاً . فما رأيك في النظريات التربوية التي تود انتتعهدالنشىء الجديد فتنتزعه من احضان الجيل الماضي وتسير به على اعتقاد منها في سبيل أصلح يؤدي الى اسعاده برفعها مستوى مداركه .

ولا شك في ان التناسق والاتزان في المواهب العقلية أشبه بتناسق واتزان القوى الطبيعية ، التي تعمل عملها بنظام ودقة لا يعتورهما الخلل من اجل هذا وجب علينا ان نستند الى قاعدة مثلى وهي الا نعتني بموهبة منفصلة بل علينا ان نتعهد جميع المواهب العقلية معاً .

ولقد قال وليم جيمس احد أتباع المذهب الجديد « ان جميع جهود الفرد ناشئة عن فعالية جميع قابلياته كلها ، فأية قابلية واحدة لا تقدر على انجاز عمل وحدها . ولو تفحصنا العمل الذي نعتقد انه منتوج قابلية واحدة لوجدنا بسهولة اثر الرغبة والارادة والشعور فيه » : بينما يزعم جيمس ان العمل الذي تؤدي اليه الفكرة انما هو البرهان القاطع على صحتها ، يخرج ديوي بنظريته من ان الاصل في الفكر او العقل ليس المعرفة فليس العقل للمعرفة وانما اداة للحياة .

هذه هي نزعة المذهب الجديد تحدد هدفها بجلاء فترجع الى علم الاجتماع في ذلك بينما هي تطلب الى علم النفس ان يعطينا الوسائل اللازمة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالحياة تطلب علوماً تستعين بها على اداء رسالتها الاجتماعية فتستخدم العقل لمقدرة رئيسية في مهن الكيمياء والرياضيات والطبيعيات ، والمنطق واعمال الحكومة ، والفقه

وفي شكله المحلل تستخدمه في الكيمياء وعلم وظائف الاعضاء . واما في شكله المركب فتطلبه اصدار الاحكام السريعة ، بينما في شكله المحلل والمركب تتطلبة الكهرباء والمغنطيس ورسم الخرائط . يتبين واضحاً مما سبق ان الناحية العقلية في تربيتنا توجه توجيهاً علمياً في سبيل حياة نامية تستمر في التقدم للوصول الى حياة ارغد منها ، تلك الحياة الرغدة المنظمة والمهارات التي تمهد لنا سبل النجاح في اعمالنا .

ماهية نزعة التربية اللبنانية

ان التربية العقلية في لبنان لم تتخذ شكلا علمياً ، منطبقاً على تناسق وتزايد في مواهبها فالخيال عندنا واسع الافاق حتى انه ابى ان يستقر كما قال الاستاذ مارون عبود في اسبوع الثقافة فكانت مدرسة شعر جديدة الهمها ازرقاق البحر ، واخضرار الارز ، وابيضاض الثلج واحمرار الشفق ووحي الغسق والموسيقى البعيدة القرار .

قوة الخيال ، تملك علينا تفكيرنا الصحيح ، فتحملنا بعيداً عن الحقيقة الراهنة ، فاذا نحن في عهد اشبه بالعهد الرومنطيقي كلما حاولنا التملص منه جذبنا اليه مستفيداً من ضعف في مقدرة العقل على اختلاف اشكاله كما ذكرنا .

لقد اشار الى هذا الضعف الدكتور قسطنطين زريق في «وعيه القومي» حيث يقول :

« ان النقص الذي أعني هو ضآلة ثقافتنا العلمية ، هو الفقر العلمي الذي يظهر جلياً في حياتنا الفكرية الحاضرة . وأعني بالعلم تلك الابحاث المنظمة في المواضيع المتعلقة بالطبيعة وبحياة الانسان فرداً ومجموعاً ، أي ما اعتدنا ان نشير اليه بقولنا : العلوم الطبيعية ، والرياضية ، والاجتماعية الخ . . . فبينما نرانا ننصب على المواضيع الادبية ونبادر الى معالجتها وتحبير المقالات الطويلة فيها ، تجدنا من جهة اخرى لا نمس الابحاث العلمية الا بمقدار ضئيل ونهملها اهمالا يدعو الى الاسف ويبعث على القلق » .

ثم يكتفي بالاشارة الى ثلاث مظاهر من مظاهر تفكيرنا تدل على فقر علمي في حياتنا العقلية : مجلاتنا وجرائدنا ، الكتب والمؤلفات ، محاولتنا بعث ثقافتنا الماضية واستخراج تراث اسلافنا لنبني على اساسه الثقافة الجديدة .

اننا بشهادتي استاذين قديرين خبرا حياتنا الثقافية نثبت ما تقدم بعدما اعترف الاول اعترافاً ضمنياً بضعف تربيتنا العقلية واظهر الثاني ذلك صراحة ، آسفاً لما نحن عليه .

الحل الحكيم في توجيه تربيتنا العقلية

يتضح لنا مما سبق اننا بحاجة قصوى الى المعرفة ، هذه المعرفة التي تقودنا الى الحقيقة الراهنة ، فنفكر تفكيراً هادئاً صحيحاً في حل قضايانا الاجتماعية فنتوصل هكذا الى حياة ارغد مما نحن عليه الان .

فيجب والحالة هذه ان نسعى في مدارسنا لتحسين وتقوية التفكير العلمي سواء أكان ذلك للتوصل الى الآراء والمعاني القيمة أم لتطبيق الافكار على وجه صحيح . فنخفف من حدة ذلك الخيال الجامح ، وقوة العاطفة التي تملك علينا مشاعرنا . يقول ارنست رينان :

« منشأ التعصب هو العاطفة التي لم يهذبها العقل والتي تنطلق فرّارة جامحة لا وازع لها من ارادة او تفكير » فاذا ما قضينا عن طريق هذه التربية العقلية حتى على التعصب الاعمى فاننا لا نضعف في ذلك الايمان الصادق » ان قلة من المعرفة كما يقول باكون ، قد تسوق الى الكفر والالحاد ، ولكن كثرة من الفلسفة الطبيعية والخوض في اعماقها تهدي العقول والافهام الى الدين » .

ها هي التربية العقلية اللبنانية تقود الى الاستقلال الشخصي والاجتماعي ، فتهيئنا لبحث اهدافنا القومية على ضوء من الحقيقة . ان الشعب يكون اهلا لحكم نفسه بنفسه ، وجديراً ان يعيش حراً ، اذا كانت التربية التي يتلقاها صحيحة متينة .

منير المصولي

شفيق معلوف

بقلم الياس ابو شبكة

حديثي

في شفيق او في شعره واحد ، فما فرغ شفيق من شعره ولا فرغ شعره منه ، فهو مرآة لشعره وشعره مرآة له ، وكثيراً ما « يغتلي ارتيابي » في هذا الشعر حتى « تتقرى » فيه عيناي صورة شفيق بلحمه ودمه : فتلك السمرة الحادقة — تتداخلها روعة الخيال المبثوث في كل قسمة من قسمات وجهه حتى اذا انشق فمه عن ابتسامة عفى ما فيها من ضوء الجاذب وحلاوته على ما في هذه القسمات من الاخيلة القاتمة او افرغا في اطيب مزيج من الضوء والظل — كتلك المخيلة المحلولكة تموج بواكب طيوف واشباح مآتم الى اعراس جن وفراديس احلام .

وما أعرف شاعراً سُكب شعره فيه وسكب في شعره كشفيق معلوف ، فلاحدى وعشرين سنة خلت — وهو يعد في السابعة عشرة من عمره وانا في الثامنة عشرة — كنت اقرأ له شعراً ولا اعرف له وجهاً ، وكان شعره على حداثة نشئه يجري على عرق من الصدق حتى كأن ارماق نفسه تجمعت فيه . وفي يوم من ايام الربيع فيما انا ارفه النفس على ضفة نهر الكلب جاورت فتى في سحرة الشباب يرتفع بصره الى مشارف الوادي وينخفض الى مدى ما بين الجبلين ولا يسلخه عن هذا وتلك الا ليقتطف نظرة مما خلفه الازميل الفينيقي على حواشي الجبل . واني لاعرض مسح الذكاء على تلك السمرة الجذابة فاذا بذاكرتي تنصرف الى مقاطع من الشعر قرأتها لعهد قريب ، ولا ادري اي شعور وجداني اوحى الي ان هذا الشعر من هذا المنجم فآليت ألا اباعد ما بيني وبينه حتى اتثبت مما تداخل ذهني ، ولم تتوافر لي في ذلك الا وسيلة واحدة وهي ان الفظ اسمه عالياً فاذا اقبل علي والا انكفأت بخطائي ، ففعلت فاقبل فعرفت نفسي له . وهكذا عرفت شفيقاً من طريق التفرس فيه على ضوء شعره .

ومن ذلك الحين لم افرغه من مودتي ولم يفرغني منها ، وكثيراً ما كنا نجتمع على ضفة البردوني في زحلة فلا افرق بين حديثه وصمته وما يشيع فيه نفسه ويقلب به لسانه فكلاهما واحد هو الشعر . وفي صيف العام ١٩٢٤ ضمتنا ليلاغرفة واحدة فاقبل علي بسباعيات يتكىء فيها على دنيا من « الاحلام » وهي وان لم توف على الغاية من اداء مطالب الشعر كما نريده ويريده هو اليوم الا انها كانت امتن سلم الى « عبقر » وبين « الاحلام » و « عبقر » شبه كذلك الاثر الباقي على سيماء الكهل من الطفل .

وفي هذا دليل على الطبع الصادق في شعر شفيق معلوف ، فهو لا ينزل كلمة الا جرت بها سجيته ، ولا يرسل قافية ان اتصل لنفسه حس بها .

والشعر شفيق غزية اللغة ، فهي مطبوعة في نفسه كالشاعرية نفسها لا يجهد في تسويتها كما لا يجهد في تسوية المعنى ، فقد استقام طبعه بهما جميعاً حتى لو تكلف ان يجيئك بالمسترخي من الكلام لما استطاع .

لو كان ما في السماء يلتهم ... لما ارتوى منه قلبه النهم
يود والنيرات فائضة ... لو ان جفنيه تحتهن فم
ويشتهي والرجوم هاوية ... لو كان منها لروحه لقم
لا يأتلي يرمق السماء فهل ... ضاع له في طباقها حلم
ام شام فوق النجوم آلهة ... فضه ان يعيش تحتهم

في هذه الابيات الخمسة خمس صور تشعر بقوة بيانها وتطرب لقرار موسيقاها وتخشع في آن واحد لما تسلكه فيك من معنى جليل ولون رائع . ويمتاز قرار النغم في بيت شفيق باستبطانه فكرة او صورة ، ويمتاز البيت كله بثلاث : الموسيقى والصورة والفكرة ، في قوله :

ويشتهي والرجوم هاوية ... لو كان منها لروحه لقم

مشهد الشاعر امام تراجم النجوم في الليل ، وقد آمله ان يطعم من خفيف ما يطعم الدهماء من الناس فاشتهى لو كانت كل

نجمة لقمة من النور يستعين بها على تغذية روحه الطامحة الى النور الاعظم الشاعرة بفراغ لا يسده الا القوى الكامنة في عناصر الطبيعة .

ويمتاز بيت شفيق ايضاً بانه لا ينتهي الى القافيـة المألوفة في الضروب الحقيرة من الشعر ، اي الى قافية لا مناص منها لتكميل معنى البيت وكثيراً ما يحزرها السامع ، بل يجيئك في آخر هذا البيت بمثل ما يجيئك به المغني في قرار لم تألفـه اذنك في الشائع المبتذل من النغم . فاللقم في هذا البيت مثلا ليست بمـا يسمى « تحصيل حاصل » بل هي صورة او فكرة تتصل باحرفهـا كل اعراق البيت كما تتصل اعراق الجسم بالدماغ . كما ان الفم في قوله :

يود والثبرات فاغضة لو ان جفنيه تحتهن فم

صورة وفكرة في آن واحد ، فقد جعل انوار السماء غمراً طافحاً يفيض على الارض ، وتمنى ان تكون عينا الشاعر اللتان تنغمران بهذه الانوار فماً يبتلعها ، وبقافيتين جعل الرجوم والانوار طعاماً وشراباً للشاعر في موكب من الصور وغمرة من السماع .

ويمتاز شعر شفيق معلوف بثقافة وفن لا يكلف فيه ولا يعمل حتى كأن الفكرة تصطفي الفن من تلقائها ، فاسمعه يقول في وصف قصر الحمراء بغرناطة :

تالله قصر الحمراء لا برحت ترويك منا المدامع الحمر
انت على الشرق عبرة بقيت من مقلة الغرب كلما عبرت

فأية صورة فنية رسمت خطوطها باصبغة من الدم اروع من هذه يقطعها الشاعر من عينه وقلبه . وهل اتيح لشاعر يتعمل الصورة ان يلون بقطرات من الدم ويروي بدموع من القلب فتحس لزوجة هذا الدم وتسمع تساقط هذه الدموع؟ واية عين شرقية تنفتح على المجد الغابر فترى قصر غرناطة كأنه دمعة حمراء ما تزال عالقـة باهداب الغرب وهي آخر ما افنى الغرب على الشرق من دموع حسرة ولوعة . . . اية عين شرقية تنفتح على هذا كله ولا تنغلق مخجولة حالمة بكبرياء قوية في هيكل مضعوف ؟ واي لسان شرقي يتغنى مع الشاعر بمجد ما ابدع العرب في غرناطة ولا تكون غرناطة قرار هذا النغم ؟ .

ذلك مجد حضنته زمناً واغتاله فوق حضنك القدر
فكنت غرناطةً على فمه آخر ما قال وهو يحتضر

وفي هذه القصيدة ابيات لا تبرعها ابيات في قصيدة معاصرة . قال شفيق في مستهل قصيدته هذه :

كل الحضارات في بداءتها بدوٌ وفي اوج عزها حضر
تورق بين الرماح غرستها وفي ظلال السيوف تزدهر
. . . يا سائل البدو عن حضارتهم ينبيك عنها الصوان والحجر
فاستنبط اشبيليا وقرطبة تجبك تلك المعاهد الزهر
لهم حديث لدى طليطلة وعند غرناطة لهم خبر

وقال يصف السقوف المموهة والنقوش المحلاة في قصر الحمراء وقد خلفها الفن العربي مجراة على ابدع طراز غرة على جبين الغرب :

من فنهم رفهوك في برد جاءتيه السقوف والجدر
لم يخلموها عليك من خزف كلا ولا شاب اصلها مدر
لكنها من قلوبهم قطع ومن بقايا سيوفهم كسر

وقال ايضاً وقد خيل اليه انه يسمع عويلا ينبعث من ساحة الاسود في قصر الحمراء :

ما تلك جن في الدار عازفة ولا شكاة يبثها الشجر
لكن في ساحها صراخ دم ابر ابنائه به كفروا
. . . جسر الى الغرب مده نفر وهده عن جهالة نفر

وفي تقديري ان شعراً من هذا الطراز في الرجولة يجريه شاعر في صدر شبابه ينبىء بحدث عظيم في الادب العربي . ولكم يضأل في عيني ويدق — كلما قرأت شعراً من هذا النسيج — اولئك الذين لا يتكئون الا على البهرج والتزييف ولا يقعون في شعرهم الا على تزاويق من الكلام الرخو .

الياس ابو شبكة

توفيق يوسف عواد والقصة

بين صاحب « الاديب » ومؤلف « المعلم » صداقة ترجع الى عهد بعيد ، ولقد كانا بالامس ينبشان دفاترهما العتيقة ، فعثر الاستاذ البير اديب بين اوراقه على فقرات من مقال غير ناجز شرع بكتابته على اثر صدور «الصبي الاعرج وقصص اخرى» للاستاذ توفيق عواد (سنة ١٩٣٦) يتضمن ملاحظات واراء حول القصة في لبنان . وقد رأت « الاديب » لمناسبة نشر اقصوصة « المعلم » (صفحة ١٧) ان تخرج المقال المذكور من الدرج ، وتنشره هنا .

« الاديب »

◆

اصدر توفيق عواد سنة ١٩٣٦ « الصبي الاعرج » فاذا به يعنى بالقصة في لبنان ، وهي الناحية المهملة في ادبنا . فالقصة اللبنانية ضيقة على قدر الوسط الاجتماعي الضيق الذي نعيش فيه ، ولا يصح لها ان تتسع مخافة ان تشبه في وجوهها اية قصة من قصص اي بلد آخر .

ان القصة عندنا هي قصة القرية الضيقة الحدود عند كتف الجبل وتنتهي تحت قدميه في الوادي . فآفاق في الطبيعة شاسعة ، من تل ، الى سهل ، الى غاب ظليل ، الى نبع مترقرق ، الى عجوز شمطاء وعكازها ، الى موقد في الشتاء العاصف ، الى كتاب من مهاجر ، الى عودة ذلك المهاجر ، الى انتفاخ صدر فتاة طروب لعوب كانت تتلاقى عند العين بفتى طليع من صباح الفتيان ، الى رقص « الدبكة » و«قدح العرق» و «جرن الكبة» الى قرع الناقوس يوم عيد شفيع الكنيسة ، الى احد الشعانين الابيض النخيل ، الى اطفال يلعبون ، الى الكاهن الجليل والمختار اللبق والناطور اليقظان .

هذه هي نواحي القصة اللبنانية الصميمة ، تقطع انت حوادثها كما تقطع الجبل بسيارتك ذات «السلندرات» الثمانية من «الموديل» الحديث . فكيف يصح ان تساوي بينها وبين باريس الحمراء الملتهبة ، الغافية على جمرات الشهوة الباسمة ، ذات ملايين السكان ، وحوادثها ذات ملايين العدد ، جفنها ابداً مفتوح ، واليقظة فيها دائمة ، وما قصاصها سوى عابر طريق ؟ وكيف يصح ان تقابل بين قصاص هذه وتلك ؟

على انك حين تتعرف الى الجبل من وراء زجاج « البويك » تحجب السرعة الخاطفة دخائل القرية ، فلا ترى غير الجمال السريع في الاشجار المتشابكة والسهول التي تدور على نفسها . لكن توفيقاً لم يتعرف بعد الى السيارة والحمد لله ، فهو يقطع الجبل على قدميه ، فيتكشف أمامه ما خفي عنك من جمال متغلغل هنا وهنالك في اعماق قلب الطبيعة واعماق افئدة الناس . فاذا هو راح يصور الطبيعة ، جاءت ريشته بالوان حية صادقة ، فتنقل تلك الريشة البارعة ، العابس من ألوان الحياة والزاهي منها على اصلها ورونقها ، والعفاء بعد ذلك على « رتوش » اهل «الكاميرا» ! .

قلت ان القصة اللبنانية ضيقة على قدر الوسط الاجتماعي الضيق الذي نعيش فيه ، وقد عانى توفيق من هذا الضيق شيئاً بل اشياء لو عاناها امرؤ قليل ايمان النفس ، لاشاح بوجهه عن فن القصة .

وها انا اسرد لك قصة واحدة من قصص توفيق في القصة :

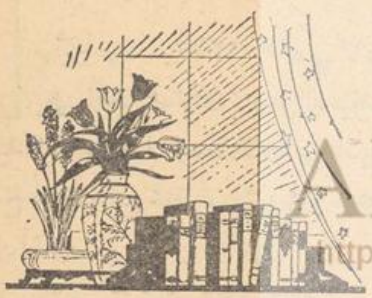
كان ذلك في سنة ١٩٣١ وكان توفيق يحرر في « النداء » ويحاول محاولاته الاولى في القصة اللبنانية ، وكنت أرقب تلك المحاولة واعجب لها كثيراً . ففي احد الايام نشر توفيق قصة عنوانها « المتوالية الحسناء » . وما مضى يومان على ظهور القصة حتى قامت لها الدنيا وقعدت ، فقد رأى فيها اخواننا الشيعيون ما لم يره سواهم ،

فانهالوا على «النداء» بسيل من البرقيات وعرائض الاحتجاج فضلا عن الوفود . ورأى توفيق ان يتدارك الامر بالتي هي احسن فاعلن في « النداء » «خبر اخراج المحررت ع . » من الجريدة،عقوبة له وقصاصاً . فهدأت العاصفه وارتاح اخواننا للحل ، واتخذ توفيق لنفسه من ذلك اليوم «حماداً» اسماً مستعاراً . ولقد سررت يومذاك لهذه الاحتجاجات واتخذت هذه «العناية » مقياساً لاهتمام الناس بتوفيق ، ومن يومذاك انقلبت نقمته وتحولت الى المجتمع بعد ان كانت وقفاً على «مسخ» ابطال قصصه واصبح بطل القصة عنده جسراً يعبره الى مهاجمة المجتمع واثارة حفيظة القارىء عليه .

اما طريقة توفيق في القصة فطريقة خاصة به . فهو لا يترك لهثة للقاري، . تراه يرى ويفكر ويستنتج ويروي لك كل ذلك ، فلا يبقي بارقة في خاطر لك ، ولا زاوية من فكر ، فكأنما انت مكره على رؤية ما يراه ، بالشكل الذي يراه ، وان تفكر كما يفكر ، وتستنتج ما استنتجه لك مقدماً ، حتى لتكاد تخسر شخصيتك وتفقدها امام انانية الاديب وصلفه . فهو في هذا النوع من القصة قد نهج النهج الذي سلكه « مارسيل بريفو » وامثاله والذي ينحصر في لباقة الحوادث وبراعة الرواية ، اذا وفق فيهما المؤلف نال من نفسية القارىء ما اراد دون عناء .

على ان لنهج توفيق ميزة ، ولطريقته فائدة في توجيه ذهن القارىء ، الذي لم يألف بعد التحليل والاستنتاج الشخصي في افق هذا البلد الضيق !!!

نبيه اديب



من الادارة

١ — ابتداء من الجزء الرابع رفع ثمن الجزء الى ٥٠ غ . ل . عوضاً عن ٤٠

٢ — يبقى بدل الاشتراك على حاله . ولا يقبل الا عن سنة كاملة بدؤها شهر كانون الثاني غير ان الادارة لا تتعهد بارسال الجزء الاول عن السنة الحالية لنفاد نسخه .

٣ — يدفع بدل الاشتراك مقدماً ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل .

٤ — كل المقالات والابحاث التي ترسل الى « الاديب » لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر

٥ — تكون جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة « الاديب » صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتمة المنشور في الصفحة ٨

وقال له : « ما هذه الرسالة السخيفة ؟ » فسأله الكاتب : « وما برهانك على سخافتها يا مولاي؟» فاجابه : « انها من البساطة بحيث فهمتها انا » فغاب الكاتب ساعة ثم عاد برسالة ثانية قرأها على السلطان فلم يفهم منها شيئاً ، فهتف معجباً : «لقد وفقت هذه المرة، انها لرسالة تليق بملك عظيم . » ويبدو ان ادبائنا لا يزالون يحسبون قراءهم على غرار هذا السلطان في زمن لم يبق الادب فيه وقفاً على السلاطين بل صار صرخة الشعوب ومجلى نضال الاحرار ، بل يبدو ان خداع الادباء لم يبق مقتصراً على القراء فصاروا يخادعون انفسهم عن حقيقتهم وحقيقة ما يكتبون .

صورتان تتصارعان في حياتنا الادبية ، واحدة اقتبسناها من الادب العربي القديم او من الجوانب الضعيفة في هذا الادب على الاصح ، تكبر من شأن الشاعر والناثر اذا احسن صياغة الكلام وعرف كيف يستخدمه لاكتساب الحظوة والمال . واخرى اقتبسناها من الادب الغربي الحديث او من الجوانب الضعيفة في هذا الادب على الاصح، تكبر من شأن الاديب كلما امعن في الشذوذ والتشاؤم والتحليق فوق الناس وحياة الناس .

وكل من هاتين الصورتين خاطئة مشوهة لامثل الاديب الحق ، ذلك الانسان الذي يعيش في مجتمع الناس ويعبر عما اوتي من شعور مرهف وموهبة رفيعة ، عن يأسهم وطموحهم ، عن آلامهم وفرحهم ، ويقودهم بما اوتي من رجاحة الرأي وبعد النظر الى آفاق الحياة السعيدة .

لكل امة ، في كل عصر ، ادب ينطبع بطابع حياتها الاجتماعية وحاجاتها الاقتصادية والمعضلات التي تعانيها وتحاول ان تجد لها حلا في مرحلة من مراحل تطورها . فالادب في عصر توماس مان لا يمكن ان يكون شبيهاً بالادب في عصر هومير ، والادب الذي ننتجه اليوم في مطالع نهضتنا لا يصح ان يكون مماثلا للادب الذي انتجه عصر العباسيين اذ مالت دولتهم الى الزوال .

نحن اليوم في عصر النضال الاجتماعي والثورة على الظلم والتطلع الى مستقبل سعيد حر ، قد نبذل من اجله دمائنا ، فمن الطبيعي ومن اللازم ، ان يعبر ادبنا عن كل هذا وان يقودنا الى الاهداف الصحيحة التي تستهدفها امة تريد الحياة .

لقد تطورت الدنيا وتغير اسلوب العيش ، وحلت معضلات جديدة محل المعضلات القديمة ، ودخلت الآلة في حياة الانسان ، وغدت صلة الفرد بالامة وصلة الامة بالامم على غير ما كان يعرف اجدادنا ويألفون . . ولا يزال اساتذة الادب يهتدون بهدي الجرجاني وابن قدامة ، ويوجهون الادباء الناشئين التوجيه الذي اقترحه أناس لم يعرفوا ما عرفنا ، ولا تألموا كما تألمنا ، ولا رأوا ما رأيناه من المتناقضات المعقدة المركبة . لقد تطورت الدنيا وتغير اسلوب العيش ، ولا يزال نتاجنا الادبي يوزن بموازين تمخض بها عصر بعيد عنا لا نعرفه ولا يشبه عصرنا بحال من الاحوال .

— وقد كان لقواعد النقد ، بما فيها من اضطراب وتناقض وبعد عن روح العصر ، اثر كبير في تصوير الادب على غير الصورة التي ينبغي ان تكون له في مجتمعنا وعصرنا ، فخدعت الجماهير عنه وخدعت الاديب عن حقيقته ، ومن ثم انفتحت الهوة التي تفصل اليوم بين الادباء والجماهير .

وليت شعري كيف يؤدي الناقدون الرسالة الصحيحة ، وموازينهم حائرة مضطربة متناقضة ؟ أعرف كتاباً خمسة تعلو اصواتهم في البلاد العربية على كل صوت ، وينتشر رأيهم اكثر من اي رأي ، فاذا اثنوا على فرد من الافراد صار في اعين الناشئة الساذجة مثالا يقتدى به ، واذا اطروا كتاباً غدا مثلا يحتذى ، واذا ادلوا برأي من الآراء في حدث من الاحداث او علة من العلل كان رأيهم القول الفصل والحكم الذي لا يرد . ونحن اذا سبرنا غور هؤلاء رأيناهم يختلفون في كل شيء ويتفقون في امرين : احدهما عدم شعورهم بالمسؤولية الملقاة على عواتقهم ، وثانيهما مخادعة الجيل الطالع لاستثمار مراكزهم وضمان سيادتهم :

هذا كاتب لا يعرف ولا يفهم ، ولا يصدر حكماً ، الا من خلال ما حفظ من ادب الاطلال الدوائر ، فهو لا يفتأ يجر الشباب السائر ليلوي عنقه الى الوراء ، ويرد القضايا الاجتماعية والاحداث السياسية الى النزوات الخلقية والنزعات الشخصية ويقيسها بمقاييس عتيقة وضعها مجتمع غابر لم يبلغ المدى الذي بلغه مجتمعنا الحاضر من التطور الفكري والمادي .

وهذا كاتب ينهب مؤلفات المستشرقين ويطلع بها علينا كأنها نتاج دراسته وخبرته ، وهو لا يحكم في امر من الامور الا مسترشداً برأي اجنبي مهما بلغ من المعرفة بلغتنا والاطلاع على حياتنا فهو غير مستطيع ان يتذوق أدبنا كما نتذوقه ، وأن يفهمه كما نفهمه ، او ان يدرك مدى ما بين القطعة الادبية التي يقرأها لاحد كتابنا وبين المجتمع الذي نعيش فيه من تجاوب او تنافر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا ثالث صدف منذ شبابه عن الادب العربي والتفكير العربي ، وانصرف الى قراءة المؤلفات الغربية ، فعاش – في الكتاب – على ضفاف السين والتاميز اكثر مما عاش على ضفاف بردى والعاصي ، وهو يريد منا ان نحاكي النتاج الغربي محاكاة مقلد فاقد الشخصية ، ويدعونا الى الاعراض عن مجتمعنا وما يثير صراعه في نفوسنا من المشاعر ، لكي نترسم خطى رمبو وادكار بو ، ونبحث مع بودلير عن اللذة في اعماق الالم .

وهذا كاتب مجدد لا يفتأ يصيح : « دعونا من قصائد المدح والهجاء والتهنئة والرثاء . » ولا يعرف صاحبنا ان جديده أضحى قديماً ، وانه وقف حيث سار الناس ، وان الدعوة الى هجر المواضيع القديمة يجب ان تصحبها دعوة الى مواضيع جديدة لاصقة بحياتنا مستمدة من همومنا ومطامحنا .

وهذا كاتب آخر لا يؤلف ولا يحاضر ولا ينقد الا بعد ان يلقي على نفسه امثال هذه الاسئلة : « كم اربح اذا أيدت هذا الرأي وكم أخسر اذا ناهضته ، من يرضي هذا المذهب او يسخط من الافراد والهيئات ؟ كم نسخة أبيع في المدرسة الفلانية اذا وضعت كتاباً عن ابي نواس ؟ لكن ابا نواس شاعر ماجن ، وقد لا يرضي كتابي فلاناً وفلاناً فلا يعنيان ببيعه كما عنيا بكتاب السنة الماضية . خير لي ان اؤلف كتاباً عن الشريف الرضي ، فهذا شاعر اخلاقي يرضى عنه المربون جميعاً وينصحون طلابهم بقراءته ، فضلاً عن أن الطائفة الشيعية ستشتري منه نسخاً عديدة . فلأضع اذن كتاباً عن الرضي ، وفي السنة الاتية اؤلف كتاباً ارضي به أهل السنة . » وبعد ان يجمع ويطرح ، يضع في ضوء هذه الارقام تصميمه عن الكتاب الذي «يجب» ان يكتبه ، او الرأي الذي «يجب» ان يذيعه ، او النقد الذي «يجب» ان يوجهه لمؤلف من المؤلفات الحديثة

هؤلاء خمسة من كبار الكتاب والنقاد في البلاد العربية ، لهم الصوت المسموع والنداء المستجاب والتأثير الشامل ، ولولا خشية الاطالة لعرضت لكم نماذج طريفة اخرى . فاين هم من الادب الخالق نقراه بروح ونخرج منه بروح ، الادب الذي تشيع الحياة في الفاظه ومعانيه فيغمر القارىء بفنه ، ويصله بالكون فيراه امامه بحقائقه وغوامضه مسطوراً نابضاً ، ويحيا به في ساعة واحدة حياة حافلة بالاحداث ؟

اين هؤلاء من الواجب الذي تصدوا له ، والرسالة التي أرادوا تأديتها او التي يزعمون انهم يؤدونها ؟ وما هو الاثر الذي يخلفونه في حياتنا الادبية وفي حياتنا الاجتماعية ؟ أتراهم يوجهون خطانا ويسيرون بنا الى الامام مع قافلة الانسانية السائرة ، ام انهم يضاعفون الفوضى وينشرون القلق ، ويعطلون موازين الاحكام ؟

لو كان خطر هؤلاء منحصراً في دائرة محدودة لكان امره يسيراً ، ولكن ادباءنا عافاهم الله ، متطوعون ، من اكبر كاتب فيهم الى أصغر متأدب ، في معالجة جميع المواضيع . ويكفي ان تستقيم لاحدهم لغة صحيحة وان يقرأ بضع قصائد وروايات ، حتى يملأ الدنيا ضجيجاً : يكتب في الادب ، ويكتب في السياسة ، ويكتب في الفلسفة والاقتصاد والاجتماع ، ويجادل في الحق وفي الباطل ، ولكي يبرهن على صحة رأيه في كارثة فرنسا ، او في تعاليم ماركس ، او في الازمة الاقتصادية ، يستشهد ببيت من الشعر قاله شاعر عربي في حرب البسوس منذ الف عام .

على الادباء والنقاد – وكل ادبائنا ناقدون اجتماعيون وسياسيون واقتصاديون وفلاسفة – على الادباء والنقاد ، ولاسيما الكبار منهم – ومن هو الصغير فيهم ؟ – ان يلموا بمبادىء العلوم الاجتماعية قبل ان يتصدوا لتوجيه المجتمع ، وقبل ان يغدقوا عليه فيضاً من الاحكام المطلقة والخواطر الغامضة . على الادباء ان يتثقفوا ثقافة صحيحة ، ليس قوامها الصرف والنحو والبيان والعروض ، بل فهم قوانين الطبيعة والتاريخ والمجتمع ، وتوجيه الناس في ضوء هذه القوانين .

ولو تم هذا لخلا نتاج الادباء الذين يتأثرهم الناشئون من تعابير مضحكة تملأه وتزخر فيه ، تعابير غيبية تصور معضلات المجتمع برموز الصوفيين ، وتحاول حل مشاكل العصر الحديث بمواعظ العصور البدائية الخالية او باوهام شاعر غربي مجنون !

ومتى صارت تعابيرنا واقعية مفهومة ، متى أدركنا معنى كل كلمة نكتبها ، متى فهمنا ما هو الشعب ، وما هي الدولة ، وما هي الاسباب الحقيقية التي تثير الجماعات على الجماعات والامم على الامم ، متى عرفنا كيف نرد النتائج الى المقدمات ونعرف من المقدمات نتائجها ، متى درسنا التاريخ في ضوء المادة ورأينا الطريق التي تنهجها البشرية في تطورها ، متى عرفنا كل هذا يشعر الادباء والناقدون منا بالمسؤولية الكبرى التي يحملون ، ويؤدون رسالتهم على وجهها الاكمل ، ويقومون بنبذ الدخيل وابقاء الاصيل ، وتمجيد الصالح في الادب وفي الحياة .

فدوى فلعجي

الطيف !!

لعبد الرحمن الخميسي

«نظمت هذه القصيدة في حالة من المرض الشديد الذي اشرف بي على الموت اصور فيها ليلة ليلاء كابدتها وانا بين ليل اليأس وصباح الرجاء ... وليس يسعني الان الا أن (اهدي الطيف) الى اخي الحبيب الشاعر الدكتور ابراهيم ناجي فقد قدر الله لي على يديه الشفاء.

◆

هدني الداء يا حبيبي وعانة ... ت وراء الهزال طيف المنيه
وتفجرت في صميمي اشوا ... قا الى خمرة الهوى القدسيه
فاسقنيها في قبلة تتغنى ... بحنيني على الشفاه شجيه
قبل ان تعصف المنون بعمري ... عصفة الريح بالزهور النديه
ثم امضى في ركبها خفقات ... صاعدات نحو السماء نقيه
فهي (١) زادي متى رجعت الى الله وحسبي من رحلتي الارضية

○

عربدت في جوانحي يا حبيبي ... لهفات على حياتي الشقيه
فاعتكار الضباب تحت سمائي ... حجب الصحو عن عيوني السخيه
واغتيال الاشواك في خطواتي ... قدمي .. حرم المسير عليه !
واختناق الرجاء في حلكة اليأ ... س ، إراق الدموع من اسوديه
واعتلاج الحرمان في صبواتي ... حبب القفر والسراب اليه
فسلخت الايام : وهي قشور ... كشفت عن معادني العلوية
وطرحت السنين : وهي قيود ... كبلت روحي بالدنى السفليه
في بوادي الحرمان ، في لهب الاشـ ... واق ، في السقم في جوى الشاعريه

○

اظلم الحزن في ساوة حسي ... واستبدت بي غربتي الروحيه
فتهاويت في خرائب قلبي ... فوق هول يمد كالابديه ،
نعب البوم في متاهته الجر ... داء يغري نعيبه جانبيه
ومشى الرعب في مسالك نفسي ... بعد ان غال اليأس كل رجيه
يأكل السلوى والعزاء ويذكى ... بين اطوائي ناره السقريه ،
فتهافت فوق اطلال امسي ... اندب الحب والاماني القصيه
واذا انت يا حبيبي لعيني ... قد تراءيت صورة قدسيه
وتمادیت في خيالي خيالا ... يوقظ العزم في قواي الخفيه
وتغلغلت في دمائي شباباً ... يتغنى بالبأس في اذنيه
واذا بي احس اني عتي ... جزم الموت والخطوب العتيه
فتمردت من جديد على الده ... ر وامسكت بالمنى في يديه
وتنكرت للزمان كما لو ... كنت ندا له رهيب الطويه
وتشبثت بالحياة ومزقـ ... ت الظلام الكثيف عن مقلتيه

(١) هي : اي القبلة

وزرعت الامال في حقل عمري ... فزهت فيه كالورود الشذيه
وترنمت بالاغاريد فرحي ... تملات بنشوتي الوهمية
وكأني – والداء ينهش اوصا ... لي – بريء من ازمتي الصدرية
وكأني – والحب ذهب احلا ... مي – رب عز وجه البريـه
ويدك الصعاب دكاً ويبني ... فوق انقاضها حياة فتية

○

ما دهاني ؟ وما يفتق اكما ... م ميولي الى الحياة البهية
ما عراني ؟ حتى تناسيت اوجا ... عي والقيت الغم عن كتفيه ؟
ما الذي زخرف الوجود امامي ؟ ... ما الذي بدل الحياة رضيه ؟
وكساها الجمال ثوباً قشيباً ... يبهر اللب والنهى والسجيه ؟
ما الذي بغض المنون (١) لذاتي ؟ ... فتمنيت عيشة سرمدية ،
ايها الطيف يا رسول حبيبي ... انت من اضرم الحرارة فيه ،
وحباني على الرزايا فؤادا ... حررته من ضعفه الحيويه ،
واراني محاسن الكون حتى ... كدت أهوى دمامة البشريه
ايها الطيف ، يا رسول حبيبي ... واسقني من كؤوسك الوهمية :
خمرة الحب والشباب ودعني ... اتفيأ ظلالك العطريه
فهجير الزمان حرق اقدا ... مي وغشى غبارة ناظريه
ايها الطيف ، ايها الطيف ، مهلا، ... اين تمضي عن سجدتي النسكيه ؟
ويلتا ، اين انت مني ؟ توارت ... عن عيوني سماتك النوريه ،

○

واذا بي في مخدع يذهب الصمـ ... ـت مداه خمب الاسى جانبيه
اتلاشى في حسرتي ، ودموعي ... عقدتها الانزاح في عينيه
والظلام المريد يخطف آما ... لي ويبقى النواح في شفتيه
وانين الاشباح يملأ اغوا ... ري خوفاً ورهبة ابديه
واحتدام المواجس السودفي رأ ... سي هوى بي في هوة نارية
اوقدتها الاقدار لي ولاضرا ... بي من المنكوبين بالشاعريه
واذا الفجر قد اطل بموسيـ ... ـقاه يهدي طيوبه السحريه
والارانين حول اشجاره تـ ... ـمري رقاقاً من العشاش الهنيه
واذا النور قد تساقط كالدر – خلال النوافذ الشرقيه
واذا بي صحوت من سكراتي ... وجنتي تشرب الدموع العصيه
واذا الكون يستفيق مع الطيـ ... ـر ويشدو مع الحياة الرضيه
وانا هامد على الارض أسوا ... ن اغني من لوعتي اغنيـه :
« هدني الداء يا حبيبي وعانة ... ت وراء الهزال طيف المنيه »
« وتفجرت من صميمي اشوا ... قاً الى خمرة الهوى القدسيه »
« فاسقنيها في قبلة تتغنى ... بحنيني على الشفاه شجيه »
« قبل ان تعصف المنون بعمري ... عصفة الريح بالزهور النديه »
« ثم امضي في ركبها خفقات ... صاعدات نحو السماء نقيه »
« فهي زادي متى رجعت الى الله وحسبي من رحلتي الارضيه »

القاهرة – عبد الرحمن الخميسي

---

(١) قبل ان اسجل خواطر هذه القصيدة نظمت ملحمة (فجر الموت) نشرت نشيدها الاول (اشواق) في المقتطف والثقافة وفي الملحمة اشواق للموت ما كنت احسبها تنطفىء

المفكرة الريفية لاميه نخلة

في تاريخ الادب خلاف قديم لم يفصل فيه حتى اليوم . فقد قال فريق من المؤرخين ان الادب ينهض في عصور الشدة والاضطراب ، وقال فريق آخر انه بالضد ينهض في عصور الدعة واللين .

وبين ايدينا الان هذا الكتاب الجديد الذي اصدره الاستاذ نخلة احد امراء الادب العربي في العصر الحاضر ، فنحن لا يقع نظرنا على صفحاته الاولى حتى نذكر قضية ذلك الخلاف ، وحتى يخطر لنا ان الرأي في القضية هو على الارجح في جانب مؤرخي الادب الذين يقولون بنهوض الاداب في ايام الشدائد لا في ايام الرخاء .

ومهما يكن من الامر ، فان صدور (المفكرة الريفية) في ايام الحرب – هذا الكتاب الذي يعد يوم صدوره في تاريخ الادب العربي يوماً له ما بعده عند كتاب العربية وشعرائها ، نقول انه مهما يكن من الامر فان هذا الكتاب الجديد سيكون في المكتبة العربية ، وعند جمهور قرائها ، موضوع كلام طويل ، سواء من ناحية الفصاحة العربية الذي بلغ الكتاب اوجها العالي ، او من ناحية الرسالة الادبية الاجتماعية الجديدة التي يحملها الى الامة .

و (المفكرة) اول كتاب ادبي يخرجه الاستاذ نخلة الى عالم المطالعة . وقد كان من اعجب الاشياء ان يوجد في ادبنا (مدرسة) اسمها (مدرسة امين نخلة) لها تلامذة في الكتاب وفي الشعراء ، ولها عشاق يتهافتون على تقليد اساليبها البيانية وعلى نقل الفاظ امين نخلة وآراء امين نخلة بين الادب والاجتماع ، في حين انه لم يكن لأمين نخله كتاب واحد في عالم المطالعة ، فكانت تلك (المدرسة) الادبية ، مدرسة بلا كتاب، ودينا جديداً في الادب العربي بلا انجيل خاص به ، ولم يكن لكاتب عربي ولا لشاعر عربي من الحظ في تقليد الناس لاسلوبه والنسج على منواله ، كما كان لامين نخلة . ففي لبنان خاصة وفي سوريا والعراق وفلسطين كتاب وشعراء تشم رائحة امين نخلة في كل قطعة نثرية او شعرية من آثارهم . حتى لقد كتب احد الظرفاء مرة انه اذا كان الاسلوب في الادب (مكروباً) كريهاً يعدي كما تعدي الجراثيم غير الكريهة فمكروب الامين اعدى مكروبات الادب العربي المعاصر .

وهذا التقليد لادب امين نخلة ، بل ان هذا الادب (النخلي) المتفرد بكثرة المقلدين له والضاربين على قالبه ، والناسجين على منواله ، معناه انه هو الادب المتبوع ، ومعناه ايضاً انه هو الادب المنشود . ولو لم تكن الحال هكذا ، لما قلده ولا جرى على خطواته فريق كبير من ناشئة الادب وعشاقه، منذ عشرين سنة الى اليوم .

واذن فهذا الكتاب هو الينابيع الاصلية للجداول الكثيرة التي استقت منه واخذت عنه ، لان كثيراً من فصوله قد ذاع وملأ الاسماع والصحف قبل ان يجمع في كتاب ويمثل للطبع .

وهذا الكتاب هو رسالة ادبية باقوى معاني الرسالة ، وهو في الوقت نفسه رسالة اجتماعية ايضاً ، ورسالة وطنية تحبب الى الناس تراب الوطن وتلفت خواطرهم وقلوبهم نحو مساقط رؤوسهم ، وديار نشأتهم ، وتاريخهم المجلي وتقاليدهم وحرماتهم الاجتماعية الموروثة .

اما وجهة الكتاب الادبية – وهي التي نعنيها في كلمتنا هذه – فالكلام فيها يطول كثيراً ، لذلك نلم بها من طريق الاشارة لا من طريق التقصي البعيد الذي سنعود اليه في احد اجزائنا المقبلة .

ان مبنى الكتاب، ونريد اسلوبه ولغته،حسبه ان يكون من قلم امين نخلة الذي يسيل فصاحة . فهناك لغة في اعلى مراتب الصحة والرونق والضبط، واسلوب لم يسبق اليه في اساليب كتاب العربية ، اسلوب عليه طابع امين وروح امين وخصائص امين، فهو المقلد لا المقلِد . ومن الحق ان نذكر ان كل تقليد لهذا الاسلوف لا يأتي معه في الغالب كما قال حافظ ابرهيم في تعريبه (البؤساء) لفيكتور هوغو : كالحسناء وخيالها في المرآة . .

واما آراء الكتاب الادبية فهي متعددة بين بحث القديم والجديد في الادب ، وبحث الاسلوب القصصي في العربية ، وخط شعراء الجيلين الحاضر والماضي وكتابها، والكلام على الجملة والتفاصيل في ما يسميه الاستاذ نخلة (الصنيع الفني) ، والتبسط في طرائق النقد الادبي ومقاييسه ، فضلا عن فصول سخرية ممتعة هي من ارفع الطبقات في اساليب السخر الفني ، والغمز البارع .

واغلى ما يبدو لنا في الكتاب هو ذلك التجدد في جميع اشيائه واساليبه وآرائه . ففيه صياغة في الكلام جديدة ، وخواطر في الادب والاجتماع جديدة ، واساليب وطرائق ونقد وسخرية كلها جديد في جديد .

وهو من اول صفحة فيه الى آخر صفحة رسالة فكرية ذات مبتدأ ومنتهى ، بل ذات خريطة فنية كل شيء فيها وضع في محله المتحتم . وهذا ما نفهمه نحن من معنى الكتاب الادبي ذي الرسالة .

وانك لا تستطيع وانت تقرأ (المفكرة) ان تتذكر كاتباً عربياً قد قال ذلك القول مثلا ، ولا كاتباً اجنبياً قد نهج ذلك النهج ، او خلق ذلك الخلق الفني الطريف ، بل انت في (المفكرة) تستشعر في كل صفحة من صفحاتها انك في جو من الادب ، وناحية من الفن ، لا عهد لك قبلا بمثلها ، ولا معرفة لك بها . وهذا من اجلى مظاهر الادب الصحيح والفن الخالد .

وعلى الجملة فان الادب العربي يحتفل اليوم بصدور (المفكرة الريفية) احتفالا لن تعوقه الشدائد والحوادث الحاضرة . وان لصدور هذا الكتاب الخالد معنى يتعالى عن كل حدث زائل ، فالفكر لا تعوقه ظروف الزمان ولا ظروف المكان .

واذا كان لنا ان نتمنى شيئاً في خاتمة هذا الكلام ، فهو ان يعقب صدور هذا (الانجيل) الادبي (النخلي) اناجيل ادبية (نخلية) عديدة فالادب الحي، الادب الصحيح الذي يعيش مع الدهر ، من حق الجماهير على صاحبه ان لا يخزنه عنهم ، ويبخل به عليهم .

وبعد ، فيا ايها القارىء اننا نلح عليك بان تقرأ هذا الكتاب .

البير اديب



قطرات ندى

الاستاذ راجي الراعي وجه جميل من وجوه الادب في هذا العصر، تفرد بخيال عال على اللحظ يتتجع أصفى الموارد من أوسع ثقافة وأنقى بيان. وهو وان جلّى في مختلف الاساليب الادبية الا انه يبقى نسيج وحده في الطريقة التي ابتدعها في « قطرات ندى » وفي قطرات ندى نقع على جميع ألوان الادب من شعر وحكمة في لغة مأخوذة من متخيّر مناجم الفكر والشعور.

وقد سبق للاستاذ راجي الراعي ان أصدر من « قطراته » مجموعات هي ثروة للمكتبة العربية، واصدر لايام خلت مجموعة صغيرة من هذه القطرات «١» رأينا ان نقتطف منها لهذا الجزء من « الاديب » نماذج رائعة من قوة الحس:

الضباب فكرة غمضت في دماغ الطبيعة.

الصحراء يد مبسوطة تتسول الماء.

الجبال عناد الطبيعة والماء خلقها الدمث.

الزمان فم لعابه الامل ولسانه التاريخ ولقمته العمر ونابه الموت...

الاساطير هوس التاريخ وتهاويله.

الشمم هو ما ارتفع فيك من الهضاب والقمم.

الحصاة حجر يذوب هياماً بالماء.

الرماد نار شابت.

الامثال دنانير تضربها الحكمة وتوزعها على الناس.

كلما احتك الخالق بخليقته سكنت رياح الفكر وتألق في سماء الايمان كوكب جديد.

الله هو الطيب يفوح ريحه في العبقرية.

اذا لم تسلحك العزلة فانت في الحياة رجل أعزل.

في القمة شيء يقول لك: قم.

الشيخوخة والطفولة تلتقيان في الهزيع الاخير من ليل الحياة كأنهما على موعد لتسيرا معاً في طريق الآخرة...

تزدردنا الحياة باعوامها حتى اذا امتلأت بنا شرايينها واوردتها صبّتنا دماً في كؤوس الموت ليشمل ويعربد على رؤوسنا!

الخيال هو الذي يسقي شجرة الحب ويغذيها ويبسط أغصانها وظلالها في القلب.

(١) قطرات ندى: المطبعة الاميركانية بيروت ١٩٤٢

الهلال الذهبي

ينقضي اليوم خمسون سنة على تأسيس المرحوم جرجي زيدان مجلة « الهلال »، وقد أعلمتنا اسرة «الهلال» انها اعتزمت ان تصدر لهذه المناسبة كتاباً ذهبياً كبير الحجم زاخر المادة فاخر الاخراج يصور التطور العلمي والادبي والاجتماعي في مدى نصف قرن. ولما كان اعداد هذا الكتاب الذهبي يتطلب وقتاً طويلا ومجهوداً شاقاً فانه لن يصدر قبل اواخر هذا الصيف على ان يحل محل اعداد نوار وحزيران وتموز وآب.

ولا شك في ان الكتاب الذهبي الذي تهيئه ادارة « الهلال » بمؤازرة صفوة ادباء العرب سيكون ثروة نفيسة للمكتبة العربية واكاليلا يضفر على جبين هذه المجلة التي ما برحت منذ نصف قرن تواصل تقاليد منشئها الخالد الاثر.

في البستان القديم

وعدنا القراء في الجزء الاخير من « الاديب » بنشر دراسة وافية عن هذه المجموعة الشعرية التي أصدرها باللغة الفرنسية الاستاذ احمد راسم، محافظ السويس. وقد اضطررنا الى تأجيل نشر هذه الدراسة الى الجزء التالي.

رسائل في النضال «١»

مجموعة من الفصول السياسية للسيد جورج برنانوس، تحتوي أحد عشر فصلا نشر بعضها او اذيع في العهد الذي عقب اعلان الهدنة بين المانيا وحكومة فيشي. في الفصل الاول يخاطب المؤلف

«1» Ecrits de Combat - Georges Bernanos. Beyrouth 1942

الفرنسيين قائلا لهم ان أجدادهم كانوا أحراراً وان جميع التلامذة الفرنسيين في القرن الثالث عشر او السابع عشر ربوا في محبة الجمهوريات الحرة فلا رابله ولا كورنيل ولا باسكال ولا مونتين ولا أي من أساتذة الفكر كان قبل الفاشستية او النازية، هذه الصوفية البربرية التي تزعم انها تصلح العائلة على أساس نظام اجتماعي يذوب فيه الاب والام والزوج والزوجة والابناء جميعاً في الدولة كما تذوب حفنة من السكر في الماء . فالطاعة للدولة كانت في عرف الجدود واجباً من جملة الواجبات ، على ان مبدأ «الكلية» جعل هذه الطاعة الواجب الوحيد .

وفي الفصل الثاني يخاطب المؤلف راهبة كندية ليسمعها صراخ قلبه ويقول لها في النهاية ان السلطان الهتلري سينهار كما انهار كل سلطان قبله وان العالم يستطيع ان يعوض كل ما خسره مادياً ، ولكن ضمير العالم لن ينقذه الا اعجوبة من السماء .

وفي الفصل الثالث يخاطب المؤلف محرري نشرة « لاجل فرنسا الحرة » التي تصدر عن بونس ايرس قائلا لهم « ان ما كان يجمعنا في الماضي لا يحتاج الى تبيان فروح الاخوة التي عشناها كانت هبة من الله بل نعمة ، وهذه الروح سنلقاها من جديد اذا كنا جديرين بها . لقد كنا اخوة حقيقيين لا نرى حرجاً في اقتسام الحياة والموت بيننا كما نقتسم علبة من القديد او حفنة من التبغ . وصرنا بخلاء، وسنبقى بخلاء الى اليوم الذي نعطي فيه كل ما نملك . يجب ان نعود كما كنا . يجب ان نلقى من جديد سر ذلك التجرد ونكران الذات ، تلك البساطة وتلك الرأفة .

وفي الفصل الرابع يخاطب المؤلف رجال اوربا قائلا لهم ان جيلا من الرجال الاحرار قد ينبثق غداً من كارثة اوربا وانهيار الطغاة ومن آلامنا وبؤوسنا . فليعلم العالم ان الانظمة السياسية والاجتماعية التي يعرضها لنا الخطباء لن تعوض عن الخور الذي ادرك العقول والقلوب وان القانون لا يصون صيانة فعالة الا اذا صانه من المفسدين رجال كبار النفوس تحيا فيهم تقاليد القوانين التي لم تكتب، قوانين العدل بحسب الروح .

وفي الفصل الخامس يقول الكاتب انه لا يريد الايمان بسوى الشرف الفرنسي فالشرف لا يعلّم ، ولو تجمعت كل عبقريات العالم الادبية لما استطاعت اعطاءه لمن لا يملكه ولا انتزاعه ممن يملكه ويحمله في لحمه ودمه . قال : « صرت لا اؤمن بسوى الشرف الفرنسي ولا اعيش الا لانتقم له . »

يصدر قريباً

لا هوادة

بقلم

عمر فاخوري

من

منشورات الأديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

كان شهر حزيران المنصرم حافلا بالاحداث الجسام سواء في الجبهة الحربية او في الجبهة السياسية ، ففي اول هذا الشهر هاجمت الف طائرة قذف بريطانية تواكبها مئتان وخمسون طائرة طراد حربية رينانيا وكولونيا واعطت هذه الغارة الجوية ، وهي اعظم غارة في التاريخ ، نتائج تفوق الحد المنتظر منها ولم يخسر الطيران البريطاني الا اربعاً واربعين طائرة . وبعد مرور يومين شنت ١٠٣٦ طائرة بريطانية غارة اخرى على الاهداف الصناعية في منطقة اسن ، وهي مركز مصانع كروب الكبرى ، فيما كانت اسراب اخرى تهاجم المطارات العدوة في المانيا وفرنسا المحتلة وهولندا . وقد تكلم المستر تشرشل في مجلس العموم فقال ان هاتين الغارتين الليليتين هما بدء مرحلة في الهجوم الجوي البريطاني على المانيا وان هذا الهجوم سيزداد عنفاً وضخامة عندما تنضم القوى الجوية الاميركانية الى سلاح الطيران الملكي ، وذلك في وقت قريب .

وفي الخامس من حزيران نشبت في عرض جزيرة ميدواي معركة بحرية جوية كبرى بين الاسطول الاميركاني والاسطول الياباني استمرت ثلاثة ايام وانتهت بانسحاب هذا الاخير بعد ان مني بخسائر فادحة جداً . فقد غرقت منه حاملتا طائرات اوثلاث وعطبت اثنتان وعطبت ثلاث مدمرات واربعة طرادات وثلاث سفن تقل جنوداً . وغرقت من الاسطول الاميركاني مدمرة وعطبت اخرى واصيبت حاملة طائرات واحدة . ومما لا شك فيه ان الاسطول الياباني كان يستهدف هاواي ، فاحتلال هذه الجزر على جانب عظيم من الاهمية فهي مفتاح المحيط الهادي . في يد الاميركان وهي خنجر مصوب الى اليابان . وهي الى ذلك نقطة اتصال حيوية بحرية وجوية بين الولايات المتحدة واستراليا والهند والصين .

وفي الثاني من حزيران دخلت الحرب بافريقيا في مرحلتها الثانية وقد عاود الجنرال روميل الكرة نحو العظم وسيدى رزق والدودة وطبرق . وكانت القوات الفرنسية الحرة تواصل تمثيل دورها الباهر في بئر هاشم بقيادة الجنرال كونيغ . وقد بقيت هذه القوات مدة ستة عشر يوماً تواصل صد الهجمات المحورية عن بئر هاشم ببطولة لم يشهد مثلها التاريخ الا في النادر القليل . واذاع راديو لندن عن الفرنسيين الاحرار اذاعة طويلة قال فيها ان جميع صحف العالم اطرت بطولة الجنود الفرنسيين وان اسم بئر هاشم سيظل وقتاً طويلا يخفق على الاعلام الفرنسية بعد ان تكون اسماء الجبناء والخائنين قد نسيت .

وبعد الفوز الذي دفع روميل ثمنه غالياً جداً في بئر هاشم تحول شطر عكرمة غربي طبرق وهدفه هذه الاخيرة . وقد سقطت في الثاني والعشرين من حزيران .

وفي السابع من حزيران شن الالمان هجوماً شديداً على حصن سيباستبول للاستيلاء عليه قبل استئناف معركة شبه جزيرة كرتش شطر الشرق . على ان الروس صدوا هذا الهجوم كما صدوا جميع الهجمات التي تلته . ولا تزال المعارك الهائلة دائرة الرحى منذ شهر في منطقتي خركوف وسيباستبول ، وفي هذه الاخيرة التي اشتد فيها الضغط الالماني اشتركت الوحدات الضخمة من الاسطول الروسي في البحر الاسود ناسفة المراكز الالمانية بمدافعها الثقيلة . وفي السادس عشر من حزيران بلغت معركة سيباستبول شدة منقطعة النظير استمرت طول الشهر ، فاذا سقطت سيباستبول يكون الالمان قد دفعوا ثمناً باهظاً جداً واذا فشلوا يكونون قد منوا بهزيمة على جانب عظيم من الخطورة .

هذا من الوجهة الحربية اما من الوجهة السياسية والديبلوماسية فقد تخلل الشهر المنصرم احداث اهمها المعاهدة الروسية البريطانية بعد مرور سنة على حملة روسيا ، ورحلة المستر تشرشل الثالثة الى واشنطن . ففي مطلع حزيران سافر الرفيق مولوتوف على حين غرة الى لندن ووقع مع الحكومة البريطانية معاهدة على جانب عظيم من الاهمية ينص اهم بنودها على فتح جبهة اوربية خلال سنة ١٩٤٢ الحالية . وما عتم الامر ان وصل المستر تشرشل على حين غرة ايضاً الى واشنطن لاجراء مباحثات مع مستر روزفلت تتناول في جملة الشؤون الحربية مسألة فتح الجبهة الثانية في اوربا . ولا تزال المباحثات جارية بين الرئيسين الاميركاني والبريطاني . واكبر الظن ان تردد الالمان في شن ذلك الهجوم الكبير الذي كثيراً ما هددوا به وسموه « هجوم الربيع » يرجع الى خوفهم من فتح الجبهة الاوربية . وقد ذكرت جريدة « تان » التركية متوقعة فتح هذه الجبهة ان بعض الادلة يثبت ان الحلفاء سيقومون قريباً بهجوم احتلالي في القارة الاوربية . فالانكليز يملكون السيادة الجوية ليس في سماء الجزر البريطانية فحسب بل في سماء المانش والساحل الغربي ايضاً . وليستطاع القول بان جميع التدابير اللازمة لهذا الهجوم اصبحت متوفرة .

النتيجة الكبرى

قد تكون احدى نتائج الحرب ، وفي بلدان الشرق العربي بنوع خاص — وهي النتيجة الكبرى على ما نرجح ، سيكون لها ما بعدها — ان الحرب بما يلازمها من ظروف استثنائية ادخلت او اوشكت ان تدخل « الجماهير » الذين يسمون العامة ، في دائرة نظر القادة ، اي المفكرين والادباء ، بله رجال السياسة : العامة وما يلابسهم من حالات ويتصل بهم من شؤون ، على اختلاف انواعها ، او المعاشية منها على الاقل ، ثم تتبع سائر الشؤون . وبديهي ان هذا السواد الاعظم من ابناء البلاد كانوا ، الى زمن غير بعيد ، فيما وراء افق « الخاصة » كالالوان « المُغفل » التي ليست تراد لذاتها ، لكن يراد بها ابراز صور الرسام .

وإخال ان اغلبية هذه الفئة الممتازة من الذين سُموا او يسمون انفسهم « الخاصة » ستفتح ابصارها على ذلك المشهد ، مشهد تقدم الجماهير حتى تسدّ الافق ، بشيء من الذعر وكثير من الدهشة ، لكن لن يلبث الذعر حتى يغطي على الدهشة . فلطالما اصطلحنا على تنحية « العامة » كما يسمونهم ايضاً ، من ميادين الحياة العامة ، بما تمثله الحياة من ضروب الادارة وادوات الحكم وتصنيف العلاقات وتوزيع الخيرات وتقرير التكاليف — كأن هذه جميعاً متاع هؤلاء الخاصة ليس ينازعهم فيه منازع : لا شركة للعامة في الحياه العامة ! ومما تحسن الاشارة اليه هنا ان « العامة » و « العام » في الاصل اللغوي لا تدلان على معنى من معاني الامتهان او الازدراء او الهجر التي اضافها اليهما « الخاصة » و « الخاص » بل على الضد .

وهكذا ظل المفكرون في ظهرانينا ، مدة مديدة ، يتخطون على تخوم النظريات الغيبية ، والادباء يتنادرون ويتظرفون فيما بينهم ، ورجال السياسة حتى « الوطنيين » منهم لا يعرفون ان هذا الوطن الذي ينتسبون هم اليه قد يتجاوز حدود دوائرهم — والحكم سجال تتولاه فئة ثم تتولاه .. الفئة نفسها .

اما السواد الاعظم بهمومه الملحة وآلامه المباشرة وامانيه وآماله التي لا تفتأ تطلب من يحسها ويكتنهها ويترجم عنها .. اما السواد الاعظم بمسائله ومشاكله التي لا تفتأ تجدّ وراء اجوبتها وحلولها السريعة .. اما السواد الاعظم بما يجيش في احشائه من حياة زاخرة مضطربة مشتتة تلتمس صيغها واشكالها وسبلها وغاياتها .. ان هذا السواد الاعظم يكاد لا يشغل حيزاً من الدائرة — الرحبة الضيقة — التي اقام حولها مفكرونا وادباؤنا وساستنا ، كسدّ الصين .

واذا كانت بلاد الشرق العربي حديثة عهد بتلك الظاهرة الاجتماعية ، فالمجتمع الغربي قد عرفها وتمرس بها وانتهج طرقاً عدة لمعالجتها ، بعضها وُفق وبعضها اخطأه التوفيق . وستكون هذه الحرب ، ولا مراء ، بل هذه « الرجة » العظمى في اسباب الحياة وفي الافهام والضمائر ، اوسع خطوة يخطوها المجتمع نحو استقراره الاقتصادي والاجتماعي ، وقد كان يقنع بالمسكنات .

ولن تكون بلادنا بمعزل عن الحركة العامة التي تدفع الامم الى احتذاء اساليب جديدة في الفكر ، وصيغ مستحدثة من الحياة : هو هذا الطوفان ، و« لا عاصم اليوم » .

حسبنا ان نستبق الاحداث ، فنوفر عن نفسنا ما كابدته وتكابده الامم ، قبلنا وحولنا ، من الاختبارات الموجعة والاصطدامات المنهكة .

عمر فاخوري

الشعر الرمزي

بقلم الدكتور نقولا فياض

◆

قلت في مقالي السابق عن الرمزية ان ما يسمونه الشعر الرمزي هو بدعة المجددين في اواخر القرن الماضي وهو تجربة قام بها بعض ادباء الفرنسيس فتركت دوياً في المحافل والاندية وكان لها من الاثر مثلما كان للرومانتيكي والواقعي قبلها . غير انها كانت قصيرة العمر فما عتمت ان اقوت معالمها وتفرق مؤسسو المدرسة الرمزية ايدي سبا ليتبع كل واحد طريقه الخاص يدفعه فيه ميله الطبيعي واستعداده الفطري .

على ان الاثر العميق الذي تركته في الشعر الحديث جعل تاريخها مرتبطاً بتاريخ هذا الشعر من عام ١٨٨٠ الى عام ١٩٠٠ وما بعد ، حتى ان عدداً غير قليل من الشعراء الذين نبغوا في هذه الحقبة من الزمن اطلق عليهم لقب الرمزيين وان لم يمتوا الى الرمزية بنسب .

وكانت الغاية من الرمزية حركة تجديد يقصد بها معارضة الشعر البارناسي والطبيعي اللذين كانا مسيطرين لذلك العهد على الادب الفرنسي . فقد ملّت الناشئة الجديدة هذا الادب الذي ليس فيه على زعمهم الا تأليه للقوة يبعث على الخشونة ، وتجاف عن الخيال يمسح من رواء الديباجة ، وتقصير في الصناعة يسوق الى الابتذال . فالشعر البارناسي يطرب الاذن دون ان يجد سبيلاً الى القلب وكذلك الواقعي . وعلى رغم من شهرة زولا حينئذ واقبال الناس على قراءة كتبه فقد قامت قيامتهم عليه ونشروا رسالتهم المشهورة بتوقيع خمسة منهم يأخذون فيها على الطبيعيين ان يكتبوا بلغة «الامنيبوس والاخبار الشتى» وان يجعلوا البطن هدف ابحاثهم كأن لم يبق للروح الفرنسية نافذة تطل منها على المثل الاعلى .

على ان هذا لا يخلو من المبالغة او التطرف ، وعندي ان من اكبر العوامل التي اثارت هذه الفتنة في الادب هو شيء من العجز او التقصير في مجاراة فطاحل الشعراء السابقين ، او خط طريق لمثل الشهرة التي كان يتمتع بها بعض المعاصرين ولا سيما الفرد ده موسه الذي نال من اقبال الناس عليه لذلك العهد ما لم ينله الا القليل حتى صارت بعض كتبه ككتب الصلاة في يد كل فتى وتحت وسادة كل فتاة . فلم يجدوا ندحة لهم عن انتهاج مسلك جديد يلفت اليهم الانظار وتمادوا في انتقاد معاصريهم والنيل منهم والاشادة بمحاسن بدعتهم وسن شرائع جديدة ، للنظم ونسوا ان الشاعر الخليق بهذا الاسم ليس في حاجة الى الدعاوة وان يقول كيف ولماذا ينظم . حسبه ان يندفع بتأثير العاطفة والوحي فيكتب ما يبقى له او عليه حتى اذا تسنى له الضرب على اوتار كل فؤاد ، كما قال كارليل ، كان الشاعر العظيم .

على كل فان هذه الثورة الادبية لم تنفجر فجأة ولم تقع مبادهة . والى جانب الرغبة التي كانت تجيش في صدور بعضهم بشق سنة جديدة يكون لها اثر جديد اتاحت الاقدار عوامل مختلفة عبّدت لها الطريق وساعدتها على الظهور . وهذه العوامل غريبة المصادر منها ما يعود الى انكلترا ومنها الى المانيا او روسيا .

لقد كان الادب الانكليزي رسالة صلاح واداة تهذيب . فكانت الروايات والقصص والاشعار تحمل طابعاً خاصاً من التصوف والقنوت كتكتب جورج اليو وسونبرن ، وامتد ذلك الى الفن فجددوا الرسم والتصوير بالرجوع الى ماقبل عهد رفائيل Préraphaélisme متوخين الدقة في الخطوط والفكرة والتبشير ، بطبيعة آلهية قائمة على الجمال والادب والدين .

وقد نقلت كتب اليو وسونبرن الى الفرنسية كما نقل كتاب المبادىء الاول لسبنسر وهو يعارض تعاليم اوغست كونت الوضعية ، وكتاب هوتمن «العقل الباطن» وفيه تعليل للكون بوجود قوة لا واعية تدبر اموره .

واندفعت من روسيا موجة انسانية تحمل الرحمة والحرية والانتصار للبائس والضعيف والعبد يزفها الى القراء مؤلفات تورجنف ودوستويفسكي وتولستوي .

وكانت مبادىء شوبنهور قد احذت بالتسرب الى فرنسا ولم يكن فيها ما يعارض الوضعية او العلم ، الا ان مسحة التشاؤم واليأس التي عليها اصابت من النفوس مرعى خصباً للاوهام والتعلق بما وراء الطبيعة ، كما ان كتابات استاذه فيخت جعلت من « انا » المبدع الدائم ، واغاني فردريك نوفاليس الدينية وكتابه « اناشيد الى

الليل » جعلت الايمان المرجع الوحيد في كشف القناع عن جوهر الوجود . ومن حول هؤلاء شعراء مثل شلر وغوته وشيلج يحلمون بسبك الموسيقى والشعر وجمال الصياغة في قالب واحد .

وكانت حركة الفن قد سبقت حركة الادب والموسيقى واكثر مأتر دد اصداؤها على ملاعب التمثيل والاوبرا في فرنسا على الرغم من مقاومة الشرطة العنيفة لها .

ازاء هذه العوامل المختلفة وفي ظل تأثيرها المُ بالشبيبة ما يشبه الشوق الروحاني، واخذت تبحث عن اشخاص رمزيين للتعبير عن الافكار . وكما كان الانشاء التصوري غاية المؤلفين في الروايات والقصص فتحت هي مجالاً للانشاء الموسيقي، اي انها اخذت تهتم بالجرس ورنة الالفاظ اهتمامها بالمعاني، وجمعت بين الشعر والموسيقى كما كان في الزمن القديم . بل ان موسيقى واغنر ذهبت ببعضهم الى التفكير بانشاء شعر منظم الانغام يشبه العزف الموسيقي بصاحبة الالات مختارين لذلك من الالفاظ اوسعها رنيناً واغناها احلاماً، فتشير الى اشياء هي في الظاهر غريبة عن الموضوع ولكنها تدل على صلات خفية تربط هذا الموضوع بموضوعات اخرى اعم، اي انهم ارادوا ان يغمر الموضوع في جو موسيقي وفلسفي مما يبعد صداه ويطيل مداه .

وبديه ان تسوقهم هذه المحاولات الجريئة الى الحرية في التركيب والانعتاق من قيود الوزن والقافية والنحو واللغة، فاقتربوا بذلك من الشعر الانكليزي . فالرمزية من حيث التصور المانية، ومن حيث المبدأ الانساني روسية، ومن حيث الروح وحرية التركيب انكليزية .

كيف تجمعت هذه الابخرة المختلفة المصادر فتحولت في سماء الخيال الى قطرات رمزية ؟

كان ذلك بفضل اثنين من الشعراء يحق لنا ان نضعهما في طليعة السابقين المبشرين بهذا المذهب : سانت باف وبودلير . اما سانت باف فكان يقول ان الغاية من الفن ان يبعث في نفس القاريء انفعالا بالجمال وهذا الانفعال يفتح المجال لانفعالات اخرى ايحائية . وتأييداً لقوله يعود الى فكرة ديدرو التي سبق ان اشرت اليها وتوسعت فيها عند كلامي عن التحديد في الشعر، فان مصادر الالهام لا تنحصر عند الشاعر في الوقائع التي تجري حوله، بل هناك من مرئيات الوجود ما لا نوليه عادة اهتماماً مع ان كلا منها كما قال ديدرو يستطيع ان يقود الفكر الى ما لا نهاية له من الاشياء .

خذ اللون الاصفر مثلا فهو يذكرنا بالذهب، ويذكرنا بالحرير، ويذكرنا بالمرارة . واذا تغلغلنا فيه وجدناه لون الغضب والخوف والحسد والهموم . والشمس عند غروبها تصفر من الم الفراق، وقد يقبض المجنون على خيط من القش اللامع فيحسبه شعاع الشمس، ولا بد من نقطة يلتقي عندها الشاعر والمجنون :

يا صاحبي تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الارض كيف تصور
تريا نهاراً مشمساً قد زانه ... زهر الربى فكأنما هو مقمر

وقال آخر في الارض ايضاً :

يا لسحر حملته في جبيني ... من ربيع الامال والايام
وعناق السماء في زرقة البـ ... ـحر وفي خضرة الشعاع النامي

فالاول رأى الزهر فخاله شعاعاً والثاني رأى الشعاع فخاله زهراً .

وهكذا القول في سائر الاشياء التي يقع عليها نظر الشاعر : خذ النجمة مثلا، فقد تراها مقلة :

ليل المحبين هل هذي عيونهم ... ناموا فاطلعتها في الليل اقمارا

وقد تراها دمعة :

انت تبكين يا نجوم ..

وقد تراها شمعة :

والليل في صمته الرهيب ... كراهب يحمل الشموع

وقد تراها فماً او دماً .

واذا تمادت في الخيال حسبتها سيفاً :

اين من عشق النجوم غضابا

وعلى هذا النحو نظم سانت باف قصيدته المشهورة « الاشعة الصفراء » التي اثارت كثيراً من النقد اللاذع، وموضوعها ان الشاعر جلس يوماً كان يوم احد، الى نافذته يراقب المارة، فكانت الاشعة الصفراء التي يرسلها الشفق اكثر اصفراراً ذلك المساء من سائر ايام الاسبوع فتصبغ ستائره البيضاء . . . ثم تمر بخاطره ذكريات الصبا وترانيم الكنيسة فكان لهيب المصباح اصفر، واصفر ايضاً لهيب الشموع، والضياء الزالج على جبين العذارى المقنع يحيل بياضهن الى اصفرار . . . وبعد ان تذكر وفاة عمة له انتهى برؤيا العزلة التي تنتظر الشاعر بعد موته : « ابداً لن يصفر الورد على قبري . »

تلك نظرية سانت بوف دعمها بالمثال فجاءت بجرثومة لفن شعري جديد .

هذا الفن الشعري الجديد قدر لبودلير ان يرسم سطوره ويضع دستوره كما سترون في مقال آخر .

تقولا فياض

ارض الميعاد

◆

هبـة الحب ، يا شعاع رؤآيا ... وطريـق السماء في مغنـايا

رعشة انت في عروقي ووحي ... في دمي والنجيّ من نجوايا

انت ارض الميعاد ما سمح الله ... بهـا او بمثلهـا لسوايا

غمر المنّ من سمـائك صحراني ... وفجّرت كوثراً من هـوايا

فاطمأنّ الصباح اخضر في عيني ... وطارت على اديمـي العشايا

وجرى الشعر من دمي ، وإلهامـا ... ما لغيري من القيان سبايا

يا سنا الحب يا سنا الله كما احرقت ... ناري الا لينقى سنايا

كان لي في الغرام قلب بغيٌّ ... وعيون عـلى الجمـال بغايا

حين مرّت على جبيني يداها ... واستحمّت في عينهـا عينايا

وتلاشى لهاثها في جوى قلبي ... تلاشت عليه تلك الخطـايا

الياس ابو شبكة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العنصرية والاستعمار الايطالي

بقلم فدري فلمجي
رئيس تحرير مجلة « الطريق »

ان التاريخ الانساني ، واعني بـه أيضاً التاريخ غير المكتوب والذي نسميه عادة تاريخ القبائل البدائية ، ليس سوى حلقات متصلة من الغزو والحرب والهجرة : هو تصادم بين الجماعـات يفضي الى اتصالها وكثيراً ما ينتهي بتآلفها . ومنذ بدأت المدنية سيرها المطرد ، والنضال الاجتماعي والامي يمزج الجماعات الصغيرة فيجعل منها جماعات اكبر ، فالجماعات الانسانية متجهة الى مجرى واحد كاتجاه الجداول الى النهر ، واتجاه الانهر الى البحر الكبير . ومهما كانت اسباب الاندماج ودواعيه بعيدة عن هذه الغاية ، فهو القاعدة التي سارت عليها البشرية ، واختلاط الدماء هو الذي ولّد الشعوب الحديثة . ويؤكد علماء السلالات ان العروق النقية قد تلاشت قبل المرحلة التاريخية المعروفة (راجع ليستر وميلو في كتاب « الاجنـاس البشرية » ص ٢٠٧) .

ولم يعرف التاريخ فيما عرف من الشعوب ، شعباً زعم انه انقى دماً واوفى جنساً من بقية الشعوب وجعل هذا الزعم اساساً يصدر عنه في كل ما يقول وما يعمل . فما لهذه البدعة العنصرية تغدو في العصر الحديث ، عصر الدعوة المكافحة الى المساواة بين الطبقـات والشعوب ، عنواناً لنهج في التفكير ، واساساً لنزعة في السياسة ، نسميها النازية او الفاشستية او غير ذاك من الاسماء الدالة على الغلو في الرجعية والانانية والارهاب ؟

قوام العنصرية في رأيي هو الاستعمار . انه الاساس الذي قامت عليه ، والهدف الذي تسعى اليه ، والباعث على تمسك قادة المانيا وايطاليا بها واعتمادها كنظرية علمية لا يدخلها الباطل ولا يدحضها الواقع الملموس .

ونحن اذا عدنا الى التاريخ القريب رأينا ان الرأي العام الايطالي ، كان يجري مع الرأي العالمي السـائر نحو التحرر من قيود التعصب الجنسي ، وكان عدد الخلاسيين (وهم الذين يولد احدهم من ابوين مختلفي العرق او الجنس) آخذاً في الازدياد منذ سنـة ١٨٨٥ في الممتلكات الايطالية في افريقيا . بيد ان هـذا الازدياد المستمر احدث بعد الحرب بعض القلق ، فاقترح الاب جيني في سنة ١٩١٩ منع التزاوج بين الاوروبيين والشعوب الملونة ، الا ان اقتراحه لم يترك سوى صدى ضعيف انحصر في الاوساط الاستعمارية ، وقام بعده الاب مورو سنة ١٩٢١ ينصح الاوربيين الذين استولدوا نساء من المستعمرات ان يتزوجوهن . ثم طلب المؤتمر الثالث ضد الرق المنعقد في روما ، من الحكومة ان تمنح الخلاسيين الجنسية الايطاليـة . لكن استيلاء الفاشيست على الحكم قضى فجأة على هذه النزعات التقدمية ، وبعث آراء جيني بشكل مسرحي قوامه التهويل وتشويه الحقائق العلمية . وما زالت هذه الموجة الرجعية تطغى وتستبد ، حتى وقف المؤتمر الرابع ضد الرق المنعقد في سنة ١٩٣٦ ، ينكر مبادىء السابقة ويدعو للقضاء على الخلاسيين ، واعتبار الشعوب الملونة شعوبا منحطة ينبغي ان يضرب حولها نطاق لا تتعداه لئلا تفسد بدمائها الملونة دماء الشعوب الاوربية النقية .

على هذا النهج الاستبدادي ، وعلى حجج فارغة مزينة بزخرف البيان وبهرج البلاغة ، رددت الصحف الفاشستية نغمـة « الجنس السامي والجنس المنحط » و « الدم الصافي والدم الملوث » !

لنسمع كاتباً اختصاصياً من محرري مجلة La Rivisa delle colonie هو م . ديل مونته يحدثنا عن هذه البدعة :

يزعم ديل مونته ان الاختلاط بين الاوربيين وسكان البلاد المستعمرة ، يمر بمراحل اربع : ١ — تطغى الحاجة الجسمية ايّان الفتح على شعور الاوربي وكرامته الوطنية ، فلا يأنف من الاتصال بنساء البلاد المغزوة ، في سوانح الفراغ من المعارك الداميـة . ٢ — اذا اتصل الاوربي بنساء البلاد المستعمرة يتعلق بهن بدافع العاطفـة الهيدونية (والهيدونية في الفلسفة مذهب يجعل من اللذة هـدف الحياة الاول .) ٣ — قد يصاب الاوربي بالفساد الخلقي والتفسخ العنصري فيؤثر نساء الشعوب الملونة على نساء وطنه وعرقه . ٤ — اما الفصل الاخير من هذه الرواية المؤثرة ، فهو زواج الاوربي باحدى هؤلاء النساء ، وفيه تموت الكرامة الوطنية ويتلاشى شعور الاوربي بانه منحدر من جنس سام ممتاز !

واذ جلا ديل مونته هذه اللوحة ، شرع بتعداد الاسبـاب «العلمية» التي يرى انها تبرر التعصب الجنسي . وانتم لا تستطيعون الا ان تدهشوا لتفاهة بل لسخافة هذه الاسباب : يبدأ صاحبنـا بالاعتراف بما كان لاختلاط الاجنـاس من اثر كبير في تقدم البشرية ، اذ ساعد على تشكيل اجناس جديدة ، وجدد شبـاب الاجناس التي شاخت وجنحت الى الانحطاط . ثم يستدرك فيقول : « على ان هذا الامر لا يمكن ان يتخذ قاعدة عامة » فقد يكون التوالد بين الاجناس المختلفة نافعاً كما حدث بين البيض والهنود الاميركيين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذي انجب اختلاطهما الشعوب الاميركية الراقية ، وقد يكون مضراً كاختلاط البيض والماليزيين . ويكون احياناً مشكوكاً في نفعه او ضرره كاختلاط الايطاليين بالاحباش . ولا نـدري حتى الان : هل يرجع سبب هذا التباين في نتيجة الاختلاط الى عوامل بيولوجية خاصة بالاجناس التي يحدث التزاوج بينها ، ام الى عوامل فردية او اجتماعية .»

هذا كل ما يقوله ديل مونته عن العنصرية . وهذه هي الاسس «العلمية» التي اعتمدت عليها وزارة ليسونا اذ اصـدرت في كانون الثاني ١٩٣٧ قانونها الشهير الذي اعتبرت فيه الشعوب الملونة قطعاناً من السائمة يجب ان تخضع دائماً لنير الاستعباد . ولاحاجة الى القول بان تلك الاسباب (المشكوك في نفعها او ضررها) لا تبرر مـا اقترفت ايطاليا باسمها من الجرائم في الحبشة والاريتيره وطرابلس الغرب .

ان الحرب الفكرية التي اعلنتها الجمعيات العرقية في ايطاليـا على الشعوب الضعيفة ، مقدمة لحروبها الاستعمارية ، لم تستند الا على هذا النوع من البراهين . وكثيراً ما كانت تعمد الى التدجيل العلمي فيقول Rassegno d'Attramare : « يؤكد علماء الاجناس (كذا) ان الاوربي يختلف عن الافريقي والاسيوي ، كما يختلف الانسان عن القرود » وتعلن جريدة l'Azion Colonial : « ان للامتياز العرقي اسساً علمية قوية . ومن الاجرام الاعتقاد بان اختلاط الاجناس يمكن ان يكون عاملاً من عوامل السلام ، لان هـذه النظرية تناقض ابسط القوانين البيولوجية » . ويملي الوزير ليسونا بلهجة عالم مقتنع ، هذه القواعد الرئيسية للاستعمار الجديد : «١—ان استعمار الشعوب الراقية للشعوب المنحطة يخدم المدنية خدمة كبرى . ٢ — لكي يقوم الاستعمار بمهمته الحقيقية ينبغي ان يكون سداً في وجه الشعوب المستعمرة ومانعاً لها من الانتشار في العالم . ٣ — يجب التفريق التام بين الجنس المستعمر والجنس المستعمَر . ٤ — يجب ان يرجح جانب الايطاليين في جميع المعاملات وجميع الحالات على جانب سكان المستعمرات ، والهفوة التي تغتفر لاولئك يجب ان يعاقب عليها هؤلاء بالموت .» (راجع عدد ٩ كانون الثاني من صحيفة Politica derazza stampa) .

وبعد ، لم هذا الغلو في التعصب الجنسي والحقد على سكان المستعمرات ، والحرص على عدم الاختلاط بهم ؟ قلت في مطلع هذا المقال ان قوام العنصرية هو الاستعمار ، واكرر هنا ان التفرقة بين الاجناس ليست الا ذريعة للاستعمار او وسيلة لتأبيد سلطة المستعمر .

ان ايطاليا التي واجهت في مستعمراتها معضلة جدية ، سببهـا نشؤ عرق خلاسي جديد ، نتيجة لتزاوج الايطـاليين وسكان المستعمرات ، لم يكن لديها ما تتسلح به لمحاربة الخطر الذي يهدد سلطتها في هذه البلاد سوى العنصرية الجامحة .

ففي مجتمع منشطر الى طائفتين ، حاكمة ومحكومة ، تفصل بينهما هوة العنصرية ، تكون الضمانة الوحيدة لبقاء السلطة في يد « العرق » المسلّم برقيه ، ودوام خضوع « العرق » المسلّم بانحطاطه . اما اذا نشأ بين الطائفتين عرق جديد مولّد ، فان الطبقة الحاكمة تواجه المشكلة التي واجهها الاستعمار الايطالي في افريقيا بعد الحرب الكبرى الماضية ، اذ هب الخلاسيون يطالبون المستعمرين بالمساواة المدنية والاقتصادية ، فوقف هؤلاء حائرين بين ان ينكروا على الخلاسيين المساواة التي يطلبونها فيثيروا سخط الشعوب المحكومة ، او ان يعترفوا لهم بهذا الحق فيستثيروا نزوعها الى الانعتاق وطموحها الى الصعود . فلم يجد المستعمرون خيراً من ان يلوذوا بنظرية عنصرية يثيرون بها حقد الجنس ، ويقتلون نوازع الوجدان ، ويبررون باسم العلم ما يقترفون من آثام . ثم غالوا في سياستهم العنصرية الاستعمارية ، فاجلوا سكان البلاد الخاضعة لهم من السهول الخصبة فيهـا الى الجبال والصحارى . ففي طرابلس الغرب مثلا ، اعترفت البلاغات الايطالية الرسمية في سنة ١٩٣٠ بان الحكومة نقلت في هذه السنة وحدها ، ثمانين الف عربي ، من اراضي الجبل الاخضر ، وهي أخصب المناطق واطيبها مناخاً واغزرها مياها واكثرها عمرانا ، الى صحراء سرت القاحلة . وقد ابدت الجرائد الفاشستية ارتياحاً لهذا العمل ، وشجعت الحكومة على المضي في هذا النهج . ولما انتقدت الجرائد الاجنبية ولا سيما جرائد فرنسا اليسارية هذه الطريقة الاستعمارية ، كتبت صحيفة « جورنالي ديطاليا » : « ان سياسة ايطاليا الاستعمارية هي سياسة انسانية لكنها لا تعرف الضعف ! » .

ولم تقتصر هذه « السياسة الانسانية » على اجلاء السكان من المناطق الخصبة في بلادهم ، بل عملت على ابادتهم بجميع الوسائل الممكنة . وقد أسفر الاحصاء الذي قام به الجنرال غراتسياني في سنة ١٩٣٠ عن نقص مخيف في عدد السكان بلغ ٨٢٠٩٢٨ نسمة من اصل مليون ونصف المليون . (راجع الصفحة ٤٤ وما بعدها من كتاب « الفظائع السود الحمراء والتمدين بالحديد والنـار » والصفحة ٦٤ وما بعدها من كتاب « حاضر العالم الاسلامي » ، ومقال الكاتب الفاشستي برتزولي زابي في صحيفة l'Azion colonial العدد الثالث سنة ١٩٣٦) .

قدري قلعجي

الكتاب

بقلم الدكتور شارل مالك
استاذ الفلسفة في جامعة بيروت الاميركية

●

الكتاب من اهم المؤسسات العمرانية ، فلانستطيع ان نتصور مدنية لم تنتج كتباً فذة ، ولم تنهض من الناحية الفكرية الروحية ، بل من الناحية الكيانية على الاطلاق ، على كتب خاصة . فهوميروس عند اليونان ، والتوراة عند اليهود ، والقرآن عند العرب ، والكتاب المقدس في الحضارة المسيحية المتوسطة ، جميع هذه الكتب عبرت عن حضارات مختلفة ، وساهمت في تثبيت ونشر تلك الحضارات .

نمتاز عن الحيوانات البكم بهذا العقل الذي نفكر به . فمتى حاولنا نقل ما في عقولنا الى غيرنا في تفاعل اجتماعي حي ، اصبح العقل نطقاً . اما الكتاب فهو على العموم تدوين ثابت لنطقنا العاقل بقصد نشره في المكان والزمان . وهكذا يكون الكتاب سجلاً اميناً لاخص خصائصنا البشرية ، اعني لعقلنا الناطق .

واذا احببنا الدخول في صميم مدينة من المدينات فخير وسيلة لذلك ان نتفحص الكتب التي صبت تلك المدينة اختبارها وعقلها فيها . العقل في بدايته شيء وجداني داخلي ، ومتى اصبح نطقاً مدوناً خرج عن فرديته الداخلية الى مسرح التاريخ العالم وصار بوسع كل انسان ان ينظر فيه وينتقده ويحكم له او عليه . من هنا نرى ان الكتاب اخطر المنتوجات البشرية على الاطلاق ، والكاتب اشد الناس مسؤولية في ما يعمل . فالتاريخ واقف له بالمرصاد ، فان كان قد تصارع مع الحقيقة وعبر عنها تعبيراً صادقاً اميناً ، صفقت له الاجيال واستنارت بنوره . اما اذا نفذ بعقله الى قشور الاشياء فحسب فان يرحمه الزمن في الحكم المطلق الذي سيلفظه عليه . فالتاريخ كما قال هيجل « محكمة العالم . »

ومع ان العرب احترموا الكتاب في عصرهم الذهبي ايما احترام — كما يشهد بذلك هذه الخزانة العربيه الفاخرة بالكتب والرسائل ، وعبارة « اهل الكتاب » التي اطلقوها بشيء من الاجلال على المحافظين على التراث النبوي — فاشك ان للكتاب اليوم الحرمة الوافية في هذا البلد . واذا عددت مشاكلنا الاساسية اضع مشكلة الكتاب في طليعتها ، لانها مفتاح لسلسلة من المشاكل تقع تحتها . وهذه المشكلة تتألف من عناصر اربعة :

العنصر الاول : ان حياتنا القرائية تكاد تكون عدماً . فالشباب الذي يغرف ملء نفسه من الادب الاصيل ، الشباب الذي همه الاول ان يثقف روحه بقراءة الروائع الكبرى ، هذا الشباب نادر جداً عندنا . فنحن لم نتعود عادة القراءة ، اعني لم نبن فينا تلك اللذة الشخصية التي تتعطش الى مجالسة جبابرة الكتب ومناضلتها ساعات من النهار في انعزال كامل . فمن اول ما يلاحظه الغربي الزائر لبلادنا هذا الكسل والخمول الفاضحان اللذان يدفعان بافواج منا الى المقاهي حيث يقتلون الوقت ، وبافواج آخر الى نوع من الثرثرة الكلامية الرخوة التي تنطمهم مع الزمن عن اي مطلب رفيع . العودة الهنيئة الى الكتاب ، التمتع العميق بقراءة الروائع ، الانفراد الشخصي الباذل مع الفكر المكتوب المسؤول ، هذه الخصال لا اظنها راسخة في هذه البلاد .

والعنصر الثاني من مشكلة الكتاب هو انه متى عودنا انفسنا على مجالسة الكتاب فلا نقرأ في الغالب الا الادب الرخيص . اما المهيج اما عواطفنا الشهوانية او لخيالنا الجامح او لفضولنا غير المسؤول ، سلوا بائعي الكتب فيجيبوكم ان نوعاً خاصاً من الروايات هو الرائج هذه الايام . واذا فحصتم هذه الروايات وجدتموها من احط الانواع التي يسف بها العقل والروح على السواء الى حضيض التخاطي قلما يستطيع الانسان ان ينهض منه . والبعض منا لم يقرأ في حياته سوى كتب الدراسة فمنذ ترك دور العلم ظن ان ثقافته قد اكتملت ، فراح ينشر في الارض حكمه الغالية ، مع ان هذه الكتب لم يقصد بها الا صقل اداتنا الفكرية صقلاً ابتدائياً يمكننا ، بعد ترك المدرسة ، من الشروع الجدي في تثقيف انفسنا على يد روائع الفكر البشري الخالدة ، هذه الروائع التي تنضجنا الى « كيان » كثيب يعي المشاكل الاخيرة بفرح لا يوصف . وبعض آخر يجمع ثقافته من صفحات الجرائد والمجلات ، مع انه لم يسمع بعد ان الصحافة الدورية ساهمت في خلق فكرة خالدة واحدة . ولا احسب هذا قدحاً في الصحافة ، لان مبدأها من اساسه قائم على غير الخلود ، اعني على ما يجد ويحدث ، والحادث الجديد شيء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والقديم الازلي شيء آخر . وقد ابتلي معظم شبابنا بهذه الثقافة الصحافيه الاخبارية فراحوا يعيدون كل ما هو طريف مهيج ، واختفت عن ابصارهم جميع ابعاد الحياة واعماقها . اما الذين يجالسون الراديو دون الكتاب الرائع ساعات في النهار فيكتسبون مع الزمن مرضاً عصبياً يقعدهم عن تقدير اي شيء روحي عميق . الكتاب الرائع لا ينوب منابه شيء في الوجود . رسالته تظل ثابتة الى الابد ، لان صاحبه رأى وأحب واستجاب الى شيء خالد ، به تصارع العقول الجبارة ، ومن صارع عقلاً استوى على مرتبته ، على مرتبة العقل الجبار ننعم برؤى اخاذة لا يسمح الا لانصاف الالهة بان يروها .

وهذا يقودني الى العنصر الثالث من مشكلة الكتاب : ان اللغة العربية ، بالمقابلة مع اللغات الحية الاخرى ، لتفتقر الى ادب اساسي نبني عليه حياتنا الفكرية الجديدة . واذا حصرت مقابلتي في لغات اوربية ثلاث ، اعني الانكليزية والافرنسية والالمانية استطيع ان اعدد عشرات السلاسل من الكتب ، كل واحدة تضم مئات الروائع مطبوعة طبعاً انيقاً مضبوطاً رخيصاً يرغب المرء في اقتنائه وقراءته . وهكذا يوسع الاوربي المثقف ان يملأ مكتبته بمئات التآليف الكلاسيكية وينهل منها على انفراد في ساعات فراغه . واذا اوجدنا في لغتنا سلسلة من مئة كتاب كلاسيكي — كمكتبة Classical Library باللغة الانكليزية ومكتبة L'évolution de l'Humanité باللغة الافرنسية ومكتبة Onsel باللغة الالمانية — وطبعناها طبعاً شائقاً حديثاً ، وأشرفت على نشرها هيئة مسؤولة من العلماء والمفكرين ، تخلق في نفوس الناطقين بالضاد قبل نهاية القرن العشرين اكبر واعمق ثورة فكرية عرفوها في تاريخهم . اما الان فتوجد في هذه البلاد منافسة عنيفة بين اللغة العربية واللغات الاوربية ، وبعض اسباب هذه المنافسة يعود الى ان عقل الطالب المتعطش لا يجد مع الاسف في اللغة العربية ما يروي به غليله . واذا استمرت الحال على ما هي عليه وتعسر على الشاب العربي ان يجد في لغته ما يستطيع بسهولة ان يجده في اللغات الاوربية ، فلا اتطلع بارتياح متفائل الى مستقبل اللغة العربية . لا تحفظ اللغة الا اذا اتسعت نفوس ابنائها الى الكيانات السامية في التاريخ . عندئذ تتطلب هذه النفوس الادب الكلاسيكي الخالد بحب طاهر لا يشوبه ظل رجعية او فساد . وتعساً للنفس تعشق النور ولا تجده .

والعنصر الرابع هو ان جو البيت عندنا لا يشوق كثيراً الى المطالعة والدرس . فثمت مؤسسة داخل البيت لم نعرفها بعد المعرفة الكافية ، ولم ندمجها في صلب حياتنا العائلية . هذه المؤسسة هي المكتبة البيتية الخاصة ، ذلك الهيكل الفكري القدوس الذي نستطيع ان نتعبد فيه كلما طغى شيطان الضجر الكياني علينا . فالبيوت التي تعنى بمكاتبها الخصوصية وتفتحها امام اولادها الناشئين في ارشاد روحي صاف خلاق ، هذه البيوت نادرة جداً في العالم العربي ، ان لم تكن معدومة على الاطلاق . وهذا الجو الروحي لا يخلق في هذه البلاد الا متى انتظمت العائلة عندنا ، لا حول مبدأ الغرائز الطبيعية الجسدية فحسب ، بل ايضاً حول المبدأ المميز للانسان عن الحيوان ، اعني حول عقله وروحه . وبما ان العقل الاصيل النابض المتراكم يعصر معناه في تلك القطرات الخطيرة التي نسميها كتباً ، تصبح المكتبة البيتية محراباً مقدساً تقيمه العائلة في وسطها تسبيحاً لاقوى قوة في الانسان ، لعقله الناطق الفاصل بينه وبين الحيوان ، الجامع بينه وبين الله . وكل عائلة تعنى فقط بالترتيبات الجسدية المحضة ولا تهتم ببناء مكتبة شخصية تتمركز فيها حياتها الروحية تجحد أقدس امانة تسلمتها من الله . والجاحد الكافر بهذه الشؤون المتعالية يعاقب هو واولاده وامته عقاباً اكيداً . فمشكلة الكتاب اذن لا تقتصر عندنا على كسلنا الطبيعي ، ولا على ميلنا الفطري الى قراءة الادب الرخيص ، ولا على افتقارنا في اللغة العربية الى الادب الرفيع — مشكلة الكتاب تتعدى هذه الحقائق الاليمة الى وضع قد يكون اشد ايلاماً منها كلها ، اعني الى وضع البيت ، اس الحياة الاجتماعية كلها . فمشاكلنا الاخيرة من التماسك الوثيق بحيث اذا هززنا مشكلة منها اهتزت لها جميع المشاكل الاخرى . فلو كنا اكثر البشر اجتهاداً وكنا لا نقرأ ولا نحب ان نقرأ الا الكتب العالية وكانت مع ذلك حياتنا الضئيلة فاسدة من اساسها ، لبقيت قوة القراءة كامنة فينا ان لم تقتل مع الزمن على الاطلاق . فما لم تنقلب حياتنا العائلية من الاساس الجسدي القائمة عليه الان الى اساس روحي جديد لا يزدري الجسد ، بل يضعه تحت العقل والكيان الروحي الاسمى ، وما لم نكرس هذا الانقلاب بشيء حسي موضوعي ، اعني بتنصيب المكتبة البيتية في وسط العائلة لن تدخل مؤسسة الكتاب في دورة حياتنا دخولها الحي الفعال في دورة حياة الامم الراقية . وهذا يعني انحطاطاً روحياً دائماً لا قيام البتة لاي شعب او امة عليه .

شارل مالك

الحركة الفكرية في النمسا

كان زوال النمسا كدولة مستقلة كارثة تاريخية وسياسية وانسانية والمانية في آن واحد . فالنمسا كانت تمثل ذلك الشكل الجرماني الملطف بما اكتسبه من المؤثرات الجنوبية والشرقية والسلافية ، الكاثوليكي المتصف بالتساهل ورقة الطبع وسهولة الخلق والتهذيب والثقافة ومحبة الفنون والاداب ، والاقدر من العصائب الهتلرية على تذوق الفكرة الالمانية الصحيحة ، واداب القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وبديهي ان زوال النمسا أفسح لالمانيا العسكرية السبيل الى بسط نفوذها بدون رادع فكانت الحرب ، وهي من عناصر القوى الروحية في المانيا ، وكانت شهوة الغزو عن طريق الارهاب .

ولقد بذل اساتذة برلين كل ما في وسعهم لحمل الناس على الاعتقاد بان الادب النمسوي ليس سوى مقاطعة للادب الالماني في الريخ . والواقع ان الادب النمسوي ابعد ما يكون عن الادب الالماني بدليل تأثره بالثقافة اللاتينية التي أغلق دونها جرمانيو الشمال افكارهم وارواحهم . ومن الامور المسلم بها ان وحدة اللغة لا تعني وحدة الادب فالادبان الانكليزي والاميركاني ليسا ادباً واحداً والا لوجب علينا ان نقول ان القصصي السويسراني كارل سبيتلر الماني لانه كتب قصته الرائعة «الربيع الاولمبي» باللغة الالمانية . واذا قلنا ان غريلبارزر ولينو وسنيتزلر هم ادباء المانيون لا شعراء نمسويون نكون قد جعلنا كل ما عمله التاريخ من حيث الحضارة والفكرة والفن طوال مئة وخمس وعشرين سنة ، اي منذ تأسيس الامبراطورية النمسوية .

سوى ان السياسة الالمانية بدأت في العشر السنوات التي تقدمت الحرب الحاضرة بتحويل الادب النمسوي عن تقاليده . وكان فون بابن ، وزير الريخ المفوض في فيينا وقتئذ ، من اشد العاملين في هذه السياسة . وان يكن ثمة اسماء خطيرة تنتسب الى الثلث الاخير من عهد فرانسوى جوزف بقيت حتى الانشلوس مسموعة الرأي كهوغو دفنستال مثلا ، وقد يرجع ذلك الى القوام المسيحي الذي يتصف به جزء من مسرحياته ، فقد خسف الضغط ادب القسم الاكبر من ادباء النمسا كشنيتزلر وهرمن وبيتر التنبرغ وبيرهوفمان .

ومما لا شك فيه ان هذا التحول هو نتيجة الاتجاهات السياسية الناشئة عن العنصرية وعن موجة اللاسامية في شكلها الهتلري الحاد . وهذه الاتجاهات عرفت كيف تستثمرها جميع القوى العاملة في خدمة الصليب المعقوف . فقبل الانشلوس بسنوات اخذ الحزب الوطني الاشتراكي في المانيا يراقب اسواق الكتب النمسوية في الريخ ليكره الادباء والناشرين النمسويين على البحث عن معاشهم .. وما ان تقرر الاضراب عن شراء المؤلفات اليهودية حتى فترت حركة الاقبال على أشهر ادباء اليهود ، وفي طليعة هؤلاء الاخيرين العالم العبقري سيغموند فرويد الذي يتمتع بشهرة عريضة في المقامات الفرنسية والانكلوسكسونية وفي سائر العالم . وقد اثبت انقطاع فيينا عن فرويد ان لا نبي يكرم في بلده . وفي عداد الادباء اليهود الذين قدر لمؤلفاتهم رواج عظيم في باريس ولندن ستيفن زويغ فقد اكره هذا الاديب على مغادرة سالزبورغ عندما حذف اسمه من مختصر تاريخ الاداب المخصص لشباب المدارس .

كانت فيينا ، عاصمة الامبراطورية الرومانية الجرمانية طوال قرون ، تجذب اليها وتستقبل الصفوة الاوربية التي حملت اليها نفوذ الاداب الفرنسية والايطالية وغيرها . وما بقي من هذا المزيج في الثقافة النمسوية وتقاليدها التي ما يبرح فيها عرق من الحياة ينفي العنصرية نفياً لا نزاع فيه . ومما لا شك فيه ان للنمسا ثلاث قوى كبرى تصون بها روحها هي الوفاء للذكريات العظمى التي يجهلها او يتجاهلها الوراث البرلينيون للنزاع القديم الذي قام لاجل السيطرة بين النمسويين والبروسيانيين ، والشعور الانساني الذي تتصف به الطبقات المثقفة ، والايمان الكاثوليكي المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالروح الوطني وهو من اشد عوامل المقاومة للوثنية الجديدة في الريخ الثالث .

ومما يضمن صيانة الفكرة النمسوية القديمة ان الادب النمسوي انتقل من العاصمة الى الارياف واصبح اقليمياً ، وان الكلمة المسموعة هي للشعراء والثائرين التيرولين والكارنثيين والستيريين اي لادباء النمسا العليا والسفلى كبيلنجر ولندز وستروتز ورودلف لزت وكرامر وهنريك سوزو والدك وغيرهم .

وصفوة القول ان الادب النمسوي المعاصر يبدو لمن ينظر اليه نظرة عارضة كأنه قد حال عن عهده الاول : والواقع ان هذا الادب ما يزال ممثلاً بالكتاب والشعراء الذين عاشوا في العام ١٩٠٠ وبالذين تحدروا منهم ، اي بوراث ذلك العهد الثقافي الذي اشرب في روحه الانطلاق والحرية . وقد مثل العنصر السامي في هذا الادب دوراً من الاهمية على جانب عظيم بشهادة اسماء خطيرة كأرثور سنيتزلر وبيرهوفمان وفرانز ورفل .

واذا نحن عاينا الحركة الادبية في النمسا عن كثب اتضح لنا ان ثمة ادباً اقليمياً يمد جذوره في الارياف وان هذا الادب يقوم على تقاليده المأثورة عن اطيب عناصر الروح النمسوي . واتضح لنا اخيراً ان ادب النمسا يعيش اليوم في فترة تريث وانتظار ..

المثال والحجر

بقلم صلاح الاسير

– حجرة مسحورة – والشمس بعد قطع الغمام
في موكب الارجوان الشفقي –

المثال – ستلين ايها الحجر ، فهذا الازميل ذو الرأس الحاد ، يعرف كيف يخط الحياة ... الحياة خطوط لا ازميل لها .

الحجر – كنت في كنف الارض ، دافيء الجنبات ، توسوس بي جنبات الظلام ، كنت في عالم لا يعرف ظلا ...

المثال – يخيفك الظل ؟..

الحجر – الظل نذير انهيار كل كائن قائم .

المثال – انت وانا ، نغمتان في نشيد الدنيا .. نحن اصداء .

الحجر – اصداء تكوين مرعب ، ترتعد من ذكراه ذوآبة جبلي الابيض .

المثال – في جعدة النغم الازلي اضواء وظلال ... ثمة لا تتلاقى فلذة بفلذة الا على وجد .

الحجر – تعني ... اننا على موعد ؟

المثال – اف .. لا تستعجل مأساة وجودك ، فاذا عرفتها الان ، فما الذي ستسمعه من الازميل ؟..

الحجر ، تعلو وجهه غبرة مرتجلة كأنها يواقيت الدموع – انت بدوني ماذا ؟..

المثال – أحجر وكبرياء ؟

الحجر – الظل داثراً ، والظل ابداً ...

المثال – خاطر لم يتجسد ، وينطوي على نفسه في الظل .

الحجر – تلك فلسفة تائهة لم تستقر .

المثال – ولن ...

الحجر – احس كف الشمس في الضلوع تبحث عن شيء ضائع .

المثال – وهذه الشقوق ؟..

الحجر – سراديب تنضح تاريخاً ...

المثال – ما لونك ؟..

الحجر – الحرمان .

المثال – رأيتك في اثينا على صورة « فينوس » .

الحجر – أكنت اوديسيوس يومئذ ؟..

المثال – بل انا خالق « ميزرفا » .

الحجر – جواب آخر عجيب .

المثال – طوفت بك اربعين قرناً ، وادعيك ... انت تماثيل عصفت بها زوابع مجنونة ... فتكتلت وعادت حجراً .

الحجر – حكاية قديمة . انت من التراب والى التراب تعود .

المثال ، يحدق في الحجر بحجرين اخضرين كالنجوى – انت عنوان عالم يعيش بك ، انت فهرس ناطق لعالم اخرس ...

(تباشير فجر يمد يده الرمادية ليخط آية النهار)

الحجر – في شوق وانت تلوي علي ، الى تقبيل انامك .. أين الازميل ؟..

المثال – عاودك الحنين ، وتفتحت كل خلية في جسدك البارد وعدت حاراً ...

الحجر – طريق سنقطعها معاً .

المثال – وقد يكملك ازميل آخر .

الحجر – ازميل واحد ... وتتغير اليد ... أعني الشعلة .

المثال – اراك ترقص للشمس ... كامرأة غضة الرواء ، تنقل رجليها الصغيرتين على قمم امواج حمراء .

الحجر – احب الشمس .

المثال – الشمس عدو ودود .. تحب دوماً يا حجر مالا احب .

الحجر – امرأة على قمم الامواج ؟

المثال – امرأة ، ثم ماذا ؟..

الحجر – ولن ترى الشاطيء ...

المثال – امرأة ، ثم ماذا ؟..

الحجر – ولن ترى الشاطيء ...

المثال – لا شاطيء . حيث انت امرأة .

الحجر – المرأة اغوار ... لا شاطيء . لامرأة .

المثال – لم يتغير صوتك ، فهذا الجرس الابح حبيب الي ، وعلى صفوة جانبك الايسر تهاويل باهتة تبكي ..

الحجر – هذا الجانب كان يستقبل الشمس وهي آتية من الشرق ...

المثال – الشمس المقبلة من كهوف الصين واساطير الهند ، حيث تتدلى حبال النور كالافاعي ... وتفح ... فاذا لمست جنبك الايسر غمرك العشق المشرقي .

الحجر – هات الازميل .

المثال – كل ما بك يغري ... قل لي متى تنسى ؟.. ويومئذ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يأتي اليك الازميل طائعاً ...

الحجر – انسى ؟

المثال – تنسى ما كنت وما تكون ...

الحجر – هب لي حيرة واحدة .

المثال – وتنفذ الى يقين .

الحجر – افتراض آخر رخيص .

المثال – ليتك لا تعي مرة واحدة .

الحجر – فاغدو امرأة من جديد .

المثال ، كالمخاطب نفسه – سأصلبه مرة ثانية ... انه يحس بذلك .

الحجر – في عينيك هاتين ارى وجهي المستطيل ، وشعري المرسل ، وشفتي الداميتين ، وعيني في شبه غيبوبة و...

المثال – وتستريح ...

الحجر – بعد طواف اربعين قرناً ... كالرحلة الاولى تماماً .

المثال – اربعون قرناً ... لاحساب لها في كتاب الكون الراكض .

الحجر – هات الازميل .

المثال – انت سحر طائف ، ووثبة مغرية ، والتفاتة تقطر استفهاماً ... انت ... من أين ابدأ ؟ ..

الحجر – دع الرأس جانباً ، فما ينبغي ان تبدأ به ... ان ابتداءك بالرأس يوم التكوين جر علي تشريدا ...

المثال – الرأس هو كل شيء ، لا تمل علي شروطا .

الحجر – تقراؤن الفهرس ... وتطوون الكتاب الى غير ما نشر .

المثال – العمر خطفات نواعر ... فلنغرقه في اللذة .

الحجر – وتتركني بعد ذلك رأساً لا جسد له .

المثال – ويكملك سواي .

الحجر – جواب ترابي .

المثال – المهم ان تصبح يوماً تمثالا كاملا .

الحجر – تفرغ همومك في تعذيبي ... وتذهب قريراً ... واظل في انتظارك قرونا .

المثال – أما كان يمكن ؟ ..

الحجر – واهواك تذهب عني ... وافنى في انتظارك .

المثال – يستهويني لاوعيك في احايين ، فاشفق واتنهد وانهار في الصفاء ، ولكن ...

الحجر – ولكن انانيتك لا تشبع ، فهي تريد السلم غب معركة موفقة .

المثال – وانت تكره الظل .

الحجر – اكره الفناء .

المثال – يخيل الي وانا ارى ظلي ... انني ارى موتي .

الحجر – وتريدني على صورة الانسان .

المثال – على صورتي .

الحجر – اذن سأكون رجلا .

المثال – بل امرأة .

الحجر – ضجة جديدة .

المثال – جاء الازميل .

صلاح الاسير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القبلة الاولى

ابو سف الخال

ضممتها بكر من ضمت ... وقبلة كان ما غنمت

بريئة البوح يعتريها ... سكون حب غفا ، وصمت

يلفها الطهر قرمزيا ... هام على ثغرها فهمت

ارتشف اللون باشتياق ... يهم بي مثلما همت

فاطبق السر مستباحاً ... يموج في كل ما علمت

تحبني ، جهد ما تمنت ، ... وتخنق الوهم ، ان وهمت

تحبني ، جامع التمني ... انثر في الحب ما لمت

وانشق الفوح من شذاها ... معطر النفع اين رمت

يا قبلة كلها نعيم ... حسبي من العمر ان نعمت

ولي بها غاية ترجى ... صليت من اجلها وصمت

العبقرية العلمية البريطانية

في العهود التي تتجابه فيها الاحزاب وتدور رحى الحروب لا يسهل على الفكر اعطاء حكم سليم في ما يقع من الاحداث ، ففي عهد « الارهاب » « La Terreur » لم يتصل بسوى عدد قليل من الباريسيين ان احد اكتشافات لافوازيه Lavoisier سيكون له من الاهمية الحاسمة في مصير الحضارة ما لم يكن لاعدام لويس السادس عشر Louis XVI او ماري انطوانيت Marie — Antoinette ولم يتفق لأي من معاصري بونابرت Bonaparte ان يوازن بين اهمية تراجع نابوليون Napoléon من موسكو واهمية اكتشاف برنار كورتوى Bernard Courtois لليود ، ونحن نعيش اليوم في عهد اشد اضطراباً واكثر ابهاماً وغموضاً مما سبق من العهود بحيث يجمل بنا ان نعيد النظر في ما اسلفنا من الاحكام والاراء .

ونخلص من ذلك حتما الى ان الاكتشافات العلمية الخطيرة ، بالرغم من اقدام الناس على اساءة استعمالها ، قد ادخلت تحسيناً كبيراً جداً على مصير الانسان . ومما لا شك فيه ان رقي العلم ورقي الانسانية واحد ، فان تكن الحضارة مهددة في يومنا هذا فالعلم ليس اقل منها تأثراً بالخطر . وليس لنا ما يقطع الدليل على هذه الفكرة افضل من تدليلنا على مقدار تخفيض المانيا لعدد الطلاب والاساتذة الذين يدرسون في المختبرات والمؤسسات والجامعات العلمية .

والواقع انه وان تكن الحضارة هبة العلماء للبشر الا ان الناس يجهلون هؤلاء العلماء بل يجهلون حتى علماء بلادهم . فالانكليزي الذي لا يجهل اسماء دراك Drake وفروبيشير Frobisher وكروميل Cromwell ونلسن Nelson وويلنكتن Wellington وهيغ Haig وجليكو Jellicoe وبيتي Beatty ، ان الانكليزي الذي لا يجهل اسماء هؤلاء الامجاد من رجال الجندية والبحرية لا يجد مغيضاً من الارتباك عندما يطلب منه ان يذكر ما يوازي عدد هذه الاسماء من علماء بلاده مع ان هؤلاء الذين ذكرناهم من الجنود والبحارة وان كانوا من عظماء الخلق الا انهم لم يسبغوا على الانسانية من الفضل ما اسبغه عليها امثال بويل Boyle ونيوتن Newton وكافنديش Cavendish ودالتون Dalton ودافي Davy وفارادى Faraday وداروين Darwin وهكسلي Huxley وج. تومسون J. J. Thomson وغيرهم .

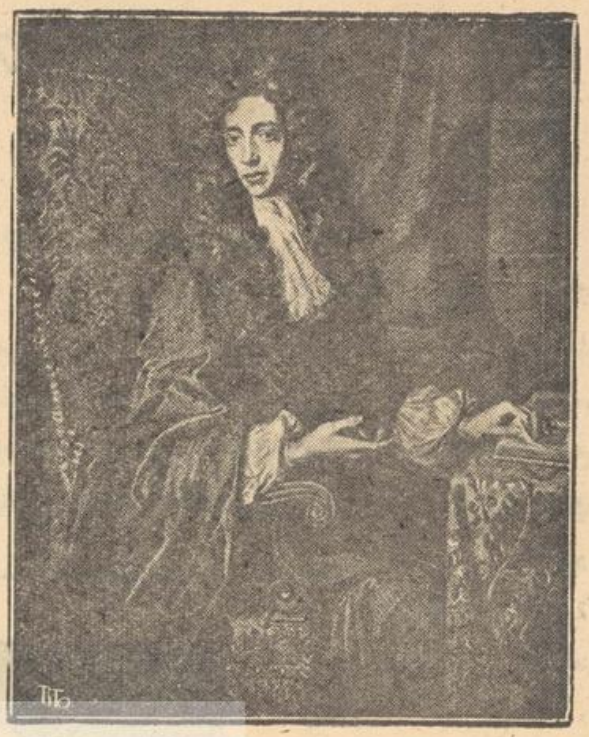


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السر اسحق نيوتون
١٦٤٢ — ١٧١٧

Sir Isaac Newton
1642 - 1717

واذا نحن ألقينا نظرة على الحركة العلمية في انكلترا منذ عهد روجه باكون Roger Bacon الى مطلع القرن العشرين يتضح لنا انه اذا كان العلم درساً دولياً على الخصوص فقد مثل العلماء البريطانيون دوراً على جانب من الاهمية بحيث لا يمكن



Hon. Robert Boyle
1627 - 1691

أونورابل روبرت بويل
١٦٢٧ - ١٦٩١



Sir Humphry Davy
1778 - 1829

السر همفري ديفي
١٧٧٨ - ١٨٢٩

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



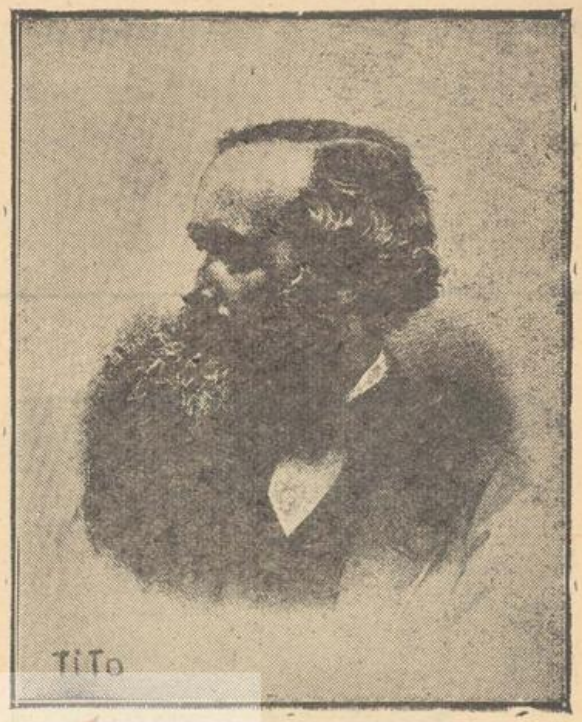
Joseph Priestly
1733 - 1804

يوسف بريستلي
١٧٣٣ - ١٨٠٤



Michael Faraday
1791 - 1867

ميخائيل فارادى
١٧٩١ - ١٨٦٧



جيمس كلبرك ماكسول
١٨٣١ - ١٨٧٩

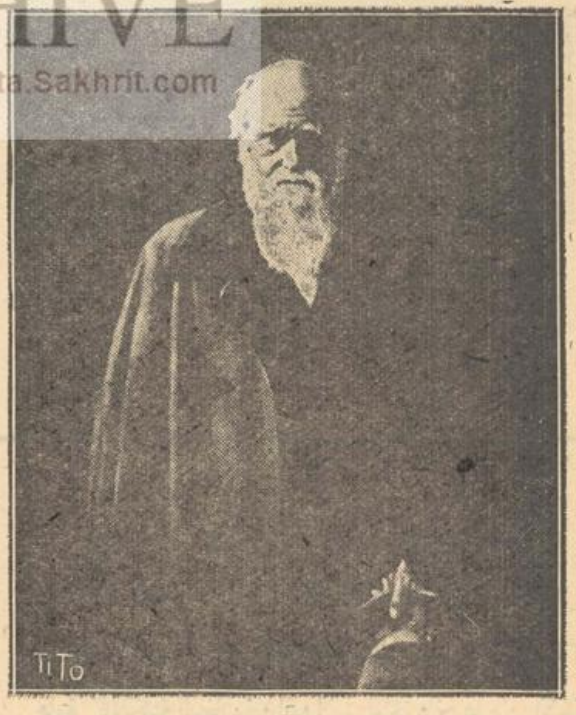
James C. Maxwell
1831 - 1879



اللورد رالياي
١٨٤٢ - ١٩١٩

Lord Rayleigh
1842 - 1919

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



شارل داروين
١٨٠٩ - ١٨٨٢

Charles Darwin
1809 -1882



السر يوسف سومسون
١٨٥٦ - ١٩٤٠

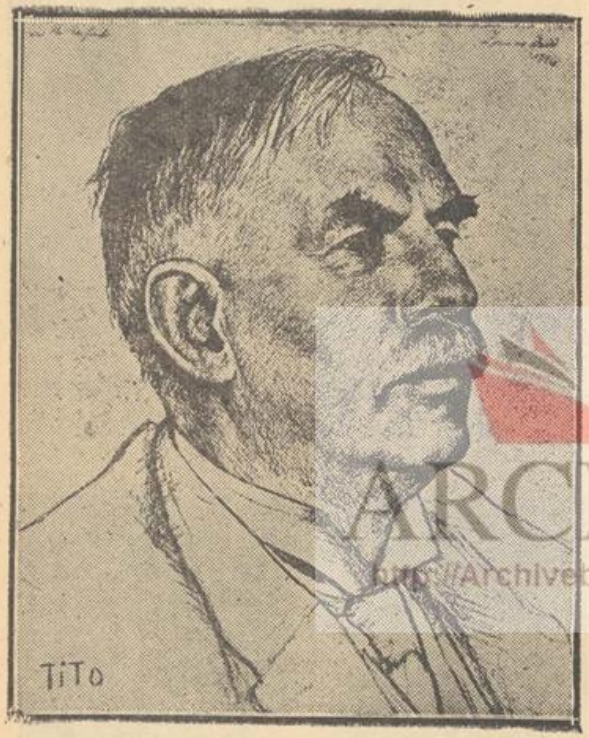
Sir Joseph Thomson
1856 - 1940

اعطاء فكرة صحيحة عما اعطته العلوم والمعارف من غير ان تذكر في الطليعة اسماء هؤلاء العلماء . وقد لا نبالغ اذا قلنا ان العبقرية البريطانية ظهرت باجلى مظاهرها سواء في اكتشاف مبادىء الطبيعة الجوهرية والكونية او في الاختراعات الميكانيكية التي اخترعها العلماء الانكليز .

درس خصائص المغناطيس واخترع كلمة «كهرباء» وكان في مقدمة الذين دافعوا في انكلترا عن افكار كوبرنيك Copernic . ومع نيوتن (١٦٤٢ — ١٧١٧) ازدهرت المعارف البريطانية ازدهاراً فجائياً وما يزال هذا العهد المجيد ممتداً الى يومنا هذا .



السر وليم براج Sir William Bragg
١٨٦٢ - ١٩٤٢ 1862 - 1942



اللورد روثرفورد Lord Rutherford
١٨٧١ - ١٩٣٧ 1871 - 1937

ويبدأ تاريخ المعارف البريطانية بروجه باكون ، هذا الراهب من رهبان القرون الوسطى الذي كان في طليعة الذين اصروا على اهمية الاختبار في الاستقصاء العلمي .

وكان وليم جلبرت William Gilbert اعظم مشاهير عصره من تلاميذ باكون ، فهو الذي طبق اسلوب الاختبار او التجربة في

وقد تألفت جمعيات ومؤسسات علمية كالجمعية الملكية Royal Society والمؤسسة الملكية Royal Institution فساهمت مساهمة كبرى في تقدم العلوم والمعارف واسفرت عن اكتشافات هامة كالمكنة البخارية والدولاب المائي وغيرها من الاختراعات البريطانية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشباب طليعة الامة

بقلم الدكتور فسطنطين زريق
استاذ في التاريخ العربي بجامعة بيروت الاميركية

•

الحديث عن الشباب طويل متشعب يحار المرء من اية ناحية يأتيه وعلى اي نحو يسلكه . وهو حديث متجدد بتجدد الايام ، وما فتيء موضوعه منذ اقدم الاجيال يلهم الادباء ، ويثير الفكر عند رجال العلم وقادة الاجتماع . على ان هذا الموضوع لم يكتسب في أي من العصور الماضية من الاهمية ما اصبح له في الاونة الاخيرة عندما عمدت الامم المتقدمة الى تقوية بنيانها وترسيخ قدمها في الحياة ، فلم تجد قوة تستطيع ان تقوم بهذا العبء مثل الشباب ، فوجهت له اوفر عنايتها وحرصت على ان تجهزه جسماً وعقلاً وروحاً بما يؤهله للقيام بمهمته الدقيقة . واذا كان هذا شأن الامم التي قطعت من سيرها شوطاً بعيداً ، فأحر به ان يكون من اخص شؤوننا في البلاد العربية وقد بدأنا اولى مراحلنا نحو حياة ناهضة وتطلعنا الى مستقبل جديد يلوح في الافق البعيد .

ومن يطالع آثار الادباء ورجال الفكر يجد انهم قد تفننوا في وصف الشباب تفنناً كثيراً ، وأطلقوا لخيالهم العنان فصوروه شتى الصور وشبهوه بمختلف التشابيه . فهو عندهم قلب الامة ، او عرقها النابض . بل هو زهرة الحياة ، او ينبوعها المتدفق . او قل : هو الآلة المحركة ، او الركن المتين . ولعلك لا تجد تعبيراً يصور معنى من معاني القوة والهمة والامل الا وترى ادباء الامم قديماً وحديثاً قد اطلقوه على الشباب ورسموا ألوانه المختلفة ووجوهه المتعددة . وقد استعرضت ، ما علق بذهني من هذه الصور ، فلم اجد اكثر ملاءمة للحياة الحاضرة واشد انطباقاً على مقام الشباب الحقيقي في الامة ، من تلك الصورة التي تجعل من الشباب طليعة الامة في جهادها وتقدمها . اجل ان خير ما نستطيع ان نصف به الشباب ان نقول انه من الامة في الطليعة ، وان عليه ان يقوم لمجتمعه المتوثب بما تقوم به الطليعة للجيش المتحفز المناضل .

فما هي الصفات التي يجب ان تتحلى بها الطليعة ، والتي ترجى كذلك من شباب الامة ؟ اولى هذه الصفات ، بلا مراء ، هي ان تكون الطليعة متطلعة ابداً الى الامام . ان في اسمها نفسه ما يدل على النظرة الامامية التقدمية ، وما ينفي الالتفات الى الوراء . ومهمتها الاولى هي ان تخترق بنظرها النافذ الآفاق ، وان تجيل بصرها في ما يعترضها من سهول وجبال ووهاد : تستكشف السبل وتبحث عن موطن الامن ومواقع الخطر . فاذا هي لم تفهم مهمتها هذه ، بل حولت نظرها الى الوراء ، او ترددت بين ما يواجهها وما تركته خلفها ، وقضت وقتها حائرة لا تنظر نظراً واحداً مستقيماً ، فقد أخفقت في ما نُدبت اليه ، وجرّت على الجيش الذي ارسلها الشر والخراب . وهكذا الشباب في الامة المجاهدة : اول واجب عليه ان ينظر الى المستقبل لا الى الماضي ، ان يتطلع لا ان يلتفت ، ان يستكشف بنظره الحاد سبل الحياة الجديدة لا ان يكتفي بالتغني بالمجد القديم والعز التالد . عليه ان يكون في تفكيره وعمله تقدمياً لا رجعياً ولا حائراً بين التقدم والرجعية . الغايات التي يسعى اليها غايات منصوبة امامه ، فاذا حول نظره عنها بالتلفت او الحيرة او الوقوف ، ضاع وضيع امته وبلاده .

فليسأل شبابنا اذن نفسه هذا السؤال الاول : الى اية ناحية ينظر ، واين يتجه قلبه وفكره ؟ ليحاسب كل شاب منا نفسه ويوضح موقفه ، فان شر ما يمكن ان يصيب هذه الامة هو الا يفرق شبانها عن شيوخها ، والا يكون بصر الشباب ممتداً ابداً الى الامام . ولكم يحز في النفس ويثير كوامن الالم ان نرى ابناء الجيل الجديد يعاشون الجيل القديم في ما ورث هؤلاء من قيود الماضي ، بل يسبقونهم احياناً في هذا المضمار ، لا عن اعتقاد وايمان بل رغبة في ارضاء هوى وبلوغ مأرب . هذا النوع من الشباب لا يؤدي حق مهمته ، بل ينزل بامته الشرور والاضرار ، لانه لا يعرف مقامه الذي يجب ان يحتله في المجتمع : مقام الطليعة ، او هو يعرف هذا المقام ويتغنى به ولكنه لا يدري ما يلقيه عليه من التبعات او ما يفرضه من الخصائص والصفات .

ومن الصفات التي يجب ان تتحلى بها طليعة الجيش : التنبه واليقظة . ففي كل عكفة من الطريق خطر ، وعلى كل مرتفع وفي كل منخفض مخابيء لعدو متربص ، وحول كل خطوة اشواك ومزالق . فكيف لها في مثل هذه الحال ان تهمل او تتهاون ، ان تتلهى بالشهوة العارضة او الرغبة الخاطرة عن الواجب المرسوم والهدف المعين ؟

وما قولك اذا ملّت وتقاعست ، فنامت في الطريق ، او نسيت ما انتدبت اليه ؟ الا تكون قد تخلت عن وظيفتها وقصرت بواجبها ،

وجلبت على نفسها وعلى الجيش الذي ارسلها اعظم الكوارث ؟ ان التاريخ ملي. باخبار الجيوش التي اهلكت، والمواقع التي خسرت بسبب غفلة الطلائع وقلة احتراسها .

وهنا ايضاً على شبابنا ان يتساءل : ما هي درجة انتباهه لما يحيط بامته من اخطار ؟ اتهمه هذه الاخطار ، أتثير قلقه وخوفه ، ام هو منصرف عنها الى المشاغل الطارئة والاهواء النازعة به كل منزع ؟ أفي يقظة هو ، عينه مفتوحة ، اعصابه مشدودة ، ذهنه حي متنبة ، ام في خمود وسهاد ، تمر به الاحداث فلا يراها ، وتحيط به المخاطر فلا يدركها ، ويسير في طريقه الشاق الوعر على غير نور او هداية . كل شاب من شبابنا يعترضه هذا السؤال . ولا خير في ان يتخيل احدنا جواب غيره من الشباب عنه ، بل الخير كل الخير ان يجيب عنه هو نفسه اولا ، فيجلو موقفه ويرضي ضميره ، لان وعي الشبيبة عموماً لا يقوم الا على اساس وعي افرادها — كل بنفسه — وعياً صحيحاً كاملا .

والتنبه واليقظة يستلزمان صفة اخرى : هي الجرأة . فالطليعة الخائفة الوجلة التي ترتجف ازاء الخطر ، او تهن وتتراخى اذا جابهتها المصاعب ، مصابة حتما بالفشل ، منزلة بجيشها ابلغ الشرور . على ان هذا قلما يحدث في الاحوال المنتظمة ، لان الشرط الاول في اولئك الذين ينتخبون ليؤلفوا الطليعة هو ان يتصفوا بالجرأة والشجاعة . وغالباً ما يكونون من الفدائيين يعلمون حق العلم ان الموت قد يطلع عليهم من اية ناحية وفي اية برهة ، ولكنهم يختارون مع ذلك السير في الطليعة ليؤمنوا جيشهم من الخطر وامتهم من الهلاك .

فما هي حالة شبابنا من هذه الناحية ، وهل يحققون فعلاً هذا المعنى الاساسي من كيانهم في الطليعة ؟ ليس المقصود بالجرأة هنا الطيش والتهور . فالطليعة الصحيحة ابعد ما تكون عن ذلك . انما المقصود هو الجرأة الرزينة ، الجرأة التي تقدر العقبات حق قدرها ، وتقدم مع ذلك عليها دون هيبة او وجل . وليست الشجاعة التي نطلب تلك التي تقوم على الصياح والنقد والتهديم . فهذه اسهل انواع الشجاعات ، بل قد تكون في اغلب الاحيان جبناً اكثر مما تكون شجاعة . وانما هي اولا جرأة في التفكير ، تثور على الشر والضلال فتهدمه ولكنها تجابه الحقيقة فلا تخشاها ، بل تخضع لها صاغرة منقادة ، اذ في الخضوع للحقيقة جرأة واقدام ، وفي الاستكبار والخروج عليها شر انواع الجبن والخذلان . وهي ثانياً جرأة في العمل . وليس من الضروري ، كما تعودنا ان نتصور ، ان يكون العمل باهراً خلاباً ليتطلب جرأة وشجاعة : فما هاتان الفضيلتان مقصورتين على المواقع والثورات والحروب ، بل ان في العمل البنائي الهادىء احياناً من الجرأة والاقدام ما لا يتجلى في اعظم الحروب ، واشد المواقع . واني لا اريد ان استعرض هنا حالة شبيبتنا لابين حظها من هذه الجرأة الحقة — الجرأة في الفكر العامل والعمل المفكر — وانما علي ان اؤكد بكل قوة ان الشبيبة اذا طمعت في ان تكون من امتها في في مركز الطليعة ، فقد وجب ان تحقق في ذاتها صفة اولى من الصفات التي يتطلبها هذا المركز : الا وهي الجرأة والاقدام .

ولكي تصل الطليعة الى هدفها وتقوم بمهمتها يترتب عليها ان تكون منظمة تنظيما دقيقاً . والتنظيم صفة ضرورية للمجتمع ، وللجيش بصورة خاصة ، وللطليعة منه على الاخص ، ذلك ان الاخطار المحيطة بالطليعة تحتم عليها ان تخضع لاشد انواع الانتظام والانضباط ، وتمنع منعاً مطلقاً ان يكون كل فرد من افرادها قائداً او رئيساً . اذ لو سار كل في طريقه ، وتمشى كل هواه ، فكيف تبلغ الغاية ويصاب الهدف ، وكيف تتمكن العصبة الصغيرة التي تؤلف الطليعة من ان تتغلب على ما يجابهها من صعاب ، وتعود الى جيشها سالمة كاملة لتدله على الطريق الصحيح والسبيل المأمون ؟

وهكذا الشباب : اذا تفرقت قواه ، واختلفت اهواؤه ونوازعه ، وشد بعضه الى هنا وبعضه الى هناك ، فلا امل له بالقيادة ، ولا امل لامته بالتقدم او النجاح . فليفهم هذا الشباب اذن ان الانتظام — الانتظام في التفكير وفي الخلق وفي الحياة الشخصية والعلاقات الاجتماعية ، شرط لازم وصفة لاغنى عنها ، اذا اراد لنفسه او لامته ، الفوز والفلاح ، بل مجرد البقاء .

ان امام الشباب العربي مشاكل كثيرة تطلع عليه من مختلف نواحي حياتنا ، ولكن وراءها كلها مشكلة اساسية واحدة لا تتبدل : هي ان نفهم انه يجب ان نكون من امتنا في مقام الطليعة ، وان نتوق لاحتلال هذا المقام ، وان نسعى لنكتسب بالجهد والمران النزعة التقدمية والتنبه والجرأة والانتظام وامثالها من الصفات التي يفرضها هذا المقام الممتاز . فعسى ان نفهم كشباب اهمية غايتنا هذه ، وان نعمل ونجاهد على ضوء هذا الفهم لنؤمن لامتنا السبيل المضمون الى النصر والتقدم والنجاح .

فـاطمة زريبي

حلم

◆

مال عنا الرقيب والبدر ناما ... فغرقنا صبابة وغراما
حلم لا يزال ملء عيوني ... يا حبيبي ما أطيب الاحلاما

لاح روض يجري حواليه نهر ... وتطير الاطياب عن جانبيه
تنفر الطير عنه رفاً فرفاً ... ثم تهوي رفاً فرفاً عليه
فاختلفنا اليه نمشي الهوينا ... بين هلّ الندى وفوح الخزامى
حلم لا يزال ملء عيوني ... يا حبيبي ما أطيب الاحلاما

وعلى النهر زورق فارتمينا ... فيه مستمسكين بالمجذاف
وجرينا به نميل خفافاً ... من ضفاف مخضلة لضفاف
نطلق البوح نغمة شبه سكرى ... فيبوح الصدى به انغاما
حلم لا يزال ملء عيوني ... يا حبيبي ما أطيب الاحلاما

زورق يمخر العباب وروحان على رقص الموج تعتنقان
وحفيف الغصون مدّة ناي ... ورفيف الطيور رجع كمان
ليت نور الصباح ما لاح او راح ينحي عن الهناء النياما
حلم لا يزال ملء عيوني ... يا حبيبي ما اطيب الاحلاما

نقولا بسترس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثـــــوب الممزق

بقلم سرويل ادريس

◆

لم يفطن احد من القرويين لامر «عجاج» يختلف صباح مساء الى العين دون ان يبغي فيها شيئاً ، وانما يقتصر على الجلوس في ظلال شجرة جوز وريفة على مقربة من مياه العين، يرنو اليها تنهل صافية مترقرقة في ذلك الحوض الكبير .. وقد يملّ هذا المنظر الرتيب ، فيأخذ عوداً ينكث به الارض ، وهو في كل ذلك يفكر محموماً متوزع البال،مايستقربه اضطرابه لحظة ..

ان اربعين يوماً قد مرت عليه في مثل هذه الحال من القلق الممض ، والحيرة المرمضة ، يلتمس تفريجاً فما يوفق ، حتى خال انه سوف يقضي مختنقاً ، لكثرة ما صعد من الآهـات تشقق صدره وتقرح حلقه .

هو لا يذكر الا انه رغب اليه يوماً ان يملأ «الجرة» من العين، فمشى اليها على هينة ، حتى اذا بلغها بصر بفتاة سافرة ترتدي ثوباً اخضر اللون ، تعود أدراجها الى دارها القريبة من العين ، وان سيماء العيش الخضيل والحياة المترفة الناعمة ، تتخايل على وجهها البض ، فما شك «عجاج» في انها من هاتيك الفتيات المدنيات اللاتي يقضين مدة الصيف في الجبال ترويحاً للنفس وطلباً للرفاهية .

واتبعها عجاج نظره ، حتى رقت السلم،ثم دخلت الدار،وأغلقت الباب على تؤدة . ولعل اغلاق الباب هو الذي ابتعث فيه ذلك الاضطراب الملح — فقد هداه تفكيره الساذج الى انه لو لم تغلق الفتاة الباب لكان يقدر له ان يلقي عليها نظرة اخرى يتحرق الان شوقاً لان يحس نعيمها ، ويشعر بلذتها الرخية !

بيد ان الذي ترك في نفسه اعمق الاثر من تلك الرؤية الاولى، هو ذاك الثوب الرائع الذي تماثل خضرته لون هذه الاعشاب الريا ، التي تذكر الربيع الاغر : حلم الفؤاد وصبوة الروح .

كان ذلك اللون انّى رآه يبعث في نفسه شعوراً قلقاً ، لكنه شعور عميق كأنه نشوة حائرة ما أشبهها بنشوة النائم استيقظ بهدوء على همس حلم سكر له .

ويتابع «عجاج» عمله في حقل ابيه شارد اللب محموم الفؤاد ينتظر ان يفرغ من الحراثة كيما ينطلق الى العين طائراً .. ومع ذلك ، فانه كان قلما يرى الفتاة في تلك الساعة المتأخرة من المساء، فكان يقفل كاسف البال ، متحطم الامل ... وكذلك قضى ما ينوف عن الخمسة عشر يوماً لا يتاح له ان يبلغ العين الا في السادسة مساء ، فلا يتيسر له ان يرى الفتاة المدنية الا غراراً ...

وذات يوم ، ازمع ان يقلع عن ارتياد الحقل الذي كان يتعهده بالحراثة والري ، غير عابيء بما قد يجره عليه عمله هذا من غضب ابيه الشيخ ، ومن حنقه العظيم عليه . وعزف كذلك عن التردد الى مقهى القرية الصغير حيث تجتمع فئة من الشباب لاهم لهم الا التنادر والتحدث وقص قصص ما تخلو من فحش وخلاعة ... وما من سبيل لان ينكر عجاج ان تلك الاحاديث والروايات كانت تلذه ايما لذة وتبعث في جسده لذة تحول — اما تفاقمت — الى حنين ملتهب ..

ولكنه شرع يحس بعد صدوفه عن ارتياد المقهى ، وركونه الى ذلك المجلس الهادىء الريق ، ان بغضاً شديداً يتفجر من صدره قوياً زاخراً مستهدفاً اولئك الشبان الفاسدين والسوقة الغلف .. وكيف يكون هو منهم ، وهو يشعر منذ ذلك الحين بنفحة نورانية تتسرب الى صدره فتمسحه بيد الطهر والعفة ، فما يراوده من الاحلام الا كل ناعم بريء ، وما يلم بقلبه الا غاضر الامل ... ولا عجب ، فان امل القروي فذ ما يشبهه امل ...

وثمة على العين ، لم يكن المجال يتيح لعجاج ان يرى الدار الا من غير تمييز لاجزائها ، ولم يكن من سبيل الى الدنو منها اكثر مما هو دان ، فقنع بجلوسه حيث هو ، واجتزأ من رؤية الفتاة بترددها الى الشرفة المطلة على العين .. وما من شك في ان الذي كان يؤذن الفتى بخروج الفتاة ، انما هو ثوب اخضر ... واذ ذاك فحسب تثور في صدره اضطرابة الصبابة في وحشة العزلة ويتأرث الحنين في القلب الظمىء ..

ومكث عجاج زمناً غير يسير على تردده الى العين من غير ما عمل ، يزجي النهار كله معلقاً بالشرفة نظره، يتعجل الغد كأن ليس

بينه وبينه الا قوس او ادنى .

ولكن عن لفكره ذات اصيل ، ان يستأذن صاحب الارض التي تحف بالعين في ان يقلبها ويزرعها ويتعهدها ، فأذن له صاحبها لما عهد فيه من جد ونشاط واناة ومثابرة ومناه ببعض المال .

ويومذاك فحسب ، استشعر عجاج في قلبه دعة وأمناً ، واحس بزوال ذلك الارتباك وتلك الحيرة يعروانه اما حاذى الدار . اما الآن فله ملء الحرية في ان يختلف اليها متى شاء ولقد شرع في عمله وهو على اشد ما يكون من النشاط ومن الفتوة ، وعني بحقله ايما عناية .

وتقاعده — ذات يوم — شغل عن الذهاب الى حقله ، فاحس الشوق يحيل عاطفته ناراً مشبوبة ، وما ان فرغ من هذا العمل الطارىء حتى انطلق الى العين ناسلا . . . وواجه حقله ، فعاين الفتاة ذات الثوب الاخضر منتحية منه ناحية مظلولة بشجر جوز ، وكانت مستلقية على العشب تقرأ في كتاب ، فشعر عجاج باختلاجة تسري في كيانه ولم يدر أي عائق استوقفه دون النزول في حقله . . . ووقر في ذهنه ان لم يبق له أي حق فيه ، وانه ليس في ملكه بعد . ولبث حيث هو لا يرفع بصره ولا يريم — وطال وقوفه ، فكان ان شعرت الفتاة بوجوده ، فالتفتت لفتة ولاحظت ارتباكه . . . فاستوت قليلا وبادرته :

— هل هذا الحقل ملكك ؟

فالتاث عليه القول ، وكاد بصره يزيغ غير انه تقدر له ان ينبس بخفوت :

— لا . .

« لا » ، واذن ما بالي واقفاً ، وليس يعنيني شيء ؟ .

اخذ يسير في طريقه . . . لم يكن سؤال الفتاة الا ابعاداً ، الا يكن طرداً . . . و « اراد » عجاج ان ينضب ، ولكنه لم « يستطع » ! وانى له ذاك ، وان رسم الفتاة البارعة الجمال بثوبها الاخضر الرائع لينطبع في ذهنه انطباعاً ، فيسبغ على قلبه من الحنين والحنان . . . وتابع سيره بترفق محزن تعتلج في صدره نوازع شتى ، ويضطرب في فؤاده مختلف الشعور ، ومن خلال ذلك كله تبرز صورة الثوب الاخضر ، فتستثير حواسه . . ولبث يسير . . لبث وقتاً طويلا يمشي كأن « وهماً » بعيداً يجتذبه ويستدعيه اليه . . . وكثيراً ما يخدع الوهم الحس ويخلب المشاعر . . .

ونظر عجاج فجأة ، فاذا هو مشرف على القرية المجاورة . فارتاع واشفق ، وانتقل على عجل وراح يزف في سيره في طريق الرجعة .

بلغ العين على أشد ما يكون من الغضب ، وكان يلهث ويصعد انفاساً طويلة . وتشوف لحظة الى حقله ، فالفى الفتاة تقف رويداً حالمة المحيا تكاد بسمة ان تطفر على شفتيها ، وتابع سيره حتى اوشك ان يحاذيها في الحقل ، وهو على ما هو عليه من لهاث وتنفس . ونظرت الفتاة اليه باغراء وبادرته ببسمة عذبة ، ثم قالت :

— بلى ، ان هذا الحقل يخصك ، رأيتك طويلا تزرعه وتسقيه .

فتوقف وقد علق مزيج من شعور الدهشة يتسرب الى صدره ، ومكث لحظة حائراً . بيد انه لم يرد ان يمكث على صمته على الرغم من هذا الخفق الذي يعقل لسانه ويتناهى الى اذنه شديداً قوياً يملك عليه سمعه ، وحين عزم على التكلم ، الفاها تنظر اليه بفضول . قال متلعثما :

— ليس هذا الحقل . . ملكي . ولكن صاحبه رغب الي ان اتعهده . . .

فعادت البسمة العذبة تراود فمها القرمزي ، واذ لاحظت ان لهاث عجاج يشتد ويزداد اتسعت حدقتاها فشع منهما بريق الجمال الفاره ثم قالت بهدوء ورزانة وبشيء من التعجب :

— ولكن لم تلهث ؟

لم يستطع ان يجيبها جواباً حين شعر بالدم يطفر الى وجنتيه فيصبغها احمراراً . ولولا ان رأى شفتي الفتاة تفترقان للتكلم لكان ذاب من شدة الحفز ! . . وعلى تؤدة رفعت ذراعها ، واستندت الى غصن شجرة دانية ، فكانت وقفتها فاتنة خلابة ، ثم امرت يدها على شعرها بعناية ودلال ، وسألت :

— ما اسمك ؟ . .

فعجب عجاج كل العجب ان تمكث معه هذا الوقت تسأله وتحدثه كأنها حفية به ، بيد ان هذا العجب لم يكن ليذهب ما به من اضطراب وحيرة ، وليس ادل على ذلك من جوابه هذا : — ولكن لماذا . . تسألين ؟ . . نعم ، اسمي انا ، عجاج !! واذ تلفظ باسمه ود ان يبتسم غير انه خشي الا تروقها بسمته فكبتها على مضض بين شفتيه ، واذ ذاك رفعت اليه بصرها ، وقد عاودها الاستغراب ، وقالت بشيء من التهكم اللاذع :

— عجاج ! . ما هذا الاسم ؟ . . وما معناه ؟ . . حقاً انه لقروي !! . .

لم يرد ان يستمع الى كلمة واحدة بعد « عجاج » التي لفظتها . . بشفتيها هي . . ولم يود ان يفهم ما تقصد من جملتها . . ان هذا

الجواب لا بد مرض .. واذن فقد سمح لشعور الاطمئنان ان يهيمن عليه .. وتنفس الصعداء ، ورفع اليها بصره نشوان جذلا ، ومهد لجملته التي سينطق بها ببسمة قروية عريضة ، وقال :

– حقاً .. انك لجميلة ..

فالتفتت الفتاة فجأة كأنها اقامت من حلم وسارعت بقول هذه الكلمة الواحدة التي تنطوي على معنيين اثنين : اولهما التفاخر والتيه والاعجاب وآخرهما ينم عن سخرية لاذعة وتهكم مر :

– صحيح ؟! .

فنظر عجاج اليها وقد بدأت الخيبة تتجلى في عينيه وعلى تقاطيع وجهه . ولكن الفتاة لم تطفىء بسمتها فعاود عجاجاً بعض الاطمئنان ، وقال في شيء من الخجل والاسى ، وقلبه يخفق شديداً :

– انك جميلة جمالا لا حد له . ولهذا ، فانني .. احبك ..

لم تدعه يتم جملته حين التفتت اليه بانتفاضة ورعشة ، ونظرت اليه متسعة الاحداق وقد كست وجهها مسحة من الغضب .. ولبثت امامه لحظة ثم رمته بنظرة مسخطة وقالت باشمئزاز :

– حقاً .. انك لاحمق ..

وانطلقت الى دارها ..

وفي امسية ذلك اليوم حين اوى الى فراشه ، شعر بالالم ينشر بين ضلوعه صفحات من اللوعة والاسى ، وكثيراً ما كانت الاحلام توقظه من منامه فيستوي في فراشه جالساً ، ويشرع يحدق في هذا الليل البهيم كأنه حارسه الامين .

سلخ اسبوعاً في داره ، لا يتردد الى الحقل ، كأنما وطّن نفسه على الا يختلف الى العين قط ومضى على ذلك خمسة عشر يوماً ولكانت اكثر من ذلك لو لم يقبل صاحب الحقل غاضباً حانقاً يعاتب عجاجاً ويلومه ويتهدده بالحرمان لتركه الحقل هذا الزمن الطويل دون ان يروي . ولم يكن خوف الحرمان هو الذي دفع عجاجاً الى وعد الرجل بزيارة الحقل اذ يصبح ، ولكن شعوراً معذباً يحاول عبثاً كبته شب في لحظة واحدة وملك على القروي الفتى ارادته وعزمه .

وما ان انشق عليه الفجر حتى نهض وقد عاوده من النشاط نصيب وافر ، واضطرب في فؤاده امل جديد . وخرج من داره يحس لهذا النور يفيض فيملأ الدنيا اشراقاً ، معنى جديداً لا عهد لفكره به . ولكن تلك الذكرى لم تكن تتردد عليه فتبعث المه من جديد ، وتنشر فوق ضميره وشاحاً من الظلمة الحالكة تعبر عن اليأس المرير . وهكذا وصل الى الحقل يعتلج في صدره شعوران متعاكسان انتصارهما سجال . وسقى الحقل بماء غزير ، ثم انتحى صخرة مرتفعة جلس عليها يرتقب ان تطل الفتاة على الشرفة كدأبها .

ولم ينزع عن الشرفة ، واذ حانت منه التفاتة فرأى تحت الشرفة الثوب الاخضر الرائع ، منشوراً على حبل فأحس برد السرور والغبطة . ولكن .. ما لبث ان احس حر الاسى المكنون واللوعة المعذبة .

ان النظرة الاولى الى الثوب ذكرته لون الاعشاب الريا تستدعي صورة الربيع الاغر : حلم الفؤاد وصبوة الروح ، فاذا نفحة النشوة توقظ مشاعره وتحمله الى اجواء عاطرة بالسحر والفتنة : والنظرة الثانية لم تره الثوب الا اسوم حالكاً يبعث الرهبة : ان هو الا الوشاح المظلم الذي يرف فوق ضميره ..

وهكذا مكث من الصباح الى الظهيرة يتنازعه ذانك العاملان ، والفتاة ... والفتاة لم تكن لتطل من الشرفة ولا يظهر لها اي اثر كأنما الدار قد خلت من ساكنيها . ولم يفكر يومئذ بطعام ... ولم يحس الصدى .. لم يحس الصدى لان المياه كانت على قاب قوس منه ! ولبث على الصخرة ساهماً محموماً حتى كادت الشمس ان تطفل .. وكان لون الشفق تارة يحيي في فؤاده موات الامل وطوراً يطفيء نور الرجاء .. وألفى نفسه ينهض على مهل ، وقد بلغ به الاستغلاق غايته . كان كل ما يكتنفه مبهما .. كان كل شعور اخرس ، وكل عاطفة لا تعي ..

اخذ رجلاه تقودانه الى داره . ولكنه اذ نصف الطريق ، انفتل فجأة ، فأحس صدره يعلو ويهبط فكان يتسع حتى ليحوي كل شيء ، وينقبض حتى يضيق عن اي شيء ..

وطفق يعدو بسعر وجنون في الطريق الى العين ، واذ بلغها رمى بنظرة الى الشرفة ، ثم استأنف اسراعه ناحياً نحو البيت حتى بلغ السلم ، وانعطف .. فاذا الثوب لم يزل على الحبل .. وتقدم خطوتين واللهاث يشتد به ..

وكان على وشك ان يرفع يده الى الحبل ، حين برزت الفتاة فجأة من وراء الدار متجهة جهة الثوب .

اخذ ينظر اليها محدقاً ، وهي لا تفتر عن التقدم . وكانت منه على قوس حين افتر ثغرها عن بسمة عذبة كومضة الشفق وتهادت في مشيتها ، واذ بحدقيتها تتسعان فيشع منهما بريق الجمال الفاره وبادرته قائلة برزانة وهدوء وبشيء من التعجب :

– ولكن .. لمَ تلهث ؟؟

فانتفض انتفاضة سريعة ، وتذكر انه سمع مثل هذه الجملة ، فجحظت عيناه ، وعرته رعدة هزت كيانه هزاً ولبث محدقاً .. ثم ..

ثم رفع يده الى الثوب ، وانتزعه بشدة عن الحبل يعروه شعور عصبي لا يسهل كبته ، وحين انفلس الثوب الاخضر عن الحبل ، رفعه الى فمه ، ووضع طرفاً منه بين اسنانه ، ثم شرع بتمزيقه بحركات مبهمة ..

وكان يهمهم وهو يمزقه ..

ولم يكن في طوق الفتاة ان تنتزع منه الثوب ، فاستنجدت بالصراخ .. وحين انبعثت صيحتها الاولى ربع القروي فترك الثوب يفلت من بين اسنانه ، وتناوله بيده باسترخاء وخور ..

وحين رأته الفتاة على هذه الحال من الوهن تقدمت منه على حذر خطوة خطوة ، وخطفت الثوب من يده الخائرة ثم انطلقت قاصدة السلم مذعورة مروعة .. اما هو فبقي لا يعي من الامر شيئاً .. وكانت على وشك ان تلج باب دارها حين انقذف عجاج خلفها ، فاجتذبها من ذراعها وانتزع الثوب منها ثانية ..

ولم تجد الفتاة مندوحة عن ان تستأنف الصياح . واذ بشاب يبرز على الباب مندهشاً قد راعه صراخ اخته ، ولكن قبل ان يتهيأ للفتاة ان تؤذنه بشيء ، كان عجاج قد اسلم للريح ساقيه متجهاً في طريق البيت ..

بلغ داره منهوكا متعبا .. وتسلل بخفية الى غرفة النوم .

وهناك ، بسط فراشه ، واستلقى عليه بوهن ، ثم استوى جالسا ، وطفق يحدق بالنافذة ..

وكان الليل يرسل اول خيوطه السوداء حين امتدت يد عجاج الى صدره ، واخرجت ثوباً اخضر اللون مزقت اطرافه الاطرافاً .. وحمله الى اسنانه واستأنف التمزيق ..

وكان يهمهم وهو يمزقه ..

ثم امسكه بين يديه ، واخذ ينظر اليه ، وقد تجلى في عينيه بريق السرور وألق الانتصار ..

وفجأة احتملت اسارير وجهه ، فحالت سيماء السرور الى مخايل الاسى اللائع والشجو المضطرم .

وفي هدأة المساء ..

في هدأة ذلك المساء كان عجاج يحنو فوق الثوب الممزق الاخضر ويأخذ يضمه الى صدره بحنو وشغف ..

واذا يده ترتفع بالثوب .. بالثوب الممزق الاخضر .. الى عينه وتلتقط به دمعة واحدة ولكنها دمعة كبيرة حرى .. لم يرها الى هذا المساء .. هذا المساء الضخيان التياه ..

سرور ادريس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدر كتاب :

عمر فاخوري

لاهوادة

منشورات الاديب

الثمن ليرة لبنانية

يطلب من جميع المكاتب

الفيليبين ولبنان

بقلم امين الغريب

نرى هل من علاقة للفيليبين بلبنان تحملني على الجمع بينهما في هذا المقال ؟ اجل ان العلاقة موجودة وهي متنوعة مختلفة سأفصلها على قدر ما يسمح المجال .

الفيليبين مجموعة جزر في بحر الصين يبلغ عددها بين كبيرة وصغيرة ، ٧ آلاف جزيرة اكتشفها الرحالة البرتوغالي فرنان ماجلان الذي طاف حول الارض ووهب اسمه للمضيق الشهير الذي كان هو اول من عبره في طرف اميركا الجنوبية . لكنه بعد اكتشاف الفيليبين لم يكمل رحلته حول الارض لمحض ان اهلها كافأوا هذا العالم المسكين الذي فتح أعين الدنيا عليهم باغماض عينيه عن الدنيا اذ قتلوه سنة ١٥٢١ . وقد دعيت هذه الجزر فيليبين نسبة الى الملك فيليب الثاني الذي كان وقتئذ ولي عهد ابيه شارلكان ، فيكون عمر الفيليبين الان في نظر العالم المتمدن ٤٢١ سنة . اما مجموع مساحتها فيبلغ ٢٠٠ الف كيلومتر مربع ، اي انها اكبر من لبنان عشرين مرة . لكن الجبال فيها قليلة ، وسهولها من أخصب أرض الله ، وكلها صالحة للزراعة وغاباتها المشجرة واسعة تبلغ ٣٢ مليون فدان حتى يقال ان كنيسة اليسوعيين في مانيلا مأخوذ خشبها من شجرة واحدة . ولهذا تنظر اليها اليابان بشغف .



فرديناند دي ماجيلان
مكتشف جزر الفيليبين

الفيليبين لم تتمتع بالاستقلال يوماً ، بل تعاقبت على حكمها سابقاً جاراتها الصين وجاوى واليابان . حتى جاءت اسبانيا فاستعمرتها نحو ٣٢٠ سنة . وظلت بعد استعمارها زمناً طويلا تدفع جزية سنوية لليابان بحجة ان هذه صاحبة السيادة الدينية على اهالي الفيليبين الوثنيين .

سنة ١٨٩٨ كنت اقيم في فيلادلفيا من الولايات المتحدة اذ استعرت الحرب بين هذه وبين اسبانيا . ولا أزال اذكر جيداً كيف ذهب الاسطول الاميركي الى مانيلا بقيادة الاميرال جورج ديوي ففتح الفيليبين بعد معركة صغيرة اتذكر من تفاصيلها ان القادة الاسبانيين قالوا لديوي : «نحن سنسلم ولكن يجب ان تطلق علينا بعض المدافع فيقتل بضعة جنود كيلا ينالنا القانون الاسباني الذي يمنع التسليم بدون محاربة» . وقد أشفقت اميركا عند عقد الصلح على الدولة المغلوبة الفقيرة وملكها الطفل الفونس الثالث عشر فدفعت لها ٢٠ مليون دولار ثمناً للفيليبين في أربع حوالات كل منها بخمسة ملايين . ولم تكن حكومة واشنطون طامعة بالاستيلاء على الفيليبين بل طامعة بتحريرها وتسليمها الى اهلها ، كما فعلت في جزيرة كوبا التي حررتها وقتئذ من الحكم الاسباني . فقد دربت اهلها على الحكم الذاتي حتى تعلموه فتركتهم وشأنهم . ثم قامت قيامة بعضهم على بعض فعادت الى احتلال كوبا ريثما تحسنت احوالها ثم تركتها . اما في الفيليبين فعلمت اميركا الناس ودربتهم على الحكم وعمدت مراراً الى تركهم ، لكنها راعت مخاوفهم من طمع جيرانهم بهم ومن الفتن الاهلية بينهم ولبت رغبة المفكرين منهم في التمتع بالحرية الشخصية والادارة الداخلية دون الاستقلال الخارجي فبقيت عندهم بصورة استشارية حازمة خفيفة الظل الى عام ١٩٣٤ اذ اعلنت انها تتركهم تركاً نهائياً بعد عشر سنوات اي عام ١٩٤٤ . ولا تزال عندي من تلك السنة قصاصة من جريدة لندن تيمس الملقبة «بالرعادة» تقول فيها : «ان انسحاب اميركا من الفيليبين يعد خاتمة لفصل من اجمل الفصول في تاريخ الادارة الاستعمارية .»

ولكي تعلموا لماذا قالت التيمس هذا اقول ان اميركا لم تستخدم في الفيليبين اضطهاداً ولا ظلماً ولا ارهاقاً ، بل عطفاً واحساناً وشفقة . ولما ذهبت اللجنة الاميركية الاولى لتولى ادارة الجزر بعد الحرب زودها وليم مكنلي رئيس الولايات المتحدة بتعليمات صارت دستوراً اساسياً للموظفين كباراً وصغاراً في الفيليبين وهذا تعريبها الحرفي : «في جميع انواع الحكم والادارة التي يفوض اليكم تنفيذها في الفيليبين ليكن نصب اعينكم دائماً ان الحكومة التي تنشئونها

هناك ليس مقصوداً بها رضانا نحن وارتياحنا ولا تمثيل نظرياتنا في الاحكام كيف يجب ان تكون . بل المقصود سعادة الفيليبين وراحتهم وعمران بلادهم . فالتدابير التي تتخذونها في كل امر يجب ان تنطبق على عاداتهم وتقاليدهم حتى على اوهامهم الى اقصى درجة تتفق مع الشرائط الضرورية للحكم الحازم العادل . »وقد شهد العالم باسره ان عمال اميركا تقيدوا بهذه التعليمات الحكيمة، واثبته لنا كل لبناني وسوري عاد الينا من الفيليبين ، وايدته بكل صراحة اميرة جرائد العالم الانكليزية .

اما كيف قام الاميركيون بهذا العمل فاسمعوا ، ولا ينبيكم مثل خبير ، كان صحافياً صغيراً في الولايات المتحدة ذلك الزمن ورأى بعينه وسمع باذنه وكتب بيده ما ينقل الان اليكم .

اول ما فكرت اميركا فيه مسألة التعليم . نظرت الى بلاد فيها ٧ ملايين نسمة ليس بينهم الا ٤ في المئة من المتعلمين . ولم يكن الفضل للحكام السابقين في تعليم هذا العدد من الاهلين . لا لعمري بل للامة التي من بين سائر الامم، يجد الباحثون اينما ضربوا في اقاصي البلاد، ابناء لها تقدموهم حاملين مشاعل العلم الوهاجة ينيرون بها مجاناً بصائر المعمور في ظلمات العصور . ووجد ابناؤها سروراً في نشر العلم والحضارة بين الناس . فهل حزرتهم من هي تلك الامة ومن هم ابناؤها الذين وجدتهم الولايات المتحدة كأنهم يمهدون لها سبيل التعليم قبل وصولها الى الفيليبين ؟ هم عدد قليل من الرهبان والراهبات — «الفرنسيين» .

ومما اتذكره ايضاً ان اللجنة الاميركية الحاكمة ما كادت تحط رحالها في تلك الجزر الشرقية حتى جهزت لها حكومة واشنطون اول باخرة سلمية تبعتها من كاليفورنيا رأساً وعليها ستمئة راكب وستة آلاف طن بضاعة . ولكن اي ركاب ؟ واية بضاعة ؟ — ستمئة معلم ومعلمة للصبيان والبنات . وستة آلاف طن من الكتب والدفاتر والاوراق والريش . ثم اتبعت هذه الباخرة بسفينة اخرى كان محمولها لجنة كبيرة من الاطباء وكميات وافرة من الادوية والعقاقير وادوات الجراحة ولفائف القطن المعقم لاجل تأسيس المستشفيات في المدن والمستوصفات الثابتة في القرى ، والنقالة بين الدساكر والمزارع . وكان اغنياء الاميركيين يتسابقون الى مد يد المعونة المالية لمشروعات الحكومة الاجتماعية . والجرائد الاميركية لا تترك شاودة او واردة في كل موضوع، فكانت تملأ صفحاتها ثناء على هذه الجيوش الجديدة الجرارة، للتعليم والتهذيب والتمدن والحضارة ، تغزو بها اميركا الفيليبين بالكتب والادوية بعد ما فتحتها بالسيف والمدفع . ولا يقوم من الاهالي من يفسد على حكومته عملها باحتكار الارزاق وقتل الناس جوعاً، طامعاً بتكثير مكاسبه الدنيئة .

وما كانت نتيجة كل ذلك ؟ مضى على اميركا اربعون عاماً في الفيليبين . كان عدد سكانها ٧ ملايين فصاروا ١٥ مليوناً . كان فيهم ١٢ الف ابرص فلم يبق للبرص وجود . كانت الوفيات بين كبارهم ٩٠ في الالف كل سنة فصارت ١٠ فقط . وبين اطفالهم ٨٠٢ في الالف كل سنة فصارت وفيات الاطفال ١٥٠ فقط . وهذا كله بفضل التدابير الصحية . اما التعليم فعمموه حتى شمل كل قرية ودسكرة . وجعلوه اجبارياً مجانياً لكل الاولاد على الاطلاق . ولم يتركوا الكبار ايضاً بدون تعليم ، بل انشأوا مدارس مسائية يقصدها الرجال والنساء حتى الخدم في البيوت كيلا يبقى على ظهرها امي ولا امية . فاذا وجد اليوم هناك من لا يقرأ ويكتب فهو اما شيخ طاعن في السن أقعدته احوال خاصة عن التعلم ، او غريب قادم من البلدان الباقية تعج عجيجاً بالجهل والغباوة . وكان الفيليبيون يتكلمون في عهد الاسبان بتسعين لغة مختلفة تبعد الواحدة عن الاخرى بعد العربية عن الفارسية . فصاروا يتفاهمون الان كلهم بلغة واحدة هي الانكليزية . ولم تكن في الفيليبين جرائد ، استغفر الله ، في العهد الاسباني . فصار فيها الآن من الصحف اليومية وحدها ٤٥ تبيع مئات الالوف من اعدادها في الشوارع . وفيها جامعات وكليات تضم ١٨ الف طالب للعلوم العليا كالطب والهندسة والحقوق .

اما ثروة البلاد فقد تزايدت طبعاً بما انشىء فيها من المشروعات التجارية والصناعية . كان معظم اهلها حفاة فاصبحوا كلهم ينتعلون . وكان نصفهم نصف عراة فصاروا يكتسون . وكانت قيمة



الدكتور نجيب الصليبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صادرات الفيليبين آخر سنة اسبانية ١٨ مليون دولار ، فاصبحت آخر سنة اميركية اربعمئة مليون . وكانت ثروتها العامة ٥٠٠ مليون دولار فصارت الان عشرة مليارات

والفلبيني قصير القامة نحيف البنية عريض الوجه اسمر اللون فخور بنفسه ونسبه كريم مضياف غيور على عرضه كالعرب . وكان قبل العهد الاميركي يميل الى الثأر لنفسه بيده فاغنته الان عن ذلك عدالة محاكمه السريعة .

اما علاقة لبنان بالفيليبين فقد انشأها اخواننا اللبنانيون الغر الميامين ورفعوا هناك اسم وطنهم والحمد لله الى اعلى عليين .

ولا يعلم غير الله كيف فتق للبنانيين ان يهاجروا الى الفيليبين . وغاية ما يقال ان المرحومين شاهين وحنا عواد من بكفيا مهما صدفة منذ ٥٠ عاماً بذكر الفيليبين وخصب ارضها . فهبت في رأسيهما نسمة من الروح الذي قال في وصفه شاعر النيل المرحوم حافظ ابرهيم :

رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا
الى المجرة ركباً صاعداً ركبوا

وسافرا ، كما تقول الحكاية في القرى ، « على كف الرحمان ايام وليال وليال وايام » حتى بلغا منتهى شرق الكرة . ونزلا في مندناو . فاخذا يعملان حتى اثريا . وتزوجا من هناك لكي يمكنهما التملك . ولا يزال السيد رشيد عواد ابن المرحوم شاهين في داباو معدوداً اكبر مالك في قومه في تلك المنطقة . وقد جاء بيروت واقتنى عقاراً في حي الدحداح وتزوج بغادة من رياض زحله وعاد باسرته الى داباو . واذكر انه اراني بعض ثمرات جوز الهند من املاكه فسألته ان يزرعها في لبنان . فقال انها لا تصلح للزرع لان الحكومة هناك عندما تسمح باخراجها من البلاد تزيل قشرها الخارجي الذي لا تنمو بدونه . وهكذا تحرص الحكومة على مصلحة اوطانها .

وبعد الاحتلال الاميركي ذهب الى الفيليبين بعض المهاجرين اللبنانيين والسوريين . وصار عددهم الان نحو ٢٥٠ نسمة . كان مجموع ثروتهم يقدر سنة ١٩٣٧ بسبعة ملايين ونصف مليون دولار منها ٤ يملكها رجل واحد . ومليونان لثان ، و٣ ارباع المليون لثالث ، وربع مليون لرابع . ونصف المليون الباقي موزع على الباقين . وهناك لبناني يملك سفناً لنقل البضائع والمحصولات بين الجزر . ومهندس واحد ومحاميان . وقد انتخب احد اللبنانيين عضواً في المجلس الاشتراعي او البرلمان عام ١٩٣٧ ، وطبيبان اعرف احدهما الدكتور نجيب تقي الدين من بعقلين مع ابن اخيه الاستاذ سعيد . كما اعرف من تجارهم في مانيلا السادة حبيب اسكندر الغريب من الدامور ، وحنا كيروز من بشري ، ويعقوب الخوري من بشمزين . وفي ماسباتي السيد حنا طنوس الخوري ، وفي ليجاسبي السيد ابراهيم نجار .

على ان اكبر اسم لبناني سيبقى مكتوباً باحرف من نور في تاريخ الفيليبين فهو الصليبي بفضل ابناء المرحوم متري الصليبي من سوق الغرب ، لان اعمالهم الخالدة فيها جعلت للبنان علاقة بها لا تفصم عراها الايام ، ولا تعفي اثرها الاعوام .

ولد الدكتور نجيب متري الصليبي في سوق الغرب سنة ١٨٧٠ ودرس الطب في نيويورك ولما نشبت الحرب الاميركية الاسبانية سنة ١٨٩٨ تطوع لخدمة الجيش في كوبا . وذهب مع فرقته سنة ١٩٠٠ الى الفيليبين . ولما بلغها كانت المورو وهم مسلمون في مندناو تتحفز للثورة . فخطر للدكتور صليبي ان يذهب اليهم متكلا على صراحته اللبنانية وطلاقة لسانه العربي ، وتمكن ببراعته من افهامهم صدق نيات الاميركيين ورغبتهم المنحصرة في تحسين حالة البلاد لا في امتلاكها . وما زال يوردهم أعذب الحقائق الناصعة حتى انصاعوا الى رأيه وصاروا من أشد انصار الاميركيين .

وأكبرت السلطات الاميركية عمل الدكتور صليبي فولته ادارة اعمالها في جزيرة مندناو . فعمل فيها كالنحل بلا كلل ولا ملل الى عام ١٩٠٣ اذ دعته الحكومة الى ادارة المدارس التي انشأتها في الفيليبين على طراز مدارسها الشعبية في الولايات المتحدة وعينته عضواً في المجلس الاشتراعي ينوب عن مقاطعة اصحابه المورو فبقي الى عام ١٩٠٦ اذ ضمه الجنرال وود الى مجلسه الخاص وكان لا يبرم امراً الا برأيه وسنة ١٩١٢ المقترن بآنسة اميركية ولم يرزقا اولاداً .

اما اصل المورو وفصلهم فضائع في بطون الاجيال السالفة . وكلمة مورو عند الاسبان تحريف كلمة « مغاربة » ، وهم اهل مراكش التي كانت قبل اكتشاف اميركا تدعى « المغرب الاقصى » والظاهر انهم من مسلمي الجزر الملاوية استوطنوا الفيليبين ونسوا تاريخهم . فلما جاء الاسبان وعرفوا انهم مسلمون دعوهم باسم « المورو » الذي يطلقونه في بلادهم على المغاربة حاسبين انه يشمل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جميع المسلمين .

وهم على كل حال مسلمون يحفظون كثيراً من مكارم العرب في اخلاقهم العالية وصدورهم الرحيبة اعزاء النفوس ذوو اباء وكرم، في بيوتهم الكبرى منازل للضيافة وتقاليدهم تمت الى العرب باقوى نسب . كان عددهم في آخر العهد الاسباني اربعمئة الف ، فصاروا الان اكثر من مليون بفضل التنظيمات الصحية التي كان ذلك الطبيب اللبناني والعالم الكبير اباها وامها . كما سترى :

حوالي سنة ١٩٣٠ نشرت جريدة « الجامعة الاسلامية » الرصينة في يافا سلسلة من مقالات عن الفيليبين شرحت بها اعمال الدكتور نجيب الصليبي وخدمته الجليلة للاسلام . وخلاصتها انه وجد المورو يتكلمون لغة غير العربية ولا يقرأون ولا يكتبون ، ولا يعرفون من اصول دينهم الا انهم مسلمون . فعكف على درس لغتهم الخاصة ووضع لها اجرومية وقواعد لينتظم التفاهم بها خطاً . ثم حمل السلطة الاميركية على استجلاب كتب عربية لهم من بيروت والقاهرة ودعا بعض الشيوخ المسلمين من فلسطين لتعليمهم اصول اللغة والدين . وما زال يرقي احوالهم ويحسن امورهم ولا سيما الصحية حتى ازهرت بلادهم ووفر الخير فيها . ومن يقرأ مقالات « الجامعة الاسلامية » في هذا الصدد يجد العجب العجاب ، ويقول ان الدكتور نجيب الصليبي كان اشبه بملك سماوي ارسله الله الى مسلمي الفيليبين فهون لهم سبل الحياة فيها .

ولم يقتصر عمل هذا النابغة اللبناني هناك على ترقية المسلمين . بل طبقت شهرته الطبية الخافقين بدروسه الثمينة لامراض المناطق الحارة ومعالجتها . فكان اساطين الطب يستفتونه من جميع الاقطار في العقد المستعصية فيحلها . وتدعوه الجمعيات العالمية العليا الى عضويتها فكان عضواً في نقابة الاطباء الاميركية والجمعية الجغرافية ، والجمعية الشرقية الاميركية وطبابة المناطق الحارة واندية الجيش والاسطول وهلم جرا .

وقد جاء لبنان سنة ١٩٢٠ وزار الجبال والوهاد التي تعهدته افياؤها طفلا وزهت به رياضها يافعاً ثم عاد الى باغيو التي أحبها وصيرها بعنايته من اجمل بلاد الله في الفيليبين وتوفاه الله فيها بانفجار دماغي امهله يومين في ١٨ كانون الاول ١٩٢٥ ، فسودت جرائد البلاد صفحاتها حداداً عليه . وقالت جريدة باغيو بولتين ومانيلا ديلي بولتين : ان اهالي الفيليبين احبوه حباً جماً وحفظ المسلمون جميله في قلوبهم اذ كان لهم أصدق صديق وعمل لهم ما لم يعمله سواه في تاريخهم ولم يعرفه احد الا حز في صدره الحزن الشديد عليه . وقد ألف كتباً ثمينة بالانكليزية منها : تاريخ المورو وشرائعهم ودينهم ، تاريخ سولو ، اصل الفيليبين الملوي ، الكتابة العربية بالحرف الروماني ، لغة التعليم في الفيليبين ، سولو ريدر ، ماجندانا ريدر .

ومن اخوانه الاستاذ مراد الصليبي الذي اكب في الفيليبين على زراعة القنب ودرس طباعه ومهر في تحسين زرعه وكتب عنه مقالات لفتت اليه الحكومة الاميركية فعينته مفتشاً عاماً للزراعة فقام باعمال الجبابرة وهو لا يزال في مانيلا . اما شقيقه الآخر الدكتور امين الصليبي فقد لمع نجمه الساطع في تلك الجزر بمهارته الفائقة في الطب والجراحة وبراعته في تشخيص الامراض وفضله العميم على قاصديه ، وقد آن له ان يستريح فعاد بأسرته الى لبنان واقام في مسقط رأسه سوق الغرب .

ولا بد لي في هذه المناسبة من ذكر نابغة آخر من اسرة الصليبي نفسها التي انجبت عدداً كبيراً من كبار العقول ، وهو الدكتور كالب الصليبي الذي كان في العلم الصحيح تحفة رائعة من لبنان ، لا الى الفيليبين او مثلها من صغاد البلدان ، بل الى انكلترا نفسها التي جنت من عبقريته اعظم الفوائد وعينته معاوناً لوزير التغذية في الحرب العالمية الاولى .

وفي ختام هذه الكلمة اقول ان اهالي الفيليبين وعددهم ١٥ مليونا يدخنون ٢٥ مليون سيكارة كل يوم . ويرون التدخين من ضروريات الحياة حتى ان الحكومة في منطقة بيليبيد توزع السكاير على السجناء والسجينات مجانا . وان اهم عمل فيها للبنات التطريز البديع الذي علمتهن اياه راهبات فرنسيات قديماً فبززن به صنع اليابان والصين وسائر العالم وهن يصنعنه باتقان من الحرير وخيوط مسحوبة من التفاح الصنوبري ، والفيليبيني فخور بنفسه يحترم النساء جداً .

ويؤثر عن اهالي الفيليبين اليوم انهم يحترمون المحاماة اكثر من سائر الحرف . ولما قال احد القضاة الاميركيين مرة ان الفلاح النزيه افضل من المحامي المكار ، عارضه جميع الحاضرين بقولهم : وهل في الدنيا محامون مكارون ؟ — ولله في خلقه شؤون !

اميه الغريب



نشرت بأذن من مالكتها الانسة آمية



الاغـــــاني

هذه كلمة في الموسيقى نحدثك فيها عن علاقة الموسيقى بالامة من وجهة التقدير والتكريم لا من وجهة التأليف والتصوير فهي الى التاريخ وعلم النفس اقرب . فنحن نبحث اليوم عن تعلق الامة بالموسيقى واسباب اقبال الشعب عليها وانصرافه عنها :

عد الى التاريخ المصري وطف بالمعابد وانظر الى ما ترك المصريون من آثار تجد تعلق الامة بالموسيقى ناشئاً عن اعتبارها جزءاً من العبادة بالابتهال الى الله وتكريم الارباب كأنما يصعد الى السماء على اجنحة الموسيقى . ولهذا فقد نهضت الموسيقى نهضة في مصر جعلت كل الامم عيالا عليها ، شأنهم في كل علم وفن . وقد نسب المصريون الموسيقى الى هرمس الاول فقالوا نزل بها من السماء وركب للمصريين عوداً شد عليه ثلاثة اوتار وجعلها لهم رياضة .

وكانت الموسيقى جناح السحر والنجامة . وقد مزجوها بالطب لما لها من اثر في روح المريض وجعلوها في الجندية لقوة سحرها في نفس الجندي عند القتال . فالموسيقى كما رأيت مقدسة في مصر ايام الفراعنة ، والتقديس هو التكريم في اعلى درجاته ، لهذا نمت وزكت .

ولا يزال التاريخ يروي عن الكلدان قصة الجندي الذي جعل من قومه قيثارة يغني عليها نشيد انتصاره ، وكلدة تزاحم مصر على شاطىء المدنية وان كانت المدنية المصرية اظهر وابهر .

وجاء اليونان وقد اخذوا علومهم عن المصريين باعترافهم ، ونقلوا عنهم فيما نقلوا الموسيقى . وكان اعجاب اليونان بالموسيقى اعجاب غيرهم بالمعجزات . وما عساهم يطلبون في المعجزات اكثر مما يرونه في الموسيقى من التأثير في الروح ونشاط النفس ؟ وذهبوا في عبادتها الى ان نسبوا اليها كل فضيلة . وراح افلاطون وارسطو يشيدان بذكرها ويجعلانها باب العلم ويحضان الطلاب على اقتباسها . ورأى افلاطون فيما رأى لاصلاح الامة ، ان تعنى الحكومة بحماية الموسيقى لما لها من اثر فعال في تهذيب الناشئين ، آخذاً في ذلك اخذ المصريين الذين سهرت حكومتهم على حماية الموسيقى واعلاء شأنها ووضعها في الموضع اللائق بكرامتها خوف ان تسف فتسوء بها اخلاق الامة .

وكانت اليونان مولعة بالجمال ، فعدوا الموسيقى منه ونوهوا بها حتى نسبت اليهم ، فاللفظة التي نسمعها مكونة من الميم والواو والسين والياء والقاف والياء ليس لها في معجمات اللغة العربية اي اثر ، وذلك لانها منقولة عن اليونان فيما نقله العرب عنهم .

وقال اليونان في اساطيرهم ان الاله جوبتير له من زوجته «منيموزين» تسع عذارى هن ربات العلوم والفنون ، وكانت امهن ربة العظمة . وقد شئن ان تكون كل واحدة منهن ربة علم او فن تعرف به وينسب اليها فكان الذي أردنه .

اما الاولى — فهي «كليو» وقالت انا للتاريخ . واما الثانية — فهي «تالي» وقالت انا للكوميديا . واما الثالثة — فهي «ملبومين» وقالت انا للتراجيديا . واما الرابعة — فهي «ادانو» وقالت انا للشعر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرقيق . واما الخامسة — فهي «كليوب» وقالت انا للملاحم او شعر الحماسة . واما السادسة — فهي «اوراني» وقالت انا للفلك . واما السابعة — فهي «بوليمني» وقالت انا للفصاحة . واما الثامنة — فهي «تربسيشور» وقالت انا للرقص . واما التاسعة — فهي «اوليرب» وقالت انا للموسيقى . وظلت ربات العلوم والفنون عذارى ولهن الجمال الرائع وخدمن العلم والفن وراح الشعراء يتغزلون بهن ويصورونهن على الجبال وفي المعابد وعند عيون الماء . واخذت ايطاليا عن اليونان هذه الاسطورة وشاعت في العالم فنقلت الى العرب كلمة «موسيقى» .

وليس هذا كل ما تفيده الاسطورة بل هناك ما هو اعم وانفع . فانت ترى ان اليونان يريدون ان يقولوا عن ربات العلوم والفنون انهن من اب واحد وام واحدة ، فهن شقيقات ولا ميزة لاحداهن على اختها . ولكن ميل كل ربة من هذه العذارى وجهها الى التخصص ، ونشأ عن هذه العبادة ان الموسيقي في بلاد اليونان كان في درجة الحكيم ، ولم تر في تاريخ اليونان اثراً للتفريق بين علم وعلم وفن وفن ، فنهضت الموسيقى وزكت كما رأيتها في مصر .

وكانت امة شرقية هي شعب اسرائيل قد اخذت عن المصريين فنها الموسيقي لغلبة المدنية المصرية عليها ايام بقائها تحت سلطان الفراعنة ، الى ان اراد آله اسرائيل انقاذها من يد المصريين . فلما خرجوا من مصر ووقفوا على جبال سينا انشد موسى نشيد الشكر لله ، ورنمت مريم اخته ، وكانوا يهللون لله كلما رأوا هلال الشهر ، ويرقصون بين يدي الله . فالموسيقى عندهم من العبادة . ولهذا كان مقامها فيهم هو المقام ، ونزل كتاب داود «المزامير» نشيداً روحياً له معجزته الموسيقية ، فهو من النظم الذي يتلبس بالروح الموسيقية فيفعل في النفس ما تفعل الآيات فلابدع اذا بقيت الموسيقى مرفوعة المقام بين هذا الشعب الى اليوم .

وجاءت النصرانية ، فحفظت للموسيقى مقامها ولا تزال ترى الكنائس تموج بنسمات الاصوات الجميلة على نغم الارغن . فهي من العبادة كما كانت في مصر وفي امة اسرائيل . ولقد عدها القديس توماس انها في الطليعة من العلوم والفنون . وجعلوا يدرسونها في القرون الوسطى في مدارسهم لا فرق بينها في الدرجة وبين علم الهندسة والفلك . وليس من شأن كلمتنا هذه كما قدمنا ان نعرض للموسيقى من وجهة التصوير والنغم فهذا شأن علماء الموسيقى ، ولكنا نقول ان للكنيسة في العصور الوسطى الفضل على فن الموسيقى لانها صانته من السقوط ورفعت من شأنه ونهضت به ودلت على مقامه وحضت على درسه . ولكنها وان اخذت عن معابد اسرائيل الموسيقى فانها مزجته برقة اليونان فكان لوناً جديداً تتقبله الروح بشيء من الترويح عن النفس والترغيب في ملكوت الله فاذا كانت موسيقى اسرائيل اشجاراً باسقة فقد صارت موسيقى النصرانية فاكهة لذيذة وازهاراً جميلة . كانت موسيقى اسرائيل شامخة مباهية بآله اسرائيل المنقذ القوي ، مصحوبة برقش حافظ لوحدة النغم ، فهي موسيقى فرحة سافرة . ولكن الموسيقى النصرانية نشأت متأثرة بالحالة الاولى التي كان عليها أهل هذا الدين من التحرز والصمت احياناً والصبر على مكاره الاعداء الاقوياء . فكانت لا تجهر بالنغم جهر الموسيقى الاسرائيلية كما كان لا يصحبها رقص لغلبة التكتم على اصحابها . وطالما اثرت الفرديات على صوت الجماعة بحكم التستر والتحرز . فلما غلبت النصرانية على الوثنية سمع لها الصوت الشجي فيه من حرية التعبير ما كانت محرومة اياه من قبل واخذت الشعوب تخرج موسيقى الكنائس باغانيها الوطنية فراحت ملاى باغان شعبية دالة على مزاج الشعب الذي تغنيه . ولعلك ترى في تراتيل الكنيسة القبطية اثراً من آثار مصر الاولى يميزها عن غيرها من اناشيد الكنائس الكاثوليكية .



آلة الموسيقى

وكانت موسيقي الكنائس تابعة للغة الدين . وكان لا بد لكل امة من ان تتذوق حلاوة الموسيقى بلغتها . فنشأت الموسيقى الشعبية تلبس قصائد الشعراء فتملأ هذه الاشعار من روح الغناء المطرب ما يسر قلوب السامعين . وكان في الشعراء من ينشد شعره بنفسه ومنهم من يتركه لمن يلحنه وقديماً كان في اليونان صاحب الاليادة

يغني الناس بملاحمه .

وترى مما قدمنا ان الموسيقى لم تسقط في عين الشعوب المصرية ومن اليها ، واليهود والنصارى ، لاعتبارها جزءاً من الدين . وجاء العرب وقد جاوروا الفرس والروم، فكان لا بد لهم من ان يأخذوا عن هذين الشعبين .

ولكن عرب الحجاز كانوا على البداوة لغلبة الفقر عليهم ولشيوع الحياة الرملية فهم قوم كد وجلاد ، وطلب القوت في نفوسهم اغلب عليهم من طلب الموسيقى . فان كان لا بد لهم من الترنم فبالابيات على الراحلة يهون بها الرجل على نفسه في الفلاة والغربة ، وليست من الموسيقى بالمعنى الفني في شيء . فلما اخذوا في بناء الكعبة في الايام القريبة من الاسلام ونشأ الدين ودخل بعض الروم والفرس اسرى في خيام البدو من العرب تغنوا بغناء بلادهم وحنوا للوطن واشتاقوا لعيالهم فبكوا ما شاء الله ان يبكوا فنبه ذلك من العرب وتذوقوا حلاوة في النغم ليس لهم بها عهد من قبل فطلبوه .

ولكن الدين جاء بترتيل القرآن ، وشمس القرآن ايام النبوة كسفت الشعر المتألق وغضت من الفصاحة القرشية ، فكان لا بد لها من ان تزري بالاغاني . ومن يسمع القرآن باحسن الاصوات وفيه تخويف وترغيب لا يسمع للناي والعود .

صحيح ان صاحب الشريعة الغراء لم ينه النساء ان تتغنى للعروس ولم يزجر من حنين بالدف من بنات النجار لقائله على ظاهر المدينة وهن يقلن : « طلع البدر علينا من ثنيات الوداع . » ولكن الغناء كالكلام قديم، بل هو اقدم من الكلام ، لان لغة الغناء اعم ولغة الكلام اخص ولكل شعب لغة . قد يفهم شعوب متفرقة الغناء . فلا يعد الميل الى الغناء البسيط كما رأيت معرفة بالموسيقى على الوجه الفني .

وفي العرب خلق آخر منع من ان تعيش الموسيقي في صدر الاسلام : القول بان الشعر يزري بالرجال . حتى قال الله عن النبي « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » وقصة امرىء القيس الذي كان يقول الشعر في صباه وقصة ابيه وغضبه عليه لذلك معروفة ، فليس الشعر للامارة والحكم والجاه . وان كانوا يقولونه ولكن كرهوا ان يتكسبوا به . والموسيقى تنبت حول حياض الشعر ، فاذا غضوا من الشعراء المتكسبين فهم يغضون من اهل الفن والموسيقى . بل ذهبوا الى ابعد من هذا ، فقالوا : « ان الكتابة تزري بالفارس . » حتى شاع في قرى الصعيد هذا المذهب . ولقد سألنا بعض هؤلاء القوم فقالوا : « وما نبقي للصيارفة اذا زاحمناهم على الجلوس وراء الابواب لحصر الدخل والخرج ؟ ومن يكون للرمح والفرس ومغازلة الحسان ؟ » فالخلق البدوي كاره للتكسب بالغناء . ولا يعرف الموسيقى الا من هذا الوجه ، فلم يجد الفن الموسيقي في بلاد الكعبة من يروج له ويأخذ بناصره ، ولكن الاسلام غزا وغلب وعاد بالمال والاسرى .

وكان العرب قبل الاسلام لا يعرفون من فن الموسيقي شيئاً ، وهذه الكلمة غريبة تراها في معاجمهم دخيلة عليهم مما اخذوا عن جيرانهم الروم وكانوا يقولون الشعر سجية فيهم ولكنهم كرهوا ان يتكسبوا به ، وذموا من كان هذا شأنه فيهم : دعاهم الى هذا طبع ترفع عن الذل ، وميل الى الاخذ بمذهب القائل ما تستطيع ان تناله غلاباً فلا تنله طلاباً . وقلنا ان الشعر للموسيقى كالثوب للجسم والجسد للروح ، وان الموسيقي لغة الدنيا عامة ، واللغة من حرف واسم وفعل انما هي خاصة بامة دون امة . وانك لتسمع للموسيقى فترضى او تغضب ، وتبكي او تطرب ، وتسكن او تثور ، وتعدل او تجور ، ولكنك تسمع الكلام غريب عنك فتحسبه يرطن رطانة لا تعرف منها المعنى حتى يترجم بينكما عارف باللغتين ، موفق بين الالفاظ والمعاني فالموسيقى لغة الاحلام ، والالفاظ من لغة اليقظة وليست في الاحلام ، لتدرك المعاني في حاجة الى الكلام .

نظر العرب الى الموسيقى نظرة جعلتها دون الشعر او هي وليدته . على ان الشعر محاولة لاخراج المعاني الروحية لا تبلغ مقام الموسيقى الا في مواضع دون مواضع . واذا كان لا بد من القول بان العرب تغنوا ، فنقول انهم في غنائهم كانوا على الفطرة ، ولا عهد لهم بالفن على الوجه الذي يعرفه اصحاب هذه الصناعة . وكانوا لا يعرفون من الآلات الموسيقية الا البسيط منها ، كالدف والطبل والمزمار والرباب .

ولو علمت ان اليهود نزحوا الى بلاد العرب واقاموا في المدينة ومكة ، وجعلوا من خيبر مدينة لهم حتى عرفت بانها مدينة اليهود اذن لرأيت ان هذه الآلات مأخوذة عنهم ، خصوصاً الدف والمزمار .

وقد رأيت في التوراة ام مريم اخت هرون وموسى ، مشت بين شعب اسرائيل بعد الخروج من مصر بدفها ترنم لله ، وان موسى انشد لله نشيد الشكر على جبل سينا ، فاليهود ادخلوا الموسيقى في بلاد العرب ولكن العرب لم يأبهوا لها ، ولم يأخذوا شيئاً منها ، الا ما وافق حياة البداوة .

اما الرباب فهي قطعة موسيقية قديمة العهد ونرى (اذا قلنا ان المصريين الذين حكموا في مصر في القدم نزحوا من بلاد العرب) انها اعجب ما وصلوا اليه من الابداع، وراحوا يرسمونها على معابدهم

كأنها قلب معلق بنياط ، وجعلوا اسمها « نفر » .

والذي نراه من مقابلة اللغة العربية باللغة المصرية ان « نفر » ومعناها الجمال ، تقابل « نور » في لغة العرب والفاء مقابل الواو عند العرب ولها نظائر في اللغة العبرية ، واليك المثال :

« ولد » في العربية تقابلها « فلد » في العبرية و « وريد » في العربية تقابلها « فاريد » في العبرية ، والمعنى واحد والعبرية والعربية توأمان .

وجئنا بالرباب في هذا السياق لعلاقتها بالموضوع نحدثك به ، وللتدليل على انها قطعة قديمة وجدت في اساس اللغة المصرية . فاذا ثبت ان عرب الجنوب وهم اهل اليمن ، نزحوا الى مصر ، وثبت انهم جاؤوا بالمدنية الاولى معهم الى بلاد النيل ، وثبت ايضاً ان الربابة من مدنيتهم ، كان لنا ان نقول ان هذه القطعة الموسيقية من ابداع عرب الجنوب ، وهذا لم يقطع به التاريخ . والذي نقطع به هو ان المصريين سموا هذه الآلة الجميلة المطربة باسم النور ، لما تبعثه في السمع من الطرب ، وما تحدثه في الروح من المسرة ، كما يحدث منظر النجوم والازهار في الرائي .



ولهذا دعوا كل ذلك باسم « نفر » وذهبوا في ذلك الى ابعد من هذا ، فسموا الجميل من الرجال « نفر » « نور » واضافوا تاء التأنيث الى هذا الاسم للجميلة فقالوا « نفرت » ، ولعلك سمعت حديث تمثال هذه السيدة « نفرت » الذي دار بين المانيا ومصر .

والذي نجده من هذا الحديث ، ان العرب لم يعرفوا في بلادهم الشمالية عند الحجاز الا الرباب ، وزادوا عليها الدف والمزمار والطبل . ولم يعرفوا من الآلات الوترية غير الرباب ، بدليل ان اشعارهم جاءت خالية في ايام الجاهلية قبيل الاسلام ، من الاشارة الى البرابط والمعازف الاخرى التي عرفها اليهود عن المصريين .

ولم يكن جهلهم الموسيقى عن غلظ في الطبع ، فالبدوي رقيق الحاسة ، واشعاره في الحب معروفة ولكن الموسيقى صناعة تقف من الهندسة وعلم الهيئة في ميدان واحد ، وأنى لهذا البدوي الامي البعيد عن منابع العلم ان يجيد صناعة الاقيسة الزمنية والصوتية ، ودرجات الصوت وانخفاضه مربوطة بحساب ؟

بل أنى لهذا البدوي الذي يجاهد في سبيل العيش ان يلم بالموسيقى ؟ . وانى لهذا الكدود الذي يسكن القفر ، فلا ماء ولا شجر ، ولا خفض في العيش ، يطلب الموسيقى ، وهي وليدة المدنية والعلوم العالية ؟ انى للمباهي بالقوة والفروسية الذي يرى الغلب من مواهب الرجولة ان ينزل للموسيقى ويصبر على دعتها ، ويعالج تذليل صعابها ، حتى تستقيم له وتطمئن لانامله واذنه ويعي منها المطرب والمبدع !

انه لا يرى من الموسيقى الا ما تراه الفطرة من ارسال الصوت على السذاجة في الشعر العذب يذكي به الالباب ويحتفل ، ويسميه العربي « الترنم » فاذا ترنم فيما هو دون الشعر ، قال انه « التغبير » يذكرون به الغابر من شبابهم ، ولعله الى الترتيل اقرب .

ولليهود ولع بالترتيل تسمعه من شيوخهم يتلون شيئاً من التوراة ، فعل يهود العرب ، افادوهم هذا الضرب من الغناء ، ونزل الكتاب بالحض على الترتيل لما يشيعه الصوت الحسن من الحلاوة ، فيعين على السماع . ثم كان للبدوي ان يقطع الفلاة في عيره وان يغني فيطرب نفسه ، ويطرب معه الابل ، فارسل النفس بالذكريات ارسالا ، فكان « الحداء » وكان « حادي » العيس .

وكان فيهم من قبيلة بني كلب رجل حسن الصوت اجاد الحداء ورق فيه ، فعرفوه بهذا الصوت وسموه باسمه ، فقالوا انه « الجنابي » نسبة الى جناب بن عبدالله ، وقالوا ايضاً عن هذا الصوت « النصب » ودعاه اهل الصناعة « السليك » ، واختص به الركبان واهل المرائي ، وخير ما يصلح له في الشعر بحر الطويل .

وكانوا اذا جادوا بالصوت المردود المرجع الكثير النبرات والنغم ، وهوما يحتاج الى تمكن من طول النفس وحلاوة الصوت ودقة الاداء ، قالوا انه « السناد . » فاذا جهدوا ان يناسبوا بين الغناء في اللحن الخفيف وبين آلة موسيقية من الدف او المزمار او بهما معاً ، ويناسبوا بينه وبين الترقص ، قالوا انه « الهزج » .

ولقد اعجبوا بهذا الصوت اعجابا دعاهم الى القول بانه يشيع فيهم الطرب ، حتى ليستخف الحلوم ، وهذا جهد ما بلغه البدو أو عرب الحجاز اطلاقاً من الفن الموسيقي . وقد ذاقوا من هذه المناسبات حلاوة الاصطحاب (الهارمونية) فقالوا انه مرقص ،

وتنزه العظماء والاشراف عنه لانه يلهي الناس ويطرب الحكيم .

وقال مؤرخو العرب ان الهزج من ابداع الفطرة السليمة العربية . ولكنا نقول انهم نقلوا عن اليهود هذا الاصطحاب نقلا بطريق التقليد ، لا بطريق العلم والفن ، ولا بطريق الابداع . والا فكيف ابدعوا المزمار وهو قطعة موسيقية لها شأنها في فن الموسيقى ، ولا تصل اليد الى ابداعها الا بعد ان يعرف مبدعها من اصول الفن ، الاقيسة الزمنية والصوتية ، ويناسب بين الانجاش «الفتحات» عند الوضع ، وتجريد الانامل ، وارسال الصوت في ارتفاع او انخفاض وشدة ولين ؟ اما اذا قلت انهم قلدوا ، فانا نسلم لك خصوصاً اذا علمت ان هذه القطعة معروفة عند المصريين ، واخذها اليهود عنهم .

وعلى الحالين فقد بلغوا من الموسيقى هذا الحد الى ان جاء الاسلام وهم لا يعرفون عن البربط شيئاً . وانك اذا رجعت الى كتاب الاغاني رأيت فيه حديث ناهض بن قومة الكلابي وكان بدوياً جافياً كأنه وحش ، وكان طيب الحديث ، وهو يصف عرساً ويصف فيه الآلات الموسيقية حين يقول : « فبينا نحن كذلك ، اذ هجم علينا شياطين اربعة احدهم قد علق في عنقه جعبة (كانة النشاب) فارسية مسنجة الطرفين دقيقة الوسط مشبوحة بالخيوط شبحاً منكراً (يصف الكمانجة) . ثم بدر الثاني فاستخرج من كمه هنة سوداء كخرطوم الفيل (المزمار) فوضعها في فيه ، وصوّت بها صوتاً لم اسمع وبيت الله اعجب منه ، فاستتم بها امرهم . ثم حرك اصابعه على احجزة فيها فاخرج منها اصواتاً ليس كما بدأ ، ولكنه اتى منها ، لما حرك اصابعه ، بصوت عجيب متلائم متشاكل بعضه لبعض ، كأنه — علم الله — ينطق . وكان معنا في البيت شاب لا آبه له ، فعلت الاصوات بالثناء عليه والدعاء له . فخرج فجاء بخشبة عيناها في صدرها ، فيها خيوط اربعة (العود) ، فاستخرج من خلالها عوداً (الريشة) فوضعه خلف اذنه ، ثم عرك آذانها وحركها بخشبة في يده (الريشة) ، فنطقت ورب الكعبة ، واذا هي احسن قينة رأيتها قط . وغنى به عليها فاطربني ، حتى استخفني من مجلسي . فوثبت فجلست بين يديه وقلت : بابي انت وامي ، ما هذه الدابة فلست اعرفها للاعراب ؟ وما اراها الا خُلقت قريباً .

فقال : هذا البربط .

فقلت : بابي انت وامي فما هذا الخيط الاسفل ؟

فقال : الزير

قلت : فما الذي يليه ؟

قال : المثنى .

قلت : فالثالث ؟

قال : المثلث

قلت : فالاعلى ؟

قال : البم

فقلت : آمنت بالله اولا ، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثاً ، وبالبم رابعاً



قال الراوي فضحك ابي والله حتى سقط ، وجعل ناهض يعجب من ضحكه . ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا الحديث ويطرف به اخوانه فيعيده ويضحكون منه . »

وقد رأيت من هذا ان العرب ما كان لهم بالموسيقى علم ، وانها دخيلة ، خصوصاً آلاتها الوترية . وقد نوهوا برجل في الجاهلية اسمه «مديح» حلو الصوت حتى دعوه « المصطلق » . ولكن لا تحسب هذا التنويه بهما ، رفعهما الى مراتب الشجعان والاجواد ووضعهما في منزلة بين التكريم والغنى ، لا ! ولكنهما ينوهان بهما حين ضرب المثل بحلاوة الصوت ، لا على وجه الاجلال والاكبار .

— ومن قيان العرب قبل الاسلام الجرادتان اختلف الرواة فقائل انهما لعبد الله بن جدعان غنتاه ثم وهبهما لاميمة بن الصلت الثقفي « رواية الاغاني » وقيل انهما لملك العرب النعمان « على رواية اليازجي » وقيل انهما كانتا لمعاوية بن بكر العمليقي سيد العماقة الذين كانوا نازلين بمكة قديماً « على رواية الميداني » . ورواية الميداني في هاتين الجرادتين اقرب الى ما جاء في تاريخ اسرائيل عن جيل الجبابرة اصحاب الحروب والغارات من بني آلوهيم رجالا وقايين نساء .

والذي نأخذه من تاريخ الجرادتين في بحثنا هذا انهما قينتان من الاماء ، ومع بصرهما بالغناء لم ير صاحبهما ان يضن بهما على رجل آخر ، فوهبهما اياه كانهما بعض السلع . ولا تزيد قيمة الموسيقية

الحسناء عند العرب في ايام الجاهلية عن آلة الفونغراف اليوم ، كأن لا روح ولا عاطفة لها مهما اجادت واثارت في غنائها الاشجان ، ولتحمد الموسيقية اليوم حظها اذ لها في الحياة غير هذا الشأن !

كانتا من الاماء ، وهذا يدل على ان الحرائر كانت الموسيقى تغض منهن ، لان الموسيقى التي تتعرض لها القيان هي الموسيقى الغزلية ذات النغم المتكسر الوسنان الساهي الناعم المتعطش لدم الشباب الحار ، فهو زفرة من زفرات الصبا الجامح وآهة من آهات الحب المستهتر الهائم في طلب الحظية الرائعة الفنانة ، وهذا حظ ملوك العرب ومن قلدهم ، من الغناء الغزلي الذي يعجبك ويخجلك احياناً .

ولا تحسب اذا قلنا ان القيان كن من الموسيقيات اننا نقصد بهذا القول الى الموسيقى بمعناها الفني ، فقد عرفناك ان الفن الموسيقي لم يعرفه العرب ، ولكنا ونحن نعرض لموسيقى العرب في الجاهلية واوائل الاسلام ، نقصد الشعر العربي في التشبيب والغزل ، يمشي بين الحفل ، في حلل جميلة موشاة من حلاوة الصوت وجمال الايقاع .

ولا تحسب اننا في الجرادتين نرجح رواية على اخرى ، ولكنا جئنا بهما مثالا على ان الغانيات من المغنيات كن اماء غير حرائر ، ولم يقل التاريخ العربي في ايام الجاهلية وصدر الاسلام ان حرة اتخذت الغناء مرتزقاً لها ، او باهت به او نسب اليها ، فالعرب كانوا على رأيهم القديم ينظرون الى الغناء انه متعة الملهي لا يليق بذي حسب او بذات حسب ان يعرف احدهما به . وكيف يرضى العربي الابي ان يرى اميراً من امراء العرب قد تبذل وجلس في مجلس شرابه ، غير محتشم في يوم صائف ، تحت ظلال بستان من نخل ورمان ، وبين يديه فتاة كأنها دمية ، وقد وضعوا بين يديه خمره واكوابه ، وفي زاوية من زوايا مجلسه هذا رجل يغنيه ، واميرالعرب ان شاء قبّل ، وان شاء ضم ، وبين هذين يرفع كأساً دافقة بالخمر المشعشعة ، طلباً المزيد في الطرب . فاذا تعطف على مغنيه فقد رماه بنظرة فيها صبابة من عطف ، كما تلقى الكسرة الى كلب الريف حناناً وفضلا فيحسبها المغني الشرف الاكبر .

انظر في هذا وانت العارف بخلق العرب ، وقل اي رجل من اصحاب العصبية يرضى بذل المغني هذا ؟ ومن يطيق من اهل النخوة ان يجلس بين اميروحظية ، رافعاً ستور الحشمة ، ليجمع بحسن صوته وجمال ايقاعه ، بين جسمين وقلبين ، عالماً بينهما من تهتك وفسوق ؟

اذن فالموسيقى عند العرب في ايام الجاهلية وصدر الاسلام القيان من الجواري ، والمخنثون من الرجال ، وفيهم الاسرى ومن لانسب لهم في العرب . وهذا مجلس الغناء الذي نهى عنه الحديث بقوله « ولحون اهل الفسق »

وقد عرفنا لحون اهل الكتاب ، ولحون اهل الفسق ، ولكن الحديث نهى ايضاً في قراءة الكتاب الكريم عن ترجيع الغناء عامة وعن النوح خاصة . فلا بد من ان يكون للعرب تقسيم في الغناء معروف على قدر ما وصلوا اليه في بداوتهم ، فما تفصيل ذلك ؟

الجواب في كتب الادب نلخصه لك :

الترنم — وقد عرفته انه التغني بالشعر .

التغبير — وهو التغني بما هو دون الشعر .

وفي الترنم : الحداء وهو غناء الركبان قد حنوا الى الاوطان فأرسلوه نغما فيه شجو وانين ، فهو من انواع المحزن ، ويعد اول مراتب النوح .

النصب — وهو من الحداء ولكنه منه ارق وقد عرفه اخيراً اصحاب الصناعة باسم السليك ولعل هذه اللفظة راجعة الى نسبته لتجارة يعرفها العرب . واذا كان النصب من الحداء كان هو غناء الركبان

والمراثي — ويصلح له من الشعر ما جاء من بحر الطويل وقد برع فيه رجل من العرب من بني كلب اسمه « جناب بن عبدالله » فدعوه باسمه وقالوا انه الجنابي . فالنصب والسلمك والجنابي واحد في اسماء متعددة . ولست في حاجة الى القول بانه النوح المنهى عنه ، فلا يقرأ الكتاب الكريم به .

السناد — وهو اللحن الكثير الترديد والترجيع الغزير النغم والنبرات الذي يحتاج في الاداء الى دقة وبراعة مما يباهى به من قصر رزقه عليه ، وكان في صوته رفعة الجواب وسلامة القرار ، مما يجمع الناس على ايثاره .

الهزج — وهو اللحن المرقص الخفيف الذي يصاحبه الشعر المفصل المتساوي الفقرات ، وهو الذي يطير على اجنحة الموسيقى الآلية من دف وطبل ورباب ومزمار ، وهو عندهم نهاية الابداع . وكان هذه الآلات تخلق من النغم جواً متجاوب الاصداء كأنه في تذوقه وحلاوة تجاوبه ، ما يسميه اليوم اهل الموسيقى بالاصطحاب ، وانه منه ولكن على بداوة .

وكان العرب اذا سمعوه ارقصهم واخذ من قلوبهم واستخف حلوم اهل المروءة فيهم . وهذا الضرب من الموسيقى العربية البدوية ، والسناد من الغناء المنهي عنه في الحديث الشريف .

ورجال الادب في العرب قالوا ان الهزج من ابداع العرب ، ونحن لا نرى معهم هذا الرأي ، فما عرف عن العرب انهم ابدعوا آلة موسيقية . وقد حدثناك حديث الرباب — ولست في حاجة لان

نحدثك حديث المزمار ، فانه لا يخترع الا من طريق العلم الصحيح بصناعة النغم وقياس الصوت ، وانه في موسيقى المصريين . وكذلك الدف والطبل والضاجات « او الصاجات بلغة الفن» فان قلت انهم لم يأخذوا هذه الآلات عن المصريين قديما فهم ناقلوها عن اليهود في خيبر خاصة ، وفي المدينة والطائف عامة ، وان قلت ان اختبار الشعر لهم واستعارة الموسيقى من اليهود، قلنا معك ان هذا اصح ؛ فان كان هذا هو الابداع في المزج كما يقول رجال الادب والتاريخ العربي فلا نعارضهم على هذا التفصيل .

الان عرفت حكمة النهي عن قراءة القرآن بلحون اهل الكتاب ، لان لهم موسيقى لا يحب الاسلام ان يتشبه بهم فيها ، ويشغل اصحابه بالتخصص لها ، حتى لا تفتنهم بهجتها عما هم مقدمون عليه من نشر كلمة التوحيد ، وعن قراءة القرآن بلحون اهل الفسق تكريماً لكلام الله وتنزيها ، وعن الغناء حتى لا يستخف الحلوم ، وعن النوح حتى لا ينصرف السامع الى ذكريات الماضي الذي يحبه ويتوجع له فيفوته ما في الكتاب من عظة .



ولكن الموسيقى تعرض لكل ما تعرض لها النفس من مختلف العواطف . فهي تبكي وتضحك وترقص وتهدي وترسل الروح الى الملاء الاعلى ، ثم تطلعها على ابتسامة الابالسة ، بين الكروم المهصورة والاقمار الساحرة الساهرة . فهل كان الاسلام مشجعاً للموسيقى العربية ام مثبطا لهمتها ؟

ولست في حاجة الى البحث عن الجواب . فان الاسلام كان في غنى عن موسيقى اهل الكتاب التي تملاء جوانب القلوب خشوعاً لله « بالترتيل » الذي وصف لك . وغناء اهل الكتاب اشرف ما وجد في الموسيقى — في نظر الدين — فلا غرو اذا كانت الموسيقى في مختلف الوانها الزاهية والباكية بعد غناء اهل الكتاب بغيضة الى الاسلام لان عرف العرب من اهل المروءات والعصبية متفق مع الحديث الشريف ، فكان لا بد للموسيقي من ان تستخزي في ايام الوحي حتى الموسيقى الدينية بين يهود العرب .

ارأيت كيف كان حال الموسيقى في ايام الرسالة وكيف شغل اليهود وهم اصحابها عنها بالسياسة ؟ فلا تعجب بعد هذا اذا كان الترتيل اخذ على الموسيقي العربية طريقها .

ولكن هل ماتت الموسيقى في ايام الرسالة ؟ انها لم تمت وهي لغة الوجدان ، ولكنها كانت كالشعر وهي عند العرب وليدته . فكما ان الشعر بهت عند نزول الوحي فكذلك الموسيقي الغزلية وهي احب انواعها عند العرب لغلبة الدين الجديد عليهم .

ولكن السياسة تحرك العقول والعواطف ، وللاسلام خصوم اقوياء . اذن فقد تحرك الشعر واخذ يظهر في ميدان الهجاء ، والعرب يتغنون بالشعر ، فلا بد للغناء من ان يظهر ولكن لا في شغوف الغرام — فالوقت وقت حرب لا وقت هوى وعشق — بل في زرد من البغض وهجاء ذي ضرام .

القاهرة — ع . ع

من عشتروت

البحيرة

للدكتور حبيب نابت

بحيرة عشنا على مائها ... نهيم في افياء ارجاها
في زورق حلو مجاذيفه ... صفاقة في الجو كفاها
ننشد فوق الماء انشودة ... في الشاطىء الحيران اصداها

بحيرة ، نامت عيون السما ... واشرقت فوق محياها
ومدت الانجم من برجها ... شفاهها لاثمة فاها
وانشد الليل اناشيده ... في الليل ، في الماء سمعناها
انوارها قاذفة اكرة ... بيضاء في الشطين مرماها

بحيرة كل امساني الصبا ... تمشي على زرقاء مسراها
كأن احلام الهوى صفحة ... خرساء بالماء كتبناها
ودمع ماضينا على خدها ... باللؤلؤ المنثور غطاها
وكل اسرار الهوى في الدجى ... في مائها الصافي دفناها

بحيرة كأس على ثغرها ... لذائذ الدنيا شربناها
كأس من الآمال شفافة ... امرّ في الليل كسرناها

بحيرة ، بل قفرة رحبة ... ضل الهوى في ليل ذكراها
سرنا وراء النجم في ليلة ... سكرى فتهنا ، مثلما تاها

بحيرة بحر على مائه ... مراحل العمر قطعناها
مراحل ايامها بهجة ... في ساعة الهجر نسيناها

بحيرة ، فاضت بآلامنا ... بدمعنا الجاري بمجراها
وازهرت في الشط ازهارها ... وصُوِحت لما قطفناها
يرتل الجدول في جنبها ... انشودة لم ندر معناها
تساقطت فيها نجوم الهوى ... بالجفن ، بالعين لمناها

فغلّ دامي الدمع في مائها ... فجرّح العين وادماها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المؤلفون الممثلون

مما لا شك فيه ان جميع المؤلفين المسرحيين ممثلون اذ يستحيل على المؤلف ان يضع قطعة مسرحية اذا لم يشعر ، وهو يكتب حوارها ، بعواطف الاشخاص الذي خلقهم ويتصور حركاتهم ويمثل بعقله الدور الذي سيخرجه الممثل فيما بعد على المسرح . وبديهي ان القطعة المسرحية تتطلب انشاء خاصاً ، فكم قصصي مشهور فشل في كتابة المسرحية ، ذلك ان لغة المسرح ليست كلغة القصة أو لغة الكتاب ، فقد يتفق لجملة مصقولة صقلا متقناً ، ومؤونة بالعاطفة والفكرة ان تسحر القارىء ولكنها لا تحرك النظارة . اما الجملة المسرحية فلا يجيدها الا « المؤلف الممثل » فراسين وماريفو وشكسبير والفرد ده موسه ليسوا كتّابا فحسب بل كتاب مسرحيون عظماء .



موليير في احد ادواره التمثيلية

موليير

ومن يجهل موليير ؟ فبعد دروس موفقة في مدرسة كليرمون اكبّ على الفلسفة وراح ينتجع من حكمة ابيقورس . وفي الوقت نفسه كان يفكر في المسرح ويتابع خزعبلات الممثل الهزلي سكاراموش . وما عتم الامر ان الف فرقة من اترابه لم يحالفه معها النجاح وسبيت له ديونا سجن من اجلها ثلاث مرات ، ثم الف فرقة اخرى وراح يطوف بها الارياف . وبقي كذلك مدة اثنتي عشرة سنة . وفي العام ١٦٥٣ مثل في ليون مسرحية « الطائش » وهي اولى مسرحياته الكبرى فنالت فوزاً تاماً وشجعته على مواصلة التأليف فوضع مسرحية « الغضوب العاشق » ومثلها في افينيون وناربون وغرينوبل وغيرها . وفي العام ١٦٥٨ مثل في مدينة روان مآسي الشاعر كورنيل بحضور الشاعر نفسه وسرعان ما ارتبط الاثنان بعرى صداقة متينة . وفي الرابع والعشرين من السنة نفسها مثل موليير امام العائلة المالكة وبحضور مشاهير ممثلي « اوتيل بورغونيا » مأساة « نيكوميد » لكورنيل . وعند انتهاء المأساة التي صادفت نجاحاً كبيراً ظهر موليير على المسرح فشكر للملك العطف الذي ابداه لفرقته وسأله « بكل تواضع » ان يسمح له بان يختم الحفلة بأهمية من تأليفه . فقبل الملك ، وكان « الطبيب العاشق » فاتحة النجاح العظيم الذي ادركه المؤلف الممثل فيما بعد . ومنذ ذلك الحين بدأت حياة موليير فاقام بباريس واخرج مسرحيته « الطائش » و « الغضوب العاشق » فاحرزتا مثل النجاح الذي احرزتاه في الارياف . وفي ١٨ من تشرين الثاني من العام المقبل مثل موليير رائعته « المتحذلقات المضحكات » وبلغ نجاحها حداً ضوعف معه اسعار المقاعد ، وأخذ المجد والثروة يبتسمان معاً للعبقرية الظافرة ، وبقي موليير طول حياته يمثل ابطال مسرحياته على اختلاف نماذجها الحية ، ذلك ان هذا الرجل العظيم الذي قال عنه بوالو للويس الرابع عشر انه « فريد عصره » عاشر هذه النماذج البشرية وعاينها بين الثالثة والعشرين والسادسة والثلاثين من عمره .

ولم يقتصر موليير على تمثيل المهزلة فحسب بل مثل المأساة ايضاً ففشل . ولكنه لم يفشل لان تمثيله ردىء ، بل لانه اراد

ان يسلك فيه طريق الحقيقة ، الطبيعة والبساطة في الحياة . على ان مزاعم ذلك الزمن كانت متربصة له وكان حساده من الممثلين المتكلفين واقفين له بالمرصاد . ومجمل القول ان الفوز العظيم الذي ادركه موليير في مهازله الخالدة والاحترام الذي تمتع به في نفوس صفوة المفكرين في زمنه حملا الاكاديمية الفرنسية على التفكير في انتخابه ولكنها اشترطت في ذلك ان يقلع عن الظهور على المسرح، وكلفت صديقه بوالو مباحثته في الامر واقناعه بان حرفة الممثل لا تتفق وكرامة الاكاديمية . فرفض موليير قائلا لصديقه بوالو ان تحوله عن المسرح يقضي على حياة عدد كبير من رجال فرقته والمستخدمين في مسرحه وانه لن يفصله عن فرقته التي يحبها الا الموت . فلم يصر عليه صديقه ولا الاكاديمية ، وبقي المسرح محتفظاً بموليير حتى موته يوم ١٧ من شباط ١٦٧٣ ، عقب تمثيله للمرة الرابعة مهزلته الخالدة « مريض الوهم » .

شكسبير

وان تكن فرنسا تفاخر بانجابها المؤلف الممثل موليير فانكلترا ليست اقل منها افتخاراً بانجابها المؤلف الممثل شكسبير . ومن يجهل شكسبير ؟ فعندما اضطر شكسبير وهو في الخامسة عشرة من عمره الى الانقطاع عن دروسه لقلة ذات يده كان على جانب من العلم يسمح له بقدر قيمة الكتب التي يضعها الحظ السعيد بين يديه . ولما بلغ الثامنة عشرة تزوج من ابنة مزارع وبعد مرور ثلاث سنوات غادر ستراتفورد مع زوجته واطفاله الثلاثة . وكان شكسبير يحب الغابات والصيد وكثيراً ما كان يتوغل في حدائق السر توماس مطارداً ارنباً بريـاً او تيساً جبلياً . ويظهر ان النبيل الانكليزي عاقبه بقساوة فانتقم منه بقصيدة هجاء انتشرت في كل مكان ، ولما بلغه غضب السر توماس هرب الى لندن واول ما فكر فيه عند وصوله الى المدينة ان يبحث عن مأوى لفرسه فقادته الصدفة الى اسطبل جس بورباج . وكان هذا الاخير من مواليد ستراتفورد كشكسبير ومن عشاق المسرح فبنى اول قاعة للتمثيل في انكلترا واجرها لفرقة لورد لسيستر . واذ كان شكسبير في اقصى الحاجة الى كسب العيش استهل عهده في لندن بحراسة جياد الاشراف الذين كانوا يأتون لحضور الحفلات التمثيلية . وهذه المهنة الوضيعة صورت لروبرت غرين فيما بعد انه يستطيع اهانة شاعر روميو وجوليت بتلقيبه اياه بالسائس .

وسرعان ما وطىء شكسبير خشبة المسرح بفضل نجل بورباج الذي كان في عداد فرقة لورد لسيستر وراح يحضر التمارين . ثم عين ملقناً . وما عتم الامر ان ادهش الممثلين بملاحظاته الدقيقة فعهدوا اليه بادخال تعديلات على المسرحيات القديمة . وفي ذلك العهد لم يكن النتاج الفكري محمياً كما هو اليوم ، بل كانت كل مسرحية تباع تصبح ملك الفرقة التي تشتريها، تتصرف بها كما تريد فتحذف منها وتضيف اليها ما تراه حسناً . وما بلغ شكسبير الثامنة والعشرين من عمره حتى اشتهر كممثل ، وقد اطرى دراتين وشتلي وبن جونسون نفسه ، وهو من اقسى مزاحمي شكسبير ، مزايا هذا الاخير كممثل هزلي وتراجيكي . وفي عداد الادوار التي احرز فيها الشاعر نجاحاً كبيراً دور ملك الدانمارك في «هملت» وقد اكد روف «ان شكسبير بلغ بهذا الدور قمة الفن » .



وليم شكسبير

والى جانب المؤلفين الذين تعاطوا حرفة التمثيل يقوم عدد من الكتاب المشاهير ومن غواة التمثيل كفولتير وغوتي . فقد انشأ فولتير في فرني مسرحاً صغيراً كان يلهو بتمثيل مآسيه عليه ، وكثيراً ما كانت حفيدة كورنيل الكبير التي اعطاها مهراً وزوجها تشترك في تمثيل مسرحياته كميروب وغيرها . وكان الشاعر غوتي ايضاً يمثل احياناً امام جمهور من صفوة الناس ويختار المسرحيات والممثلين ويعنى بالالبسة والزينة . ويرجع اليه والى صديقه الشاعر شيلر الفضل في تكوين ناشئة من الممثلين . وقد بقي الى شيخوخته المجيدة يعنى بالاخراج المسرحي وبكل ما يختص بفن المسرح .

اما المؤلفون الممثلون في الوقت الحاضر فأشهرهم كورتلين وتريستان برنار وساشا غيتري والشاعر جان سرمان، ولويس فرنويل ومرسيل اشار ورنه فوشوى .

اسرار بلادي

بقلم زكي المحاسني
استاذ العربية في تجهيز دمشق

◆

دمشق ، يا لك من ساحرة شرقية ذات عطور . نحن ابناءك قد لا نرى سحرك ، وكل ابناء الشرق لا نحس بروعة محاسننا . اننا لنعايش هذه المحاسن ونشاهدها في الاماسي والاصباح . نفتح الاعين عليها منذ ندرك معنى الحياة ، ونغمضها حين نموت ، ونحن في فسحة ذينك العهدين لا نعرف اسرار ذياك الجمال . فلكم من مباهج قد ألفناها ، لكننا لم نرسل بانظارنا الى اعماق فتونها . حتى اذا هبط ديارنا رجل من الغرب لهيف النظر الى هذا الشرق الذي كانوا يحدثونه عن عجائبه وطيوبه ، رأى بلمحة عين من اسرارنا ما لا نراه نحن في طوال العمر . ولعل تعليل هذه النقيصة فينا هو استهتارنا بما عندنا ومحبتنا لكل طريف غريب .

لكم جلت في ازقة دمشق منذ كنت يافعاً . فقد ولدت في حي مئذنة الشحم . وهناك بيوت قامت على الساباط تتناوح حيطانها وتتسع ساحاتها . يدخل اليها من فجوات مظلمات يمضي المرء فيها وفوق رأسه ظلة من السقائف . في هذه الدروب اصاب نعلي الوحي . وطال ما خفقت فيها ذهوباً وجيئة فلم ار منظراً في يوم من ايامي يبهج عيني او يخلب عقلي ، او يسحرني .

ولقد عرفت بعد حين ان الروائي الاشهر رومان دورجليس من اكاديمية غونكور ، زار بلادي فقال في كتابه الذي سماه «قافلة بغير جمال» : (ان اشخاصي لا يتركونني ابداً . اني بصحبتهم قد زرت دمشق وهم احياناً ادلائي واحياناً انا اقودهم . واذا حللت ضيفاً على احد فقدم لي خمرة لبنانية مذهبة فاني انسى الناس الذين هم هنالك وابتدىء في جمع اشباحي بفناء الدار ولا تستطيع اية محادثة ان تلفتني عن هذه الروايات التي لا ترى . ان ايامي التي قضيتها في حي الميدان وفي ازقة الشاغور في الشام لم تكن الا من اجل اشخاصي .

لقد دخلت دمشق عند ميل الشمس الى الغروب ، وكان فكري في موسم من مواسم عيده ، منتفخاً بالاحلام وكان قلبي طربا . على ان الناس الذين شاهدوني وحيداً في صدر السيارة كانوا لا يعلمون انني اجر ورائي حاشية فخمة تخفى على اعينهم ، حاشية يزدحم فيها البدو بعباءاتهم الثقيلة وركاب الليل وعليهم الصدر المحمر ، ونساء محجبات ، واميرة شامية تكبح جوادها بيد قوية . .)

قرأت هذا حين تذوقت الادب فرأيت دورجليس ، ذاك الروائي الجبار الذي زار الشام قد وشوشته سواحر الشرق فأرته الاساطير التي تسكن في الشام منذ عهود بعيدة ، والتي لم يستطع ان يراها شامي واحد . لقد سار الاديب الفرنسي في شوارعنا وكانت تلك الشخوص له حاشية تمشي وراءه . وشاهد النساء المحجبات وكأنهن مفاتيح اسرار هذا الشرق .

فرحت من بعده اتسقط المفاتن التي كنت اراها ولا اعرفها . فاذا زرت حلب جلت في اسواقها . فوقفت بقيصريات الصاغة فاذا هي كالاقبية لها ابواب قصيرة معقود عليها حنايا الاشجار ، وسقوفها واطئة ذات قباب . وثمة رأيت فواتن نساء محجبات ، كن اذا اقبلن على باعة الجواهر كشفن عن خد اسيل ، وطرف كحيل ، وايد بضة ، فدخلن الدكاكين الكاسدة ، وجلسن يصففن على لباتهن القلائد ويضعن في آذانهن الاقراط بعيدة المهاوي . واحلى ما اعجبني الخلاخيل فان نساء حلب ما زالت فيهن من تزين معصم رجليها بالخلخال الجوال .

ثم انحدرت الى سوق الحبالين ، فاذا سوق ما رأيت اضيق منها ولا سمعت . يكاد الجالس على طرف دكان من اليمين ان يمس بركبتيه الجالس على طرف دكان من اليسار . وكنت اسمع وانا اجوز بهذه السوق احاديث يتجاذبها البائعان المتثافنان ، فيقصران بها طول النهار والحبال من فوق رأسيهما متدلية كالعناقيد من

الدوالي . ومن يدري ؟ فلعل هذه السوق عرفت من اسرار هذا الشرق ما لا يراه الا اديب من الغرب . ومضيت ذاك ديدني اذا جئت هذه البلاد اتفرس اوجهها علي ارى فيها السحر .

وحين جزت بحماة التي جاز بها امرؤ القيس قبل خمسة عشر عصراً وقفت على العاصي اذكر شعراءه من اقدمين ومحدثين . واسمع ترانيم الناعورة فاحسبني في هيكل عبادة ترتفع منه التراتيل الموسيقية الشاجية ابد الدهر لا تهدأ ، فتملأ هذه البلدة الشرقية الساحرة التي لا تزال عليها آثار البادية . وحين سألت النواعير عن سر بلادي رددت انشودتها في شعري فقالت :

ناسجات الزمان طول الاوان
دائرات ولحننا غير فان
قد غططنا الرؤوس في الماء دوماً
وبللنا به الصدور الحواني
واقمنا مثل العرائس في البحر —
تناغت برائعات الاغاني
ننقل الريّ للتراب فيرتد —
جناناً يا حسنها من جنان
ابداً ننشد النشيد لعاصينا —
فيغدو المطيع بالاحسان

ومررت في حمص بسوق البازركان تحت سقف مقوس عال فأقبلت اشتري شرشفاً من الحرير الملتمع الوهاج . وكان البائع ذا عمامة صفراء من الاغباني قد لبس القمباز الالاجا وادار حول خصره شملة من الشال فنشر امامي الديباجة الوهاجة وجعل يروي السيرة عن خيطها وحبكه ونسجها وحوكه ، ومنوالها وصانعها ، ولحمتها وسداها . فقلت لنفسي ان في جيب هذا البائع تاريخ حمص واسرارها ، وفتنتها واخبارها وهو لا يدري .

وجئت صيداء الميناء ، وهي كهلال من الحلواء اخذ البحر يداعبه بلسانه فمشيت عند الاصيل في عشية حلوة رقيقة النسيم على الشاطىء . اطبع قدمي مياسم على صفحات الرمال حتى اخذت عيني دخانا يعقد في الجو من بيوت اسندت على ظهورها القلال والجرار ، وصففت الحقاق والاباريق . فقلت هاهنا الفواخير فدخلت واحدة منها بين يدي البحر فشاهدت رجلا قد اسنّ . غاص في الارض بحفرة الى نصفه ، وادار برجله دولاباً فيه عمود تجول على رأسه الجرة . فنادى اجيراً له فأقبل بعجين من طين ، ركبه في رأس العمود وأخذ يداعبه باصابعه وهو يدور . فاذا هو يبدو جرة سخيفة ثم يعظم امرها فتكون لها حفة مقلمة ويستدير جوفها ويتسع اطارها ثم يضيق فمها ويصغر فاذا هي خلق سوي . قد كان كتلة من طين فأصبح آنية للشراب .

فذكرت تلقاء ما اشاهد عمر الخيام ، يرحمه الله ، وحسبته قد ردّ في اهابي . فسألت الرجل او تكتب وتقرأ . قال كلا لكني افهم ما يقرأ لي واسمع « العلم » . فقلت ان هذا الطين الذي تجبله وتصوغه قد اخذ من ارض ربما كانت مقبرة ، فهو عظام الاموات وذرات الاجداد . فلم يعجب لقولي . وانما زادني فلسفة زاد بها على الخيام فقال :

— اننا ندخل هذه الجرار التنور ونشويها بلهيبه فنحرق اجدادنا ، ولقد قال لي ابي يوماً وكان هاهنا قبل ستين عاماً في مكاني :

— يا بني ، انه لم يفتن احد من هذه الحرفة ، لان من حرق اجداده عاش فقيراً ومات فقيراً . ثم اندفع الرجل نحوي بالشكوى ورجله تدور في صنعته فقال :

— ما كسبت والله يا سيدي طوال عمري ، الا قوت يومي . فودعته وانا اقول : بحسب هذه الجرار ان تنتقم . وكنت اصيخ بالروح اليها وهي مصفوفة كأنها موميات مصرية خالدة الى السكون . ولعل بينها صوتاً قد سمعه قبلي الشاعر الفارسي فقال بلسان مترجميه :

امس ابصرت جارنا الخزافا
يجبل الطين كيف شاء اعتسافاً
وكأني اسمعت بين يديه
صوت ذات مظلومة تشتكيه
قالت ارفق فأنت طين وماء
لا تسمني فيما صنعت عذابا

فرددت الفكر الى اسرار الشرق . فوجدت فلسفة الخيام بنت هذه الاسرار . فبت راضياً مغتبطاً بانشاد الرباعيات ، غير حاسد لدورجياس الذي كنت احسبه وحده رأى اسرار بلادي .

دمشق — زكي المحاسني

اغاني اللبنانيين الشعبية

بقلم شفيق طباره

◆

عندي في بدء هذا البحث ملاحظة ارى من الخير ان ابديها ، وهي انني سأقصر الكلام على الاغاني التي شاعت قبل حرب ١٩١٤ في لبنان، ثم اقرر ان اللبنانيين كانوا يومذاك كما هم اليوم يشتركون في كثير من الاغاني مع معظم الاقطار العربية ، على ان هنالك اغاني تحمل الطابع اللبناني الخالص تفرد بها ابناء هذا البلد وتناشدوها بلهجتهم المحلية زمنا طويلا ، فاصبحت تعرف بهم دون غيرهم . واني سأكتفي بالوقوف عند نماذج من هذه الاغاني لاعرض صوراً صادقة عن الحياة اللبنانية ، من جيل كاد يطويه الزمان ويجعله في خبر كان .

لا جدال في ان اسلافنا اولعوا بالاغاني وتفننوا في نظمها وافاضوا في احاديث الحب والغرام ففرجوا عن صدورهم بانواع الزجل فسمعناهم يثنون في (المعنى) ويتنهدون في (المواويل) ويتلوعون في (العتابا) ويبكون في (الميجانا) ويضحكون في (القرادي) فأرونا من عفو القريحة فنوناً من القول وضروباً من المعاني حسبكم ان تتأملوها قليلا لتشعروا بخفة الروح وحلاوة التعبير وبراعة النكتة في هذا الفن الغنائي المحلي الممتاز .

فمن الاناشيد التي تدخل في باب الفخر والمديح نوع يسمى (الزغاريد) تغنيها بعض النسوة في الاعراس وتقول فيما تقوله هاتفة للعروس :

اوها — يا عروس نيال العريس فيك
يا عرق لولو جوهر بين عينيك
وحياة حسنك بروحي صرت افديك
وتلملم الحسن في مركب واجا ليكي
واجو بنات المدن تا يتفرجو عليك
لا هن مثلك ولا بيتشبهو ليكي
اوها — يا عروس ما بحتاج وصيكي
لا تخلي احد في الدار يشكيكي
هيدي حماتك حبيها وعزيها
وتكون عندك نظير امك تربيكي
اوها — حمرا وبيضا ولبست ثوب كتاني
والمسك في جيابها ممزوج ريحاني
ما قلتلك يا عريس ما لها ثاني
هي النجمة المشرقا وانت الكوكب الثاني

ثم تقول للعريس :

يا عريس يا تلميذ (عين ورقا)
يا ذهب اليوسفي مصرور بالورقا
ريتو اللي بيغصك يوقاع في حرقه
ويروح مع الغيم لا لمعه ولا برقا

وتخاطب الحضور بقولها :

اوها — اهلا وسهلا يا ضيوف عزاز
انتم عزاز جايين من بلاد عزاز
والطير ترحب لكم حتى طيور الباز
انتم احلى من المال لو كان صاحبه معتاز
اوها — عقبال فلان ياناس كلكم قولوا
شو هالشب الظريف ومزينو طوله
لو فم خاتم ذهب محبوك باللولو
عقبال فلان وخياته يغنولو

وتقول لوالد العريس :

اوها — عصفوري عالداليه وبلبل يترغله
واليا خد بنات الاصل الله يسهله
لروح انا لأبي العروس وقله
قامة عروستنا بتسوى منزلك كله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتقول لاهل العروس :

اوها — نحنا ان نزلنا منزل عالأجاويدي

وما ناخذ الا الاصيلي وبيها جيدي

نحنا ان اخذنا مناخذ بنت تعجبنا

تطلع وتقول لعمها : يا سيدي ..

وتقول عند جلوة العروس :

قومي تخطري يا زينا	يا ورد جوا الجنينه
كبش القرنفل يا عروسه	والورد خيّم علينا
قومي البسي عقد اللولو	شب الحلو يسلم طوله
سبع بنات يغنولو	وهالحلو رمح الردينا

وفي زفة العريس يقولون :

يا اهل الحميه	وعزايم الله القويه
يا سامعين الصوت	لا يقطع لكم ذريه
بجاه (طه) خير البريه	وان كان هالرايه البيضا الجليه
راية فلان ...	بيض الله وجهه

ويقولون :

يا لطيف الشمائل	آه يا عيني
بك هاجت بلابلي	آه يا عيني
وانعطف ايها الغزال	آه يا عيني
لا تلمني العوازل	آه يا عيني

وعند دخول العروس الى بيت العريس ينشد المنشدون :

جبنا العروس وجينا	يا بو العريس لاقينا
العروس نحنا جبناها	وعالبلد فرجيناها
وللعريس سلمناها	وما عاد يعتب علينا
يا خلي قبل الغروب	خلينا نسير بسرعه
والعروس سكر بتذوب	الله يحرس هالطلعه
عاجبينا شفنا مكتوب	بالعالم احسن بدعا
بمنظرها يشفي المكروب	شمس وضوت علينا

ثم انهم في كل ما كانوا يرددونه في مجالس الانس من الاهازيج الرقيقة والقصائد الحماسية ذكروا محاسن المرأة وتغنوا بما ظهر واستتر من اعضاء جسمها . ولما كان الحياء الذي فطروا عليه يمنعهم عن التبسط في شرح ما تمتعت به اعينهم من جمال الابدان استعملوا الكنايات والتشبيهات، فشبهوا خدود الملاح بالتفاح والنهود بالرمان والعيون باللوز والانامل بالخيار والفم بالفستق وغير ذلك من المحسنات البديعية التي تدور حول الفاكهة فتبدو الاغنية الواحدة كأنها بستان طافح بصنوف الخضر والوان الثمار ...

وكانوا في الغالب يكنون عن الحبيب بشجرة المشمش والحبيبة بشجرة الخوخ كقولهم :

بداركم مشمشة وبدارنا خوخة

يا شجرة المشمشة مالت على الخوخه

فنجان من ريقكم للصفرا والدوخا

فنجان من ريقكم يغني عن الميا

وكثيراً ما كانوا يرمزون في اغانيهم الى قدّ الحبيب بالغصن الرطيب فيقولون (يا محلا الغصن يميل) ويقصدون بذلك الجمال الاهيف الذي هو كغصن البان ، وعنق الغزلان وما شاء الله كان ..

واتخذ اسلافنا الذهب وسيلة لاغراء المرأة ، والذهب هو فتنة النساء في كل دهر لانه اكثر ما يجمع لاجلهن واكثر ما ينفق عليهن فدسوه في الحب واستعملوه في الاغراء بدليل قول القائل :

محبوبتي بالسما ما لي وصول ليها

خشخشتلها بالذهب ركضت عايديها

لا تعجبوا يا خلق بمحبتي ليها

محبوبتي من صغر متولعة فيا

وكان كثير منهم يعمدون في حبهم الى الارهاب فاستمعوا الى احدهم حيث يقول :

لاطلع لراس الجبل وانشر سنجق بهواكم

وامسك بيدي جوز فرود وقوص كل من عاداكم

وكانت حوادث الغرام تنتهي في بعض الاحيان بزواج الخطيفة وذلك بان يدبر العريس حملة على عروسه فيهجم عليها في جمع من اهله واصدقائه ويختطفها من احضان اهلها بالقوة . قالوا في ذلك :

يا غزيل يا بو العبا يا غاوي يا معزبا

يا حلوة ذبجتيني بكلامك مرحبا

طلبتي مني البشلك ومنين بجيب البشلك

لولا خوفي من اهلك لا خذك غصيبا

وكان اللبنانيون مثالا للمروءة وكمال الرجولة والتضحية يوفون بعهد المودة والهوى ويعنون براحة النساء فكان الرجل منهم يتعب لكي تستريح المرأة ، وكان يشقى لكي تهنأ وتتنعم . اما النساء اللبنانيات فكن يجمعن يومئذ الى الجمال الطبيعي محاسن النفس ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويحبين معاني الرجولة في الساعد المفتول والشارب المعقوف وبيان ذلك ان بيئة لبنان بيئة كثر فيها البطش وكثر فيها الكر والفر. فلم يستطع ان يروج في سوق النساء الا البطل. وعلى هذا كان نساء السلف يسرهن منظر الخنجر في زنار الحبيب يدلكم على ذلك قول احداهن تتحلى بحسن حبيبها معجبة مطمئنة :

شفت حبيبي عالمينا شاكل فرد وسكينا

ولقد عانى الجيل القديم لوعة الشوق، فمن قائل في كتم الهوى :

من هون لارض الدير من هون لارض الدير
والسر اللي بيننا ايش وصلوا للغير
وان كان ما في ورق لاكتب على جناح الطير
وان كان ما في حبر بدموع عينيا

ومن قائل في الغيرة :

يا نخلة اللي بدارنا طورك اسد
وتكسرت الاغصان من كتر الحسد
انا زرعت الزرع جا غيري حصد
يا حسرتي ردوا القمح لعدالنا

ومن قائل في الهجر والصدود :

لطلع ع راس الجبل واشرف على الوادي
وقول يا مرحبا نسم هوا بلادي
يا رب يطوف النهر ويمتلي الوادي
لعمل زنودي جسر تمرق البنيه

ومن قائل :

يا رايحين عا حلب حبي معاكم راح
يا محملين العنب فوق العنب تفاح
كل مين حبيبه عنده ونا حبيبي راح
يا رب نسمة هوا ترد الحبيب ليا

والظاهر ان الشاعر يجهل فن النعبثة اي (الامبلاج) اذ لولا ذلك لما وضع التفاح فوق العنب في قوله (يا محملين العنب فوق العنب تفاح) وان كان الامر كما يقول ما كبر الظن ان عناقيد العنب وصلت بوقتها الى مقرها « مخبصه » ..

واستنكر ابناء لبنان — فيما مضى — من المرأة ان تشكو في الغراميات فما ظفرت في اغانينا الشعبية القديمة بنظم صادر عن لسان المرأة الا القليل ومع ذلك فقد اشتهر منهن من نسميهن اليوم (كواكب) كن موضع اعجاب الرجال ومحور احاديثهم عرفت فيمن عرفت منهن بنت الحلال :

الروزنا :

عالروزنا عالروزنا كل الهنا فيها شو عملت الخاينه الله يجازيها

وحنينا :

يا حنينا يا حنينا يا حنينا ضحكت حجار الدار لغيو حبابنا

وماريا :

يا ماريا يا مسوسحة القبطان مع البحرية عود يا زماني عود

وذاع صيت (سالم) بين الذكور :

لابعث سلامي لسالم ما حدا من الحب سالم
ونا بجرحي متآلم دلوني على حبيبي

وكذلك برهوم :

برهوم يا برهوم يا بو الجديله والعاشق ماعنده ياويلي ولاعشاليله

وقصة المرحوم برهوم مأساة تحولت على مر الزمن الى ترنيمة وما زالت الام اللبنانية تناغي بها طفلها الرضيع حتى اليوم .

ومما لا ريب فيه ان قيود الحياة الاجتماعية كانت شديدة الوطأة في ذلك العصر ، اذ ان اقل حركة مجونية تأتيها المرأة كانت تجعلها عرضة للاذى والخزي والعار . من اجل هذا كانت حوادث الغرام في المجتمع اللبناني تجري تحت جنح الليل وذلك بعد ان يتحمل العاشق المشاق ويقتحم الاخطار ، يدلكم على ذلك قول من قال :

خشيت انا لبيتكم بعد العشا بنتفي
لقيتكم نايمين وسراجكم مطفي
مديت ايدي عالحبق لاقطف انا نتفي
صاحت بنيه لكم جتنا حراميه

ورحم الله عشاق الجيل الماضي فقد قاسوا من شدة الوجد ما جعل اغانيهم تفيض بالشكوى من الحرمان ولا تنسوا ان لبس الملاءة والازار كان من التقاليد المفروضة على النساء اللبنانيات في المدن بينما كان خمار اسود يستدير حول الرأس ويحجب الوجه وهو ما سمي بالاصطلاح : فوطة :

يا رب نسمة هوا تطير الفوطة تبان جبين العريض والغرة المكوية

انما كان اذا انعم الله على احدهم ولمح صدر احدى الغواني تنبه شيطانه فاندفع يتغنى بما وجد من لذة والم او غيرها من الوان الشعور :

كشفت على صدرها وقالت تعا تفرج
مخزن جديد انفتح وبضاعة فرنجيه

وكذلك كانت النظرة الواحدة الى صدر المليحة تثير العجب وتدعو الى الاعجاب . وتصوروا كيف تكون الحال لو مدّ الله في عمر الاباء والجدود وشاهدوا ما نشاهد في عصرنا من ضروب العري ومعالم التهتك والاستهتار .

وكان من عادة اللبنانيات يومئذ ان يكدسن الثياب على ابدانهن ويلبسن تحتها التنورة (١) وهي التي ألهمت القائل :

يا ام التنوره الحمرا ودايز مندارها خروجي
حرقتي قلبي يا سمرا لمن تمشي وتموجي

والقائل :

جاي بوجه الصبح بطاق التنوره بتسوى جميع المدن من مصر للكوره

ثم اسمعوا — رعاكم الله — هذه الطقطوقة او الجورنال اللطيف في عالم الازياء :

لبست كبوتها شلحت كبوتها والله ما بفوتها بنت الملعونة
لبست المشلح شلحت المشلح راحت تتسبح بنت الملعونة

اما صفة (بنت الملعونه) هنا فلا ادري اهو نوع من الذوق ام من قلة الذوق ، لأسمّيه . على انه ربما كان يريد الشاعر المبالغة في الاعجاب ، وهذا نوع من المدح في معرض الذم كقولنا في كلامنا الدارج (يخرب بيتو ما احلاه) . . .

واجمل ما اعتزت به الغيد الحسان في ذلك العصر من معالم الزينة الشعر الطويل ، فكن يضفرنه بخيوط من الصوف وما زال الرجال الذين اطلوا على الستين يذكرون بالخير عهد (الضفائر) ويتحسرون على (الشنيور) .

يا طالعه من بيت ابوها يا نازلة عند الجيران
حاطة الابيض والاحمر والشنيور يضرب سلام

وكان من عادة النساء ان يطلين وجوههن طلياً بالمساحيق ويستعملن الكحل ويضعن الزهر — رمز الحب — على الرأس . قال الشاعر :

الحنا الحنا يا عطر الندى شباك حبيبي جلاب الهوى
ياخوفي من امك لا تدور عليك لحطك بشعري واضفر عليك
وان جاتني امك وتسأل عليك لحطك بعيني واتكحل عليك

والظريف ان هذه العاشقة تظل على هذه الحال قلقة لا تدري من فرط الخوف اين تخفي حبيبها الى ان تجعل منه في النهاية لقمة سائغة او حبة (ملبس) تدسها في فمها وتقول وعمر السامعين يطول :

وان جاتني امك وتسأل عليك لحطك بتمي واطبق عليك

اما الموسيقى في تلك الاغاني فليس فيها من جلال الفن ما يكفي لانها تشتمل على نغمة او نغمتين وتطرد على مثال واحد حتى يسأم منها السامع . ولهذا كان من شأن الاغاريد الشعبية انها ليست بخالدة ولا باقية على الايام . ذلك لان العنصر الاساسي فيها لا يرتكز على الفن الموسيقي بقدر ما يرتكز على الالفاظ والمعاني ولقد طربت نفوس الاباء والجدود لعزف العود ونقرات الدف وصوت الناي والقانون وولولة الرباب وانين قصب « المجوز » وقرقعة الطبل ودوي (الدربكة) وضجيج الصنوج وكثيراً ما كانوا يستعيضون عن هذه الآلات الموسيقية بالتصفيق .

وهنا يستطيع الباحث ان يستخلص من حاصل الاغاني الشعبية التي دارت فيما سلف على ألسنة عوام الناس في لبنان انها تمثل عاطفة الحب اليائس في الوان من التوجع وصنوف الحسرة والابتهال وتحفل بالتغني بالرجولة وصدق الولاء وتفيض بالغزل والتشبيب اللطيفين اللذين هما قوام الغناء وسر جماله ، يضاف الى هذا انها تصور لوناً من الوان الحياة اللبنانية لعصر اجيز لنفسي ان اسميه عصر النخوة وسمو العواطف والصفاء وراحة البال ، ثم انها تعبر عن احساس جمهور اللبنانيين الذين كانوا يتحلون بالخلال العربية النبيلة والروح الشرقية السامية ، وقل ان يكون منهم اهل فساد او ضلال ، فكل اغنية من اغانيهم هي — على ما فيها من بساطة — سجل صادق فيه صور مختلفة من صور الحياة : فيه البهجة والاكتئاب وفيه الرضا والسخط وفيه صور جميع شواعر النفس الانسانية . انما صرنا نحن بعد ان ذبلت هذه الاغاني نبتغيها مادة فكاهية تبعث على ثغورنا ابتساماً فيه كثير من العطف على اسلافنا الغابرين .

على اننا لو اكتفينا بالزجل الذي ابدعوا في معانيه كل الابداع لظهر لنا ان اصحاب المدرسة الحديثة في الغناء لم ينشئوا فناً جديداً أروع منه وأجود . فمعظم (الاغاني الشعبية) والمناوجات الشائعة في ايامنا عدلت — مع الاسف الشديد — عن الغزل والتشبيب الى الشكوى من البؤس الاقتصادي وكادت تقتصر على نقد ما قبح من الاحداث السياسية . ومهما يكن فالسياسة والبؤس اذا هيمن احدهما على الفن وسيطر على الحس تعطلت حاسة الذوق واختنقت الموسيقى وقضي على الغناء .

شفيق طباره

(١) التنوره كلمة سريانية وهي ثوب مستدير كالتنور تلبسه المرأة تحت ثيابها فينزل من الخصر الى القدمين .

نسيج العنكبوت

بقلم محمد عاج حسين
استاذ الادب العربي في تجهيز اللاذقية

.. مشى تلك المسافة بصبر واناة . كان الحر ضاغطاً ، لكنه لم يأبه لهذا اللظى المنبعث من تموز اللهاب . وهو يحدوه امل لذّ يهدهده ، فيستنيم على خفقه . فالسيارة التي جاء بها ، لا تستطيع تسلق هذه التلال التي تؤدي الى القرية حيث تصطاف خالته مع اولادها . وسامية بنت خالته خطيبته ، ويمني نفسه بلقاء خصب معها ، يبادلها القبل ويناجيها . وهو قد سيق الى هذه الخطبة بدافع التقليد والقرابة التي تربطه معها ، وان كان في قرارته لا يحلو له هذا النمط من الفتيات الطافرات . فسامية ضحاكة ممراحة ، وهو يؤثر الحزينة المتزوية ، وهي شقراء بيضاء ، ويفضل الخمرية الاسرة .. لكن والدته اصرت على هذه الخطبة .

واخذ مصباح عبد الكريم منديله يمسح به العرق الذي يخضبه ، وكان نشاطه يتوقف كلما قفز بين هذه التلال المتوردة يتحلى من جمال من جمال الطبعة الخالب . وسيربح نفسه من عناء العمل المتراكم الذي يرهقه وتلك الخرائط والتصميمات ، التي كان يقوم بها كل يوم . فمهنته — مهندس — تقضي عليه بان ينصرف الى عمل دائب عسير .. وفي قرية خالته — العنابية — سيقضي ردحاً من الزمن ، في صفاء بال وراحة .

وسار المهندس ، في طريق متعرج ، تشابكت فيه الاشجار المورقة ، ثم كده التعب وارهقه المشي ، فتذكر ذلك الينبوع الثر الذي امضى فيه ايام طفولته ، وما عتم ان انحاز اليه ، يشق دربه فرأى الاشجار الخضراء التي كانت تتعانق في مدخله ، واحس بخدر يتمشى في اعصابه اذ ذكر انه سيعب من الماء النمير ، وسيأخذ غفوة تطرد عنه الرهق الذي مني به .

الا انه ما لبث ان تراجع مصباح عبد الكريم ، وهو في حيرة .. لقد رأى على حافة الينبوع منظراً مثيراً عجب له اشد العجب : فتاة مستلقية ، ترفع رجليها ، تحركها بتؤدة ورفق ، وهي مستغرقة في قراءة كتاب ذاهلة عما يحوطها من خرير الينبوع الصافي ، ذي النغمة الضاجة في تكسره على الحصباء .. وتأملها ، وتأملها ، وتساءل بلهفة : من تكون هذه الصبية ؟ وهو يعلم ان القرية النائية لا يؤمها احد من المصطافين ، خلا عائلة خالته ، التي تمتلكها .

وفرك عينيه ، كأنه في حلم .. اتكون حورية ، هبطت من السماء ، في هذه الفينة ، لتنعم بجمال الدنيا الفاره ؟

ومشى وئيداً حتى اقترب منها في الجانب الآخر .. وكأنها شعرت بالحركة فتمتمت دون ان تحرك ساكناً : سامية .. جئت ؟

وترداد الحركة ، ولا تتلقى جواباً ..

وتتطلع الى مصدر الحركة ، وتلتقي العيون بنظرة ، تعقدها الدهشة .

ويشرع الاحمرار يونق وجهها ، وترف أهدابها ترسم ظلالا على خدها فتتراءى كأنها من بنات الجن .. وتمضي دقائق فيها صمت بليغ يعبر أجلى تعبير عن هذا اللقاء المفاجيء .

ويستطيع المهندس ان يقول : عفواً اذا ازعجتك ..

فلا تجيب جواباً .

ويتابع : اليست هذه قرية «العنابية؟»

واحس ان سؤاله كان بارداً . فهزت رأسها بايماءة خفيفة وقالت : نعم .

وتلجأ الى سكوت واطراقة تأمل في دفقة الينبوع الشادي .. واذا بصوت يدوي وخفق اقدام تدنو وعبير يتفاوح .. وينجلي الصوت وضاحاً صارخاً : وديعة ! وتطل سامية بقامتها التياهة ، وحيويتها المتدفقة وتقترب من المهندس كأنها كانت تنتظره ، وتعانقه فيقبلها على خدها .

وتنفلت منه ضاحكة : اقدم لك صديقتي وديعة .. ابن خالتي وخطيبي المهندس مصباح عبد الكريم ..

وتمتد اليدان فيتصافحان ، فيشعر مصباح ان ناراً تسري في اعضائه ..

— ماذا تقرأين يا وديعة ؟ صرخت سامية . واستتلت : تقضين وقتك بالقراءة المملة .. الا تزعجين ؟ اذا قرأت ساعة ، شعرت ان المدى تمزق جسدي .

فاجابت وديعة : القراءة عون على النوائب ، فهي مسرح للاراء والمشاعر والفكر الانساني .

ويترامى صوتها موسيقياً كانغام عذراء وقعتها انامل موسيقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موهوب ، فينحدر الى قلب مصباح كالغناء العذب .

وتطلق سامية ضحكة عابثة : هذا هراء .

ويغرق مصباح في تفكيره ، فذهنه النفاذ ارشده الى ان هذه الفتاة الحفرة تمثلي . بالروح والفن ، والفهم الاصيل للحياة ، بخلاف خطيبته التي لا يهمها الا المظاهر الجوفاء : الثياب الحريرية الغالية تفرغها على جسدها ، والطيوب تتضمخ بها ، والسهرات الراقصة وما أشبه .

وقالت وديعة : سامية .. اذا شئت سأخلي لك الجو مع خطيبك ..

وتتهادى الانغام الشادية مرة ثانية في فؤاد مصباح الظمي ، ويتمنى ان لا تبرح المكان ليتملى من فتنتها اليقظة التي تزداد كلما صوب نظراته اليها .. وكان الاحمرار يسرع اليها كلما القى نظرته الخاطفة ، وتتراءى بلونها الخمري وعينيها الواسعتين العميقتين ، تومضان برغائب نفسها الخفية ، كتمثال حي يجسد الجمال الخصيب .

واستدارت وديعة تقول : سأخبر امك ياسامية بمجيء المهندس مصباح ، لاكون اول من زف اليها البشرى السارة ..

وشيعها مصباح وهي تقفز بخطوات متزنة فيها جمال مغرور لا متناه .

وارسل تنهدة وتساءل : من تكون هذه يا سامية ؟

— زميلتي في المدرسة الداخلية ، وقد عزمت علينا ان نقضي فصل الصيف معنا في القرية ، فوافقت بعد الحاح ، وأني لاحبها لادبها الجم ونفسيتها الطيبة .

واندفعت تطري مواهبها ، ومصباح يصغي بكليته ، مغتبطاً قريراً . ولو نظرت سامية الى خطيبها بامعان لرأت البريق الذي يخفق في عينيه كانه يتلقى النعيم .

ومضت ايام ، وعقبتها ايام ، في غضونها لامس الحب لاول مرة قلب مصباح ، ذلك الحب الجارف الذي لا يعرف هوادة ، ويتذكر اللحظات السعيدة التي كان يقضيها بقرب وديعة ، تقرأ له بصوتها الفاتن ، وتحدثه شتى الاحاديث الدالة على ثقافة مستفيضة واطلاع واسع وروح سرية وديعة كأسمها الوديع .

ويوم جاء ابن خالته من الصيد بطيور متنوعة ، وقدمت هذه على مائدة العشاء في جلسة عائلية ، قالت خالته : سلمت يداك يا ابني على هذه العصافير الغريضة اللحم التي اصطدتها .

وصرخت سامية بصوتها التياه : ان اخي فؤاد صياد بارع يسدد الرمية .

وانتظر مصباح رأي وديعة التي تجلس أمامه ، يتسرق اليها النظر حالماً متأملاً .. ولكنها لم تقل شيئاً . فسألها بلهجة تتعثر بانفعالات جمة : ما رأيك يا آنسة وديعة في الصيد ؟ وهذه العصافير التي نأكلها ؟

وكان في صوته رعشة احست بها بدورها واجابت : حقاً ان آرائي غريبة ، فانا لا احب الصيد وأرى في قتل الطيور الصادحة جريمة نكراء . فلنذرها في البراري تنعم بحريتها الطليقة .. ومن يدري ان هذه العصافير التي نأكلها ، لم تخلف اليتم في صغارها التي تنتظر اوبتها بفارغ الصبر ؟ . حرام ان نقتل هذه العصافير الامنة .

وافلتت منه كلمة : برافو .. برافو ، وديعة .

ورنت ضحكة عابثة ، قهقهة سامية التي كانت تحزه وتبعده عنها كثيراً .

ويخلو مصباح الى نفسه وينعزل في آفاق القرية .. وهو في صراع منكر ، ينشب في اعماقه : لا يقدر ان يتخلص من اسر وديعة ويفلت من حبها الحاد الذي سد عليه المسالك ، فكانت الصعاب تتعقد في طريقه . كيف الخلاص من قريبته سامية ؟

ويتضح له جلياً انه لا يستطيع الزواج منها ، فروحها لا تنسجم معه ، والكائن الذي خلقه الله ليقطع معه مرحلة الحياة ، هو وديعة الرقيقة ذات الجمال الخالد ، فيجب ان تكون زوجه .

ولاعته الافكار تتناحر في اعماقه وتجهده . ليس له من نجوة من هذه الازمة المستحكمة . ففي كل صباح ، يستفيق على طلعتها البهية واحاديثها الممتعة ، وعبثاً يحاول ان يطرد عنه طيفها ويعتزم عزماً اكيداً على هجر القرية ، ولكنه لا يستطع ان يحقق هذه الامنية . فهو اذاً يؤثر العزلة . وكان يتغلغل في اقاصي القرية ، تحت السنديان يحلم ويحلم ، ولكي يتخلص من الكابوس المزعج ، يعقد نيته على مفاتحتها بالحب الذي يتأكله . وماذا يكون ، اذا ترك خطيبته سامية ، فليس بأول من يصنع ذلك ؟

ولكن الجلد يخونه ، فيتاسك ليفضي اليها بعاطفته ويتردد ، ويتردد ، وكلما اجتمع معها في خلوة وعول على التحدث عما يكنه من لاعج الهوى ونازعة الحب تراجع وتراجع قسراً عنه . ولعل لهذه البراءة التي تنصع في محياها اثراً قوياً في دفعه . وهجست في رأسه هاجسة آلمته : من يدري اذا كان قلبها الطاهر قد انحاز الى آخر ، ينغم له ألحان العشق ، ماذا يكون موقفه ، اذا دفعته وصدقت عنه ؟ أيقتل الحب الوليد بين جوانحه ، ويسمم حياته ، فتتحول الى قفر جديب ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واشتدت نقمته على سامية ، التي اخذت نفرته منها تربو وتطمو، ولو لم ينتصب امامه هذا الشبح المخيف لكان الامر سهلا ميسوراً ، ولكن الخلاص من سامية صعب ، لا تحمد مغبته .

وكان المساء الساجي يرف على القرية حين خرج لا يعي ، وانحدر الى الوادي ، ويا لدهشته اذ رأى وديعة جالسة تحت السنديانة تتأمل الطبيعة الذاهلة .

— وديعة .. أسعدت مساء .

قالها وارتج عليه .

استقبلته بامعة ، ومضت دقائق ساد الصمت خلالها ، ولكن عينيه كانتا فصيحتين عما يكنه من دفين الآلام .

واخيراً خطفت في رأسه فكرة تراخى لها : سيخطبها من اهلها .

وقال: وديعة ، اريد ان اسألك سؤالا بسيطاً .. اين يسكن اهلك ؟ وماذا يعمل والدك ؟ وأين مقره ؟ سأحدثه بمسألة خاصة .

وسكت . وتأملها ، وهو يكاد يصعق .. لقد جالت صفرة رهيبة في وجهها ، وذوت نضرته ، وترقرقت دمعة خرساء في مآقيها . وكأن كلامه كان سهما مسدداً الى فؤادها . فحار لهذا التغير المفاجيء ، وتجاهله وتابع : تحدثي يا آنسة وديعة ..

وتجهش بالبكاء ، ويحس ان كلامه يزعجها . أيكون والدها قضى نحبه ، وذكراه انكأت جروحها الغافية ؟ انه لجرم بسؤاله الطفيلي .. ويحاول ان يعتذر : عفواً اذا ازعجتك . أمات ابوك ؟ فيتعالى نشيجها ..

ويثب بحركة سريعة ، وهو في اتون مستعر ، ويستدير على عقبيه ، بعد ان ارتسمت على ثغره ابتسامة مرة هي افجع من الدموع التي تذريها وديعة المرتاعة . ويلتقي بخطيبته سامية ولا يراها .. وتستوقفه ، فيشعر انه بحاجة ان يخلو الى نفسه ، ويريد ان يتملص منها ويقول : دعيني يا سامية ، انا بحاجة للسكينة ، سكينة نفسي ، سكينة الوجود ..

وتفغر فاها دهشة : ما عراك يا مصباح ؟ ان سحنتك مقلوبة .

وما تزال به حتى يحدثها بجلية الخبر .

فتقطب ما بين حاجبيها وتسأله : لماذا ألقيت سؤالك هذا ؟

— اصارحك يا سامية اني احبها واريدها زوجة لي .. وسأخطبها من ابيها .

وتكلم مرغماً فلم يعرف كيف تكلم وكيف انساق منه هذا التصريح، فلم يكن موجوداً في هذا الافق الذي ستملأه سامية .

ومزق السكون المرفرف صوت سامية : اسمع يا مصباح .. كل من يسأل وديعة عن والدها يقطع نياط قلبها .. مسكينة ليس لها اب .

— اتعنين انه مات ؟! ان كل حي يسير على هذه الطريق . الموت خاتمة المطاف في هذه الحياة الدنيا .

— نحن لا نعلم شيئاً عن الحياة . اتريدنا ان نفقه سر الموت ؟

— لست بحاجة الى هذه الثرثرة .

— مصباح .. اني ارغب من اعماقي ان تتزوج هذه البائسة .. لا يهمك امري فان مركزي الاجتماعي وثروتي وشخصيتي ، تهيء لي عريساً ممتازاً . ولكنها مسكينة .. اصغ الي .. والله اني اخشى ان تنقلب على رأيك ، وتصدف عن رغبتك حين تسمع ما ألقي عليك من اليم الكلم . وديعة لم تعرف اباً معيناً .. وبعض الشقيات من الطالبات عندما يخلو لهن تعذيبها يعرضن بابيها ويغمزن من قناة امها . فاذا فعلن هذا بكت وبكت وصلت تطلب الى الله ان يرحمها ويبر امها . هذه الفتاة الطيبة تشاء الاقدار الساخرة ان تكون ابنة راقصة . لقد نشأت امها فقيرة ، ورغم جمالها الساحر لم يتقدم احد الى الزواج منها ، وماتت امها التي ظلت تتعهدها وتنفق عليها من عملها في البيوت ، تطبخ وتغسل لتقدم القوت لابنتها حتى ماتت ، فاندفعت ابنتها في غمار الحياة وكان مصيرها المسرح ترقص عليه في الليل لتعرض جسدها العاري للانظار النهمة .. وانساقت في الرذيلة تتخبط بها ، حتى حبلت المسكينة وكانت الثمرة وديعة الرقيقة التي تمتاز بفضائل قل ان توجد في انسانة .. تربت وديعة بعيدة عن الجو الذي تترعرع في حمأته امها . ففي طفولتها عهدت بها الى اسرة فاضلة ترضعها وتربيها وتدفع لها الاجر الباهظ . ولم تكن لتزورها الا لماماً حتى درجت الطفلة فكان مأواها المدرسة الداخلية تتلقى العلم والفضيلة . ونشأت حساسة ناعمة ذات اخلاق ممتازة ، فاذا جاء الصيف تبقى في المدرسة الداخلية تحت رعاية الاساتذة .. تقضي وقتها بالقراءة والصلاة .. مسكينة وديعة ! انها وجدت في مهد الوحل ، ولكن اللؤلؤة التي توجد في الوحل ، اينعها ذلك من ان ان تكون لؤلؤة نقية ؟

ولجأت سامية الى الصمت لترى اثر كلامها في مصباح الذي كان يصغي بكليته وتعلوه سحابة كثيفة من الهم ويقول اخيراً : لقد زدت رغبة في انقاذها .. احبها وكفى ..

— ان كلامك رائع يا مصباح .. وخشيت ان تميل عن رأيك بعد معرفتك للنسب الاسود الذي يهيض جناح وديعة .

— هذا النسب اوهى من نسيج العنكبوت . سأتزوجها لنفسيتها . سأبني بوديعه وليس بنسبها . ان الزهرة اذا نبتت في القفر السبسب اجمل منها في الحديقة .

— هيا بنا لنذهب اليها ..

وطفر نحو السنديانة وكانت وديعة تحملق في الافق ذاهلة عما يحوطها من خوالب الطبيعة . وقالت سامية : وديعة سأحدثك بامر هام ، لقد اخبرت مصباح بكل شيء . حدثته عن امك الراقصة وعن ولادتك السوداء . لكنه لم يأبه لها وهو معجب بروحك العذبة وهدوئك الصافي وجمالك الموحي .. وهو يريد ان يتخذك حليلة .

وكانت مفاجأة .. فحدقت وديعة مذعورة وعقدت الدهشة لسانها ، فحبسته فلم يطلق اية كلمة .

واستطردت سامية : ان مصباح يليق بك فلا تفجعيه بصدودك .

وقال مصباح : وديعة اهواك وسأسعدك . اشكري سامية على تضحيتها البالغة .

واستطاعت وديعة ان تجاوب بعد لأي : ارفض هذا الزواج .

وجال الرعب في مصباح فصرخ : حرام ان تمرقي حبي الطاغي .. سأنتحر اذا اصررت على الرفض ..

— لا اريد ان انسج سعادتي على كفن الاخرين . ان سامية خطيبتك وهي من مقامك الاجتماعي .. اما انا فلست الا بائسة ..

— اسمعي يا وديعة .. ان خطوبتي لمصباح لم تكن الا تقليداً يحنطنا . كنت اشعر اني بعيدة عنه كما كان يشعر وكنا نعلم ان زواجنا لن يتم في اللحظة الاخيرة . لقد نشأنا معاً منذ الطفولة ونحن نحب بعضنا كأخوين . وقد تحدثنا كثيراً بهذه العاطفة الاخوية التي تمنع زواجنا .

— ان ما تقوله سامية صحيح يا وديعة .

— اصر على رفض الزواج .

— لا تفجعي مصباح يا وديعة .. ستقبلين به .

— سأنتحر اذا لم توافقي يا وديعة .. وسأتزوج منك رغماً عنك .

وسكتت .. وكان سكوتها دليلا على اقرارها بالموافقة رصفقت سامية طويلا لما راح مصباح يشتف قبلة من ثغر وديعة خطيبته الجديدة .

الاديب — محمد الحاج حسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



من الادارة

١ — ابتداء من الجزء الرابع رفع ثمن الجزء الى ٥٠ غ . ل . عوضاً عن ٤٠

٢ — يبقى بدل الاشتراك على حاله . ولا يقبل الا عن سنة كاملة بدؤها شهر كانون الثاني غير ان الادارة لا تتعهد بارسال الجزء الاول عن السنة الحالية لنفاد نسخه .

٣ — الاشتراك في الخارج على نوعين :

(١) جنيه مصري للخارج عموماً . ويعطي هذا الاشتراك صاحبه الحق في الحصول مجاناً على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة (٢) ٧٥ قرشاً في فلسطين والولايات المتحدة — و٦٠ قرشاً لباقي الجهات — وهذا الاشتراك لا يعطي صاحبه الحق في منشورات الاديب

٤ — يدفع بدل الاشتراك مقدماً ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل .

٥ — كل المقالات والابحاث التي ترسل الى « الاديب » لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر

٦ — تكون جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة « الاديب » صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان

عربدات الشراع

٥

طفرت والجو وهج واغاريد وعطر
موجة سحرية في لجة الضوء تكر
والمنى مخمور آهات حواليها تذرّ
زورق طافت به الاحلام هنهاف اغرّ
يمخر الطيب ، وفي منهمر النور يمرّ

ارفقي في تيه احداقي ، فالاهواء حمر
كوكباً تعشقه الآفاق لا يطويه فجر
يتعرى ، فالدنى موج وصهباء وسكر
وتهاويل نعيم وغرابات وسحر
في دمي ، بل في دم الكون ، حنين مستمر

ضجت الاشواق فالدنيا خفوق مستمر
هي اصداء شباب ثائر ليس يقرّ
دغدغيها بشروق افقه الفتان ثغر
برعم الاغواء ام ترقصه افياء زهر
وهجة في مقلتي زهو ، وفي جنبي جمر

انا يا قلب شراع حائر لا يستقر
اترى تجذبه الضفة ، ام يطويه بحر ؟؟؟

دمشق - احمد شكري سالم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اهداف الناحية الخلقية في التربية اللبنانية

بقلم منير المصولي

استاذ التربية وعلم النفس في دار المعلمين الرسمية ببيروت

●

اذا علمنا ان التربية العقلية ، ان هي الا واسطة تستهدف تمييز عناصر التربية الخلقية التي يجب ان نتخذها اساساً لمذهب سلوكي نتبعه في هذه الحياة ، تحققنا ما لهذه التربية الخلقية من مكانة سامية في منهاج رقي الامم . فهي مقياس الحضارة التي تزدهر بازدهارها ، وتنحط بانحطاطها . ذلك ما يدفعنا لدراسة اهدافنا الخلقية في هذا الوطن الحبيب ، عسانا نستعيد ما كنا عليه من مجد وحضارة .

ولكن قبل ان نعين هذه الاهداف يجدر بنا ان نحدد امكانية هذه التربية في النفوس .

فاذا ما استعرضت الفلاسفة ، مررت بالمتشائم الذي لا يرى في التهذيب عملا مجدياً لتغيير ما طبعت عليه النفس ، وقد يقطع عليك كل رجاء في ما تقوم المعاهد التربوية كشوبنهور واتباعه ، والمتفائل الذي يتطلع الى الافق الفسيح ، فيعقد كل آماله على تأثير هذه التربية الخلقية في الشعوب ، كديكارت ، ولوك ، وستوارت ميل ، وزعيم علم الاجتماع الحديث دوركيم واتباعه الذين يعتمدون على فعالية ما يمليه الرأي العام على الافراد ، فهم يعتقدون ان الفرد يستقي حتما وعيه من ذلك الوعي الاجتماعي او بالاحرى ان الوعي الاجتماعي يفرض نفسه فرضا على الوعي الفردي ، والمعتدل الذي يقف ما بين المتشائم والمتفائل في نظريته كأمثال ريبو وموسو ومولي .

يقول هذا الاخير في مقدمة كتابه « الجرم والجنون » ما يأتي :

« مهما عظم سلطان التربية فهو على كل حال قوة محدودة . وحدودها كامنة في طابع الفرد الغريزي . فلا يستطيع العمل الا ضمن دائرة تحدها الحاجة الاضطرارية . ولا سبيل الى جعل الورد يحمل تفاحاً ، ولا الصبير تيناً ولا يستطيع مخلوق ان يتجاوز حدود طبعه . ويستحيل غرس عقل او طبع له امل في البقاء طويل في تربة طبيعتها رديئة . . فتهي . الوراثة الفردية في كل نطفة قسمة الفرد الخاصة به . . . ضعوا طفلين منذ ولادتهما في ظروف واحدة وهذبوهما على مناهج واحدة فلا يخرجان بعد ذلك بعقل متشابه كما يخرجان بسحنة متشابهة ، اذ كل منهما يخضع لسنة النشوء فيكيف سلطان الوراثة كل منهما ، وهما من نتاجه المتباين » . ويقول موسو . « ان خرافة اللعنة الهائلة التي تنزل على رأس البريء قبل ولادته ، والبركة التي تظلل النشء المقبل وهو لا يزال في صلب المستقبل ليستا عاريتين من كل معنى صحيح : فالقدر يخصص كلا منا بنصيب محتوم من الاشياء الموروثة » — عن امكان التهذيب لابي زهير الاندلسي —

واخيراً فاما كنا نرى في نظرية النسبيين مطابقة علمية توفق ما بين عوامل الوراثة ، والبيئة والتهذيب ، وجب علينا ان نراعي جميع هذه المؤثرات في اتخاذنا اهدافاً خلقية تلائم مزاجنا وبيئتنا .

يتمتع لبنان بميزات طبيعية ندر ان تمتع بها بلد من بلاد الحوض المتوسط . فهو يزهو بحلته القشيبة وبمناخه اللطيف ، ويفخر بتاريخ مدنيته التليدة : فتراثه حافل بالامجاد من الوجهة الفكرية والخلقية . ذلك مما يزود ساكنيه بحافز عظيم للعمل المثمر ، فهم يقومون على الاسفار البعيدة فيغالون في مغامراتهم سياسية كانت ام اجتماعية الى ان يصلوا الى تسلم حركات عديدة ولو كانت اجنبية . فأينما حلوا برزوا وذاع صيتهم . فاتصفوا بصفات شعب نام يقدم على المشاريع الصعبة ويفوز بها على اقرانه . حتى تنبه بعض الشعوب من حل اللبناني عليهم مساكناً فأخذوا يناهضونه خشية مزاحمتهم تلك المزاحمة التي تدل على فطنة خلقية .

كل هذا التراث ، جعل من لبنان بلداً يفاخر بميزاتـه وبمواهب ساكنيه .

ولكن هذه الميزات وتلك المواهب ، ان لم يستفد منهـا في سبيل توجيه الشعب ، فقد تكون اداة غرور تؤدي بالمجتمع الى انحطاط خلقي ، وهذا الانحطاط الخلقي قد يبدو ظاهراً في اللامبالاة تجاه القيم الاجتماعية التي يعتمدها الاخرون .

فهذه المميزات وتلك المواهب من جهة اخرى قد تكون اداة صالحة — للمركز الذي يحتله لبنان من الوجهة الجغرافية — لنقل ما يناسبنا من الحضاره الغربية ، وبوسعه ان يمثل الدور الرئيسي في ترصيع المدنية الشرقية ، اذا قام بعمل العقل الواعي في انتقـاء ما يصلح للشرق .

وهنالك امر آخر قد يحسبه البعض حاجزاً يعترض سبيلنـا ، وقد يعتمد عليه البعض الاخر في تحضير المجتمع الى تلك الحيـاة السامية من الناحية الخلقية الا وهو تعداد الاديان .

فنحن نتساءل متى كانت الاديان حجر عثرة في رفع المستوى الخلقي في الامم !

ان الاديان السماوية التي تعمل على الترفع عن المادية ، تعتمد على تلك المثالية الالهية ، فتغرس العقيدة وتقوي الايمان وتدفـع لعمل الخير واجتناب الشر .

وفي هذا كله فأنك لا ترى النصرانية والاسلامية واليهودية تتضارب في قيمتها الخلقيـة الاجتماعية ، كالتسامح والتساهل والعطف وكل ما ينادى ويطابق ما تفرضه تلك الاديان السماوية .

ولكنك اذا زحزحت هذه الاديان عن المحور الذي تدور حوله فقد تؤدي الى التعصب الاعمى ، تعصب ينتج عنه التفرقة والتناحر فالطغيان الى آخر ما هنالك من الصفات المنافية للاخلاق الطيبة .

على كل يمكننا ان نفصل الاخلاق عن الدين ، ونجعل منها مذهباً عاماً يشمل جميع افراد المجتمع في سلوكهم دون ان نعارض ما اتت به الاديان من واجبات فتتوحد النظرات الاجتماعية وتنعم بتناسق يرتاح اليه الضمير .

فالمعاهد التربوية عندنا ، التي يترتب عليها واجبات عديدة نحو هذا المجتمع تنقسم الى عدة مدارس .

واما البيئة عندنا فهي سيئة الاثر في التربية لان الاسرة شديدة الضعف في الاشراف على ابنائها ، تحبهم وتعطف عليهم ويمنعهـا ذلك الحب وهذا العطف من ان تسيطر عليهم كما ينبغي .

فلبنان بعد ان يتوصل الى نتيجة الناحية العقلية في التربية يضع لنا معالم الحس الاجتماعي الخلقي حتى تتكاتف المعاهد من جهة والمجتمع من جهة اخرى على جعل هذا الحس عقيدة راسخة في النفوس يعمل على المحافظة عليها كل لبناني .

فهدفنا يكون في تنمية الميل الى النظـام والتضامن وقوة الحكم وما يشابهها وتربية الارادة ومضاء العزم ففي هذا كلـه يجب ان نعتمد على الاعمال لا على الاقوال . يقال : انه دخل شيخ داراً من دور التمثيل في آثينا ، ومر بين الاثينيين ، فسخروا منه ، ولم يفسح له احد ، فاستمر في سيره حتى اذا وصل الى جمـاعة الاسبارطيين قاموا اجلالا له ، وأجلسوه بينهم فقال : حقـاً ان الاغريق جميعاً يعرفون الفضيلة ، ولكن لا يعمل بها الا الاسبارطيون .

معرفة الامر شيء والعمل به شيء آخر ، فلا يكفي مطلقاً ان نعلم الطفل كلمة الاحترام ، بل يجدر بنا ان نعلمه كيف يكون ذلك بصورة عملية وان نلاحقه ايضاً ، ملاحقة جدية ، في تطبيق ما يتعلم ، حتى يصبح لديه ملكة يعمل بها .

يجب ان نوجه كل قوانا الى تنمية العواطف السامية في الطفل فندفعه الى محبة لبنان والتمسك بصفات اسلافه الطيبة كتفانيهم في سبيل الصدق والامانة والكرم والاخلاص والمحافظة على الاحترام والتواضع والخدمة الانسانية والمدافعة عن حوزة الشرف بجرأة واقدام .

قل لي : اي خير يرجى ممن امتلأ قلبه — ولو كان اعظم عالم — الحاداً ونفاقاً وكبراً وغروراً ، واستحال دم الحياء في وجهه الى صديد القحة ، فسرى قيح الرذالة الى جميع شرايينه ، فانقلب مظهراً لانواع الرذائل ومصدراً لضروب المعايب ؟

منير النصولي

◆

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الظمآنة

هي تطلب الماء ، ابداً ، لترتوي
ولكن هيهات ان ترتوي . .
لقد شربت من يدي، كما شربت من فمي
فقدمت لها عصارة نفسي
وسكبتها كالفجر في فمها
فما كادت تشرب
حتى تمتمت شفتاها
كأنما تطلب الارتواء
والقطرة الاخيرة ما زالت تكر على لسانها
ولقد شربت كثيراً من غيري
فما ارتوت من احد
وسوف تشرب الى ان تتلاشى
وهي ابداً ظمآنة لا ترتوي !
وكما انشبت اظافرها في صدري
تطلب الماء
ثم اخرجتها تحمل مقاطع من كبدي
فكذلك سوف تنشبها في صدر غيري
الى ان تهبط قواها
وترتمي على ركبتيها من الضعف والوهن
محاولة الغدائر ، كسيرة النفس
في طلب الارتواء
ويمرّ بها الناس فيأخذهم الاشفاق عليها
ويتهامسون
امرأة تائبة تصلي الى الله
ويمرّ بها الذين عرفوها فيقولون :
هي اشباح الضحايا تتراقص امامها في الليل
فترعبها
فهل تنفعها الصلاة ؟
اما هي ، فيجفّ لسانها
ولا يفيدها التوسل شيئاً
فتعض على شفتيها من الحنق
ويسيل دمها اصفر
فتشرب منه
ولكنها لن ترتوي
وتموت مسمومة بذلك الدم الملوث
وهي تصرخ : الماء ، الماء . . .
فتردد الاودية والكهوف صدى صراخها
حتى يصل الصدى الى الهاوية السحيقة
فتعضه وتخمده في اعماقها المظلمة . . .
وعندما يقترب الفجر من الظهور
تمتد ايدي الاشباح الى ذلك الجسد الاسود
وبينما يرسل الفجر من ثغره قبل الوداع
على بقايا العتمة الحائرة
يفتح نسيم الشروق البليل
الابواب والنوافذ
وهو يسبّح بانشودة الحياة
حاملا من عليا الروابي وقمم الجبال
عبيرة الورد النقية
وحفنة من التراب المقدس
لتطهير ذلك الجسد .

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احمد راسم

في الحديقة القديمة

بقلم الياس ابو شبكة

لسبعة أشهر خلت اذ كانت مجلة «الاديب» في مهدها جاءني منشئها بقطعة من الشعر الفرنسي منشورة في مجلة « France-Orient » وقال لي : « الك ان تنقل هذه القصيدة الى اللسان العربي لننشرها في الاديب . » فحملقت في القصيدة وقلت على الفور : «لا ! . .» فقال مستغربا : « ولم ؟ » فقلت : « لاني لم افهمها . كيف تريد ان انقل الى العربية فرنسية لا أفهمها ؟ فانا يا صاحبي من تلك البقية المتأخرة التي لم توهب نعمة الذوق الحديث ولم يفتح لها في النورانية التي فتحت «للمتقدمين» من شعراء اليوم فادرك ما لا يُدرك وارى ما لا يُرى . فاعفني ، يرحمك الله ، من هذا الشعر وبوركت لهم فيه» فقال ضاحكاً : « ما هذا التمرمر ؟ وما الذي أحوجك اليه ؟ » فقلت : « ما الذي احوجني اليه ؟ قبل مجيئك بهنيهة قرأت في هذه المجلة التي ما زالت مصروعة على الارض قصيدة يقول ناظمها العبقري انها من فن السوريالزم . ولما لم أفهم منها شيئاً خبطت بها الارض ولا تزال اعصابي متشنجة الى الان . اسمع : « منافذ القدر المحترقة تطل على سقوط الثمار الرنانة . وفترات الحلم مغمورة في شبه ظل يجري عليه اشعة من الزمرد . وجميع المرايات القمرية تعيش من الصورة المتعددة للفضاء النشوان . . من صدى الخطوط المائلة الى الزرقة . . من امتداد النظرات التي لم تشبع بعد . دم العدم الثائر للاشكال المعجونة بالكوابيس يحفز الافاق للتمرد . حمى النغمات المفاجئة تنبح في المقلات المحتضرة . . » فهل فهمت شيئاً ؟ ووالله اذا فهمت ما يريد هذا الشاعر او اذا علمت من اي فوسفور مركب هذا الكلام أتعهد بان ارفع لك تمثالا على باب المدينة وان اعيش برجل واحدة ويد واحدة كشق . . .» فقال «طيب . . . ولكني لم أرك قد قرأت شيئاً من قصيدة احمد راسم ليحق لك ان تتهمه بهذيان «المتقدمين» من الشعراء الذين يرون ما لا يرى ويدركون ما لا يدرك . . » فقلت « قرأت هذا :

Et tu connaitras le visage mystérieux des profonds volumes qui conduisent à retrouver avec l'architecture du monde , l'architecture de l'esprit ...

فاكتفيت . » فقال : « لسوء الحظ اني جئتك باحمد راسم وانت بعد متأثر بالاشكال المعجونة بالكوابيس . . فهل لك ان تقرأ قصيدة راسم وانت في بحبوحة من صفاء البال ؟ »

وفي المساء تناولت قصيدة Le Fou de l'Attaka واذا هي مقدمة بفذلكة عن حياة الشاعر جاء فيها ان الاستاذ احمد راسم يشغل في الوقت الحاضر منصب محافظ السويس . وفيما عيناي تطفوان على شذرات من القصيدة كنت احدث نفسي بما يلي : اي نسب بل اية قربى يمكن ان تقوم بين محافظ مدينة وشاعر ؟ واية صلة ممكنة بين روح تصرف شؤون شعب له مشاغله اليومية وله نزعاته واغراضه وروح تسير دفة الخيال الى ما وراء المادة وتغوص في غمر من الطيوب والالوان والموسيقى ؟

وسرعان ما زال عجبي عندما تذكرت ان لامرتين الذي انشد قصائد هي روائع في التراخي المغري وآيات في الوجد هو نفسه الذي حكم فرنسا وانقذها من الفوضى ، فالعبقرية التي نظمت في الماضي قصيدة كالبحيرة وحكمت بلداً كباريس لا تعيى اليوم عن ان تنظم قصيدة كمجنون العتقة وتحكم بلداً كالسويس . ولو أنصف الناس لولوا عليهم الشعراء ، فالشعراء هم مستودع الحب ، والويل لشعب لا يرى الحب في حكامه . والشعراء هم قلوب الناس فاذا ضلت العقول فالقلوب لا تضل . ايها الناس ، لقد حكمتم فيكم جميع اصناف الناس فلم تفلحوا وما نسيتم الا الشعراء ، فحكموهم فيكم لعلكم تفلحون . .

واني لعلى اكبر من اليقين ان سكان مدينة السويس سعيدون بحاكمهم الشاعر ، مغتبطون به فخورون ، ومطمئنون الى ان في العقل الذي يتدبر شؤونهم قلباً معجوناً بالرحمة لا بالكوابيس .. معطراً ببلسم المحبة المدركة والحنان المحيي .

اصدر الاستاذ احمد راسم لاشهر خلت مجموعة من شعره بعنوان « في الحديقة القديمة » (١) . ولا اخال احداً ينتظر مني ان احدثه عن مجموع ما في هذه الحديقة المقفلة . قد رُوي ان احد المصورين رأى يوماً مصوراً ناشئاً يرسم صورة ريفية وبعد قليل تحول اليه المصور الناشيء وقال له : « لن افلح ، فكلما مضيت في العمل بعدت عن الطبيعة . » فقال له المصور : « أتسمح لي بأن اجلس مكانك لارى ما عملت ؟ » وما ان جلس حتى اتضح له ان الغاوي المسكين يحاول تصوير جميع ما تقع عليه عيناه فقال له : لقد عرفت ما بك فانت تحاول وضع البرميل في الزجاجة ، فلن تفلح . »

وانا لن احاول وصف جميع ما وقعت عليه عيناي ووعته اذني من صور هذا الشعر واصواته ، من اصواته المكبرة وصوره المحولة عن حقيقتها على طريقة الفوفيزم . وقد قيل ان كل رؤيا تتراءى من العالم المنظور محولة عن حقيقتها لان لنا افكارنا ومزاعمنا ولنا على الخصوص جسدنا وهو أشبه ما يكون بصورة متبلورة عن ماضينا السحيق ، ويرينا العالم خلال هذا الماضي المتراكم . والشاعر العظيم كالمصور العظيم يحول ما يرى عن حقيقته ، على انه يلزم الاستقامة في فنه لانه لا يصور الا كما يرى ويحس . اما الرداءة في الفن فتبدأ حين يعمد الشاعر عن سابق قصد وتصميم الى تحويل الشيء عن حقيقته لظنه ان هذا التحويل يدهش ويبهر ويعجب .. ويقيني ان احمد راسم ما تعمد تحويل الصورة عن حقيقتها عن سابق قصد وتصميم حين قال : « كانت ذراعاها المحبرتان باسورة من الزجاج تغنيان كثريا من البلور تلاطفها الريح ... وقد احتفظ جسدها بجلال تلك الاشرعة التي يركبها القراصنة .. »

قرأت شعر احمد راسم في جو حري به ، فقد اردت في بادىء الامر ان اهيىء نفسي له فجلست على شرفة بيتي المطلة على الخليج والاكمات السبع المتسلسلة حوله اطاراً لم تبدع يد الطبيعة اجمل وأروع منه ، رمادياً فاتحاً مخضباً بمسحة بنفسجية خفيفة ، ومالبثت نفسي ان سالت على هذه الجواذب الفاتنة وامتزجت بها ، فشملني خدر عميق شعرت معه بأن جسراً يمتد بين الارض والسماء ، بين الانسان والله ، وسرعان ما خيل الي ان الاحقاد البشرية تذوب وتمحي وان الحياة تتدفق ينابيع من الحب ، ورأيت الحب في كل مكان ، رأيته كريماً كالله يعطي ولا يحتكر ، يحرر ولا يستعبد . رأيته في التربة التي تعطي الغراس وفي الغراس التي تعطي الثمر ، في الينبوع الذي يعطي الماء وفي الماء الذي يعطي الحياة ، فقلت في نفسي : ما دام الانسان ينشأ في هذا الجو الكريم ينشق من الطبيعة نسيمها مع الحب ويشرب مع الحب زلالها ، ومع الحب يأكل ثمارها ، فمن أين ولدت فيه عاطفة العجرفة والحقد ؟

وأرسلت عيني وروحي في شعر راسم ، وكلما انعمت فيه الفكر والروح وضح وصفا ، واذا بي في حديقة ما تنكرت علي في مغالقها اسرار الشرق . رأيت في هذه الحديقة ما رأيت على الخليج والاكمات والبقاع وما يليها من مفاتن الطبيعة المطمئنة حول بيتي كأني امام قصيدتين تكمل احداهما الاخرى . وهل خلقت الطبيعة الا لتلهم الشاعر ، والشاعر الا ليجمل الطبيعة ؟ ورأيت .. رأيت في هذه الحديقة مجانين الشرق او حكماءه الشعراء يتفيأون ظلال الاساطير ويرسلون الحكمة مطيبة شجية ، في غيبوبة من نثار الورد والفل ، وفي غمرة مسكرة من الايقاع . رأيت فتنة الشرق في عذارى نوبيا ودلاله الكريم ، في بحيراته وخلجانه ، وسمعت ... سمعت الرياح تولول على الهضاب كرعشة المشتهيات ابان صخبها . ورأيت ... رأيت عرائس الشرق في لذائذهن المخدرة تنضح من اجسادهن اعراف ومن مراشفهن خمور .. خمور الحب واعرافه واعراف الخفر وخموره ... رأيت الشرق وسمعته في طموحه وزهوه ، وحلمه ويقظته . في كآبته ومرحه وكبريائه ودعته . في انواره وظلاله ومفاتحه ومغالقه . في خشونته ورقته ، وفي شخوصه واشباحه . ورأيت الشرق في روحانيته المعطرة وسمعت هذه الروحانية تقول : لا نجاة للعالم ما لم يعد طفلاً ويرجع القهقرى الى مراضع الشرق فيرطب شفتيه بحليب الحب المحيي ويكحل عينيه برشاش الجمال الابدي .

الياس ابو شبكة

(1) Dans le Vieux Jardin, Ahmad RASSIM, Editions R. Schindler - le Caire.

روح الثورة الفرنسية

في مساء يوم من اولى ايام كانون الاول عام ١٧٩٣ خرج دانتون وسوبربيل Souperbielle — المحكّم لدى المحكمة الثورية — وكميل ديمولان من قصر العدل . وكان النهار دامياً قطعت في صبيحته خمسة عشر عنقاً في ساحة الثورة ، وحكم

ان وصلوا الى جسر « نوف » حتى تحول دانتون الى سوبربيل وقال له : « اذا استمر الحال على هذا المنوال فلن يبقى ثمة طمأنينة لاحد . فالدم الذي يهرقه القادة في ساحات القتال لا يمنعهم من اهراق ما بقي منه على المقصلة . انظر ، يا سوبربيل ! كأن النهر



نشيد المرسلياز لوحة للفنان الفرنسي غوستاف دوريه

في اثنائه بالموت على سبعة وعشرين آخرين .

خرج الثلاثة من قصر العدل مطرقي الرؤوس يضغط قلوبهم ذلك المشهد الاليم الذي شهدوه . وكان الليل الذي يثير كوامن النفس ويهوّن عليها البوح والشكوى حالك السواد بارداً . وما

يجري دماً ! » فقال سوبربيل : « والسماء حمراء كأن وراء غيومها امطاراً من الدم ! بودي ان احجب هذا الدم . . . ولكن ماذا استطيع ولست سوى مواطن خامل . آه ! لو كنت دانتون ! » فقال دانتون : « دانتون ينام ، فاصمت ! وسيستيقظ في وقته .

انا رجل ثورة يا صاح ، ولست رجل مجزرة . » ثم تحول الى كميل ديمولان واستطرد قائلا : « اما انت يا كميل ، ففيم تلزم الصمت ؟» فأجابه ديمولان : « لقد تعبت من الصمت وتحدثني نفسي بان اشحذ قلمي كسابق عهده ، فمداده ابقى من دمهم ، فهو للخلود!» فصاح دانتون : « عشت يا كميل ! فباشر منذ غد . فمن واجبك ان تحجب دم الثورة كما اطلقتها . وكن على اكبر من اليقين ان هذه اليد ستدعمك . »

وافترق الاصدقاء الثلاثة على باب دانتون .

وفي صباح اليوم التالي كتب كميل ديمولان النسخة الاولى من جريدته « له فيو كوردليه Le Vieux Cordelier وبعد ان قرأها على دانتون حملها الى روبسبيير . وكان روبسبيير ما يزال متردداً امام تدابير « الارهاب » فلم يؤيد كميل ديمولان ولم يلمه بل لزم في كلامه جانب الحرية التي كان يريد الاحتفاظ بها في اعماله .

ولئن كان روبسبيير ما برح متردداً في مهاجمة « الارهاب » خشية ان يجرد جمعية السلام العام Le Comité du salut public من سلاحها فهو لم يتردد لحظة في مكافحة الذين كانوا يجهمون وجه الثورة ويحاولون احلال الالحاد محل العبادة الالهية . قال : « بأي حق يزعجون حرية العبادات باسم الحرية نفسها ويهاجمون التعصب بتعصب جديد ؟ ومن يسمح لهم بان يتلاعبوا بكرامة الشعب ويعلقوا جلاجل الجنون بصولجان الفلسفة ؟ لقد خيل اليهم ان الكونفانسيون — La Convention — نفت العبادة الكاثوليكية ، وهي لم تفعل ذلك ، فقد اعلنت حرية العبادات وستقمع كل حركة ترمي الى اقلاق الامن ، وليست الكونفانسيون سوى منظمة سياسية وشعبية معهود اليها ليس بحمل الناس على احترام الحقوق فحسب بل على احترام طابع الشعب الفرنسي ايضاً . فهي لم تعلن بدون جدوى حقوق الانسان تجاه الكائن بذاته ففكرة وجود كائن اعظم يسهر على البراءة المظلومة ويعاقب الجريمة انما هي فكرة شعبية . »



دانتون



روبسبيير

وهكذا كان روبسبيير يخلق للثورة ضميراً وقاضياً . وفي ذلك تلاقى ودانتون على صعيد واحد .

وفيما اعداء الثورة يعملون على قتلها كان ابطالها الميامين يبثون مبادئها مستمدة من تعاليم فولتير وروسو وديدرو ومونتسكيو . كان كميل ديمولان يرتفع احياناً الى فلسفة فيلون ليخلع على الثورة لون ديانة سياسية فيقول : « من خطل الرأي الاعتقاد بان الحرية كالطفولة بحاجة الى ان تمر بالصراخ والدموع لتصل الى الادراك والنضج .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالشعب حر اذا اراد ان يكون حراً . وليس للحرية شيخوخة ولا حداثة ، بل لها عمر واحد هو القوة والصلابة . لا ، ليست الحرية التي نعبدها الهاً مجهولا ، بل هي إلهة منظورة ملموسة توزع الخيرات على من هب ودب من مستحقيها . وهذه الخيرات هي اعلان الحقوق وهي عذوبة المبادىء الجمهورية ، والاخاء ، والمساواة المقدسة ، والعدل . »

وكان سان جوست يبث في خطبه مبادىء روبسبيير فيقول :

« ان النظام الاجتماعي كائن في طبيعة الاشياء نفسها ، والانسان يولد للسلام وللحقيقة ولا يفسده الا القوانين الرديئة . فاذا سنت له قوانين توائم طبيعة قلبه اعطي السعادة التي يستحقها والحقوق التي له . على ان طرق الحكم واساليبه لم تخلق الا وحوشاً فضلت الشعوب سبيلها . فمن واجبنا ان نهدي هذه الشعوب الى الصراط المستقيم . »

في ذلك الحين كان روبسبيير يواصل كل مساء غرس مبادىء الفلسفة الاجتماعية في نفوس اليعقوبيين Les Jacobins وفي الصباح يطلب ادخال هذه المبادىء في الدستور . وكثيراً ما كانت المناقشات العنيفة تحمل الخطباء على التهالك بعضهم على بعض ، ولكن حالما تهدأ الزوبعة يستحيل غضب رجال المنابر الى محبة كبرى للحقيقة الاجتماعية ، للشعب وللجنس البشري على اطلاقه . وكان روح الشعب يوحي مبادىء الكونفانسيون ويأخذ بيدها ، فألغي التسول بانشاء منظمات للعمل وملاجىء للعجز ، واجبر الاغنياء على المساهمة في



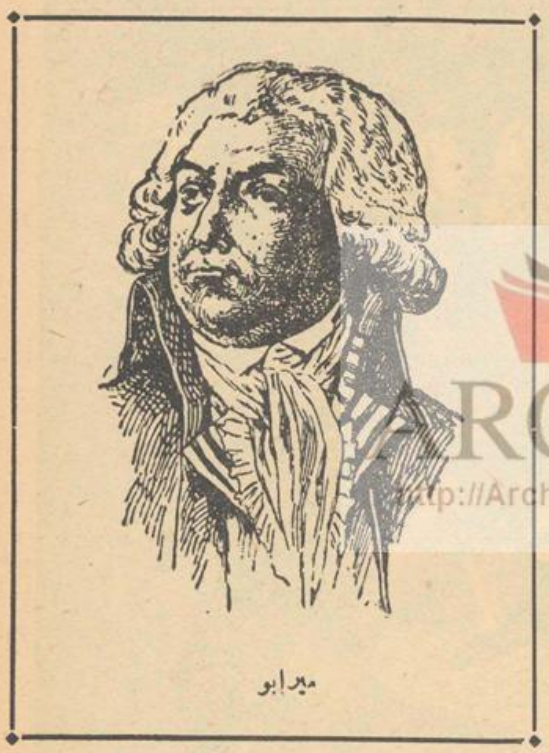
الشاعر روجيه ده ليل يعتف لاول مرة بنشيد المرسلياز

اسعاف المجتمع كل بمقدار طاقته ، وتبنت الجمهورية جميع الاطفال اللقطاء ، ووضعت لجاماً في فم الجشع التجاري ، وقررت التعليم الاجباري لتعميم شيوعية الفكر لان الجنس البشري هو بمثابة اب مفروض عليه ان يخلف لذراري الوطن ميراث جميع الافكار والمعتقدات والآراء ، ولان التربية هي كالهواء ينشقها جميع المواطنين على السواء . واوجبت ان يكون العمل جزءاً جوهرياً من التربية ، وحراثة الارض اولى عناصر هذا العمل . ذلك ان روبسبيير كان

كجميع الشارعين في العهد القديم يرى في اشغال الحقل اشرف حرف الانسان لانها تقوت العامل بطريقة مباشرة ولا تحرك عاطفة الجشع [illegible] كسواها من الاشغال الاخرى . وصفوة القول ان سنة روبسبيير هذه كانت مستوحاة من دساتير «فيناون Fénelon» في جمهوريته سالنطه ومن خطط جان جاك روسو في كتابه «اميل» Emile . وهكذا بدت الاثرة الفردية كأنها تنخسف امام مبدأ الاخلاص للوطن ، ففرضت الضرائب على اساس الثروة ، واسعف العجز والكسحاء ، وتبنت الجمهورية الاولاد الذين لا اباء لهم ، وانتشلت الامومة غير المشروعة من هاوية العار الذي يقتل الولد



سان جوست



ميرابو

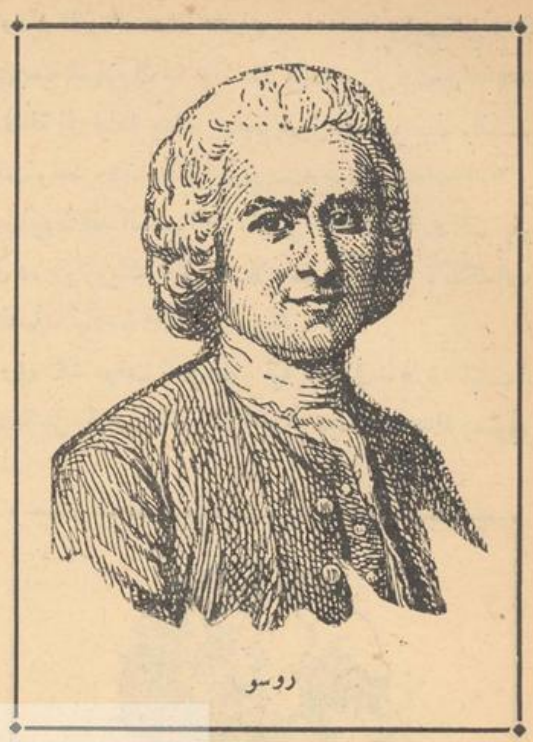
بهتكه حرمة الام ، واعلنت حرية الضمائر ، والغي الرق والمتاجرة بالعبيد ، واتخذت جملة تدابير شعبية تقيم الرأفة السياسية بمثابة معاهدة تحالف بين الغني والفقير ، وبدت محبة الشعب كأنها تنتشر في جميع نواحي الادارة ، وشعرت شعوب اوربا المستنيرة بان الثورة الفرنسية لم تنطلق لتختلس السلطة بل لتعطيها للشعب مقرونة بالاداب والمساواة والعدل والازدهار .

اما المعارف التي شعر الوطن بانه مدين بها للولد فكانت تنحصر في تعليم القراءة والكتابة والحساب ومبادىء الاداب الكونية وقوانين البلاد ، وفي تجميل الذاكرة بسير تاريخ الشعوب ، وفي انما

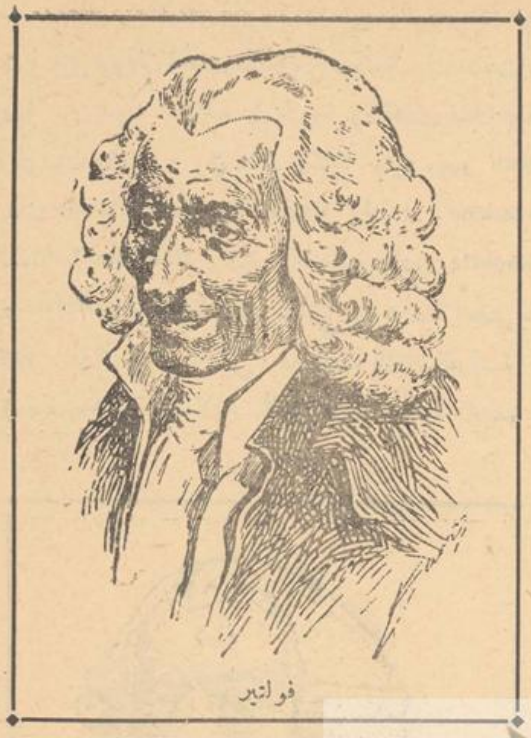
عاطفة الجمال في روح الولد بجمله على حفظ اجمل القطع الفلسفية والشعرية والادبية التي خلفتها الروح البشري ميراثاً للاجيال .

ولكي يؤمن روبسبيير نفقات هذه المؤسسات ودفع اجور المعلمين والمعلمات طلب فرض ضريبة سميت ضريبة الاولاد . وطلب ايضاً فرض ضريبة للاغراء يخصص ريعها للشيوخ العجز والمرضى . وبديهي ان روبسبيير كان يستهدف الاشتراكية في الخيرات والتساوي في المراتب ، مدفوعاً بروح الاشتراكية البدئية ، المثل الاعلى للمسيحيين الأول وقد اصبح المثل الاعلى للفلاسفة .

وشاءت الثورة ، فخورة بالعهد الجديد الذي افتتحته للعالم ، ان تكون الجمهورية الفرنسية عهداً في تاريخ الجنس البشري فاصدرت « اليومية الجمهورية » ليذكر الناس الى الابد انهم لم يرتفعوا الى مرتبة البشر الا منذ اليوم الذي اعلنوا فيه انهم احرار . ولكي تعزز الثورة الزراعة ، اول الفنون وآخرها ، سمت الاشهر باسماء الفصول فاعطت اشهر الخريف اسماء فاندمير الذي يتم فيه عصر العنب ، وبرومير الذي يجهم السماء ، وفريمير الذي يغطي الجبال بالصقيع . واعطت اشهر الشتاء اسماء نيفوز الذي يكسو الارض بحلة بيضاء من الثلج ، وبلوفيوز الذي يرويها بالامطار ، وفانتوز الذي يطلق الرياح . واعطت أشهر الربيع اسماء جرمينال الذي ينبت



روسو



فولتير

الزرع، وفلوريال الذي يزهر النبات، وبريريال الذي يعشب المروج. وأعطت اشهر الصيف اسماء مسيدور الذي يتم فيه الحصاد، وترميدور الذي يدفيء الاتلام، وفروكتيدور الذي ينضج الثمار.

وقد اعد رجال الكونفانسيون خطط هذه القوانين على اسس الفلسفة والعلم والمساواة. وما كان من نابوليون الا ان تبناها، وما كانت الا ادوات الحرية وروائعها!

***

وكما انجبت روح الثورة تلك الطائفة الجبارة من الشارعين



ديدرو



مونتسكيو

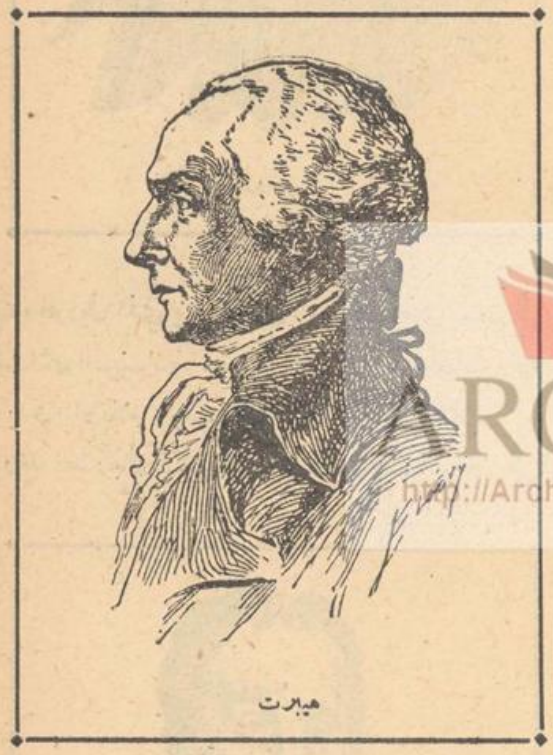
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والخطباء كميرابو ودانتون وفرنيو وروبسبيير وهبير ومارا وسان جوست وكميل ديمولان أنجبت طائفة من رجال السيف أدّبت اعداء الجمهورية من الدول المتحالفة على الثورة وتكللت اخيراً بعبقري زمانه نابوليون بونابرت . وفي عداد اولئك الجنود مورو Moreau وجوردان Jourdan ومارسو Marceau وفاندام Vandamme ومكدونالد Macdonald وكليبر Kléber وبرنادوت Bernadotte ودوزه Dezaix وهوش Hoche ونكتفي في هـذا الفصل بنبذة قصيرة عن الجنرال هوش ، انقى وجه انجبته الثورة الفرنسية .

في صيف ١٧٩٤ أسند لازار كارنو Lazare Carnot ، عضو جمعية



فرنيو



هيبرت

السلام العام الذي خلق جيوش الجمهورية الاربعة عشر ورسم جميع الخطط الحربية ، قيادة جيش الموزيل الى القـائد الشاب هوش . وكان هوش في السادسة والعشرين من عمره تضرم روحه نيران الثورة ، ولا يرى في المجد الا جمال الحرية . فقبل القيادة كما يقبل الواجب ، وما هي الا بضعة ايام حتى اضرم في روح جيشه ما في روحه من النار ، ووثب الى قمة الفوج Vosges بثلاثين الف رجل فحالفه القتال في بادىء الامر ثم خانه فتراجع ، وما لبث ان تلقى مدداً من الاردين Les Ardennes فكر من جديد على الجيش النمسوي فسحقه واستولى على مواقعه وحقق اتصاله بجيش الرين .

وهذه المأثرة المدهشة حملت بودو Baudot وليبـاس Lebas ، عضوي جمعية السلام العام ، على اسناد قيادة جيش بيشغرو Pichegru اليه مضافة الى قيادة جيشه فهاجم هوش البروسيانيين والنمسويين في وقت واحد ودخل ظافراً الى ويسمبرغ Weissembourg . اما البروسيانيون فقد انسحبوا الى مايانس Mayence وكان يقودهم الدوق ده برونزويك فالقى السلاح مغموراً بالعار لانكساره على يد قائد في السادسة والعشرين من عمره .

وفي ذلك الوقت الذي طهّر فيه قائد في سُحرة الشباب ارض الجمهورية من الاعـداء كان الجنرال ديماس Dumas يستولي على مشارف الالب ويهدد البيمونتيين ، حلفاء النمسا . وكانت جمعية السلام العام تفكر في غزو ايطاليا ، ولم يكن بونابرت يومئذ الا قائد فيلق ، على ان الخطط التي كان يبعث بها الى كارنو وباراس Barras كانت تنمّ على عبقريته .

وصفوة القول ان الجمهورية كانت تنتصر في كل مكان ، فراحت الفنون والعبقريات تشيد بهذه الانتصارات الاولى للحرية . وكما ان روجه ده ليل Rouget de Lisle انشد مخـاطر ١٧٩٣ هكذا ماري جوزيف شينيه فقد انشد انتصارات ١٧٩٤ في قطعة « نشيد الرحيل » Le chant du départ الذي يستنشق الظفر كما

يستنشق نشيد المرسلياز الغضب .

نشيد الرحيل

La victoire en chantant nous ouvre la barrière,
La liberté guide nos pas;
Et du nord au midi la trompette guerrière
A sonné l'heure des combats·
Tremblez, ennemis de la France,
Rois ivres de sang et d'orgueil,
Le peuple souverain s'avance;
Tyrans, descendez au cercueil;
La République nous appelle,



مارات



دومولان

Sachons vaincre, sachons périr;
Un Français doit vivre pour elle;
Pour elle un Français doit mourir!

ومثلت النساء دوراً خطيراً في الثورة الفرنسية . وقد قال ميرابو : « اذا لم تتدخل النساء في شؤوننا فلن يكتب لنا النصر » ولا شك في ان ميرابو لم يكن يجهل ان غضب النساء اذا احتدم يتجاوز في نيرانه جرأة الرجال ، ولم يكن يجهل ايضاً ان الحراب تلين على صدور النساء وان الايدي العزلاء اقدر على انتزاع اسلحة الجنود من الايدي المسلحة .

وفي عداد النساء الثائرات المرأة الشابة الحسناء البليغة روز لاكومب Rose Lacombe التي كانت ترأس « الجمعية الثورية النسائية » آخر « كلوب » ثوري سمحت به الكونفاسيون . كانت هذه المرأة في طليعة الباسلات اللواتي كنسن الظالمين الطغاة لا بالمكنسة بل بالخناجر والمناديل الحمراء . فنساء باريس كن على رأس الجماهير الثائرة التي اغتصبت قصر الملك فامتشقن الخنجر فوق سرير الملكة المسكينة وحملن رؤوس الحراس على رؤوس الحراب .

اجل ، على اكتاف النساء الفرنسيات امثال روز لاكومب بنيت الجمهورية وقامت الديمقراطية ، ومن صراخ هؤلاء السبايا تصاعدت تلك الانشودة الخالدة ، الانشودة الانسانية التي غيرت وجه العالم فساوت بين الرفيع والوضيع ، والغني والفقير ، وافسحت السبيل الى سلوك الطريق المؤدي الى فردوس الحرية العظيم .

لقد ساهمت النساء الثوريات في بناء هيكل الحرية والمساواة والاخاء ونفخن في بوق « حقوق الانسان » وهدمن الباستيل كما هدمه الرجال .

على ان مبادىء الثورة كانت بحاجة الى رجل ينشرها في مشارق الارض ومغاربها . فالانتصارات الكبرى ، والفن العسكري ،

والفتوحات الغراء ، ليست بالفضائل الوحيدة التي يترجمها التاريخ فيرقمها في مطاويه ، وليست الفضائل الوحيدة التي تقف عليها نواظر الشعوب في حياة عظماء الرجال الذين يدمرون الممالك او يشيدونها بقوة السيف . فالقيصر الكبير وان قهر الجرمانيين وغرس النسور الرومانية من قمة القوقاز الى جبال كليدونيا ، واجتاز غاليا الى ايطاليا وروما الى مقدونيا ، وصحاري الفرسل الى افريقيا ، واطلال قرطجنة الى شواطىء النيل ، وعبر البوسفور والرين وجبال طارق والالب والبيرينه الا انه سيرّ اسم روما ولغتها وعاداتها تحت حماية مجده الشخصي ، وحمل معه عصر اغسطس وهو يتنزى الى مطارح الحياة والنور ، وبنى اعظم وحدة سياسية عرفتها الارض .

ولكن الدهر لم يقيض لاحد من بين جميع الفاتحين ان يتناول من اسباب الحظ ما تناوله نابليون الكبير ، فان كان الاسكندر قد فتح في الحرب فتحاً امكنه من عصر بركليس فحمله الى مذاهب الجوزاء كما حمل القيصر عصر اغسطس ، وان كان هذان الفاتحان قد استمدا عبقرية هوميروس وسفوكاس وافلاطون وارسطو وفرجيل وهوراس فان نابوليون لقد حمل معه ثلاثة عصور فسح لها الله في الفن والعلم والفلسفة ، وما كان عصره اقل انطلاقاً في ميدان العبقرية الفكرية من عصر من تقدمه من الفاتحين ، فقد اجتاز اوربا مع مونتين وديكارت ، مع كورنيل وراسين ، مع فولتير وروسو ، وما كان اركان حربه الا جامعة متنقلة طوافة يرف عليها روح القرن الثامن عشر ، روح الثورة ، وتجوب جيوب الامم المتأخرة لتستل منها ذاتيتها الرثة وتنزلها على طبيعتها فتتأثر بتقاليد امة اعترف لها العالم بالفضل وبايعها السلطان عليه . لقد خلص بونابرت الى غايته في كل طور نحاه ، فانه وان لاطف ذكريات الاريستوقراطية في فرنسا وتملق لاوهام الحكم المطلق اذ طلاه بانظمة زائلة تهدمت تحت اثقال الزمن الا انه بقي ذلك الديمقراطي العظيم ممثل الثورة الكبرى وناشر تعاليمها .

ا . ا . ش .



هوش



الجماهير الثائرة تستولي على حصن الباستيل

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

اتسم شهر تموز المنصرم بجملة احداث اهمها تطور الموقف العسكري في مصر لصالح الحلفاء وفي جبهة فورونيج بروسيا لصالح الروس.

في الصحراء ففي اوائل شهر تموز بدأ الجيش الالماني ينسحب في قطاع العلمين واستولى جيش الجنرال اوكنلك على عدة مرتفعات ذات اهمية ستراتيجية . وفي السابع عشر منه شنت قوات روميل هجوماً كبيراً في القطاع الاوسط ، وبعد قتال عنيف انسحبت قليلا الى الغرب، وكانت قوات الحلفاء المؤلفة من الهنود والنيوزيلانديين قد استولت على قمة الرويسات جنوبي غربي العلمين . وهذه القمة تشرف على القطاعين الاوسط والشمالي من المنطقة . وهكذا انتهى اول هجوم كبير للدبابات الالمانية في العلمين .

وفي الاثنين والعشرين من تموز استؤنفت العمليات البرية في الصحراء بعد هدنة قصيرة . فقد شن الاستراليون والافريقيون الجنوبيون هجوماً أسفر عن استيلائهم على مشرفين لهما بعض الاهمية . وشن البريطانيون في الوقت نفسه هجوماً آخر في القطاع الاوسط غربي قمة الرويسات . وهاجموا هجوماً ثالثاً في القطاع الجنوبي بجوار القطارة قاموا خلاله ببعض التقدم . وهذا الهجوم المثلث أسفر عن احتلال القوات البريطانية لمنطقة تل العيصي بكاملها . وساهم الاسطول والطيران البريطانيان مساهمة كبرى في العمليات الجارية في الصحراء ، وقد قطع الطيران البريطاني الدليل على تفوقه على الطيران الالماني في هذه الجبهة . وصفوة القول ان الجنرال اوكنلك موطن العزم على الخروج ظافراً من معركة الصحراء ، وهو الان يحصن المواقع التي اكتسبها تأهباً للعمليات المقبلة .

في روسيا اما في الجبهات الروسية فبعد استيلاء الالمان على سيباستوبول التي دافع عنها الروس دفاعاً منقطع النظير وكبدوا القوات الالمانية خسائر لا يحصيها عقل واصلوا تقدمهم نحو الشوق دافعين لكل شبر من الارض ثمناً غالياً جداً . وبديهي ان هدف الالمان هو الاستيلاء على روستوف . ويظهر ان القيادة الالمانية ما تزال تملك مقادير كبيرة من القوات الاحتياطية بالرغم من الخسائر الفادحة التي منيت بها . وقد تمكن الالمان بفصل دباباتهم من الوصول الى ضواحي روستوف ، ولا شك في ان الروس سيمثلون في هذه المدينة الدور الذي مثلوه في سيباستوبول ، اي انهم سيدافعون عن كل شبر وكل بيت الى ان ينهكوا العدو .

وفي جبهة فورونيج يقوم الالمان بهجمات معاكسة من غير ان يتمكنوا من استرجاع المواقع التي اكتسبها الروس . وللروس في هذه الجبهة ما يمكنهم من القيام بمناورات قد تقلب وجه المعمعة بطناً لظهر .

وصفوة القول انه اذا كان الموقف في جبهة الجنوب على جانب من الخطورة فلا يزال للقيادة السوفيتية امكانيات كبيرة تدعو الى التفاؤل. ومما لا شك فيه ان الضغط الالماني في الجزء الجنوبي من الجبهة سيخف بفضل هذه المناورة . هذا الى ان التقدم الالماني الذي جرى بفضل التراجع الستراتيجي الذي قام به المرشال تيموشنكو اسفر عن ابعاد خطوط المواصلات والتموين الالمانية . وينتظر ان ينزل المرشال تيموشنكو الى ساحة القتال ثمانين فرقة مدعومة بمقادير هائلة من الدبابات والطائرات والمدافع .

هذا الى ان الاستعدادات لفتح الجبهة الثانية في اوربا تقوم على قدم وساق ، فالقوات الاميركانية المجهزة بكامل عدتها ترد بدون انقطاع الى ارلندا الشمالية وقد بوشر انشاء مئة وخمسين مطاراً جديداً في انكلترا . والمقول ان الجبهة الثانية سيوطأ لها بغارات كبرى يشترك فيها لا اقل من ثلاثة الاف او خمسة آلاف طائرة دفعة واحدة .

هذا من الوجهة العسكرية ، اما من الوجهة الديبلوماسية فأهم ما اتسم به شهر تموز المنصرد الاكثرية التي حصلت عليها حكومة مستر تشرشل في مجلس العموم خلال المناقشات التي دارت حول الموقف الحربي بمصر ، واعتراف حكومة واشنطن باللجنة الوطنية لفرنسا المحاربة .

الطور الاخير

◆

للفيلسوف الفرنسي ، اوغست كونت ، نظرية شهيرة كان لها اثر كبير في تطور الغرب المـادي والاجتماعي والفكري خلال المئة سنة الفائتة . وقد عرفت هذه النظرية « بنظرية الاطوار الثلاثة » .

وكان نصيب هذه النظرية في الغرب نصيب كافة النظريات الفعالة : لا تعيش في الداخل الا اذا ماتت في الخارج . فقد فقدت هذه النظرية اليوم من شدتها وبديعيتها ، وتضاءلت مقدرتها على جذب الانتباه واسترعاء الاهتمام ، بعد ان توغلت في ذهن الناس وتمشت في نفسيتهم واحدثت فيهم مع الزمن التفكير عينه الذي نشأت تلك النظرية عند صاحبها عنه ، واصبحت موقفاً فكرياً طبيعياً لهم .

غير انه ، ان كان هذا شأن هذه النظرية مع اهل الغرب ، فشأننا معهـا مختلف عنه كل الاختلاف . فهي مجهولة عندنا ، ولا يزال نظرنا الى الامور اولياً بالنسبة الى ما تعبر عنه وتدعو اليه . وهذا ما يجعل هذه النظرية جديرة بان تجذب انتباهنا وتسترعي اهتمامنا .

يقول كونت ان البشرية مرت في تطورها الفكري في ثلاثة اطوار .

في الطور الاول ، وهو الطور التيولوجي ، كان البشر يشرحون حوادث الكون ويعللونها بالآلهة . فكان كل حادث فاعله اله قائم ورائه . فالرعـد يقصف بفعل ارادة اله الرعد . والمطر يهطل بفعل ارادة اله المطر . والريح تهب لان اله الريح حركها .

ثم انتقلت البشرية من هذا الطور الى الطور الفلسفي ، حيث فقد البشر ايمانهم بالآلهة والارواح ، واخـذوا يعللون حوادث الكون بالقوى الكامنة . فالنار تحرق لان فيها قوة كامنة هي قوة الاحراق . والافيون ينوم لان فيـه قوة كامنة هي قوة التنويم .

غير ان هذا التعليل ، وان كان اقرب الى الحقيقة من التعليل السابق ، لم يكن اقل منه عمقاً . اذ انه لم يكن سوى نقل ما كان يحسب سبباً من خارج الاشياء الى داخلهـا وابدال الارواح الحية بقوى خفية تقوم مقامها .

وبقي العقل البشري يتخبط في جموده الفكري حتى بزغ الطور الثالث ، الطور الوضعي . فطرح العقـل البشري اذ ذاك التعليل اللاهوتي والتعليل الفلسفي جانباً ، واصبح لا يفهم حادثاً من حوادث الكون الا اذا ربطه بحادث آخر هو سبب مباشر لحدوثه .

وهكذا مر العقل البشري ، تتابعاً من التعليل الوهمي الى التعليل الكلامي ، الى ان بلـغ اخيراً التعليل الصحيح ، ذلك التعليل الذي كان باعثاً على التقدم الباهر الذي يميز القرون الاخيرة من تاريخ الغرب وهو تعليل الواقع بالواقع .

ترى في اى طور من هذه الحياة نحن ؟

ان نظرة نلقيها على كيفية معالجتنا للقضايا النفسانية والاخلاقية والاجتماعية والقومية والسياسية تكشف لنـا عن الحقيقة المؤلمة .

حقاً لقد حان الوقت ان نهبط من مرتفعات الاوهام ، ونتخلص من زخرفات الكلام ، ونشد حبالنا بالواقع ، الواقع العاري الصريح ، الواقع الذي لا يقوم شيء ثابت متين الا عليه .

تعريف الامة او التعريف بها

بقلم عمر فاخوري

●

منذ ستة اسابيع والاحاديث الى الشباب تترى من هـذه المحطة ، متصلة مساء كل خميس . ولقد كان الغرض الذي استهدفه المحدثون في مختلف بحوثهم ، ولم يزل ، تعويد الشباب التفكير السليم لاكتناه حقائق الاشياء ، اكثر منه الدعوة والنصيحة والموعظة ، اعتقـاد ان التوجيه الحق للشباب المثقف هو ثمة ، نحو المعرفة الصحيحة والفطنة الرشيدة . ولعمري متى تطرح المسائل كما ينبغي ، وتفهم المشاكل على علاتها وفي حقيقتها ، مع جميع ما يلابسها من حالات ويلازمها من مناسبات ، فقد سلكنا اقرب السبل وآمنها ، بل السبيل الوحيدة الى اجوبتها وحلولها . والا فنحن نتخبط في مكاننا ، دون ان نتقدم خطوة الى الامام . ذلك ان ما يطلب الينا ليس الجواب على مسائل صرف نظرية لاتبنى عليها اية نتيجة عملية ، ولا حـل مشاكل مجردة كالتي يتلهى الاولاد بمطارحتها فيما بينهم وهي تراد لذاتها . . لا ، ان مسائلنا ومشاكلنا حيوية ماسة لازمة ، لا مندوحة عن مواجهتها ، كما انه لا مندوحة عن مواجهة الحاجة الى الخبز مثلا . وكما انه يجب ان يوجد الخبز لكفاية الجوع الذي يحسه الانسان ، فكذلك يجب ان يجاب على تلك المسائل ، وان تحل تلك المشاكل ، او بالاقل ان تقترح لهـا الاجوبة والحلول الحسنة الملائمة . ولا تخدعنكم كلمة « الاقتراح » فتقولوا اننا نبقى هكذا في دائرة النظريات المجردة . فكل جواب حسن ملائم لاية مسألة فهمت كما هي ، في حقيقتها وعلى علاتها ، مع جميع ما يلابسهـا من حالات ويلازمها من مناسبات ، يحمل في نفسه اندفاعاً الى التحقيق او قدرة عملية لا شبهة فيها . لكن حذار من الوعاظ المرشدين الناصحين الذين يتوارون وراء ستار كثيف من المفهومات التي لا يفهمونها او المدلولات التي لا تدل على شيء ، والذين يتخلفون خلف اصداء مرجعة من الفاظ طنانة وعبارات رنانة ، فهؤلاء نفر من الخلق لا يواجهون المشاكل ، ولا يوجهون نحو حلها . وهل يسعك ان توجه امرءاً او جماعة ، شطر غاية من الغـايات اذ انت تولي هذه الغاية ظهرك او تسير في الجهة المعاكسة ؟ ام هل يسعك ان تشير الى هدف من الاهداف اذ انت لا تتبينه ولا تعينه ، فكيف تصيب المرمى ؟

ذاك اولاً .

وثانياً : ان ادارة هذه المحطة لم يقنعها ان تعمل على توجيه الشباب المثقف في سبيل التفكير الصحيـح ، شطر حقائق الامور فحسب ، بل ارتأت فوق ذلك ان تعودهم التفكير المنظم المطرد الشامل . ان حياة الفرد في المجموع ، وحياة المجموع في العـالم ، وما يثار حولهما من مسائل ، ويعرض لهما من مشاكل ، ان هي الا اجزاء من كل ، عناصر في جسم مركب ، تتمازج وتتفـاعل فيما بينها . فلا مظهر من مظاهر النشاط في ميدان من ميادين الحياة الفردية او العامة ، الا وله اثر او رد فعل في سائر المظـاهر ، في سائر الميادين : اثر او رد فعل لا يبطىء ولا يهمل . وكذلك ايضاً — دون ريب — مظاهر « عدم النشاط » الذي لا يصح ان يطرح من الحساب . .

لهذا ارتأت ادارة المحطة دعوة نفر من اهل الرأي وذوي الاختصاص الى بحث موضوعات عدة ، لكن متفرعة عن موضوع اساسي عام شامل ، شمول الحياة التي لا تعرف التجزئة او القطعية ، والتي لاشيء فيها يضيع ، فلن يضير هذا الشيء اننا اغفلنـاه او اهملناه او عمينا عنه . عسى ان تكون المحاضرات العشر التي سوف يستغرقها الموضوع ، كالفصول المتآلفة في كتاب ، او كالحلقات المفرغة من سلسلة ، فنحمد مغبة هذا النشاط واثره في الميـدان الثقافي ، ثم في سائر الميادين .

الموضوع العام هو : « بناء الامة » . ومن الطبيعي ان يبدأ بتعريف هذا المدلول — او الواقع الراهن — الذي يسمونه الامة ،

(١) ننشر هنا نص المحاضرات الثلاث الاولى من السلسلة التي تذاع من محطة راديو الشرق — بيروت بهذا العنوان ، مساء كل خميس ، واعدين بنشر بقية الاحاديث في اجزائنا المقبلة .

قبل ان يؤتى على تفصيل اطوار حياتها ، ومظاهر نشاطها ، فلا شيء اوجب لاكتناه الامور وسلامة الاستنتاج ، من تعريف صحيح « جامع مانع » كما يقولون في تعريف« التعريف» . واكثر اخلافات انما تنشأ عن الاختلاف في فهم الالفاظ التي نستعملها جميعاً ، لكن لا ندرك مدلولاتها على صورة واحدة واضحة الخطوط والالوان . فكأن الكلم محرفة عن مواضعها ، والمعاني غريبة عن ذاتها . وتبدأ الصعوبة او تعظم ، حينما يكلف الذهن عناء الانتقال من المدركات الفردية والحسية الى المدركات الاجتماعية والمعنوية . فليس من العسير على امرء ان يفقه نفسه كشخص مادي منفرد ، وان يثبت تصرفاته في دائرتها المباشرة . لكن العسير ان يفقه المرء تلك الذات المعنوية التي نسميها الجماعة او الامة ، وان تقوم في ذهنه — اذا قيل له انه عنصر في الجسم المركب — صورة واضحة عن حقيقة هذا الجسم ، وعن نوع علاقاته به . والعسير ايضاً ان يتجاوز نظره في اعماله وشؤونه ذلك النطاق الضيق الذي يحسه مباشرة ، الى ماهو اوسع فاوسع، كالدائرة التي يحدثها حجر يقذف به في حوض . والى ان يعرف الفرد هذا كله ، وان تصير هذه المعرفة شعوراً طوعياً دقيقاً ، يحتاج الى ثقافة ورياضة يدعمها ابونا التاريخ . ونحسب ان هذا هو ما يعنونه بالوعي القومي الصحيح .

يسمي علماء الشرع الجماعات المنظمة ، كالشعب والامة ، والشركات والمؤسسات ، اشخاصاً معنوية او تصورية او اعتبارية ، نجحة ان العناصر التي تؤلفها ، وهم الافراد ، لا تربط في ما بينها عرى مادية ملموسة ، بل عرى ذهنية غير محسوسة . والواقع ان للاشخاص المعنويين وجوداً راهناً حقيقياً ، وان لهم اغراضاً ، معينة يستهدفونها ، ويعملون على باوغها بواسطة اعضاء او مصالح يناط بها هذا العمل ، وهي مهيئة معدة له . فالامة كافرادها كائن طبيعي لازم ، وثمة اشياء تنسب الى الجماعة والامة هي بالاصل مما ينسب الى الافراد ، فيقال : روح الامة او ثقافتها او نشاطها ، كما يقال : روح الفرد او ثقافته او نشاطه .

والان ما هي ، بل اؤثر ان اقول : « من » هي الامة ؟

الامة جماعة من افراد ، يأتمرون لسلطة واحدة ويخضعون لشرائع واحدة ، تتألف منهم دولة هي مظهرهم السياسي بين الامم ، ويقوم بعبء السلطة فيهم عضو من الجسم المركب يطلق عليه اسم « الحكومة » .

ذاك تعريف الامة بعد ان تصير « امة » لا اختلاف فيها ، ولا خلاف حولها . اما الامة التي لما توجد تاماً ، ويعوزها بعض الشروط القليلة التي ينطوي عليها ذلك التعريف الحقوقي ، وهي ما زالت في مستهل حياتها السياسية ووعيها القومي الصحيح ، فقد تطالبنا بتعريف آخر يكون اكثر شمولا ، وابعد غوراً ، يتناول مبادىء الامور واصولها ، كما تبدأ القصة من اولها وليس من آخرها ..

والذي نراه انا اصح تعريف للامة ، للامم على اطلاقها وللامة الناشئة بنوع خاص ، هو هذا التعريف الجامع المانع على حد قول المناطقة : « الامة جماعة ثابتة من الناس مؤلفة تاريخياً ، ذات لغة مشتركة وارض مشتركة وحياة اقتصادية مشتركة وتكوين نفسي مشترك يجد عبارته في الثقافة المشتركة . »

ويضيف صاحب هذا التعريف : « ان كل سمة من السمات التي ذكرناها ، لا تكفي لتعريف الامة اذا اخذت على حدتها ، بل نذهب الى ابعد من ذلك فنقول : يكفي ان تنعدم سمة واحدة منها كي تنقطع الامة عن كونها امة . »

ومما يسترعي الانتباه في هذا التعريف الذي اعتمدناه ان لا اشارة فيه ، ادنى اشارة ، الى تلك السمة العلمية الكاذبة التي يسميها النازي « وحدة الدم او العرق » جاعلين منها اساس بناء الامة . فقد اثبت العلم بطلان هذه النظرية العرقية التي تدعي للعلم كذباً او خديعة او لجر مغنم ، على نحو ما كان يدعي مولى من الموالي لاحدى قبائل العرب ، فيهجيه بذلك الشعراء ويعيبون عليه نسبته المكذوبة . وليس في العالم اليوم امة متمدنة او معروفة يصح ان تزعم لنفسها وحدة الدم والعرق ، او صفاءهما ، كما انه من الضلال الاعتقاد بامكان التوصل الى شيء من هذا ، بضرب او بضروب من الانتخاب الصناعي المنظم ، يحاول به عجن المادة الانسانية الحية ، على ما يزين الهوى ويصور الوهم .

ولعل الالمان انفسهم من ابعد الشعوب الاوربية عن وحدة العرق المزعومة وصفاء الدم المكذوب . لنأخذ مثلا البروسيين الذين يدعون تجسد المزايا الالمانية فيهم على وجهها الاكمل ، فماذا نرى ؟

يقول التاريخ انهم كانوا يعرفون ، في عهدهم البدائي ، بالبوروسيين ، وانه لم يكن ، عهد ذاك ، ما يربط بينهم وبين سكان المانيا الآخرين ، حتى لقد كانت لهم لغة خاصة تختلف عن سائر اللهجات الجرمانية ، عفي على آثارها منذ ثلاثة قرون ، لا اكثر . وبين هذه اللهجة البوروسية واللغة اللتوانية التي يتكلمون بها اليوم في لتوانيا وفيلنو وغردنو قرابة لا تنكر .

الـــــــدولة ومقوماتها

بقلم الدكتور ادمون رباط
الاستاذ في معهد الحقوق الفرنسي ببيروت

◆

لقد اصبح العالم في عهدنا الحاضر مقسما الى دول ذات صيغة عصرية تشترك فيها الشعوب كافة ، على اختلاف اجناسها وثقافتها ودرجة تطورها الاجتماعي ، ويخضع كل فرد وكل مجتمع خضوعاً تاماً لدولة معينة . وهـذا ضروري لسيرهما في مضمار الحياة ،في سائر ميادينها، حتى ان الحياة الاجتماعية ليست الآن بمكنة اذا لم تتوسطها دولة منظمة .

ومن الامور الدقيقة التي طالما اثارت الجدل وشغلت علماء الشرع الدولي معرفة كنه الدولة وضبط معانيها ، على ان الاتفاق تم اليوم على ان الدولة جماعة انسانية منظمة ذات سيادة سياسية تتمتع بارض محددة : جماعة ، فسيادة ، فارض ، تلك هي اذن العناصر الثلاثة التي تتكون منها الدولة بمعناها الحديث .

والشيء الذي يضيف الى الجماعة هذا الشكل السياسي هو الرابطة الروحية التي تصل الاجيال الحاضرة بالاجيال الغابرة ، اتصالا عاطفياً ، وتضم اجزاء الشعب المبعثرة البعيدة بعضها الى بعض في بوتقة واحدة ، فتجعل من الشركاء في التاريخ والتربة والمصالح والمثل العليا ، امة قومية واحدة لها شخصية اجتماعية تميزها عن غيرها من الامم ، فتثبت وجودها بدلائل نفسية واعمال مشتركة تعزى اليها ، ولا تستطيع الشعوب الاخرى انتحالها .

وهذه الامة ترتبط بمكان معروف فرضته عليهـا الطبيعة ، فعاش فيه ماضيها واندمجت بترابه عظام موتاها . فالامة جسم وروح وارض ، واذا فقدت الامة الارض فقدت بيئتها ، وتحولت الى قبائل وشعوب رحل ، لا يكتنفها سماء ولا يصورها جو واقليم . واذا كان ثمة شعوب ترتجي الحياة القومية فهي مضطرة كي تكون امة قومية بما لهذا التعبير من المعنى العلمي ، ان تجد لها بيئة خاصة بها . ذلك لان البشر نتاج مجتمع وتربة على حد سواء . فالدولة اذن بحكم الامة التي تنبثق منها لا تتشكل الا اذا كانت لها ارض تسودها .

والسيادة عنصر لا بد منه لتكوين الامة . فمن مقتضيات

وليس بضائر الامة الفرنسية انها تألفت ، على ممر الاجيـال، من عشرين عنصراً صهرت جميعاً في بوتقة التاريخ — التاريخ بمجنه ومجاده ، با نكساراته وانتصاراته . وكان من هذا التاريخ نفسه عام ١٧٨٩ الوضاح الذي استهل عهداً جديداً في حياة العالم .

لا مندوحة اذن من ان ندع جانباً في تحديد الامة والتعريف بسماتها مقاييس العلوم الطبيعية والبيولوجية، بله تلك « اليوجنية » التي تستهدف تحسين السلالات الحيوانية ويزعمون ان في طوقهـا ايضا ترقية الاعراق البشرية وتصفية الدم الانساني .. ولنعتمد في تعريفنا العوامل الاجتماعية ، الجغرافية والتـاريخية ، رغم ان كل واحد منها يحتاج الى بحث منفرد لا يتسع له المقام .

الامة جماعة ثابتة من الناس . ليست خليطاً عرضيـاً يدعي وحدة عرق مكذوبة او صفـاء دم مزعوم . تألفت بعوامل من التاريخ وليس بعوامل متكلفة من الانتخـاب الصناعي . ذات لغة مشتركة وحياة اقتصادية مشتركة وارض مشتركة وتكوين نفسي مشترك يجد عبارته في الثقافة المشتركة .

ولهذه الجماعة من الناس التي تسمى « الامة » وجود حي راهن هو وجود الافراد الذين تتألف منهم .. وزيادة . وهذه الزيادة هي التي تجعل من مجموع افراد الامة كياناً متميزاً عن كيان كل فرد منهم . وهي تحيا حياتها الخاصة وتستهدف اغراضـاً معينة، فتعمل على بلوغها بواسطة من يناط بهم ذلك في داخلهـا وبين سائر الامم .

وعلى محور هذا النشاط في مختلف مظـاهره ونواحيه تدور الاحاديث العشرة التي تسمعونها من هذه المحطة .

عمر فاخوري

الحياة القومية ان تشعر الامة بضرورة تحررها ، وذلك انتتصرف بشؤونها وان تملك مصيرها لتقوم بقسطها من الواجب الدولي نحو الانسانية التي تشترك الامم جميعاً في تقدمها وتأخرها .

ولكن سيادة الدولة ليست مطلقة . فهي تخضع لقوانين بعضها داخلي دستوري ، وبعضها دولي عالمي . وبخلاف دول العهود القديمة فان الدولة العصرية منظمة قانونية ينشئها القانون ، فيحفظها من التعدي ، ويرتب اعمالها وسيرها في الحياة . والاصح انيستعاض اليوم عما يسمى الاستقلال (وقد زال في الواقع بين الامم المتضامنة المرتبط بعضها ببعض) بتعبير آخر هو السيادة التي تطلق للدولة الحرية السياسية وتحظر عليها الاضرار بالغير من دول وافراد ، والكل خاضع لحق دولي قائم على المساواة والعدل ، لا على المصلحة والتوسع .

والدولة فكرة ، لا مادة تقع عليها العين المجردة، ووجودها يتحقق بوعي اعضائها والذين يتصلون بها ، وفي الاعمال التي انشئت هي من اجلها . اما فاعليتها فمنوطة برجال يعينهم القانون ويرتب درجاتهم وينعتون بالحكام والموظفين ، ومن مجموعهم تتكون الحكومة وادارتها .

اما السلطة فقد كانت في البدء واحدة مجملة تنحصر في فرد او جماعة تتصرف بالحكم تصرف المالك بملكه ، لا تعرف دستوراً ولا قانوناً ، لا رادع لها الا ما فرضه الدين عليها من واجبات سماوية ، والطبيعة من عدل وشفقة . لكن مع الزمن وتطور الافكار انجلت شخصية الفرد في المجتمع ، فتنظمت السلطة وانقسمت عملياً الى سلطات متمايزة، كل منها تقوم بما يوصل الى هدفها الاساسي .

وهكذا انفصلت السلطة التشريعية عن السلطة التنفيذية في جميع الممالك الحديثة الخاضعة لدستور .

اما السلطة التشريعية فهدفها الاوحد وضع القانون وتنقيحه او الغاؤه وفقاً لحاجات المجتمع حتى يظهر الدوام جامعاً شاملا الجميع على السواء، لا غاية شخصية له بل هدفه المحافظة على المصلحة العامة وعلى سلامة الدولة .

واما السلطة التنفيذية فهي السلطة المنفذة للقانون والساهرة على تحقيقه باسم المجتمع، تحميه من العبث والفساد ، وتصونه من التعدي والاهمال حتى ان باستطاعتنا القول ان السلطة التنفيذيةهي القانون العملي بالذات . وهي تنقسم بدورها الى سلطة منفذة وسلطة قضائية : الاولى تمثل الادارة ،وتقضي الثانية بين الافراد او بين الافراد والدولة في منازعاتهم جميعاً من شخصية وعامة ، ومن مدنية وجزائية . واذا كان لا يستتب النظام الا بخضوع المرؤوس لرئيسه في الادارة ، فالعدل لا يستقر الا بخضوع القضاء للقانون وحده بعيداً عن المؤثرات كافة .

ومما يجدر بالذكر ان مبدأ فصل السلطات بعضها عن بعض لم تبتكره اوروباوحدها . فالاسلام قد عرفه ، وقد استقل فيهالقضاء عن كل سلطة حكومية ، وتعالى التشريع فيه عن مشيئة الخلفاء وعمالها حتى فيما جاء به العلماء والفقهاء من ترتيب وتفسير .

ولكن هذا المبدأ قد ينحني في الازمات الدولية او الداخلية امامما تتطلبه سلامة الدولة من ثبات وطمأنينة، وقد توحدالسلطات موقتاً في يد شخص او هيئة ، لتكون وسيلة لحفظ الامن وللدفاع عن الامة . على انه سرعان ما يزول هذا الوضع الشاذ عند زوال الخطر فينبعث الدستور من جديد ناشراً احكامه على الجميع .

ومن اعسر مسائل الشرع الدولي تلك الصعوبةالناشئة عن ضرورة التوفيق في الاوقات العصيبة بين الدستور ومصلحة الكيان العام .

وقد لا نجد طريقة لحل تلك الصعوبة في النصوص والسوابق، لانها تحتاج الى ثقة وتضحية اكثر مما تحتاج الى قانون ونظام . والدولة ملك الامة ، وهي مشاعة بين افرادها فيها وحدها يحيون حياة راقية منظمة ، وبسياستها تضمن حقوقهم ومصالحهم . فالدولة اذن لا تدوم الا اذا بقيت متصلة بالامة اتصالا وثيقاً تحملها على العمل روح واحدة ، وتستهدف غرضاً واحداً . واذا انعدمت الرابطة بين الامة والدولة فقدت الامة شكلها الرسمي ، واضاعت الدولة الروح العاملة فيها ، فتضحى الدولة جسما بلا حياة ، والامة روحاً بلا جسم . فاذا وقعت الكارثة انهار الهيكل الفارغ وامسى في خبر كان .

ادموند رباط

الاحزاب

بقلم تقي الدين الصلح

◆

النشاط السياسي ، او اشتراك الفرد ، تفكيراً وعملاً ، في ادارة بلاده ، اشتراكاً مباشراً او غير مباشر ، حق لم يتمتع به الناس الا في عهود قليلة من التاريخ ، والا في بلاد معينة . فقد كان الاغريق ، مثلاً ، في ماضيهم السحيق ، يجتمعون في ملاعبهم ، ويتباحثون ويتناقشون في شؤون سياستهم وحروبهم وسائر احوالهم ، وكان العرب في بدء دولتهم ، يجادلون الخليفة ويناقشونه ، في منزله او في الجامع ، في الشؤون العامة .

ولكن في اكثر البلدان ، ومعظم ايام الزمان ، كان هذا الحق مقصوراً على الملوك والامراء ، واصحاب السلطان ، او وقفاً على طبقات معينة من اهل القوة والسطوة ، روحية كانت ام مادية .

وقد قلبت المدنية الحديثة هذه الحال ، فكان من نتائج انتشار المعرفة ان ارتفعت قيمة الفرد وعاد اليه الحق في ادارة شؤون بلاده ، او هو استعاده لنفسه . ان الانسان الذي اصبح يقرأ في الصحف كل صباح وكل مساء ، ويسمع بالراديو كل ساعة ، انباء بلده واخبار بلاد الاخرين ، ويرافق بهذه الواسطة سير الحياة ، من جميع نواحيها ، يوماً فيوماً ، ويماشيها خطوة فخطوة ، ويدرك الى حد كبير ، ان حياته كلها ، مرتبطة اوثق الارتباط بحياة الاخرين ، وان مصيره متوقف على مصيرهم ، بعدوا ام قربوا ، أصبح يشعر انه شريك طبيعي في المجتمع ، وان عليه لهذا المجتمع واجباً يؤديه ، وله فيه حقاً يقتضيه .

ولكن اشتراك كل فرد بذاته ، في ادارة المجتمع الذي هو منه وفيه ، ليس امراً ميسوراً ، اذا كان هذا المجتمع شعباً يعد بالالوف والملايين . ومن هنا نشأت قاعدة النيابة السياسية ، فأصبح الناس يحكمون انفسهم بواسطة نواب ينتخبونهم ، ووكلاء يعتمدونهم ، لمدة معينة ، وعلى اساس من التفاهم في الرأي ، والتشاكل في الشعور والتفكير ، والاتفاق والتعاهد على الغاية والواسطة .

وليست الاحزاب في المجتمع ، الا حلقة من سلسلة اشراك الفرد في ادارة بلاده ، وحكم الشعب نفسه بنفسه . ففي كل منها يتجمع المتشابهون في الشعور والتفكير ، القاصدون الى غاية واحدة عن طريق واحدة . وفي الحزب ينظمون قواهم ، ويوزعون جهودهم ، ويحكمون تصريف نشاطهم ، لينشروا الدعوة الى عقيدتهم . وآرائهم ، وليستكثروا لها في الشعب الانصار ، ويرتفعوا بها الى ندوة النيابة . فمن كانت له الكثرة فيها ، تربع في دست الاحكام ، وأدار البلاد على مبادئه وسياسته . ومن لم تكن له الا القلة لم يعدم التأثير ، في سياسة البلاد ، عن طريق المعارضة البرلمانية ، للحزب الحاكم .

وبواسطة الاحزاب يشترك الافراد ، مئات بل الوفاً وملايين ، اشتراكاً مستمراً ، غير مباشر في ادارة شؤون البلاد . ففيها يتصلون اتصالاً مستمراً مباشراً بممثلي الامة في المجالس النيابية وفي الحكومة ، وفيها يناقشونهم ، ويحاسبونهم ، ويوجهونهم ، ويسددون خطاهم . وفيها كذلك يجري الانتقاء الشعبي الخاص ، الاولي ، اذ يختار اعضاء الحزب ، المبرزين منهم ، الصالحين للنيابة ويقدمونهم للاختيار النهائي ، اي للانتخاب الشعبي العام .

فاذا اردنا بعد هذا ان نعد الدرجات ، التي هي ، في سلم حكم الشعب نفسه بنفسه ، استطعنا ان نقول : انها اربع هي ، من ادنى الى اعلى : الجمهور ، ثم الاحزاب ، ثم المجالس النيابية ، ثم الحكومة نفسها ، او الهيئة التنفيذية الاخيرة .

ولا بد للحزب ، من ثلاثة اركان يقوم عليها ، ولا بد من ان تكون هذه الاركان الثلاثة مجتمعة بحيث يفسد فقدان واحد منها الركنين الاخرين ، ويعطلها تعطيلاً ، كما يعطل فكرة انشاء الاحزاب ، من حيث هي سبيل للنفع العام .

*

لا بد للحزب من عقيدة ، فهي ركنه الاول وهي له كالروح للجسد . لا بد له من « قانون ايمان » كما يقولون ، يحتل من النفوس ارفع مكان ويرتفع بالنفوس الى اعلى مكان . عقيدة مؤسسة على الحقيقة والجمال والخير يجب ان يرمي الحزب الى خدمة مصلحة الامة العليا ، والى ما فيه تقدمها ، ضمن نطاق الانسانية العام ، وارتقاؤها نحو الحالة المثلى ، التي يصورها اصحاب العقول السليمة ، والنفوس الفاضلة . عقيدة خالصة من شوائب الشهوة والهوى والخوف ، والرجعية وما اليها ، من مظاهر الضعف ، ايا كانت مصادر هذه الاشياء واسبابها . وليس تفرض العقيدة ان تكون للحزب مبادىء ومناهج جامدة لا تتكيف ولا تتعدل ، بحسب مقتضيات الزمان وسير الايام . فان ذلك ليقضي على الحزب بالجمود ثم الفناء . ولكن الذي يجب ان لا يتبدل انما هو جوهر العقيدة .

*

ولا بد للحزب من نظام يتمشى عليه ويتقيد به افراده . فهو ركنه الثاني .

ان الجماعة في حالة فقدان التنظيم ، كالنهر الذي ترك على طبيعته يطغى

مرة فينيد ، ويطغى مرة فيزيد ، فيخرب الزرع ويغرق الناس ، ويقصر احياناً فتموت الارض ويفنى اهلها .

ولكن النهر اذا تناولته ايدي المهندسين ، اخضعته لمصلحة النـاس . يروون اراضيهم ما شاؤوا وحـين شاؤوا ، ينيرون من قواه بيوتهم ويديرون دواليب مصانعهم .

ان الحزب بدون نظام يحدد لكل عضو فيه حقه وواجبـه ، ويعين لكل منتسب اليه عمله ومهمته،مقضي عليه بالشلل ، ومحكوم عليه بالفشل. والنظام ليس هذا فحسب ، بل هوجامع للقوة الموزعة ، ضابط للاهواء ، وحام للعقيدة من نزوات الاهواء. النظام حدود تقيد حرية فردلتحمي حرية بقية الافراد ومصالحهم . النظام توزيع للقوى المتجمعة ، التوزيع الذي تقتضيه المنفعة . بل النظام هو الذي يمكن الحزب من استخراج مئة بالمئة من القوى الكامنة في افراده ، وفي افراد الشعب . وكم من فئـة قليلة غلبت فئة كثيرة ، باذن الله ، وبفعل النظام المحكم .

*

ولا بد للحزب من النشاط ، وهو الركن الثالث في بنائه . وما قوة صالحة ، ونظام محكم ، اذا لم يكن مقروناً اليها الفعـل والنشاط . ان الحزب مفروض فيه ان يبشر بعقيدته ومبادئه وان يستكـثر انصاره واعضاءه ، وكيف ينتشر وكيف يتكاثر ، اذا لم ينشط اعضاؤه للدعوة ؟ وكيف ينفع الحزب الناس اذا لم يخرج من حيز الفكر الى حيز الاعمال؟ ان الدفاع عن العقيدة والتبشير بالعقيدة ، والعمل بالعقيدة ، تقضي ان تتحرك في الحزب كل قوى اعضائه بعد تنظيمها وان تسخر لذلك كل وسيلة من وسائل الكفاح الشعبي .

ان هذه الاركان الثلاثة ، لا يستغنى بعضها عن بعض ، وفقدان واحدة منها ، يعطلها كلها ، كما يعطل السيارة نفاد الزيت ، او غياب السائق.

*

سبقتنا امم الغرب ، في العصور الحديثة ، بالحياة الحزبية . ففي كل بلد في اميركا واوربا احزاب سياسية منظمة ينصب فيها النشاط الشعبي، وتعمل في تسيير ادارة المجتمع الذي نشأت فيه.

ولقد وصلت الاحزاب هناك ، بعد تطورها خلال سنين طوال ،الى درجة من الرقي ، يجدر بنا نحن الشرقيين ، ان نلتفت اليها بعناية لنستفيد

ففي الغرب ، لا تقوم الاحزاب لخدمة مصلحة شخص او اشخاص ، بل تقوم لخدمة مصلحة المجموع . وفي الغرب لا يتجمع ابناء كل طائفة من الطوائف الدينية في حزب مستقل عن الطوائف الاخرى .

وفي الغرب ، لا يتجمع ابناء طبقة واحدة ، او طـائفة واحدة ، في حزب واحد . بل نرى في الكثير من احزابهم ، الفقير الى جانب الغني ، والعامل الى جانب صاحب المعمل ، وصاحب الجـاه التليد الى جانب ذي الجاه الطريف .

وفي الغرب ، يتقيد العضو بنظـام الحزب ، فلا يشذ عما يقرر ، ولا يهمل ما يفرض عليه ، ولا يتمرد ولا ينسحب كلما اتخذ الحزب قرارا لا يوافق رأي العضو .

وفي الغرب ، الولاء للحزب جزء من العقيدة ، فلا يخرج العضو من الحزب اذا آنس منه ضعفاً ، ولا يسرع اليه مهرولا اذا ما آنس فيـه قوة ورواجاً .

والحزب في الغرب ، لا يقوم لمناسبة ويمحى لغير مناسبة .

ولقد بلغت حالة الاحزاب من الرقي ، درجة جعلتها في الامم الغربية ضرورة لا غنى عنها ، كضرورة الحكومة نفسها . بل جعلت احزاب المعارضة ضرورة كذلك ، يؤدي فقدانها الى شيء من الاختلال في سير الحياة السياسة العامة . وخصت المعارضة بشيء من الامتيازات فيتناول رئيسها في المجالس النيابية مرتباً ، ويمنح في دوائرها مكتباً ، ويستشار في الازمات ، كما يستشار زعماء الكثرة .

وليس يمنع اختلاف النظم بين الاحزاب ان يتفقوا في بعض النواحي السياسية ، فيودوا مثلا وجهة نظر واحدة في مسألة من مسائل السياسة الخارجية ، وليس يمنع كذلك ان يتصادق افرادها ويتعـاونوا في غير السياسة ، بل يتعاونوا حتى في السياسة عند اللزوم . ألم نر كيف ان وندل ولكي يقوم بمهمة يندبه لها روزفلت ، وهما المتنافسان امس على رئاسة الجمهورية ، والرئيسان لحزبين مختلفين متزاحمين دائماً . كما رأينـا الاحزاب يتنازلون في الازمات الخطيرة التي يتعلق عليها مصير الامة عن اختلافاتهم، فيتحدون امـام المصلحة حزباً واحدا، او كالحزب الواحد .

ومن المؤسف ان لا يكون النشاط الشعبي السياسي في الشرق ، قـد بلغ من النضوج بوجه الاجمال ، الدرجة التي تمكنه من خدمة امه الخدمة الصحيحة ، والسير بها الى المرتبة التي ينشدها المخلصون .

ففي هـذا البلد ، مثلا ، من بلدان الشرق ، تنشأ الاحزاب السياسية لخدمة فرد او افراد . وتتخذ اسم هذا الفرد اسماً لها . ونحن لانتحرج ابدا ان نقول حزب زيد ، وحزب عمرو . ولكن الاميركي يضحك اذا سمعنا نقول حزب روزفلت اوحزب ولكي .

وفي ذاك البلد،من بلدان الشرق ، تنشأ الاحزاب لحادث من الحوادث ، فتتسمى باسمه ، وتستمر بعد انتهائه . ونحن لا نستغرب تسمية حزب كبير مثلا ، بحزب « المفاوض » لانه ولد في اثناء مفاوضات ، وتسمية آخر حزب الاجتماع ، لانه اسس في اجتماع عقده مؤسسوه.

وفي بلد آخر ، يتفق بعض الزعماء في السياسة اتفاقاً مطلقاً ، فيؤلفون حزبا واحدا ، ثم يختلفون على التفاصيل او الامزجة ، فيلد هذا الحزب كل يوم حزبا ، اي كلما خرج منه زعيم .

ويجتمع رجال ، لخدمـة وطنهم ، فيسمون انفسهم جبهة ، بدلا من حزب ، تهربا من قيود الارتباط الوثيق ، وهم بذلك يشبهون الرجل الذي يتهرب من لبس القبة المنشأة في السهرة خوف تضييقها على عنقه .

ان الاحزاب في الشرق غير قليلة ، ولكن قل منها ما توفر فيـه العناصر الثلاثة التي اوردنا ذكرها ، كان كان ضرورية متلازمة للحزب الذي تستفيد منه الامة . فانت ترى حزبا توفرت فيه العقيدة والنظام ، ولكن اعوزه النشاط . وترى آخر نشيطاً منظماً ولكن العقيدة فيه غير صحيحة ، ومن الاحزاب ما ليس فيه غير عنصر واحد من هذه الثلاثة .

ان امتنا ، في حاجة الى نشـاط شعبي منظم ، يرتفع فيه البناء من ادنى الى اعلى . ومن اولى بهـذه المهمة من الشباب الذي سلمت عقيدته ، وعرف فعل النظام ، على ضوء ما يشاهده في الغرب ؟

ولكن ، متى يعي هذا الشباب من غفلته ، فينشط الى اداء هـذا الواجب ، واجب تنظيم الامة تنظيما سياسياً شعبياً ، على اساس من العقيدة القومية السليمة ؟

تقي الدين الصلح

القصيدة السوداء

اشتهرت هذه القصيدة ، بين اصدقاء الاستاذ خله بهذا الاسم فابقيناه لها . وقد أهديت يوم نظمت الى معالي منير بك العباس وزير الاشغال العامة السورية .

« الاديب »

لا تعجّل فالأَيل أندى وابردْ ... يابياض الصباح، والحسن اسودْ !

ليلتي ليلتـان ، في الحَلَك الرّط ... ب، فجنح مضى وجنح كأن قد..

وكأني على الغصون ، من اللّيـ ... ـن وهزّ الثمار ، مـا تتـأوّد

في النسيم العبيق ، في النفَس الخا ... و ، فيـا طيب مسكةٍ تتنهد !

ستِ : نحن العبيد، في مجدك الأسـ ... ـود ، اهل البياض، نشقى ونسعد

من حوالي فرقيك، في مسحة الطرّ ... ةِ ، شيء كأنه يتوعّـد

وعلى مسقط القميص ، الى الخصـ ... ـر ، وعند انفلاته جهد مُجهد

يشهد اللين والمـلاسة والزّا ... ق ، باني في غير مـا متوسّد

الف غصن ، في الف هزة غصن ... وقيـام مع الغصون ومقعـد

كان اولى لو كنت آخذ بالخصـ ... ـر ، ولكن يكاد بالكف يعقد !

سلم الخصر ، فهو ينحط بالحمـ ... ـل ويناد حيثما يتأيّد

طولي ، ليلتي ، على المرمر الرخـ ... ـصِ ، وفي اللمح من سواد الزبرجد

وانزلي الآبنوس ، في موسم العو ... د ، علي مترع المناعم ارغـد

مهرجانٌ لنـا ، ونهزة سعـد ، تحت ستر الدجى ، وزاد مزود ..

امين نخله

ميشال معلوف

بقلم الياس ابو شبكة

لاربع سنوات خلت خاطبني صوت في الهاتف قائلا : « وهذا المساء يصل الاستاذ ميشال بك معلوف رئيس « العصبة الاندلسية » من البرازيل وقد تألف وفد من رجال الادب والصحافة لاستقباله في المرفأ فوافنا الى هناك . »

على ان مشاغلي في جريدة « صوت الاحرار » كانت كثيرة في ذلك العهد فما فرغت منها حتى ركبت السيارة الى بيتي في الزوق ، وما تذكرت واجبي الا وقد اجتازت بي السيارة نصف الطريق . وبعد أيام بصرت في الشارع برجل حادق السمرة جذابها ، بدين عريض الكتفين ، يطيل النظر الى ما حوله كأنه يفتش عن شيء . فقلت في نفسي : « ما أشبه هذا الرجل بشفيق معلوف .. أيكون خاله ميشال ؟ » وفي اليوم التالي رأيته في الطريق ماشياً الى جنب الشاعر قيصر بك معلوف فما بقي في نفسي مفيض للشك في انه رئيس العصبة الاندلسية .

وما عتم الامر ان زار قيصر وأخوه جريدة « صوت الاحرار » ولما لم يجداني أبقيالي بطاقة على مكتبي . ولا اذكر أين اجتمعت بعدئذ بميشال معلوف لحظة من الزمن . على ان هذه اللحظة كانت كافية لتوثيق رابطة المحبة بيننا ، فهذه الرابطة التي صاغها شفيق ما برحت تنمو وتمتد حتى شملت كل معلوفيّ اديب من مغترب ومقيم . وكل معلوفيّ أديب ، ان لم يكن بقلمه فبروحه .

ومرّت ثلاث سنوات تزوج خلالها مثالا من روحه وخلقه وراح يطوف البلاد جبالها وسفوحها ، سعيداً مغبوطاً كما يتمنى الاديب .

وفي مستهل الشتاء المنصرم سكن بلدتي مع صهره الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف وبقي فيها الى اواخر الربيع .

في الجهة الجنوبية من الزوق ، على مشرف وادع من الارض تتخلله الصخور ويحيط به من الطبيعة اروع اطار ، تقوم جملة بيوت متباعدة ، في الطرف الجنوبي منها بيت كان في الماضي السحيق لاستاذي الشاعر المطرب الطروب الفارس ابي رحمون ، عليه رحمة الله . في هذا البيت المطل على اخصب بقعة في كسروان وعلى اجمل شاطيء من هذا الابيض الكريم زرت ميشال معلوف للمرة الاولى فابتدرني بقوله : « لم تجيء الينا فجئنا اليك . »

وفي اثناء الحديث قلت له : « سنقوم غداً بجولات شعرية في هذه البقاع الساحرة فنزور الاكمات السبع وننحدر منها الى الخليج فالى الشاطيء . ونزور الوادي المهيب حيث يرقد ابو رحمون ، وهذه الهضبة التي تراها من هنا ، فهي تشرف على اجمل ريف ساحلي مهرته الطبيعة للبنان . » فقال : « ان شاء الله ! » وصمت .. ولم ادر اية سحابة من الالم العميق شاعت ساعتئذ على جملة وجهه .

وزرته بعد يومين فألفيته في جمع من الزوّار يصغي ولا يتكلم الا في النادر القليل فقلت له : « هلمَّ بنا نخرج من هذا الوكر ، فالمساء دافيء والساعة جميلة . » وكان الى جنبي طبيب من أقربائه فهمس في أذني قائلاً : « لا ينبغي له ان يخرج من البيت قبل أيام فهو في حاجة قصوى الى الراحة ، وكل مرتقى يصعده وان يكن طفيفاً يسيء الى صحته . » وكأنه أدرك ما فاه به الطبيب فقال لي : « أمرنا لله . ولكنها أزمة عارضة بعونه . فالاطباء يقولون ان بي تضخماً في القلب ، على أن حالتي ليست خطرة وقد يزول الداء بالراحة . »

وصرت أتردد عليه فيقبل عليَّ احياناً من غرفته ويلزمها أحيانا أخرى فأبقى مع صهره العالم منجب الشعراء يحدثني عن تاريخ الأسر الشرقية وعن أسماء القرى اللبنانية ومصادرها أو عن بطولة الروس واعجابه العظيم

بتاريخ روسيا وادبائها وعباقرتها . وحين يُفرغ جانباً من مخزون دماغه الذي لا ينضب أعود الى بيتي وبي غصّة وألم عميق !

وفي أحد الايام دخلت عليه الى غرفته فألفيته أشد ما يكون انقباضاً ولمحت على وجهه سحابة من اليأس حاول أن يخفيها بابتسامة تكمشت على أديمه . وبدا لي أنه زاد هزالاً فقلت له : «وجهك اليوم مشرق والعافية تستنشق في عينيك . .» فقال : «أما الاطباء فقد اختلفوا في أمري ، فمنهم من يقول ان بي تضخماً في القلب ومنهم من يقول في الرئة . .»

ثم تناول من تحت وسادته وريقة وقال لي : «كتبت أمس هذه الابيات فخذها . . .» وكأنه أراد أن يقول : هذه قصيدة الوداع ! . . .»

جنيت عليك يا قلبي ... ولم تنفع بك الشكوى
فكم قاسيت في جنبي ... وكم حاقت بك البلوى
وكم خدعتك آمال ... وكم اشقاك من تهوى
بلى قد جرت يا قلبي ... عليك فصرت لا تقوى
سجينا بين اضلاعي ... قضيت العمر مضطربا
تشد عليك اطماعي ... وتشطرك النوى اربا
وكنت كطائر غرد ... تحول شدوه شجوا
ومرت بي من الذكرى ... سحابات مضيئات
على جنباتها تتري ... ابتسامات ودمعات
فاطبق جفني الطرفا ... وعاد القلب للنجوى
بعاد عنك يا وطني ... به ذل وحرمان
وقرب فيك يوجعني ... ففيه الذل الوان
كرامات مضيعة ... واقداس غدت لهوا
بلى قد جرت ياقلبي ... عليك فصرت لا تقوى

وهذه الابيات التي يغلب فيها الالم المكبوت تعيد الى الذاكرة آخر ما نظمه ولي الدين يكن الذي مات بالداء نفسه وفي السن نفسها :

يا جسداً قد ذاب حتى امّحى ... الا قليلا عالقا بالشقاء
اعانك الله بصبر على ... ما ستعاني من قليل البقاء

ومرت الايام سوداء كلياليه ، وهو قابع في غرفته ، بل في فراشه ، لا يلقى من جمال الحياة الا ابتسامات حنوّ واخلاص تلقمه اياها عروسه الوفية وشقيقته الثاكل ، كأن لم يكفها شر المصيبة بفوزي !

وفي اواخر الربيع غادر ميشال معلوف بيته في الزوق لاليقوم بجولة شعرية في البقاع الساحرة فيزور الاكمات السبع وينحدر منها الى الخليج فالى الشاطىء ، ويزور الوادي المهيب حيث ينام ابو رحمون ، بل ليرقد رقدته الاخيرة في التربة التي تغنى بها في سحرة شبابه وخصها بعدئذ بندى قلبه ويده .

الياس ابو شبكة

الشعر الرمزي

بقلم الدكتور نقولا فياض

◆

كانه بودلير ابعده رامأ من سانت بف واوسع احلاماً فالطبيعة في عرفه حظية ابيح حماها الوفأ من المرات فمن الواجب اقصاؤها عن الفن والالتجاء الى الخيال والصناعة والغرابة، والغوص على الجديد في اعماق المجهول كما يقول في قصيدته « الموت ». ولهذا عمد الى كل ما فيه انحطاط وذبول وشهوة جاعلاً من النهار الزائل والخريف الذابل والموسيقى الفاترة والبنات المتبرجات السكارى والحشيش والخمرة والافيون، معيناً لنفسه الظمآنة، لان عالم الاسقام هو البقعة العذراء التي لم تعرف بعد جولة للفن فيهـا . وهو يعتقد ان الاحساس في بعض حالات السقم يفتح للشاعر وراء عالم المادة ابواب عالم غير منظور فيشعر بصلات خفية تربط الاشياء بعضها ببعض وهـذا معنى قصيدته المشهورة التي يمكن ان تعتبر كأول بيان للرمزية :

الطبيعة هيكل فيه اعمدة حية تخرج احياناً كلاماً مبهما فيمر المرء فيها خلال غابات من الرموز تتطلع اليه بنظرات مألوفة وتتجاوب الالوان والعطور والاصوات كما تلتقي الاصداء من بعيد في وحدة مظلمة عميقة كالليل وكالضياء .

على ان بودلير كان بطيء الاثر في اوله ، فقـد عاصر عصبة البارناس وصادقهم وان لم يندمج فيهم . وعندما ظهرت « ازهـار الشر » للمرة الاولى سنة ٥٧ اثارت في الناس دهشاً عظيما ولاقت من الاستهجان ما حمل الحكومة الامبراطورية على الحكم على مؤلفها، وكان من جراء هذا الحكم ان هب البعض محتجاً ومدافعاً وفي سبيل هذا الدفاع عـادوا الى درس بودلير وتفهمه فبدت ازهار الشر للقراء حينئذ على ضوء جديد واذا بهيكو يعلن مـا كان يفتكر به الكثيرون من ان المؤلف قد كشف القنـاع عن « رعشة جديدة » .

هذه « الرعشة » هي ما كان يشعر به بودلير منذ خمسة عشر سنة وموضوعات « ازهار الشر » من الم وشقاء وحب واثم وشهوة وسخط وخمرة وافيون مرآة لشتى حالاته الفكرية وقد اجاد التعبير عنها في صور تجمع بين العطور والموسيقى والالوان فتأخذ دون عناء سبيلا الى نفس القارىء .

وهكذا مرت سنوات على الكتاب قبل ان يفتح لصاحبه طريق الشهرة . فقرظه دليل وسانت بف وغوتيه ، وادرك فرلين الذي فهمه اكثر من سواه لما بينهما من القرابة في الاحساس والالم ، مبلغ ما فيه من الحمى والروعة والابداع . واخذ الشعراء يفضاونه على مؤلفات «البارناس» واجدين فيه ابلغ ترجمان لثورات الفكر والشعور التي قذفت بالجيـل الجديد في معمعـان الحرب يشهرونها على عقائد الجيل السابق . وسرعان ما تلألأ نور شهرته وامتد حتى توارى من ورائه سائر شعراء القرن التـاسع عشر ، وقد خبا فيما بعد نجم الرمزية وكوكب مجده لا يزال ساطعاً .

ان تاريخ الرمزية الذي يمتزج بتاريخ الادب الفرنسي منذ عام ١٨٨٠ ضروري معرفته لمن يريد ان يحكم على الشعر في الخمسين سنة التي مرت . فان كراهتهم للواقعي او الوضعي مع الاعجـاب برابله وبو وفيني وشكسبير وبودلير جعلهم يجتمعون في حلقـات تضم جان مورياس وبارس وتييار وفيكيه وسواهم ، يتذاكرون ويتناقشون وينظمون . واذا ذاك ظهر بينهم بارناسي قـديم كان ينفض الحي اللاتيني وطرقه الضيقة المظلمة كالمتسول وهـو اصلع الرأس وعليه سحنة سقراط الحكيم : هذا الرجل هو فرلين . وكان ينظم بين الكأس والكأس قصائد ندب جميلة ، وبواسطته تعرفوا الى ثلاثة من الجدد : كوربيار وملارمه ورامبو « عروس فرلين الجهنمي » كما كانوا يسمونه .

قلت ان فرلين كان من صميم البارناسيين ، عمل معهم ومشى على منهاج لكونت دليل، غير انه كان مشبعاً من روح بودلير حتى

استعار منه عنوان كتابه « الاشعار الزجليـة » واخذ يبتعد عن البارناس قانعـا من الصور بشدة الاحساس وغموض الشعور يساعده على ذلك حياتـه التائهة وتعلقه بالخمرة . وهو يقول في كتابـه « الفن الشعري » ان الشعر والموسيقى قبل كل شيء ، وان القافية قيد يجب تحطيمه ، ولا حاجة بعد اليوم الى متانة التركيب وبلاغة النظم للتعبير عن الغـامض وعن درجات الاحلام ومداها وعن مختلف الشعور من قلق واحلام واضطراب وما شاكل مما ترك اثراً عميقا في الشعر الحديث . لقد اراد فرلين اعتاق الشعر من سلاسل التقليد وبهذا ينتسب اليه الرمزيون غير انهم جاوزوه الى أبعد مما طلب فاتخذوا «رمبو» دليلهم الاكبر . أما هو فبقيت عليه مسحة بارناسية ورومانتيكية ولم يكن تطليقه للقافية الا بمقدار ، حتى ان بعض المغالين من الرمزيين انكروا عليه ان يكون منهم وهو نفسه يقول : الرمزية ، لا افهم ما هي .

اما ملارمه فان انتاجه الشعري لم يكن كبيراً ولكن تأثيره في جيله جاوز الحد واول ذلك لسحر حديثه الذي يعرفه من كانوا يختلفون اليه في نادي سمره ، شارع روما ، وقد حافظ في قصائده على الوزن ورنة القافية ولم يمنعه تأثره ببودلير من الانحراف عنه في النظم والالهام فهو لم يكن يرى في ازهار الشر سوى تخيلات جديدة ومصادر للايحاء ، ولهذا لم يكثر من الصور مثله ولم يقبـل للحواس سلطة على الفكر وكان يعتقد ان في صور الطبيعة معنى خفياً وانه يمكن ان يلمح من خلالها شيئاً آخر غير ما هي عليـه وهذا ما ادى به الى الغموض فكان يقول ان القصيدة سر محكم الاقفال وعلى القارىء ان يبحث عن مفاتيحه اي ان المعنى يقلب الشاعر ويمتاز انشاؤه بالايجاز والتعمية والالباس وبعد المعنى وحذف الفعل من الجملة وهو يحاول فيه ان يرقى الى اسمى ذروات الشعر والفلسفة والموسيقى . غير ان المسافة بين غايته وتحقيقها كانت شاسعة يعز عليه اجتيازها وكان يشعر بذلك ويعترف بقصوره فشبهـه ريمي دي كورمون باندرومد التي ربطها نبتون بالصخرة فكانت ترى الوحش يدنو منها لافتراسها ولا تستطيـع الافلات والتحليق في السماء . فكان الالم يخز في محياها من سمو الشوق وسمو الذعر .

اما رنبو فقد كان اصغر سناً من مالارمه وفرلين وعجيب حياة هذا الشاعر الذي اراد منذ نشأته احداث ثورة في النظم والتفكير فما تعذر عليه ذلك . بدأ النظم في الخامسة عشر فكان رومانتيكياً يحذو حذو فكتور هيغو وفي اقل من سنتين تحرر وثار على كل ما يمكن فكره ان يصل اليه من سياسة ووطن ودين هازئاً بكل شيء تعباناً من ادب نفسه وادب غيره ، ناظراً الى حقائق الحياة من خلال عدسة خياله الواسع الغني بغرائب الرؤى طامعاً بخلق لغـة جديدة للتعبير عن المحسوسات . وكان يعتقد ان اضطراب الحواس والاعصاب من لزوميات الشاعر ليصبح كالنبي فيخرق بنظره حجب الغيب وكتاباته غريبة في بابها « كالمركب السكران » و« فصل في الجحيم » وقد بلغ اقصى هذيانه الشعري عندما تعرّف الى فرلين فأفلت من قيد المسافة والوقت وخال نفسه في النقطة المركزية للكون فلا الانسان ولا البلدان ولا شيء في العالم يوقف نظره كأنه يرى ويفتكر بغير عيون البشر وادمغتهم ووجد نفسه وحيداً قوياً كلي القـدرة فانتهى به ذلك الى غموض لا يدانيه فيه ملارمه نفسه .

ومن نظمه تلك القصيدة المشهورة التي يخلع فيها على كل حرف من الاحرف الصوتية لوناً خاصـاً فقد كان لها صدى بعيد ورأى الرمزيون فيها مذهباً جديداً في السمع الملون كما راؤا في قصيدته المشهورة « كيمياء الكلمة » بياناً موجزاً لاطماعه الفنية فرامبو كملارمه اراد ان يكون ساحراً يخلق ازهـاراً جديدة واقماراً جديدة وبدناً جديداً ولساناً جديداً وقد صور له الوهم انه سيرفع القناع عن اسرار تبدل وجهة الحياة والاخلاق والشرائع الا انه كان على حد قول الشاعر العربي :

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

فرزح تحت عبء اطماعه الخيالية واحس بالضجر والعيـاء والاشمئزاز فطلق النظم وحطم اليراع وهو ابن عشرين وهكذا طوى في اربع سنوات حياة عقلية طويلة الايام .

فرلين وملارمه ورمبو ثالوث الثورة الشعرية من بعد بودلير ، لقد شهروا الحرب على الوضعية فلم يقيض لهم فيها النصر ولكنهم استطاعوا الكبح من جماحها والتخفيف من حدة تيارها فقد اراد الوضعيون ان يرفعوا حجاب الحياة عن غادة الفكر ويجردوهـا من رداء السر سواء أكان في الروايات التمثيلية ام القصصية فقاوموهم مـا استطاعوا المقاومة وابقوا على الحجاب وعلى الاسرار .

نقولا فياض

نظرة تحليلية في سوء تفاهم

للاستاذ زكي طليمات
مفتش شؤون التمثيل بوزارة المعارف المصرية

◆

بهذا العنوان اصدر الاستاذ بشر فارس الدكتور في الفلسفة من جامعة باريس مؤلفاً يتضمن ثلاث عشرة قصة بعضها ذو صبغة محلية خالصة وبعضها الاخر تجري حوادثه في اجواء من هنالك .. وهذا وذاك يتفقان في طابعهما الانساني الصرف ، اي انها قصص منتزعة من صميم النفس — النفس البشرية الخالدة بمشاعرها وغرائزها . والقصة لدى بشر ، كما نوه بذلك في مقدمة بليغة دبجها لمؤلفه هذا « حنية من صدر الحياة تنتزع لا صورة من صفحتها الواضحة منسوخة » . فالقصة عنده بعيدة ان تكون من دأب آلة التصوير الشمسي التي تنقل عدستها الوان الحياة السطحية — وانما هي شيء اخر اكثر مايكون التصوير والتعبير فيه وسيلة لا غاية . اذ يتجاوز التصوير في القصة تسجيل التحليل المطرد لاشخاص القصة الى اقتناص نبض الحياة الباطنة وتعبير خلجات النفس المضمرة .

فالتصوير لدى بشر انما هو مجاز من الملموس والمنظور الى ضدهما مما هو تائه او متصنع او متردد لونه في سلم القيم الانسانية ، هو تصوير لا ينسخ الواقع وانما هو يعرضه حسبما تنبض به حساسيته — حساسية الكاتب طبعاً — ويحوله تأثره . ومثل هذا التهيج من التصوير ، كما سبق ان اشرنا ، لا يأخذ بالتحليل الظاهري المطرد ، ولا يتقيد بالتزامات المنطق المحدود في السياق ولا يعنى بالحبكة ، وانما هو يتجاوزه الى اقتناص اوابد الوجدان وشوارد الخاطر ولمعات النفس الباطنة ، يجمعها ويلم شتاتها ويضمها ضماً حول حالة نفسية واحدة . ومثل هذا التصوير في الادب يماثله في فن التصوير الشكلي ذلك النهج (اللاواقعي) الذي لا يأبه بالمنظور ومقاييس المرئيات في تسجيل ما تنفعل به نفس المصور وهو واقف متأمل يصور على منظر طبيعي ماثل او انموذج انساني معروض .

وهذا النهج الذي نحن بصدده ، يذكرنا ، فيما يذكرنا به ، بنهج (التأثرية) في التصوير وهو نهج يتجاوز مداه نقل الواقع والمرئي بحذافيرهما والتزاماتهما الى محاولة تسجيل ما خفق به قلب المصور او الرسام وحوله تأثره ، فتجري ريشته بحيث تجعل عملها جساً ولمساً لا خطاً صريحاً كامل المعاني والحدود . فهي تنطلق الى اثبات نقط وخطوط ناقصة ، اما متجاورة واما متتالية ، ليست ذات كل واحدة منهما كائناً منفرداً بكيانه ، ولكنها تؤلف بمجموعها الوحدة الفنية والصيغة التعبيرية للصورة . فالنقطة الواحدة تقفز بك الى الاخرى وهكذا دواليك ، ثم تحتشد هذه النقط الحائرة والخطوط الناقصة متسارة بعضها الى بعض في شأن ما وضعت من اجله ، وهكذا تتمثل لك الصورة المبتكرة تومي وتلوح ، ولا تصرح وتبين ، فيها من مظاهر الحياة مسحة ولمعة ، وفيها من باطن الحياة لمحات ، ولفتات ، ورجفات . في مثل هذا النهج من التصوير لا يؤبه كثيراً او قليلا لقيمة الانموذج المنقول عنه ، اذ المقصود بالمعالجة كشف مستور الانموذج واستخراج مضمره وابراز جوهره حسبما انتهى اليه تأمل المصور وحوله تأثره وانفعاله . وما من شيء على الارض ، بالغ من التفاهة ما بلغ ، الا ومستوره يستوقف العين ، ومضمره يثير الاستغراب ، وجوهره يدعو الى التأمل . وهكذا لا نعثر في قصص بشر فارس على موضوع تصطخب فيه الحوادث وتعترك فيه المشوقات والغرائب . وقبلما تنتهي القصة نهاية يهدأ معها تطلع القارىء او تنجلي عن حل مرموق يرتاح اليه القارىء ، بل ان القصة لتطوى ، ولكن العقدة تبقى قائمة من غير حل ، تراود الخاطر ، وقد تستبد به ، وقد تدفعه الى متاهات لا حد لها .

ومن ثم كان اختلاف في وجهات النظر الى هذه القصص ، من حيث كنهها ، ومن حيث قيمتها القصصية ، وليس لي ان اقول شيئاً في هذا ، فقد اورد المؤلف في مقدمة كتابه ما يوضح نهجه .

*

هذا من ناحية الاداء المعنوي .

اما من ناحية الاداء اللفظي ، فقد اختار بشر فارس لقصصه اسلوباً قدره لفظاً ولحظاً وايماء ، تساق فيه المعاني في يسر وانطلاق الى ان تتمايل بما يقضي به الظل والابهام . وبشر متأنق في اسلوبه متخير في الفاظه ، تتنغم عباراته تارة ولا تتنغم اخرى ، لان معينها من المعاني لا ينفلت كله من مصدر واحد . فهو الكاتب الفنان ، وهو الكاتب الذي يميل الى الاستقصاء والبحث المجرد ، شخصيتان

اجتمعتا في صعيد واحد وهي القصة . وهاتان شخصيتان متباينتان تحاول كل منهما على رغم بشر ان تمد قامتها وتثبت وجودها الى جانب الاخرى . ومن هنا نرى الفكر تارة متغلغلاً في جنبات القصة، منبثاً في زواياها ، موازناً للعاطفة والخيال ، وتارة اخرى متغلباً عليهما، منزلا بهما احياناً شيئاً من الجفاف بحيث يكلف القاري عناء المتابعة، فيحمله على ان يجتاز جسراً من عذاب او مفازة من التفكير المجرد . بيد ان شاعرية القصّاص كثيراً ما تؤلف بينها في لطف ، والشاعرية في هذه القصص ليست مستمدة من ايقاع العبارات وجرس الالفاظ وانما هي شاعرية باطنية معينها رهافة الحس وامتلاء النفس بالوان الجمال . وفي قصص بشر آثار ناطقات من هذا ، فهو تارة للعاطفة والخيال (اقرأ قصته قيثار مغترب) (والسفينة) واخرى للفكر (قصة رجل) وثالثة لها جميعاً . وفي كل هذا قلما يسمح الفكر بان يتدفق فيض العاطفة دون ان يذيله بتسجيل تجربة نفسية او لمحة فلسفية ، كل هذا في قول يسير مقتضب .

اما من حيث الموضوعات التي عالجها في قصصه فالمقام هنا يضيق بالحديث عنها جميعاً ، ولكننا نجمل فنقول انها كلها مليئة برغبات الحياة الشديدة ، فوّارة بثورة النفس المتشوقة الى المعرفة ، المتطلعة الى الاصلاح ، فيها سخرية لاذعة ، وربما قلت خبيثة ، اعني مطوية ولكنها سخرية لاجل الحيـاة لا نقمة منها ، لان المؤلف يعلم ان الكمال ليس من سنّة هذا الخلق وانه دون الاحاطة باسرار الحياة موانع ومهالك (قصة رجل) وان المجتمع المصري على الاخص تعوزه امور رفيعة من الروحانيات الفعالة والمثل العليا ، وان المرأة في مصر تحظى من الرجل بنظرة حسية تحطها دون مستواها الحقيقي .

وللمرأة شأن في قصص بشر فارس (اقرأ المرأة والفنان) يطالعك تجاذب وتدافع بين المرأة والرجل عن طريق الاحساس والتخيل ، وترى ان المرأة المغرورة هي التي تعين الفنـان على استكمال كيانه ، وتمهد له طريق النجاح في فنه متى منحته شخصيتها .

وفي قصة (امرأة) يصف المؤلف النساء بانهـا (رعدات في اعضاء هامدة) هم الرجال ولا فخر !! ويجري بشر في هذه القصـة انشودة المجد في قدرة المرأة على بعث حياة الاحساس واللطف في الرجل قد جرت كلماتها من ناحية البديهة النسوية ، وصدرت لمساتها من جانب القلب . وكل صادر من جهة القلب يحمل نبض الحياة .

وفي (قصة ستكمل) تتجلى عناية مشغوفة بالمرأة تمتد الى محاولة البعث وخلقها من جديد بطريق يثـير الشك في نفس المرأة المعجبة المزهوة بفتنتها ، ويجعلها تستبين حقيقة رسالتهـا في الحياة (برقاً يلتوي في سماء مغبرة) . رسالة المرأة في الحياة هي المحور التي تدور عليه هذه القصص الثلاث . وهكذا يتقدم بشر فارس الى القراء كاحد الحواريين او سدنة المعابد وفي كفه رسالة للمرأة يبشر بها ويدعو اليها بعد ان آمن بقوتها وايقن بأثرها في حياة الرجل ، فلا عجب بعد هذا ان رأيناه يهدي كتابه الى «من هذبتني فشعرت» . ويبقى ان نعرف ، وهو ما حرص بشر على كتمانـه ، اي صليب منهن يحمل واي زفرات ، أو اي زهور واكاليل .

القاهرة — زكي طليمات

الايام السعيدة

سأل ولد والده قائلاً :

ابتي — ما الذي يمر اسرع من غيره ؟

أهو النهر يندفع من منبعه ؟

ام هي الريح تعصف في اجواز الفضاء ؟

ام هو الكوكب ينسل من السماء في خيط ملتهب ؟

ثم لا يلبث ان يخبو ضوءه ؟

ام هو الدخان لا تجد له اثراً ؟

ام هو الشحرور يتخلل طبقات الهواء ؟

ام هو ساروخ النار يتبعثر في الفضاء مشتعلاً ؟

ام هو الصاعقة الرهيبة ؟

ام هو البرق اللامع الخاطف ؟

بل نبثني :

أهي رمال الصحراء متناثرة تذروها الرياح ؟

ام هي فقاقيع الصابون ؟

ام هي الاحلام ؟

ام الورقة اليابسة ؟

ام البالون الطائر ؟

فاجابه ابوه :

يا بني وقاك الله شر الاحداث

فان ما تسألني عنه فيه لذة وغصة

فاعلم ان ما يمر سريعاً يا ولداه

انما هي الايام السعيدة !..

مترجمة عن الفرنسية .

العنصرية والاستعمار الالماني

بقلم فدري فلعجي

◆

كان من الطبيعي ان تأخذ النظرية العنصرية التي تذرعت بها ايطاليا لتبرير فظائعها الاستعمارية في افريقيا (١) ، شكلاً جديداً في المانيا النازية . فالجماعة التي اعتنقتها في الريخ الثالث ، لم تكن تسيطر على مستعمرات اسيوية وافريقية ، ولم يكن لهـا بد من استعمار ما يجاورها من البلاد الاوربية الصغيرة توطئة لتحقيق مطامعها الكبيرة في آسيا وافريقيـا ، فليس من الممكن اذن ان تكتفي بسياسة العداء ضد العروق الملوّنة ، لان الشعوب البيضاء المجاورة لها هي الضحايا الاولى في برنامجها الاستعماري .

ادركت الطغمة الالمـانية الحاكمة ان سياسة العدوان ضد العروق الملونة لا تكفي لتحقيق مطامعهـا ، فنادت بنظرية الدم الالماني لتسعى الى ضم العنصر الالمـاني الموزّع ، وأعلنت الحرب الفكرية ليس على « العروق المنحطة » وحسب بل على « الاجناس المنحطة » ايضاً ، وعلى الاجناس والعروق التي فسدت دماؤهـا لكثرة اختلاطها بما دونها من الجماعات البشرية .

وكان من اول اهدافها الدخلية ان تبطش باحرار الفكر في المانيا ، وتقضي على الافكار التقدمية فيهـا ، فنسبت هذه النزعـات الانسانية الى اليهود ، وجعلت مكافحة اليهودية او السامية وسيلة لمحاربة هذه المبادىء ومطاردة معتنقيها (وان كان اكثرهم ليس يهوديا او سامياً) وذريعة لمصادره اموال اليهود !

وبما ان فرنسا هي عدو المانيا التقليدي ، والسدا الذي ينتصب امامها ويحول دون تحقيق مطامعها ، فيجب ان تجد مبرراً جديداً لمهاجمتها ، وقد ارادته مبرراً « علمياً » فانجدها العلماء المزيفون وعلى رأسهم الفرد روزنبرغ الذي هاجم كل ما يُحَب في فرنسا : هاجم فيها النظم الديمقراطية السائرة بخطى واسعة نحو الكمال ، واستنكر الروح التحريرية فيهـا ، وسخر من الثورات الفرنسية الكبرى ، وانهـال بهجر القول على « حقوق الانسان » . وفي الصفحات ٩٥ و١٠٣ و١٠٤ و٦٦٢ من كتابه « روح القرن العشرين » مطاعن جارحة موجهة الى فرنسا « المريضة » بالمبادىء الانسانية والساعية الى تحرير العبيد !.

ان النظرية الفاشستية التي اثرت في النظرية النـازية عادت فتأثرت بها . وهكذا طغت على الصحف الايطالية موجة جديدة من الحقد الجنسي . من ذلك ما كتبه ماركو بوميليو في افتتاحية العدد السابع سنة ١٩٣٨ من جريدة « الازيون كولونيال » :

« ان فرنسا التي تفتح ابوابها لابناء الاجناس المنحطة يؤمونها من كل صوب ، ولا تستنكر التزاوج بينهم وبين الفرنسيين والفرنسيات ، والتي يتزعم بعض احزابهـا رجال يسمون انفسهم احراراً وانسانيين يحاربون الحرب والاستعمار ويدعون الى انصاف الشعوب — تضعف بل تقتل العرق الابيض ، وتثير العروق الملوّنة وشعوب المستعمرات على ممثلي المدنية الغربية . فليعرف الجميع ان مستعمرات فرنسا يجب ان تنتزع من يدها ، لانها تخون رسالتها في هذه البلاد ، وتشكل بانسانيتهـا المزعومة خطراً على اوروبا والحضارة الاوربية . وقد رأينا اذ كنا نطهّر ليبيا من الجنس المنحط كيف كان اعداؤنا يلجأون الى السودان الفرنسي فيجدون فيه حمى وملاذاً » !.

فكأن هذا الكاتب الايطالي يتحدث بلسان هتلر الذي كتب في الصفحتين ٦٢١ و٦٢٢ من الطبعة الفرنسية من كتاب « كفاحي » ما نصه بالحرف الواحد : « ان الشعب الفرنسي الذي يمعن في الانحدار الى مستوى الزنوج ، خطر على حيـاة العرق الابيض في اوربا . فهذا الشعب سبب بتسامحه واختلاطه بالشعوب المنحطة ، انتقال الدم الفاسد الى ضفاف الرين ، وانتشاره في كل اوربا ... اقل ما يوصف به الدور الذي تمثله فرنسا في اوربا ، انه جريمة ضد بقـاء البشرية البيضاء ... ان اجتياح الزنوج لفرنسا يتقدم تقدماً سريعاً حتى اننا لنستطيع التحدث فعلاً عن نشؤ دولة افريقية في القارة الاوربية » .

امام هذه المزاعم الجوفاء ، امام هـذا الشغب تقوم به دول تزعم انها مكلفة بحمل رسالة الحضارة الى العالم ، كان من الطبيعي ان يبحث المفكرون الاوربيون قضية الاجناس بحثـاً دقيقاً ، لا لكي يصدروا مراسيم قيصرية باسم العلم ، بل لكي يثبتوا للعالم ان اختلاط العروق والاجناس لا يضعفها بل يفيدها ، وان اكثر الامم القوية في التاريخ هي خليط من سلالات مختلفة . وقد عبّر مؤتمر الابحاث العلمية عبر البحار المنعقد في باريس سنة ١٩٣٨ عن هذا الرأي وانكر الوهم القائل بان ثمة اجناساً اوربية او غير اوربية تتفوق على غيرها بسمو العنصر ونقاء الدم .

والواقع ان اكثر الباحثين الاكفاء في علم الانسان يعتقدون ان ليس بين البشر جنس نقي خالص لم يخالطه جنس سواه ، وانه اذا امكن

---

(١) راجع العدد الماضي من « الاديب »

حفظ احدى السلالات البشرية نقية من كل دم غريب فانها ان تبلغ ما بلغته السلالات المختلطة قوة وصلاحاً (راجع الجزء السابع من الموسوعة الفرنسية) . واذا اردنا ان نعدد اقوال كبار العلماء في هذا الموضوع، يضيق بنا المجال ويستغرق ذلك منا سفراً كبيراً . وفي كتاب « نحن الاوربيين » للعالمين الانكليزيين هلسلي وهارون ادلة وافية لمن يرغب التوسع في هذا الموضوع . ويمكن ان يلخص رأيها على هذا القرار : « ان التحليل العلمي للجماعات الانسانية يرينا ان ما يحدث بين البشر ، من الهجرة بين الاقاليم والتزاوج بين الشعوب يجعل من الخطأ ان نعد احدى الجماعات البشرية جنساً متميزاً عن سواه .

« وهؤلاء الساسة الذين يزعمون ان بعض الجماعات ارقى من سواها واكفأ ، او ان بعضها ادنى من غيره واضعف ، قد انحرفوا كثيراً عن جادة الحق الذي يقرره العلماء ، وهو انه ما من جماعة انسانية يمتاز جميع افرادها بالصفات العالية او يتسم جميع افرادها بالصفات الوضيعة، فكل منها خليط او مزيج من العناصر الحميدة والذميمة على السواء .

«ان هناك شعباً المانياً ، ولغة المانية، وقد يكون ثمة ثقافة المانية، لكن هذه الجماعة المتميزة بلغتها وثقافتها لا تؤلف «جنساً» واحداً نقي الدم خالص الطبيعة ، وانما تتألف من عناصر الجنس الابيض وجماعة الالبيين وجماعة البحر المتوسط ، مضافة اليها قطرات من دم الغجر واليهود والمغول » . ويقول الدكتور واشنطون بيت : « ان العلم والتاريخ يؤكدان بأن اختلاط الجماعات الانسانية يؤدي الى تنشيط موهبة الذكاء ، وهي اول ملكة يعتز بها الانسان . وانكلترا مدينة باكثر قوتها ، بل بكل قوتها ، الى انها لا ترجع الى جنس موحد الاصل خالص الدم، بل الى خليط من الشعوب والجماعات . وكذلك يرجع الهولنديون الى اجناس مختلفة ممتزجة ، لانهم فتحوا بلادهم وبيوتهم للجماعات المضطهدة في ارجاء اوربا . ولهذا نراهم من اقل شعوب العالم في عدد الاميين وفي نسبة جرائم القتل وحوادث الانتحار ، وفي مقدمة الامم خلقاً وذكاء ونظاماً .

وصفوة القول ان العنصرية ليست الا حديث خرافة ينتحل اسم العلم . واذا كان مفكرو الدنيا يقاومونها لانها تؤدي الى الكراهية العمياء التي تقسم العالم شعوباً متنافرة تضطرم في صدرها نار البغضاء، فان قادة النازية لا يعملون على نشرها بين افراد شعبهم الا لهذا السبب نفسه، كي يثيروا بها كبرياء العنصر وحقد الجنس وجنون السيطرة .

العنصرية افظع اشكال الاستعمار ، تثير حقد الفاتح على الشعوب الضعيفة ، وتقضي على امل هذه الشعوب بالتحرر . وهي تنكر المبادىء الانسانية الداعية الى الرفق والاخاء والمساواة ، فتعامل ابناء المستعمرات باقصى ما يمكن من الارهاب والعنف ، وكثيراً ما سمعنا هتلر الطامح الى بناء امبراطورية جرمانية عظمى ، يصرح بان الامبراطوريات لا تقوم على سياسة اللين والتحالف ، بل بحد السيف . وقد قال لروشننغ يوماً : « نحن بحاجة قصوى الى اراض جديدة ، فيجب ان نصبح دولة استعمارية قوية . واياك ان تعتقد بان النازية ستتخذ من الامبراطورية الديمقراطية نموذجا تحاكيه في بناء امبراطوريتها المقبلة ، فان هذه الامبراطوريات قد سرى اليها الانحلال واوشكت على الزوال ، اذ اصبحت المعاني الانسانية مفضلة فيها على سياسة القوة والجبروت . ولسوف تندم الدول الديمقراطية على تسامحها مع الشعوب التي تحكمها ، لان سياسة الرفق ستفقدها امبراطوريتها الواسعة . ان انشاء امبراطورية متينة الدعائم لا يتم الا بالنار والحديد ، في بحار من الدماء تريقها الارادة الجبارة ، وعلى جثث الملايين تودي بهم قوة طاغية لا تعرف الرحمة .»

وقد اصدرت مطابع كارفور في سنة ١٩٣٧ كتابا للكاتب الالماني الحر برونوفري بعنوان « الخديعة الكبرى » فضح فيه استعدادات المانيا للحرب واعدادها جيشاً من الوحوش لا يعرف الرحمة ، وقال ان العالم سيرى في هتلر عما قريب طاغية لم يشهد التاريخ مثيلاً له الا جنكيز خان الذي اجتاح الشعوب الضعيفة كوحش ضار ينشب مخالبه في عنق فريسته ولا يدعها حتى تنزف آخر نقطة من دمائها . لكن العالم سخر يومذاك من برونوفري ، وابى بعض الساسة الا ان يصدقوا « الخديعة الكبرى » التي تصور زعيم الريخ في صورة المنقذ لالمانيا من الفوضى السائدة فيها .

وقد نقل مؤلف «الخديعة الكبرى» في كتابه مقالا نشرته جريدة Deutschewehr في عددها الصادر في ١٣ حزيران ١٩٣٥ بعنوان « غروب شمس الآلهة » جاء فيه : « ان كل ما كان مستحيلا في الماضي قد اصبح اليوم هيناً ميسوراً . وغداً عندما نسير الى هدفنا لن يعترض طريقنا شيء الا قوضناه . وبضربة واحدة سنحطم العمود الفقري لشعب برمته فنحيله الى رماد . سنبيد اعداءنا دفعة واحدة لان الحرب القادمة لن تعنى بالاجزاء بل ستعنى بالكل »

عرض المؤلف هذا المقال الذي يخيل اليك ان كاتبه يشهر مدية في أعين القارئين ويصرخ بهم دون حياء : انظروا كيف نذبح العالم ثم نعته بالجنون . ولكن الواقع اثبت انه لم يكن الا حقيقة مؤثرة رأينا مصداقها في الاهوال التي حلت بالشعوب الضعيفة اذ اجتاحتها الجيوش الالمانية الباغية فطحنتها طحن الحصيد .

قدري قلعجي

دمعة

●

سيلي على خدودها الناعمة ،
يا دمعة الوجد ،
صافية كالقطرة الحائمة
في مبسم الورد

●

وعندما ، من يأسها ، ترتمي
عفواً على صدري
لا تعلقي ، في طرفها المظلم
واجري الى النحر

●

يا تذوب الأنجم الزاهرة ،
في خاطر الفجر
تناثري من عينها الساهرة
كالانجم الزهر

●

لكن متى ، دمعتك الحائرة
تعصي فلا تجري
لا تحبسي أنفاسك الفائرة
واغفي على صدري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ألم!

رحماك يا طبيب
مالي سوى حبيب
ربي ابتلاه بداء
يعز فيه الشفاء
ورغم هذا الشحوب
يضوع مسكا وطيب

رحماك يا طبيب
خفف عن الحبيب
فداوه الاليم
أقسى من الجحيم
وجسمه الكليم
أوهى من النسيم

بالله يا طبيب
خبر عن الحبيب
هل لا يزال النحول
يذيب جسماً جميل
كل الاماني لديك
تذوب بين يديك

روحي معك
يا طبيب
سل مبضعك
كيما يداري الحبيب
مالي سواه
روحي فداه

غطوس الرامي

ادب النساء

بقلم السيدة وداد سكاكيني

◆

منذ احسّت المرأة اشراق الفكر في عقلها ، ورهافة الشعور في قلبها ، اخذت تاوح في آفاق الدنيا تباشير ادبها • على انها وهي في غثاثة الفكر وضآلة المعرفة في بداوة الامم وجهالتها كانت وهي تهزّ المهد تنشد الاهازيج وترددها ، فيها الحنان على الوليد والحنين اليه ،وفيها الدعاء له والامل المعقود عليه • وكانت العجائز في هذه الفترات الساذجات يتجاذبن على هامش الاحداث والانباء جوامع الكلم ، وامثالاً يرتجلها ذكاؤهن ارتجالا ، او يروينها ويتبادلنها ، فيها الموعظة البالغة والعبرة القاسية والشماتة الهازئة • ولما تقلبت الامم في ادوار الحرية والمعرفة واطوار الحضارة والثقافة ، كان ادب النساء في تطور وتجدد ، فجارين الرجال في التعبير عن خطرات نفوسهن وخلجات قلوبهن ونزعات تفكيرهن • افما كانت سافو شاعرة الاغريق ضريعة لشعراء عصرها ، ان لم تكن ثالثة ثلاثة بين شعراء الغناء عند اليونان ؟ ولولا نزق لعب بعقلها لما ارتمت على البحر من شاهق ، ولكانت وحدها درة الادب النسائي القديم •

وتعاقبت على ادب النساء عصور متفاوتة الالوان والوجهات حتى اوفت امم الغرب على ذروة البعث والمدنية وانبسطت لها آفاق العلوم والفنون ، فكانت نساء الفرنسيين اكثر نساء الغرب استمتاعاً بمباهج الحياة وثمرات القريحة والروح ، فاستوفت طائفة منهن حظوظهن من الذوق ، والظرف ، والادب ، واقمن من بيوتهن الرفيعة مثابة لأهل الفكر واندية لرجال السياسة ، فكن ينشرن آثارهن في الصحف ، ويقرأن ما يكتبن على من يختلف الى مجالسهن العامرة حتى كثر عدد الملمات بالادب ، والمنتميات الى اهله • اما اللواتي كان لهن من الفطرة الملهمة ، والثقافة المكتسبة ما جعل منهن كاتبات ومفكرات فهن قلائل يذكرهن تاريخ النهضة الاوربية الحديثة بزهو واعجاب ، وفي حقبة ادبهن النضير لمعت السيدة دي سيفينيه المشهورة بادب الرسائل والتي كان بهوها موئلاً لاهل الفنون ، ونشأت السيدة دوستال فألفت كتابها « كورين » • ونبغت جورج صاند فأنشأت الكتب الطريفة منها اثرها المسمى « هووهي » كشفت به عن زهرات ادب حي لا تجنيه الا المرأة لانها اعربت فيه عن نفسها وعما وقع في نطاق حدسها وسياق حسها •• ولسوف يبقى على الزمان ذكرها مقروناً بالمياسم النسائية الصحيحة • ولقد استوت بعدها على أمد الادب النسوي الشاعرة الكونتيس دونوايل التي كانت تمثل الالهام بشعرها ، وترسل قصيدها كما ترسل العنادل اغاريدها ، وما تزال السيدة كوليت اديبة العهد الفرنسي الحديث •

وفي عرب الجاهلية والاسلام بدرت بوادر ادب نسائي جميل ، اخذت سلائقه وبديهته تلح في الظهور في غير تنطع ولا ادعاء ، حتى انبثق منها ادب مرموق ولكنه لم يكن متسع الحدود مترامي الاطراف او على شاكلة الادب الذي ابتدعته نساء الغرب ايام الترف ، والتجديد ، والاستقرار • وكيف اتفق الامر فأدب نساء العرب اكثر ما يتجلى في الشعر الذي كن يطارحنه الشعراء والنقاد في الاغاني والاسمار والذي كان يتفجر من قلوبهن المحروقة في المآسي والرثاء ، ولا ادل على ازدهاره من نقدات بنت الحسين في زهوة الحضارة الاموية، وندوات بنت المستكفي في عهود الاندلس المشرقة • اما ادبهن العربي الحديث الموسوم بخصائص الانوثة ، النضّاح بثقافته وسماته ، فقد ظهر نباته مع باحثة البادية على ضفاف النيل ، وأمرع ، وأزهر في ادب الانسة مي يرحمها الله ، بيد انه لا ينبغي ان نقارن ادب هاتين النابغتين بادب من سبقهن من كاتبات العرب في العصر الغابر على قربه منهما • فوردة اليازجي اللبنانية ، وزينب فواز العاملية ، وعائشة تيمور المصرية ، كان ادبهن في قيود الزمان ، وحدود المكان ، وتكاد تنحصر آثارهن النثرية ، والشعرية ، في الرثاء ، والاماديح والمواعظ الاخلاقية • ولكن ليت شعري ما هو الادب النسائي المنشود؟ هل هو ان تكون المرأة مثقفة كالرجل المثقف؟ فاذا خلقت واعية ذكية او تمرست بالصحافة كانت ذات ادب نسائي ؟ او ان كثرة المتعلمات والمعلمات ، والمثقفات ، والمحدثات ، هو الادب الذي اريد ؟ كلا ، ليس هذا ما ابتغي •• وانما ادب النساء هو في تلك المقولات الشعرية ، والرسالات النثرية ، والالواح الفنية ، التي تعبر فيها المرأة الكاتبة عن دخائل نفسها وخفايا حسها ، وعبقرية جنسها، في بيئة الخطرات النسائية التي لا يتسنى للكاتبين ان يعيشوا فيها، او يشعروا بها، او يمارسوها • هو في المواهب الذرية المصقولة والافكار المحررة من اصفاد أحكمت وثاقها الايام، ففكت بقوة النفوس العلوية الطيبة ،

لتطل على مجتمع النساء المحروم ، فتمده بالضياء والرجاء ، وتوقظ فيه الارواح النائمة او الخانعة في ظلمات اليأس والجهل والهموم .

هو في تصوير الحياة النسائية المبهمة والعادات المحجوبة عن الرجال . فأي كاتب مهما بلغ وعيه واستفاض وحيه يستطيع ان يحيط باسرار النساء وهي عندهن في آبار عميقة وتحت حجب صفيقة ؟ فكثير من احاديثهن لا يفضين به الى الرجال ولا يقدر على ان يستاسه منهن الا الكاتبة . فسر السحر ، والتعاويذ ، وضروب الكيد بينهن ، والحسد ، وستر المناكر ، وتزوير الجمال ، كل هذا في عالم النساء ، لا يقيّض للكاتب ان يجول فيه . اما الكاتبة فلها فيه جولات مجليات ، فلو سئل اديب منا ان يكشف الغطاء عن صور من اعراسنا الغابرة والمعاصرة أكان يبدع في صنعه كما تبدع الاديبة ؟ وقد تخطئه الطرائق والظواهر ولا يتيسر له التدسس الى بواطن النساء . ولو تصدى قاص من هذه الديار فأنشأ قصة سماها « حمام النساء » أكان يستطيع ان يصف هذه الحمامات الشامية ذوات المقاصير والاجران المقسمة الى « جوّاني » و « برّاني » والمصاطب التي تصطف عليها النساء ومعهن الصور المزركشة ، وبأرجلهن القباقيب العالية او الواطية ، كل منهن تمسك بولدها او تنادي جارتها وقريبتها ، وثمة معلمة الحمام على اريكة ناشزة متكئة على وثير الحشايا تقيس الداخلات بالنظر وتستقبلهن بالترحاب وتجبي الاجور من الخارجات وتشيعهن بالتحيات . لا جرم ان هذا القاص الذي يتوسل بادبه الى تصوير ناحية من حياة المرأة ظاهرة او باطنة انما يستوحيها ويستمد لفنه افانين التعبير عنها من ذكريات له بعيدة حين كانت امه تأخذه الى الحمام معها بعد الظهيرة ، او انه يتصور مجالي الحمام مستعيناً بنفاذ بصيرته وامتداد خياله على اجتلاء ناحية لا يعرفها ، والخيال وحده في الادب لا يكفي لانه يشرد احياناً ويجمح ، فيجني على الحقيقة وعلى العيان ، ويشذ عن دنيا الواقع وشرائط الفن . على انه لم يخل ادب كاتب شرقي او غربي من ذكر النساء ، ومنذا الاديب الذي خلا ادبه من تشريح المرأة او تجريحها ، او التلميح عنها ؟ وكل ادب تجافى عن مناهاها هو ادب جاف بغيض ، ولو عرضنا على النقد والفكر ما جرت به اقلام الادباء لما كان على الاديبات ان يتناولنه باقلامهن لرأينا فيهم من حاد عن حق ، وجار على قصد ، وسخر منهن عداوة وحقداً . غير ان بيئات النساء عندنا على الرغم من انسلال الحضارة اليها ما زالت مكتمة الانفاس ، مهيضة الجناح لا تستطيع الكاتبة فيها — اذا وجدت — ان تعلن مشاعرها الصادقة على ضوء الحرية التي يكتب الرجال في امنها ونعمتها ، ولذلك كان الكاتبون في ادبهن يخوضون ، وباساحته يسرحون ويمرحون ، وهذا ما اخذه منذ اسابيع على المعلم الاكبر طه حسين تلميذه الالمعي زكي مبارك فقد عاب هذا الناقد على اديب المصريين ان يكتب قصتيه الحديثتين « دعاء الكروان » و « الحب الضائع » على لسان امرأتين ، وكان على طه حسين بزعم زكي مبارك ان يكتب عن الرجال لا عن النساء ، وقد فاته ان الاديبة العربية الحديثة مهما بلغت بلاغتها ومهما اتاها الفن والبيان فان تبز طه حسين في قوة الاحياء والابداع ، فهو جدير حقاً ان يكتب باسمها ، وقدير على ان يصور نفسها بما تحجم هي عنه او بما لا يتاح لها التبريز فيه والمرأة العربية قريرة العين طيبة النفس على كرّ الزمان بهذا الادب الناضر الساحر الذي ينطق بلسانها فيه صاحب « الايام » . من هذا الباب استطاع ناقد ان يدخل على ادبي حين احرزت جائزة القصة في المسابقة الاولى التي اقامتها منذ خمس سنوات جريدة « المكشوف البيروتية » ، وكان موضوع قصتي عن رجلين كاد يضل احدهما فأرشده الثاني ، فأبى عليّ الناقد ان اخوض ناحية خافية في ادب الرجل فلم ير رأيه نقادة آخر اذ قال لي مشجعاً ومؤيداً : — انت اعلم بنا من علمنا بانفسنا ... ثم اعرضت بعدئذ عن اشباه ذلك الموضوع ، وحبست قلمي عما يبدع فيه الكتاب ، فمددت عيني الى ما يعج في حياتنا النسائية الجارية من مشكلات وعيوب مرسلة ادبي على سجية في انشاء الاقاصيص التي تختص بادب المرأة ، وتشتمل على ادق طواياها . ولا ريب في ان ندرة الادب النسوي الصرف مردها عندنا قلة الكاتبات الموهوبات . فلو ان بيئاتنا المنورة منبسطة الآفاق ، وضاحة المعالم ، قوية الاقلام ، لقلنا بان يختص كلا الجنسين في ادبه وان يقتصر عليه وحده . اما وادب المرأة المعاصر ما زال مضطرب الملامح قليل المحصول والمنتوج ضئيل الالوان ، فلا تثريب على ادباء الرجال اذا تناولوا بعضه بالوصف . والنقد والتصوير ، فاذا قوي هذا الادب بطول الزمان والمران وخلينا بينه وبين حرية مهذبة الاعطاف ، مأمونة العاقبة ، وضجت فيه امور كانت خافية ، وصقلت به اذواق كانت نابية ، وتسامت من اجله نفوس نحو المثل العليا . واحسب ان الدنيا متى هدأت واستقرت ستنتهي المرأة في بلاد العرب الى ادب خاص جزيل يستقل بفنه وحصاده ويتزيا بازيائه الصحيحة فيزدهر بجدته وانوثته ويساهم آداب الرجال بتبليغ رسالة الخير والجمال . ومهما تحامل عليه المكابرون بعدئذ فلا بد من رجعة لهم الى الحق ، فيقولوا اذا قرأوه ما قال الفرزدق حين سمع شعر المخزومي عمر بن ابي ربيعة : « هذا والله الذي كنا ندور عليه فأخطأناه واصابته هذه المرأة . »

دمشق - وداد سكاكيني

الخـــــــوف

بقلم سرجيل ادريس

◆

لم اكن اعدو العشرين من سني ، اذ خرجت يومذاك ، ابغي تفريجاً للنفس — انٍ اقوم بنزهة طويلة ، ولعلني كنت ارسخ ما اكون اعتقاداً باني شاب ، اعني انني كنت على يقين وثقة ان لن اواجه الحيـاة — حين اواجهها — بمثل ذاك المرح المشار ، والحبور البسام ، وبمثل ذاك الرجاء الغضير ، والامل الرفّاف ..

ولعل الذي طبع تفكيري بهذا الاعتقاد ، هو انني كنت من الصبا في مطلعه ، ومن الشباب في مقتبله ، وان احـدنا — شابا — يمنح من الحرية مما لم يمنحه صغيراً .. واذن ، فان ذاك النطاق الذي ضرب عليّ ردحاً من الزمن طويلاً ، قد نزع الان ، وانحلّت عراه ..

ولن اكتم احداً انني سلخت في تلك القرية شهرين متتابعين ، في وحدة يسبل عليها التفكير الهادئ استاراً من الحنين والاشراق ، وفي عزلة تضني عليها الطبيعة المفتان اثواباً من الغبطة والجزل .. ان هو الا الشباب في مطلعه .. — هدوء ترفّ الاحلام على ارجائه الفسيحة ، وسكون لا يعكّر صفوه الا ذاك الهمس الخافت ، همس الرجاء الغضّ ، والامل الخضيل . ولكني لن اعدو الحقيقة حين اقول انني شعرت بحنين لم اشعر به ينغّص عليّ هدوء التفكير، وسكون الطبيعة .. فهل تكون تكشّفت لعيني — انا الشاب — مجال بديعة ما حلمت بها من قبل ؟ او يكون انحسر لروحي مهوى جديد لا عهد لي به ؟..

ان هذا الحنين يتنازعني لابتعد قليلاً عن داري التي ركنت اليها ، وطويت في كنفها اياماً قد تكون رخية ناعمة في حينها ، واغلب ظني انها ليست بعد كذلك ، انه « شيء » بعيد يجتذبني اليه ، يدعوني الى الدنو منه .. واقول « انه شيء » ، لانني لم اكتشف آنذاك هويته .. فهل يكون جلموداً اصمّ ، ام غنية شجراء ، ام مياهاً متفجرة ، ام هو اخيراً شبح .. شبح متنكر ؟

وايا ما كان ، فقد استسلمت يومئذ الى اهوائي ، وأرخيت لرغباتي العنان ، فأزمعت ان اذهب . ان ابتعد قليلاً .. وتعمدت حين غادرت داري الا اصطحب بعينها ، فقد بغيت ان اطلق لنفسي كامل حريتها ، فأقصد انى يـلذ لي ، واعرج الى حيث اروم . بيد انني عزمت ان ازجي هذه الساعات الاربع من بعد الظهر ، منطلقاً الى حيث تستقر قدماي ، حتى اذا آذن المغيب ، قفلت الى داري .

وابتعدت رويداً رويداً ، ودلفت الى الغابات سعيداً انني شرعت ابتعد عن الدار التي آوتني ، وحجبت عني وشاح النور .. النور العبقري الصافي .. وأخفت عليّ صوراً لئن كانت قديمة مبتذلة في داري لقد احسست جدتها في تلك الغابات البعيدة ، حيث يسمع الانسان صوت .. السكون .. السكون الرهيب ..

وما زلت اغذ السير مستحثاً خطاي بغية في ان اقطع شوطاً ابعد ،والشعور يختلف عليّ بين غريب ومعهود ، حـتى بلغت كثيباً مرتفعاً ، اشرفت منه على قرية صغيرة .. هادئة تنتشر فيها بعض الدور تنم عن آثار النعمة والترف . وكان منظراً مونقاً اثر في نفسي أي اثر ، وبعث فيّ فكرة بكرا .

شعرت لاول مرة ان في الدنيا ما يصبى اليه مدى الحياة ، وانما هو في حقيقته حلم حائر يرف فوق الضمير رخياً ناعماً .. وكثير هم اولئك الذين يعيشون بالاحلام ، فما يستفيقون من سكراتها اللذة الا حين يمر بخيوط احلامهم الدقيقة نسم من

انسام الواقع فيبدّدها شعاعاً ..

ونظرت ، فألفيت القرية قاصية لن تبلغ بيسير وقت . فهل اعود ادراجي مجتزئاً بما قمت به ؟

لعلني حظيت بالتفريج الذي التمست ، ولعله سرى حقاً عن نفسي ، ولكن هل يقنع امرؤ بما طلب وهو يرى امامه مجالاً للاستزادة ؟.. ان في طوقي ان استطلع مجالي اخرى تحبر النفس وتمسّ الروح بفتنة جديدة ، وان استقرىء صوراً غير تلك ، تبهر الحواس ، وتستبعث السحر ، فهل استأنف السير قدماً ، ام ارتضي القفول ؟

وحين نظرت الى ساعتي فألفيتها الرابعة،احسست نوراً جديداً ينكشف كبيراً مسترسلاً ،فتتشعب شعاعاته وينفذ الى قلبي فيترعه ، ثم ينخطف فجأة ، فيتسلل امامي ، تتضاءل شعاعاتـه .. وألفيتني انقاد طموعاً يحدو بي شوق جديد ، ويدفعني حنين مطّرد ، الى بلوغ القرية .. هذه القرية الصغيرة الهادئة هدوءاً يختلف عن كل هدوء ..

وقلت في نفسي : « سأكف اذ احاذي الدار الاولى ، تلك الدار الجميلة التي تشبه مقصورة خضراء عبرت بالمخيلة مرة واحدة طوال العمر .. وصورتها التي نزلت من نفسي منزلاً مرضياً الجأتني الى مضاعفة الخطو . وألقيت بنظرة فاذا الدار تجلى لعينيّ رويداً ، وتبين معالمها ، وتمتاز آثارها .. فثمة حديقة خضراء تحف بهـا ، يتوسطهـا حوض كبير تقطر المياه فيه ملتمعة .

واما الان ، فلا يفصلني عنها سوى حقل واحد لم تقطع سنابله بعد . وسنحت مني التفاتة الى الحديقة ، فأبصرت طفلاً صغيراً تلوح مظاهر التدليل على ثيابه وكل ملبسه ، بله وجهه الغرير . ولكنني ما كدت اتبينه جلياً حتى تركتني رؤيته اعتقد ان الجمال الذي كنت احلم به غثّ لا قيمة له .. كان ينعم بانشودة ابدعها عقله الساذج ، فرددها فمه الصغير نغمة علوية ، رتيبة ناعمة ، وخلع عليها ذوقه الموسيقي انغاماً والحاناً حائرة ..

لقد بلغت الدار المنشودة ، ورأيت ان اصبو الى اكثر من ذلك ؟. ان تلك الرؤية وحدها تعدت منتهى احلامي الذهبية ، فليس علي بعد الا ان اعود .. وسرعان ما احسست بالظمأ . وخيل اليّ اذ ذاك انني اسمع خرير نبـع صغير ليس عني ببعيد . وكدت اعتبر ذلك من خداع الحدس لولا ان الق المياه خطف بصري .. حقاً انه لنبع صغير تجري مياهه خلف الدار ، فلاعج عليه .. ولأرتشف من مياهه . ونظرت ، فرأيت ممراً ضيقاً يحاذي الدار،ويشرف على الداخل من نوافذها ، وهو يغضب تواً الى النبع فدلفت اليه .. وسرت خطوتين ، وحاذت مني التفاتة الى نافذة مفتوحة المصراعين ولم اتقدم قيد شعرة .. ابصرت جسداً فتياً . فتاة متمددة على سريرها ، مغمضة العينين ، يهوم عليهما الكرى .. كان شعرها الضارب الى الشقرة مسترسلاً منثوراً على الوسادة خلف رأسها ، وكانت اشفارها الهدب ترسل ظلاً حنونا ناعماً حول معاقد جفنيها .. اما عيناها .. فلم ارهما .. لم ارهما .

وذلك هو النبع امامي تترقرق مياهه هادئة هدوء النسيم في ليلة اضحوان .

وآنذاك ، لم احس الصدى .. ذلك لان المياه على قاب قوس مني .. اراها بعيني .

*

نظرت حولي اذ بلغت ذلك المكان الموحش بعد ان سرت سيراً طويلا .. حثيثـاً . لم ار شيئاً انه سهل فسيح لا شبح لصخرة ، ولا ظل لشجرة . وكان الليل يغمرني كثيفاً صفيقاً . ولم استطع الا على نور شعاعة صفراء تتحلب من وراء الجبل ان اعرف الساعة .. انها الحادية عشرة والنصف .. واين انا ؟؟

انى لي ان ارقى هذا الجبل السامق الذي ينتصب في منتهى السهل ، وقـد بلغ مني النصب مبلغه من الجندي المتحطم يتكلف الزحف على مشقة لينتهي الى معسكره . لم اكن في حيرة من امري .. انما كنت وشيكاً ان افقد الرشد . وقبل ان ابلغ السهل الفسيح الذي يحجب القرية الصغيرة ، التفت لفت البيت ، فاذا نور قـد انبعث من النافذة عذبا لطيفاً .

لقد استيقظت ..هي ..

وطفقت بعد ذلك اجوز السهول ، واعلو الكثبان ، على غير ما هدى او وعي ، لم يكن المهم ان ابلغ داري .. بل كان ان ابتعد عن تلك الدار ، ما استطعت الى ذلك سبيلا ، ولم استند الى جذع تلك الشجرة الا بعد ان وهنت قواي . ولست ادري كم لبثت هناك .. كان كل ماحولي يحماني على التفكير على رغم مني . اما انا فلم ارم ان افكر لحظة واحدة . ولهذا كان تفكيري مبهما مستغلقاً .. كان مزاجاً من الاحلام المدهشة الغريبة والمعاني المتهافتة الحائرة . تلك كانت زبدة الافكار ..

وهل يكون اثر الجديد بالغاً الى هذا الحد ؟

واخيراً حين نظرت الى ساعتي كنت على طريق قريتنا .. وثمة اوتيت من النشاط ما لم اوت قط .. ثمة احسست بالاطمئنان يهيمن على ارجاء نفسي ، ثمة شعرت بالدعة تملأ فؤادي .. لم تعد بعيدة عني ، تلك الدار التي آوتني لتحجب عني وشاح النور .. النور العبقري الصافي ..

وها هوذا الممر الذي يفضي الى دارنا .. ولكن من هـذا الشبح العملاق الذي يرود امام عتبة البيت ؟ أسارق هو؟ .ولكن انى لي ان اجبهه ان كان هو ، ومدخر قوتي يتبدد هباء ؟ واذن ، فلا مناص من الاستنجاد بالصراخ .. وسيستيقظ شقيقي ، فيقبل يسأل ما الخبر ..

وكدت ابدأ بالصراخ ، حين شعر الشبح بوجودي ، فالتفت الي على مهل .. وفي ظلام ذلك الليل الحالك ، يحدق الشبح ، فينفذ بريق عينيه الى شغاف قلبي ، ويتقدم خطوتين على هينة ، ويبادرني بهذه الكلمات الثلاث :

— الى اين ذهبت ؟..

فاختلجت اختلاجة المتهم قبل القصاص ، وملكتني رعدة هزت كياني هزاً ، واخذت ارتعش رعشات قوية صببت من جبيني العرق ، واذ ذاك فحسب ، سمعت خفق قلبي يتناهى الى سمعي شديداً مصديا ..

تقدم الشبح مني ، وامسك بذراعي ، وقادني الى الدار كما يقود اب رشيد طفله الغرير ، ودلجنا ، ثم اغلق الباب خلفنا ، وتركني على مقربة من باب غرفتي ، ودخل الى غرفته ، فاستلقى على سريره .. وراح في نوم عميق هادىء .

قبل ان آوي الى فراشي ، اعني حين وددت ان انزع ثيابي ، فاضأت المصباح ، ذكرني شعاعه المتأيل نوراً عذبا يتحلب من نافذة .. من نافذة فتاة .. قد استيقظت .. فلذني ذلك ، وحملني الى اجواء تعبق بالسحر والفتنة ، وتفيض بالاحلام والاماني ، ولكن هذه الذكرى سرعان ما قرنت بصورة شاب في مقتبل الشباب ، ومطلع الصبا ، يغذ في السير عبر حقول وسهول وجبال ، مرتعش الكيان ، جازع الفؤاد ، يسوقه الرعب سوقـاً الى داره الحبيبة ، حتى اذا بلغها ، لمح شبحا يرصده .. ولم يكن الشبح غير شقيقه ..ولعل كلماته الثلاث التي هزت كيانه وصببت العرق من جبينه كانت ذكرى مروعة لا تقاس وقائع القصة اليها في الروعة والخوف .. ذلك لان كل شيء له صلة به قد رددها .. رددتهـا الدار الحبيبة ، ورددها الجو الذي يحوطها ، ورجعها ذلك الظلام الدامس الذي كان يرقبه حين ياوي الى فراشه .. كل شيء .

— الى اين ذهبت؟ ..

اما اليوم ، فاذ اخلد الى غرفتي في كل مساء ، وقبل ان استغشي الغطاء لاسلم لكرى جفني ، اتخيل مقصورة سامقة رائعة ، ينبعث منها نور عذب صاف، اذا « فكرت » في الدنو منه احسست حره يلفح وجهي ، بل يلفح ضميري ووجداني، وان انا مكثت عنه بعيداً ، استشعرت لذة الحلم البعيد .. الحـلم الذي ينبغي الا يدرك .

سهيل ادريس

اغنية الشاطىء

●

قومي الى اليم الضحوك ففيه احلام الحيارى
يستوعب الدر الثمين ويكتم الوجد المثارا
قومي نجد في الموج اغنية تغنيها العذارى
فيها الحنين المستكن يجن في الليل استعارا
سكران من صور الحياة تلذه رؤيا السكارى

*

والموجة العذراء تحملنا الى الشط الفتي
فنعانق الرمل المثير بخافق النغم الشجي
وتداعب الامل المطل على الغمام السرمدي
دنيا الشباب تضمنا والعمر في كف رضي
ترمين بالنظرات حائرة من السر ... الخفي

*

واتم آلآهات في رفق وانت على ذراعي
وتغمغمين من الحديث الذ ما يذكي سماعي
الحب والدنيا ونحن وما يطل من الشراع
سكرى من الالحان يسكبها بتحنان يراعي
وبقلبي الخفاق بين يديك في حال النزاع

وتلوح في الافق البعيد دنى يلوحها الفراق
فيرف جفنانا على وجل ويطوينا العناق
ويمر في افكارنا الماضي على فمه احتراق
يوحي لنا الذكرى وللذكرى جموح وانطلاق
نبكي ونضحك للغد المجهول يغرينا اشتياق

*

شبحان نحن وللهوى القلبان اجنحة وظل
لا تجزعي يامنيتي ان الزمان رؤى تضل
نامي على صدري فني صدري الاماني تستظل
انا شاعر الاسرار انشرها على قبس يطل
هاتي الفم المعسول ينعشني وهاك فماً يبل

*

هذا الزمان خطى سنخطوها ونفنى
وتحط فوق جبينه انفاسنا سحرا وفنا
وتردد الاجيال اشعاراً لنا لحناً فلحنا
لاترهبي القدر اللعوب فانه غفلان عنا
ما دام في الحب الاريج فلن ينال الدهر منا

أحمد عبد الجبار

فضل العرب على العلم

بقلم الدكتور فيليب حتي

في الحضارة العربية

في نيويورك مجلة انكليزية تدعى « نيرايست سرفيس » نشرت مقالا للعالم اللبناني الدكتور فيليب حتي استاذ الاداب الساميّة (بتشديد الياء) في جامعة برنستون الشهيرة في اميركا والموكولة اليه مراقبة القسم الشرقي في معجم وبستر قبل طبعه الجديد . وقد عرّب هذا المقال وعلق الحواشي عليه الاستاذ امين الغريب .

« الاديب »

كلما وردت على الالسنة كلمة «عرب» ساقت الى الاذهان فوراً ذكريات الجمال والخيول والحرم والازوار(١) . اما العلوم والفنون والاداب وسائر مظاهر الثقافة العليا فقليل جداً بين مستعملي كلمة« عرب» من يرون لها صلة بها . والحال ان الشعوب العربية اللسان ظلت نحو خمسة اجيال من القرون الوسطى اوسع امم الارض عرفاناً واوفرها علوماً . وكانت لغة الضاد اداة للتعبير عن اسمى الافكار وارقاها في آسيا وافريقيا واوربا . ومن اواسط القرن الثامن الى اوائل القرن الثالث عشر ظهرت كتب عربية تبحث في الفلسفة والتاريخ والجغرافية والآداب والعلوم اكثر مما ظهر في اية لغة كانت حتى اللاتينية .

ولا يتعذر علينا تعليل ذلك . فقد كان العرب في اوائل القرن الثامن اسياداً لدولة مترامية الاطراف اوسع واعظم من دولة الرومان في ريعان صولتها . وانبسط سلطانهم على ميدان جغرافي منيع يمتد من غرب اوربا الجنوبي مخترقاً افريقيا الشمالية ، وآسيا الغربية ، الى داخل حدود الصين . وهكذا تحولوا تدريجاً الى وراث لجزء على الاقل من الثقافة الساميّة التي تأصلت ونمت في بابل ، واشور ، وفينيقية ، وفلسطين ، وغيرها من مناطق الهلال خصيبة .

ثم انهم استوعبوا المزايا البارزة في حضارة اليونان ، والرومان ، كما لقوهـا في بلاد الشام ، ومصر ، والعراق ، وفي العهد الذي انقضى بين سنة ٧٥٠ وسنة ٨٥٠ للميلاد نقلوا الى العربية بطريق اللغة السريانية معظم كتابات اليونان الرائعـة في الطب ، والفلسفة ، والرياضيات ، والفلك . وكان معظم اولئك المترجمين من مسيحيي الشـام المتقنين للغتين العربية ، واليونانية ، فضلا عن لغتهم الاصلية السريانية . اما العرب انفسهم فلم يكن بينهـم من يعرف لسان الروم .



الرازي

وكان زعيم المترجمين في تلك الحقبة رجلا نسطوري المذهب يدعى حنين بن اسحاق (ولد سنة ٨٠٩ ومات سنة ٨٧٣) ويعرفه الافرنج باسمه اللاتيني جوهانيسيوس . فهذا وزملاؤه ترجموا الى العربية اكثر كتب ارسطاطاليس وافلاطون وجالينوس وكان عقل حنين من ألمع العقول في القرن التـاسع للمسيح . كما تعد اخلاقه من اعلى الطبقات في ذلك العصر . ومن قلمه السيّال تحتفظ مكتبة جامعة برنستون بكنز ثمين بين اعلى مخطوطاتها قيمة . وهي نسخة نقلت في القرن الثاني عشر عن ترجمة حنين لكتابات جالينوس الطبية تسبق في القدم اية نسخة من الاصل اليوناني او اللاتيني باقية في الوجود ، وتشتمل على مواد غير واردة في نص آخر من

على اساس هذه الثروة العلمية التي وضع معالمها جهابذة الروم ونقلهـا عنهم الشاميون الى لغة العرب قام صرح العلوم العربية شيئاً فشيئاً مستنداً الى دعائم قوية ٠ وكان مهندسو هذا الصرح الادبي ، في الغالب ، رجالا من البلاد المفتوحة يعملون تحت رعاية الخلفاء ٠ فما نعنيه اذن بقولنا « علوم عربية » ليس في الواقع كناية عن معارف معينة جلبهـا المسلمون من شبه جزيرة العرب — اذ لم يكن هنالك شيء من هذه المعارف ، لكنها مجموعـة تعالـيم رتبها ونسقها افراد شاميون ، وعراقيون ، وفارسيون ، ومصريون — ما بين مسيحيين ويهود ومسلمين — واثبتوها في اللغة العربية ٠

اما عهـد الترجمـة من اليونانية ، والسريانية ، والفارسية ، فتـلاه عهد التصنيف الذي اخذت فيه الشعوب المتكلمة باللسان العربي تنشر كتابات من وضعها وانشائها ٠ واكثر ما يصح هـذا في ميادين الطب ، والفلك ، والكيمياء ، والرياضيات ٠

ولاثبات ذلك يكفي بعض الامثلة : ان اول من استطـاع في تاريخ الطبابة على الاطلاق ، ان يميز بطريقة علمية بين مرضي الحصبة والجدري ، كان رجلا من امـة الفرس يـدعى « الرازي » ولد سنة ٨٥٠ ومات سنة ٩٢٣ مسيحية ٠ ويعرفه الافرنج باسمه اللاتيني « رهازس » وقـد ترجموا بحثه في موضوع ذينك المرضين الى اللاتينية سنة ١٥٦٥ والى عدة لغات اوروبية فيما بعد ٠ اما الاصل العربي كما كتبـه الرازي فتـولى طبعـه الدكتـور كرنيليوس فان ديك اولا في لندن سنة ١٨٦٦ وثانياً في بيروت سنة ١٨٧٢ فكانت هذه الطبعة العربية الاولى احدى بواكر التحف العلمية من استاذ للكلية التي صار اسمها الان الجامعة الاميركية في بيروت ٠ اما اليونان فلم يكونوا يعلمون شيئاً عن الجدري(٢) ٠



ويعزى الى الرازي ايضاً اختراع الفتيل في الجراحـة لسحب الصديد والدم الفاسد من الجراح النافرة ٠ ولم ينحصر خصب عقله في حقل العلوم الطبية ٠ بل تناول الكيمياء والفلسفة ايضاً ٠ فنقل الافرنج اكبر اثر كتابي له في علم الكيمياء الى اللاتينية في مدينة طليطلة من اسبانيا في القسم الاخير من القرن الثاني عشر ٠ وصار هذا الكتاب المصدر الاول للمعارف الكيماوية في القرون الوسطى ، ومن باب الاحترام للرازي ، وهو احـد اوائل المفكرين واكابر المتبحرين في الاسلام ، ان صورته منقوشة على بلور احدى النوافذ في كنيسة جامعة برنستون ٠

اما اول طبيب اتضحت له بطريقة ابتدائية دورة الدم الرئوية فكان ايضاً طبيبـاً من الكتاب العرب دمشقي المولد يدعى « ابن النفيس » ٠ وقد اشتهر في دمشق والقاهرة ٠ ولم يكن هنالك شيء معلوم قبل عهد يسير عن هـذا الطبيب الممارس والمؤلف الذي مات في مسقط رأسه دمشق سنة ١٢٨٨ ميلادية ٠ مع ان هذا الوقوف على امره يعيد اكتشافه للدورة الدموية الى ثلاثة قرون قبـل ميخائل سرفيتوس البرتغـالي الذي درج الافرنج على نسبة اكتشافها اليـه سنة ١٥٥٣ (٣) ٠

وقد كانت لنا دهشة سارة في اكتشاف اثر كبير «لابن النفيس» ربما كان من خط يده في مجموعة عربية طبية خطية ارسلتها جامعة ستاتفورد منذ بضعة اعوام الى جامعة برنستون لاجل تنظيمها ٠

واول جرّاح ادخل طريقة التطهير بالنار الكاوية في الجراحة او اثبت هذه الفكرة وامثالها في فنه ، كتحطيم الحصاة في المثانة لتسهيل انزالها واوضح ضرورة التشريح لجسد الحيـوان الحي لاغراض علمية نافعة ، كان كذلك طبيباً عربياً اسمه « ابو القاسم الزهراوي » اشتهر في بـلاط قرطبة الاموي في اسبانيا ومات

سنة ١٠٤٣ للميلاد ، ويعرفه الافرنج باسمه اللاتيني « ابو القسيس » .

فقد كتب الزهراوي اطروحة طبية خص فيها المعارف الجراحية الشائعة في عهده وترجمت الى اللاتينية في القرن الثامن عشر في طليطلة ، وظلت مدى اجيال هي الكتاب الاصلي لتدريس الجراحة في جامعات سالرنو في ايطاليا ومونبيلية في فرنسا ، واكسفورد في انكلترا ، وغيرها من معاهد الطب الاوربية

وبواسطة هذه الترجمات لكتب الزهراوي ، والرازي ، وابن النفيس ، وغيرهم من مشاهير علماء الطب العرب كابن سينا (افيسينا) وابن رشد (افيرويس) ادخلت تعابير فنية عربية متعددة الى اللاتينية ، ومنها تطرقت الى معظم لغات اوروبا الحديثة(٤) ومن الامثلة على ذلك كلمات « جلاّب ورب » لعصير بعض الثمار المحفوظ ، و« سيروب » المحرفة من كلمة (شراب) التي تولدت منها كلمة « شربات » الانكليزية . وتشير كلمة « صودا » الى مادة جعلت دواء « للصداع » وهو الم يكاد يفرع الرأس ، كذلك « دوراماتر ، وبياماتر » ترجمتان لا تينيتان لكلمتين عربيتين تعنيان الانسجة والاغشية الدماغية ، ومن العلوم المتصلة بالطب اتصالا وثيقاً الكيمياء التي يدل اسمها على الصناعة العربية التي كانت اصلها .

ان ابا الكيمياء الطبية كان عراقياً اسمه جابر بن حيّان الذي اشتهر امره عام ٧٧٦ للميلاد والافرنج يعرفونه باسم لاتيني « جيبر » فلقد عرف جابر معرفة تامة اهمية الاختبار والامتحان وحسن اساليب التمحيص ، والصهر ، والاذابة ، والتبلور ، وتعزو التقاليد الغربية اليه اختراع بضع مركبات (بتشديد الكاف) كيماوية ، كما تنسب اليه كتابات لم تكن له يد فيها ، على ان كتاباته الكيماوية بدون جدال أبعد واقوى اثراً من كل ما نشر من نوعها في اوربا واسيا ، منذ القرن الرابع عشر الى عهد ارتقاء الكيمياء الحديث ومن التعابير العديدة التي انتقلت بطريق اللسان اللاتيني الى اللغات الاوربية من كتابات جابر وزملائه الكيماويين العرب نذكر كلمات « الكؤول ، والكالي ، واليكسير ، وانتيموني ، وآلمبيك » وهي (الكحول ، والقلي ، والاكسير ، والاثمد ، والانبيق اي الكركة) . ان بعض هذه الكلمات لم يكن اصله عربياً قحاً بل مستعرباً . وقد وجد له طريقاً بصيغته العربية الى الاسبانية ، والانكليزية ، والفرنسية .



وهنالك علم آخر لا يزال معروفاً باسمه العربي في جميع اللغات العربية تقريباً وهو « الجبر » . ان اول كتاب حمل هذا الاسم وضعه الرياضي الفارسي الشهور باسم الخوارزمي « الذي توفي سنة ٨٥٠ » هذا الرجل العالم قام بافضل اعماله في بغداد مقر الخلافة العباسية . وكان في التفكير الرياضي امضى نفوذاً وابلغ اثراً من كل كاتب آخر . وقد ترجم كتابه « حساب الجبر » الى اللاتينية في طليطلة ايضاً في القرن الثاني عشر ، وظل الى القرن السادس عشر معدوداً كتاب التدريس الرئيسي للرياضيات في الجامعات الاوربية .

هذا الكتاب لم يقف عند ادخال علم الجبر الى اوربا باسمه العربي . بل ادخل « الارقام » العربيه ايضاً ، ومنها الصفر ، وكان هذا الحدث من اهم الاحداث في تاريخ التقدم الفكري ، فلولا هذه العلامات الصغيرة البسيطة لما امكن تقدم الحساب والعلوم التابعة له كالفلك والكيمياء ، ولا بلغت مبلغها العالي فيما بعد .

ان المعجم الحسابي الحديث في اوروبا بالدين الذي يحمله في عنقه للعلم العربي فكلتا الكلمتين « زيرو وسيفر » متحدرة من

كلمة (صفر) العربية التي تعني « الفراغ ». و« سورد » في الجبر و« سبني » في الهندسة المختصة بمساحة المثلثات كلمتان لاتينيتان محرفتان من اصل عربي

وقد امتاز الخوارزمي في علم الفلك ايضاً ، وكان في مقدمة نخبة من الفلكيين والراصدين العرب الذين ترجمت كتاباتهم الى اللاتينية فكانت اساساً لهذا العلم في الاجيال المتوسطة. يكفي للدلالة على ذلك ان نستشهد باسماء الكواكب في اللغات الاوربية ولأكثرها اصل عربي واضح : العقرب والجدي والطائر والفرقد (٥)

وهنالك فوق هذا اوضاع فنية عديدة مشتقة من اصل عربي كقولهم « ازيموث ، ونضير ، وزينيت » (٦) تشهد بالدين الباقي للعرب على العالم الحديث وعلومه في اوربا واميركا

لكن هذا الدين لايمكن ان يقاس بالاعمال المحسوسة من النوع الذي تقدم ذكره ، بل ان له عناصر لا تقع تحت حس ولا ملمس ولا توزن ولا تقاس ، منها روح البحث الدالة على علم ، وهي تشمل البحث الدقيق عن الحقيقة ، والملاحظة الحساسة للامور الواقعية والظواهر ، ومحاولة استخراج النتائج وتمحيصها والاجتهاد والصبر ، والرحابة ، والامانة ، والنزاهة العقلية ، التي امتاز بها المتبحرون الاولون في الاجيال الوسطى والمؤلفون في فارس ، والعراق ، والشام ومصر ، والاندلس ، هذه المزايا العربية صارت على كل حال مباشرة او بالواسطة ، وعمداً او اتفاقاً ، جزءاً من التراث العقلي الذي تركه العرب للعالم الغربي

فيليب حتي

ترجمة امين الغريب

---

(١) جمع زير . والزير افضل ما رأيت لتعريب المعنى المقصود بكلمة « شيخ » التي يستعملها الافرنج بلفظها العربي للدلالة على محبي النساء من الشرقيين . والزير عند العرب هو محب النساء ولهذا لقب به ابو ليلى المهلهل .

(٢) على ان الجدري كان موجوداً عند الاروام بدليل ان امرأ القيس الشاعر العربي الاكبر الذي توفي ودفن في سفح جبل عسيب قرب انقره وهي وقتئذ من بلاد الروم انما ابتلي ومات بهذا المرض على ما يستنتج من وصفه . اما الرواية العربية القائلة انه حمل قميصاً مسموماً من قيصر الروم عند رجوعه من عنده ولبسه في الطريق فتقرح جسمه ومات بسببه ، فيرجح انها اسطورة خرافية ترمز الى ثور الجدري التي ظهرت على جلده ولم يعرف لها سبباً . ولما كنت منفياً في الاناضول اثناء الحرب العالمية الاولى حاولت الحصول على رسم لضريح امرئ القيس المقول انه لم يزل موجوداً قرب عاصمة الاتراك وكتبت في ذلك الى صديقي الاستاذ فرنسوى خوري الذي كان منفياً في انقره فاجابني مع الاسف انه لم يهتد اليه .

(٣) عندما اكتشف وليم هارفي الطبيب الانكليزي دورة الدم العامة في الجسم سنة ١٦٢٨ ووضع لها القواعد الحديثة المشهورة (ومنها ان الدم يخرج من القلب فيطوف في اطراف الجسم ثم يعود الى القلب مرتين في الدقيقة الواحدة) نازعه في صحة رأيه كثيرون من اكابر اطباء ذلك الزمان الذين كانوا واثقين بان الدم راكد في الجسم لا يتحرك . بل كانوا اذا ارادوا فصد مريض عمدوا الى اخذ الدم من جانبيه الاثنين حفظاً للتوازن . فلما اثبت لهم هارفي باذن الملك شارل الاول دورة الدم في جسد رجل محكوم عليه بالاعدام صمتوا واجمين . على ان العرب كانوا يعرفون الدورة الدموية معرفة بسيطة طبعا قبل عهد هارفي باجيال ، لا بدلالة ما جاء الان عن ابن النفيس ، بل اجسر على الاستدلال على ذلك ببيت من شعر المتنبي الذي سبق ابن النفيس بثلاثة اجيال الى الوجود اذ احتفلنا منذ اعوام بمرور الف سنة على مولده . وكان على كثير من التبحر والتعمق في المعارف . وقد قال في ما قال :

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي وأصبح لي عن كل شغل بها شغل

(٤) قال لي مرةً المرحوم السير مارك سايكس المستشرق الانكليزي المشهور ان العرب اتحفوا المعجم العلمي العام ثمانمئة كلمة من لغتهم .

(٥) ابراج السماء عند العرب تتنقل الشمس فيها شهراً شهراً ابتداء من آذار . وهي الحمل (الذي تعتدل الشمس فيه) والثور ، والجوزاء ، والسرطان ، والاسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدي .

(٦) زينيت اصلها « السمت » وهي في علم الهيئة قوس من الافق محصورة بين دائرة الارتفاع ودائرة المشرق والمغرب التي تمر بقطبي الافق وقطبي نصف النهار . وهنالك سمت الرأس وسمت القبيلة وسمت الطالع يقابلها من الجهة الاخرى « نظير السمت » وهو النقطة المقابلة للسمت . وقد حرفها الافرنج بقولهم (نضير) اما علم الهيئة فعلم رياضي يبحث في احوال الاجرام البسيطة العلوية والسفلية من حيث الكمية والكيفية والوضع والحركة اللازمة لها وما يلزم منها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تأبين

كانت

تحبني ... وربما كنت احبها انا كذلك
ولكن نيسان ماتت ،
تاركة اياي وحدي ، انا ذو القلب السريع العطب كحبل المساكين .
وكحبل المساكين احتاج الى عريش .
كنت حبل المساكين وكانت العريش أزهر عليه .
ولكن آلهات الجحيم جاست احلامنا الصبيانية
فبكيت اياماً طويلة وسابكي اياماً طويلة اخرى .
فهلاّ ابتليت يا صديقي بما ابتليت به انا وشعرت بما اشعر به ...
فتدرك عندئذٍ بطلان الحياة بعد تلك اللذات كلها .
وتدرك شقائي ...
ومع هذا
اتمنى ان يكون لي عذراء شابة العب بنهديها ...
فاني اسأم حياتي .
فضجري المضني يتشاءب كصدف آسن او اذا شئت ، ايها القارئ الرثائي ، كوردة منسية تذبل
بهدوء في جو كئيب بارد يخيم فيه السكون ، يحلم السكون فيه كوردة منسية !
اود ان اقبض على نهد عذراء فيشرئب في قبضتي ككلب صغير
يلاطف حيناً ويعتدي حيناً وينبح على القمر .
ذلك اني اكاد اختنق حين يقع نظري على زهرات شفاه الفتيات
واني لكذلك النسر المحطوم الجناح الذي يموت من العطش بجوار ينبوع حي .
اني لاود ان اقيم
بقلب كل من يقول لي جمالها : اسمع .
بقلب كل من جعلت قلبي وطنها
وان اكون موضوع احلامهن في المساء ، في القمر المعطّر من اسرّتهن حين ينسل الحب حتى الى
اطراف اناملهن الحساسة ...
اود ان اكون هذا الرجل !
ولكني اود اليوم ان يكون الى جنبي فتاة موردة مذهبة كالدراقة عذبة كصباح الربيع
واودها بلهاء طرية ليّنة كسنبلة في الهواء ...
فاني اسأم حياتي .

السويس — احمد راسم

الادب الفكاهي في لبنان

بقلم شفيق طباره

سألني صديق لي يوما كنا نتحدث فيه عن الفكاهة والفكاهيين : — هل اللبناني ظريف ؟ وكان صديقي يريد ان اجعل هذا السؤال دراسة في الادب الضاحك ألمفيها بنشأة الفكاهة في الادب العربي اللبناني الحديث . قلت لصديقي : — للظرف معنى غير محدود . فماذا عنيت بكلمة ظريف ؟ امصطلح اللغة : انيق اللباس ، مشرق الوجه ، حلو الشمائل ، وضاح الجبين ؟ ام الشائع على الالسنة وهو حلو الحديث ، خفيف الروح ، يميل بطبعه الى المنادمة والانشراح وما يحيط بهما من دعابة ومزاح ؟ فاذا اردت الاول فجوابي : نعم ، وما اظن ان احداً ينكر ذلك او يحاول الجدال فيه ولست اغالي اذاقلت : ان اللبناني في هذه الناحية من اظرف ابناء الشرق على الاطلاق . واذا اردت المعنى الثاني فاسمح لي ان ادلي برأيي في مقال هو الاول في هذا الموضوع .

وقبل ان استرسل بالبحث يحسن بي ان اقرر انه لم يصل الينا من سكان هذه البلاد الاقدمين اثار ادبية نستطيع ان نعتمد عليها لمعرفة اهتمامهم بالادب ، وخاصة بالفكاهة في هاتيك العصور . لذلك ظل تاريخ لبنان القديم — لبنان الفينيقي — غامضاً من هذه الناحية الا ما كان له علاقة بالصناعات والعلوم . ثم انتقل بك الى حقبة استيلاء اليونان والرومان على لبنان فنرى انه بينما كان اليونان والرومان وعلى رأسهم ارسطو وارسطفان يهتمون بالفكاهة ويبحثون فيها بحثاً علمياً منظما ويضعون لها القواعد والاصول ويؤلفون الروايات الهزلية في اساليب شيقة طليّة ، كان اللبنانيون يردون مشارب الثقافة اليونانية والرومانية من ناحيتها الفلسفية والعلمية وكان لبنان — لبنان الاغريقي الروماني — في رخائه وعزه موطن الفقهاء ومعقل الفلاسفة . وكانت بيروت تساهم في الفقه وفي الحكمة . فالحياة الدينية — لا الادبية — هي التي كانت سائدة في تلك العصور ، وهذه الحياة نواتها الحكمة والعلوم العقلية . فكل المسائل كانت تقريبا تدور حول هذه النواة دون اي اتصال بحياة المرح والبهجة والايناس . ومهما نبحث في ابان مجد العرب وسلطانهم عن نديم اشتهر بالتنادر في مجالس اخلفاء الامويين والعباسيين لا نجد في لبنان العربي نديماً ، على كثرة من كانوا ينحدرون الى تلك المجالس من الاقطار المجاورة ابتغاء المكافاة ، ومع ان دواوين الخلفاء كانت حينئذ تضم عدداً من الكتبة اللبنانيين . غير ان هذا لا يعني ان اللبناني ماضحك في زمانه قط . فالضحك ظاهرة طبيعية يتنفس بها البشر عن خوالج ذواتهم ، وهي جزء روحي من كل انسان . والانسان ضحك قبل ان يتكلم ، ثم ان الظرف ليس ملك امة من الامم ولا وقفاً على شعب دون اخر . فلكل امة ظرفاء مهما ارتقت ومهما انحطت . وانما الفكاهة قد تطورت من الضعف الى القوة تبعاً للاحوال الاجتماعية . وسبب هذا انها فن جميل ، والفنون الجميلة تنمو وتزهر كلما ارتقت الامة واتسعت الحضارة ، شأنها في ذلك كشأن الموسيقى والغناء سواء . قال ابن خلدون في مقدمته : « وهذه الصناعة (يعني صناعة الموسيقى والغناء والشعر المجوني) اخر ما يحصل في العمران من الصنائع لانها كمالية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ والفرح وهي ايضا اول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه . »

وعلى هذا يمكن القول ان اللبنانيين ساروا على سنن من تقدمهم . فكانوا قديماً يتصيدون النوادر واقعة حيثما وقعت من ذوق الشرق ومن لغة العرب . وظلت الفكاهة بينهم هكذا على شأنها في صور (نوادر) طيلة العهد التركي حتى فجر النهضة الحديثة حين استقرت احوال البلاد وشاعت العلوم واستوثق الاتصال بين لبنان والغرب . وكان لهذا الاتصال اثره الحي في تلوين الادب العربي بلون جديد ، فجعلت الاقلام اللبنانية تستعذب هذا الادب الفرح ، وانبعثت طوعاً لهذه الحال جماعة من رجال الادب ساهموا بالفكاهة وزودوا العربية بزاد قيم اضيف الى هذا الفن الجميل .

ولست احاول هنا التحدث عن ظرفاء لبنان الحديث ولا عن النوادر التي اصطنعها اللبنانيون وانما اريد ان انشر في هذا الباب ما هو اروع منها . اريد ان اعرض اثاراً لبنانية عربية فكاهية اسوقها شواهد على ان اللبناني اول من عني بالفكاهة وسلك بها مسلك التنوع والتجديد منذ عصر النهضة العربية الحديثة ، يوم هب اهل الشرق العربي من نومهم الطويل . اجل ، عالج اللبنانيون الفكاهة في النوادر وفي القصة وفي الشعر وفي الاغاني وفي الصحف وفي المسرحيات وادخلوها في البحوث المختلفة وتدارسوها . فان شئت ان تقرأ الفكاهة شعراً فطالع (ديوان رستم) لاسعد رستم وان اردت ان تقراها قصصا شائقة فالتمسها في قصص شكري الخوري صاحب جريدة ابي الهول الصادرة في البرازيل وفي قصة

(شمونه) لحنا الفغالي . وان رغبت في قراءتها نوادر ذات مغزى رائع فاطلبها مجموعة في اجزاء (المناهل) الاربعة لجرجس الخوري المقدسي وان اردت ان تطالعها نكتة مبتكرة فانظر الى كتاب (مجمع المسرات) تاليف المرحوم الطبيب شاكر الخوري . وان اجبت ان تسمعا اغاني شعبية فاسمعها دائرة في ازجال الدكتور شدودي وفي اغاني عمر الزعني ويحيى اللبابيدي وعلى لسان طائفة كبيرة من شعراء الزجل بلبنان وان طاب لك ان تطالعها في الوان من ادب التهكم اللاذع فاقراها في كتاب (الساق على الساق في ما هو الفارياق) لاحمد فارس الشدياق . وان تحسب ما تفرق في الصحف والمجلات في لبنان وفي المهجر ادباً فاعلم — حفظك الله — ان لبنان بالقياس الى عدد السكان ومساحة ارض البلاد العربية اسبق جميع بلاد الشرق العربي بظهور اكبر عدد من الصحف الفكاهية،فيه ولا يخفى عليك ان ابناء هذا الساحل اول من نقلوا ماتهياء نقلهفي لسان العرب من المسرحيات والقصص الفكاهية من لغات الغرب وان بيروت هي المهد الذي نشأ فيه فن التمثيل العربي وان اللبنانيين اول من قاموا بالتمثيل الكوميدي بين ابناء العرب وشاهدت مصر اول ما شاهدت فرقاً لبنانية عربية تمثيلية هبطت وادي النيل في عصر اسماعيل .

هذه هي الثروة الفكاهية التي انتجها اللبنانيون ، وتعال فانظر معي الان الى ما وصلنا اليه . لقد كثرت الكتب في الفترة الاخيرة من عصرنا الحديث واصبح الانتاج الادبي اضعاف ما كان في كل ناحية من نواحي الادب . وكان معقولا ان تساير الفكاهة هذه الحركة فترقى معها وتماشي الحياة . ولكن .. كان من الغريب ان رقي الفكاهة لم يساير رقي الادب لان الانتاج الادبي كثر وارتقى وقل الانتاج الفكاهي وندر . وتعليل هذا في نظري ان كثيراً منا لا ينظرون الى الفكاهة النظرة التي تستحقها من الاجلال والاكبار . وقليل من يحسبها اعلى مراتب الكلام المكتوب والمنطوق . وكان طبيعياً ان يؤدي هذا النظر الشائع الى نشوء روح ادبي القى بنشتنا الادبية في احضان التشاؤم المرير . فالناظر في ادب هذه الايام يرى هذه الحقيقة بارزة ، يرى الانتاج الادبي قد طغى عليه البؤس وصبغه بصبغة الالم الماضي واللوعة المضنية من نوع الكآبة او العصبية الشنيعة التي غشيت المواطنين في هذه السنين . ومما لا ريب فيه ان هذه الخلة في بعض الادباء شائنة بقدار ما هي ضارة . اما وجه العيب فيها فتمثيلها البيئة اللبنانية بوجه قاتم واظهار اللبناني بمظهر اليائس العبوس الكئيب الذي يألف الحزن ويأنس اليه ويرى الوجود جوانب الشر ولا يرى جوانب الخير . واما وجه الضرر في فحرمان المتعلقين بالادب العربي الاستمتاع بكثير من الفنون وترويض نفوس الناشئين على بغض الفكاهة وتسويدها في عيونهم . والواقع ان الفكاهة على جليل نفعها صناعة دقيقة لا يحسنها في الغالب الا الادباء المجيدون . وهي ولئن هوت احياناً في يد الهجائين الى حضيض السباب ، وفي المجان المستهترين الى وهدة الافحاش ، فانها وقد بلغت عند المتحضرين اعلى درجات الكمال اذا اتخذوها وسيلة من وسائل الترفيه عن النفس وجعلوها من امضى ادوات النقد والاصلاح . ولتقدير شأن ما بلغته الفكاهة في الامم المتحضرة حسبك ان تعلم ان موضوعها يلعب دوراً كبيراً في اداب الاوربيين ودراساتهم وفي حياتهم اليومية . ومن اشهر الكلمات التي تدور في استعمالهم عند البحث في هذا الموضوع كلمة (humour) فمن ضمن ما يمدحون به الشخص ان يكون عنده روح المرح والفكاهة وزاها قريبة عندنا من كلمات الظرف والفطنة والكياسة والحذق والتلمح وحسن الامتاع . ثم ان في اميركا مجامع فكاهية تمنح كل عام صاحب احسن مؤلف فكاهي الجوائز المالية اذ يروض افكار الجماهير ويهيىء قلوبهم للراحة والسرور ويعدهم لاستقبال متاعب الدنيا بالبشر والتفاؤل . ذلك لان الفكاهة عندهم — في الادب : مظهر ارقى والحيوية وفي الامة : عنوان التحضر ورقة الطباع . وفي الفرد : دليل على شدة الفطنة وصفاء الذهن ولطافة الذوق وسعة الخبرة بالامور .

وبعد ، فهذه هي الادوار التي مرت بها الفكاهة في هذا البلد عرضتها بهذا الاجمال لانتقل الى القول ان لبنان اليوم غير ما يصوره الادب المظلم ، لبنان اليوم عني بالفكاهات الحلوة ، عامر بعالم البهجة والايناس . فاذا شاء المنتجون ان يكون ادب هذا الجيل صورة تامة للحياة اللبنانية الحاضرة فلا بد لهم اذن من ان يوجهوا احساسهم الى الجانب المضحك بجوار الجانب المبكي ، فاقتصار الادب على الماسي خروج الى الجفاء وانحدار الى الجمود . وادب يتسم بالجد والعبوس في جميع الوانه وصوره لا يبتسم ولا يضحك ولا يغني ، فلا شك انه ادب لا يمثلنا ولا يعرب عن عواطفنا وانما هو ادب فقير ناقص غريب فينا او اذا شئت فقل : نحن في هذا الادب غرباء .

شفيق طباره

فرنســـــا

لاشبل بيرالله

العالم حديقة فرنسا وردتها
فردوس ارضي ذو تربةٍ خضراء وسماء زرقاء
هي الوطن المتفرج
عن ابتسامة من الله

●

العـالم سماء سوداء فرنسا فجره .
على كل قمة غرست فيها فرنسا
علمها المثلث الالوان
يرى بزوغ الحرية

●

العالم قطيع فرنسا راعيه
من خافك الابدي ، ايها الخالق اللامتناهي ،
العـالم هو المسرح
وفرنسا الممثل

●

العالم هضبة وفرنسا هي الدوحة
فحين تهب على البشر زوبعة
من ضربات الله
تلجأ جميع الشعوب الى هذه الدوحة

●

العـالم هو الجسم الخشن وفرنسا هي الرأس
فبالروح تارةً وبالقلب اخرى
تفتتح فيه ملك الحب
سيف السكينة والسلام .

●

العـالم هو المادة وفرنسا هي الروح
فحين ينطفىء شعبٌ اضاءت فيه السماء
تنفخ فيه شعلته
فيعود الله حيًّا اليه

اذا اشرتِ الي ، ايتها الام ، بالقيام الى النضال
فاني اريدك في القتال فخورةً بابنك :
فالفرنسي ليس خليقاً بفرنسا
الا ميتًا او ظافراً

●

ولكن السماء تلمع دائمًا والقبرة تنشد
في الحقل الذي لا يفتر فيه كفاح الفلاح
فالكاهن والشاعر
هما اخوا الجندي

●

ان شعباً من الابطال لشعبٌ من الرسل
ولهذا الشعب وحده حق الفتح
وتثقيف الاخرين
فهو يعرف ان يموت لاجل الله .

●

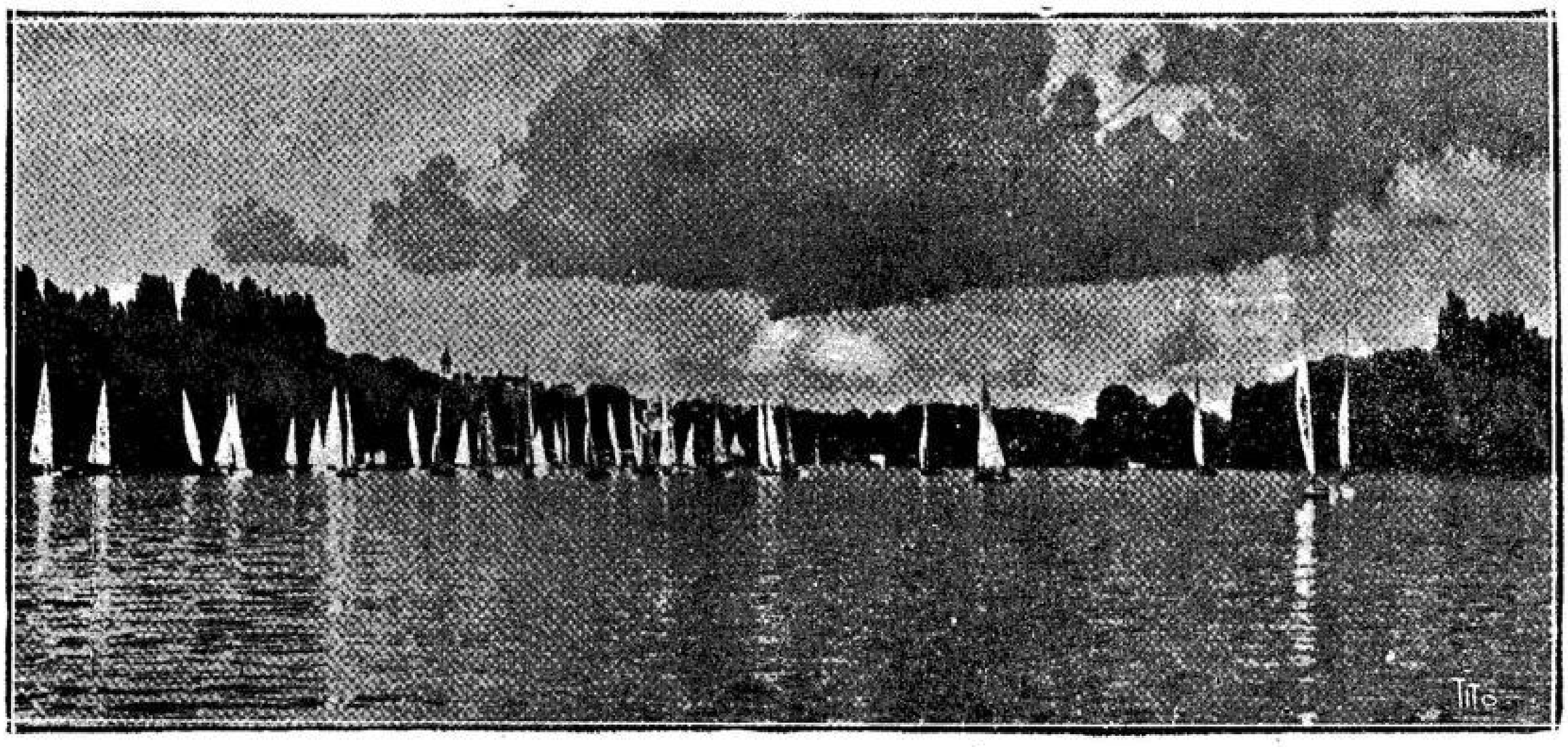
فيملأ السلام ، السلام الاعظم ، السلام الالهي ،
يملأ اعيننا بفجر من الحب :
ففرنسا تشع
بجميع الوان السماوات

●

فاكون عندئذ ، يا فرنسا شارلمان ونابليون ،
رأيت مرتين جمهورياتك الفتية
تفتح ابواب البانتيون
لالهةٍ مسالمين

●

وتبقين الى الابد ، يا فرنستي الحبيبة ،
كصفاء الجلد الازرق الرحيب ،
الوطن الاكمل
لجميع المنفيين



استعراض الزوارق في حوض اريل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحلاج

بقلم راجي الراعي

◆

ان في تاريخ التصوف الاسلامي صفحة حمراء وهاجة هي صفحة الحلاج الذي بهر الناس وادهشهم بغرائبه وطموحه وشذوذه وكاماته فأثار حول اسمه ضجيجاً لم يهدأ بعد وتناولته اقلام العلماء والمؤرخين والمتفقهين بالتنقيب والتمحيص يحاولون استجلاء ما في تلك الحياة العجيبة من غوامض واسرار وقد بلغ عدد الذين كتبوا عنه حتى هذا القرن الستمائة والستة وثلاثين ما بين عربي وفارسي وهندي ومغربي واوروبي على ما حققه المستشرق الفرنسي المعروف العلامة ماسينيون الذي سلخ الشطر الكبير من حياته لدرس الحلاج واستيعاب امره وطوى مجلدين ضخمين على خلاصة ابحاثه ...

تباينت الاراء في الحلاج فالعباس بن سريج كان يقول اذا سئل عنه : « هذا رجل خفي عني حاله فلا اقول فيه شيئا » . بينما تجد ابن خلكان على علمه وفضله يقول بان اكثر علماء زمانه افتوا باباحة دمه . ثم ترى القشيري يحمد كلامه ويثني عليه ، والغزالي الشهير برأ ساحته من كل ما استنكره الناس ناسباً كل ذلك الى شدة الوجد بالكمال الالهي . اما ابن الاثير والقزويني وغيرهما ممن تابعهما فيقولون انه كان في بدء نشأته زاهداً متصوفاً يظهر الكرامات ويجترح الايات ويأتي بالخوارق والمعجزات حتى انه كان يركب الاسد ويتخذ سوطاً ويأتي بفاكهة الشتاء في الصيف وبفاكهة الصيف في الشتاء ويمد يده في الهواء فيعيدها مملوءة دراهم يسميها دراهم القدرة مكتوباً عليها « قل هو الله احد » ويخبر الناس بما اكلوه وما صنعوه في مساكنهم ومشاغلهم كما كان يفعل الحاكم بامره الفاطمي في مصر عندما ادعى الالوهية . فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول فقال بعضهم انه رب قدير وقال غيرهم انه ولي كبير وقال اخرون ساحر مشعوذ كذاب تطيعه الجن والعفاريت فتاتيه بالفاكهة في غير اوانها ..

صيرته :

الحلاج ماخوذ من حلج القطن اي تجريده من قشوره وبذوره وتنقيته على ما هو معروف . قيل انه لقب بذلك لانه جاء حلاجا في دكانه وكافه الذهاب في غرض له فمضى الرجل وعاد فوجد قطنه كله محلوجاً . هو الحسين بن منصور ولد في البيضاء بفارس من اعمال سجستان ولم يعرف تاريخ مولده ولا كيفية نشأته ودراسته ، وكان جده مجوسياً ثم اعتنق الاسلام . وقد شب الحلاج في واسط ثم رحل الى بغداد حيث اجتمع بكثير من المتصوفين من بينهم سفيان الثوري وتلقى تعاليم الصوفية . وكان ذا نفس نهمة قلقة ، وذهن حاد وثاب سريع الانتقال من رأي الى رأي فاذا اقتنع بصحة الرأي اعتنقه لساعته واعلنه على الملاء غير هياب وفي ذلك قال لاحد اساتذته يوماً : « يا ابا منصور ليس بعيداً ذلك الوقت الذي يحمر فيه النطع من دمك . » ثم سافر الى الهند فاقام بها زمناً وبعد عودته ادى فريضة الحج ومكث بمكة يروض نفسه على الزهد والتنسك وقيل انه اقام بها سنة كاملة في العراء لا يظله سقف ، يصوم بياض نهاره حتى اذا امسى احضر له القوم ماء وقرصاً من الخبز فيشرب الماء ثم يعض من القرص ثلاث عضات ويترك الباقي . وكان شيخ الصوفية بمكة اذ ذاك عبدالله المغربي فلما اشتهر امر الحلاج اخذ اصحابه ومشى الى زيارته فوجده في جبل ابي قبيس جالساً على صخرة مكشوف الرأس حافي القدمين يتصبب العرق من جسمه متتابعاً ، فعاد باصحابه من حيث اتى ولم يكلمه بل قال عنه لسائليه : « هذا رجل يتقوى على قضاء الله ، فلسوف يبتليه سبحانه بما يفوق صبره وقدرته . » ثم رجع الى بغداد في عهد الخليفة المقتدر ..

مذهبه :

اما مذهبه في التصوف فهو مذهب الاتحاد او وحدة الوجود

او الحلول المؤدي الى اشتراك الانسان في ذات الخالق عز وجل وحلول اللاهوت في الناسوت . ولهذا المذهب وجهان احدهما ان الله هو روح العالم الذي هو جسد الالوهية فالله اذاً في كل مكان ، والاخر ان كل ما في الكون لا كيان له الا كيان الله فكل شيء اذاً هو الله ، واول من نادى بهذا المذهب في الاسلام هو البسطامي . ثم جاء الحلاج فرفعه الى الاوج وحمل لواءه فاثار حقد العلماء وثقاة المسلمين الذين لا يقبلون ان ينزل الالهي في الانساني ولا ان يصعد الانساني الى الالهي ويرون ان حلول الله في العبد معناه هدم الوحدة الربانية وان التصوف يجب ان يظل مقصوراً على سعي المرء الى الكمال دون ادعاء الاشتراك في ذات الله . اما حجة القائلين بمذهب الاتحاد والحلول وعلى راسهم الحلاج فهو ان العقل البشري قد عجز عن مشاكل الكون وان المتكلمين لم يزيدوا بمناظراتهم عقدة الوجود الا صعوبة واشكالاً وانه لم يبق لكشف هذا السر الا طريق واحد هو طريق النور والبصيرة وهذا لا يتيسر الا بازالة حجاب المادة الكثيف القائم بين الانسان وخالقه وبقطع علائقه بعالم الشهادة والملك ، او خلوصه الى عالم الغيب وامتزاج العنصر الالهي الروحي في الانسان بالعقل الاول فيذوب الانسان في الله ويفنى فيه ويتوحد الوجود ويحل الانسان في الاله ويصبح الهاً .

وكان لمعتنقي هذا المذهب لغة خاصة بهم منها قولهم : « انا الحق ، انا الاول ، انا من الكل ، انا العرش ، انا اللوح ، انا منذ الازل والى الابد . » وكانت هذه الكلمات تروع الفقهاء والثقاة وتجعلهم يحتاطون لاصحابها ويعتزلون مجالسهم فلما رأى المتصوفون الاتحاديون ذلك اعلنوا ان لهم حالتين مختلفتين : حالة الصحو وحالة الغيبوبة فاما الاولى فهم ينطقون فيها بالشريعة واما الثانية فهم يعبرون فيها عن الحقيقة وقد سمى الفقهاء كلماتهم في الحالة الاخيرة بالشطحات وغفروها لهم لانها تصدر عنهم في حالة الغيبوبة التي تشبه النوم او السكر المباح ولكنهم لم يقبلوها منهم في حالة الصحو مطلقا بل عدوها جريمة تستوجب القصاص ولم يطق صاحبنا الحلاج صبراً وابى الا ان ينطق بتلك الكلمات في حالة الصحو فيقول : « انا الاول والاخر والظاهر والباطن ، انا الحق والكل ، وما في الجبة غير الله . » ومن المأثور عنه اثناء توجده بالله قوله :

انا من اهوى ومن اهوى انا
نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرتني ابصرته
واذا ابصرته ابصرتنا

وقوله :

عجبت منك ومني
اغنيتني بك عني
ادنيتني منك حتى
ظننت انك اني

وقوله :

ارسلت تسأل عني كيف كنت وما
لاقيت بعدك من هم ومن حزن
لا كنت ان كنت ادري كيف كنت ولا
كنتم اذا كنت ادري كيف لم اكن

قيل انه خرج يوماً من الحمام فلقيه بعض الهازئين به المخالفين له فصفعه صفعة شديدة فقال : يا هذا لم صفعتني؟ قال : الحق امرني بذلك . فقال : بحق الحق اردفها باخرى . فلما رفع يده يبست . وقال القزويني لما ظهر قوله « انا الحق » وتكلموا فيه قالوا له تدارك الامر قل « انا ألحق » بهمز الالف وتخفيف القاف فقال لا اقول الا انا الحق فاساؤا الظن فيه ، وقال له احدهم ان كنت صادقاً فامسخني قرداً فقال لو هممت بذلك لكان نصف العمل مفروغاً منه ، ومما قاله في استنكار الناس لقوله انا الحق :

سقوني وقالوا الا تغن ولو سقوا
جبال حنين ما سقيت تغنت
تمنت سليمى ان غوت بحبها
واهون شيء عندنا ما تمنت

ومما قاله متزهداً :

دنيا تخادعني كانـ ـي لست اعرف حالها
حظر المليك مرامها فانا اجتنبت حلالها
فمتى طلبت زواجها حتى اردت وصالها
ورأيتها محتاجة فوهبت جملتها لها

مصرعه :

وما زالت تلك حال الحلاج حتى نقل عنه الى الوزير حامد بن العباس انه يحيي الموتى وان الجن يخدمونه ويحضرون له ما يشتهي وان نصراً حاجب الخليفة يقول بقوله ويميل الى رأيه فالتمس الوزير

من الخليفة المقتدر ان يسلم اليه والح في ذلك كل الالحاح فسلم اليه على الرغم من نصر ودفاعه فاخذه حامد واخذ معه انساناً يعرف بالشحري وغيره ممن يعتقدون انه اله واستجوبهم فاعترفوا بربوبيته وانه يحيي الموتى وقابلوا الحلاج على ذلك فانكره وقال حاشا لي ان ادعي الربوبية او النبوءة انما انا رجل اعبد الله عز وجل فاحضر حامد القاضيين ابا عمرو بن العلاء وجعفر بن بهلول وجماعة من وجوه الفقهاء فاستفتاهم فما افتوا بشيء بل قالوا لا يجوز قبول من يدعى عليه الا ببينة او اقرار وكان حامد يخرج الحلاج مراراً الى مجلسه فيستنطقه فلا يصدر عنه ما يخالف الشرع او يوجب المؤاخذة وطال الامر على ذلك فالوزير يلتمس علة ليقتله بها وجرى له معه امور يطول شرحها الى ان رأى الوزير كتابا له ورد فيه ان الانسان اذا اراد الحج ولم يمكنه افرد من بيته حجرة طاهرة لا يدخلها احد فاذا ازفت ايام الحج يطوف حولها وبعد ان يفعل ما يفعله الحجاج بمكة يجمع ثلاثين يتيما ويطعمهم ويخدمهم بنفسه ثم يكسوهم ويعطي كل واحد منهم سبعة دراهم فاذا فعل ذلك كان كأنه حج فلما قرىء هذا في المجلس قال القاضي للحلاج من اين لك هذا قال من كتاب الاخلاص للحسن البصري فقال القاضي « كذبت يا حلال الدم فقد سمعناه في مكة وليس فيه هذا فلما سمع الوزير قوله له « يا حلال الدم » طالبه بالافتاء كتابة فدافعه ابو عمرو ولكن حامداً الزمه فكتب باباحة دمه وكتب بعده من حضر فلما سمع الحلاج قال لهم « ظهري حمى ودمي حرام وما يحل لكم فاعتقادي الاسلام ومذهبي السنة ولي كتب في السنة فالله الله في دمي » ولم يزل يردد هذا القول وهم يكتبون حتى انصرفوا من المجلس وحمل الحلاج الى السجن حيث قضى ثمانية اعوام . قال عبد الله محمد بن حبيب دخلت : على الحلاج وهو محبوس مقيد فرأيته يبكي ولما ادركته الصلاة رايته نهض وقد سقطت عنه القيود فصلى فقلت يا هذا لم لم تخلص نفسك ؟ قال ما انا بمحبوس ثم انشد :

والله لو حلف العشاق انهم ... موتى من الحب او قتلى لما حنثوا
قوم اذا هجروا من بعدما وصلوا ... ماتوا وان عاد وصل بعده بعثوا
ترى المحبين صرعى في ديارهم ... كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

ثم قال : يا ابن حبيب لا يكون الحزن الا لفقد محبوب وفوات مطلوب وهم الناس على قدر احوالهم مطبوعة بعلم الغيب وعلم الغيب محجوب عنهم فاخلق حيارى وانشأ يقول :

انين المريد لشوق يزيد ... انين المريض لفقد الطبيب
قد اشتد حال المريد فيه ... لفقد الوصال وبعد الحبيب

ثم قال ايضا يا ابن حبيب حججت الى زيارة القديم فلم اجد لقدمي موطنا من كثرة الزائرين فوقفت وقفة المبهوت فنظر الي نظرة فاذا انا متصل به ثم قال من عرفني ثم اعرض عني فقلت :

عذابه فيك عذب ... وبعده عنك قرب
وانت للعين عين ... وانت للقلب قلب
حتى من الحب اني ... لما تحب احب

وفي نهاية مدة السجن جدد العلماء الشكوى في حماسة اشد من الاولى وطالبوا بقتله فاجابهم الخليفة الى سؤلهم وامر بتسليمه الى الجلاد وقد سرد فريد الدين الفارسي قصة تعذيبه قال :

« اخرج الحلاج الى باب الطاق صبيحة يوم الثلاثاء في ٢٣ ذي القعدة سنة ٣٠٩ واصعد فوق منصة عالية تحوط به الجماهير الغفيرة من عامة الشعب ملقية عليه الاحجار والاوحال وهو لا ينفك عن تكرير تلك الكلمة التي كانت السبب في قتله وهي : « انا الحق ، انا الحق » ولما طلب اليه ان ينطق بالشهادة صاح مخاطباً الاله قائلاً : « ان وجوداً انت فيه غير محتاج الى مشعل ينيره » ولما سئل ما هي الصوفية ؟ اجاب بقوله : « هي ما لا تستطيعون ان تفهموه » فاخذ الجلاد يضربه بالسوط وهو يبتسم فلما فرغ من ضربه قطع يديه ورجليه فقابل ذلك بالابتسام وجعل يلطخ وجهه بدم ذراعيه المتدفق ولا يدري احد ما حكمة ذلك عنده ثم فقأ الجلاد عينيه وفي اللحظة التي هم فيها بقطع لسانه كان هذا اللسان ينطق بالاستغفار لذلك الجلاد ومن اشتركوا معه في تعذيبه وبهذين البيتين من الشعر :

طلبت المستقر بكل ارض ... فلم ار لي بارض مستقرا
اطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو اني قنعت لكنت حرا

ثم حز الجلاد راسه واحرق جثته ولما صارت رماداً القيت في دجلة ثم ارسل الرأس الى خراسان حيث يوجد له مريدون يقولون برجعته بعد اربعين يوما .

راجي الراعي

الفرد غلاتيني الشاعر الممثل البوهيمي

◆

حديثنا اليوم عن الشاعر الممثل الفرد غلاتيني . رجل غريب الاطوار ، وشاعر جذاب ، نسيج وحده في تاريخ الشعر والمسرح .

ما كاد غلاتيني يذهب لملاقاة ربه عن اربع وثلاثين سنة (١٨٣٩ — ١٨٧٣) حتى دخل في الاسطورة وراحت الالسن — ألسن النقاد والمؤرخين — تتبارى في اختلاق النوادر عنه . والواقع ان هذا الشاعر العذب، هذا الشاعر الصادق الحس ، لم ينح في حياته نحو سائر الشعراء والادباء في زمنه بل اختلف عنهم في سلوكه وطرق احساسه وفهمه وتعبيره .

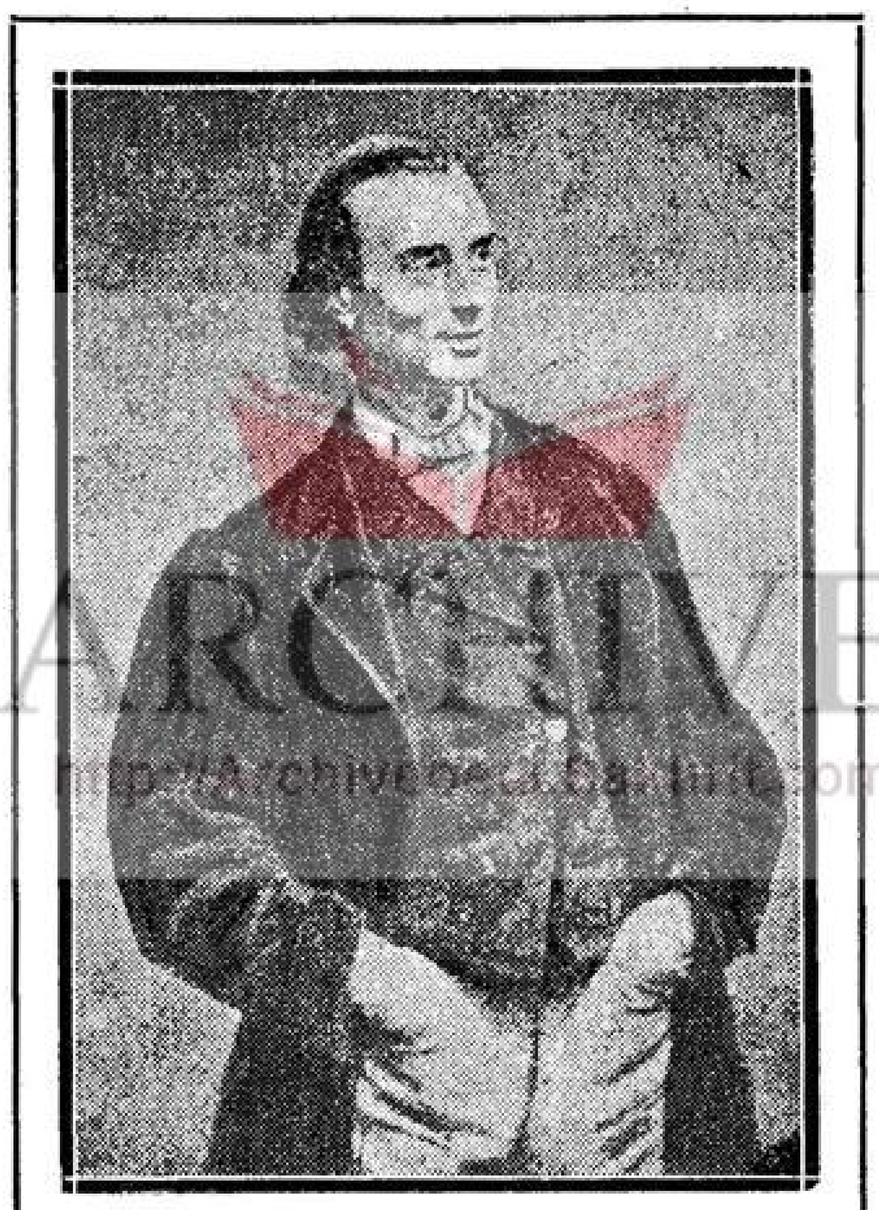
قال كاتول مانديس يصف غلاتيني : « طويل القامة هزيلها كأنه وتد كرمة يعرّش عليه الجلبلاب والياسمين . . . »

وقال اناطول فرانس يصفه : « طويل هزيل شاحب اللون مستطيل الرأس كالشمام ، يرتجل الشعر ساعة يريد حتى لوشاء ان يحدثك شعراً لما تلعثم . . لغته لغة الشعر الحلال حتى في الارتجال . طيب القلب ، مبسوط اليد على قلة . اذا امتلأت يده درّت عليك الخير بكرم لا يجارى، واذا صفرت لا يخجل من الاعتذار . »

وقال غلاتيني نفسه يصف نفسه : « ممثل خيالي التفكير ، شريد طريد . . . طويل . . . طويل كالصفصافة ، فخور عالي الجبين كالامير ، اذا مشى قصرت المسافات ، فكل خطوة من خطاه تبتلع الفا من الامتار . . . »

وكان غلاتيني مشهوراً بطول ساقيه . . .

وقال غلاتيني في احدى قصائده : « اذا فاضت روحي او اذا ذهبت لا اعلم الى اين لأقيل قياولتي الابدية ارجو ان لاتجيئوني بكاهن يقرأ اللاتيني فوق رأسي ، وان لا تدعوا الاجراس تقرع حزناً على مصيري . بل ادفنوني في صبيحة شمساء كيلا تشقى الامطار والرياح من يرافق جنازتي . فانا لم اسء الى احد في حياتي ولا اريد ان اسيء في موتي الى احد . . . »



الفرد غلاتيني الشاعر الممثل البوهيمي

اما الذين كتبوا عن هذا الشاعر الممثل فلايحصى لهم عدد، وقد يكون اشهرهم بودلير، وتيوفيل غوتيه وبانفيل وارسين هوسي ، وفرنسوى كوبيه ، وجول كلاريشي ، وكاتول مانديس ، واناطول فرانس، وروبر ده لا فيلايرنه وبول ارين ، وجول تروفيه ، وسائر من كان يحيط بفكتور هوغو . اما كاتول مانديس فقد وضع في العام ١٩٠٦ مسرحية عن صديقه غلاتيني مثلت على مسرح الاوديون .

وفي جملة النوادر التي قصها هؤلاء الكتاب عن الشاعر انه جاءه يوماً مندوب من قبل صاحبة السمو الامبراطوري الاميرة ماتيلد ليدعوه الى حفلة استقبال في قصر الاميرة ، فظن غلاتيني ان القادم آت ليعتقله فابتدره بقوله :

— ماذا يراد مني ؟ فانا لم اشتغل في السياسة ولا رأي لي فيها . . .

فقال الزائر : لقد جئت يا استاذ من قبل صاحبة السمو لادعوكم الى حفلتها الساهرة .

فقال غلاتيني : اذا كان الامر كذلك فلا يحق لي ان

ارفض .

وفي اليوم التالي خف اليه اصدقاؤه يستفسرونه فقال لهم : « صرفنا ليلة ممتازة وكانت السيدة ماتيلد على جانب من اللطف عظيم . وقد تناولت الشاي مع رينان وفلوبير وغوتيه ، وانشدت اشعاراً ... ومما سرني انني لم اجتمع بسوى شعراء وامراء ... ولو عرفت ذلك قبل ذهابي لما كافت نفسي مشقة ارتدائي بذتي السوداء .. فالسهرات في هذا القصر تصرف على هوى النفس .. بدون كلفة . »

ولو ان غلاتيني كان اقل تحمساً لفنه المسرحي لما كان مات في ريعان الشباب ، فاسرافه في التنقل من بلد الى بلد قصف حياته . وما كان غلاتيني الا واحداً من تلك الصفوة الفنية التي تولد في عصر لا تتأثر به ، وتموت جاهلة انها بلغت في حياتها قمة العظمة وادت واجبها الانساني على أكمل وجه .

اصدر غلاتيني مجموعتين من الشعر اجلستاه على القمة : « الكروم المجنونة » و « الاسهم الذهبية » . والى القراء ابياتاً من قصيدة يخاطب فيها الشاعر رونسار :

Tu fis passer la fraiche haleine
De ta blonde maitresse Hélène
Dans tes Odes, comme un parfum.
Et tu jetas dans les pierreries
Qui constellaient tes rêveries
Avec faste, aux yeux de chacun !
Que t'importaient les bruits du monde ?
Que t'importait la terre immonde,
Chantre éternellement ravi ?

ومن يقرأ بامعان شعر هذا الشاعر العذب لا يبقَ في نفسه بقية شك في انه مصدر كثير من الشعراء كبول فرلين وارثور رنبو .

وهل يختلف نَفَس فرلين عن هذه الابيات لغلاتيني :

Quel chérubin sourit dans vos sourires
Et les emplit de si charmants delires ?
L'air, en baisant votre corps velouté
Avec les fleurs, rêve de volupté.
J'ai de l'amour, de l'amour plein mon âme,
Moissonnez-en le meilleur, jeune femme.

وليستطاع القول بان غلاتيني كان خاتمة الشعراء الرومانطيقيين .

* * *

قلنا ان شاعر « الاسهم الذهبية » سمى نفسه بالشاعر الشريد الطريد ... ولهذه التسمية حكاية . ففي العام ١٨٦٨ انشأ غلاتيني جريدة لم تعش طويلاً ، فقنط وسافر الى كورسيكا ملتحقاً بجوقة مسرحية . وفي كورسيكا قبض عليه ظناً من السلطة انه هو المتشرد « جود » الذي اقام البلاد وأقعدها وزج في حجرة باردة اربعة ايام واربع ليال ، ولم يخرج الا بكفالة من محافظ كورسيكا الذي تأكد هويته . على ان اقامته بالسجن اورثته داء رافقه طول حياته القصيرة . فلما عاد الى نورماندیا ، مسقط رأسه ، ادركه الداء . وهناك ، في نورماندیا عشق فتاة حسناء تدعى ايادیني ، شقيقة الكاتب غاريان ، وما لبث ان تزوجها . على ان حياتهما السعيدة لم تطل كثيراً اذ تفاقم داء الشاعر على حين غرة وفاضت روحه بعد نزع بطيء . وما عتم الامر ان لحقت به عروسه وكانت تحبه حتى العبادة .



صورة كاريكاتورية تمثل غلاتيني في احد سجون كورسيكا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

◆

الحركة الفكرية في بولونيا

عرف

الادب البولوني الحديث ثورتين لكل منهما صلة باحداث سياسية ، فقبل ثورة ١٩٠٥ كان الادب يمثل في الحياة البولونية دور دليل الامة الآخذ بيدها . وبعد هذه الثورة التي ثبتت فيها بولونيا شعورها الوطني ظهرت اتجاهات جديدة وعاد الادب سيرته قبل التقسيم ، سوى انه لم يعبر الا عن مظهر واحد من مظاهر الروح البولونية ، فقد ضاقت مهمته واتسعت في آن واحد اذ حال عن كونه زعيم الامة الروحي واتصل بجميع مظاهر الحياة الوطنية ، وكان ان ختم عام ١٩٠٥ عهد الرومانطيقية الجديدة وساد الادب البولوني شعور حاد بالواقع .

ولأحداث الحرب الكبرى الماضية ، ونشأة كتائب جوزيف بيلسودسكي ، وانتصار معركة الفيستول عام ١٩٢٠ وعودة الاستقلال الوطني صلة بثورة ادبية اخرى او بالاحرى بثورة نفسية خلقية اثرت تأثيراً مباشراً في الخلق الادبي . والواقع ان قضية الاستقلال الوطني لم تبق بعد العام ١٩٢٠ الشغل الشاغل لكل بولوني وكل اديب بولوني . على ان مشاغل اخرى حلت محل هذه القضية . فاذا كانت آلام الحرب ونكباتها قد اثرت في النفوس فالآلام التي تحللت حقبة بعد الحرب وبؤوس الازمة الاقتصادية التي انطلقت في بولونيا منذ ١٩٣٠ لم تكن اقل تأثيراً في النفوس من آلام الحرب ونكباتها . فقد انقلبت المراتب التقليدية بطناً اظهر وتحولت الآداب والعادات ، وطرحت الانظمة الاجتماعية على الارض في الامبراطوريتين الجارتين ، وحلت المسائل الاجتماعية في المحل الاول .

وهذه الحالة اوجبت في بولونيا كما اوجبت في سائر اوربا عودة الى الواقعية ، ولكن هذه الواقعية البولونية الجديدة كانت وارثة تلك الرومانطيقية الجديدة التي ما يبرح نبضانها الموسيقي حياً في الذاكرة . سوى ان الآلام البشرية التي يطفح بها عصرنا حركت جميع الارواح الشريفة فنشأ مثل اعلى جديد يقول بمحبة القريب وبالعدل المنزه عن كل اثرة ، وبالعودة الى مبادئ الحضارة المسيحية .

وهذه القضايا الخلقية وجهت الادب البولوني الحديث فاذا هو ادب رصين لا يحترم التكلف العاطفي ولا تحل فيه زخارف الكلام محل الاكرام ، فالقصة يجب ان تكون الحقيقة بعينها بل يجب ان تكون واجباً من واجبات الضمير . هذا الى ان روحاً ديمقراطياً عظيماً يهب في هذا الادب البولوني على اختلاف عقائد الكتاب السياسية . ومن مطالعة نتاج هذا الادب يتضح ان النشاط الفكري في العشرين سنة الاخيرة التي تقدمت الحرب الحاضرة لم ينكمش في بولونيا بل امتد امتداداً كونياً تسلل معه الى جميع الآداب العالمية . وقد اجمع النقاد على القول بان الادب البولوني الحديث تأثر بنفوذين حاسمين ، بنفسية بروست الواقعية ونفسية الانكليزي جويس الانطباعية . ومما يدعو الى الدهشة ان الاديبات البولونيات كن ابرع من الادباء البولونيين في اخراج هذه النفسية الجديدة ، وفي طليعتهن السيدة صوفيا نلكوفسكا في القصة والمأساة ، والسيدتان ايلا كوفيتش وبافليكوفسكا في الشعر الموسيقي .

صوفيا نلكوفسكا

فصوفيا نلكوفسكا هي في عرف معظم النقاد العالميين «اعظم قصاصة في هذا العصر» فقد استهلت عهدها الادبي بنشر قصائد غزلية وانتقلت الى القصة . ثم جاءت الحرب الكبرى الماضية فاحدثت تطوراً عظيماً في عبقريتها . قالت : « كتبت في الحب والفن وفي جمال الفكرة الفلسفية . ولكن لما جاءت الحرب وتداعى العالم ورأيت الآلام البشرية تبدلت طريقتي في الكتابة كأن كاتباً آخر حل في قلمي ... فالاشياء الصغيرة وصغار الناس يستحقون الاهتمام والعطف ... وليس الواقع الأعلى مرتبة من مراتب الجمال في الفن . »

وفي جملة القصص التي وضعتها السيدة نلكوفسكا بعد الحرب « قصة تيريزياهنير » (١٩٢٣) و « الحب الردي. » (١٩٢٨) وفي كلتا هاتين القصتين صورت الكاتبة التبدلات الاجتماعية والخلقية التي طرأت على المجتمع الانساني بعد الحرب . وفي العام ١٩٣٥ اصدرت قصة « جدران العالم » وقد استوحت موضوعها من جميع

اجناس المجرمين الذين اتيح لها ان تقربهم في السجون . وفي العام نفسه اصدرت قصة « الحد » التي نالت جائزة الادب الكبرى . وفي هذه القصة حلات الكاتبة قصة جريمة عاطفية ذهبت ضحيتها شخصية جزيلة الاحترام . وقد يكون موضوعها تافهاً على ان فن الكاتبة يظهر كاملا في انشائها وتصويرها الاخلاق ، ولا سيما اخلاق النساء ، والوسط الريفي الذي تدور فيه حوادث القصة .

ماري دومبروفسكا

وماري دومبروفسكا هي كذلك في طليعة من اعتمد النفسية الجديدة، وقد قيل عنها انها تنظر الى القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية نظرتها الى قضايا خلقية لا مندوحة فيها عن مساعدة الانسان لاخيه الانسان .

أصدرت هذه الاديبة مؤلفها الاول « غصن الكرز » في العام ١٩٢٢ ولكنها لم تحرز نجاحاً الا بمجموعتها القصصية «الذين هناك» وهي تصور حياة المزارعين . اما اهم مؤلفاتها فقصة « الليالي والنهارات » وهي في اربعة اقسام وستة مجلدات صدرت بين ١٩٣٢ و ١٩٣٤ واجلست السيدة دومبروفسكا في المرتبة الاولى من القصاصين البولونيين وأكسبتها جائزة الادب الكبرى . قصت الكاتبة في مؤلفها الضخم هذا قصة زوال مجد اسرة بولونية نبيلة فقدت اراضي اجدادها وصار اربابها يكسبون عيشهم من اكتراء الاراضي او من المهن الحرة . ولا ننس ان بولونيا بلاد ذات تقاليد زراعية فمن يفقد فيها اراضيه يدرج في عداد زائلي الحرمة .

جول كادن براندروفسكي

ويجمع النقاد العالميون على ان جول كادن براندروفسكي هو اعظم كتاب هذا العصر على الاطلاق . وينتسب هذا الكاتب الى جيل يقف على حدود عهدين من الحياة البولونية فمستهل نشاطه الادبي يرجع الى سنوات قبل الحرب الكبرى ، وفي ذلك الحين كان واقعياً وما يزال . ففي شهر آب من العام ١٩١٤ انخرط الكاتب الشاب في كتائب بيلسودسكي . ومن المذكرات التي دونها خلال الحملة أصدر ثلاثة كتب هي « اشياع بيلسودسكي » و « معركة كوناري » و « القبور » . وقد شاء الكاتب الجندي ان يبث الدعوة للجهد الوطني الذي يقوم به جوزف بيلسودسكي وكتائبه فكانت كتبه الثلاثة بناء ادبياً رائعاً ووثيقة تاريخية خطيرة . وبعد الحرب أصدر براندروفسكي « القوس » (١٩١٩ — ١٩٢٩) والجنرال باريز (١٩٢٣ — ١٩٣٠) وهي قصة سياسية تتجابه فيها حقوق الفرد وواجب الدولة . و « الاجنحة السوداء » (١٩٢٨ — ١٩٢٩) وهي قصة اجتماعية في مجلدين درس فيها الكاتب حياة عمال المناجم في حوض دومبروفا ودسائس الرأسماليين واهوائهم . و « ماتيوبيغدا » (١٩٣٣) وهي قصة سياسية في ثلاثة مجلدات وصف فيها الكاتب اضطلاع المزارعين بالحياة السياسية .

الشعراء

في مقهى « بيكادور » بفرصوفيا نشأت بعد الحرب الكبرى كتلة الشعراء الفتيان المعروفة في تاريخ الادب بكتلة سكاماندر، وهو اسم المجلة الشعرية التي تأسست في ذلك العهد . ولا نزاع في ان كتلة سكاماندر تشتمل على اكبر شعراء بولونيا في الوقت الحاضر كتوفيم وليشون وسلونمسكي وفيرزنسكي وايفاز كييفتش .

فجول توفيم شاعر بالفطرة واستاذ من اساتذة الكلام ، جعل من الكلمة اداة للتعبير عن ادق دقايق الروح .

وجان ليشون شاعر احتفظ بالتقاليد الرومانطيقية واعتنق بقوة قوالب الواقعية البولونية . وهو في طليعة شعراء بولونيا الحديثة .

وانطوان سلونمسكي شاعر كلاسيكي جموح الحس .

وكازيمير فيرزنسكي هو الشعر الحلال تجري الموسيقى من قلمه بسهولة كأنها تغني وتنشد . أنشد في بادىء الامر الجمال الجسدي ولذائذ الحياة وزهوة الشباب ثم تحول الى مشاهد اروع واصدر قبيل الحرب الحاضرة مجموعة شعرية بعنوان « الحرية الفاجعة» تنم على مشاغله الوطنية والاجتماعية .

وجاروسلاس ايفاز كييفتش شاعر رقيق مرهف واسع الاطلاع على الاداب الغربية ولا سيما الادب الفرنسي ، يصف مشاغل الزمن الحاضر بواقعية مدهشة وفي غمرة من الالوان والموسيقى .

وصفوة القول ان بولونيا تضم عدداً كبيراً جداً من الشعراء ، فالشعر في بولونيا من تقاليد الامة كما هي الديمقراطية وكما هي الحرية .

●

قلق

•

عاطيت عينيك حديث الهوى ... فتهت من عينيك في مبهمات
لجت شيئا فيهما قال لي : ... اقصر . وشيئا قال : بل خذ وهات
جئت ربيعا غب جدب سرى ... وكفه السمحة ملأى هبات
لا تسألي ان اتمنى . وان ... كنت لدى دنيا من الطيبات
عفت الاماني . انني خفتها ... كم عاش قلبي بالاماني ومات !
ماضيَ لا يمضي . ولكنه ... للغد يبقى غصة والتفات
والنفس مهما اقفرت لم ترل ... تنبت اعشابا من الذكريات !
يا بغية العمر دنت من يدي ... يا حلم زهو وهوى وانفلات
اخاف غب الحلم من يقظة ... ينفرط الحلم عليها شتات

طرطوس — رئيف خوري

هل نحن روحيون ؟

بقلم الدكتور كريم عزقول

◆

يتنازع الحياة في تطورها قوتان : قوة تجذبها دوما الى الامام ، ومبعثها الروح التي تنزع الحياة اليها ، وقوة تشد بها دوماً الى الوراء، ومصدرها المادة التي انطلقت الحياة منها . فالقوة الاولى تسعى لرفع الحياة الى مستوى الروح ، وسنتها التقدم ، والثانية تحاول انزال الحياة الى مستوى المادة ، وسنّتها الجمود. وما يصح في الحياة عامة يصح ايضاً ، وبنوع خاص ، في الحياة الانسانية وتطورها الاجتماعي ، مع هذا الفرق ان اكثر عوامل التقدم والجمود في المجتمع البشري واقواها هو من نوع نفساني فكري ،بينما تلك العوامل هي في سائر الكائنات الحية الاخرى من النوع البيولوجي والمادي .

الفكرة الخاطئة والتطور

واني اود، في هذا البحث، تناول احد العوامل الفكريةالنفسانية التي توقف تيار التطور الاجتماعي وتجمده ، ناظرا اليه من وجهة امتنا وبالنسبة الى مجتمعنا . وهذا العامل هو سيطرة فكرة خاطئة على المجتمع اوالاستمرار على الاعتقاد بفكرة كانت صحيحة ، الا انها ، لتبدل الاوضاع ، لم تعد تنطبق على الواقع .

فان ازدهار العلوم الفلكية والطبيعية مثلا في العصر الحديث لم يكن ممكناً الا بعد انهيار الفكرة الخاطئة التي سيطرت امدا طويلا على العقل البشري وحالت بينه وبين التقدم العلمي ، الا وهي الاعتقاد بدوران الشمس حول الارض . فقد بقي باب العلوم الفلكية والطبيعية مغلقاً ، بسبب تلك الفكرة ، قرونا عديدة ،حتى جاء كوبرنيك بفكرة دوران الارض حول الشمس ، فحل العقل من القيود التي كانت تلك الفكرة الخاطئة قد كبلته بها ، وحركه من الجمود الذي كانت القته فيه ،فسار مندفعاً طليقاً في ميادين التقدم العلمي .

وما بالنا نذهب بعيدا ؟ اما انهارت فرنسا انهيارها العسكري في هذه الحرب لان قادتها استمروا على الاعتقاد بصواب الخطة العسكرية القديمة التي احرزت فرنسا النصر بفضلهافي الحرب الماضية ، معرضين عن نداءات الجنرال دي غول الذي فهم قبل سواه ان ما كان صواباً في الماضي قد اصبح خطأ اليوم ، وانه من الضروري ابدال تلك الخطة القديمة بخطة تكون اكثر انطباقاً على ظروف الحرب الحديثة وحاجياتها ؟

من الجلي اذن ان سيطرة فكرة خاطئة على المجتمع او الاستمرار على الاخذ بفكرة كانت صائبة ، الا انها ، لتبدل الاوضاع ، لم تعد تنطبق على الواقع ، عامل من عوامل الجمود في التطور الاجتماعي ، ذلك الجمود الذي يقود الى الهلاك احياناً .

من عوامل جمودنا

ولا شك في ان مجتمعنا ليس خالياً من مثل هذه الافكار . وما اجدر بنا اليوم ، نحن الشباب، المتألمين من حاضرنا ، التائقين الى مستقبل افضل، الواقعين في حيرة من الطريق التي تؤدي الى ذلك المستقبل ، ان نفتش عن هذه الافكار الواقفة سدّا امام تقدمنا وان نهدّمها .

ولعل اعمق هذه الافكار في نفسية مجتمعنا ، واوسعها شمولا ، وأكثرها غموضاً ، وبالتالي اقواها اثرا في جمودنا وتأخرنا ، هي فكرة روحيتنا، هي الاعتقاد باننا روحيون ، هي القول بروحية الشرق ازاء مادية الغرب .

ففي سيطرة هذه الفكرة على نفسيتنا الشرح الحقيقي لموقفنا العام من مظاهر الرقي والتقدم عند الشعوب الاخرى .

افلسنا كلما رأينا اختراعاً جديدا ، او سمعنا باكتشاف حديث ، او قرأنا عن مظهر من مظاهر العمران في الغرب ، فاستهوانا ذلك ، وتحفزنا للسعي وهممنا به ، برزت لنا فكرة روحيتنا تلك ، تملؤنا نشوة وكبرا ، فنتراخى ونقنع ونتعزى ونحن نقول : اما كفانا اننا روحيون؟

الا نرى مجتمعنا ، اذا قيل له : ما بالك جامدا وقد بلغ الغرب ذروة التقدم ، اجاب : لكم ماديتكم ولي روحيتي ؟ الا نراه كلما قيل له : لقد ملأ الغرب العالم باختراعاته واكتشافاته – لقد انشأ العلوم الواسعة والفنون الرائعة والفلسفة العميقة – لقد سيطر النظام على حياته الاجتماعية واستتب فيها الامن والطمأنينة، وتساوى ابناؤه في الحقوق والواجبات ، واطلقت لهم حرية الفكر والقول والعمل ، وساد في محاكمه العدل والانصاف – لقد تأصل في قلوب ابنائه الشعور بالكرامة القومية ، وحب الاستقلال لبلادهم ، والتفاني في سبيل الدفاع عنها – الا نرى مجتمعنا ، كلما قيل له مثل هذه الاقوال ، يردد ولا ملل : لكم ماديتكم ولي روحيتي، واصفاً بالمادية كل ما هو خلو منه ، واذا سئل عن روحيته هذه وما هي تحير وسكت ؟

روحيتنا الوهمية

ترى ! وما عساه ان يقول ؟ .

أيقول اننا روحيون لاننا قوم لانزال نؤمن بالارواح ، فلا نأتي عملا اونقطع امرا الا ربطناه باسباب غيبية ، ولا نجيل الطرف في حوادث العالم

واعمال البشر الا لمحنا وراءها اصابع خفية تهيمن على كل شيء وتتدخل في كل شيء وهي الشرح الوحيد في نظرنا لكل ما يصيبنا من نجاح او فشل ، من صحة اومرض ، من فضيلة او رذيلة ، من خير او شر ؟

او يقول اننا روحيون لاننا قوم نقنع بالقليل من خيرات هذه الدنيا، ونكتفي بما تيسر منها ، ولا نهتم كثيرا لما يأتي به الغد ، مؤمنين ان خير الحالات ما نحن عليه ، متوكلين على القدر وما كتب لنا ؟

ام تراه يقول اننا روحيون لاننا قوم نتأثر بالامور الخيالية ، وتندفع وراء الاحلام الذهبية ، وتترك لعاطفتنا لا لعقلنا الحكم في ما نريد وفيما لا نريد ؟

كيف لنا ان نجعل من هذه المظاهر اسساً للروحية التي نتغنى بها، وهي دليل لا على روحية المجتمع الذي تبدو فيه ، بل على طفولته وتأخره الفكري ، وبرهان على انه لا يزال في العهد التيولوجي ، بحسب تعبير اوغست كونت ، ذلك العهد الذي تخطته البشرية الراقية منذ زمن بعيد واجتازت من بعده العهد الفلسفي الى ان بلغت مؤخرا العهد الوضعي الذي تسير فيه الان ؟

ماضينا الروحي

اجل ! لا اود القول ان اطلاقنا صفة الروحية على انفسنا مجرد توهم وادعاء . كلا ! فاننا نجد في تاريخنا مبررات كافية لهذه الروحية . ولكن ما اريد ان اقول ، وما ارغب في ان يشاركني شبابنا فيه ، هو ان هذه الروحية التي كانت تنافي الماضي قد فقدناها اليوم وانه من عوامل الجمود فينا استمرارنا على الاعتقاد باننا لا نزال روحيين بينما نحن اليوم ابعد ما يكون عن الروحية .

نعم لقد كنا روحيين ، يوم قام منا اناس حملوا للعالم رسالة روحية سامية وجادوا بكل ما لديهم حتى بدمائهم وارواحهم في سبيل تأدية تلك الرسالة ، الا هم الانبياء .

لقد كنا روحيين ، يوم ظهر بيننا اناس اعرضوا عن الحياة المادية، وانقطعوا عن الملاذ الحسية ، وانصرفوا الى الحياة الروحية . فاغلقوا على انفسهم باب العالم الخارجي ، وحيوا حياة داخلية غنية بالاختلاجات النفسية والشواعر الباطنية ، متسنمين ذروات الكمال على سلم من المقامات والاحوال ، حتى اصبحت انفسهم تضيء وان لم تمسها نار، وتكشف لهم ما لم تشاهده عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على قلب بشر ، واعني بهؤلا جمهور الصوفيين والقديسين والاولياء .

لقد كنا روحيين، يوم سمونا الى اوج الحياة العقلية ، فكان لنا ادب ، وكان لنا علم ، وكان لنا فن ، وكان لنا فلسفة ، وكان لنا ، بكلمة واحدة ، حضارة عالية يحق لنا ان نفاخر بها الامم الاخرى .

حاضرنا المادي

اما اليوم فاين نحن من كل هذا ؟

اين نحن من الروحية النبوية ، وقد فقدنا الايمان باي رسالة روحية، ولم نعد نفهم معنى للتفاني والتضحية تبذل في سبيل فكرة مجردة او غاية سامية ، واصبحنا نعتبر شذوذا اوجنوناً كل سعي يقوم به احدنا ولا نلمس وراءه منفعة مادية اوغاية انانية ؟

اين نحن من الروحية الصوفية ، وقد اصبحنا لا يغرينا الا ما يحرك الحواس فينا ، ولم نعد نقوى على الانقطاع الى انفسنا ولو امدا قصيرا لنحيا تلك الحياة الداخلية الغنية بالاحساسات العميقة التي تعتري النفس في حالات التجرد والعزلة ؟ فكأن كل حواسنا وجميع قوانا النفسية موجهة الى الخارج السطحي مشغولة بمريقه عن اشراق الباطن العميق .

واخيرا اين ثقافتنا اليوم من ثقافتنا بالامس، ونحن في مؤخرة الشعوب الراقية علما وفناً وادباً وفلسفة ؟ واين فينا ذلك العطش الشديد للمعرفة المجردة ، ذلك العطش الذي يخلق العلماء والفنانين والادباء والفلاسفة، ونحن لانطلب المعرفة الا للمنفعة التي نتوخاها من ورائها ونستخف بكل من حدثته نفسه منا ان يطلب المعرفة لاجل المعرفة ؟

من الاكيد اذن ان مجتمعنا، بعد ان كان على درجة عالية من الروحية، اصبح ابعد ما يكون عنها .

*

ولكن قد يكون اطلاق حكم كهذا ، استنادا على اعتبارات عامة كهذه ، دون درس تفصيلي لمجمل حياتنا وبحث تحليلي لدوافع اعمالنا وتمحيص دقيق لعوامل سلوكنا ، ضرباً من التسرع ونوعاً من التهور . غير ان استقصاء هذا الموضوع وبحثه من الناحيتين الاساسيتين لحياتنا الاجتماعية ، الناحية القومية والناحية العائلية ، يقودنا ايضاً الى النتيجة عينها .

حاضرنا القومي

فنحن ماديون في حياتنا القومية ، لان الحس القومي مفقود لدينا . فنحن لا نشعر ، فوق شعورنا بوجودنا كافراد ، بوجود ذلك الكائن الروحي الاكبر الذي هو غير الافراد وغير المجموع العددي للافراد بل حقيقة كيانية حية نحن الاجزاء المتبدلة لكلها الثابت ، والذي يسمونه الامة . ولهذا السبب ترانا لا نشعر قط ، ونحن نقوم بالاعمال الموكولة الينا من قبل الامة ، بمسوءولية تجاه هذا الكائن الروحي الاكبر ، ولا يسيرنا في القيام بهذه الاعمال سوى فكرة مصلحتنا الخاصة وتأمينها تجاه الرؤساء الذين تتوقف هذه المصلحة على رضاهم او استيائهم .

اما مصلحة الامة ومصلحة المجموع ومصلحة البلاد فهي كلمات كثيراً ما نرددها الا انها خالية المعنى على لساننا عديمة التأثير في نوايانا . فمن منا ، اذا ما مرّ في حديقة عامة ، تجنب دوس عشبها واحجم عن قطف زهورها لمجرد كونها ملكاً للامة ومتعة لابنائها ؟ ومن منا ، اذا ما دخل مكتبة وطنية ، تحاشى افساد كتاب من كتبها لمجرد كون هذا الكتاب يخص الامة ويفيد ابناء الامة ؟ بل من منا، في هذه الايام القاسية علينا وعلى العالم اجمع ، يتهيب من احتكار مادة من المواد الاساسية للحياة لمجرد كون هذا الاحتكار سبباً لبوءس ابناء الامة او هلاكهم ؟ نعم لا يخلو بلد من بلاد العالم من المحتكرين . لكن بينما المحتكرون في اكثر بلاد العالم لا يتعدون فئة معينة من الناس اتخذت هذا النوع من العمل مهنة لها ، وبينما هم يعتبرون انفسهم ويعتبرهم الناس مجرمين ،خارجين على الامة ، ترانا كلنا تقريباً مؤهلين لهذا العمل ، ولا يمر ببالنا ، اذ نقوم

به ، إننا انما نقترف جريمة كبرى ، جريمة الخروج على الامة .

وما رأيكم بموقفنا من القيم القومية ، من الكرامة القوميـة ، من الاستقلال القومي ، من الحرية القومية ، من الاستقلال القومي ، من الحرية القومية ؟ انها كلها مجرد الفاظ نتغنى بها وليس لها في انفسنا صدى فعـال او رنة محركة ، يستخدمها ذوو المطامع السياسية للوصول لمآربهم الشخصية ويتركونها امام الباب اذ يعبرونه .

فعملنا القومي خال اذن من كل هدف روحي يحببه او غاية ساميـة ترفعه عن مستوى الانانية النفعية المادية . ومعنى هذا ، بكلـمة اخرى ، ان لا حياة قومية لنا . فنحن اذن ماديون من هذه الناحية .

مادينا العائلية

ونحن ماديون ايضاً في حياتنا العائلية . فالزواج عندنـا ، وان كان أهم مشاريعنا على الاطلاق ، نحتاط له احتياطاً لا نبذله في سبيـل اي مشروع سواه ، فهو يبقى بالحقيقة مشروعاً مادياً محضاً . وليس اهتمامنـا به هذه الاهتمام الزائد دليلا على نظرتنا الروحية اليه بـل نتيجة لكونه في نظرنا المشروع الذي تتوقف عليه حياتنا المادية بكاملها . فهو الواسطة الكبرى لسد حاجاتنا الجسدية الملحة ، وللمحافظة على نعلنا ، ولاستقرار مركزنا الاجتماعي ، ولتسهيل معيشتنا وترفيهها وحسب . ولهـذا كانت الاعتبارات المادية أهم ما يسيرنا في انتخاب الرفيق الزوجي .

فأن تكون الفتاة جميلة الجسد ، وان تكون طائلة الثروة ، وان تكون من عائلة يمكن الاستعانة باعضائها في المصاعب ، وان تكون صالحة للاعمال المنزلية ، لينة العريكة سهلة الانقياد ، هذا أهم ما يتطلبـه الشاب من رفيقة حياته .

اما هي ، فمطلبها الاول ان يكون غنياً ، ومطلبها الثاني ان يكون غنياً ايضاً ، ومطلبها الثالث ان يكون غنيـاً ايضا وايضا . ولا يُظن انني مبالغ في هذه النقطة الاخيرة . فلو تقدم لاحدى فتياتنا طالبا زواج : الواحد قيمته بثروته ، والثاني عيبه الاوحد قلة ماله ، فمن من الاثنين تنتقي فتاتنا ؟ وان احتجت احدى قارئاتي الفتيات على الجواب الذي لفظه كل منا في قلبه ، وقالت في نفسها : انني لفضلت قليل المال ، لسألتها : من منا ، اذا ما سمع اعتراضها ، لا يهز الرأس ويقول : انهـا لا تعرف مصلحتها ؟ وهذه العبـارة أبلغ مختصر للاعتبارات الماديـة التي تحدد موقفنا من الزواج .

أما الاهتمام بالصفات الخلقية ، وبالتناسب الطبعي ، وبالتقارب العاطفي ، وبالتمازج النفسي ، وبالتفاهم الفكري ، اعني الاهتمام بتلك العناصر الـتي تجعل من الزواج شركة روحية ، وتخلق فيه الجو الصالح لبلوغ درجة من الكمال لا تتيسر الا ضمن هذه الشركة الروحية الاثنينيـة ، فهذا أمر قلّ ما نعني به .

وبالواقع ، ما الحاجة الى مثل هذه العناصر في حياة عائلية لا تتعدى العلاقات الزوجية فيها العلاقة الجنسية ولا تتسع لاكثر من تبادل مادي لمصالح مادية : خدمة المرأة للرجل وتهيئة اسباب الراحة والرفاهية له ، واهتمام الرجل بتأمين معاش البيت وحاجيات افراده ؟

اما السعي المتواصل ، عند كل من الزوجين ، لتغذية النفس وتنمية الشخصية عن طريق البحث المناقش والقراءة المشروحة وتبادل ما يوحيه الاختبار الشخصي في الحياة من آراء وافكار وغير ،

اما السعي المتواصل للتوغل في نفسية بعضها بعضاً واكتشاف ما يجول فيها من افكار وصور ، وما يعتريها من اختلاجات واحساسات ، ومـا يشغلها من مشاكل واسئلة ، حتى يتسنى للواحـد فهم الآخر ، وتكييف خلقه على خلقه ، ومشاطرة آلامه وافراحه ، ومساعدته على حل صعوباته وتبديد همومه ، والاشتراك معه في آماله واحلامه وسعيه لتحقيـق تلك الامال والاحلام ؟

أما السعي المشترك للتفاهم على المثال الذي يرغب الزوجان في تحقيقه ، في اولادهما وللاتفاق على الطرق التربوية التي تقود الى تحقيق ذلك المثال وللمساهمة الفعلية من قبل الزوجين معاً في العمل لاجل ذلك ؟

أما السعي المشترك لتوطيد الحياة العائلية على مبادىء معينة ، دينيـة وأخلاقية وقومية ، ينشأ الاولاد في جوها ويتغذون من حرارتها ،

كل هذه العناصر ايضاً ، التي تجعل من الحياة العائلية مؤسسة روحية مفقودة في حياتنا العائلية فقداناً تاماً ، ونحن لا نسعى الى ادخالها فيهـا ، لا بل لا نشعر بضرورة اقامتها هدفا لحياتنا العائلية . فهل نشك بعد هذا من اننا في الناحيتين الاساسيتين لحياتنا ، الناحية القومية والناحية العائلية ، ماديون ايضا ، لا بل غائصون في بحر من المادية ثقيل ، لا تتقلب عـلى سطحه موجـة من امواج الروح ؟

الفكرة القديمة الولودة

فعلينا اذن ان نحل الفكرة الجلية الفائلة بروحيتنا في الماضي وبماديتنا اليوم محل تلك الفكرة الغامضة المسيطرة على عقولنا والقائلة بروحيتنا على الاطلاق دون تمييز ولا تعيين . وباحلالنا تلك الفكرة الجلية محل هذه الفكرة الغامضة نتلخص من فكرة تأخرية عقيمة لنتمسك بفكرة تقدمية ولودة . اذ القول بروحيتنا في الماضي دليل قاطع على قابليتنـا لظهور الروحية فينا من جديد والقول بفقداننا هذه الروحية في الحاضر حافز قوي لنا على بعثها فينا ثانية .

فنحن روحيون لكن بالقوة لا بالفعل ، وروحيتنا انما هي في القوى الـكامنة في اعماق نفسيتنا والتي تنتظر ان نكتشفها وننميها .

روحيتنا المقبلة

بيد انه علينا ، ونحن نسعى لاكتشاف تلك القوى الـكامنة فينا ، ان نعلم ان الروحية الجديدة التي ستنشأ عن هذه القوى حين تفتحها ، ستكون مختلفة ، لاختلاف الزمن وانقلاب الاوضاع ، عن تلك الروحية القديمة التي كانت لنا في الماضي ، وان اصحاب الرسالات والصوفيين ورجال الفكر العباقرة الذين بدأت امتنا تتمخض بهم سيكونون ، ولا شك ، اصحاب رسالات وصوفيين ورجال فكر عباقرة ، لكن من طراز جديد .

كريم عزقول

سلسلة ذكريات الطفولة

قلب موزع

بقلم الانسة فلك طرزي

◆

ترى ما الذي كان يحملها على التساؤل عما تنطوي عليه ظواهر الكلمات التي كانت تسمعها من بعض الذين حولها ؟ لقد كان من اهم شواغلها ان تتبع حركات الوجه عندما تصغي الى متكلم أو الى صامت يتكلم ، لانها ادركت بالحدس ان ملامحه تتحدث احياناً — فاذا بحديثها افصح اشارة واصدق لغة من لغة اللسان واشارته ، ولذا فهي تعتمد على تأمل الوجوه والتفرس في معانيها لمعرفة ما تضمر النفس ، وما يتضمن كلامها من مقدار الصحة وغير الصحة . ومن هنا نشأ تشككها بل ارتيابها من اقوال معظم الناس على اختلاف انواع هذه الاقوال ، وعلى اختلاف قائليها . ارتابت من امر الدنيا ، وارتابت من امر الناس ، لانهم لا يصدقون الاطفال ، ولا يحترمون شعور الكرامة فيهم . فشككت في عواطف اخلص الناس بل اقربهم اليها ، لانها ادركت منذ الصغر ان القلب البشري في تحول وتقلب ، وان الثبات على عاطفة ، او مثل من المثل العليا ، يعوزه قلب كبير ذو مدى يسع الانسانية بضيقها وسعتها .

اكتشفت من امر القلب البشري ما اكتشفته ، وهي ما زالت في السن التي لا تعرف النفس من امور الدنيا غير اللعب واللهو ، وعرفت من امرها ما عرفت . فهالها ذلك وروعها ، وشعرت بان الدنيا مجموعة اسرار والغاز ، يحاول كل امرىء عبثاً الكشف عنها : كل هذه الافكار كانت تدور في نفسها الطفلة ، بصورة مبهمة غامضة ، لا تدري كيف تحل هذا الغموض والابهام عنها ، ولا تدرى كيف تخلص من العذاب الذي يسببه لها الحاحها عليها . كانت تجيش فيها ان مشت وان قعدت ، وان جلست على الطعام ، بل كانت لا تريحها من دأبها حتى ساعة النوم حيث تزداد عنفاً والحاحاً . فمن يخلصها منها ؟ ومن ينجيها من الحاحها ؟ اهي الوحدة ، والوحدة تزيدها تشبثاً والحاحاً ؟ أهي مصاحبة الفتيات ومحادثتهن ، ووجودها بينهن يغذيها ، ويفسح امامها مجالا للجولان والدوران ؟ اذن هلا من مهرب ؟ كلا .. يجيبها ابداً هاتف من اعماق الوجدان .. كلا .. لا مهرب من صوت النفس . لا مهرب من صوت الضمير .. ولا مهرب من الصوت الذي يلح في طلب المعرفة ، الذي يبحث عن الحقيقة .

وكان ايضاً من اهم شواغلها امنية لو تحققت ، لذهب عنها كل شك ، ولتبدد كل ارتياب . تمنت لو ان مغالق جميع القلوب والاشياء التي من حولها تتفتح يوماً ، لترى ما يختفي وراءها من اشياء ، وتتبين العوامل التي تسبب اختلاف الاوضاع في الحياة ، فتعرف لم هنالك شيء يدعى خيراً وشيء يدعى شراً ، ولمَ هنالك وضع يسمى غنى ووضع اخر يسمى فقراً .. بل هنالك اشخاص تنجذب اليهم وهي لا تدري سر هذا الانجذاب ، فلا تجد نفسها الا وقد اختفى وجهها ، بل هذه الكتلة الصغيرة التي منها ذاتها ، في صدورهم ، لكي تضحك او تبكي ، ولكي تصمت او تتكلم . ولم هنالك اشخاص لا تنفر من رؤياهم فحسب ، بل من ذكر اسمائهم ، فاذا سمعتها هرولت بعيداً خشية من ان يتحول توهمها بوجودهم كلما ذكروا ، الى حقيقة ؟ وهكذا تنقضي ايامها بل لياليها في التأمل والتفكير ومحاولة اختراق صميم كل شيء على قدر ما يتيح لها ادراكها الفتى من مقدار النفاذ والتفكير ، بل كثيراً ما كانت تشبه القلوب بالنجوم فتتخيلها براقة في الصدور تهدى خطواتها حيناً وتضلها احياناً .

اكتشفت هذا الامر في ليلة اصطحبتها امها لتلبية دعوة الى العشاء ، وكان المنزل التي تقام فيه الدعوة ذا منظر شيق انيق ، قد بني على شاكلة « فيللا » تحيط به حديقة نسقت اجمل تنسيق ،

وزينت بانواع الزهر والشجر، تتخال جوانبها الدروب التي صقلت بالرمل الاماس الناعم ، والمماشي التي تحف بها اجناس عديدة من الزنبق والورود . ومن عجيب امر الفتاة — ولنسمها ناديا — انها كانت تحب مجالسة الناس على رغم نفورها من الناس . وتحب الاجتماع بهم لاستماع احاديثهم على رغم تشككها من صدق ما يقولون ، بل كانت تجد لذة وغبطة ، ان تسنى لها مشاركتهم في الحديث . لكن المنزل كان غاصاً بالمدعوين في ذلك المساء ، وهذا الامر حرمها من الاختلاط بهم ، لان صاحبة الدعوة هيأت للفتيات اللواتي في سنها او في سن تقرب منها ، مائدة في الحديقة رصعت الخميلة التي تظللها بامبات النور ذات الالوان المشعشعة ، وكان الخدم يروحون ويغدون في الحديقة ، تارة حاملين باقات الزهر ، فتنطلق الفتيات نحوهم ، ويختطفن الزهور من ايديهم ، ويأخذن في تنسيقها وتجميل المائدة بها ، وتارة اخرى كانوا يدخلون المنزل ثم يعودون حاملين اكداس الصحون والشوك والسكاكين ، فتتراكض الفتيات ايضاً نحوهم ، مغتبطات فرحات يملأن الجو بضحكهن واغاريدهن ، ويختطفن الصحون من ايديهم ، ويأخذن في صفها على المائدة وترتيب الاواني وادوات الاكل حولها . فاي ضوضاء قد احدثنه في تلك الليلة ، واي مرح كان ينبعث منهن ، فيفعم المكان كله بنغمات السرور الصافي الذي لا تشوبه كافة ولا رياء . وانها لتذكر كيف من ضحكهن كان يتصاعد رنين يشبه الفضة ويشبه رنين المياه وبعضها يتكسر فوق بعض . ما اعذبها كانت ساعة ، وخفيف اثواب رفيقاتها كان يختلط وخفيف الشجر ، فيولفان نغماً في خفوته وهدوئه سحر عاد بفتاتنا الى التأمل والتفكير . فما كادت تستقر في الناحية المظلمة من الحديقة لتسترسل الى تأملاتها حتى سمعت من حولها اصواتاً تونبها ، وتسألها وتعاتبها ، وشعرت بنعومة الحرير تلامسها ، وبالايدي تنهض بها وتقودها الى حيث المائدة وتجلسها في المكان الذي يتوسطها . وجاء الخدم بالبسة الفراك يحملون اطباق الطعام ، وينحنون امام كل فتاة ويأخذون في توزيعه في الصحون ، فاذا انتهوا من عملهم هذا ، وقف اثنان منهم خلف المائدة وذهب البقية . وكانت شرفة الطبقة المرتفعة ، من الفيللا قائمة قبال المكان الذي جلست فيه ناديا . فكانت تلمح بين حين وحين ، جانباً من وجوه المدعوين ، وطرفاً من لباسهم ، عندما كانوا يقتربون من الشرفة ، جمعاً بعد جمع ، بل كانت مقاطع من كلامهم تبلغ سمعها اذا تحدثوا وهم يقطعون بهو المنزل جيئة وذهاباً ، ولكن ها هو ذا نظرها يعلق باثنين قد اقتربا من الشرفة ولم يعرضا عنها بل خرجا اليها ووقفا في الظلام صامتين . غير ان هذا الصمت لم يطل ، اذ سمعت ناديا صوتاً يشبه الليل لا في ظلمته بل في روعته وعمقه ، ينادي الشخص الاخر قائلا : اشاعر انت بعذوبة الليل يا فخري ؟ فاذا سمع صاحبها السؤال التفت نحوها واجابها بصوت اختلج فيه رنين الرجولة ونبرات حزمها وحنانها اجل ايتها العزيزة . ان شعوري بهذه العذوبة يزدادلا ،بل يتضاعف لان بجانبي من تتمثل فيها عذوبة الحياة وسعادتها و ... و ... ولا ادري ما اقول .. لقد ارتبكت واربكني سحرك . فاذا سمعت رفيقته هذا الاعتراف ارسلت ضحكة منغمة ، ورفعت نظرها تحدق بالنجوم ، ثم التفتت اليه وقالت . « او ما زلت يا فخري بارعاً في مغازلة النساء وخدعهن ، وهدم كل مقاومة فيهن بالكلمات التي تحسن اختيارها ؟ وكأن كلامها أثر في نفسه ، وعز عليه ان لا تصدق قوله تلك التي يحرص على ودادها ، فاقترب منها حتى كاد يلاصقها وامسك يدها وضغط عليها ، واخذ يقول بصوت تقطعه نبرات التأثر : « انا صادق يا وديداد فيما اقول وليس في نيتي خداعك . أفلا تصدقين ؟ بالله قولي كلمة واحدة من هاتين الشفتين تحمل لقلبي السكينة والامان . افلا تجيبين تضرعي ؟ » واخذ ينظر اليها بتوسل وتلهف ، كأنه مدنف عليل ، يرقب الدواء من ذلك الفم المبتسم ، وتينك النظرات، لكنها اكتفت بان ضغطت على يده، واشارت بالاخرى الى حيث المدعوين، والى حيث المائدة تنتظرها ، فتبعها محزونا ، ثم اختفيا .

وعادت ناديا الى رفيقاتها ، تشاركهن الاكل والحديث ، فاذا بهن يعاتبنها ايضاً على تغيبها عنهن وعلى استرسالها الى احلامها وخيالاتها بينما هن استرسلن في سرد قصص المعلمة التي كان ضحكهن ينفجر انفجاراً لمجرد ذكرها وذكر حوادثها واخبارها .

ولكن ها هو زوج آخر يدنو من الشرفة ، ويخرج اليها : ثوب ازرق مهفهف شفاف ، وبذة انيقة سوداء وها هي ذي صاحبة الثوب الازرق ، تعتمد بذراعها على المسند الحديدي ، ثم تخرج من حقيبتها منديلاً فاضت منه رائحة مغرية تدغدغ الشم وتنفذ الى الصميم . وها هو صاحب البذة السوداء . يرسل زفرة عميقة ، كأنه يريد بها فتح جوارحه لتخترق الرائحة اعماقه .. وها هوذا يميل برأسه نحوها ويقول : « او ما زلت يا سارقة القلوب ، تجيدين بل

تبرعين في تأدية هذه المهمة » ولكن هذا الصوت .. وهذا الرنين الذي تتمثل فيه الرجولة ونبرات حزمها وحنانها .. انها تعرفه .. فهو نفسه الذي كان منذ لحظات يشكو ويبوح ويتضرع،ورفيقته الان ليست رفيقة اللحظات المواضي ، هي ليست وداد ! اجل هي غيرها ، تلك التي تضحك عابثة مستهترة ، وتلوح بمنديلها على وجهه لكي تضاعف سلطان سحرها واغرائها . وشخصت الفتاة اليهما كأن تياراً مغنطيسياً ينبعث منهما اليها ويجذب عينيها الى حيث كانا واقفين فرأت الرجل يدنو من صاحبته ويحاول ان يهمس في اذنها شيئاً ، غير انها ابتعدت عنه بدلال واستندت على ركن الشرفة وانبعثت تضحك تارة وتكلمه اخرى وتخاط مرة بالكلام ، فغاظه ان يراها على هذه الحال من الغنج والسخرية ، فاقترب منها وقبض بقوة على ذراعيها واخذ يحدثها بلهجة فيها عنف وفيها توسل ، ثم سار نحو مؤخرة الشرفة واختفيا في الظلام !.

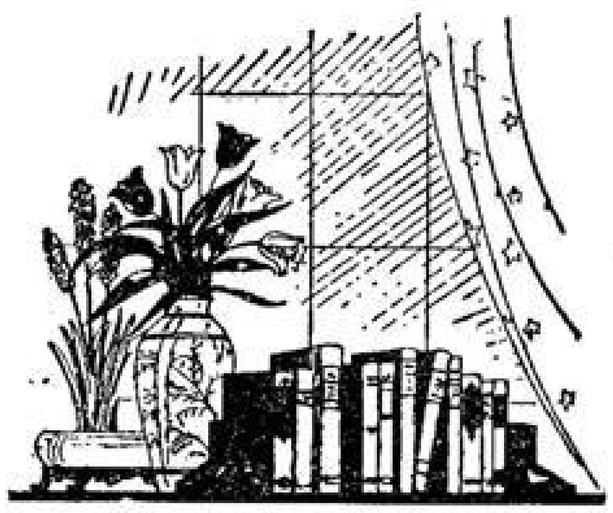
***

الشابة اليوم تذكر كيف تملك الذهول الفتاة الامس عند سماعها ما سمعته ومشاهدتها ما شاهدت وكيف اضطرب امامها منظر رفيقاتها ثم تشوش حتى تحولن اشباحاً ما لبثت ان ولت واختفت وحل مكانها شبح الرجل بين المرأتين يغازل هذه ويلاطف تلك ويلبس خداعه ابهى حال اللباقة ! وتذكر ايضاً كيف كادت تصرخ في هذه اللحظة من شدة الغيظ الذي ضيق عليها النفس . ان هنالك فترة يقظة تمر على الاحداث وهم بعد في سن مبكرة توقظ عواطفهم وحواسهم ثم لا تلبث ان تتلاشي فتعود نفس الحدث الى سابق غفلتها ، حتى تحركها فيه ثانية ، بل تنميها حوادث الحياة وتجاربها .

وعلى رغم الفاصل الزمني الذي يبعدها عن تلك الليلة فما لا تستطيع نسيانهو الاثر الذي انطبع فيها عن القلب البشري ، اذ ان هذه الفترة الخطرة من العمر قد علمتها ان الصدق فيه يكمن بجانب الكذب، والخير قد ينبت بجانب الشر، والاخلاص يتخذ غالب الاحيان ستاراً يتشفع به الخداع .

دمشق — فلك طرزي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



من الادارة

١ ــ ابتداء من الجزء الرابع رفع ثمن الجزء الى ٥٠ غ. ل. عوضاً عن ٤٠

٢ ــ يبقى بدل الاشتراك على حاله . ولا يقبل الا عن سنة كاملة بدؤها شهر كانون الثاني غير ان الادارة لا تتعهد بارسال الجزء الاول عن السنة الحالية لنفاد نسخه .

٣ ــ الاشتراك في الخارج على نوعين :

(١) جنيه مصري للخارج عموماً . ويعطي هذا الاشتراك صاحبه الحق في الحصول مجاناً على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة

(٢) ٧٥ قرشاً في فلسطين والولايات المتحدة ــ و٦٠ قرشاً لباقي الجهات ــ وهذا الاشتراك لا يعطي صاحبه الحق في منشورات الاديب

٤ ــ يدفع بدل الاشتراك مقدماً ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل .

٥ ــ كل المقالات والابحاث التي ترسل الى « الاديب » لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر

٦ ــ تكون جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة « الاديب » صندوق البريد ٨٧٨ بيروت ــ لبنان

اغـــــوار

الى الشاعر بشر فارس

◆

تمرين بي اين طيبُ الهوى العتيق سا.لتك لاتكذبي
على مقلتيكِ من الامس جرحٌ ابحُ ونجوى غرام صبي
فلو كان لي منك وهمُ الذي اود قنعتُ ولم ارغبِ
اعيشُ وحيداً على شاطي. توشح بالهاجس المخصبِ
يلونـه الفجر بالاخضر الرحيب وبالازرق الارحبِ
ويشدو له الحـلم اغنية الشرود بجو الوجود الغبي
اراني عليه اسير الى الله في فكرة بعد لم تعشب
يحف به الموج يلوى عليه ويرتد دون الحفيف الابي
ويغرق في الشمس اعمق غورا من الشمس في جوها المتعب
فالقي بنفسي احتضار الضياء الكئيب على راحة المغرب

...

افتش عنك واغفو واصحو واسكر في خاطر المطلب
وتنشق عيناي عن عالم عجيب وعن هاجس اعجب
على قدمي طيفك المرتمي ذهولا على طلة الغيهب
عصورٌ تموت واسطورةٌ على الدهر مخضلةُ الملعب

صلاح الاسير

●

يوم من ايام دمشق الخالدة

وفاة الامام ابن تيمية في ٢٠ ذي القعدة سنة ٧٢٨ هجرية

في ذلك اليوم نعى المؤذن بمنارة القلعة شيخ الاسلام ابن تيمية وتناقل نداء ذلك الحراس على ابراجها فأذاعته المآذن من الجوامع والمساجد الاخرى فاصبح الناس في اليوم التالي وقد سرى هذا النبأ بينهم وغمرت المدينة موجة حزن واسف عندما سمعوا بنبأ هذا الخطب الجسيم الذي اصابهم بفقدان العالم الامام المجاهد الفقيه الحافظ الزاهد العابد القدوة شيخ الاسلام تقي الدين ابى العباس احمد ابن تيمية .

وكان الشيخ محبوساً بالقلعة التي امر نائبها بفتح ابوابها وجلس في حجرة الوفاة يتقبل المعزين وقد اجتمع بها خلق من اصحاب الشيخ ورجال الدولة وغيرهم من اعيان البلد . اما جماهير الشعب فقد احاطت بالقلعة واتت اليها من احياء الصالحية ومن جهات الغوطة والمرج بعد ان اقفلت المدينة اسواقها .

ويطنب المؤرخون في وصف ذلك اليوم وكيف تلقى الناس اخباره وكيف ساروا في جنازة الشيخ بعشرات الآلاف وكيف اقتحموا باب القلعة ودخلوا زرافـات على الشيخ يقبلون وجهه وكيف امتلأت ارجاء قلعة دمشق وضج الناس بالبكاء والنحيب عليه والثناء والدعاء والترحم له . فقالوا ان يوم جنـازة ابن تيمية كان يوماً مشهوداً لم تر مثله دمشق في تاريخها الا ان يكون ذلك في ايام بني امية حينما كانت قلب العالم المتمدين .

ولما اريد الصلاة عليه بجامع امية خفّت الجماعات اليه حتى امتلأت الرحبات والصحن وجيء بالجند لحراسة النعش ولما صلي عليه صاح صائح بقوله : « هكذا تكون جنائز اهل السنة » وخرجت جنازته من باب الجامع الى مقابر الصوفية مارة بباب الفراديس وباب النصر وباب الجابية والقوم حولها خاشعون .

من هذا الشيخ الذي ارتجّت له الشام باسرها ونعته مآذن مصر واقيمت له كبرى جنائز اهل السنة بدمشق ورفعته الجماعات الى مصاف الابطال رغم كونه سجين السلطة الحاكمة؟ومن القى الناس المناديل والعمائم على نعشه ؟ ومن كانت تخشاه الدولة في الشام ومصر والذي مات وعلى رأسه عمامة بيضاء بعذب مغروزة وقد علا بعض رأسه الشيب ؟

من هذا الذي فاضت روحه وقد تمتمت شفتيه بالآية الكريمة (ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) فكانت نهاية ثمانين ختمة لكتاب الله بدأها عند دخوله المعتقل ودخل الحادية والثمانين فاسلم الروح وهو يتلو هذه الآية الكريمة ؟

لا شك في انه من اولئك الذين بذلوا انفسهم في سبيل الله والدعوة الى الله والعمل بما امر به الله : هو صاحب دعوة قام بها مخلصاً وجهه لله وحده . اما مذهبه واراوءه ولسنا نعرض لها فان ما كتب فيها كثير ولله الحمد وهو متداول ومعروف ، ولكننا نعرض لهذه الشخصية الانسانية الفذة التي جمعت من الصفات والمزايا ما يضعها في مصاف عظماء الرجال من كل عصر .

كان ابن تيمية شخصية فيها من الايمان والقوة والاخلاص والجرأة والصلابة في الحق ما يجعله عالماً وحده . كان ابن تيمية صاحب رسالة من اولئك الذين بعثوا لينشروا بين الناس تعاليم وافكار ومبادىء تهدم القديم الرث البالي وتصور لهم المتناقضات السائدة في اوساطهم وتدعوهم الى كلمة سواء ثم ترسم لهم قيماً جديدة اخذها الشيخ من كتاب الله وسنة رسوله وهديه والعودة الى السلف الصـالح الذي كانت ترتجف لعزائمه الدنيا . واتخذ له نبراساً لا يحيد عنه هو تصفية العقيدة وتوجيهها الى التوحيد والخضوع للذات السرمدية الاحدية التي تسيطر على هذا الكون وتقوده الى الخير الصرف .

ان تعاليم ابن تيمية خالدة بين الناس وهي لا تزال تشغلهم وسوف تشغلهم في المستقبل القريب والبعيد ولكن شخصيته وعمله وبطولته امور لاتزال مخفية عن الكثيرين . ولذلك سنحاول ان نعرض لبعض نواحيها ويسعدني ان اكون قد اديت بعض الدين لصاحبها ولمدينة دمشق التي ضمت رفاته ولها في قلبي ونفسي اروع واسمى مكان .

ودمشق اذا افتخرت بتاريخها الخالد وايامها الغر وآثارها التي نخج ، من مصر وغيرها لرؤيتها، واذا افتخرت بدولها ورجالها وابطالها، فمن حقها ان تفخر بابنها البار الامام ابن تيمية الذي عرض حياته للموت من اجلها والذي جاهد اكمل الجهاد وذاق مرارة السجن وتحمل كيد الكائدين فهو جدير بان تقام باسمه مدرسة او ينشأ باسمه ميدان وان يفرغ لذكراه يوم او بعض يوم .

ابن تيمية المجاهد المرابط ضد التتار

يموج وسط عجيج الناس في دهش من نبأة قد سرى في الحي ساريهـا (من عمرية حافظ)

كانت بسنة ٦٩٩ هجرية سنة مهولة على البلاد اذ قصد التتار تحت قيادة قازان الاراضي الشامية ولم يكن هناك بيبرس ولا قلاوون ليحميها او ليخلق من الهزيمة نصراً كما حدث قبل ذلك في عين جالوت او مرج حمص .

كان التتار يغزون وهم على دين ابائهم ، اما هذا العام فقد جاؤا واسم سلطانهم محمود وهم يظهرون الاسلام ومعهم المؤذن والشيخ والامام ليؤمهم في اوقات الصلاة .

جاءوا الشام وقد اختل امر مصر والشام وانضم فريق من امراء البلاد اليهم فسلمهم الجزء الشمالي من سوريا بغير قتال .

وصلوا النبك واحتـلوا القطيفة وانكفأ جيش مصر والشام الى البقاع وبعلبك وفتحت دمشق ابوابها ، ما عدا قلعتها العتيدة التي ابت ان تستسلم . وكان ابن تيمية في التاسعة والثلاثين من عمره في حركة دائمة لا يستقر ولا يهمد لم يقبل ان تترك دمشق بغير امن ، فذهب مع اعيان البلد وقابلوا عاهل التتار واحتج عليه قائلاً :

انت تزعم انك مسلم ، فلماذا اتيت الينا غازيا ؟ وانت عاهدت فغدرت ، وقلت فما وفيت . واشتد اللجاج بينه وبين قازان وقطلوشاه وبولاي . كانت مواقف ابن تيمية لله وحده ولم يخش الا الله عز وجل . واتوا للوفد بطعام فاكلوا منه الا ابن تيمية فقيل له : الا تأكل ؟ فقـال : كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من اغنام الناس وطبختموه مما قطعتم من اشجار الناس ؟

قيل ، وطلب اليه عاهل التتار الدعاء فقال في دعائه : « اللهم ان كان عبدك محمود هذا انما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك فانصره وايده وملكه العباد ، وان قام رياء وسمعة وطلباً للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذل الاسلام واهله فأخذله وزلزله ودمره وأقطع دابره . » قال هذا وقازان يؤمن على كلامه . ولما خرج الوفد من حضرة العاهل التتري التفت بعضهم اليه قائلاً : كدت ان تهلكنا وتهلك نفسك . والله لا نصحبك من هنا . » والغريب في امره بعد هذا ان يتبرك به جند التتار ويأخذوا به فيدخل دمشق وفي ركابه ثلاثمائة منهم . كان وقتاً شديداً على الناس فتحت فيه السجون وخرج منها الاشرار ينهبون ، وامتلأت القرى بالجنود وكثرت المصادرات وراجت الاراجيف والاشاعات ، كل هذا والشيخ لا يهمد يرأس الوفود ويفك الاسرى ويواسي المرضى .

وفي يوم من الايام رحل جند التتار عن البلاد وانسحبوا الى عقبة دمر ومنها غادروا نهائياً المدينة تاركين بها احد الامراء الذين انضموا اليهم نائباً عنهم ، كل هذا والقلعة صامدة وابن تيمية يدور كل ليلة على الاسوار يحرض الناس على الصبر والقتال ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط .

واخيراً انكشفت الغمة بقدوم عسكر مصر وفتح لهم باب الفرج مضافاً اليه باب النصر وجاء عسكر الشام وعلى رأسه نائب دمشق جمال الدين الافرم وكان دخولهم في تجمل زائد الوصف .

ابن تيمية يلازم عسكر الشام في تنقلاته

نفخت روح الجهاد في نفسه نشاطاً جعله يختلف عن غيره من شيوخ عصره . فهو بمجرد عودة عسكر دمشق لا يتركهم بل يلازمهم في تنقلاتهم ، وفي ركابه خلق من اهل حوران ، يدعو الى الهدى . فر ببعلبك والبقاع وجبال الجرد والكسروان يخطب ويهدي فتاب كثيرون على يديه وحسن معتقدهم ، وكان كثيرون لا يحرّمون ما حرم الله ورسوله . وحينما عـاد امير دمشق وقد رأى من عمل الشيخ وفتوته ما رأى وامر لاول مرة ان يتعلم الفقهاء الرمي بالنشاب وان يستعدوا بتعلم الفروسية وطرق القتال المختلفة ليواجهوا العدو ان حضر ، ولا ريب في ان للشيخ يداً في ذلك الرأي السديد .

الشيخ يعمل والخطر على الابواب

لم يكن ثبات القلعة بدمشق وعودة الجند ليزيل القلق من النفوس . فقد اقسم عاهل التتار هذه المرة ان يملك الشام ويفتح مصر عنوة

وملأ الدنيا باشاعاته والناس اشد ما يكون ذعراً، كل هذا وابن تيمية لا يبالي : يقعد بمجلسه كالعادة في الجامع يحرّض الناس كل يوم على القتال ويسوق الايات والاحاديث الواردة في هذا المعنى ويحرّم الفرار ويرغب الناس في انفاق الاموال وان ما ينفق في الهجرة اذا انفق في سبيل الله كان خيراً .

اضطرت السلطات ازاء هذه الهجرة المستمرة نحو مصر والكرك والشوبك ان تمنع الخروج بغير ترخيص خاص وكانت الانباء قد وصلت بوصول التتار الى الشمال مرة اخرى وبتراجع جند الممالك الحلبية ثم نزلت الامطار فاعاقت السير الى الجنوب والى الشمال .

موقف الجرأة والشجاعة والاخلاص

كان موقفاً رائعاً فذاً في التاريخ ، اقرأه ونفس تضطرب ،حينما خرج الشيخ في صباح السبت من مستهل جمادى الاولى سنة ٧٠٠ هجرية وقابل نائب الشام بالمرج فواجه الجنود وثبتهم وقوى جاشهم وطيب قلوبهم ووعدهم بالنصر والظفر على الاعداء وتلا قوله « ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله غفور رحيم» .

وبات ليلته وسط العسكر والكل يحيون هذه الروح التي وضعوا آمالهم فيها . اتدري ماذا يطلب منه امير الشام ونائب السلطنة فيها ؟ يطلب اليه ان يركب على البريد الى مصر ليستحث السلطان على المجيء اليهم ويسوق الشيخ على خيل البريد الى القاهرة وهو اينما يحل يستحث الناس الى المبادرة .

اقام الشيخ في قلعة مصر ثمانية ايام وقد اجتمع بالسلطان والوزير واعيان الدولة فاجابوه الى الخروج وكان فيما قاله لهم « ان كنتم اعرضتم عن الشام وحمايته اقمنا له سلطانا يحوطه ويحميه . لو انكم لستم حكام الشام ولا ماركه واستنصركم اهله وجب عليكم نصره ، فكيف وانتم حكامه وسلاطينه وانتم مسئولون عنه؟»

ثم عاد كما اتى على البريد من مصر وقد ادّى امانته ونفخ في النفوس روحا للكفاح جديدة .

معركة فاصلة على ضواحي دمشق

استمر المد والجزر بين الفريقين والرسل تتوالى الى ان دخلت سنة ٧٠٢ هجرية وقد قدم جيش مصر وعلى رأسه الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وزحف التتار من جهتين من الشمال فوصلوا الى البقاع واحتلوا بعلبك، ومن الشرق وصلت طلائعهم الى القريتين ، كل هذا والتتار لا يعلمون بقدوم السلطان من مصر ولما وصل دمشق قرّر ان يكون المصاف في جنوب دمشق بقرية شقحب واتم التعبئة والحشود ومشى السلطان والخليفة بجانبه ومعهما القراء يتلون القرآن ويحثون على الجهاد ويشوقون الى الجنة .

في هذا الموقف العصيب يقوم الطابور الخامس بدعايته فيقول كيف تحاربون قوماً اسلموا وهم اخوان لكم؟ وهنا برز الشيخ بقوته ومضاء ، فكره فالهمه المولى هذه العبارة « هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على عليّ وعلى معاوية ورأوا انهم احق بالامر منهما . وهؤلاء يزعمون انهم احق باقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على الناس ما هم فيه من المعاصي والظلم، ولكنهم متلبسون بما هو اعظم منه باضعاف مضاعفة . والله لو رأيتموني من ذلك الجانب وعلي رأسي مصحف فاقتلوني .» فقويت النفوس وانقطعت دعاية الضلال . فلما تم الترتيب اخذت كراديس التتار تزحف كقطع الليل والتحم القتال على طول الجبهة قتالا هائلا رائعاً بيعت فيه النفوس بغير حساب، كل هذا والجاشنكير يسيطر على المعركة بجند مصر والشام . وهنا مال قطلوشاه القائد التتري الى جبل قريب ونظر الى السهل والجبال المحيطة فاذا الميسرة السلطانية ثابتة لاتتزعزع والاعلام خافقة وجيء اليه باحد الاسرى فسأله : من انت؟ فقال : من امراء مصر : فعلم بانه قد خسر المعركة .

معركة فاصلة دامت اربعة ايام اظهرت فن القيادة والتعبئة الفائقة لدى القواد المصريين والشوام واختتمت بالنصر الباهر الذي نفخ فيه ابن تيمية من روحه .

وقبل اختتامها حاول قطلوشاه للمرة الاخيرة ان يجازف يائساً فقذف بما بقي لديه فرساناً ومشاة وقد ترجل الخيالة فلقيتهم المماليك السلطانية من البرجية بسور من الفولاذ مزّقهم شر ممزق وحلت بهم الهزيمة فانتشروا منهزمين الى القريتين وقد تتبعهم العامة .

وتقهقر قائدهم عائداً الى بلاده فلم يعبر الفرات الا في شرذمة قليلة من هذا الجيش اللجب الذي عبأه لفتح مصر والشام .

وبات السلطان بالكسوة ثم دخل دمشق وقد فتحت قلبها وتلقته لقاء الابطال بعد ان أزال الهم والغمة عنها .

وفي مكان المعركة وبغير غسل ولا كفن، جمع من استشهد من ابطال المعركة، فدفنوا في موضع واحد وبنيت عليهم قبة ارجو ان تكون باقية الى اليوم . و كان الشيخ اول من فرح قلبه لهذا النصر المبين .

سنوات الكفاح من اجل المبدا.

مرت ابتداء من سنة ٧٠٥ سنوات كفاح للشيخ من اجل المبدأ يقارع الايام وتقارعه وتغمره موجة من الدسائس فيخرج منها سالماً وتعقد المجالس لامتحان عقيدته فيخرج من هذه المغامرات احيانا الى الحرية وحيناً الى السجن ، وطلب الى مصر فلما ازمع السفر ازدحم الناس لوداعه وفي ابان سفره لم يترك فرصة تمر دون ان يقف واعظاً للناس . ولما وصل القاهرة واجتمع له العلماء واختلف معهم ادخل في احد ابراج القلعة وبقي بها محبوساً وكلما نجحت محاولة لاخراجه من معتقله ابى الا ان يبق بحيث هو والناس تقصده وترسل اليه المستعصي من الامور لاستفتائه .

الشيخ في الاسكندرية

انتقل ابن تيمية الى الثغر الاسكندري في صفر سنة ٧٠٩ بصحبته امير من الامراء فأدخل دار السلطان وانزل في برج فسيح منه ووصلت اخباره الى دمشق بعد عشرة ايام من سفره من القاهرة المعزية فقلقت الخواطر عليه وتألم انصاره وخافوا سطوة اعدائه الذين ربطوا النية على النيل منه . وكان الشيخ يحضر الجمعات ويقيم الوعظ فيأتي اليه الناس من اهل الاسكندرية افواجاً ينصتون اليه ويقرأوا العلم عليه وقد ازدادوا تعلقاً به ومحبة له وتقرباً منه .

ووصل الى دمشق كتاب من اخيه يقول : « ان الاخ الكريم قد نزل بالثغر المحروس على نية الرباط . فان اعداء الله قصدوا بذلك اموراً يكيدونه بها .. وقد انقلب اهل الثغر اجمعين الى الاخ مقبلين عليه مكرمين له في وقت ينشر من كتاب الله وسنة رسوله ما تقر به اعين المؤمنين . ولقد استتاب جماعة منهم واستقر عند عامة المؤمنين وخواصهم من امير وقاض وفقيه . »

ويقول ابن كثير وهو من المراجع التي اعتمدنا عليها مع غيره ان الشيخ اقام بالاسكندرية ثمانية اشهر، وكان سكنه في برج متسع مليح نظيف له شباكان احدهما الى جهة البحر والاخر الى جهة المدينة وكان ينزل عنده من شاء ويتردد عليه الاكابر والاعيان والفقهاء يقرأون عليه ويستفيدون منه وهو في اطيب عيش واشرح صدر .

الشيخ في حضرة الملك الناصر محمد

دارت الايام دورتها وعاد الملك الناصر الى عاصمة ملكه بعد زوال حكم اعدائه وكان ذلك في عيد الفطر المبارك من سنة ٧٠٩ وقد استقبلته في القاهرة وقبل ذلك بدمشق دنيا من الافراح اذ استبشرت العاصمتان بعودة ابن قلاوون الى ملكه وحيته الجماهير وهتفت له ذلك الهتاف المحبوب « يا ناصر يا منصور » . ولم ينس المليك الشاب في افراحه الشيخ المجاهد ابن تيميه فأرسل اليه وحضر الى القلعة معززاً مكرماً مبجلاً وكان قدومه في ١٨ شوال . وقد خرج مع الشيخ خلق عظيم من الثغر الاسكندري يودعونه بالبكاء لتركه مدينتهم ولما دخل علي الناصر تلقاه ومشى اليه وأنس به في محفل كبير جمع قضاة مصر والشام فاصلح السلطان بينه وبينهم ونزل الشيخ الى القاهرة وسكن بالقرب من المشهد الحسيني والناس يترددون اليه من الامراء والجند وهو يقول لكل من يعتذر اليه : « انا حللت كل من اذاني . » وجدد الشيخ سابق عهده بدمشق ولكن بمدينة دمشق المعزية — قلب العروبة — فأخذ يقيم حلقات الدرس ويبدأ حياة كفاح وجهاد في سبيل العلم .

هذا هو الشيخ الذي يضم عظامه قبر بسيط بفناء الجامعة السورية، والذي كان يمثل دنيا وحده ، وكانت شخصيته فذة جديرة بالبحث والدرس . اننا في حاجة ان نستلهم الماضي ونستوحي من صفحاته، وابن تيمية رجل من رجال الماضي وشخصيته تطل علينا من وراء القرون .

كان ابن تيمية دمشقياً مائة في المائة، وكان مصرياً مائة في المائة، فهو حلقة الوصل بين البلدين في عصر مضى . وانني كلما دققت النظر في تاريخه وتعمقت التأمل في اقواله اجد نفسي ازاء رجل اقف امام ذكراه والاحترام يملأ نفسي .

والان في ارض هذه العاصمة الخالدة ، وفي فناء جامعتها المباركة اقول «هنا يرقد رجل . »

احبك

احبك فوق ما تسع القلوب وخيلَ شاعر ووعى حبيبُ
لأنت من السماء سحابُ عطرٍ يسحّ عليّ منك ندى عجيب
احسك بي فعرقك صار عرقي وما لقذى بعرقينا دبيب
فنحن اذا التقي صدر وصدر لنا فكما التقي كوب و كوب
وان مُزجت بنا خمر وخمر تمازج في الندى نسَم وطيب
ارى ادبي بعينك حين يهوي على فمك الاديب في الاديب
بنا نار وليس بنا هشيم وعاصفة، وليس لنا هبوب

الباس ابو شبكة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثقافة الصحيحة

بقلم رئيف خوري

◆

يتساءل بعضهم : اي ناحية من نواحي الثقافة ، الان، جديرة ان تستغرق اهتمامنا قبل شقيقاتها النواحي الاخرى ؟

ان التفاتة الى العالم تشعرنا بعظيم اهمية الدور الذي نعيش فيه. فأقل ما يقال في هذا الدور انه سيكون عميق الاثر بعيده في مصير البشرية ونحن جزء منها . لقد نصب في هذا الدور ميزان عظيم وضعت في احدى كفتيه قوى وقيم ، ووضعت قبالتها في الكفة الاخرى قوى وقيم ، والكفتان في حركة اخذت مجراها اخذاً عنيفاً .

نقول هذا لا لانه شيء جديد بل لانه مقدمة نخلص منها الى نظرة في الثقافة لا بد لنا منها . فاذا كانت الثقافة حاجة من الحاجات — ولا اخال احداً يجادل في الامر — واذا كان هذا الدور الذي نعيش فيه عظيم الاهمية كما قلنا ، فقد وجب ان ننظر الى ثقافتنا من خلال مقتضيات الدور الذي نعيش فيه ، اذ ما دامت الثقافة حاجة فانها ككل الحاجات تحتم علينا ان نسعى وراء ما يعوزنا وما ينفعنا منها في الظروف الواقعة .

فلنعر التفاتة الى ثقافتنا الحاصلة اليوم . انها من نوع الثقافة الذي ينعت بالادبي . وما اريد ان ازدري الثقافة الادبية ، ولكن لي مأخذ آخذها على بعض نظرتنا الى الادب . فما زال الكثر منا يرون في الادب كلاماً بارع التصوير والتعبير قبل كل شيء . فاما محتوى الكلام الفكري فهو عندهم ليس من الاهمية بمكان . واما مواجهة الادب مشاكل العالم ، واما وقوف موقف من قوى العالم وقيمه المتقابلة في كفتي الميزان العظيم المنصوب اليوم ، فذلك امر لا يشغل الادب في كثير او قليل . ذلك لان الادب من حيث محتواه المعنوي يتعاطى في رأيهم شؤون النفس البشرية . والنفس البشرية الباقية ما بقي البشر هي في رأي هؤلاء واحدة احبت قديماً وكرهت ، وآمنت وشككت ، ورضيت وسخطت ، واملت ويئست . وهي الان تحب وتكره وتؤمن وتشكك وترضى وتسخط وتؤمل وتيأس ، فالادب الباقي هو الذي يحسن تصوير هذه الحالات التي تتقلب عليها النفس البشرية ، وهو الذي يجيد التعبير عنها بالكلام الانيق العذب .

ولنسلم ان هذا صحيح ، ولو ان فيه بعض الصحة فقط . الا يبقى لدينا ان نتساءل عن شؤون النفس البشرية التي يتعاطاها الادب من حيث محتواه المعنوي — اجل، الا يبقى لدينا ان نتساءل اذا احبت النفس البشرية وكرهت وآمنت وشككت : ماذا احبت وماذا كرهت ، وبماذا آمنت وبماذا شككت ؟ أليس من الضروري ان نتعرف الى القيم والقوى التي ارتبطت بها هذه المطلقات العاطفية عند النفس البشرية ؟

قال دعبل الخزاعي :

اني لاغلق عيني . ثم افتحها على كثير، ولكن لا ارى احداً

وفي قوله مرارة من الناس واستهانة بهم ما بعدهما مرارة واستهانة . ولكن فهمنا لبيت دعبل يبقى سطحياً حتى نعرف اي الناس قصد ، ونتبين بعض ميول الرجل . فقد كان دعبل في العصر العباسي محباً للبيت العلوي يرى لهم الحق في الخلافة ويرى عيوباً يعيب بها حكم العباسيين ، ويرجو غضبة يغضبها الناس للحق فيشفوا غله ، فلما لم يفعلوا شفي غله بالناس اذ قذفهم بهذا البيت الشديد الوقع .

وهكذا تبدو لنا مرارة شاعرنا من الناس واستهانته بهم في ضوء جديد . ولولا هذا الضوء لبدت مرارته واستهانته في حكم عاطفة عمياء وشتيمة رخيصة ، لا في حكم غضبة معذورة وثورة يبررها اعتقاده بان الحق سليب .

ولكن من اين جاءنا هذا الضوء الجديد الذي عمّق فهمنا لبيت دعبل واحساسنا به ؟

جاءنا من التاريخ ! ولقد اسلفنا القول اننا لا نريد ازدراء الثقافة الادبية ، ذلك لان الادب يستطيع ان يلتقط بعدسته صور الحياة ويستوعبها جميعاً . والثقافة الادبية تستطيع ان تكون غنية غنى الحياة نفسها . هذا حين يكون الادب نفيساً والثقافة الادبية واسعة ، وحين تكون النظرة الى الادب صحيحة تقرّ ان الادب لا قيمة له اذا سخف محتواه الفكري والمعنوي ، وتدرك ان المطلقات العاطفية عند النفس البشرية من حب وكره وامل ويأس ، انما تتقيد في كل دور بقوى وقيم تكون هي موضوع الحب والكره والامل واليأس . فاذا اهملنا فحص هذه القوى والقيم فاتنا عمق الفهم للادب ودقة الاحساس به . ذلك ، وينبغي التنبه الدائم الى ان الثقافة الادبية عرضة ابداً لخطر هو خطر « الكشكولية » . والمقصود « بالكشكولية » تقميش الاشياء من هنا وهناك وكردسة بعضها فوق بعض دون ما نظام ، ودون ما نظرة شاملة انسانية تنير لنا علائق تلك الاشياء ومواقعها .

كلمة مقتضبة : لا بد للثقافة الادبية ، وللثقافة على الاطلاق ، من التاريخ وضوئه الكشاف .

والحق ان ثقافتنا ضعيفة ، من حيث معرفة التاريخ . ولا يتعدى التاريخ الذي يعرفه اكثرنا ذكر احداث متقطعة وتراجم افراد ، فكأنه « كشكول » طرائف . فاما نقد التاريخ على انه عمر البشرية الطويل وسجل حياتها واختباراتها ، وطريقها المديد الذي يرسم لنا مدارجها بالامس ويكشف عن اتجاهها في الغد ، فنقد التاريخ هذا لا يزال بعيداً عن متناول الاكثرية الغالبة .

ومن لا بصر له عندما يلتفت الى وراء فلا بصر له عندما ينظر حوله او يتطلع الى الامام .

ولو ان هذا الدور الذي نعيش فيه لم يكن دوراً يحتم علينا صفاء البصر عندما نلتفت الى وراء او ننظر حولنا او نتطلع الى امام لكان بالامكان ان لا نكلف انفسنا عناء الاخذ بنصيب وافر من الثقافة التاريخية الصحيحة . ولكنه دور قد نصب فيه ميزان عظيم كما قلنا ، وضعت في احدى الكفتين من الميزان قوى وقيم تقابلها : قوى وقيم وضعت في الكفة الاخرى . ولن نقدر ان نكون بمعزل عما تسفر عنه هذه الحركة التي اخذت مجراها اخذاً عنيفاً بين كفتي الميزان ، ذاك لاننا نحن موضوعون في الميزان ايضاً .

وبعد فالثقافة التاريخية اقدر معلم ينفذ بنا الى سر الثقافة الصحيحة . والمفهوم بالثقافة الصحيحة — طبعاً — هو غير جمال الزي ، ودقة السلوك في الصالونات ، بل البصر بالامور واهميتها وما يلعب كل منها من دور ، والبصر بطريق سير الامور ، وطريق العمل على اساس من هذا السير .

تعلمنا الثقافة التاريخية الصحيحة درسين عظيمين :

الاول — ان التاريخ يتحرك صاعداً رغم وقفات ظاهرة ، وانتكاسات الى الوراء ، وله قوانين في هذه الحركة . ومما يدعونا الى الغبطة والفخر ان ابن خلدون في مقدمته الخالدة هو الذي قرر هذه الحقيقة التي لا يزال يجادل فيها اولو « الميوعة » الفكرية والفلسفية ومن يخشون ان يكون للتاريخ قوانين يسير عليها وان يحق سيره مصالحهم . يقول التاريخ : « الويل لطلاب الوقفة او الرجعة . » لقد ترك مجالا لنيرون الرهيب . ثم حقره تحقيراً . حمله على استجداء الموت من احد غلمانه ، اذ كان الطاغية اجبن من ان ينتحر . ولقد ترك التاريخ مجالا لمترنيخ عدو اوربا المستيقظة على افكار الثورة الفرنسية ثم اظهر له التاريخ تفاهة شأنه اذ اضطره الى الهرب من احد شبابيك القصر خوفاً من غضب الجماهير الصاخبة في شوارع فيينا .

اما الدرس الثاني الذي تلقيه الثقافة التاريخية ، فهو ان لا تعتبر القيم والقوى مطلقة ومجردة ، بل بالقياس والمقارنة بعضها الى بعض والى الدور الذي هي فيه ، والى الغرض الذي تستهدفه . واراني ان اجيد التعبير عما اقصده باحسن من تلاوة هذه الحكاية الصغيرة التي رواها مرة السياسي الشهير فنزيلوس ، حين سئل عن اذكى شخص عرفه في حياته ، فقال : انه انطلق يوماً الى بستان اطفال يتفقد فيه التعليم . فسأل صبياً لا يتجاوز الثامنة من عمره : كم اثنان واثنان ؟ ففكر الولد قليلا ثم اجاب : اتسأل عن اثنين واثنين رقم فوق رقم ، ام رقم الى جانب رقم ؟ لان جوابي سيختلف باختلاف وضع الرقمين . فاثنان الى جانب اثنين — اثنان وعشرون . واثنان فوق اثنين — اربعة . قال فنزياوس : هذا اذكى من عرفت في حياتي .

ان ثقافتنا اليوم ينبغي ان تكون قبل كل شيء ثقافة التاريخ الصحيحة البصيرة بكل ما في ذلك من معنى .

طرطوس — رئيف خوري

عروس الليل

اذا توسّد الظلام ظهر هذا الكفن المتحرك عرّاك الليل
فتفاخرين بعريك ، الاشباح النهمة اليك ،
وتهزئين من جمرة الازل الساطعة

انت ترتعين بين احضان العتمة
تحاولين ان ترتوي من لذة الخفايا
وتدفعين بقدميك الصغيرتين
الى الظلمات العميقة
ثم تتقدمين على غير هدى
وتستسلمين عروساً الى الليل
حتى اذا طلع النهار
اسبل النور أشعته عليكِ
وألبسكِ ثوب الحقيقة
وأعاد اليك ما أفقدكِ الليل
ولكنك جاحدة
تعترفين بالنور عندما تبصرين
فاذا توارت الاشياء عن ناظريكِ
انكرت نفسك الضوء المتغلغل في اعماقها
وتعودين الى الظلمة
ترقصين ، رقصات الفرح
وتسبحين وتهلّلين للعتمة

المتعطشة الى جسدكِ العاري
تستبيحه في سكونها المخيف ...

سوف يشيخ هذا الجسد
وترتوي منك الدجنة
ونفسك بعد فتية
تطلب الليل
فتأبى الآلهة ان تقيمكِ بين جواري الليل الحسان
حتى لتأبى ان تضمك
الى خدم معبده وهيكله الموحش الرهيب
بعد ان كنت عروساً
تأمرين الاشباح
فتحملك في هودج
صيغ من نسمات الليل
وانفاس الرياحين
وهمسات الشفاه
وخفقات القلوب
وقد القيت برأسك الصغير
على اضلع الليل
بينما اصابعه تداعب شعرك الفحمي
وفمه يتلمس عينيك !

البير اديب

اثينا امس واثينا اليوم

حدثاني عن اثينا ، مدينة الفكر والاناقة ، مدينة الحكمة والمجد ، مدينة عظماء القواد والخطباء والشعراء ، مدينة المرمر والهياكل الفخمة ، وآلهة الذهب والعاج ، مدينة اللغة الجميلة تجري نقية على ألسنة الجميع من ابنائهـا ، خاصتهم وعامتهم ، حتى على لسان المرضع وبائع البقول .

حدثاني عن اثينا ايام كانت مليكة المتوسط ، قاهرة الفرس وطغاة الاسيويين، وباعثة الحرية من مضيق سلامين ، ايام كانت تعج بالفلاسفة والشعراء والخطباء والمغنين وارباب الفن والابداع،فتبهر الابصار صور فيدياس المنحوتة وتسحر الاسماع من فوق ملعب باخوس اجمل اصداء الشعر من سوفوكل واوريبيد .

حدثاني عن الحياة في اثينا عندما كان الاثيني السعيد في بلاده ، هو يسن شرائعها،وهو يقيم قضاتها ،وهو يقضي بالسلم والحرب ملقياً عبء ما تبقى من اعمال الحياة على من يريد من الخول والعبيد ، عندما كان ينهض مع الفجر فيرتدي عباءته وينطلق من داره فلا يعود اليها قبل المساء ، عندما كان يقضي نهاره في النزهة على الشاطىء او في ظلال الشجر في لعب النرد او سماع الخطباء من مغالطين وحكماء فيضحك من اولئك ويصفق لهؤلاء مأخوذاً لكل دعابة ، مستخف الروح لكل مزاح .

حدثاني عن الحياة في اثينا عندما كانت ساحتها العمومية قبلة الانظار يختلف اليها الناس من كل الطبقات وهم يشعرون انهم احرار في تفكيرهم،احرار في بيانهم وتعبيرهم،فيتجاذبون اطراف الحديث ويتناقشون ويتساءلون مراراً في النهار هل من جديد ، حتى اذا حانت الظهيرة ذهبوا الى الحمامات العمومية زرافات ووحدانا فيعطرون اجسامهم ويبدلون ملابسهم ويعودون الى موائد الطعام اندى شبابا وانقى اهابا .

حدثاني عن الحياة في اثينا ايام كانت المرأة الاثينية تخرج الى السوق وعليها غلالة بيضاء مشدودة الى الكتف بازرار ذهبية ، والى الخصر بنطاق واسع ، تتدلى اطرافه المتموجة حتى القدمين ، وفوق الغلالة ثوب قصير البدن والاكمام، كثير الشرائط والالوان، وفوق الثوب عباءة خفيفة .

والاثيني تتنازعه فلسفتان ، فالرواقيون اتباع زنون ، طوال اللحى طوال الشعر يلبسون المسوح والاحذية السميكة ويحملون العصي الغليظة ، والابيقوريون يحملون الطيب في ابدانهم والعصي المنحوتة كالتماثيل في ايديهم ويختالون في ثياب انيقة مفاخرين ببياض اسنانهم وطول شعورهم ، وحول الفريقين عامة الشعب خفيفة روحها ، كثيرة نكاتها ، تضحك من الاثنين لان الاثيني يضحك من كل شيء ولكل شيء .

حدثاني عن اثينا والاثينيين وحياتهم الجميلة في تلك الايام الجميلة ، عندما كانت سماؤها لامعة وميادينها غاصة بفرسان البطولة ،واندیتها زاهرة بالعبقرية والفن ومنابرها تهتز لاصوات السبياد وبركلس،ومجالسها تضيء بابتسامة اسبازي،فخضعت لسلطانها البحار وعنت لشرائعها تيبة ولاسدمون وانتهت اليها كل ثروات الاغريق ، فعمرت بالهياكل والميادين والاعمدة والتماثيل والحمامات العمومية والبنايات الفريدة ، تلقي على الرومان من بعدها وعلى سائر العالم دروساً في سلامة الذوق وحقيقة العظمة .

لقد دال الدهر دولته فأفل نجمها بعد الاشراق وسكن قلبها الخفاق ،وتوالت حضارات اثر حضارات ، وقامت عروش

على انقاض عروش الا انها بقيت من خلال القرون حافظة اثار مجدها القديم قانعة من الحياة بما ابقت لها الايام الى ان حم القضاء وعلق بها لهيب هذا الجحيم المستطير فوجدت نفسها بين عشية وضحاها غارقة في اتون الحرب واصابها في عصر الثقافة والنور ما اودى منها بكل اثر للثقافة والنور . لقد وقفت في وجه المعتدي ودافعت عن حريتها ما امكن الدفاع واظهرت من البسالة ما اعاد الى الاذهان ذكرى ماراثون وسلامين فشخصت اليها ابصار العالم وانحنت الرؤوس اعجابا بهذا الشعب القليل المستبسل النبيل . واليوم بعد ان اعمل النازي فيها الحديد والنار لم يبق الا الحداد ضارباً رواقه في ارضها وسمائها .

لقد اظلمت لياليها ومغانيها ، فلا بدور في الخدور ولا نور في القصور ، ولا جنات ولا طيور . وسكنت جلبة الرائحين والغادين فشلت يد العامل وحطم قلم الكاتب وصمتت قيثارة الراعي وخرست اجراس الكنيسة . الهياكل الاهلة بارواح الاقدمين هجرتها الآلهة ، والتماثيل الحاملة همسات الاجداد تنكرت لبنيها . وطاف الجوع والمرض في حناياها وبسط الموت حناحيه عليها فلا يُسمع سوى انين ولا يُرى غير اشباح ، وكل يوم مئات من الاطفال والشيوخ والعذارى يرتمون على قارعة الطريق بلا حراك ، يموتون ولا يدفنون .

تلك هي اثينا رسمت للقارىء صورتها في الامس البعيد وصورتها اليوم ، فما اعظم الفرق بين غابرها وحاضرها . يقولون ان الحرب تخدم الرقي بما تشحذ من قرائح وتثير من همم وتطلع من اختراع . ولكن ازاء ما تعطي كم تريق من دم وتبعثر من غنى وتدكدك من عمران ؟ فهل كتب للانسان المسكين العالق بالارض ان يظل كاليهودي التائه لا يعرف الراحة ابداً ؟ لقد خرج من ظلمة الكهوف بعد ان امن نفسه من اضطهاد العناصر وعدوان الوحوش الكاسرة، ولكنه لم يأمن من اخيه الانسان ومن نفسه الامارة بالسوء . فكلما اسعدته حال اقعدته حال وكلما ارتقى ذروة تدنيه من السعادة قذفته الاطماع من حالق فعاد الى الحضيض مخضباً بالنجيع . وكانت ويلات الحرب منحصرة ضمن نطاق محدود اما اليوم بفضل الرقي فالعالم كله كتلة متراصة الاجزاء متصلة العرى والاسباب ، اذا شب الحريق في ناحية منه امتد الى سائر النواحي ، واذا نجا بلد من الحرب بحياده السياسي لم ينج بصلاته الاقتصادية والجغرافية ، فجر عنوة الى الميدان كما جرت اليونان .

على ان الروح الاغريقية لم تمت والشعب اليوناني يلم شعثه خارج بلاده وينضم الى سائر الشعوب التي منيت مثله بالغزو والتشريد ليوالي الحرب تحت لواء الديمقراطية مع الدول الحرة . وهذا مليكه الباسل يطوف الارض في سبيل استرداد ملكه المغصوب وحريته المسلوبة جامعاً شتات قومه من لندن الى مصر الى لبنان الى العالم الجديد .

سلام عليك ايتها الامة المغلوبة على امرها . لقد تعذبت وتغربت وصبرت فلن يطول مع الصبر امد عذابك واغترابك ، وكما خرجت عروسك في غابر الازمان من دماغ جبار الاولمب تحمل لك البرق لينير دجاك، والنصر المجنح ليرف فوق حماك، ستخرج من غيب الاقدار عروس الانتصار فتشيد صرحك المهدود وتعيد فردوسك المفقود.

د. ف.

فيكتور هيغو وفرنسا

قال المتآمر للسيف : بدأ الليل بالهبوط ، فانظر الى الزهرة تلمع في المساء . فقال السيف : تهيأ ، فقد دنت الساعة . وقال للطريق : سيمرّ الجلاّد من هنا . فقال المتآمر : احسّ قشعريرة باردة . فلنعد . فقال القبر : بل ابقَ ، ابقَ . فقال المتآمر : من انت؟ فاجاب القبر : أنا القبر ، فنفّذ الحكم بالموت او مت . وقالت سفينة في الشفق : وانا القبر ايضاً ، أحملُ المطرودين الى المنفى . وقال السيف : لننتظر الجلاّد . فقال المتآمر : احسّ رعشة باردة . ما هذه الريح ! فقالت الريح : اني ازرع في الاجواء صراخ المنفيين المحتضرين، يموتون بلا مأوى ولا صديق ولا قريب . فقال صوت في الريح : انهضي يا ربة الانتقام . فقال السيف : لقد دنت الساعة ، فلنستفد من هبوط الظلام . وقالت الارض : احشائي ملأى أمواتاً . وقال البحر : لقد صبغتِ الدماء أمواجي ، فالأنهر تحمل اليَّ جثثاً لا يحصى لها عدد . وقال السيف للمتآمر : لا تطعنه في قلبه فقلبه فارغ . وقال القانون : كنت القانون ، فقتلني فصرت شبحاً . وقالت العدالة : كنت كاهنة فصيّرني عاهرة . وقالت الحرية : لقد هربت الطيور فهربت معها .

وقال القَسَم : سكّروا الافواه ، فقد ماتت الثقة في القلوب! أيها الانسان ، انت كاذب . ايتها الشمس ، ايتها السموات ، كلاكما تكذبين، فهبي ياارياح الليل، واحملي الشرف والفضيلة فكلاهما اوهام .

وقال الوطن : انا في الحديد ، يا بني ! انا املك ابسط اليك ذراعيَّ من اعماق سجني . فقال المتآمر : أأضربه في الليل ، امام هذه السماء السوداء وهذه البحار الحالكة ؟ فقال الضمير : اضرب ولا تخف . اضربه وكن هادىء مطمئن النفس !.

لمن هذه الصرخة الرائعة ؟ لفيكتور هيغو ، وكأنه يصرخها اليوم في اعماق النفوس . واحب ان استعير اليوم « عقوبات » هذا الشاعر، فقضية فيكتور هيغو في ذلك العصر هي قضية العالم اليوم، وفي صرخاته عزاء للصابرين .

كنت لأسابيع خلت اتصفح « العقوبات » Les Châtiments فوقعت في هذه المجموعة الشعرية ، او في هذه الملحمة على الاصح ، على قصائد لو نشرت اليوم بدون توقيع لما بقي فضل للشك في انها لشاعر معاصر . فنقلت بعضها الى العربية — مستعيناً بروح الشاعر على تأدية افكاره الشعرية في قوالب النثر — وفيما انا اقلّب مجموعة فيكتور هيغو كان احد عشاقه من ابناء امه يقوم بالمهمة نفسها ، اذ وقعت في جزء تشرين الثاني من مجلة « France Orient » التي تصدر في الهند على سبع من قصائد « العقوبات » كنت نقلتها في ما نقلته من هذه الملحمة التي تُدرَج بحق في عداد اصدق روائع الشعر .

وقبل ان اذكر بضعة من المقاطع الخالدة التي دمغ بها الشاعر الجلاّدين والطغاة ، وهم في كل عصر ، اجد بعض الفائدة في الالماع الى ان هيغو حارب الطغيان والخبث، والنميمة والحقد، والاستعباد والذل ، وجور القويّ على الضعيف ، وخنوع الموتور للواتر، وناصر الحرية والكرامة ، وبثّ روح التساهل والحب ، وعلّم الكبر والثقة بالنفس .

قال : « ان آباءنا هم جنود نابليون واجدادنا ابناء غاليا . فاعلموا اننا اسياد ولاتنسوا ذلك، وان الحرية لم تخاطبنا يوماً بدون جدوى . وتذكروا ايضاً ان ايدينا هذه التي سحقت الملوك تستطيع ان تسحق المتبجحين » .

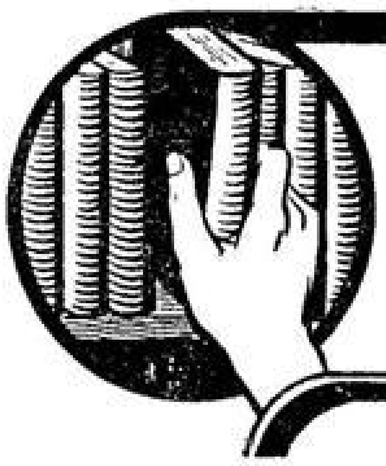
وقال : « وبما اننا اسرى في ايديكم ندعكم تفعلون ما تشاؤون فالانسان لا يستطيع تعجيل الساعة التي يؤخرها الله . ان جيوبكم ايها اللصوص لتتسع لكل ما في البلاد من الذهب . انها تتسع لما يجبى من الفقراء ، للميزانية ولجميع ملايينا ، ولكنها لن تتسع لحقوقنا وشرفنا . فمن جهة شعب بكامله ومن جهة اخرى عصابة لصوص، وما قيمة المدى الحيوي اذا قيس بحقوق البشر؟ لقد كنا شعباً حراً وسنعود غداً احراراً » .

وقال : « لا تدعوا الشك يخالج قلوبكم بل آمنوا . فالسر في النهاية ، فلننتظر ! ان الله يعرف كيف يسحق اضراس نيرون كما يسحق اضراس الوحش . ان الله يجربنا ايها الاصدقاء، فلنتسلح بالايمان ، وليكن ضميرنا مطمئناً . ولنمش على النار ، فالله ينمي النخيل في رمال الصحراء الحارة !.

وقال : « ماذا تريد فرنسا ؟ انها تريد ان يتألّق الحب بعد اليوم على قممها وهضابها . انها تريد شريعة المسيح المقدسة ، الاخاء النقي . وهذه الكلمة العظمى مكتوبة على مدى صفحة الطبيعة : احبوا بعضكم بعضاً . كونوا اخوة . لأن نكون منتصرين فهذا شيء قليل ، اما ان نبقى كباراً فهذا كل شيء ! » . واخيراً هذا المقطع المشبَّع بروح النبوءة : « ارى نقطة تلمع في اعماق السماء ، فانظروا اليها . انها تكبر وتبرق ، وتقترب حمراء قرمزية . ايتها الحرية، ايها السلام الكوني، ما تزالين شرارة وغداً تصيرين الشمس . »

ا . ا . ش .

رائد من فكتور هيغو



مكتبة الاديب

قوة النظام السوفياتي

عنوان لمحاضرة بليغة ألقاها الاستاذ خالد بكداش بمناسبة مرور سنة على الحرب السوفياتية الالمانية وعقد المعاهدة السوفياتية البريطانية .

وقد صدرت هذه المحاضرة في كتيب يطلب من المؤلف الفاضل — صندوق البريد ٦٣٣ — بيروت — وفي هذه المحاضرة اوضح الكاتب الخطيب جميع المسائل المتعلقة بالنظام السوفياتي من الوجهتين الاقتصادية والسياسية ، وأورد لمحة عن حياة العمال والمثقفين والفلاحين ، وتناول حياة العائلة الروسية والدين في الاتحاد السوفياتي ، وبحث في مسألة الجبهة الثانية وموقف الشعب الفرنسي من الثورة الاوربية ، ومصير العالم بعد الحرب ومستقبل العرب ، والحركة الديموقراطية العربية وواجب الديموقراطيين في سوريا ولبنان . فجاءت محاضرته كأخواتها السابقات آية في العلم والاخلاص والوفاء لقضية يخدمها الاستاذ بكداش واعوانه بمنتهى التضحية والحب .

فظائع الهتلريين في الاراضي المحتلة

اصدرت مجلة « الطريق » الزاهرة هذه النشرة المشتملة على نص المذكرة التي ارسلها الرفيق مولوتوف الى ممثلي الدول ذات العلاقات الديبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي . وهي تحتوي على الفظائع التي ارتكبها الهتلريون في البلدان المحتلة كتدمير القرى ، وطرد السكان من منازلهم ، واعمال النهب ، وتعذيب المرضى من السكان ، ومحاولة جرمنة الاهالي ، وانتهاك اعراض النساء ، والمجازر وما شاكل ذلك من الجرائم التي اقترفها النازيون ويقترفونها في كل بلد تطأه اقدامهم .

الاب جبرائيل الشمالي

اصدر الاب المفضال بطرس فهد ، امين السر العام للرهبانية الحلبية نبذة وافية اتى فيها على فضائل الاب جبرائيل الشمالي العشقوتي الذي توفي لثلاث سنوات خلت بعد ان تولى رئاسة الرهبانية الحلبية العامة زهاء عشرين سنة ملأها بجلائل الاعمال . وقد احتوى كتاب « الذكرى » هذا على جميع مآثر الفقيد الكبير ابي النهضة العملية في الرهبانية ونافخ روح الثقافة الفكرية العالية فيها ، صديق امراء الكنيسة الاعاظم ورفيق ارباب السياسة والوجاهة والحكم » .

وقد اشتهر رئيس الرهبانية الحلبية ببسطة في اليد ، وكرم في الخلق ، وتمسك بالتقاليد الموروثة عن اكارم الجدود ، وبعطف صحيح على الفقير ، واليتيم ، تعيد في الايام السود الى الذاكرة قول الشاعر : « وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر » . اما الكتاب فموضوع بلغة صحيحة وبيان جميل ومكتوب بروح ينم على ما يكنه صاحبه من الوفاء للجميل .

دار الكتب الوطنية والجامعية في القدس الشريف

في التاسع والعشرين من تموز الفائت احتفلت دار الكتب الوطنية والجامعية في القدس الشريف ببلوغها الخمسين من عمرها . وهذه المكتبة تحتوي على اعظم مجموعة من الكتب العبرية في العالم (٥٥ الف مجلد) وعلى مجموعة هامة من الكتب الشرقية (٣٥ الف مجلد) .

وهذه الكتب على جانب عظيم من الاهمية لانها تكاد تشتمل على جميع المؤلفات الاساسية في الفكر الاسلامي ، والفلسفة الاسلامية ، واللغة العربية ، والادب العربي ، وما الى ذلك من المواضيع . ولا تقتصر دار الكتب على تأدية مهمتها كمكتبة جامعية فحسب بل تتجاوزها بحيث تؤدي مهمتها ، كمكتبة وطنية ايضاً .

وصفوة القول ان القسم الشرقي في دار الكتب الوطنية والجامعية ، مركز هام من المراكز الثقافية التي تبحث عن الشرق ، وعلومه ، وآدابه ، وكل ما يتعلق به .

الصباح

اصدرت جريدة « الصباح » الغراء التي تصدر في دمشق عدداً خاصاً عالج فيه كتابه مسائل المرأة . وقد ساهم في هذا الجزء الممتاز طائفة كبيرة من ممثلي الثقافة في البلد السوري العزيز . وقد يكون هذا الجزء ضرب الرقم القياسي في اسماء الاديبات اللواتي اشتركن في تحريره كالسيدات والاوانس عفيفة صعب ، وداد سكاكيني ، نعيمة المغربي ، مديحة البرازي ، ماري عجمي ، اميلي

فارس ، نزهة طلس ، منيرة علي المحايري ، عادلة بيهم ، بشرى قدسي ، مقبولة الشلق ، فاطمه سقطي ، اما الادباء فمن متخير ما انجبت التربة السورية الطيبة .

« فالاديب » توجه اخلص تحياتها الى « الصباح » راجية لها اطراد النجاح في حقل الادب والجهاد .

الجبل

جاءنا الجزء الاول من جريدة « الجبل لمنشئها الصحفي الفاضل الاستاذ نجيب حرب فاذا هو صورة صادقة عما يكنه الجبل الدرزي الاشم من الوفاء للقضية الوطنية والقضية الديموقراطية على اطلاقها . وقد اشتمل هذا الجزء على طائفة من الفصول الادبية والسياسية والاجتماعية مدبجة باقلام نزيهة ومحلاة بصور ابطال حركة الحرية في هذا العصر . فنرجو للزميلة العزيزة النجاح الذي تستحقه جهود منشئها الفاضل .

لا هوادة

لا مشاحة ان افضل الآراء المكتوبة هي التي تصدر عن دماغ رايق وبال مطمئن . وكلاهما نتيجة طبيعية لعلوّ اخلاق الكاتب ونبل طباعه . لان من يتحلى بهذه الاخلاق والطباع يكون مفطوراً على الصدق في رأيه ، وفي فعله ، لا يخشى في الحق لومة لائم ، ولا يحابي في الصواب احداً .

هذه التخيلات هي ما يستنتج القارىء من تصفحه لكتاب « لا هواده » الذي اصدرته مجلة « الاديب » الزاهرة مدبجاً بقلم الاديب الكبير الاستاذ عمر فاخوري . وهو مجموعة فصول طريفة متنوعة الموضوعات وعت من الحكمة العالية ضروبا ، ومن الادب الرفيع اشكالا والواناً . فصول شائقة لا هي بالطويلة المملة ، ولا بالقصيرة المخلة . يطالعها المرء بارتياح الى عبارتها الطلية الديباجة ، اللطيفة الاسلوب ، الجيدة السبك ، فيجد فيها عصارة رايقة لدماغ ناضج ، وانجاناً شهية منمقة ، بآراء سديدة محكمة صادرة عن عقل متزن رصين . وكل ذلك ينم على تبحر واسع ودرس عميق ومطالعة مستفيضة . وهذا شأن الاستاذ عمر فاخوري في كل كتاباته التي كان ميل الناس اليها ، واقبالهم عليها اجلى بيان عن رقيّهم العام ، واوضح دليل على ارتفاع المستوى الادبيّ في هذه الديار .

امين الغريب

المفكرة الريفية

صدر كتاب « المفكرة الريفية » للاستاذ امين بك نخله وقد سبق لنا كلمة في هذا المؤلف الفريد نشرناها في جزء الشهر المنصرم كما يعلم القراء الكرام .

والكتاب انيق الطبع والتنسيق جيد الورق حسن الحجم وهو يباع في جميع المكاتب بسعر مئة وخمسين قرشاً لبنانياً سورياً .

دليل الاصطياف والاشتاء في لبنان وسوريا

اصدر السيد اسكندر يارد هذا الدليل الحادي والعشرين في نحو من مئة وخمسين صفحة مزدانة بالرسوم ، فجاء دليلاً ناصعاً على ما يبذله هذا الوطني المخلص من الجهود في سبيل الغاية الكريمة التي درت بالفائدة العظمى على اجمل موسم في هذا البلد . ومما لا نزاع فيه ان السيد اسكندر يارد ما برح منذ نيف وعشرين سنة يؤدي اجل الخدم الى هذه البقع التي احبها حباً مجرداً وأفنى لاجلها ايامه ولياليه وماله . وعزاؤه الوحيد في ما سلخ من الجهود لاجل مهمته تلك العناية التي لقيها من السلطتين الوطنية والفرنسية امس والوطنية والفرنسية والحليفة اليوم . فالاديب توجه اجل الثناء والشكر الى السيد اسكندر يارد سائلة الله ان يكافئه المكافأة التي يستحقها جهده وتجرده في خدمة بلاده .

اخبار رجال الادب

ورد الى مجلة « الاديب » من عدد كبير من قرائها رسائل يطلبون فيها نشر فصول عن اخبار رجال الادب الاحياء . وبديهي ان « مكتبة الاديب » تحتاج الى هذه البحوث والاخبار الطريفة عن حياة الادباء ورجال الفكر سواء في بلادنا او في البلاد الاخرى . لذلك سنسعى جهدنا لتتبع الحركة الادبية القائمة هنا وفي الخارج وادراج نبذات وافية عن سير الادباء ومشاغلهم في هذه الايام السوداء .

ولا نزاع في ان جمهوراً كبيراً من رجال القلم يجدون في مشاغل الحياة فرصاً سانحة للانصراف الى ما تهيأوا له ، كما ان هناك اثاراً ادبية لم يقدر لها كفيل من النشر فهي مطوية في ادراج الكتاب الى ان يحين موعدها وسنسعى لاذاعة اخبارها والتحدث عن مصادرها في فصول نعهد بكتابتها الى طائفة من متخير النقاد والبحاثين في شؤون الادب والعلم .

وسيرى القراء في هذه الفصول التي سنبدأ بنشرها منذ الجزء المقبل من « الاديب » ما يلذّ لهم ويرفه عن انفسهم من سير الادباء في حياتهم الخاصة والعامة . فالى الاجزاء المقبلة .

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

١ آب — هاجمت الطائرات البريطانية مدينة ساربروك والقت عليها ١٥٠ قنبلة وزن الواحدة منها طنـان ، ومئات الالوف من القنابل المتفجرة والمحرقة . — وصل الى لندن مسيو اندره فيليب الذي عين مفوضاً وطنيـاً ، للشؤون الداخلية في الجمعية الوطنية لفرنسا المحاربة .

٢ آب — احتفل الملك هاكون النروجي بذكرى مرور ٧٠ سنة على مولده وقـد وجّه اليه كل من ملك انكلترا والرئيس روزفلت برقية تهنئة . — اعتمد فرع اتحـاد العمال الهولندي في بنغال عزيمة يعارض فيها كل حركة ترمي الى العصيان المدني . — ذكرت جريدة « واشنطون بوست » اسم ده غول في رأس قائمة المرشحين لتولي القيادة العليا لجيوش الامم المتحدة . — انتحر السيد علي حيدر اكتاي ، سفير تركيا السابق في روسيا ، وهو في الخامسة والخمسين من عمره . وكان يهمّ بالذهاب الى سويسرا للاستشفاء .

٣ آب — وردت من جنيف الى وكالة « تاس » الروسية برقية تفيد ان جيوش الجنرال ميكائيلوفتش احتلت مدينة دوبرلين في بوسنيا بكل ما فيهـا من مناجم الفحم ، والمصانع ، وقتلت اكثر من ثلاثة آلاف ضابط ورجل محوري خلال المعـارك التي اسفرت عن احتلال هذه المدينة . — وردت من الجبهة الروسية برقية تفيد ان الجنرال الالمـاني فون بوك طرح قوات جديدة من الاحتياطي في معركة الدون وان الروس يقاومون الهجمات الجديدة ببطولة فائقة الوصف .

٤ آب — دخلت ملكة انكلترا في العام الثاني والاربعين من عمرهـا . — أقسمت السيدة ميلفردمك كافي ، اول امرأة ضابطة في البحرية الاميركانية ، يمين الاخلاص امـام الكولونيل نوكس . وستتولى قيادة جيش نسائي يشتمل على الف ضابط وعشرة آلاف متطوع . — استرجعت الجيوش الصينية مدينة تسنكيانغ — تألفت الوزارة الايرانية الجديدة برئاسة السيد سلطاني . — حصل هيجان شعبي في باريس .

٥ آب — وجهت جريدة « برافدا » الى الجيش الروسي النداء التالي : « اذا قاومنا الهجمات الالمانية اشهراً اخرى نحرز النصر . واننا لنستطيع هذه المقاومة . اوقفوا العدو واطردوه » . — اعتقل الضابط الالماني القديم فرنز فون كن لمحاولته ان يبيع في الولايات المتحدة جواهر نهبها من هولندا وبلجيكا . وقد وجد معه اربعمئة الف دولار .

٦ آب — تفاقم موقف الجيش الروسي في الثاني والاربعين ساعة المنصرمة . — اعتمدت لجنة الدرس في المؤتمر الهندي عزيمة توضح فيها انه اذا اعطيت الحرية للبلاد تعقد الهند في الحال محالفة مع الامم المتحدة . — صرح السيد سراج اوغلو رئيس الحكومة التركية ، امام المجلس الوطني الكبير بقوله : « اننا نبذل جهوداً رشيدة للبقاء في معزل عن الحرب . ولكن اذا هوجم استقلالنا يوماً فسنحارب الى آخر رجل . »

٧ آب — دارت رحى معركة دبابات طاحنة لاجل الاستيلاء على سكة حديد كوتلنيكوفو الواقعة على بعد مئة ميل جنوبي غربي ستالينغراد حيث يحـاول فون بول القيام بحركة كلابة شطر مدينة ستالينغراد . — شنت قوات اميركانية من اسطول الباسيفيكي عمليات هجومية على جزر سليمان .

٨ آب — اعلنت جريدة « النجم الاحمر » ان الالمان تمكنوا من شق جيب في تحصينات الروس بكوتلنيكوفو . وان القوزاك استرجعوا محلة هامة في قطاعات كوتشفسكايا . — واعلن راديو موسكو ان معركة على جانب عظيم من الشدة تستمر في عقـدة الدون . — رفض السيد جنه ، رئيس العصبة الاسلامية في الهند ، باسم المسلمين مطالب المؤتمر الرامية الى تأليف حكومة وطنية في الحال . — وصل الجنرال دي غول الى القـاهرة وسيتفقد القوات الفرنسية في الشرق . — صرح غاندي في خطاب لفظه امام اعضاء الجمعية التنفيذية الهندية بقوله : « لا اريد ان تغزو اليابان بلادي والاّ اكون السبب في انكسار الصينيين والسوفيات . »

٩ آب — استقبل الجنرال دي غول الجالية الفرنسية في مركز مندوبية فرنسا المحاربة بالقاهرة . وكان محاطاً بالجنرال كاترو الذي جاء من بيروت وبالجنرال كنيغ . — رفضت حكومة الهند مفاوضة المؤتمر على اسس اقيمت لزج الهند في الفوضى وشل جهدها الحربي . — اعتقل غاندي وازاد ونهرو وباتل والسيدة نايدو .

١٠ آب — حث السيد جنه ، رئيس العصبة الاسلامية ،

اشياعه على التزام موقف الحياد من حركة لجنة المؤتمر ، وطلب من الشعب الهندي وقف هذه الحركة التي تضر بالهنـد . — اعتقلت زوجة غاندي .

١١ آب ـ تواصل القوات السوفيـاتية صد الهجمات العدوة على الضفة الغربية من الدون في جنوبي فورونيـج — صرع ٢٧ شخصاً خلال الاضطرابات التي حصلت امس في بومباي — اعتقل السيد سنه ، رئيس المؤتمر الهندي السابق — نزلت قوات اميركانية غفيرة في جزر سليمان — وصل الجنرال دي غول بيروت فاستقبل استقبالا حافلاً .

١٢ آب — المعارك الطاحنة مستمرة في جزر سليمان . — عقدت معـاهدة تحالف بين مملكة آل سعود والكويت . — وصلت ملكة هولندا الى عاصمة كندا . — غادر الجنرال ديغول مدينة بيروت ليتفقد القوات الفرنسية في مختلف المناطق اللبنانية . — ضرب الاسطول البريطاني جزيرة رودس .

١٣ آب — اذاع راديو باريس انه اكتشفت في وهران بالجزائر مؤامرة ضد حكومة فيشي وانه اعتقل اربعون شخصاً .

١٤ آب — اعتقلت شقيقة باندیت نهرو في الهند . — الاميركان يعززون المراكز التي احتلوها في جزر سليمان . — الدفعة الالمانية صوب ستالينغراد تزداد شدة .

١٥ آب — جاء في التقارير الرسمية الاولى انه قتل ٤٠ شخصاً وجرح ٥٥ في دلهي القديمة خلال الاربعة الايام الاخيرة . — هاجمت اسراب من طائرات القذف الحليفة مواقع الجشوم في الضبعة بالارض المصرية . — وفاة سكرتير غاندي في السجن .

١٦ آب — اعلن راديو موسكو ان الجيوش السوفياتية تشن هجمات عنيفة في منطقة كوتيلنيكوفو وان معارك طاحنة تـدور رحاها هناك . — غادر السيد جان هيللو ، سفير فرنسا في انقره وزوجته والسيدة جورج بالاي ، سكرتير السفارة الاول في انقره ، استنبول الى بيروت ليضعوا انفسهم تحت تصرف الجنرال دي غول وفرنسا المحاربة . قلد فخـامة رئيس الجمهورية السورية الوشاح الاكبر من وسام امية لفخامة الجنرال دي غول .

١٧ آب — الحالة تتحسن في الهند .

١٨ آب — القوات الالمانية تخترق المواقع السوفياتية في عقدة الدون بعد جهود شاقة ، استغرقت عدة ايام . — الروس يصدون الهجمات الالمانية امام ستالينغراد . — هاجمت قوات الحلفاء مرفأ دييب في فرنسا ودارت في الاراضي الفرنسية معارك طاحنة استمرت ٩ ساعات .

١٩ آب — تظاهرت الجمـاهير في شوارع ريو جانيرو ضد المحور بسبب نسفه سفناً برازيلية . — اعلنت وزارة الحربية البريطانية ان الجنرال الكسندر عين مكان الجنرال اوكنلك كقائد اعلى لجيوش الشرق الاوسط . — صرف مستر تشرشل الذي عاد من موسكو نهاراً مع القوات في منطقة العلمين وتحدث في القاهرة الى الملك فاروق والنحاس باشا . — الصحف البريطانية تخصص فصولا مطولة للمباحثات التي دارت بين ستالين وتشرشل في موسكو . وصلت قوات جوية اميركانية غفيرة الى الشرق الاوسط . — زار الجنرال وايفل منطقة العلمين . — اعتقل نجل غاندي .

٢٠ آب — هاجم الطيران السوفياتي دانتزيغ وكنيكسبرغ وتليست محدثاً اضراراً بالغة . — المظاهرات الشعبية ضد المحور تستمر في اهم مدن البرازيل . — استرجعت القوات الصينية مدينة وينشو ولكنها خسرت مدينة فويشيانغ جنوبي غربي شيكيانغ . ثبت اليوم ان مالطة كلفت المحور ثمانمئة طائرة منذ شهر حزيران . الضغط المحوري يزداد على ستالينغراد . حصل اضطرابات جديدة في مدراس بالهند .

٢١ آب — صرح مستر وندل ويلكي بانه سيزور قريبـاً روسيا والشرق الادنى معهوداً اليه بمهمة خاصة من قبل حكومة الولايات المتحدة . — تأجل ختام الدورة البرلمانية في انقرة بداعي الظروف الحـاضرة . — غادر عصمت انونو ، رئيس الجمهورية التركية ، انقره الى الاناضول للقيام بجولة تفتيشية . — القيـادة الالمانية العليا تعترف بان الجيوش الروسية تهاجم في منطقة فيازما وفي جبهة رجيف وفي منطقة لينغراد . — احتفلت جميع المـدن السورية احتفالا شائقاً بزيارة الجنرال دي غول .

٢٢ ـ الحالة تستتب في الهنـد . ـ مراسل « التايمس » في واشنطون يقول ان حالة الحرب قائمة حالياً بين البرازيل والمحور . ـ صرح نوري باشا السعيد رئيس الحكومة العراقية ، بان العراقيين سيقاتلون المحور عند الحاجة .

٢٣ آب ـ البرازيل تعلن الحرب على دول المحور .

٢٤ آب ـ معركة ستالينغراد تصل الى مرحلتها الحاسمة . ـ الرئيس تشرشل يزور القاهرة للمرة الثانية عائداً من روسيا .

٢٥ آب ـ اعلنت وزارة البحرية الاميركانية ان معركة بحرية جوية كبرى تدور رحاها في عرض جزر سليمان . ـ قتل الدوق اوف كنت ، شقيق ملك انكلترا ، بحادث طيارة .